المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة
(٠٣٢)
كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية
قسم التفسير وعلوم القرآن

تيسير اللّطيف المنّان
في خُلاصة تفسير القرآن

للعلّامة الشّيخ

عبدالرّحمن بن ناصر بن سعديّ

(ت: ١٣٧٦هـ)

دراسة وتحقيقًا

مشروع رسالة علميَّة مقدَّمٌ لنيل درجة العالميَّة العالية (دكتوراه).

إِعداد الطَّالب

عبدالعزيز بن محمَّد بن صالح الرُّبعي

إِشراف الدكتور

محمَّد بن ناصر الحميِّد
الأستاذ المشارك في قسم التَّفسير وعلوم القرآن

العام الجامعيّ
١٤٣٦-١٤٣٧هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدِّمة

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾[١]، وأَشهدُ أَنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، وأَشهدُ أَنَّ نبيَّنا محمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ صلى اللهُ عليهِ، وعلى آلِهِ، وصحبِهِ، وسلَّمَ تسليمًا.

أَمَّا بعدُ: فإنَّ اللهَ ﷻ أنزلَ كتابَهُ تبيانًا لِكلِّ شيءٍ، وتَكفَّلَ بِحِفظِهِ، وقَيَّضَ لَهُ علماءَ يعتنونَ بأَلفاظِهِ ومَعانيهِ، وأَحكامِهِ وتوجيهاتِهِ، فكثُرَ المؤلِّفونَ في التَّفسيرِ وعلومِ القرآنِ؛ معَ تنوُّعٍ في المؤلَّفاتِ؛ في مُحتواها، ومَوضوعاتِها، واتِّجاهاتِها، ومَناهجِها، وطُولِها وقِصَرِها، وغيرِ ذلكَ.

وقد كان لِلعلَّامةِ السّعديِّ رحمه الله حظٌّ وافرٌ مِن ذلكَ؛ فقد أَلَّفَ كُتُبًا كثيرةً في التَّفسِيرِ وعُلومِ القرآنِ[٢]؛ ومِن أَهمِّها: "**تَيْسِيْرُ اللَّطِيْفِ المَنَّانِ فِي خُلاصَةِ تَفْسِيْرِ القُرْآنِ**"، والذي أَتشرَّفُ بِدِراستهِ وتَحْقيقهِ؛ في مَشروعِ رِسالةٍ عِلميَّةٍ مُقدَّمٍ لِنيلِ دَرجةِ العَالميَّةِ العَاليةِ: (دكتوراه).

أَهمِّيَّةُ الموضوعِ:

تَتَّضحُ الأَهميَّةُ في الأُمورِ التَّاليةِ:

١- أَنَّهُ مَوضُوعٌ في التَّفسيرِ وعلومِ القرآنِ، وكَفَى شَرَفًا، وأَهميَّةً بموضوعٍ يَتعلَّقُ بكتابِ اللهِ ﷻ.

٢- القِيمةُ العِلميَّةُ لـ "تيسيرِ اللَّطيفِ المنَّانِ في خُلاصةِ تَفسيرِ القرآنِ"[٣].

٣- مَوسُوعيَّةُ المؤلِّفِ العِلمِيَّةُ، ومَكانتُهُ، ومَقامُهُ بيْنَ العُلماءِ[٤].

٤- أَنَّهُ مَوضوعٌ يَتعلَّقُ في كتابٍ يُعدُّ نُموذَجًا فَرِيدًا، وسَابقًا في تَطبيقِ التَّفسِيرِ الموضوعيِّ، الخَالِي مِن التَّكلُّفِ، والتَّنظِيْرِ.

أَسبابُ اختيارِ الموضوعِ:

تَتلخَّصُ الأَسبابُ في الأُمورِ التَّاليةِ:

١- الرَّغبةُ في خِدمةِ كتابِ اللهِ ﷻ مِن خِلالِ تحقيقِ كتابِ: "تيسيرِ اللَّطيفِ المنَّانِ في

---

(١) الكهف: ١

(٢) ينظر: مؤلَّفاته في: التَّفسير وعلوم القرآن الكريم: (ص:٦).

(٣) كما سيأْتي: (ص:٦-٦).

(٤) كما سيأْتي: (ص:٦-٦).

خُلاصةِ تفسيرِ القرآنِ".

٢- الحِرصُ على إخراجِ هذا الكتابِ مُحقَّقًا تحقيقًا علميًّا، يتناسبُ معَ قِيمتهِ العِلميَّةِ، ومكانَةِ مؤلِّفهِ رحمه الله.

٣- العُثورُ على مَخطوطةِ هذا الكِتابِ بخطِّ مؤلِّفهِ رحمه الله؛ واعتمادُها أَصلًا في التَّحقيقِ.

الدِّراساتُ السَّابقةُ حولَ الكتابِ:

مِن المعلُومِ أَنَّ هذا الكتابَ طُبِعَ في حياةِ المؤلِّفِ رحمه الله، ثمَّ طُبِعَ بعدَ ذلكَ عِدَّةَ طَبعاتٍ، ويتَّضحُ ذلكَ فيما يلي:

أ- أَوَّلُ ما طبعَ الكتابُ كان في: مطبعةِ الإمامِ، بمصرَ، عامَ: (١٣٦٨هـ)، ومَجموعُ صفحاتِهِ:(٢٠٤)، صَفحةً، مِن حَجمِ: (A4).

وقد طُبِعَ على النُّسخةِ التي بخطِّ البسَّامِ رحمه الله؛ حيثُ قالَ في آخرِها: "بقلمِ الفقيرِ إلى ربِّهِ: محمَّدِ السُّليمانِ العبدِالعزيزِ البسَّامِ"[(١)].

وأَشارَ المؤلِّفُ رحمه الله في رسالةٍ لأَحدِ طلَّابهِ مُؤرَّخةٍ في الثَّلاثينَ من شهرِ جمادَى الآخرة، من سَنةَ ثمانٍ وستِّينَ وثلاثِمائةٍ وأَلفٍ هجريَّةٍ أَنَّهُ تمَّ الانتهاءُ من طَبعِ الكتابِ[(٢)].

وفي رسالةٍ في الخامسِ والعشرينَ من شهرِ ذِي الحِجَّةِ، من سَنةَ ثمانٍ وستِّينَ وثلاثِمائةٍ وأَلفٍ هجريَّةٍ، إفادةٌ: بِوُصولِ التَّفسيرِ، وأَنَّهُ طُبِعَ منهُ أَربعةُ آلافِ نسخةٍ، وأَنَّهُ وَزَّعَ نُسَخًا منهُ على طلَّابهِ، كمَا وَجَّهَ بتوزيعِ نُسَخٍ على أَعيانِ الحُجَّاجِ القادِمينَ من أَهلِ العِلْمِ والفضلِ، وعلى أَهلِ العِلْمِ بالحِجازِ وما حولَها، وفي الرِّياضِ وبُريدةَ، وحائلٍ، وبعضِ قُرى القَصيمِ، والزُّلفي، والْمَجْمَعةِ[(٣)].

ب- طَبْعةُ مكتبةِ المعارفِ بالرِّياضِ، عامَ: (١٤٠٠هـ)، وهي مصوَّرةٌ مِن: "مطبعةِ الإمامِ".

ج- طَبْعةُ مركزِ: صالحِ بنِ ناصرِ بنِ صالحٍ، الاجتماعيِّ، بعنيزةَ، ضمنَ مجموعةِ مؤلَّفاتِ السّعديِّ رحمه الله، عامَ: (١٤٠٧هـ)، وهي منقولةٌ عن المطبوعِ على نسخةِ البسَّامِ رحمه الله.

---

(١) كما في: (ص:٢٠٣).

(٢) الأَجوبة النَّافعة عن المسائل الواقعة، (٢٥٠-٢٥١).

(٣) الأَجوبة النَّافعة عن المسائل الواقعة، (٢٦٥-٢٦٦).

د- طَبْعةُ مكتبةِ الأَقصى بعنيزةَ، عامَ: (١٤٠٩هـ)، وهي مَنقولةٌ عن المطبوعِ على نُسخةِ البسَّامِ رحمه الله، وقد نَبَّهُوا على الأَخطاءِ المطبعيَّةِ في آخرِ الكتابِ، وهي قريبةٌ مِن المائةِ.

هـ- طَبْعةُ وزارةِ الشُّؤونِ الإِسلاميَّةِ، بالمملكةِ العربيَّةِ السُّعوديَّةِ، عامَ: (١٤٢٢هـ)، وهي منقولةٌ عن المطبوعِ على نسخةِ البسَّامِ رحمه الله.

و- طَبعةُ مكتبةِ الرُّشدِ، عامَ: (١٤٢٣هـ)، وهي منقولةٌ عن المطبوعِ على نسخةِ البسَّامِ رحمه الله.

ز- كلُّ هذهِ النُّسخِ المطبوعةِ لم تحقَّقْ تحقيقًا عِلميًّا في أَيٍّ مِن الجامعاتِ، ولم تُخدَمْ خِدمةً علميَّةً، حَسَبَ ضوابطِ التَّحقيقِ العِلميِّ الْمُتعارَفِ عليهِ في الجامعاتِ.

ح- تَشْتركُ جميعُ الطَّبعاتِ السَّابقةِ في الجوانبِ التَّاليةِ:

- لَيس فيها عزوٌ للآياتِ، عدا طبعةِ مكتبةِ الأَقصى.
- لم تُخرَّجِ الأَحاديثُ والآثارُ، إِلَّا قليلًا في طبعةِ مكتبةِ الأَقصى.
- لَيس فيها تَوْثيقٌ لِما ذكرَهُ المؤلِّفُ، أَو أَشارَ إِليهِ مِن قِراءاتٍ أَو أَقوالٍ.
- لم توثَّقِ القواعدُ والمسائلُ، الأُصوليةُ والفِقهيَّةُ.
- لم يُبَينِ الغَريبُ مِن الأَلفاظِ.
- لم تُبَيِّنْ مصادرُ معلوماتِ المؤلِّفِ في الكتابِ.

ط- بعدَ أَنْ تَمَّتِ الموافقةُ على تحقيقِ هذا الكتابِ ظَهرتْ طَبعةُ دارِ ابنِ الجوزيِّ، عامَ: (١٤٣٤هـ)، وقد طُبعتْ على نُسخةِ المؤلِّفِ رحمه الله، ومجموعُ الصَّفحاتِ معَ الفهارسِ: (٤٠٥)، صفحةً.

وقد بُذلَ فِيها جهدٌ مشكورٌ؛ حيث تَمَّ عزوُ غالبِ الآياتِ، وتخريجُ ما ظهَرَ مِن الأَحاديثِ، ثُمَّ فهرسٌ للآياتِ، وفهرسٌ للموضوعاتِ، والفوائدِ العِلميَّةِ، ثُمَّ الفهرسُ الإِجماليُّ لموضوعاتِ الكتابِ، غيرَ أَنَّهُ يُلاحظُ عليها ما يَلي:

- عدمُ المطابقةِ الدَّقيقةِ بيْن نسخةِ المؤلِّفِ، والمطبوعِ على نسخةِ البسَّامِ رحمهما الله.

- فاتَهم عَزوُ بعضِ الآياتِ، وتخريجُ مجموعةٍ مِن الأَحاديثِ التي أَدرجَها المؤلِّفُ إدراجًا(١).

- لم تَعْتنِ بعزوِ الأَقوالِ، والقراءاتِ، وبيانِ الغريبِ.

- خلَتْ مِن دراسةِ المسائلِ، وتَوثيقِ المعلوماتِ التي استفادَها المؤلِّفُ مِن مصادرِها.

- لم تقدِّمْ دِراسةً نظريَّةً تُبيِّنُ قِيمةَ الكتابِ، ومزاياهُ، ومَنهجَ مؤلِّفِهِ فيهِ.

- قُصِدَ فِيها الاقتصارُ على نصِّ المخطوطةِ؛ لذا لم تَذكرْ شيئًا مِن المعلوماتِ الخاصَّةِ بالمؤلِّفِ رحمه الله، مِن حياتِهِ ونشأَتِهِ، ووفاتِهِ، وطلبهِ للعِلْمِ ومشايخِهِ، وتعليمِهِ وتلاميذِهِ، ومذهبِهِ، وعقيدتِهِ، ومكانتِهِ العلميَّةِ، وثناءِ العلماءِ عليهِ، ومؤلَّفاتِهِ، وغيرِ ذلكَ؛ مِمَّا مَنَّ اللهُ بهِ في هذا التَّحقيقِ المباركِ -إنْ شاءَ اللهُ تعالى-.

وهناكَ عِدَّةُ دِراساتٍ حولَ العلَّامةِ السّعديِّ، ونِتاجِهِ العِلمِيِّ، ومنها:

- أَثرُ القواعدِ الأُصوليَّةِ في اختياراتِ الشَّيخِ: عبدِالرَّحمنِ السّعديِّ الفِقهيَّةِ للمسائلِ النَّازلةِ في عصرِهِ -دراسةٌ أُصوليَّةٌ تطبيقيَّةٌ- مشعلُ المطيري، ماجستير، جامعةُ أُمِّ القُرَى: مكَّةُ، (١٤٢٢هـ).
- اختياراتُ الشَّيخِ: عبدِالرَّحمنِ السّعديِّ في المسائلِ الفِقهيَّةِ المستجدَّةِ -جمعًا ودِراسةً-، ماجستير، عبدُالرَّحمنِ السّعديُّ، المعهدُ العالي للقضاءِ: الرِّياضُ، (١٤٣٣هـ).
- استنباطاتُ الشَّيخِ: عبدِالرَّحمنِ السّعديِّ من القرآنِ الكريمِ -عرضٌ ودِراسةٌ- سيفُ الحارثي، دكتوراه، جامعةُ الإمامِ: الرِّياضُ، (١٤٣٠هـ).
- ترجيحاتُ الشَّيخِ: عبدِالرَّحمنِ بنِ ناصرٍ السّعديِّ في التَّفسيرِ، عبدُاللهِ زقيلي، ماجستير، جامعةُ الإمامِ: الرِّياضُ، (١٤٢٤هـ).
- الشَّيخُ: عبدُالرَّحمنِ بنُ ناصرٍ السّعديُّ مفسِّرًا، عبدُاللهِ الطَّيارُ، ماجستير، جامعةُ الإمامِ: الرِّياضُ، (١٤٠٧هـ).
- الشَّيخُ: عبدُالرَّحمنِ بنُ ناصرٍ السّعديُّ؛ حياتُه، علمُه، منهجُه في الدَّعوةِ إلى اللهِ، عبدُالعزيزِ العمَّارُ، ماجستير، جامعةُ الإمامِ: الرِّياضُ، (١٤٠٥هـ).
- الشَّيخُ: عبدُالرَّحمنِ بنُ ناصرِ بنِ سعديٍّ، وجهودُه في توضيحِ العقيدةِ، عبدُالرَّزاقِ العبَّادُ، ماجستير، الجامعةُ الإسلاميَّةُ: المدينةُ المنوَّرةُ، (١٤٠٧هـ).

---

(١) كما سيتبين ذلك في منهجه: (ص:٦).

- الفِكرُ التَّربويُّ عندَ الشَّيخِ: عبدِالرَّحمنِ السّعديِّ، عبدُالعزيزِ الرّشوديُّ، دكتوراه، جامعةُ أُمِّ القُرى: مكَّة، (١٤١٧هـ).
- القواعدُ الأُصوليَّةُ وتطبيقاتُها في كتابِ: "تيسيرِ الكريمِ الرَّحمنِ" -جمعًا ودراسةً-، عبدُاللَّطيفِ الشَّامانيُّ، دكتوراه، الجامعةُ الإسلاميَّةُ: المدينةُ المنوَّرةُ، (١٤٣٠هـ).
- منهجُ الشَّيخِ السّعديِّ في التَّفسيرِ الموضوعيِّ من خلالِ كتَابيهِ: فتحِ الرَّحيمِ، وتيسيرِ اللَّطيفِ، دراسةٌ تحليليَّةٌ، د. محمَّدُ العواجيُّ، بحثٌ علميٌّ في مؤتمرِ التَّفسيرِ الموضوعيِّ للقرآنِ الكريمِ، جامعةُ الشَّارقةِ، (١٤٣١هـ).
- منهجُ الشَّيخِ السّعديِّ في تفسيرِهِ: "تيسيرِ الكريمِ الرَّحمنِ في تفسيرِ كلامِ المنَّانِ"، ناصرٌ المرنخُ، ماجستير، الجامعةُ الإسلاميَّةُ: غزَّة، (١٤٢٣هـ).
- منهجُ الشَّيخِ: عبدِالرَّحمنِ السّعديِّ وجهودُه في الدَّعوةِ إلى اللهِ، عبدُاللهِ الرُّمَّيانُ، ماجستير، فرعُ جامعةِ الإمامِ: المدينةُ المنوَّرةُ، (١٤١٤هـ).

وكلُّ هذه الدِّراساتِ قد استفادتْ مِن هذا الكتابِ، غيرَ أنَّه لا عِلاقةَ لها بتحقِيقهِ؛ حيثُ إنَّها تَبحثُ في مواضيعَ خاصَّةٍ.

هذا وبعدَ السُّؤالِ في مَراكزِ البُحوثِ، ومُراجعةِ كثيرٍ من المكتباتِ، والأَقسامِ العِلميَّةِ في الجامعاتِ، وبعدَ البحثِ في المواقعِ الْمُتخصِّصةِ في البحوثِ والدِّراساتِ وعلومِ القرآنِ، وقواعدِ بياناتِها، وبعد التَّباحثِ معَ الْمُهتمِّينَ بتراثِ السّعديِّ رحمه الله، تَبيَّنَ عدمُ وجودِ دراسةٍ عِلميَّةٍ لتحقيقِ هذا الكتابِ؛ مِمَّا قوَّى مِن همَّتِي، وشَدَّ مِن عَزمي مُستعِينًا باللهِ على إخراجِهِ مُحقَّقًا تَحقيقًا عِلميًّا.

خُطَّةُ الرِّسالةِ: تَتكوَّنُ مِن: مقدِّمةٍ، وقِسمينِ، وعَشَرةِ فهارسَ:

المقدِّمةُ: وفِيها ما يلي:

١- أَهميَّةُ الموضوعِ.

٢- أَسبابُ اختيارِ الموضوعِ.

٣- الدِّراساتُ السَّابقةُ.

٤- خُطَّةُ الرِّسالةِ.

٥- مَنهَجُ الرِّسالةِ.

القِسمُ الأَوَّلُ: الدِّراسةُ: وفيهِ فصلانِ:

الفصلُ الأَوَّلُ: التَّعريفُ بالمؤلِّفِ رحمه الله، وفيهِ سبعةُ مباحثَ:

المبحثُ الأَوَّلُ: اسمُهُ، وكنيتُهُ، ونَسبُهُ.

المبحثُ الثَّاني: مَولِدهُ، ونَشأَتُهُ، وأَخلاقُهُ، ووَفاتُهُ، وفيهِ أَربعةُ مطالبَ:

المطلبُ الأَوَّلُ: مَولِدهُ.

المطلبُ الثَّاني: نَشأَتُهُ.

المطلبُ الثَّالثُ: أَخلاقُهُ.

المطلبُ الرَّابعُ: وَفاتُهُ.

المبحثُ الثَّالثُ: شُيوخُهُ، وتلاميذُهُ، وفيهِ مَطْلبانِ:

المطلبُ الأَوَّلُ: شُيوخُهُ.

المطلبُ الثَّاني: تلاميذُهُ.

المبحثُ الرَّابعُ: عَقيدتُهُ.

المبحثُ الخامسُ: مَذهبُهُ الفِقهِيُّ.

المبحثُ السَّادسُ: مَكانتُهُ العِلميَّةُ، وثناءُ العُلماءِ عليهِ، وفيهِ مَطْلبانِ:

المطلبُ الأَوَّلُ: مَكانتُهُ العِلميَّةُ.

المطلبُ الثَّاني: ثناءُ العُلماءِ عليهِ.

المبحثُ السَّابعُ: تَعليمُهُ، ومؤلَّفاتُهُ، وفيهِ مَطْلبانِ:

المطلبُ الأَوَّلُ: تَعليمُهُ.

المطلبُ الثَّاني: مؤلَّفاتُهُ.

الفصلُ الثَّاني: التَّعريفُ بالكتابِ، وفيهِ خمسةُ مباحثَ:

المبحثُ الأَوَّلُ: تَحقيقُ اسمِ الكتابِ، وإثباتُ نِسبتِهِ للمؤَلِّفِ رحمه الله، وفيهِ مَطْلبانِ:

المطلبُ الأَوَّل: تَحقيقُ اسمِ الكتابِ.

المطالبُ الثَّاني: إثباتُ نِسبةِ الكتابِ للمؤَلِّفِ رحمه الله.

المبحثُ الثَّاني: مَنهَجُ المؤلِّفِ في الكتابِ.

المبحثُ الثَّالثُ: مَصادرُ الكتابِ.

المبحثُ الرَّابعُ: القِيمةُ العِلميَّةُ للكتابِ.

المبحثُ الخامسُ: وَصْفُ النُّسخةِ الخطيَّةِ، ونماذجُ مِنها، وفيهِ ثلاثةُ مطالبَ:

المطلبُ الأَوَّلُ: وصفُ النُّسخةِ الخَطيَّةِ.

المطلبُ الثَّاني: نَماذجُ من النُّسخةِ الخَطيَّةِ.

المطلبُ الثَّالثُ: نُسخةُ البسَّامِ رحمه الله.

القِسمُ الثَّاني: تَحقِيقُ نصِّ الْمَخطوطَةِ.

الفهارسُ:

١- فهرسُ الآياتِ القُرآنيَّةِ.

٢- فهرسُ الأَحاديثِ النَّبويَّةِ.

٣- فهرسُ الآثارِ.

٤- فهرسُ الأَلفاظِ الغَرِيْبةِ.

٥- فهرسُ الْمُصْطَلحاتِ.

٦- فهرسُ الأَعلامِ.

٧- فهرسُ القبائلِ، والفِرَقِ.

٨- فهرسُ الأَماكنِ، والبُلدانِ.

٩- فهرسُ المصادرِ والمراجعِ.

١٠- فهرسُ الموضوعاتِ.

مَنهَجُ الرِّسالةِ: يَتلخَّصُ المنهجُ في الأُمورِ التَّاليةِ:

١- اختيارُ نسخةِ المؤلِّفِ رحمه الله، واعتمادُها أَصلًا في التَّحقيقِ، مع الالتزامِ بنصِّها، ما لم يكنْ في الكلامِ سَقْطٌ يَحْدثُ بهِ خَللٌ في المعنى فإنَّهُ يُصحَّحُ مِن الطَّبعةِ الأُولى التي على نُسخةِ البسَّامِ رحمه الله[1]، معَ وضعهِ بينَ قَوسينِ مُركَّنَينِ[2].

٢- إثباتُ الزِّياداتِ، والفُروقِ، بينَ المخطوطِ وبينَ الطَّبعةِ الأُولى التي كانت على نُسخةِ البسَّامِ رحمه الله، معَ الإشارةِ إلى الفرقِ بينهُما في المعنى، وما هو اللَّائقُ بالسِّياقِ منهُما، إنْ احتاجَ الأَمرُ إلى ذلكَ[3].

٣- الرَّمزُ للمخطوطِ بـ (خ)، وللمطبوعِ على نسخةِ البسَّام بـ (س).

٤- كِتابةُ الآياتِ بالرَّسمِ العُثمانيِّ، حَسَبَ مصحفِ المدينةِ النَّبويَّةِ للنَّشرِ الحاسوبيِّ.

٥- كتابةُ نصِّ المخطوطِ على حَسَبِ قواعدِ الرَّسمِ الإملائيِّ الحديثِ[4].

٦- تحديدُ نهايةِ كلِّ صفحةٍ مِن صفحاتِ المخطوطِ؛ وذلك بوضعِ رقمِها بيْنَ قَوسينِ مُركَّنينِ داخلَ النصِّ.

٧- إصلاحُ ما سبقَ به قلمُ المؤلِّفِ رحمه الله مِنْ سقطٍ في الآياتِ[5]، أَمَّا الخَطأُ النَحويُّ فإنَّهُ

---

(١) ينظر: وصف نسخة البسَّام، والتَّعريف بها: (ص:٦-٦).
الشَّيخ: محمَّد بن سليمان بن عبدالعزيز البسَّام، لازم السّعديَّ، وصار من خواصِّه، ثم انتقل إلى مكَّة، ودرَّس في المسجد الحرام وغيره، وكان الطُّلاب يتعلَّمون منه في بيته حين مرضه، وله مؤلَّفات منها: "نيل المرام بتحقيق توضيح الأَحكام من بلوغ المرام"، وله عناية ببعض تراث شيخه؛ تحقيقًا، وتصحيحًا لبعض الطَّبعات، (ت:١٤٣١هـ). ينظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون، للبسَّام، (٢/٣٢٨-٣٢٩).

(٢) ينظر: (ص:٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦).

(٣) ينظر: (ص:٦، ٦).

(٤) ينظر: (ص:٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦).

(٥) ينظر: (ص:٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦).

يُصحَّحُ مِن الطَّبعةِ الأُولى التي على نُسخةِ البسَّامِ رحمه الله إنْ كان مُصحَّحًا فِيها[١]، معَ التَّنبيهِ على ذلكَ في الحاشيةِ[٢].

٨- عزوُ الآياتِ؛ بذكرِ اسمِ السُّورةِ، ورقمِ الآيةِ، ووضعُ ذلكَ في الحاشيَةِ.

٩- جرَتْ عادةُ المؤلِّفِ رحمه الله أنْ يَذكرَ الآيةَ إجمالًا، ثُمَّ يُفسِّرُ مُفرداتِها؛ لذا فلن يُكرَّرَ التَّخريجُ بذكرِ الْمُفرداتِ؛ اكتفاءً بما سبقَ.

١٠- عَزْوُ القِراءاتِ التي صرَّحَ بِها المؤلِّفُ رحمه الله، أَو أَشارَ إِليها إِلى مصادرِها الأَصليَّةِ.

١١- تَخريجُ الأَحاديثِ والآثارِ، وعزوُها إِلى مصادرِها؛ فما كان في الصَّحيحينِ أَو أَحدِهِمَا فيُكتفى بهِ، وإِلَّا فإِلى كتبِ الحديثِ والآثارِ الأُخرى؛ كالسُّننِ والمسانيدِ والمعاجِمِ والمصنَّفاتِ، مع بيانِ درجتِهِ، حسَبَ كلامِ أَهلِ العِلْمِ عليهِ، قديمًا أَو حديثًا.

١٢- إِنْ صحَّ المعنَى معَ ضعفِ الإِسنادِ فينبَّهُ على ذلكَ حسَبَ كلامِ أَهلِ العِلْمِ.

١٣- إِنْ كان في أَلفاظِ الأَحاديثِ التي في الكتاب اختلافٌ يسيرٌ عمَّا في أُصولِها فبدايةُ تخريجِها بلفظِ: بنحوِهِ، وإِن كان كثيرًا فبلفظِ: بمعناهُ؛ كما هو عَمَلُ أَهلِ الشَّأْنِ[٣].

١٤- يُذكرُ في الحاشيةِ الآيةُ أَو الآياتُ التي بدأَ المؤلِّفُ رحمه الله بتفسيرِ مفرداتِها مِن غيرِ ذِكرٍ لها، أَو قالَ فيها: إِلى آخرِها، أَو أَشارَ إِلى معناها، أَو استَنبطَ مِنها مِن غيرِ تصريحٍ بِها؛ تسهيلًا للقارئِ؛ وربطًا للمعنى، والاستنباطِ بدليلِهِ.

١٥- البَدءُ بتفسيرِ الآيةِ، أَو الآياتِ مِن أَوَّلِ السَّطرِ ما أَمكنَ ذلكِ.

١٦- التَّعريفُ بالأَعلامِ في أَوَّلِ مَوضعٍ يَرِدُ فِيهِ ذكرُ أَحدِهِم، غيرِ الأَئمَّةِ الأَعلامِ الذين شُهرتُهم تُغْني عن التَّعريفِ بِهم، وذلكَ بذكرِ اسمِهِ، ونسبِهِ، وشيءٍ من أَعمالِه، وميزاتِه،

---

(١) ينظر: (ص:٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦).

(٢) تمَّ الجمع بين تصحيح الخطإ في هذه الأُمور مع التَّنبيه عليه في الحاشية؛ نظرًا لاختلاف وجهة نظر أَهل التَّحقيق في ذلك. ينظر: تحقيق النُّصوص ونشرها، لعبدالسَّلام هارون، (ص:٤٧-٥٢)، ومقدِّمة في أُصول البحث العلمي وتحقيق التُّراث، للطَّويل، (ص:٢٠٩-٢١٠).

(٣) ينظر: الموقظة في علم مصطلح الحديث، للذَّهبي، (ص:٦٤)، وشرح التَّبصرة والتَّذكرة، للعِراقي، (٥٠٨/١)، والنّكت الوفيَّة بما في شرح الأَلفيَّة، للبِقاعِي، (٢٦١/٢-٢٧٠)، وشرح أَلفيَّة العِراقي، لابن العَيْني، (ص:٢٤٩).

ومؤلَّفاتِه، وسَنةِ وفاتِه، ما أَمكنَ ذلكَ.

١٧- التَّعريفُ بالأَماكنِ، والبُلدانِ.

١٨- بَيانُ غَريبِ الأَلفاظِ.

١٩- التَّعليقُ على ما يحتاجُ إِلى تعليقٍ، أَو الاكتفاءُ بذكرِ نصوصِ العلماءِ حسَبَ الأَنْسبِ للمَقامِ.

٢٠- الإِحالةُ إِلى المراجعِ التي استفادَ مِنها المؤلِّفُ رحمه الله، ما أَمكنَ ذلكَ.

٢١- ترتيبُ المراجعِ في الحاشيةِ على حَسَبَ قِدَمِ وفاةِ مؤلِّفيها.

٢٢- ضَبطُ حُروفِ الكَلِماتِ بالشَّكلِ؛ خاصَّةً آخِرَها، وقدْ يُشْكِلُ نُطقُهُ، أَو يَلْتَبِسُ بغيرِهِ؛ تَسْهِيلًا لِلقارئِ؛ وضبطًا للمعنَى.

٢٣- وضعُ علاماتِ التَّرقيمِ، والاهتمامُ بها، حسَبَ ما هو مصطلحٌ عليهِ.

هذا وأَحمدُ اللهَ سبحانه وتعالى وأَشكرُهُ على نِعَمِهِ العَظيمةِ، ثُمَّ أَشكرُ والِديَّ الكريمَينِ -شفاهُما اللهُ، وأَمدَّ في عمُرِهما على طاعتهِ-، على تشجيعِهِما، وحثِّهما لي على مواصَلةِ الدِّراسةِ، واختيارِ هذا التَّخَصُّصِ.

ثُمَّ أَتقدَّمُ بالشُّكرِ إِلى فضيلةِ الشَّيخِ الدُّكتورِ: محمَّدِ بن ناصرٍ الحُميِّدِ، الذي أَشرفَ على هذهِ الرِّسالةِ، وأَكرَمني بحسنِ خُلقِهِ، ورَحابةِ صدرِهِ، وأَمدَّني بتوجيهاتِهِ القيِّمةِ المفيدةِ، وإِرشاداتِهِ السَّديدَةِ، وتابعني في هذهِ الرِّسالةِ مِن أَولِها حتَّى آخرِها، واستمعَ إِلى قراءتِها منِّي حرفًا حرفًا، فجزاهُ اللهُ خيرَ الجزاءِ، ووفَّقهُ وأَهلَهُ، وأَمدَّ في عمُرِهِ على طاعتِهِ.

كما أَتوجَّهُ بالشُّكرِ للجامعةِ الإِسلاميَّةِ، مُمثَّلةً بكليَّةِ القرآنِ الكريمِ، والدِّراسات الإِسلاميَّة وقسمِ التَّفسيرِ وعلومِ القرآنِ، على تعاونِهم، وتشيعِهِم، وفرحِهم بتحقيقِ هذا الكتابِ.

والشُّكرُ موصولٌ إِلى فضيلةِ الشَّيخَينِ المناقشَينِ لهذهِ الرِّسالةِ: الأُستاذِ الدُّكتورِ: عبدالعزيزِ بن صالحِ العبيدِ، والأُستاذِ المشارِكِ الدُّكتورِ: حاتمِ بنِ عابدٍ القُرشي.

على ما أَمضياهُ مِن جُهدٍ، ووقتٍ في قراءةِ هذهِ الرِّسالةِ، وإِبداءٍ للملاحظاتِ، والتَّوجيهاتِ المفيدةِ -إِنْ شاءَ اللهُ-؛ في سبيلِ تقويمِها، وتسديدِها.

كما أَشكرُ كلَّ مَن ساعدَني، وسعى معيَ لاستكمالِ هذا العملِ؛ مِن زوجةٍ، وأَولادٍ وإِخوانٍ، وأَصدقاءٍ، سائلًا المولى ﷻ أَنْ يجزيَ الجميعَ خيرَ الجزاءِ، وأَوفرَهُ.

وأَخيرًا فما بذلتُهُ مِن جهدٍ في هذهِ الرِّسالةِ؛ مِن قراءةٍ متعدِّدةٍ للمخطوطِ والمطبوعِ، ومقابلةٍ وتحقيقٍ وتدقيقٍ، هو عملٌ بشَريٌ ناقصٌ، ومِن المعلوم أَنَّ اختلافَ وِجهاتِ النَّظرِ أَمرٌ واقعٌ، غيرُ مُستغربٍ، مُؤمِّلًا أَنْ يكونَ هذا التَّحقيقُ خيرَ معينٍ لي على فَهمِ كتابِ اللهِ ﷻ، وتدبُّرِه بهِ، وأَسأَلُ اللهَ العفوَ والمغفِرةَ عمَّا وقعَ مِن تقصيرٍ، أَو زللٍ، كما أَسأَلُهُ ﷻ أَنْ يجزيَ مؤلِّفهُ أَحسنَ الجزاءِ، وأَنْ ينفعَ بهِ مَن حقَّقهُ وقرأَهُ، واستمعَ إِليهِ، وأَنْ يجعلَ العملَ خالصًا لوجهِهِ، صَوابًا على هديهِ وشَرعِهِ، نافعًا لعبادِهِ، إِنَّهُ سميعٌ مجيبٌ، ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾(١).

وصلى اللهُ وسلَّمَ على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ، ومَن تبِعهم بإِحسانٍ.

والحمدُ للهِ ربِّ العالَمينَ.

---

(١) هود: ٨٨

الفصلُ الأَوَّلُ

التَّعريفُ بالمؤلِّفِ، وفيهِ سبعةُ مباحثَ[١]:

المبحثُ الأَوَّلُ: اسمُهُ، ونَسَبُهُ، وكُنيتُهُ.

هو العالِمُ السَّلفيُّ، الأُصوليُّ الفَقيهُ، المحقِّقُ الزَّاهدُ الوَرِعُ: عبدُالرَّحمنِ بنُ ناصرِ بنِ ناصرِ بنِ عبدِاللهِ بنِ ناصرِ بنِ حَمَدِ بنِ محمَّدِ بنِ حَمَدٍ آلُ سعديّ، مِن نواصرِ بني تميمٍ[٢].

قال البسَّامُ رحمه الله[٣]: "وأُسرةُ آلِ سعديٍّ ينتهون في نسبِهم إلى آلِ مُفيدٍ، وآلُ مُفيدٍ فَخِذٌ كبيرٌ، يرجعُ أَصلُهُم إلى بطنِ آلِ حمَّادٍ؛ الذين هُم مِن بَني العَنْبرِ، مِن بَني عَمروٍ؛ أَحدِ قبائلِ بَني تَميمِ الشَّهيرةِ"[٤].

ويُكنى السّعديُّ رحمه الله بأَبي عبدِاللهِ[٥]، وهو أَكبرُ أَولادِهِ[٦].

---

(١) من أَجمع ما كُتب في ترجمة العلَّامة السّعدي رحمه الله: علماء نجد، للبسَّام، (٣/٢١٨-٢٧٢)، وصفحات من حياة علَّامة القصيم؛ الشَّيخ عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، للطَّيار.

(٢) ينظر: جَمْهَرة الأُسر المتحضِّرة في نجد، للجاسر، (١/٣٤١)، وعلماء نجد، (٣/٢١٨)، ومقدِّمة البسَّام لتحقيق "التَّعليق وكشف النِّقاب"، للسّعديّ، (ص:٨)، وروضة النَّاظرين عن مآثر نجد وحوادث السِّنين، للقاضي، (١/٢٩١).

(٣) الشَّيخ: عبدالله بن عبدالرَّحمن بن صالح البسَّام، من أَبرز تلاميذ المؤلِّف، وعُضو هيئة كبار العلماء بالمملكة، وَلِي القضاء، ومناصب وعضويَّات عِدَّة، ودرَّس في المسجد الحرام، ومجالسه مليئة بالفوائد، وله مؤلَّفات منها: "توضيح الأَحكام من بلوغ المرام"، (ت:١٤٢٣هـ). ينظر: علماء نجد، (١/٨١-١١٢)، وأَئمَّة الحرمين، للغامدي، (ص:٣٤-٤٠).

(٤) علماء نجد، (٣/٢١٨)، وينظر: وروضة النَّاظرين، (١/٢٩١).

(٥) الشَّيخ: عبدالله بن عبدالرَّحمن السّعدي، طلب العلم على أَبيه، وغيره، ثُمَّ توجه للتِّجارة، وله أَعمال خيريَّة، وطبع بعض كتب والده، وكان بارًّا بوالديه، وكسب ثناءهما ورضاهما، (ت:١٤٠٥هـ). ينظر: علماء نجد، (٣/٢٤٠-٢٥١)، وروضة النَّاظرين، (٣/٢٣٧-٢٣٨).

(٦) ينظر: علماء نجد، (٣/٢٥١).

المبحثُ الثَّاني: مولدُهُ، ونَشأَتُهُ، وأَخلاقُهُ، ووفاتُهُ، وفيهِ أَربعةُ مطالبَ:

المطلبُ الأَوَّلُ: مولدُهُ.

وُلد السّعديُّ رحمه الله في محافظةِ عُنَيزَةَ[١]، في الثَّاني عشرَ مِن شهرِ اللهِ المحرَّم، سنَةَ سبعٍ وثلاثمائةٍ وأَلفٍ مِن الهجرةِ النَّبويَّةِ[٢]، على صاحبِها أفضلُ الصَّلاةِ والتَّسليمِ.

المطلبُ الثَّاني: نَشأَتُهُ:

مِن حِكمةِ اللهِ تبارك وتعالى أَنَّ السّعديَّ رحمه الله نشأَ يتيمَ الأَبوينِ؛ حيثُ تُوفِّيتْ أُمُّهُ[٣]، ولَهُ أَربعُ سنواتٍ، ثُمَّ تُوفِّي والدُهُ[٤]، ولهُ سبعُ سِنينَ[٥].

وكان والدَهُ قد حَرِصَ على تَعليمِهِ في وقتٍ مُبكِّرٍ إِلَّا أَنَّهُ لم يَكن مُنْقَادًا إِلى ذلكَ أَوَّلَ أَمرِهِ[٦]، ثُمَّ أَوصَى بهِ إِلى زَوجتِهِ[٧]، وإِلى أَخيهِ: "حَمَدِ بن ناصرٍ"[٨]، فحَرَصا على رِعايتِهِ وتربيتِهِ، وقَاما بذلكَ خَيرَ قيامٍ.

---

(١) عُنَيْزَةُ: بالتَّصغير، محافظة تاريخيَّة عريقة في المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، وهي ثاني المحافظات بمنطقة القصيم، وكانت ممرًّا للقوافل التِّجاريَّة، وحجَّاج العراق، وأَطلق عليها البعض -أيضًا- اسم الفَيحاء؛ أي: الواسعة. ينظر: مُعْجَم البُلدان، للحمويِّ، (١٦٣/٤)، وعُنَيْزَة الإنسان، لخالد ويوسف القبلان، (ص:٨، ٢٧-٢٨).

(٢) ينظر: علماء نجد، (٢١٩/٣)، ومقدِّمة البسَّام لتحقيق "التَّعليق وكشف النِّقاب"، (ص:٨).

(٣) اسمها: فاطمة بنت عبدالله بن عبدالرَّحمن بن عثمان، الملقَّب: (عُثَيمِيْن)، توفِّيت وهي في طريقها إلى عُنَيْزَة، قادمة من الحجِّ، سَنة: (١٣١١هـ). ينظر: علماء نجد، (٢١٩/٣)، ومواقف اجتماعيَّة من حياة الشَّيخ العلَّامة: عبدالرَّحمن السّعدي، لمحمَّد ومساعد السّعدي، (ص:٢٠).

(٤) الشيخ: ناصر بن عبدالله بن ناصر آل سعدي، حافظ للقرآن، وإمام لمسجد: "الْمُسَوْكَف" في عُنَيْزَة، ويخطب الجمعة نيابة عن الإمام، وكان مفيدًا للمصلِّين بالوعظ، وقراءة الكتب، ومُحسنًا للنَّاس بالكتابة والتَّوثيق، والإصلاح، (ت:١٣١٣هـ). ينظر: تسهيل السَّابلة، للعُثَيْمِين، (١٧٢٢/٣)، وعلماء نجد، (٤٧٧/٦-٤٧٨).

(٥) ينظر: علماء نجد، (٢١٩/٣)، وروضة النَّاظرين، (٢٩١/١).

(٦) يمتنع من الذَّهاب، ويبكي إذا قال لَهُ أَبوه: سوف أَذهب بك إِلى الدِّراسة. ينظر: مواقف اجتماعيَّة، (ص:٢٢).

(٧) هي: رُقَيَّة العُرَيْنَان، من أَشراف قريش، وهي أُمُّ حَمَد بن ناصر السّعدي. ينظر: مقدِّمة البسَّام لتحقيق: "التَّعليق وكشف النِّقاب"، (ص:٨)، ومواقف اجتماعيَّة، (ص:٢٠).

(٨) حَمَد بن ناصر بن عبدالله آل سعدي، هو الأَخ الأَكبر للمؤلِّف من أَبيه، حافظ لكتاب الله، وصاحبُ عبادةٍ، وملازمةٍ للمسجد، (ت:١٣٨٨هـ). ينظر: علماء نجد، (٢٢٠/٣، ٤٧٨/٦)، وروضة النَّاظرين، (٤٢٨/٢).

وقد وَفَّقَ اللهُ تلكَ المرأَةِ الصَّالحةِ لتربيتِهِ، والعطفِ عليهِ، وتعويضِهِ ما فَقدَ مِن الحَنانِ والحُبِّ، والشَّفقةِ، فنشأَ في كَنَفِها، وفي بيتِها نشأَةَ راحةٍ واطمئنانٍ، وصَلاحٍ(١).

ولَمَّا شَبَّ انتقلَ إلى بيتِ أَخيهِ: "حَمَدٍ"، الذي اكتَشفَ ذكاءَهُ وفِطْنَتَهُ في وَقتٍ مُبَكِّرٍ، فوجَّهَهُ إلى طلبِ العِلْمِ، في حَلقاتِ العُلماءِ(٢).

إنَّ مِن تَوفيقِ اللهِ ﷻ للسّعديِّ رحمه الله أَنْ تَلَقَّى تَربيةً حَسنةً منذُ صغرِهِ، وأَنْ نشأَ في أَحضانِ تلكَ الأُسرَةِ الصَّالحةِ، التي حرَصتْ على تعليمِهِ وتوجيهِهِ إلى حلقاتِ العِلْمِ في وقتٍ مبكِّرٍ مِن عُمُرِهِ؛ مِمَّا حبَّبَ إليهِ العِلْمَ والعلماءَ، وأَورثَ لديهِ الجِدِّيةَ والحِرصَ والرَّغبةَ الشَّديدةَ في العِلْمِ وتحصيلِهِ، والانضمامِ للبيئةِ العِلميَّةِ في حَلَقاتِ الذِّكرِ؛ فحفِظَ القرآنَ قبلَ أَنْ يبلغَ الثَّانيةَ عشرَةَ مِن عمُرِهِ(٣).

وإنَّ النَّاظرَ في سِيرةِ السّعديِّ رحمه الله يجدُ أَنَّهُ طلبَ العِلْمَ على علماءِ بلدِهِ، ومَن قَدِمَ إليها مِن العُلماءِ(٤)، وأَنَّهُ لم يزلْ مواصلًا مجتهدًا في تحصيلِهِ، ومُكِبًّا على الحفظِ والقِراءةِ والْمُدارَسةِ، حتَّى جمعَ مِنهُ خيرًا، ونالَ حظًّا وافرًا مِن كلِّ فنٍ مِن فنونِهِ، وأَنَّهُ أَدركَ في شَبابِهِ ما لا يدركُهُ غيرُهُ في عُمُرٍ طويلٍ، وأَنَّهُ قد حصلَ لَهُ تَميُّزٌ عِلميٌّ، وتَفوُّقٌ على أَقرانِهِ؛ مِمَّا مكَّنهُ مِن الجلوسِ للتَّدريسِ لَمَّا بلغَ مِن العُمُرِ ثلاثًا وعشرينَ سنَةً؛ فكانَ يَتعلَّمُ ويُعلِّمُ، فاستفادَ مِنهُ زملاؤُهُ، وتَتلمَذُوا عليهِ(٥).

ثُمَّ استمرَّ السّعديُّ رحمه الله في الإقبالِ على العِلْمِ والتَّوسُّعِ في القراءةِ، برغْبَةٍ وحُبٍّ، واجتهادٍ وصبرٍ، صارِفًا جُلَّ وقتِهِ للتَّعلُّمِ والتَّعليمِ، والإفادةِ والتَّوجيهِ والإرشادِ، فلا ينقطعُ عن دروسِهِ إلَّا لعارضٍ مِن مرضٍ أَو سفرٍ، أَو نحوِهما(٦).

---

(١) ينظر: علماء نجد، (٣/٢١٩).

(٢) استمرَّ في السَّكن عند أَخيه حتَّى بلغ سبعًا وثلاثين سَنة. ينظر: علماء نجد، (٣/٢٢٠)، ومواقف اجتماعيَّة، (ص:٣١).

(٣) عند المربِّي سليمان بن دَامِغ، في مدرسته. ينظر: علماء نجد، (٣/٢٢٠)، وروضة النَّاظرين، (١/٢٩١).

(٤) لم يخرج من عُنَيْزَة لطلب العلم. ينظر: علماء نجد، (٣/٢٢٠)، ومقدِّمة البسَّام لتحقيق "التَّعليق وكشف النِّقاب"، (ص:٩).

(٥) ينظر: علماء نجد، (٣/٢٢٠)، ومواقف اجتماعيَّة، (ص:٢٢).

(٦) ينظر: علماء نجد، (٣/٢٢٠).

ولقد كانَ رحمه الله عالِمًا عامِلًا؛ فالعبادةُ والذِّكرُ لهُما مُلازمًا، وقلبُهُ مُعلَّقٌ بالمسجدِ منذُ صِغَرِهِ؛ حتَّى إنَّهُ خرجَ مرَّةً لصلاةِ الجماعةِ أيَّامَ خوفٍ وفِتنةٍ فما ردَّهُ إلى بيتِهِ إلَّا أحدُ النَّاسِ بالقوَّةِ؛ خوفًا عليهِ(١).

ولقد كان دأبُهُ دأبَ الصَّالحينَ قبلَهُ في العبادةِ؛ فلِنوافلِ العِباداتِ وقتُها، معَ حرصٍ واتِّباعٍ؛ يذهبُ للصَّلاةِ مُبكِّرًا، ولا يَتركُ قيامَ اللَّيلِ في حضرٍ أو سفرٍ، ويتَّخذُ الوسائلَ التي تعينُهُ على ذلكَ(٢)، ويُحافظُ على صيامِ ثلاثةِ أيَّامٍ مِن كلِّ شهرٍ، وعلى الأيَّامِ التي وَردَ الفضلُ في صيامِها، وكان كثيرَ الحجِّ والعمرةِ، تاليًا، متدبِّرًا، مُدارِسًا للقرآنِ، مُكثِرًا مِن تلاوتِهِ، ومراجعةِ حفظِهِ، ويزدادُ ذلكَ في رمضانَ(٣)، ولا أدلَّ على ذلكَ مِن كتُبِهِ المتنوِّعةِ المتعلِّقةِ في علومِ القرآنِ(٤)؛ وما فِيها مِن القواعدِ والتَّفسيرِ، والاستنباطِ، والاستدلالِ، واللَّطائفِ العَجيبةِ.

إنَّ السّعديَّ رحمه الله كان في حياتِهِ يعيشُ حياةَ الزُّهدِ والورَعِ؛ في مَسكنِهِ، ومَلبسِهِ، ومأْكلِهِ، فلم تَدخلِ الدُّنيا قلبَهُ، ولم يسعَ لمناصبِها، وجمْعِ حُطامِها(٥)، بلْ إنَّهُ ردَّ الأموالَ المدفوعةَ إليهِ بشأْنِ التَّعليمِ والإشرافِ عليهِ؛ إخلاصًا في النِّيةِ، واحتسابًا للأجرِ عندَ اللهِ تبارك وتعالى(٦)، ولم يكنِ يأْخذُ شيئًا ممَّا بُذِلَ لإمامِ الجامعِ مِن جهةِ الأَوقافِ والوَصايا، بل كانتْ توزَّعُ في أَعمالِ البِرِّ بمشورتِهِ ورأْيِهِ(٧).

أمَّا رعايتُهُ للفقراءِ والمساكينِ فعجبٌ مِن العجبِ؛ فكم مِن بيتٍ كان يرعاهُ، وكم مِن مِسكينٍ فرَّجَ كُربتَهُ، ولم تنكشِفْ أَسرارُ إحسانِهِ، وأَعمالِهِ الخيريَّةِ إلَّا مِن خلالِ المعوزِينَ الَّذين

(١) ينظر: روضة النَّاظرين، (١/٢٩١)، ومواقف اجتماعيَّة، (ص:٢١).

(٢) كالسَّاعة المنبِّهة، وتسخين الماء وقت الشِّتاء، وشرب القهوة العربيَّة بين التَّسليمات؛ ليطرد النَّوم عنه. ينظر: مواقف اجتماعيَّة، (ص:٣٤، و٤٨).

(٣) ينظر: روضة النَّاظرين، (١/٢٩٦)، ومواقف اجتماعيَّة، (ص:٤٨).

(٤) سيأْتي ذكرها إنْ شاء الله: (ص:٦).

(٥) مُكْتَفيًا بما ورثه من والديه؛ فقد كان أَخوه: "حَمَد" ينْفق عليه منه في صغره، فلمَّا كبر كان يستلم نصيبه كلَّ سَنة، ولم تكن عليه ديون، ولم تقدَّم لَهُ مساعدة ماليَّه؛ لتوفُّر الكفاية عنده. ينظر: مواقف اجتماعيَّة، (ص:٣١-٣٢).

(٦) خُصِّص لَهُ أَلف ريالٍ شهريًّا؛ ليشرف على المعهد العلميِّ في عُنَيْزَة، فاعتذر عن المال، وقبل الإشراف. ينظر: علماء نجد، (٣/٢٤٥)، ومواقف اجتماعيَّة، (ص:٩٥).

(٧) ينظر: مواقف اجتماعيَّة، (ص:٣٢، ٩٤-٩٥).

فَقَدُوهُ بعد موتِهِ، وأَظهروا ما كان يُخفيهِ مِن حالِهِ معَهُم[١].

ولقد نفعَ اللهُ بهِ الخاصَّةَ والعامَّةَ، فهو المرجعُ لكثيرٍ مِن الأُمورِ في بلدِهِ، فهو الْمُعلِّمُ، والواعظُ، والمصْلحُ، وإمامُ الجامعِ وخَطيبُهُ، ومفتي البلدِ، وهو كاتبُ الوثائقِ، ومحرِّرُ الأَوقافِ والوصايا، وهو عاقدُ الأَنكحةِ، والمستشارُ في كثيرٍ مِن القَضايا[٢].

إِنَّ السّعديَّ رَحِمَهُ اللهُ لم يكن يَمَلُّ أَو يَكَلُّ أَو يتأَفَّفُ مِن كثرةِ السَّائِلينَ وتنوُّعِ حاجاتِهِم، فقد جاءَتهُ الأَسئلةُ العديدةُ مِن النَّواحِي البعيدةِ فأَجابَ عنها الأَجوبةَ السَّديدةَ؛ لِما وهبَهُ اللهُ مِن جوابٍ حاضرٍ، ونظرٍ بعيدٍ، واستدلالٍ قويٍّ[٣]، مع مُراعاةٍ لأَحوالِ المستفتِين، وحفظِ أَسرارِهِم، وسرعةِ الرَّدِ على أَسئلتِهِم، والإجابةِ عنها في جميعِ الأَوقاتِ، حتَّى إِنَّهُم يأْتونَ بيتَهُ ويَطرُقونَ بابَهُ فيسأَلونَهُ ويجيبُهُم، وتأْتِي النِّساءُ إِلى زوجتِهِ فتحمِلُ إِليهِ السُّؤالَ ثُمَّ تَرُدُّ إِليهنَّ الجوابَ[٤].

ولقد حَرَصَ رَحِمَهُ اللهُ على جَمْعِ الكَلمةِ، والبعدِ عن شقِّ صفِّ المسلِمينَ؛ فمعَ سعةِ علمِهِ، وكونِهِ مُفتِيًا مَشهورًا، ومعَ كونه يَرَى الطَّلاقَ الثَّلاثَ في مجلسٍ واحدٍ طلقةً واحدةً، إلا أَنَّه لم يكنْ يُفْتِي بهِ؛ مُراعاةً للفَتوى الرَّسميَّةِ[٥]، وحكمِ قاضِ البلدِ.

ثُمَّ إِنَّهُ وُفِّقَ بكلماتِهِ الهادفةِ، وأُسلوبِهِ الحكيمِ؛ فصار لوعظِهِ وإرشادِهِ أَثَرٌ في القلوبِ، فزالتْ على يديهِ كثيرٌ مِن المخالَفاتِ والمنكراتِ، وأَحبَّهُ النَّاسُ، ووثِقوا بهِ، واستودَعُوهُ أَسرارَهُم، واستشارُوهُ في خُصوصيَّاتِهِم، وأَمِنَهُ التُّجَّارُ على صَدَقاتِهِم وزَكواتِهِم، واطمأَنُّوا إِلى تصرُّفِهِ؛ فبعثَ لَهُ عددٌ مِنهم الأَموالَ؛ لتوزيعِها على المحتاجِينَ، فقامَ بذلكَ خيرَ قيامٍ؛ وكان دقيقًا في ضبطِها وكتابتِها، وحسنِ تَوزيعِها، ومُراعاةِ أَحوالِ الْمُحتاجِينَ إِليها، ومِقدارِ حاجَاتِهِم، معَ حِرصٍ على السِّرِّ، وعدمِ جَرحِ الْمَشَاعِرِ، ومعَ إِشعارٍ مُلخَّصٍ لأَصحابِ الأَموالِ في صَرفِها وتَوزيعِها[٦].

---

(١) ينظر: مواقف اجتماعيَّة، (ص:٦٨، ١٤١).

(٢) ينظر: علماء نجد، (٣/٢٢٣)، ومقدِّمة البسَّام لتحقيق: "التَّعليق وكشف النِّقاب"، (ص:١٢).

(٣) ينظر: مواقف اجتماعيَّة، (ص:٥٩-٦٢)، و(ص:٦، ٦، ٦) من هذا التَّحقيق.

(٤) ينظر: مواقف اجتماعيَّة، (ص:٦٠-٦١، ٦٩-٧٠).

(٥) ينظر: المختارات الجليَّة، (ص:١٠٤)، ومواقف اجتماعيَّة، (ص:٦٠).

(٦) ينظر: علماء نجد، (٣/٢٤٦)، ومواقف اجتماعيَّة، (ص:٥١-٥٢، ١٩٥).

هذا وقد أَحبَّ التَّأْليفَ، واهتمَّ بهِ منذُ شبابِهِ[١]، فأَقبلَ عليهِ بعدَ أَنْ نضِجَ علمُهُ، ورسَخَتْ فيهِ قدمُهُ، فتميَّزَ بالتَّحريرِ البديعِ، والأُسلوبِ العالي، والسَّدادِ في البحثِ، وسرعةِ الكتابةِ؛ فتنوَّعتْ مُؤَلَّفاتُهُ، وموضوعاتُها، وكثُرتْ فوائدُها، معَ إِيجازِها واختصارِها؛ ففسَّرَ القرآنَ، وبيَّنَ أُصولَ تفسيرِهِ، وشرحَ جوامعَ الحديثِ النَّبويِّ، ووضَّحَ أَنواعَ التَّوحيدِ وأَقسامَهُ، وردَّ على المخالِفينَ والمنتكِسِينَ، وسهَّلَ وهذَّبَ مسائلَ الفِقهِ، وجمعَ أَشتاتَها، وبيَّنَ محاسِنَ الإِسلامِ في كُتبٍ، ورسائلَ، وخُطبٍ طُبِعَتْ ووُزِّعتْ، فَنفعَ اللهُ بِها[٢].

لقد كانَ رَحِمَهُ اللَّهُ على صِلةٍ بالمجتمعِ، واطِّلاعٍ على أَحوالِ العالَمِ العربيِّ والإِسلاميِّ[٣]، وإِدراكٍ للمؤامَراتِ التي تُحاكُ ضدَّ الإِسلامِ والمسلِمينَ[٤]، ويستمعُ لِما يدورُ في العالَمِ مِن أَحداثٍ، وحروبٍ[٥]، كمَا كانَ على معرفةٍ بكثيرٍ مِن مُستجَدَّاتِ ونَوازِلِ العَصرِ[٦]، وعلى ما يُكتبُ في الصُّحفِ والمجلَّاتِ مِن مقالاتٍ، وما يخرجُ مِن الكُتبِ[٧]؛ يَسمعُ، ويَقرأُ، ويجيبُ، ويُراسلُ[٨]،

---

(١) بدأَ التَّأْليف لَمَّا كان عمره أَربعًا وعشرين سَنة، ينظر: مواقف اجتماعيَّة، (ص:١٢٦، ١٢٩)، وحاشية، (ص:٦).

(٢) ينظر: علماء نجد، (٣/٢٢١-٢٢٣)، ومؤلَّفاته: (ص:٦-٦).

(٣) لَهُ صلة بـ"مجلَّة الْمَنَار" التي أَصدرها: محمَّد رَشِيد رِضَا، و"مجلَّة الفتح" التي أَصدرها: محبُّ الدِّين الخطيب، وهما نافِذتان يطَّلع منهما على أَحوال العالم الإِسلاميِّ. ينظر: الشَّيخ: عبدالرَّحمن السّعدي كما عرفته، (ص:١٣).

(٤) ومن ذلك لَمَّا حصل العدوان الثُّلاثي على مصر سَنة خمس وسبعين وثلاثمائة وأَلف هجريَّة من فرنسا وانجلترا واليهود، خطب الجمعة عن هذا الموضوع، ودعا الله أَنْ ينصر المسلمين، وأن يردَّ كيد الكافرين، ثُمَّ خطب الجمعة التَّالية مهنِّئًا ومبشِّرًا، ومذكِّرًا بقول الله ﷻ: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب:٢٥]. ينظر: علماء نجد، (٣/٢٤٦).

(٥) كان يطَّلع على أَخبار الحرب العالمية الثَّانية من المذياع. ينظر: مواقف اجتماعيَّة، (ص:١٢٠).

(٦) كرأْيه في إِمكانيَّة الصُّعود للقمر بواسطة الآلات، مستدلًا بقوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرحمن:٣٣].
وكاستعماله لمكبر الصَّوت في المسجد، وله خطبة في فوائده، كما أَزال الإِشكال حول البرقيَّة، وبين فوائدها، بينما كان بعض طلبة العلم منكرًا أَو متوقِّفًا في حكمهما. ينظر: الفواكه الشَّهيَّة في الخطب المنبريَّة، (ص:٢٧٣)، وحاشية: "رسالتان في فتنة الدَّجال، ويَأْجُوْج ومَأْجُوْج"، للسَّعدي، (٧٠-٧٢)، وعلماء نجد، (٣/٢٤٦)، ومواقف اجتماعيَّة، (ص:٧٠-٧١، ٧٨-٧٩، ١٠٠-١٠١).

(٧) مثل كتاب: "هذي هي الأَغلال"، للقَصِيميِّ، و"الجواهر في تفسير القرآن الكريم"، لطَنْطَاوِي جَوْهَرِي.

(٨) أَجاب وراسل عددًا من الطَّلبة، والقضاة والمشايخ، والأَقارب والأَباعد، في الدَّاخل والخارج، وخرج بعضها في عدد من الكتب منها: "الأَجوبة السّعديَّة عن المسائل القَصيميَّة"، و"الأَجوبة السّعديَّة عن المسائل الكويتيَّة" و"الأَجوبة النَّافعة في المسائل الواقعة". ينظر: حاشية هذا التَّحقيق: (ص:٦، ٦، ٦).

ويُشارِكُ[١]، ويُناصِحُ ويُنكرُ، ويُبدي رأْيَهُ بِجُرأَةٍ، وبُغيةٍ لِلحقِّ[٢].

إنَّ الحديثَ عن نشأَةِ العلَّامةِ السّعديِّ رحمه الله يطولُ ويتشعَّبُ، ولكنَّ النَّاسَ شهودٌ بطيبِ نشأَتِهِ، ويدركُ الخاصَّةُ والعامَّةُ مِن سيرةِ هذا العَلَمِ ما يُذكِّرُ بالرَّعيلِ الأَوَّلِ مِن سَلفِ هذهِ الأُمَّةِ، وأَنَّهُ كان مُسدَّدًا مُعانًا على الخيرِ، والنُّصحِ والتَّعليمِ والتَّأْليفِ منذُ وقتٍ مبكِّرٍ مِن عُمُرِهِ، وأَنَّهُ قد بُورِكَ لَهُ في وقتِهِ وحياتِهِ؛ فللعبادَةِ حظُّها، وللتَّعليمِ أَوقاتُهُ المستمرَّةُ، وللتَّأْليفِ نَصِيبٌ وافرٌ مِن عمُرِهِ، وللعامَّةِ والخاصَّةِ حقٌّ في الوعظِ والإِرشادِ، والنَّفعِ والاجتماعِ، والمذاكَرةِ، وهو معَ ذلكَ مؤَدٍّ لحُقوقِ زوجتِهِ وأَولادِهِ، قريبٌ مِنهُم، مفيدٌ لهم؛ تربيةً وتعليمًا، ومَنهَجًا وسُلوكًا، وكانتْ تلكَ حالُهُ حتَّى توفَّاهُ اللهُ سبحانه وتعالى[٣].

---

(١) لَهُ عدَّة مقالات متسلسلة في: "مجلَّة المنهل"، في العدد الثَّالث، وله مشاركات في: "مجلَّة اليمامة"، في العدد الخامس والسَّادس والسَّابع والحادي عشر. ينظر: مواقف اجتماعيَّة، (ص:١٩٠).

(٢) كالوعظ عن المنكرات العامَّة؛ من الغشِّ، والتَّدخين، والوصايا الجائرة، وكسعيه في إزالة المنكرات في بلده، والتَّواصل مع أَصحابها، أَو مع من بيدهم القرار، وكإنكاره على الذين يدرِّسون أَولادهم في المدارس الأَجنبيَّة؛ مبيِّنًا خطرها، وأَهدافها، وما تطرحه من أَفكار، ومعتقدات فاسدة، وكما في مراسلته للشَّيخ: محمَّد رَشِيد رِضَا، حول كتاب: "الجواهر في تفسير القرآن الكريم"، وما فيه من مخالفات. ينظر: مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة: عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٣٠٢/٢٣-٣٠٣)، ومواقف اجتماعيَّة، (ص:٥٢، ٥٩، ١٩٠)، وحاشية هذا التَّحقيق: (ص:٦).

(٣) ينظر: علماء نجد، (٢٤٦/٣).

المطلبُ الثَّالثُ: أخلاقُهُ:

عُرِفَ السّعديُّ رحمه الله بأخلاقِهِ العاليةِ، واشتهرَ بإحسانِهِ، ولَطافتِهِ، وتواضعِهِ، وحِكمتِهِ، قال الشَّيخ: عبدُاللهِ البسَّامِ رحمه الله[١]: "لَهُ أَخلاقٌ أَرَقُّ مِن النَّسيمِ، وأَعذبُ مِن السَّلسَبيلِ؛ لا يُعاتِبُ على الْهَفْوةِ[٢]، ولا يؤاخِذُ بالجَفوةِ، يَتودَّدُ ويَتحبَّبُ إلى البعيدِ والقريبِ، يقابلُ البَشَاشَةَ، ويحيِّي بالطَّلاقةِ، ويعاشِرُ بالحُسنَى، ويجالِسُ بالمنادَمةِ[٣]، ويجاذِب أَطرَافَ أَحاديثِ الأُنسِ والوُدِّ، ويَعطِفُ على الفَقيرِ والصَّغيرِ، ويبذُلُ طاقاتَهُ ووسْعَهُ بالخَيرِ، ويساعِدُ بمالِهِ وجاهِهِ، ويَنشرُ عِلمَهُ ونُصحَهُ، ويُدلِي برأْيِهِ ومَشورتِهِ، بلسانٍ صادقٍ، وقلبٍ خالصٍ، وسِرٍّ مكتومٍ، ومهما أَردتُّ أَنْ أَعدَّ فضائلَهُ ومحاسِنَهُ التي يتحلَّى بِها فإِنِّي مُقصِّرٌ، وقلمي عاجزٌ، ولا يدرِكُ هذا إِلَّا مَن عاشَرَهُ وجالَسَهُ"[٤].

وقال الشَّيخُ: محمَّدُ البسَّامِ[٥] رحمه الله: "وبالجملةِ فأَخلاقُهُ مِن أَعلا الأَخلاقِ، وصفاتُهُ مِن أَكرَمِ الصِّفاتِ، ولم يلتفِتْ إلى الدُّنيا مِن صِغَرِهِ إلى أَنْ توفَّاهُ اللهُ، وإذا جلسَ في مجلسٍ فيهِ جملةٌ مِن الحضورِ يُعطِي كلًّا على مَشْرِبِهِ، كأَنَّهُ دارِسٌ لأَحوالِ النَّاسِ، ولا يَحتقِرُ أَحدًا مهما كان، ولا يَخْلوا مجلسُهُ مِن فائدةٍ، ومَهْما حَاولنا الإِطنابَ في عُلوِّ أَخلاقِهِ، وكريمِ صفاتِهِ فالقلمُ عاجزٌ عن حصرِها، ويَكْفِيهِ مِن الثَّناء والأَجرِ ما زرعَ اللهُ لَهُ في القُلوبِ مِن المحبَّةِ والثَّناءِ، وما يسَّرَ اللهُ لمؤلَّفاتِهِ مِن الانتشارِ، وإقبالِ النَّاسِ عليها، والانتفاعِ بِها"[٦].

---

(١) سبقت ترجمته: (ص:٦).

(٢) يتَّضح ذلك في موقفه مع من أثاروا عليه العلماء، والسُّلطة في مسأَلة: "يَأْجُوْج ومَأْجُوْج"؛ حيث وصف فعلهم بالاجتهاد، وزارهم، وأَجاب دعوتهم، وخلَّصهم من أَذيَّة بعض النَّاس، ولومهم. ينظر: علماء نجد، (٣/٢٤٩)، ومقدِّمة البسَّام لتحقيق: "التَّعليق وكشف النِّقاب"، (ص:٢٢)، وحاشية هذا التَّحقيق: (ص:٦).

(٣) الْمُنَادَمَةُ: أَصلها: المجالَسة على الشَّراب، ثُمَّ استعملت في كلِّ مُسَامَرة. ينظر: مقاييس اللُّغة، لابن فارس، وتاج العَرُوس، للزَّبيدِي، مادَّة: (ندم).

(٤) ينظر: علماء نجد، (٣/٢٤٥).

(٥) سبقت ترجمته: (ص:٦).

(٦) مقدِّمة البسَّام لتحقيق "التَّعليق وكشف النِّقاب"، (ص:١٢-١٣).

وقال القاضي[١]: "وكانَ ﷺ ذا دُعابةٍ؛ يتحبَّبُ إلى الخَلقِ بحسنِ خُلقهِ، مَرِحًا للجليسِ، لا يُرى عليهِ الغَضبُ في وجههِ، طلْقُ الوجهِ، كريمُ الْمُحيَّا[٢]"[٣].

لقد كانَ ﷺ مُتبسِّطًا غيرَ مُتكلِّفٍ، مُخالِطًا للمجتمعِ؛ يزورُ المرضى، ويحضرُ المناسباتِ، ويجيبُ الدَّعواتِ الخاصَّةَ والعامَّةَ، ويَحرَصُ على إفادةِ الحاضرِينَ، وبثِّ الأُنسِ في المجلسِ[٤].

ومعَ أنَّ لَهُ عددًا مِن الزُّملاءِ[٥]، والأَصدقاءِ والخاصَّةِ[٦] فإنَّ مَن حدَّثهُ أَو جالسَهُ يَشعرُ أنَّهُ مِن أَحدِهم؛ فمَعارفُهُ وغيرُهُم يَشعرونَ بالقُربِ مِنهُ، والأُنسِ بهِ؛ ولا يحصلُ مِنهم تردُّدٌ في سؤالِهِ ودعوتِهِ، ومُشاورتِهِ، وإبداءِ الأَسرارِ لَهُ؛ فكان يَستمعُ إِليهِم، وينصحُ لَهم، ويَستفيدُ مِن آرائِهم واقتراحاتِهِم، بتواضعٍ واحترامٍ، ويأْخذُها مأْخذَ الجِدِّ، ويتقبَّلُها بصدرٍ رَحْبٍ[٧].

وكان يُحبُّ أَنْ يخدِمَ نفسَهُ، ويَكرَهُ أَنْ يُثقِلَ على أَحدٍ، ويتشرَّفُ بخدمةِ ضيفِهِ، ويُصلِحُ ما يحتاجُ إِلى إِصلاحٍ في البيتِ بنفسِهِ، ولهُ عنايةٌ ببهائِمِهِ؛ بالإِطعامِ، والدِّفءِ في البرْدِ، وغيرِهما[٨].

---

(١) الشيخ: محمَّد بن عثمان بن صالح القاضي، طلب العلم على أَبيه، ولازم السّعديَّ، ورحل إلى الأَزهر، ثُمَّ عاد إِلى عُنَيْزَة، وعيِّن إمامًا، وأَمينًا لـ"لمكتبة الصَّالحيَّة" التي أَنشأَها، وأَشهر مؤلَّفاته: "روضة النَّاظرين عن مآثر نجد وحوادث السِّنين"، وترجم لَهُ الشَّيخ: عبدالعزيز البسَّام، في: "روضة النَّاظرين"، (ص:٧-٨).

(٢) الْمُحَيَّا: الوجه. مُختار الصِّحاح، ولسان العرب، لابن منظور، مادَّة: (حيا).

(٣) روضة النَّاظرين، (١/٢٩٦).

(٤) ينظر: علماء نجد، (٣/٢٢٢)، ومواقف اجتماعيَّة، (ص:٤١).

(٥) منهم: أَخوه من الرَّضاعة الشَّيخ: عثمان بن صالح القاضي، (ت:١٣٦٦هـ)، زامله أَربعين سَنة، وبينهما مُدارسات، ومباحثات علميَّة ليليَّة. ينظر: علماء نجد، (٥/٧٦-٧٧)، وروضة النَّاظرين، (١/٢٩٢).

(٦) ومن خاصَّته من الأَصدقاء الشَّيخان: حمد بن سليمان البسَّام، (ت:١٤٢١هـ)، ومحمَّد بن سليمان البسَّام، (ت:١٤٣١هـ)، وهناك عدد من الرِّجال الأَخيار المعروفين بالثِّقة، والرَّأْي السَّديد، يُطلعهم على كثير مِمَّا أَهمَّه، منهم: عبدالعزيز بن محمَّد العوهلي، (ت:١٤١٧هـ)، وعقيل بن محمَّد العقيل، (ت:١٣٦٢هـ)، ومحمَّد بن منصور الزَّامل، (ت:١٤١٣هـ) رحمهم الله، ينظر: علماء نجد، (٦/٤٠٠-٤٠١)، ومواقف اجتماعيَّة، (ص:٢٤).

(٧) أَشار عليه د. عبدالرَّحمن العَدوي، بوضع مكبِّرٍ للصَّوت في مسجده؛ ليَسمع النَّاسُ النِّداء والخُطبة، مبيِّنًا فوائده، فانشرح صدره، وشكر نصحه، ووعده بتنفيذ مقترحه خلال أُسبوع، فتمَّ التَّنفيذ، وأَلقى خُطبة في ذلك. ينظر: الفواكه الشَّهيَّة في الخطب المنبريَّة، (ص:٢٧٣)، وحاشية هذا التَّحقيق: (ص:٦).

(٨) ينظر: مواقف اجتماعيَّة، (ص:٥٣-٥٤).

إنَّ أَخلاقَهُ الإسلاميَّةَ جعلتهُ يحرَصُ على تلمُّسِ حاجاتِ النَّاسِ الظَّاهِرَةِ والخفيَّةِ، والماليَّةِ والنَّفسيَّةِ؛ لذا وصَلتْ رعايتُهُ الكبيرَ والصَّغيرَ، وشمَلَ إحسانُهُ الغنيَّ والفَقيرَ، والذَّكرَ والأُنثى، فكان يسعى بالإصلاحِ، ويُفرِّجُ الكُروبَ، ويُدخلُ السُّرورَ على أَهلِ المجلسِ، بل سَمَتْ أَخلاقُهُ حتَّى صارَ يُكاتِبُ أَميرَ عُنيزةَ، ويوصلُ طلباتِ النَّاسِ وحوائجَهم إِليهِ، ويَشفعُ عندَهُ، وعندَ أَصحابِ الحُقوقِ، بنفسٍ طيِّبةٍ، ومِن دون أَيِّ تكلُّفٍ، أَو تردُّدٍ، أَو مُعاناةٍ[(١)].

ولقد حفِظتْ زوجتُهُ، وأَبناؤُهُ، وبناتُهُ[(٢)]، ومُحبُّوهُ جميلَ سيرتِهِ، وطِيبَ عِشرَتِهِ، وهدوءَ نَفسِهِ، في سفرِهِ وإقامتِهِ، ولهم معهُ قَصصٌ، ومواقفُ ظهَرَ فيها علوُّ أَخلاقِهِ، وسُموُّ شخصيَّتِهِ، وما يعامِلُهُم بهِ مِن سَماحةٍ عجيبةٍ، وتربيةٍ راقيةٍ، تَحمِلُ في طيَّاتِها شخصيَّةَ العالِمِ الرَّبانيِّ الذي اهتدى بنورِ الشَّرعِ، وتهذَّبَ بنورِ الوحيِ؛ مُشعرًا الجميعَ بالهدوءِ والطُّمأْنينةِ، والحُبِّ والرَّحمةِ، والعطفِ والشَّفقةِ؛ مِن خلالِ مُداعبتِهم، وإدخالِ السُّرورِ عليهم، ومُشاورتِهم، ومُشاركتِهم في اهتماماتِهم، حتَّى تأَثَّروا بهِ، وصارَ لهم قدوةً محترَمةً، ومرجعيَّةً معتَبَرةً، يفرحونَ بقُدومِهِ، ومجالَستِهِ، ويَتسابقونَ إلى صُحبتِهِ، وإِكرامِهِ، والقُربِ مِنهُ[(٣)].

---

(١) ينظر: مواقف اجتماعيَّة، (ص:٥٢، ٩٨-١٠٠، ١١٢).

(٢) زوجته: حصَّة بنت عبدالعزيز السّعدي، (ت:١٣٩١هـ)، وأَبناؤه ثلاثة: عبدالله، (ت:١٤٠٥هـ)، وأَحمد، (ت:١٤٢٢هـ)، ومحمَّد، وله بنتان: لولوة، (ت:١٤٢٠هـ)، ونورة، وله معها مواقف طريفة. ينظر: مواقف اجتماعيَّة، (ص:٢٣-٢٤).

(٣) ينظر: أَعلام وعلماء عايشتهم، لابن عتيق، (ص:٢٤)، ومواقف اجتماعيَّة، (ص:٩٦-٩٧، ١٠٢-١٠٣، ١٠٨-١٠٩، ١١٦-١١٧).

المطلبُ الرَّابعُ: وفاتُهُ.

أُصيبَ العلَّامةُ السّعديُّ رحمه الله في آخرِ خمسِ سنواتٍ مِن عمُرِهِ[١] بمرضِ ارتفاعِ ضغطِ الدَّمِ[٢]، وتَصَلُّبِ الشَّرَايِينِ[٣].

ثمَّ اشتدَّ عليهِ هذا الأَلمُ سَنةَ ثلاثٍ وسبعينَ وثلاثِمائةٍ وأَلفٍ مِن الهجرةِ النَّبويَّةِ، فكان يعرِضُ لَهُ سكوتٌ قصيرٌ؛ في الدَّرسِ أَو الخُطبةِ، وأَحيانًا في الصَّلاةِ، ثُمَّ يعودُ لحالتهِ الطَّبيعيَّةِ[٤].

وحينَ علِمَتِ الدَّولةُ السُّعوديَّةُ بمرضِهِ تَكفَّلتْ بعلاجِهِ؛ لذا تمَّ نقلُهُ بطائرةٍ خاصَّةٍ للعلاجِ في بَيْرُوْتَ[٥]، وحينَ وصولِه تمَّ استقبالُهُ، وإِكرامُهُ، وعملُ ما يلزمُ؛ لكشفِ مرضِهِ؛ وعلاجِهِ، حتَّى تحسَّنتْ صحَّتُهُ[٦].

ثُمَّ عادَ إِلى عُنيزةَ، مُستَمِرًّا في جميعِ أَعمالهِ التي كان يُزاولُها مِن قَبلُ -على الرَّغمِ من إِرشاداتِ الأَطباءِ لَهُ بالحرصِ على الرَّاحةِ، والبعدِ عن إِجهادِ النَّفسِ، وإِرهاقِها في التَّفكيرِ- مِمَّا كانَ لَهُ أَثرٌ في مُعاودةِ ذلكَ المرضِ، وتأَثُّرِهُ بهِ[٧].

ثُمَّ في ليلةِ الأَربعاءِ الموافقةِ للثَّاني والعشرينَ مِن شهرِ جمادى الآخرةِ، وبعد أَنْ أَلقى درسَهُ المعتادَ، وصلَّى بالنَّاسِ صلاةَ العِشاءِ، أَحسَّ بتعبٍ، وضعفٍ في الحركةِ، فطَلَبَ مِن أَحدِ تلاميذِهِ أَنْ يُساعدَهُ في الذَّهابِ إِلى بيتِهِ، فساعدَهُ، إِلَّا أَنَّهُ حينَ وصولِهِ أُغميَ عليهِ، ثُمَّ أَفاقَ، وطَمْأَنَ الحاضرينَ على

(١) سنة اثنين وسبعين وثلاثمائة وأَلف هجريَّة. ينظر: علماء نجد، (٣/٢٥٠).

(٢) ضَغْطُ الدَّم: "ما يُحدثه الدَّم من دفع على جدار الأَوعية الدَّمويَّة، وبخاصَّة الشَّرايين". مُعْجَم اللُّغة العربيَّة المعاصرة، لأَحمد مختار، مادَّة: (ض غ ط)، وينظر: الموسوعة العربيَّة العالميَّة، (١٥/٣١٨).

(٣) تَصَلُّب الشَّرَايِيْنِ: ترسُّبات بجدران الشَّرايين، تمنع انسيابَ الدَّم. ينظر: الموسوعة العربيَّة العالميَّة، (٦/٣٨٢)، ومُعْجَم اللُّغة العربيَّة المعاصرة، مادَّة: (صلب).

(٤) ينظر: مقدِّمة البسَّام لتحقيق: "التَّعليق وكشف النِّقاب"، (ص:٣٠).

(٥) بَيْرُوْتُ: مدينة تاريخيَّة مشهورة، وهي العاصمة السِّياسيَّة لدولة لبنان، وأَكبر مدنها، وتقع وسط الخطِّ السَّاحليِّ اللُّبنانيِّ، شرقي البحر الأَبيض المتوسِّط. ينظر: مُعْجَم البُلدان، (١/٥٢٥)، ومراصد الاطلاع على أَسماء الأَمكنة والبِقاع، لابن عبدالحقِّ، (١/٢٤٠)، وأَطلس المعارف، لجنة من المختصِّين، (ص:٧٠).

(٦) كانت مدَّة علاجه في المستشفى الجامعيِّ الأَمريكيِّ في لبنان أُسبوعًا واحدًا تقريبًا، ثُمَّ مكث في مدينة: "عالية" شهرًا تقريبًا، يستقبل الزُّوار، وخلال هذه المدَّة زار دِمَشْق، وقَبْر ابن تَيميَّة رحمه الله، وقرأَ كتاب: "دع القلق وابدأ الحياة"، لدايل كارنجي، وأَلَّف: "الوسائل المفيدة للحياة السَّعيدة". ينظر: مواقف اجتماعيَّة، (ص:١٢٥-١٣٠).

(٧) ينظر: روضة النَّاظرين، (١/٢٩٨).

صحَّتِهِ، وهوَّنَ عليهم أَمرَ الدُّنيا، ثُمَّ عادَ إِليهِ الإِغماءُ مرَّةً ثانيةً، فلم يتكلَّم بعْدُ[(١)].

وفي الصَّباحِ دُعِيَ لَهُ الطَّبيبُ، فقرَّر أَنَّ نزيفًا في الْمُخِّ قد حصلَ لَهُ، فأَصدرتِ الدَّولةُ السُّعوديَّةُ أَمرًا بإِسعافِهِ بالطَّائرةِ، إِلَّا أَنَّ حِكمَةَ اللهِ نافذةٌ؛ فقد كان السَّحابُ كثيفًا، والمطرُ غزيرًا، مِمَّا جعلَ هبوطَ الطَّائرةِ عَسيرًا، وبينما هُم على هذهِ الحالِ تَلقَّى الأَطباءُ نبأَ وفاتِهِ في الجوِّ، قُبيلَ فجرِ يومِ الخميسِ، الثَّالثِ والعشرينَ مِن شهرِ جمادى الآخرةِ، سَنةَ ستٍّ وسبعينَ وثلاثِمائةٍ وأَلفٍ، مِن الهجرةِ النَّبويَّةِ، عن عُمُرٍ بلغَ تسعًا وستينَ سَنةً، وخمسةَ أَشهرٍ، وتسعةَ أَيامٍ، قضاها في عبادَةِ اللهِ، ونفعِ عبادِهِ؛ بالعِلْمِ والتَّعليمِ، والتَّربيةِ والتَّوجيهِ والإِرشادِ، والدَّعوةِ والتَّأْليفِ، وخدمةِ الأُمَّةِ الإِسلاميَّةِ، والاهتمامِ بمشكلاتِها، والتَّعامُلِ الأَمثلِ مع كثيرٍ مِن قضاياها[(٢)].

وقد صُلِّيَ عليهِ بعدَ صلاةِ الظُّهرِ مِن ذلك اليومِ، في الجامعِ الكبيرِ في محافظةِ عُنيزةَ، ثُمَّ شيَّعتْهُ الجموعُ الغفيرةُ التي لم تشهدْ عُنيزةُ لها مثيلًا[(٣)]، ودُفن في مقبرةِ "الشَّهْوَانيَّةِ"[(٤)].

ومعَ الدُّعاءِ والتَّرحُّمِ على هذا الفقيدِ؛ فقيدِ الأُمَّةِ والعِلْمِ والأَخلاقِ والتَّربيةِ، ومعَ الإِيمانِ بالقضاءِ والقدَرِ إِلَّا أَنَّ العيونَ سالتْ بالدُّموعِ بكاءً عليهِ، وعمَّ الحزنُ قُلوبَ مُحِبِّيهِ مِن الرِّجالِ والنِّساءِ، والأَغنياءِ والفُقراءِ، وأَحسَّ الجميعُ بفقدِهِ، وعبَّروا عن شَيءٍ مِمَّا في مشاعرِهِم تُجاهَ مصابِهِم الجَللِ، وأَبَتْ قرائحُ كثيرٍ مِن الشُّعراءِ إِلَّا أَنْ ترثيَ هذا العالِمَ الرَّبانيَّ، وأَنْ تُعبِّرَ عن أَثرِ هذهِ المصيبةِ على النُّفوسِ، وما تُكِنُّهُ لَهُ مِن محبَّةٍ وتقديرٍ، وأَثرٍ مَلمُوسٍ لدى الخاصَّةِ والعامَّةِ[(٥)].

هذا وقد تركتْ وفاتُهُ فراغًا كبيرًا في نفوسِ المسلمينَ مِن أَهلِ بلَدِهِ، وغيرِهِم، واتَّضحَ للنَّاسِ أَثَرُ فَقدِ هذا العالِمِ الرَّبانيِّ، وكم هي الأَعمالُ التي كانَ يقومُ بِها، والأَعباءُ التي كانَ يتحمَّلُها،

---

(١) ينظر: علماء نجد، (٣/٢٥٠)، وروضة النَّاظرين، (١/٢٩٩).

(٢) ينظر: علماء نجد، (٣/٢٥٠)، ومقدِّمة البسَّام لتحقيق: "التَّعليق وكشف النِّقاب"، (ص:٣١)، وروضة النَّاظرين، (١/٢٩٩).

(٣) ينظر: علماء نجد، (٣/٢٥٠-٢٥١).

(٤) تقع في شمال محافظة عُنَيْزَة. ينظر: علماء نجد، (٣/٢٥٠).

(٥) وممَّن رثَاه: عبدالعزيز بن فهد البسَّام، وصالح بن عبدالله الشّبل، وعبدالرَّحمن بن عبدالعزيز الزَّامل، وعبدالله بن صالح العُثَيْمِين، وغيرهم. ينظر: مقدِّمة البسَّام لتحقيق: "التَّعليق وكشف النِّقاب"، (ص:٣٢)، وروضة النَّاظرين، (١/٣٠٠-٣٠٢).

وصَدَقاتُ السِّرِّ التي كانَ يتعاهدُ بِها فقراءَ بلدهِ[١].

فللَّهِ دَرُّهُ، ما أَعظمَ أَثَرهُ على النَّاسِ، وما أَحسنَ خبَرَهُ فِيهِم، رحِمَهُ اللهُ رحمةً واسعةً، وأَسكنَهُ الفِردوسَ الأَعلى مِن جنَّاتِهِ.

(١) ينظر: علماء نجد، (٣/٢٥١).

المبحثُ الثَّالثُ: شيوخُهُ، وتلاميذُهُ، وفيهِ مطلبانِ:

المطلبُ الأَوَّلُ: شيوخُهُ.

اتَّجهَ السّعديُّ رحمه الله إلى طلبِ العِلْمِ وتَحصيلِهِ بهمَّةٍ عاليةٍ، على شُيوخِ بلدِهِ، وغيرِهِم؛ مِمَّن وَفَدُوا إليهِ(١)، ومِن أَبرَزِهم(٢):

١- الشَّيخُ: إبراهيمُ بنُ حَمَدِ بنِ عبدِاللهِ بنِ جاسر(٣).

٢- الشَّيخُ: إبراهيمُ بنُ صالحِ بنِ إبراهيمَ بنِ عِيسى(٤).

٣- الشَّيخُ: صالحُ بنُ عثمانَ بنِ حَمَدٍ آلُ قاضي(٥).

٤- الشَّيخُ: صَعبُ بنُ عبدِاللهِ بنِ صَعبٍ التُّويجِري(٦).

٥- الشَّيخُ: عبدُاللهِ بنُ عايضٍ العُويضِي(٧).

---

(١) سبق بيان ذلك: (ص:٦).

(٢) ينظر: علماء نجد، (٣/٢٢٢-٢٢٣).

(٣) تلقَّى العلم في بُرَيْدَة ومكَّة، والعراق ومصر، وصالحيَّة دمشق، ولازم الحنابلة في نابلس، وبرع في التَّفسير، والحديث، والعربيَّة، واشتهر بالتَّواضع، والعطف على الفقراء، ووَلِي قضاء بُرَيْدَة وعُنَيْزَة، وله مواقف ضدَّ البدع، وابتلي وأُوذي، فصبر واحتسب، (ت:١٣٨٨هـ). ينظر: تسهيل السَّابلة، (٣/١٧٦٧-١٧٦٩)، وعلماء نجد، (١/٢٧٧-٢٩٣).

(٤) عالم، مؤرِّخ، رحل إلى علماء العراق والهند، وأَجاز المؤلِّف بمرويَّاتهم في كتب الحديث، وخدم تاريخ نجد بمؤلَّفات عديدة منها: "عِقد الدُّرر"، (ت:١٣٤٣هـ). ينظر: علماء نجد، (١/٣١٨-٣٣١)، وروضة النَّاظرين، (١/٥٦-٥٩).

(٥) كان مولَعًا بالشِّعر الشَّعبي، والتَّاريخ، والأَنساب، وعلم الفلك، ثُمَّ اتَّجه إلى العلم الشَّرعي؛ فرحل إلى مكَّة ومصر، ثُمَّ رجع إلى عُنَيْزَة، وتولَّى القضاء، والتَّدريس، وكان ذا فِراسة، وهو أَكثر الشُّيوخ الذين لازمهم المؤلِّف، (ت:١٣٥١هـ). ينظر: علماء نجد، (٣/٥١٧-٥٢٠)، وروضة النَّاظرين، (١/٢٠٥-٢٢٠).

(٦) طلب العلم في بُرَيْدَة، ثُمَّ الرِّياض، وأَقام في عُنَيْزَة ثلاث سنوات، ثُمَّ عاد إلى بُرَيْدَة، وامتنع من ولاية القضاء فيها، وعُرِف بأَخلاق وسماحة، حتَّى لقِّب: "سهلًا"، وكان من العُبَّاد، المكثرين لقراءة القرآن، حتَّى قِيل: إِنَّه ربَّما قرأَ شيئًا من القرآن وهو نائم، (ت:١٣٣٩هـ). ينظر: علماء نجد، (٢/٥٦٣-٥٦٤)، وروضة النَّاظرين، (١/٢٠٢-٢٠٤).

(٧) أَخذ العلم في عُنَيْزَة، ثُمَّ عن علماء مكَّة ومصر، وبعض علماء نجد، ووَلِي قضاء عُنَيْزَة، واشتهر بخطِّه الجميل، وكثرة نسخه للكتب، وحسن صوته، وتجويده للقرآن، وهو من أَوَّل شيوخ المؤلِّف رحمه الله، (ت:١٣٢٢هـ). ينظر: علماء نجد، (٤/١٨٤-١٩١)، وروضة النَّاظرين، (١/٤٤٢-٤٤٨).

٦- الشَّيخُ: عليٌّ بنُ محمَّدِ بنِ إبراهيمَ السّناني[١].

٧- الشَّيخُ: عليٌّ بنُ ناصرِ بنِ محمَّدِ بنِ وَادِي[٢].

٨- الشَّيخُ: محمَّدُ الأَمينُ بنُ محمودٍ الشّنْقِيطِيّ[٣].

٩- الشَّيخُ: محمَّدُ بنُ عبدِالعزيزِ بنِ محمَّدِ بن مانع[٤].

١٠- الشَّيخُ: محمَّدُ بنُ عبدِالكريمِ بنِ إبراهيمَ الشِّبل[٥].

قال البسَّامُ رحمه الله[٦]: "قرأَ على كلِّ واحدٍ مِن هؤلاءِ العلماءِ بفنِّهِ الذي يجيدُهُ، واختصاصاتُهُم معروفةٌ؛ فابنُ شِبْلٍ، وابنُ عايضٍ، والتّويجريُّ، وصالحٌ آلُ عثمانَ بالفِقهِ وأُصولِهِ، وابنُ وادي، وابنُ جاسرٍ بالتَّفسيرِ، والحديثِ وأُصولهما، والسّنانيُّ بالتَّوحيدِ، والشّنْقِيطِيُّ، وابنُ مانعٍ بالعلومِ العربيَّةِ"[٧].

---

(١) نشأَ في أُسرة علميَّة، وأَخذ عن علماء عُنَيْزَة، والواردين إليها، وبرع في التَّفسير والحديث، وتأْويل الرُّؤيا، واهتمَّ بالتَّعليم، وكتب ابن تَيميَّة وابن القَيِّم رحمهما الله، واعتزل المناصب، (ت:١٣٣٩هـ). ينظر: تسهيل السَّابلة، (١٧٧٨/٣)، وعلماء نجد، (٢٤٨/٥-٢٥١)، وروضة النَّاظرين، (١٤٩/٢-١٥٤).

(٢) ويقال: أَبو وادي، قرأَ في عُنَيْزَة وبُرَيْدَة، والرِّياض ومكَّة، ورحل إلى الهند، وأَخذ علم الحديث من علمائها، وأَجاز المؤلِّف بمرويَّاتهم، وكان صاحب عبادة، وأَخلاق، وصدْع بالحقِّ، (ت:١٣٦١هـ). ينظر: تسهيل السَّابلة، (١٨١٦/٣-١٨١٧)، وعلماء نجد، (٣٠٥/٥-٣٠٨)، وروضة النَّاظرين، (١٥٥/٢-١٥٨).

(٣) من موريتانيا، طوَّف البلاد الإسلاميَّة، وجاهد الانجليز في البصرة، وزار عُنَيْزَة، وأَقام فيها أَربع سنوات، وأَخذ عنه المؤلِّف علوم العربيَّة، وتأَثَّر بأُسلوبه، وطريقة تدريسه، (ت:١٣٥١هـ). ينظر: علماء نجد، (٢١٤/٤)، والشَّيخ عبدالرَّحمن السّعدي كما عرفته، (ص:١٢)، ومواقف اجتماعيَّة، (ص:١٦٦).

(٤) أَخذ عن علماء عُنَيْزَة وبُرَيْدَة، وبغداد والبصرة، ومصر ودمشق، متميِّز بالعربيَّة، ولِي قضاء قَطَر، وإدارة المعارف بالمملكة، ومِن مؤلَّفاته: "سُبل الهُدَى في شرح شواهد شرح قَطْر النَّدى"، (ت:١٣٨٥هـ)، في بيروت، ثُمَّ نقل إلى قطر ودفن فيها. ينظر: الأَعلام، (٢٠٩/٦)، وعلماء نجد، (١٠٠/٦-١١٣)، وروضة النَّاظرين، (٣٣٨/٢-٣٤٥).

(٥) طلب العلم في عُنَيْزَة، ورحل إلى علماء الحرمين، ومصر والشَّام، والعراق والكويت، والهند والقُسْطَنْطِينيَّة، وحصل منهم على إجازات، وكان يدرِّس في بيته، وهو من أَوَّل شيوخ المؤلِّف، (ت:١٣٤٣هـ). ينظر: تسهيل السَّابلة، (١٧٨٧/٣)، وعلماء نجد، (١٢١/٦-١٣٠)، وروضة النَّاظرين، (٢٨١/٢-٢٨٤).

(٦) سبقت ترجمته: (ص:٦).

(٧) علماء نجد، (٢٢٣/٣).

وكان نُبلُهُ، وذكاؤُهُ، واستقامتُهُ، وسُموُّ أَخلاقِهِ، وحِرصُهُ على الطَّلبِ مَحَلَّ إِعجابِ مَشايخِهِ، وقد حصلَ مِنهم على أَنواعٍ مِن الإجازاتِ العِلميَّةِ[١]، ومِنها:

- في سَنَةِ خمسٍ وثلاثينَ وثَلاثِمائةٍ وأَلفٍ مِن الهجرةِ أَخذَ عن شَيخهِ: صالحِ بنِ عُثمانَ القَاضي الكُتُبَ السِّتَّةَ بتَمامِها، وأَذِنَ لهُ بروايتِها عنهُ[٢].
- في سنَةِ أَربعينَ وثلاثِمائةٍ وأَلفٍ مِن الهجرةِ أَجازَهُ الشَّيخُ: عليُّ بنُ ناصرِ بنِ وَادِي، في روايةِ الكتُبِ السِّتَّةِ، ومسندِ الإمامِ أَحمدَ، وموطَّإِ الإمامِ مالكٍ، ومِشكاةِ المصابيحِ[٣].
- في سَنَةِ إِحدى وأَربعينَ وثلاثِمائةٍ وأَلفٍ هجريَّةٍ حصلَ على إِجازةٍ مِن الشَّيخِ: إبراهيمَ بنِ صالحِ بنِ عيسى، في روايةِ الكتُبِ السِّتَّةِ وموطَّإِ الإمامِ مالكٍ، وكُتبِ الصِّحاحِ والمسانيدِ، والفِقهِ والأُصولِ، معَ ثناءٍ عطرٍ، وتزكيةٍ تُبَيِّنُ مَنزلتَهُ العِلميَّةَ، وقَدْرَهُ عندَ شُيوخِهِ[٤].

---

(١) ينظر: علماء نجد، (٣/٢٢٠)، وروضة النَّاظرين، (١/٢٩٢)، ومواقف اجتماعيَّة، (ص:١٨٨-١٨٩).

(٢) ينظر: مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (١/٨٠-٨٢).

(٣) ينظر: مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (١/٨٢-٩٢)، ومواقف اجتماعيَّة، (ص:١٨١).

(٤) ينظر: مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (١/٩٢-١٠٨)، ومواقف اجتماعيَّة، (ص:١٨١).

المطلبُ الثَّاني: تلاميذُهُ.

كان نُبوغُ السّعديِّ ظاهرًا منذُ شَبابِهِ، وكان مَرْجِعًا عِلميًّا تُضرَبُ إليهِ أَكبادُ الإبلِ مِن ديارٍ بعيدةٍ؛ ومَسجِدُهُ جامعةٌ عِلميَّةٌ تَزْخرُ بأَنواعٍ مِن المعارفِ والعلومِ، ليلًا ونهارًا، وقد وَجدَ طلابُ العِلْمِ بُغيتَهم؛ فتزاحموا بالرُّكبِ في حِلقِ العِلْمِ بينَ يديهِ، وتَشرَّفَ الكثيرُ مِنهم بمواصلةِ العِلْمِ(١)، والتَّتلمُذِ عليهِ(٢)، ومِن أَبرزِهِم:

١- سُليمانُ بنُ إبراهيمَ بنِ محمَّدٍ البسَّام(٣).

٢- سُليمانُ بنُ صالحِ بنِ حَمَدٍ البسَّام(٤).

٣- صالحُ بنُ عبدِاللهِ بنِ محمَّدٍ الزّغيبي(٥).

٤- عبدُالرَّحمنِ بنُ محمَّدِ بنِ عليٍ المقوشِي(٦).

---

(١) قال الشَّيخ محمَّد البسَّام: "ومن الأخطاء في بعض التَّراجم إلحاق بعض المستمعين للدَّرس بالتَّلاميذ، وهذا غير صحيح؛ فإنْ التِّلميذ هو الذي يواظب على الدَّرس، ويجلس في حلقة الدَّرس، ويهتمُّ بالدَّرس؛ أمَّا من يجلس ناحية، ولا يواظب على الحضور، وإنَّما يأْتي صدفة أَو زيارة أَو نحو ذلك فلا يعدُّ من التَّلاميذ، ولو أَدخلنا مع التَّلاميذ مثل هؤلاء لملأْنا منهم مجلَّدات". مقدِّمته لتحقيق: "التَّعليق وكشف النِّقاب"، (ص:٣١).

(٢) ذكر الشَّيخ: عبدالله البسَّام مائة وخمسين طالبًا، وعدَّ الشَّيخ: محمَّد البسَّام ستَّة وسبعين طالبًا، وقسَّمهم ثلاث طبقات؛ ولعلَّه اقتصر على الملازمين للشَّيخ، كما يتَّضح ذلك من كلامه في التَّعليق السَّابق، بينما ذكر الشَّيخ: عبدالله البسَّام كلَّ من جلس على السّعدي لطلب العلم، ولو فترة قليلة. ينظر: علماء نجد، (٣/٢٣٦-٢٤٤)، ومقدِّمة البسَّام لتحقيق: "التَّعليق وكشف النِّقاب"، (ص:١٥-١٨).

(٣) فقيه حنبليٌّ بارز، نشأَ في بيت علم، وكان ينوب عن السّعدي في تدريس الطُّلَّاب، واعتذر عن القضاء، ودرَّس في معهد عُنَيْزَة، (ت:١٣٧٧هـ). ينظر: تسهيل السَّابلة، (٣/١٨٣١)، وعلماء نجد، (٢/٢٦٥-٢٦٨).

(٤) من أَعيان أُسرته وبلده، وله اهتمام بالأَنساب، وبحوث في التَّاريخ، والقضايا المعاصرة، وكان مرجعًا للباحثين فيها، وجلُّ فائدته العلميَّة من ابن عيسى، والسعديِّ، (ت:١٤٠٥هـ). ينظر: علماء نجد، (٢/٢٨١-٢٨٣).

(٥) طلب العلم في عُنَيْزَة، ثُمَّ المدينة، وزامَل المؤلِّف وتتلمذ عليه، مشهور بتواضعه، وحسن صوته، وحفظه للقرآن، كثير الذِّكر والتِّلاوة، والعبادة، تولَّى الإمامة والخطابة في المسجد النَّبويِّ أَكثر من عشرين سَنة، (ت:١٣٧٢هـ). ينظر: علماء نجد، (٢/٥٠٩-٥١٢)، وروضة النَّاظرين، (١/٢٤٣-٢٤٤)، وأَئمَّة الحرمين، (ص:٩٤).

(٦) طلب العلم في البكيريَّة، ثُمَّ بُرَيْدَة وعُنَيْزَة، وهو فقيه متمكِّن، وذو خُلق وتواضع، وتولَّى القضاء في الرِّياض والقويعيَّة، وكان ميَّالًا للعزلة عن النَّاس، (ت:١٤٠٥هـ). ينظر: علماء نجد، (٣/١٩٧-٢٠١).

٥- عبدُالعزيزِ بنُ محمَّدِ بنِ سليمانَ البسَّام(١).

٦- عبدُالعزيزِ بنُ محمَّدِ بنِ عبدِالرَّحمنِ السَّلمان(٢).

٧- عبدُاللهِ بنُ عبدِالرَّحمنِ بنِ صالحٍ البسَّام(٣).

٨- عبدُاللهِ بنُ عبدِالعزيزِ بنِ عبدِاللهِ الخُضَيري(٤).

٩- عبدُاللهِ بنُ عبدِالعزيزِ بنِ عقيلٍ آلُ عقيل(٥).

١٠- عبدُاللهِ بنُ محمَّدِ بنِ إبراهيمَ الصّيخان(٦).

١١- عبدُاللهِ بنُ محمَّدِ بنِ ناصرٍ العُوهَلي(٧).

١٢- عبدُاللهِ بنُ محمَّدِ بنِ منصورٍ المطرودِي(٨).

---

(١) تعلَّم في عُنَيْزَة، ولازم السّعديَّ، وكان محبًّا لحفظ المتون العلميَّة، وعامرًا للمجالس باللَّطائف والفوائد، وله اطِّلاع واسع على التَّاريخ والسِّيرة، (ت:١٤١٣هـ). ينظر: علماء نجد، (٣/٥١٢-٥١٥).

(٢) عالم زاهد، جمُّ الأَخلاق، لازم السّعديَّ ستَّة عشر عامًا، ودرَّس في المعاهد العلميَّة بالرِّياض، وله مؤلَّفات في العقيدة والفِقه، والوعظ، والرَّقائق، منها: "البُرهان المحْكَم في أَنَّ القرآن يهدي للَّتي هي أَقوَم"، (ت:١٤٢٢هـ). ينظر: فتح المنَّان ترجمة الشَّيخ: عبدالعزيز السَّلمان ﷺ، للسَّلمان، (١-١١).

(٣) سبقت ترجمته: (ص:٦).

(٤) طلب العلم في بلدته البكيريَّة، وبُرَيْدَة، وعُنَيْزَة، والرِّياض، وكان واسع المعلومات، وتولَّى القضاء فحُمِدت أَحكامه وأَقْضِيته، ثُمَّ درَّس في المعاهد العلميَّة، (ت:١٣٩٢هـ). ينظر: علماء نجد، (٤/٢٨٣-٢٨٧).

(٥) لازم السّعديَّ قرابة اثنتي عشرة سَنة متفرِّقة، وبينهما مراسلات، وَلِي القضاء، وتدرَّج فيه إِلى مناصب عالية، وكان عضوًا في هيئة كبار العلماء بالمملكة، وحرص على نشر علمه، خاصَّة بعد تقاعده، (ت:١٤٣٢هـ). ينظر: علماء نجد، (٣/٤٤٧)، والشَّيخ: عبدالرَّحمن السّعدي كما عرفته، (ص:٩)، وفتح الجليل في ترجمة وثَبَتِ شيخ الحنابلة عبدالله بن عبدالعزيز العقيل، للتُّكْلَة، (ص:١٧، ٤٢، ٤٨، ١٤٤-١٥٣).

(٦) لازم السّعديَّ، وواصل في التعليم النِّظاميِّ -مع فقده للبَصر منذ صغره- وتخرَّج من كليَّة الشَّريعة، وعيِّن في قضاء الطَّائف، ثُمَّ درَّس في المعاهد العلميَّة، (ت:١٤٠١هـ). ينظر: علماء نجد، (٤/٣٨٣-٣٨٤).

(٧) لازم السّعديَّ، ثُمَّ رحل إِلى مكَّة، وعمل بالتِّجارة، مع مواصلة العلم على علمائها، وكان قويَّ الحافظة، ودرَّس في المعهد العلميِّ بمكَّة، وتوفي آخر القرن الرَّابع عشر الهجري. ينظر: علماء نجد، (٤/٥٠٣-٥٠٥).

(٨) ولد كفيف البصر، ولازم العلماء في عُنَيْزَة، وكان صاحب عبادة، ويحفظ صحيح البخاريِّ بأَسانيده، (ت:١٣٦١هـ). ينظر: علماء نجد، (٤/٥٠١-٥٠٢).

١٣- عليٌّ بنُ حَمَدِ بنِ محمَّدٍ الصَّالحي[١].

١٤- عليٌّ بنُ محمَّدِ بنِ زاملِ بنِ سليم[٢].

١٥- محمَّدُ بنُ سليمانَ بنِ عبدِالعزيزِ البسَّام[٣].

١٦- محمَّدُ بنُ صالحِ بنِ محمَّدٍ العُثَيمِين.

١٧- محمَّدُ بنُ عبدِالرَّحمنِ بنِ محمَّدٍ العَبْدَلِي[٤].

١٨- محمَّدُ بنُ عبدِالعزيزِ بنِ عبدِاللهِ المطوَّع[٥].

١٩- محمَّدُ بنُ عثمانَ بنِ صالحٍ القاضي[٦].

٢٠- محمَّدُ بنُ منصورِ بنِ إبراهيمَ الزَّامل[٧].

٢١- محمَّدُ بنُ ناصرِ بنِ مطلقٍ الحنَاكي[٨].

---

(١) لازم علماء عُنَيْزَة، واستفاد من علماء الرِّياض أثناء دراسته النِّظاميَّة، وسعى في تأْسيس -المكتبة الوطنيَّة- في عنيزة، وله: "الضَّوء الْمُنِير في علم التَّفسير"، جمع فيه تفسير ابن القَيِّم من كتبه المطبوعة، (ت:١٤١٥هـ). ينظر: علماء نجد، (١٨١/٥-١٨٤)، ومقدِّمة البسَّام لتحقيق: "التَّعليق وكشف النِّقاب"، (ص:١٣).

(٢) لازم دروس العلماء في عنيزة، وتخرَّج من كليَّة الشَّريعة، وكفَّ بصره في صغره، وتميَّزَ باللُّغة العربيَّة، والحافظة القويَّة، والحاسَّة العجيبة، وإطالة القيام في اللَّيل، (ت:١٤١٨هـ). ينظر: علماء نجد، (٢٥٢/٥-٢٧١).

(٣) سبقت ترجمته: (ص:٦).

(٤) أَقبل على العلم منذ صغره على مشايخ عُنَيْزَة بجدٍّ واجتهاد، وحفظ صحيح البخاريِّ، وصار من طلَّاب العلم المدرِكِين العابدين، إلَّا أَنَّ المنيَّة أدركته في صغره، (ت:١٣٣٧هـ) تقريبًا، وله ثلاثون سَنة، ورثاه المؤلِّف مع اثنين من زملائه. ينظر: علماء نجد، (٥٩/٦-٦٠)، ومقدِّمة البسَّام لتحقيق: "التَّعليق وكشف النِّقاب"، (ص:١٦).

(٥) أَخذ عن علماء عُنَيْزَة وبُرَيْدَة، ولازم السّعديَّ، وكان محبًّا لكتب ابن تَيميَّة وابن القيِّمﷺ، ودرَّس في دبيٍّ، وعُنَيْزَة، ثم ولِي القضاء، وسافر للعلاج في لندن، وتوفي فيها، سنة (١٣٨٧هـ)، ودفن في مقبرة للمسلمين هناك؛ تنفيذًا لوصيَّته. ينظر: علماء نجد، (٧٨/٦-٨٢)، وروضة النَّاظرين، (٣٤٩/٢-٣٥٤).

(٦) سبقت ترجمته: (ص:٦).

(٧) من كبار تلاميذ المؤلِّفﷺ، وله اطِّلاع واسع في المذاهب المخالفة لمنهج السَّلف، ودرَّس في معهد عُنَيْزَة، وهو من وجهائها، وأَصحابِ الرَّأْي، والمشورة فيها، (ت:١٤١٣هـ). ينظر: علماء نجد، (٤٠٠/٦-٤٠١).

(٨) أَخذ عن علماء الرَّس، ثُمَّ رحل لعلماء الرِّياض، ثُمَّ لعلماء عُنَيْزَة، واشتهر بالولاء والبَراء في الدِّين، وتولَّى القضاء والخطابة والإِمامة في عدد من المحافظات والقرى، ومجالسه عامرة بالذِّكر والفائدة، (ت:١٣٨٧هـ). ينظر: علماء نجد، (٤١٢/٦-٤١٤)، وروضة النَّاظرين، (٣٥٥/٢-٣٥٨).

وهُنَاك طلَّابٌ كثيرونَ تَتلمذوا على السّعديِّ، واستَفادوا مِن علمِهِ؛ فمِنهُم مَن انشغلَ بالمناصبِ القضائيَّةِ(١)، والتَّعليميَّةِ(٢)، والدَّعويَّةِ(٣)، ومِنهمْ مَن وُلِّي أعمالًا إداريَّةً(٤)، ومِنهمْ مَن انصَرَفَ إلى التِّجارةِ، وطَلَبِ الرِّزقِ(٥)، رَحِمَ اللهُ الميِّتَ، ومتَّعَ، ونفعَ بالحيِّ.

---

(١) منهم: الشَّيخان: إبراهيم بن محمَّد آل عمود، (ت:١٣٩٤هـ)، وأحمد بن سليمان القاضي، (ت:١٤٠٧هـ). ينظر: علماء نجد، (٤٢١/١-٢٢، ٤٧٤-٤٧٥).

(٢) منهم: المشايخ: حَمَد بن إبراهيم القاضي، (ت:١٣٩٥هـ)، وسليمان بن محمَّد آل شبل، (ت:١٣٨٦هـ)، وصالح بن حَمَد الزّغيبي، (ت:١٤٠٧هـ)، وعبدالعزيز بن حَمَد المصيْرِعِي، (ت:١٤١٥هـ)، وعبدالعزيز بن محمَّد العوهلي، (ت:١٤١٧هـ). ينظر: علماء نجد، (٧٠/٢-٧١، ٣٩٤-٣٩٥، ٤٤٧-٤٤٨)، وروضة النَّاظرين، (١٩٨/٣-١٩٩).

(٣) منهم: الشَّيخان: عبدالعزيز بن علي بن مساعد آل عبدالمنعم، (ت:١٤١١هـ)، وعبدالله بن عبدالعزيز السّويِّل، (ت:١٣٨٥هـ). ينظر: علماء نجد، (٤٩١/٣-٤٩٢، ٢٨٠/٤-٢٨٢)، وروضة النَّاظرين، (١٨٠/٣-١٨٤).

(٤) منهم: الأُستاذ: عبدالله بن علي النّعيم، أَمين مدينة الرِّياض سابقًا. ينظر: علماء نجد، (٢٤١/٣).

(٥) منهم: المشايخ: سليمان بن عبدالكريم السّناني، (ت:١٤٠٩هـ)، وعبدالعزيز بن عبدالله بن عقيل، (ت:١٣٨٣هـ)، وعبدالله بن حسن آل بريكان، (ت:١٤١٠هـ)، وعبدالله بن عبدالرَّحمن السّعدي، (ت:١٤٠٥هـ). ينظر: علماء نجد، (٣٣٠/٢-٣٣١، ٤٤٧/٣-٤٤٨، ٢٥١، ٦٧/٤-٦٩)، والشَّيخ: عبدالرَّحمن السّعدي كما عرفته، (ص:٣٥).

المبحثُ الرَّابعُ: عقيدتُهُ.

نشأَ العلَّامةُ السّعديُّ رحمه الله على عقيدةٍ صافيةٍ، واتَّخذَ منهجَ السَّلفِ عقيدةً، ومنهجًا وسُلوكًا، وبذلَ جُهودًا بارزةً في توضيحِ العقيدةِ الإسلاميَّةِ السَّلفيَّةِ، وصارَ لَهُ عنايةٌ خاصَّةٌ متميِّزةٌ بِها، تظهرُ مِن خلالِ ما يلي:

١- المَنهجُ العَمليُّ: إنَّ سلفيَّةَ السّعديِّ رحمه الله ظاهرةٌ في منهجِهِ العَمَليِّ في حياتِهِ، وعبادتِهِ، وخُطبِهِ، ومنهجِهِ في الاستدلالِ، والرُّدودِ، والتَّعاملِ مع المواقفِ والأَحداثِ، والحرصِ على جمعِ الكلمةِ ونبذِ الفُرقةِ، وبذلِ النَّصيحةِ، والسَّمعِ والطَّاعةِ لولاةِ الأُمورِ(١)، ومِن أَبرزِ الأَمثلةِ على ذلكَ عدمُ نشرِهِ رسالةَ: "يَأْجُوْج ومَأْجُوْج"(٢)؛ التزامًا بالتَّعليماتِ الصَّادرةِ مِن وليِّ الأَمرِ، حينما استدعاهُ في شأْنِها، وطلبَ منهُ عدمَ نشرِها(٣).

٢- التَّعليمُ: خصَّصَ السّعديُّ رحمه الله دروسًا يوميَّةً في تعليمِ العقيدةِ، وتقريرِ مذهبِ السَّلفِ؛ فقد درَّسَ طلَّابَهُ عددًا مِن كتبِ أئمَّةِ السَّلفِ في العقيدةِ؛ مِن المختصراتِ والمطوَّلاتِ، ومِنها:

---

(١) ينظر: الشَّيخ: عبدالرَّحمن السّعدي كما عرفته، (ص:٢٦).

(٢) رسالة مختصرة، ملخَّصها: أَنَّ "يَأْجُوْج ومَأْجُوْج" أُمَّتان من بني آدم، وليس لهم صفات تخالف صفات الآدميِّين، وليسوا عالَمًا غيبيًّا، وأَنَّ مساكنهم الأَصليَّة في شمال آسيا؛ في منغوليا وشرقي تركستان، وأَنَّ منهم: التَّتار والصِّين واليابان، وغيرهم، وأَنَّ ابتداء فتح الرَّدم كان على وقت النَّبيِّ ﷺ، وأَنَّ المخترعات الحديثة والصِّناعات الرَّاقية مكَّنتهم من تجاوز الحواجز الطَّبيعيَّة، فليسوا محصورين خلف السَّد إلى الآن، وأَنَّهم أَفسدوا في الأَرض عمومًا، وعلى المسلمين والعرب خصوصًا؛ كفتنة التَّتار، وأَنَّ ما جاء في حديث النَّوَّاس رضي الله عنه: أَنَّهم سيخرجون بعد الدَّجال لا يدلُّ على ابتداء خروجهم، وكتبها بخطِّ يده ثلاث مرَّات سَنة تسع وخمسين وثلاثمائة وأَلف هجريَّة؛ فبيَّن رأْيه في إِحداها بإجمال، ثُمَّ توسَّع في الثَّانية بذكر عشرة أَدلَّة على رأْيه، ثُمَّ نقَّحها في الثَّالثة ورتَّبها، وزاد فيها نقولات من المعاصرين. ينظر: مقدّمة: د. القاضي في تحقيقه: "رسالتان في فتنة الدَّجال، ويَأْجُوْج ومَأْجُوْج"، (ص:٥١-٥٢، ٨٠-٨٤، ٥٩، ١٠٣).

(٣) قصَّة محنته بسبب رسالته: "يَأْجُوْج ومَأْجُوْج" مشهورة مبسوطة في عدد من المصادر. ينظر: علماء نجد، (٣/٢٤٧-٢٥٠)، ومقدِّمة البسَّام لتحقيق: "التَّعليق وكشف النِّقاب"، (ص:١٩-٢٣)، ومواقف اجتماعيَّة، (ص:١٤٩-١٥٩).

١- شرحُ الطَّحاويَّةِ[(١)]، لابنِ أَبِي العزِّ الحَنفِيِّ رحمه الله[(٢)].

٢- كتابُ التَّوحيدِ[(٣)]، للإمامِ المجدِّدِ: محمَّدِ بنِ عبدِالوهَّابِ رحمه الله.

٣- نَظْمُ[(٤)] السَّفَّارينيِّ رحمه الله[(٥)].

٤- النُّونِيَّةُ[(٦)]، لابنِ القَيِّمِ رحمه الله.

٥- الواسِطيَّةُ[(٧)]، لابنِ تيميَّةَ رحمه الله.

٣- التَّأْليفُ: أَخرجَ السّعديُّ رحمه الله عِدَّةَ مؤلَّفاتٍ ما بينَ مطوَّلاتٍ ومختصراتٍ، نثرًا ونَظمًا،

---

(١) نسبة لأَبي جعفر أَحمد بن محمَّد الطَّحاويّ، (ت:٣٢١هـ)، وهي متن مختصر، بأُسلوب سهل، غالبه سجع، وعليها شروح وتعليقات، وتصويبات من العلماء. ينظر: متن الطَّحاويَّة، بتعليق الأَلبانيّ، (ص:٣١، ٦٢).

(٢) علي بن علي بن محمَّد بن أَبي العِزِّ، الحنفيّ، الدِّمشقيّ، سلفيُّ العقيدة، ولِي قضاء دمشق، ثُمَّ قضاء مصر، وامتحن بسبب اعتراضه على قصيدة لابن أَيْبَك؛ لِما فيها من مخالفات عقديَّة، ومن أَشهر مؤلَّفاته: "شرح العقيدة الطَّحاويَّة"، (ت:٧٩٢هـ). ينظر: إِنباء الغُمْر بأَبناء العُمْر، لابن حَجَر، (٢٥٨-٢٦٠، ٤٠٨-٤٠٩)، وشذرات الذَّهب في أَخبار من ذهب، لابن العِماد، (٥٥٧/٨).

(٣) هو: "حقُّ الله على العَبِيد"، ابتدأَ به في البصرة؛ لَمَّا رأَى مظاهر الشِّرك، ثُمَّ حرَّره، وأَكمله لَمَّا قدم نجدًا، في ستَّة وستِّين بابًا، شملت أَنواع التَّوحيد الثَّلاثة، مع التَّركيز على ما تدعو الحاجة إِليه في زمانه، وهو توحيد العبادة، بأَدلَّة الكتاب والسُّنَّة، وقد كتب الله لَهُ القبول، فحُفِظ وشُرِح، وانتشر، وهدى الله به خلقًا كثيرًا. ينظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التَّوحيد، لسليمان بن عبدالله، (ص:١٢)، وفتح المجيد شرح كتاب التَّوحيد، لعبدالرَّحمن بن حسن، (ص:٥)، والتَّمهيد لشرح كتاب التَّوحيد، لصالح آل الشَّيخ، (ص:١٠-١٦).

(٤) اسمه: "الدُّرة الْمُضِيَّة في عِقْدِ أَهل الفِرقة المرضيَّة"، شملت أُمَّهات مسائل عقائد السَّلف، في مائتي بيت وبضعة عشر. ينظر: لوامع الأَنوار البَهيَّة وسواطع الأَسرار الأَثريَّة لشرح الدُّرة الْمُضِيَّة في عِقْدِ الفِرقة المرضيَّة، (٢/١).

(٥) محمَّد بن أَحمد بن سالم السَّفَّارِينِيُّ، سَلَفيٌّ، حنبليٌّ، من تصانيفه: "غذاء الأَلباب في شرح منظومة الآداب"، (ت:١١٨٨هـ). ينظر: سلك الدُّرر في أَعيان القرن الثَّاني عشر، للمراديّ، (٣١/٤-٣٢)، والأَعلام، (١٤/٦).

(٦) اسمها: "الكافية الشَّافية في الانتصار للفِرقة النَّاجية"، وهي موسوعة جامعة لعقائد أَهل السُّنَّة، وردٌّ مفحِم لمخالفيها، من صحيح المنقول، وصريح المعقول، في اثنين وأَربعين وثمانمائة وخمسة آلاف بيت. ينظر: توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإِمام ابن القَيِّم، لابن عيسى، (٤/١)، وتوضيح الكافية الشَّافية، للسَّعدي، (ص:١٧).

(٧) رسالة مختصرة الأَلفاظ، واضحة المعاني، وضَّحت عقيدة السَّلف بالأَدلَّة، كتب الله لها الانتشار والقبول، فحفِظت وشُرحت، وحصل بها خير عظيم، كتبها ابن تَيميَّة رحمه الله بعد العصر؛ تلبيةً لطلبِ: "رضيِّ الدِّين الواسطيِّ"؛ قاض من أَرض واسطٍ، من أَصحاب الشَّافعي. ينظر: مَجْمُوع الفَتَاوَى، (١٦٤/٣)، والتَّنبيهات اللَّطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطيَّة من المباحث الْمُنِيفة، للسّعدي، (ص:١٣).

قرَّرَ فيها العقيدةَ السَّلفيَّةَ؛ ومذهبَ سلفِ هذهِ الأُمَّةِ، بالأَدِلَّةِ والحُججِ الواضحاتِ، مِنها:

١- أُصولُ الدِّينِ(١).

٢- أُصولٌ عظيمةٌ مِن قواعدِ الدِّينِ الإِسلاميِّ(٢).

٣- انتصارُ الحقِّ(٣).

٤- البَراهينُ العقليَّةُ على وحدانيَّةِ الرَّبِ ووجوهِ كمالِهِ(٤).

٥- التَّوضيحُ والبَيانُ لشَجَرةِ الإِيمانِ(٥).

---

(١) مختصر مفيد، بيَّن فيه السّعديُّ رحمه الله معنى الإسلام، معلِّقًا على عدد من الآيات التي تضمَّنت أُصول العدل والإحسان، وأُصول الشَّرِّ والظُّلم، وأُصول الشَّريعة، ذاكرًا بعض الفصول في حُجج الملحِدين، وما يروِّجون به باطلهم، مع ردٍّ، واستدلال بالنَّقل والعقل، وفي الكتاب فصلان مشتركان مع كتاب آخر للمؤلِّف اسمه: "الدَّلائل القرآنيَّة في أَنَّ العلوم والأَعمال النَّافعة العصريَّة داخلة في الدِّين الإِسلاميِّ". ينظر: مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٣/٥٨٥-٥٨٨، ٦/٩٦٧-٩٧٢).

(٢) دُرَّة فريدة، مليئة بالشَّواهد والدَّلائل، والإِيضاح والثِّمار لقواعد خمس بُني الكتاب عليها: أُولاها: الدِّين كلُّه مبنيٌّ على عبادة الله والاستعانة به وحده، والثَّانية: الدِّينُ الحقُّ هو ما جاء به الرَّسول ﷺ من الكتاب والسُّنَّة، والثَّالث: الإيمان بالله هو الأَصل الذي دعت إليه جميع الرُّسل، وبه الرُّقيُّ الحقيقيُّ في الدُّنيا والآخرة، والرَّابعة: الأَمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، والتَّواصي بالحقِّ، والتَّواصي بالصَّبر، والخامسة: الدِّين الإِسلاميُّ هو الصَّلاح المطلق، ولا سبيل إِلى إِصلاح البشر الصَّلاح الحقيقيَّ إِلَّا به. ينظر: أُصول عظيمة من قواعد الدِّين الإِسلاميِّ، (ص:١٥، ٢٦، ٤٨، ٦٠، ٦٦).

(٣) وتُسمَّى: "النَّصيحة الرَّبانيَّة في الرَّد على المغترِّين بدعاة الإِلحاد والمدنيَّة الغربيَّة"، وهي: محاورة دينيَّة اجتماعيَّة، كانت مقالات في: "مجلة المنهل"، سَنة سبع وستِّين وثلاثمائة وأَلف هجريَّة، بين رجلَين مسلَمين متصاحبَين، طلبا العِلم جميعًا، ثُمَّ غاب أَحدُهما عن الآخر زمنًا، ثُمَّ التقيا، فإِذا الغائب قد تأَثَّر بالملحِدين، وشبهاتهم، فدارت بينهما محاورة، وفَّق الله تعالى النَّاصح أَنْ يعيد صاحبَه إِلى الصِّراط المستقيم. ينظر: انتصار الحقِّ، (ص:٥)، ومجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٦/٨٣-١٠٨).

(٤) مؤلَّف مختصر، بيَّن المؤلِّف رحمه الله في مقدّمته أَنَّ موضوعه خاص بالأَدلَّة العقليَّة على وحدانيَّة الرَّب، وما ذكر من الأَدلَّة هنا أَكثر مما ذكره في الباب الحادي والأَربعين من كتابه: "الرِّياض النَّاضرة". ينظر: مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٦/٨٧١-٩٠٦)، والرِّياض النَّاضرة، (ص:٢١٣-٢٣٠).

(٥) كتاب نفيس يحتوي على مباحث في الإِيمان، مبتدئًا بتفسيره، مثَنِّيًا بذكر أُصوله ومقوِّماته وما يتبعها، ومن أَيِّ شيء يستمدُّ، مثلِّثًا بفوائده وثمراته، بأَدلَّة القرآن والسُّنَّة؛ وأَنَّ الله تعالى مثَّل كلمة الإيمان بالشَّجرة الطَّيِّبة، الموصوفة بالثَّبات، والنَّماء المستمرِّ، وأَنَّها متفاوتة في قلوب المؤمنين، وأَنَّ الموفَّق هو من سعى في تحصيلها علمًا
=

٦- الدُّرَّةُ الفاخرةُ في التَّعليقِ على مَنظومَةِ السَّيرِ إلى اللهِ والدَّارِ الآخرةِ[١].

٧- رِسالةٌ في خروجِ الدَّابةِ، وحَقيقتِها[٢].

٨- سُؤالٌ وجوابٌ في أَهمِّ الْمُهمَّاتِ[٣].

٩- فتحُ الرَّبِ الحميدِ في أُصولِ العقائدِ، والتَّوحيدِ[٤].

١٠- فِتنةُ الدَّجَّالِ[٥].

وعملًا، وفرغ منه في الثَّامن من ذي الحجَّة، سَنة أَربع وسبعين وثلاثمائة وأَلف هجريَّة. ينظر: التَّوضيح والبيان لشجرة الإيمان، (ص:٧-٨، ٩٤).

(١) تعليق وجيز، يبيِّن معاني المنظومة الأَخلاقيَّة التَّربويَّة العقدية، التي أَوجزها في ثمانية عشر بيتًا، في العبادة، وإخلاصها لله تعالى، والمتابعة لرسوله ﷺ، والإقبال على الله، والتَّوكل عليه، ومنزلة الإحسان، وزيادة الإيمان ونقصانه، والحثِّ على الاستقامة، والاستعداد للآخرة، وفرغ منه في الثَّالث من شعبان سَنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وأَلف هجريَّة. ينظر: الدُّرة الفاخرة في التَّعليق على منظومة السَّير إلى الله، والدَّار الآخرة، (ص:٦، ١١)، ومجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٢٦/٢٧-٣٨).

(٢) رسالة مختصرة، بيَّن فيها أَنَّ خروج الدَّابة حقٌّ يجب اعتقاده، وأَنَّها من أَشراط السَّاعة، وأَمَّا صفتها، وكيفيتها، وصفة تكليمها للنَّاس فليس في الأَحاديث الصَّحيحة منه شيءٌ، وأَنَّ النُّصوص فيها مطلقة، وأَنَّ الدَّابة تُطلق على كلِّ ما دبَّ ودرج من أَيِّ نوع من الحيوانات والأَرواح، فلا تحدَّد بنوع معيَّن لم يرد به النَّص، كما رأَى أَنَّ هذه المخترعات الحديثة من الهواتف والبرقيَّات، والإذاعات المتكلم بها هي من دوابِّ الأَرض، ثمَّ ذكر عشرة أَوجه على اختياره، ثمَّ قال: "فإِنَّنا -ولله الحمد- لا زلنا نقرِّر بحسب المناسبات: أَنَّ هذه المخترعات من أَكبر الأَدلَّة على وحدانيَّة الله وعظمته، وكمال قدرته، وصدق ما أَخبر به من أُمور الغيب، وأَخبرت به الرُّسل، ومن أَبلغ الحجج والإلزامات للملحدين، والماديِّين، من دون أَنْ نقول: إِنَّها هي دابَّة الأَرض، وبذلك يحصل خير كثير من دون مفسدة؛ كتشويش، ونحوه". مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٦/١٠١٩-١٠٣٦).

(٣) رسالة مختصرة، احتوت على أُهمِّ أُمور الدِّين وأُصول الإيمان، على طريقة السُّؤال والجواب، مع أُصول وضوابط تبنى عليها. ينظر: مقدّمة المؤلِّف لكتابه: سؤال وجواب في أَهمِّ المهمَّات، (ص:٢).

(٤) هذا هو القسم الأَوَّل، المتعلِّق بالعقيدة، من كتاب المؤلِّف رحمه الله: "فتح الرَّحيم"، حيث عزم على إفراده بكتاب مستقلٍّ، ووضع له هذا الاسم، ومقدّمة، بخطِّ يده، ولا يزال منسوخًا بقلم الشَّيخ: عبدالعزيز بن صالح الدَّامغ، في ثمان وأَربعين صفحة، وفرغ منه في الثَّامن عشر، من شهر محرم، سَنة سبع وستِّين وثلاثمائة وأَلف هجريَّة. ينظر: تعليق د. البدر، في تحقيقه: فتح الرَّحيم الملك العلَّام في علم العقائد والتَّوحيد والأَخلاق والأَحكام المستنبطة من القرآن، (ص:٢١).

(٥) رسالة فيها جملة من الأَحاديث الواردة في الدَّجال، ثُمَّ التَّعليق عليها بعدَّة بمقدِّمات، منها: أَنَّ المسلمين متَّفقون على تلقِّي جميع النَّصوص الصَّحيحة من الكتاب والسُّنَّة بالتَّصديق والقبول، وأَنَّ إخبارات النَّبيِّ ﷺ وأَوامره =

١١- مُختصرٌ في أُصولِ العقائدِ الدِّينيَّةِ[١].

١٢- مَنظومةُ منهجِ الحقِّ[٢].

١٣- يَأْجُوجَ ومَأْجُوْجَ[٣].

كما أَلَّفَ السّعديُّ رحمه الله عددًا مِن الشُّروحِ على مجموعةٍ مِن كتبِ أئمَّةِ السَّلفِ في العقيدةِ، خصوصًا المحقِّقينَ مِنهم؛ كابنِ تَيميَّةَ، وابنِ القَيِّمِ، وابنِ عبدِالوهَّابِ رحمهم الله، الذين أَثْرَوا جوانبَ العقيدةِ بحثًا وتأْليفًا، وتحقيقًا وتأْصيلًا، ومِن مؤلَّفاتِهِ، وشُروحِهِ في ذلكَ:

١- التَّنبيهاتُ اللَّطيفةُ على ما احتوتْ عليهِ الواسطيَّةُ مِن المباحثِ الْمُنِيفةِ[٤].

٢- التَّوضيحُ المبينُ لتوحيدِ الأنبياءِ والمرسلينَ مِن الكافيَةِ الشَّافيَةِ[٥].

ونواهيه كلُّها حقٌّ وصدقٌ، ونفعٌ للعِباد، وأَنَّ فتنة الدَّجال نوعان: نوع يراد به الشَّخص الذي وصفه النَّبيُّ ﷺ، ونوع يراد به جنس الفتنة، وكتبها في السَّابع من شهر شعبان، سَنة سبعين وثلاثمائة وأَلف هجريَّة، ولم يضع لها عنوانًا، ثُمَّ نشرت بعد موته بعنوان: "فتنة الدَّجَّال"، تحقيق: د. أَحمد القاضي. ينظر: رسالتان: في فتنة الدَّجال ويَأْجُوْج ومَأْجُوْج، (ص:١٩-٤٠).

(١) متن مختصر في العقيدة، ركَّز فيه على أُصول خمسة: الأَوَّل التَّوحيد، الثَّاني: الإيمان بنبوَّة بجميع الأَنبياء عمومًا، ونبوَّة محمَّد ﷺ خصوصًا، الثَّالث: الإيمان باليوم الآخر، الرَّابع: مسألة الإيمان، الخامس: طريقة أَهل السُّنَّة والجماعة في العلم والعمل، وأَرَّخ هذا المتن في رمضان، سَنة خمس وسبعين وثلاثمائة وأَلف هجريَّة. ينظر: مقدّمة ابن عقيل، ومقدّمة المؤلِّف لأُصول العقائد الدِّينيَّة، (ص:٣، ٩، ١٩).

(٢) منظومة في العقيدة والأَخلاق، في خمسة وستِّين بيتًا، شملت أَقسام التَّوحيد، وأُمَّهات عقائد السَّلف، والتَّفكُّر في مخلوقات الله، وآياته، والتَّخلُّق بالأَخلاق الجميلة، والتَّنزُّه عن ضدها. ينظر: مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (١٠١١/٦-١٠١٧).

(٣) سبق التَّعريف بها: (ص:٦).

(٤) تعليق لطيف، على: "الواسطيَّة"، وتوضيح لبعض ما فيها من الأَدلَّة، ووجْه دلالتها على المقصود، وارتباط بعض المسائل ببعض، مع الإشارة إلى بعض آثارها، وفوائدها في القلوب والأَخلاق، وتنبيهات مهمَّة، وفرغ منه في الثَّامن من جمادى الأُولى، سَنة تسع وستِّين وثلاثمائة وأَلف هجريَّة. ينظر: مقدّمة التَّنبيهات اللَّطيفة، (ص:١٣-١٤، ١٣٥).

(٥) شرح لطيف خاصٌّ بتوحيد الأَنبياء والمرسلين من: "الكافية الشَّافية"، وقد أَكثر فيه المؤلِّف من النَّقل من كتب ابن القَيِّم رحمه الله؛ ليشرح كلامه بكلامه، وفرغ منه في الثَّالث والعشرين من شهر شعبان، سَنة أَربع وأَربعين وثلاثمائة وأَلف هجريَّة. ينظر: التَّوضيح المبين لتوحيد الأَنبياء والمرسلين، (ص:٥-١١، ٢٠٦).

٣- تَوضيحُ مَعانِي الكافيَةِ الشَّافيَةِ في الانتصارِ للفِرقةِ النَّاجيَةِ(١).

٤- الحقُّ الواضحُ الْمُبِينُ في شرحِ توحيدِ الأَنبياءِ والمرسلِينَ مِن الكافيَةِ الشَّافيَةِ(٢).

٥- الدُّرَّةُ البهيَّةُ شرحُ القصيدةِ التَّائيَّةِ في حَلِّ المشكلةِ القَدريَّةِ(٣).

٦- شَرحُ كتابِ أُصولِ الإيمانِ(٤).

٧- القَولُ السَّديدُ شرحُ كتابِ التَّوحيدِ(٥).

كمَا ردَّ العلَّامةُ السّعديُّ رحمه الله على خُصومِ العقيدةِ السَّلفيَّةِ، والْمُناوِئينَ لَها، ووقفَ في وجهِ المبتدِعةِ والمعانِدينَ والملحِدينَ، كما في مُؤلَّفاتِهِ التَّاليةِ:

١- الأَدلَّةُ القواطِعُ والبراهينُ في إبطالِ أُصولِ الملحِدينَ(٦).

---

(١) هذا الكتاب شرح لنونيَّة ابن القَيِّم: "الكافية الشَّافية في الانتصار للفرقة النَّاجية"، بعبارة سهلة ميسَّرة؛ وفرغ منه في العاشر من جمادى الآخرة، سَنة سبع وستِّين وثلاثمائة وألف هجريَّة. ينظر: توضيح الكافية الشَّافية، (ص:٧-٨)، ومجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٦/٣٣١-٤٨٦).

(٢) مختصر مفيد، لخَّص فيه كتابه: "التَّوضيح المبين لتوحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشَّافية"، وفرغ منه في الثَّالث من ربيع الآخر، سَنة سبع وستِّين وثلاثمائة وأَلف هجريَّة. ينظر: الحقُّ الواضح المبين، (ص:٣، ١١٩).

(٣) هذا شرْح للمنظومة التَّائيَّة في القدر، لابن تَيميَّة رحمه الله؛ لِما فيها من التَّحقيق في مسأَلة القضاء والقدر، ولصعوبة فهمها؛ واستجابة لمن طلب منه ذلك، وقد أَتمَّها قُبَيل وفاته بأَقل من شهرين؛ في الثَّلاثين من شهر ربيع الآخر، سَنة ستٍّ وسبعين وثلاثمائة وأَلف هجريَّة. ينظر: الدُّرة البهيَّة، (ص:١١).

(٤) شرح وافٍ مختصر، لجملة من الأَحاديث، التي في أَوَّل كتاب: "أُصول الإيمان"، للشَّيخ: محمَّد بن عبدالوهاب رحمه الله. ينظر: مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٦/٩٧٩-١٠٠٨).

(٥) ويسمَّى: "القول السَّديد في مقاصد التَّوحيد"، وهو تعليق مفيد على: "كتاب التَّوحيد" للشَّيخ: محمَّد بن عبدالوهاب رحمه الله، بدأَه بصفوة معتقد السَّلف، وخلاصته، وتوضيح مقاصد التَّوحيد، وقد حوَى تقاسيم وتفصيلات نافعة. ينظر: القول السَّديد، (ص:٣١)، ومجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (١/٣٨٨).

(٦) كتاب ردَّ فيه السّعديُّ رحمه الله على الملحِدين، وأَفحمهم، وأَبطل أُصولهم، وفنَّد شبهاتهم، وبيَّن مخالفتهم للعقل والفطرة والحكمة، ولجميع الأَديان الصَّحيحة، من وجوه كثيرة، مستفيدًا من ابن تَيميَّة رحمه الله في: "نقض التَّأْسيس"، وفرغ منه في الرَّابع عشر من شهر رجب، سَنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة وأَلف هجريَّة. ينظر: الأَدلَّة القواطع، (ص:٤، ٨٦).

٢- تَنزيهُ الدِّينِ وحملتِهِ ورجالِهِ مِمَّا افتراهُ القَصِيْمِيُّ[(١)] في أَغلالِهِ[(٢)].

كما كاتبَ السّعديُّ رحمه الله العلماءَ في شأْنِ العقيدةِ السَّلفيَّةِ، والدِّفاعِ عنها[(٣)].

إنَّ النَّاظرَ في أيِّ كتابٍ لهذا العَلَمِ فإنَّهُ يَلمسُ عنايتَهُ الفائقةَ بأُمورِ العقيدةِ ومَسائلِها، وانطلاقَهُ -في تقريرِها- مِن نُصوصِ القرآنِ والسُّنَّةِ، وفهمِ سَلفِ هذهِ الأُمَّةِ لَهُما.

كما أَنَّ القارئَ لكُتبِهِ يدركُ صفاءَ عقيدتِهِ بلا ارتيابٍ، ويَعيشُ معَ عالِمٍ سلفيٍّ قد فهِمَ العقيدةَ الحقَّةَ، وسعى جاهدًا في تقريرِها وترسيخِها، وتفهيمِها للنَّاسِ، بطرقٍ متنوِّعةٍ، وعباراتٍ متينةٍ رصينةٍ، وأُسلوبٍ واضحٍ مفهومٍ، متَّبعًا طريقةَ القرآنِ والسُّنَّةِ، ومنهجَ السَّلفِ في تقريرِها، والتَّركيزِ عليها، ومِن أَمثلةِ ذلكَ ما كَتبَهُ عن أَنواعِ التَّوحيدِ الثَّلاثةِ، بقولِهِ:

"**س١**: ما حَدُّ التَّوحيدِ وما أَقسامُهُ؟.

ج: حَدُّ التَّوحيدِ الجامعُ لكلِّ أَنواعِهِ هو: علمُ العَبدِ، واعتقادُهُ واعترافُهُ، وإيمانُهُ بتفرُّدِ الرَّبِّ بكلِّ صفةِ كمالٍ، وتوحُّدُهُ في ذلكَ، واعتقادُهُ أَنَّهُ لا شريكَ لَهُ، ولا مثيلَ لَهُ في كمالِهِ، وأَنَّهُ ذو

---

(١) عبدالله بن عليٍّ القَصِيميُّ، ويقال: الصَّعيديُّ، نشأَ سلفيًّا، ودافع عن عقيدة السَّلف، والتحق بجامعة الأزهر، ثُمَّ فُصِل بسبب كتابه: "البُروق النَّجديَّة في اكتساح الظُّلمات الدَّجويَّة"، ردًّا على مقالة: "التَّوسل وجهالة الوهابيِّيْن"، للدَّجوي؛ أَحد علماء الأزهر، ثُمَّ أَلَّف: "شيوخ الأزهر والزِّيادة في الإسلام"، و"الفصل الحاسم بين الوهابيِّيْن ومخالفيهم"، و"الصِّراع بين الإسلام والوثنيَّة"، ثُمَّ انتكس، وزاغ، وأَلَّف: "هذه هي الأغلال"، و"يكذبون كي يروا الله جميلًا"، و"الكون يحاكم الإله"، (ت:١٤١٦هـ). ينظر: الوفيات والأَحداث، (ص:٢٠٥)، ar. wikipedia. org/wiki/ عبد_الله_القصيمي.

(٢) هذا ردٌّ على كتاب: "هذي هي الأغلال"، للقَصِيميّ، الذي اتَّهم الإسلام بالرَّجعية والجمود، وشرائعَه بالأَغلال والقيود، وقد تصدَّى لَهُ السّعديُّ رحمه الله، وفنَّد مزاعمه، ودافع عن الدِّين وأَهله، وفرغ منه في الثَّالث من ربيع الآخر، سَنة ستٍّ وستِّين وثلاثمائة وأَلف هجريَّة. ينظر: تنزيه الدِّين وحملته، (ص:٣-٥، ٤٨)، ومجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، وفيه زيادات مفيدة على المطبوع، وهي: "جواب مجمل مطوَّل عمَّا احتواه كتاب: الأَغلال من الضَّلال"، ثُمَّ: "جواب مختصر عن حقيقة كتاب: هذي هي الأَغلال"، ثُمَّ: "نبذة جامعة مفيدة مختصرة في التَّحذير من كتاب: "هذي هي الأغلال"، ثُمَّ: رسالة فيها جواب من السّعديِّ موجَّهة لابن عقيل رحمه الله، بشأْن هذا الكتاب، ثُمَّ: "مقدّمة ردِّ الشَّيخ: تقيِّ الدِّين الهلاليِّ على كتاب الأَغلال، بخطِّ السّعديِّ رحمه الله"، ثُمَّ: "نقد كتاب الأَغلال"، وهو: "كشَّاف للمسائل الخبيثة والمباحث الخطيرة في كتاب الأَغلال"، (٦/١٥٥-٢٤٠).

(٣) ينظر: حاشية هذا التَّحقيق: (ص:٦).

الأُلوهيَّةِ والعبوديَّةِ على خلقهِ أَجمعينَ، ثُمَّ إِفرادُهُ بأَنواعِ العبادةِ، فدخلَ في هذا التَّعريفِ أَقسامُ التَّوحيدِ الثَّلاثةُ:

أَحدُهما: "توحيدُ الرُّبوبيَّةِ"، وهو الاعترافُ بانفرادِ الرَّبِ بالخَلقِ، والرِّزقِ، والتَّدبيرِ، والتَّربيةِ.

الثَّاني: "توحيدُ الأَسماءِ والصِّفاتِ"، وهو إِثباتُ جميعِ ما أَثبتَهُ اللهُ لنفسِهِ، أَو أَثبتَهُ لَهُ رسولُهُ محمَّدٌ ﷺ مِن الأَسماءِ الحُسنى، وما دلَّتْ عليهِ مِن الصِّفاتِ، مِن غيرِ تَشبيهٍ، ولا تَمْثِيلٍ، ومِن غيرِ تَحريفٍ، ولا تَعطيلٍ.

الثَّالثُ: "توحيدُ العِبادةِ"، وهو إِفرادُ اللهِ وحدَهُ بأَجناسِ العباداتِ وأَنواعِها، وإِفرادُها وإِخلاصُها للهِ، مِن غيرِ إِشراكٍ بهِ في شيءٍ مِنها.

فَهذهِ أَقسامُ التَّوحيدِ التي لا يكونُ العبدُ موحِّدًا حتَّى يلتزمَ بِها كلِّها، ويقومَ بِها"[١].

هذا وقد أَلحقَ في آخرِ: "تيسيرِ الكريمِ الرَّحمنِ في تفسيرِ كلامِ المنَّانِ"[٢]، شرحًا لأَسماءِ اللهِ الحُسنَى، على مَنهجِ السَّلفِ، مُبيِّنًا معنى الاسمِ، ودِلالتَهُ على عظمةِ اللهِ ﷻ وأَثرَ الإيمانِ بذلكَ[٣]، كما اهتمَّ بالقواعدِ والضَّوابطِ لها، مِمَّا يُعِينُ على فهمِ مسائلِ هذا البابِ العظيمِ[٤].

إِنَّ سلفيَّةَ السّعديِّ ؒ بارزةٌ في آياتِ العقيدةِ التي بدأَ بِها فُصولَ هذا التَّفسيرِ الذي بيْنَ أَيدينا، وما قرَّرَهُ مِن خلالِ الآياتِ في مَباحثِ الإِيمانِ، والرِّسالةِ، والْمَعادِ[٥].

هذهِ مَلامحُ عن سلفيَّةِ العلَّامةِ السّعديِّ ؒ، ومُقتطفاتٌ مِن كتاباتِهِ السَّلفيَّةِ، وهناكَ دِراساتٌ كثيرةٌ لكُتبِهِ[٦]، ومِمَّا يَخصُّ العقيدةَ كتابُ: "الشَّيخُ عبدُالرَّحمنِ بنُ سعديٍّ وجهودُهُ في

---

(١) سؤال وجواب في أَهمِّ المهمَّات، (ص:٤-٥).

(٢) تفسير عظيم، قصد فيه المؤلِّف ؒ بيان معنى الآيات، بعيدًا عن التَّفصيلات اللُّغويَّة، والقراءات، والرِّوايات، والقصص الإِسرائيليَّة، بعبارة مفهومة، محلَّاة باستنباطات دقيقة، وحِكم وأَسرار في التَّشريع عجيبة، وقد عُني فيه بعقيدة السَّلف، وهو أَشهر مؤلَّفاته، وبدأَ بتأْليفه سَنة اثنتين وأَربعين وثلاثمائة وأَلف هجريَّة، وأَنهاه سَنة أَربع وأَربعين وثلاثمائة وأَلف هجريَّة. ينظر: تيسير الكريم الرَّحمن، (ص:٩-١٣)، ومجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٢/٧٥-٧٨).

(٣) ينظر: تيسير الكريم الرَّحمن، (ص:٩٤٥-٩٤٩).

(٤) ينظر: تفسير أَسماء الله الحسنى، للسّعديِّ، (ص:١٥٧)، و(ص:٦-٦)، من هذا التَّحقيق.

(٥) ينظر: (ص:٦-٦)، من هذا التَّحقيق.

(٦) سبق ذكرها: (ص:٦-٦).

توضيحِ العقيدةِ"[١]، وجاءَ في مقدّمتِهِ: "وقد كان لَهُ رحمه الله عنايةٌ بالغةٌ بالعقيدةِ الإسلاميَّةِ، كشأْنِ علماءِ أَهلِ السُّنةِ والجماعةِ، وقد خصَّها بمؤَلَّفاتٍ عديدةٍ، أَفردَها لبيانِ العَقيدةِ وتوضيحِها، والرَّدِ على مَن خالفَها، ومؤَلَّفاتُهُ التي أَفردَها في العقيدةِ تَربُوا على عشَرةِ مؤَلَّفاتٍ، ثُمَّ إِنَّهُ يُعنَى في العقيدةِ في سائرِ مؤلَّفاتِهِ، وكتابُهُ: "تَيسِيرُ الكريمِ الرَّحمنِ في تَفسيرِ كلامِ المنَّانِ" يُعدُّ مَرجِعًا هامًّا في بيانِ العقيدةِ وتوضيحِها، والرَّدِ على مَن خالفَها، وكذلكَ خلاصةُ هذا التَّفسيرِ المسمَّى: "تيسيرُ اللَّطيفِ المنَّانِ في خلاصةِ تفسيرِ القرآنِ"[٢]، وغيرُهما مِن مؤلَّفاتِهِ، فكانَ رحمه الله يُعنَى بأَمرِ العقيدةِ، ويرى أَنَّهُ أَعظمُ المسائلِ وأَكبرُها وأَهمُّها، وأَجدرُها بالتَّوضيحِ والبيانِ"[٣].

(١) أَصله رسالة ماجستير، مقدّمة للجامعة الإِسلاميَّة، بالمدينة النَّبويَّة، عام: (١٤٠٧هـ)، للدُّكتور: عبدالرَّزاق العبَّاد.

(٢) سيأْتي التَّعريف بهذا الكتاب: (٦-٦)، وقد اعتنى فيه بشأْن العقيدة، وخصَّص فصوله الأُولى للحديث عنها، كما في: (ص:٦-٦).

(٣) الشَّيخ عبدالرَّحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، للعبَّاد، (ص:٩-١٠).

المبحثُ الخامسُ: مذهبُهُ الفِقهيُّ.

إنَّ مِمَّا لا شكَّ فيهِ أَنَّ العلَّامةَ السّعديَّ رحمه الله كان ذا عنايةٍ، واهتمامٍ، وعلمٍ بالفِقهِ أُصولًا وفروعًا، وكان أَوَّلَ أَمرِهِ مُتمسِّكًا بالمذهبِ الحنبليِّ، متقيِّدًا بهِ؛ حيثُ كانتْ بِداياتُ تعلُّمِهِ عليهِ، حسَبَ ما كان مألوفًا في بلدِهِ(١).

وقد حَفظِ بعضَ الْمُتُونِ في الفقهِ الحنبليِّ(٢)، ولَهُ فيهِ مؤلَّفٌ على طريقِ النَّظمِ للمسائلِ(٣).

وكان لَهُ اطِّلاعٌ واسعٌ على مؤلَّفاتِ الفِقهِ الحنبليِّ، وعلى كتبِ الخلافِ فيهِ(٤)، ثُمَّ لَمَّا تَنوَّعتْ قراءاتُهُ، واتَّسعتْ مداركُهُ عَمِلَ على تيسيرِ الفِقهِ للطَّالبِينَ، وصارَ يرجِّحُ حسبَ الدَّليلِ والتَّعليلِ، وما لم يَظهرْ لَهُ فيهِ دليلٌ راجحٌ فإِنَّهُ باقٍ فيهِ على مذهبِ الحنابلةِ(٥).

قال البسَّامُ(٦) رحمه الله: "وما إنْ تقدَّمتْ بهِ الدِّراسةُ شَوطًا، حتَّى تفتَّحتْ أَمامَهُ آفاقُ العِلْمِ، فخَرجَ عن مأْلوفِ بلدِهِ مِن الاهتمامِ بالفِقهِ الحَنبَلِيِّ فقط إِلى الاطِّلاعِ على كُتبِ التَّفسيرِ والحديثِ والتَّوحيدِ، وكُتُبِ شيخِ الإِسلامِ ابنِ تَيميَّةَ، وتلميذِهِ ابنِ القَيِّمِ التي فتَّقتْ ذهنَهُ، ووسَّعتْ مدارِكَهُ، فخرجَ عن طَورِ التَّقليدِ إِلى طَورِ الاجتهادِ المقيَّدِ(٧)، فصارَ يرجِّحُ مِن الأَقوالِ ما رجَّحَهُ الدَّليلُ، وصدَّقَهُ التَّعليلُ"(٨).

---

(١) ينظر: علماء نجد، (٣/٢٢٠).

(٢) ككتاب: "دليل الطَّالب لنيل المطالب"، لمرعي الحنبليّ. ينظر: علماء نجد، (٣/٢٢١).

(٣) سيأْتي الكلام عليه، (ص:٦).

(٤) يظهر ذلك جليًّا من خلال ما وجدته بخطِّه؛ من تعليقات وتصويبات على عدد من الكتب المخطوطة التي قرأَها وقابلها، وهي موقوفة لوجه الله تعالى في: "المكتبة الوطنيَّة"، في عُنَيْزَة، كما يظهر ذلك من خلال مؤلَّفاته الفِقهيَّة، وإِجاباته المكتوبة عن أَسئلة طلَّاب العلم، ومن ذلك: "المختارات الجليَّة في المسائل الفِقهيَّة"، و"إِرشاد أُولي البصائر والأَلباب لنيل الفِقه بأَقرب الطُّرق وأَيسر الأَسباب بطريق مرتَّب على السُّؤال والجواب"، و"الفتاوى السّعديَّة"، و"تيسير الكريم الواحد في شرح كنز الفوائد وعقد الفرائد"، وغيرها.

(٥) ينظر: روضة النَّاظرين، (١/٢٩٥).

(٦) سبقت ترجمته: (ص:٦).

(٧) ويُقال لهذا النَّوع: مُجتَهِد الْمَذْهَب، وهو "الذي يستنبط الأَحكام من أَدلَّتها بناء على قواعد إِمام مذهبه، ويستخرج الوُجوه من الرِّوايات المنصوصة عن إِمامه". حاشية المحقق: عبدالرَّزاق عَفِيْفِي، على الإِحكام في أُصول الأَحكام، للآمِدِي، (٤/١٦٢)، وينظر: التَّحبير شرح التَّحرير في أُصول الفِقه، للمِرْدَاوِي، (٨/٣٨٨١).

(٨) علماء نجد، (٣/٢٢٠).

ومِمَّا يُؤَكِّدُ ذلكَ: أَنَّهُ أَلَّفَ: "المختاراتُ الجليَّةُ في المسائلِ الفقهيَّةِ"[(١)]، وذكرَ فيها بعضَ المسائلِ التي ترجَّحتْ عندَهُ، وإنْ كانتْ على خِلافِ مَذهبِ الحنابلةِ، قالﷺ في مقدّمتِهِ: "قد تكرَّرَ السُّؤالُ مِن بعضِ الأَصحابِ على وضعِ كتابٍ في فقهِ أَصحابِنا مِن الحنابلةِ على وجهٍ يتَّضحُ بهِ ما نختارُهُ ونُصحِّحُهُ مِن المسائلِ الفِقهيَّةِ، ونُشِيرُ إلى شَيءٍ مِن مآخذِها وأَدلَّتِها"[(٢)].

ومِن الأَمثلةِ على ذلكَ قولُهُ:

- "الصَّوابُ: أَنَّ الماءَ نوعانِ: طَهورٌ مُطهِّرٌ، ونجِسٌ منجِّسٌ"[(٣)].
- "الصَّحيحُ: جوازُ الصُّلحِ عن المؤجَّلِ ببعضهِ حالًّا؛ لأَنَّهُ لا دليلَ على المنعِ. . . "[(٤)].
- والصَّحيحُ في جميعِ الكفَّاراتِ: أَنَّهُ يَكفي إِطعامُ المساكينِ، ولا يلزمُ تمليكُهُم، كمَا هو ظاهرُ الكتابِ والسُّنَّةِ"[(٥)].

ومعَ نَزعتِهِ للاجتهادِ فإِنَّهُ لم يخرجْ عن ترجيحاتِ ابن تَيميَّةَ وابنِ القَيِّمِ ﷺ إِلَّا في القَليلِ[(٦)]؛ لعلمِهِما الواسعِ، ووسطيَّتِهما، وتحقيقِهِما في المسائلِ، وعَملِهِما بالدَّليلِ على منهجٍ سلفيٍّ سَليمٍ.

وإِنَّ النَّاظرَ في كُتبِهِ يَتحقَّقُ لديهِ أَنَّ مِن أَعظمِ مشايخهِ ابنَ تَيميَّةَ وابنَ القَيِّمِ ﷺ، رغمَ طولِ المدَّةِ الزَّمنيَّةِ بينهم؛ فلقدْ أَقبلَ على مؤلَّفاتِهما إِقبالًا عظيمًا، وأَثْنَى عليها، وأَشادَ بِما لَهما مِن سَبقٍ، وتحقيقٍ، وتدقيقٍ في المسائلِ العِلميَّةِ، ومِن ذلكَ قولُهُ: "ولَمَّا كان البارِي -تعالى- قد امتنَّ على هذهِ الأُمَّةِ بعلماءَ ربَّانيِّيْنَ، وفضلاءَ متقنِينَ، قد بذلوا نفائسَ أَعمارِهم، وأَعمَلوا جَواهرَ أَفكارِهم في استخراجِ كنوزِ الوحيِ ومعانيهِ، وحَلِّ أَلفاظِهِ المعصومةِ ومَبانيهِ، فحصلَ لهم بهِ عِلمٌ

---

(١) مؤلَّف نفيس ظهر فيه اجتهاد المؤلِّفﷺ، وعدم تقيده بالمذهب، ورتَّب مسائله على حسب أَبواب الفِقه عند الحنابلة، وهو بمثابة الاستدراك على بعض مسائل "الرَّوض المرْبع شرح زاد المستقنع في اختصار المقنع"، الذي هو أَكثر الكتب شيوعًا عند طلَّاب العلم في نجد، وقد وافق في كثير من اجتهاداته ابن تَيميَّة وابن القيِّمﷺ، وفرغ منه في الثَّالث من شهر صفر، سَنة خمس وخمسين وثلاثمائة وأَلف هجريَّة. ينظر: المختارات الجليَّة، (ص:٩-١٠، ١١٩).

(٢) المختارات الجليَّة في المسائل الفِقهيَّة، (ص:٩).

(٣) المصدر السَّابق، (ص:١٢).

(٤) المصدر السَّابق، (ص:٨٥).

(٥) المصدر السَّابق، (ص:١١٦).

(٦) ينظر: المصدر السَّابق، (ص:٧٣، ١٠٤، ١٠٩، ١١٢).

كثيرٌ، وفَضلٌ غَزيرٌ، وصَاروا الهُداةَ لأُمَّةِ الأَئمَّةِ، واقتدَى بِهديِهم وسَيرِهم وطريقتِهم جميعُ أَصنافِ الأُمَّةِ، ومِمَّن لَهُ في هذا الشَّأْنِ: القَدمُ العُليا، والقِدْحُ المعلَّى[١]، والباعُ الأَعلى: الإِمامانِ العظيمانِ، والحافظانِ الثِّقتانِ، شيخُ الإِسلامِ تقيُّ الدِّينِ الإِمامُ أَبو العبَّاسِ أَحمدُ بنُ عبدِالحليمِ بنِ تَيميَّةَ، والإِمامُ أَبو عبدِاللهِ شمسُ الدِّينِ محمَّدُ بنُ أَبي بكرٍ، المعروفُ بابنِ قَيِّمِ الجَوزيَّةِ -قدَّسَ اللهُ أَرواحَهُما- فإِنَّهُ قد حصلَ لَهما مِن العِلْمِ، والفَهمِ للكتابِ والسُّنَّةِ، واستخراجِ عُلومِهما ما فَاقَا فيهِ كبارَ العُلماءِ، وسَبَقا فيهِ الجَهابذةَ النُّبلاءَ، خصوصًا عِلْمَ التَّوحيدِ، والعقائدِ السَّلفيَّةِ، فإِنَّ اللهَ منَّ على المسلِمينَ بِهما، وبيَّنا لهم مِن ذلكَ ما لم يُبيِّنهُ أَحدٌ، ونَصَرا مذهبَ أَهلِ السُّنَّةِ، والحقِّ نَصرًا عظيمًا، ودحَضا مَذاهبَ الضَّالِّينَ والمبتدِعِينَ، فصنَّفا في ذلكَ الْمُصنَّفاتِ التي سارتْ في مشارقِ الأَرضِ ومغارِبِها، وانتفعَ بِها الموافِقُ والمخالِفُ، ومعرفةُ كتبِهما والوقوفُ عليها فيهِ كفايةٌ لمعرفةِ أَقدارِهما، وعلوِّ مراتبِهما"[٢].

وقالَ أَيضًا: "ولا يَخفَى لُطْفُ البارِي في وجودِ شيخِ الإِسلامِ ابنِ تَيميَّةَ رحمه الله في أَثناءِ قُرونِ هذهِ الأُمَّةِ، وتَبيينِ اللهِ بهِ وبتلامذتِهِ مِن الخَيرِ الكثيرِ، والعِلمِ الغَزيرِ، وجِهادِ أَهلِ البِدعِ، والتَّعطيلِ والكفرِ، ثُمَّ انتشارِ كُتبِهِ في هذهِ الأَوقاتِ؛ فلا شكَّ أَنَّ هذا مِن لُطفِ اللهِ لِمَن انتفعَ بِها، وأَنَّهُ يَتوقَّفُ خيرٌ كثيرٌ على وجودِها؛ فللَّهِ الحمدُ، والمنَّةُ والفضلُ"[٣].

بل إِنَّ لَهُ قصيدةً نُونيَّةً عَصْماءَ، أَثنَى فيها على الإِمامَينِ، وذكَّرَ بفضلِهما، ونَفْعِ كتبِهما[٤].

هذا وقد أَكَّدَ معظَمُ المترجِمينَ لَهُ قوَّةَ اتِّصالِهِ بمؤلَّفاتِ ابنِ تيميَّةَ وابنِ القَيِّمِ رحمهما الله، وتأَثُّرِهِ بِهما[٥].

وإِضافةً إِلى ما تقدَّمَ فإِنَّ مؤلَّفاتِهِ مليئةٌ بالنَّقلِ عن هذينِ الإِمامَينِ، والأَخذِ بترجيحاتِهما؛ بل

---

(١) القِدْحُ: السَّهم قبل أَنْ يُراشَ ويُركَّب نصْلُه، والجمع: قِداح، والمراد هنا: الحظُّ الأَوفر. الصِّحاح، ومقاييس اللُّغة، ومُعْجَم الصَّواب اللُّغوي، والْمُعْجَم الوسيط، مادَّة: (قدح).

(٢) التَّوضيح المبين لتوحيد الأَنبياء والمرسلين، (ص:١٠-١١)، وينظر: طريق الوصول إِلى العلم المأْمول، (ص:٢٠٥).

(٣) المواهب الرَّبانيَّة من الآيات القرآنيَّة، (ص:١٤٩-١٥٠).

(٤) الفتاوى السّعديَّة، (ص:٦٥٠-٦٥١).

(٥) ينظر: علماء نجد، (٣/٢٢٠)، وروضة النَّاظرين، (١/٢٩٢).

إنَّ بعضَ تلكَ المؤلَّفاتِ كانتْ شُروحًا لكتبِ هذينِ العَلَمَينِ رحمهما الله[١].

ولقد كانَ رحمه الله مُتجنّبًا للتَّعصُّبِ محذِّرًا مِنهُ؛ حيثُ قالَ رحمه الله: "والحذرَ الحذرَ مِن التَّعصُّبِ للأَقوالِ والقائِلينَ. . . فإِنَّ التَّعصُّبَ مُذهِبٌ للإخلاصِ، مُزيلٌ لبهجةِ العِلْمِ، مُعْمٍ للحقائقِ، فاتحٌ بابَ الحقدِ والخصامِ الضَّارِّ، كما أَنَّ الإنصافَ هو زينةُ العِلْمِ، وعنوانُ الإخلاصِ، والنُّصحِ والفلاحِ. . . ثُمَّ الحذرَ الحذرَ مِن طلبِ العِلْمِ للأَغراضِ الفاسدَةِ، والمقاصدِ السَّيِّئةِ مِن الْمُبَاهَاةِ[٢]، والْمُمَارَاةِ[٣]، والرِّيَاءِ[٤]، والسُّمْعَةِ[٥]، وأَنْ يجعلَهُ وسيلةً للأُمورِ الدُّنيويَّةِ والرِّياسةِ"[٦].

وبعدُ فهذهِ كتبُهُ الفِقهيَّةُ، نَظمُها ونَثرُها، ومُراسلاتُهُ وأَجوبتُهُ نَاطقةٌ، وشَاهدةٌ على ما تقدَّمَ مِن تحريرِ مذهبِهِ الفِقهيِّ في أَوَّلِ أَمرِهِ وآخرِهِ، رحمهُ اللهُ، وأَسكنَهُ فَسِيحَ جنَّاتهِ.

(١) كما سبق: (ص:٦)، وكما سيأْتي في بقيَّة مؤلَّفاته: (ص:٦، ٦، ٦، ٦).
(٢) الْمُبَاهَاةُ: المفاخرة. مُختار الصِّحاح، ولسان العرب، مادَّة: (ب هـ أ).
(٣) الْمِرَاءُ: الجدَل. تهذيب اللُّغة، ولسان العرب، مادَّة: (مري).
(٤) الرِّياءُ: "إظهار العمل للنَّاس ليَرَوه ويظنُّوا به خيرًا". الْمِصباح الْمُنِيْر، (روي).
وقال الجُرْجَانيُّ رحمه الله: "الرِّياءُ: ترك الإخلاص في العمل بملاحظةِ غير الله فيه". التَّعريفات، (ص:١١٣).
(٥) السُّمْعَةُ: فعل الخير في السِّرِّ، ثُمَّ ذِكره للنَّاس؛ ليُحمَد عليه. ينظر: لسان لعرب، والْمُعْجَم الوسيط، مادَّة: (سمع).
(٦) الفتاوى السّعديَّة، (ص:٦٢٩).

المبحثُ السَّادسُ: مَكانتُهُ العِلميَّةُ، وثَنَاءُ العُلماءِ عليهِ. وفيهِ مطلبانِ:

المطْلبُ الأوَّلُ: مَكانتُهُ العِلميَّةُ.

عُرِفَ العلَّامةُ السّعديُّ رحمه الله بالقوَّةِ العِلميَّةِ؛ والانقطاعِ للعِلمِ، والجِديَّةِ في الطَّلبِ، والقراءةِ المتدبِّرةِ، والاهتمامِ بحفظِ المتونِ، والمختصراتِ العِلميَّةِ، وتَعَاهُدِ مراجعتِها، وكثْرةِ الاستشهادِ مِنها، مِن غيرِ مشقَّةٍ ولا عناءٍ، حتَّى بدأَ ينظرُ في الأَحكامِ وأَدلَّتِها، ويقارنُ بيْنَ الآراءِ والاجتهاداتِ، ويرجِّحُ ما قامَ الدَّليلُ على صحَّتِهِ، وسَلمَ مِن المآخذِ، مِن غيرِ تعصُّبٍ لقائلٍ[١]، وامتزجَ عندَهُ الفِقهُ بالأُصولِ، وصارَ يربطُ الفُروعَ بالقواعدِ، ويَقْرِنُ الحُكمَ الشَّرعيَّ بضابطٍ أَو قاعدةٍ؛ لِما أُعطيَ مِن فهمٍ عميقٍ بالكتابِ والسُّنَّةِ، وملَكةٍ قويَّةٍ في لغةِ العربِ، ودِرايةٍ بأَقوالِ الفقهاءِ، وعِلمٍ بمقاصدِ الأَحكامِ، والقواعدِ والأُصولِ[٢]، وطرائقِ الاستنباطِ، ومواضعِ الإجماعِ والخلافِ[٣].

لقدِ اشتُهرَ رحمه الله بمكانتِهِ العلميَّةِ الْمَرمُوقةِ في التَّفسيرِ وعلومِ القرآنِ الكريمِ؛ فمؤلَّفاتُهُ فيهِ كثيرةٌ، منتشرةٌ، وبموضوعاتٍ متنوِّعةٍ[٤]؛ فقد أَلَّفَ تفسيرًا جليلًا، أَلقاهُ في مسجدِهِ مُشافهةً مِن غيرِ كتابٍ يحملُهُ؛ بيَّنَ فيهِ معانيَ الآياتِ، وهِداياتِها، واستنبَط الفوائدَ البديعةَ، والمعانيَ الجليلةَ، حتَّى إنَّ سامعَهُ يَنْجَذِبُ إِليهِ بقلبِهِ، ويودُّ أَنْ لا يسكتَ؛ لفصاحتِهِ، وجَزالَةِ لفظِهِ، وتوسُّعِهِ في سياقِ الأَدلَّةِ، والفوائدِ والحِكمِ، والقَصصِ[٥].

قال الشَّيخُ: بكرُ أَبو زيدٍ رحمه الله[٦]: "نفعَ اللهُ الشَّيخَ ابنَ سعديٍّ بهذا السَّبقِ العِلمِيِّ مِن عالِمٍ نجديٍّ؛ فإِنِّي لا أَعلَمُ في النَّجديِّيْنَ مَن لَهُ تفسيرٌ كاملٌ لكتابِ اللهِ -تعالى- بهذا السَّبكِ والجَودةِ، فقد قَضَى الشَّيخُ ابنُ سعديٍّ -رحمَهُ اللهُ تعالى- الدَّينَ عمَّن قَبْلَهُ، وسَبقَ مَن بعدَهُ، وذلكَ فضلُ

(١) ينظر مؤلَّفاته في الفقه واختياراته، وفتاويه، وما أَلَّفه من كتب في المناظرات الفقهيَّة، وغيرها: (ص:٦-٦).
(٢) ينظر مؤلَّفاته في الأُصول والقواعد الفقهيَّة واهتمامه بها: (ص:٦-٦).
(٣) ينظر: روضة النَّاظرين، (١/٢٩٢-٢٩٣).
(٤) كما سيأْتي في: (ص:٦).
(٥) ينظر: الشَّيخ: عبدالرَّحمن السّعدي كما عرفته، (٣٥-٣٦)، وروضة النَّاظرين، (١/٢٩٧).
(٦) بَكر بن عبدالله أَبو زيد، من قبيلة بني زيد القضاعيَّة، تولَّى القضاء، وعدَّة مناصب، وكان إمامًا وخطيبًا في المسجد النَّبوي، وعضوًا في هيئة كبار العلماء بالمملكة، له مؤلَّفاته كثيرة، منها: "مرويَّات دعاء ختم القرآن الكريم"، و"بِدَع القُرَّاء"، (ت:١٤٢٩هـ). ينظر: أَئمَّة الحرمين، (١٠٦-١١١).

اللهِ يؤتيهِ مَن يشاءُ"[١].

لقد ذاعَ صيتُهُ رحمه الله بينَ النَّاسِ، وامْتَدَّتْ سُمعتُهُ بينَهُم؛ لِما يَحْمِلُ مِن أَخلاقٍ كَريمةٍ، وتَعاملٍ حكيمٍ، وتعليمٍ حسنٍ، وتبحُّرٍ في العِلْمِ؛ حيثُ انتهتْ إليهِ رئاسةُ العِلْمِ في القَصِيمِ سَنَةَ خمسينَ وثلاثمائةٍ وألفٍ مِن الهجرةِ، وصارَ المرجعَ العِلميَّ، والمعوَّلَ عليهِ في أَخذِ العُلومِ[٢]؛ فاجتمعَ إليهِ الطُّلابُ، وأَقبلوا عليهِ يَنهلونَ مِن علمِهِ، ويستفيدونَ مِن تربيتِهِ مِن بقاعٍ شتَّى[٣].

ولقد نقلَ إلينا الثِّقاتُ مِن المترجِمينَ لَهُ واقعًا يعيشونَهُ مع هذا العَلَمِ، وحالةَ مجتمعٍ عَرفَ قدرَهُ، ومنزلتَهُ العِلميَّةَ؛ فسطَّروا لنا الكلماتِ التَّاليةَ:

- قالَ البسَّامُ رحمه الله[٤]: "ولو حصلَ لَهُ جَولةٌ في بلادِ العالَمِ، وجالسَ العُلماءَ والمفكِّرينَ، واطَّلعَ على ما يقدِّمُهُ العِلْمُ الحديثُ مِن صِناعةٍ واختراعٍ واكتشافٍ لَتفتَّحتْ أَمامَهُ آفاقٌ واسعةٌ، ومعَ هذا فقد كاتَبَ علماءَ الأمصارِ، ومفكِّري الآفاقِ في جديدِ المسائلِ، وعويصاتِ الأُمورِ، حتَّى صارَ لديهِ محاولةٌ لتطبيقِ بعضِ النُّصوصِ الكريمةِ على بعضِ مخترعاتِ ومكتَشفاتِ هذا العصرِ وحوادثِهِ[٥]، ما يُظهرُ أَسرارَ الشَّريعةِ، واتِّصالَها بِما يَجِدُّ في العصرِ الحديثِ"[٦].
- وقال العَدويُّ[٧]: "وطلابُ الشَّيخِ الذين علَّمَهم في المسجدِ همُ الذين تولَّوا التَّدريسَ في المدارسِ والمعاهدِ التي فتَحتها الدَّولةُ في بلدتِهم، فكان الشَّيخُ يكتبُ بيدِهِ شهادةً يقولُ فيها: إِنَّ فلانًا درَسَ علومَ كذا وكذا في كتُبِ كذا وكذا، وهو يصلُحُ لتَّدريسِ هذهِ الموادِّ في المستوى الابتدائيِّ، أَو الإعداديِّ، أَو الثَّانويِّ، وتأْخذُ الدَّولةُ بشهاداتِ الشَّيخِ التي

---

(١) مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، ط١، (١٧/٢).

(٢) ينظر: مواقف اجتماعيَّة، (ص:٢٢).

(٣) ينظر: علماء نجد، (٢٢١/٣)، ومقدِّمة البسَّام لتحقيق: "التَّعليق وكشف النِّقاب"، (ص:١١).

(٤) سبقت ترجمته: (ص:٦).

(٥) سبقت أَمثلة ذلك: (ص:٦).

(٦) ينظر: علماء نجد، (٣/٢٢٠-٢٢١).

(٧) الشَّيخ: عبدالرَّحمن العدويّ، من علماء الأَزهر، درَّس في ثانويَّة عُنَيْزَة، ثُمَّ المعهد العلميِّ فيها، وعمل مستشارًا في الجامعة الإِسلاميَّة، وله ترجمة متميِّزة للسّعديِّ، وهو الذي أَشار عليه بوضع مكبِّر للصَّوت في الجامع. ينظر: مجلَّة الجامعة الإِسلاميَّة، السَّنة:١١، العدد:٤، (ص:٢٠٥، ٢٠٧).

أَثبتَتِ التَّجربةُ فيما بعدُ أَنَّها مُعبِّرةٌ عن الحقيقةِ أَصدقَ تَعبيرٍ"(١).

لقدْ عَرفَ المسؤولونَ عِلميَّتَهُ، وخبَروا بُروزَهُ؛ لذا حرَصوا على تَوليتِهِ القضاءَ عامَ ستِّينَ وثلاثِمائةٍ وأَلفٍ هجريَّةٍ، إِلَّا أَنَّهُ آثرَ التَّورُّعَ، وعدمَ الالتزامَ بعملٍ رَسْميٍّ يَشْغَلُهُ عن العِلْمِ والتَّعليمِ(٢).

إِنَّ المكانةَ العِلميَّةَ للسّعديِّ رحمه الله لا تخفى؛ فالتَّلاميذُ يطلُبونَ العِلْمَ بَيْنَ يديهِ، وأَسئلةُ الخاصَّةِ والعامَّةِ تَتْرَى عليهِ، مِن أَقطارٍ بعيدةٍ، ومِن داخلِ المملكةِ وخارجِها(٣).

لقدْ أَدركَ الجميعُ منزلتَهُ، ومكانتَهُ العِلميَّةَ فلم يكن عندَهُم تردُّدٌ في قبولِ نُصحهِ وتوجيهِهِ، ولا تأَخُّرٌ عن سؤالِهِ فِيما أَشْكلَ أَو اختلفوا فيهِ، وإِنَّ قبولَ شفاعتِهِ، والاطمئنانَ إِلى رأْيِهِ ومشورتِهِ، وتقديرَ إِصلاحِهِ، لعنوانٌ بارزٌ، وشَهادةٌ واقعيَّةٌ على علوِّ قَدرِهِ ومنزلتِهِ العِلميَّةِ في نفوسِهم، ولا عجبَ أَنْ يَتسابَقُوا لدعوتِهِ في بيوتِهم وضيافتِهِ، وأَنْ يَفرحوا ويَأْنسوا بِمجالَستِهِ؛ فمجالِسُهُ مَجالسُ خيرٍ وهدىً، محتويةٌ على البحوثِ العلميَّةِ، والفوائدِ الاجتماعيَّةِ، والتَّربويَّةِ، مع حرصٍ على إِيصالِ المعلوماتِ لأَذهانِ الحضورِ بأُسلوبٍ لطيفٍ حكيمٍ، مشتملٍ على المتعةِ، والفائدةِ، ومع دُعابةٍ لا تُسقِطُ مِن هيبَتِهِ، ولا تُخِلُّ بوَقارِهِ(٤).

وحقيقةُ الواقعِ تقولُ: إِنَّ العلَّامةَ السّعديَّ رحمه الله قد تَرجمَ عِلمَهُ إِلى أَفعالٍ تَتحدَّثُ عنهُ، فقد كانَ حريصًا على نفعِ الخَلقِ، ونَشْرِ العِلْمِ، ودعوةِ النَّاسِ؛ تَستوقِفُهُ العَجوزُ والطِّفلُ والمكروبُ فيقضِي حوائِجَهم، ويجيبُ عن مسائِلِهم، ومشكلاتِهم، ويناصِحُ كلَّ إِنسانٍ بِما يصلِحُهُ، وبِما يكشفُ لَهُ ما كانَ واقعًا فيهِ مِن خطأٍ؛ لِما وهبَهُ اللهُ تبارك وتعالى مِن قُدرةٍ على حَلِّ المشكلاتِ التي تَحُلُّ بالنَّاسِ بيُسرٍ وسُهولةٍ، وفضٍّ للمنازَعاتِ بوَسطِيَّةٍ، وذكاءٍ وحِنكةٍ، وأُسلوبٍ حكيمٍ يأْخذُ بالقُلوبِ؛ فيزيلُ حِدَّةَ الغضبِ والشَّحناءِ(٥).

ومع ما تقدَّمَ فقد كان جَريئًا في الحقِّ، شاهدًا بلا مُحاباةٍ، ناصحًا للخَلقِ، لا تأْخذُهُ في اللهِ

(١) مجلَّة الجامعة الإِسلاميَّة، السَّنة:١١، العدد:٤، (ص:٢٠٨)، وينظر: علماء نجد، (٣/٢٢٤).

(٢) ينظر: علماء نجد، (٣/٢٢٢)، ومواقف اجتماعيَّة، (٨٣-٨٩).

(٣) ينظر: حاشية هذا التَّحقيق: (ص: ٦، ٦، ٦).

(٤) ينظر: مقدِّمة البسَّام لتحقيق: "التَّعليق وكشف النِّقاب"، (ص:١٢)، والشَّيخ: عبدالرَّحمن السّعدي كما عرفته، (ص:١٥-١٧).

(٥) ينظر: الشَّيخ: عبدالرَّحمن السّعدي كما عرفته، (ص:١٥)، ومواقف اجتماعيَّة، (ص:٥٢).

لَوْمَةُ لائمٍ(١).

إنَّ مَن اجتمعَ بهِ، أَو تَتلمذَ عليهِ، أَو باحثَهُ، أَو قَرأَ مُصنَّفاتِهِ أَو شَيئًا مِن أَجوبَتِهِ عرَفَ مكانَتَهُ العِلميَّةَ الواسعةَ، ويكفي دِلالةً على ذلكَ أَنَّهُ جلسَ للتَّدريسِ والإفتاءِ وهو في أَوَّلِ عِقدِهِ الثَّالثِ، وأَنْ تخرَّجَ على يديهِ الكثيرُ مِن العُلماءِ والقُضاةِ والمربِّينَ، وأَنَّ مؤلَّفاتِهِ تَعدَّدَتْ، وتنوَّعتْ، وانتشرتْ في الآفاقِ، وأَنَّ أَهلَ العِلْمِ لَهُ شهودٌ باتِّساعِ المدارِك، وامتدادِ المعارِفِ، وأَنَّ مَن عرَفهُ أَحبَّهُ، واستفادَ مِنهُ.

إنَّ دروسَهُ العِلميَّةَ ومؤلَّفاتِهِ المتنوّعةَ، وشروحَهُ لكُتُبِ أَكابرِ العُلماءِ، شاهداتٌ متكرِّرةٌ بعِلميَّتِهِ، ومكانتِهِ الفَريدةِ بيْنَ العلماءِ، قالَ القَاضِي(٢): "وكان واسعَ الاطِّلاعِ في فنونٍ عديدةٍ، ففي كلِّ فنٍّ يخوضُ فيهِ تقولُ: هذا فَنُّهُ المختصُّ بهِ، وهذهِ مؤلَّفاتُهُ بيْنَ أَيدي القُرَّاءِ أَكبرُ شاهدٍ على ما ذكرتُهُ"(٣).

إنَّ مَن اطَّلعَ على كُتبهِ ومؤلَّفاتِهِ، وتنوّعِ فُنونِها، وكثرتِها أَيقنَ أَنَّهُ أَمامَ بحرٍ من بُحورِ العِلمِ، الذين شهدَ لهم القَاصي والدَّاني بالقَبولِ، والمكانةِ العِلميَّةِ والمحبَّةِ، ولا أَدلَّ على ذلكَ من انتشارِها، وتكرُّرِ طَبعاتِها، وقِراءةِ بعضِها في المساجدِ والمجالسِ، وما تلكَ الرَّسائلُ العِلميَّةُ، والجوانبُ البَحثيَّةُ عنَّا ببعيدٍ؛ فلقد صارتْ مؤلَّفاتهُ مجالًا خصباً لطلَّاب العِلم، ينهلون منها ويستفيدون؛ بحثًا ونقلًا، وتحقيقًا وتأْليفًا(٤).

ومعَ مُهمَّتِهِ الأَساسيَّةِ في التَّعليمِ والتَّأْليفِ فقد تمَّ اختيارُهُ لإمامةِ الجامعِ الكبيرِ في عُنيزةَ معَ أَنَّهُ ليسَ في منصِبِ القَضاءِ، خِلافًا للمُعتادِ في وقتِهِ(٥)، فكان نِعمَ الموجِّهُ والمربِّي في مِحرابِهِ ومِنبَرِهِ،

---

(١) ينظر: مواقف اجتماعيَّة، (ص:١٠٥-١٠٧).

(٢) سبقت ترجمته: (ص:٦).

(٣) روضة النَّاظرين، (٢٩٣/١).

(٤) ينظر: مؤلَّفاته: (ص:٦-٦)، وما سبق من عنواين الرَّسائل والبحوث في كتب الشَّيخ رحمه الله: (ص:٦-٦).

(٥) كان من المعتاد أنَّ قاضي البلدِ هو الذي يقوم بالإمامة، والخطابة، حتَّى تولَّى قضاء عنيزة الشَّيخ: عبدالرَّحمن بن علي بن عُوْدَان، فعيَّن السّعديَّ رحمه الله إمامًا وخطيبًا لجامع عُنَيْزَة سَنة إحدى وستِّين وثلاثمائة وألف هجريَّة، ففرح النَّاس بذلك، وانفصلت الإمامة والخطابة في الجامع منذ ذلك الوقت عن منصب القضاء، وتحقَّقت رؤيا أُمِّه حين حملت به، حيث رأَت كأَنَّها تبول في محراب المسجد الجامع، ففزعت لذلك، فقصَّت رؤياها على زوجها، -وكان عنده طرف من علم التَّعبير- فقال لها: إنْ صدقت رؤياك فستلدين غلامًا يكون إمامًا في =

فمِن خلالِهِ يبُثُّ علومَهُ، وينشرُ تربيتَهُ.

لقد كان السّعديُّ رحمه الله أحدَ المؤسِّسِينَ لـ"المكتبةِ الوطنيَّةِ" بعنيزةَ سَنةَ تسعٍ وخمسينَ وثلاثِمائةٍ وألفٍ هجريَّةٍ، وتأْمينِ المراجعِ العلميَّةِ لَها[١].

ولِمكانةِ هذا العَلَمِ العِلميَّةِ فقد عُهِدَ إليهِ الإشرافُ على المعهدِ العِلميِّ في عُنيزةَ لَمَّا افتُتِحَ عامَ ثلاثةٍ وسبعينَ وثلاثِمائةٍ وألفٍ هجريَّةٍ؛ احتسابًا لوجهِ اللهِ تبارك وتعالى[٢]، فقامَ بذلكَ خيرَ قيامٍ؛ إشرافًا على المناهجِ والمعلِّمِينَ، وموجِّهًا وزائرًا ومحاضِرًا بانتظامٍ، واتِّزانٍ.

محراب المسجد الجامع. ينظر: علماء نجد، (٣/٢١٩، ٢٥٨)، وروضة النَّاظرين، (١/٢٩٦)، ومقدِّمة البسَّام لتحقيق: "التَّعليق وكشف النِّقاب"، (ص:٨).

(١) ينظر: روضة النَّاظرين، (١/٢٩٥).

(٢) ينظر: مواقف اجتماعيَّة، (ص:٩٥).

المطلبُ الثَّاني: ثَناءُ العُلماءِ عليهِ.

لم يكنِ السّعديُّ رحمه الله ينتظرُ مِن أحدٍ مدحًا وثناءً، بل كان يَنهى أَنْ يُفعلَ ذلك في حضرتِهِ(١)، وأَغلبُ الثَّناءِ عليهِ حاصلٌ بعد وفاتِهِ.

وبقراءةِ شَيءٍ مِمَّا كتبَهُ العارِفونَ بهِ نجِدُ أَنَّهُم يُثنونَ عليهِ في التَّحصِيلِ العِلمِيِّ، وسَلامةِ العقيدةِ، واستحضارِ الجوابِ، والحِكمةِ في التَّعاملِ، والتَّواضعِ الجمِّ، والتَّأَدُّبِ مع المخالِفينَ.

لقد أَثْنَى عليهِ ثُلَّةٌ مِن مَشايخِهِ، وزملائِهِ، وأَصدقائِهِ، والْمُعاصِرينَ لَهُ مِن العُلماءِ، كما أَثنَى عليهِ طلَّابُهُ ومُحِبُّوهُ، وتأَثَّروا بهِ، وأَرشَدوا إِلى اقتناءِ كتبِهِ، والاستفادةِ مِنها، بل إِنَّ العامَّةَ في بلَدهِ تَحتفظُ بكثيرٍ مِن سِيرتِهِ، وتَفرحُ بذكرِهِ، وتُعَدِّدُ مُنجزاتِهِ، وتَذْكرُ طَرَفًا مِن حِكْمتِهِ وتَعاملِهِ، وإِحسانِهِ، ومِمَّا سطَّرَهُ المعاصِرونَ له، العَارِفون بهِ ما يلي:

- قال الفَقِي رحمه الله(٢): "لقد عرفتُ الشَّيخَ عبدَالرَّحمنِ بنَ ناصرٍ السّعديَّ مِن أَكثرَ مِن عشرينَ سَنةٍ، فعرفتُ فيهِ العالِمَ السَّلفيَّ، المدقِّقَ المحقِّقَ، الذي يبحثُ عن الدَّليلِ الصَّادقِ، ويُنَقِّبُ عن البُرهانِ الوَثيقِ، فيَمشِي وراءَهُ لا يَلوي على شَيءٍ ... عرفتُ فيهِ العالِمَ السَّلفيَّ، الذي فَهِمَ الإِسلامَ الفَهمَ الصَّادقَ، وعرفَ فيهِ دعوتَهُ القَويَّةَ الصَّادِقةَ إِلى الأَخذِ بكلِّ أَسبابِ الحياةِ العَزيزةِ، القَويَّةِ، الكريمةِ، النَّقيَّةِ"(٣).
- وقالَ ابنُ بازٍ رحمه الله: "كانَ رحمه الله كثيرَ الفِقهِ، والعِنايةِ بمعرفةِ الرَّاجحِ مِن المسائلِ الخلافيَّةِ بالدَّليلِ، وكانَ عظيمَ العِنايةِ بكتُبِ شيخِ الإِسلامِ ابنِ تَيميَّةَ، وتِلميذِهِ العلَّامةِ ابنِ القَيِّمِ، وكانَ يُرجِّحُ ما قامَ عليهِ الدَّليلُ، وكانَ قليلَ الكلامِ؛ إِلَّا فيما تَترَتَّبُ عليهِ فائدةٌ، جالستُهُ غيرَ مرَّةٍ في مكَّةَ والرِّياضِ، وكانَ كلامُهُ قليلًا إِلَّا في مسائلِ العِلْمِ، وكانَ مُتواضعًا، حَسنَ

(١) ينظر: مواقف اجتماعيَّة، (ص:٤٢-٤٣).

(٢) الشَّيخ: محمَّد حامد الفَقِي، مؤسِّس: "جماعة أنصار السُّنَّة المحمَّديَّة" بمصر، و"مجلَّة الهدي النَّبويّ"، صدع بالتَّوحيد، وقاوم البدع، وتأَثَّر بكتب ابن تَيميَّة وابن القَيِّم رحمهما الله، وله درس في المسجد الحرام حين حضوره إلى مكَّة، وله اهتمام بنشر كتب السَّلف -عفا الله عنا وعنه-، (ت:١٣٧٨هـ). ينظر: مُعْجَم المؤلِّفين، لعمر كحَّالة، (١٧٢/٩-١٧٣)، وتحفة الإخوان بتراجم بعض الأَعيان، لابن باز، (ص:٣١-٣٢).

(٣) سيرة العلَّامة الشَّيخ عبدالرَّحمن الناصر السّعدي، جمع محمَّد حامد الفَقِي، (ص:٣).

الخُلقِ، ومَن قرأَ كُتبَهُ؛ عرَفَ فضلَهُ وعلمَهُ، وعنايتَهُ بالدَّليلِ، فرحِمَهُ اللهُ رحمةً واسعةً"(١).

- وقالَ الألبانيُّ رحمه الله: "التقيتُهُ في دمشقَ قبلَ أكثرَ مِن أربعينَ سنةً، وآنستُ منه عِلماً جمًّا، ورأيتُ فيهِ تواضعَ العُلماءِ، وهو في هذا كسائرِ عُلماءِ نجدٍ؛ يُذكِّرونَنا بأخلاقِ العُلماءِ المتقدِّمينَ، وتَواضُعِهِم، وليس كغيرِهم ممَّن جَعلَهُم عِلمُهم مَغرُورِينَ، مُتكبِّرِينَ"(٢).

- وقالَ عبدُالرَّزاقِ عَفِيْفِي رحمه الله(٣): "فإنَّ العلماءَ في هذا العصرِ كثيرٌ، ولكنْ قلَّ مِنهم مَن يستقِي الحُكمَ مِن مَنْبَعِهِ، ويُسنِدُهُ إلى أصلِهِ، ويُتْبِعُ القولَ العملَ، ويتحرَّى الصَّوابَ في كلِّ ما يأْتي ويذرُ، وإنَّ مِن ذلكَ القليلِ -فيما أعتقدُ- الشَّيخَ الجليلَ: عبدَالرَّحمنِ بنَ ناصرِ بنِ سعديٍّ رحمه الله، فإنَّ مَن قرأَ مصنَّفاتِهِ، وتَتبَّعَ مؤلَّفاتِهِ، وخَالطَ وسَبَرَ حالَهُ أيَّامَ حياتِهِ، عرَفَ مِنهُ الدَّأبَ في خدمةِ العِلْمِ اطِّلاعًا وتعليمًا، ووقفَ مِنهُ على حُسنِ السِّيرةِ، وسماحةِ الخُلقِ، واستقامةِ الحالِ، وإنصافِ إخوانِهِ، وطلَّابِهِ مِن نفسِهِ، وطلبِ السَّلامةِ فيما يجرُّ إلى شرٍّ، أو يُفضي إلى نزاعٍ أو شِقاقٍ، فرحِمَهُ اللهُ رحمةً واسعةً"(٤).

- وقالَ ابنُ عُثَيْمِينَ رحمه الله: "إنِّي تأثَّرتُ بهِ كثيرًا في طريقةِ التَّدريسِ، وعَرضِ العِلْمِ، وتقريبِهِ للطَّلبَةِ بالأمثلةِ والمعاني، وكذلكَ -أيضًا- تأثَّرتُ بهِ مِن ناحيةِ الأخلاقِ؛ لأنَّ الشَّيخَ عبدَالرَّحمنِ رحمه الله كانَ على جانبٍ كبيرٍ مِن الأخلاقِ الفاضلةِ، وكانَ رحمه الله على قدرٍ كبيرٍ في العِلْمِ والعبادةِ، وكانَ يمازحُ الصَّغيرَ، ويَضحَكُ إلى الكبيرِ، وهو مِن أحسنِ مَن رأيتُ أخلاقًا"(٥).

---

(١) مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (١/٥).

(٢) المرجع السَّابق.

(٣) الشَّيخ: عبدالرَّزَّاق بن عَفِيْفِي بن عطيَّة بن عبدالبَرِّ بن شرف الدِّين النُّوبيّ، سَلفيُّ العَقيدة، وأوَّل وكيل لـ"جماعة أنصار السُّنَّة المحمَّديَّة"، وثاني رؤسائها، ومن كتَّاب مجلَّة: "الهدي النَّبويّ"، درَّس بالمعاهد العلميَّة للأزهر، ثُمَّ نُدب إلى للتَّدريس في السُّعوديَّة، فدرَّس في دار التَّوحيد، والمعهد العلميِّ بالرِّياض وعُنَيْزَة، وكليَّة الشَّريعة واللُّغة العربيَّة، والمعهد العالي للقضاء بالرِّياض، ثُمَّ عيِّن عضوًا في هيئة كبار العلماء، وله تعليق على: "الإحكام في أُصول الأحكام"، وعلى: "تفسير الجلالَين"، (ت:١٤١٥هـ). ينظر: علماء نجد، (٣/٢٧٥-٢٧٩)، وتكملة مُعْجَم المؤلِّفين، لمحمَّد خير، (ص:٢٨٧-٢٨٨).

(٤) المجموعة الكاملة، مقدّمة حكم شرب الدّخان، (١٦/٤٧٩).

(٥) شرح ثلاثة الأُصول، للعُثَيْمِين، (ص:١٤).

- وقالَ ابنُ عقيلٍ رحمه الله[١]: "ومَن تأمَّلَ كُتبَ شيخِنا وجدَهُ دقيقًا في عباراتِهِ، مُستوعِبًا موضوعاتِهِ، خاليًا مِن الحَشوِ والتَّطويلِ، مُقتصِرًا على الفوائدِ الْمُتَعلِّقةِ ببحثِهِ؛ ولَعلَّ هذا ببركةِ عُكوفِهِ على كُتبِ شيخِ الإسلامِ ابنِ تَيميَّةَ وتلميذِهِ ابنِ القَيِّمِ رحمهما الله، وما امتازتْ بِهِ كِتاباتُهُما مِن دِقَّةٍ، وخلوِّها مِن الحشوِ، وقد يكونُ ذلك فتحًا مِن اللهِ تبارك وتعالى، فالرَّجلُ صالحٌ، ونيَّتُهُ صالحةٌ، وقَصدُهُ الأَوَّلُ والأَخيرُ نفعَ المسلِمينَ، بعيدًا عن الأَنانيَّةِ؛ فلِهذا عَلِمَ اللهُ صِدقَهُ، ففتحَ عليهِ بِهذهِ الفُتوحاتِ المباركةِ"[٢].

- وقال العَدويُّ[٣]: "لقد كان الشَّيخُ عبدُالرَّحمنِ السّعديُّ مِن النَّاحيةِ الدِّينيَّةِ هو كلُّ شيءٍ في عُنيزةَ؛ فقد كانَ العالِمَ والمعلِّمَ، والإمامَ والخطيبَ، والمفتيَ والواعظَ والقاضيَ، وصاحبَ مدرسةٍ دينيَّةٍ لَهُ فيها تلاميذُ منتظِمونَ"[٤].

إنَّ الثَّناءَ على هذا العَلَمِ لم ينتهِ، وكلامُ العُلماءِ عنهُ كثيرٌ، وشاهدُ الحالِ ظاهرٌ مِن كُتبهِ، وأُسلوبِهِ في خطاباتِهِ، ومراسلاتِهِ، ونَفْعِهِ العامِّ والخاصِّ، وهذا كافٍ في معرفةِ شخصيَّتِهِ، وما يتمتَّعُ بهِ مِن علمٍ وعملٍ، وأَخلاقٍ وحِكمةٍ، وتعاملٍ فريدٍ.

---

(١) سبقت ترجمته: (ص:٦).
(٢) ينظر: الشَّيخ: عبدالرَّحمن السّعدي كما عرفته، (ص:٤٨)، ومواقف اجتماعيَّة، (ص:١٢٠-١٢١).
(٣) سبقت ترجمته: (ص:٦).
(٤) مجلَّة الجامعة الإسلاميَّة، السَّنة:١١، العدد:٤، (ص:٢٠٧).

المبحثُ السَّابعُ: تَعلِيمُهُ، ومُؤلَّفاتُهُ(١)، وفيهِ مطلبانِ:

المطلبُ الأَوَّل: تَعلِيمُهُ:

لقد كانَ العلَّامةُ السّعديُّ رحمه الله مُنظِّمًا وقتَهُ(٢)، حافظًا لَهُ، مُتوازنًا في تنظيمِهِ، والمتتبِّعُ لسيرتِهِ، وإنتاجِهِ العِلمِيِّ يجدُ أَنَّهُ سارَ في نشرِ علمِهِ في طريقينِ مُتوازِيَينِ هامَّينِ:

أَحدِهما: التَّعليمُ في المسجدِ، وإلقاءُ الخُطبِ، والمحاضراتِ واللِّقاءاتِ في المدارسِ، والمعهدِ العلميِّ، وإفادةُ الحاضِرينَ خلالِ الجَلَساتِ الخاصَّةِ في البُيوتِ(٣).

والثَّاني: التَّأْليفُ، وكتابةُ الرَّسائلِ، والرُّدودِ على المخالِفينَ، والإجابةُ عن الأَسئلةِ التي تردُ إِليهِ مِن داخلِ المملكةِ وخارجِها(٤).

أَمَّا التَّعليمُ فكانَ في فنونٍ مُتنوِّعةٍ مِن العِلْمِ، وعلى طريقةٍ، وترتيبٍ اختارَهُ(٥)؛ فقد كانَ لَهُ في المسجدِ مِن أَربعٍ إِلى ستِّ جلساتٍ علميَّةٍ يوميَّةٍ(٦)، وبيانُها كمَا يلي:

١- مِن بعدِ طلوعِ الشَّمسِ بنصفِ ساعةٍ -تقريبًا- إلى الضُّحى.

٢- مِن نهايةِ الضُّحَى حتَّى قُبَيلَ الظُّهرِ، وهذهِ الجَلسةُ يحضرُها بعضُ كبارِ الطُّلابِ، وقد

---

(١) قال ابنه محمَّد: "وكان هو الذي يخطُّ مؤلَّفاته بيده، وفي بعض الأَحيان يقوم بنسخه أَكثر من مرَّة، وإنْ كان مشغولًا أَو مُجْهَدًا يستأْجر من يقوم بنسخ كتبه، وبعض مؤلَّفاته ورسائله. . . وللشَّيخ أَشخاص معروفون استعان بهم في نسخ بعض مؤلَّفاته". مواقف اجتماعيَّة، (ص:٥١).

(٢) كانت معه أَوراق صغار يكتب فيها مواعيده. ينظر: مواقف اجتماعيَّة، (ص:٩٢، ١٩٧-١٢٠١).

(٣) ينظر: علماء نجد، (٣/٢٢٣-٢٢٥)، ومواقف اجتماعيَّة، (ص:٤١).

(٤) ينظر: علماء نجد، (٣/٢٢٣-٢٢٤)، وروضة النَّاظرين، (١/٢٩٦-٢٩٧)، والأَجوبة السّعديَّة عن المسائل القصيميَّة، والأَجوبة السّعديَّة عن المسائل الكويتيَّة، والأَجوبة النَّافعة عن المسائل الواقعة، والفتاوى السّعديَّة، (ص:٦، ٦، ٦)، من هذا التَّحقيق.

(٥) طريقته فريدة مفيدة، أَخذها عن شيخه: محمَّد أَمين الشّنْقِيْطِيّ؛ يقرأُ العبارة، ثُمَّ يوضِّح معناها، ثُمَّ يمثِّل لها، ويذكر دليلها، وحِكمة التَّشريع منها، وإنْ كان هناك قول آخر أَرجح منها ذكره بنفس الطَّريقة، وأَجاب عن أَدلَّة القول المرجوح، وكان يجمع الطُّلاب كلَّهم على كتاب، وبعد الفراغ من الجلسة يطلب من ثلاثة منهم إعادة ما فهموه؛ ليختبر فهمهم، وحفظهم. ينظر: علماء نجد، (٣/٢٢٤)، وروضة النَّاظرين، (١/٢٩٧).

(٦) ينظر: علماء نجد، (٣/٢٢٤، ٥/٢٥٧)، والشَّيخ: عبدالرَّحمن السّعدي كما عرفته، (ص:٣٠)، وروضة النَّاظرين، (١/٢٩٨).

تنقطعُ أَحيانًا.

٣- قبلَ صلاةِ العصرِ بنحوِ نصفِ ساعةٍ -تقريبًا- حتَّى الصَّلاةِ.

٤- بعدَ صلاةِ العصرِ يُلْقِي درسًا على الْمُصَلِّينَ.

٥- بعدَ صلاةِ المغربِ، وهذهِ الجَلسةُ قد تستمرُّ، وقد تنقطعُ.

٦- درسٌ عامٌّ، قبلَ أَذانِ العِشاءِ إِلى إِقامةِ الصَّلاةِ، وغالبًا يكونُ في التَّفسيرِ، والوعظِ(١).

ولقد كانتْ طريقتُهُ في التَّعليمِ مُشَوِّقةً، ومخالِفةً للمعتادِ في بلادِ نجدٍ، ويتَّضحُ ذلكَ بالآتي:

- أَنَّهُ يستشيرُ طلَّابَهُ في الكتابِ الذي يريدونَ قراءتَهُ.

- ويعقِدُ المناظراتِ العِلميَّةَ بينَهم؛ ليحصلَ التَّنافسُ؛ وليرسُخَ العِلْمِ بينَهم.

- ويطرحُ المسائلَ العِلميَّةَ؛ ليستخرجَ الجوابَ مِنهُم.

- ورُبَّما غلَّطَ نفسَهُ؛ ليتَّضحَ لَهُ الفاهِم مِن غيرِهِ.

- وقد يصوِّرُ المسأَلةَ الخلافيَّةَ بيْن طالِبينِ؛ كلُّ واحدٍ مِنهما يتبنَّى قولًا، ويُدافعُ عنهُ، ثُمَّ هو يرجِّحُ القولَ الذي يَختارُهُ بالدَّليلِ أَو التَّعليلِ.

- كثيراً ما يطلبُ مِن التَّلاميذِ إِعادةَ ما فهموهُ مِن الدَّرسِ؛ لتثبيتِ ما تعلَّموهُ.

- في بدايةِ الدَّرسِ يُناقشُ طلَّابَهُ عن الدَّرسِ السَّابقِ؛ مِمَّا يدفعُهم إِلى المذاكرةِ، والمراجعَةِ.

- يخصِّصُ المكافآتِ للطلَّابِ؛ تشجيعًا لهم على طلبِ العِلمِ، وإِعانةً لَهم على العَيشِ(٢).

ولهذا العَلَمِ مُحاضراتٌ، ودُروسٌ في المدارسِ الحكوميَّةِ مرَّةً أَو مرَّتينِ في الأُسبوعِ، أَمَّا المعهدُ العِلميُّ في عُنيزةَ فلَهُ فيهِ مُحاضراتٌ ودُروسٌ مُجدوَلةٌ كلَّ يومِ ثلاثاءٍ؛ احتِسابًا لوجهِ اللهِ ﷻ(٣).

(١) ينظر: علماء نجد، (٣/٢٢٤).

(٢) ينظر: علماء نجد، (٣/٢٢٤-٢٢٥)، والشَّيخ: عبدالرَّحمن السّعدي كما عرفته، (٣٠-٣٣)، وروضة النَّاظرين، (١/٢٩٦-٢٩٧)، ومجلَّة الجامعة الإسلاميَّة، السَّنة:١١، العدد:٤، (ص:٢٠٦).

(٣) ينظر: مواقف اجتماعيَّة، (ص:٢٢-٢٣، ٩٥).

المطلبُ الثَّاني: مُؤَلَّفاتُهُ(١):

اعتنَى العلَّامةُ السّعديُّ ﵀ بالتَّأْليفِ في وقتٍ مُبكِّرٍ مِن عُمُرِهِ(٢)، وكانتْ لَهُ فيهِ هِمَّةٌ عاليةٌ؛ وكان يهدِفُ إلى تقريبِ العلومِ للعامَّةِ والخاصَّةِ، ومَن طالعَ مؤلَّفاتِهِ وَجَدَ أَنَّها مُركَّزةٌ مُنقَّحةٌ، خَاليةٌ مِن التَّكلُّفِ، وفي ثناياها علمٌ غزيرٌ، مع لَطافةٍ في الأُسلوبِ، وجَمالٍ في العَرضِ، وقوَّةٍ في الإقناعِ، وتنوُّعٍ في العلومِ، كما يتَّضحُ بجلاءٍ لِمَن قرأَها أَنَّهُ لم يَشغَلْ نفسَهُ بفضولِ العِلْمِ، وما لا يُحتاجُ إليهِ في فَهمِ الإسلامِ، والاستعدادِ لدارِ السَّلامِ، قالَ القاضِي(٣): "وكانتِ الكتابةُ سهلةً عليهِ في قلمٍ أَو عُوْدِ عُصْفُرٍ(٤) أَو غيرِها، مِمَّا جعلَ شيخَهُ محمَّدَ الشَّنْقِيطِيَّ يقولُ: ما وصفتُهُ في مخطوطاتِهِ إلَّا على الزُّهادِ في الدُّنيا، يأْخذُ ما عفا لَهُ بدونِ تكلُّفٍ"(٥).

ومِمَّا لا شكَّ فيهِ أَنَّ التَّأْليفَ قد ذُلِّلَ لَهُ؛ فقد كتبَ بيدِهِ مُصنَّفاتٍ كثيرةً، وفي مَوضوعاتٍ متنوِّعةٍ، ومِن ذلكَ ما يلي:

أَوَّلًا: العَقِيدةُ(٦):

١- الأَدلَّةُ القواطعُ والبراهينُ في إبطالِ أُصولِ الملحِدينَ.

٢- أُصولُ الدِّينِ.

٣- أُصولٌ عظيمةٌ مِن قواعدِ الدِّينِ الإسلاميِّ.

٤- انتصارُ الحقِّ.

٥- البَراهينُ العقليَّةُ على وحدانيَّةِ الرَّبِ، ووجوهِ كمالِهِ.

٦- التَّنبيهاتُ اللَّطيفةُ على ما احتوتْ عليهِ الواسطيَّةُ مِن المباحثِ الْمُنيفةِ.

---

(١) سيتمُّ التَّنبيه على الكتب التي جُمعت بعد وفاته ﵀، حين التَّعليق عليها.

(٢) سبق بيان ذلك: (ص:٦).

(٣) سبق ترجمته: (ص:٦).

(٤) العُصْفُرُ: "نَبَات صَيْفِيٌّ من الفَصيلة المركَّبة، أُنبوبيَّةُ الزَّهر، يُسْتَعْمل زهره تابلًا، ويُستخرج منه صبغ أَحْمَر يصْبغ به الحرير ونحوه". الْمُعْجَم الوسيط، وينظر: مُختار الصِّحاح، ولسان العرب، مادَّة: (عصفر).

(٥) روضة النَّاظرين، (١/٢٩٧).

(٦) كلُّ الكتب الخاصَّة بالعقيدة قد سبق التَّعريف بها: (ص:٦-٦).

٧- تَنزيهُ الدِّينِ وحملتِهِ ورجالِهِ مِمَّا افتراهُ القَّصِيْمِيُّ[١] في أَغلالِهِ.

٨- التَّوضيحُ الْمُبينُ لتوحيدِ الأَنبياءِ والمرسَلِينَ مِن الكافيَةِ الشَّافيَةِ.

٩- تَوضيحُ مَعاني الكافيَةِ الشَّافيَةِ في الانتصارِ للفِرقةِ النَّاجيةِ.

١٠- التَّوضيحُ والبيانُ لشجرةِ الإِيمانِ.

١١- الحقُّ الواضحُ المبينُ في شرحِ توحيدِ الأَنبياءِ والمرسَلِينَ مِن الكافيَةِ الشَّافيَةِ.

١٢- الدُّرةُ البهيَّةُ شرحُ القصيدةِ التَّائيَّةِ في حَلِّ المشكلةِ القدريَّةِ.

١٣- الدُّرَّةُ الفاخرةُ في التَّعليقِ على مَنظومَةِ السَّيرِ إِلى اللهِ، والدَّارِ الآخرةِ.

١٤- رِسالةٌ في خروجِ الدَّابةِ، وحَقيقتِها.

١٥- سُؤالٌ وجوابٌ في أَهمِّ الْمُهمَّاتِ.

١٦- شَرحُ كتابِ أُصولِ الإِيمانِ.

١٧- فَتحُ الرَّبِّ الحميدِ في أُصولِ العقائدِ والتَّوحيدِ.

١٨- فِتنةُ الدَّجَّالِ.

١٩- القولُ السَّديدُ شرحُ كتابِ التَّوحيدِ.

٢٠- مُختَصَرٌ في أُصولِ العقائدِ الدِّينيَّةِ.

٢١- مَنظومةُ مَنهجِ الحقِّ.

٢٢- يَأْجُوجَ ومَأْجُوْجَ.

---

(١) سبقت ترجمته: (ص:٦٠).

ثانيًا: التَّفسيرُ وعلومُ القَرآنِ الكريمِ:

١- تيسيرُ الكريمِ الرَّحمنِ في تفسيرِ كلامِ المنَّانِ(١).

٢- تيسيرُ اللَّطيفِ المنَّانِ في خُلاصةِ تفسيرِ القرآنِ(٢).

٣- الدَّلائلُ القرآنيَّةُ في أَنَّ العُلومَ النَّافعةَ العصريَّةَ داخلةٌ في الدِّينِ الإِسلاميِّ(٣).

٤- فَتحُ الرَّحيمِ الملكِ العلَّامِ في علمِ العقائدِ والتَّوحيدِ، والأَخلاقِ، والأَحكامِ المستنبطةِ مِن القرآنِ(٤).

٥- فَوائدُ مُستنبَطةٌ مِن قصَّةِ يوسفَ(عليه السلام)(٥).

٦- القَواعدُ الحِسَانُ لتفسيرِ القرآنِ(٦).

---

(١) سبق التَّعريف به: (ص:٦).

(٢) وهو هذا الكتاب الذي بين أَيدينا، وسيأْتي التَّعريف به: (ص:٦-٦).

(٣) رسالة تتضمَّن البراهين القاطعة على أَنَّ الدِّين الإِسلاميَّ وعلومه وأَعماله جمعت كلَّ خير ورحمة وهداية، وصلاح وإِصلاح لجميع الأَحوال، وأَنَّ العلوم الكونيَّة والفنون العصريَّة الصَّحيحة النَّافعة داخلة ضمن علوم الدِّين وأَعماله، ليست منافية لها، كما زعم الجاهلون والمادِّيون، وأَنَّها إذا لم تُبن على الدِّين وتربط به فضررها أَكثر من نفعها، وقد فرغ منها في العاشر من شهر محرَّم، سَنة خمس وسبعين وثلاثمائة وأَلف هجريَّة. ينظر: مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٥٥٣/٣، ٥٩٤).

(٤) كتاب جمع ثلاثة فنون: أَحدها: علم التَّوحيد والعقائد، والثَّاني: علم الأَخلاق والآداب، والثَّالث: علم الفِقه؛ عبادات، ومعاملات وغيرهما، وفي الجميع يستدلُّ ويستنبط، بأُسلوب واضح وعبارات سهلة، واختصار مفيد، ثُمَّ اتَّجه إِلى جعل علم العقائد والأَخلاق في كتاب مستقلٍّ، وكتب مقدّمة لذلك وسمَّاه: "بستان الموقنين وقرَّة عيون المؤمنين"، ثُمَّ عزم على إِفراد كلَّ فنٍ من هذه الثَّلاثة في كتاب مستقلٍّ، وبدأَ بعلم العقائد، وسمَّاه: "فتح الرَّب الحميد في أُصول العقائد والتَّوحيد". ينظر: فتح الرَّحيم، تحقيق، د. عبدالرَّزاق البدر، (ص:٢١-٢٢)، وحاشية هذا التَّحقيق: (ص:٦).

(٥) رسالة مليئة بالاستنباطات، والفوائد؛ واللَّطائف، والأَحكام؛ لِما من قصَّة يوسف(عليه السلام) من آيات وعبر منوَّعة عجيبة، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [يوسف:٧]، وفرغ منها في شهر صفر، سَنة خمس وسبعين وثلاثمائة وأَلف هجريَّة. ينظر: فوائد مستنبطة من قصَّة يوسف(عليه السلام)، (ص:٧، ٦٣).

(٦) كتاب عظيم النَّفع، فيه إِحدى وسبعون قاعدة، اجتهد المؤلِّف(رحمه الله) في صياغتها، وبيان أَمثلتها، تُعين على فَهم القرآن، والاهتداء به، وتدبُّره، وتفسيره، والاستنباط منه، وانتهى منه في السَّادس من شوَّال، سَنة خمس وستِّين وثلاثمائة وأَلف هجريَّة. ينظر: القواعد الحِسان، (ص:٧-٨، ١٧١)، ومواقف اجتماعيَّة، (ص:٤٨).

٧- مُختصَرُ التَّفسيرِ(١).

٨- مَقالاتٌ قرآنيَّةٌ(٢).

٩- الْمَواهبُ الرَّبانيَّةُ مِن الآياتِ القُرآنيَّةِ(٣).

ثالثًا: الحَديثُ النَّبويُّ:

١- أَحاديثُ الحجِّ(٤).

٢- الأَحاديثُ المختارةُ في الأُصولِ، والأَحكامِ، والآدابِ وغيرِها(٥).

٣- بَهْجَةُ قُلوبِ الأَبرارِ، وقُرَّةُ عُيونِ الأَخيارِ في شرحِ جوامعِ الأَخبارِ(٦).

---

(١) لم يوجد من هذا التَّفسير سوى المقدِّمة، وعدد من الضَّوابط الموجزة النَّافعة في التَّفسير وعلوم القرآن، وكذا مختصر تفسير سورة الفاتحة، وقد بيَّن المؤلِّف رحمه الله منهجه في المقدِّمة بقوله: "فاعتمدتُّ على الله في وضع تفسير مختصر، مختصٍّ بمعاني الكلام، خال من تفسير المفْردات ومن تعديد القراءات، ومن الاصطلاحات اللُّغويَّة والأَساليب العربيَّة، إلَّا إذا اقتضى بيانُ المعنى شيئًا من ذلك". مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٣/٧-١١).

(٢) ثلاث مقالات قرآنيَّة مختصرة، جُمعت بعد وفاته، هي: "المقالة السَّادسة في معجزات القرآن المشاهدة عيانًا"، و"المقالة السَّابعة: في معجزات القرآن المشاهدة"، و"المقالة الثَّامنة: قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب:٤]". ينظر: مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٣/٦٩١-٧٠٠).

(٣) كتاب مليء بالفوائد واللَّطائف؛ والأَحكام، والاستنباطات، وحِكم التَّشريع وأَسراره، ومدلولات أَسماء الله الحُسنى، والاستدلال لكلِّ فائدة، ولم يلتزم المؤلِّف رحمه الله بترتيب السُّور، أَو الآيات في السُّورة الواحدة، وقد قيَّدها أَثناء قراءته للقرآن الكريم، في أَوَّل شهر رمضان حتَّى الثَّامن والعشرين منه، سَنة سبع وأَربعين وثلاثمائة وأَلف هجريَّة، ينظر: المواهب الرَّبانيَّة، (ص:١٩، ١٥٧)، ومجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٣/٦٨٥).

(٤) مختصر مفيد، جمع فيه المؤلِّف رحمه الله ثمانية وأَربعين حديثًا في الحجِّ، وأَغلبها من الصَّحيحين ثُمَّ السُّنن. ينظر: مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٥/٢٣٩-٢٤٩).

(٥) مؤلَّف نفيس جمع فيه المؤلِّف رحمه الله خمسة وثلاثين وخمسمائة حديث نبويٍّ، معظمها من الصَّحيحين، وعلَّق عليها تعليقاً نافعًا، احتوى على كثير من الأُصول، والأَحكام، والنَّصائح، والمواعظ، والحِكم، وفرغ منه في العشرين من شهر جمادى الأُولى، سَنة ثمان وستِّين وثلاثمائة وأَلف هجريَّة. ينظر: مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٥/٢٥٥-٣٦٧).

(٦) هذا الكتاب شرح لتسعة وتسعين حديثًا، من الأَحاديث الجوامع، في الموضوعات الكُلِّيَّة؛ من العقائد الصَّحيحة، والأَخلاق، والفِقه، والآداب، مع التَّكلم على مقاصدها، وما تدلُّ عليه، باختصار، وإِيضاح =

٤- التَّعليقاتُ على عُمدةِ الأَحكامِ(١).

٥- شَرحُ بلوغِ المرامِ(٢).

رابعًا: أُصولُ الفِقهِ وقَواعدِه:

١- تُحْفةُ أَهلِ الطَّلبِ في تجريدِ قَواعدِ ابنِ رَجَبٍ(٣).

٢- تَعْليقاتُ ابنِ سعديٍّ على صَفوةِ أُصولِ الفِقهِ(٤).

٣- رِسالةٌ لطيفةٌ جامعةٌ في أُصولِ الفِقهِ الْمُهِمَّةِ(٥).

٤- صَفوةُ أُصولِ الفِقهِ المنتخبةُ مِن مختَصرِ التَّحريرِ(٦).

وبيان، وتمَّ الفراغ منه في العاشر من شهر شعبان سَنة إحدى وسبعين وثلاثمائة وأَلف هجريَّة. ينظر: بهجة قلوب الأَبرار، (ص:١١، ٢٢٢).

(١) كتاب شرح فيه المؤلِّف رحمه الله عمدة الأَحكام، لعبدالغنيِّ المقدسيِّ، مستنبطًا الفوائد والأَحكام، مبيِّنًا الرَّاجح من الأَقوال باختصار، وسُمِّي في بعض الطَّبعات: "شرح عمدة الأحكام". ينظر: مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٣٨٧/١، ٤/٧-٥٦١).

(٢) مختَصر مليء بالفوائد والأَحكام، والموجود منه: شرح لعدد من الأَحاديث في أَبواب بلوغ المرام، من باب الشَّركة والوكالة إلى نهاية بباب النِّكاح. ينظر: مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٣٧٣/٥-٤٠٢).

(٣) مختصر لقواعد ابن رَجَب رحمه الله، حافَظ فيه المؤلِّف رحمه الله على كثير من القواعد وأَلفاظها، والتَّقسيمات وأَنواعها، وما لابد منه من المسائل والأَمثلة، واختصر العديد من التَّفريعات، وجملةً من الرِّوايات والأَوجه، وفرغ منه في يوم الجمعة، الرَّابع عشر من جمادى الآخرة، سَنة خمس وثلاثين وثلاثمائة وأَلف هجريَّة. ينظر: تحفة أَهل الطَّلب، (ص:١٤-١٥، ٢٤٤).

(٤) تعليقات مختصرة قيَّدها الشَّيخ: عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل رحمه الله؛ حيث قال: "هذه فوائد مهمَّة، من تقريرات شيخنا، في أُصول الفقه، وقت قراءتنا عليه في منتخبه من: مختصر التَّحرير ١٤ ذي الحجَّة سَنة ١٣٥٧". مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٣٧١/٧).

(٥) رسالة صغيرة الحجم، كثيرة الفوائد؛ سهلة الأَلفاظ، واضحة المعاني، مُعينة على تعلُّم الأَحكام، عرَّف فيها المؤلِّف رحمه الله أُصول الفِقه، وبيَّن الأَحكام الشَّرعيَّة، وأَوضح الأَدلَّة التي يستمد منها الفِقه، ثُمَّ ذكر مجموعة من القواعد التي تُبنى عليها الأَحكام الشَّرعيَّة. ينظر: رسالة لطيفة جامعة في أُصول الفِقه المهمَّة، (ص:٤٠).

(٦) ورقات معدودات، اشتملت على متن لأُصول الفِقه، مستفادة من: "مختصر التَّحرير"، للفُتُوحي الحنبلي؛ المعروف: "بابن النَّجار"، وفرغ منه السّعدي رحمه الله في العاشر من شهر صفر سنة خمس وخمسين وثلاثمائة وأَلف هجريَّة، وقال في مقدمتها: "وهذا مختصر انتقيته من كتب أُصول الفِقه، اقتصرت فيه على المهمِّ المحتاج إليه، واجتهدت في توضيحه". مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٣٤٣/٧-٣٥٨).

٥- طريقُ الوصولِ إلى العِلْمِ المأْمولِ بمعرفةِ القواعدِ، والضَّوابطِ، والأُصولِ(١).

٦- فهرسُ قواعدِ ابنِ رجبٍ -رحِمَهُ اللهُ، وقدَّسَ رُوحَهُ(٢)-.

٧- القواعدُ الفِقهيَّةُ المنظُومةُ، وشرحُها(٣).

٨- قواعدُ فقهيَّة مُهمَّةٌ لا يُستَغْنَى عنْها(٤).

٩- قواعدُ مُهمَّة، وفوائدُ جمَّةٌ(٥).

١٠- القواعدُ، والأُصولُ الجامعةُ، والفُروقُ، والتَّقاسِيمُ البَدِيعةُ النَّافعةُ(٦).

١١- مُختَصرٌ في أُصولِ الفِقهِ(٧).

١٢- مَنظُومةُ القَواعدِ الفِقهيَّةِ(٨).

---

(١) خمس عشرة وألف فائدة وقاعدة وضابط، جمعها المؤلِّف رحمه الله من أكثر من ستِّين كتابًا لابن تيميَّة وابن القيِّم رحمهما الله، وأتمَّه في شعبان سَنة سبعين وثلاثمائة وألف هجريَّة. ينظر: طريق الوصول إلى العلم المأمول، (ص:٥-٧، ٢٨٦).

(٢) فهرس مكوَّن من مائة وستيِّن عنوانًا، قال رحمه الله: "فهذه القواعد الفقهيَّة لابن رجب -قدَّس الله روحه- فهي في الحقيقة فهرس". مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٨/٧٢٩).

(٣) شرح لطيف، يوضِّح معاني منظومته المختصرة في القواعد الفِقهيَّة، التي بلغت تسعة وأربعين بيتًا، وفرغ منه في الثَّامن عشر من شهر ذي القَعدة، سَنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة وألف هجريَّة، وكان عمره أربعًا وعشرين سَنة. ينظر: مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٧/٢٠٥-٢٣٦)، ومواقف اجتماعيَّة، (ص:١٢٦، ١٢٩).

(٤) ثمان عشرة قاعدة فقهيَّة، أوَّلها من: "مختصر التَّحرير وشرحه"، للفُتُوحي، وآخرها من: "القواعد"، لابن رجب، يذكر القاعدة، ومعناها، ومثالها. ينظر: مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٧/١٩٣).

(٥) تعليق مختصر على اثنتي عشرة قاعدة فقهيَّة، سبق أن أملاها على طلبته، ثمَّ استجاب لهم في وضع تعليق يوضحها، وأَمثلة تحقِّقها. ينظر: مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٧/١٦٧).

(٦) كتاب بديع، قسَّمه المؤلِّف رحمه الله إلى قسمين: الأوَّل: فيما تجتمع فيه الأَحكام من الأُصول والقواعد، وذكر فيه ستِّين قاعدة، مع الشَّرح والتَّمثيل، والثَّاني: في الفوارق بين المسائل المشتبهة، والأَحكام المتقاربة، والتَّقاسيم الصَّحيحة، وفرغ منه في الثَّاني والعشرين من ربيع الأوَّل، سَنة خمس وسبعين وثلاثمائة وألف هجريَّة. ينظر: القواعد والأُصول الجامعة، (ص:٥).

(٧) مختصر جامع، في عشرة أبواب، تحتها فصول، مؤرَّخ في التَّاسع عشر من جمادى الأُولى، سَنَة أربع وثلاثين وثلاثمائة وألف هجريَّة. ينظر: مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٧/١٣-٥٧).

(٨) منظومة مختصرة جامعة، في القواعد الفِقهيَّة والأُصوليَّة، بلغت تسعة وأربعين بيتًا. ينظر: مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٢٦/٢٠٢-٢٠٥).

خامسًا: الفِقهُ:

١- الأَجوبةُ السّعديَّةُ عن المسائلِ القَصِيميَّةِ(١).

٢- الأَجوبةُ السّعديَّةُ عن المسائلِ الكويتيَّةِ(٢).

٣- الإِرشادُ إِلى مَعرفةِ الأَحكامِ(٣).

٤- تَذْكرةُ أُولي الأَلبابِ في ذِكرِ السُّؤالِ والجوابِ في الفِقهِ(٤).

---

(١) هي: إجابات علميَّة عن أَسئلة وردت على السّعديِّ ﷺ في أَوقات متفرِّقة، من مجموعة من المشايخ، وطلاب العلم في القصيم، وهم: عبدالرَّحمن بن محمَّد المقْوشِي، وناصر بن باتل العَبْري، وصالح بن عمر بن مرْشَد، وسليمان بن عبدالرَّحمن بن رُويْشد، ومحمَّد بن سليمان البصِيرِي، وسالم بن علي المحْفُوظ، وتضمَّنت فوائد، ولطائف علميَّة، وأَدبيَّة، واجتماعيَّة، وتربويَّة هامَّة، وجمعها الشَّيخ: هيثم بن جواد الحدَّاد، ود. وليد بن عبدالله المنِيْس. ينظر: الأَجوبة السّعديَّة عن المسائل القَصِيميَّة، (ص: ب، ٢١٤-٢٢٠).

(٢) عشرون رسالة في العقيدة والفِقه، ورَدَت على السَّعديِّ ﷺ في أَوقات متفرِّقة، من ثلاثة من مشايخ الكويت، وهم: الشَّيخ: محمَّد بن عبدالمحسن الدّعيج، والشَّيخ: عبدالرَّحمن بن محمَّد الدّوسري، والشَّيخ: محمَّد بن سليمان الجرَّاح ﷺ، أَجاب عنها السّعديُّ ﷺ بأَجوبة واضحة سديدة، واعتنى بإخراجها الشَّيخ: وليد بن عبدالله المنِيْس، مضيفًا فوائد نفيسة بعد كلِّ جواب، وفهرسًا متضمِّنًا: موضوع كلِّ رسالة، ومُلَخَّصًا لجوبها في نهاية الكتاب. ينظر: الأَجوبة السّعديَّة عن المسائل الكويتيَّة، (ص:٣، ٣١-٣٢، ٢٣٩-٢٤٨).

(٣) طبع في حياة المؤلِّف ﷺ باسم: "إِرشاد أُولي البصائر والأَلباب لنيل الفقه بأَقرب الطُّرق وأَيسر الأَسباب بطريق مرتَّب على السُّؤال والجواب"، وهو كتاب فقهيٌّ، سهل الأَلفاظ، حسن التَّرتيب، مكوَّن من تسعة وتسعين سؤالًا، وضعها ﷺ وأَجاب عنها، وضمَّنها قواعد وضوابط، وتقسيمات تجمع شتات المسائل المتفرِّقة، وما يذكره من الأَحكام فهو على المشهور من مذهب أَحمد، عند المتأَخِّرين، وإِنْ كان هناك قول آخر أَصحُّ منه ذَكَره، مع إِشارة لدليل الفريقين، ومأْخذهما، وفرغ منه في السَّابع عشر من شهر رمضان، سَنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وأَلف هجريَّة. ينظر: إرشاد أُولي البصائر والأَلباب، (ص:٨-١٠، ٣٢٨)، ومجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٧/٨، ١٩٣).

(٤) أَصله أَسئلة أَوردها السّعديُّ ﷺ على طلَّابه، حين قراءتهم في: "مختَصر المقنع"، وقسَّمهم إِلى فِرقتين كلُّ فِرقة تبحث، وتكتب الجواب على حِدة، ثمَّ يعرضونه عليه، ثمَّ يُثْبِت ما كان أَكثر صوابًا، وقد رأَى جمع ذلك في كتاب؛ تذكرة لهم ولغيرهم، وحفظًا لها من الضَّياع، مرتَّبًا له على حسب أَبواب الفقه، ولم يوجد منه إِلا إِلى الأَسئلة المتعلِّقة بالصَّوم. ينظر: مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٦٠٣/٨).

٥- تَيسيرُ الكريمِ الواحدِ[١] في شرحِ كنزِ الفوائدِ، وعِقدِ الفرائدِ، لابن عبدِالقَويِّ[٢].

٦- حَاشِيةٌ على الإقناعِ وشَرحِهِ[٣].

٧- حُكمُ شُربِ الدّخانِ[٤].

٨- رِسالةٌ في حُكمِ إجزاءِ سُبُعِ البَدَنةِ والبقرةِ عن الشَّاةِ في الإهداءِ، وغيرِهِ[٥].

٩- رِسالةٌ مُختَصرةٌ في مناسكِ الحَجِّ[٦].

١٠- الفَتاوَى السّعديَّةُ[٧].

---

(١) سِفر واسع في الفِقه، جمع فيه المؤلِّف رحمه الله بين نظم ابن عبدالقويِّ وبين الإنصاف، للمِرْدَاوِيِّ، بدأ به في اليوم الرَّابع من شهر رمضان، سَنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وألف هجريَّة، وانتهى منه في جمادى الأُولى، سَنة تسع وثلاثين وثلاثمائة وألف هجريَّة. ينظر: مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (١٥/٩، ٤١، ٦٠٢/٢٠)، وعلماء نجد، (٢٢٧/٣)، ومواقف اجتماعيَّة، (ص:١٣٧).

(٢) محمَّد بن عبدالقويِّ بن بدران، الْمِرْدَاوِيّ، الحنبليّ، محدِّث، فقيه، نحويٌّ، أثنى عليه الذَّهبيُّ: بحسن الدِّيانة، ودماثة الخُلق، وكثرة الإفادة، والبعد عن التَّكلُّف، لَهُ: "منظومة الآداب". (ت:٦٩٩هـ). ينظر: تاريخ الإسلام، للذَّهبي، (٩٣٣/١٥)، وذيل طبقات الحنابلة، (٣٠٨/٤).

(٣) حاشية مختصرة، بدايتها من كتاب البيع إلى آخر كتاب الفرائض، قال ابن عُثَيْمِين رحمه الله: "انتهى ما رأيته بخطِّ شيخنا عبدالرَّحمن السَعدي، على هامش نسخة خطيَّة من الجزء الثَّاني من شرح الإقناع، قاله ناقله محمَّد الصَّالح العُثَيْمِين، تمَّ ذلك في ١٣٨٢/١١/٨هـ". مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٥٣٧/٨، ٥٨٢).

(٤) رسالة لطيفة، فيها جواب عن سؤال مقدَّم من أَحد التلاميذ، فيها بيان لخطر الدخان، وحرمته شربًا وبيعًا وشراء؛ لمضَّاره الدِّينيَّة والبدنيَّة والماليَّة، بدلالة القرآن والسُّنَّة والعقل، وكان الفراغ منها في شهر ربيع الأَوَّل سَنة ستٍّ وسبعين وثلاثمائة وأَلف هجريَّة. ينظر: حكم شرب الدّخان في المجموعة الكاملة، (٤٨٣/١٦، ٤٨٨).

(٥) أَوراق معدودات، بيَّن فيهنَّ السّعديُّ رحمه الله: أَنَّ السُّبع من الإبل والبقر كحُكم الشَّاة في الإجزاء، وإهداء الثَّواب لأَكثر من واحد، وكتبها سَنة تسع وخمسين وثلاثمائة وأَلف من الهجرة؛ لحاجة النَّاس لهذا البيان، ووجود من يُفْتي بأَنَّ السُّبع مختصٌّ في الإجزاء، دون الإهداء. ينظر: مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٥٩١/٨-٥٩٦).

(٦) أَوراق معدودات، بدأَها بآداب السَّفر، ثمَّ الإحرام، إلى نهاية المناسك، بأُسلوب واضح مفهوم. ينظر: مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٥٨٣/٨-٥٨٨).

(٧) مجموعة فتاوى وكتابات، وأَسئلة وأَجوبة كتبها السّعديُّ بيده، وجمعت بعد وفاته؛ نشرًا لعلمه، وتيسيرًا للانتفاع بها، وقد ظهر فيها غزارة علمه، واجتهاده، وسعة اطِّلاعه. ينظر: الفتاوى السّعديَّة، (ص:٤).

١١- فتَاوَى مَنْثورَةٌ(١).

١٢- مَجْمُوعةُ مُراسَلاتٍ نادرةٍ(٢).

١٣- الْمُختاراتُ الجليَّةُ في المسائلِ الفِقهيَّةِ(٣).

١٤- الْمُناظراتُ الفِقهيَّةُ(٤).

١٥- مُنَاظرةٌ بينَ ثلاثةٍ في حُكمِ النَّوْطِ(٥).

١٦- مَنظومةٌ في أَحكامِ الفِقهِ(٦).

---

(١) عدد من المسائل؛ في الأَوراق النَّقديَّة، والبرقيَّات، وسبع البدنة والبقرة، والوصايا بعدد من الأَضاحي، والتَّهاني، وتولِّي الوكالات، والوصايا، والوقف، وأَنَّ أَشدَّ أَنواع الرِّبا قلب الدَّين، قال السّعديُّ رحمه الله: "فهذه فتاوى منثورة كنت أَفتيت بها سابقًا فأَحببت تقييدَ مقاصدِها، وجمعها في رسالة واحدة؛ للتَّسهيل على من يريد الوقوف عليها". مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٢٤/٥٣٥-٥٦٠).

(٢) خمسون رسالة بيْن السّعديِّ ومجموعة من العلماء رحمهم الله، وهم: الشَّيخ: محمَّد بن عبدالعزيز بن مانع، (ت:١٣٨٥هـ)، والشَّيخ: عبدالرَّحمن بن عبدالعزيز الحصين، (ت:١٣٨٦هـ)، والشَّيخ: فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك، (ت:١٣٧٣هـ)، والشَّيخ: محمَّد بن سليمان البصيري، (ت:١٣٩٤هـ)، والشَّيخ: عبدالعزيز بن عبدالله بن سبيل، (ت:١٤١٢هـ)، وفيها إجابات من السَّعدي لهؤلاء رحمهم الله حول مسائل عقديَّة وفقهيَّة، ونحوها، وجمعت بعد وفاته. ينظر: مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٢٥/٤٢٣-٤٢٤، ٤٨٣-٦٠٦).

وهناك مجموعة أُخرى من الرَّسائل وردت على العلَّامة السّعديِّ من: الشَّيخ: حَمَدِ العَلِي المقبلِ رحمه الله، تتضمَّن عددًا من الأَسئلة؛ في الصَّلاة، والزَّكاة، والطَّواف، والأَوراق النَّقديَّة، والنِّكاح، وغيرها. ينظر: مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٢٤/٥٨٩-٦٠٦).

(٣) سبق التَّعريف بها: (ص:٦٠).

(٤) تعليق على مسائل خلافيَّة مشتهرة، على صورة مناظرة بين: المستعين بالله، والمتوكِّل على الله، أَتمَّه في الثَّامن من جمادى الآخرة، سَنة أَربع وستِّين وثلاثمائة وأَلف هجريَّة. ينظر: المناظرات الفِقهيَّة، (ص:٨-٩، ١٣٤).

(٥) هذا صورة مناظرة بين ثلاثة في حكم: "النَّوْط"، -العملات الورقيَّة- وأَنَّه يحرم بيع العشرة مثلًا باثني عشر إلى أَجل، ولكن هل يجوز بيع بعضها ببعض يدًا بيد، سواء تماثلت أَم لا؟. ينظر: مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٨/٤٢٩، ٤٣٦-٤٣٧).

(٦) منظومة طويلة، تزيد على أَربعمائة بيت، على بحر الرَّجز، في الأَحكام الفِقهيَّة على مذهب الإمام أَحمد رحمه الله، وتمَّ فراغه منها في السَّادس والعشرين من شهر شوَّال، سَنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وأَلف هجريَّة، قال البسَّام رحمه الله: "كان لا يحبُّ إِظهار هذا النَّظم فيما بعد؛ حين توسَّع علمه، وبدأَ يرجِّح بعض المسائل بالدَّليل، ويخالف المذهب الحنبليَّ". علماء نجد، (٣/٢٢٨)، وينظر: المجموعة الكاملة، (١٢/٣٥٦-٤١٦)، وروضة النَّاظرين، (١/٢٩٦).

١٧- مَنهجُ السَّالِكِينَ وتوضيحُ الفِقهِ في الدِّينِ(١).

١٨- مُهمَّاتُ مسائلِ الفِقهِ(٢).

١٩- نُورُ البصائرِ والأَلبابِ في أَحكامِ المعاملاتِ والعباداتِ والآدابِ(٣).

سادسًا: الخُطَبُ:

١- الخُطبُ الْمِنبَرِيَّةُ على الْمُناسَبَاتِ(٤).

٢- خُطَبٌ مُنوَّعةٌ(٥).

٣- الفَواكهُ الشَّهيَّةُ في الخُطبِ الْمِنبَرِيَّةِ(٦).

---

(١) مختصر في الفِقه، جامع بين المسائل والدَّلائل، على القول الرَّاجح، وكثيرًا ما يقتصر فيه المؤلِّف رحمه الله على النَّص الشرعيِّ؛ إذا كان الحكم فيه واضحًا؛ لسهولة حفظه، وفهمه على المبتدئين، وفرغ منه في الثَّالث من ذي الحِجَّة، سَنة تسع وخمسين وثلاثمائة وألف هجريَّة. ينظر: منهج السَّالكين، (ص:٩، ٢٨١).

(٢) بيَّن المؤلِّف رحمه الله أنَّها: إشارة لمهمَّات مسائل الفقه، وأنَّها بمنزلة الفهرست لها؛ لقصد طلبها واستحضارها، وقد بدأها بكتاب الطَّهاره وانتهى بقوله: " كتاب الوقف". مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٨/٦٧٥-٧٢٠).

(٣) كتاب قسَّمه المؤلِّف رحمه الله إلى قسمين: قِسم في الأَحكام الفِقهيَّة، وهو الأَغلب، واقتصر فيه على القول الرَّاجح، مبيِّنًا مأْخذه من الكتاب والسُّنَّة، وقِسم: في الحقوق والآداب، وأَتمَّه في السَّابع والعشرين من شهر ربيع الآخر، سَنة أَربع وسبعين وثلاثمائة وأَلف هجريَّة. ينظر: مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٢٢/٢٨٥-٣٩٥).

(٤) ثلاثون خُطبة في المناسبات؛ كالعيدين والاستسقاء، قال رحمه الله في مقدمتها: "فهذه خُطب منبريَّة سوى الخُطب التي نشرناها سابقًا، تبع المناسبات". مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٢٣/٢٩٣).

(٥) عشر خُطب منوِّعة، جُمعت بعد وفاته رحمه الله، تشمل: الحثَّ على مساعدة المجاهدين، وفوائد التَّقوى، والإخلاص، والإحسان، وأَخلاق الرَّسول ﷺ، ومحاسن الدِّين، والعلاج، والحرب في مصر، وشكرًا للمتبرِّعين بإِيصال الماء للنَّاس في عُنَيْزَة. ينظر: مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٢٣/٣٥٩-٣٨٦).

(٦) إحدى وسبعون خُطبة، في مواضيع متفرِّقة، ولمناسبات متعدِّدة، جمعت بين الوعظ والتَّعليم، والتَّوجيهات النَّافعة، والبعد عن المضار الدِّينيَّة والدُّنيويَّة، بأَساليب متنوِّعة، نقلت من خطِّ المؤلِّف في الثَّاني عشر من شهر ربيع الأَوَّل، سَنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة وأَلف هجريَّة. ينظر: مقدّمة: الفواكه الشَّهيَّة، (ص:٦، ١٩٢).

٤- مجموعُ الخُطَبِ في المواضيعِ النَّافعةِ(١).

٥- مجموعٌ مُتَفرِّقٌ مِن خُطبِ الشَّيخِ عبدِالرَّحمنِ بنِ ناصرٍ السّعديِّ رحمه الله(٢).

سابعًا: مَوضُوعاتٌ عَامَّةٌ:

١- الأَجوبةُ النَّافعةُ عن المسائلِ الواقعةِ(٣).

٢- آدابُ المعلِّمِينَ، والمتعلِّمِينَ(٤).

٣- الجِهادُ في سبيلِ اللهِ(٥).

٤- حُسنُ الخُلقِ(٦).

(١) تسع وخمسون خُطبة، بيَّن المؤلِّف رحمه الله في مقدّمتها: منهج النَّبيِّ ﷺ في خُطبه؛ وأَنَّها دعوة إلى الله تعالى، وتوضيح للأُصول النَّافعة، والأَعمال الصَّالحة، وأَنَّها قصيرة غالبًا، وقد اجتهد رحمه الله أَنْ تكون خُطبه على هذه الطَّريقة؛ مراعيًا أَحوال النَّاس، والوقت، وفرغ من جمعها في الثَّاني والعشرين من شهر رجب، سَنة خمس وستِّين وثلاثمائة وأَلف هجريَّة. ينظر: المجموعة الكاملة، (١٦/١٨٧-١٨٨، ٢٩٤).

(٢) ست عشرة ومائة خطبة، منوَّعة جُمعت بعد وفاته رحمه الله: في العقيدة، والفقه، والمعاملات، والتَّرغيب، والتَّرهيب، والمناسبات؛ كالخطبة التي أَلقاها بعد صلاته بالنَّاس صلاة الغائب على الملك عبدالعزيز رحمه الله، السَّاعة الثَّالثة، بالتَّوقيت الغُروبيّ -الثَّامنة وعشرون دقيقة تقريًا بالتَّوقيت الزَّوالي- صباح الثُّلاثاء، ١٣٧٣/٣/٣هـ. ينظر: الشَّيخ: مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٢٣/٣٨٩-٧٥٦).

(٣) مجموعة رسائل شخصيَّة، كتبها السّعديُّ إلى تلميذه الشَّيخ: عبدالله بن عقيل رحمهما الله، اشتملت على نصائح تربويَّة، وأَخبار عن بلدته عُنَيْزَة وغيرها، وإِجابات عن أَسئلة واستفسارات، واعتنى بها الشَّيخ: هيثم بن جواد الحدَّاد، بإِشراف من الشَّيخ: عبدالله بن عقيل. ينظر: الأَجوبة النَّافعة عن المسائل الواقعة، (ص:٨-٩).

(٤) هي توجيهات وآداب للمعلِّم والمتعلِّم؛ كالإِخلاص، والبداءة بالأَهم فالأَهم، واختيار الكتاب المناسب، والتَّدرج في العلم، وتوقير المعلِّم، والأَدب، والرِّفق، والعمل بما عَلِم، والتَّوقف عمَّا لا يَعلم، والحذر من التَّعصُّب، وتعاهد المحفوظات، والنُّصح، وجمع الكلمة، وهي أَشمل مِمَّا ذكره في كتابه: "نور البصائر والأَلباب". ينظر: مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٢٢/٣٨٨-٣٩١، ٢٦/١٥-٢٥).

(٥) وتُسمَّى: "واجب المسلِمِين"، قال رحمه الله في أَوَّلها: "وقد أَوجب الله على المؤمنين الجهاد في سبيله، والاعتصام بدينه الذي هو حبله، والدَّعوة إِلى ذلك، والأُلفة، والاجتماع، والتَّعاون على الخير والبرِّ والتَّقوى، والاستعانة بالله في جميع أُمورهم". مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٢٦/٨٥-١٠٠).

(٦) ورقات معدودات فيها الحثُّ على حسن الخلق، وفوائده، وما يُعين عليه، وحديث عن الرَّجاء الممدوح، واليأْس المذموم، وغير ذلك. ينظر: مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٢٦/٥-١٤).

٥- الدُّرَّةُ المختصرةُ في محاسنِ الدِّينِ الإسلامِي[١].

٦- الدِّينُ الصَّحيحُ يحُلُّ جميعَ المشاكلِ[٢].

٧- رِسالةُ الدَّعوةِ إلى الدِّينِ الإسلاميّ[٣].

٨- رِسالةٌ في الحثِّ على اجتماعِ كَلِمةِ المسلِمينَ، وذمِّ التَّفرقِ والاختلافِ[٤].

٩- الرِّياضُ النَّاضرةُ والحدائقُ النَّيِّرةُ الزَّاهرةُ في العقائدِ، والفنونِ المتنوّعةِ الفاخرةِ[٥].

١٠- فَضلُ الجهادِ في سبيلِ اللهِ[٦].

(١) رسالة مختصرة، بيَّن فيها المؤلِّف رحمه الله غرضه من تأْليفها، وأنَّه بيان لمحاسن هذا الدِّين العظيم، وأَنَّ محاسنه عامَّة في جميع مسائله ودلائله، وأُصوله وفروعه، وفيما دلَّ عليه من علوم الشَّرع والأَحكام، والكون والاجتماع، وذكر فيها واحدًا وعشرين مثالًا، تُظهر شيئًا من محاسن الشَّريعة الإسلاميَّة، وفرغ منها في غرَّة جمادى الأُولى، سَنة أَربع وستِّين وثلاثمائة وأَلف هجريَّة. ينظر: الدُّرة المختصرة في محاسن الدِّين الإسلامي، (٦-١٠، ٤٥).

(٢) مؤلَّف مختصر، فيه بيان أَنَّ الإسلام يرشد العباد في العقائد والأَخلاق والمعاملات والتَّوجيهات إلى ما ينفع في المعاش والمعاد، وأنَّه أَوجد الحلول لكلِّ المشكلات، مع أَمثلة لذلك، وكان الفرغ منه في الخامس من ربيع الآخر، سَنة خمس وسبعين وثلاثمائة وأَلف هجريَّة. ينظر: الدِّين الصَّحيح يحلُّ جميع المشاكل، (ص:٣، ٢٤).

(٣) رسالة مختصرة جدًّا في الدَّعوة إلى الله، وأَنَّها: "منتشرة الفروع، كثيرة الأَنواع والأَجناس، شاملة للدَّعوة إلى جميع المسائل الأُصوليَّة والفروعيَّة، وقد تكون لشخص أَو طائفة أَو قبيلة، أَو لعموم النَّاس". مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٢٣/٨٠٩-٨١٥).

(٤) رسالة فيها دلالة القرآن والسُّنَّة على جمع الكلمة، وفوائد الاتِّفاق، والتَّحذير من التَّفرق، وبيان مضارِّ الاختلاف والتَّباغض، وفيها حثٌّ للعلماء على أَلَّا يكون الخلاف في المسائل الفرعيَّة سببًا للتَّفرُّق. ينظر: رسالة في الحثِّ على اجتماع كلمة المسلمين، (ص:١٤، ٢٢، ٢٤، ٢٦، ٣٣، ٤٣).

(٥) كتاب مليء بالفوائد المتنوّعة، في أُصول الدِّين والأَخلاق والآداب، عبر اثنين وأَربعين فصلًا، وقد نقله من خطِّ مؤلِّفه عبدالله بن سليمان بن عبدالله السَّلمان، في العشرين من شهر رجب، سَنة سبعين وثلاثمائة وأَلف هجريَّة. ينظر: الرِّياض النَّاضرة، (ص:٥، ٢٣٦).

(٦) ورقات معدودة فيها: معنى الجهاد، وفضله، ومنزلته، وأنَّه يتطوَّر بتطوُّر الأَحوال، وأَنَّ من أَنفعه مقاطعة الأَعداء في الصَّادرات والواردات. ينظر: مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٢٦/١٠١-١٠٩).

١١- فَوائدُ مِن كتبِ ابنِ تَيميَّةَ، وابنِ القيِّمِ رحمهما الله[١].

١٢- مَجموعُ الفوائدِ، واقتِناصُ الأَوابدِ[٢].

١٣- نُبذَةٌ مُختَصَرةٌ إجماليَّةٌ عن الإسلامِ، والإشارةُ إلى مُهمَّاتِ مَحاسنِه[٣].

١٤- نَصيحةٌ في الحثِّ على التَّمسكِ بالدِّينِ وعُلومِه، والتَّحذيرِ من ضدِّ ذلكَ[٤].

١٥- وُجوبُ التَّعاونِ بيْنَ المسلِمينَ[٥].

١٦- الوَسائلُ المفيدةُ للحياةِ السَّعيدةِ[٦].

(١) فوائد وقواعد، وتَّعريفات، وفُروق، جمعها المؤلِّف رحمه الله من بعض كتب ابن تَيميَّة وابن القَيِّم رحمهما الله، سَنة سبع وخمسين وثلاثمائة وألف هجريَّة. ينظر: مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٢٢/٥-٦٠).

(٢) كتاب حوى تقريرات علميَّة، وفوائد متنوِّعة في موضوعات مختلفة؛ حسب ما يعرض للمؤلِّف رحمه الله، من معنى آية، أو حديث، أو مسأَلة أُصوليَّة، أو فائدة فروعيَّة، أو نُكتة أدبيَّة، وأتمَّه في ثالث ذي الحجَّة، سَنة ثلاث وأربعين، وثلاثمائة وألف هجريَّة. ينظر: مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٢١/٧، ٢٦٥).

(٣) رسالة مختصرة بيَّن فيها المؤلِّف رحمه الله حقيقة دين الإسلام، ومجمل عقائده، وعددًا من محاسنه. ينظر: مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٢٣/٧٧٧-٧٨٦).

(٤) رسالة قيِّمة شاملة؛ بيَّن فيها السّعديُّ رحمه الله التَّوحيد، وثمرته، شارحًا حديث: "الدِّين النَّصيحة"، محذرًا من مكر الأعداء، وتغريرهم للشُّعوب المسلمة بإحداث الثَّورات على الولاة المسلمين، ثمَّ وضَّح أَقسام النَّاس تجاه العلوم العصريَّة، وأثنى على المدارس الحكوميَّة، وحذَّر من المدارس الأَجنبيَّة التي تشكِّك في العقيدة الصَّحيحة، وتعظِّم رؤساء الإلحاد، وتحتقر السَّلف رحمهم الله. ينظر: مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٢٦/١٤٧-١٥٤).

(٥) رسالة قيِّمة تضمَّنت واجب المسلمين نحو دينهم، وتعاونهم في جميع المصالح والمنافع، والجهاد الشَّرعيّ، والضَّوابط الكُلِّيَّة فيها، والبراهين اليقينيَّة في أَنَّ الدِّين عند الله هو الإسلام، وفرغ منها في العشرين من رمضان، سَنة سبع وستِّين وثلاثمائة وأَلف هجريَّة. ينظر: مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٢٦/١١١-١٤٣).

(٦) رسالة صغيرة الحجم، عظيمة الفائدة، ذكر فيها: أَسباب راحة القلب وطمأْنينته وسروره، وزوال همومه وغمومه، وما به تحصل الحياة الطَّيِّبة، وكان تأْليفه لها في رحلته العلاجيَّة إلى لبنان، بعد أَنْ قرأَ: "دع القلق وابدأ الحياة"، كما سبق بيانه: (ص:٦٠)، وينظر: مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٢٦/٣٩-٥٩)، ومواقف اجتماعيَّة، (ص:١٢٩-١٣٠، ١٦٨).

ثامنًا: اللُّغةُ العَربيَّةُ:

١- التَّعليقُ وكشفُ النِّقابِ على نظمِ قواعدِ الإعرابِ[١].

٢- تَعليقاتُ الشَّيخِ عبدِالرَّحمنِ بنِ ناصرٍ السّعديِّ على بَديعةِ البيانِ عن مَوتِ الأَعيانِ[٢].

٣- مَقالاتُ الشَّيخِ عبدِالرَّحمنِ بنِ ناصرٍ السّعديِّ رحمه الله[٣].

٤- نَظمٌ وأَشْعارٌ مُنوَّعةٌ للشَّيخِ رحمه الله[٤].

هذا وقد كانَ الشَّيخُ حريصًا على طباعةِ كتبِهِ، ونشرِها في حياتِهِ، والإهداءِ مِنها لطلبةِ العِلْمِ، وبعضِ تلاميذِهِ، وأَصدقائِهِ ومُحبِّيهِ، فطُبعَ منها الكثيرُ، وانتشرتْ، ونَفعَ اللهُ بِها[٥].

كما بادرتِ الجامعاتُ، وطلَّابُ العِلْمِ إلى تحقيقِ مؤلَّفاتِهِ، ومِن ذلكَ هذا التَّحقِيقُ المبارَكُ، قال البسَّامُ رحمه الله: "هذهِ المؤلَّفاتُ معَ ما فِيها مِن الفوائدِ، والجمعِ، والجِدَّةِ في الأُسلُوبِ والعَرضِ، إلَّا أنَّهُ يَنقصُها التَّحريرُ في بعضِ المواضِعِ، ولَعلَّ هذا يَرجعُ إلى أنَّهُ كانَ يَكتبُها مِن حِفظِهِ، ثُمَّ لا

(١) رسالة تتضمَّن تعليقًا على نظم قواعد الإعراب، لابن هشام، وقد انتقاه السّعديُّ من شرح الأزهريِّ، وأتمَّه في العاشر من ربيع الأوَّل، سَنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وألف هجريَّة، وقد حقَّقه الشَّيخ: محمَّد بن سليمان البسَّام رحمه الله، وضمَّنه ترجمة مفيدة فريدة لشيخه، وتنبيهات لطيفة حولها. ينظر: مقدِّمة البسَّام لتحقيق: "التَّعليق وكشف النِّقاب"، (ص:٤٧، ١٠٢).

(٢) "بديعة البيان": نظم لابن ناصر الدِّين الدِّمشْقِي رحمه الله، (ت:٨٤٢هـ)، نظم فيها: "تذكرة الحُفَّاظ"، للذَّهبي، في خمسة وعشرين طبقة، مع زيادة بعض التَّراجم، وقد علَّق السّعدي رحمه الله على بعض أبياتها بعبارات سهلة موجزة. ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (١/٧٢-٧٣)، ومجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٢٦/٢٢٥-٢٣٤).

(٣) اثنا عشر مقالًا تمَّ نشرها في عدد من الصُّحف، والمجلات، في مناسبات مختلفة، ومواضيع متفرِّقة، وقد تمَّ جمعها بعد وفاته رحمه الله. ينظر: مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٢٣/٤١٩).

(٤) ومن ذلك منظومة فقهيَّة، وقد سبق بيانها: (ص:٦)، ونظم في الحثِّ على طلب العلم، وآخر فيه ثناء على ابن تيميَّة، وابن القيِّم رحمه الله، وله أبيات في الشَّوق لأَصحابه وطلَّابه، ومَراث مؤثِّرة، وأَبيات طريفة، وغيرها. ينظر: مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (٢٦/١٩٧-١٩٩، ٢٠٧-٢٢٣)، وعلماء نجد، (٣/٢٢٨-٢٣٦)، ومقدِّمة البسَّام لتحقيق: "التَّعليق وكشف النِّقاب"، (ص:٢٧-٣٠)، ومواقف اجتماعيَّة، (ص:١٩٠-١٩٢).

(٥) وهذا معلوم من تاريخ طباعتها، وكما صرَّح به في كثير من رسائله لطلابه. ينظر: الأَجوبة النَّافعة عن المسائل الواقعة، (ص:١٤٢، ١٥٥، ١٨٩، ٢٠٢، ٢١٢-٢١٤، ٢٢٦، ٢٣٦-٢٣٧، ٢٦٥-٢٦٦).

يَعودُ إليها بالتَّنقِيحِ"(١).

هذا وقدْ حَرصتْ دورُ النَّشرِ على طباعتِها، وترجمةِ بعضِها إلى لغاتٍ أُخرى، وتسابقَ النَّاسُ إلى اقتنائِها، وتوزيعِ كثيرٍ مِنها بلا مقابلٍ ماديٍّ(٢).

ولقد كان لِمَركزِ صالحِ بنِ ناصرِ بنِ صالحٍ(٣) الثَّقافيِّ(٤) بعُنَيْزَةَ السَّبقُ المشكورُ في طباعةِ كتبِهِ مُجتمِعةً(٥).

ثمَّ طَبعَتها دارُ الميمانِ للنَّشرِ والتَّوزيعِ"، مع مؤلَّفاتٍ لم تخرجْ مِن قبلُ(٦).

هذا وقد حرَصَ ورثَةُ الشَّيخِ رحمه الله، على نشرِ كتبِهِ، وقالوا: "فنحنُ ورثَةُ الشَّيخِ: عبدِالرَّحمنِ، نفسحُ المجالَ لِمَن يُريدُ طباعةَ كُتبِ الوالدِ بدونِ مقابلٍ، لكنْ بعدَ أَخذِ الإذنِ الخَطِّيِّ منَّا، والتَّأَكُدِ مِن ضَبطِ الكتابِ، وعدمِ التَّصحيفِ، أَو التَّحريفِ، أَو الزِّيادةِ، أَو النَّقصِ"(٧).

---

(١) علماء نجد، (٣/٢٢٥).

(٢) ينظر: مواقف اجتماعيَّة، (ص:١٩٠-١٩٢).

(٣) نسبة للمربِّي: صالح بن ناصر بن صالح، الذي تعلم في عُنَيْزَة والكويت والزُّبير والعراق، وافتتح مدرسة في عُنَيْزَة، ثم عيِّن مديرًا لمدرسة العزيزيَّة، ثُمَّ لمعهد المعلِّمين، ثُمَّ مشرفًا على التَّعليم في عُنَيْزَة، وكان قويًّا مهيبًا، عرف باسم: "مربي الأَجيال"، (ت:١٤٠٠هـ). ينظر: روضة النَّاظرين، (١/٢٥٦-٢٥٧).

(٤) مَركز اجتماعيٌّ، تابع للجمعيَّة الخيرية الصَّالحيَّة، ويهدف إلى خدمة المجتمع عن طريق الثَّقافة والتَّعليم، والتَّدريب وتشجيع، ورعاية المواهب. ينظر: أَضواء على الجمعيَّة الخيريَّة الصَّالحيَّة وفروعها، (ص:٧٩).

(٥) باسم: "المجموعة الكاملة لمؤلَّفات الشَّيخ: عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي"، عام: (١٤٠٧-١٤١٢هـ)، في: (١٦) مجلدًا.

(٦) باسم: "مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي"، على نفقة مؤسَّسة الأَميرة: العنود بنت عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي، في: (٢٦)، مجلدًا، عام: (١٤٣٢هـ)، ثُمَّ طبعتها ثانية مع زيادات واستدراكات، في: (٢٧)، مجلدًا، مع الفهارس، عام: (١٤٣٦هـ).

(٧) ينظر: مواقف اجتماعيَّة، (ص:١٣٠-١٣١).

الفَصلُ الثَّاني: التَّعريفُ بالكتابِ، وفيهِ خمسةُ مباحثَ:

المبحثُ الأَوَّلُ: تَحقيقُ اسمِ الكتابِ، وإثباتُ نِسبَتِهِ للمُؤَلِّفِ، وفيهِ مَطلبانِ:

المطلبُ الأَوَّلُ: تَحقيقُ اسمِ الكتابِ:

اسمُ الكتابِ ثابتٌ ثُبوتًا قطعيًّا، ويتَّضحُ ذلكَ بما يلي:

١- أنَّ المؤلِّفَ رَحِمَهُ اللهُ صرَّحَ باسمِ الكتابِ، وكتَبَ اسمَهُ بخطِّ يدِهِ، كما في الصُّورةِ التَّاليةِ:

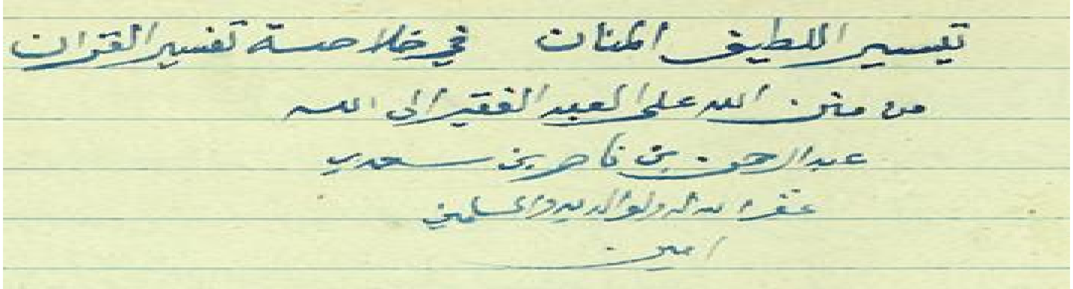
تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن
من منن الله على العبد الفقير إلى الله
عبدالرحمن بن ناصر بن سعدي
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين
آمين

وقد أَشارَ إليهِ رَحِمَهُ اللهُ في بعضِ مؤلَّفاتِهِ ورسائِلِهِ، بـ"خُلاصَةِ التَّفسيرِ"؛ اختصارًا للاسمِ، ومِن بابِ الوصفِ لَهُ، وليسَ اسمًا آخرَ، كما سيأْتي في المطلبِ التَّالي، في الفقرةِ الثَّالثةِ منهُ.

٢- أنَّ الكتابَ طُبِعَ في حياةِ المؤلِّفِ رَحِمَهُ اللهُ، وأَهدَى مِنهُ للمشايخِ، وطلبةِ العِلْمِ، ولأَصدقائِهِ ومُحبِّيهِ، وهو يحملُ هذا الاسمَ[1].

المطلبُ الثَّاني: إثباتُ نِسبةِ الكتابِ للمؤلِّفِ رَحِمَهُ اللهُ.

لا يَشكُّ أَحدٌ في نسبةِ هذا الكتابِ للسّعديِّ رَحِمَهُ اللهُ؛ وذلكَ للأُمورِ التَّاليةِ:

١- قُرْبُ العهدِ بالمؤلِّفِ رَحِمَهُ اللهُ، وطباعتُهُ للكتابِ في حياتِهِ باسمِهِ، سَنَةَ: (١٣٦٨هـ)[2].

٢- نَصَّ المؤلِّفُ رَحِمَهُ اللهُ، على كتابتِهِ وتأْليفِهِ، وسببِ ذلكَ، بما يميِّزُهُ عن غيرِهِ مِن كتبِهِ، فقال: "فقد كُنتُ كتبتُ كتابًا في تفسيرِ القرآنِ؛ مَبسوطًا مُطوَّلًا[3]، يَمْنعُ القُرَّاءَ مِن الاستمرارِ بقراءتِهِ، ويَفْتُرُ العزمُ عن نشرِهِ، فأَشارَ عليَّ بعضُ العارفِينَ النَّاصحِينَ أَنْ أَكتبَ كِتابًا غيرَ مُطوَّلٍ، يحتوي على خُلاصةِ ذلكَ التَّفسيرِ، ونَقتَصِرُ فيهِ على الكلامِ على بعضِ

---

(١) ينظر: (ص:٤).

(٢) المرجع السَّابق.

(٣) الذي اشتهر باسم: "تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان"، وهو مطبوع، ومتداول بين العلماء، وغيرهم.

الآياتِ التي نَختارُها ونَنْتَقِيها مِن جميعِ مواضيعِ علومِ القرآنِ، ومَقاصِدِهِ، فاستعنتُ اللهَ على العملِ على هذا الرَّأْيِ الميمونِ؛ لأُمورٍ كثيرةٍ..."[١].

٣- وصفَ المؤلِّفُ رحمه الله مُحتواهُ وصفًا دقيقًا، وبيَّنَ طريقتَهُ فيهِ، بِما لا يُشاركهُ فيهِ غيرهُ، وسيأْتي نصُّ كلامهِ في المبحثِ التَّالي في بيانِ منهجهِ -إنْ شاءَ اللهُ تعالى[٢].

٤- وكذلكَ نَصَّ رحمه الله على بدايةِ تأْليفِهِ ونهايتهِ منهُ؛ فقال في رسالةٍ لأَحدِ طلَّابهِ مؤرَّخةٍ في: الثَّامنِ عشرَ من شهرِ شوالٍ، سَنةَ ثمانٍ وستِّينَ وثلاثمائةٍ وألفٍ هجريَّةٍ: "فأَشارَ عليَّ مَن ذُكِرَ، مِن مُدَّةٍ، بِكَتْبِ خُلاصةٍ للتَّفسيرِ، فما زال هذا الرَّأْيُ يَقوَى عِندِي، فيَومَ دخلَ رمضانُ استعنَّا باللهِ، وكتبتُ خُلاصةَ التَّفسيرِ، ويسَّرَ اللهُ إتمامَهُ في: ٣ شوَّالٍ[٣]، ويُمْكِنُ يبلغ مجلدٌ واحدٌ لطيفٌ"[٤].

وهذا التَّاريخُ يطابقُ التَّاريخَ الذي صرَّحَ بهِ في نهايةِ الكتابِ، كما في صورةِ خَطِّهِ، نهايةِ هذا المطْلبِ؛ حيثُ قالَ رحمه الله: "وقد يسَّرَ اللهُ تتميمَ هذا التَّعليقِ المباركِ في ٣ شوالٍ، مِن شهورِ سَنةِ ثمانٍ وستِّينَ بعد الثَّلاثمائةِ والأَلفِ مِن الهجرةِ النَّبويَّةِ"[٥].

٥- أَنَّهُ مكتوبٌ بخطِّهِ المعروفِ والمشهورِ، وكذلكَ تصريحُهِ في نهايتِهِ أَنَّهُ بخطِّهِ؛ حيثُ ختَمَ الكتابَ بقولِهِ: "بخطِّ الفقيرِ إلى اللهِ مِن كافَّةِ الوجوهِ: عبدِالرَّحمنِ بنِ ناصرِ بنِ عبدِاللهِ السّعديِّ"[٦].

---

(١) ذكر ذلك في مقدّمته لهذا الكتاب: (ص:٦).
(٢) ينظر: (ص:٦)، والأَجوبة النَّافعة عن المسائل الواقعة، (ص:٢٤١).
(٣) وعلى هذا تكون مدَّة تأْليف هذا الكتاب شهرًا، وثلاثة أَيَّام.
(٤) الأَجوبة النَّافعة عن المسائل الواقعة، (ص:٢٤٠).
ويلاحظ أَنَّ الشَّيخ لم يراع الجانب النَّحوي في هذه الرِّساله، ولو راعى ذلك لكان ضبطها: "مجلَّدًا واحدًا لطيفًا".
(٥) كما في: (ص:٦).
(٦) كما في: (ص:٦).

صورةٌ فيها تاريخُ الانتهاءِ مِن الكتابِ، ووصْفُهُ، وتصرَّيحُ المؤلِّفِ أَنَّهُ كتبَهُ بخطِّ يدِهِ:

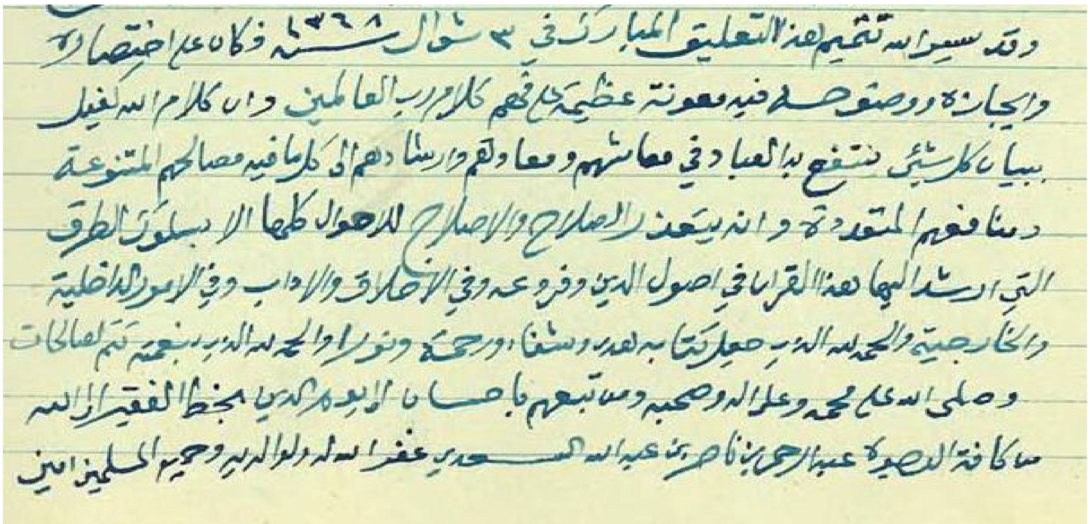

وقد يسر الله تتميم هذا التعليق المبارك في ٣ شوال سنة ١٣٦٨ وكان على اختصاره
وإيجازه ووضوحه فيه معونة عظيمة على فهم كلام رب العالمين وإن كلام الله تكفل
ببيان كل شيء ينتفع به العباد في معاشهم ومعادهم وإرشادهم إلى كل ما فيه مصالحهم المتنوعة
ومنافعهم المتعددة وإنه يتعذر الصلاح والإصلاح للأحوال كلها إلا بسلوك الطرق
التي أرشد إليها هذا القرآن في أصول الدين وفروعه وفي الأخلاق والآداب وفي الأمور الداخلية
والخارجية والحمد لله الذي جعل كتابه هدى وشفاء ورحمة ونورا والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات
وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين بخط الفقير إلى الله
[illegible] الصورة عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين آمين

المبحثُ الثَّاني: مَنهجُ المؤلِّفِ في الكتابِ(١).

سلكَ السّعديُّ رحمه الله في تأْليفِ هذا الكتابِ منهجيَّةً واضحةً، كشفَ عنها بإجمالٍ في مقدِّمتهِ المختصرةِ بقولهِ: "فأَشارَ عليَّ بعضُ العارِفينَ النَّاصِحينَ أَنْ أَكتبَ كتابًا غيرَ مطوَّلٍ، يحتوي على خُلاصةِ ذلكَ التَّفسيرِ، ونَقتَصِرُ فيهِ على الكلامِ على بعضِ الآياتِ التي نختارُها، وننتقِيها مِن جميعِ مواضعِ علومِ القرآنِ، ومقاصدِهِ"(٢).

كما أَنَّهُ بيَّنَ مُجملَ ما يحتوي عليهِ هذا الكتابُ في رسالةٍ لأَحدِ طلَّابِهِ، تكشِفُ تقسيمَهُ لهُ بقولِهِ: "وطريقةُ هذا التَّصنيفِ: أَوَّلًا: مقدَّمةٌ في الأَوصافِ العامَّةِ التي وصفَ اللهُ بِها القرآنَ، ثمَّ ذِكرُ آياتِ التَّوحيدِ والإيمانِ والكلامِ عليها، ثمَّ آياتٌ في الرِّسالةِ والمعادِ، وبقيَّةِ العقائدِ، والكلامِ عليها، ثمَّ آياتٌ جوامعُ في الأَخلاقِ الدِّينيَّةِ العُموميَّةِ، ثمَّ ذِكرُ آياتِ الأَحكامِ، ثمَّ ذِكرُ قَصصِ الأَنبياءِ المذكورةِ في القرآنِ، وما يستفادُ منها، ثمَّ ذِكرُ فوائدَ منثورةٍ، وبِها الخَتمَ الكتابُ"(٣).

وهذا كلُّهُ في أَكثرَ مِن سبعةٍ وعشرينَ فصلًا في التَّفسيرِ وعلومِ القرآنِ الكريمِ وموضوعاتِهِ.

ثمَّ إِنَّهُ بعدَ القراءةِ المتأَنِّيةِ، لهذا الكتاب يَتَّضحُ بجلاءٍ أَنَّ السّعديَّ رحمه الله قد سلكَ منهجيَّةً خاصَّةً، تَتبيَّنُ بالتَّفصيلِ التَّالي، مع الإِحالةِ إِلى الأَمثلةِ في الحاشيةِ:

١- يَجمعُ الآياتِ ذاتِ الدِّلالةِ على موضوعٍ واحدٍ، تحتَ فصلٍ، أَو موضوعٍ معيَّنٍ(٤).

٢- يَذكرُ الآياتِ التي يريدُ تفسيرَها كاملةً، ثُمَّ يفسِّرُها مجزَّأَةً، وأَحيانًا يَذكرُ بعضَ الآياتِ، ويقول: إِلى آخرِها، أَو إِلى آخرِ القِصَّةِ، ونحوِ ذلكَ(٥)، ويَندرُ أَنْ يُفَسِّرَ مُفرداتِ الآيةِ

---

(١) من أَفضل ما كتب حول منهج السّعدي في التَّفسير:

- الشَّيخ: عبدالرَّحمن بن ناصر السّعديُّ مفسِّرًا، عبدالله الطَّيار، ماجستير، جامعة الإِمام: الرِّياض، (١٤٠٧هـ).

- منهج الشَّيخ: السّعديِّ في التَّفسير الموضوعيِّ من خلال كتابيه: فتح الرَّحيم، وتيسير اللَّطيف، دراسة تحليليَّة، د. محمَّد العواجيُّ، بحث علميٌّ في مؤتمر التَّفسير الموضوعيِّ للقرآن الكريم، جامعة الشَّارقة، (١٤٣١هـ).

(٢) (ص:٦)، وينظر: (ص:٦).

(٣) الأَجوبة النَّافعة عن المسائل الواقعة، (ص:٢٤١).

(٤) لذا يُعدُّ هذا الكتاب من المؤلَّفات السَّابقة في التَّفسير الموضوعيِّ.

(٥) ينظر: (ص:٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦).

دونَ ذكرٍ مُسْبقٍ لها[١].

٣- يَبدأُ الموضوعَ بذكرِ أَشملِ آيةٍ فِيهِ، فيجعلُها كالعنوانِ لَهُ، ثُمَّ يفسِّرُها، ذاكرًا مَثيلاتِها[٢]، أَو مُشيرًا إِليها مِن غيرِ تصريحٍ، بما لا يَخفى على لَبيبٍ مكثرٍ لقراءةِ القرآنِ الكريمِ[٣].

٤- بعدَ أَنَّ يُبرزَ الموضوعَ الذي يريدُ الحديثَ عنهُ يَجتهدُ في استيعابِ دِلالاتِ الآيةِ أَو الآياتِ عليهِ، وعلى أَهدافِهِ الرَّئيسةِ؛ فيَستخرجُ عناصرَ الموضوعِ وفُروعَهَ وجُزئيَّاتِهِ مِن خلالِ تَقسيمِهِ للآياتِ، ثُمَّ يَدرسُها دِراسةً وافيةً، مُستنبطًا الفوائدَ، والأَحكامَ؛ مِمَّا يَدلُّ على اطِّلاعِهِ على أَسبابِ النُّزولِ[٤]، وأَقوالِ السَّلفِ فيها، وأَوجهِ تَفسيرِها[٥]، ودِلالاتِ الأَلفاظِ والجُمَلِ، واستِعمالاتِها في اللُّغةِ العربيَّةِ[٦].

٥- يُفسِّرُ القرآنَ بالقرآنِ؛ ويُكثِرُ مِن الرَّبطِ المباشرِ وغيرِ المباشرِ بَيْنَ آياتِ الموضوعِ الواحدِ، فيربطُ الآياتِ ببعضِها، ويوضِّحُ الآيةَ بآيةٍ أُخرَى[٧].

٦- يُلَخِّصُ دِلالةَ القرآنِ على ذلكَ الموضوعَ؛ مِن خلالِ مجموعِ الآياتِ فيهِ، وأَنواعِ الدِلالاتِ على ذلكَ مِن منطوقٍ، أَومفهومٍ، أَولزومٍ، وغيرِها[٨].

٧- يَستهدِفُ الموضوعَ الذي يَتحدَّثُ عنهُ باختصارٍ، معَ بذلِ الجُهدِ في التَّركيزِ على توضيحِ معنَى النَّصِّ، وما يُبيِّنُ المرادَ من الآياتِ؛ لذا يَتجنَّبُ ذكرَ الفضائلِ، وأَسبابِ النُّزولِ، والنَّسخِ، والرِّواياتِ، والقِراءاتِ، والوُجوهِ الإِعرابيَّةِ، والتَّفسيريَّةِ، والنِّكاتِ البلاغيَّةِ، ولا يصرِّحُ بشيءٍ مِن ذلكَ إِلَّا نادرًا، لكنَّهُ يَبني عليها التَّفسيرَ، والمسائلَ، والأَحكامَ، واللَّطائفَ والاستنباطاتِ، ويعتبرُها في نتيجةِ الحكمِ[٩].

---

(١) ينظر: (ص:٦-٦).
(٢) ينظر: (ص:٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦).
(٣) ينظر: (ص:٦، ٦، ٦، ٦، ٦).
(٤) ينظر: (ص:٦).
(٥) ينظر: (ص:٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦).
(٦) ينظر: (ص:٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦).
(٧) ينظر: (ص:٦، ٦).
(٨) ينظر: (ص:٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦).
(٩) ينظر: (ص:٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦).

٨- يُورِدُ الرَّاجحِ والمشهورِ من الأَقوالِ، ومعنَى الآياتِ، ويُعرِضُ عن الضَّعيفِ، والأَقوالِ الْمُحتَمَلةِ، والخلافِ وأَدلَّتِهِ، إِلَّا ما نَدَرَ، ويَكتَفِي بالخُلاصةِ، والعباراتِ الموجَزةِ، والمجْملةِ في المسأَلةِ؛ ولا يَستطرِدُ في المناقشاتِ، إِلَّا بقدرِ ما يحقِّقُ الهدفَ، وما يُفيدُ في ترجيحٍ، أَو رَدٍّ، أَو استنباطٍ أَو نحوِ ذلكَ[١]، مع حُسْنِ توصيفٍ، وقوَّةٍ في الاحتجاجِ، والاستدلالِ، على ما يختارُهُ أَو يُرجِّحُهُ فيذكرُ الآيةَ أَو يُشيرُ إِليها، أَو يعلِّلُ لذلكَ بإِيجاز، وقد يُصرِّحُ بالتَّصحيحِ، أَو التَّرجيحِ؛ أَو التَّضعيفِ، خاصَّةً في المسائلِ الفقهيَّةِ، أَو كان المرجوحُ أَو الخطأُ لَهُ شُهرةٌ في كتبِ التَّفسيرِ[٢].

٩- يُعرِضُ عن ذكرِ الغرائبِ والحِكاياتِ، والإِسرائيليَّاتِ، والقَصصِ التَّاريخيِّ، وقد ينبِّهُ على شيءٍ مِن ذلكَ[٣].

١٠- يَهتَمُّ بتطبيقِ قواعدِ التَّفسيرِ؛ ومَنهجيَّةِ السَّلفِ فيهِ، وفَهمِهِم للمعانِي؛ لذا يَستخلِصُ معنى الآيةِ مِن استعمالاتِها اللُّغويَّةِ[٤]، وسِياقِها، وبِما أَطلقتهُ مِن وَصْفٍ، أَو أَحوالٍ[٥]؛ وما يتعلَّقُ بِها؛ مِن حديثٍ نبويٍّ[٦]، أَو سَببِ نزولٍ[٧]، أَو تخصيصٍ[٨]، أَو تقييدٍ[٩]، أَو نَسخٍ[١٠]، أَو إِجماعٍ[١١]، أَو قِياسٍ[١٢]، أَو عَملِ الصَّحابةِ[١٣]، أَو نحوِ ذلكَ؛ مِمَّا يجعلُ

---

(١) ينظر: (ص:٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦).
(٢) ينظر: (ص:٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦).
(٣) ينظر: (ص:٦، ٦، ٦).
(٤) ينظر: (ص:٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦).
(٥) ينظر: (ص:٦، ٦، ٦، ٦).
(٦) ينظر: (ص:٦).
(٧) ينظر: (ص:٦).
(٨) ينظر: (ص:٦، ٦).
(٩) ينظر: (ص:٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦).
(١٠) ينظر: (ص:٦).
(١١) ينظر: (ص:٦، ٦، ٦).
(١٢) ينظر: (ص:٦، ٦).
(١٣) ينظر: (ص:٦، ٦، ٦، ٦).

هذا الكتابَ نُموذجًا لتطبيقِ تلكَ القواعدِ.

١١- يَذكُرِ الضَّوابطِ، والقواعدِ اللُّغويَّةِ، والأُصوليَّةِ، والفِقهيَّةِ(١)، ويَدعو إلى مُراعاتِها(٢)؛ كمَا في الفَصلِ الذي عقدَهُ: "في جوامعِ الحُكمِ والقضايا في الأُصولِ والفُروعِ"(٣).

١٢- يُوضِّحُ أَهدافَ الآياتِ، ويجتهدُ في بيانِ الأَسرارِ والحِكمِ الرَّبانيَّةِ، والغاياتِ ومقاصدِ التَّشريعِ الإلهيِّ؛ مِمَّا يُضفِي على تفسيرِهِ، وما يطرحُهُ نوعًا مِن الإقناعِ، والإمتاعِ(٤).

١٣- يُركِّزُ على أَنَّ القرآنَ العظيمَ أُنزِلَ هدايةً للنَّاسِ، وأَنَّهُ منهجُ حياةٍ، ويطبِّقُ ذلكَ مِن خلالِ رَبطِهِ للموضوعِ استدلالًا، واستنباطًا بواقعِ النَّاسِ، ومُشكلاتِهِم؛ فيُنبِّهُ، ويُرشِدُ ويُربِّي، ويُعالِجُ الواقعَ مِن خلالِ الآياتِ الَّتي تَتحدَّثُ عن ذلكَ الموضوعِ(٥).

١٤- يَعتَمِدُ المأْثورَ مِن الأَحاديثِ الصَّحيحةِ والحَسَنةِ، ويُعرِضُ عن الضَّعيفِ غالبًا(٦).

١٥- يَندُرُ أَنْ يصرِّحَ بالحديثِ أَو القولِ، وإنَّما يُشيرُ إِليهِ، أَو يُدرجُهُ في الكلامِ إدراجًا، وربَّما لا يَشعرُ بذلكَ غيرُ المدقِّقِينَ، والمختصِّينَ(٧).

١٦- يَدفعِ الإِشكالِ وما يُوهِمُ التَّعارضِ بَيْنَ آياتِ القرآنِ الكريمِ(٨).

١٧- يَعتَنِي بعُلومِ القرآنِ الكريمِ كثيرًا في غالبِ مَوضوعاتِ الكتابِ؛ معَ حُسنِ اختيارٍ، ولطافةٍ في العَرضِ، واختصار، وإيضاحٍ؛ كمَا في مقدِّمتهِ: "في ذكرِ أَوصافِ القرآنِ العامَّةِ الجامعةِ"(٩)، وحديثِهِ عن الآياتِ الْمُتقابِلاتِ(١٠)، وكمَا في الموضوعِ الذي جعلَ

(١) ينظر: (ص:٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦).
(٢) ينظر: (ص:٦).
(٣) ينظر: (ص:٦-٦).
(٤) ينظر: (ص:٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦).
(٥) ينظر: (ص:٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦).
(٦) ينظر: (ص:٦، ٦، ٦).
(٧) ينظر: (ص:٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦).
(٨) ينظر: (ص:٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦).
(٩) ينظر: (ص:٦-٦).
(١٠) ينظر: (ص:٦-٦).

عُنونَهُ: "فوائدَ منثورةً منوَّعةً غيرَ مُرتَّبةٍ"[١]، والذي أَبرازِ فيهِ مَوضوعاتٍ شتَّى من علومِ القرآنِ، كالأَوجهِ والنَّظائرِ[٢]، والْمُشْكِلِ ومُوهمِ التَّعارضِ بيْنَ الآياتِ[٣]، والنَّفيِ في القرآنِ[٤]، وخَتمِ الآياتِ بالأَسماءِ الحُسْنَى[٥]، ومَوضوعِ الكلِّيَّاتِ[٦]، والخِطاباتِ[٧]، والأَسبابِ[٨]، والأَمثالِ في القرآنِ[٩]، والمصطلَحاتِ التي كَثُرَ ورودُها في القرآنِ[١٠]، وغيرِ ذلكَ من الفوائدِ في عُلومِ القرآنِ، ومَوضوعاتهِ[١١].

١٨- يَتَّبِعُ مَنهجَ السَّلفِ في العَقيدةِ، ويَستدلُّ لذلكَ، ويُولِيها اهتمامًا أَوَّليًّا، كما في الفُصولِ التي عقدِها في أَولِ الكتابِ المتعلِّقةِ بالتَّوحيدِ[١٢]، والرِّسالةِ[١٣]، والمعادِ[١٤].

١٩- يَعتَنِي بالردِّ على خُصومِ العَقيدةِ؛ مُنطلِقًا مِن النُّصوصِ الشَّرعيَّةِ ومنهجِها، مُركِّزًا على الأَدلَّةِ العقليَّةِ في دحضِ شُبهاتِ الكافرينَ والملحِدِينَ، والزَّائغِينَ، والْمُغتَرِّينَ بهم[١٥].

٢٠- يَذكُرُ أَسماءَ اللهِ الحُسنَى، ويُوضِّحُ ما اشتملتْ عليهِ مِن المعانِي العظيمةِ، ويُبيِّنُ مناسبةَ ختمِ الآيةِ بِها، ويستخرجُ ما يتعلَّقُ بِها مِن الفوائدِ اللَّطيفةِ، والنَّوادرِ الرَّائعةِ، ويستشهدُ لذلكَ بالآياتِ، ويُبيِّنُ عِلاقَتها بالعَقيدةِ، وأَثرَها في التَّربيةِ والسُّلوكِ[١٦].

---

(١) ينظر: (ص:٦-٦).
(٢) ينظر: (ص:٦-٦، ٦-٦).
(٣) ينظر: (ص:٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦).
(٤) ينظر: (ص:٦-٦).
(٥) ينظر: (ص:٦-٦).
(٦) ينظر: (ص:٦، ٦).
(٧) ينظر: (ص:٦-٦).
(٨) ينظر: (ص:٦-٦).
(٩) ينظر: (ص:٦-٦).
(١٠) ينظر: (ص:٦-٦).
(١١) ينظر: (ص:٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦).
(١٢) ينظر: (ص:٦-٦).
(١٣) ينظر: (ص:٦-٦).
(١٤) ينظر: (ص:٦-٦).
(١٥) ينظر: (ص:٦، ٦-٦، ٦، ٦-٦، ٦-٦).
(١٦) ينظر: (ص:٦، ٦، ٦).

٢١- يَتحدَّثُ عن قَصصِ القرآنِ الكريمِ بإيجازٍ؛ ويُورِدُ كلَّ قصَّةٍ على حِدَةٍ، جامعًا أطرافَها، وما تفرَّقَ مِنها، مُلِمًّا بموضوعِها، كما تحدَّثَ عنها القرآنُ، مِن غيرِ زيادةِ أَخبارٍ، أَو أَقاويلَ إِسرائيليَّةٍ فيها[١]، وقد صرَّح بمنهجِهِ في ذلكَ بقولِهِ: "سوفَ آتي بهذهِ القَصصِ، وأَجمعُ القِصَّةَ في موضعٍ واحدٍ، وأَحرَصُ على ما دلَّتْ عليهِ أَلفاظُ الكتابِ مِن سياقِها مِن أَوَّلها إِلى آخرِها، وأُتبعُ كلَّ قِصَّةٍ بِما يفتحُ اللهُ بهِ مِن الفوائدِ الأُصوليَّةِ والفُروعيَّةِ والأَخلاقِ والآدابِ، والمواضيعِ المتنوِّعةِ"[٢].

٢٢- يُمعِنُ النَّظرَ والاعتبارَ بالقَصصِ القرآنيِّ، ويجعلُها كالأَمثالِ[٣]؛ فيُحرِّرُ فوائدَها، ويستنبِطُ الكثيرَ مِن الأَحكامِ الشَّرعيَّةِ، والتَّربويَّةِ مِنها، ويستخلِصُ مِنها العديدَ مِن الدُّروسِ والعِبرِ، ويجعلُ مِن تلكَ القَصصِ بابًا مِن العِلْمِ، عظيمَ النَّفعِ والأَثرِ[٤].

٢٣- يَتجنَّبُ تكرارَ ذكرِ الفوائدِ، وقد ينصُّ على الاكتفاءِ بما سبقَ مِنها[٥].

---

(١) ينظر: (ص:٦، ٦).

(٢) ينظر: (ص:٦).

(٣) لعلَّه استفاد هذا من ابن تَيميَّةﷺ، حين قال بعد كلامه عن الأَمثال: "ونظير ذلك ذكر القصص؛ فإِنَّها كلَّها أَمثال، هي أُصولُ قياسٍ واعتبار، ولا يمكن هنا تعديد ما يعتبر بها؛ لأَنَّ كلَّ إِنسان لَهُ في حالةٍ منها نصيبٌ، فيُقال فيها: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾، [يوسف:١١١]، ويُقال عقب حكايتها: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾، [الحشر:٢]، ويقال: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾، [آل عمران:١٣]، والاعتبار هو القياس بعينه". مَجْمُوع الفَتَاوَى، (١٤/٥٧-٥٨).

(٤) كما نصَّ على ذلك: (ص:٦).

(٥) ينظر: (ص:٦، ٦، ٦-٦).

وفي قصَّة ذي القَرنَين لم يذكر فوائد منها: (ص:٦-٦).

المبحثُ الثَّالثُ: مَصادرُ الكتابِ.

بعدَ التَّدقيقِ والتَّنقيبِ في الكتابِ، وبعدَ إحالةِ المعلوماتِ إلى مصادرِها، اتَّضحَ جليًّا أَنَّ السّعديَّ رحمه الله قد تأثَّرَ بقراءاتِهِ المتعدِّدةِ للقدماءِ، والمعاصِرينَ لَهُ، وأَنَّ هذا الكتابَ يُعدُّ خُلاصةً متميِّزةً للمعلوماتِ والاجتهاداتِ التي وصَلَ إليها حِينَ إعدادِهِ، وأَغلبُ الظَّنِّ أَنَّهُ كان يَكتُبُ مِن حفظِهِ؛ ومِمَّا تجمَّعَ لَهُ مِن معلوماتٍ غزيرةٍ[١]، ومِمَّا يدلُ على ذلكَ:

١- أَنَّهُ لا يذكرُ الأَحاديثَ بلفظِها إِلَّا نادرًا، بل الغالبُ بنحوِ لفظِهَا[٢]، أَو معناهَا[٣].

٢- أَنَّهُ لم ينصَّ على أَنَّهُ نقلَ مِن أَحدٍ، ولم يُشِرْ إلى ذلكَ.

٣- أَنَّهُ اعتادَ على إِلقاءِ التَّفسيرِ، والفوائدِ، والاستنباطاتِ مِن الآياتِ ارتجالًا[٤] على طلابِهِ، وغيرِهم في المسجدِ قبلَ تأْليفِ هذا الكتابِ بأَربعَ عشرةَ سَنةٍ، حتَّى أَنهَى تفسيرَهُ المسمَّى: "تيسيرَ الكريمِ الرَّحمنِ في تفسيرِ كلامِ المنَّانِ"، وقد نصَّ على العلاقةِ بينهما في مقدِّمةِ: "تيسيرِ اللَّطيفِ المنَّانِ في خلاصةِ تفسيرِ القرآنِ"، وأَنَّ هذا الكتابَ خُلاصةٌ لذلكَ التَّفسيرِ[٥].

وبعدَ هذا يُمْكنُ التَّأْكيدُ على ما يلي:

أَوَّلًا: بالنَّظرِ إلى سيرةِ السّعديِّ رحمه الله العِلميَّةِ نجدُ أَنَّهُ كانَ عاكفًا على كتبِ ابنِ تَيميَّةَ وابنِ القَيِّمِ رحمهما الله، قراءةً، وشرحًا، واستخراجًا لكنوزِهما، وأَنَّهُ قد تأَثَّرَ بِهما تأَثرًا كثيرًا في حياتِهِ العِلمِيَّةِ، وأَنَّهُ أَثْنَى عليهِما، وأَرشَدَ إلى الاستفادةِ مِنهما، وقد سبقَ كلامُهُ في ذلكَ[٦]؛ كما سبقَتْ نصوصُ العلماءِ[٧]، والْمُترَجِمينَ لَهُ[٨] على تأَثُّرِهِ بهذين العَلَمَينِ؛ ولذا لايشكُّ من يقرأُ هذا

(١) أَشار إلى هذا البسَّام رحمه الله فيما سبق: (ص:٦).

(٢) ينظر: (ص:٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦).

(٣) ينظر: (ص:٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦، ٦).

(٤) ينظر: روضة النَّاظرين، (١/٢٩٧).

(٥) ينظر: (ص:٦).

(٦) سبق ذلك: (ص:٦-٦).

(٧) سبق ذلك: (ص:٦، ٦).

(٨) سبق ذلك: (ص:٦، ٦).

الكتابَ، ويَتمعَّنُ فيهِ أَنَّ مؤلِّفهُ قد تأَثَّرَ بِمدرَسةِ هذينِ الشَّيخَينِ، وأَنَّهُ استفادَ من شيخِ الإِسلامِ ابنِ تَيميَّةَ(١)، والعلَّامةِ ابنِ القَيِّمِ(٢) استفادةً كبرى؛ في الأُسلوبِ، والتَّقسيماتِ، والاستنباطاتِ، والاختياراتِ، والاستدلالِ، والضَّوابطِ والقواعدِ، والاعتناءِ بمذهبِ السَّلفِ، والرُّدودِ على المخالِفِينَ، وغيرِها، ومع أَنَّهُ لم يُصرِّحْ بالنَّقلِ عنهُما إِلَّا أَنَّ الواقعَ شاهدٌ بذلكَ، وما في حاشيةِ هذا التَّحقيقِ كافٍ عن ضربِ الأَمثلةِ؛ فهي مليئةٌ، ومثقلةٌ بإِحالةِ المعلوماتِ إِليهِما، أَو لأَحدِهما.

ثانيًا: بالنَّظرِ إِلى موضوعاتِ الكتابِ، وفصولِهُ يتَّضحُ أَنَّ السّعديَّ رحمه الله قد استفادَ مِن عددٍ مِن العلماءِ، وبيانُ ذلكَ كما يلي:

- البغويُّ رحمه الله في تفسيرِهِ: -معالِمِ التَّنزيلِ- في معاني الآياتِ، والأَقوالِ، وبعضِ القراءاتِ، والغريبِ، والآثارِ(٣).
- ابنُ تيميَّةَ، وابنُ القَيِّمِ رحمهما الله في جميع مواضيع الكتاب(٤).

---

(١) ينظر: الإِحالات على كتب ابن تيميَّة رحمه الله في الحاشية: (ص:٦، ٦).
وسبق أَنَّ للمؤلِّف رحمه الله: "طريق الوصول إِلى العلم المأْمول بمعرفة القواعد والضَّوابط والأُصولِ"، وهو مجموع من كتب ابن تَيميَّة وابن القَيِّم رحمهما الله. ينظر: حاشية هذا التَّحقيق: (ص:٦).

(٢) ينظر: الإِحالات على كتب ابن القيِّم رحمه الله في الحاشية: (ص:٦، ٦).
وسبق أَنَّ للمؤلِّف رحمه الله: "طريق الوصول إِلى العلم المأْمول"، وهو مجموع من كتب ابن تَيميَّة وابن القَيِّم رحمهما الله. ينظر: حاشية هذا التَّحقيق: (ص:٦).

(٣) ينظر: الإِحالات على: "معالم التَّنزيل"، في الحاشية: (ص:٦، ٦).

(٤) سبقت الإِحالات إِلى كتبهما في المرجعين قبل السَّابق.

- ابنُ كثيرٍ رحمه الله في تفسيرِهِ: -تفسيرِ القرآنِ العظيمِ- في معانِي الآياتِ، وقَصصِ القرآنِ، وبعضِ اللَّطائفِ، والفوائدِ، وتَحقيقِ بعضِ المسائلِ والأَقوالِ، وخلاصتِها، وردِّ الضَّعيفِ مِنها(١).

- ابنُ رَجَبٍ رحمه الله في الفَصلِ الذي عَقَدَهُ المؤلِّفُ رحمه الله: "في جوامعِ الحُكمِ والقَضايا في الأُصولِ والفُرُوعِ"(٢).

هذا وللسَّعديِّ رحمه الله شَخصيَّتهُ المستقِلَّةُ في الأَخذِ والرَّدِّ، والتَّصحيحِ والتَّرجيحِ، والاستِدلالِ والاستنباطِ، والتَّعليلِ، والصِّياغةِ، والتَّجديدِ في الأُسلوبِ، والطُّرقِ في إيرادِ المعلوماتِ، واختصارِها، وتنوِّعِها، والاستفادةِ من المتقدِّمينَ والمتأَخِّرينَ في ذلكَ؛ كما اتَّضحَ هذا في المبحثِ السَّابقِ؛ الخاصِّ بمَنْهَجِهِ في الكتاب(٣)، وكما سيأْتي في المبحثِ التَّالي الذي يَكشفُ عن القِيمةِ العِلميَّةِ لهذا الكتابِ، وعن جُملةٍ من الْمِيزاتِ التي يَتحلَّى بها.

---

(١) ينظر: الإحالات على تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، في الحاشية: (ص:٦، ٦).

(٢) ينظر: الإحالات على قواعد ابن رجب، في الحاشية: (ص:٦-٦).
وسبق أَنَّ للؤلِّف رحمه الله: "تُحْفة أَهل الطَّلب في تجريد قواعد ابن رَجَب". ينظر: حاشية هذا التَّحقيق: (ص:٦).

(٣) ينظر: (ص:٦-٦).

المبحثُ الرَّابعُ: القِيمةُ العِلميَّةُ للكتابِ.

إنَّ كتابَ: "تيسيرِ اللَّطيفِ المنَّانِ في خلاصةِ تفسيرِ القرآنِ" ذو قِيمةٍ علميَّةٍ عاليةٍ، ولهُ قدرٌ كبيرٌ عندَ العلماءِ، وطلَّابِ العِلْمِ؛ فقد تَداوَلوهُ، قديمًا وحديثًا، واستفادوا مِنهُ كثيرًا؛ قراءةً وتَدريسًا، وتَدُّبرًا واستنباطًا، ومنهجيَّةً وأُسلوبًا، وعقيدةً وأَحكامًا، وتربيةً وسلوكًا، وغيرَها.

ولا عجبَ أَنْ يحصلَ هذا الإقبالُ والاهتمامُ؛ فالمؤلِّفُ رحمه الله قد قصدَ ذلكَ حينما جعلَهُ خُلاصةً لتفسيرِهِ –تيسيرِ الكريمِ الرَّحمنِ– حسبَ الموضوعاتِ؛ حيثُ اقتصرَ فيهِ على الكلامِ على بعضِ الآياتِ التي اختارَها، وانتقاها مِن جميعِ مواضعِ علومِ القرآنِ، ومقاصدِهِ[1].

بل إنَّ تلكَ الطَّريقةِ التي سلَكها المؤلِّفُ رحمه الله في تقسيمِهِ الرَّائدِ البديعِ للكتابِ؛ معَ تنوّعٍ وشمولٍ في موضوعاتِهِ، ومعلوماتِهِ، تجذبُ القرَّاءَ وطلَّابَ العِلمِ لهُ، وتُظهِرُ بجَلاءٍ قيمتَهُ العِلميَّةَ ومكانتهُ؛ حيثُ قدَّمَ للكتابِ بمقدِّمةٍ بيَّنَ فِيها: أَسماءَ وأَوصافَ القرآنِ الكريمِ العامَّةَ، ثمَّ أَعقَبَ ذلكَ بذكرِ آياتِ التَّوحيدِ والإيمانِ والكلامِ عليها، ثمَّ آياتٍ في الرِّسالةِ والمعادِ، وبقيَّةِ العقائدِ، وفي كلِّ هذا يُركِّزُ على المنهجِ القَويمِ، ويُقرِّرُهُ بوضوحٍ، ويبيِّنُ زيفَ المبطِلينَ والمعاندِينَ، ويكشفُ عن مكرِهِم، وعدائِهم، بأُسلوبٍ حكيمٍ، واستدلالٍ شرعيٍّ، وعقليٍّ مفهومٍ، ثمَّ انتقلَ إلى آياتٍ جامعاتٍ في الأَخلاقِ والسُّلوكِ، فمِن خِلالها يوجِّهُ ويُربِّي، ويَكشِفُ عن هَدي الاسلامِ ومحاسنِهِ، ثمَّ اتَّجه إلى الحديثِ عن آياتِ الأَحكامِ، وفصَّلَ فِيها، ثمَّ ساق خُلاصةَ قَصصَ الأَنبياءِ والصَّالحينَ في القرآنِ الكريمِ، وما يستفادُ مِنها، ثمَّ ختَمَ الكتابَ بفوائدَ منثورةٍ، ومصطلحاتٍ درجَ عليها القرآنُ الكريمُ[2].

هذا وتَبرزُ القِيمةُ العِلميَّةُ لهذا الكتابِ، وما يَتميَّزُ بهِ بالتَّفصيلِ التَّالي:

١- استيعابُهُ غالبَ موضوعاتِ القرآنِ؛ كالعقيدةِ، والعباداتِ، والمعاملاتِ، والعلاقاتِ، والسِّيرةِ، والقَصصِ، وغيرِها.

٢- إِشباعُهُ للموضوعاتِ التي تحدَّثَ عنها، والمعلوماتُ الوافرةُ التي تَصِلُ إِلى القُلوبِ، والعقولِ بيُسرٍ وسهولةٍ.

---

(١) ينظر: مقدمة الكتاب: (ص:٦).

(٢) ينظر: الأَجوبة النَّافعة عن المسائل الواقعة، (ص:٢٤١).

٣- الاستنباطاتُ الدَّقيقةُ، وسَردُ الفوائدِ، واللَّطائفِ مِن الآياتِ، والاهتمامُ والتَّركيزُ على ذلكَ؛ ممَّا يدلُّ على مَلَكةٍ في الاستنباطِ، وعلمٍ غزيرٍ، وفَهمٍ دقيقٍ لدى المؤلِّفِ رحمه الله.

٤- النَّظرةُ المتأنِّيَةُ، والفَهمُ الثَّاقبُ في اختيار الرَّاجح مِن الأَقوالِ، وإِن لم يصرِّحْ بِها.

٥- البُعدُ عن ذكرِ الخلافِ، والرِّوياتِ، والفضائلِ، والقِراءاتِ، إلَّا ما تدعو الحاجةُ إليهِ[1].

٦- تجنُّبُ الحَشوِ، والتَّطويلِ الْمُملِّ.

٧- إعطاءُ القارئِ خلاصةَ تفسيرِ الآيةِ، وفوائدِها.

٨- الوضوحُ والبيانُ الذي اتَّسمتْ بهِ عبارةُ المؤلِّفِ رحمه الله، والأُسلوبُ الجامعُ بيْن السُّهولةِ واللَّطافةِ، والقوَّةِ والرَّصانةِ؛ فلا خفاءَ فيهِ، ولا غموضَ؛ لذا نجدُهُ يَعرِضُ المسائلَ، والاستنباطاتِ بأُسلوبٍ سَلسٍ مفهومٍ، وحديثٍ جذَّابٍ، وعبارةٍ أَدبيَّةٍ، سهلةٍ بيِّنةٍ، غيرِ مُتكلَّفةٍ، يَفهَمها العالِمُ، ومَن دونَهُ.

٩- المنهجُ السَّلفيُّ الذي اتَّبعهُ المؤلِّفُ رحمه الله في العقيدةِ، والاهتمامُ بترسيخِها، وبيانِها، والتَّميزُ في تحريرِها، وتوضيحِها بأَساليبَ، ومناسباتٍ متنوِّعةٍ.

١٠- المناقشاتُ العقليَّةُ، والرُّدودُ الموجَزةُ على المخالِفينَ مِن أَهلِ الإلحادِ، والمخدوعِينَ بِهم.

١١- الجَمعُ بيْن المعنى المقصودِ، والحديثِ عن أَسرارِ التَّشريعِ وحِكَمِهِ، ومقاصدِهِ.

١٢- الجمعُ بيْن التَّفسيرِ وعلومِ القرآنِ، والتَّربيةِ.

١٣- بيانُ عظمةِ القرآنِ وإعجازِهِ، ووجوهِ الآياتِ، ونظائرِها.

١٤- الاهتِمامُ بشأْنِ الأُسرةِ، وأَحكامِها.

١٥- ربطُ تفسيرِ الآياتِ بالواقعِ، وحالِ النَّاسِ، وأَنَّ القرآنَ الكريمَ والسُّنَّةَ هما سبيلُ صلاحِ

---

(١) ومع نفع هذه الأُمور، وعظيم فائدتها، إلَّا أَنَّ إيرادها يناسب فئة معيَّنة من طلَّاب العِلم، دون غالب النَّاس، الذين يفضِّلون الكتب المختصرة، ولا يفهمون ما يورد من الخلاف، والرِّوايات، والقراءات، ونحوها، وربَّما كان إيرادها سببًا للإشكال عند بعضهم؛ لذا قصد السّعديُّ رحمه الله في هذا المؤلَّف تقريب العِلم، وتسهيلة، وانتشاره بين النَّاس، ولم يزل أَهل العِلم قديمًا وحديثًا يؤلِّفون في الفنِّ الواحد عددًا من المؤلَّفات ما بين مطوَّل ومتوسط ومختصر؛ لتناسِب المدارك المختلفة، ومراحل التَّعلم.

النَّاسِ في معاشِهِم ومعادِهِم.

١٦- الكتابُ نُموذجٌ فريدٌ، يُحتَذى بهِ في التَّفسيرِ الموضوعيِّ؛ مِن خلالِ جَمعهِ للآياتِ في الموضوعِ الواحدِ، ثُمَّ مِن خلالِ الحديثِ عنها، مع الإيجازِ والشُّمولِ والوضوحِ، والبعدِ عن التَّكلُّفِ.

المبحثُ الخامسُ: وصفُ النُّسخةِ الخَطيَّةِ، ونماذجُ مِنها، وفيهِ ثلاثةُ مطالبَ:

المطلبُ الأَوَّلُ: وصفُ النُّسخةِ الخَطيَّةِ:

تمَّ العثورُ -بحمدِ اللهِ- على نُسخةِ المؤلِّفِ رحمه الله التي بخطِّ يدهِ(١)، وصفتُها كما يلي:

أ- أَنَّها نُسخةٌ كاملةٌ.

ب- الخطُّ فيها واضحٌ لا غموضَ فيهِ.

ج- أَنَّها سَليمةٌ مِن العُيوبِ.

د- خَطَّها المؤَلِّفُ رحمه الله باللَّونِ الأَزرَقِ، عدا العناوينِ، وأَسماءِ الفصولِ، والآياتِ التي يَبتدئُ بِها الموضوعَ، فإِنَّها باللَّونِ الأَحمرِ.

هـ- صَفحاتُها مرقَّمةٌ؛ تبدأُ برقمِ: (١)، وتنتهي برقمِ: (١٦٨)؛ عِلمًا أَنَّهُ يوجدُ تكرارٌ في أَرقامِ ورقتينِ هُما: (١٤٤، ١٤٥)؛ فيكونُ مجموعُ أَوراقِ المخطوطِ: (١٧٠) ورقةً.

و- مَقاسُ الصَّفحاتِ: (A4).

ز- الكِتابةُ في الصَّفحاتِ على وجهٍ واحدٍ.

ح- تَبلغُ مجموعُ صفحاتِها: (١٧٠)، صفحةً، مع المكررِ.

ط- الأَسطرُ والكلماتُ مُتَّسقةٌ، ومنتظمةٌ.

ي- حَجمُ كتابةِ الكلماتِ متوسِّطٌ؛ وهو إِلى الصِّغَرِ أَقربُ.

ك- تَتراوحُ الأَسطرُ في الصَّفحةِ الواحدةِ ما بينَ ثلاثينَ، وأَربعةٍ وثلاثينَ سطرًا.

ل- عَددُ الكلماتِ في السَّطرِ الواحدِ ما بينَ عشرٍ إِلى خمسَ عشرَةَ كلمةً تقريبًا.

---

(١) أَصل المخطوط موجود في مؤسَّسة الشَّيخ: ابن عُثَيْمِين، وهو بخطِّ المؤلِّف رحمه الله، عدا صفحات قليلة، تمَّ بيانها: (ص:٦، ٦، ٦).

المطلبُ الثَّاني: نَماذجُ من النُّسخةِ الخَطيَّةِ:

صورةُ أَوَّلِ المخطوطِ، بخطِّ المؤلِّفِ ﷺ.

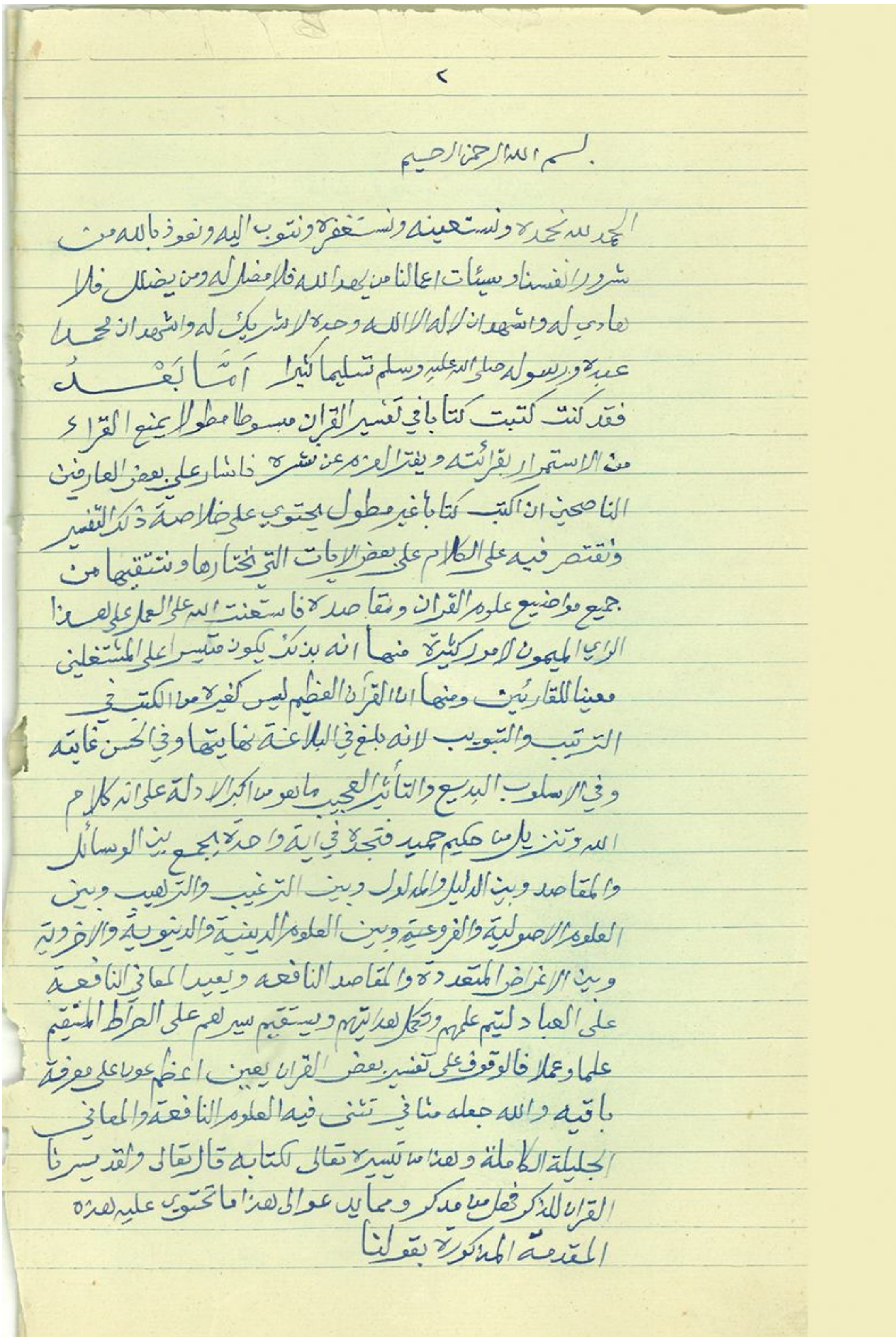

٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه ونعوذ بالله من
شرور انفسنا وسيئات اعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا
هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا
عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا اما بعد
فقد كنت كتبت كتابا في تفسير القران مبسوطا مطولا يمنع القراء
من الاستمرار بقراءته ويفتر العزم عن نشره فاشار علي بعض العارفين
الناصحين ان اكتب كتابا غير مطول يحتوي على خلاصة ذلك التفسير
ونقتصر فيه على الكلام على بعض الايات التي نختارها ونتنقيها من
جميع مواضيع علوم القران ومقاصده فاستعنت الله على العمل على هذا
الرأي الميمون لامور كثيرة منها انه بذلك يكون متيسرا على المشتغلين
معينا للقارئين ومنها ان القران العظيم ليس كغيره من الكتب في
الترتيب والتبويب لانه بلغ في البلاغة نهايتها وفي الحسن غايته
وفي الاسلوب البديع والتأثير العجيب ما هو من اكبر الادلة على انه كلام
الله وتنزيل من حكيم حميد فتجده في اية واحدة يجمع بين الوسائل
والمقاصد وبين الدليل والمدلول وبين الترغيب والترهيب وبين
العلوم الاصولية والفروعية وبين العلوم الدينية والدنيوية والاخروية
وبين الاغراض المتعددة والمقاصد النافعة ويعيد المعاني النافعة
على العباد ليتم علمهم وتكمل هدايتهم ويستقيم سيرهم على الصراط المستقيم
علما وعملا فالوقوف على تفسير بعض القران يعين اعظم عون على معرفة
باقيه والله جعله مثاني تثنى فيه العلوم النافعة والمعاني
الجليلة الكاملة وهذا من تيسيره تعالى لكتابه قال تعالى ولقد يسرنا
القران للذكر فهل من مدكر ومما يدعو الى هذا ما تحتوي عليه هذه
المقدمة المذكورة بقولنا

صورةُ الورقةِ الأَخيرةِ مِن المخطوطِ، بخطِّ المؤلِّفِ رحمه الله.

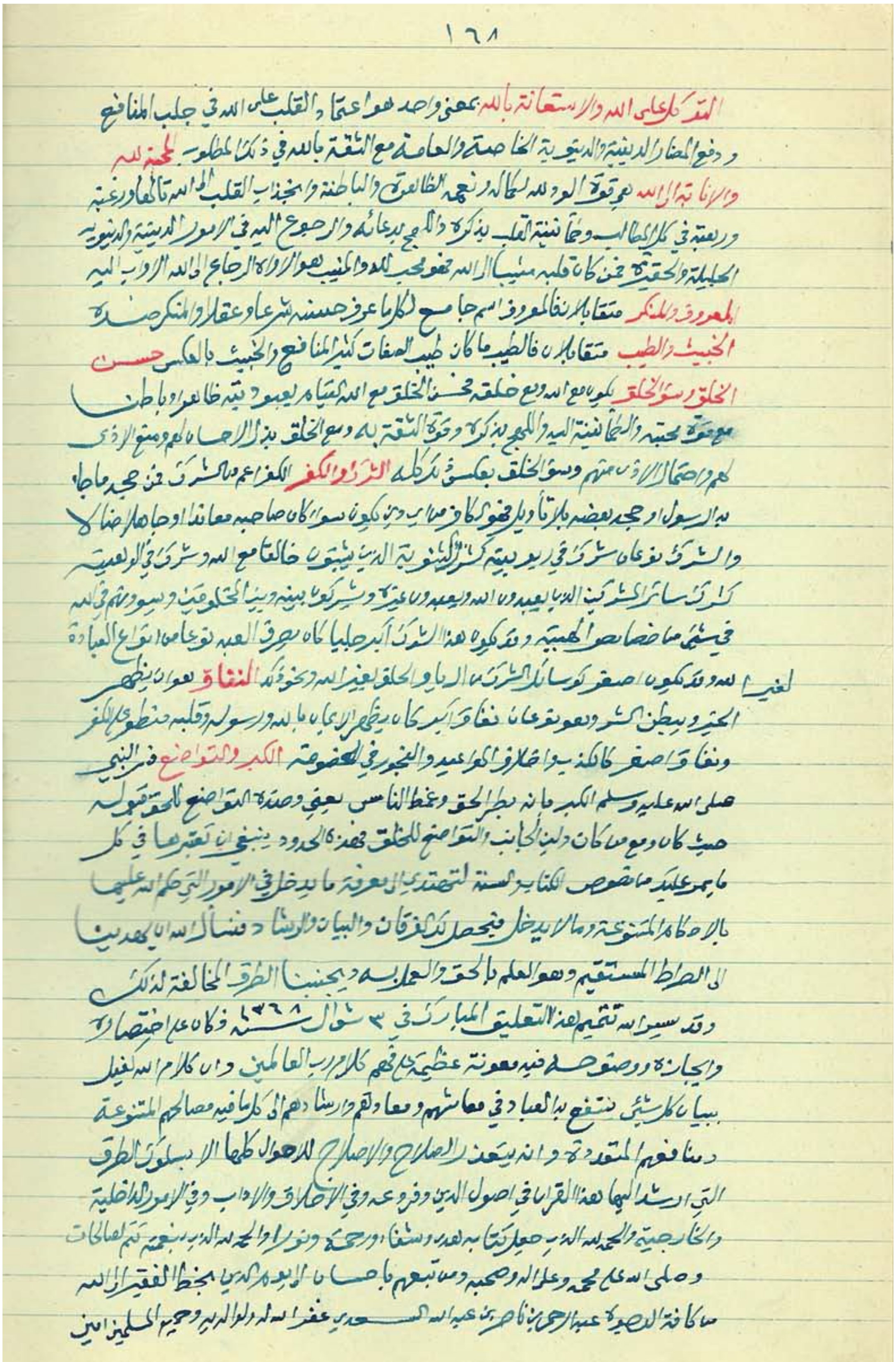

١٦٨

التوكل على الله والاستعانة بالله بمعنى واحد هو اعتماد القلب على الله في جلب المنافع ودفع المضار الدينية والدنيوية الخاصة والعامة مع الثقة بالله في ذلك المطلوب. المحبة لله والإنابة إلى الله هو قوة الود لله لكماله ونعمه الظاهرة والباطنة وانجذاب القلب إلى الله تألهاً ورغبة ورهبة في كل المطالب وطمأنينة القلب بذكره والهج بدعائه والرجوع إليه في الأمور الدينية والدنيوية الجليلة والحقيرة فمن كان قلبه منيباً إلى الله فهو محب لله والمنيب هو الأواه الرجاع إلى الله الأواب إليه. المعروف والمنكر متقابلان فالمعروف اسم جامع لكل ما عرف حسنه شرعاً وعقلاً والمنكر ضده. الخبيث والطيب متقابلان فالطيب ما كان طيب الصفات كثير المنافع والخبيث بالعكس. حسن الخلق وسوء الخلق يكون مع الله ومع خلقه فحسن الخلق مع الله كمال القيام بعبوديته ظاهراً وباطناً مع قوة محبته والطمأنينة إليه والهج بذكره وقوة الثقة به ومع الخلق بذل الإحسان لهم ومنع الأذى لهم واحتمال الأذى منهم وسوء الخلق بعكس ذلك كله. الشرك والكفر الكفر أعم والشرك فمن جحد ما جاء به الرسول أو جحد بعضه بلا تأويل فهو كافر وإن لم يكن مشركاً سواء كان صاحبه معانداً أو جاهلاً ضالاً والشرك نوعان شرك في الربوبية كشرك الثنوية الذين يثبتون خالقاً مع الله وشرك في الإلهية كشرك سائر المشركين الذين يعبدون الله ويعبدون معه غيره ويشركون بينه وبين المخلوقين ويسوونهم في الله في شيء من خصائص الإلهية وقد يكون هذا الشرك أكبر جلياً كأن يصرف العبد نوعاً من أنواع العبادة لغير الله وقد يكون أصغر كوسائل الشرك من الرياء والحلف بغير الله ونحو ذلك. النفاق هو أن يظهر الخير ويبطن الشر وهو نوعان نفاق أكبر كأن يظهر الإيمان بالله ورسوله وقلبه منطوٍ على الكفر ونفاق أصغر كالكذب وإخلاف الوعد والفجور في الخصومة. الكبر والتواضع فسر النبي صلى الله عليه وسلم الكبر بأنه بطر الحق وغمط الناس يعني وضده التواضع للحق وقبوله حيث كان ومع من كان ولين الجانب والتواضع للخلق فهذه الحدود ينبغي أن تعتبرها في كل ما يمر عليك من نصوص الكتاب والسنة لتهتدي إلى معرفة ما يدخل في الأمور التي حكم الله عليها بالأحكام المتنوعة وما لا يدخل فيحصل لك الفرقان والبيان والرشاد فنسأل الله أن يهدينا إلى الصراط المستقيم وهو العلم بالحق والعمل به ويجنبنا الطرق المخالفة لذلك.

وقد يسر الله تتميم هذا التعليق المبارك في ٣ شوال سنة ١٣٦٨ فكان على اختصاره وإيجازه ووضوحه فيه معونة عظيمة على فهم كلام رب العالمين وأن كلام الله كفيل ببيان كل شيء ينتفع به العباد في معاشهم ومعادهم وإرشادهم إلى كل ما فيه مصالحهم المتنوعة ومنافعهم المتعددة وأنه يتعذر الصلاح والإصلاح للأحوال كلها إلا بسلوك الطرق التي أرشد إليها هذا القرآن في أصول الدين وفروعه وفي الأخلاق والآداب وفي الأمور الداخلية والخارجية والحمد لله الذي جعل كتابه هدى وشفاء ورحمة ونوراً والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين بخط الفقير إلى الله مكافئة الصديق عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين آمين

المطلبُ الثَّالثُ: نُسخةُ البسَّامِ رحمه الله:

وصِفتُها كما يلي:

أ – أَنَّها منسوخةٌ مِن خطِّ المؤلِّفِ رحمه الله في حياتِه، بل إنَّ الفارقَ بينهما أَربعةُ أَيَّامٍ؛ حيثُ بيَّنَ تاريخَ فراغِهِ مِن الكتابِ بقولِهِ: "وقد يسَّرَ اللهُ تتميمَ هذا التَّعليقِ المباركِ في: ٣شوالٍ، مِن شهورِ سنةِ ثمانٍ وستِّينَ بعدَ الثَّلاثمائةِ والأَلفِ مِن الهجرةِ النَّبويَّةِ"(١).

وقالَ البسَّامُ رحمه الله(٢): "ووقعَ الفراغُ مِن نقلهِ مِن خَطِّ المؤلِّفِ في سابعٍ مِن الشَّهرِ المذكورِ والسَّنةِ المذكورةِ بقلمِ الفقيرِ إلى ربِّهِ: محمَّدِ السُّليمانِ العبدِالعزيزِ البسَّامِ"(٣).

ب– بَيَّنَتِ الْمَعلوماتُ لدى مَركزِ الملكِ فَيصلٍ للبحوثِ والدِّراساتِ الإِسلاميَّةِ(٤) أَنَّ هناكَ نسخةً مخطوطةً مِن الكتابِ في المكتبةِ الأَزهريَّةِ بمصرَ، وبعدَ البحثِ الدَّقيقِ عدَّةَ مرَّاتٍ أَفادَ المسؤولونَ فيها بعدمِ وجودِ شيءٍ مما ذُكِرَ، وأَنَّ مَعلوماتِ المركزِ غيرُ دقيقةٍ.

ج– تمَّ بذلُ الجهدِ في البحثِ والسُّؤالِ عنها بيْنَ طلبةِ العِلْمِ، ومَن لهم اهتمامٌ بتُراثِ السّعديِّ(٥)، والبسَّامِ(٦)، ومؤسَّسةِ ابنِ عُثَيْمِينَ رحمه الله(٧)، ومركزِ ابنِ صالحِ الاجتماعيِّ في عُنيزةَ(٨)، فَلَم يُوجَدْ لها أَثَرٌ.

---

(١) ينظر: (ص:٦).

(٢) سبقت ترجمته: (ص:٦).

(٣) كما في: (ص:٢٠٣).

(٤) المركز تابع لمؤسَّسة الملك فيصل الخيريَّة، ويسعى إلى إثراء مجالات البحوث، والمعلومات، والشُّؤون الثَّقافيَّة. ينظر: www. kff. com/ar.

(٥) وخاصَّة الأُستاذ الفاضل الأَخ: مساعد بن عبدالله بن سليمان السّعدي؛ الذي لَهُ عناية كبيرة بتراث جدِّه لأُمِّه، وله اطِّلاع واضح، ودراية، وتتبُّع دقيق لمصنَّفاته ومخطوطاته، ونِتاجه العلميِّ والتَّربويِّ، جزاه الله خيرًا.

(٦) وخاصَّة الأُستاذ الفاضل الأَخ: منصور بن محمَّد بن سليمان البسَّام، الذي لَهُ اهتمام مشكور بنشر التُّراث العِلميِّ لأَبيه، ولديه حرص، وتواصل وتعاون مع المهتمِّين بذلك، وقد أَفادني بأَنَّهم بذلوا الجهد في البحث عن نسخة والدهم فلم يجدوها، وأَنَّها مفقودة، فجزاه الله خيرًا.

(٧) مؤسَّسة خيريَّة، تُعنى بتراث الشَّيخ العِلميِّ، ومواصلة الأَعمال الخيريَّة التي كان يقوم بها. ينظر: binothaimeen. net/foundothemen.

(٨) سبق التَّعريف به: (ص:٦).

د- يظهرُ أَنَّ هذهِ النُّسخةَ هي التي جرى عليها التَّعديلُ، والتَّصويبُ، ويتَّضحُ ذلك من خلالِ النَّظرِ في الفُروقِ بينها، وبينَ نسخةِ المؤلِّفِ رحمه الله[1].

(١) ينظر حاشية هذا التَّحقيق: (ص:٦، ٦).

القسم الثَّاني:
تحقيق النَّص

تيسير اللّطيف المنان
في خلاصة تفسير القرآن

من منَنِ اللهِ على العبدِ الفقيرِ إِلى اللهِ

عبدِالرحمنِ بنِ ناصرِ بنِ سعدي

غفر الله له ولوالديه والمسلمين

آمين[١].

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

الحمدُ للهِ، نحمدُهُ ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ ونتوبُ إليهِ، ونعوذُ باللهِ مِن شُرورِ أنفسِنا، وسيِّئاتِ أَعمالِنا، مَن يهدِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَن يضلِلِ فلا هاديَ لَهُ، وأَشهدُ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأَشهدُ أَنَّ محمَّدًا عَبدُهُ ورسولُهُﷺ تسليمًا كثيرًا(١)، أَمَّا بعدُ:

فقد كُنتُ كتبتُ كتابًا في تفسيرِ القرآنِ؛ مَبسوطًا مُطوَّلًا(٢)، يَمْنعُ القُرَّاءَ مِن الاستمرارِ بقراءتهِ، ويَفْتُرُ العزمُ عن نشرِهِ، فأَشارَ عليَّ بعضُ العارفِينَ النَّاصحِينَ أَنْ أَكتبَ كِتابًا غيرَ مُطوَّلٍ، يحتوِي على خُلاصةِ ذلكَ التَّفسيرِ(٣)، ونَقْتَصِرُ فيهِ على الكلامِ على بعضِ الآياتِ التي نختارُها ونَنْتَقِيها مِن جميعِ مواضيعِ علومِ القرآنِ، ومَقاصِدِهِ(٤)، فاستعنتُ اللهَ على العملِ على هذا الرَّأْيِ الميمونِ؛ لأُمورٍ كثيرةٍ:

مِنها: أَنَّهُ بذلكَ يكونُ مُتيسِّرًا على المشتغلِينَ، مُعِيْنًا للقارئِينَ.

ومِنها: أَنَّ القرآنَ العظيمَ ليس كغيرِهِ مِن الكتُبِ في التَّرتيبِ والتَّبويبِ؛ لأَنَّهُ بلَغَ في البلاغَةِ نِهايتَها، وفي الحُسنِ غايتَهُ، وفي الأُسلوبِ البديعِ، والتَّأْثيرِ العجيبِ ما هو مِن(٥) أَكبرِ الأَدلَّةِ على أَنَّهُ كلامُ اللهِ، وتنزيلٌ مِن حكيمٍ حميدٍ؛ فتجِدُهُ في آيةٍ واحدةٍ يَجْمعُ بيْنَ الوَسائلِ(٦)، والْمَقاصِدِ(٧)،

---

(١) هذه المقدِّمة جزء مِن: "خُطبة الحاجة"، وقد خرَّج رِواياتها، وعلَّق عليها الأَلبانيُّ﵀ في كتابه: "خطبة الحاجة التي كان رسول اللهﷺ يعلمها أَصحابه".

(٢) الذي اشتهر باسم: "تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان"، وهو مطبوع، ومتداول بين العلماء، وغيرهم.

(٣) وبهذا يتَّضح أَنَّ هذا الكتاب ليس اختصارًا لـ"تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان"، كما يظنُّ البعض؛ وإنَّما يحتوي على خُلاصته؛ مِن خلال المواضيع، والآياتِ القرآنيَّة في علوم القرآن، ومقاصده، قال﵀: "ورأَينا أَنَّ الأَحسن أَن نذكر كلَّ موضوع على حِدته؛ لما فيه من التَّقريب والسُّهولة، وجمع المعاني التي مِن فنٍّ واحد في موضع واحد". (ص:٦)، وينظر التَّعريف بالكتاب: (ص:٦-٦).

(٤) هذا بيان مِن المؤلِّف﵀ لمنهجه وطريقته في الكتاب، وأَكَّد ذلك وبيَّنه: (ص:٦).
وعلى هذا يكون ما في هذا الكتاب مِن التَّفسير داخلًا في مسمَّى: "التَّفسير الموضوعي".

(٥) "مِن"، ليست في: (س).

(٦) هي: "الذَّرائع"، و"الطُّرق، و"الأَسباب" التي توصِل إلى المقاصد. ينظر: كشف الأَسرار شرح أُصول الْبَزْدَوِي، لعبدالعزيز البخاري، (٢/٣٣٩)، وتهذيب الفُروق، لمحمد بن حسين، مع أَنوار البُروق، للقَرَافي، (٢/٤٢).

(٧) هي: "المعاني"، و"المصالح"، و"الحِكَم" التي أَرادها الشَّارع ممَّا شَرع مِن الأَحكام. ينظر: كشف الأَسرار شرح أُصول الْبَزْدَوِي، (٢/٣)، ومقاصد الشَّريعة الإِسلاميَّة، لابن عاشور، (٣/١-١٠).

وبَيْنَ الدَّلِيْلِ[١] والْمَدْلُولِ[٢]، وبيْنَ التَّرغيبِ والتَّرهيبِ، وبيْنَ العلومِ الأُصوليَّةِ والفُروعيَّةِ، وبيْنَ العلومِ الدِّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ والأُخرويَّةِ، وبيْنَ الأَغراضِ المتعدِّدةِ، والمقاصِدِ النَّافعةِ، ويُعيْدُ المعانيَ النَّافعةَ على العِبادِ؛ لِيتمَّ عِلمُهُم، وتكْمُلَ هدايتُهُم، ويستقيمَ سَيرُهُم على الصِّراطِ المستقيمِ؛ عِلمًا وعمَلًا؛ فالوقوفُ على تفسيرِ بعضِ القرآنِ يُعِينُ أَعظمَ عَونٍ على معرفةِ باقِيْهِ[٣].

واللهُ جعلَهُ مثانيَ: تُثَنَّى فيهِ العلومُ النَّافعةُ، والمعاني الجليلةُ الكامِلةُ، وهذا مِن تيسيرِهِ -تعالى- لكتابِهِ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾[٤]، ومِمَّا يَدعو إلى هذا ما تحتوي عليهِ هذهِ المقدِّمةُ المذكورةُ بقَولِنا: [٢]

---

(١) الدَّلِيْلُ: "ما يؤدِّي إلى إدراك المطلوب". مُعْجَم مقاليد العلوم في الحدود والرُّسوم، للسُّيُوطِي، (ص:٧٧)، والحدود الأنيقة والتَّعريفات الدَّقيقة، للأنصاري، (ص:٨٠).

(٢) الْمَدْلُولُ: "هو المطلوب عن الدَّليل". المرجع السَّابق.

(٣) بيَّن المؤلِّف رحمه الله أَنَّ: "مِن خواصِّ تيسير الله لمعاني كتابه أَنَّه جعله أُصولًا وقواعد وأُسُسًا، إذا عرف العبد منها شيئًا وموضعًا عرف نظيره ومشابهه ومقاربه في كلِّ المواضع؛ فمعرفة بعضه يدعو إلى معرفة باقيه". فتح الرَّحيم الملك العلَّام في علم العقائد والتَّوحيد والأَخلاق والأَحكام المستنبطة من القرآن، (ص:٢٠)، وينظر: (ص:٦)، مِن هذا الكتاب.

(٤) القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠

مقدِّمةٌ: في ذكرِ أوصافِ القرآنِ العامَّةِ الجامعةِ

قد وَصفَ اللهُ كتابَهُ بأوصافٍ جليلةٍ عَظيمةٍ، تَنطبِقُ على جميعِهِ، وتَدلُّ أكبرَ دِلالةٍ على أَنَّهُ الأَصلُ، والأَساسُ لجميعِ العُلومِ النَّافعةِ، والفُنونِ المرشِدةِ لخيرِ الدُّنيا والآخرةِ.

وصَفَهُ بالْهُدى(١)، والرُّشْدِ(٢)، والفُرقانِ(٣)، وأَنَّهُ مُبينٌ(٤)، وتِبيَانٌ لكلِّ شَيءٍ(٥)؛ فهو في نفسِهِ هُدىً، ويَهدي الخَلقَ لجميعِ ما يحتاجونَهُ مِن أُمورِ دِينِهِم ودُنياهُم، ويُرشِدُهُم إلى كلِّ طريقٍ نافعٍ، ويُفرِّقُ لهم بيْنَ الحقِّ والباطلِ، والهُدى والضَّلالِ، وبيْنَ أَهلِ السَّعادةِ والشَّقاوةِ؛ بِذِكرِ أوصافِ الفريقينِ.

وفِيهِ بيانُ الأُصولِ والفُروعِ بذكرِ أدلَّتِها النَّقليَّةِ والعقليَّةِ؛ فوَصَفَهُ بهذهِ الأَوصافِ المطْلَقةِ العامَّةِ، التي لا يَشُذُّ عنها شيءٌ في آياتٍ كثيرةٍ.

وقَيَّدَ هِدايتَهُ في بعضِ الآياتِ بعِدَّةِ قُيودٍ(٦): قَيَّدَ هِدايتَهُ بأَنَّهُ هُدىً للمؤمنينَ(٧)، المتَّقينَ(٨)، لقومٍ يعقِلونَ(٩)، ويتفكَّرونَ(١٠)، ولِمَن قَصْدُهُ الحقّ(١١)؛ وهذا بيانٌ مِنهُ -تعالى- لشرْطِ هدايَتِهِ؛ وهو أَنَّ المحَلَّ لا بُدَّ أَنْ يكونَ قابِلًا وعامِلًا، فلابُدَّ لهدايَتِهِ مِن عَقلٍ، وتَفْكِيرٍ، وتَدبُّرٍ لآياتِهِ؛ فالْمُعرِضُ الذي لا يَتفكَّرُ، ولا يَتدبَّرُ آياتِهِ لا يَنتفعُ بهِ، ومَن ليس قَصْدُهُ الحقَّ، ولا غَرضَ لَهُ في

---

(١) قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢].

(٢) قال ﷻ: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا﴾ [الجن:١-٢].

(٣) قال سبحانه وتعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١].

(٤) قال تبارك وتعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ﴾ [الحجر:١].

(٥) قال جل جلاله: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩].

(٦) نصَّ ابن القيِّم على نوعي الهدى بالقرآن في: إغاثة اللَّهفان من مصايد الشَّيطان، (٢/١٦٩-١٧٢).

(٧) قال تعالى: ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النمل:١-٢].

(٨) قال ﷻ: ﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١-٢].

(٩) قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [يوسف:٢].

(١٠) قال تبارك وتعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٤٤].

(١١) قال ﷻ: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ [فصلت:٤٤].

الرَّشادِ -بل قصْدُهُ فاسدٌ، وقد وطَّنَ نفسَهُ على مُقاومتِهِ، ومُعارضتِهِ- ليس لَهُ مِن هِدايتِهِ نصيبٌ(١)؛ فالأَوَّلُ حُرِمَ هِدايتَهُ لِفقدِ الشَّرطِ، والثَّاني لوجودِ المانعِ، فأَمَّا مَن أَقبَلَ عليهِ، وتفكَّرَ في معانيهِ، وتدبَّرَها بِحُسنِ فَهْمٍ، وحُسنِ قَصْدٍ، وسَلِمَ مِن الهوى، فإِنَّهُ يَهتدِي بهِ إِلى كلِّ مَطلوبٍ، وينالُ بهِ كلَّ غايةٍ جليلةٍ، ومَرغوبٍ(٢).

ووصَفَهُ بأَنَّهُ رحمةٌ(٣): وهي الخيرُ الدِّينيُّ والدُّنيويُّ والأُخرويُّ، المترتِّبُ على الاهتداءِ بالقرآنِ؛ فكلُّ مَن كان أَعظَمَ اهتداءً بهِ فلَهُ مِن الرَّحمةِ والخيرِ، والسَّعادةِ والفلاحِ بحسَبِ ذلكَ(٤).

ووصَفَهُ بأَنَّهُ نُورٌ(٥)؛ وذلكَ لبيانِهِ وتوضيحِهِ العلومَ النَّافعةَ، والمعانيَ الكامِلَةَ، وأَنَّ بهِ يَخرجُ العبدُ مِن جميعِ الظُّلماتِ -ظُلماتِ الجهلِ والكُفرِ، والمعاصي والشَّقاءِ- إِلى نورِ العِلْمِ واليقينِ، والإِيمانِ والطَّاعةِ، والرَّشادِ المتنوِّعِ(٦).

ووصَفَهُ بأَنَّهُ شِفاءٌ لِما في الصُّدورِ(٧)؛ وذلكَ يَشملُ جميعَ أَمراضِ القُلوبِ؛ فهو يُوَضِّحُ أَمراضَ القُلوبِ، ويُشَخِّصُها، ويُرشِدُ العبادَ إِلى كلِّ وسيلةٍ يَحصُلُ بِها زوالُها وشِفاؤها؛ فَيَذْكُرُ لهم أَمراضَ الجهلِ، والشُّكوكِ والحيرةِ، وأَسبابَ ذلكَ، ويُرشِدُهُم إِلى قَلْعِها؛ بالعلومِ النَّافعةِ، واليقينِ الصَّادقِ، وسُلوكِ الطُّرقِ الصَّحيحةِ، المزيلةِ لهذهِ العِللِ، ويَذْكُرُ لهم أَمراضَ الشَّهواتِ والغَيِّ، ويُبَيِّنُ لهم أَسبابَها وعلاماتِها، وآثارَها الضَّارَّةَ، ويَذْكُرُ لهم ما بهِ تُعالَجُ؛ مِن المواعظِ والتَّذْكِيرِ(٨)، والتَّرغيبِ

---

(١) قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥].

(٢) شَرْطُ الهدايةِ مأْخوذ مِن قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:٣٧]. ينظر: غريب القرآن، لابن قُتَيْبَة، (ص:٤١٩)، والفوائد، لابن القَيِّم، (ص:٣).

(٣) قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢].

(٤) أَشار إِلى هذا المعنى ابن القَيِّم في: إِغاثة اللَّهْفان، (٢/١٧١-١٧٣)، ومَدارِج السَّالِكِين بين منازل إِيَّاك نعبد وإِيَّاك نستعين، (١/٢٧-٣٠).

(٥) قال عز وجل: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤].

(٦) قال جل جلاله: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة:١٥-١٦].

(٧) قال تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

(٨) س: "التذكُّر".

والتَّرهيبِ، والمقابَلةِ بيْنَ الأُمورِ، وترجيحِ ما ترجَّحتْ مصلحتُهُ العاجِلةُ والآجِلةُ(١).

وَوصَفَهُ بأَنَّهُ كلَّهُ مُحْكمٌ، وكلَّهُ مُتَشابِهٌ -في الْحُسنِ- وبعضَهُ مُتشابهٌ مِن وجْهٍ، مُحْكمٌ مِن وجْهٍ آخرَ(٢).

فأَمَّا وَصْفُهُ في عِدَّةِ آياتٍ أَنَّهُ كلَّهُ مُحْكمٌ؛ فلِبلاغتِهِ، وبيانِهِ التَّامِّ، واشتِمالِهِ على غايةِ الحِكْمةِ في تنزيلِ الأُمورِ مَنازِلَها، ووضْعِها مواضِعَها، وأَنَّهُ مُتَّفقٌ غيرُ مُختلِفٍ[٣]، ليس فيهِ اختلافٌ، ولا تناقضٌ بوجْهٍ مِن الوُجوهِ.

وأَمَّا حُسنُهُ؛ فلِما فيهِ مِن البيانِ التَّامِّ لِجميعِ الحقائقِ؛ ولأَنَّهُ بَيَّنَ أَحسنَ المعاني النَّافعةِ -في العقائدِ، والأَخلاقِ والآدابِ، والأَعمالِ- فهي في غايةِ الحُسْنِ لفظًا ومعنًى، وآثارُها أَحسنُ الآثارِ، وكلُّ هذهِ المعاني الْمُثَنَّاةُ في القرآنِ يَشهدُ بعضُها لبعضٍ في الحُسْنِ والكمَالِ، ويُصدِّقُ بعضُها بعضًا.

وأَمَّا وصْفُهُ بأَنَّ: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾(٣)؛ فالْمُتَشابِهاتُ(٤): هي

---

(١) استفاد المؤلِّف هنا مِن عدد مِن كتب ابن القيِّم رحمه الله، منها: الجواب الكافي، (ص:٨)، ومِفتاح دار السَّعادة، (٢٥٠/١)، وزاد الْمَعَاد، (٣٢٢/٤)، وعقَد ابن القيِّم بابًا في: إغاثة اللَّهْفان من مصايد الشيطان، (٤٤/١-٤٥)، قائلًا: "الباب السَّابع: في أنَّ القرآن متضمِّن لأدوية القلب، وعلاجه مِن جميع أمراضه".

(٢) اختُلف في مسألة: إحكام القرآن وتشابهه، على أقوال:
أُولاها: أنَّ القرآن كلَّه محكم؛ لقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:١].
والثَّاني: أنَّ القرآن كلَّه متشابه؛ لقوله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر:٢٣].
والثَّالث: في القرآن مُحكم، ومتشابه؛ لقوله تعالى: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران:٧].
والتَّقسيم الذي ذكره المؤلِّف رحمه الله يشملها جميعًا، وهو أعدلُ الأَقوال، وقد ذكره الرَّازيُّ، في تفسيره، ونقله عنه ابن تَيميَّة، ثمَّ قال: "قلت: هذا الذي ذكر مِن أنَّ القرآن كلَّه محكم، وأنَّه كلَّه متشابه قد ذَكَره عامَّةُ العلماء، والقرآنُ دلَّ على ذلك، كما ذَكَره". بيان تَلْبيس الجهميَّة في تأْسيس بدعهم الكلاميَّة، (٣٣٧/٨)، وينظر: تفسير الرَّازي، (١٣٧/٧-١٣٨)، والبُرهان في علوم القرآن، للزَّرْكَشي، (٦٨/٢)، والإِتقان في علوم القرآن، للسُّيُوطي، (٣/٣).

(٣) آل عمران: ٧

(٤) للعلماء في معنى: المحكم والمتشابه في القرآن أَقوال ذَكَر عددًا منها ابن جَرِيْر، والسَّمعاني، والخازن، والزَّرْكَشِي، وناقشها ابن تَيميَّة، وقرَّر: أَنَّ جميع القرآن يمكن عِلمُه وفهمُه، وأَنَّ الله أَمرنا بتدبُّره، ولم يَستثن منه شيئًا لا يُتدبر، وأَنَّه هدى وشفاء ونور، ولم يَستثن منه شيئًا عن هذا الوصف، ولم يَقل أَحد مِن السَّلف: إنَّ في القرآن آيات لا يَعْرِف الرسولُ ولا غيرُه معناها، كما قرَّر أَنَّ المتشابه أَمر نِسبي إِضافي؛ فقد يشتبه على أَحدٍ ما لا يشتبه على غيره. ينظر: جامع البيان عن تأْويل القرآن، لابن جَرِيْر، (١٧٤/٦-١٨٢)، وتفسير السَّمعاني، (٢٩٣/١-
=

التي يقعُ الإشكالُ في دِلالتِها؛ لسَببٍ مِن الأَسبابِ اللَّفظيَّةِ، والعِبَاراتِ الْمُرَكَّبَةِ[١]، فأَمَرَ اللهُ بِرَدِّها إلى الْمُحْكماتِ الواضحةِ، بَيِّنَةِ المعاني؛ التي هي نَصٌ في المرادِ، فإذا رُدَّتِ الْمُتَشابهاتُ إلى الْمُحْكَماتِ صارتْ كلُّها مُحْكماتٌ، وزالَ الشَّكُّ، والإِشكالُ، وحصَلَ البيانُ للهُدى مِن الضَّلالِ[٢].

وَوصَفَهُ بأَنَّهُ كلَّهُ صلاحٌ، ويَهدِي إلى الإِصلاحِ[٣]، وإلى أَقْوَمِ الأُمورِ، وأَرشَدِها، وأَنفعِها في كلِّ شيءٍ مِن دونِ استثناءٍ.

وهذا الوصفُ المحيطُ لا يَخرجُ عنهُ شَيءٌ؛ فهو إِصلاحٌ للعقائدِ والقُلوبِ، ولِلأَخلاقِ والأَعمالِ، ويَهدي إلى كلِّ صلاحٍ دِينيٍ ودُنيويٍ؛ بحيثُ تَقُومُ بهِ الأُمورُ، وتَعتدِلُ بهِ الأَحوالُ، ويَحصلُ بهِ الكمالُ المتنوِّعُ مِن كلِّ وجْهٍ؛ بالإِرشادِ إلى كلِّ وسيلةٍ نافعةٍ، تؤدِّي إلى المقاصدِ، والغاياتِ المطلوبةِ، فلا سبيلَ إلى الهدايةِ والصَّلاحِ والإِصلاحِ لجميعِ الأُمورِ إِلَّا بسُلوكِ الطُّرقِ التي أَرشدَ إِليها القرآنُ، وحثَّ العبادَ عليها.

فمتى عَرفتَ أَنَّ القرآنَ العظيمَ مَوصوفٌ كلُّهُ بهذهِ الأَوصافِ[٤] -التي هي أَعلى الأَوصافِ، وأَكملُها وأَتمُّها، وأَنفعُها للعبادِ، وأَنَّهُ أُعيدتْ فيهِ هذهِ المعاني الجليلَةُ، ومُزِجتْ فيهِ مَزْجًا عَجِيبًا غَريبًا في كمالِهِ وحُسْنِهِ- فهِمْتَ أَنَّ طالبَ العِلْمِ إذا وقَفَ على تفسيرِ بعضِ الآياتِ تَدرَّبَ بِها،

---

٢٩٤)، ومَجْمُوع الفَتاوَى، لابن تيميَّة (١٧/٣٨١-٤٤٣)، ولُباب التَّأْويل في معاني التَّنزيل، للخازن، (١/٢٢٥)، والبُرهان، للزَّرْكَشِي، (٢/٦٨-٧٢).

(١) هذا يُسمَّى: "المشْكِل اللُّغوي"؛ حيث يخفى المعنى، ويقع التَّشابهُ بسببٍ يتعلَّق بالإعراب، أَو غرابةٍ، أَو اشتراكٍ في اللَّفظ، أَو بسببِ الإيجاز والاختصار، أَو التَّقديمِ والتَّأْخير، أَو عَود الضَّمير، أَو غيرِ ذلك. ينظر: مَجْمُوع الفَتاوَى (١٧/٤٠٠)، وفصول في التَّفسير، للطَّيار، (ص:٨٧-٩٦)، ومشكل القرآن الكريم، للمنصور، (ص:١٦٠-١٨٩).

(٢) هذا الذي عليه سلفُ هذه الأُمَّة؛ يأْخذون مِن المحكم ما يفسِّر لهم المتشابه، فتتَّفق دلالتهما، كما بيَّن ذلك المحقِّقون من أَهل العِلم، قال ابن كثيرﷺ: "فمن ردَّ ما اشتبه عليه إلى الواضح منه، وحكَّم مُحْكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى، ومَن عَكَس انعكس". تفسير القرآن العظيم، (٢/٦)، وينظر: إعلام الموقِّعين عن ربِّ العالمين، (٢/٢٠٩).

(٣) وَصْف القرآن بالصَّلاح مأْخوذ مِن قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩].

(٤) اهتمَّ العلماء بأَسماء القرآن وأَوصافه، وأَغلب كتب التَّفسير، وعلوم القرآن تتطرَّق إِليها، مع مبالغة مِن بعضها في عددها، واختلافٍ في ضابطها.

وتَوسَّلَ بِها إِلى معرفةِ بقيَّةِ الآياتِ.

لِهذهِ الأَسبابِ وغيرِها رأَينا أَنَّ المصلَحةَ تدعو إِلى الاقتصارِ على خُلاصةِ ذلكَ التَّفسيرِ؛ راجينَ مِن الرَّبِّ أَنْ يُتِمَّ نعمتَهُ، وأَنْ يَحصلَ بهِ المقصودُ.

ورأَينا أَنَّ الأَحْسَنَ أَنْ نَذْكرَ كلَّ موضوعٍ على حِدَتِهِ؛ لِما فيهِ مِن التَّقريبِ والسُّهولةِ، وجمْعِ المعاني التي مِن فنٍ واحدٍ، في موضعٍ واحدٍ.

مع أَنَّهُ -كما تقدَّمَ[1]- لا بُدَّ أَنْ يَدخلَ في آياتِ الأُصولِ كثيرٌ مِن الفُروعِ، ومِن[2] آياتِ الفُروعِ كثيرٌ مِن الأُصولِ، ويَدخلَ فِيها مِن التَّرغيبِ والتَّرهيبِ، والقَصصِ شَيءٌ كثيرٌ.

وهذا الْمَزجُ العَجيبُ مِن كَمالِ القرآنِ، وعِظَمِ تأْثيرِهِ، فإِنَّهُ كتابُ تعليمٍ يُزيلُ الجَهالاتِ المتنوِّعةِ، وكتابُ تربيةٍ يُقَوِّمُ الأَخلاقَ والأَعمالَ؛ فهو يُعلِّمُ، ويُقوِّمُ، ويُهذِّبُ، ويؤدِّبُ بأَعلى ما يكونُ مِن الطُّرُقِ، التي لا يُمكنُ للحُكماءِ والعقلاءِ أَنْ يقترِحوا مثلَها، ولا ما يُقاربُها.

---

(١) أَشار إِلى ذلك: (ص:٦).

(٢) س: "في"؛ وهي المناسبة للسِّياق، وكما في العبارة التي سبقتها.

علومُ التَّوحيدِ والعقائدِ والأُصولِ(١)

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ① الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ② الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ③ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑥ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ⑦﴾(٢).

أَيْ: أَبتدئُ بكلِّ اسمٍ للهِ -تعالى-؛ لأَنَّ لفظَ: ﴿اسم﴾: مُفردٌ مضافٌ؛ فيعمُّ جميعَ أَسماءِ اللهِ الْحُسْنَى(٣)؛ فيكونُ العبدُ مُستعِينًا بربِّهِ، وبكلِّ اسمٍ مِن أَسمائِهِ على ما يُناسِبُهُ مِن المطَالبِ، وأَجَلِّ ما يُستعانُ بهِ[٤] على عبادةِ اللهِ، وأَجَلُّ ذلك الاستعانةُ على قراءةِ كلامِ اللهِ، وتَفَهُّمِ معانيهِ، والاهتداءِ بهديهِ.

﴿اللَّهِ﴾: هو الْمَأْلُوهُ، المستحِقُّ لإِفرادِهِ بالمحبَّةِ، والخوفِ، والرَّجاءِ، وأَنواعِ العبادَةِ كلِّها؛ لِما اتَّصفَ بهِ مِن صفاتِ الكمَالِ، وهي التي تدعو الخَلقَ إِلى عُبودِيَّتِهِ(٤)، والتَّأَلُّهِ لَهُ.

﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾: اسمانِ دالَّانِ على أَنَّهُ -تعالى- ذو الرَّحمةِ الواسعةِ العظيمةِ؛ التي وسِعتْ كلَّ شَيءٍ، وعمَّتْ كلَّ مخلوقٍ.

وكَتبَ الرَّحمةَ الكاملةَ للمتَّقِينَ، المتَّبِعينَ لأَنبيائِهِ ورُسلِهِ؛ فهؤلاءِ لهمُ الرَّحمةُ المطْلَقةُ، المتَّصِلَةُ بالسَّعادةِ الأَبديَّةِ، ومَن عَداهُم مَحْرُومٌ مِن هذهِ الرَّحمةِ الكامِلةِ؛ لأَنَّهُ الذي دَفعَ هذهِ الرَّحمةَ وأَبَاها؛ بتكذيبِهِ للخبَرِ، وتولِّيهِ عن الأَمرِ، فلا يَلومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ.

واعْلَمْ أَنَّ مِن القواعدِ المتَّفَقِ عليها بيْن سلفِ الأُمَّةِ، وأَئمَّتِها ما دلَّ عليهِ الكتابُ والسُّنَّةُ مِن

---

(١) هذه الأَسماء وغيرها مشهورة عند العلماءِ، ومصنَّفاتُهم مُعَنْوَنة بها، مثل: "التَّوحيد وإِثبات صفات الرَّب"، لابن خزيمة، و"السُّنَّة"، لابن أَبي عاصم، و"الشَّرح والإِبانة عن أُصول الدِّيانة"، لابن بطَّة، و"الفِقه الأَكبر"، لأَبي حنيفة، و"الشَّريعة"، للآجُرِّي، و"عقيدة السَّلف أَصحاب الحديث"، للصَّابوني، و"الإِيمان"، لابن أَبي شيبة.
ولهذه الأَسماء اصطلاح عامٌّ وخاصٌّ، وبينها عموم وخصوص، وبحسب سياقها يتحدَّد المقصود بها.
والمراد هنا: بيان العقيدة الصَّحيحة الثَّابتة بالكتاب والسُّنَّة. ينظر: المدخل لدراسة العقيدة الإسلاميَّة، للبريكان، (ص:١٢-١٩)، وطريق الهداية؛ مبادىء ومقدِّمات علم التَّوحيد عند أَهل السُّنة والجماعة، لمحمد يسري، (ص:١٣١-١٤٠)، ومباحث في عقيدة أَهل السُّنة، للعقل، (ص:٦).

(٢) الفاتحة: ١-٧

(٣) صيغ العموم عند الأُصوليِّيْن كثيرة، ومنها: المفرد المضاف إِلى المعرفة. ينظر: روضة النَّاظر وجُنَّة الْمُناظِر، لابن قدامة، (١١/٢)، ومختصر التَّحرير، لابن النَّجار، (١٣٦/٣).

(٤) س: "عبادتِه".

الإيمانِ بأَسماءِ اللهِ كلِّها، وصفاتِهِ جميعِها، وبأَحكامِ تلكَ الصِّفاتِ[١]؛ فيؤمِنونَ -مثلًا- بأَنَّهُ: رَحمَنٌ رَحِيمٌ: ذو الرَّحمةِ العَظِيمةِ، التي اتَّصفَ بِها، المتعلِّقةِ بالمرحومِ؛ فالنِّعمُ كلُّها مِن آثارِ رحمتِهِ[٢].

وهكذا يُقالُ في سائرِ الأَسماءِ الحُسْنَى[٣]؛ فيُقالُ: عَليمٌ: ذو عِلمٍ عَظيمٍ؛ يَعلَمُ بهِ كلَّ شيءٍ، قَديرٌ: ذو قُدرةٍ؛ يقدِرُ على كلِّ شيءٍ؛ فإِنَّ اللهَ قد أَثبتَ لنفسِهِ الأَسماءَ الحُسْنى، والصِّفاتِ العُلْيا، وأَحكامَ تلكَ الصِّفاتِ، فمَن أَثبتَ شَيئًا مِنها، ونفى الآخرَ كان -مع مخالفتِهِ للنَّقلِ والعقلِ- مُتناقِضًا مُبْطِلًا[٤].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؛ الحمْدُ: هو الثَّناءُ على اللهِ بصفاتِ الكمالِ، وبأَفعالِهِ الدَّائرَةِ بيْنَ الفضلِ والعَدلِ، المشتمِلةِ على الحِكمةِ التَّامَّةِ.

ولا بُدَّ في تمامِ حَمْدِ الحامِدِ لِلَّهِ[٥] مِن اقترانِ محبَّةِ الحامِدِ لربِّهِ، وخضوعِهِ لَهُ؛ فالثَّناءُ المجرَّدُ مِن

---

(١) أَسماء الله وصفاته مِن أَهمِّ مباحث الإعتقاد؛ فقد سلكت فيها فِرق إسلاميَّة طرقًا شتى، فنشأَت ضلالات، ومعتقدات باطلة، وتصوُّرات خاطئة، وهدى الله سلف هذه الأُمَّة إلى الحقِّ، فأَثبتوا لله الأَسماء والصِّفات الواردة في الكتاب والسُّنَّة، مع نفي مماثلة المخلوقات؛ إثباتًا بلا تمثيل أَو تكييف، وتنزيهًا بلا تحريف أَو تعطيل؛ عملًا بقولهﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، وقولهﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠]، كما أَنَّهم "يثبتون الصِّفات وحقائق الأَسماء، فالأَسماء عندهم حقائق وهي متضمِّنة للصِّفات". مختصر الصَّواعق، للمَوْصِلي، (ص:٣٦٢)، وينظر: التَّدمريَّة= تحقيق الإثبات للأَسماء والصِّفات، لابن تَيميَّة، (ص:٧-٨)، وتفسير القرآن العظيم، (٣/٤٢٧).

(٢) فصَّل ذلك ابن القَيِّمؒ، ودلَّل عليه، مُبيِّنًا الفرقَ بين: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾؛ وأَنَّ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ دالٌّ على الصِّفة القائمة بهﷻ و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾: دالٌّ على تعلُّقها بالمرحوم، فيَرحم خلقَه برحمته، ويتبيَّن ذلك بتأَمُّلِ قوله: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣]، "فعُلم أَنَّ "الرَّحمن" هو الموصوف بالرَّحمة، و"رحيم" هو الرَّاحم برحمته". بدائع الفوائد، (١/٢٤)، وينظر: جامع البيان، (١/١٢٧)، وينظر: -في آثار رحمةِ اللهِ-: مختصر الصَّواعق، (ص:٣٦٨-٣٧١).

(٣) عرَّفها ابن تَيميَّةؒ بقوله: "هي التي يُدْعَى اللهُ بها، وهي التي جاءت في الكتاب والسُّنَّة، وهي التي تقتضي المدحَ والثَّناءَ بنفسِها". شرح العقيدة الأَصفهانيَّة، لابن تَيميَّة، (ص:٣١).

وهذا التَّعريف مأْخوذ مِن قولهﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠].

(٤) ما قرَّره المؤلِّفؒ هو مِن القواعد في أَسماء اللهﷻ، وقد كتب فيها العلماء قديمًا وحديثًا: كابن القَيِّمؒ، في: بدائع الفوائد، (١/١٥٩-١٧٠)، وابن عُثَيْمِينؒ، في: القواعد المُثْلى في صفات الله وأَسمائه الحسنى.

(٥) "لله"، اللَّفظ الجليل لم يكتب في: (س).

محبَّةٍ، وخُضوعٍ ليس حَمْدًا كامِلًا[١].

﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ الرَّبُّ: هو الْمُربِّي جميعَ العالَمينَ، بكلِّ أنواعِ التَّربيةِ؛ فهو الذي خلَقهم ورزَقهم، وأَنعمَ عليهم بالنِّعمِ الظَّاهرةِ والباطنةِ، وهذهِ التَّربيةُ العامَّةُ لجميعِ الخَلقِ، بَرِّهم وفاجِرِهم، بل المكلَّفون مِنهم وغيرُهم.

وأمَّا التَّربيةُ الخاصَّةُ لأنبيائهِ وأَوليائِهِ؛ فإنَّهُ -مع ذلكَ- يُرَبِّي إيمانَهم؛ فيُكَمِّلُهُ لَهم، ويَدفعُ عنهم الصَّوارِفَ والعوائقَ، التي تَحُولُ بينهم وبيْنَ صلاحِهم، وسعادتِهم الأَبديَّةِ، وتيسيرِهم لليُسرَى، وحِفظِهم مِن جميعِ المكَارِهِ.

وكما دلَّ ذلكَ على انفرادِ الرَّبِّ بالخَلقِ والتَّدبيرِ، والهدايةِ، وكمالِ الغِنى، فإنَّهُ يدلُّ على تمامِ فَقْرِ العالَمينَ إليهِ بكلِّ وجهٍ واعتبارٍ؛ فيسأَلُهُ مَن في السَّمواتِ والأَرضِ -بلِسانِ المقالِ والحالِ- جميعَ حاجاتِهم، ويَفْزَعونَ إليهِ في مُهماتِهم.

﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾؛ المالكُ: هو مَن اتَّصفَ بالصِّفاتِ العَظيمةِ الكامِلةِ، التي يتحقَّقُ بِها الْمُلكُ، التي مِن آثارِها أَنَّهُ يَأْمرُ وينهى، ويُثيْبُ ويُعاقبُ، ويَتصرَّفُ في العالَمِ العُلويِّ والسُّفليِّ، التَّصَرفَ التَّامَّ الْمُطْلقَ؛ بالأَحكامِ القَدريَّةِ، والأَحكامِ الشَّرعيَّةِ، وأَحكامِ الجزاءِ؛ فلهذا أَضافَ مُلكَهُ ليومِ الدِّينِ، مع أَنَّهُ المالِكُ الْمُطْلَقُ في الدُّنيا والآخرةِ؛ فإِنَّهُ يومَ القيامةِ الذي يَدِينُ اللهُ فيهِ العبادَ بأَعمالِهم-خيرِها وشرِّها- ويُرتِّبُ عليها جزاءَها، ويُشاهِدُ[٢] الخليقةُ مِن آثارِ مُلكِهِ وعظَمَتِهِ وسعَتِهِ، وخضوعِ الخلائقِ كلِّهم لعظَمَتِهِ وكبريائِهِ، واستواءِ الخَلقِ في ذلكَ اليومِ على اختلافِ طبقاتِهِم[٣] ما يَعرِفون بهِ كمالَ مُلكِهِ، وعَظَمةَ سلطانِهِ.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؛ أَيْ: نخصُّكَ يا ربَّنا وحدَكَ بالعِبادَةِ والاستعانَةِ[٥]، فلا نعبدُ

---

(١) فرَّق ابن القَيِّمِ رحمه الله بين الحمد والمدح بقوله: "الإخبار عن محاسن الغير: إمَّا أَنْ يكون إخبارًا مُجَرَّدًا مِن حُبٍّ وإرادةٍ، أَو مقرونًا بحبِّهِ وإرادتِه؛ فإِنْ كان الأَول فهو المدح، وإِنْ كان الثَّاني فهو الحمد". بدائع الفوائد، (٢/٩٣). وينظر: تفسير القرآن العظيم، (١/١٢٩).

(٢) س: "تشاهد".

واثبات التَّاء وحذفها جائز في اللُّغة؛ لأَنَّ "الخليقة": جمع تكسير، مجازي التَّأْنيث. ينظر: شرح شذور الذَّهب، لابن هشام، (ص:٢٢٥)، وشرح ابن عقيل على أَلفيَّة ابن مالك، لابن عقيل، (٢/٩٥).

(٣) "في نُفوذ أَحكامِه عليهم"، زيادة في: (س).

غيرَكَ، ولا نَستعِينُ بِسِواكَ.

فالعِبادةُ: اسمٌ جامعٌ لِكلِّ ما يُحبُّهُ اللهُ ويَرضاهُ؛ مِن الأَعمالِ والأَقوالِ الظَّاهرةِ والباطنةِ[١]؛ فهي القيامُ بعقائدِ الإيمانِ، وأَخلاقِهِ وأَعمالِهِ؛ محبَّةً لِلَّهِ، وخُضوعًا لَهُ.

والاستعانةُ: هي الاعتمادُ على اللهِ في جَلْبِ المنافعِ ودَفعِ المضارِّ، مع الثِّقةِ بهِ في حصولِ ذلكَ[٢].

وهذا التزامٌ مِن العبدِ بعبوديَّةِ ربِّهِ، وطلبٌ مِن ربِّهِ أَنْ يُعينَهُ على القِيامِ بذلكَ، وبذلكَ يَتوَسَّلُ إلى السَّعادةِ الأَبديَّةِ، والنَّجاةِ مِن جميعِ الشُّرورِ، فلا سبيلَ لِذلكَ إلَّا بالقيامِ بعُبُوديَّةِ[٣] اللهِ، والاستعانةِ بهِ، وعُلِمَ بذلكَ شِدَّةُ افتقارِ العبدِ لعُبُودِيَّةِ[٤] اللهِ، والاستعانةِ بهِ.

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾؛ أَيْ: دُلَّنا وأَرشِدْنا، ووفِّقْنا للعِلْمِ بالحقِّ، والعملِ بهِ، الذي هو الصِّراطُ المستقيمُ المعتدِلُ، الموصلُ إلى اللهِ، وإلى جنَّتِهِ وكرامتِهِ، وهذا يَشملُ الهدايةَ إلى الصِّراطِ، وهي: التَّوفيقُ لِلُزومِ دِينِ الإسلامِ، وتركِ ما سواهُ مِن الأَديانِ الباطلةِ، ويشملُ الهدايةَ في الصِّراطِ وقتَ سُلوكِهِ؛ عِلمًا وعملًا[٥].

فهذا الدُّعاءُ مِن أَجمعِ الأَدعيةِ وأَنفعِها للعبدِ؛ ولهذا أَوجبَهُ اللهُ، ويَسَّرَهُ[٦].

وهذا: ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾: هو طريقُ.

و﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾: بالنِّعمةِ التَّامَّةِ المتَّصلةِ بالسَّعادةِ الأَبَديَّةِ، وهم الأَنبياءُ، والصِّديقونَ،

---

(١) هكذا عرَّفها ابن تَيميَّة. ينظر: العبوديَّة، (ص:٤٤).

(٢) قال ابن القَيِّمِ رحمه الله: "الاستعانة تجمع أَصلين: الثِّقةُ بالله، والاعتمادُ عليه". مَدارِج السَّالِكِين، (١/٩٦).

(٣) س: "بعبادة".

(٤) س: "لعبادة".

(٥) الهداية إلى الصِّراط، وفي الصِّراط- ذكرهما ابن القَيِّم، في: شِفَاء العَلِيل في مسائل القضاء والقدر والحِكمة والتَّعليل (ص:٨١)، ومَدارِج السَّالِكِين، (٣/٤٧٢).

(٦) هذا مِن كمال رحمة الله بعباده؛ حيث أَوجب عليهم ماهم بأَمسِّ الحاجة إليه، وجعله مِن آيات الفاتحة، التي هي ركن في الصَّلاة، قال المؤلِّف رحمه الله: "فهذا الدُّعاء مِن أَجمع الأَدعية وأَنفعِها للعبد؛ ولهذا وجب على الإِنْسان أَنْ يدعو الله به في كلِّ ركعة مِن صلاته؛ لضرورته إلى ذلك". تيسير الكريم الرَّحمن، (ص:٣٩)، وينظر: (ص:٦)، مِن هذا الكتاب.

والشُّهداءُ، والصَّالحونَ[١].

﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾، وهم: الذين عرَفوا الحقَّ وترَكُوهُ؛ كاليهودِ، ونحوِهِم.

﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾: الذين ضلُّوا عن الحقِّ؛ كالنَّصارى، ونحوِهِم.

فهذهِ السُّورةُ على إيجازِها قد جمَعتْ عُلومًا جَمَّةً؛ تضمَّنتْ أنواعَ التَّوحيدِ الثَّلاثةَ[٢]:

- تَوحيدُ الرُّبوبيَّةِ[٣]؛ يُؤْخذُ مِن قولِهِ: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

- وتَوحيدُ الإلهيَّةِ[٤]، مِن قولِهِ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، فهو الْمَأْلُوهُ؛ بعبادتهِ، والاستعانةِ بهِ.

- وتَوحيدُ الأَسماءِ والصِّفاتِ؛ بأَن يُثْبتَ للهِ صفاتُ الكمالِ كلُّها، التي أَثبتَها لنفْسِهِ، وأثبتَها لَهُ رَسولُهُ ﷺ.

وقد دَلَّ على ذلكَ إثباتُ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾؛ فإنَّ الأَسماءَ الحُسْنَى، والصِّفاتِ العُلْيا، وأَحكامَها كلُّها محامِدُ، ومدائحُ للهِ -تعالى-.

وتَضمَّنتْ إثباتَ الرِّسالةِ في قولِهِ: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾؛ لأَنَّهُ الطَّريقُ الذي عليهِ النَّبيُّ ﷺ؛ وذلكَ فَرعٌ عن الإيمانِ بنبوَّتِهِ ورسالَتِهِ.

وتَضمَّنتْ إثباتَ الجزاءِ، وأَنَّهُ بالعَدلِ، وذلكَ مأْخوذٌ مِن قولِهِ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾.

وتَضمَّنتْ إثباتَ مذهبِ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ في القَدَرِ، وأَنَّ جميعَ الأَشياءِ بقضاءِ اللهِ وقدَرِهِ،

---

(١) هذا نوع مِن تفسير القرآن بالقرآن، قال ابن كثير رحمه الله: "هم المذكورون في سورة النِّساء؛ حيث قال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء:٦٩]". تفسير القرآن العظيم، (١٤٠/١).

(٢) هذه الأَنواع ثبتت مِن خلال الاستقراء، والتَّتبع. ينظر: أَضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشّنْقِيْطِي، (١٧/٣).

(٣) هو: إفراد الله بأَفعاله؛ وأَنَّه المنفرد بالخَلق، والملك، والتَّدبير. ينظر: بدائع الفوائد، (١٣٢/٤)، وشرح العقيدة الواسطيَّة، للعُثَيْمِين، (ص:٢١)، والأَلفاظ والمصطلحات المتعلِّقة بتوحيد الرُّبوبيَّة، لآمال العمرو، (ص:٢٦).

(٤) هو: إفراد الله بأَفعال العباد؛ و"أَنَّه وحده الإله المعبود، المحبوب الذي لا تصلُحُ العبادة، والذُّلُّ، والخضوع، والحبُّ إِلَّا لَهُ". بدائع الفوائد، (١٣٢/٤)، وينظر: الأَلفاظ والمصطلحات المتعلِّقة بتوحيد الرُّبوبيَّة، (ص:٢٥).

وأَنَّ العبدَ فاعلٌ حقيقةً، ليس مجبورًا على أَفعالِهِ(١)، وهذا يُفهَمُ مِن قولِهِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؛ فلولا أَنَّ مشيئةَ العبدِ مُضْطَرٌّ فيها إِلى إِعانةِ ربِّهِ، وتَوفيقِهِ لم يَسأَلِ الاستعانةَ.

وتَضمَّنتْ أَصلَ الخيرِ ومادَّتَهُ؛ وهو الإِخلاصُ الكامِلُ للهِ، في قولِ العَبدِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

ولَمَّا كانتْ هذهِ السُّورةُ بهذهِ العَظَمةِ والجَلالةِ، أَوجبَها الشَّارعُ على المكلَّفِينَ في كلِّ ركعةٍ مِن صلاتِهِم فرْضًا ونَفْلًا(٢).

وفِيها: تَعليمٌ مِن اللهِ لعبادِهِ كيفَ يَحمدونَهُ، ويُثنونَ عليهِ، ويُمَجِّدونَهُ بمحامدِهِ، ثُمَّ يَسأَلونَ ربَّهُم جميعَ مطالبِهِم؛ ففيها دليلٌ على افتقارِهِم إِلى ربِّهِم في الأَمْرينِ:

- مُفتَقرِينَ إِليهِ في أَنْ يملأَ قلوبَهُم مِن معرفتِهِ، ومحبَّتِهِ(٣).
- ومُفتَقرِينَ إِليهِ في أَنْ يَقومَ بمصالِحِهِم، ويُوفِّقَهُم لخِدمتِهِ(٤).

والحمدُ للهِ ربِّ العالَمينَ(٥).

---

(١) أَهل السُّنَّة والجماعة يؤمنون بعلم الله بالأَشياء قبل وقوعها، وكتابته إِيَّاها قبل أَنْ تكون، وأَنَّ ما شاء كان، وما لم يشأْ لم يكن، وأَنَّه خالق قادر على كلِّ شيء، وأَنَّه لا حُجَّة لأَحدٍ على الله في ترك واجبٍ، ولا فعل مُحرَّمٍ، وأَنَّ للعباد مشيئة وقُدرة؛ يفعلون بقدرتهم ومشيئتهم ما أَقدرهم الله عليه، وأَنَّهم لا يشاؤون إِلَّا أَنْ يشاء الله. ينظر: جامع البيان، (٦٠٦/٢٢)، والشَّريعة، (١٥٠-١٥٢)، ومَجْمُوع الفَتَاوَى، (٢٠٥/١٨)، وتفسير القرآن العظيم، (٤٨٢/٧-٤٨٦).

(٢) هذا كلام مُجْمل؛ يشمل الإِمام والمأْموم والمنفرد، ومسأْلة قراءة الفاتحة للمأْموم فيها أَقوال مشهورة، بسطها ابن تَيميَّة في الفتاوى، (٢٦٥/٢٣-٣٣٠)، أَمَّا المؤلِّف فقد قال: "يَتحمَّلُ الإِمام عن المأْموم القراءةَ إِذا سمعه في الصَّلاة الجهريَّةِ دون غيرها، وهو أَعدلُ الأَقوال، واختيارُ شيخِ الإِسلام" ينظر: الفتاوى السّعديَّة، (ص:١٦٥).

(٣) س: "محبته ومعرفته".

(٤) التَّعبير بلفظ: (العبادة أَو الطَّاعة) أَولى مِن كلمة: (الخِدمة)؛ لما تُشعِر به هذه الكلمة مِن الحاجة، واللهُ سُبحانَهُ وتَعالَى ليس محتاجًا لأَحدٍ مِن خَلْقه؛ فهو الغنيُّ عن العالَمين، ونحن الفقراءُ إِليه. والله أَعلم.

(٥) اختصر المؤلِّف تفسير الفاتحةِ مِن تيسير الكريم الرَّحمن، (ص:٣٩)، مستفيدًا مِن مَدارجِ السَّالِكِين، (٣١/١-٦٠).

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾(١).

هذهِ الآيةُ الكريمةُ لها شأنٌ كبيرٌ؛ كانَ ﷺ(٢) يقرؤها كثيرًا في الرَّكعةِ الأُولى مِن سُنَّةِ الصُّبْحِ(٣)[٦].

وقد اشتَملتْ على جميعِ ما يجبُ الإيمانُ بهِ؛ فإنَّ الإيمانَ الشَّرعيَّ: هو تَصديقُ القَلبِ التَّامُّ، وإقرارُهُ بِهذهِ الأُصولِ، المتضمِّنُ لأَعمالِ الجوارحِ، ولأَعمالِ القُلوبِ(٤).

وهو بِهذا الاعتبارِ يَدْخُلُ فيهِ الإِسلامُ، وتَدْخلُ فيهِ الأَعمالُ الصَّالحةُ كلُّها؛ فهي إيمانٌ، وهي مِن آثارِ الإيمانِ؛ فإذا أُطلِقَ الإيمانُ دخلَ فيهِ ما ذُكِرَ.

وكذلكَ إذا أُطلِقَ الإِسلامُ فإنَّهُ يَدْخُلُ فيهِ الإيمانُ.

فإذا قُرِنَ بيْنَ الإِسلامِ والإيمانِ فُسِّرَ الإيمانُ بما في القلبِ مِن العقائدِ الصَّحيحةِ، والإراداتِ الصَّالحةِ، وفُسِّرَ الإِسلامُ بالأَعمالِ الظَّاهرةِ.

وكذلكَ إذا جُمِعَ بيْنَ الإيمانِ والعملِ الصَّالحِ؛ الإيمانُ لِما في الباطنِ، والعملُ الصالح هو الظَّاهرُ، ومع إطلاقِ الإيمانِ يَدْخلُ فيهِ العملُ الصَّالحُ؛ كما في كثيرٍ مِن الآياتِ(٥).

---

(١) البقرة: ١٣٦.

(٢) س: "عليه السلام".

(٣) أخرج مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل ركعتي الفجر، (٥٠٢/١) ح (٧٢٧)، عن عبدالله بن عبَّاس رضي الله عنهما، أنَّ رسول الله ﷺ: "كَانَ يَقْرَأُ فِي رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ فِي الْأُولَى مِنْهُمَا: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾، [البقرة:١٣٦]، الْآيَةَ الَّتِي فِي الْبَقَرَةِ، وَفِي الْآخِرَةِ مِنْهُمَا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:٥٢]".

(٤) هذا ما نصَّ عليه أَهل الحقِّ في تعريف الإيمان، وأنَّه: قول باللِّسان، وتصديق بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بالطَّاعة وينقص بالمعصية. ينظر: الاعتقاد، لابن أَبي يَعلَى، (ص:٢٣)، ولمعة الاعتقاد، لابن قدامة، (ص:٢٦)، وتفسير القرآن العظيم، (١٢/٤)، وأَضواء البيان، (٩٣/٩).

(٥) هذا ما قرَّره أَئمَّة السَّلف رحمهم الله، في مسائل الإيمان. ينظر: جامع البيان، (٣١٤/٢٢)، والإيمان، لابن تَيميَّة، في عدَّة مواضع: (ص:١٥، ١٤٣، ٢٠٧، ٢٨٤، ٣٢١)، وشرح الطَّحاويَّة، لابن أَبي العِزِّ الحَنفِي، (٤٨٩/٢)، وتفسير القرآن العظيم، (١٦٥/١)، ومعارج القبول، للحَكَمِي، (٦١٢/٢).

فقولُهُ تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ إلى آخرِهِ(١)؛ أيْ: قُولوا ذلكَ بألسنتِكُم، مُتَواطئةً عليها قلوبُكُم، وهذا هو القولُ التَّامُّ، الذي يترتَّبُ عليهِ الثَّوابُ والجزاءُ؛ فكما أَنَّ النُّطقَ باللِّسانِ بدونِ اعتقادِ القلبِ ليس بإيمانٍ-بل هو نِفاقٌ- فكذلكَ القولُ الخالي مِن عملِ القلبِ عَديمُ التَّأْثيرِ، قليلُ الفائدةِ(٢).

وفي قولِهِ: ﴿قُولُوٓاْ﴾: إشارةٌ إلى الإعلانِ بالعَقيدةِ، والصَّدعِ بِها، والدَّعوةِ لها؛ إذ هي أَصلُ الدِّينِ وأَساسُهُ(٣).

وفي مِثلِ قولِهِ: ﴿ءَامَنَّا﴾ -وما أَشبهَها مِن الآياتِ، التي يُضافُ الفعلُ فيها إلى ضميرِ الجمعِ- إشارةٌ إلى أَنَّهُ يجبُ على الأُمَّةِ الاعتصامُ بحبلِ اللهِ جميعًا، والحثُّ على الائتلافِ، والنَّهيُ عن الافتراقِ، وأَنَّ المؤمنِينَ كالجسدِ الواحدِ، عليهمُ السَّعيُ لِمصالحِهِم كلِّها جميعًا، والتَّناصُحُ التَّامُّ.

وفِيهِ دِلالةٌ على جوازِ إضافةِ الإنسانِ إلى نفسِهِ الإيمانَ على وجْهِ التَّقْييدِ؛ بأَنْ يَقولَ: أَنا مؤمنٌ باللهِ؛ كما يقولُ: آمنتُ باللهِ، بل هذا الأَخيرُ مِن أَوجبِ الواجباتِ، كما أَمرَ اللهُ بهِ أَمْرًا حَتْمًا(٤)، بخلافِ قولِ العبدِ: أَنا مؤمنٌ، ونحوِهِ، فإنَّهُ لا يُقالُ إلَّا مقرونًا بالمشيئةِ؛ لِما فيهِ مِن تزكيةِ النَّفسِ؛ لأَنَّ الإيمانَ المطلَقَ يَشملُ القيامَ بالواجباتِ، وتركَ المحرَّماتِ، فهو كقولِهِ: أَنا مُتَّقٍ، أَو وَلِيٌّ، أَو مِن أَهلِ الجنَّةِ، وهذا التَّفْريقُ هو مذهبُ مُحَقِّقِي أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ(٥).

---

(١) س: "إلخ".

(٢) قال ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة:٤١].

(٣) أخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة:٥]، (١٤/١) ح (٢٥)، واللَّفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال النَّاس حتَّى يقولوا: لا إله إلا الله محمَّد رسول الله، (٥٣/١) ح (٢٢)، عن ابن عمر رضي الله عنهما، أَنَّ رسول الله ﷺ قال: ((أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ)).

(٤) جاء الأمر صريحًا في قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٣٦]، وقوله ﷻ: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٨٤].

(٥) كابن تيميَّة، وابن القيِّم رحمهما الله. ينظر: الإيمان، (ص:١٤٦)، وبدائع الفوائد، (١٠٧/٣).

فقولُهُ: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾؛ أَيْ: بأَنَّهُ واجِبُ الوُجُودِ[(١)]، واحدٌ أَحَدٌ، فَرْدٌ[(٢)] صَمَدٌ، مُتَّصِفٌ بكلِّ صفةِ كمالٍ، مُنَزَّهٌ عن كلِّ نقصٍ، مستحِقٌ لإفرادِهِ بالعبودِيَّةِ كلِّها، وهو يتضمَّنُ الإخلاصَ التَّامَّ.

﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾: يَدخلُ فيهِ؛ الإيمانُ بأَلفاظِ الكتابِ والسُّنَّةِ، ومعانيهِما، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾[(٣)]، ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾[(٤)]؛ فيَدخلُ في هذا: الإيمانُ بما تَضمَّنهُ كتابُ اللهِ وسُنَّةُ رسولِهِ؛ مِن أَسماءِ اللهِ وصفاتِهِ وأَفعالِهِ، وصفاتِ رسُلِهِ، واليومِ الآخرِ، والغُيوبِ كلِّها، والإيمانُ بما تضمَّنهُ الكتابُ والسُّنَّةُ -أيضًا- مِن الأَحكامِ الشَّرعيَّةِ -الأَمرِ والنَّهيِ- وأَحكامِ الجزاءِ، وغيرِ ذلكَ.

﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾[(٥)] إلى آخرِهِ[(٦)]: فيهِ الإيمانُ بجميعِ الكتُبِ الْمُنَزَّلَةِ على جميعِ الأَنبياءِ، والإيمانُ بالأَنبياءِ عُمومًا، وخُصوصًا ما نَصَّ عليهِم مِنهم في الآيةِ الكريمةِ وغيرِها؛ لِشرفِهِم؛ ولكونِهِم أَتَوا

---

(١) ليس هذا تسمية أَو وصفًا للهﷻ، وإنَّما المعنى كما قال الشَّهْرَسْتَانِيُّ: "ضروريُّ الوجودِ". الملل والنِّحل، (٣/٢٦).
وقال ابن تَيميَّة: "أَنَّه موجودٌ بنفسِه، يمتنعُ عليه العدمُ بوجهٍ مِن الوُجوه". منهاج السُّنَّة، (١/٢٦٥).
وقال ابن القَيِّم: "هو الذي دلَّ عليه صَريحُ العقلِ، فإنَّه -سبحانه- لَهُ الوُجودُ الدَّائمُ القديمُ، الواجِبُ بنفسِه، الذي لم يَستفدْه مِن غيرِه، ووجودُ كلِّ مَوجودٍ مُفتَقِرٌ إِليهِ، ومُتوقِّفٌ في تحقيقِهِ عليه". الصَّواعق الْمُرْسَلة، (٣/١٠٢٤).
وهذا اللَّفظ: مُستَحدَث مِن الفَلاسِفة، كابن سِينا وأَمثالِه، ويُغني عنه لفظ: الرَّب، والخالق. ينظر: الصَّفدية، لابن تَيميَّة، (٢/١٨٠)، ومنهاج السُّنَّة، (٢/١٣٢)، والعرش، للذَّهبي، (١/٤٢).
(٢) لم يقصد المؤلِّف أَنَّ: "الفَرْدَ" مِن أَسماء اللهﷻ، وإنَّما أَراد توضيحَ المعنى وتقريبَهُ، وقد نصَّ ابن تَيميَّة على جواز ذلك، فقال: "أَنْ يُفَرِّقَ بين أَنْ يُدْعَى بالأَسماء، أَو يُخبَر بها عنه؛ فإذا دُعي لم يُدعَ إِلَّا بالأَسماء الحُسنى؛ كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف:١٨٠]، وأَمَّا الإِخْبارُ عنه فهو بحسب الحاجة؛ فإذا احتيج في تفهيم الغير -المرادَ- إلى أَنْ يُتَرجَم أَسماؤه بغير العربيَّة، أَو يُعَبَّر عنه باسمٍ لَهُ معنى صحيح، لم يكن ذلك مُحَرَّمًا". الجواب الصَّحيح لمن بدَّل دين المسيح، لابن تَيميَّة، (٥/٨).
(٣) الآية مِن النساء: ١١٣
قال ابن القَيِّم: "وأَمَّا الحِكمة المقرونة بالكتاب: فهي السُّنَّة، وكذلك قال الشَّافعي، وغيره مِن الأَئمَّة، وقِيل: هي القضاء بالوحي، وتفسيرها بالسُّنَّة أَعمُّ، وأَشهر". مَدارِج السَّالِكِين، (٢/٤٤٨)، وينظر: تفسير القرآن العظيم، (٢/١٥٨).
(٤) النحل: ٤٤
(٥) خ: ﴿عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [آل عمران:٤٠]، وس: ﴿إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾ [البقرة:١٣٦]، وهي التي يفسِّرها المؤلِّف، وتمَّ إثباتها.
(٦) س: "إلخ".

بالشَّرائعِ الكِبارِ[١].

فمِن براهينِ الإسلامِ ومَحاسنِهِ، وأَنَّهُ دينُ اللهِ الحقُّ: الأَمرُ بالإيمانِ بكلِّ كتابٍ أَنْزَلَهُ اللهُ، وكلِّ رسولٍ أَرسلَهُ اللهُ، مُجْمَلًا ومُفَصَّلًا؛ فكلُّ مَن ادَّعى أَنَّهُ على دِينٍ حقٍّ كاليهودِ والنَّصارى، ونحوِهِم، فإنَّهم يتناقضُون؛ فيؤمنون[٧] ببعضٍ، ويَكفرون ببعضٍ، فيُبطِلُ كفرُهُم وتكذيبُهُم تصديقَهم[٢]؛ ولهذا أَخبرَ عنهُم أَنَّهم: ﴿ٱلْكَـٰفِرُونَ حَقًّا﴾[٣]، وأَنَّهُ لا سبيلَ يُسْلَكُ إلى اللهِ إلَّا سبيلُ الإيمانِ بجميعِ الرُّسُلِ، وبجميعِ الكتُبِ الْمُنَزَّلَةِ على الرُّسُلِ[٤].

وفي قولِهِ تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾: بُرهانٌ على أَنَّ الأَنبياءَ وسائطُ بيْنَ اللهِ، وبيْنَ خَلقِهِ في تبليغِ دينِهِ، وأَنَّهُ ليس لهم مِن الأَمرِ شَيءٌ[٥].

وفي الإخبارِ بأَنَّهُ: ﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾: بيانٌ أَنَّ [مِن][٦] كمالِ ربوبيتِهِ لعبادِهِ -التَّربيةِ التَّامَّةِ- أَنَّهُ أَرسلَ إليهم رُسلَهُ، وأَنْزلَ عليهم كُتُبَهُ؛ ليُعلِّمُوهُم ويُزَكُّوهُم، ويُخرجوهُم مِن الظُّلماتِ إلى النُّورِ، وأَنَّهُ لا يَليقُ بربوبيَّتِهِ، وحِكمتِهِ أَنْ يترُكَهُم سُدىً، لا يُؤْمَرونَ ولا يُنْهَونَ، ولا يُثابُونَ ولا يُعاقَبُونَ.

ويُفْهَمُ مِن الآيةِ الكريمةِ الفرقُ بيْن الأَنبياءِ الصَّادِقِينَ، وبيْنَ مَن يَدَّعِي النُّبوَّةَ مِن الكاذِبِينَ؛ فإِنَّ الأَنبياءَ يُصَدِّقُ بعضُهم بعضًا، ويَشهدُ بعضُهم لبعضٍ، ويكونُ كلُّ ما جاءوا بِهِ مُتَّفِقًا[٧] لا

---

(١) ومن الشَّرائع الكبار ما أَمر الله به، وما نهى عنه في قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام:١٥١].

(٢) فنؤمن بأَنبياء الله ورسله، وما جاؤا به، وأَنَّهم متَّفقون في الأُصول، والدَّعوة للتَّوحيد، وأَنَّ لكلٍ شرعةً في الفروع، وأَنَّها حقٌّ يجب العمل بها في زمانها، وأَنَّها منسوخة برسالة محمَّدﷺ؛ فمَن آمن بذلك فإِنَّه لا يتناقض، بخلاف الذين اعترفوا بنبوَّة موسى وعيسى عليهما السلام، وأَنكروا نبوَّة محمَّدﷺ فإنَّهم يتناقضون؛ فكُفرُهم بالبعض أَبطلَ تصديقَهم بالبعض الآخر. ينظر: جامع البيان، (١٠٩/٣)، وتفسير الرَّازي، (٧٢/٤)، وتفسير القرآن العظيم، (٤٤٥/٢).

(٣) النساء: ١٥١

(٤) فمَن كذَّب رسولًا واحدًا فقد كذَّب جميعَهم، قالﷻ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٠٥].

(٥) قالﷻ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الأنعام:٥٠].

(٦) "مِن"، زيادة في: (س)، والمعنى يحتاجها.

(٧) خ: "مُتَّفِقٌ"، وس: " مُتَّفِقًا"؛ وهي الصَّواب؛ لأَنَّها خبر كان.

يتناقضُ؛ لأَنَّهُ مِن عندِ اللهِ، مُحْكَمٌ مُنتظِمٌ، وأَمَّا الكَذَبةُ فإِنَّهم لا بُدَّ أَنْ يَتناقضوا في أَخبارِهم، وأَوامرِهم، ونواهِيهم، ويُعْلَمُ كَذِبُهُم: بمخالفتِهِ لِما يَدْعو إِليهِ الأَنبياءُ الصَّادِقونَ[(١)].

فلمَّا بيَّنَ -تعالى- جميعَ ما يَجبُ الإِيمانُ بهِ -عُمومًا وخُصوصًا، وكان القولُ لا يُغْنِي عن العملِ- قال: ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾؛ أَيْ: خاضِعونَ لعظَمتِهِ، منقادونَ لعبادتِهِ بِباطِنِنا وظاهِرِنا، مخلِصونَ لَهُ بذلكَ؛ فإِنَّ تقديمَ المعمُولِ على العامِلِ يَدلُّ على الحَصْرِ[(٢)].

فهذهِ الأُصولُ المذكورةُ في هذهِ الآيةِ قد أَمرَ اللهُ بِها في كتابِهِ في عِدَّةِ آياتٍ مِن القرآنِ إجمالًا وتفصيلًا، وأَثْنَى على القائمِينَ بِها، وأَخبرَ بِما يَترتَّبُ عليها مِن الخَيرِ والثَّوابِ؛ وأَنَّها تُكَمِّلُ العَبدَ، وتُرَقِّيهِ في عقائدِهِ وأَخلاقِهِ وآدابِهِ، وتَجْعَلُهُ عَدْلًا مُعتبَرًا في مُعاملاتِهِ، وتوجِبُ لَهُ خيرَ الدُّنيا والآخرةِ، ويَحيا بِها الحياةَ الطَّيِّبةَ في الدَّارينِ، وتجلِبُ لَهُ السَّعادتَينِ، وتدفعُ عنهُ شُرورَ الدُّنيا والآخرةِ.

وقد أَخبرَ في آخرِ[(٣)] هذهِ السُّورَةِ: أَنَّ الرَّسولَ والمؤمنِينَ قاموا بِهذهِ الأُصولِ عِلمًا، وتصدِيقًا وإِقرارًا وعَمَلًا، ودعوةً وهِدايةً وإِرشادًا؛ فكُتُبُ أَهلِ العِلْمِ -المصنَّفةُ في العقائدِ- كلُّها تَفْصِيلٌ لِما في هذهِ الآيةِ الكريمةِ[(٤)].

---

(١) أَوضح هذا ابن تَيميَّةﷺ في كتابه: "النُّبوَّات"؛ وكلُّه بيان لمفهوم النُّبوَّة، والمعجزة، والكرامة، والفرق بينها وبين خوارق السَّحرة والكُهَّان ومدَّعي النُّبوَّة والولاية، وأَشباههم مِن أَصحاب الأَحوال الشَّيطانيَّة، كما بيَّن منهج أَهل السُّنَّة في النُّبوَّات؛ مِن خلال عرض أَقوالهم، والرَّدِّ على مخالفيهم؛ مِن المنكرين، وأَهل البدع، والفِرق الضَّالَّة، وهدَم أُصولهم العقليَّة، التي خالفوا فيها أُصول القرآن والسُّنَّة.

(٢) تَقديم ما حقُّه التَّأْخير هو أُسلوب بلاغي يُفِيدُ التَّخصيص، وهو: قصر شيء على آخر، وتخصيصه به، كما في هذه الآية، حيث تقدَّم المعمولُ: ﴿لَهُۥ﴾ على عامِله: ﴿مُسۡلِمُونَ﴾؛ مِمَّا يؤَكِّد أَنَّ الله وحده مخصوص بالخضوع والانقياد والإِخلاص، والاستسلام في الظَّاهر والباطن. ينظر: النَّحو الوافي، لعبَّاس حسن، (٢/٤٧٠)، وإِعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدِّين درويش، (٥/٥٢١)، والبلاغة العربيَّة، لعبدالرَّحمن حبنَّكة، (١/٥٣٧).

(٣) "آخر"، ليست في: (س).

(٤) كالإِيمان، للقاسم بن سلَّام، (ص:٦٠)، والإِبانة الكبرى، لابن بطَّة، (٢/٧٦٧)، وقاعدة جليلة في التَّوسل والوسيلة، لابن تَيميَّة، (١/٣٣٦)، وشرح الطَّحاويَّة، لابن أَبي العزِّ، (٢/٥١٢)، والتَّوضيح والبيان لشجرة الإِيمان، (ص:٤٥).

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾(١).

قد أَخبرَ النَّبيُّ ﷺ أَنَّ هذهِ الآيةَ أَعظمُ آياتِ القرآنِ على الإطلاقِ(٢)، وأَنَّها تَحْفظُ قارِئَها مِن الشَّياطينِ والشُّرورِ كلِّها(٣)؛ لِمَا احتوتْ عليهِ مِن معانِ التَّوْحيدِ والعَظَمةِ، وسَعةِ صفاتِ الكمالِ لِلَّهِ تعالى.

فأَخبرَ أَنَّهُ اللهُ الذي لَهُ جميعُ معانِ الأُلوهيَّةِ، وأَنَّهُ لا يَستحقُّ الأُلوهيَّةَ غيرُهُ؛ فأُلوهيَّةُ غيرِهِ، وعبادَةُ غيرِهِ باطِلةٌ، ضارَّةٌ في الحالِ والمآلِ، وعبادتُهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ هي الحقُّ، الموصِلةُ إلى كلِّ كمالٍ؛ وأَنَّهُ الحيُّ، كاملُ الحياةِ؛ فمِن كمالِ حياتِهِ أَنَّهُ السَّميعُ، البصيرُ، القَديرُ، المحيطُ عِلمُهُ بكلِّ شيءٍ، الكامِلُ مِن كلِّ وجْهٍ.

فـ ﴿ٱلۡحَيُّ﴾: يَتضمَّنُ جميعَ الصِّفاتِ الذَّاتيَّةِ(٤).

و﴿ٱلۡقَيُّومُ﴾: الذي قامَ بنفسِهِ، واستَغنى عن جميعِ المخلوقاتِ، وقامَ بِها فأَوجدَها وأَبقَاها، وأَمَدَّها بكلِّ ما تحتاجُ إِليهِ في بَقائِها.

فـ ﴿ٱلۡقَيُّومُ﴾: يَتضمَّنُ جميعَ صفاتِ الأَفعالِ(٥)؛ ولهذا وَرَدَ أَنَّ اسمَ اللهِ الأَعظمَ الذي إذا دُعِيَ

---

(١) البقرة: ٢٥٥

(٢) أخرج مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف، وآية الكرسي، (١/٥٥٦) ح (٨١٠)، عن أُبيِّ بن كعب ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: ((يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟))، قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ((يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟))، قَالَ: قُلْتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾، قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: ((وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ)).

(٣) كما عند البخاريِّ في صحيحه، معلَّقًا بصيغة الجزم، كتاب الوكالة، باب إذا وكَّل رجلًا، فترك الوكيل شيئًا فأجازه الموكِّل فهو جائز، وإنْ أقرضه إلى أجلٍ مسمًّى جاز، (٣/١٠١) ح (٢٣١١)؛ في قصَّة أبي هريرة ﷺ مع الشَّيطان، وفيها: ((إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾، حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ)).

(٤) هي الصِّفات الملازمة للرَّبِّ ﷻ؛ كالحياة، والعلم. ينظر: التَّنبيهات اللَّطيفة، (ص:٤٤)، والقواعد المُثْلى، (ص:٢٥).

(٥) هي الصِّفات المتعلِّقة بمشيئةِ الله ﷻ إنْ شاء فعلها، وإنْ شاء لم يفعلها؛ كالاستواءِ والنُّزول. ينظر: التَّنبيهات اللَّطيفة، (ص:٤٤)، والقواعد المُثْلى، (ص:٢٥)، وشرح العقيدة السَّفارينيَّة، للعُثَيمين، (١/١٥٥).

بهِ أَجابَ، وإِذا سُئِلَ بهِ أَعْطَى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾(١).

فإِنَّ هذينِ الاسمينِ الكريمينِ يَدخلُ فيهما جميعُ الكمَالاتِ الذَّاتيَّةِ، والفعليَّةِ(٢).

ومِن كمَالِ حياتِهِ، وقيُّوميَّتِهِ أَنَّهُ: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ﴾؛ أَيْ: نُعاسٌ، ﴿وَلَا نَوۡمٞ﴾؛ لأَنَّهُما إِنَّما يَعرِضانِ للمخلوقِ، الذي يَعْتَرِيهِ الضَّعفُ والعَجزُ والانحلالُ، ويُنَزَّهُ عنهما ذُو العَظَمَةِ والكِبرياءِ والجلالِ(٣)[٨].

وأَخبرَ أَنَّهُ مالكٌ لجميعِ ما في السَّمواتِ وما في الأَرضِ، فكلُّهم عَبِيدُهُ(٤) مماليكُهُ، لا يَخرُجُ أَحدٌ مِنهُم عن هذا الوصفِ اللَّازمِ، فهو المالكُ لجميعِ الممالِكِ، وهو الذي اتَّصفَ بصفاتِ الْمُلْكِ الكامِلِ، والتَّصرُّفِ التَّامِّ النَّافذِ، والسُّلطانِ، والكِبرياءِ.

ومِن تمَامِ مُلكِهِ أَنَّهُ لا يَشفعُ عندَهُ أَحدٌ إِلَّا بإِذنِهِ؛ فكلُّ الوُجَهاءِ والشُّفعاءِ عبيدٌ لَهُ مماليكُ، لا يُقْدِمونَ على الشَّفاعةِ لأَحدٍ حتَّى يَأْذنَ لَهُم: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾(٥).

ولا يَشفَعون إِلَّا لِمن ارتضاهُ اللهُ، ولا يَرضى إِلَّا عمَّن قامَ بتوحِيدِهِ، واتِّباعِ رُسُلِهِ، فمَن لم يَتَّصفْ بهذا فليس لَهُ في الشَّفاعَةِ نَصِيبٌ.

وأَسْعدُ النَّاسِ بشفاعةِ محمَّدٍﷺ: ((مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ))(٦).

ثُمَّ أَخبرَ عن علمِهِ الواسعِ المحيطِ، وأَنَّهُ يَعلمُ ما بيْن أَيدي الخلائقِ؛ مِن الأُمورِ المستقبَلَةِ، التي

---

(١) هو حديث أَسماء بنت يزيدﷺ، أَنَّ النَّبِيَّﷺ قال: ((اسمُ اللَّهِ الأَعظمُ في هاتين الآيتين: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣]، وفاتحةِ سورةِ آلِ عمرانَ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [آل عمران:٢])).
أَخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الدُّعاء، باب اسم الله الأَعظم، (١٢٦٧/٢) ح (٣٨٥٥)، وأَبو داود في سننه، كتاب الصَّلاة، باب الدُّعاء، (٨٠/٢) ح (١٤٩٦)، والتِّرمذيُّ في سننه، كتاب الدَّعوات، (٣٩٤/٥) ح (٣٤٧٨)، وقال: "حديث حسن صحيح".
وقال الأَلبانيُّ: "للحديث شاهد مِن حديث أَبي أُمامة مرفوعًا نحوه، فهو به حسن". صحيح أَبي داود، (٢٣٥/٥).
(٢) لأَنَّ الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال؛ كصفة السَّمع والبصر، والعلم والإِرادة، والقدرة والكلام، وأَمَّا القيُّوم فهو متضمِّن كمال غناه، وكمال قدرته. ينظر: بدائع الفوائد، (١٨٤/٢)، وتفسير القرآن العظيم، (٦٧٨/١).
(٣) أَشار إِلى هذا التَّعليل عدد من المفسرين منهم: ابن جرير، والبَغَوِيُّ، وابن كثير. ينظر: جامع البيان، (٣٩٣/٥)، ومعالم التَّنزيل، (٣٤٧/١)، تفسير القرآن العظيم، (٦٧٨/١).
(٤) "و"، زيادة في: (س).
(٥) الزمر: ٤٤
(٦) أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، (٣١/١) ح (٩٩)، عن أَبي هريرةﷺ.

لا نهايةَ لَها، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾؛ مِن الأُمورِ الماضيةِ التي لا حدَّ لَها.

وأنَّهُ لا تخفَى عليهِ خافيةٌ، ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾[١]، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[٢].

وأَنَّ الخَلقَ لا يُحيطُ أَحدٌ منهم بشَيءٍ مِن عِلْمِ اللهِ، ولا مَعلوماتِهِ إِلَّا بِما شاءَ منهُما؛ وهو ما أَطلَعهُم عليهِ مِن الأُمورِ الشَّرعيَّةِ والقدَريَّةِ، وهو جزءٌ يسيرٌ جدًا بالنِّسبةِ إلى عِلْمِ البارِئِ.

تَضْمَحِلُّ العلومُ كلُّها في عِلمِ البارِئِ ومَعْلوماتِهِ، كمَا قال أَعلمُ المخلوقاتِ، وهم الرُّسُلُ والملائِكةُ: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾[٣].

ثُمَّ أَخْبرَ عن عظَمتِهِ وجَلالِهِ، وأَنَّ كُرسِيَّهُ وسِعَ السَّمواتِ والأَرضَ، وأَنَّهُ قد حَفِظَهُما بِما فيهما مِن العوالِمِ بالأَسبابِ والنِّظاماتِ[٤] التي جعلها اللهُ في مَخلوقاتِهِ.

ومعَ ذلكَ فلا: ﴿يَـُٔودُهُۥ﴾؛ أَيْ: يُثْقِلُهُ[٥]، ﴿حِفْظُهُمَا﴾؛ لِكمَالِ عَظَمَتِهِ، وقوَّةِ اقتِدارِهِ، وسَعَةِ حِكمتِهِ في أَحكامِهِ.

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾: بذَاتِهِ[٦] على جميعِ مَخلوقاتِهِ، فهو الرَّفِيعُ[٧] الذي بَايَنَ[٨] جميعَ مَخلوقاتِهِ.

---

(١) غافر: ١٩

(٢) الأنعام: ٥٩

(٣) البقرة: ٣٢

(٤) أَيْ: تسير وِفق نِظام مُحكم، وعلى سنن إلهيَّة دقيقة، خلقها الله، وأَقامها لها.
والنِّظَامَات، وأَنظِمَة وأَناظِيم ونُظُم: جمع نِظام. ينظر: لسان العرب، مادَّة: (نظم)، والنَّحو الوافي، (١/١٦٩).

(٥) نصَّ عليه ابن جرير، والبَغَوِيُّ. ينظر: جامع البيان، (٥/٤٠٣)، ومعالم التَّنزيل، (١/٣٤٩).

(٦) الذَّاتُ: لفظٌ مُولَّدٌ، ليس مِن لفظِ العربِ العُرْباء؛ و(ذات): تأْنيث ذو، ولا تستعمل إِلَّا مضافًا؛ كقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال:١]، ثمَّ استعملها أَهلُ الكلام بالتَّعريف، فقالوا: الذَّات، ويعنون بها: النَّفْس الحقيقيَّة، التي لها وصفٌ، ولها صفاتٌ، ويُعَبِّرون بها عن وجودِهِ وحقيقتِهِ، وذَكَرها السَّلف للبيانِ والتَّوضيحِ؛ ولِتأْكيدِ علوِّ اللهِ على خلقِهِ، واستوائِهِ على عرشِهِ. ينظر: مَجْمُوع الفَتَاوى (٣/٣٣٤-٣٣٦، ٦/٩٨-١٠١)، والصَّواعق الْمُرْسَلة، (٤/١٣٨١-١٣٨٥)، وبدائع الفوائد، (٢/٦-٨)، وتفسير القرآن العظيم، (١/١٢٢).

(٧) إِطلاقه على الله مِن باب الخبر، وليس مِن باب الأَسماء والصِّفات، كما تقدَّم: (ص:٦).

(٨) لم يرِد في نصوص الوَحيين، إِلَّا أَنَّه بعد ظهورِ الأَقاويلِ الباطلةِ، احتاجَ السَّلفﷺ إلى ذكرِهِ، وتتابعوا على ذلك =

وهو: ﴿ٱلْعَلِىُّ﴾: بعظَمَةِ صفاتِهِ، الذي لَهُ كلُّ صفةِ كمَالٍ، ومِن تلكَ الصِّفةِ(١) أكمَلُها ومُنْتَهَاها.

وهو: ﴿ٱلْعَلِىُّ﴾: الذي قَهَرَ جميعَ المخلوقاتِ، ودانتْ لَهُ كلُّ الموجوداتِ، وخضَعتْ لَهُ الصِّعابُ، وذَلَّتْ لَهُ الرِّقابُ.

﴿ٱلْعَظِيمُ﴾: الجامعُ لجميعِ صفاتِ العَظَمةِ والكِبرياءِ[٩] والمجدِ، الذي تُحِبُّهُ القُلوبُ، وتُعَظِّمُهُ الأَرواحُ، ويَعرِفُ العارِفونَ أَنَّ عَظَمَةَ كلِّ موجودٍ -وإنْ جَلَّتْ عن الصِّفةِ- فإنَّها مُضْمَحِلَّةٌ في جانبِ عَظَمَةِ العليِّ العَظيمِ، فتباركَ اللهُ ذُو الجَلالِ والإِكرامِ.

فآيةٌ احتوتْ على هذهِ المعاني؛ التي هي أَجَلُّ المعاني، وأَفرَضُها على العِبادِ، يَحِقُّ أَنْ تكونَ أَعظَمَ آياتِ القرآنِ، ويَحِقُّ لِمن قرَأَها مُتدبِّرًا مُتَفَقِّهًا أَنْ يَمتَلِئَ قلبُهُ مِن اليَقِينِ والعِرفانِ والإِيمانِ، وأَنْ يكونَ بذلكَ محفوظًا مِن شُرورِ الشَّيطانِ.

وقد نَعَتَ البارِئُ نفْسَهُ الكريمةَ بهذهِ الأَوصافِ؛ في عِدَّةِ آياتٍ مِن كِتَابِهِ(٢).

مِن غيرِ نكيرٍ؛ للتَّوضيحِ والبيانِ، ولإثباتِ علوِّ الله حقيقة، ورَدًّا على مِن قال: إنَّه في كلِّ مكانٍ بذاتِه. ينظر: مقدمة أَبي زيد القيرواني لكتابه الرِّسالة، (ص:٢٢)، والعرش، (١/٢٤٠، ٢/٥)، وبدائع الفوائد، (١/١٦٢).

(١) س: "الصِّفات".

(٢) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [آل عمران:٢]، وقالﷻ: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه:١١١]، وقال ﷻ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨]، وقال ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥، الشورى:٤]، وقالﷻ: ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ [غافر:١٢]، وقالﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء:٣٤]، وقالﷻ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى:١]، وقالﷻ: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة:٧٤، ٩٦، الحاقة:٥٢]، وقالﷻ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحاقة:٣٣].

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾(١).

هذهِ أَجَلُّ الشَّهاداتِ على الإطلاقِ؛ فإنَّها صدَرتْ مِن الملِكِ العظيمِ، ومِن ملائكتِهِ، وأَنبيائِهِ، وأَهلِ العِلْمِ؛ على أَجَلِّ مشهودٍ عليهِ؛ وهو توحيدُ اللهِ، وقيامُهُ بالقسْطِ، وذلكَ يتضمَّنُ الشَّهادَةَ على جميعِ أَحكامِ الشَّرعِ، وأَحكامِ الجزاءِ؛ فإنَّ الدِّينَ أَصلُهُ وقاعدتُهُ: توحيدُ اللهِ، وإِفرادُهُ بالعبادَةِ، والاعترافُ بانفرادِهِ بصفاتِ العظَمَةِ والكبرياءِ، والمجدِ والعِزِّ والجَلالِ، وبنُعوتِ الجُودِ والبرِّ، والرَّحمةِ والإحسانِ والجَمالِ، وبكمالِهِ المطْلَقِ الذي لا يُحصي أَحدٌ مِن الخَلقِ أنْ يُحيطُوا بشيءٍ منهُ، أَو يَبْلُغوهُ، أَو يَصِلوا إِلى الثَّناءِ عليهِ، بل هو كما أَثنَى على نفسِهِ، وفوقَ ما يُثْني عليهِ عِبادُهُ.

وأَمَّا: ﴿الْقِسْطِ﴾: فهو العَدلُ الكامِلُ(٢).

واللهُ -تعالى- هو القائمُ بالعَدلِ في شرعِهِ، وخَلقِهِ وجزائِهِ؛ فإِنَّ العباداتِ الشَّرعيَّةَ، والمعاملاتِ وتوابعَها، والأَمرَ والنَّهيَ كلَّهُ عدلٌ وقِسطٌ، لا ظلمَ فيهِ بوجهٍ مِن الوجوهِ، بل هو في غايةِ الإِحكامِ والانتظامِ، وفي غايةِ الحِكمةِ.

والجزاءُ على الأَعمالِ كلُّهُ دائرٌ بيْنَ فضلِ اللهِ، وإِحسانِهِ على الموحِّدِينَ المؤمنينَ بهِ، وبيْنَ عَدلِهِ في عقوبَةِ الكافرِينَ والعاصِينَ، فإِنَّهُ لم يَهضِمْهُم شيئًا مِن حَسناتِهِم(٣)، ولم يُعذِّبْهم بغيرِ ما كَسَبوا: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾(٤).

---

(١) آل عمران: ١٨

(٢) نصَّ على هذا التَّفسير ابن جرير. ينظر: جامع البيان، (٦/٢٧٠).

(٣) ومِن عَدْلهﷻ أنَّه بمشيئته يَجزي الكافرَ على ما عمل مِن خير في الدُّنيا، فقد أَخرج مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنَّة والنَّار، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدُّنيا والآخرة، وتعجيل حسنات الكافر في الدُّنيا، (٤/٢١٦٢) ح (٢٨٠٨)، عن أَنسٍ﷛، قال رسول اللهﷺ: ((إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ، لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا)).

وإِذا أَسلم حُفظت لَهُ أَعماله الخيريَّة حال كُفره؛ لما أَخرج البخاريُّ في صحيحة، كتاب الزَّكاة، باب مِن تصدَّق في الشِّرك ثمَّ أَسلم، (٢/١١٤) ح (١٤٣٦)، عن حكيم بن حِزامٍ﷛، قال: قلت: يا رسول الله، أَرأَيتَ أَشياء كنتُ أَتَحَنَّثُ بها في الجاهليَّة مِن صدقة، أَو عَتاقة، وصلة رَحم، فهل فيها مِن أَجر؟ فقال النَّبيُّﷺ: ((أَسْلَمْتَ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ خَيْرٍ)).

وينظر: الجامع لأَحكام القرآن، للقرطبي، (٨/١٦١)، وتفسير القرآن العظيم، (٧/١٩٨)، وأَضواء البيان، (٣/٨٣).

(٤) الأَنعام: ١٦٤، الإِسراء: ١٥، فاطر: ١٨، الزمر: ٧

قال تعالى: ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ﴾(١)؛ فتوحيدُ اللهِ ودِينُهُ قد ثبَتَ ثبوتًا لا رَيْبَ فيهِ، وهو أَعظمُ الحقائقِ، وأَوضحُها.

وقد شَهِدَ اللهُ لَهُ بذلكَ بِما أَقامَ مِن الآياتِ، والبراهينِ، والحُجج المتنوِّعةِ عليهِ.

ومِن شَهادتهِ -تعالى- أَنَّهُ أَقامَ أَهلَ العِلْمِ العارفِينَ بِهذهِ الشَّهادَةِ؛ فإنَّهُمُ المرجِعُ للعِبَادِ في تحقيقِ كلِّ حقٍّ، وإبطالِ كلِّ باطلٍ؛ لِمَا خصَّهمُ اللهُ بهِ مِن العِلْمِ الصَّحيحِ، واليقينِ التَّامِّ، والمعرِفةِ الرَّاسِخةِ.

وهذا مِن جُملةِ فضائلِ العِلْمِ وأَهلِهِ؛ فإنَّ اللهَ جعلَهم وسائطَ بيْنهُ وبيْنَ عبادِهِ؛ يُبلِّغونَهُم توحيدَهِ ودينَهِ، وشرائِعَهِ الظَّاهرةَ والباطنةَ، وأَمرَ النَّاسَ بسؤالِهم، والرُّجوعِ إلى قولِهم(٢).

وأَنَّهُم همُ الأَئمَّةُ الْمَتْبُوعونَ، وغيرُهُم تابعٌ لهم في الدُّنيا والآخرةِ؛ ولهذا لهم الكَلِمةُ الرَّفيعةُ حتَّى في الآخرةِ؛ لَمَّا ذكرَ -تعالى- اختصامَ الخَلقِ، واختلافَهُم ذكرَ القولَ الفَصْلَ في ذلكَ، الصَّادرَ مِن أَهلِ العِلْمِ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾(٣).

وفي هذا دَليلٌ على كمَالِ عَدلِ أَهلِ العِلْمِ؛ فإنَّ اللهَ استشهدَ بِهم على عِبَادِهِ؛ وذلكَ تعديلٌ منهُ لَهم، وفي هذا مِن الشَّرفِ، وعلوِّ المكانةِ ما لا يَخفَى(٤).

(١) الأنعام: ١٩

(٢) قال تعالى: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣، الأنبياء:٧].

(٣) الروم: ٥٦

(٤) أَوضح ابن القَيِّم شرف العِلم وأَهلِه مِن ثلاثة وخمسين ومائة وجه، عند كلامه على قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ﴾. ينظر: مِفتاح دار السَّعادة، (١/٤٨-١٨٧)، وتفسير القرآن العظيم، (٢/٢٤).

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾[١].

العِلْمُ لا بُدَّ فِيهِ مِن إِقرارِ القلبِ، ومعرفتِهِ بِمعنَى ما طُلِبَ منهُ عِلمُهُ، ولا يَتِمُّ ذلكَ إِلَّا بالعَملِ بمقتضَى ذلكَ العِلْمِ، في كُلِّ مقامٍ بحسَبهِ.

وهذا العِلْمُ الذي أَمرَ اللهُ بِهِ فرضُ عَيْنٍ[٢] على كلِّ إِنسانٍ، لا يَسقطُ عن أَحدٍ كائنًا مَن كانَ[٣].

والضَّرورةُ إِلى هذا العِلْمِ، والعَملِ بمقتضَاهُ -مِن تمامِ التَّأَلُّهِ للهِ- فوقَ كلِّ ضَرورةٍ.

والعِلمُ بالشَّيءِ يَتوقَّفُ على معرفةِ الطَّرِيقِ الْمُفْضِي إِلى معرفتِهِ، وسُلوكِها.

والطَّريقُ إِلى العِلْمِ بأَنَّهُ: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ على وجهِ الإِجمالِ، والعُمومِ أُمورٌ[٤]:

أَحدُها: -وهو أَعظمُها، وأَوضحُها، وأَقواها- تدبُّرُ أَسماءِ اللهِ، وصفاتِهِ، وأَفعالِهِ الدَّالَّةِ على كمالِهِ، وعظَمتِهِ وجلالِهِ؛ فإِنَّ معرفتَها توجبُ العِلْمَ بأَنَّهُ لا يَستحقُّ الأُلوهيَّةَ سِواهُ، وتوجِبُ بذلَ الجُهدِ في التَّأَلُّهِ والتَّعبُّدِ للهِ الكامِلِ، الذي لَهُ كلُّ حَمْدٍ ومَجْدٍ، وجَلالٍ وجَمالٍ.

الثَّاني: العِلْمُ بأَنَّهُ الرَّبُّ المنفرِدُ بالخَلقِ والرِّزقِ والتَّدبيرِ؛ فبذلكَ يُعْلمُ أَنَّهُ المنفردُ بالأُلوهيَّةِ.

الثَّالثُ: العِلْمُ بأَنَّهُ المُنْفرِدُ بالنِّعمِ؛ الظَّاهرةِ والباطنةِ، الدِّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ؛ فإِنَّ ذلكَ يوجِبُ تعلُّقَ القلبِ بِهِ محبَّةً، وإِنابةً، والتَّأَلُّهَ لَهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ.

الرَّابعُ: ما يَراهُ العِبادُ، ويَسْمعونَهُ مِن الثَّوابِ لأَوليائِهِ القائمِينَ بتوحيدِهِ؛ مِن النَّصرِ لِرسُلِهِ وأَتباعِهِم، ومِن النِّعمِ العاجِلةِ المشاهدَةِ، ومِن عُقوبتِهِ لأَعدائِهِ المشركِينَ بهِ؛ فإِنَّ هذا بُرهانٌ على أَنَّهُ

---

(١) محمد: ١٩

(٢) هو: ما يُطلَب فعلُه مِن كلِّ مكلَّف. ينظر: أنوار البُروق في أَنْوَاء الفُروق، (١/١٢٧)، ورسالة لطيفة جامعة في أُصول الفِقه المهمَّة، للمؤلِّف، (ص:٥٢).

(٣) فصَّل ابن تَيميَّة رحمه الله ما يجب الإيمان به على التَّفصيل والإجمال، وما هو فرض على الأَعيان والكفاية؛ وأَنَّه يجب على كلِّ أَحد أَنْ يؤمن بما جاء به الرَّسول إيمانًا عامًّا مجملًا، أَمَّا ما جاء به على التَّفصيل ففرض على الكفاية؛ لأَنَّ ذلك داخل في تبليغ ما بعث الله به رسوله، وداخل في تدبُّر القرآن وعقله وفهمه، وعِلم الكتاب والحِكمة، ونحو ذلك، ثمَّ إنَّ ما وجب على الأَعيان فإنَّه يتنوَّع بتنوِّع قدرهم وحاجتهم ومعرفتهم، ويجب على المفتي، والمحدِّث، والمجادِل ما لا يجب على مَن ليس كذلك. ينظر: دَرْء تَعارض العقل والنَّقل، (١/٥١-٥٤).

(٤) فصَّل ابن القَيِّم هذه الأُمور، باستطراد، مع ردٍّ على الطَّوائف المخالفة في: مَدارج السَّالِكِين، (٣/٤٢٧-٤٥٠).

وحدَهُ المستحِقُّ للأُلُوهيَّةِ(١).

الخامسُ: معرفةُ أَوصافِ الأَوثانِ والأَندادِ التي[١٠] عُبِدتْ معَ اللهِ، واتُّخِذتْ آلهةً، وأَنَّها فقيرةٌ إلى اللهِ مِن كلِّ وجهٍ، ناقصةٌ مِن كلِّ وجهٍ، لا تملِكُ لنفسِها، ولا لِمَن عبَدَها نفعًا ولا ضَرًّا، ولا مَوتًا ولا حياةً ولا نُشورًا.

فالعِلْمُ بذلكَ يُعلِّمُ(٢) بُطلانَ إلهيَّتِها، وأَنَّ ما يَدْعون مِن دونِ اللهِ هو الباطلُ، وأَنَّ اللهَ(٣) الإلهُ الحقُّ الْمُبِيْنُ.

السَّادسُ: اتِّفاقُ كتُبِ اللهِ على ذلكَ، وتَواطُؤُها عليهِ(٤).

السَّابعُ: اتِّفاقُ الأَنبياءِ والرُّسلِ والعلماءِ الرَّبَّانِيِّيْنَ على ذلكَ، وشهادتُهم بهِ، وهم خواصُّ الخَلقِ، وأَكملُهُم أَخلاقًا، وعُقولًا، وعِلمًا، ويقينًا(٥).

الثَّامنُ: ما أَقامَهُ اللهُ مِن الأَدِلَّةِ، والآياتِ الأُفُقيَّةِ، والنَّفْسِيَّةِ، التي تَدلُّ على التَّوحيدِ أَعظَمَ دِلالةٍ، وأَوضحَها، وتُنادِي عليهِ بلِسانِ الْمَقالِ، ولِسانِ الحالِ، بما أَودَعَها مِن لطائِفِ صَنعتِهِ، وبَديعِ حِكمتِهِ، وغرائِبِ خَلْقِهِ(٦).

---

(١) قالَ ﷻ في ثمود: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [النمل:٥٢-٥٣].
ويَذْكر اللهُ ﷻ: "في سورة الشُّعراء ما أَوقع بالمشركين مِن أَنواع العقوبات، ويذكر إنْجاءه لأَهل التَّوحيد، ثمَّ يقول: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء:٨-٩]؛ فيذكر شِركَ هؤلاء الذين استحقوا به الهلاك، وتوحيدَ هؤلاء الذين استحقوا به النَّجاةَ، ثمَّ يخبر أَنَّ في ذلك آيةً وبرهانًا للمؤمنين". مَدارِج السَّالِكِين، (٣/٤٥٦).
(٢) س: "به"، والسِّياق يحتاجها، ويكون ضبطها: "يُعْلَمُ بِهِ بطلانُ"
(٣) س: "هو"، وهي أَوضح للمعنى، والموافقة للآية الكريمة التي اقتبس المؤلِّف شيئًا منها، قال ﷻ: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور:٢٥].
(٤) القرآن الكريم يخبرنا بتواتر الرُّسل على الدَّعوة إلى التَّوحيد، والاستسلام لله وحده، وأَنَّ اللهَ ﷻ لا يَقبل من أَحد دِينًا سِوى الحنيفيَّة. ينظر: مَجْمُوع الفَتاوَى، (٣٥/١٨٨-١٨٩).
(٥) قال ﷻ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران:١٨].
(٦) خَلْقُ اللهِ للمخلوقات شهادة بأَنَّه لا إله إلَّا هو، قال ﷻ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:٥٣]. ينظر: مَجْمُوع الفَتاوَى، (١٤/١٧٤)، ومَدارِج السَّالِكِين، (٣/٤٢٢)، وتفسير القرآن العظيم، (١/٤٧٤)، وأَضواء البيان، (٦/٣٧٦).

التَّاسعُ: ما أَودعهُ اللهُ في شَرعِهِ مِن الآياتِ الْمُحْكَمةِ، والأَحكامِ الحَسَنةِ، والحُقوقِ العادِلةِ، والخيرِ الكثيرِ، وجلبِ المنافعِ كلِّها، ودفعِ المضارِّ، ومِن الإحسانِ المتنوِّعِ؛ وذلكَ يَدلُّ أَكبرَ دِلالةٍ أَنَّهُ اللهُ الذي لا يَستَحِقُّ العبادةَ سِواهُ، وأَنَّ شريعتَهُ التي نزلَتْ على أَلسِنةِ رُسلِهِ شاهدةٌ بذلكَ.

فهذهِ الطُّرقُ التي لا تُحصَى أَنواعُها، وأَفرادُها قد أَبدأَها اللهُ في كتابِهِ وأَعادَها، ونبَّهَ بِها العِبادَ على هذا المطلوبِ الذي هو أَعظمُ المطالِبِ، وأَجلُّ الغَاياتِ(١).

فمَن سلَكَ طريقًا مِن هذهِ الطُّرُقِ أَفضتْ بهِ إِلى العِلْمِ، واليَقينِ بأَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هوَ.

وكلَّما ازدادَ العبدُ سُلوكًا لهذهِ الطُّرُقِ، ورَغبةً فِيها، ومَعْرِفةً ازدادَ يقينُهُ، ورسَخَ إِيمانُهُ، وكان الإِيمانُ في قلبِهِ أَرسخَ مِن الجبالِ، وأَحلَى مِن كلِّ لَذيذٍ، وأَنفسَ مِن كلِّ نَفِيسٍ.

والطَّريقُ الأَعظمُ الجامعُ لذلكَ كلِّهِ تدبُّرُ القرآنِ العظيمِ، والتَّأَمُّلُ في آياتِهِ، فإِنَّهُ البابُ الأَعظمُ إِلى العِلْمِ بالتَّوحيدِ، ويَحصلُ بهِ مِن تفاصِيلِهِ وجُمَلِهِ ما لا يَحصُلُ مِن غيرِهِ(٢).

وقولُهُ: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾؛ أَيْ: اطلبْ مِن ربِّكَ المغفرةَ لذنبِكَ؛ بأَنْ تفعلَ الأَسبابَ التي تحصلُ بِها المغفِرَةُ؛ مِن الدُّعاءِ بالمغفرةِ، والتَّوبَةِ النَّصوحِ، وفِعلِ الحسناتِ الماحيَةِ، وتركِ الذُّنوبِ، والعفوِ عن الخَلقِ، والإِحسانِ إِليهم، ومِن ذلكَ الاستغفارُ لهم؛ فلِهذا قال: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾؛ فهذا مِن ثَمراتِ الإِيمانِ؛ بسببِ إِيمانِهِم كان لهم حقٌّ على كلِّ مسلمٍ أَنْ يدعوَ لهم بالمغفِرةِ.

وإِذا كان العبدُ مأْمورًا بالاستغفارِ للمؤمِنينَ والمؤمناتِ فمِن لوازمِ ذلكَ: أَنْ يكونَ ناصِحًا لهم؛ يُحِبُّ لهم مِن الخيرِ ما يحبُّ لنفسِهِ، ويكرَهُ لهم مِن الشَّرِّ ما يكرَهُ لنفسِهِ، ويحثُّهُم على الخَيرِ، ويَنهاهُم عن الشَّرِ، ويعفو عن معايِبِهِم ومساوِيهِم، ويحرَصُ على اجتماعِهِم اجتماعًا تتأَلَّفُ بهِ قلوبُهُم، ويزولُ ما بيْنَهُم مِن الأَحقادِ المفضِيَةِ للمُعاداةِ والشِّقاقِ؛ فإِنَّ(٣) بالائتلافِ تَقِلُّ الذُّنوبُ،

(١) القرآن كلُّه في التَّوحيد وحقوقِه وجزائِه، وفي شأْنِ الشِّرك وأَهلِه وجزائهم، بل إِنَّ كلَّ آية في القرآن فهي متضمِّنة للتَّوحيد، شاهدة به، داعية إِليه. ينظر: مَدارِج السَّالِكين، (٣/٤١٨-٤١٧).

(٢) قال السُّيُوطِيُّ رحمه الله: "وصفة ذلك أَنْ يَشْغَلَ قلبَه بالتَّفكير في معنى ما يَلفظ به؛ فيعرف معنى كلِّ آية، ويتأَمَّل الأَوامر والنَّواهي، ويعتقد قبول ذلك، فإِنْ كان مِمَّا قصَّر عنه -فيما مضى- اعتذر واستغفر، وإِذا مرَّ بآية رحمة استبشر وسأَل، أَو عذاب أَشْفق وتعوَّذ، أَو تنزيه نزَّه وعظَّم، أَو دعاء تضرَّع وطلب". الإِتقان، (١/٣٦٩).

(٣) س: "فإِنَّه"، وهي الأَليق بالسِّياق.

وبالافتراقِ تكْثرُ الشُّرورُ والمعاصِي[١].

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾؛ أَيْ: تصرفاتِكُم، وحركاتِكُم، وذهابَكُم، ومجيئَكُم، وما إليهِ تَنتَهونَ، وبهِ تَستقِرُّونَ، فهُو المحيطُ بِكم في كلِّ أَحوالِكُم؛ وهذا فيهِ التَّخويفُ، والتَّرغيبُ مِن الجزاءِ على الأَعمالِ؛ حسَنِها، وسَيِّئِها[٢].

(١) في الاجتماع طاعة لله، وامتثال لأَمره، وإِقامة لدِينه، وحفظ لحقوق عباده، وتعاون على الخير، وانتشار لَهُ، وبالافتراق معصيةٌ لله، وعمومٌ للفوضى، وانشغالٌ عن العبادات، وتسلُّطٌ للعصاة، وانتشارٌ للظُّلم، والفساد.

(٢) "و"، زيادة في: (س).

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾(١)[١١].

هذهِ الآياتُ الكريمةُ قد اشتملتْ على كثيرٍ مِن أَسماءِ اللهِ الْحُسْنَى؛ التي عليها مَدارُ التَّوحِيدِ، والاعتقادِ.

فأَخبرَ أَنَّهُ المأْلُوهُ الذي لا يَستحِقُّ العِبادةَ سِواهُ؛ وذلكَ لِكمالِهِ العظيمِ، وإحسانِهِ الشَّامِلِ، وتدبِيْرِهِ العَامِّ، وحِكَمِهِ الشَّامِلةِ، فهُو الإِلهُ الحقُّ، وما سِواهُ فعُبُودِيَّتُهُ باطِلةٌ؛ لأَنَّهُ خَالٍ مِن الكَمالِ، ومِن الأَفعالِ التي فيها النَّفعُ والضَّرُّ.

ووصَفَ نفسَهُ بالعِلْمِ المحيطِ بِما حضرَ وغابَ، وما مَضَى وما يُسْتَقبَلُ، وما هو حاضِرٌ، وما في العالَمِ العُلْوِيِّ، وما في العالَمِ السُّفْلِيِّ، وما ظَهرَ وما بطَنَ، فلا تخفَى عليهِ خافيةٌ في مكانٍ مِن الأَمكنةِ، ولا زمَانٍ مِن الأَزمنةِ(٢).

ومن كمالِ عِلمِهِ وقُدرتِهِ أَنَّهُ يَعْلَمُ ما تَنْقُصُ الأَرضُ مِن الأَمواتِ، وما تَفرَّقَ مِن أَجزائِهِم، وما استحالَ مِن حالٍ إلى حالٍ؛ أَحاطَ عِلمًا بذلكَ على وجْهِ التَّفْصِيلِ(٣)، فلا يُعْجِزُهُ إِعادتُهُم لِلبَعثِ، والجزاءِ.

ووصَفَ نفسَهِ بأَنَّهُ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾: الذي وسِعتْ رحمتُهُ الخَلِيقَةَ بأَسْرِهَا، ومَلأَتِ الوجُودَ كلَّهُ.

---

(١) الحشر: ٢٢-٢٤

(٢) قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران:٥]، وقال ﷻ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة:٧].

(٣) قال ﷻ: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾ [ق:٤].

ووصَفَ نفسَهُ بأَنَّهُ: ﴿ٱلْمَلِكُ﴾: وهُو الذي لَهُ الْمُلْكُ[(١)] المطْلَقُ، لَهُ صفاتُ الْمَلِكِ التي هي نُعُوتُ العَظَمَةِ والكِبرياءِ، والعِزِّ والسُّلطانِ، ولَهُ التَّصرُّفُ الْمُطْلَقُ في جميعِ الْمَمَالِكِ، الذي لا يُنازِعُهُ فيهِ مُنازِعٌ.

والموجُوداتُ كلُّها عبيدُهُ، ومُلْكُهُ، ليس لهم مِن الأَمرِ شيءٌ.

وأَخْبَرَ أَنَّهُ: ﴿ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾؛ أَيْ: الْمُقَدَّسُ الْمُعَظَّمُ، السَّالِمُ مِن جميعِ العُيُوبِ والنَّقائصِ الْمُنافيةِ لِكَمالِهِ.

﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾: الْمُصَدِّقُ لِرُسُلِهِ وأَنبيائهِ بِما جاؤوا بهِ مِن الآياتِ البَيِّناتِ، والبراهينِ القاطِعاتِ، والحُججِ الواضِحاتِ، الذي لَهُ العِلْمُ كلُّهُ، ويَعْلَمُ مِن أَوصَافِهِ المقدَّسةِ، ونُعوتِهِ العَظِيمَةِ ما لا يَعلَمُهُ بَشَرٌ ولا مَلَكٌ، ويُحِبُّ نفْسَهُ، وما هو عليهِ مِن الجَلالِ والجَمَالِ[(٢)].

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾[(٣)]: الذي لَهُ العِزَّةُ كلُّها[(٤)]:

- عِزَّةُ القُوَّةِ والقُدْرَةِ، فهوَ القَوِيُّ الْمَتِينُ.
- وعِزَّةُ القَهْرِ والغَلَبةِ لِكلِّ مَخْلُوقٍ، فكلُّهم نواصِيهم بيَدِهِ، وليس لهم مِن الأَمرِ شَيءٌ.
- وعِزَّةُ الامتناعِ؛ الذي تَمَنَّعَ بعِزَّتِهِ عن كلِّ مَخْلوقٍ، فلا يُعارَضُ ولا يُمانَعُ، وليس لَهُ نَدِيدٌ[(٥)]،

---

(١) "التَّامُّ"، زيادة في: (س).

(٢) ثناؤه على نفسه ﷻ دليل على محبَّتِها، أخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب التَّفسير، باب قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام:١٥١]، (٦/٥٧)، ح (٤٦٣٤)، ومسلم في صحيحه، واللَّفظ لَهُ، كتاب التَّوبة، باب غيرة الله -تعالى- وتحريم الفواحش، (٤/٢١١٤) ح (٢٧٦٠)، عن ابن مسعود ﷺ، قال: قال رسول ﷺ: ((وَلا أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللهِ وَلِذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ)).

(٣) قَبْلَه اسم: ﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾، ويظهر أَنَّ المؤلِّف ﷀ نسيي ذكره هنا، وقد ذكره في تفسيره، ثمَّ قال: "المطَّلع على خفايا الأُمور، وخبايا الصُّدور، الذي أَحاط بكلِّ شيء علمًا". تيسير الكريم الرَّحمن، (ص:٩٤٧).

(٤) قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يونس:٦٥].
والعِزَّةُ: الغَلَبة، والمنعة، والقُوَّة، وقد نصَّ على أَنواعها غير واحد مِن أَهل العلم، ولعلَّها مستفادة مِن المعنى اللُّغوي. ينظر: جامع البيان، (٩/٣١٩)، ومعاني القرآن، للزَّجَّاج، والصِّحاح، مادَّة: (عزز)، وتفسير السَّمعاني، (٥/٤٤٦)، وزاد الْمَسِير، لابن الجَوْزي، (١/١١٣).

(٥) النِّدُّ، والنَّدِيدُ: المِثْلُ والنَّظِيرُ، ونِدُّ الشَّيء مِثْله، والجمع أَنداد. ينظر: لسان العرب، مادَّة: (ندد).

ولا ضَدِيْدٌ(١).

﴿ٱلْجَبَّارُ﴾: الذي قَهَرَ جميعَ المخلوقاتِ، ودانتْ لَهُ الموجوداتُ، واعْتَلَى(٢) على الكَائِناتِ، وجَبَرَ بلطفهِ، وإِحسانِهِ القلوبَ المنكسراتِ(٣).

﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾: عن النَّقائصِ، والعُيوبِ، وعن مُشابهَةِ أَحدٍ مِن خَلْقِهِ، ومُماثلتِهم لعظمَتِهِ وكبريائِهِ.

﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾؛ وهذا تَنزِيهٌ عامٌّ عن كلِّ ما وَصَفهُ بِهِ مَن أَشْرِكَ بهِ، ولم يَقْدُرهُ حقَّ قدْرِهِ.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ﴾: لجميعِ المخلوقاتِ(٤).

﴿ٱلْبَارِئُ﴾: بحِكْمتِهِ، ولُطْفِهِ لجميعِ البَرِيَّاتِ.

﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾: بحسْنِ خَلقِهِ لجميعِ الموجوداتِ، أَعطَى كلَّ شَيءٍ خَلْقهُ، ثُمَّ هَدَى كلَّ مخلوقٍ، وكلَّ عُضوٍ لِمَا خُلقَ لَهُ، وهُيِّئَ لَهُ.

فاللهُ -تعالى- قدْ تَفرَّدَ بهذهِ الأَوصافِ المتعَلِّقةِ بِخَلْقِهِ، لم يُشارِكْهُ في ذلِك مشارِكٌ، وهذا مِن بَراهينِ توحيدِهِ، وأَنَّ مَن تَفرَّدَ بالخَلْقِ، والبَرْءِ، والتَّصوِيرِ(٥) فهو المستحِقُّ للعبوديَّةِ، ونِهايةِ الحُبِّ، وغايةِ الخُضوعِ.

---

(١) الضَّدِيدُ: المِثْلُ، وجمعه: أَضْداد، ولا ضَدِيد لَهُ، أَيْ: لا نَظِير لَهُ، ولا كُفْءَ لَهُ. ينظر: تاج العَرُوس، مادَّة: (ضدد).

(٢) خ، س: "اعْتَلا"، والصَّحيح إملائيًّا "اعْتَلى"؛ لأَنَّها: "آخر فعل أَحرفه أَكثر مِن ثلاثة، وليس قبل الأَلف ياء". الإملاء والتَّرقيم في الكتابة العربيَّة، لعبدالعليم إبراهيم، (ص:٧١).

(٣) فالجبَّارُ لَهُ ثلاثةُ معانٍ: أَحدها: أَنَّه يجبر الضَّعيف، وكلَّ قلبِ منكسرٍ لأَجله؛ فيغْني الفقير، ويُيَسِّر على المعسر، ويجبر المصاب بتوفيقه للثَّبات، والصَّبر، والأَجر، ويجبر قلوب الخاضعين لعظمته بكراماته، والثَّاني: أَنَّه القهَّار الذي خضع لَهُ كلُّ شيءٍ، والثَّالث: أَنَّه العَلي على كلِّ شيءٍ. ينظر: تفسير أَسماء الله الحُسنى، (ص:١٧٧).

(٤) ومن أَسمائه: الخَلَّاق، قال ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يس:٨١]. ينظر: الصَّواعق الْمُرْسَلة، (١٥٦٤/٤).

(٥) بين الثَّلاثة تقارب وترابط، قال البَغَوِيُّ رحمه الله: "الخالق: المقدِّر والْمُقَلِّبُ للشَّيءِ بالتَّدبِيْر إلى غيره؛ كما قال: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ [الزمر:٦]، البارئ: الْمُنْشِئُ للأَعيانِ مِن العَدم إلى الوُجود، المصوِّر: الممثِّل للمخلوقات بالعَلامات التي يتميَّز بعضُها عن بعضٍ، يُقال: هذه صورة الأَمر، أَيْ: مِثاله، فأَوَّلًا يكونُ خَلْقًا، ثمَّ بَرْءًا، ثمَّ تَصويرًا". مَعَالم التَّنزيل، (٦٧/٥). وينظر: جامع البيان، (٣٠٥/٢٣)، وتفسير القرآن العظيم، (٨٠/٨).

﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، وقد وَرَدَ في الحديثِ الصَّحيحِ: ((إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ))[1]؛ يَعْنِي: أَحْصَى أَلفاظَها، وحَفِظَها، وعَقَلَها، وتَعبَّدَ لِلهِ بِها[2].

فهو -تعالى- الذي لَهُ كلُّ اسمٍ حَسَنٍ، وكلُّ صِفةِ جَلالٍ وكمالٍ، فيَستَحِقُّ مِن عِبادِهِ كلَّ إجلالٍ وتعظِيمٍ، وحُبٍّ وخُضُوعٍ.

﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ يعني: مِن المكلَّفِينَ، والحيواناتِ، والأَشجارِ، والجَماداتِ، ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[3].

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾؛ في خَلْقِهِ، وشَرْعِهِ[4][١٢].

---

(١) أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب التَّوحيد، باب إِنَّ لله مائة اسم إِلَّا واحدًا، (٩/١١٨) ح (٧٣٩٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الذِّكر والدُّعاء والتَّوبة والاستغفار، باب في أَسماء الله -تعالى- وفضل مَن أَحصاها، (٤/٢٠٦٣) ح (٢٦٧٧)، عن أَبي هريرةرضي الله عنه.

(٢) استحسن ابن القَيِّمرحمه الله أَنْ يقال: دعاؤه بها؛ لأَنَّها المطابقة لِلَفظ القرآن، ولأَنَّ الدُّعاء يتضمَّن التَّعبد والسُّؤال، ثمَّ قال: "هذه العبارة أَولى مِن عبارة مَن قال يتخلَّق بأَسماء الله، فإنَّها ليست بعبارة سديدة، وهي منتزعة مِن قول الفلاسفة بالتَّشبه بالإِله على قدر الطَّاقة، وأَحسن منها عبارة أَبي الحكم بن برهان: وهي التَّعبد، وأَحسن منها العبارة المطابقة للقرآن: وهي الدُّعاء المتضمِّن للتَّعبد والسُّؤال، فمراتبها أَربعة: أَشدُّها إِنكارًا عبارة الفلاسفة: وهي التَّشبه، وأَحسن منها عبارة مَن قال: التَّخلُّق، وأَحسن منها عبارة مَن قال: التَّعبُّد، وأَحسن مِن الجميع الدُّعاء، وهي لفظ القرآن". بدائع الفوائد، (١/١٦٤).

(٣) الإِسراء: ٤٤

(٤) كثيرًا ما يَقْرِن -تعالى- بين الاسمين: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾؛ في آيات التَّشريع، والتَّكوين، والجزاء؛ ليدلَّ عبادَه على أَنَّ ذلك كلَّه عن حِكمة بالغةٍ، وعزَّةٍ قاهرةٍ. ينظر: مِفتاح دار السَّعادة، (٢/٧٨).

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾(١).

أَيْ: ﴿قُلْ﴾: قولًا جازمًا فيهِ، معتقِدًا لَهُ، عارِفًا بمعناهُ، عامِلًا بمقتضاهُ؛ مِن الإيمانِ باللهِ، والتَّعظيمِ، والخضوعِ.

﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾؛ أَيْ: الذي انْحصَرتْ فيهِ الأَحَدِيَّةُ: وهي التَّفرُّدُ بكلِّ صفةِ كمالٍ، الذي لا يُشارِكهُ في ذلكَ مُشارِكٌ؛ الذي لَهُ الأَسماءُ الحُسْنَى، والصِّفاتُ العُلَى، والأَفعالُ المقدَّسَةُ، والتَّصرُّفُ الْمُطْلَقُ.

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾؛ أَيْ: السَّيِّدُ، الذي قد انتهى سُؤْدَدُهُ؛ العَليمُ الذي قد كَمُلَ عِلْمُهُ، الحليمُ الذي قد كَمُلَ في حِلمِهِ، وفي قُدْرتِهِ، وفي جميعِ أَوصافِ كمالِهِ؛ ولأَجلِ هذا صَمَدَتْ لَهُ المخلوقاتُ كلُّها، وقَصَدَتْهُ في كلِّ حاجاتِها، وفزِعَتْ إِليهِ الخَليقةُ في مُهمَّاتِها(٢)، ومُلِمَّاتِها(٣).

فـ ﴿ٱلصَّمَدُ﴾: هو الذي صَمَدَتْ لَهُ المخلوقاتُ؛ لِمَا اتَّصفَ بهِ مِن جميعِ الكَمالاتِ(٤).

ومِن كمالِهِ أَنَّهُ: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾؛ لأَنَّهُ الغنيُّ المالِكُ؛ فاتِّخاذُ الوَلدِ يُنافي مُلْكَهُ، وغِناهُ.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾؛ أَيْ: ليس لَهُ مُكافِئٌ، ولا مَثِيلٌ في أَسمائِهِ وصفَاتِهِ، وأَفعالِهِ ﷻ.

فهذهِ السُّورةُ أَصلٌ عظيمٌ مِن أُصولِ الإِيمانِ، وقد تَضَمَّنتْ توحيدَ الأَسماءِ والصِّفاتِ، ومن لوازِمِ ذلكَ توحيدُ الإِلهيَّةِ، وأَنَّ المتفرِّدَ بالوحدانيَّةِ -مِن كلِّ وجْهٍ، الذي ليسَ لَهُ مَثِيلٌ بوجْهٍ مِن الوُجوهِ- هو الذي لا تَنْبَغِي العبادةُ إِلَّا لَهُ، لا إِلهَ إِلَّا هوَ(٥).

---

(١) الإخلاص: ١-٤

(٢) الْمُهِمُّ: الأَمرُ الشَّديد. ينظر: جَمْهَرة اللُّغة، لابن دُرَيْد، والصِّحاح، مادَّة: (همم).

(٣) الْمُلِمَّةُ: النَّازِلةُ الشَّديدة، مِن شدائد الدَّهر. ينظر: كتاب العين، للخليل، وتهذيب اللُّغة، للأزهري، مادَّة: (لمم).

(٤) للسَّلف في معنى: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ أَقوال متعدِّدة، والمشهور قولان: أَنَّه: الذي لا جوف لَهُ، وأَنَّه: السَّيد الذي يُصمد إِليه في الحوائج، وقد بسط الأَقوال والرِّوايات عدد مِن الأَئمَّة؛ كابن جَرِيْر، وابن تَيميَّة، وابن كثير رحمهم الله. ينظر: جامع البيان، (٢٤/٦٨٩-٦٩٢)، ومجْمُوع الفَتاوَى، (١٧/٢١٤-٢٣٤)، وتفسير القرآن العظيم، (٨/٥٢٨-٥٢٩).

(٥) قال ابن تَيميَّة رحمه الله: "وعلى هذه السُّورة اعتماد الأَئمَّة في التَّوحيد؛ كالإمام أَحمد، والفُضَيل بن عِياض، وغيرهما مِن الأَئمَّة قبلهم وبعدهم". مجْمُوع الفَتاوَى، (٢/٤٣٨).

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾(١).

يُخْبِرُ -تعالى- وهو أصدقُ القائِلِينَ، أَنَّهُ: ﴿إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾؛ أَيْ: مُتوحِّدٌ مُنفردٌ في ذاتِهِ، وأَسمائِهِ وصفاتِهِ وأَفعالِهِ؛ فليس لَهُ شريكٌ، ولا سَمِيَّ لَهُ(٢)، ولا كُفْوَ(٣)، ولا مِثْلَ، ولا نَظِيرَ(٤)، ولا خَالقَ، ولا مُدَبِّرَ غيرُهُ.

فإذا تَقرَّرَ أَنَّهُ كذلِكَ فهُو الْمُستَحِقُّ لأَنْ يُؤْلَهَ ويُعْبَدَ بجميعِ أَنواعِ العبادَةِ، ولا يُشْرَكَ بهِ أَحدٌ مِن خَلقِهِ؛ لأَنَّهُ: ﴿الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾: المتَّصِفُ بالرَّحمةِ العَظيمةِ؛ التي لا يُماثِلُها رحمةُ أَحدٍ، فقد وسِعتْ كلَّ شَيءٍ، وعمَّتْ كلَّ حيٍّ؛ فبِرحمتِهِ وُجِدتِ المخلوقاتُ، وبِرحمتِهِ حَصَلتْ لها أَنواعُ الكَمالاتِ، وبرحمتِهِ اندفعَ عن العِبادِ كلُّ نِقْمةٍ، وبرحمتِهِ عَرَّفَ عِبادَهُ نفسَهُ -بصفاتِهِ وآلائِهِ-، وبيَّنَ لَهم كلَّ ما يحتاجونَهُ مِن أُمورِ دينِهِم، ومصالحِ دُنياهُم؛ بإرسالِ الرُّسُلِ، وإنزالِ الكُتُبِ.

فإذا عُلِمَ أَنَّ ما بالعِبادِ مِن نعمةٍ -دَقَّتْ أَو جَلَّتْ- فمِن اللهِ، وأَنَّ أَحدًا مِن المخلوقِينَ لا ينفعُ أَحدًا، عُلِمَ أَنَّهُ لا يَستحقُّ العِبادةَ إِلَّا المتَفرِّدُ بالنِّعمِ، الدَّافعُ للمَكارِهِ، وتعَيَّنَ على العِبادِ أَنْ يُفرِدُوهُ بالمحبَّةِ، والخوفِ، والرَّجاءِ، والتَّعظيمِ، والتَّوكُّلِ، وغيرِ ذلكَ مِن أَنواعِ الطَّاعاتِ.

وإنَّ مِن أَظلمِ الظُّلمِ، وأَقبحِ القَبيحِ، وأَعظمِ الضَّلالِ، أَنْ يُعدَلَ عن عبادتِهِ إلى عبادةِ العبيدِ، وأَنْ يُشرِكَ المخلوقِينَ مِن ترابٍ بالرَّبِّ العظِيم، وأَنْ يُسوَّى المخلوقُ العاجِزُ(٥) النَّاقِصُ -مِن كلِّ وجْهٍ- بالرَّبِّ الخالِقِ الْمُدَبِّرِ القَويِّ؛ الذي قَهرَ كلَّ شَيءٍ، وخَضعتْ لَهُ الرِّقابُ.

ففي هذهِ الآيةِ إِثباتُ وحدانيَّةِ البارِئِ وإِلهيَّتِهِ، وتقريرُها بِنَفْيِها عن غيرِهِ مِن المخلوقِينَ،

---

(١) البقرة: ١٦٣

(٢) السَّمِيُّ: الْمِثْل، والشَّبِيه، والنَّظِير، مِن الْمُسَامي، والْمُضَاهي. ينظر: جامع البيان، (٢٢٦/١٨)، والمفْردات في غريب القرآن، للرَّاغب، مادَّة: (سما)، والتَّسهيل لعلوم التَّنزيل، (٤٨٣/١).

(٣) الكُفْؤ: الْمِثْلُ في المنْزلة والقَدْر. ينظر: مقاييس اللُّغة، والمفْردات، مادَّة: (كفء)، وبصائر ذوي التَّمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفَيْرُوْز آبادِي، (٣٦٨/٤).

(٤) الْمُماثَلةُ: هي مساواة الشَّيءِ لغيره مِن كلِّ وجهٍ، ولِهذا لَمَّا أَراد الله نفي التَّشبيه مِن كلِّ وجهٍ قال ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]. ينظر: بصائر ذوي التَّمييز، (٤٨١/٤).

قال ابن عُثَيْمِين رحمه الله: "السَّمِيُّ والكُفْؤُ والنِّدُّ معناها متقارب جدًّا؛ لأَنَّ معنى الكفءِ: الذي يُكافئه، ولا يُكافئ الشَّيءُ الشَّيءَ إِلَّا إذا كان مثلَه". شرح العقيدة الواسطيَّة، للعُثَيْمِين، (ص:١٢٩).

(٥) "القاصر"، زيادة في: (س).

والاستدلالُ على ذلكَ بِتَفَرُّدِهِ بالرَّحمةِ، التي مِن آثارِها جميعُ البرِّ والإحسانِ في الدُّنيا والآخرةِ[١].

ثُمَّ ذَكَرَ الأَدِلَّةَ التَّفصيليَّةَ بقولِهِ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٢][١٣].

أَخبرَ -تعالى- أَنَّ في هذهِ المخلوقاتِ العظيمةِ آياتٍ؛ أَيْ: أَدلَّةً؛ على وحدانيَّةِ البارئِ وإلهيَّتِهِ، وعظيمِ سلطانِهِ ورحمتِهِ، وسائرِ صفاتِهِ، وآيةً على البعثِ، والجزاءِ.

﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾؛ أَيْ: لهم عُقولٌ يُعمِلونَها فيما خُلِقَتْ لَهُ؛ فعلَى حسَبِ ما منَّ اللهُ على عبدِهِ مِن العقْلِ، وصَرَّفَهُ في التَّفكُّرِ في الآياتِ يَنتفِعُ بِها، ويَعرِفُها، ويَعقِلُها بعَقلِهِ، وفِكْرِهِ، وتَدبُّرِهِ.

ففي خَلقِ السَّمواتِ -في ارتفاعِها واتِّساعِها، وإحكامِها وإتقانِها، وما جعلَ اللهُ فيها مِن الشَّمسِ والقمرِ والنُّجومِ، وجريانِها بانتظامٍ عجيبٍ لمصالحِ العبادِ، وفي خَلقِ الأَرضِ؛ وجعْلِها مِهادًا للخَلْقِ يُمكنُهم القَرارُ عليها، والانتفاعُ بِما عليها والاعتبارُ- ما يدلُّ ذلكَ على انفرادِ اللهِ بالخَلْقِ والتَّدْبيرِ، وبيانِ قدرتِهِ العظيمةِ التي بِها خَلَقَها، وحِكمَتِهِ التي بِها أَتقنَها وأَحسنَها ونظَمها، وعِلمِهِ ورحمتِهِ التي بِها أَودَعَ ما أَودَعَ فيها؛ مِن منافعِ الخَلقِ، ومصالحِهم وضروراتِهم وحاجاتِهم، وفي ذلكَ أَبلغُ دليلٍ وبُرهانٍ على كمالِهِ مِن كلِّ وجهٍ، وأَنْ يُفرَدَ بالعِبادةِ؛ لانفرادِهِ بالخَلْقِ والتَّدْبيرِ، والقيامِ بشُؤونِ عبادِهِ.

وفي: ﴿ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾؛ وهو: تعاقبُهُما على الدَّوامِ؛ إذا ذهَبَ أَحدُهُما خَلَفَهُ الآخرُ، وفي اختلافِهِما في الحرِّ والبَرْدِ والتَّوسُّطِ، وفي الطُّولِ والقِصَرِ والتَّوَسُّطِ، وما يَنشأُ عن ذلكَ مِن الفُصُولِ التي بِها انتظامُ مصالحِ الآدمِيِّيْنَ، وحيواناتِهم، وأَشجارِهِم، وزُروعِهم، والنَّوابتِ كلِّها، كلُّ ذلكَ بتدْبيْرٍ وتسخِيْرٍ تَحيَّرُ في حُسنهِ العُقولُ، ويَعْجزُ عن إدْراكِ كُنْهِهِ[٣] الرِّجالُ الفُحولُ، وذلكَ يَدلُّ على قُدْرَةِ مُصَرِّفِها، وسَعةِ عِلْمِهِ، وشُمولِ حِكْمَتِهِ، وعُمومِ رحمتِهِ، ولُطْفِهِ الشَّامِلِ، وعَظَمَتِهِ وكِبريائِهِ،

(١) للتَّفصِيل في آثار رحمة الله الخاصَّة والعامَّة، في الدُّنيا والآخرة، ينظر: مختصر الصَّواعق، (ص:٣٦٨-٣٧١).

(٢) البقرة: ١٦٤

(٣) الكُنْهُ: جوهرُ الشَّيءِ، ونهايَتُه، وحقيقتُه. ينظر: تهذيب اللُّغة، والمِصباح الْمُنِيْر، للفيُّومي، مادَّة: (كنه).
ويقصِد به السَّلف في كتب العقيدة: الحقيقة والكيفيَّة. ينظر: دَرْء تَعارض العقل والنَّقل، (٢/١٦٠)، والصَّواعق الْمُرْسَلة، (١/٢١٠)، وفتح ربِّ البريَّة بتلخيص الحمويَّة، (ص:١٠٦).

وسُلطانِهِ العَظيمِ، يَضطَرُّ العبادَ إلى معرفةِ ربِّهم، وإخلاصِ العبادةِ لَهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ.

وفي: ﴿ٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ﴾؛ وهي: السُّفنُ والْمَراكِبُ، ونحوُها؛ مِمَّا أَلْهَمَ اللهُ عبادَهُ صَنْعَتَها، وأَقدرَهُم عليها؛ بتيسيرِ أَسبابِها، ثُمَّ سخَّرَ لها هذا البحرَ العَظيمَ، والرِّياحَ التي تَحْمِلُها بِما فيها مِن الرُّكَّابِ، والأَموالِ، والبَضائعِ التي هي مِن منافعِ النَّاسِ، وبِها تَنْتَظِمُ معائشهم[1].

فمَن الذي أَلْهَمَهُم صَنْعَتَها، وأَقدَرهُم عليها، وخَلقَ لهم مِن الآلاتِ المتنوِّعةِ ما بهِ يُعمِلُونَهَا؟.

أَمْ مَن الذي سخَّرَ لَها هذا البحرَ تَجرِي فيهِ -بإذنِهِ وتسخِيرِهِ- الرِّياحُ؟.

أَمْ مَن الذي خَلَقَ للمَراكِبِ البَرِّيَّةِ والبَحريَّةِ والهوائيَّةِ النَّارَ، والمعادِنَ المتنوِّعةَ؛ الْمُعِيْنَةَ على حَمْلِها، وحَمْلِ ما فيها مِن الأَموالِ الثَّقِيلةِ جدًّا؟.

فهلْ هذهِ الأُمورُ حصَلتْ صُدفةً، واتِّفاقًا؟.

أَمِ استقلَّ بِعَمَلِها وخَلْقِ أَسبابِها هذا المخلُوقُ الضَّعيفُ العاجزُ؛ الذي خرَجَ مِن بطنِ أُمِّهِ لا يَعْلمُ شيئًا، وليس لَهُ قدرةٌ على شَيءٍ، ثُمَّ أَعطاهُ خالِقُهُ القُدرَةَ، وعلَّمَهُ ما لم يكنْ يَعْلَمُ؟.

أَمْ تقولُ: -والحقَّ تقولُ-: بل المسخِّرُ لذلِكَ الرَّبُّ الواحِدُ، العَظِيمُ العَلِيمُ، الحَكِيمُ القَدِيرُ؛ الذي لا يُعجِزُهُ شَيءٌ، ولا يَمْتَنِعُ عليهِ شَيءٌ، بلِ الأَشياءُ كلُّها قد دانتْ لرُبوبيَّتِهِ، واستَكانَتْ[2] لعظمتِهِ، وخَضَعَتْ لِجبروتِهِ.

وغايةُ العبدِ الضَّعيفِ أَنْ جعلَهُ اللهُ جُزءًا مِن أَجزاءِ الأَسبابِ التي بِها وُجِدتْ هذهِ الأُمورُ العِظامُ، فهذا يَدلُّ على رحمةِ اللهِ، وعِنايَتِهِ بعبادِهِ، ويَدعو العبَادَ إلى أَنْ يَعبُدوهُ وحدَهُ لا شرِيكَ لَهُ، ويُنِيبُوا إِليهِ في كلِّ حالٍ.

﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ﴾: وهو المطرُ النَّازِلُ مِن السَّحابِ.

﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: فأَظْهرتْ أَنواعَ الأَقواتِ، وأَصنافَ الأَشجارِ والنَّباتاتِ[١٤]؛ التي لا يُمْكنُ للعِبادِ أَنْ يَعيشُوا بدونِها، أَليس ذلكَ بُرهَانًا على قُدْرَةِ مَن أَنْزلَهُ، وأَخْرجَ بهِ ما أَخرجَ، وعلى

---

(١) ينظر: معالم التَّنزيل، (١/١٩٥)، وتفسير القرآن العظيم، (١/٤٧٥).

(٢) الاستِكَانَةُ: الذُّلُّ والخُضُوع. ينظر: معاني القرآن، للزَّجَّاج، (٤/٨٨)، والمِصباح الْمُنِير، مادَّة: (سكن).

رحمتِهِ، ولُطفِهِ بعبادِهِ، وشدَّةِ افتقارِ الخَليقَةِ إليهِ في كلِّ أَحوالِهم، وهو يَحْدُوْهُم[١] إلى إخلاصِ الدِّينِ لَهُ، والإنابةِ إليهِ، والقيامِ بعبوديَّتِهِ ظاهرًا وباطنًا؟.

وكذلكَ هو دليلٌ على إحياءِ اللهِ للموتى؛ كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢].

وقد ذكَرَ اللهُ هذا البُرهانَ على البعثِ في عِدَّةِ آياتٍ، كما ذكَرَ ابتداءَ الخَلقِ بُرهانًا على إعادتِهِ[٣]، وكَما ذكَرَ كمَالَ عِلمِهِ وقُدرتِهِ، وخَلْقَهُ[٤] السَّمواتِ والأَرضَ، وأَنَّهُ جَعلَ للعِبادِ: ﴿مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾[٥] بُرهانًا بيِّنًا على البعثِ[٦].

وقَولُهُ: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾: أَيْ: نَشرَ في أَقطارِ الأَرضِ مِن الدَّوابِّ المتنوِّعةِ، وسَخَّرَها للآدَميِّيْنَ؛ ينتفِعونَ بِها مِن وُجوهٍ كثيرةٍ، ومعَ هذا فهو قائمٌ بأَرزاقِها، مُتَكفِّلٌ بأَقواتِها، فَما ﴿مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾[٧].

وفي: ﴿تَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾: آياتٌ عَظيمةٌ على وَحدانيَّةِ اللهِ، وتفرُّدِهِ بالكَمالِ الْمُطْلَقِ، فتَارةً[٨] تكونُ باردةً، وحارَّةً، وبيْنَ ذلكَ، وجَنوبًا وشَمالًا، وشَرقًا ودَبُورًا[٩]؛ أَيْ: غَرْبيَّةً، وبيْنَ ذلكَ، وتارةً تُثِيرُ السَّحابَ، وتارةً تُؤلِّفُ بيْنَهُ، وتارةً تُلَقِّحهُ وتُدِرُّهُ، وتارةً تُمزِّقُهُ وتُزيلُ ضررَهُ، وتارةً تُرسَلُ بالرَّحمةِ، وتارةً تُرسَلُ بالعذابِ.

---

(١) الحَدْوُ: السَّوْقُ. ينظر: مقاييس اللُّغة، ومُختار الصِّحاح، مادَّة: (حدا).

(٢) فصلت: ٣٩

(٣) قال ﷻ: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس:٧٩]، وقال ﷻ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء:١٠٤].

(٤) س: "خلق".

(٥) يس: ٨٠

(٦) قال ابن تَيميَّة رحمه الله: "فدلَّهم بما يشاهدونه مِن جَعْله النَّار مِن الْعَفار والْمَرْخ -وهما شجرتان خضراوان، إذا حكَّت إحدهما الأُخرى بتحريك الرِّيح لها اشتعل النَّار فيهما- على جواز إعادته الحياة في العظام والنَّخِرة والجلود المتمزِّقة". دَرْء تَعارض العقل والنَّقل، (١٩٧/٧)، وينظر: إعلام الموقِّعين، (١١٠/١).

(٧) هود: ٦

(٨) تَارَةً: مَرَّةً، قال تعالى: ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء:٦٩]، ينظر: مجاز القرآن، لأَبي عبيدة، (٣٨٥/١)، ومُختار الصِّحاح، مادَّة: (تير).

(٩) الدَّبُوْرُ: "ريح تأْتي مِن دبر الكعبة مِمَّا يذهب نحو المشرق". المحكم والمحيط الأَعظم، لابن سيده، مادَّة: (د ب ر).

فمَن الذي صرَّفها هذا التَّصريفَ، ورَتَّبَ عليها مِن المنافعِ شيئًا للعِبادِ كثيرًا إِلَّا العزيزُ الحكيمُ، الرَّحيمُ، اللَّطيفُ بعبادِهِ، المستحِقُّ للحُبِّ[1] والثَّناءِ، والشُّكرِ والحمْدِ مِن الخَليقَةِ؟[2].

وفي تسْخيرِ السَّحابِ: ﴿بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾: على خِفَّتِهِ ولَطَافتِهِ يحمِلُ الماءَ الكثيرَ، فَيَسُوقُهُ اللهُ إلى حيثُ يشاءُ، ويَجْعلُهُ حياةً للبِلادِ والعِبادِ، ويُروِي بِهِ التُّلُولَ[3]، والوِهَادَ[4]، ويُنَزِّلُهُ على الخَلقِ وقتَ حاجتِهم إليهِ، ويَصْرفُ عنهُم ضرَرَهُ؛ فيُنَزِّلُهُ رحمةً ولُطْفًا، ويَصْرِفُهُ عِنايةً وعَطْفًا.

فما أَعظمَ سُلطانَهُ، وأَغزرَ إحسانَهُ، وأَلطفَ امتنانَهُ؟!.

أَليسَ مِن أَقبحِ القَبيحِ، وأَظْلَمِ الظُّلمِ أَنْ يَتمتَّعَ العِبادُ برزقِهِ، ويَعِيشُوا بِبِرِّهِ، وهم يَستعِينونَ بذلكَ على مَسَاخِطِهِ، ومَعاصيهِ؟.

ومع ذلكَ -مِن كَمَالِ حِلمِهِ، وعفوِهِ، وصَفحِهِ- يُوالي عليهم الإحسانَ، خَيْرُهُ إليهم على الدَّوامِ نازِلٌ، وشَرُّهُم إليهِ في كلِّ وقْتٍ صَاعِدٌ[5].

والحاصِلُ: أَنَّهُ كلَّما تدبَّرَ العاقِلُ في هذهِ المخلوقاتِ، وتَغَلْغَلَ فِكْرُهُ في بدائعِ الكائناتِ، عَلِمَ أَنَّها خُلِقَتْ لِلحَقِّ وبالحقِّ، وأَنَّها صحائفُ آياتٍ، وكُتُبُ براهينَ ودِلالاتٍ على جميعِ ما أَخبرَ بهِ عن نفْسِهِ ووحدانيَّتِهِ، وما أَخبرَتْ بهِ الرُّسُلُ مِن اليومِ الآخِرِ، وأَنَّها مُدَبَّراتٌ مُسَخَّراتٌ، ليس لها

---

(١) س: "للمحبَّة".

(٢) يظهر أَنَّ المؤلِّف استفاد مِن ابن القَيِّم رحمه الله في حديثه عن الرِّياح، في التِّبيان في أَقسام القرآن، (ص:٢٧٩-٢٨٠)، ومِفتاح دار السَّعادة، (١/٢٠١-٢٠٢). وينظر: تفسير القرآن العظيم، (١/٤٧٥).

(٣) التُّلُوْلُ والتِّلالُ: جمعُ تلٍّ، وهو: المرتفع مِن التُّراب. ينظر: العين، وتاج العَرُوس، مادَّة: (ت ل ل).

(٤) الوَهْدَةُ: المطمئنُّ مِن الأَرض، والمكان المنخفض. ينظر: جَمْهَرة اللُّغة، ومقاييس اللُّغة، مادَّة: (وهد).

(٥) وَرَدَ في هذا المعنى حديث قُدْسي: (عَبْدِي خَيْرِي إِلَيْكَ نَازِلٌ وَشَرُّكَ إِلَيَّ صَاعِدٌ)، ينظر: حِلْيَة الأَولياء وطبقات الأَصْفياء، لأَبي نُعَيْم، (٤/٢٧)، ومُعْجَم ابن عَسَاكر، (٢/٩٩٤)، وقد حسَّنه ابن القَيِّم، في شِفَاء العَلِيل، (ص:٢٣٨)، وقال الأَلبانيُّ: "موضوع". سلسلة الأَحاديث الضَّعيفة والموضوعة، (٧/٢٨٦) ح (٣٢٨٧).
ومعناه صحيح؛ فالعبد ظلوم جهولٌ؛ فهو بين نعمة مِن ربِّه، وذنب منه هو، فهذا واقعه، وهذه حاله.
ولكن لا يصعد الشَّر إلى الله، وإِنَّما يصعد إليه الطَّيِّب مِن الأَعمال، ولعلَّ المراد ما يكتبه الحفظة، لا صعود الشَّرِّ؛ لما أَخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدُّعاء في صلاة اللَّيل وقيامه، (١/٥٣٤) ح (٧٧١)، عن عليٍّ رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: ((وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ)).
قال ابن تَيميَّة رحمه الله: "الله إليه المنتهى مِن جهة إلهيَّته، والشَّرُّ لا يَنتهي إليه، ولا يَصعد إليه، ولا يَصل إليه، ولا يُحبُّه، ولا يَرضاه". جامع المسائل لابن تَيميَّة، لعزير شمس، (٦/١٠١). والله أَعلم.

تَدْبِيْرٌ، ولا اسْتِعْصَاءٌ على مُدَبِّرِها ومُصَرِفِها، فتَعرِفُ أَنَّ العالَمَ العُلوِيَّ والسُّفلِيَّ كلَّهُم إليهِ مُفتقِرونَ، وإليهِ صَامِدونَ، وأَنَّهُ الغنِيُّ بالذَّاتِ عن جميعِ المخلوقاتِ، فلا إِلهَ إِلَّا هُو، ولا ربَّ سِواهُ.

ولْنَقْتصِرْ على هذا الأُنْمُوذَجِ[1] مِن الآياتِ المتعلِّقةِ بالتَّوحيدِ، معَ ما دَخلَ في ضِمنِها مِن الإِيمانِ بالجزاءِ والبعثِ، وبالرُّسُلِ والكُتُبِ، وقد قَرَنَ اللهُ ذلكَ بأَدلَّتِهِ وبَراهِيْنِهِ الموْصِلةِ إلى العِلْمِ التَّامِّ، واليقينِ الرَّاسِخِ.

وبذلكَ يُعلَمُ أَنَّ هذهِ الأُصولَ الثَّلاثةَ مُتَلازِمةٌ: التَّوحيدَ والرِّسالةَ والْمَعادَ، كما أَنَّ في ضمنِ الآياتِ المتعلِّقَةِ بالجَزاءِ شَيئٌ[2] كثيراً مِن مُتعَلَّقَاتِ التَّوحيدِ، والرِّسالةِ[3].

فسُبحانَ مِن جَعلَ في كلامِهِ الهُدى والرَّشادَ، وإِصلاحَ العبادِ[١٥].

(١) الأُنْمُوْذَجُ: ما يدلُّ على صفة الشَّيء، وهو تعريب: "نُمُوذَه" بالفارسيَّة، والصَّواب: "النَّمُوذَج". ينظر: الْمِصباح الْمُنِيْر، والْمُعْجَم الوسيط، مادَّة: (نمذج).

(٢) خ، س: "شيء"، والصَّواب: "شيئًا"؛ لأَنَّها اسم "أَنَّ"، المؤخَّر.

(٣) لأَنَّ انكار المعاد يتضمَّن إنْكار قدرة الرَّب، وعلمه، وحكمته، وملكه، وربوبيَّته، والهيَّته، وكذلك مَن كذَّب رسله، وجحد المعاد فقد أَنكر ربوبيَّتهﷻ. ينظر: عدة الصَّابرين وذخيرة الشَّاكرين، لابن القيِّم، (ص:١٦٢).

فَصْلٌ:

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾(١).

هذهِ المَنَّةُ التي امتنَّ اللهُ بِها على عِبادِهِ المؤمنينَ أكبَرُ المنَنِ، بل هي أَصلُها؛ وهي الامتِنانُ عليهِم بِهذا الرَّسولِ الكريمِ، الذي جَمَعَ اللهُ بهِ جميعَ المحاسِنِ الموجودَةِ في الرُّسُلِ.

ومِن كمالِهِ العَظيمِ هذهِ الآثارُ التي جعلَها اللهُ نَتيجةَ رِسالتِهِ، التي بِها كمالُ المؤمنِينَ عِلمًا وعَملًا، وأَخلاقًا وآدابًا، وبِها زالَ عنهُم كلُّ شَرٍّ وضَررٍ.

فبعثَهُ اللهُ مِن أَنْفَسِهِم، وأَنْفُسِهِم(٢)، وقَبِيلَتِهِم، يعرفونَ نَسَبَهُ أَشرفَ الأَنسابِ(٣)، وصِدقَهُ، وأَمانَتَهُ، وكمَالَهُ الذي فاقَ بهِ الأَوَّلِينَ والآخِرينَ، ناصِحًا لَهم مُشْفِقًا، حَرِيصًا على هِدايَتِهِم.

﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: فيُعلِّمُهُم أَلفاظَها، ويَشرَحُ لهم معانِيَها.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾؛ أَيْ: يُطَهِّرُهُم مِن الشِّرْكِ، والمعاصي، والرَّذائلِ، وسائرِ الخِصالِ الذَّميمةِ، ويُزَكِّيهِم -أيضًا- أَيْ: يُنَمِّيْهِم، فيَحثُّهم على الأَخلاقِ الجَميلةِ؛ فإِنَّ التَّزكِيَةَ تتضمَّنُ هذينِ الأَمرينِ: التَّطهيرَ مِن المساوِئِ، والتَّنمِيةَ بالمحاسِنِ(٤).

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: وهو القُرآنُ.

﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: وهي السُّنَّةُ.

---

(١) آل عمران: ١٦٤

خ: "رسولًا منهم"، والصَّواب: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾.

(٢) يظهر أَنَّ المؤلِّف رحمه الله يشير إلى قراءة الجمهور: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبه:١٢٨]؛ أَيْ: مِن صَمِيم العرب، ومن جنسهم، وعلى لغتهم، وإلى قراءة ابن مُحَيْصِن: ﴿مِّنْ أَنْفَسِكُم﴾؛ وهي شاذة؛ مِن النَّفاسة: أَي: مِن خيارِكم وأَكرمِكم، وأَشرَفِكم، وكلا المعنيين حقٌّ لَهُ ﷺ. ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذِّ القراءات، لابن جِنِّي، (٣٠٦/١)، والكامل في القراءات العشر، لليَشْكُري، (ص:٥٦٥)، ومَعَالم التَّنزيل، (٤٠٨/٢)، والمحرَّر الوجيز، لابن عطيَّة، (١٠٠/٣).

(٣) أَخرج مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضل نَسَب النَّبيِّ ﷺ، وتسليم الحَجر عليه قبل النُّبوَّة، (١٧٨٢/٤) ح (٢٢٧٦)، عن وَاثِلَة بن الأَسْقَع رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: ((إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ)).

(٤) لأَنَّ معنى الزَّكاة في اللُّغة: التَّطهير والنَّماء. ينظر: المفْردات في غريب القرآن، مادَّة: (زكا)، وزاد المَسِير، (١١٣/١).

فالكِتَابُ والسُّنَّةُ بِهما أَكملَ اللهُ للرَّسولِ وأُمَّتِهِ الدِّينَ، وبهما حَصَلَ العِلْمُ بأُصُولِ الدِّينِ وفروعِهُ، وبهما حَصَلتْ جميعُ العلومِ النَّافعةِ، وما يترتَّبُ عليها مِن الخيْراتِ، وزوالِ الشُّرورِ، وبهما حَصَلَ العِلْمُ اليَقِينيُّ بجميعِ الحقائقِ النَّافعَةِ، وبهما الهِدايةُ، والصَّلاحُ للبَشَرِ.

فمُحمَّدٌ ﷺ هو الإمامُ الأَعظمُ، المعَلِّمُ لهذينِ الأَمْرينِ، اللذَينِ يَنابيعُ العلومِ كلُّها تَتفجَّرُ مِن مَعِينِهما.

فعَلَّمَ ﷺ أُمَّتهُ الكِتابَ، والحِكْمةَ، وأَوقَفَهُم على حِكَمِ الأَحكامِ وأَسرَارِهَا، فكانتْ حَياتُهُ كلُّها -أَقوالُهُ، وأَفعالُهُ، وتقريراتُهُ، وهَدْيُهُ، وأَخلاقُهُ الظَّاهِرةُ والباطنةُ، وسِيرتُهُ الكامِلةُ المتنوِّعةُ في كلِّ فنٍ مِن الفُنونِ- تَعليمًا مِنهُ للمؤْمنِينَ، وشَرحًا لِلكِتابِ والحِكْمَةِ.

فجَمَعَ لهم بيْنَ تعليمِ الأَحكامِ الأُصوليَّةِ والفُروعيَّةِ، وما بِهِ تُدْرَكُ وتُنالُ، والطُّرُقِ التي تُفْضِي إِليها عقلًا ونقلًا، وتفكيرًا وتدبُّرًا، واستخراجًا للعُلومِ الكونيَّةِ مِن مَظَانِّها وينابيعِها.

وبيَّنَ لهم فوائدَ ذلكَ كلِّهِ، وثمراتِهِ، وشَرَحَ لهم الصِّراطَ المستقيمَ؛ اعتقاداتِهِ وأَخلاقَهُ وأَعمالَهُ، وما لِسالِكِهِ عند اللهِ مِن الخيرِ العاجِلِ والآجِلِ، وما على المنحرِفِ عنهُ مِن العِقابِ، والضَّررِ العاجِلِ، والآجِلِ.

فكان خيارُ المؤمنينَ بِهذا التَّعليمِ -الصَّادرِ مِن النَّبيِّ الكريمِ مباشرةً، وتَبليغًا- مِن العُلماءِ الرَّبَّانيِّينَ الرَّاسِخِينَ في العِلْمِ، ومِن الْهُداةِ المهدِيِّيْنَ، ومِن أَكابرِ الصِّدِّيقِينَ.

وحَصَلَ لِسائرِ المؤمنِينَ مِن هذا التَّعليمِ نصيبٌ وافِرٌ مِن الخيرِ العظيمِ، على حَسَبِ طبقاتِهم ومَنازِلِهِم، و﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[1]، فخرجوا بهذا التَّعليمِ مِن جميعِ الضَّلالاتِ، وانْجَابَتْ[2] عنهم الشُّرورُ الْمُتَنَوِّعةُ، والجهالاتُ، وتمَّ لَهم النُّورُ الكامِلُ، وانقَشَعَتْ عنهمُ الظُّلُماتُ.

فَيَا لَها مِن نِعمةٍ لا يُقَادَرُ قَدْرُها، ولا يُحْصِي المؤمنونَ كُنْهَ[3] شُكْرِها.

---

(١) الحديد: ٢١، والجمعة: ٤.

(٢) انْجَابَتْ: انكشفت. ينظر: مُعْجَم ديوان الأَدب، للفَارَابي، (٤٤٧/٣)، والمخصّص، لابن سِيْدَه، مادَّة: (جوب).

س: "انْجَالَت": ومعناها: ذهبت وتَنَحَّت، وزالت وارتفعت. ينظر: لسان العرب، مادَّة: (ج و ل).

(٣) سبق بيان معناها: (ص:٦).

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ۞ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۞ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾(١) [١٦].

ذَكَرَ اللهُ -تعالى- في هذا قَدْحَ المكذِّبِينَ لِمُحمَّدٍ ﷺ، وإدلاءَهُم(٢) بِهذهِ الشُّبَهِ التي يعلَمُونَ، ويعلمُ النَّاسُ بُطلانَها؛ فزعموا أنَّهُ افترَى هذا القرآنَ على اللهِ(٣)، وأنَّهُ ساعدَهُ على ذلكَ قومٌ آخرونَ، فردَّ اللهُ عليهِم هذهِ المقالةَ المُنتَهيَةَ في القُبحِ، بأَنَّ هذا ظُلْمٌ عَظيمٌ مِنهُم(٤)، وجَراءَةٌ يَعجَبُ السَّامعُ كيف سوَّلتْ لهم أنفُسُهُم هذا القولَ الهُراءَ(٥)، وأنَّهُ مِن الزُّورِ والظُّلمِ!.

فإِنَّهُ قد كانوا يَعرِفونَ بلا شَكٍّ صِدقَهُ وأَمانَتَهُ، التي لا يَلحَقُهُ فيها أَحدٌ، وأنَّهُ لم يَجتمعْ بأَحدٍ مِن أَهلِ العِلْمِ، ولا رَحَلَ في طَلَبِهِ.

وقد نَشَأَ بيْن أُمَّةٍ أُمِّيَّةٍ في غايةِ الجهلِ والضَّلالِ، وقد جاءَهُم بِهذا الكِتابِ العَظِيمِ الذي لم يَطرُقِ العالَمَ أَعظَمُ منهُ، ولا أَعلى معانٍ، وأَغزَرُ عِلمًا، ولا أَبلَغُ مِن أَلفاظِهِ ومعانيهِ، وأَتَمُّ مِن حُكْمِهِ، وحِكَمِهِ، ومَبَانِيهِ.

وقد تَحدَّى أَقصَاهُم وأَدْنَاهُم، وأَفرادَهُم وجماعتَهُم، وأَوَّلَهُم وآخِرَهُم أَنْ يأْتِيَ بمثلِهِ(٦)، أَو بعَشْرِ سُورٍ مِن مِثْلِهِ(٧)، أَو بسُورةٍ واحدةٍ مِن مثْلِهِ(٨).

وصرَّحَ لهم أَنَّهُم إنْ أَتوا بشَيءٍ مِن مثلِهِ فهم صادِقونَ، وهُم أَهلُ الفَصَاحَةِ والبَلاغَةِ في

---

(١) الفرقان: ٤-٦

(٢) خ، س: "وإدلائهم"، والصَّواب: وإدلاءَهم؛ لأَنَّها معطوفة على: (قدح).

(٣) "على الله"، اللَّفظ غير مكتوب في: (س).

(٤) "مِنهم"، ليست في: (س).

(٥) الهُرَاءُ: الكلام الكثير الفاسد، الذي لا نظام لَهُ، ولا معنى. ينظر: العين، ومقاييس اللُّغة، مادَّة: (هرأ).

(٦) قال ﷻ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾ [الإسراء:٨٨].

(٧) قال تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [هود:١٣].

(٨) قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٣]، وقال ﷻ: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ﴾ [يونس:٣٨].

الكلامِ، فعجَزوا غايةَ العَجْزِ عن مُعارضتِهِ، والإتيانِ بمثلِهِ، واتَّضحَ لهُم ولغيرِهِم عِيُّهُم وعَجزُهُم، وتبيَّنَ بطلانُ دَعْوَاهُم.

وكلُّ مَن حاولَ أَنْ يأْتِيَ بكلامٍ يُعارِضُ بِهِ ما جاءَ بِهِ الرَّسُولُ صارَ كلامُهُ ضُحْكَةً لِلصِّبيانِ، فضلًا عن أَهلِ النَّظَرِ والعُقولِ.

وكلُّ شُبْهَةٍ يُدْلُونَ بِها في مُعارَضةِ الرَّسولِ -مِن حِينِ يُوجَّهُ لَها النَّظرُ الصَّحِيحُ- تَضْمَحِلُّ وتَزْهَقُ، ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[(١)].

ومِن جَراءَتِهِم: أَنَّهُم قالوا: إنَّ هذا القُرآنَ الذي جاءَ بِهِ محمَّدٌ: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا﴾؛ مِن كتُبِ الأَوَّلِينَ الْمَسْطُورَةِ، ﴿تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾، فيا وَيْحَهُم[(٢)]!.

مَن الذي عِندَهُم في بَطْنِ مَكَّةَ يُمْلِيْهَا؟.

وهلْ يُوجَدُ في ذلكَ الوقتِ في مَكَّةَ أَو ما حَولَهَا كُتُبٌ تُمْلَى؟.

ولو فُرِضَ وقُدِّرَ أَنَّهُ يُوجَدُ أَحَدٌ، لم يَختَصَّ محمَّدٌ وحْدَهُ بالأَخْذِ عنْهُ؟.

ولَمَّا كانتْ هذهِ مَقالةَ زُورٍ وافتراءٍ، لا يَخْفَى كَذِبُها على أَحدٍ، تَشَبَّثُوا[(٣)]، وقالوا: كان محمَّدٌ يَجْلِسُ إِلى قَيْنٍ: حدَّادٍ[(٤)] في مكَّةَ، فارِسِيٍ[(٥)]، فيَتَعلَّمُ مِنهُ؛ فلِهذا قالَ عنهُم: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾[(٦)]؛ بالِغٌ في البَيانِ والبَلاغةِ نِهايَتَها وغايَتَها.

---

(١) الإسراء: ٨١

(٢) وَيْح: كلمةُ رحمةٍ لمن تَنْزل به بَلِيَّةٌ، أو بمعنى: ويْل: كلمة عذاب. ينظر: مقاييس اللُّغة، ولسان العرب، مادَّة: (ويح).

(٣) التَّشَبُّثُ بالشَّيءِ: التَّعلُّق به. ينظر: جَمْهَرة اللُّغة، ومقاييس اللُّغة، مادَّة: (شبث).

(٤) كما في: تهذيب اللُّغة، والصِّحاح، مادَّة: (قين).

(٥) اختُلف في اسمه كثيرًا، إلَّا أنَّه مِن المتَّفقِ عليه أنَّه غيرُ عربيٍ، فقيل: يَعِيش، وعدَّاس، وجَبْر، ويَسَار أَبو فَكِيهَة، وبلْعام أَبو مَيْسَرَة، وسَلمان الفارسي، وبالجملة فإنَّ القرآن الكريم أبهمه، فلا فائدة في معرفة اسمه، ومن الممكن أَنْ المشركين أَرادوهم جميعًا، باستثناء سلمانﷺ؛ لأَنَّ الآية مكِّيَّة، وكان أَوَّل مجيئه إلى النَّبيِّﷺ بالمدينة. ينظر: لُباب التَّأْويل، (٣/٩٩)، وتفسير القرآن العظيم، (٤/٦٠٤)، وفَتْح القَدير، للشَّوكاني، (٣/٢٣٣).

(٦) النحل: ١٠٣

فلا يُمكِنُ الجمعُ بيْن النَّقِيضَين[١]:

– أَنْ يَتعلَّمَهُ مِن هذا الأَبْكَمِ[٢] أعجَمِيِّ اللِّسانِ الذي لم يُعْرَفْ عنهُ عِلمٌ يُرجَعُ إِليهِ، ولا مَعرِفةٌ يَتميَّزُ بِها.

– وهذا القرآنُ الذي جاءَ بِهِ –معَ كمالِ بلاغتِهِ– حوَى عُلومَ الأوَّلِينَ، والآخِرِينَ.

ولَمَّا كان هذا القَولُ الذي قالوهُ، والْمُكَابَرَةُ[٣] التي تجرَّؤُوا عليها قد عَلِمَ الموافِقُ والمخالِفُ كَذِبَها وافتِراءَها –وكان جميعُ أَعداءِ الرَّسولِ لهم ورَثةٌ، يَقومُونَ بالعَداوةِ للرَّسولِ والدِّينِ، ويُعطُونَها حَقَّها ولو جَلَبَتْ عليهِم ما جَلَبتْ؛ مِن الدُّخُولِ في الكَذِبِ والافتراءِ، والْمُكَابَرَةِ، وقد عَرَفَ هؤلاءِ الأَعداءُ المتأَخِّرونَ مُكَابَرَةَ إِخوانِهم الذِين باشَروا تكذيبَ الرَّسُولِ، ورَأَوا أَنَّ مَقالَتَهُم قد بَطَلَتْ واضْمحَلَّتْ، وبانَ زُورُها لِكلِّ أَحدٍ– صاغَها هؤلاءِ المكذِّبون بعبارةٍ مَوَّهُوها[٤]، وظَنُّوا أَنَّها بهذا التَّمْوِيْهِ تَرُوجُ، فزَعَمُوا –وما أَسْمَجَهُ[٥]، وأَكْذَبَهُ مِن زَعْمٍ– أَنَّ محمَّدًا كان يَتعَلَّمُ مِن نفْسِهِ؛ وأَنَّهُ كان يَخْلُو بالطَّبِيْعَةِ –السَّماءِ والأَرضِ والشَّمسِ والقمَرِ والنُّجُومِ– فيُعطِيهَا لُبَّهُ، ويُنَاجِيْهَا بِقَلْبِهِ، فَيُخَيَّلُ إِليهِ أَصنافُ التَّخَايِيْلِ، فيَأْتِي بِها إِلى النَّاسِ زاعِمًا أَنَّها مِن وَحْيِ اللهِ على يَدِ جِبريلَ، وأَنَّ هذهِ[١٧] التَّخَيُّلاتِ مِن الأُمورِ العاليةِ، التي يَعتَادُ الإِتيانَ بِها أَهلُ الرَّأْيِ والحِجَا[٦].

ولَمَّا رَأَوا آثارَها الجَلِيَّلةَ في الإِسلامِ وأَهلِهِ، وتَعاليمَهُ وتَقْوِيْمَهُ للأُمَمِ، وبَهَرَهُم هذا النَّورُ العظيمُ لَجَؤُوا إِلى هذا التَّحَذْلُقِ[٧] الذي مُنْتَهاهُ وغايَتُهُ: أَنَّهُم صَوَّرُوا النَّبِيَّ ﷺ، ورَقَّوهُ إِلى رَجلٍ مِن

(١) النَّقِيضَان: "كل قَضِيَّتَيْنِ يَسْتَلْزِمُ صدق إحداهما لذاته كذب الأُخرى وبالعكس". بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، للأَصْبَهاني، (١٠١/١)، وينظر: مُعْجَم الفُروق اللُّغويَّة، للْعَسْكَرِي، (ص:٣٢٦).

(٢) الأَبْكَمُ: الأَخْرَس لا يَتكلم. ينظر: العين، ومقاييس اللُّغة، مادَّة: (خرس).

(٣) الْمُكَابَرَةُ: "إذا علم بفساد كلامه، وصِحَّة كلام خصمه فنازعه". الكُلِّيَّات، للكَفَوِي، (ص:٨٤٩).

(٤) التَمْويْهُ: التَّلبيسُ، والزَّخرفة، وتغطية الصَّواب، وتحسين القبيح. ينظر: الصِّحاح، مادَّة: (موه)، ومُعْجَم الفُروق اللُّغويَّة، (ص:١٤٤)، والتَّوقيف على مُهمَّات التَّعاريف، (ص:١٠٩).

(٥) السَّمَاجَةُ: القُبح، ومالا مَلاحة فيه. ينظر: تهذيب اللُّغة، ومقاييس اللُّغة، مادَّة: (سمج).

(٦) كما في كتاب القَصِيْمِي: "هذي هي الأغلال"، (ص:٥٦، ١٥٧)، وقد استوفى ابن تَيميَّة الرَّدَّ على أَسلاف القَصِيْمِي مِن الفلاسفة وغيرهم، في عدد مِن مؤلَّفاته، خصوصًا "النُّبوَّات"، (٦٩٤/٢-١١٠٣)، وينظر: الأَلفاظ والمصطلحات المتعلِّقة بتوحيد الرُّبوبيَّة، (ص:٣٩٥-٣٩٧).

(٧) التَّحذلُقُ: التَّزَيُّن بإظهار الحِذْق؛ فيَدَّعِي أَكثر مِمَّا عنده. ينظر: مُعْجَم ديوان الأَدب، ومُختار الصِّحاح، مادَّة: (حذق).

الطَّبِيعِيِّيْنَ[١]، كما قالَ هذا القولَ الباطلَ أحدُ ملاحِدَةِ الإفْرَنْسِيِّيْنَ[٢]، وتَلقَّاها عنهُ بعضُ الملاحِدَةِ العَصْرِيِّيْنَ[٣]، وهو مَبْنِيٌّ على إنكارِ وجودِ ربِّ العالَمِينَ، وأَنَّهُ ما ثَمَّ إِلَّا عَملُ الطَّبِيعَةِ.

وقدْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّ هذا القَولَ الْمُزَوَّرَ أعظمُ مُكَابَرَةً ومُبَاهَتَةً[٤] مِن قَولِ الأَوَّلِينَ، وأَنَّ هذا الافتراءَ الذي وَلَّدُوهُ[٥] بعدَ مئاتِ السِّنِينَ أَوضحُ ضلالًا وظُلْمًا، وجَرَاءَةً ووقَاحَةً مِن زُورِ الأَوَّلِينَ[٦].

وأَنَّ هؤلاءِ الأَرَاذِلِ الذِين أُعجِبُوا بآرائِهم، وتاهُوا بِعُقُولِهم، قد بيَّنَ اللهُ كَذِبَهُم فيما قالوهُ، وأَنَّ عُقُولًا ولَّدَتْ هذهِ الأَقوالَ الْمؤتَفكَةَ، والخَيالاتِ الفاسدةِ، والمقالاتِ الفاسدةِ، لَعقولٌ سَافِلَةٌ، وآراءٌ ساقِطةٌ، يُعرَفُ فسادُها بِنتائِجِها، ومُكابَرَتِها، وإنكارِها أَجْلَى الحقائِقِ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٧].

فالرَّبُ القادِرُ العَظِيمُ، الذي أَحاطَ عِلمُهُ بجميعِ الأَسْرارِ، وعَلِمَ أَحوالَ العِبادِ؛ حاضِرَها ومُستقبَلَها، فأَنْزلَهُ لِهدايَتِهم، وجعَلَهُ مَنارًا وعَلَمًا يَهتَدِي بِهِ المهتَدونَ في كلِّ وقتٍ وحِينٍ.

فجميعُ الحقائقِ التي دعا إليها هذا الرَّسولُ، وهذا القرآنُ حقائقُ ثابِتةٌ، نافِعةٌ للعِبادِ، لا يَأْتي مِن الحقائقِ ما يُغيِّرُها، ومُحالٌ أَنْ يأْتيَ شيءٌ أَصلَحُ مِنها، أَو مِثلُها، أَو ما[٨] يُقارِبُها: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[٩].

---

(١) هم الذين يرون أَنَّ الطَّبيعة: قوَّة تفعل فعلًا عقليًا، تدبِّر فيه كلَّ ما تحت فلك القمر إلى الأَرض، وأَنَّها الخالقة لكلِّ شيء. ينظر: الأَلفاظ والمصطلحات المتعلِّقة بتوحيد الرُّبوبيَّة، (ص:٣٩٤-٣٩٥).

(٢) ربَّما أنَّه: غوستاف لوبون، طبيب، ومؤرِّخ فرنسي، ومن أَشهر فلاسفة الغرب المادِّيِّيْن، وقد عُني بالحضارة الشَّرقيَّة، وامتدح الأُمَّة العربيَّة، والحضارة الإسلاميَّة، ويرى أَنَّ لها فضلًا على العالم الغربي، ومن كتبه: "حضارة العرب"، وقد تحدَّث فيه عن نبيِّناﷺ، توفي عام: (١٩٣١). :ar. wikipedia. org/wikiKdk/v/جوستاف_لوبون.

(٣) وممَّن يقصدهم المؤلِّف: عبدالله بن علي القَصِيْمِي، وقد سبق: (ص:٦).

(٤) الْمُبَاهَتَةُ: مِن البُهتان، وهو الباطل الذي يُتَحَيَّر مِن بُطلانه. ينظر: تهذيب اللُّغة، والمفْردات، مادَّة: (بهت).

(٥) المولَّدُ: "الْمُحْدث مِن كُلِّ شيء". لسان العرب، وينظر: تاج العَرُوس، مادَّة: (ولد).

(٦) لأَنَّ الأَوَّلين يثبتون وجود الرَّبِّ، أَمَّا هؤلاء فينكرونه، وينسبون الموجودات، والحوادث للطَّبيعة.

(٧) الفرقان: ٦

(٨) "ما"، ليست في: (س).

(٩) المائدة: ٥٠

ومِن كَمَالِ عِلْمِهِ، وقُدْرَتِهِ أَنَّهُ لو تَقَوَّلَ عليهِ أَحدٌ بمثلِ هذهِ الْمَقَالةِ لَعَاجَلَهُ بالعُقُوبَةِ(١).

فلمَّا أَيَّدَ مَن جاءَ بِها بِنَصْرِهِ وحُجَجِهِ، ورأَى العِبَادُ آياتِهِ فِي الآفاقِ، وفِي أَنفُسِهِم -التي يَتبيَّنُ بِها أَنَّهُ الحقُّ(٢)، وما سِواهُ ضَلالٌ- عُلِمَ بذلكَ أَنَّ هذا الرَّسُولَ أَصدَقُ الخَلْقِ، وأَنْصَحُهم، وأَبَرُّهُم، وأَعلَمُهُم، وأَخشَاهُم، وأَتقاهُم لِرَبِّهِ، وأَنَّ أَعداءَهُ المكذِّبِينَ لَهُ أَكذَبُ الخَلْقِ وأَغَشُّهُم، وأَعظَمُهُم جَهْلًا وضَلالًا، وغَيًّا وفَسَادًا فِي كلِّ زمانٍ، ومكانٍ.

ومِن مُكَابَرَةِ أَعداءِ الرَّسولِ [أَنَّهم](٣) جعلُوا يَتناقَضُون فِي مَقالاتِهم، ويَتفَنَّنُونَ فِي إِفْكِهِم الْمَكْشُوفِ كَذِبُهُ؛ فمِنهُم مَن قال: إِنَّهُ مجنونٌ(٤)، ومِنهم مَن قال: سَاحِرٌ(٥)، وكاهِنٌ(٦)، ومِنهم مَن قال: مَسْحورٌ(٧)، ومِنهم مَن قال: لو كانَ صادِقًا لَجاءَتِ الملائكةُ تُؤيِّدُهُ، ولو كان صَادقًا لَأَغناهُ اللهُ عن المشيِ فِي الأَسواقِ، وجعلَ لَهُ جنَّاتٍ وأَنهارًا، وأَموالًا كثيرةً(٨).

وكلٌّ يَعْلَمُ أَنَّ هذهِ الأَقوالَ -معَ تَناقُضِها- ليسَتْ مِن الشُّبَهِ، فَضلًا عن كونِها مِن الحُجَجِ؛ ولهذا قالَ تعالى مُعَجِّبًا: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾!(٩).

ومِثلُ هذهِ الأَقوالِ التي يَذكُرُها اللهُ عن المكذِّبِينَ للرَّسُولِ هي بنفسِها تَدلُّ على كَذِبِهم ومُكابرَتِهم، قَبلَ أَنْ يُعرفَ بُطلانُها مِن الأَدلَّةِ الأُخرى.

وإذا وَزَنْتَ هذهِ الأَقوالَ -الجارية مِن الأَوَّلِينَ- رأَيتَ نَظيرَها، وأَقْبَحَ مِنها جارِيَةً مِن الْمَلاحِدَةِ الْمُتأَخِّرِينَ، ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝٣٢ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ

(١) قال ﷻ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [الحاقة:٤٤-٤٦].

(٢) قال ﷻ: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت:٥٣].

(٣) خ: "أَنَّكم"، وس: "أَنَّهم"، وهي المناسبة للسِّياق.

(٤) قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ [الطور:٢٩].

(٥) قال ﷻ: ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص:٤].

(٦) قال ﷻ: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة:٤٢].

(٧) قال ﷻ: ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الاسراء:٤٧].

(٨) قال ﷻ: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ۝٧ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الفرقان:٧-٨].

(٩) الإسراء: ٤٨

بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[1].

فما جاءَ بهِ الرَّسولُ مِن الْهُدى؛ في جميعِ أَبوابِ العُلومِ النَّافِعةِ، والدِّينِ الْحَقِّ -الذي هو الصَّلاحُ الْمُطلَقُ- أَكبرُ الأَدلَّةِ على أَنَّهُ رَسولُ اللهِ حقًّا، وأَكبَرُ الأَدلَّةِ على إِبطالِ كلِّ ما نَاقَضَهُ مِن أَقوالِ المؤتَفِكِينَ؛ والحمدُ لِلَّهِ ربِّ العالَمِينَ[١٨].

(١) التوبة: ٣٢-٣٣

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿نٓ ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾(١).

يُقسِمُ -تعالى- بالقلَمِ، وهو: اسمُ جِنْسٍ(٢) شامِلٌ للأَقلامِ التي تُكْتَبُ بِها أَنواعُ العُلومِ، ويُسْطَرُ بِها المنثورُ والمنظومُ، وذلكَ أَنَّ القلَمَ، وما يُسْطَرُ بهِ -مِن أَنواعِ الكلامِ- مِن آياتهِ العظيمَةِ، التي تستحِقُّ أَنْ يُقْسِمَ بِها على بَراءَةِ نبيِّهِ محمَّدٍﷺ مِمَّا نسبَهُ إِليهِ أَعداؤهُ مِن الجُنونِ، فنفَى عنهُ ذلكَ؛ بِنعمةِ ربِّهِ عليهِ وإِحسانِهِ، إِذ مَنَّ عليهِ بالعقلِ الكامِلِ، والرَّأْيِ السَّديدِ، والكلامِ الفَصْلِ؛ الذي هو مِن أَحسَنِ ما جرَتْ بهِ الأَقلامُ، وسَطَّرَهُ الأَنامُ، وهذا هو السَّعادةُ في الدُّنْيا.

ثُمَّ ذكَرَ سَعادَتَهُ في الآخرةِ، فقالَ: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾؛ أَيْ: لأَجرًا عَظيمًا -كما يُفيدُهُ التَّنْكِيرُ- غيرَ مَقطُوعٍ، بلْ هو دائِمٌ مُتتابِعٌ مُستمرٌّ،؛ وذلكَ لِما أَسلَفَهُﷺ مِن الْمَقامَاتِ العاليةِ في الدِّينِ، والأَخلاقِ الرَّفيعةِ؛ ولِهذا قالَ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾: فَعلاﷺ بِخُلُقِهِ العظيمِ على جميعِ الخَلْقِ، وفاقَ الأَوَّلينَ والآخِرينَ.

وكانَ خُلُقُهُ العَظيمُ -كما فَسَّرَتْهُ بهِ عائِشةُ رضي الله عنها- هذا القرآنَ الكريمَ(٣)، وذلكَ نحوُ قولِهِ تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾(٤)، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾... الآيةِ(٥)، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٦)، وما أَشْبَهَها مِن الآياتِ الدَّالاتِ على اتِّصافِهِﷺ بمكارِمِ الأَخلاقِ، والآياتِ التي فِيها الحثُّ على كلِّ خُلُقٍ جميلٍ، فكانَ أَوَّلَ الخَلْقِ امتِثالًا لَها، وسَبْقًا إِليها، وإِلى تكميلِها؛

(١) القلم: ١-٧

(٢) هو الذي لا يختصُّ بواحدٍ مِن أَفرادِ جنسهِ؛ كرجلٍ، وكتابٍ. ينظر: جامع الدُّروس العربيَّة، للغَلاييني، (١/١٠٨).

(٣) أَخرج مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة اللَّيل، ومن نام عنه أَو مرض، (١/٥١٢) ح (٧٤٦)، أَنَّ سعد بن هشام، قال لعائشة: "يا أُمَّ المؤمنين أَنْبِئِيني عن خُلُقِ رسول اللهِﷺ، قالت: أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلتُ: بلى، قَالَتْ: فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِﷺ كَانَ الْقُرْآنَ".

(٤) الأعراف: ١٩٩

(٥) تكمِلة الآية: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩].

(٦) التوبة: ١٢٨

فكانَ لَهُ مِنها أَكملُها، وأَجَلُّها وأَعلاها، وهو في كلِّ خَصْلَةٍ مِنها في الذِّروَةِ العُلْيا، فكانَ سهْلًا لَيِّنًا، قَرِيبًا مِن النَّاسِ، مُجيبًا لِدعوَةِ مَن دَعَاهُ، قاضِيًا لِحاجَةِ مَن استقْضَاهُ، جابرًا لِقلبِ مَن سأَلَهُ، لا يَحرِمُهُ، ولا يَرُدُّهُ خائِبًا.

وإذا أَرادَ أَصحابُهُ أَمْرًا وافقَهُم عليهِ، وتابَعَهُم فيهِ -إذا لم يكنْ في ذلكَ محذورٌ- وإنْ عَزَمَ على أَمرٍ لم يستبِدَّ بهِ دونَهم، بلْ يُشاوِرُهم[١] ويُوَامِرُهم[٢]، وكانَ يَقبلُ مِن مُحْسِنِهم، ويَعفُو عن مُسِيئِهم.

ولم يكنْ يُعاشِرُ جَلِيسًا إِلَّا أَتَمَّ عِشرةً، وأَحسَنَها، فكانَ لا يَعْبِسُ[٣] في وجهِهِ، ولا يُغْلِظُ لَهُ في كلامِهِ، ولا يَطْوِي عنهُ بُشْرَهُ[٤]، ولا يُمْسِكُ عليهِ فَلَتاتِ لِسانِهِ، ولا يُؤاخِذُهُ بما يَصدُرُ مِنهُ مِن جَفْوَةٍ، بلْ يُحْسِنُ إِليهِ غايةَ الإِحسانِ، ويَحْتَمِلُهُ غايَةَ الاحتِمالِ ﷺ[٥].

فلمَّا أَنزلَهُ اللهُ بأَعلى المنازِلِ، وكانَ أَعداؤُهُ يقولونَ: إِنَّهُ مجنونٌ، مَفتُونٌ، قال: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾.

وقد تَبيَّنَ أَنَّهُ كانَ أَهدَى النَّاسِ، وأَكمَلَهُم، وأَنفعَهُم لِنفسِهِ ولِغيرِهِ، وأَنَّ أَعداءَهُ أَضَلُّ النَّاسِ للنَّاسِ، وأَنَّهُم همُ الذين فَتَنُوا عِبَادَ اللهِ، وأَضلُّوهُم عن سبيلِهِ، وكفى بعِلْمِ اللهِ بذلكَ؛ فإِنَّهُ الْمُحاسِبُ الْمُجازِي، و﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ وفيهِ تَهديدٌ للضَّالِّينَ[١٩]، ووعْدٌ للمُهتَدِينَ، وبَيانٌ لِحِكمَةِ اللهِ في هِدايَتِهِ مَن يَصلُحُ للهِدايَةِ دُونَ غيرِهِ.

---

(١) قال ﷻ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩]، يشاورهم فيما ليس فيه وحيٌ؛ كأَمر الحرب ونحوه؛ تألُّفًا لهم على الدِّين؛ وتطييبًا لقلوبهم؛ واستفادة مِن أرائهم؛ ولتقتدي به الأُمَّة في أُمورها. ينظر: جامع البيان، (٣٤٥/٧)، ومَعَالم التَّنزيل، (٥٢٦/١).

(٢) س: "ويؤامرهم"، والمعنى: يشاورهم. ينظر: لسان العرب، مادَّة: (أمر).

(٣) يُقال: عَبَس الرَّجل: إذا قَطَّب ما بين عينيه؛ لإبداء الاستياء، والكراهة، وضيق الصَّدر، ينظر: جَمْهَرة اللُّغة، والمفْردات، مادَّة: (عبس).

(٤) الْبِشَارَةُ: بكسر الباء وضمِّها: البُشْرَى، والسُّرور. ينظر: مُختار الصِّحاح، والمفْردات، مادَّة: (بشر).

(٥) أخرج البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب التَّبسُّم والضَّحك، (٢٤/٨) ح (٦٠٨٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزَّكاة، باب إعطاء مَن سأَل بفحش وغلظة، (٧٣٠/٢) ح (١٠٥٧)، واللَّفظ له، عن أَنس بن مالك ﷺ، قال: "كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَعَلَيْهِ رِدَاءٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً، نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عُنُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ، مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ".

فَصْلٌ:

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾(١)، إلى آخرِ السُّورةِ الكريمةِ(٢).

مِن أَهمِّ أُصولِ الإيمانِ: الإيمانُ باليومِ الآخرِ، وهو الإيمانُ بكلِّ ما أخبرَ اللهُ به ورسولَهُ بعدَ الموتِ؛ مِن فتنةِ القبرِ ونَعيمِهِ وعَذابِهِ، وأَحوالِ يومِ القِيامةِ وصِفاتِهِ(٣)، وما يَكونُ فيهِ، ومِن صِفاتِ الجنَّةِ والنَّارِ، وصِفاتِ أَهلِهما.

فالإيمانُ باليومِ الآخرِ: هو الإيمانُ بذلكَ كلِّهِ جُملةً وتفصيلًا؛ أَمَّا أَحوالُ القبرِ، وفِتنتُهُ، وعذابُهُ، ونعيمُهُ، وتفاصيلُ ذلكَ فقد تَواترتْ بِهِ الأَحاديثُ الصَّحيحةُ، والحَسَنَةُ عن رسولِ اللهِ ﷺ، كمَا هو معروفٌ(٤)، والقرآنُ أَشارَ إليهِ في عِدَّةِ آياتٍ(٥)؛ وأَمَّا ما يَكونُ بعدَ ذلكَ؛ فإذا أَرادَ الْمَلِكُ القادِرُ بَعْثَ العِبادِ، وحشْرَهُم، وجَزاءَهُم: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾، -وهو: قَرْنٌ عَظيمٌ، لا يَعلَمُ

---

(١) الزمر: ٦٨

(٢) قال ﷻ: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر:٦٩-٧٥].

(٣) "وصفاته"، ليست في: (س).

(٤) نصَّ على كثرتها وتواترها، عدد مِن العلماء رحمهم الله، منهم: ابن أَبي العزِّ، في شرح الطَّحاويَّة، (ص:٣٩٥)، وابن تَيميَّة، في الجواب الصَّحيح، (٣٧٢/٦)، وابن كثير، في تفسير القرآن العظيم، (١٤٧/٧).

(٥) كقوله ﷻ: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الطور:٤٧]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه:١٢٤]، فُسِّر العذاب، والمعيشة بعذاب القبر. ينظر: تفسير ابن أَبي حاتم، (٢٤٣٩/٧)، وتفسير القرآن العظيم، (٣٢٣/٥)، وأَهوال القبور، لابن رَجَب، (ص:٤٥).

عِظَمَهُ إِلَّا الذي خَلقَهُ، كمَا وَرَدَ في حديثِ الصُّورِ المشهُورِ(١)، أَو نُفِخَ في الصُّورِ -على وجْهٍ لا يعْلَمُ كُنْهَهُ(٢) إِلَّا اللهُ- نَفخةُ الصَّعْقِ والفَزَعِ(٣)، -انزعَجَ لِهذا أَهلُ السَّمواتِ والأَرضِ وصَعِقُوا(٤) إِلَّا مَن شاءَ اللهُ مِن خَلْقِهِ.

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾: نَفخةُ البعْثِ.

﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ﴾: مِن أَجداثِهم كامِلِي الخِلْقَةِ(٥)، ينظرونَ ما يَستقبِلُهُم مِن هذهِ الحياةِ الأُخرَويَّةِ، التي يُجازَى فيها العِبَادُ بأَعمالِهم؛ حسنِها وسيِّئِها؛ أَمَّا المؤمنونَ الطَّائعون فيَقوْمون مُطمَئِنِّين، طامِعيْنَ في فضلِ ربِّهم ورحمتِهِ، مستبشِرينَ بثوابِهِ، وعَفوِهِ ومَغفرتِهِ، يُحشَرونَ إِلى مَوقِفِ القيامةِ وَفدًا(٦) مُكرَّمِينَ.

---

(١) حديث طويل أخرجه البَيْهَقِيُّ في البعث والنُّشور، (ص:٣٣٦-٣٤٤) ح (٦٠٩)، وابن كثير في تفسيره، ثمَّ قال: "هذا حديث مشهور، وهو غريب جدًّا، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرِّقة، وفي بعض ألفاظه نكارة. تفرد به إسماعيل بن رافع، قاصُّ أهل المدينة، وقد اختلف فيه، فمنهم من وثَّقه، ومنهم من ضعَّفه، ونصَّ على نكارة حديثه غير واحد من الأئمَّة، كأحمد بن حنبل، وأَبي حاتم الرَّازي، وعمرو بن عليٍّ الفلَّاس، ومنهم من قال فيه: هو متروك، وقال ابن عديٍّ: أَحاديثه كلُّها فيها نظر إلا أَنه يكتب حديثه في جملة الضُّعفاء. قلت: وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة، قد أَفردتها في جزء على حِدة، وأَمَّا سياقه، فغريب جدًّا، ويقال: إنه جمعه من أَحاديث كثيرة، وجعله سياقًا واحدًا، فأُنكر عليه بسبب ذلك، وسمعت شيخنا الحافظ أَبا الحجَّاج الْمِزِّي يقول: إنَّه رأَى للوليد بن مسلم مصنَّفًا قد جمع فيه كلَّ الشَّواهد لبعض مفردات هذا الحديث، فالله أَعلم". تفسير القرآن العظيم، (٣/٢٨٧-٢٨٨).

(٢) سبق بيان معناها: (ص:٦).

(٣) القرآن الكريم أَخبر بثلاث نفخات: نفخة الفزَع، في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [النمل:٨٧]، ونفخة الصَّعق، ونفخة البعث، في قولهﷻ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر:٦٨]، ويرى بعض العلماء أَنَّهما نفختان: نفخة الصَّعق، وبدايتها الفزع؛ فيفزعون فزعًا يموتون منه، ونفخة البعث، والله أَعلم. ينظر: جامع البيان، (١٨/١٢٢) ومَعَالم التَّنزيل، (٣/٥١٨)، وتفسير القرآن العظيم، (٨/٢١١)، وشرح العقيدة السَّفارينيَّة، للعُثَيْمِين، (١/٤٦٨).

(٤) يقال: "صَعِق الرَّجل وصُعِق: إذا غُشِيَ عليه مِن هَدَّة أَو صوت شديد يسمعه". بصائر ذوي التَّمييز، (٣/٤١٥)، والمعنى هنا: ماتوا. ينظر: معاني القرآن، للزَّجَّاج، (٤/٣٦٢).

(٥) قالﷻ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٤].

(٦) الوَفْدُ: الرُّكبانُ. ينظر: معاني القرآن، للفرَّاء، (٢/١٧٢)، وتهذيب اللُّغة، مادَّة: (وفد).

وأَمَّا الْمُجْرِمونَ فيَقومونَ فزِعِينَ خائِفِينَ مُتَحسِّرِينَ، يَدعونَ بالوَيلِ والثُّبُورِ(١)، يقولونَ: ﴿يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾(٢)، فيُساقونَ إلى جهنَّم وِردًا(٣).

فحينئذٍ تَكْثُرُ القَلاقِلُ والأَهوالُ، ويَشِيبُ الوِلدَانُ مِن هَولِ ذلكَ اليومِ، وفَظاعَتِهِ: ﴿يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾(٤)، ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ٣٦ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ٣٧ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ٣٨ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ٣٩ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ٤٠ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ٤١ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ﴾(٥)، ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ٢٥ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرٗا﴾(٦)[٢٠].

وتُكَوَّرُ الشَّمسُ والقمرُ، وتَنْتَثِرُ النُّجومُ، فتَذهَبُ هذهِ الأَنوارُ الْمُشاهَدَةُ، وتُشْرِقُ الأَرضُ بنورِ ربِّها، ويَنْزِلُ اللهُ لِفصْلِ القضاءِ بيْن عِبادِهِ، ومُحاسبَتِهِم على أَعمالِهِم.

أَمَّا المؤمنونَ: فيُحاسِبُهُم حِسابًا يَسِيرًا؛ يُقَرِّرُهم بِذُنوبِهِم، ثُمَّ يَغفِرُها، ويَستُرُها عن الخَلائِقِ، ويُضاعِفُ لهم الحسناتِ، ويُعطيْهِم مِن فضلِهِ وإِحسانِهِ ما لا تَبْلُغُهِ أَعمالُهم، ويُعطَونَ كُتُبَهُم بِأَيْمانِهِم؛ إِكرامًا واحترامًا(٧).

كما تَبْيَضُّ وُجوهُهُم، وتَثْقُلُ مَوازِينُهم؛ ويَغْتَبِطُونَ بذلكَ، ويَستَبْشِرونَ بهِ، فيقولونَ لإِخوانِهِم ومَعارِفِهِم ومُحِبِّيهِم: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩ إِنِّي ظَنَنتُ﴾؛(٨) أَيْ: أَيْقَنتُ(٩): ﴿أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ٢٠ فَهُوَ فِي

---

(١) الثُّبُورُ: الهلاك. ينظر: تهذيب اللُّغة، والمفْردات، مادة (ثبر).

(٢) يس: ٥٢

(٣) وِردًا: عِطاشًا. ينظر: معاني القرآن، للفرَّاء، (١٧٢/٢)، وتهذيب اللُّغة، مادَّة: (ورد).

(٤) الحج: ٢

(٥) عبس: ٣٤-٤٢

(٦) الفرقان: ٢٥-٢٦

(٧) هذا معنى حديث ابن عمر رضي الله عنهما، الذي أخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب المظالم والغصب، باب قول الله تعالى: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود:١٨]، (١٢٨/٣) ح (٢٤٤١)، ومسلم في صحيحه، كتاب التَّوبة، باب قبول توبة القاتل وإنْ كثر قتله، (٢١٢٠/٤) ح (٢٧٦٨).

(٨) الحاقة: ١٩-٢٠

(٩) تسمية اليقين ظنًا ممَّا جرت به عادة العرب. ينظر: العين، مادَّة: (ظن)، وجامع البيان، (١٧/١)، ومَعالم التَّنزيل، =

عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾[(١)]. . . الآياتِ[(٢)].

ويُسَاقُونَ إلى الجنَّةِ زُمَرًا[(٣)]، كلُّ طائفةٍ مِنهُم معَ نُظَرَائِهم في الخَيرِ؛ بحسَبِ طبقاتِهم وسَبْقِهِم.

كمَا يَرِدُونَ في عَرَصَاتِ[(٤)] القِيامةِ حَوضَ نَبِيِّهِم، فيَشرَبُونَ مِنهُ شَرْبَةً هَنِيئَةً، لا يَظمَؤُون بعدَها[(٥)].

ويَمُرُّونَ على الصِّراطِ على قَدْرِ أعمالِهم؛ كلَمْحِ البَصَرِ، وكالبَرقِ الْخَاطِفِ، وكأَجَاوِيْدِ[(٦)] الْخَيلِ والإِبلِ، وكسَعْيِ الرِّجَالِ، وكمَشْيِهم، ودونَ ذلكَ[(٧)].

فإذا عَبَروا على الصِّراطِ وُقِفُوا على قَنْطَرَةٍ[(٨)] بيْن الجَنَّةِ والنَّارِ، فَيَقْتَصُّ بعضُهُم مِن بعضٍ مَظالِمَ، وتبِعَاتٍ كانتْ بَينَهُم في الدُّنيا، حتَّى إذا هُذِّبُوا ونُقُّوا أُذِنَ لَهم في دخولِ الجَنَّةِ[(٩)].

(١٤٧/٥)، وتفسير القرآن العظيم، (٢١٤/٨)، ووجوه الظَّنِّ في القرآن: (ص:٦)، من هذ الكتاب.

(١) الحاقة: ٢٠-٢١

(٢) قال ﷻ: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة:٢٢-٢٤].

(٣) الزُّمَر: الجماعات، بعضها على أثر بعض. ينظر: مجاز القرآن، (١٩١/٢)، وجمهرة اللُّغة، مادَّة: (زمر).

(٤) العَرَصَاتُ: جمع عَرْصَة، وهي في اللُّغة: المكان الواسع الذي ليس فيه بِناء، والمراد: مواقف يوم القيامة. ينظر: تهذيب اللُّغة، مادَّة: (عرص)، ومذكرة على العقيدة الواسطيَّة، لابن عُثَيْمِين، (ص:٦٤).

(٥) هذا المعنى ثابت مِن حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، عند البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب في الحوض، (١١٩/٨) ح (٦٥٧٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، (١٧٩٣/٤)، (٢٢٩٢).

(٦) أَجَاوِيْد: جمع مفردها: جَواد، وهو الأَصيل بَيِّن الجودة. ينظر: تهذيب اللُّغة، مادَّة: (ج و د)، وفَتْح البَارِي شرح صحيح البخاري، لابن حَجَر، (١٠١/١).

(٧) ثَبتَ هذا المعنى مِن حديث أَبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه، عند البخاريِّ في صحيحه، كتاب التَّوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، (١٢٩/٩) ح (٧٤٣٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب التَّوحيد، باب معرفة طريق الرُّؤية، (١٦٧/١) ح (١٨٣).

(٨) القَنْطَرَةُ: الجسر، وكلُّ شيء يُنْصَبُ على عينٍ أَو وادٍ، قِيل: هي صراط آخر، وقِيل: تتمَّة الصِّراط، وطرفه الذي يلي الجَنَّة. والله أَعلم. ينظر: مُختار الصِّحاح، مادَّة: (قنطر)، وعُمْدَة القارِي شرح صحيح البخاري، للعَيْنِي، (٢٨٥/١٢)، وإِرشاد السَّارِي لشرح صحيح البخاري، للقَسْطَلانِي، (٣١٢/٩).

(٩) هذا معنى حديث أَبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه، عند البخاريِّ في صحيحه، كتاب الرِّقاق، باب القصاص يوم القيامة، (١١١/٨) ح (٦٥٣٥).

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ﴾، بشَفَاعةِ مُحمَّدٍﷺ، فتَلَقَّاهُم خزَنَةُ الجنَّةِ، ويُسلِّمُونَ(١) عليهِم، ويُهَنُّونَهُم بالنَّجاةِ مِن العذابِ، وحصولِ الخيرِ والثَّوابِ، والخُلودِ الأَبدِيِّ؛ بسبَبِ طِيْبِهِم، ولِهذا قالوا: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ﴾؛ أَيْ: طابتْ قلوبُكُم بالعَقائدِ الصَّحِيحَةِ الصَّادقةِ، والأَخلاقِ الجميلةِ، وأَلسِنَتُكم بذكرِ اللهِ، والثَّناءِ عليهِ، وجَوارِحُكُم بِخدمَتِهِ(٢)، والقيامِ بطاعتِهِ.

﴿فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾: فإذا دَخلُوها ورَأَوا ما فِيها مِن النَّعيمِ المقِيْمِ؛ مِمَّا: ((لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ))(٣)، حمِدوا اللهَ على مِنَّتِهِ عليهِم بالسَّوابِقِ، والإِيمانِ والأَعمالِ الصَّالحةِ، وبِإنجازِ ما وَعدَهُم بهِ على أَلسِنَةِ رُسُلِه، وعلى أَنَّ اللهَ أَورثَهُم الجَنَّةَ، يَتبوَّؤونَ مِن خيراتِها حيثُ يَشاؤونَ، وأَنَّى يَشاؤونَ؛ مِمَّا تَشتَهِيهِ الأَنفُسُ، وتلذُّ الأَعينُ؛ مِن نَعيمِ القُلوبِ، والأَرواحِ، ومِن نَعيمِ الأَبدانِ، والأَجسامِ، ﴿عَلَىٰ سُرُرٖ مَّوۡضُونَةٖ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ﴾(٤)، ﴿وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٞ ﴿٢٢﴾ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِٕ ٱلۡمَكۡنُونِ﴾(٥)، خَيْراتُ الأَخلاقِ، حِسانُ الوجوهِ، قد جمعَ اللهُ لهنَّ حُسْنَ البَواطِنِ والظَّواهرِ، فهنَّ سُرورُ النَّفْسِ، وقُرَّةُ النَّواظِرِ(٦).

وتَمامُ ذلكَ: أَنَّ اللهَ يُحِلُّ عليهِم رِضوانَهُ فلا يَسخَطُ عليهِم أَبَدًا(٧)، وأَنَّهُ يُقالُ لَهم: ((إِنَّ لَكُم أَنْ تَشِبُّوا فلا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وإِنَّ لكُم أَنْ تصِحُّوا فلا تَمْرَضُوا أَبَدًا، وإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فلا تَبْأَسُوا

(١) س: "يسلمون".
(٢) سبق الكلام عن هذا اللَّفظ: (ص:٦).
(٣) أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنَّة وأَنَّها مخلوقة، (١١٨/٤) ح (٣٢٤٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنَّة وصفة نعيمها وأَهلها، باب صفة الجنَّة، (٢١٧٤/٤) ح (٢٨٢٤)، عن أَبي هريرةرضي الله عنه.
(٤) الواقعة: ١٥-١٨
(٥) الواقعة: ٢٠-٢٣
(٦) قال ﷻ: ﴿فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ﴾ [الرحمن: ٧٠].
(٧) هذا المعنى ثابت مِن حديث أَبي سعيد الخدريِّرضي الله عنه، عند البخاريِّ في صحيحه، كتاب الرِّقاق، باب صفة الجنَّة والنَّار، (١١٤/٨) ح (٦٥٤٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنَّة وصفة نعيمها وأَهلها، باب إِحلال الرِّضوان على أَهل الجنَّة فلا يسخط عليهم أَبدًا، (٢١٧٦/٤) ح (٢٨٢٩).

أَبَدًا، وإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوا فلا تَمُوتُوا أَبَدًا))(١).

فلَهُمْ كلُّ ما يَشَاؤُونَ فِيها، وتَتَعلَّقُ بِهِ أَمانِيهِم، ولَهم فَوقَ ذلكَ مِمَّا لم تبلُغْهُ أَمانِيهِم[٢١]، ولَهم نَعيمٌ أَعلَى مِن ذلكَ كلِّهِ، وهو التَّمتُّعُ بالنَّظَرِ إلى وجْهِهِ الكَرِيمِ، وسَماعِ خِطابِهِ، والابتهاجِ برضاهُ وقُرْبِهِ، والسُّرورِ بمحبَّتِهِ، وذِكرِهِ وحَمدِهِ، والثَّناءِ عليهِ وشُكرِهِ، مِمَّا يُشاهدونَ مِن كثرةِ الخَيراتِ، وسوابغِ النِّعمِ والهِباتِ، وزيادةِ النَّعيمِ وتواصلِهِ، ومِمَّا يزدادونَ مِن معرفتِهِ والأُنسِ بهِ، فتباركَ اللهُ ذُو الجلالِ والإِكرامِ.

وأَمَّا الكافرونَ الْمُجرِمونَ: فيُحاسِبُهم اللهُ على ما أَسلفُوهُ مِن الجَرائمِ، ويُقَرِّعُهُم، ويُخزِيهِم بيْنَ الخلائقِ، ويُعطونَ كُتُبَهُم مِن وراءِ ظُهورِهِم بِشَمائِلِهِم(٢)، وتَسْوَدُّ مِنهُم الوُجُوهُ، وتَخِفُّ مَوازِينُهُم، ويُساقُونَ إلى جهنَّم جِياعًا عِطَاشًا، منزَعِجِينَ مَرْعُوبِينَ زُمَرًا؛ كلُّ طائفةٍ تُحْشَرُ مع نَظيرِها مِن أَهلِ الشَّرِّ(٣).

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾؛ في وُجُوهِهِم، فَفَاجَأَهُم حَرُّها الْمُفْظِعُ(٤)، وحَلَّ بِهِم الفَزَعُ الأَكبَرُ الذي لا يُشْبِهُهُ فَزَعٌ، وتلَقَّتْهُم خَزَنَةُ الجَحِيمِ، يُوَبِّخُونَهم على ما قَدَّمُوهُ، وقالوا لهم: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٌ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ﴾؛ قدْ جاءَتْنا الرُّسُلُ، وبلَغَتْنا النُّذُرُ، فمَا كان منَّا إِليهِم إِلَّا الاستهزاءُ بِهِم، والتَّكذِيبُ، فلو كان لَنا أَسماعٌ واعِيةٌ، وعُقُولٌ نافعةٌ ما وَصلْنا إلى هذهِ الدَّارِ، بلْ خالَفْنا المنقُولَ والمعقُولَ، ﴿فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾(٥).

ما أَشدَّ شَقاءَهُم وعَناءَهُم!.

يُنَوَّعُ عليهمُ العذابُ أنواعًا؛ فتارةً يُعذَّبُونَ بالسَّعيرِ الْمُحْرِقِ لِظَواهِرِهِم وبَواطِنِهم، كلَّما

---

(١) بنحوه أَخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنَّة وصفة نعيمها وأَهلها، باب في دوام نعيم أَهل الجنَّة، (٢١٨٢/٤) ح (٢٨٣٧)، عن أَبي سعيد الخدريِّ، وأَبي هريرةَ رضي الله عنهما.

(٢) هذا هو الجمع بين قوله عز وجل: ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ [الحاقة:٢٥]، وبين قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ﴾ [الانشقاق:١٠]؛ بأَنْ "تُجعل شماله وراء ظهره فيأْخذ بها كتابه". التَّسهيل لعلوم التَّنزيل، (٤٦٥/٢).

(٣) قال جل جلاله: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات:٢٢-٢٣]، ﴿وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾: نظراءهم، وأَمثالهم، وأَتباعهم. ينظر: جامع البيان، (٢٧/٢١)، ومَعالم التَّنزيل، (٢٩/٤).

(٤) الْمُفظِعُ: "الشَّديد الشَّنيع". لسان العرب، وتاج العَرُوس، مادَّة: (فظع).

(٥) الملك: ١١

نَضِجتْ جُلودُهم بُدِّلُوا جُلودًا غيرَها، وتارةً بالزَّمهَرِيرِ: الذي قدْ بلَغَ بَرْدُهُ أَنْ يَهْرِيَ اللُّحومَ، ويَكسِرَ العِظامِ، وتارةً بالجوعِ المفْرِطِ، والعَطَشِ المفظِعِ[(١)].

وإذا استغاثُوا لِذلكَ أُغيثُوا بعذابٍ آخرَ، ولَونٍ مِن الشَّقَاءِ يُنْسِي ما سَبَقَهُ، فيُغَاثُونَ بطعامٍ ذِي غُصَّةٍ[(٢)]؛ بشَجَرَةِ الزَّقُّومِ؛ التي: ﴿تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾[(٣)]، وثَمَرُها في غايةِ المرارَةِ، والنَّتَنِ والحَرارَةِ، إذا وَصَلَتْ بُطُونَهُم غَلَتْ فِيها؛ ﴿كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ﴾[(٤)]، الذي يُوقَدُ عليهِ في النَّارِ.

﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِي ٱلْوُجُوهَ﴾[(٥)]، إذا قُرِّبَ إِلَيْها، فلا يَدَعُهُم العَطَشُ -معَ ذلكَ- أَنْ يَتَناوَلُوها، فإذا وَصَلَتْ إلى بُطُونِهِمْ قَطَّعَتْ أَمْعاءَهُم.

ولا يَزَالُونَ في عَذابٍ مُتَنوِّعٍ شَديدٍ، لا يُفَتَّرُ عنهُم العَذابُ ساعةً، ولا يَرجُونَ رَحمةً، ولا فَرَجًا، يَتمَنَّونَ المماتَ؛ لِيَسْتَرِيْحُوا، فيُنَادُونَ مَالِكًا -رئِيسَ خَزَنَةِ النَّارِ-[(٦)]: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾[(٧)]، فيقولُ لهم: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾[(٨)]، فلا تَلُومُوا إِلَّا أَنْفُسَكم؛ لِما أَسْلَفْتُمُوهُ مِن الجَرائمِ: ﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾[(٩)].

ويُنَادُونَ أَهلَ الجَنَّةِ مُسْتَغيثِيْن بِهِم: ﴿أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾[(١٠)]، فيقولُ لهم

---

(١) هذا مِن الجمع بين الآيات الواردة في عذاب الكافرين؛ بأنَّه يُجمع عليهم، أو أنَّ العذاب أنواع والمعذَّبين طبقات. ينظر: أُنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التَّنزيل، للرَّازي، (ص:٥٣٧)، وفتْح الرَّحمن بكشف ما يَلتبِس في القرآن، لزكريا الأنصاري، (١/٥٨٠).

(٢) قال تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [المزمل:١٢-١٣].

(٣) الصافات: ٦٤

(٤) الدخان: ٤٦

(٥) الكهف: ٢٩

(٦) لعلَّ هذه الوصف مأْخوذ مِن التَّصريح باسمه، ومن تخصيصه بالنِّداء في الآية، ومِمَّا جاء في الأَحاديث المصرَّحة باسمه، وأنَّه خازن النَّار، ومن رؤيا النَّبيِّ ﷺ لَهُ دون غيره مِن الخزنة، كما في حديث سَمُرةَ رضي الله عنه، عند البخاريِّ في صحيحه، كتاب التَّعبير، باب تعبير الرُّؤيا بعد صلاة الصُّبح، (٩/٤٤) ح (٧٠٤٧)، وحديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما، عند مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السَّموات، وفرض الصَّلوات، (١/١٥١) ح (١٦٥).

(٧) الزخرف: ٧٧

(٨) الآية السَّابقة.

(٩) الزخرف: ٧٨

(١٠) الأعراف: ٥٠

أَهْلُ الجَنَّةِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[١].

ويُنَادُونَ ربَّهُم فيقولونَ: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾[٢]، فَيُجِيْبُهُم اللهُ: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[٣]، فَحِينَئِذٍ يَيْأَسُونَ مِن كلِّ خيْرٍ، ومِن كلِّ فَرَجٍ ورَاحَةٍ[٢٢]، ويَتيقَّنُون أَنَّهُ الخُلودُ الدَّائِمُ، والعَذابُ الأَبَدِيُّ، والشَّقاءُ الْمُسْتَمِرُّ.

((فنَسْأَلُ اللهَ الْجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَنَعُوذُ بهِ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ))[٤].

---

(١) الآية السَّابقة.

(٢) المؤمنون: ١٠٦-١٠٧

(٣) المؤمنون: ١٠٨

(٤) بنحوه، أخرجه أحمد في مسنده، (٤١/٤٧٤) ح (٢٥٠١٩)، وابن ماجه في سننه، كتاب الدُّعاء، باب الجوامع مِن الدُّعاء، (٢/١٢٦٤) ح (٣٨٤٦)، عن عائشة رضي الله عنها.

قال الألبانيُّ: "صحيح". صحيح الجامع الصَّغير، (١/٢٧٤) ح (١٢٧٦).

فَصْلٌ:

﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾(١).

الإيمانُ بالملائكةِ أَحدُ أُصولِ الإيمانِ، ولا يَتِمُّ الإيمانُ باللهِ وكُتُبِهِ ورُسلِهِ إلَّا بالإيمانِ بالملائكةِ(٢).

وقد وصَفَهُم اللهُ بأكملِ الصِّفاتِ، وأنَّهُم في غايةِ القُوَّةِ على عِبادَةِ اللهِ، والرَّغبةِ العَظيمةِ فِيها، وأنَّهُم: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾، وأنَّهُم: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾، بل يَرونَها مِن أَعظمِ نِعَمِهِ عليهِم، وأنَّهُم: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾(٣).

ففي هذا بيانُ كمالِ محبَّتِهِم لربِّهِم، وقوَّةُ إنابتِهِم إليهِ، ونشاطُهُم التَّامُّ في طاعَتِهِ، وأنَّهُم لا يعصونَهُ طَرْفةَ عَينٍ، وهم الوسائِطُ بيْنهُ وبيْنَ رُسُلِهِ، وخُصوصًا جِبريلَ أفضلَهُم، وأَعظَمهُم وأَقواهُم، وأَرفَعهُم عندَ اللهِ منزِلَةً؛ فإنَّهُ ذو: ﴿قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾(٤)، ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾(٥)، ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾(٦).

وكَمَا أَنَّهُم الوسائطُ بيْنهُ وبيْنَ عِبادِهِ في تبليغِ الوحيِ، والشَّرائعِ إلى الأَنبياءِ(٧)، فهُمُ الوسائطُ في التَّدبيراتِ القدَريَّةِ؛ فإنَّ اللهَ وصَفَهُم بأَنَّهُم: ﴿الْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾(٨).

---

(١) الأنبياء: ١٩-٢٠

(٢) قال ﷻ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥].

(٣) التحريم: ٦

(٤) التكوير: ٢٠-٢١

(٥) التكوير: ٢٤

(٦) الشعراء: ١٩٢-١٩٤

(٧) قال ابن كثير رحمه الله -في الآية السَّابقة-: "وهو جبريل عليه السلام، قاله غير واحد مِن السَّلف: ابن عبَّاس، ومحمَّد بن كعْب، وقَتادة، وعطيَّة العوفيّ، والسُّدِّيُّ، والضَّحَّاك، والزُّهريُّ، وابن جُرَيْج، وهذا ما لا نزاع فيه، قال الزُّهريُّ: وهذه كقوله: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ﴾. . . الآية [البقرة:٩٧]". تفسير القرآن العظيم، (١٦٢/٦).

(٨) النازعات: ٥

=

فكلُّ طائفةٍ مِنهم قد وَكَّلَهُ على عملٍ هو قائمٌ بهِ بإذنِ اللهِ(١)، فمِنهم: الموكَّلونَ بالغيثِ، والنَّباتِ(٢)، والموكَّلونَ بحفظِ العِبادِ مِمَّا يَضرُّهُم(٣)، وبحفظِ أعمالِهم وكتابَتِها(٤)؛ والموكَّلونَ بقبضِ الأرواحِ(٥)، وبتصويرِ الأجنَّةِ في الأرحامِ، وكتابةِ ما يَجرِي عليها في الحالِ والمآلِ(٦)، والموكَّلونَ على الجنَّةِ(٧)، والنَّارِ(٨)، ومِنهم: حَمَلةُ العرشِ، ومَن حَولَهُ مِن الملائكةِ المقرَّبينَ(٩)، إلى غيرِ ذلكَ مِمَّا وُصِفُوا بهِ في الكتابِ والسُّنَّةِ، فيجِبُ الإيمانُ بِهم إجمالًا وتَفصِيلًا.

وكثيرٌ مِن سُورِ القرآنِ فيها ذِكرُ الملائكةِ، والخبرُ عنهُم(١٠)، فعلينا أَنْ نُؤمِنَ بذلكَ كُلِّهِ.

قال ابن عَطيَّةَ رحمه الله: "وأمَّا الْمُدبِّرَاتِ، فلا أحفظ خلافًا أنَّها الملائكة". المحرَّر الوجيز، (٥/٤٣١).

(١) قال عز وجل: ﴿لَا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦]، وأخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، (٤/١١٢-١١٣) ح (٣٢١٨)، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، قال: "قال رسول الله ﷺ لجبريل: ((أَلا تَزُورُنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا؟))، قَالَ: فَنَزَلَتْ: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ [مريم:٦٤]. . . الآية".

(٢) قال ابن كثير رحمه الله: "وميكائيل موكَّل بالقَطْر والنَّبات". تفسير القرآن العظيم، (١/٣٤٢).

(٣) قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد:١١].

(٤) قال جل جلاله: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٧-١٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار:١٠-١٢].

(٥) قال عز وجل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام:٦١]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة:١١].

(٦) أخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، (٤/١١١) ح (٣٢٠٨)، واللَّفظ لَهُ، ومسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب كيفيَّة خلق الآدميِّ في بطن أُمِّه، وكتابة رزقه، وأجله وعمله، وشقاوته وسعادته، (٤/٢٠٣٦) ح (٢٦٤٣)، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، قال حدَّثنا رسول الله ﷺ، وهو الصَّادق المصدوق، قال: ((إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ. . .)).

(٧) قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر:٧٣].

(٨) قال عز وجل: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً. . .﴾ [المدثر:٣١].

(٩) قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر:٧]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٧].

(١٠) جاء ذكرهم في أكثر مِن إحدى وعشرين سورة؛ كالبقرة، وآل عمران، والأنفال، وفاطر -وتُسمَّى: الملائكة- والمعارج، وتكرَّر ذكرهم في القرآن بلفظ: "الملائكة" أكثر مِن سبعين مرَّة، وصرَّحت الآيات بتسمية بعضهم؛ كجبريل وميكائيل، ومالك. ينظر: الإتقان، (١/١٩٤)، وعالم الملائكة الأبرار، (ص:١٦-١٨).

ولا تكادُ تجدُ أَحدًا يُنكِرُ وجودَ الملائِكةِ إِلَّا الزَّنَادِقَةَ(١)؛ المنكِرِينَ لوجودِ ربِّهم، ومَن تستَّرَ بالإِسلام مِنهم؛ فإِنَّهُ يُنكرُ الملائكةَ حقيقةً، ويُنكِرُ خبرَ اللهِ ورَسولِهِ عنهُم، ويُفسِّرُ الملائكةَ تفسِيرًا وتَحرِيفًا خَبيثًا؛ فيزعُم أَنَّ الملائكةَ هي القُوى الخَيريَّةُ، والصِّفاتُ الحَسَنةُ الموجودةُ في الإِنسانِ، وأَنَّ الشَّياطِينَ هي القُوى الشِّرِّيرَةُ فيهِ(٢).

وغَرضُهم مِن هذا التَّحريفِ دَفْعُ الشُّنْعَةِ(٣) عنهُم(٤).

وقد ازدادوا بِهذا التَّحريفِ شَرًّا إِلى شَرِّهم، وراجَ هذا التَّحرِيفُ الخبيثُ على بعضِ الذين يحسِنون الظنَّ بهؤلاءِ الزَّنادِقَةِ، وليس عندهم بَصِيرةٌ في أَديانِ الرُّسُلِ، وإِنْ أَظهروا تعظيمَهُم؛ فإِنَّ زَنادِقَةَ الفَلاسِفَةِ(٥) أَعظمُ في قلوبِهم مِن الرُّسُلِ، وكفَى بالعَبدِ ضَلالًا وغَيًّا أَنْ يَصِلَ إِلى هذهِ الحالِ، ونعوذُ باللهِ مِن مُضِلَّاتِ الفِتنِ[٢٣].

ولم تَزلْ بِهِم هذهِ الجُرْأَةُ والخضوعُ لأَقوالِ جهَلةِ الزَّنادِقَةِ حتَّى فسَّروا الملائكةَ بذلكَ التَّحريفِ، وحتَّى زعمَ بعضُهم: أَنَّ سجودَ الملائكةِ لآدمَ ليسَ حقيقةً؛ وإِنَّما ذلكَ تسخيرُ اللهِ للآدمِيِّيْنَ جميعَ

---

(١) الزِّنديْقُ: فارِسيٌّ مُعرَّب، نِسبة إِلى: زَنْ دين، أَيْ: دِين المرأَة، أَو إِلى كتاب: مَزْدَك، الذي سماه: زِنْدًا، ويطلق الزِّنديْقُ على المنافق، والْمُلحِد، والدَّهريِّ. ينظر: العين، ومفاتيح العلوم، للخَوَارِزْمي، والقاموس المحيط، للفَيْرُوزآبَادِي، مادَّة: (زندق).

(٢) بيَّن ابن تَيميَّة رحمه الله أَنَّ هذه: "أَقوال الملاحدة المتفلسفة الذين يجعلون الملائكة قوى النَّفس الصَّالحة، والشَّياطين قوى النَّفس الخبيثة، ويجعلون سجود الملائكة طاعة القوى للعقل، وامتناع الشَّياطين عصيان القوى الخبيثة للعقل؛ ونحو ذلك مِن المقالات التي يقولها أَصحاب رسائل إِخوان الصَّفا، وأَمثالهم مِن القرامطة الباطنيَّة، ومن سلك سبيلهم مِن ضلَّال المتكلِّمة والمتعبِّدة، وقد يوجد نحو هذه الأَقوال في أَقوال المفسرين التي لا إِسناد لها يعتمد عليه". مَجْمُوع الفَتاوَى، (٤/٣٤٦).

(٣) الشُّنْعَةُ: الْفَظَاعَةُ، والأَمر الشَّنِيْعُ القَبِيْحُ. ينظر: الصِّحاح، وشمس العلوم، للحِمْيَرِي، مادَّة: (شنع).

(٤) بهذا اعتذر الشَّيخ محمَّد رَشِيد رِضَا عن شيخه محمَّد عَبْده، وكذا في جوابه على الرِّسالة الموجهة لَهُ مِن السّعدي رحمه الله، والتي يستنكر فيها تلك الأَقوال البشعة في الملائكة، وبعض الآراء، والتَّأْويلات في الجواهر في تفسير القرآن الكريم، لطَنْطَاوِي جَوْهَرِي. ينظر: تفسير القرآن الحكيم، لمحمَّد رَشِيد رِضا، (١/٢٢٤-٢٢٨)، ومجلَّة المنار، (٢٩/١٤٣).

(٥) الفَلاسِفَةُ: جمع مفردها: فَيْلَسُوفٌ، وهي كلمة يُونَانِيَّة، تَعني: محبَّة الحِكمة، والمقصود هنا: الذين يُحلِّلون الأُمور والظَّواهر ويُفسِّرونها تفسيرًا عقليًا، خارجًا عمَّا جاءت به الرُّسل، ومنهم أَتباع أَرسطو، ومن معتقداتهم: القول بقِدم العالَم، وإِنكار علم الرَّب، والبعث، والملائكةُ عندهم هي العقول. ينظر: الملل والنِّحل، (٢/٥٨، ١٥٨)، وإِغاثة اللَّهفان، (٢/٢٥٧)، والْمُعْجَم الوسِيط، مادَّة: (فلسف)، والموسوعة العربيَّة العالميَّة، (١٧/٤٥٦).

ما في الأَرضِ؛ مِن القُوى، والمعادِنِ، وغيرِها[١].

فأَنكرَ ما هو معلومٌ بالضَّرُورَةِ[٢] بِخَبرِ اللهِ الصَّريحِ في كتابِهِ، وخَبَرِ رسولِهِ، وقال هذهِ المقالةَ التي فِيها -معَ تكذيبِ اللهِ ورَسولِهِ- تسويةُ كفَّارِ الآدمِيِّيْن وفَجَرَتِهم، وأَوَّلِهم وآخرِهم بآدمَ، ومضمونُ ذلكَ بل صريحُ قولِهم: إنَّ الملائكةَ سَجدتْ لجميعِ الآدميِّيْن بَرِّهم وفاجِرِهم؛ فأَينَ قولُ النَّاسِ في موقفِ القِيامةِ: ((يَا آدَمُ أَنْتَ الَّذي خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ))[٣]؟.

ولولا أَنَّ مِثلَ هذهِ التَّحريفاتِ والتَّكذيبَ للهِ ورَسولِهِ موجودٌ في كُتُبِ مَن يُشَارُ إِليهِم بالعِلْمِ لم يكنْ بنا حاجةٌ إِلى دفعِ هذا القولِ الجرِيءِ، الذي يَعلَمُ كلُّ مُسلِمٍ -لم تُغيِّرْهُ العقائدُ الباطلةُ- بُطلانَهُ[٤].

ولْنقتَصِرْ على هذا المقدارِ مِن الإِشارةِ إِلى العقائدِ المتعلِّقةِ بالتَّوحيدِ والرِّسالةِ، واليومِ الآخرِ والجزاءِ -وإِنْ كانَ القرآنُ مُعْظمُهُ في تقريرِ هذهِ الأُصولِ العَظيمةِ- لِشِدَّةِ الحاجةِ والضَّرورةِ إِليها في كلِّ وقتٍ وحالٍ[٥]، ولكنْ حصلَ -وللهِ الحمدُ- التَّنبيهُ الذي يَحْصلُ بهِ المقصودُ، ويُعِينُ على غَيرِهِ، واللهُ أَعلمُ.

(١) نَقل هذه الزَّلةَ الشَّيخُ: محمَّد رَشيد رِضا، عن شيخه: محمَّد عبْده، واعتذر له، وهو رأْي الشَّيخ: طَنْطَاوِي جَوْهَرِي رحمه الله. ينظر: تفسير القرآن الحكيم، (١/٢٣٣)، والجواهر في تفسير القرآن الكريم، (ص:٥٢-٥٣).

(٢) المعلومُ بالضَّرُورَةِ: هو ما لا يُمكن جهله أَو نفيه. ينظر: الأَلفاظ والمصطلحات المتعلِّقة بتوحيد الرُّبوبيَّة، (ص:٢٢٥).

(٣) بنحوه أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب الرِّقاق، باب صفة الجنَّة والنَّار، (٨/١١٦) ح (٦٥٦٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإِيمان، باب أَدنى أَهل الجنَّة منزلة فيها، (١/١٨٠) ح (١٩٣)، عن أَنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) ومن هؤلاء العلماء: الشَّيخ محمَّد عبْده رحمه الله، وينظر: رأْيه مُفصَّلًا في تفسير القرآن الحكيم، (١/٢٢٢-٢٣٤).

ومع إِنكار المؤلِّف رحمه الله لهذا القول، وردِّه عليه، فقد كان محترِمًا للشَّيخ محمَّد عبده رحمه الله فلم يصرِّح باسمه، ووصفه بالعِلم؛ حيث كان على اطِّلاع، وفَهم لقصده؛ وممَّا يدل على ذلك قوله: "وغرضهم مِن هذا التَّحريف دَفْع الشُّنْعَة عنهم". كما سبق ذلك: (ص:٦).

(٥) سبق نصَّ ابن القَيِّم رحمه الله على هذا: (ص:٦).

فَصْلٌ: في ذِكرِ الفَوائدِ والثَّمراتِ المُترتِّبةِ على التَّحقُّقِ بهذهِ العَقائدِ الجَليَّلةِ:

اعلمْ أَنَّ خيرَ الدُّنيا والآخرةِ مِن ثمراتِ الإيمانِ الصَّحيحِ، وبهِ يحيا العَبدُ حَياةً طيِّبةً في الدَّارينِ، وبهِ ينْجُو مِن الْمَكارهِ والشُّرورِ، وبهِ تخِفُّ الشَّدائدُ، وتُدرَكُ جميعُ المطالبِ.

ولْنُشِرْ إلى هذهِ الثَّمراتِ على وجْهِ التَّفصِيلِ؛ فإِنَّ معرفةَ فوائدِ الإيمانِ، وثمراتِهِ مِن أَكبرِ الدَّواعي إلى التَّزوُّدِ مِنهُ، فمِن ثمراتِ الإيمانِ:

أَنَّهُ سَببُ رضا اللهِ الذي هو أَكبرُ شيءٍ، فما نالَ أَحدٌ رضى اللهِ في الدُّنيا والآخرةِ إلَّا بالإيمانِ وثمراتِهِ، بلْ صرَّحَ اللهُ بهِ في كتابِهِ في مواضعَ كثيرةٍ[(١)].

وإذا رضيَ اللهُ عن العبدِ قَبِلَ اليَسيرَ مِن عملِهِ ونَمَّاهُ، وغفرَ الكثيرَ مِن زللِهِ ومحاهُ.

ومِنها: أَنَّ ثوابَ الآخرةِ ودخولَ الجَنَّةِ، والتَّنعُّمَ بنعِيمِها، والنَّجاةَ مِن النَّارِ وعِقابِها، إِنَّما يكونُ بالإيمانِ؛ فأَهلُ الإيمانِ هُم أَهلُ الثَّوابِ الْمُطلَقِ، وهمُ النَّاجُونَ مِن جميعِ الشُّرورِ.

ومنها: أَنَّ اللهَ يَدفعُ، ويُدافِعُ[(٢)] عن الذين آمنوا شُرورَ الدُّنيا والآخرةِ، فَيَدفعُ عنهُم كيْدَ شياطينِ الإِنسِ والجنِّ، ولِهذا قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾[(٣)].

ولَمَّا ذكرَ إنجاءَهُ ذا النُّونِ قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[(٤)]؛ أَيْ: مِن الشَّدائِدِ والْمَكارِهِ إذا وَقَعوا فِيها.

والإيمانُ بنفسِهِ وطبيعتِهِ يَدفعُ الإقدامَ على المعاصي، وإذا وقعتْ مِن العبدِ دفعَ عقوباتِها

---

(١) قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة:٧-٨].

(٢) هذا فيه إشارة للقِراءتين في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج:٣٨].

فقد قرأَ ابن كثير وأَبو عمرو ويعقوب رحمهم الله: ﴿يَدْفَعُ﴾، وقرأَ الباقون: ﴿يُدَٰفِعُ﴾. ينظر: السَّبعة في القراءات، لابن مجاهد، (ص:٤٣٧)، والحُجَّة للقرَّاء السَّبعة، (٥/٢٧٨).

(٣) النحل: ٩٩

(٤) الأنبياء: ٨٨

بالْمُبادرَةِ بالتَّوبةِ[١]، كما قالﷺ: ((لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ))[٢]، إلى آخرِ الحديثِ؛ فبَيَّنَ أنَّ الإيمانَ يَدفعُ وقوعَ الفواحِشِ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[٣].

ومِنها: أَنَّ اللهَ وعَدَ المؤمنينَ القائِمينَ بالإيمانِ حقيقةً بالنَّصرِ، وأَحَقَّهُ[٤] على نفسِهِ؛ فمَن قامَ بالإيمانِ ولوازِمِهِ، ومُتَمِّماتِهِ فلَهُ النَّصرُ في الدُّنيا والآخرةِ، وإنَّما يَنتَصِرُ أعداءُ المؤمنِينَ عليهِم إذا ضيَّعوا الإيمانَ، وضيَّعوا حُقوقَهُ، وواجباتِهِ المتنوِّعةَ[٥].

ومِنها: أنَّ الهدايةَ مِن اللهِ للعِلمِ والعملِ، ولمعرفةِ الحقِّ وسُلوكِهِ، هي بحسَبِ الإيمانِ والقيامِ بحُقوقِهِ، قال تعالى: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾[٦]، ومعلومٌ أنَّ اتِّباعَ رِضوانِ اللهِ -الذي هو حقيقةُ الإخلاصِ- هو رُوحُ الإيمانِ وساقُهُ الذي يقومُ عليهِ.

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾[٧]، فهذِهِ هِدايةٌ عَمليَّةٌ؛ هِدايةُ تَوفيقٍ وإعانةٍ على القيامِ بوظيفَةِ الصَّبرِ عند حُلولِ المصائبِ، إذا عَلِم أنَّها مِن عندِ اللهِ فرضيَ، وسلَّمَ وانقادَ[٨][٢٤].

ومِنها: أنَّ الإيمانَ يدعو إلى الزِّيادةِ مِن عُلُومِهِ، وأَعمالِهِ الظَّاهرَةِ والباطنَةِ؛ فالمؤمنُ بحسَبِ إيمانِهِ لا يَزالُ يطلبُ الزِّيادةَ مِن العُلومِ النَّافعةِ، ومِن الأَعمالِ النَّافعةِ ظاهرًا وباطنًا.

وبحسَبِ قوَّةِ إيمانِهِ يزيدُ إيمانُهُ ورغبتُهُ وعملُهُ؛ كمَا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾[٩]، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ

---

(١) س: "إلى التَّوبة".

(٢) أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب الحدود، باب إثم الزُّناة، (٨/١٦٤) ح (٦٨١٠)، ومسلم في مقدِّمة الصَّحيح، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، ونفيه عن المتلبِّس بالمعصية على إرادة نفي كماله، (١/٧٦) ح (٥٧).

(٣) الأعراف: ٢٠١

(٤) يعني: أَوجَبَه، قالﷻ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧]. ينظر: تفسير القرآن العظيم، (٦/٣٢١).

(٥) قالﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:٧].

(٦) المائدة: ١٦

(٧) التغابن: ١١

(٨) قال عَلْقَمَةرحمه الله في قولهﷻ: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن:١١]: "هو الرَّجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنَّها مِن عند الله فيُسلِّم لها ويَرضى". جامع البيان، (٢٣/٤٢١).

(٩) الحجرات: ١٥

زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[١]، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[٢].

ومِنها: أَنَّ المؤمنِينَ باللهِ، وبكمالِهِ وعظَمتِهِ، وكبريائِهِ ومَجْدِهِ أَعظمُ النَّاسِ يقينًا وطُمأْنينَةً وتَوكُّلًا على اللهِ، وثِقَةً بوعدِهِ الصَّادقِ، ورجاءً لِرحمتِهِ، وخَوفًا مِن عقابِهِ، وأَعظَمُهُم إجلالًا للهِ ومراقبةً، وأَعظَمُهُم إخلاصًا وصِدقًا، وهذا هو صلاحُ القُلوبِ، لا سبيلَ إِليهِ إِلَّا بالإِيمانِ.

ومِنها: أَنَّهُ لا يُمْكنُ للعبدِ أَنْ يقومَ بالإِخلاصِ لِلَّهِ، ولعبادِ اللهِ[٣] ونَصيحتِهِم على وجْهِ الكمَالِ إِلَّا بالإِيمانِ، فإِنَّ المؤمنَ تحملُهُ عُبودِيَّةُ اللهِ، وطلبُ التَّقرُّبِ إِلى اللهِ، ورجاءُ ثوابِهِ، والخشيةُ مِن عقابِهِ على القيامِ بالواجباتِ التي لِلَّهِ، والتي لِعبادِ اللهِ.

ومِنها: أَنَّ المعامَلاتِ بيْنَ الخَلقِ لا تَتِمُّ وتَقومُ إِلَّا على الصِّدقِ، والنُّصحِ، وعدمِ الغِشِّ بوجْهٍ مِن الوجُوهِ، وهلْ يقومُ بِها على الحقيقةِ إِلَّا المؤمنونَ؟.

ومِنها: أَنَّ الإِيمانَ أَكبرُ عَونٍ على تحمُّلِ الْمَشقَّاتِ، والقيامِ بأَعباءِ الطَّاعاتِ، وتركِ الفواحشِ -التي في النُّفوسِ داعٍ قويٌّ إِلى فِعلِها- فلا تَتِمُّ هذهِ الأُمورُ إِلَّا بقوَّةِ الإِيمانِ.

ومِنها: أَنَّ العبدَ لا بُدَّ أَنْ يُصابَ بشيءٍ مِن الخوفِ والجوعِ، ونقصٍ مِن الأَموالِ، والأَنفسِ، والثَّمراتِ، وهو بيْنَ أَمرينِ:

- إِمَّا أَنْ يَجْزَعَ، ويَضْعُفَ صَبرُهُ، فيفوتُهُ الخَيْرُ والثَّوابُ، ويستحقُّ على ذلكَ العِقابَ، ومُصيبتُهُ لم تُقْلِعْ ولم تَخِفَّ، بل الجزَعُ يَزيدُها.
- وإِمَّا أَنْ يصبِرَ فيحظَى بثوابِها.

والصَّبرُ لا يقومُ إِلَّا على الإِيمانِ، وأَمَّا الصَّبرُ الذي لا يَقومُ على الإِيمانِ؛ كالتَّجَلُّدِ[٤] ونحوِهِ فمَا أَقلَّ فائدتَهُ، وما أَسْرَعَ ما يَعقُبُهُ الجَزَعُ!.

---

(١) الأنفال: ٢

(٢) التوبة: ١٢٤

(٣) بيَّن المؤلِّف رحمه الله -في سياق الكلام- أنَّ مراده: "بالإخلاص للعباد"؛ نصيحتهم، والقيام بما وجب لهم مِن حقوق، وأنَّ العبوديَّة الخالصة لله هي التي تحمل المؤمن على أداء حقوق المخلوقين.

(٤) التَّجَلُّدُ: تَكَلُّف الجَلادَة، والجَلَدُ: "الشِّدَّة والقُوَّة، والصَّبْر والصَّلابة". تاج العَرُوس، وينظر: مُختار الصِّحاح، مادَّة: (جلد).

فالمؤمنونَ أَعظمُ النَّاسِ صبرًا، ويقينًا وثَباتًا في مَواطنِ(١) الشِّدَّةِ.

ومنها: أَنَّ الإِيمانَ يوجبُ للعبدِ قُوَّةَ التَّوكُّلِ على اللهِ، لعِلْمِهِ وإِيمانِهِ أَنَّ الأُمورَ كلَّها راجعةٌ إِلى اللهِ، ومُندَرِجةٌ في قضائِهِ وقدَرِهِ، وأَنَّ مَن اعتمدَ عليهِ كفاهُ، ومَن توكَّلَ على اللهِ فقد توكَّلَ على القَويِّ العزيزِ القهَّارِ، ومعَ أَنَّهُ يُوجِبُ قوَّةَ التَّوكُّلِ فإِنَّهُ يوجِبُ السَّعيَ والجِدَّ في كلِّ سببٍ نافعٍ(٢)؛ لأَنَّ الأَسبابَ النَّافعةَ نوعانِ: دِينِيَّةٌ، ودُنيَوِيَّةٌ:

فالأَسبابُ الدِّينِيَّةُ: هي إِيمانٌ، وهي مِن لوازِمِ الإِيمانِ.

والأَسبابُ الدُّنْيَوِيَّةُ قِسمانِ:

- سببٌ: مُعِينٌ على الدِّينِ، ويَحتاجُ إِليهِ الدِّينُ، فهو -أَيضًا- مِن الدِّينِ؛ كالسَّعيِ في القُوَّةِ المعنويَّةِ، والمادِّيَّةِ التي فيها قوَّةُ المؤمنِينَ(٣).
- وسببٌ: لم يوضَعْ في الأَصلِ معِينًا على الدِّينِ، ولكنَّ المؤمنَ لِقوَّةِ إِيمانِهِ ورغبتِهِ فيما عندَ اللهِ مِن الخيرِ يَسلُكُ إِلى ربِّهِ، ويَنْفُذُ إِليهِ معَ كلِّ سببٍ وطريقٍ؛ فيَستخرجُ مِن المباحاتِ بِنيَّتِهِ وصِدقِ معرفتِهِ ولُطفِ عِلمِهِ بابًا يكونُ بِهِ مُعِينًا على الخَيْرِ، مُجِمًّا(٤) للنَّفْسِ، مُساعِدًا لَها على القيامِ بحُقوقِ اللهِ، وحُقوقِ عِبادِهِ الواجبةِ والمستحبَّةِ، فيكونُ هذا المباحُ حسَنًا في حقِّهِ، عِبادَةً للهِ؛ لِمَا صَحِبهُ مِن النِّيَّةِ الصَّادِقةِ، حتَّى إِنَّ بعضَ المؤمنينَ الصَّادِقِينَ في إِيمانِهم ومعرفتِهم ربَّما نَوى في نومِهِ وراحاتِهِ ولذاتِهِ التَّقوِّيَ على الخَيرِ، وتربيةِ البدنِ لفعلِ العباداتِ، وتقويتِهِ على الخيرِ، وكذلكَ في أَدويتِهِ وعلاجاتِهِ التي يَحتاجُها؛ وربَّما نوى في اشتغالِهِ في المباحاتِ أَو بعضِها الاشتغالَ عن الشَّرِّ(٥)[٢٥]، وربَّما نَوى بذلكَ جذْبَ مِن خالَطَهُ وعاشَرَهُ بمثلِ الأُمورِ على فعلِ خيرٍ أَو انكِفافٍ عن شرٍّ، وربَّما نَوى بمعاشرتِهِ الحَسَنةِ

(١) س: "مواضع".

(٢) لخَّص المؤلِّف ما تحدَّث به ابن تَيميَّة، وابن القَيِّمِ رحمهما الله عن الأَسباب، وأَنَّ: "مِن تمام التَّوكل استعمال الأَسباب التي نصبها الله لمسبَّباتها قدرًا وشرعًا". زاد المَعَاد في هدي خير العباد، (٣/٤٢٠-٤٢٢)، وينظر: مَجْمُوع الفَتاوَى، (٨/٥٣٠).

(٣) قال عز وجل: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ [الأنفال: ٦٠].

(٤) أَيْ: مُريحًا لها. ينظر: مُختار الصِّحاح، ولسان العرب، مادَّة: (جمم).

(٥) س: "الشُّرور"؛ وهو خطأ في النَّسخ؛ حيث أُضيف لكلمة: "الشَّرِّ" حرفا: "الواو والرَّاء"، وهما تابعان للكلمة التي بعدها.

إِدخالَ السُّرورِ والانبِساطِ على قُلوبِ المؤمنِينَ، ولا رَيبَ أَنَّ ذلكَ كلَّهُ مِن الإيمانِ ولوازِمِهِ(١)؛ ولَمَّا كان الإيمانُ بهذا الوصفِ قالَ -تعالى- في عدَّةِ آياتٍ مِن كتابِهِ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾(٢).

ومنها: أَنَّ الإيمانَ يُشجِّعُ العبَدَ، ويَزيدُ الشُّجَاعَ شَجَاعَةً؛ فإِنَّهُ لاعتمادِهِ على اللهِ العزيزِ الحكيمِ، ولِقوَّةِ رجائِهِ وطمَعِهِ فيما عندهُ تَهونُ عليهِ الْمَشقَّاتُ، ويُقْدِمُ على المخاوِفِ واثقًا بربِّهِ، راجيًا لَهُ، راهِبًا مِن نزولِهِ مِن عينِهِ؛ لِخوفِهِ مِن المخلوقِينَ.

ومِن الأَسبابِ لِقوَّةِ الشَّجاعَةِ أَنَّ المؤمنَ يَعرِفُ ربَّهِ حقًّا، ويَعرِفُ الخَلْقَ حقًّا، فيعرِفُ أَنَّ اللهَ هو النَّافعُ الضَّارُّ، الْمُعطِي المانعُ(٣)، الذي لا يأْتِي بالحسناتِ إِلَّا هوَ، ولا يدفعُ السَّيئاتِ إِلَّا هوَ، وأَنَّهُ الغنِيُّ مِن جميعِ الوجوهِ، وأَنَّهُ أَرحمُ بعبادِهِ مِن الوالدةِ بولدِها، وأَلطَفُ بهِ مِن كلِّ أَحدٍ، وأَنَّ الخَلْقَ بِخلافِ ذلكَ كلِّهِ؛ ولا ريبَ أَنَّ هذا داعٍ قويٌّ عظيمٌ يَدعو إِلى قوَّةِ الشَّجاعةِ، وقَصْرِ خوفِ العبدِ، ورجائِهِ على ربِّهِ، وأَنْ يُنْتَزَعَ مِن قلبِهِ خوفُ الخَلقِ، ورجاؤهُم(٤)، وهيبَتُهم.

ومِنها: أَنَّ الإيمانَ هو السَّببُ الأَعظمُ لتعلُّقِ القَلبِ باللهِ في جميعِ مطالبِهِ الدِّينيَّةِ والدُّنْيَويَّةِ.

والإيمانُ القَويُّ يدعو إِلى هذا المطلَبِ الذي هو أَعلى الأُمورِ على الإطلاقِ، وهو غايةُ سعادةِ العبدِ، وفي مُقابَلةِ هذا يدعو إِلى التَّحرُّرِ مِن رِقِّ القلبِ للمخلوقِينَ، ومِن التَّعلُّقِ بِهِم.

ومَن تعلَّقَ بالخالِقِ دونَ المخلوقِ في كلِّ أَحوالِهِ حَصَلتْ لَهُ الحياةُ الطَّيِّبةُ، والرَّاحةُ الحاضرةُ،

---

(١) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الْمَغازِي، باب بعْث أَبِي موسى، ومعاذ إِلى اليَمن قبل حجَّة الوداع، (١٦٢/٥) ح (٤٣٤٤)، عن أَبِي بُردَةَ رضي الله عنه، -في خبر: بَعَث النَّبيِّ ﷺ جَدَّهُ أَبَا مُوسَى، وَمُعَاذًا إِلَى اليَمَنِ-"فَقَالَ مُعَاذٌ لِأَبِي مُوسَى: كَيْفَ تَقْرَأُ القُرْآنَ؟ قَالَ: قَائِمًا وَقَاعِدًا وَعَلَى رَاحِلَتِي، وَأَتَفَوَّقُهُ تَفَوُّقًا، قَالَ: أَمَّا أَنَا فَأَنَامُ وَأَقُومُ، فَأَحْتَسِبُ نَوْمَتِي كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي".

(٢) المائدة: ٢٣

(٣) هذه من الأَسماء المزدوَجة، التي لا يُؤتَى بها منفردة، وإِنَّما مع مقابَلة الاسم الآخر؛ لأَنَّ الكمال الحقيقيَّ في اجتماعهما، قال الزَّجَّاج رحمه الله "الجمعُ بَينهمَا أَدلُّ على القُدْرة، وتمامِ الحِكْمَة، وكذلك كلُّ اسمين يؤدِّيان بمجموعهما عن معنى واحد، والله -تعالى ذكره- يضرُّ وينفع، ويُعْطِي ويَمْنع، ودلالة مجموعهما أَنَّ الخير والشَّرَّ بيده، وأَنَّه مسبِّب كلَّ خير، ودافع كلَّ شرٍّ، وأَنَّ الخلق تحت لُطفه يرجون كرمه". تفسير أَسماء الله الحسنى، (ص:٦٣)، وينظر: بدائع الفوائد، (١٦٧/١)، وشِفَاء العَلِيل، (ص:٢٢٠).

(٤) س: "ورجاءَهُم"؛ فيكون ضبط النَّصِّ هو: "وأَنْ يَنْتزِعَ مِن قلبِهِ خوفَ الخَلقِ ورجاءَهُم".

والتَّوحيدُ الكاملُ، كما أَنَّ مَن عكَسَ القَضيَّةَ نقصَ إيمانُهُ وتوحيدُهُ، وانْفتحَتْ عليهِ الهُمومُ والغُمومُ والحَسراتُ.

ولا ريبَ أَنَّ هذينِ الأَمْرينِ تبعٌ لقوَّةِ الإيمانِ وضعفِهِ، وصِدْقِهِ وكذبِهِ، وتحقُّقِهِ حقِيقَةً، أَو دعواهُ والقلبُ خالٍ مِنهُ.

ومِنها: أَنَّ الإيمانَ يَدعو إلى حُسنِ الخُلقِ معَ جميعِ طبقاتِ النَّاسِ، كمَا قال النَّبِيُّ ﷺ: ((أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا، أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا))(١).

وجِماعُ حُسْنِ الخُلُقِ: أَنْ يَتحمَّلَ العبدُ الأَذى مِنهُم، ويبذُلَ إليهِم ما استطاعَ مِن المعروفِ القَوليِّ والبدنيِّ والماليِّ، وأَنْ يُخالِقَهم بِحسَبِ أَحوالِهم؛ بما يُحبُّونَ -إذا لم يكنْ في ذلكَ محذورٌ شَرعيٌّ- وأَنْ يَدفعَ السَّيِّئَةَ بالَّتي هي أَحْسَنُ، ولا يقومُ بِهذا الأَمرِ إلَّا المؤمنونَ الكُمَّلُ؛ قال تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّـٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّـٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾(٢).

وإذا ضَعُفَ الإيمانُ أَو نقَصَ أَو انحرَفَ أَثَّرَ ذلكَ في أَخلاقِ العبدِ انحرافًا بحسَبِ بُعْدِهِ عن الإيمانِ.

ومِنها: أَنَّ الإيمانَ الكامِلَ يَمنعُ مِن دُخولِ النَّارِ بالكُلِّيَّةِ، كما مَنعَ صاحبَهُ في الدُّنيا مِن عمَلِ المعاصي، ومن الإصرارِ على ما وقعَ منهُ مِنها.

والإيمانُ النَّاقِصُ يَمنعُ الخلودَ في النَّارِ إنْ دَخَلها؛ كما تواترتْ بذلكَ النُّصوصُ أَنَّهُ(٣) يُخرَجُ مِن النَّارِ مَن كان معهُ مِثقالُ حبَّةِ خردلٍ مِن إيمانٍ(٤).

---

(١) أَخرجه أَحمد في مسنده، (١٢/٣٦٤) ح (٧٤٠٢)، وأَبو داود في سننه، كتاب السُّنَّة، باب الدَّليل على زيادة الإيمان ونقصانه، (٤/٢٢٠) ح (٤٦٨٢)، والتِّرمذي في سننه، كتاب الأَدب، باب ما جاء في حقِّ المرأَة على زوجها، (٣/٤٥٨) ح (١١٦٢).

قال التِّرمذيُّ، والأَلبانيُّ ﷺ: "حسن صحيح". ينظر: سلسلة الأَحاديث الصَّحيحة، (١/٥٧٣) ح (٢٨٤).

(٢) فصلت: ٣٥

(٣) س: "بأَنَّهُ".

(٤) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تفاضل أَهل الإيمان في الأَعمال، (١/١٣) ح (٢٢)، واللَّفظ لَهُ، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إثبات الشَّفاعة وإخراج الموحِّدين مِن النَّار، (١/١٧٢) ح (١٨٤)، عن أَبي سعيد الخدريِّ ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: يقولُ اللَّه تعالى: ((أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا)).

ومِنها: أَنَّ الإيمانَ يوجِبُ لصاحبِهِ أَنْ يكونَ مُعتبَرًا عند الخَلقِ أَمينًا، ويُوجِب للعبدِ العِفَّةَ عن دماءِ النَّاسِ، وأَموالِهم، وأَعراضِهم؛ وفي الحديثِ: ((الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ))(١)، وأَيُّ شَرفٍ دُنْيَوِيٍّ أَبلغُ مِن هذا الشَّرَفِ الذي يَبلغُ بصاحبِهِ أَنْ يكونَ مِن الطَّبَقةِ العَاليةِ مِن النَّاسِ؛ لِقُوَّةِ إِيمانِهِ، وتَمامِ أَمانتِهِ، ويكونَ محلَّ الثِّقةِ عندهُم، وإِليهِ المرجعُ في أُمورِهِم، وهذا مِن ثَمراتِ الإيمانِ الجليَّلةِ الحاضرةِ؟!.

ومِنها: أَنَّ قويَّ الإيمانِ يَجِدُ في قلبِهِ مِن ذَوقِ حلاوتِهِ، ولذَّةِ طَعمِهِ، واستحلاءِ آثارِهِ، والتَّلَذُّذِ بِخدْمةِ ربِّهِ(٢)، وأَداءِ حُقوقِهِ وحُقوقِ عبادِهِ -التي هي مُوجِبُ الإيمانِ وأَثَرُهُ- ما يُزْرِي(٣) بلذَّاتِ الدُّنيا كلِّها بأَسْرِها، فإِنَّهُ مَسْرورٌ[٢٦] وقتَ قيامِهِ بواجباتِ الإيمانِ ومستحبَّاتِهِ، ومَسرورٌ بما يرجوهُ ويُؤَمِّلُهُ مِن ربِّهِ؛ مِن ثوابِهِ وجزائِهِ العاجلِ والآجلِ، ومَسرورٌ بأَنَّهُ رَبِحَ وقتَهُ، الذي هو زَهرَةُ عُمُرِهِ وأَصلُ مَكسَبِهِ، ومَحشُوٌّ قلبُهُ -أَيضًا- مِن لَذَّةِ معرفتِهِ بربِّهِ، ومعرفتِهِ بكمالِهِ وكمالِ بِرِّهِ، وسَعةِ جُودِهِ وإِحسانِهِ، ولَذَّةِ محبَّتِهِ، والإِنابةِ إِليهِ؛ النَّاشِئةِ عن معرفتِهِ بأَوصافِهِ، وعن مُشاهدةِ إِحسانِهِ ومِنَنِهِ.

فالمؤمنُ يَتقلَّبُ في لذَّاتِ الإيمانِ وحلاوتِهِ المتنوِّعةِ؛ ولِهذا كان الإيمانُ مُسلِّيًا عن المصيباتِ، مُهوِّنًا للطَّاعاتِ، ومانِعًا مِن وقوعِ المخالفاتِ، جاعلًا إِرادَةَ العبدِ وهواهُ تبعًا لِما يُحِبُّهُ اللهُ ويرضاهُ، كمَا قالﷺ(٤): ((لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لَمَّا جِئْتُ بِهِ))(٥).

---

(١) أَخرجه أَحمد في مسنده، (٤٩٩/١٤) ح (٨٩٣١)، والتِّرمذيُّ في سننه، باب ما جاء في أَنَّ المسلم مِن سلم المسلمون مِن لسانه ويده، (١٧/٥) ح (٢٦٢٧)، والنَّسائيُّ في سننه، كتاب الإيمان، باب صفة المؤمن، (١٠٤/٨) ح (٤٩٩٥)، عن أَبي هريرةﷺ.

قال التِّرمذيُّ: "هذا حديث حسن صحيح"، وصحَّحه الأَلبانيُّ في تحقيقه كتاب: الإيمان، لابن تيميَّة، (ص:٩٧).

(٢) سبق الكلام على هذا اللَّفظ: (ص:٦).

(٣) مِن الإِزْرَاء، وهو: التَّهاون بالشَّيء. ينظر: مُختار الصِّحاح، وتاج العَرُوس، مادَّة: (زرى).

(٤) س: "النَّبيُّﷺ".

(٥) أَخرجه ابن أَبي عاصم في السُّنَّة، (١٢/١) ح (١٥)، وابن بَطَّة، في الإبانة الكبرى، (٣٨٧/١) ح (٢٧٩)، والبَغَوِيُّ، في شرح السُّنَّة، (٢١٢/١) ح (١٠٤)، عن عبدالله بن عمروﷺ.

قال النَّوَوِيُّ: "حديث حسن صحيح، رويناه في كتاب: الحُجة، بإسناد صحيح". الأَربعون النَّوَوِيَّة، (ص:١١٣). وتعقَّبه ابن رَجَب، فقال: "قلت: تصحيح هذا الحديث بعيد جدًّا مِن وجوه. . . "، ثمَّ عددها، وقال: "وأَمَّا معنى الحديث، فهو أَنَّ الإِنْسان لا يكون مؤمنًا كامل الإيمان الواجب حتَّى تكون محبَّته تابعة لما جاء به الرَّسولﷺ مِن الأَوامر والنَّواهي وغيرها، فيحبُّ ما أَمر به، ويكره ما نهى عنه، وقد ورد القرآن بمثل هذا في غير موضع، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا
=

ومِنها: أَنَّ الإِيمانَ هو السَّببُ الوحيدُ للقيامِ بذِروةِ سَنامِ الدِّينِ، وهو: الجِهادُ البَدَنِيُّ، والماليُّ، والقَوليُّ؛ جهادُ الكفَّارِ بالسَّيفِ والسِّنانِ، وجهادُ الكفَّارِ والمنافقِينَ والمنحرفِينَ في أُصولِ الدِّينِ وفروعِهِ بالحِكْمةِ والحُجَّةِ والبُرهانِ.

فكلَّما قويَ إِيمانُ العبدِ عِلْمًا ومَعرفةً، وإرادةً وعَزيمةً قوِيَ جهادُهُ، وقامَ بكُلِّ ما يقدِرُ عليهِ بحسَبِ حالِهِ ومرتبتِهِ، فنالَ الدَّرجَةَ العاليةَ والمنزِلَةَ الرَّفِيعَةَ.

وإذا ضعُفَ الإِيمانُ تركَ العبدُ مقْدُورَهُ مِن الجهادِ القَوليِّ -بالعِلمِ والحُجَّةِ والنَّصِيحةِ، والأَمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المنكرِ- وضعُفَ جهادُهُ البَدنيُّ؛ لِعدمِ الحامِلِ لَهُ على ذلكَ؛ ولِهذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[1].

فصادِقُ الإِيمانِ يحملُهُ صِدقُهُ على القِيامِ بهذهِ المرتَبةِ التي هي مرتبةُ الطَّبقتَينِ العالِيتَينِ بعدَ النَّبيِّيْنَ:

- طبقةِ الصِّدِّيقِينَ المجاهِدينَ بالعِلمِ والحُجَّةِ، والتَّعليمِ والنَّصِيحَةِ.
- وطبقةِ الشُّهداءِ الذين قاتَلوا في سبيلِ اللهِ، ثُمَّ قُتِلوا، أَو ماتُوا مِن دون قَتْلٍ؛ وهذا كلُّهُ مِن ثمراتِ الإِيمانِ، ومِن تمامِهُ وكمالِهِ.

وبالجُملةِ فخيرُ الدُّنيا والآخرةِ كلُّهُ فرعٌ عن الإِيمانِ، ومُترتِّبٌ عليهِ، والهلاكُ والنَّقْصُ إِنَّما يكونُ بفقْدِ الإِيمانِ ونقصِهِ؛ واللهُ المستعانُ.

مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦]". جامع العلوم والحكم، (٣٩٣/٢-٣٩٥).

وقال الألبانيُّ رحمه الله: "سنده ضعيف". ينظر: مِشكاة المصابيح، (٥٩/١) ح (١٦٧).

(١) الحجرات: ١٥

فَصْلٌ: في ذِكرِ بعضِ الآياتِ الحاثَّةِ على القِيامِ بحُقُوقِ اللهِ وحُقُوقِ الخلقِ:

قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾[١].

والآياتُ التي في سُورةِ الإسراءِ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾، إلى قولِهِ: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾[٢].

هذهِ الآياتُ الكريمةُ فِيها الأمرُ بعبادةِ اللهِ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، والدُّخولُ تحتَ رِقِّ عُبوديَّتِهِ، التي هي غايةُ شَرفِ العبدِ، والانقيادُ لأوامرِهِ واجتنابُ نواهيهِ؛ محبَّةً لَهُ وذُلًا لَهُ، وإخلاصًا للهِ، وإنابةً لَهُ في جميعِ الحالاتِ، وفي جميعِ العباداتِ الظَّاهرةِ والباطنةِ.

وفيها: النَّهيُ عن الشِّركِ بهِ شَيئًا، سواءٌ كان شِركًا أكبرَ؛ بأنْ يَصرفَ نوعًا مِن أنواعِ العبادةِ لغيرِ اللهِ، أو شِركًا أصغرَ[٣]؛ مثلَ وسائلِ الشِّركِ؛ كالحلفِ بغيرِ اللهِ[٢٧]، والرِّياءِ، ونحوِ ذلكَ مِمَّا

(١) النساء: ٣٦

(٢) الإسراء: ٢٣.

بقيَّة الآيات، قوله ﷻ: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ ۖ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٣٩].

(٣) الشِّرْكُ الأَصْغَرُ: "كلُّ وسيلة وذريعة يُتطرَّق منها إلى الشِّرك الأكبر من الإرادات، والأقوال، والأفعال، التي لم تبلغ رتبة العبادة". القول السَّديد شرح كتاب التَّوحيد، للسّعدي، (ص: ٥٨).

يُتَذَرَّعُ بِهِ إِلى الشِّرْكِ.

بل الواجبُ المتعيِّنُ إخلاصُ العبادةِ لِمنْ لَهُ الكَمالُ الْمُطلَقُ مِن جميعِ الوُجوهِ، والتَّدبيرُ الكاملُ الشَّاملُ، الذي لا يَشْرَكُهُ، ولا يُعِينُهُ عليهِ أَحدٌ.

ثُمَّ بعدما أَمرَ بالقِيامِ بحقِّ اللهِ -المقدَّمِ على كلِّ حقٍّ- أَمرَ بالقيامِ بحُقوقِ ذوي الحُقوقِ مِن الخَلقِ؛ الأَهمِّ فالأَهَمِّ، فقال: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾؛ أَيْ: أَحسِنوا إِليهِم؛ بالقولِ الكريمِ، والخِطابِ اللَّطِيفِ، وبالفعلِ؛ بالقيامِ بطاعتِهما، واجتنابِ معصيتِهما، والحذرِ مِن عقوقِهما، والإِنفاقِ عليهِما، وإِكرامِ مِن لَهُ تعلُّقٌ بِهما، وصِلةُ الرَّحِمِ التي لا رَحمَ لك إِلَّا مِن جِهَتِهِما[1].

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾، والأَمرُ بالإِحسانِ إِلى الوالدَينِ، وإِطلاقُهُ يَدخلُ فيهِ كلُّ ما عدَّهُ النَّاسُ إِحسَانًا، وذلكَ يختلفُ باختلافِ الأَوقاتِ، والأَحوالِ، والأَشخاصِ.

وفيهِ: النَّهيُ عن ضِدِّ الإِحسانِ إِليهِما، وهو أَمْرانِ:

- الإِساءَةُ والعُقوقُ؛ الذي هو: إِيصالُ الأَذَى القَولِيِّ، والفِعليِّ إِليهِما، وتركُ القيامِ ببعضِ حُقوقِهما الواجِبَةِ.
- والأَمرُ الثَّاني: تركُ الإِحسانِ، وتركُ الإِساءَةِ؛ فإِنَّ ذلكَ داخلٌ في العُقوقِ[2]؛ فلا يَسَعُ =

(١) هذا إشارة إلى ما أخرجه أحمد في مسنده، (٢٥/٤٥٧) ح (١٦٠٥٩)، والبخاريُّ في الأدب المفرد، (ص:٢٧)، وابن حبَّان في صحيحه، (٢/١٦٢) ح (٤١٨)، عن أبي أُسَيْدٍ رضي الله عنه، قال: بينما أنا جالس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل مِن الأنصار، فقال: يا رسول الله، هل بقي عليَّ مِن برِّ أَبَوَيَّ شيء بعد موتهما أبرُّهما به؟ قال: ((نَعَمْ خِصَالٌ أَرْبَعَةٌ: الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا رَحِمَ لَكَ إِلَّا مِنْ قِبَلِهِمَا، فَهُوَ الَّذِي بَقِيَ عَلَيْكَ مِنْ بِرِّهِمَا بَعْدَ مَوْتِهِمَا)).

قال الألبانيُّ رحمه الله: "اسناده ضعيف". سلسلة الأحاديث الضَّعيفة والموضوعة، (٢/٦٢).

ومن المعلوم أنَّ ضعف إسناد هذا الحديث لا يعني ترك العمل بالخصال المذكورة فيه؛ لأنَّها داخلة في عموم البرِّ، والإحسان المأمور به في النُّصوص المتواترة.

(٢) أمرَ الله عز وجل بالإحسان إلى الوالدين، فترك هذا الإحسان المأمر به نوع مِن العقوق؛ لأنَّه حقٌّ واجب لم يصل إليهما، كما أنَّه تعالى نهى عن العقوق؛ فمن تركه فقد نجا مِن الإثم، ولكنَّه لم يُوصِل لوالديه بِرًّا؛ فلا يُمدح الولد =

الولدَ أَنْ يقولَ: إذا قمتُ بواجبِ والِدَيَّ وتركتُ معصيتَهما فقد قمتُ بحقِّهما، فيُقالُ: بل عليكَ أَنْ تبذُلَ لَهما مِن الإحسانِ الذي تقْدِرُ عليهِ ما يجعلُكَ في مرتبةِ الأَبرارِ البارِّينَ بوالِدَيهِم(١).

وقولُهُ: ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾: بيانٌ لبعضِ الأَسبابِ الموجِبَةِ للبِرِّ، وأَنَّ الوالدَينِ اشترَكا في تربيةِ بدنِكَ ورُوحِكَ؛ بالتَّغذِيَةِ، والكِسْوَةِ، والحَضانَةِ، والقيامِ بكلِّ الْمُؤَنِ، وبالتَّعليمِ والإِرشادِ، والإِلزامِ بطاعةِ اللهِ، والآدابِ والأَخلاقِ الجميلةِ.

وفي هذا دليلٌ على أَنَّ كلَّ مَن لَهُ عليكَ حقُّ تربيةٍ؛ بقيامٍ بِمُؤْنةِ نفقةٍ وكِسوةٍ وغيرِها أَنَّ لَهُ حقًّا عليكَ بالإِحسانِ والبِرِّ والدُّعاءِ؛ وأَعلَى مِن ذلكَ مَن لَهُ حقٌّ عليكَ بتربيةِ عقلِكَ ورُوحِكَ، تربيةً عِلميَّةً تَهذِيبِيَّةً، أَنَّ لَهُ الحقَّ الأَكبرَ عليكَ، وهذا مِن جُملَةِ فضائلِ أَهلِ العِلْمِ الْمُعَلِّمِينَ العامِلِينَ، ومِن حُقوقِهِم على النَّاسِ؛ فإِنَّهُم ربَّما فاقُوا في هذهِ التَّربيةِ تربيةَ الوالدَينِ بأَضعافٍ مُضاعَفةٍ، وذلكَ فضلُ اللهِ يُؤتيهِ مَن يشاءُ(٢).

وقولُهُ: ﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾؛ أَيْ: أَحسِنوا إلى أَقارِبِكم -القريبِ مِنهُم والبعيدِ- بالقَولِ والفِعلِ، وأَوصِلوا لهمُ مِن الهدَايا، والصَّدقاتِ، والبِرِّ والإِحسانِ المتنوِّعِ ما يَشرحُ صُدُورَهُم، وتَتيَسَّرُ بهِ أُمورُهُم، وتكونُوا بذلكَ واصِلِينَ، ولِلأَجرِ مِن اللهِ حائزِينَ.

﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾: همُ الذين فُقِدتْ آباؤهُم وهُم صِغارٌ، فمِن رحمةِ أَرحمِ الرَّاحِمِينَ أَمرُ النَّاسِ برحمَتِهِم، والحُنُوِّ عليهِم والإحسانِ إليهِم، وكَفالتِهِم، وجَبرِ خَواطِرِهِم، وتأْدِيبِهِم، وأَنْ يُربُّوهُم أَحسنَ تربيةٍ؛ كما يُربُّونَ أَولادَهُم، سواءٌ كان اليتيمُ ذَكرًا أَو أُنثى، قريبًا أَو غيرَ قريبٍ.

بتركه أذيَّة والديه بقول أو فعل؛ ولا يفتخر الولد بذلك، ومن المعلوم أنَّ مجرَّد التَّرك لا يُعدُّ مدحًا على الدَّوام؛ فقد يكون لضعفٍ أو عجزٍ، أو سببٍ ما. والله أعلم.

(١) ومن توفيق الله للأولاد أنْ يكونوا مبادِرين للبرِّ، وعلى معرفة برغبات الوالدَين قبل طلبها؛ فيحقِّقون لهما ما يُؤْنِسهما، وتطمئنُّ به نفوسهما، وما يجلب لهما الفرح والسُّرور؛ مِن مأْكل ومشرب، وملبس ومسكن، وتقدير، واستشارة، وقضاء دَين، وخبرٍ سارٍّ، وأَنْ يُبعد عنهما ما يُعكِّرُ صفو حياتهما، وما يضجران منه.

(٢) وذلك أَنَّ بعض الوالدَين تقتصر رعايته لأَولاده على أُمور دنيويَّة؛ مِن طعام وكسوة وسكن ونحوها، بخلاف بعض أَهل العِلم الذين يجتهدون في تعليمهم، وحمايتهم مِن الشُّبهات والشَّهوات، وتربيتهم على ما يَقيهم مِن عذاب الله، وما به فوزهم في دار كرامته، ولربَّما وجَّهوهم لما فيه سعادتهم في الدَّارين، فمن هذا الوجه فاقوا والدَيهم.

﴿وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾: وهُمُ الذين أسكنَتْهُم الحاجَةُ والفقرُ، فلم يَحصُلوا على كِفايَتِهِم ولا كِفايةِ مَن يَمُونُونَ، فأَمرَ -تعالى- بسَدِّ خَلَّتِهِم، ودفعِ فاقتِهِم، والحضِّ على ذلكَ، وقيامِ العبدِ بما أَمكنَهُ مِن ذلكَ مِن غيرِ ضررٍ عليهِ.

﴿وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾: أَيْ: الجارِ القريبِ الذي لَهُ حقُّ الجِوارِ، وحقُّ القَرابَةِ.

﴿وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ﴾: الذي ليس بقريبٍ.

فعلَى العبدِ القيامُ بحقِّ جارِهِ مُطلَقًا؛ مسلِمًا كانَ أَو كافِرًا، قريبًا أَو بعيدًا؛ بكفِّ أَذاهُ عنهُ، وتَحمُّلِ أَذاهُ، وبذلِ ما يهُونُ عليهِ ويَستطِيعُهُ مِن الإِحسانِ، وتمكينِهِ مِن الانتفاعِ بجِدارِهِ[1]، أَو طريقِ ماءٍ على وجهٍ لا يَضرُّ الجارَ، وتَقديمِ الإِحسانِ إِليهِ على الإِحسانِ على مَن ليس بجارٍ.

وكلَّما كان الجارُ أَقربَ بابًا كان آكدَ لِحقِّهِ[2].

فينبغِي للجارِ أَنْ يَتعاهدَ جارَهُ؛ بالصَّدَقَةِ، والهديَّةِ، والدَّعوَةِ، واللَّطافَةِ بالأَقوالِ والأَفعالِ؛ تَقرُّبًا إِلى اللهِ، وإِحسانًا إِلى أَخيهِ صاحبِ الحقِّ[٢٨].

﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ﴾: قِيلَ: هو الرَّفِيقُ في السَّفَرِ، وقِيلَ: هو الزَّوجةُ، وقِيلَ: هو الرَّفِيقُ مُطْلَقًا؛ في الحضَرِ والسَّفرِ، وهذا أَشملُ، فإِنَّهُ يَشملُ القَولينِ الأَوَّلَينِ[3].

فعلَى الصَّاحبِ لِصاحبِهِ حقٌّ زائدٌ على مُجرَّدِ إِسلامِهِ؛ مِن مساعدتِهِ على أُمورِ دِينِهِ ودُنياهُ، والنُّصحِ لَهُ، والوفاءِ معهُ في العُسرِ واليُسرِ، والمَنْشطِ والْمَكرَهِ، وأَنْ يُحِبَّ لَهُ ما يُحِبُّ لنفسِهِ، ويَكرَهَ لَهُ ما يكرَهُ لِنفْسِهِ؛ وكلَّما زادتِ الصُّحبةُ تأَكَّدَ الحقُّ وزادَ.

---

(١) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب المظالم والغصب، باب لا يمنع جار جاره أَنْ يغرز خشبه في جداره، (٣/١٣٢) ح (٢٤٦٣)، واللَّفظ لَهُ، ومسلم في صحيحه، كتاب المساقات، باب غرز الخشب في جدار الجار، (٣/١٢٣٠) ح (١٦٠٩)، عن أَبي هريرةﷺ أَنَّ رسول اللهﷺ قال: ((لَا يَمْنَعْ جَارٌ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَهُ فِي جِدَارِهِ)).

(٢) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الأَدب، باب حقِّ الجوار في قُرب الأَبواب، (٨/١١) ح (٦٠٢٠)، عن عائشةﷺ، قالت: قلتُ: يا رسول الله، إِنَّ لي جارَين فإِلى أَيِّهما أُهدي؟ قال: ((إِلى أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَابًا)).

(٣) هذه الأَقوال مأثورة عن السَّلف، ولعلَّها مِن التَّفسير بالمثال، وممن ذكرها، ورجَّح العُموم: ابن جَرِيْر، وابن عطيَّة، وقال "وهذا كلُّه قول واحد". المحرَّر الوجيز، (٢/٥١)، وينظر: جامع البيان، (٨/٣٤٠-٣٤٥).

﴿وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: وهو الغريبُ في غيرِ بلدِهِ، سواءٌ كان محتاجًا، أَو غيرَ محتاجٍ.

فحثَّ اللهُ على الإحسانِ إلى الغُرباءِ؛ لِكونِهم في مَظِنَّةِ الوَحشَةِ والحاجَةِ، وتَعذُّرِ ما يتمكَّنونَ عليهِ في أَوطانِهم، فيُتصدَّقُ على محتاجِهم، ويُجْبَرُ خاطرُ غيرِ المحتاجِ بالإِكرامِ، والهديَّةِ، والدَّعوةِ، والمعاونَةِ على سَفرِهِ.

﴿وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَـٰنُكُمۡ﴾: أَيْ: مِن الرَّقِيقِ، والبهائِمِ[١]؛ بالقيامِ بكفايتِهِم، وأَنْ لا يُحمَّلوا ما لا يُطِيقونَ، وأَنْ يُعاوَنوا على مُهِمَّاتِهِم، وأَنْ يُقامَ بتَقويمِهِم، وتأْدِيبِهِم النَّافعَ[٢].

فمَن قامَ بِهذهِ المأْموراتِ فهو الخاضعُ لربِّهِ، المتواضعُ لعبادِ اللهِ، المنقادُ لأَمرِ اللهِ وشَرعِهِ، الذي يَستحِقُّ الثَّوابَ الجزيلَ، والثَّناءَ الجميلَ.

ومَن لم يَقمْ بذلكَ فإِنَّهُ عبدٌ مُعرِضٌ عن ربِّهِ، عاتٍ على اللهِ، مُتكبِّرٌ على عبَادِ اللهِ، مُعجَبٌ بنفسِهِ، فَخورٌ بأَقوالِهِ على وَجْهِ الكِبْرِ والعُجْبِ، واحتِقَارِ الخَلْقِ، وهو في الحَقيقةِ السَّافِلُ الْمُحتَقَرُ؛ ولِهذا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالًا فَخُورًا﴾: فهؤلاءِ ما بِهِم مِن الأَوصافِ القَبيحةِ تحملُهم على البُخلِ بالحُقوقِ الواجِبةِ، ويأْمرونَ النَّاسَ بأَقوالِهِم وأَفعالِهِم بالبُخلِ.

﴿وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾[٣]؛ أَيْ: مِن العِلْمِ الذي يَهتَدِي بهِ الضَّالُّونَ، ويَسترشِدُ بهِ الجاهِلونَ، فيكتُمونَهُ عنهُم، ويُظهِرونَ لهم مِن الباطِلِ ما يحولُ بيْنهُم وبيْنَ الحقِّ.

فهؤلاءِ جَمعوا بيْنَ البُخلِ بالمالِ، والبُخلِ بالعِلْمِ، وبيْنَ السَّعيِ في خسارةِ أَنفسِهِم، وخَسارةِ غيرِهِم[٤]، وهذهِ هي صفاتُ الكافرِينَ، ولِهذا قال: ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[٥]؛ أَيْ: كما

---

(١) لفظ الآية عامٌّ، والبهائم ممَّا يدخل تحت ملك الإِنسان، قال ابن الجَوْزيِّ رحمه الله: "وقال بعضهم: يدخل فيه الحيوان البهيم". زاد الْمَسِير، (١/٤٠٤)، وذكره ابن رَجَب قولًا عن بعض السَّلف. ينظر: جامع العلوم والحكم، (١/٣٤٩).

(٢) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب العتق، باب قول النَّبيِّ ﷺ: ((العَبِيدُ إِخْوَانُكُمْ فَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ))، (٣/١٤٩) ح (٢٥٤٥)، عن أَبي ذرٍّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِّيَّ ﷺ قال: ((إِنَّ إِخْوَانَكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَأَعِينُوهُمْ)).

(٣) النساء: ٣٧

(٤) س: "والسَّعيِ في خَسارة غيرهم".

(٥) الآية السَّابقة.

استهانُوا بالحقِّ، وتكبَّرُوا على الخَلْقِ، واستهانُوا بالقِيامِ بالحُقوقِ، أَهانَهُم اللهُ بالعذابِ الأَليمِ، والخِزيِ الدَّائِم.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾؛ أَيْ: احذرْ هذَينِ الخُلُقَينِ الرَّذِيلَينِ:

- البخلَ بالواجباتِ، وفي بذلِ المالِ فيما يَنبغِي بذلُهُ[1].

- والتَّبذيرَ: النَّفقةُ فيما لا يَنْبغِي[2]، أَو زيادةً على ما يَنْبغِي[3].

﴿فَتَقْعُدَ﴾: إنْ فعلتَ ذلكَ.

﴿مَلُومًا﴾؛ أَيْ: تُلامُ على ما فعلتَ مِن الإسرافِ؛ لأَنَّ كلَّ عاقلٍ يَعرِفُ أَنَّ الإسرافَ منافٍ للعقلِ الصَّحيحِ؛ كما أَنَّهُ منافٍ للشَّرعِ؛ فإنَّ اللهَ جعلَ الأَموالَ قِيامًا لمصالحِ الخَلقِ؛ فكَما أَنَّ مَنْعَها وإِمساكَها عن وضعِها فيما جُعِلتْ لَهُ مذمومٌ، فكذلكَ بذلُها في الأُمورِ الضَّارةِ، أَو الزِّيادةُ غيرُ اللائقةِ في الأُمورِ العاديَّةِ وغيرِها مذمومٌ؛ لأَنَّهُ إتلافٌ للمالِ بغيرِ مصلحةٍ، وانحرافٌ في حُسنِ التَّصرُّفِ، والتَّدبيرِ.

وقِلَّةُ[4] التَّدبيرِ، وعدمُ انتظامِهِ مذمومٌ في كلِّ شيءٍ، كما أَنَّ حُسْنَ التَّدبيرِ محمودٌ، ونافعٌ لِفاعِلِهِ، وغيرِهِ.

﴿مَّحْسُورًا﴾؛ أَيْ: فارغَ اليدِ، فلا بَقِيَ ما في يدِكَ مِن المالِ، ولا خلَفَهُ مَدحٌ وثَناءٌ.

وهذا الأَمرُ بإِيتاءِ ذي القُربى وغيرِهِم: مع القُدرَةِ؛ فأَمَّا معَ العدمِ أَو تعذُّرِ النَّفقةِ الحاضِرةِ فأَمَرَ -تعالى- أَنْ يُرُدُّوا ردًّا جميلًا، فقال: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾؛ أَيْ: تُعرِضُ[5] عن إِعطائِهِم حاضرًا، ولكنَّكَ ترجُو فيما بعدَ ذلكَ تَيْسيرَ الأَمرِ مِن اللهِ.

(١) "فيه"، زيادة في: (س)، وهي أَوضح للمعنى.
(٢) هذا هو التَّبذير. ينظر: مُعْجَم الفُروق اللُّغويَّة، (ص:١١٤).
(٣) هذا هو الإسراف. ينظر: المرجع السَّابق.
(٤) س: "وضعف".
(٥) س: "تعرضنَّ".

﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾[٢٩]؛ أَيْ: لَطِيفًا برفقٍ، ووعدٍ بالجميلِ عند الوُجودِ، واعتِذارٍ بعدمِ الإِمكانِ فِي الوقتِ الحاضرِ؛ لينقلبُوا عنكَ مطمئنَّةً قلوبُهُم، عاذرِينَ راجِينَ؛ كما قال تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾(١)؛ وهذا مِن لُطْفِ اللهِ بالعِبادِ؛ أَمرَهُم بانتظارِ الرَّحمةِ والرِّزقِ مِنهُ؛ لأَنَّ انتظارَ ذلكَ عِبادةٌ(٢)، وسببٌ لحصولِهِ، فإِنَّ اللهَ عندَ ظنِ عبدِهِ بهِ(٣).

وكذلكَ وَعْدُهُم أَنْ يُعْطُوهُم إذا وَجدُوا عِبادَةٌ حاضرةٌ لِمَن وَعدُوا؛ لأَنَّ الْهَمَّ بفعلِ الخيرِ والحسنةِ خيرٌ؛ ولِهذا ينبغِي للعبدِ أَنْ يفعلَ ما يقدِرُ عليهِ مِن الخيرِ، وينويَ فعلَ ما لم يقدِرْ عليهِ إذا قَدِرَ؛ لِيُثابَ على ذلكَ؛ ولَعلَّ اللهَ يُيسِّرُهُ لَهُ(٤).

وفي قولِهِ: ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾، فيهِ: الحثُّ على تعليقِ القلبِ والرَّجاءِ والطَّمعِ باللهِ، وصرفِ التَّعلُّقِ بالمخلوقِينَ.

فالموفَّقُ فِي حالِ الوُجودِ والغِنى قلبُهُ مُتَعلِّقٌ بحمدِ اللهِ وشُكرِهِ والثَّناءِ عليهِ، لا يَنسَى، ولا يَبْطَرُ(٥) النِّعمةَ، وفي حالِ الفَقْدِ والفَقْرِ صابرٌ راضٍ، راجٍ مِن اللهِ فضلَهُ وخيرَهُ ورحمَتَهُ، وهذا مِن أَجَلِّ عباداتِ القلوبِ المقرِّبَةِ إلى علَّامِ الغيوبِ.

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾: وذلكَ أَنَّ اللهَ أَرحمُ بعبادِهِ مِن الوالِدةِ بولدِها، فنهى الوالِدَينِ عن هذا الخُلُقِ؛ الذي هو مِن أَرذَلِ الأَخلاقِ، وأَسقَطِها؛ قَتْلِ أَولادِهِم؛ خشيةً مِن الفقرِ والإِملاقِ، ففيهِ عدَّةُ جناياتٍ:

---

(١) البقرة: ٢٦٣

(٢) لأَنَّه مِن حُسن الظَّن بالله، وقوَّة رجائه، والتَّعلُّق به.

(٣) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب التَّوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:١٥]، (١٤٥/٩) ح (٧٥٠٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب التَّوبة، باب في الحضِّ على التَّوبة والفرح بها، (٢١٠٢/٤) ح (٢٦٧٥)، عن أَبي هريرةﷺ أَنَّ رسول اللهﷺ قال: ((قالَ اللهُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي)).

(٤) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الرِّقاق، باب مَن همَّ بحسنة أَو بسيِّئة، (١٠٣/٨) ح (٦٤٩١)، واللَّفظ لَهُ، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إذا همَّ العبد بحسنة كُتبت، وإذا همَّ بسيِّئة لم تكتب، (١١٨/١)، (١٣١)، عن ابن عبَّاسﷺ، عن النَّبيِّﷺ، فيما يروي عن ربِّهﷻ قال: ((إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ. . .)).

(٥) البَطَرُ: الطُّغيانُ بالنِّعمة، وعدمُ القيام بحقِّها. ينظر: معاني القرآن، للزَّجَّاج، (١٥٠/٤)، والمفردات، مادَّة: (بطر).

- قتْلُ النَّفسِ الذي [هو][(١)] مِن أَعظمِ الفسادِ.

- وأَشنعُ مِن ذلكَ قتلُ الأَولادِ؛ الذين هم فِلَذُ[(٢)] الأَكْبادِ.

- وسُوءُ الظَّنِّ بربِّ العالَمِينَ، وجهلُهُم وضلالُهم البليغُ؛ إذ ظنُّوا أَنَّ وجودَهُم يُضيِّقُ عليهِم الأَرزاقَ، فتَكفَّلَ لهم بقِيامِهِ برزقِ الجميعِ، فأَينَ هذا الخُلُقَ الشَّنيعُ مِن أَخلاقِ خواصِّ المؤمنينَ؛ الذين كلَّما كثُرتْ أَولادُهُم، وعوائِلُهُم قويَ ظنُّهُم باللهِ، ورَجوا زيادةَ فضلِهِ، وقامُوا بمؤنتِهِم، مطمئنَّةً نفوسُهُم، حامدِينَ ربَّهُم أَنْ جعلَ رزقَهُم على أَيديْهِم، ومثْنِينَ على ربِّهِم إذ أَقدَرَهُم على ذلكَ، وراجِينَ ثوابَ ذلكَ عندَهُ، ومشاهِدِينَ لِمنَّةِ اللهِ عليهِم بذلكَ؟، قالﷺ: ((هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ؛ بدعائِهِم ورغبتِهِم إلى اللهِ))[(٣)].

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾، والنَّهيُ عن قُربانِ الزِّنى يشمَلُ: النَّهيَ عنهُ، وعن جميعِ دواعِيهِ ومقدِّماتِهِ؛ كالنَّظرِ المحرَّمِ، والخَلوةِ بالأَجنبيَّةِ، وخطابِ مَن يُخشَى الفِتنةُ بِخطابِهِ، ونحوِ ذلكَ.

ووصَفَ الزِّنى بأَقبحِ الأَوصافِ بأَنَّهُ: ﴿فَٰحِشَةً﴾؛ أَيْ: جريمةً عظيمةً؛ تُستَفْحَشُ شَرْعًا وعقلًا؛ لأَنَّ فيها انتهاكَ حُرمةِ الشَّرعِ والتَّهاونَ بهِ، وفِيهِ إِفسادُ المرأَةِ، وإفسادُ الأَنسابِ، واختلاطُ المياهِ، وفِيهِ إِضرارٌ بأَهلِها وبزوجِها، وبكلِّ مَن يتَّصلُ بِها، وفِيهِ مِن المفاسدِ شِيءٌ كثيرٌ[(٤)].

---

(١) "هو"، زيادة في: (س)، والسِّياق يحتاجها.

(٢) الفِلَذُ: جمع فِلْذَة: القِطْعَة مِن الشَّيء. ينظر: الصِّحاح، ومقاييس اللُّغة، مادَّة: (فلذ).

(٣) أَصلُ هذا اللَّفظ عند البخاريِّ في صحيحه، كتاب الجهاد والسِّير، باب مَن استعان بالضُّعفاء والصَّالحين في الحرب، (٣٦/٤) ح (٢٨٩٦)، عن مصعب بن سعدﷺ، قال: رأى سعدﷺ، أَنَّ لَهُ فضلًا على مَن دونه، فقال النَّبيُّﷺ: ((هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ)).
أَمَّا الزِّيادة التَّفسيريَّة فبمعنها عند النَّسائيِّ في سُننه، كتاب الجهاد، باب الاستنصار بالضَّعيف، (٤٥/٦) ح (٣١٧٨)، والبَيْهَقِيِّ في السُّنن الكبرى، كتاب صلاة الاستسقاء، باب استحباب الخروج بالضُّعفاء والصِّبيان والعبيد والعجائز، (٤٨٠/٣) ح (٦٣٨٩)، بلفظ: ((إِنَّمَا يَنْصُرُ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا، بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ)).
قال الأَلبانيُّ رحمه الله: "وهذا إِسناد صحيح على شرط الشَّيخين". سلسلة الأَحاديث الصَّحيحة، (٤٠٩/٢).
وهذه الزيادة تُبيِّن وتُفسِّر الاستنصار، وأَنَّه بدعاء الصَّالحين وإخلاصهم، لا بذواتهم وجاههم. ينظر: التَّوسل أَنواعه وأَحكامه، للأَلبانيِّ، (ص:١٠٣).

(٤) ومن ذلك: فساد المروءة، وسوادُ الوجه، وظُلمة القلبِ ووحشتُه، وضيقُ الصَّدر وحرجُه؛ والسُّقوط مِن أَعين النَّاس، وسلْبٌ لاسم العفيفِ مِن صاحبه، واستبدالٌ لَهُ بالفاجر، والفاسق، والزَّاني، والخائن، وسببٌ للفقر، =

وأَمرَ -تعالى- بإيفاءِ المكاييلِ والموازينِ، والمعامَلاتِ كلِّها بالقِسطِ، مِن غيرِ بَخْسٍ، ولا نقصٍ، ولا غشٍّ، ولا كِتمانٍ، وفي ضِمنِ ذلكَ الأمرُ بالصِّدقِ، والنُّصحِ في جميعِ المعامَلاتِ؛ فإنَّهُ بذلكَ يَصلُحُ الدِّينُ والدُّنيا؛ ولذلِكَ قال: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾؛ أَيْ: هو خيرٌ في الحاضرِ، وأَحْسَنُ عاقبةً في الآجلِ، يَسْلَمُ بهِ العبدُ مِن التَّبِعاتِ، وتَحُلُّ البَرَكةُ في هذِهِ المعامَلةِ.

وقولُهُ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾؛ أَيْ: ولا تَتَّبِعْ ما ليسَ لكَ بهِ عِلْمٌ، بلْ تَثَبَّتْ في كلِّ ما تقولُهُ وتَفعلُهُ؛ فإنَّ التَّثبُّتَ في الأُمورِ كلِّها دليلٌ على حُسنِ الرَّأْيِ، وقوَّةِ العقلِ، وبهِ تَتَوضَّحُ الأُمورُ، ويُعرَفُ بعدَ ذلكَ هلِ الإِقدامُ خيرٌ أَمِ الإِحْجامُ؟؛ لأَنَّ المتثبِّتَ لا بُدَّ أَنْ يُعمِلَ فِكرَهُ، ويُشاوِرَ في الأُمورِ التي عليهِ أَنْ يَتثبَّتَ فِيها[1].

والفِكرُ والمشاوَرةُ أَكبرُ الأَسبابِ لإِصابةِ الصَّوابِ، والسَّلامةِ مِن التَّبِعةِ، ومِن النَّدمِ الصَّادرِ مِن العَجلةِ، ومِن عدمِ استدراكِ الفَارِطِ[2]، ولهذا قال: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾؛ أَيْ: لا بُدَّ أَنْ تُسأَلَ عن حركةِ هذهِ الجوارحِ، وهلْ هي حركاتٌ نافعةٌ؛ إذا[3] وُضِعَتْ فيما يُقرِّبُ إلى اللهِ؟ أَمْ ضارَّةٌ إذا[4] وُجِّهَتْ[٣٠] إلى معصيةِ اللهِ؟، فلْيتعاهدْهَا[5] العبدُ بحفظِها عن الأُمورِ الضَّارةِ؛ ليُعِدَّ لِهذا السُّؤالِ جوابًا؛ فمَن استعمَلَها بطاعةِ اللهِ فقد زكَّاها ونَمَّاها، وأَثمرتْ لَهُ النَّعِيمَ المقيمَ، ومَن استعملَها في ضِدِّ ذلكَ فقد دسَّاها وأَسْقَطَها، وأَوصلَتهُ إلى العذابِ الأَليمِ.

ووجودِ ولدٍ فاقدٍ للعواطفِ والتَّربيةِ، وسببٌ للقتلِ والعداواتِ، والأَضرارِ والأَمراضِ التي يصعبُ علاجها، وسببٌ لحلول العِقاب الدُّنيويِّ، والعذاب الأُخرويِّ: ينظر: الجواب الكافي، لابن القَيِّم، (١/٣٧٧-٣٨٢).

(١) التَّثبُّت فيه امتثالٌ لأَمرِ اللهِ ﷻ، وحمايةٌ للنَّفس مِن الزَّلل والظُّلم، وفيه حفظٌ لحقوق النَّاس، وسلامةٌ مِن التَّبعة والمساءلة في الدُّنيا والآخرة، وفيه راحةٌ للقلب وسلامةٌ لَهُ مِن المكدِّرات، وكبحٌ لجماح النَّفس الأَمَّارة بالسُّوء والانتقام، وتعويدٌ لها على ترك الفُضول مِن الكلام، وفي التَّثبُّت اجتماعٌ للكلمة، وتَقويةٌ لروابط الأُخوَّة، وطردٌ لمادَّة الفرقة والتَّحريش بين المسلمين، وقطعٌ لطرق الأَعداء المتربِّصِين، وتصفيةٌ لما يَرِد على الأَسماع في المجالس والإِعلام؛ وتنقيةٌ للمعلومات والنُّقول والأَخبار؛ في الشُّؤون الدِّينيَّة والدُّنيويَّة، وفي شأْن العامَّة والخاصَّة، وما يُنقل عن الأَقارب والأَصدقاء، وما يُنسب للعلماء وأَهلِ الخير، والولاة وذوي المسؤوليَّات والهيئات.

وفي التَّثبُّت عمل بالأَصل واليقين، وبُعد عن الظُّنون والشُّكوك، وسلامةٌ مِن الانجراف مع مرادات أَهلِ الأَهواء.

فالتَّثبُّتُ كلُّه خيرٌ، وعقلٌ، ومصلحةٌ، ومحاسنهُ كثيرةٌ، وفضائلُه عظيمةٌ، للفرد والأُسرة والمجتمع.

(٢) الفَارِطُ: الْمُتقدِّم. ينظر: تهذيب اللُّغة، ولسان العرب، مادَّة: (فرط).

(٣) س: "بأَنْ".

(٤) س: "بأَنْ".

(٥) س: "فليتعاهد".

وقولُهُ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾؛ أَيْ: لا تَتكبَّرْ على الحقِّ، ولا على الخَلقِ، فإِنَّ التَّكبُّرَ مِن أَرذَلِ الأَخلاقِ.

والمتكبِّرُ المعجَبُ بنفسِهِ لن يَبلغَ ما يظنُّهُ، وتطمحُ لَهُ نفسُهُ مِن الخَيالاتِ الفاسِدةِ؛ أَنَّهُ في مقامٍ رفيعٍ على الخَلقِ، بل هو ممقوتٌ عند اللهِ وعند خَلقِهِ، مَبغوضٌ مُحتَقَرٌ قد نزَلَ بِخُلُقِهِ هذا إلى أَسفلِ سافلِينَ؛ فاتَهُ[1] مَطلوبُهُ؛ مِن كِبْرِهِ وعُجْبِهِ، وحصَلَ على نقيضِهِ.

ومِن مَضارِّ الكِبْرِ أَنَّهُ صحَّ الحديثُ عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ: ((لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ))[2].

والنَّارُ مَثْوَى المتكبِّرِينَ[3].

والكِبْرُ هو: ((بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ))[4]؛ واحتِقارُهُم[5]، وازدِراؤُهم.

وهذهِ الأَوامرُ الحَسنةُ والإِرشاداتُ في هذهِ الآياتِ مِن الحِكْمةِ العالِيةِ التي أَوحاها اللهُ لِرسولِهِ ﷺ؛ وهي مِن أَعظمِ محاسِنِ الدِّينِ.

فالدِّينُ: هو دِينُ الحِكْمةِ: التي هي معرِفةُ الصَّوابِ، والعملُ بالصَّوابِ، ومعرفةُ الحقِّ والعملُ بالحقِّ في كلِّ شيءٍ[6].

---

(١) س: "ففاته".

(٢) بنحوه أَخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، (٩٣/١) ح (٩١)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) قال جل جلاله: ﴿فَٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل:٢٩].

(٤) أَخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، (٩٣/١) ح (٩١)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٥) س: "أَيْ: احتقارهم".

(٦) عرَّف المفسِّرون الحِكمة بتعريفات كثيرة متقاربة، قال ابن قُتَيْبة رحمه الله: "الحِكمة: العلم والعمل، لا يُسمَّى الرَّجل حكيمًا حتَّى يجمعهما". غريب القرآن، (ص:٣٢).

وقال الكَفَوِيُّ رحمه الله: "الحِكمة: وضع الشَّيء في موضعه، وصوابُ الأمر وسدادُه، وأَفعالُ الله كذلك". الكُلِّيَّات، (ص:٣٨٢). وينظر: جامع البيان، (٥٧٩/٥)، ومعاني القرآن، للنَّحَّاس، (٢٩٨/١)، والجامع لأَحكام القرآن، (٣٣٠/٣).

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾[(١)].

العُبوديَّةُ للهِ نوعانِ[(٢)]:

- عُبوديَّةٌ لرُبوبيَّةِ اللهِ ومُلْكِهِ؛ فهذهِ يَشتَرِكُ فيها سائرُ الخَلقِ مُسلمُهُم وكافرُهُم؛ فكلُّهُم عبيدُ لِلَّهِ، مربُوبُونَ مُدبَّرونَ.

- وعُبوديَّةٌ لأُلُوهِيَّتِهِ ورحمتِهِ؛ وهي عُبوديَّةُ أَنبيائِهِ وأَوليائِهِ، وهي المرادُ هُنا؛ ولِهذا أَضافَها إِلى اسمِهِ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾؛ تَنبيهًا[(٣)] على أَنَّهُم إِنَّما وَصَلوا إِلى هذهِ الحالِ برحمتِهِ بِهِم، ولُطفِهِ وإِحسانِهِ.

فذَكَرَ صفاتِهِم، أَكملَ الصِّفاتِ، بالاتِّصافِ[(٤)] بِها يكونُ العبدُ مُتحقِّقًا بعُبوديَّتِهِ الخاصَّةِ، النَّافعةِ المثمِرةِ للسَّعادةِ الأَبديَّةِ.

فوصفَهم بأَنَّهُم: ﴿يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾؛ أَيْ: ساكنِينَ مُتواضِعِينَ لِلَّهِ ولِلخَلقِ؛ فهذا وصفٌ لهم بالوَقَارِ، والسَّكِينَةِ، والتَّواضُعِ لِلَّهِ ولعبادِهِ.

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ﴾؛ أَيْ: خِطابَ جهلٍ؛ فإِنَّهُ أَضافَ الخطابَ لِهذا الوصفِ.

﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾؛ أَيْ: خاطبُوهُم خِطابًا يَسلَمُون فيهِ مِن الإِثمِ، ولا يُقابِلونَ الجاهلَ بجهلِهِ، وهذا ثناءٌ عليهِم بالرَّزانَةِ، والحِلْمِ العَظيمِ، والعَفوِ عن الجاهِلِ، ومقابَلةِ الْمُسيءِ بالإِحسانِ.

﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾[(٥)]؛ أَيْ: يُكثِرونَ مِن صلاةِ اللَّيلِ، مُخْلِصِينَ فيها لِربِّهِم، مُتَذَلِّلِينَ لَهُ، كمَا قال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾[(٦)].

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾[(٧)]؛ أَيْ: ادفعهُ عنَّا بالعِصمةِ مِن أَسبابِهِ، ومغفرةِ ما

---

(١) الفرقان: ٦٣.

(٢) فصَّل ابن تَيميَّة وابن القَيِّمِ، في هذين النَّوعين بالأَدلَّة. ينظر: العبوديَّة، (ص:٤٨-٥٤)، ومَدارِج السَّالِكِين، (١٢٢/١، ١٢٦).

(٣) خ: "تنبيهٌ"، وس: "تنبيهًا"، وهي الصَّواب؛ لأَنَّها مفعول لأَجله.

(٤) س: "وبالاتِّصاف"، وهي المناسبة للسِّياق.

(٥) الفرقان: ٦٤

(٦) السجدة: ١٦

(٧) الفرقان: ٦٥

وقعَ منَّا مِمَّا هو مقْتَضٍ للعذابِ.

﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾[١]؛ أَيْ: مُلازِمًا لأَهلِها مُلازَمةَ الغَريمِ لِغَرِيْمِهِ.

﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾[٢]: وهذا مِنهُم على وجْهِ التَّضَرُّعِ لربِّهِم، وبيانِ شِدَّةِ حاجتِهِم إليهِ، وأَنَّهُ ليس في طاقَتِهِم احتمالُ هذا العذابِ؛ وليتذكَّروا مِنَّةَ اللهِ عليهِم؛ فإِنَّ صَرْفَ الشِّدَّةِ يَعظُمُ وَقْعُهُ بحسَبِ شِدَّتِها وفَظاعَتِها.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[٣]؛ أَيْ: النَّفقاتِ الواجبةِ والمستحبَّةِ.

﴿لَمْ يُسْرِفُوا﴾؛ أَيْ: يَزِيدوا على الحدِّ، فيَدخُلوا في قسمِ التَّبذيرِ، وإِهمالِ الحُقوقِ الواجبةِ.

﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾: فيدخُلوا في بابِ الشُّحِّ والبُخلِ.

وكان إنفاقُهُم بَيْنَ الإِسرافِ والتَّقْتِيرِ؛ ﴿قَوَامًا﴾: تَقومُ بِهِ الأَحوالُ[٣١]؛ فإِنَّهُم يبذُلونَ في الواجباتِ؛ مِن الزَّكواتِ والكفَّاراتِ والنَّفقاتِ الواجبةِ، وفيما يَنْبَغِي مِن الأُمورِ النَّافِعةِ على المحتاجِينَ، وفي المشاريعِ الخيريَّةِ، وفي الأُمورِ الضَّرُوريَّةِ والكماليَّةِ، الدِّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ، مِن غيرِ ضررٍ، ولا إِضرارٍ، وهذا مِن اقتصادِهِم، وعقلِهِم، وحُسنِ تدبيرِهِم.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾[٤]: لا دعاءَ عبادةٍ، ولا دعاءَ مسأَلةٍ[٥]، بل يعبدونَهُ وحدَهُ مخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنفاءَ، مقْبِلِينَ عليهِ مُعرِضِينَ عمَّا سِواهُ.

---

(١) الآية السَّابقة.

(٢) الفرقان: ٦٦

(٣) الفرقان: ٦٧

(٤) الفرقان: ٦٨

(٥) دعاءُ اللهِ المذكورُ في القرآن نوعان: دعاءُ عبادة وثناء، ودعاءُ مسأَلة وطلب، وكلاهما لا يَصلحان إِلَّا للهِ ﷻ، قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٥-٥٦]، فهاتان الآيتان مشتملتان على نوْعَي الدُّعاء، وهما مُتلازمان؛ فكلُّ دعاءِ عبادةٍ مستلزمٌ لدعاء المسأَلة، وكلُّ دعاءِ مسأَلةٍ متضمِّنٌ لدعاء العبادة. ينظر: الفتاوى الكبرى، لابن تَيميَّة، (٢/٢٠٩)، وبدائع الفوائد، (٣/٢-٣).

﴿وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾(١): وهي نفسُ المسْلمِ، والكافرِ المعاهدِ(٢)، ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾(٣)؛ كقتلِ النَّفسِ بالنَّفسِ، والزَّاني الْمُحصَنِ، والتَّارِكِ لدينِهِ المفارِقِ للجَماعةِ(٤).

﴿وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾(٥): المذكورَ؛ مِن الشِّركِ باللهِ، وقتلِ النَّفسِ التي حرَّمَ اللهُ، والزِّنى، فسوفَ(٦): ﴿يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ﴾(٧)؛ أَيْ: العذابِ، ﴿مُهَانًا﴾(٨).

فالوعيدُ بالخُلودِ لِمَن فعَلها كلَّها ثابتٌ في الكتابِ والسُّنَّةِ وإجماعِ الأُمَّةِ، كذلكَ لِمَن أشرَكَ باللهِ، وكذلكَ الوعيدُ بالعذابِ الشَّديدِ على كلِّ واحدٍ مِن هذهِ الثَّلاثةِ؛ لِكونِها كلِّها مِن أكبرِ الكبائرِ.

وأَمَّا خُلودُ القاتلِ بغيرِ حقٍّ، والزَّاني، فقد دلَّتِ النُّصوصُ القُرآنيَّةُ، وتَواترتِ الأَحاديثُ النَّبَوِيَّةُ أَنَّ جميعَ المؤمنِينَ وإنْ دَخلوا النَّارَ فسَيخرُجونَ مِنها، ولا يُخَلَّدُ فيها مؤمنٌ؛ فإنَّ الإيمانَ الكامِلَ يمنعُ مِن دخولِها، ومُطْلَقُ الإيمانِ -ولو مِثقالَ ذرَّةٍ- يَمنعُ مِن الْخُلودِ فيها، كما تقدَّمَ(٩).

---

(١) الفرقان: ٦٨

(٢) الْمُعَاهَدُ: "الذي عُقِد بينه وبين المسلمين عهد". مَجْمُوع فتاوى ورسائل العُثَيْمِين، (٢٩٧/٧)، وينظر: القاموس الفقهي، سعدي أبو حبيب، (ص:٢٦٥)، ومُعْجَم لغة الفقهاء، لمحمَّد قَلْعَجِي، وحامد قُنَيْبِي، (ص:٤٣٨).
قال ابن القيِّم‌رحمه الله: "الكفَّار إمَّا أَهل حرب، وإمَّا أَهل عَهد، وأَهل العهد ثلاثة أَصناف: أَهل ذمَّة، وأَهل هُدنة، وأَهل أَمانٍ، وقد عَقد الفُقهاء لكلِّ صنفٍ بابًا، فقالوا: باب الهُدنة، باب الأَمان، باب عقد الذِّمة، ولفظ: الذِّمة والعهد، يتناول هؤلاء كلَّهم في الأَصل". أَحكام أَهل الذِّمة، (٨٧٣/٢).

(٣) الآية السَّابقة.

(٤) هذه الأُمورُ الثَّلاثةُ ثابتةٌ في حديث ابن مسعود رضي الله عنه، عند البخاريِّ في صحيحه، كتاب الدِّيات، باب قول الله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة:٤٥]، (٥/٩) ح (٦٨٧٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب القَسامة والمحاربين والقصاص والدِّيات، باب ما يباح به دم المسلم، (١٣٠٢/٣) ح (١٦٧٦).

(٥) الفرقان: ٦٨

(٦) "فسوف"، ليست في: (س).

(٧) الفرقان: ٦٨-٦٩

(٨) الفرقان: ٦٩

(٩) تقدَّم ذلك: (ص:٦٠).

ونصَّ اللهُ على ثلاثةِ هذهِ الأَشياءِ؛ لأَنَّها أَكبرُ الكبائرِ، وفسادُها كبيرٌ؛ فالشِّركُ فيهِ فَسادُ الأَديانِ بالكُلِّيةِ، والقتلُ فيهِ فَسادُ الأَبدانِ، والزِّنى فيهِ فَسادُ الأَعراضِ.

﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾(١): عن هذهِ المعاصي وغيرِها؛ بأَنْ أَقلعَ عنها في الحالِ، ونَدِمَ على فِعلِها، وعزَمَ عزمًا جازمًا أَنْ لا يَعودَ.

﴿وَءَامَنَ﴾(٢): باللهِ إيمانًا صحيحًا يقتضِي فعلَ الواجباتِ، وتركَ المحرَّماتِ.

﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾(٣): فيدخلُ فيهِ جميعُ الصَّالحاتِ؛ مِن واجبٍ ومستحبٍّ.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٍ﴾(٤): بأَنْ يوفقَهم لِلخيرِ؛ فتبَدَّلَ أَقوالُهم وأَفعالُهم، التي كانتْ مُستعِدَّةً لفعلِ السَّيئاتِ تَتبَدَّلُ حسناتٍ؛ فيَتبَدَّلُ شركُهُم إيمانًا، ومعصيتُهُم طاعةً، وتَتبَدَّلُ نفسُ السَّيئاتِ التي عمِلوها، ثُمَّ أَحدثُوا عن كلِّ ذنبٍ مِنها توبةً ونَدَمًا، وإنابةً وطاعةً، تُبَدَّلُ حسناتٍ؛ كما هو ظاهر الآيةِ، وَوَرَدَ فيهِ حديثُ الرَّجلِ الذي حاسبَهُ اللهُ ببعضِ ذنوبِهِ، فعدَّدَها عليهِ؛ ثُمَّ أَبدَلَ مكانَ كلِّ سيئةٍ حسنةً، إلى آخرِ الحديثِ(٥).

---

(١) الفرقان: ٧٠

(٢) الآية السَّابقة.

(٣) الآية السَّابقة.

(٤) الآية السَّابقة.

خ: "حسناتهم"، والصَّواب: ﴿حَسَنَٰتٍ﴾.

(٥) مسألة تَبديل السَّيِّئات بحسنات فيها قولان مشهوران للسَّلف:
الأَوَّل: نقْلهم عمَّا يسخط الله مِن الأَعمال إلى ما يرضى، وتوفيقهم لعمل الخير والبرِّ، بَدَلَ عمَل الشَّرِّ والضَّلال.
الثَّاني: أَنَّ الله يضعُ مكان كلِّ سيِّئة حسنة؛ فضلًا منه وكرمًا. ينظر: جامع البيان، (١٩/٣١٢)، والجامع لأَحكام القرآن، (١٣/٧٨)، وتفسير القرآن العظيم، (٦/١٢٧).
والمؤلِّف رحمه الله يأْخذ بالقولين معًا؛ إذ لا تعارض بينهما؛ لظاهر الآية؛ ولقصَّة الرَّجل الذي حاسبه الله ببعض ذنوبه، وهي عند مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أَدنى أَهل الجنَّة منزلة فيها، (١/١٧٧) ح (١٩٠)، عن أَبي ذرٍّ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَا هُنَا))، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(١): لِمن تاب، يغفرُ ذنوبَهُ كلَّها.

﴿رَّحِيمًا﴾(٢): بعبادِهِ إذ دعاهُم إلى التَّوبَةِ بعدَ مُبارزتِهِ بالعَظائِمِ؛ ثُمَّ وفَّقَهُم لَها ثُمَّ قَبِلَها مِنهُم.

﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾(٣)؛ أَيْ: فلْيَعلَمْ أَنَّ توبتَهُ في غايةِ الكمالِ؛ لأنَّها رجوعٌ إلى الطَّريقِ الموصِلِ إلى اللهِ، الذي هو عَينُ سعادَةِ العبدِ وفلاحِهِ، فلْيُخلِصْ فيها، ولْيُخلِّصها مِن شَوائِبِ الأَغراضِ الفاسدةِ.

والمقصودُ مِن هذا: الحثُّ على تكميلِ التَّوبةِ، وأَنْ تكونَ على أكملِ الوجوهِ وأَجلِّها؛ لتحصُلَ لَهُ ثمراتُها الجليلةُ.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾(٤)؛ أَيْ: لا يحضرونَ الزُّورَ؛ أَيْ: القولَ المحرَّمَ، والفعلَ المحرَّمَ؛ فيَجتنبونَ جميعَ المجالسِ المشتمِلةِ على كلِّ قولٍ وفعلٍ مُحرَّمٍ؛ كالخوضِ في آياتِ اللهِ بالباطلِ، والجدَلِ الباطلِ، والغِيبةِ والنَّميمةِ، والسَّبِّ والقذفِ، والاستِهزاءِ، وشُربِ الخمرِ، والغِناءِ المحرَّمِ، وفُرُشِ الحريرِ والصُّورِ، ونحوِ ذلكَ(٥).

وإذا كانوا لا يَشهدونَ الزُّورَ فإنَّهُم مِن بابِ أَولى[٣٢] لا يفعلونَهُ، ولا يقولونَهُ، وشهادةُ الزُّورِ داخِلةٌ في قولِ الزُّورِ(٦).

﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ﴾(٧): وهو الكلامُ الذي لا فائِدةَ فيهِ، دِينيَّةً ولا دُنيويَّةً، ككلامِ السُّفهاءِ، ونحوِهِم.

---

(١) الفرقان: ٧٠
(٢) الآية السَّابقة.
(٣) الفرقان: ٧١
(٤) الفرقان: ٧٢
(٥) قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]، وقال ﷻ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام:٦٨]، قال ابن جُزيٍّ رحمه الله: "وفي الآية دليل على وجوب تجنُّب أهل المعاصي". التَّسهيل لعلوم التَّنزيل، (١/٢١٤).
(٦) لأنَّ الآية عامَّة؛ فتشملُ كلَّ ما لزمه اسم الزُّور مِن الباطل. ينظر: جامع البيان، (١٩/٣١٤).
(٧) الفرقان: ٧٢

﴿مَرُّواْ كِرَامًا﴾(١)؛ أَيْ: نزَّهُوا أَنفسَهُم، وأَكرَموها عن الخوضِ فيهِ، ورأَوهُ سَفهًا مُنافيًا لمكارِمِ الأَخلاقِ.

وفي قولِهِ: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ﴾: إشارةٌ إلى أَنَّهُم لا يَقصِدونَ حُضورَهُ، ولا سَماعَهُ، ولكنْ يَحصلُ ذلكَ بغيرِ قَصْدٍ، فيكرِمونَ أَنفسَهُم عنهُ.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾(٢): التي أُمِروا بالاستماعِ لَها، والاهتداءِ بِها.

﴿لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا﴾(٣)؛ أَيْ: لم يُقابِلوها بالإِعراضِ عنهَا، والصَّمَمِ عن سَماعِها، وصرفِ القَلبِ عنها كما يَفعلُهُ مَن لم يُؤمِنْ بِها ويُصدِّقْ.

وإِنَّما حالُ هؤلاءِ الأَخيارِ عندَ سَماعِها كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾(٤).

يُقابِلونَها بالقَبولِ والافتِقارِ إليها، والانقيادِ والتَّسليمِ لها؛ وتجِدُ عندَهُم آذانًا سامعةً، وقُلوبًا واعِيةً؛ فيَزدادُ بِها إِيمانُهُم، ويتمُّ بِها يَقينُهُم، وتُحدِثُ لهم فرَحًا، ونَشاطًا واغتِباطًا؛ لِما يَعلَمونَ أَنَّها أَفضلُ الْمِننِ الواصلةِ إِليهِم مِن ربِّهِم.

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا﴾(٥)؛ أَيْ: قُرنائِنا؛ مِن أَصحابٍ وأَخِلَّاءٍ، وأَقرانٍ وزوجاتٍ(٦).

﴿وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ﴾(٧)؛ أَيْ: تَقَرُّ بِهِم أَعينُنا.

---

(١) الآية السَّابقة.

(٢) الفرقان: ٧٣

(٣) الآية السَّابقة.

(٤) السجدة: ١٥

(٥) الفرقان: ٧٤

(٦) جمهور المفسِّرين لا يذكرون إلَّا الزَّوجات، ولعلَّ المؤلِّف ﷺ أخذ بعموم المعنى اللُّغوي لِلَفظ: ﴿أَزۡوَٰجِنَا﴾؛ قال ابن فارس ﷺ: "الزَّاء والواو والجيم أَصل يدلُّ على مقارنة شيء لشيء"، مقاييس اللُّغة، مادَّة: (زوج).
وقال الكَفَوي ﷺ: "كل ما يُقْترن بآخر مماثلًا لَهُ أَو مضادًّا يُقَال لَهُ زوج. . . ، وكذلك كلُّ اثنين لا يستغني أَحدهما عن صاحبه". الكُلِّيَّات، (ص:٤٨٦).

(٧) الفرقان: ٧٤

وإذا استقْرأْنا حالَهم وصِفاتِهم عرَفْنا مِن عُلوِّ هِمَمِهم ومراتِبهم أَنَّ مقصودَهُم بهذا الدُّعاءِ لذُرِّياتِهم أنْ يَطلُبوا مِنهُ صلاحَهُم؛ فإنَّ صلاحَ الذُّرِّيةِ عائدٌ عَليهم(١)، وعلى(٢) والدَيهم؛ لأَنَّ النَّفعَ يعودُ على الجميعِ، بل صلاحُهُم يعودُ إلى نفعِ المسلمِينَ عُمومًا؛ لأَنَّ بصلاحِ المذكورِينَ صلاحًا لِكلِّ مَن لَهُ تعلُّقٌ بِهِم، ثُمَّ يَتسلْسلُ الصَّلاحُ والخيرُ.

﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾(٣)؛ أَيْ: أَوصِّلنا يا ربَّنا إلى هذهِ الدَّرجةِ العاليةِ، درجةِ الصِّدِّيْقِيْنَ والكُمَّلِ مِن عبادِ اللهِ الصَّالحِينَ، وهي درجةُ الإمامةِ في الدِّينِ، وأَنْ يكونُوا قُدوةً لِلمتَّقِينَ في أَقوالِهم وأَفعالِهم، يُقتدَى بأَقوالِهم وأَفعالِهم، ويُطمأَنُّ إِليها؛ لِثقةِ المتَّقِينَ بِعِلْمِهم ودِينِهم، ويَهتدِي المهتَدون بِهم.

ومِن المعلومِ أَنَّ الدُّعاءَ بحصولِ شيءٍ دعاءٌ بِهِ، وبِما لا يَتِمُّ إِلَّا بهِ، وهذهِ الدَّرجةُ دَرجةُ الإمامةِ في الدِّينِ التي لا تَتِمُّ إِلَّا بالصَّبرِ واليقينِ، كمَا قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾(٤)؛ فهذا الدُّعاءُ يَستلزِمُ -مِن حُصولِ الأَعمالِ الصَّالحةِ، والصَّبرِ على طاعةِ اللهِ، وعن معصيتِهِ، وعلى أَقدارِهِ المؤلِمةِ، ومِن العِلْمِ النَّافعِ التَّامِّ الرَّاسِخِ الذي يُوصِلُ صاحبَهُ إلى درجةِ اليقينِ- خيرًا كثيرًا، وعطاءً جَزيلًا(٥).

ولَمَّا كانتْ هِمَمُهُم وأَعمالُهم عاليةً كان الجزاءُ مِن جنسِ العملِ، فجازاهُم مِن جِنسِ عَملِهِم، فقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ﴾(٦)؛ أَيْ: المنازِلَ العاليةَ الرَّفيعةَ، الجامِعةَ لكلِّ نعيمٍ رُوحيٍّ وبَدنيٍّ؛ بسببِ صبرِهِم على القيامِ بهذهِ الأَعمالِ الجليلةِ.

﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾(٧): مِن ربِّهِم، ومِن الملائكةِ الكِرامِ، ومِن بعضِهم على بعضٍ،

(١) س: "إِليهم".
(٢) س: "وإلى".
(٣) الآية السَّابقة.
(٤) السجدة: ٢٤
(٥) نصَّ ابن القَيِّم رحمه الله على هذا المعنى في: مِفتاح دار السَّعادة، (٨١/١).
(٦) الفرقان: ٧٥
(٧) الآية السَّابقة.

ويَسْلَمونَ مِن جميعِ المنغِّصاتِ، والْمُكدِّراتِ(١).

والحاصلُ أنَّ اللهَ وصفَهُم بالوَقارِ، والسَّكينةِ، والتَّواضعِ لَهُ ولِعبادِهِ، وحُسنِ الأَدبِ، والحِلمِ وسَعةِ الخُلُقِ، والعَفوِ عن الجاهلِينَ، والإعراضِ عنهُم، ومقابَلةِ إساءتِهِم بالإحسانِ، وقيامِ اللَّيلِ والإخلاصِ فيهِ، والخوفِ مِن النَّارِ، والتَّضرعِ لربِّهِم أَنْ يُنَجِّيَهم مِنها، وأَنَّهم يُخرِجونَ الواجباتِ والمستحبَّاتِ في النَّفقاتِ على وجهِ الاقتصادِ.

وإذا كانوا مُقتصِدِينَ في النَّفقاتِ -التي جَرتْ عادَةُ أَكثرِ الخَلقِ بالتَّفرِيطِ فيها أَو الإِفْراطِ- فاقتصادُهُم وتوسُّطُهُم في غيرِها مِن بابِ أَولى(٢)[٣٣].

ووصَفَهُم بالسَّلامةِ مِن كبائرِ الذُّنوبِ وفواحِشِها، وبالتَّوبةِ مِمَّا يَصدُرُ مِنهُم(٣)، وبالإخلاصِ(٤) لِلَّهِ في عبادَتِهِ؛ وأَنَّهُم لا يَحضرونَ مجالسَ المنكرِ والفُسوقِ القوليَّةِ والفعليَّةِ، ولا يَفعلونَها.

وأَنَّهم يَتنزَّهونَ عن اللَّغوِ والأَقوالِ الرَّديئةِ التي لا خيرَ فيها ولا نفعَ، وذلكَ يستلزمُ كمالَ إِنسانِيَّتِهِم، ومُروَّتِهِم(٥)، وكمالِهم، ورِفعةَ نفوسِهِم عن كلِّ أَمرٍ رذيلٍ.

وأَنَّهم يُقابِلونَ آياتِ اللهِ بالقَبولِ لَها، والتَّفهُّمِ لمعانِيها، والعملِ بِها، والاجتهادِ في تنفيذِ

(١) قال الرَّازيُّ رحمه الله: "ثمَّ هذه التَّحيَّة والسَّلام يمكن أَنْ يكون مِن الله -تعالى- لقوله: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:٥٨]، ويمكن أَنْ يكون مِن الملائكة؛ لقوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد:٢٣-٢٤]، ويمكن أَنْ يكون مِن بعضهم على بعض". تفسير الرَّازي، (٢٤/٤٨٨).

(٢) الشَّرع الحكيم بيَّن المنهجَ الوسط في النَّفقات؛ فلا إسرف ولا بخل، ومع ذلك تحدُث مخالفات يتعدَّى ضررها على أَصحابها؛ فمِن النَّاس مَن يبخلُ بالنَّفقة على زوجته وأَولاده وأَقاربه، مع غناه وقدرته، فيرتكب محرَّمًا، وظلمًا، ويُعرِّضهم لِمذلَّة السُّؤال، أَو الكسب المحرَّم؛ مِن سرقةٍ، أَو فاحشةٍ أَو بيعِ محرَّمٍ، أَو عملٍ فيه.
ومِن النَّاسِ مَن قُدِر عليهم رزقُهم، ومع ذلك أَفرطوا في الدُّيون، وأَسرفوا في المشتريات والمقتنَيات، فتراكمت عليهم الاستحقاقات، وازدادوا حاجة وفقرًا، فتفرَّقت أُسرهم، وصاروا صيدًا سهلًا لأَهل الشَّرِّ؛ يستغلون ضعفهم، وقلَّة ما في أَيديهم؛ لتنفيذ مآربهم.
وكلا المنهجين باطل؛ فالأَوَّلون: قصَّروا وبَخِلوا مع القدرة، والآخرون أَفرطوا وأَسرفوا مع الفقر.
والواجب أَنْ يكون الإِنفاق بحسَب الحال، وأَنْ يحصل التَّعاون بين أَفراد المجتمع ومؤسَّساته؛ لمعالجة هذه المشكلة مِن بدايتها؛ بالأَنظمة، وبالإرشادات والتَّعليمات؛ حتَّى لا يتعدَّى الضَّرر، ويَعظمَ الخطر، ويَستعصي الحَلُّ.

(٣) س: "منهم منها".

(٤) س: "ومنها الإخلاص".

(٥) س: "ومروءتهم"، وهي الأَفصح.

أَحكامِها.

وأَنَّهم يدْعُونَ ربَّهم بأَكملِ دعاءٍ ينتفِعونَ بهِ، ويَنتفعُ بهِ مَن يَتعلَّقُ بِهِم، وينتفعُ بِهِ المسلمونَ؛ مِن صلاحِ أَزواجِهم وذُريَّتِهم، ومِن لوازِمِ ذلك سعيُهُم في تعليمِهم، ووعظِهم ونُصحِهِم؛ لأَنَّ مَن حَرَصَ على شيءٍ، ودعا اللهَ في حصولِهِ لا بُدَّ أَنْ يكونَ مجتهِدًا هو[1] في تحصيلِهِ بكلِّ طريقٍ، مُستعِينًا بربِّهِ في تسهيلِ ذلكَ.

وأَنَّهُم دعوا اللهَ في حُصولِ أَعلى الدَّرجاتِ الممكِنةِ لهم، وهي درجةُ الإمامةِ، والصِّدِّيْقِيَّةِ[2]، فلِلَّهِ ما أَعلى هذهِ الصِّفاتِ، وأَرفعَ هذهِ الهِممَ، وأَجَلَّ هذهِ المطالبَ، وأَزكى تلكَ النُّفوسِ!.

ولِلَّهِ فضلُ اللهِ عليهِم، ولُطفُهُ بِهم، الذي أَوصلَهُم إلى هذهِ الْمَقاماتِ والمنازِلِ، ولِلَّهِ الحمدُ مِن جميعِ عِبادِهِ؛ إذ بيَّنَ لهم أَوصافَهُم وحثَّهُم عليها، وأَعانَ السَّالِكينَ، ويسَّرَ الطَّريقَ لِمَن طَلَبَ[3] رضوانَهُ، واللهُ الموفِّقُ الْمُعِينُ.

---

(١) "هو"، ليست في: (س).

(٢) الصِّدِّيْقِيَّةُ: أَعلى مراتِب الصِّدق، وهي: كمال الإِخلاص، والانقياد والمتابعة لله ورسوله فى كلِّ الأُمور. ينظر: مَدارِج السَّالِكِين، (٢/٢٥٨-٢٦١)، وبصائر ذوي التَّمييز، (٣/٤٠٠-٤٠٣).

(٣) س: "سلك".

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[(١)].

هذهِ الآيةُ الكريمةُ جامعةٌ لمعاني حُسنِ الخُلقِ معَ النَّاسِ، وما ينبغي للعبدِ سلوكُهُ في معاملَتِهِم ومعاشرَتِهِم.

فأَمرَ -تعالى- بأَخذِ ﴿ٱلْعَفْوَ﴾، وهو ما سَمحتْ بهِ أَنفسُهُم، وسَهُلَتْ بهِ أَخلاقُهُم مِن الأَعمالِ والأَخلاقِ، بل يَقبلُ ما سَهُلَ، ولا يكلِّفُهُم ما لا تسمحُ بهِ طَبَائِعُهُم، ويُكلِّفهُم[(٢)] ما لا[(٣)] يُطيقونَهُ، بل عليهِ أَنْ يشكرَ مِن كلِّ أَحدٍ ما قابَلَهُ بهِ مِن قولٍ، وعملٍ، وخُلقٍ جميلٍ، وما هو دونَ ذلكَ، ويتجاوزَ عن تقصيرِهِم، ويَغُضَّ طرفَهُ عن نَقصهِم، وعمَّا أَتوا بهِ، وعاملُوهُ بهِ مِن النَّقصِ، ولا يتكبَّرُ على صغيرٍ لِصغرِهِ، ولا ناقصِ العقلِ لنقصِهِ، ولا الفقيرِ لفقرِهِ، بل يعاملُ الجميعَ باللُّطفِ، وما تقتَضْيهِ الحالُ الحاضرةُ، وبِما تنشرحُ لَهُ صُدورُهُم، ويُوقِّرُ الكبيرَ، ويَحنُو على الصَّغيرِ، ويجاملُ النَّظِيرَ[(٤)].

﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾: وهو كلُّ قولٍ حَسَنٍ، وفعلٍ جميلٍ، وخُلقٍ كاملٍ للقريبِ والبعيدِ.

فاجعلْ ما يأْتي إِلى النَّاسِ منكَ: إِمَّا تعليمَ علمٍ دِينيٍّ أَو دُنيَوِيٍّ، أَو نصيحةً، أَو حثٌّ[(٥)] لهم على خيرٍ؛ مِن عبادةِ اللهِ، وصِلةِ رحمٍ، وبرِّ الوالِدينِ، وإِصلاحِ بيْن النَّاسِ، أَو رأْيٍ مُصيبٍ، أَو معاونةٍ على برٍّ وتقوى، أَو زجرٍ عن قبيحٍ، أَو إِرشادٍ إِلى مصلحةٍ دِينيَّةٍ أَو دُنيويَّةٍ، أَو تحذيرٍ مِن ضدِّ ذلكَ.

ولَمَّا كان لا بُدَّ للعبدِ مِن أَذيَّةِ الجاهلِينَ لَهُ بالقولِ، أَو بالفِعلِ أَمرَ اللهُ بالإِعراضِ عنهُم، وعدمِ مقابَلَةِ الجاهلِينَ بجهلِهم؛ فمَن آذاكَ بقولِهِ أَو فِعلِهِ فلا تؤْذِهِ، ومَن حَرمَكَ فلا تَحْرِمْهُ، ومَن

---

(١) الأعراف: ١٩٩

(٢) "يكلِّفهم"، ليست في: (س).

(٣) س: "ولا مالا".

(٤) النَّظِيرُ: الْمَثِيل: والمعنى: يُحسن عشرة مثيله ومعاملته. ينظر: مُختار الصِّحاح، مادَّة: (نظر)، ومُعْجَم اللُّغة العربيَّة المعاصرة، مادَّة: (ج م ل).

(٥) خ، س: "حثٌّ"، والصَّواب: "حثًّا"؛ لأَنَّها معطوفة على: "تعليمَ".

قطعَك فَصِلْهُ، ومَن ظلَمكَ فاعدِلْ فيهِ[١].

فبذلكَ يَحصلُ لكَ مِن الثَّوابِ مِن اللهِ، ومِن راحةِ القَلبِ وسُكونِهِ، ومِن السَّلامَةِ مِن الجاهلِينَ، ومِن انقلابِ العدوِّ صديقًا، ومِن التَّبوُّءِ مِن مكارِمِ الأَخلاقِ أَعلاها، أَكبرُ حظٍّ وأَوفرُ نَصِيْبٍ، قال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾[٢]؛ أَيْ: يوفَّقُ لها[٣]، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[٤].

ولْنَقْتَصِرْ في هذا الموضوعِ على هذهِ الآياتِ، ففيها الْهُدَى والشِّفاءُ، والخيرُ كلُّهُ[٣٤].

---

(١) هذا معنى حديث عُقبة بن عامرﷺ، عند أَحمد في مسنده، (٦٥٤/٢٨) ح (١٧٤٥٢)، قال: لَقِيتُ رسول اللَّهﷺ فقال لي: ((يَا عُقْبَةُ بْنَ عَامِرٍ، صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ)).
قال الأَلبانيُّﷺ: "هذا إِسناد صحيح". سلسلة الأَحاديث الصَّحيحة، (٨٥٩/٦).

(٢) فصلت: ٣٤-٣٥.

(٣) "أَيْ: يوفَّقُ لها"، ليست في: (س).

(٤) فصلت: ٣٥.

فَصْلٌ: في أَحكامِ الشَّرعِ الفُروعيَّةِ المُتنوِّعةِ؛ في الصَّلاةِ والزَّكاةِ، معَ ما ينضَمُّ إليها مِن المعاني الأُخَرِ[١]:

قال تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[٢].

هذا الأَمرُ مِن اللهِ لِعبادِهِ بالصَّلاةِ، التي أَمرَ بِها في آياتٍ مُتعدِّدةٍ[٣]؛ ويأْتي الأَمرُ بِها في القرآنِ بلفظِ: الإِقامةِ: كهذهِ الآيةِ، ومثلِ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[٤]، ونحوِها[٥].

وهو أَبلغُ مِن قولِهِ: (افعلُوها)؛ فإِنَّ هذا أَمرٌ بفعلِها، وبتكمِيلِ أَركانِها، وشروطِها، ومكملاتِها، ظاهرًا وباطنًا، وبجعْلِها شريعةً ظاهرةً قائمةً مِن أَعظمِ شعائرِ الدِّينِ[٦].

وفي هذهِ الآيةِ زيادةٌ عن بقيَّةِ الآياتِ[٧]: الأَمرُ بِها لأَوقاتِها الخمسةِ[٨]، أَو الثَّلاثةِ[٩]، وهذهِ هي الفرائضُ.

وإِضافتُها إِلى أَوقاتِها مِن بابِ إِضافةِ الشَّيءِ إِلى سببِهِ الموجبِ لَهُ ف ﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾؛ أَيْ: زوالِها، واندفاعِها مِن المشرقِ نحوَ المغربِ، فيدخلُ في هذا صلاةُ الظُّهرِ -وهو أَوَّلُ الدُّلوكِ- وصلاةُ

---

(١) س: "الأُخرى".

(٢) الإسراء: ٧٨-٧٩

(٣) قال ﷻ: ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء:١٠٣]، وقال ﷻ: ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم:٣١]، وقال ﷻ: ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ [الحج:٧٨].

(٤) البقرة: ٤٣

(٥) قال ﷻ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٨٧]، وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [النور:٥٦]، وقال ﷻ: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الروم:٣١].

(٦) أَشار إِلى هذه الفائدة عدد مِن المفسِّرين، قال الرَّاغب رحمه الله: "وإِنَّما خصَّ لفظ الإِقامة تنبيهًا أَنَّ المقصود مِن فعلها توفية حقوقها وشرائطها، لا الإِتيان بهيئتها فقط". المفْردات، مادَّة: (صلا)، وينظر: محاسن التَّأْويل، للقاسمي، (٢٤٤/١)، وتفسير القرآن الحكيم، (١٠٨/١).

(٧) "وهي"، زيادة في: (س)، وفيها توضيح للمعنى.

(٨) قال ابن جُزَيٍّ رحمه الله: "هذه الآية إِشارة إِلى الصَّلوات المفروضة، ف ﴿دُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾: زوالها؛ والإِشارة إِلى الظُّهر والعصر، و﴿غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾: ظلمته؛ وذلك إِشارة إِلى المغرب والعشاء، ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾: صلاة الصُّبح". التَّسهيل لعلوم التَّنزيل، (٤٥٢/١)، وينظر: مَعَالم التَّنزيل، (١٤٨/٣)، وتفسير القرآن العظيم، (١٠٢/٥).

(٩) في حال الجمع تكون الأَوقات ثلاثة؛ فالظُّهر معها العصر، والمغرب معها العشاء، ثمَّ وقت الفجر.

العصرِ، وهو آخرُ الدُّلوكِ.

﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾؛ أَيْ: ظُلمتِهِ؛ فدخلَ في ذلكَ صلاةُ المغربِ -وهو ابتداءُ الغَسَقِ- وصلاةُ العشاءِ الآخرةِ، وبِها يتِمُّ الغَسَقُ، والظُّلمةُ.

﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ﴾؛ أَيْ: صلاةَ الفجرِ، وسمَّاها قرآنًا؛ لِمشروعيَّةِ إطالةِ القراءةِ فيها[١]؛ ولِفضلِ قِراءَتِها[٢]؛ لكونِها مشهودةً، يشهدُها اللهُ، وتشهدُها ملائكةُ اللَّيلِ، وملائكةُ النَّهارِ[٣].

فَفِي هذهِ الآيةِ الكريمةِ فوائدُ:

مِنها: ذِكرُ الأَوقاتِ الخمسةِ صَريحًا، ولم يُصرَّحْ فِيها[٤] في القرآنِ في غيرِ هذهِ الآيةِ، وأَتتْ ظاهرةً في قولِهِ: ﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ﴾[٥] ...الآيات[٦].

---

(١) أخرج أَبو داود في سننه، كتاب الصَّلاة، باب قدر القراءة في صلاة الظُّهر والعصر، (٢١٣/١) ح (٨٠٦)، عن جابر بن سَمُرةَ رضي الله عنه، قال: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَحَضَتِ الشَّمْسُ صَلَّى الظُّهْرَ وَقَرَأَ بِنَحْوٍ مِنْ: وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، وَالْعَصْرَ كَذَلِكَ، وَالصَّلَوَاتِ كَذَلِكَ، إِلَّا الصُّبْحَ فَإِنَّهُ كَانَ يُطِيلُهَا".

قال الألبانيُّ رحمه الله: "قلت: إسناده صحيح على شرط مسلم". صحيح أَبي داود، (٣٩١/٣) ح (٧٦٨).

(٢) خ: "قرائتها"، وس: "قراءتها"، وهي الصَّواب؛ لأَنَّ الهمزة متوسِّطة مفتوحة، وقبلها حرف ساكن غير صحيح، وهو الأَلف. ينظر: الإملاء والتَّرقيم في الكتابة العربيَّة، (ص:٤٩).

(٣) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾، (٨٦/٦) ح (٤٧١٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصَّلاة، باب فضل صلاة الجماعة، وبيان التَّشديد في التَّخلف عنها، (٤٥٠/١) ح (٦٤٩)، عن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: ((وَتَجْتَمِعُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ))، يقول أَبو هريرة: "اقرءوا إِنْ شئتم": ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾.

أَمَّا شهود الله سبحانه وتعالى لصلاة الفجر فقد رُوي في حديث أَبي الدَّرداء رضي الله عنه، مرفوعًا، كما في جامع البيان، (٥٢٠/١٧)، والتَّوحيد، لابن خزيمة، (٣٢٢/١)، والمُعْجَم الأَوسط، للطَّبراني، (٢٧٩/٨)، وفي سنده زيادة بن محمَّد الأَنصاري، وهو منكر الحديث، قال الذَّهبي رحمه الله: "فهذه أَلفاظ منكرة لم يأْت بها غير زيادة". ميزان الاعتدال، (٩٨/٢)، وينظر: التَّاريخ الكبير، للبخاري، (٤٤٦/٣)، وتمام المنَّة في التَّعليق على فقه السُّنَّة، للأَلباني، (ص:١٨٢).

ولا يخفى على الله مِن شأْن عباده شيء، قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ﴾ [يونس:٦١].

(٤) س: "بها".

(٥) الروم: ١٧

(٦) س: "الآية".

قال تعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ﴾ [الروم:١٨].

وفِيها: أَنَّ هذهِ المأْموراتِ كلَّها فرائضُ؛ لأَنَّ الأمرَ بها مقيَّدٌ في أَوقاتِها(١)، وهذهِ هي الصَّلواتُ الخمسُ، وقد تَستَتْبعُ ما يَتْبعُها مِن الرَّواتبِ، ونحوِها(٢).

ومِنها: أَنَّ الوقتَ شرطٌ لصحَّةِ الصَّلاةِ، وسببٌ لوجوبِها(٣).

ويُرجَعُ في مقاديرِ الأَوقاتِ إلى تَقديرِ النَّبيِّ ﷺ(٤)، كما يُرجَعُ إليهِ في تقديرِ ركعاتِ الصَّلاةِ وسجداتِها، وهيئاتِها.

وفِيها: أَنَّ العصرَ والظُّهرَ يُجمَعانِ لِلعذرِ، وكذلكَ المغربُ والعشاءُ؛ لأَنَّ اللهَ جمعَ وقتَهما؛ فهو وقتٌ واحدٌ للمعذورِ، ووقتان لغيرِ المعذورِ.

وفِيها: فضيلةُ صلاةِ الفجرِ، وفضيلةُ إطالةِ القرآنِ فيها، وأَنَّ القراءةَ فيها ركنٌ؛ لأَنَّ العبادةَ إذا سُمِّيتْ ببعضِ أَجزائِها دلَّ ذلكَ على فضلِهِ(٥)، وركنيَّتِهِ(٦).

---

(١) قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء:١٠٣]؛ "أَيْ: مفروضًا مؤَقَّتًا فرضه". معاني القرآن، للزَّجَّاج، (٢/٩٩).

(٢) في كونها مرتبطة معها في الوقت.

(٣) لقوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ [الإسراء:٧٨]، قال: السَّرْخَسِيُّ رحمه الله: "فقد جعل الشَّرع ذلك الوقت سببًا موجبًا للصَّلاة". أُصول السَّرْخَسِي، (١/٢٢)، وينظر: المسْتَصْفَى، للغزالي، (ص:٧٤).

(٤) أخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب مواقيت الصَّلاة، باب وقت المغرب، (١/١١٦-١١٧) ح (٥٦٠)، واللَّفظ لَهُ، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصَّلاة، باب استحباب التَّبكير بالصُّبح في أَوَّل وقتها، وهو التَّغْلِيس، وبيان قدر القراءة فيها، (١/٤٤٦) ح (٦٤٦)، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، قال: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي الظُّهْرَ بِالهَاجِرَةِ، وَالعَصْرَ وَالشَّمْسُ نَقِيَّةٌ، وَالْمَغْرِبَ إِذَا وَجَبَتْ، وَالعِشَاءَ أَحْيَانًا وَأَحْيَانًا، إِذَا رَآهُمْ اجْتَمَعُوا عَجَّلَ، وَإِذَا رَآهُمْ أَبْطَؤُوا أَخَّرَ، وَالصُّبْحَ كَانُوا -أَوْ كَانَ- النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّيهَا بِغَلَسٍ".

(٥) س: "فضيلته".

(٦) قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء:٧٨]، قال الزَّجَّاج رحمه الله: "وفي هذا الموضع فائدة عظيمة تدلُّ على أَنَّ الصَّلاة لا تكون إِلَّا بقراءةٍ، لأَنَّ قوله: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، وأَقِم: ﴿قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ قد أَمر أَنْ نقيمَ الصَّلاة بالقراءة، حتَّى سُمِّيت الصَّلاة قرآنًا، فلا تكون صلاة إِلَّا بقراءة". معاني القرآن، (٣/٢٥٥).
وقال أَبو السُّعود رحمه الله: "ولعلَّ التَّعبير عن الصَّلاة بأَركانها للدَّلالة على أَنَّ كلَّ واحد منها مستقلٌّ باقتضاء ذلك، فكيف وقد اجتمعت". إرشاد العقل السَّليم، لأَبي السُّعود، (٦/١٠٣)، وينظر: القواعد النُّورانيَّة، (ص:٧١).

وقد عبَّرَ اللهُ عن الصَّلاةِ بالقراءةِ(١)، وبالرُّكوعِ وبالسُّجودِ وبالقيامِ(٢)، وهذهِ كلُّها أركانُها الْمُهِمَّةُ(٣).

قولُهُ: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ﴾؛ أَيْ: صَلِّ بهِ في أَوقاتِهِ.

﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾؛ أَيْ: لتكونَ صلاةُ اللَّيلِ زيادةً لكَ في علوِّ المقاماتِ، ورَفعِ الدَّرجاتِ، بخلافِ غيرِكَ؛ فإنَّها تكونُ كفَّارةً لسيِّئاتِهِ(٤).

ويُحتَملُ أَنْ يكونَ المعنى: أَنَّ الصَّلواتِ الخمسِ فرضٌ عليكَ وعلى المؤمنِينَ، وأَمَّا صلاةُ اللَّيلِ فإنَّها فرضٌ عليكَ وحدَكَ دونَ المؤمنِينَ(٥)؛ لِكرامتِك على اللهِ؛ إِذْ جعلَ وظيفتَك أَكثرَ مِن غيرِكَ، ومَنَّ عليكَ بالقيامِ بِها؛ ليكثُرَ ثوابُكَ، ويَرتفِعَ مقامُكَ، وتَنالَ بذلكَ المقامَ المحمودَ؛ وهو المقامُ الذي يَحمدُهُ فيهِ الأَوَّلونَ والآخِرون؛ مقامَ الشَّفاعةِ العُظمَى؛ حينَ يَستشفِعُ الخلائقُ بأَكابرِ الأَنبياءِ؛ آدمَ، ونوحٍ وإِبراهيمَ، وموسى وعيسى عليهم السلام، وكلُّهُم يعتذِرُ ويتأَخرُ عنها حتَّى يَستَشفِعُوا بسيدِ ولدِ آدمَ؛ لِيرحَمَهم اللهُ مِن همِّ الموقِفِ وكُربِهِ، ويَفصِلَ بينَهُم، فيُشَفِّعُهُ اللهُ، ويُقيمُهُ مَقامًا يَغبطُهُ بهِ الأَوَّلونَ والآخِرونَ، وتكونُ لَهُ اليدُ البيضاءُ على جميعِ الخَلْقِ(٦) ﷺ تسليمًا كثيرًا، وأَدخلَنا في شفاعتِهِ، ومَنَّ علَينا بالسَّعيِ في أَسبابِ شفاعتِهِ؛ التي أَهمُّها: إِخلاصُ الأَعمالِ لِلَّهِ، وتحقيقُ مُتابعتِهِ في هَديِهِ وقَولِهِ وعَملِهِ[٣٥].

---

(١) قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ﴾ [الإسراء:٧٨]، "يعني: صلاة الفجر". تفسير القرآن العظيم، (١٠٢/٥).

(٢) قال جل جلاله: ﴿وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[الحج:٢٦].

(٣) نصَّ على هذا ابن تَيميَّة، وأبو حيان رحمهما الله. ينظر: القواعد النُّورانيَّة، (ص:٧١)، والبحر المحيط، (٥٠١/٧).

(٤) لأنَّ الله قد غفر لنبيِّه محمَّد ﷺ، ماتقدَّم مِن ذنبه، وما تأخَّر.

(٥) قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: "يعني بالنَّافلة أنَّها للنَّبيِّ ﷺ خاصَّة، أُمر بقيام اللَّيل وكُتب عليه". جامع البيان، (٥٢٥/١٧).

(٦) ثَبت هذا المعنى فيما أخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء:٣]، (٨٤/٦) ح (٤٧١٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنَّة منزلة فيها، (١٨٤/١) ح (١٩٤)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(١).

لَمَّا أَمرَ اللهُ -تعالى- رسولَهُ خُصوصًا، والمؤمنِينَ عُمومًا باستقبالِ بيتِهِ الحرامِ، أَخبرَ أَنَّ أَهلَ كلِّ دينٍ(٢) لهم وِجْهَةٌ يَتوَجَّهونَ إِليها في عباداتِهم.

وليس الشَّأْنُ في القِبَلِ والوِجهاتِ الْمُعَيَّنَةِ؛ فإنَّها مِن الشَّرائعِ التي تختلفُ باختلافِ الأَزمِنَةِ، ويدخلُها النَّسخُ، والنَّقلُ مِن جهةٍ إلى أُخرى، ولكنَّ الشَّأْنَ كلَّ الشَّأْنِ في امتثالِ طاعةِ اللهِ على الإطلاقِ، والتَّقرُّبِ إليهِ، وطلبِ الزُّلفى عندَهُ(٣)، فهذا هو عُنوانُ السَّعادَةِ ومَنْشُورُ الوِلايةِ(٤)، وهو الذي إذا لم تَتَّصفْ بهِ النُّفوسُ حَصَلَتْ لها الخسارةُ في الدُّنيا والآخرةِ، كما أَنَّها إذا اتَّصفتْ بهِ فهِي الرَّابحةُ على الحقيقةِ، وهذا أَمرٌ متَّفَقٌ عليهِ في جميعِ الشَّرائعِ، وهو الذي خَلَقَ اللهُ لَهُ الخَلْقَ، وأَمَرَهُم بهِ.

والأَمرُ بالاستباقِ إلى الخيراتِ قدرٌ زائدٌ على الأَمرِ بفعلِها؛ فإنَّ الاستباقَ إليها يتضمَّنُ الأَمرَ بفعلِها، وتكميلِها، وإيقاعِها على أَكملِ الأَحوالِ، والمبادرةِ إليها، ومَن سبقَ في الدُّنيا إلى الخيراتِ فهو السَّابقُ في الآخرةِ إلى الجنَّاتِ، فالسَّابقون أَعلى الخَلْقِ درجةً.

و﴿الْخَيْرَاتِ﴾: تشملُ جميعَ الفرائضِ والنَّوافلِ؛ مِن صلاةٍ وصيامٍ، وزكاةٍ وصدقةٍ، وحجٍّ وعمرةٍ، وجهادٍ، ونفعٍ متعدٍّ وقاصرٍ.

---

(١) البقرة: ١٤٨

(٢) س: "أَنَّ كلَّ أَهل دينٍ"، وهي أَوضح.

(٣) قال ﷻ: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧].

(٤) المعنى: أَنَّ طاعة الله هي عنوان سعادة العبد، ومستنده؛ ليكون مِن أَولياء الله، الذين لا خوف عليهم، ولاهم يحزنون.

فهذهِ الآيةُ تحثُّ على الإتيانِ بكلِّ ما يُكمِّلُ هذهِ العباداتِ؛ مِن ركنٍ[١]، وواجِبٍ[٢]، وشرْطٍ[٣] ومُستحبٍّ[٤]، ومُكمِّلٍ ومُتمِّمٍ، ظاهرًا وباطِنًا؛ كالمبادرةِ في أَوَّلِ الوقتِ، وفعلِ السُّننِ المكمِّلاتِ، والمبادرةِ إلى إبراءِ الذِّمَمِ مِن الواجباتِ، وفعلِ جميعِ الآدابِ المتعلِّقةِ بالعباداتِ، فللَّهِ ما أَجمَعَها مِن آيةٍ وأَنفعَها!.

ولَمَّا كان أَقوى ما يحثُّ النُّفوسَ إلى المسارعةِ إلى الخيراتِ ما رتَّبَ اللهُ عليها مِن الثَّوابِ، وما يُخشى بتفويتِها مِن الحرمانِ والعقابِ قالَ: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ﴾؛ فَيَجْمَعُ اللهُ العِبادَ يومَ القيامةِ بقُدرتِهِ، ويُجازِيهم بما أَسلفوهُ مِن الأَعمالِ خيرِها وشرِّها.

---

(١) الرُّكْنُ في اللُّغة: جانب الشَّيء القويِّ، وعند الأُصوليِّيْن: ما يقوم به الشَّيء، وهو داخل فيه. ينظر: شرح مختصر الرَّوضة، للطُّوفي، (٣/٢٢٧)، والْمِصباح الْمُنِيْر، والتَّعريفات، (ص:١١٢)، مادَّة: (ركن).

(٢) الواجِبُ في اللُّغة: الثَّابت واللَّازم، وعند الأُصوليِّيْن: ما يثاب فاعله امتثالًا، ويستحقُّ العقاب تاركه. ينظر: المحصول لابن العربي، (ص:٢٢)، والمحصول، للرَّازي، (٢/٢٠٢)، وتاج العَرُوس، مادَّة: (وجب).

(٣) الشَّرْطُ في اللُّغة: العلامة، وعند الأُصوليِّيْن: "ما يَلزم مِن عدمه العدَم، ولا يَلزم مِن وُجوده وُجود، ولا عدم لذاته" الفروق، للقَرَافي، (١/٦٠)، وينظر: مقاييس اللُّغة، مادَّة: (شرط).

(٤) الْمُسْتَحَبُّ في اللُّغة: المستحسن والمختار، وعند الأُصوليِّيْن: ما يُثاب فاعله امتثالًا، ولا يعاقب تاركه. ينظر: العُدَّة في أُصول الفِقه، لأَبي يَعْلَى، (١/١٦٣)، والمحصول، لابن العَربي، (ص:٢٢)، ومُختار الصِّحاح، مادَّة: (ندب).

﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾[١].

يأمُرُ -تعالى- بالمحافظةِ على الصَّلواتِ عُمومًا، وعلى الصَّلاةِ الوُسطى؛ وهي صلاةُ العصرِ خُصوصًا[٢]؛ لِفضلِها وشرفِها، وحضورِ ملائكةِ اللَّيل، والنَّهارِ فِيها[٣]؛ ولكونِها ختامَ النَّهارِ.

والمحافظةُ على الصَّلواتِ عنايةُ العبدِ بِها مِن جميعِ الوجوهِ التي أَمرَ الشَّارِعُ بِها، وحَثَّ عليها؛ مِن مراعاةِ الوقتِ، وصلاةِ الجماعةِ، والقيامِ بكلِّ ما بهِ تَكْمُلُ، وتَتِمُّ.

وأَنْ تكونَ صلاةً كاملةً تَنهى صاحبَها عن الفحشاءِ والمنكرِ، ويزدادُ بِها إِيمانُهُ،[٤]إذا حصَلَ فيها حُضورُ القلبِ، وخشوعُهُ الذي هو لبُّها ورُوحُها؛ ولِهذا قال: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾؛ أَيْ: مخلِصِينَ خاشِعِينَ لِلَّهِ.

فإِنَّ القنوتَ: هو دوامُ الطَّاعةِ مع الخشوعِ، ومِن تمامِ ذلكَ سكونُ الأَعضاءِ، والسُّكوتُ[٥] عن كلِّ كلامٍ لا تَعلُّقَ لَهُ بالصَّلاةِ[٦].

وفِيها: أَنَّ القيامَ في صلاةِ الفريضةِ ركنٌ، إِنْ كان المرادُ بالقيامِ هنا الوقوفُ، فإِنْ أُريدَ بِهِ القيامُ

---

(١) البقرة: ٢٣٨-٢٣٩
س: ذكر الآية إلى قوله تعالى: ﴿رُكْبَانًا﴾، ثمَّ قال: "إلى آخر الآية".

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصَّلاة، باب الدَّليل لمن قال الصَّلاة الوسطى هي صلاة العصر، (٤٣٧/١) ح (٦٢٧)، عن عليٍّ ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ يومَ الأَحزاب: ((شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى، صَلَاةِ الْعَصْرِ...)).

(٣) أخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب مواقيت الصَّلاة، باب فضل صلاة العصر، (١١٥/١) ح (٥٥٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصَّلاة، باب فضل صلاتي الصُّبح والعصر، والمحافظة عليهما، (٤٣٩/١) ح (٦٣٢)، عن أَبي هريرة ﷺ، أَنَّ رسول الله ﷺ قال: ((يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الفَجْرِ وَصَلَاةِ العَصْرِ. . .)).

(٤) "وذلك"، زيادة في: (س).

(٥) "والسُّكوت"، ليست في: (س)، ووجودها فيه: تنبيه على ترك الكلام الذي لا تعلَّق له بالصَّلاة.

(٦) أَصلُ القُنوتِ: الطَّاعة، وتكون في الصَّلاة بالسُّكوت عمَّا نهى الله عنه مِن الكلام، وتكون بالخشوع، وخفض الجناح، وإِطالة القيام، وبالدُّعاء، وكل هذا وارد عن السَّلف في معنى: ﴿قَٰنِتِينَ﴾، وكلُّ ذلك داخل في الطَّاعة. ينظر: جامع البيان، (٢٣٦/٥)، والكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثَّعلبي، (١٩٩/٢).

بأَفعالِ الصَّلاةِ عُمومًا دلَّ على الأَمرِ بإقامتِها كلِّها، وأَنْ تكونَ قائمةً تامةً غيرَ ناقصةٍ[١].

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾؛ أَيْ: فصلُّوا الصَّلاةَ رِجالًا؛ أَيْ: ماشِينَ على أَرجلِكُم أَو ساعِينَ عليها، أَو رُكبانًا على الإِبلِ، وغيرِها مِن المركوباتِ.

وحَذَفَ الْمُتعلَّقَ[٢]؛ ليَعُمَّ الخوفُ؛ مِن العدوِّ والسَّبُعِ، ومِن فواتِ ما يُتَضرَّرُ بفواتِهِ أَو تَفويتِهِ، وفي هذهِ الحالِ لا يلزمُهُ استقبالُ القبلةِ، بل قِبلتُهُ حيثُما كان وَجْهُهُ.

ومِثلُ ذلكَ[٣]؛ إذا اشتبَهتِ القِبلةُ في السَّفرِ، ومِثلُ ذلكَ صلاةُ النَّافلةِ في السَّفرِ على الرَّاحلةِ[٤]، وكلُّ هذا داخلٌ في قولِهِ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٥][٣٦]، فهذهِ صلاةُ المعذورِ بالخوفِ، فإذا حصَلَ الأَمنُ صلَّى صلاةً كامِلةً.

ويَدخُلُ في قولِهِ: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾، تكميلُ الصَّلواتِ؛ ويَدخلُ فيهِ -أَيضًا- الإِكثارُ مِن ذِكرِ اللهِ؛ شُكرًا لَهُ على نعمةِ الأَمنِ، وعلى نعمةِ التَّعلِيمِ.

وفي الآيةِ الكريمةِ[٦] فضيلةُ العِلْمِ، وأَنَّ على مَن علَّمَهُ اللهُ ما لم يكنْ يعْلمُ الإِكثارَ مِن ذِكرِ اللهِ.

وفيهِ تَنبيهٌ على أَنَّ الإِكثارَ مِن ذكرِ اللهِ سببٌ لنيلِ علومٍ أُخرَ، لم يكن العبدُ ليعرفَهَا؛ فإِنَّ الشُّكرَ مقرونٌ بالمزيدِ[٧].

---

(١) الأَمر بالقيام عامٌّ؛ فيشمل المعنيَين جميعًا، ولِفعلهِ ﷺ. ينظر: أَحكام القرآن، للجصَّاص، (١٦٤/٢)، وصفة صلاة النَّبي ﷺ مِن التَّكبير إلى التَّسليم كأنَّك تَراها، للأَلباني، (ص:٧٧)، وتفسير الفاتحة والبقرة، للعُثَيمين، (١٧٨/٣).

(٢) لم تذكر الآية الشَّيء الذي يُخاف منه، ولم تُخصِّص نوعًا مِن الأَنواع؛ لِيشمل المعنى جميع أَنواع المخاوف، كما مثَّل المؤلِّف رحمه الله. ينظر: البحر المحيط، لأَبي حيَّان، (٥٤٩/٢)، وتيسير الكريم الرَّحمن، (ص:١٠٦).

(٣) في عدم لزوم استقبال القبلة.

(٤) أخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الصَّلاة، باب التَّوجُّه نحو القبلة حيث كان، (٨٩/١) ح (٤٠٠)، عن جابر رضي الله عنه، قال: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي عَلَى رَاحِلَتِهِ، حَيْثُ تَوَجَّهَتْ، فَإِذَا أَرَادَ الفَرِيضَةَ نَزَلَ فَاسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ)).

(٥) البقرة: ١١٥

(٦) قال تعالى: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٣٩].

(٧) قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧].

وقد ذكرَ اللهُ صلاةَ الخوفِ في سورةِ النِّساءِ في قولِهِ: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[١]؛ فأَمرَ بِها على تلكَ الصِّفةِ تحصيلًا للجماعةِ لَها؛ وقيامًا لِلأُلفةِ؛ وجمعًا بيْنَ القيامِ بالصَّلاةِ، والجهادِ حسبَ الإمكانِ، وبالقيامِ بالواجباتِ، مع التَّحرُّزِ مِن شُرورِ الأَعداءِ؛ فسُبحانَ مَن جعلَ في كتابِهِ الهدى والنُّورَ والرَّشادَ، وإِصلاحَ الأُمورِ كلِّها.

---

(١) النساء: ١٠٢

فَصْلٌ:

قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[(١)]، وقال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[(٢)]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[(٣)]، وقال: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾[(٤)].

قد جَمعَ اللهُ في كتابِهِ في آياتٍ كثيرةٍ بيْن الأمرِ بإقامِ الصَّلاةِ وإيتاءِ الزَّكاةِ؛ لأَنَّهما مُشترَكانِ[(٥)] في أَنَّهُما مِن أَهمِّ فروضِ الدِّينِ، ومباني الإسلامِ العظيمةِ، والإيمانُ لا يَتِمُّ إِلَّا بهما[(٦)].

ومَن قامَ بالصَّلاةِ وبالزَّكاةِ كان مُقيمًا لدِينِه، ومَن ضيَّعَهُما كان لِما سِواهما مِن دِينِهِ أَضْيعُ[(٧)].

والصَّلاةُ[(٨)] فِيها الإخلاصُ التَّامُّ للمعبودِ، وهي ميزانُ الإيمانِ.

والزَّكاةُ فيها الإِحسانُ إِلى المخلوقِينَ، وهي بُرهانُ الإيمانِ[(٩)]؛ ولهذا اتَّفقَ الصَّحابةُ على قِتالِ

---

(١) البقرة: ٤٣

(٢) التوبة: ١٠٣

(٣) البقرة: ٢٦٧

(٤) الأنعام: ١٤١

(٥) س: "مُشترِكتان".

(٦) قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة:٥٥]، وقال ﷻ: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة:٥]، وقال ﷻ: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ﴾ [التوبة:١١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة:١٨].

(٧) أخرج مالك في الموطَّإ، كتاب وقوت الصَّلاة، باب وقوت الصَّلاة، (٦/١) ح (٦)، والبيهقيُّ في السُّنن الكبرى، كتاب الصَّلاة، باب كراهية تأْخير العصر، (٦٥٤/١) ح (٢٠٩٦)، عن ابن عمر رضي الله عنهما، أَنَّ عمر رضي الله عنه كتبَ إلى عُمَّاله: "إِنَّ أَهَمَّ أَمرِكُمْ عِنْدِي الصَّلاةُ، مَنْ حفِظَهَا، أَوْ حَافَظَ عَلَيْهَا حفِظَ دِينَهُ، وَمَنْ ضَيَّعَهَا فَهُوَ لِمَا سِوَاهَا أَضَيَعُ".

قال الزُّرْقانيُّ رحمه الله: "هذا منقطع؛ لأَنَّ نافعًا لم يلق عمر". شرح الزُّرْقانيُّ على الموطَّإ، (٨٤/١).

وقال الألبانيُّ رحمه الله: "ضعيف". مِشْكاة المصابيح، (١٨٦/١) ح (٥٨٥).

(٨) س: "فالصَّلاة".

(٩) أخرج مسلم في صحيحه، كتاب الطَّهارة، باب فضل الوضوء، (٢٠٣/١) ح (٢٢٣)، عن أَبي مالك الأَشعريِّ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((. . . والصَّلاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ. . .)).

مانعي الزَّكاةِ[١]، وقالَ أَبوبكرٍ رضي الله عنه: ((لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ))[٢].

فقولُهُ تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾: هذا الأمرُ مُوجَّهٌ للنَّبيِّ ﷺ، ومَن قامَ مَقامَهُ أَنْ يأْخذَ مِن أَموالِ المسلمِينَ صدقةً؛ وهي الزَّكاةُ، وهذا شاملٌ لجميعِ الأَموالِ الْمُتَموَّلةِ[٣]؛ مِن أَنعامٍ وحُروثٍ، ونُقودٍ، وعُروضٍ، كما صرَّح بهِ في الآيةِ الأُخرى: ﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾؛ مِن النُّقودِ، والعُروضِ، والماشيَةِ الْمُنمَّاةِ[٤].

﴿وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: مِن الْحُبوبِ والثِّمارِ.

وقد وضَّحَ النَّبيُّ ﷺ النُّصْبَ[٥] في هذهِ الأَنواعِ كلِّها، وبيَّنَ مِقدارَ الواجبِ مِنها، وأَنَّها عُشْرُ الخارجِ مِن الأَرضِ مِمَّا يُسقَى بلا مَؤنَةٍ[٦]، ونصفُ عُشْرِهِ فيما سُقِيَ بِمُؤْنَةٍ[٧]، ورُبعُ العُشْرِ مِن أَموالِ التِّجارةِ[٨]، وذلك إذا حالَ الحولُ في أَموالِ التِّجارةِ، وحصَلَ الحصادُ والجَذاذُ[٩]، وقتَ حصولِ

---

(١) نَقل اتِّفاقَهم عدد مِن العلماء منهم: ابن حزم، والقَرافي، وابن تَيميَّة رحمهم الله. ينظر: مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، (ص:١٢٦)، والذَّخيرة، للقَرافي، (٤٨٣/٢)، والفتاوى الكبرى، لابن تَيميَّة، (٥٤١/٣).

(٢) أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب الزَّكاة، باب وجوب الزَّكاة، (١٠٥/٢) ح (١٤٠٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الأَمر بقتال النَّاس حتَّى يقولوا: لا إله إِلَّا الله محمَّد رسول الله، (٥١/١) ح (٢٠)، عن أَبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) الْمُتموَّلَةُ: مِن التَّموُّل، يقال: تَموَّل الرَّجل: اتَّخذ مالًا. ينظر: تهذيب اللُّغة، مقاييس اللُّغة، مادَّة: (مول).

(٤) وهي التي تُتَّخذ للدَّرِّ والنَّسل، والتَّسمين، لا للعمل؛ فإنَّ المعدَّة للعمل والرُّكوب، والحرث والسَّقي، لا زكاة فيها عند جمهور العلماء، خلافًا لمالك. ينظر: المبسوط، لمحمَّد بن الحسن، (١١/٢)، والمدوَّنة، لمالك، (٣٥٧/١)، والأُم، للشَّافعي، (٢٥/٢)، والمغني، لابن قدامة، (٤٣٠/٢)، وزكاة بهيمة الأَنعام السَّائمة، للقحطاني، (ص:٤).

(٥) النُّصْبُ: بوزن القُفْل، وقد تضم صاده والجمع: أَنْصَاب. ينظر: مُختار الصِّحاح، مادَّة: (نصب).
ونصاب الزَّكاة: "هو القدْر الذي رتَّب الشَّارع وجوب الزَّكاة على بلوغه". الشَّرح الْمُمْتِع على زاد المستقنع، للعُثَيْمِين، (١٦/٦).

(٦) الْمَؤُونَةُ: التَّعب والشِّدَّة، والثِّقْل. ينظر: الصِّحاح، والْمِصباح الْمُنِيْر، مادَّة: (مون).

(٧) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الزَّكاة، باب العشر فيما يسقى مِن ماء السماء، وبالماء الجاري، (١٢٦/٢) ح (١٤٨٣)، عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النَّبيِّ ﷺ قال: ((فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ وَالعُيُونُ أَوْ كَانَ عَثَرِيًّا العُشْرُ، وَمَا سُقِيَ بِالنَّضْحِ نِصْفُ العُشْرِ)).

(٨) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الزَّكاة، باب زكاة الغنم، (١١٨/٢) ح (١٤٥٤)، عن أَنس رضي الله عنه، في الكتاب الذي وجَّهه أَبو بكر إِلى البحرين في فريضة الصَّدقة التي فرض رسول الله ﷺ على المسلمين، والتي أَمر الله بها رسوله: ((وَفِي الرِّقَةِ رُبْعُ العُشْرِ)).

(٩) الجَذَاذُ: "بالفتح: فَصْلُ الشَّيء عن الشَّيء". القاموس المحيط، وينظر، مُختار الصِّحاح، مادَّة: (جذذ).

الثِّمارِ، كما هو صريحُ الآيةِ المذكورةِ(١).

وأَمرَ -تعالى- بإخراجِ الوَسَطِ، فلا يُظلَمُ ربُّ المالِ فيؤخذُ العَالِي مِن مالِهِ إِلَّا أَنْ يختارَ هو ذلكَ(٢)، ولا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَتيمَّمَ الخَبيثَ -وهو الرَّديءُ مِن مالِهِ- فيُخْرِجُهُ، ولا تَبْرَأُ بذلكَ ذمَّتُهُ إِنْ كانتْ فرضًا، ولا يَتمُّ لَهُ الأَجرُ والثَّوابُ إِنْ كانتْ نفلًا.

وبيَّنَ -تعالى- الحِكمَةَ في ذلكَ، وأَنَّها حِكمةٌ معقولةٌ: فكَما أَنَّكم لا تَرضونَ مِمَن عليهِ حقٌّ لكم أَنْ[٣٧] يُعطيَكمُ الرَّديءَ مِن مالِهِ -الذي هو دونَ حقِّكُم- إِلَّا أَنْ تَقْبَلوهُ على وجْهِ الكَراهةِ والإِغْمَاضِ(٣)، فكيفَ تَرضونَ لربِّكُم ولإِخوانِكُم ما لا ترضونَهُ لأَنفسِكُم؟.

فليس هذا مِن الإِنصافِ والعَدلِ.

وبيَّنَ -تعالى- الحِكمةَ في الزَّكاةِ، وبيانِ مصالحِها العظيمةِ، فقال: ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾: فهذهِ كَلمةٌ جامعةٌ، يدخلُ فيها مِن المنافعِ للمُعطِي والمعطَى، والمالِ، والأُمورِ العُموميَّةِ والخُصوصيَّةِ شيءٌ كثيرٌ.

فقولُهُ: ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾؛ أَيْ: مِن الذُّنوبِ، ومِن الأَخلاقِ الرَّذيلةِ؛ فإِنَّ [مِن](٤) أَعظمِ الذُّنوبِ وأَكبَرِها منعَ الزَّكاةِ، و-أَيضًا- إِعطاؤُها سببٌ لمغفرةِ ذنوبِ أُخرى؛ فإِنَّها مِن أَكبَرِ الحسناتِ، والحسناتُ يُذهِبنَ السَّيئاتِ.

ومِن أَشْنَعِ الأَخلاقِ الرَّذيلةِ البُخلُ، والزَّكاةُ تُطهِّرهُ مِن هذا الخُلقِ الرَّذيلِ، ويتَّصفُ صاحبُها بالرَّحمةِ، والإِحسانِ، والشَّفقةِ على الخَلقِ، وتُطهِّرُ المالَ مِن الأَوساخِ والآفاتِ، فإِنَّ للأَموالِ آفاتٍ مثلَ آفاتِ الأَبدانِ، وأَعظمُ آفاتِها أَنْ تخالِطَها الأَموالُ المحرَّمةُ؛ فهي للأَموالِ مِثلُ الجَرَبِ(٥)

---

(١) في قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١].

(٢) أخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الزَّكاة، باب أخذ الصَّدقة مِن الأغنياء وتردُّ في الفقراء حيث كانوا، (١٢٩/٢) ح (١٤٩٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب التَّوحيد، باب الدُّعاء إلى الشَّهادتين وشرائع الإسلام، (٥٠/١) ح (١٩)، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أَنَّ رسول الله ﷺ قال لمعاذ رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن: ((فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ)).

(٣) الإِغْماضُ: الْمُسامَحةُ والْمُساهَلةُ. ينظر: معاني القرآن، للنَّحَّاس، (٢٩٦/١)، ولسان العرب، مادَّة: (غمض).

(٤) "مِن"، زيادة في: (س)، وهي ضروريَّة لصحَّة المعنى؛ فمنع الزَّكاة من الذُّنوب العِظام، ولكنَّه ليس أَعظمَها.

(٥) الجَرَبُ: داء معروف، يصيب الجِلد، في النَّاس والإبل وغيرها. ينظر: جَمْهرة اللُّغة، ومقاييس اللُّغة، مادَّة: (جرب).

تَسْحَتُهُ(١)، وتَحُلُّ بهِ النَّكَباتُ، والنَّوائبُ المزعِجةُ.

فإخراجُ الزَّكاةِ تَطهيرٌ لَهُ مِن هذهِ الآفةِ المانعةِ لَهُ مِن البَرَكةِ والنَّماءِ، فيستَعِدُّ بذلكَ للنَّماءِ والبركةِ، وتوجيههِ للأُمورِ النَّافعةِ.

وأَمَّا قولُهُ: ﴿وَتُزَكِّيهِم﴾؛ فالزَّكاةُ: هي النَّماءُ والزِّيادةُ؛ فهي تنمِّي المؤتِيَ للزَّكاةِ؛ تُنمِّي أَخلاقَهُ، وتُحِلُّ البرَكةَ في أَعمالِهِ، ويَزدادُ بالزَّكاةِ ترَقِّيًا في مكارِمِ الأَخلاقِ، ومحاسِنِ الشِّيمِ.

وتُنمِّي المالَ؛ بزَوالِ ما بهِ ضرَرُهُ، وحُصُولِ ما فيهِ خيرُهُ، وتَحُلُّ فيهِ البرَكةُ مِن اللهِ؛ ولهذا قال النَّبيُّ ﷺ: ((مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ))(٢)، بل تَزيدُهُ، بل تزيدُهُ(٣).

وتُنَمِّي -أَيضًا- المخرجَ إِليهِ؛ فَتَسدُّ حاجتَهُ.

وتَقومُ المصلحةُ الدِّينيَّةُ التي تُصرَفُ فِيها الزَّكاةُ؛ كالجهادِ؛ والعلمِ؛ والإِصلاحِ بيْنَ النَّاسِ؛ والتَّأْليفِ(٤)، ونحوِها(٥).

وأَيضًا تَدفعُ عادِيَةَ(٦) الفَقرِ والفُقراءِ؛ فإِنَّ أَربابَ الأَموالِ إِذا احتكَرُوها واحتجَزُوها، ولم يُؤدُّوا

---

(١) السَّحْتُ: الاستئصال. ينظر: معاني القرآن، للزَّجَّاج، (١٧٧/٢)، ومُختار الصِّحاح، مادَّة: (سحت).

(٢) أَخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البرِّ والصِّلة والآداب، باب استحباب العفو والتَّواضع، (٢٠٠١/٤) ح (٢٥٨٨)، عن أَبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) س: لم يتكرر لفظ: "بل تزيده".

"بل تَزيدُهُ، بل تزيدُهُ"، هذه الزِّيادة يُوردها البعض على أَنَّها مِن الحديث، وهي غير محفوظة، بل يخطئ كثيرون، فيقولون: بل تزدْه، فيجزمونها مِن غير جازم. ينظر: شرح رياض الصَّالحين، للعُثَيْمِين، (٤٠٨/٣).

(٤) أَيْ: المؤلَّفة قلوبهم؛ كمن يُعطى ليسلِم، أَو ليحسن إِسلامه، ويثبت قلبه، أَو ليسلِم نظراؤه، أَو ليجْبي الصَّدقات ممَّن يليه، أَو ليدْفع عن حَوزة المسلمين الضَّرر. ينظر: مَعالم التَّنزيل، (٣٦١/٢)، وتفسير القرآن العظيم، (١٦٧/٤).

(٥) هذا على رأْي بعض العلماء الذين لا يَقصرون معنى: ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة:٦٠]، على الغزاة، بل يجعلون اللَّفظ عامًا في جميع القُرَب؛ وأَنَّه يشمل كلَّ مَن سعى في طاعة الله، وسبيل الخيرات. ينظر: بدائع الصَّنائع، للكاساني، (٤٥/٢)، وتفسير الرَّازي، (٨٧/١٦)، والرَّوضة النَّديَّة، للقَنُّوْجِي، (٢٠٧/١)، وتفسير القرآن الحكيم، (٤٣٦/١٠).

(٦) العَادِيَةُ: مؤنَّث العادِي: الشُّغل يصرفُك عن الشَّيء، ودفعتُ عنك عَادِيَةَ فلانٍ، أَيْ: ظُلْمه وشرَّه. ينظر: تهذيب اللُّغة، ولسان العرب، والمُعْجَم الوسيط، مادَّة: (عدا).

مِنها شيئًا للفقراءِ، اضطُرَّ الفقراءُ -وهم جمهورُ الخَلْقِ(١)- وثارُوا بالشَّرِّ والفسادِ على أَربابِ الأَموالِ؛ وبهذا ونحوِهِ تَسلَّطتِ البَلاشِفَةُ(٢) على الخَلْقِ.

فالقِيامُ بالدِّينِ الإسلاميِّ على وجْهِهِ -بعقائدِهِ، وحقائقِهِ، وأَخلاقِهِ، وأَداءِ حُقوقِهِ- هو السَّدُّ المانعُ شرعًا، وقدَرًا لهذهِ الطَّائفةِ التي هِي(٣) فسادُ الأَديانِ، والدُّنيا والآخرةِ.

وأَمرَ -تعالى- الآخذَ مِنهم الزَّكاةَ أَنْ يُصلِّيَ عليهِم؛ فيدعوَ لهم بالبَرَكةِ؛ فإِنَّ في ذلكَ تَطمينًا لخواطرِهِم، وتَسكِينًا لقلوبِهم، وتَنشيطًا لهم، وتشجيعًا على هذا العملِ الفاضلِ.

وكما أَنَّ الإمامَ والسَّاعيَ مأْمورٌ بالدُّعاءِ للمزكِّي -عند أَخذِها- فالفقيرُ المحتاجُ إذا أُعطيَها مِن بابِ أَولى أَنْ يُشرعَ لَهُ الدُّعاءُ للمعطِي؛ تسكينًا لقلبِهِ، وفي هذا إِعانةٌ على الخيرِ(٤).

ودلَّ تعليلُ الآيةِ الكريمةِ أَنَّ كلَّ ما أَعانَ على فعلِ الخيرِ، ونشَّطَ عليهِ، وسكَّنَ قلبَ صاحبِهِ أَنَّهُ مَطلوبٌ، ومَحبوبٌ لِلَّهِ، وأَنَّهُ ينبغِي للعبدِ مراعاتُهُ وملاحظتُهُ في كلِّ شأْنٍ مِن شؤونِهِ، فإِنَّ مَن تفطَّنَ لَهُ فَتحَ لَهُ أَبوابًا نافعةً لَهُ ولغيرِهِ، بلا تَعَبٍ ولا مَشقَّةٍ، وأَنَّهُ ينبغي إدخالُ السُّرورِ على المؤمنِينَ(٥).

---

(١) ينتشر الفقر في العالم بنسب متفاوتة حسب الزَّمان والمكان، ومن حكم مشروعيَّة الزَّكاة إصلاح أَحوال المجتمعات مادِّيًا ومعنويًا، وأَمْن نظامها الاقتصاديّ، واستقرارها واجتماعها وقوَّتها.

(٢) البَلاشِفَةُ: كلمة روسيَّة، تعني: الأَكثريَّة، قاموا بثورة عام: (١٣٣٦هـ)، عُرِفت بالثَّورة البَلْشَفيَّة، وسيطروا فيها على الحكم في روسيا، بزعامة لِينِيْن. ينظر: الْمُعْجَم الوسيط، ومُعْجَم اللُّغة العربيَّة المعاصرة، مادَّة: (بلشف).

(٣) س: "بها".

(٤) ومبادرته بالدُّعاء مِن مكارم الأَخلاق، وعلى المتصدِّق أَنْ يكون مخلصًا لله، فلا يطلب الدُّعاء أَو الثَّناء مِن المتصدَّق عليه، وقد أَثنى اللهﷻ على عباده الأَبرار بقوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان:٨-٩].
وأَخرج النَّسائيُّ في السُّنن الكبرى، كتاب عمل اليوم واللَّيلة، باب ما يقول لمن أَهدى لَهُ، (١٢١/٩) ح (١٠٠٦٢)، أَنَّ "عائشةﷺ إذا رجعتِ الخادم قالت: ما قالوا لكِ؟ -تقول ما يقولون- يقول: بارك الله فيكم، فتقول عائشة: وفيهم بارك الله، -تَرُدُّ عليهم مثل ما قالوا- ويبقى أَجرنا لنا".
قال الألبانيُّ "اسناده جيد". تَخْريج الكَلِم الطَّيِّب، (ص:١٧٥) ح (٢٣٩)، وينظر: مَجْمُوع الفَتاوَى، (١٨٨/١).

(٥) أَخرج ابن أَبي الدُّنيا في قضاء الحوائج، (ص:٤٧) ح (٣٦)، والطَّبراني في الْمُعْجَم الأَوسط، (١٣٩/٦) ح (٦٠٢٦)، عن ابن عمرﷺ، أَنَّ رجلًا جاء إلى رسول اللهﷺ، فقال: يا رسول الله أَيُّ النَّاس أَحبُّ إلى الله؟ وأَيُّ الأَعمال أَحبُّ إلى اللهﷻ؟ فقال رسول اللهﷺ: ((أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٍ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دِينًا، أَوْ تُطْرَدُ عَنْهُ جُوعًا)).
=

ولَمَّا أَمرَ في آيةِ البقرةِ بالنَّفقاتِ قال: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾: غنِيٌّ بذاتِهِ عن جميعِ المخلوقِينَ، وهو الغَنِيُّ عن نفقاتِ المنفِقِينَ، وطاعاتِ الطَّائِعِينَ.

وإنَّما أَمرَهم بِها، وحثَّهم عليها؛ لمحضِ مصلحتِهِم، ونفعِهِم، وبمحضِ فضلِهِ، وكرَمِهِ عليهِم، إذ تفضَّل عليهِم بالأَمرِ بهذهِ الأَعمالِ، والتَّوفيقِ لفعلِها، التي تُوصِلُ أَصحابَها إلى أَعلى المقاماتِ، وأَفضلِ الكراماتِ[٣٨].

ومعَ كَمالِ غناهُ وسَعةِ عطاياهُ فهو الحميدُ فيما يَشرَعُهُ لعبادِهِ؛ مِن الأَحكامِ الموْصِلةِ لَهم إلى دارِ السَّلامِ.

و﴿حَمِيدٌ﴾: في أَفعالِهِ التي لا تَخرجُ عن الفضلِ، والعدلِ، والحِكمةِ.

و﴿حَمِيدٌ﴾: الأَوصافِ؛ لأَنَّ أَوصافَهُ كلَّها محاسنُ وكمالاتٌ، لا يُدرِكُ العِبادُ كُنهَهَا[١]، ولا يَقْدُرونَها حقَّ قدرِها.

فلمَّا حثَّهُم على الإِنفاقِ النَّافعِ نَهاهُم عن الإِمساكِ الضَّارِّ، وبيَّنَ لهم أَنَّهُم بيْنَ داعِيَينِ[٢]:

- داعِي الرَّحمنِ؛ يَدعوهُم إلى الخيرِ، ويَعِدُهُم عليهِ الفضلَ، والثَّوابَ العاجلَ والآجِلَ، وخَلَفَ ما أَنفقُوا[٣].

- وداعِي الشَّيطانِ؛ الذي يحثُّهُم على الإِمساكِ، ويُخوِّفُهُم إنْ أَنفقُوا افتقَرُوا.

فمَن كان مُجيبًا لداعِي الرَّحمنِ، وأَنفقَ مِمَّا رزقَهُ اللهُ، فَلْيَبْشَرْ[٤] بمغفرةِ الذُّنوبِ، وحُصولِ كلِّ مطلوبٍ، ومَن كانَ مُجيبًا لداعِي الشَّيطانِ؛ فإنَّهُ: ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[٥]، فَلْيختَرِ

قال الأَلبانيُّ﵀ -عن اسناد ابن أَبي الدُّنيا-: "وهذا إِسناد حسن". سلسلة الأَحاديث الصَّحيحة، (٢/٥٧٥) ح (٩٠٦).

(١) سبق بيان معناها: (ص:٦).

(٢) بين داع الرَّحمن، وداع الشَّيطان، قال ﷻ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٨].

(٣) قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ:٣٩].

(٤) فَلْيَبْشَرْ: "فَلْيَفْرَحْ ولْيُسَرَّ". لسان العرب، وينظر: تاج العَرُوس، مادَّة: (بشر).

(٥) فاطر: ٦

العبدُ أَيَّ الأَمْرينِ أَليَقَ بهِ.

وخَتَمَ الآيةَ بالإِخبارِ بأَنَّهُ: ﴿وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾؛ أَيْ: واسعُ الصِّفاتِ، كثيرُ الهِباتِ.

﴿عَلِيمٌ﴾: بِمَن يَستحِقُّ المضاعَفةَ؛ مِن العامِلِينَ المخلِصينَ الصَّادِقينَ، وعَلِيمٌ بمَن هو أَهلٌ لذلكَ؛ فيُوفِّقُهُ لِفِعلِ الخيراتِ، وتركِ المنكراتِ.

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾(١).

المرادُ بالصَّدقاتِ هنا: الزَّكاةُ.

فهؤلاءِ الثَّمانيةُ هم أَهلُها؛ إذا دُفعَتْ إلى جِهةٍ مِن هذهِ الجِهاتِ أَجزَأَتْ ووَقَعتْ مَوقِعَها، وإِنْ دُفِعتْ في غيرِ هذهِ الجِهاتِ لم تُجْزِ.

وهؤلاءِ المذكورون فِيها قِسمانِ:

- قِسْمٌ يَأْخذُ لحاجتِهِ؛ كالفقراءِ، والمساكينِ، والرِّقابِ، وابنِ السَّبيلِ، والغارِمِ لنفْسِهِ.

- وقِسْمٌ يَأْخذُ؛ لنفعِهِ العُموميِّ، والحاجةِ إِليهِ، وهم البقِيَّةُ.

فأَمَّا الفقراءُ، والمساكينُ فهُم خلافُ الأَغنياءِ(٢).

والفَقيرُ أَشدُّ حاجةً مِن الْمِسكينِ؛ لأَنَّ اللهَ بدأَ بهِ(٣)، والأَهمُ مقدَّمٌ في الذِّكرِ غالبًا(٤)، ولكنَّ الحاجَةَ تجمَعُ الصِّنفَينِ.

﴿وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا﴾: وهم السُّعاةُ الذين يَجْبُونَها، ويَكتُبونَها، ويَحفظُونَها، ويَقسِمونَها على أَهلِها،

---

(١) التوبة: ٦٠

(٢) وفي الفرق بينهما أَقوال:

فقِيل: الفقير: المحتاج المتعفِّف عن المسأْلة، والمسكين: المحتاج السَّائل، ورجَّحه ابن جرير رحمه الله.

وقِيل: الفقير: المريض المحتاج، والمسكين: الصَّحيح المحتاج.

وقِيل: الفقراء: فقراء المهاجرين، والمساكين: من لم يهاجر من المسلمين، وهو محتاج.

وقِيل: الفقير: من المسلمين، والمسكين: من أَهل الكتاب.

وقِيل: الفقير هو أَشدُّ حاجة من المسكين، وهو قول الشَّافعيِّ رحمه الله.

ينظر: جامع البيان، (١٤/٣٠٥-٣٠٩)، ومعالم التَّنزيل، (٢/٣٥٩-٣٦٠)، وتفسير القرآن العظيم، (٤/١٦٥-١٦٦).

(٣) نصَّ عليه ابن كثير رحمه الله في تفسير القرآن العظيم، (٤/١٦٥).

(٤) من عادة العرب إِذا أَخبرَت عن مُخْبَر -وأَناطت به حُكمًا- وقد يَشركه غيره في ذلك الحكم، أَو فيما أُخبِر به عنه، وقد عَطَفَتْ أَحدَهما على الآخر بالواو فإِنَّهم -مع ذلك- يبدؤون بالأَهم والأَولى. ينظر: البُرهان، للزَّرْكَشِي، (٣/٢٣٥).

فهُم يُعطَونَ -ولو كانوا[١] أَغنياءَ-؛ لأَنَّها بمَنْزِلةِ الأُجْرةِ في حقِّهِم[٢].

﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾: وهم ساداتُ العشائرِ، والرُّؤساءُ؛ الذين إذا أُعطوا حصَلَ في إعطائِهِم مصلحةٌ للإِسلامِ والمسلِمِينَ؛ إمَّا دفْعُ شرِّهِم عن المسلِمِينَ؛ وإمَّا رجاءُ إِسلامِهِم، وإِسلامِ نُظرائِهِم، أَو جبايتُها ممَن لا يُعطِيها، أَو يُرجى قوَّةُ إيمانِهِم[٣].

﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾؛ أَيْ: في فَكِّها مِن الرِّقِّ؛ كإِعانةِ المكاتَبِينَ، وكبذلِها في شراءِ الرِّقابِ لِعتقِها، وفي فكِّ الأُسارَى مِن المسلِمِينَ عندَ الأَعداءِ[٤].

﴿وَٱلْغَـٰرِمِينَ﴾: للإِصلاحِ بيْنَ النَّاسِ -إِذا كان الصُّلحُ يَتَوقَّفُ على بذلِ مالٍ- فَيُعانُونَ على القيامِ بهذهِ الْمُهمَّةِ، والمصلحةِ العظيمةِ، وهي الإِصلاحُ بيْنَ النَّاسِ، ولو أَغنياءَ[٥].

ومِن الغَارِمينَ: مَن رَكِبتهُم دُيونٌ للنَّاسِ، وعَجَزُوا عن وفائِها، فيُعانُونَ مِن الزَّكاةِ لوفائِها[٦].

﴿وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ أَيْ: بذلِها في إِعانةِ المجاهِدِينَ؛ بالزَّادِ[٧]، والمزَادِ[٨]، والمركوبِ، والسِّلاحِ ونحوِها؛ ممَّا فيهِ إِعانةُ المجاهِدِينَ[٣٩].

ومِن الجهادِ التَّخَلِّي[٩]؛ لطلبِ العِلْمِ الشَّرعيِّ، والتَّجرُّدِ للاشتغالِ بهِ[١٠].

---

(١) "كانوا"، ليست في: (س)، وهي أَوضح للمعنى.

(٢) ينظر: معالم التَّنزيل، (٣٦١/٢)، والتَّسهيل لعلوم التَّنزيل، (٣٤١/١)، وتفسير القرآن العظيم، (١٦٧/٤).

(٣) نصَّ على ذلك عدد من المفسِّرين. ينظر: معالم التَّنزيل، (٣٦١/٢)، وتفسير القرآن العظيم، (١٦٧/٤)

(٤) ينظر: الكشف والبيان، (٥٢/٢)، وتفسير القرآن العظيم، (١٦٨/٤)، ومعالم التَّنزيل، (٣٦١/٢).

(٥) أَخرج مسلم في صحيحه، كتاب الزَّكاة، باب مَن تحلُّ لَهُ المسأَلة، (٧٢٢/٢) ح (١٠٤٤)، عن قَبِيصَةَ بن مُخَارِقٍ الْهِلَالِيِّ ﷺ، قال: تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً، فأَتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ أَسأَله فيها، فقال: ((أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ، فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا)، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: (يَا قَبِيصَةُ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدِ ثَلَاثَةٍ: رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالَةً، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا، ثُمَّ يُمْسِكُ. . .)).

(٦) قال ابن كثير ﷺ: "وأَمَّا الغارمون: فهم أَقسام: فمنهم مَن تحمَّل حمالة، أَو ضمن دينًا فلزمه، فأَجحف بماله، أَو غَرم في أَداء دَينه، أَو في معصية ثمَّ تاب، فهؤلاء يدفع إِليهم". تفسير القرآن العظيم، (١٦٨/٤).

(٧) الزَّادُ: الطَّعام الذّي يُتَّخذ للسَّفر والحضر. ينظر: العين، والصِّحاح، مادَّة: (زود).

(٨) الْمَزادُ: الوعاء الذي يُجعل فيه الزَّاد. ينظر: المرجع السَّابق.

(٩) التَّخَلِّي: "التَّفَرُّغ، يقال: تَخَلَّى للعبادة، وهو تَفَعُّلٌ مِن الخُلُوِّ". لسان العرب، مادَّة: (خلا).

(١٠) يُقال في هذه المسأَلة ما قِيل في: (ص:٦)؛ فالمتفرِّغ للعلم الشَّرعيِّ يُعطى مِن الزَّكاة ما يحتاج إِليه؛ مِن نفقة وكِسوة، وطعام ومَسكن، وكتب علم. ينظر: مجموع فتاوى ورسائل العُثَيْمِين، (٣٣٧/١٨).

﴿وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: وهو الغَريبُ المنقَطِعُ بهِ في غيرِ بلدِهِ، فَيُعانُ على سَفَرِهِ مِن الزَّكاةِ[(١)].

فاللهُ -تعالى- فرضَها لهؤلاءِ الأَصنافِ، بحسَبِ حِكمتِهِ وعِلمِهِ، ووضعِهِ الأَشياءَ مواضِعَها؛ فإِنَّ سَدَّ الكِفَاياتِ، وقيامَ المصالحِ العُموميَّةِ النَّافعةِ مِن الفُروضِ على المسلِمِينَ.

وهي على أَهلِ الأَموالِ شُكْرٌ مِنهم لِلَّهِ -تعالى- على نعمتِهِ بالمالِ، وتَطهيرٌ لهم ولَها، ونَماءٌ وبرَكةٌ، واتِّصافٌ بصفاتِ الأَخيارِ، وسلامةٌ مِن نُعوتِ الأَشْرارِ.

(١) نصَّ عليه ابن كثير رحمه الله في تفسير القرآن العظيم، (١٦٩/٤).

فَصْلٌ: في الطَّهارَةِ بالماءِ والتَّيمُّمِ:

قال اللهُ تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾(١).

هذهِ الآياتُ جمعَ اللهُ فيها أَحكامَ طهارةِ الماءِ، وطهارةِ التَّيمُّمِ، والتَّنبيهَ على شُروطِهما، وبيانَ كَيفياتِهما، وذكَرَ فوائدَ ذلكَ، وثمراتِهِ الطَّيِّبةَ؛ فبيَّنَ فِيها الأَحكامَ، وحِكَمَها وأَسرارَها، وهي أَحكامٌ كثيرةٌ تُستفادُ مِن هذا الموضعِ.

مِنها: أَنَّ الطَّهارةَ مِن الحدَثَينِ شرطٌ لصحَّةِ الصَّلاةِ؛ لقولِهِ: ﴿إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾(٢).

ومِنها: أَنَّ ذلكَ عامٌ للفرائضِ مِن الصَّلواتِ والنَّوافلِ؛ فكلُّ ما يُسمَّى صلاةً فلا بدَّ فيهِ مِن هذهِ الطَّهارةِ.

ومِنها: اشتراطُ النِّيَّةِ للطَّهارةِ؛ لقولِهِ: ﴿إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾؛ أَيْ: لأَجْلِ الصَّلاةِ؛ فإِنَّ المتطهِّرَ إِمَّا أَنْ ينويَ رفعَ ما عليهِ مِن الأَحداثِ، أَو ينويَ الصَّلاةَ ونحوَها مِمَّا يَحتاجُ إِلى الطَّهارةِ، أَو ينويَهما.

ومِنها: أَنَّ غسلَ هذهِ الأَعضاءِ لا بدَّ مِنهُ في الحدَثِ الأَصغرِ(٣).

---

(١) المائدة: ٦

س: "قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾".

(٢) س: "﴿إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾، الخ".

(٣) أخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الوضوء، باب لا تقبل صلاة بغير طُهور، (٣٩/١) ح (١٣٥)، واللَّفظ لَهُ، ومسلم في صحيحه، كتاب الطَّهارة، باب وجوب الطَّهارة للصَّلاة، (٢٠٤/١) ح (٢٢٥)، عن أَبي هريرةﷺ، قال قال رسول اللهﷺ: ((لَا تُقْبَلُ صَلَاةُ مَنْ أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ)).

فحَدُّ الوجْهِ؛ ما يَدخلُ في مُسمَّاهُ، وما تحصُلُ بهِ المواجَهةُ، وذلكَ مِن الأُذُنِ إلى الأُذُنِ عَرضًا، ومِن منابتِ شعرِ الرَّأسِ إلى ما انحدرَ مِن اللَّحيَينِ(١)، والذَّقنِ(٢) طولًا معَ مُستَرسِلِ اللِّحيةِ؛ لأنَّ هذا هو الذي تحصلُ بهِ المواجهةُ(٣).

وأمَّا اليدانِ فقد حدَّهما اللهُ إلى الْمِرْفَقَينِ، فقالَ العلماءُ: إنَّ ﴿إِلَى﴾: بمعنى: معَ الْمِرفقَينِ؛ وأيَّدُوا هذا بأنَّ النَّبيَّ ﷺ: ((أَدَارَ الْمَاءَ عَلَىٰ مِرْفَقَيْهِ))(٤)، وكذلِكَ يُقالُ في الرِّجْلَينِ: ﴿إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾.

وأمَّا الرَّأْسُ فإنَّهُ يتعيَّنُ استيعابُ مَسْحِهِ؛ فإنَّ اللهَ أمرَ بمسحِهِ، والبَاء لِلإلصاقِ(٥)؛ الذي يَقتضِي إلصاقَ المسحِ بهذا الممسوحِ، وليستْ للتَّبعيضِ(٦).

ومِنها: أنَّ التَّرتيبَ بيْنَ هذهِ الأعضاءِ الأربعةِ شرطٌ؛ لأنَّ اللهَ رتَّبَها؛ وأدخلَ عضوًا ممسوحًا بيْنَ الأعضاءِ المغسولةِ، ولا يُعلَمُ لهذا فائدةٌ سِوى التَّرتيبِ؛ وعُمومِ قولِهِ ﷺ: ((أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ))(٧)؛ وإنْ(٨) كانَ واردًا في الحَجِّ، فإنَّهُ يَعمُّ كلَّ شَيءٍ؛ معَ أنَّ جميعَ الواصِفِينَ لوُضوئِهِ ﷺ ذكرُوهُ

---

(١) اللَّحْيَانِ: "العظمان اللَّذان فيهما منابت الأسنان". العين، وتهذيب اللُّغة، مادَّة: (لحى).

(٢) الذَّقَنُ: "مُجتمع اللَّحْيَين مِن أسفلهما". القاموس المحيط، وتاج العَرُوس، مادَّة: (ذقن).

(٣) الْمُوَاجَهَةُ: الْمُقابَلَة. مُختار الصِّحاح، مادَّة: (و ج هـ).
وهذا التَّحديد الذي ذكره المؤلِّف للوجه نصَّ عليه عدد مِن العلماء رحمهم الله. ينظر: الحاوي الكبير، للماوَرْدِي، (١٠٧/١)، وتفسير القرآن العظيم، (٤٧/٣)، والمبدع في شرح المقنع، لابن مُفْلِح، (١٠١/١).

(٤) أخرجه الدَّارَقُطْنِيُّ في سننه، (١٤٢/١) ح (٢٧٢)، والبَيْهَقِيُّ في السُّنن الكبرى، (٩٣/١) ح (٢٥٦) عن جابر رضي الله عنه.
وفيه: ابن عقيل، قال الدَّارَقُطْنِيُّ رحمه الله: "ليس بقويٍّ"، وصحَّحه الألبانيُّ رحمه الله في صحيح الجامع، (٨٥٨/٢) ح (٤٦٩٨).
وأخرج مسلم في صحيحه، كتاب الطَّهارة، باب استحباب إطالة الغُرَّة والتَّحْجِيْل في الوضوء، (٢١٦/١) ح (٢٤٦)، عَنْ نُعَيْمِ بْنِ عبداللهِ الْمُجْمِرِ، قَالَ: "رَأَيْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَتَوَضَّأُ فَغَسَلَ وَجْهَهُ فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي الْعَضُدِ، ثُمَّ يَدَهُ الْيُسْرَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي الْعَضُدِ، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي السَّاقِ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُسْرَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي السَّاقِ، ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ".

(٥) الإِلْصَاقُ: ويُقَال الإِلْزَاقُ، هو المعنى الأصلي للباء، "وسَمَّاها النَّحويون بذلك، لأنَّها تُلصِق ما قبلها بما بعدها". المحكم والمحيط الأعظم، ولسان العرب، مادَّة: (لصق)، وينظر: أوضح المسالك إلى ألفيَّة ابن مالك، لابن هشام، (٣٢/٣).

(٦) الخِلاف في مِقدار ما يُمسح مِن الرَّأس بناء على معنى الباء في الآية، وما ورد مِن آثار: فقِيل: للإلصاق، وهو الأظهر وعليه الأكثرون، أيْ: ألصقوا أيديكم برؤوسكم، وقِيل: للتَّبعيض، فيجزئ مسح بعضه، ولكلٍ حُجَّةٌ واستدلالٌ.
ينظر: وأحكام القرآن، للطَّحاوي، (٧٧/١)، وأحكام القرآن، لابن العربي، (٦٤/٢) والمغني، لابن قُدامة، (٩٣/١).

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحجِّ، باب حجَّة النَّبيِّ ﷺ، (٨٨٦/٢) ح (١٢١٨)، عن جابر رضي الله عنه.

(٨) س: "فهو وإنْ".

مُرَتَّبًا[١].

ومِنها: أَنَّ الْمُوالاةَ[٢] شَرْطٌ -أَيضًا-؛ ووجْهُ ذلكَ[٤٠]: أَنَّ اللهَ -تعالى- ذَكَرَ الوُضوءَ مُقترِنًا -بعضُ الأَعضاءِ ببعضٍ- بالواوِ الدَّالَّةِ على اجتماعِ هذهِ العِبادةِ بوقتٍ واحدٍ، فإذا فرَّقها في وقتينِ لم تكنْ عِبادةً واحدةً؛ كما لو فرَّقَ الصَّلاةَ[٣]؛ وبفعلِ النَّبيِّ ﷺ الدَّائمِ الذي كأَنكَ تُشاهِدُهُ أَنَّهُ كان يُوالِي بيْنَ أَعضاءِ وُضُوئِهِ، وهذا أَوْلَى مِن استدلالِ كثيرٍ مِن أَهلِ العِلْمِ بقصَّةِ صاحبِ اللُّمْعةِ، الذي أَمرَهُ النَّبيُّ ﷺ أَنْ يُعيدَ الوُضوءَ كلَّهُ[٤]، فهو وإِنْ كان فيهِ بعضُ الدِّلالةِ على هذهِ المسأَلةِ، لكنْ يُحتَملُ أَنَّ أَمْرَهُ بالإِعادةِ كأَمرِ الْمُسِيءِ[٥] في صلاتِهِ أَنْ يُعيدَ[٦]؛ لأَنَّهُ رآهُ مُخِلًّا بوُضُوئِهِ، غيرَ مُتمِّمٍ لَهُ.

ومِنها: بيانُ الطَّهارةِ الكُبرى؛ كيفيتِها، وذِكرِ سببِها؛ فكيفيَّتُها أَنْ يُطهِّرَ العبدُ جميعَ ظاهرِ

---

(١) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الوُضوء، باب مسح الرَّأْس كلِّه، (٤٨/١) ح (١٨٥)، "عَن عَمرِو بن يَحْيَى الْمَازِنِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَجُلًا، قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه، وَهُوَ جَدُّ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُرِيَنِي، كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ: نَعَمْ، فَدَعَا بِمَاءٍ، فَأَفْرَغَ عَلَى يَدَيْهِ فَغَسَلَ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ مَضْمَضَ وَاسْتَنْثَرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا، ثُمَّ غَسَلَ يَدَيْهِ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ بِيَدَيْهِ، فَأَقْبَلَ بِهِمَا وَأَدْبَرَ، بَدَأَ بِمُقَدَّمِ رَأْسِهِ حَتَّى ذَهَبَ بِهِمَا إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ رَدَّهُمَا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي بَدَأَ مِنْهُ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ".

(٢) الْمُوَالَاةُ: "أَنْ يغسل العضو الثَّاني قبل أَنْ يجفَّ الماء عن الذي قبله في الزَّمن المعتدل، أَو مقداره مِن الشِّتاء والصَّيف". شرح العُمدة، لابن تَيميَّة، (٢٠٩/١).

(٣) فلا يصحُّ تفريق الوُضوء كما لا يصحُّ تفريق ركعات الصَّلاة، وقد أَطال ابن تَيميَّة رحمه الله في بيان حكم الموالاة في الوُضوء، وأَقوال العلماء فيها، ورجَّح وجوبها إِلَّا على العاجز، الذي لا يتمكَّن مِن الموالاة؛ لقلَّة الماء، أَو اغتصابه منه، أَو لكون الأُنبوب أَو البئر لم يحصل لَهُ منه الماء إِلَّا متفرِّقًا ونحو ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦]. ينظر: مَجْمُوع الفَتاوَى، (١٣٥/٢١-١٤٦).

(٤) أَخرج أَبو داود في سننه، كتاب الطَّهارة، باب تفريق الوُضوء، (٤٥/١) ح (١٧٥) عن خالد بن مَعْدَان، عن بعض أَصحاب النَّبيِّ ﷺ، ((أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَجُلًا يُصَلِّي، وَفِي ظَهْرِ قَدَمِهِ لُمْعَةٌ قَدْرُ الدِّرْهَمِ، لَمْ يُصِبْهَا الْمَاءُ فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُعِيدَ الْوُضُوءَ وَالصَّلَاةَ)).

قال ابن كثير رحمه الله: "وهذا إِسناد جيِّد قويٌّ". تفسير القرآن العظيم، (٥٦/٣).

وصحَّحه الأَلبانيُّ رحمه الله في إِرواء الغَلِيْل، (١٢٧/١) ح (٨٦).

(٥) هو خلَّاد بن رافع الأَنصاريِّ رضي الله عنه. ينظر: فَتْح البَارِي، لابن حَجَر، (٤٥١/١)، وإِرشاد السَّاري، (٣٧٥/١).

(٦) أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب الأَذان، باب وجوب القراءة للإِمام والمأْموم في الصَّلوات كلِّها، في الحضر والسَّفر، وما يُجْهر فيها وما يُخَافَت، (١٥٢/١) ح (٧٥٧)، ومسلم في صحيحه كتاب الصَّلاة، باب اقرأْ ما تيسَّر معك مِن القرآن، (٢٩٨/١) ح (٣٩٧)، عن أَبي هريرة رضي الله عنه.

بدَنِهِ بالماءِ؛ لقولِهِ: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ﴾: فلمْ يخُصُّهُ بعضوٍ أَو بأَعضاءٍ معيَّنةٍ، بل جعلَ اللهُ التَّطهيرَ لجميعِ البَدَنِ، فعَلى الْمُتَطهِّرِ أَنْ يُعمِّمَ التَّطهيرَ لجميعِ ظاهرِ بدَنِهِ، وما تحتَ الشُّعورِ -خَفيفةً أَو كَثيفةً- وأَنْ يكونَ ذلكَ غَسلًا لا مَسْحًا(١).

ومِنها: أَنَّ طهارةَ الحدَثِ الأَكبرِ لا ترتيبَ فِيها، ولا مُوالاةَ.

ومِنها: أَنَّ مِن أَسبابِها الجَنابةَ.

والجَنابةُ قد عرفَها المسْلمون عن نبيِّهمﷺ أَنَّها: إنزالُ المنيِّ يقظةً أَو منامًا، وإنْ لم يكنْ جِماعٌ، أَو الجِماعُ وإنْ لم يَحصلْ إنزالٌ، أَو وُجودُ الأَمرينِ كِليْهِما.

وقد بيَّنَ اللهُ -أَيضًا في سُورةِ البقرةِ- سَببًا آخرَ للاغتسالِ؛ وهو الحَيضُ، في قولِهِ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾(٢)؛ فأَضافَ التَّطهيرَ فِيها إِلى البَدَنِ كلِّهِ؛ كالجنابَةِ، ويَشملُ ذلكَ النِّفاسَ.

وأَمَّا التَّطهيرُ مِن إِسلامِ الكافرِ(٣)، وتَغسيلِ(٤) الميْتِ(٥)، فإِنَّهُ يؤْخذُ مِن السُّنَّةِ.

---

(١) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الغسل، باب تخليل الشَّعر، حتَّى إذا ظنَّ أنَّه قد أَرْوى بشرته أَفاض عليه، (٦٣/١) ح (٢٧٢)، عن عائشةَرضي الله عنها، قالت: كان رسول اللَّهﷺ، ((إِذَا اغْتَسَلَ مِنَ الجَنَابَةِ، غَسَلَ يَدَيْهِ، وَتَوَضَّأَ وُضُوءَهُ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اغْتَسَلَ، ثُمَّ يُخَلِّلُ بِيَدِهِ شَعَرَهُ، حَتَّى إِذَا ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ أَرْوَى بَشَرَتَهُ، أَفَاضَ عَلَيْهِ الْمَاءَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ غَسَلَ سَائِرَ جَسَدِهِ)).

(٢) البقرة: ٢٢٢

(٣) أَخرج أَحمد في مسنده، (٢١٦/٣٤) ح (٢٠٦١١)، وأَبو داود في سننه، كتاب الطَّهارة، باب في الرَّجل يُسْلِم فيؤمر بالغسل، (٩٨/١) ح (٣٥٥)، والتِّرمذي في سننه، باب في الاغتسال عندما يُسْلِم الرَّجل، (٥٠٢/٢) ح (٦٠٥) والنَّسائيُّ في سننه، كتاب الطَّهارة، باب غسل الكافر إذا أَسلم، (١٠٩/١) ح (١٨٨)، عن قَيس بن عاصمرضي الله عنه: ((أَنَّهُ أَسْلَمَ، فَأَمَرَهُ النَّبِيُّﷺ أَنْ يَغْتَسِلَ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ)).
حسَّنه التِّرمذيُّ، وقال الأَلبانيُّ: "هذا إِسناد صحيح، رجاله كلُّهم ثقات". صحيح أَبي داود، (١٩٣/٢).

(٤) س: "تَطهير".

(٥) أَخرج أَحمد في مسنده، (٣٦٨/١٥) ح (٩٦٠١) وابن ماجه في سننه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في غسل الميت، (٤٧٠/١) ح (١٤٦٣)، والتِّرمذيُّ في سننه، باب ما جاء في الغسل من غسل الميت، (٣٠٩/٣) ح (٩٩٣)، عن أَبي هُرَيْرَةَرضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّﷺ قَالَ: ((مَنْ غَسَّلَ مَيِّتًا فَلْيَغْتَسِلْ)).
قال التِّرمذيُّ: "وفي الباب عن عليٍّ، وعائشة. حديث أَبي هريرة حديث حسن، وقد رُوي عن أَبي هريرة موقوفًا". سنن التِّرمذيِّ، (٣٠٩/٣-٣١٠)
وقال البَيْهَقِيُّ: "وقال ابن حنبل، وعليٌّ: لا يصحُّ في هذا الباب شيء". السُّنن الكبرى، (٤٥٠/١).

ومِنها: ما استدلَّ بِهِ كثيرٌ مِن أَهلِ العِلْمِ في قِراءةِ الجرِّ(١)؛ في قولِهِ: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلِكُمۡ﴾: أَنَّها تدلُّ على مسحِ الخُفَّينِ(٢)؛ الذي بَيَّنَتهُ السُّنَّةُ، وصرَّحتْ بِهِ(٣).

وأَمَّا قِراءةُ النَّصْبِ(٤) في: ﴿أَرۡجُلَكُمۡ﴾؛ فإِنَّها معطوفةٌ على المغسولاتِ(٥).

ومِنها: مَشروعيَّةُ التَّيمُّمِ، وأَنَّ سببَهُ أَحدُ أَمرَينِ:

- إِمَّا عدمُ الماءِ؛ لِقولِهِ: ﴿فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ﴾.

- أَو التَّضرُّرُ باستعمالِهِ؛ لِقولِهِ: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ﴾؛ فكلُّ ضررٍ يعتري العبدَ إِذا استعملَ الماءَ فإِنَّهُ يَسوغُ لَهُ العُدولُ إِلى التَّيمُّمِ، وأَنواعُ الضَّررِ كثيرةٌ(٦).

وأَمَّا ذِكرُ السَّفرِ؛ فلأَنَّهُ مَظِنةُ الحاجَةِ إِلى التَّيمُّمِ؛ لفقْدِ الماءِ؛ كتقييدِ الرَّهنِ في السَّفرِ(٧)، لا

---

(١) قرأَ بها أَبو جعفر، وأَبو عمرو، وابن كثير، وعاصم في رواية أَبي بكر، وحمزة، وخَلَف رحمهم الله، عطفًا على: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾. ينظر: السَّبعة في القراءات، (ص:٢٤٢)، والنَّشر في القراءات العشر، لابن الجزَري، (٢/٢٥٤).

(٢) ذكره ابن رُشْد، والعَيْنِيُّ، وابن مُفلح رحمهم الله. ينظر: البيان والتَّحصيل، لابن رُشْد، (١/١٢٠)، والبِناية شرح الهداية، للعَيْنِي، (١/١٥٨)، والمبدِع في شرح المقنِع، (١/١١٣).

(٣) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، باب إِذا أَدخل رجليه وهما طاهرتان، (١/٥٢) ح (٢٠٦)، ومسلم في صحيحه، باب المسح على الخفَّين، (١/٢٣٠) ح (٢٧٤)، عن الْمُغيرة بن شُعبة رضي الله عنه، قال: "كنت مع النَّبيِّ ﷺ في سفر، فأَهْوَيْتُ لِأَنْزِعَ خُفَّيْه، فقال: ((دَعْهُمَا، فَإِنِّي أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ))، فَمَسَحَ عَلَيْهِمَا".
وأَحاديث المسح على الخُفَّين متواترة. ينظر: مَجْمُوع الفَتاوَى، (٢١/١٢٨)، وإِعلام الموقِّعين، (٢/٢٣١)، وشرح الطَّحاويَّة، لا بن أَبي العزِّ، (ص:٣٧٩).
وأَهل السُّنَّة يذكرون المسح على الخفين في كتب العقيدة، مع أَنَّه مبحث فِقهي؛ لإِنْكار أَهل البدع لَهُ. ينظر: شرح العقيدة الطَّحاويَّة، للبرَّاك، (ص:٢٨١).

(٤) قرأَ بها نافع، وابن عامر، وعاصم في رواية حفص، والكِسَائي، ويعقوب رحمهم الله. ينظر: السَّبعة في القراءات (ص:٢٤٢)، والنَّشر في القراءات العشر، (٢/٢٥٤).

(٥) قال ابن حَجَر رحمه الله: "وقد تواترت الأَخبار عن النَّبيِّ ﷺ في صفة وُضوئه أَنَّه غسل رجليه، وهو المبيِّن لأَمر الله... ولم يَثْبت عن أَحد مِن الصَّحابة خلاف ذلك، إِلَّا عن عليٍّ، وابن عبَّاس، وأَنس، وقد ثبت عنهم الرُّجوع عن ذلك، قال عبدالرَّحمن بن أَبي ليلى: أَجمع أَصحاب رسول الله ﷺ على غسل القَدَمين". فَتْح البَارِي، (١/٢٦٦).

(٦) منها المرض؛ كالْمَجْدُور والمجروح الذي يتضرَّر باستعمال الماء، وكالخوف مِن الضَّرر؛ لبرد شديد، أَو عَطَشِ نفسِه أَو مالِه أَو رفيقه، ومن لا يقدر على تحصيله إِلَّا بضرر في نفسه أَو ماله؛ كَمَن بينه وبين الماء سَبُع أَو حريق أَو فُسَّاق. ينظر: شرح العُمدة، لابن تَيميَّة، (١/٤٢٢).

(٧) في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞ﴾ [البقرة:٢٨٣].

لأَنَّ السَّفرَ وحدَهُ مُسوِّغٌ للتَّيمُّمِ، كما ظَنَّهُ بعضُ النَّاسِ(١)، وهو مُنافٍ لقولِهِ: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾.

ومِنها: أَنَّ التَّيمُّمَ بكلِّ ما تصاعَدَ على وجْهِ الأَرضِ، سواء كانَ لَهُ غبارٌ أَم لا؛ إذا كان طيِّبًا غيرَ خبيثٍ، والخبيثُ هو النَّجِسُ في هذا الموضِعِ(٢).

ومِنها: أَنَّ التَّيمُّمَ خاصٌّ بعُضوَينِ؛ بالوجْهِ واليَدَينِ.

وأَنَّ اليَدينِ -عند الإطلاقِ، وعدمِ التَّقييدِ- هما الكفَّانِ؛ كمَا في آيةِ السَّرِقةِ(٣)، وإذا قُيِّدَتْ؛ -كمَا في آيةِ الوُضوءِ: إلى الْمِرفقَينِ(٤)- تَقيَّدتْ بذلكَ.

ومِنها: التَّنبيهُ على ما يُوجِبُ الطَّهارَةَ الصُّغرَى، وهو الإتيانُ مِن الغائطِ، يَعنِي: خروجَ الخارجِ مِن أَحدِ السَّبيلَينِ[٤١]، ومُلامسةُ النِّساءِ لشَهوةٍ(٥)، والسُّنَّةُ بيَّنتِ الوُضوءَ مِن النَّومِ الكَثيرِ(٦)، ولَمْسِ الفرجِ، وأَكلِ لحومِ الإبلِ، على اختلافٍ مِن أَهلِ العِلْمِ في ذلكِ(٧).

ومِنها: أَنَّ التَّيمُّمَ كما أَنَّهُ مشروعٌ في الحدَثِ الأَصغرِ، فكذلكَ في الحدثِ الأَكبرِ؛ لأَنَّ اللهَ -تعالى- ذَكَرَهُ بعدَ سبَبِ الطَّهارَتينِ.

---

(١) كالحسن، وعَطَاء، ويوسف، وزُفَر رحمهم الله. ينظر: الجامع لأَحكام القرآن، (٥/٢١٨)، والحاوي الكبير، (١/٢٦٧)، والمجموع شرح المهذَّب، للنَّوَوِيِّ، وتكملته للسُّبْكِي والْمُطِيعيّ، (٢/٣٢٢).

(٢) لَفظ الخَبيث في القرآن لَهُ عدَّة مَعانٍ منها: الكافر، والنَّجس، والرَّديء، وغيرها. ينظر: الوجوه والنَّظائر، للْعَسْكَرِي، (ص:٢١٠-٢١١)، ونُزْهة الأَعيُن النَّواظر، لابن الجوزي، (ص:٢٧٠-٢٧١)، والخبيث والطَّيب في ضوء القرآن الكريم، ماجستير، لمحقِّق هذا الكتاب: عبدالعزيز الرُّبعي- جامعة القصيم، (١٤٣٣هـ).

(٣) قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة:٣٨].

(٤) الظَّاهر أَنَّ المؤلِّف رحمه الله يقصد عنوان الآية، لا نصَّها، فإنْ كان يقصد لفظ الآية فهي: ﴿إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ [المائدة:٦].

(٥) لقراءة ابن مسعود رضي الله عنه، وقرأَ بها حمزة، والكسائيُّ: ﴿أَوْلَمَسْتُمُ ٱلنِّسَاءَ﴾ [المائدة:٦]، والرَّاجح عدم النَّقض إلَّا إنْ خرج منه شيء؛ فيكون النَّقض بما خرج لا باللَّمس، والمراد بالآية الجماع. ينظر: السَّبعة في القراءات، (ص:٢٣٤)، والجامع لأَحكام القرآن، (٥/٢٢٣-٢٢٨)، وشرح العُمدة، لابن تَيميَّة، (١/٣١٣-٣١٩)، والشَّرح الْمُمْتِع، (١/٢٨٦-٢٩١).

(٦) حَدُّ النَّوم الكثير مختلف فيه، والرَّاجح أَنَّه: ما غلب على العقل، وغطَّى القلب؛ فلا يحسُّ النَّائم بشأْنه، ولا بمن حوله. ينظر: الجامع لأَحكام القرآن، (٥/٢٢٠-٢٢٣)، والشَّرح الْمُمْتِع، (١/٢٧٧-٢٧٨).

(٧) اتَّفق العلماء على أَنَّ الخارج مِن السَّبيلين والنَّوم ناقضان للوضوء، واختلفوا في حدِّ النَّوم النَّاقض للوضوء، وفي ملامسة النِّساء لشهوة، وفي لَمْسِ الفرج، وأَكل لحومِ الإبل. ينظر خلافهم في مَعالم التَّنزيل، (١/٦٣١-٦٣٥)، والجامع لأَحكام القرآن، (٥/٢٢٠)، ولُباب التَّأْويل، (١/٣٨٠- ٣٨٢)، وتفسير القرآن الحكيم، (٦/٢١١-٢١٤).

ومنها: أَنَّهُ في طهارةِ التَّيمُّمِ تَستوِي فيهِ الطَّهارةُ الصُّغرَى بالكُبرى؛ في مسحِ العُضوَينِ فَقَطْ.

ومنها: أَنَّ الآيةَ الكريمةَ تدلُّ على أَنَّ طهارةَ التَّيمُّمِ تنوبُ وتقومُ مَقامَ طهارَةِ الماءِ عندَ عدمِهِ، أَو التَّضرُّرِ باستعمالِهِ؛ لأَنَّ اللهَ أنابَهُ مَنابَهُ، وسَمَّاهُ طهارةً، وكذلكَ الأَحاديثُ الكثيرةُ تدلُّ على هذا؛ وبهذا يُعرَفُ أَنَّ الصَّحيحَ أَنَّ طهارةَ التَّيمُّمِ لا تَبطلُ بخروجِ وقتٍ، ولا دُخولِهِ، ولا غيرِ ذلكَ مِمَّا قالَهُ كثيرٌ مِن أَهلِ العِلْمِ[1]، بل إنَّها تَبطلُ بأَحدِ أَمرينِ:

- إمَّا حصولِ ناقضٍ مِن نواقضِ الطَّهارةِ.

- وإمَّا وجودِ الماءِ، أَو زوالِ الضَّررِ المانعِ مِن استعمالِ الماءِ.

ومنها: أَنَّ الماءَ المتغيِّرَ بالطَّاهراتِ -ولو تَغيُّرًا كثيرًا- أَنَّهُ يجبُ تقديمُهُ على طهارةِ التَّيمُّمِ؛ لأَنَّ قولَهُ: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾ نَكرةٌ في سِياقِ النَّفيِ[2]، فتعُمُّ[3] أَيَّ ماءٍ، سِوى الماءِ النَّجِسِ.

ومنها: ما استدلَّ بهِ كثيرٌ مِن أَهلِ العِلْمِ: أَنَّ مِن كانَ في موضعٍ ليسَ فيهِ ماءٌ، وهو يَشُكُّ في وجودِهِ فيما يُقارِبُهُ أَنَّ عليهِ أَنْ يطلُبَهُ، ويُفتِّشَ فيما حَولَهُ قَبْلَ أَنْ يَعدِلَ إِلى التَّيمُّمِ؛ لأَنَّ قولَهُ: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً﴾ لا يُقالُ إِلَّا بعدَ طلبِ ما يمكنُ طلبُهُ مِن دونِ مشَقَّةٍ، وهو استدلالٌ لطيفٌ[4].

ومنها: أَنَّهُ لا بُدَّ في الطَّهارةِ مِن النِّيَّةِ؛ لِقولِهِ في طهارةِ الماءِ: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ﴾...الخ، وفي طهارةِ التَّيمُّمِ: ﴿فَتَيَمَّمُواْ﴾ أَيْ: اقصِدُوا: ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾، ومِن لازِمِ ذلكَ النِّيَّةُ.

ومنها: أَنَّ هذهِ الأَحكامَ التي شرعَها اللهُ لعبادِهِ إِنَّما ذلكَ رحمةٌ منهُ بعبادِهِ؛ لِيقومُوا بالعباداتِ التي تَتوقَّفُ سعادتُهُم وفلاحُهُم عليها، وأَنَّهُ يريدُ إِتمامَ نعمتِهِ عليهِم بالأَوامرِ الشَّرعيَّةِ التي لا مَشقةَ فيها،

---

(١) كالنَّخعيِّ، والشَّعبيِّ، وقَتادة، ورَبيعة، ومالك، والشَّافعيِّ، وإِسحاق، واللَّيث، وأَحمد في روايةٍ ﷺ. ينظر: المدوَّنة، (١٤٧/١)، والحُجَّة على أَهل المدينة، لمحمَّد بن الحسن، (٤٨/١)، والأُم، (٦٤/١)، والْمُغْنِي، (١٩٣/١)، والجامع لأَحكام القرآن، (٢٣٥/٥).

(٢) النَّكرة إِذا جاءت بعد النَّفي فهي للعموم، كما تقرَّر ذلك في علم أُصول الفِقه، كما قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٤]، ينظر: المحصول، للرَّازي، (٣٤٣/٢)، وروضة النَّاظر، لابن قدامه، (١٣/٢).

(٣) س: "فيعمُّ". .

(٤) أَشار إِلى هذا الاستنباط الثَّعلبيُّ، والرَّازيُّ، والقُرْطُبِيُّ، والخازن، ولزوم طلب الماء هو مذهب مالك والشَّافعيِ ﷺ. ينظر: الأُم، (٦٢/١)، والكَشْف والبيان، (٣١٨/٣)، والكافي في فقه أَهل المدينة، لابن عبدالبرِّ، (١٨٣/١)، وتفسير الرَّازي، (٨٩/١٠)، والجامع لأَحكام القرآن، (٢٢٩/٥)، ولُباب التَّأْويل، (٣٨٣/١).

ولا حَرجَ؛ لِينالوا الفضلَ العظيمَ مِن ربِّهم، فمِنهُ التَّفَضُّل على عبادِهِ بالسَّببِ والْمُسَبَّبِ(١).

ومِنها: أَنَّ طهارةَ التَّيمُّمِ -وإِنْ لم يُشاهدْ فيها نَظافةٌ حِسِّيَّةٌ- فإِنَّ فيها طهارةً معنويَّةً، ناشئةً عن امتثالِ العبدِ لأَمرِ اللهِ ورَسولِهِ.

ومِنها: القاعدةُ الكُلِّيَّةُ في قولِهِ: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾، وأَنَّ الحرَجَ منفيٌّ شرعًا؛ في جميعِ ما شَرَعَهُ اللهُ لعبادِهِ(٢).

فأَصلُ العباداتِ في غايةِ السُّهولَةِ على المكلَّفِينَ، ثُمَّ إذا عَرَضتْ فيها عَوارضُ عجزٍ أَو مرضٍ، أَو تعذُّرٍ لبعضِ شُروطِها فإِنَّ الشَّارعَ يُخفِّفُها تخفيفًا يناسبُ ذلكَ العارِضَ(٣).

ومِنها: أَنَّ هذهِ الأَحكامَ وغيرَها مِن محاسنِ الدِّينِ الإِسلاميِّ؛ لِمَا فِيها مِن المنافعِ للعِبادِ في قلوبِهِم وأَبدانِهم وأَخلاقِهِم، والتَّقرُّبِ بِها إِلى اللهِ، والتَّوسُّلِ بِها إِلى ثوابِهِ العاجِلِ والآجِلِ.

فجميعُ الأَحكامِ مِن أَكبرِ الأَدلَّةِ على حُسنِ دينِ الإِسلامِ، وأَنَّهُ الدِّينُ الحقُّ الذي فيهِ الصَّلاحُ والإِصلاحُ، وأَنَّ سعادةَ الدُّنيا والآخرةِ مَنوطةٌ بهِ، مترَتِّبَةٌ عليهِ، فتأَمَّلْ أَحكامَ اللهِ، وما فِيها مِن الحِكَمِ والأَسرارِ، والمنافِعِ ودَفْعِ المضارِّ، تجدْ هذا مُشاهَدًا فِيها.

---

(١) فتفضَّل عليهم بما شرعه مِن أَحكام؛ رحمة بهم، وتفضَّل عليهم بالفضل العظم، والثَّواب الجزيل عليها.

(٢) مِن القواعد الكُلِّيَّة: "المشقَّة تجلب التَّيسير". الأَشباه والنَّظائر، للسُّبْكِي، (١/٤٩)، الأَشباه والنَّظائر، للسُّيُوطِي، (ص:٧)، والأَشباه والنَّظائر، لابن نُجَيْم، (ص:٦٤)، وشرح القواعد الفِقهيَّة، للزَّرقاء، (ص:١٥٧).

(٣) كالجمع بين الصَّلاتين لحاجة؛ كالمطر والمرض، وكالقصر للمسافر، وتعدُّد صفة صلاة الخوف، والفطر للصَّائم. وغيرها.

فَصْلٌ: في صَلاةِ الجُمُعَةِ والسَّفَرِ والأَذَانِ:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًاۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾(١) [٤٢].

يأْمرُ -تعالى- عبادَهُ المؤمنِينَ بالحضورِ لصلاةِ الجُمُعةِ، والمبادرةِ إليها مِن حينِ يُنادَى لَها.

والمرادُ بالسَّعيِ هنَا: الاهتمامُ بِها، وعدمُ الاشتغالِ بغيرِها، لا المرادُ بهِ العَدوُ؛ الذي نَهى عنهُ النَّبيُّ ﷺ عندَ الْمُضيِّ إلى الصَّلاةِ؛ فالمشيُ إلى الصَّلاةِ بسَكينةٍ ووقارٍ هو المرادُ بالسَّعيِ هنَا(٢).

﴿وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾؛ أَيْ: اترُكُوهُ في هذهِ الحالَةِ، التي أُمرتُم بالْمُضيِّ فِيها إلى الصَّلاةِ.

وإذا أُمَرَ بتركِ البيعِ الذي تَرغبُ فيهِ النُّفوسُ، وتحرَصُ عليهِ، فتَركُ غيرِهِ مِن الشَّواغِلِ مِن بابِ أَولى؛ كالصِّناعاتِ وغيرِها.

﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: حقائقَ الأُمورِ وثمراتِها.

وذلكَ الخَيرُ: هو امتثالُ أَمرِ اللهِ ورسولِهِ، والاشتغالُ بهذهِ الفريضةِ، التي هي مِن أَهمِّ الفرائضِ، واكتسابِ خيرِها وثوابِها، وما رتَّبَ الشَّارعُ على السَّعيِ لَها، والمبادرةِ والتَّقدُّمِ والوسائلِ، والْمُتمِّماتِ لَها مِن الخيرِ والثَّوابِ؛ ولِمَا في ذلكَ مِن اكتسابِ الفضائلِ، واجتنابِ الرَّذائلِ، فإنَّ مِن أَرذلِ الخِصالِ الحرصَ والجشعَ الذي يَحملُ العبدَ على تقديمِ الكسبِ الدَّنيءِ على الخيرِ الضَّروريِّ.

ومِن الخَيرِ: أَنَّ مَن قدَّمَ أَمرَ اللهِ، وآثرَ طاعتَهُ على هوى نفسِهِ، كان ذلكَ برهانَ إِيمانِهِ، ودليلَ رغبتِهِ، وإنابتِهِ إلى ربِّهِ، ((ومَنْ تركَ شَيْئًا للهِ عَوَّضَهُ اللهُ خَيْرًا مِنْهُ))(٣).

---

(١) الجمعة: ٩-١١

(٢) أخرج مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصَّلاة، باب استحباب إتيان الصَّلاة بوقار وسكينة، والنَّهي عن إتيانها سعيًا، (٤٢١/١) ح (٦٠٢)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ، قال: ((إِذَا ثُوِّبَ لِلصَّلَاةِ فَلَا تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ، وَأْتُوهَا وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ. . .)).

(٣) هذا معنى الحديث الذي أخرجه أحمد في مسنده، (١٧٠/٣٨) ح (٢٣٠٧٤)، أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا لِلَّهِ إِلَّا بَدَّلَكَ اللَّهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ)).

=

ومَن قدَّمَ هواهُ على طاعةِ مولاهُ فقد خسِرَ دينَهُ، وتَبعَ ذلكَ خسارةُ دُنياهُ.

وهذا الأَمرُ بتركِ البيعِ مؤقَّتٌ إلى انقضاءِ الصَّلاةِ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ لِطلَبِ المكاسِبِ المباحَةِ.

﴿وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾؛ أَيْ: ينبغي للمؤمِنِ الموفَّقِ وقتَ اشتغالِهِ في مكاسبِ الدُّنيا أَنْ يقصِدَ بذلكَ الاستعانَةَ على قيامِهِ بالواجباتِ، وأَنْ يكونَ مستعينًا باللهِ في ذلكَ، طالِبًا لفضلِهِ جاعلًا الرَّجاءَ والطَّمعَ في فضلِ اللهِ نُصْبَ عينيهِ؛ فإِنَّ التَّعلُّقَ باللهِ، والطَّمعَ في فضلِهِ مِن الإِيمانِ، ومِن العباداتِ.

ولَمَّا كان الاشتغالُ بالتِّجارةِ مَظِنَّةَ الغفلةِ عن ذِكرِ اللهِ وطاعتِهِ أَمرَ اللهُ بالإِكثارِ مِن ذِكرِهِ، فقال: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾؛ أَيْ: في حالِ قيامِكُم وقعودِكُم، وفي تصرُّفاتِكُم وأَحوالِكُم كلِّها؛ فإِنَّ ذكرَ اللهِ طريقُ الفَلاحِ؛ الذي هو الفوزُ بالمطلوبِ، والنَّجاةُ مِن الْمَرْهُوبِ.

ومِن المناسِبِ في هذا أَنْ يجعلَ المعاملةَ الحسَنةَ والإِحسانَ إلى الخَلقِ نُصْبَ عَينيهِ، فإِنَّ هذا مِن ذِكرِ اللهِ، فكلُّ ما قَرَّبَ إلى اللهِ فإِنَّهُ مِن ذِكرِهِ.

وكلُّ أَمْرٍ يحتَسِبُهُ العَبْدُ فإِنَّهُ مِن ذِكرِهِ؛ فإِذا نَصحَ في معاملتِهِ، وتركَ الغشَّ تقرَّبَ في هذهِ المعاملةِ إلى اللهِ؛ لأَنَّ اللهَ يحبُّها؛ ولأَنَّها تمنعُ العبدَ مِن المعاملةِ الضَّارةِ، وكلَّما سامحَ أَحدًا أَو حَابَاهُ[1] في ثمنٍ أَو مُثْمَنٍ، أَو تَيْسِيرٍ أَو إِنظارٍ أَو نحوِهِ فإِنَّهُ مِن الإِحسانِ والفضلِ، وهو مِن ذِكرِ اللهِ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾[2].

﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾؛ أَيْ: خرجوا مِن المسجدِ؛ حِرصًا على تلكَ التِّجارةِ واللَّهوِ، وتَركوا ذلكَ الخيرَ الحاضِرَ، حتَّى إِنَّهُم تركوا النَّبيَّ ﷺ قائمًا يَخطُبُ؛ وذلكَ لحاجتِهِم لتلكَ [٤٣] العِيرِ التي قَدِمَتِ المدينةَ[3]، وقَبْلَ أَنْ يَعلموا حقَّ العِلْمِ ما في ذلكَ مِن الذَّمِ، وسُوءِ الأَدبِ.

قال الأَلبانيُّ رحمه الله: "سنده صحيح على شرط مسلم". سلسلة الأَحاديث الضعيفة والموضوعة، (٦٢/١) ح (٥).

(١) حَابَاهُ: تساهل معه، واختصَّه. والحِبَاءُ: "عَطاء بلا مَنٍّ ولا جزاءٍ، تقول حَبَوْتُه أَحْبُوه حِبَاءً، ومنه اشْتُقَّت الْمُحَابَاةُ". تهذيب اللُّغة، وينظر: لسان العرب، والْمُعْجَم الوسيط، ومُعْجَم اللُّغة العربيَّة المعاصرة، مادَّة: (حبو).

(٢) البقرة: ٢٣٧

(٣) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا﴾ [الجمعة:١١]، (١٥٢/٦) ح (٤٨٩٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾، =

فاجتماعُ الأَمرينِ حَمَلاهُم على ما ذُكِرَ؛ وإِلَّا فهُمﷺ كانوا أَرغبَ النَّاسِ في الخيرِ، وأَعظَمَهم حِرصًا على الأَخذِ عن الرَّسولِ، وعلى توقِيرِهِ وتبجيلِهِ، وحالُهم المعلومةُ في ذلكَ أَكبرُ شاهدٍ، ولكنْ "لكلِّ جوادٍ كَبْوَةٌ"[١].

ثُمَّ إِنَّ الكَبوَةَ التي عُوتِبَ عليها العبدُ، وتابَ مِنها وأَنابَ، وغفرَها اللهُ، وأَبدلَ مكانَها حسَنةً، لا يَحِلُّ لأَحدٍ اللَّومُ عليها[٢].

﴿قُلْ﴾: لِمَن قدَّم اللَّهوَ والتِّجارةَ على الطَّاعةِ: ﴿مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ﴾: التي وإنْ حصلَ مِنها بعضُ المقاصِدِ؛ فإِنَّ ذلكَ قليلٌ مُنغَّصٌ، مفوتٌ لخيرِ الآخرةِ.

وليس الصَّبرُ على طاعةِ اللهِ مُفَوِّتًا للرِّزقِ؛ فإِنَّ اللهَ: ﴿خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾: فمَن اتَّقى اللهَ رزقَهُ مِن حيثُ لا يحتَسِبُ، ومَن قدَّم الاشتغالَ بالتِّجارةِ على طاعةِ اللهِ لم يُبارَكْ لَهُ في ذلكَ، وكانَ هذا دليلًا على خُلوِّ قلبِهِ مِن ابتغاءِ الفضلِ مِن اللهِ، وانقطاعِ قلبِهِ عن ربِّهِ، وتَعلُّقِهِ بالأَسبابِ، وهذا ضَرَرٌ مَحْضٌ يُعقِبُ الخُسرانَ.

وفي هذهِ الآياتِ فوائدُ عَدِيدةٌ:

مِنها: أَنَّ الجمعةَ فريضةٌ على المؤمنِينَ، يجبُ عليهِم السَّعيُ لَها، والاهتمامُ بشأْنِها، وأَنَّ الخيراتِ المترتِّبةَ عليها لا يُقابِلُها شيءٌ.

ومِنها: مشروعيَّةُ الخُطْبَةِ[٣]، وأَنَّهُما فَرِيضةٌ[٤].

(٥٩٠/٢) ح (٨٦٣)، واللَّفظ لَهُ، عن جابرﷺ: "أَنَّ النَّبِيَّﷺ، كَانَ يَخْطُبُ قَائِمًا يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَجَاءَتْ عِيرٌ مِنَ الشَّامِ، فَانْفَتَلَ النَّاسُ إِلَيْهَا، حَتَّى لَمْ يَبْقَ إِلَّا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، فَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي فِي الْجُمُعَةِ: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾".

(١) مَثلٌ: عربيٌّ، قِيل: إِنَّ أَوَّل مَن قاله ابن القريَة، وتكملته: "ولكلِّ صَارِمٍ نَبْوَةٌ، ولكلِّ عَالِمٍ هَفْوَةٌ". الأمثال، لأَبي عُبَيد، (ص:٥١). وينظر: العِقد الفَرِيد، لابن عبد ربِّه، (١٩/٣)، وجمهرة الأَمثال، للْعَسْكَرِي، (٣٠٨/١).

(٢) سيأْتي كلام للمؤلِّفﷺ، قريب من هذا، ثمَّ تعليق عليه مع الأَدلَّة: (ص:٦).

(٣) س: "الخُطبتينِ"، وهذا المناسب للسِّياق، وهو الرَّأْي الفِقهي للمؤلِّفﷺ. ينظر: تيسير الكريم الرَّحمن، (ص:٨٦٣). ولا منافاة بينهما؛ فالمراد بـ"الخطبة": اسم الجنس، وبـ"الخطبتين": العدد؛ لقوله فيما بعد: "وإِلى الخطبتين".

(٤) س: "فريضتان"، وهذا هو الموافقة لما قبلها في التَّثنية، وهو الرَّأْي الفقهي للمؤلِّفﷺ، كما في الحاشية السَّابقة.

وأَنَّ المشروعَ: أَنْ يكونَ الخَطيبُ قائمًا[١]؛ لأَنَّ قولَهُ: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: يَشملُ السَّعيَ إِلى الصَّلاةِ، وإِلى الخُطبتينِ، وأَيضًا فإِنَّ اللهَ ذمَّ مَن تركَ استماعَ الخُطبةِ.

ومِنها: مَشروعيَّةُ النِّداءِ يومَ الجُمُعةِ وغيرِها؛ لأَنَّ التَّقييدَ بيومِ الجمعةِ دليلٌ على أَنَّ هناكَ نداءً لبقيَّةِ الصَّلواتِ الخمسِ؛ كَما قال تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾[٢].

ومِنها: النَّهيُ عن البيعِ والشِّراءِ بعد نداءِ الجُمُعةِ[٣]، وذلكَ يدلُّ على التَّحريمِ، وعدمِ النُّفوذِ.

ومِنها: أَنَّ الوسائلِ لها أَحكامُ المقاصِدِ[٤]؛ فإِنَّ البيعَ في الأَصلِ مباحٌ، ولكنْ لَمَّا كانَ وسيلةً لتركِ الواجبِ نَهى اللهُ عنهُ.

ومِنها: تحريمُ الكلامِ والإِمامُ يخطُبُ؛ لأَنَّهُ إِذا كانَ الاشتغالُ بالبيعِ ونحوِهِ -ولو كان المشتغِلُ بعيدًا عن سَماعِ الخُطبةِ- [مُحرَّمًا][٥] فمَن كان حاضِرًا تَعيَّنَ عليهِ أَنْ لا يَشتغِلَ بغيرِ الاستماعِ، كما أَيَّدَ هذا الاستنباطَ الأَحاديثُ الكثيرةُ[٦].

ومِنها: أَنَّ المشتغِلَ بعبادَةِ اللهِ وطاعتِهِ إِذا رأَى مِن نفسِهِ الطُّموحَ إِلى ما يُلْهِيها عن هذا الخيرِ مِن اللَّذاتِ الدُّنيويَّةِ، والحُظوظِ النَّفسِيَّةِ [شُرِعَ][٧] أَنْ يُذَكِّرَها ما عندَ اللهِ مِن الخيراتِ، وما لِمؤْثِرِ الدِّينِ على الهَوى، وما يَترتَّبُ مِن الضَّررِ، والخُسرانِ على ضِدِّهِ.

---

(١) لقوله تعالى: ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ [الجمعة:١١].
(٢) المائدة: ٥٨
(٣) المراد: الأَذان الثَّاني؛ الذي يرفع بعد دخول الإِمام؛ لأَنَّه هو الذي كان على عهد النَّبيِّ ﷺ.
(٤) هذه قاعده في الوسائل والمقاصد؛ وهي متفرِّعة عن القاعده الكُلِّيَّة: الأُمور بمقاصدها، وقاعدة الوسائل مترابطة -غالبًا- بقاعدة المقاصد. ينظر: قواعد الأَحكام في مصالح الأَنام، لِعزِّ الدِّين بن عبدالسَّلام، (٥٣/١)، والذَّخيرة للقَرَافي، (١٥٣/١)، والقواعد الفِقهيَّة وتطبيقاتها في المذاهب الأَربعة، للزُّحَيْلي، (٦٧٨/١).
(٥) "مُحرَّمًا"، زيادة في: (س)، ولا يتمّ المعنى إلا بها.
(٦) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الجمعة، باب الإِنْصات يوم الجمعة والإِمام يخطب، (١٣/٢) ح (٩٣٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب في الإِنْصات يوم الجمعة في الخطبة، (٥٨٣/٢) ح (٨٥١)، عن أَبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رسول الله ﷺ، قال: ((إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَوْمَ الجُمُعَةِ: أَنْصِتْ، وَالإِمَامُ يَخْطُبُ، فَقَدْ لَغَوْتَ)).
(٧) س: "شُرِعَ"، ولا يتمّ المعنى إلا بها.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾(١)؛ أَيْ: إذا سافرتُم في الأَرضِ؛ لِتجارةٍ أَو عِبادةٍ أَو غيرِها(٢) فقد خفَّفَ اللهُ عنكُم، ورفَعَ عنكمُ الجُناحَ، وأَباحَ لكُم، بلْ أَحبَّ لكم أَنْ تَقْصُروا الصَّلاةَ الرُّباعيَّةَ إلى ركعتينِ(٣)، فإِنْ حَصَلَ معَ ذلكَ خوفٌ -أَيضًا-(٤) فلا حَرَجَ في قَصْرِ كيفيَّةِ الصَّلواتِ كلِّها.

وهذا -واللهُ أَعلَمُ- الحِكمةُ في تقييدِ القَصرِ بالخَوفِ؛ لأَنَّهُ مِن المعلومِ المتواترِ عن النَّبيِّ ﷺ جوازُ القَصرِ في السَّفرِ، ولو كان ليس فِيهِ خوفٌ(٥).

ولكنْ إذا اجتمعَ السَّفَرُ والخَوفُ كان رخصةً في قَصرِ العَددِ للرُّباعِيَّةِ، والهيئَةِ لغيرِها[٤٤].

فإِنْ وُجِدَ الخوفُ وحدَهُ، ترتَّبَ عليهِ قَصرُ الهيئاتِ على الصِّفةِ التي ثَبَتَتْ عن النَّبِيِّ ﷺ(٦).

---

(١) النساء: ١٠١

(٢) س: "غيرهما".

(٣) أخرج أحمد في مسنده، (١١٢/١٠) ح (٥٨٧٣)، والبزّار في البحر الزّخار، (٢٥٠/١٢) ح (٥٩٩٨)، وأَبو يَعْلَى الْمَوْصِلِي في مُعْجَمه، (ص:١٤٢) ح (١٥٤)، وابن خُزيمة في صحيحه، (٢٥٩/٣) ح (٢٠٢٧)، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيَتُهُ)).
قال الأَلبانيُّ رحمه الله: "وهذا سند صحيح على شرط مسلم". إرواء الغَلِيْل، (٩/٣) ح (٥٦٤).

(٤) "أَيضًا"، ليست في: (س).

(٥) المحفوظ مِن سنَّته ﷺ أَنَّه كان يقصر الصَّلاة الرّباعية في سفره مِن غير خوف؛ فقد أَخرج مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إذا صلى المسافر خلف المقيم، (٤٧٩/١) ح (٦٨٩)، أَنَّ ابن عمر رضي الله عنهما، قال: "صَحِبْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي السَّفَرِ، فَلَمْ يَزِدْ عَلَى رَكْعَتَيْنِ حَتَّى قَبَضَهُ اللهُ، وَصَحِبْتُ أَبَا بَكْرٍ، فَلَمْ يَزِدْ عَلَى رَكْعَتَيْنِ حَتَّى قَبَضَهُ اللهُ، وَصَحِبْتُ عُمَرَ، فَلَمْ يَزِدْ عَلَى رَكْعَتَيْنِ حَتَّى قَبَضَهُ اللهُ، ثُمَّ صَحِبْتُ عُثْمَانَ، فَلَمْ يَزِدْ عَلَى رَكْعَتَيْنِ حَتَّى قَبَضَهُ اللهُ، وَقَدْ قَالَ اللهُ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١]".

(٦) قال ابن كثير رحمه الله: "صلاة الخوف أَنواع كثيرة، فإِنَّ العدو تارة يكون تجاه القبلة، وتارة يكون في غير صَوْبها، والصَّلاة تارة تكون رباعيَّة، وتارة ثلاثيَّة كالمغرب، وتارة ثنائيَّة، كالصُّبح وصلاة السَّفر، ثمَّ تارة يصلُّون جماعة، وتارة يَلْتَحِم الحرب فلا يقدرون على الجماعة، بل يصلُّون فرادى، مستقبلي القبلة وغير مستقبليها، ورجالًا وركبانًا، ولهم أَنْ يمشوا والحالة هذه، ويضربوا الضَّرب المتتابع في متن الصَّلاة". تفسير القرآن العظيم، (٣٩٨/٢).

وإنْ وُجِدَ السَّفَرُ وحدَهُ لم يكن فيهِ إلَّا قَصْرُ العَددِ؛ ولِهذا لَما سُئلَ النَّبِيُّ ﷺ عن هذا القَيْدِ(١)، قالَ: ((صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللهُ عَلَيْكُمْ بِهَا، فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ))(٢).

أَو يُقالُ: هذا القَصْرُ المذكورُ في الآيةِ الكريمةِ مُطْلَقٌ، والسُّنَّةُ عن النَّبِيِّ ﷺ تُقَيِّدُهُ، وتُبَيِّنُ المرادَ بِهِ(٣).

---

(١) في قوله تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ [النساء:١٠١].

(٢) بنحوه أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة المسافرين وقصرها، (٤٧٨/١) ح (٦٨٦)، عن يَعْلَى بن أُمَيَّة رضي الله عنه.

(٣) يظهر أَنَّ المؤلِّف رحمه الله استفاد في الكلام على القصر في السَّفر والخوف مِن ابن القَيِّم رحمه الله في زاد الْمَعَاد في هدي خير العباد، (٤٤٨/١-٤٤٩، ٥١٠).

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾(١)؛ أَيْ: ولا تُصلِّ على أَحدٍ ماتَ مِن المنافِقِينَ، ولا تقمْ على قبرِهِ بعدَ الدَّفنِ؛ لتدعوَ لَهُ؛ فإنَّ الصَّلاةَ عليهِم والوقوفَ على قُبورِهم للدُّعاءِ لهم شفاعةٌ لهم، وهم لا تنفعُ فيهِم الشَّفاعةُ: ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾: خارجونَ عن دِينِ اللهِ بالكُلِّيةِ.

ومَن كانَ كافرًا وماتَ على ذلكَ فما تَنفعُهُ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ، وفِي ذلكَ عِبرةٌ لغيرِهِم وزجرٌ، ونَكالٌ لَهم، وهكذا كلُّ مَن عُلِم منهُ الكفرُ والنِّفاقُ فإنَّهُ لا يُصَلَّى عليهِ، ولا يُدعَى لَهُ بالمغفرةِ.

وفي هذهِ الآيةِ مشروعيَّةُ الصَّلاةِ على المؤمنِينَ، والوقوفِ على قبورِهِم، خُصوصًا وقتَ دفنِهم للدُّعاءِ لَهم، وإنَّ هذا كان عادتُهُ ﷺ معَ المؤمنِينَ(٢).

وقد بيَّنَتِ السُّنَّةُ وجوبَ تَجهيزِ الْمَيْتِ المسلمِ؛ بالتَّغسِيلِ، والتَّكفِينِ(٣)، والصَّلاةِ عليهِ(٤)، وحَملِهِ، ودفنِهِ(٥)، كَما هو مَعلومٌ.

---

(١) التوبة: ٨٤

(٢) ذكره الزَّجَّاج في معاني القرآن، (٢/٤٦٤)، والحكيم التِّرمذيُّ في نوادر الأُصول في أَحاديث الرَّسول، (٣/٢٢٦)، والتَّذكرة بأَحوال الموتى وأُمور الآخرة، للقُرطبي، (ص:٣٣٤)، وابن القَيِّم في زاد الْمَعَاد، (١/٥٠٣).

(٣) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الجنائز، باب كيف يكفَّن المحرم، (٢/٧٦) ح (١٢٦٧)، واللَّفظ لَهُ، ومسلم في صحيحه، كتاب الحجِّ، باب ما يُفعل بالمحرِمِ إذا مات، (٢/٨٦٥) ح (١٢٠٦)، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال في الرَّجل الذي وَقَصَه بعيره فمات: ((اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْنِ، وَلَا تُمِسُّوهُ طِيبًا، وَلَا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مُلَبِّيًا)).

(٤) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الكفالة، باب مَن تكفَّل عن ميت دينًا، فليس لَهُ أَنْ يرجع، (٣/٩٧-٩٨) ح (٢٢٩٨)، واللَّفظ لَهُ، ومسلم في صحيحه، كتاب الفرائض، باب مَن ترك مالًا فلورثته، (٣/١٢٣٧) ح (١٦١٩)، عن أَبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رسول اللَّه ﷺ كَانَ يُؤْتَى بِالرَّجُلِ الْمُتَوَفَّى، عَلَيْهِ الدَّيْنُ، فَيَسْأَلُ: (هَلْ تَرَكَ لِدَيْنِهِ فَضْلًا؟)، فَإِنْ حُدِّثَ أَنَّهُ تَرَكَ لِدَيْنِهِ وَفَاءً صَلَّى، وَإِلَّا قَالَ لِلْمُسْلِمِينَ: ((صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ))، فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الفُتُوحَ، قَالَ: ((أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَمَنْ تُوُفِّيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَتَرَكَ دَيْنًا، فَعَلَيَّ قَضَاؤُهُ، وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ)).

وقال ﷻ: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ [التوبة:٨٤]، قال ابن عُثَيْمِين رحمه الله: "فلمَّا نهى عن الصَّلاة على المنافقين دلَّ على أَنَّ الصَّلاة على المؤمنين شريعة قائمة". الشَّرح الْمُمْتِع، (٥/٢٦٤).

(٥) قال العُثَيْمِين: "لأَنَّ الله -تعالى- امتنَّ به على العباد فقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ [المرسلات:٢٥-٢٦]، فكما أَنَّ علينا إيواء المضطرِّ في البيوت، وستره فيها عند الضرورة، فكذلك علينا ستر الميت في قبره، وكذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾ [عبس:٢١]، فإنَّ هذا سيق على سبيل المنَّة؛ لأَنَّ الله أَكرمه
=

فَصْلٌ: في الصِّيامِ وتوابعِهِ:

قال اللهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ إلى قولِهِ: ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾(١).

يُخبِرُ -تعالى- بمنَّتِهِ على عبادِهِ المؤمنينَ بفرضِهِ عليهم الصِّيامَ كمَا فرضَهُ على الأُممِ السَّابِقَةِ؛ لأنَّهُ مِن الشَّرائعِ الكبارِ؛ التي هي مصلحةٌ للخَلْقِ في كلِّ زمانٍ، وفي هذا حثٌّ للأُمَّةِ أَنْ يُنافِسوا الأُممَ في المسارعةِ إليهِ وتكميلِهِ، وبيانِ عُمومِ مصلحتِهِ، وثمراتِهِ، التي لا تَستغني عنها جميعُ الأُممِ.

ثُمَّ ذَكرَ حكمتَهُ بقولِهِ: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾: فإنَّ الصِّيامَ مِن أَكبرِ أَسبابِ التَّقوى؛ لأَنَّ فيهِ امتثالَ أَمرِ اللهِ، واجتنابَ نَهيهِ؛ فالصِّيامُ هو الطَّريقُ الأَعظمُ للوُصولِ إلى هذهِ الغايةِ، التي فيها سعادةُ العَبدِ في دِينِهِ، ودُنياهُ، وآخِرتِهِ.

فالصَّائمُ يَتقرَّبُ إلى اللهِ بتَركِ الْمُشتهياتِ؛ تقديمًا لِمحبَّةِ ربِّهِ على محبَّةِ نفسِهِ؛ ولهذا اختصَّهُ اللهُ مِن بَيْنِ الأَعمالِ؛ حيثُ أَضافَهُ إلى نفسِهِ في الحديثِ الصَّحيحِ(٢).

وهو مِن أَعظمِ أُصولِ التَّقوى، فإنَّ الإِسلامَ والإِيمانَ لا يَتِمُّ بدونِهِ(٣).

بدفنه، ولم يجعله كسائر الجيف تُلقى في المزابل والأسواق والأفنية، بل أكرمه بدفنه وستره". الشَّرح الْمُمْتِع، (٥/٢٦٤).

(١) س: "﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾.

وتمام الآيات: قولهﷻ: ﴿أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٍۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٌ طَعَامُ مِسۡكِينٍۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرًا فَهُوَ خَيۡرٌ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٌ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ ...﴾ [البقرة:١٨٣-١٨٥].

(٢) أخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب التَّوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:١٥]، (٩/١٤٣) ح (٧٤٩٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الصِّيام، باب فضل الصِّيام، (٢/٨٠٧) ح (١١٥١)، عن أَبي هريرةﷺ، عن النَّبيِّﷺ، قال: ((يَقُولُ اللَّهُﷻ: الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ. . .)).

(٣) أَخرج البخاريُّ، في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قول النَّبيِّﷺ: ((بُني الإسلام على خمس))، (١/١١) ح (٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قول النَّبيِّﷺ: ((بُني الإسلام على خمس))، (١/٤٥) ح (١٦)، =

وفيهِ مِن حُصولِ زيادةِ الإيمانِ، والتَّمرُّنِ على الصَّبرِ، والمشَقَّاتِ المقرِّبةِ إلى ربِّ العالَمينَ، وأنَّهُ سَببٌ لكثرةِ الطَّاعاتِ؛ مِن صلاةٍ، وقراءةٍ، وذِكرٍ، وصَدَقةٍ، وغيرِها ما يُحقِّقُ التَّقوى.

وفيهِ مِن رَدعِ النَّفسِ عن الأُمورِ المحرَّمةِ؛ مِن أَقوالٍ وأَفعالٍ ما هو مِن أُصولِ التَّقوى.

ومِنها: أَنَّ في الصِّيامِ مِن مراقبةِ اللهِ بتركِ ما تَهوَى نَفسُهُ مع قُدرتِهِ عليهِ؛ لِعلمِهِ باطِّلاعِ ربِّهِ عليهِ[1]، ولا رَيبَ أَنَّ هذا مِن أَعظمِ عَونٍ على التَّقوى.

ومِنها: أَنَّ الصِّيامَ يُضيِّقُ مَجارِيَ الشَّيطانِ، فإِنَّهُ: ((يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ))[2]، فبالصِّيامِ يَضعُفُ نُفُوذُهُ، وتَقِلُّ مَعَاصِيهِ[3][٤٥].

ومِنها: أَنَّ الغنيَّ إِذا ذَاقَ أَلَمَ الجوعِ أَوجبَ لَهُ ذلكَ، وحَمَلَهُ على مُواساةِ الفُقراءِ المعدَمينَ، وهذا كلُّهُ مِن خصالِ التَّقوى.

ولَمَّا ذكرَ أَنَّهُ فرضَ عليهِم الصِّيامَ أَخبرَ أَنَّها: ﴿مَّعۡدُودَٰتٍ﴾؛ أَيْ: قليلةً سهلةً، ومِن سُهولتِها أَنَّها في شهرٍ مُعيَّنٍ، يَشترِكُ فيهِ جميعُ المسلِمينَ؛ ولا رَيبَ أَنَّ الاشتراكَ هذا مِن الْمُهوِّناتِ الْمُسهِّلاتِ، ومِن أَلطافِ المولى، ومعونتِهِ للصَّائمينَ.

ثُمَّ سهَّلَ تسهيلًا آخرَ فقالَ: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ﴾؛ وذلكَ للمَشقَّةِ -غالبًا- رخَّصَ اللهُ لَهُما في الفِطرِ.

ولَمَّا كان لا بُدَّ مِن تحصيلِ العبدِ لمصلحةِ الصِّيامِ أَمرَهُما أَنْ يَقضِياهُ في أَيَّامٍ أُخرَ، إِذا زالَ المرضُ، وانقضى السَّفرُ، وحصَلتِ الرَّاحةُ.

وفي قولِهِ: ﴿فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ﴾: دليلٌ على أَنَّهُ يقضِي عددَ أَيَّامِ رمضانَ؛ كامِلًا كان أَو ناقصًا.

واللَّفظ له، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: ((بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةٍ، عَلَى أَنْ يُوَحَّدَ اللهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ، وَالْحَجِّ)).

(١) "ماليس في غيره"، زيادة في: (س).

(٢) أخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب الاعتكاف، باب هل يدرأُ المعتكف عن نفسه، (٣/٥٠) ح (٢٠٣٩)، عن صَفِيَّةَ رضي الله عنها.

(٣) "معاصي العبد"، زيادة في: (س)، وهي أَوضح للمقصود.

وعلى أنَّهُ يجوزُ أَنْ يقضيَ أيَّامًا قَصيرةً باردةً عن أَيَّامٍ طويلةٍ حارَّةٍ كالعكسِ(١)، وبهذا أَجَبْنا عن سؤالٍ ورَدَ علينا: أَنَّهُ يوجدُ مسلمون في بعضِ البِلادِ التي يكونُ في بعض الأَوقاتِ ليلُها نحوُ أَربعِ ساعاتٍ أَو تَنقُصُ(٢)، فيوافقُ ذلكَ رمضانَ، فهل لهم رخصةٌ في الإِطعامِ إذا كانوا يعجَزونَ عن تَتمِيمِها؟.

فأَجَبنا: إنَّ العاجِزَ مِنهم في هذا الوقتِ يُؤخِّرُهُ إلى وقتٍ آخرَ يَقصُرُ فيهِ النَّهارُ، ويتمكَّنُ فيهِ مِن الصِّيامِ؛ كما أَمرَ اللهُ بذلكَ المريضَ، بل هذا أَولى(٣).

وأَنَّ الذي يقدِرُ على الصِّيامِ في هذهِ الأَيَّامِ الطِّوالِ يلزمُهُ، ولا يَحِلُّ لَهُ تأْخيرُهُ إذا كان صحيحًا مقيمًا، هذا حاصلُ الجوابِ(٤).

وقولُهُ: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٌ طَعَامُ مِسۡكِينٍ﴾؛ قيلَ: هذا في أَوَّلِ الأَمرِ، وفي ابتداءِ فرضِ الصِّيامِ، لَمَّا كانوا غيرَ مُعتادِينَ للصِّيامِ -وكان ابتداءُ فرضِهِ حتْمًا فيهِ مشقَّةٌ عليهِم- درَّجَهُم الرَّبُ الحكيمُ بأَسهلَ ما يكونُ، وخيَّرَ المطِيقَ للصَّومِ بيْنَ أَنْ يصومَ -وهو الأَفضلُ الأَكملُ- أَو يُطعِمَ ويُجزيهِ، ثُمَّ لَمَّا تمرَّنوا على الصِّيامِ -وكان ضروريًّا على المطِيقِينَ- فرضَهُ عليهِم حتْمًا(٥).

وقِيلَ: إنَّ قولَهُ: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾؛ أَيْ: يَتكلَّفُونَ الصِّيامَ، ويَشُقُّ عليهِم مشقةً لا تُحتَمَلُ؛ كالكبيرِ، والمريضِ الميئوسِ مِن برئِهِ(٦).

---

(١) لأَنَّ لفظ: ﴿أَيَّامٍ﴾ نكرة، يفيد العموم، كما أَنَّه لم يقيَّد بوصف محدَّد؛ لذا فإنَّه يَصدُق على كلِّ الأَيام. ينظر: أَحكام القرآن، للجصَّاص، (١/٢٥٨)، وتفسير العُثَيْمِين: الفاتحة والبقرة، (٢/٣٢٨).

(٢) كالدّنمارك، والنَّرويج، والسُّويد. ينظر: ar. wikipedia. org/wiki /إسكندنافيا.

(٣) لأَنَّ سبب العجز ظاهر للجميع، وطول ساعات النَّهار عندهم سُنَّة كونيَّة مستمرَّة خارجة عن قدرة البَشر، والحاجةُ الجماعيَّة للفطر بهذا السَّبب أَكثر. والله أعلم.

(٤) بهذا أَفتت اللَّجنة الدَّائمة للبحوث العلميَّة والإفتاء، في المملكة. ينظر: فتاوى اللَّجنة الدَّائمة، (٦/١٣٣-١٣٨).

(٥) فرضه الله عليهم في قوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾ [البقرة:١٨٥].

وهذا القول منقول عن معاذ بن جَبَل، وابن عُمر، وسَلَمة بن الأَكْوَع، وعَلْقَمَة، والزُّهريِّ، وغيرهم: ينظر: جامع البيان، (٣/٤١٨- ٤٢٤)، وزاد الْمَسِير، (١/١٤٢).

(٦) نُقل هذا عن عليٍّ، وابن عبَّاس. ينظر: جامع البيان، (٣/٤١٨-٤٢٤)، وزاد الْمَسِير، (١/١٤٢)، والجامع لأَحكام القرآن، (٢/٢٨٨).

=

﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾؛ عن كلِّ يومٍ يُفطِرُهُ.

وقولُهُ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾؛ أَيْ: الصَّومُ المفروضُ عليكُم هو شهرُ رمضانَ، الشَّهرُ العظيمُ الذي حصلَ لكم مِن اللهِ فيهِ الفضلُ العظيمُ، وهو إنزالُ القرآنِ الذي فيهِ هدايتُكُم لجميعِ مصالِحِكُم الدِّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ.

وفيهِ بيانُ الحقِّ وتوضيحُهُ، والفرقانُ بيْنَ الحقِّ والباطلِ، والهدَى والضَّلالِ، وأَهلِ السَّعادةِ مِن أَهلِ الشَّقاوةِ.

فحقِيقٌ بشهرٍ هذا فضلُهُ، وهذا إحسانُ اللهِ العظيمِ فيهِ عليكُم أَنْ يكونَ مُعظَّمًا محترَمًا، موسمًا للعبادِ، مَفروضًا فيهِ الصِّيامُ.

فلمَّا قرَّرَ فرضيَّتَهُ، وبيَّنَ حِكمتَهُ في ذلكَ، وفي تَخصِيصِهِ قال: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾؛ أَيْ: مَن حضرَ الشَّهرَ وهو قادرٌ تحتَّمَ عليهِ صيامُهُ.

﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾؛ أَعادَ ذلكَ تأْكيدًا لَهُ؛ ولِئَلَّا يُظنَّ أَنَّهُ – أَيضًا– منسوخٌ؛ مع ما نُسِخَ مِن التَّخيِيرِ للقادرِ.

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾؛ أَيْ: يريدُ اللهُ أَنْ يُيَسِّرَ ويُسهِّلَ عليكم الطُّرُقَ الموصِلَةَ إلى رِضوانِهِ أَعظمَ تيسيرٍ؛ لِيسهلَ سلوكُها، ويُعينَ عليها بكلِّ وسيلةٍ؛ ليرغَّبَ فيها العبادَ.

وهذا أَصلٌ عظيمٌ مِن أُصولِ الشَّريعةِ، بلْ كلُّها تَدُورُ على هذا الأَصلِ، فإِنَّ جميعَ الأَوامرِ لا تَشُقُّ على المكلَّفِينَ(١).

قال ابن كثيرﷺ: "فحاصل الأمر أَنَّ النَّسخ ثابت في حقِّ الصَّحيح المقيم بإيجاب الصِّيام عليه، بقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، وأَمَّا الشَّيخ الفاني الهرِم الذي لا يستطيع الصِّيام فله أَنَّ يفطر، ولا قضاء عليه؛ لأَنَّه ليست لَهُ حال يصير إِليها يتمكَّن فيها مِن القضاء". تفسير القرآن العظيم، (١/٥٠٠).

(١) قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨]، وأَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدِّين يسر، (١/١٦) ح (٣٩)، عن أَبي هريرةﷺ، عن النَّبيِّﷺ، قال: ((إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ. . .)).

وإذا حصَلَ بعضُ المشاقِّ والعَجزِ خفَّفَ الشَّارعُ مِن الواجباتِ[١] ما يناسبُ ذلكَ[٤٦]؛ فيدخُلُ في هذا جميعُ التَّخفيفاتِ في جوازِ الفِطرِ، وتخفيفاتُ السَّفرِ، والأَعذارِ لتركِ الجُمُعةِ والجماعةِ.

وقولُهُ: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾؛ وذلكَ لِئلَّا يتوهَّمَ مُتوهِّمٌ أَنَّ صيامَ رمضانَ يَحصلُ المقصودُ ببعضِهِ، رَفَعَ[٢] هذا الوهمَ بقولِهِ: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾.

وأَمرَ بشكرِهِ على إتمامِهِ؛ لأَنَّ مِن أَكبرِ مِنَنِ اللهِ على عبدِهِ تَوفيقَهُ لإِتمامِهِ وتَكميلِهِ، وتَبيينَ أَحكامِهِ للعبيدِ.

﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾: هدايةَ التَّعليمِ، وهدايةَ التَّوفيقِ والإِرشادِ.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[٣].

هذا سؤالٌ وجوابٌ؛ أَيْ: إذا سأَلكَ العِبادُ عن ربِّهِم، وبأَيِّ طريقٍ يُدركونَ منهُ مطالبَهُم، فأَجبْهُم بهذا الجوابِ الذي يأْخذُ بمجامعِ القُلوبِ[٤]، ويُعلِّقُ العبدُ بربِّهِ كلَّ[٥] مَطلوبٍ دينيٍّ ودُنيويٍّ، فأَخبِرْهُم أَنَّ اللهَ قريبٌ مِن الدَّاعِينَ، ليس على بابِهِ حَجَّابٌ ولا بَوَّابٌ، ولا دونَهُ مانعٌ في أَيِّ وقتٍ وأَيِّ حالٍ، فإذا أَتَى العبدُ بالسَّببِ والوَسِيلةِ؛ وهو الدُّعاءُ لِلَّهِ، المقرونُ بالاستجابةِ لَهُ بالإِيمانِ بهِ، والانقيادِ لِطاعتِهِ- فَلْيَبْشَرْ بالإِجابةِ في دُعاءِ الطَّلبِ، والمسْأَلةِ[٦]، وبالثَّوابِ والأَجرِ، والرُّشْدِ إذا دعا دعاءَ العِبادَةِ.

وكلُّ القُرباتِ الظَّاهرةِ والباطنةِ تَدخلُ في دُعاءِ العِبادةِ؛ لأَنَّ المتعبِّدَ للهِ طالبٌ بلسانِ مَقالهِ ولسانِ حالهِ مِن ربِّهِ قبولَ تلكَ العِبادةِ، والإِثابةَ عليها.

---

(١) "بحسب"، زيادة في: (س).
(٢) س: "دفع".
(٣) البقرة: ١٨٦
(٤) "ويوجب أَنْ"، زيادة في: (س).
(٥) س: "بكل".
(٦) سبق الكلام عليهما: (ص:٦).

وفي هذهِ الآيةِ تَنْبيهٌ على الأَسبابِ الموجِبةِ لإجابةِ الدُّعاءِ التي مدَارُها على الإيمانِ باللهِ، وتحقيقِهِ بالانقيادِ للهِ؛ امتثالًا لِأَمرِهِ، واجتنابًا لِنهيِهِ.

وتَنْبيهٌ -أَيضًا- على أَنَّ موانعَ الإجابةِ:

– تركُ تحقيقِ الإيمانِ.

– وتَركُ الانقيادِ؛ فأَكلُ الحَرامِ، وعَملُ المعاصي مِن مَوانعِ الإجابةِ، وهي تُنافي الاستجابةَ للهِ(١).

وفيهِ تَنْبِيهٌ على أَنَّ الإيمانَ باللهِ والاستجابةَ لَهُ سببٌ إلى حصولِ العِلْمِ؛ لأَنَّ الرُّشدَ هو الهُدَى التَّامُّ عِلمًا وعَملًا، ونظيرُ هذا قولُهُ تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾(٢)؛ أَيْ: عِلمًا تُفرِّقونَ بهِ بيْنَ الحقِّ والباطلِ، وبيْنَ كلِّ ما يُحتاجُ إلى تفصيلِهِ.

---

(١) أَخرج مسلم في صحيحه، كتاب الزَّكاة، باب قبول الصَّدقة مِن الكسب الطَّيب وتربيتها، (٧٠٣/٢) ح (١٠١٥)، عن أَبي هريرةﷺ، قال: قال رسول اللهﷺ: ((أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون:٥١]، وَقَالَ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ﴾ [البقرة:١٧٢]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟)).

(٢) الأنفال: ٢٩

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾، إلى قولِه: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾(١).

كان أوَّلُ ما فُرِضَ الصِّيامُ مُنِعَ المسلمونَ مِن الأكلِ والشُّربِ في اللَّيلِ إذا ناموا(٢)، فحصَلتِ المشقَّةُ لكثيرٍ منهُم، فخفَّفَ اللهُ ذلكَ، وأَباحَ في ليالي الصِّيامِ -كلِّها- الأكلَ والشُّربَ والجِماعَ، سواءٌ نامَ أَو لم ينَمْ؛ لِكونِهم يختانونَ أَنفسَهُم بتركِ بعضِ ما أُمِروا بهِ، لو بقيَ الأَمرُ على ما كان أوَّلًا(٣).

﴿فَتَابَ﴾: اللهُ ﴿عَلَيْكُمْ﴾؛ بأَنْ وسَّعَ لكم أَمرًا لولا توسعتُهُ لكانَ داعيًا إِلى الإِثمِ، والإِقدامِ على المعاصي(٤).

﴿وَعَفَا عَنكُمْ﴾: ما سلفَ مِن التَّخوُّنِ.

---

(١) بقيَّة الآيات قولهﷻ: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة:١٨٧].

(٢) أخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الصَّوم، باب قول الله جلَّ ذكره: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾، (٣/٢٨) ح (١٩١٥)، عن البراءِ رضي الله عنه، قال: "كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَائِمًا، فَحَضَرَ الإِفْطَارُ، فَنَامَ قَبْلَ أَنْ يُفْطِرَ لَمْ يَأْكُلْ لَيْلَتَهُ وَلَا يَوْمَهُ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنَّ قَيْسَ بْنَ صِرْمَةَ الأَنْصَارِيَّ كَانَ صَائِمًا، فَلَمَّا حَضَرَ الإِفْطَارُ أَتَى امْرَأَتَهُ، فَقَالَ لَهَا: أَعِنْدَكِ طَعَامٌ؟ قَالَتْ: لَا وَلَكِنْ أَنْطَلِقُ فَأَطْلُبُ لَكَ، وَكَانَ يَوْمَهُ يَعْمَلُ، فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ، فَجَاءَتْهُ امْرَأَتُهُ، فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ: خَيْبَةً لَكَ، فَلَمَّا انْتَصَفَ النَّهَارُ غُشِيَ عَلَيْهِ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فنزلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ فَفَرِحُوا بِهَا فَرَحًا شَدِيدًا، وَنَزَلَتْ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾.

(٣) أخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾، (٦/٢٥) ح (٤٥٠٨)، عن البراءِ رضي الله عنه: "لَمَّا نَزَلَ صَوْمُ رَمَضَانَ كَانُوا لَا يَقْرَبُونَ النِّسَاءَ رَمَضَانَ كُلَّهُ، وَكَانَ رِجَالٌ يَخُونُونَ أَنْفُسَهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾".

(٤) بأَنْ جعل الصِّيام يبدأُ مِن تبيُّنِ الفجر إلى غروب الشَّمس، قالﷻ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة:١٨٧].

﴿فَٱلْـَٔـٰنَ﴾: بعد هذهِ الرُّخصةِ، والسَّعةِ مِن اللهِ.

﴿بَـٰشِرُوهُنَّ﴾: وَطْئًا، وقُبْلَةً، ولَمسًا.

﴿وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾؛ أيْ: اقصِدوا في مباشرتِكُم لزوجاتِكُم التَّقرُّبَ إلى اللهِ بذلكَ، واقصِدوا -أيضًا- حُصولَ الذُّرِّيةِ، وإعفافَ الفرجِ، وحُصولَ جميعِ مقاصدِ النِّكاحِ؛ وابتغوا -أيْضًا- لَيلةَ القدْرِ، فإيَّاكُم أنْ تشتغلوا بهذهِ اللَّذةِ وتوابعِها وتُضيِّعوا ليلةَ القدرِ، وهي ممَّا كتبَهُ اللهُ لهذهِ الأُمَّةِ، وفِيها مِن الخيرِ العظيمِ ما يُعَدُّ تفويتُهُ مِن أَعظمِ الخُسرانِ، فاللَّذةُ مُدركَةٌ، وليلةُ القدْرِ إذا فاتتْ لم تُدْرَكْ، ولم يُعوَّضْ عنها شَيءٌ(١).

﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾(٢).

هذا غايةُ جَوازِ الأكلِ، والشُّربِ، والجِماعِ في ليالي الصَّومِ(٣)[٤٧].

وفيهِ: أنَّ هذهِ الثَّلاثةَ إذا وقَعتْ وصَاحبُها شَاكٌّ في طُلوعِ الفَجْرِ فلا حرَجَ عليهِ(٤).

ودليلٌ على استحبابِ السُّحورِ، وأنَّهُ يُستحبُّ تأْخيرُهُ؛ أخذًا مِن معنى رُخصَةِ اللهِ وتَسهيلِهِ على العبادِ(٥).

ودليلٌ على أنَّهُ يجوزُ أنْ يدرِكَهُ الفجرُ وهو جُنبٌ مِن الجماعِ قَبلَ أنْ يغتَسِلَ؛ لأنَّ مِن لازِمِ إباحةِ الجماعِ إلى طلوعِ الفجرِ أنْ يدركَهُ الفجرُ وهو جُنُبٌ، ولازمُ الحقِّ حقٌّ(٦).

(١) أخذ المؤلِّف رحمه الله بجميع ما قيل في معنى الآية؛ فاللَّفظ عامٌّ، ولا تعارض بين الأقوال، فالكلُّ مكتوب في اللَّوح المحفوظ، وبه قال ابن جرِيْر، وغيره. ينظر: جامع البيان، (٥٠٩/٣)، والهداية إلى بلوغ النِّهاية، لمكِّي، (٦٢٢/١).

(٢) البقرة: ١٨٧

(٣) س: "الصِّيام".

(٤) لأنَّ الأَصل بقاء اللَّيل، فلا يُنتقل عنه بالشَّك.

(٥) أخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الأذان، باب وقت الفجر، (١١٩/١) ح (٥٧٥)، عن أَنسٍ، أَنَّ زيد بن ثابت رضي الله عنهما، حدَّثه: "أَنَّهُمْ تَسَحَّرُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ، قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: قَدْرُ خَمْسِينَ أَوْ سِتِّينَ"، يَعْنِي آيَةً.

(٦) هذا مِن الاستنباط باللَّازم، الموافق للنَّص، فقد أخرج مسلم في صحيحه، كتاب الصِّيام، باب صحَّة صوم مَن طلع عليه الفجر وهو جنب، (٧٨٠/٢) ح (١١٠٩)، أنَّ عائشة رضي الله عنها؛ زوج النَّبيِّ ﷺ، قالت: "قَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُدْرِكُهُ الْفَجْرُ فِي رَمَضَانَ وَهُوَ جُنُبٌ، مِنْ غَيْرِ حُلُمٍ، فَيَغْتَسِلُ وَيَصُومُ".

ثُمَّ إذا طلعَ الفجرُ ﴿أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ﴾؛ أَيْ: أَمسِكوا عن المفطِّراتِ إلى اللَّيلِ، وهو غُروبُ الشُّمسِ.

ولَمَّا كانَتْ إباحةُ الوطءِ في لَيالي الصِّيامِ ليستْ إباحةً عامَّةً لكلِّ أَحدٍ، استَثنى -تعالى- المعتكِفَ بقولِهِ: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾؛ أَيْ: وأَنتُم مُتَّصِفونَ بذلكَ.

ودلَّتِ الآيةُ على مشروعيَّةِ الاعتكافِ؛ وهو لُزُومُ المساجدِ لطاعةِ اللهِ[1].

وأَنَّ الاعتكافَ لا يَصحُّ إلَّا بِمسجدٍ[2].

ويُستفادُ مِن تعريفِ المساجدِ بالأَلفِ واللَّام أَنَّها المساجدُ التي يعرِفُها المسلمونَ، وأَنَّها التي تقامُ فيها الصَّلواتُ الخمسُ.

وفيهِ أَنَّ الوطءَ مِن مُفسداتِ الاعتكافِ.

تلكَ المذكوراتُ -وهي تحريمُ الأَكلِ، والشُّربِ، والجماعِ، ونحوِها مِن مفطِّراتِ الصِّيامِ، وتحريمُ الوطءِ على المعتكِفِ، ونحوِ ذلكَ مِن المحرَّماتِ التي حدَّها لعبادِهِ، ونَهاهُم عنها، ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾؛ أَيْ: لا تفعلُوها، ولا تَحومُوا حولَها، وتفعلُوا وسائِلَها.

والعبدُ مأْمورٌ بتركِ المحرَّماتِ، والبعدِ عنها؛ بتركِ كلِّ وسيلةٍ إليها، تَدعُو إليها[3].

وأَمَّا الأَوامِرُ فيقولُ اللهُ فيها: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾[4]، كمَا يَنهى عن مُجاوزتِها.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: البيانُ السَّابِق والتَّوضيحُ التَّامُّ مِن اللهِ لعِبادِهِ: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾؛ فإِنَّ العِلْمَ الصَّحِيحَ سببٌ للتَّقوَى؛ لأَنَّهُ[5] إذا بانَ لهم الحقُّ اتَّبعُوهُ، وإِذا بانَ لهم الباطِلُ اجتنبُوهُ، ومَن عَلِمَ الحقَّ فترَكهُ والباطلَ فاتَّبعهُ كان أَعظمَ لجُرمِهِ، وأَشَدَّ لإِثْمِهِ.

---

(١) نصَّ على هذا التَّعريف الاصطلاحيِّ كثير مِن أَهل العلم: ينظر: لُباب التَّأْويل، (١/١١٨)، والمبدِع في شرح المقنِع، (٣/٦٠)، ومحاسن التَّأْويل، (٢/٤٩).

(٢) فلو اعتكف الرَّجل في غير مسجد لَترك صلاة الجماعة، وهي واجبة عليه، أَو تكرَّر خروجه مِن معتكَفه، وهذا مناف لمعنى الاعتكاف، ولهذا اتَّفق أَهل العلم على أَنَّ الاعتكاف للرِّجال يكون في المساجد التي تقام فيها الصَّلوات الخمس. ينظر: المغني، لابن قدامة، (٣/١٨٩)، والجامع لأَحكام القرآن، (٢/٣٣٣).

(٣) س: "بترك كلِّ وسيلة تدعو إليها"، ولعلَّها هي الأَولى.

(٤) البقرة: ٢٢٩

(٥) س: "لأَنَّهم".

فَصْلٌ: في آيات الحَجِّ وتوابِعِهِ(١):

قال اللهُ تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٢)، وقال: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾، إلى آخرِ الآياتِ المتعلِّقةِ بالحَجِّ(٣).

لَمَّا قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾(٤)، وكان في ذلكَ تنبيهٌ على الحِكَمِ والأَسرارِ، والمصالِحِ والبركاتِ المتنوِّعةِ المحتوِي هذا البيتُ العظيمُ عليها؛ كانَ(٥) ذلكَ داعيًا إلى تعظيمِهِ بغايةِ ما يُمْكِنُ مِن التَّعظيمِ، أَوجبَ اللهُ على العبادِ حَجَّهُ وقَصْدَهُ؛ لأداءِ المناسكِ التي فعلَها رسولُ اللهِ ﷺ، وعلَّمَها أُمَّتَهُ، وأَمرَهُم أَنْ يأْخذُوا عنْهُ مَناسِكَهم(٦).

---

(١) س: "فصل: في الحجِّ وتوابعه".

(٢) آل عمران: ٩٧

(٣) قال ﷻ: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة:١٩٦-٢٠٣].

(٤) آل عمران: ٩٦-٩٧

(٥) س: "وكان".

(٦) أخرج مسلم في صحيحه، كتاب الحجِّ، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النَّحر راكبًا، وبيان قوله ﷺ: ((لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ))، (٩٤٣/٢) ح (١٢٩٧)، عن جابر ﷺ، يقول: "رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَرْمِي عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ، وَيَقُولُ: ((لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ)).

فأَوجبَهُ على: ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾، بأَنْ قدِرَ على الوصولِ إليهِ بأَيِّ مركوبٍ مُتيسِّرٍ، وبزادٍ يتزوَّدُهُ، ويتِمُّ بهِ السَّبيلُ، وهذا هو الشَّرطُ الأَعظمُ لوجوبِ الحجِّ.

وهذهِ الآيةُ صريحةٌ في فرضيَّةِ الحجِّ، وأَنَّهُ لا يتِمُّ للعبدِ إسلامٌ، ولا إيمانٌ -وهو مُستطيعٌ- إِلَّا بحَجِّهِ، وأَنَّ اللهَ إِنَّما أَمرَ بهِ العِبادَ؛ رحمةً مِنهُ بِهِم، وإِيصالًا لَهم إلى أَجَلِّ مصالِحِهِم، وأَعلَى مطالِبِهِم، وإِلَّا فاللهُ: ﴿غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وطاعتِهِم، فمَن كفَرَ فلمْ يلتزِمْ لِشرعِ اللهِ فهو كافرٌ[1]، ولن يضرَّ إِلَّا نفسَهُ.

وأَمَّا آيةُ البقرةِ فإِنَّ اللهَ أَمرَ فيها بإِتمامِ الحَجِّ والعُمرةِ بأَركانِهِما، وشروطِهِما، وجميعِ مُتمِّماتِهما؛ ولا فرقَ في ذلك بينَ الفرضِ والنَّفلِ، وبهذا تميَّزَ الحجُّ والعمرةُ عن غيرِهما مِن العباداتِ، وإِنَّ مَن شَرعَ فِيهما[٤٨] وجبَ عليهِ إِتمامُهُمَا لِلَّهِ مُخلِصًا[2].

ويَدخُلُ في الأَمرِ بإِتمامِهِما أَنَّهُ ينبغِي للعبدِ أَنْ يَجتهِدَ غايةَ الاجتهادِ في فِعلِ كلِّ قولٍ وفعلٍ ووصفٍ وحالةٍ بِها تَمامُ الحَجِّ والعُمرةِ، وذلكَ شَيءٌ كثيرٌ مُفصَّلٌ في كتبِ أَهلِ العِلْمِ[3].

وأَنَّ مَن دَخلَ فِيهما فلا يَخرجُ مِنهما إِلَّا بإِتمامِهِما والتَّحلُّلِ مِنهُما إِلَّا بِمَا استثناهُ اللهُ وهو الحَصْرُ؛ ولهذا قال: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾؛ أَيْ: مُنعتُم مِن الوُصولِ إلى البيتِ، ومِن تَتمِيمِ المناسكِ؛ بمرضٍ أَو عدوٍّ، أَو ذهابِ نفقةٍ أَو ضَلِّ[4] الطَّرِيقَ، أَو غيرِ ذلكَ مِن أَنواعِ الحصْرِ الدَّاخِلَةِ في عُمومِ

---

(١) مِن جحد فرضَ الحجِّ وأَنكرَ وُجوبه فقد خرج مِن المِلَّة، أَمَّا مَن أَقرَّ بوجوبه، وتركه مع استطاعته فإِنَّه لا يخرج مِن المِلَّة، إِلَّا أَنَّه مرتكب لكبيرة، ومعصية عظيمة، قال ابن عُثَيْمِين رحمه الله: "في قوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، دليل على أَنَّ ترك الحجِّ مِمَّن أَستطاع إليه سبيلًا يكون كفرًا، ولكنَّه كفر لا يخرج مِن المِلَّة، على قول جمهور العلماء؛ لقول عبدالله بن شقيق رحمه الله: "كان أَصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئًا مِن الأَعمال تركه كفر غير الصَّلاة". شرح ثلاثة الأُصول، للعُثَيْمِين، (ص:٧٨)، وينظر: تفسير عبدالرَّزاق، (١/٤٠٥)، وجامع البيان، (٦/٥١)، وتفسير السَّمعاني، (١/٣٤٣)، والمحرَّر الوجيز، (١/٤٨٠).

(٢) قال القُرْطُبِيُّ رحمه الله: "وفائدة التَّخصيص بذكر الله هنا أَنَّ العرب كانت تقصِد الحجَّ للاجتماع، والتَّظاهر والتَّناضل والتَّنافر، وقضاء الحاجة، وحضور الأَسواق، وكلُّ ذلك ليس لله فيه طاعة، ولا حظَّ بقصْدٍ، ولا قُربةَ بمعتقدٍ، فأَمر الله -سبحانه- بالقصد إليه لأَداء فرضه، وقضاء حقِّه، ثمَّ سامح في التِّجارة". الجامع لأَحكام القرآن، (٢/٣٦٩).

(٣) ومن الكتب التي فصَّلت في الحجِّ، وحقَّقت في مسائله: التَّحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحجِّ والعمرة والزِّيارة، لابن باز، ومناسك الحجِّ والعمرة، للأَلباني، والمنهج لمريد العمرة والحجِّ، للعُثَيْمِين.

(٤) س: "ضَلَلْتُم".

قولِهِ: ﴿أُحْصِرْتُمْ﴾؛ فاذبَحوا ما تيسَّرَ ﴿مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾؛ وهو[١] سبُعُ بدَنةٍ، أَو سبُعُ بقَرةٍ[٢]، أَو شاةٌ يذبحُها المحصَرُ، ويحْلِقُ رأْسَهُ، ويَحِلُّ مِن إحرامِهِ؛ بسببِ الحَصرِ، كمَا فعلَ النَّبيُّ ﷺ وأَصحابُهُ؛ لَمَّا صدَّهُم المشركونَ عن البيتِ، وهُم مُحرِمونَ[٣] عامَ الحُدَيْبِيَةِ[٤].

فإِنْ لم يتيسَّرْ الهديُ على المحصَرِ فهلْ يكفيهِ الحَلْقُ وحدَهُ ويَحِلُّ، كما فعلَهُ الصَّحابَةُ الذين لم يكنْ معهُم هديٌ -وهو الصَّحيحُ- أَو ينوبُ عن الهديِ صيامُ عشرةِ أَيَّامٍ؛ قياسًا على هديِ التَّمتُّعِ -كما قالَهُ آخرونَ-[٥]، ثُمَّ يَحِلُّ؟.

ثُمَّ قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾؛ وفي هذا أَنَّ الْمُحرِمَ يَحرُمُ عليهِ إِزالةُ شيءٍ مِن شَعْرِ بَدَنِهِ؛ تعظيمًا لهذا النُّسكِ، وقاسَ عليهِ أَهلُ العِلْمِ إِزالةَ الأَظفارِ؛ بجامعِ التَّرَفُّهِ[٦].

ويستمرُّ المنعُ: مِن إِحرامِهِ[٧]: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾؛ وهو وقتُ ذبحِهِ يومَ النَّحرِ.

والأَفضلُ أَنْ يكونَ الحَلْقُ بعدَ النَّحرِ، ويجوزُ أَنْ يُقدَّمَ الحَلْقُ على النَّحرِ كما رخَّصَ في ذلك النَّبيُّ ﷺ حينَ سُئلَ عمَّن قدَّمَ الحَلْقَ، أَو الرَّميَ، أَو الذَّبحَ، أَو الطَّوافَ، بعضَها على بعضٍ، فقالَ:

---

(١) س: "شاة أَو سبع بدنة أَو سبع بقرة".

(٢) أَخرج مسلم في صحيحه، كتاب الحجِّ، باب الاشتراك في الهدي، وإجزاء البقرة والبدنة كلّ منهما عن سبعة، (٢/٩٥٥) ح (١٣١٨)، عن جابر رضي الله عنه، قال: "نَحَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ الْبَدَنَةَ عَنْ سَبْعَةٍ، وَالْبَقَرَةَ عَنْ سَبْعَةٍ".

(٣) قصَّة الحُدَيْبِيَة، أَخرجها البخاريُّ في صحيحه، كتاب الشُّروط، باب الشُّروط في الجهاد والمصالحة مع أَهل الحرب وكتابة الشُّروط، (٣/١٩٣) ح (٢٧٣١)، عن الْمِسْوَرِ بن مَخْرَمَة، ومرْوَان بن الحكم.

(٤) الحُدَيْبِيَةُ: بتشديد الياء وتخفيفها، قرية قريبة مِن مكَّة سُمِّيت ببئر فيها، أَو على شجرة حَدْبَاء كانت في ذلك الموضع، على اثنين وعشرين كيلًا، إِلى الغرب مِن مكَّة، على طريق جدَّة القديم، ينظر: ما اتَّفق لفظه وافترق مُسمَّاه مِن الأَمكنة، للهَمَذَانِي، (ص:٧١٣)، والنِّهاية في غريب الحديث والأَثر، لابن الأَثير، (١/٣٤٩)، ومُعْجَم البُلدان، لياقوت، (٢/٢٢٩)، ومُعْجَم الْمَعَالم الجغرافيَّة في السِّيرة النَّبويَّة، لعاتق الحربي، (ص:٩٤).

(٥) كعطَاء، والشَّافعيّ في أَحد قوليه، وأَحمد رحمه الله. ينظر: أَحكام القرآن، للجصَّاص، (١/٣٤)، والمغني، (٣/٣٣٠)، والمجموع، للنَّوَوِي، (٧/٥١٥-٥١٦)، وأَضواء البيان، (١/٨٥-٨٦)، وتفسير العُثَيْمِين: الفاتحة والبقرة، (٢/٤٠٠).

(٦) س: "من ذلك".

(٧) التَّرَفُّهُ: التَّنَعُّمُ. ينظر: تهذيب اللُّغة، والصِّحاح، مادَّة: (ترف).

((افْعَلْ وَلَا حَرَجَ))[(١)].

ويُستَدَلُّ بالآيةِ الكريمةِ على أَنَّ المتمتِّعَ،كالقارنِ، والمفردِ[(٢)] لا يَتحلَّلُ[(٣)] مِن عمرتِهِ إذا كانَ سائقًا للهدي، ﴿حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥ﴾؛ فقِيلَ: إِنَّهُ إذا حَلَّ مِن عمرتِهِ بأَنْ فرَغَ مِن الطَّوافِ والسَّعيِ بادرَ بالدُّخولِ بالحجِّ بالنِّيَّةِ[(٤)]، وقِيلَ: إِنَّهُ بسَوقِهِ للهديِ صارَ قارنًا، وأَنَّ الهديَ الذي استَصْحبَهُ -حيثُ إِنَّهُ كان للنُّسُكينِ كِليهما- مَزَجَ بيْن النُّسُكينِ، وصارَ صاحبُهُ قَارِنًا، وهذا هو القولُ الصَّوابُ[(٥)].

وإِنَّما مَنَعَ -تعالى- مِن الحِلِّ لِمَن ساقَ الهديَ قَبلَ مَحِلِّهِ؛ لِمَا في سَوقِ الهديِ، وما يَتْبَعُهُ -مِن كشفِ الرَّأْسِ، وتركِ أَخذِ الشُّعُورِ ونحوِها- مِن الذُّلِّ والخُضوعِ لِلَّهِ -تعالى[(٦)]- والانكسارِ لَهُ، والتَّواضعِ الذي هو رُوحُ النُّسُكِ، وعَينُ صلاحِ العبدِ، وكمالِهِ.

وليس عليهِ في ذلكَ ضررٌ؛ فإذا حصَلَ الضَّررُ؛ بأَنْ كان: ﴿بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ﴾؛ مِن مرضٍ يَنتفِعُ بحلقِ رأْسهِ، أَو قُروحٍ أَو قَمْلٍ أَو نحوِ ذلكَ، فإِنَّهُ يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَحلِقَ رأْسَهُ، ولكنْ يكونُ عليهِ فِديةُ تخييرٍ؛ يُخيَّرُ بيْنَ: صيامِ ثلاثةِ أَيَّامٍ، أَو إِطعامِ ستَّةِ مساكينَ، أَو ذبحِ شاةٍ[(٧)]، وهذهِ تُسمَّى

---

(١) أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب الحجِّ، باب الفتيا على الدَّابَّة عند الجمرة، (١٧٥/٢) ح (١٧٣٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحجِّ، باب مَن حلق قبل النَّحر، أَو نحر قبل الرَّمي، (٩٤٨/٢) ح (١٣٠٦)، عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) قال ابن قدامة رحمه الله: "فالتَّمتع أَنْ يُهلَّ بعمرة مفردة من الميقات في أَشهر الحجِّ، فإذا فرغ منها أَحرم بالحجِّ من عامه، والإِفراد أَنْ يُهلَّ بالحجِّ مفردًا، والقِران أَنْ يجمع بينهما في الإِحرام بهما، أَو يُحرم بالعمرة، ثمَّ يُدخل عليها الحجَّ قبل الطَّواف". المغني، (٢٦٠/٣).

(٣) س: "يحل".

(٤) هي رواية عند الإمام أَحمد رحمه الله، ينظر: شرح العمدة، لابن تَيميَّة -من كتاب الطَّهارة والحجِّ، (٤٨٤/٣)، وشرح الزَّرْكَشِيِّ على مُختَصر الخِرَقِي، (٢٣٢/٣).

(٥) قال ابن القَيِّم رحمه الله: "وقد ذهب جماعة مِن السَّلف والخلف إِلى إِيجاب القِران على مَن ساق الهدي". زاد الْمَعَاد، (١٠٨/٢)، وينظر: المحلَّى، لابن حزم، (٣٠٨/٥)، وفتح العزيز، للرَّافعي، (١٢٧/٧)، والجامع في أَحكام القرآن، (٣٩٠/٢)، ومَجْمُوع الفَتَاوَى، (٩٠/٢٦)، والشَّرح الْمُمْتِع، (٨٠/٧).

(٦) "تعالى"، ليست في: (س).

(٧) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قولِه: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ﴾ [البقرة:١٩٦]، (٢٧/٦) ح (٤٥١٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحجِّ، باب جواز حلق الرَّأْس للمحرِمِ إذا كان به أَذى، ووجوب الفدية لحلقه، وبيان قدرها، (٨٦١/٢) ح (١٢٠١)، عن عبداللَّه بن مَعْقِلٍ، قال: "قَعَدْتُ إِلَى كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رضي الله عنه فِي هَذَا الْمَسْجِدِ يَعْنِي مَسْجِدَ الكُوفَةِ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ: فِدْيَةٍ مِنْ صِيَامٍ، فَقَالَ: حُمِلْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ
=

فِدْيةُ الأَذى، وأُلحِقَ بذلكَ إذا قَلَّمَ أَظفارَهُ، أَو لَبِسَ الذَّكرُ المخِيطَ(١)، أَو غطَّى رأْسَهُ، أَو تطيَّبَ الْمُحرِمُ مِن ذَكرٍ وأُنثى، فكلُّ هذا فِديتُهُ فِديةُ تخييرٍ: بيْنَ الصِّيامِ، أَو الإِطعامِ، أَو النُّسُكِ.

وأَمَّا فِديةُ قتلِ الصَّيدَ؛ فقد ذَكَرَ اللهُ التَّخييرَ فيها(٢) بيْنَ: ذبحِ الْمِثْلِ مِن النَّعَمِ، أَو تقْويمِهِ بطعامٍ؛ فيُطعِمُ كلَّ مِسكينٍ مُدَّ بُرٍّ(٣) أَو نِصفَ صاعٍ(٤) مِن غيرِهِ، أَو يصُومُ عن [إِطعامِ](٥) كلِّ مِسكينٍ يومًا؛ فهذهِ الأَنواعُ فِديتُها تَخْيِيْرٌ[٤٩].

وأَمَّا المتمتِّعُ والقارِنُ فإِنَّ هديَهما هديُ نُسُكٍ، غيرُ هدي جُبرانٍ(٦).

وهو على التَّرتيبِ؛ إِنْ تيسَّرَ الهديُ وجبَ الهديُ، فإِنْ لم يَتيسَّرْ فعليهِ صيامُ عشَرةِ أَيَّامٍ؛ ثلاثةٌ في الحجِّ -ولا يُؤخِّرُها عن أَيَّامِ التَّشريقِ-(٧)، وسَبعةٌ إِذا رجعَ؛ أَيْ: فرَغَ مِن جميعِ شُؤونِ النُّسُكِ.

ودلَّ إِطلاقُ إيجابِ الصِّيامِ على أَنَّهُ يجوزُ فيها التَّتابعُ، والتَّفريقُ.

وَالقَمْلُ يَتَنَاثَرُ عَلَى وَجْهِي، فَقَالَ: ((مَا كُنْتُ أُرَى أَنَّ الجَهْدَ قَدْ بَلَغَ بِكَ هَذَا، أَمَا تَجِدُ شَاةً))، قُلْتُ: لَا، قَالَ: ((صُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، أَوْ أَطْعِمْ سِتَّةَ مَسَاكِينَ، لِكُلِّ مِسْكِينٍ نِصْفُ صَاعٍ مِنْ طَعَامٍ، وَاحْلِقْ رَأْسَكَ))، فَنَزَلَتْ فِيَّ خَاصَّةً وَهِيَ لَكُمْ عَامَّةً".

(١) الْمَخِيْطُ: لفظ لم يَرِد في القرآن ولا في السُّنَّة، وإِنَّما قِيل: إِنَّ أَوَّل مَن تكلَّم به إبراهيم النَّخعي رحمه الله.
والمخِيْطُ عند الفُقهاء: ما عُمِل على قدر البدن أَو عضوٍ منه؛ كالقميص، والسَّراويل، وما أَشبهها، إذا استعملت في الإِحرام على الطَّريقة المعتادة. ينظر: شرح العُمدة، لابن تيميَّة، كتاب الحجِّ، (٢/١٦)، ومجموع فتاوى ورسائل العُثَيْمِين، (٢٢/١٠٧، ١٣٥).

(٢) قال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [المائدة:٩٥].

(٣) الْمُدُّ: مكيال معلومٌ، وأَصله أَنْ يَمُدَّ الرَّجُل يَدَيْه فيملأ كَفَّيْه طعامًا، وهو ربع الصَّاع، وزِنته خمسمائة وعشرة جرامات. ينظر: تهذيب اللُّغة، ومقاييس اللُّغة، ولسان العرب، مادَّة: (مدد)، والشَّرح الْمُمْتِع، (٦/١٧٧).

(٤) الصَّاعُ: مِكيال معروف، تُكال به الحبوب ونحوها، وهو أَربع حَفَناتٍ بكَفَّي الرَّجُل الذي ليس بعَظيم الكَفَّيْن ولا صغيرهما، وقدَّره أَهل الحجاز قديمًا بأَربعة أَمْداد، ويساوي أَلفين وأَربعين جرامًا. ينظر: مقاييس اللُّغة، والقاموس المحيط، ومُعْجَم اللُّغة العربيَّة المعاصرة، مادَّة: (صوع)، والشَّرح الْمُمْتِع، (٦/١٧٧).

(٥) "إِطعام"، زيادة في: س: والسِّياق يحتاجها ليتَّضح المعنى.

(٦) هديُ الجُبْرَان، ويُسمَّى دم الجُبْرَان: ما يجب بسبب فعل محظُور، أَو ترك واجب مِن النُّسك. ينظر: نهاية المطلب في دراية المذهب، للجُوَيْنِي، (٤/٢١٢)، ومنهج السَّالكين، (ص:١٤٧).

(٧) أَيامُ التَّشريقِ: هي الأَيام الثَّلاثة التَّالية لعيد الأَضحى؛ وسُمِّيت بذلك لأَنَّهم كانوا يُشرِّقون اللَّحم في الشَّمس بمنى، أَيْ: يبسطونه ليَجفَّ. ينظر: العين، وجمهرة اللُّغة، مادَّة: (شرق).

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أَيْ: وجوبُ الهديِ على المتمتِّع والقارنِ؛ أَو بدلِهِ -لِمَن لم يجدْ- مِن الصِّيامِ.

﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: وهم الأَفَقِيَّةُ(١)؛ لأَنَ مِن الحِكمةِ في إِيجابِ الهديِ على الأَفَقِيِّ: أَنَّهُ لَمَّا حصَّلَ نُسُكَيْنِ في سفرةٍ واحدةٍ كان هذا مِن أَعظمِ نعمِ اللهِ، فكان عليهِ أَنْ يشكرَ اللهَ على هذهِ النِّعمةِ الجَلِيلةِ، ومِن جملةِ الشُّكرِ إِيجابُ الهديِ عليهِ.

وأَمَّا الْمُقِيمونَ في مكَّةَ أَو كانوا في قُربِها -بحيثُ لا يقالُ لهم مسافرونَ- فليس عليهِم هَديٌ ولا بدَلُهُ؛ لِمَا ذكرنا مِن الحِكمةِ.

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: في جميعِ أُمورِكُم بامتثالِ أَوامرِهِ واجتنابِ نَواهيهِ، ومِن ذلكَ امتثالُكُم لهذهِ المأْموراتِ في هذهِ العبادةِ الجليلةِ، واجتنابُكُم لمحظوراتِها.

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾؛ أَيْ: لِمَن عصاهُ، وذلك موجبٌ للتَّقوى؛ فإِنَّ مَن خافَ عقابَ اللهِ انكفَّ عن السَّيئاتِ، كما أَنَّ مَن رجا ثوابَ اللهِ عملِ لِمَا يوصلُهُ إِلى الثَّوابِ، وأَمَّا مَن لم يخفِ اللهَ فإِنَّهُ لا بُدَّ أَنْ يتجرأَ على المحارمِ، ويتهاونَ بالفرائضِ.

ثُمَّ أَخبرَ -تعالى- أَنَّ الحجَّ واقعٌ في أَشهُرٍ معلوماتٍ عند المخاطبِينَ، بحيثُ لا تحتاجُ إِلى تعيينٍ كما احتاجَ الصِّيامُ لتعيينِ شهرِهِ، وكمَا بَيَّنَ -تعالى- أَوقاتِ الصَّلواتِ الخمسِ.

وأَمَّا الحجُّ فقد كان مِن ملَّةِ إِبراهيمَ التي لم تَزَلْ مُستمرَّةً في ذريَّتِهِ، معروفةً بينهُم.

والمرادُ بالأَشهرِ المعلوماتِ عند الجُمهورِ(٢): شوَّالٌ وذو القَعدةِ، وعشرٌ أَو ثلاثةَ عشرَ مِن ذي الحِجَّةِ؛ فهي التي يقعُ فِيها الإِحرامُ بالحجِّ غالبًا، وهي التي تقعُ فيها أَفعالُ الحجِّ؛ أَركانُهُ وواجباتُهُ، ومُكمِّلاتُهُ.

﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾؛ أَيْ: عقدَهُ وأَحرَم بهِ؛ لأَنَّ الشُّروعَ فيهِ يُصيِّرُهُ فَرْضًا، ولو كان قبلَ

---

(١) الأَفَقِيَّةُ: مِن الآفاق: النَّواحي والأَطراف: الواحد أُفْقٌ وأُفُق، "ورجل أَفَقى بفتح الهمزة والفاء، إذا كان مِن آفاق الأَرض". الصِّحاح، وينظر: جَمْهَرة اللُّغة، ومقاييس اللُّغة، مادَّة: (أفق).

(٢) قال ابن كثير رحمه الله: "قلت: وهو مرويٌّ عن عمر، وعليٍّ، وابن مسعود، وعبدالله بن الزُّبير، وابن عبَّاس، وعَطَاء، وطاوس، ومُجاهد، وإِبراهيم النَّخعيِّ، والشَّعبيِّ، والحسَن، وابن سِيرين، ومَكْحُول، وقتادة، والضَّحَّاك بن مُزاحم، والرَّبيع بن أَنس، ومُقاتل بن حيَّان، وهو مذهب الشَّافعيِّ، وأَبي حنيفة، وأَحمد بن حنبل، وأَبي يوسف، وأَبي ثَوْر رحمهم الله". تفسير القرآن العظيم، (٥٤٢/١)، وينظر: جامع البيان، (١١٧/٤)، وأَحكام القرآن، للطَّحاوي، (٧/٢).

ذلك نفلًا.

واستدلَّ بهذهِ الآيةِ الشَّافعيُّ، ومَن قالَ بقولِهِ[١]: إِنَّهُ لا يجوزُ الإِحرامُ بالحجِّ قبلَ أَشهرِهِ.

ولو قِيل: إنَّ الآيةَ فِيها دِلالةٌ لقولِ الجُمهورِ[٢]؛ بصحَّةِ الإِحرامِ بالحجِّ قَبلَ أَشهرِهِ لكانَ قريبًا؛ لأَنَّ قولَهُ: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾؛ دليلٌ على أَنَّهُ قد[٣] يقعُ الفرْضُ فِيهنَّ وفي غيرِهنَّ، وإِلَّا لَمَا كان في القَيدِ فائدةٌ.

﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾؛ أَيْ: يجبُ عليكُم أَنْ تُعظِّموا حُرمةَ الإِحرامِ بالحجِّ، وخُصوصًا الواقعَ في أَشهرِهِ، وتَصُونُوهُ عن كلِّ ما يفسدُهُ أَو ينقضُهُ؛ مِن الرَّفثِ: وهو الجِماعُ ومُقدِّماتُهُ الفِعليَّةُ والقَوليَّةُ، خصوصًا التَّكلُّمَ في أُمورِ النِّكاحِ بِحَضْرَةِ النِّساءِ.

﴿وَلَا فُسُوقَ﴾: وهو جميعِ المعاصي، ومِنها محظوراتُ الإِحرامِ.

﴿وَلَا جِدَالَ﴾، والجِدالُ: هو الْمُماراةُ، والمنازَعةُ، والمخاصَمةُ؛ لكونِها تثيرُ الشَّرَّ، وتوقعُ العداوةَ؛ والمقصودُ مِن الحجِّ الذُّلُّ والانكسارُ للهِ، والتَّقربُ إِليهِ بِما أَمكنَ مِن القُرباتِ، والتَّنزُّهُ عن مُقارفةِ السَّيئاتِ، فإِنَّهُ يكونُ بذلكَ مبرورًا، ((وَالحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةُ))[٤]، وهذهِ الأَشياءُ[٥] -وإِنْ كانتْ ممنوعةً في كلِّ زمانٍ ومكانٍ- فإِنَّهُ يتأَكدُ المنعُ مِنها في الحجِّ.

واعلمْ أَنَّهُ لا يَتِمُّ التَّقرُّبُ إِلى اللهِ بتركِ المعاصي حتَّى يفعلَ الأَوامرَ، فلهذا أَتبعَهُ بقولِهِ: ﴿وَمَا

---

(١) روي عن ابن عبَّاس، وجابر، وقال به عَطاء، وطاوس، ومُجاهد؛ لأَنَّ اللهَ وقَّت الحجَّ بالأَشهر المعلومات، وخصَّصه بها مِن بيّن سائر الشُّهور، فدلَّ على أَنَّه لا يصحُّ قَبْلها، كميقات الصَّلاة. ينظر: الأُم، (١٦٨/٢)، وتفسير القرآن العظيم، (٥٤١/١).

(٢) قال ابن كثير: "والقول بصحَّة الإِحرام بالحجِّ في جميع السَّنَة مذهب مالك، وأَبي حنيفة، وأَحمد بن حنبل، وإِسحاق بن راهويه، وبه يقول إبراهيم النَّخعيُّ، والثَّوريُّ، واللَّيث بن سَعْد". تفسير القرآن العظيم، (٥٤٠/١-٥٤١)، وينظر: أَحكام القرآن، للجصَّاص، (٣١٦/١)، والجامع لأَحكام القرآن، (٣٤٣/٢).

(٣) "قد"، ليست في: (س)، وبدونها أَليق للمعنى.

(٤) أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب الحجِّ، باب وجوب العمرة وفضلها، (٢/٣) ح (١٧٧٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحجِّ باب في فضل الحجِّ والعمرة، ويوم عرفة، (٩٨٣/٢) ح (١٣٤٩)، عن أَبي هريرة.

(٥) الفُسُوق، والجِدال المؤدِّي للبغضاء.

﴿تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾؛ أَتَىٰ بـ ﴿مِنْ﴾ المفيدةِ لتنصيصِ العُمومِ(١)؛ فكلُّ عبادةٍ وقُربةٍ فإنَّهُ يدخلُ(٢) في هذا.

والإخبارُ بعلمِهِ[٥٠] يتضمَّنُ الحثَّ على أَفعالِ الخيرِ؛ خصوصًا في تلكَ البقاعِ الشَّريفةِ والحرُماتِ الْمُنِيْفَةِ(٣)، فإنَّهُ ينبغي اغتنامُ الخيراتِ والمنافسةُ فِيها؛ مِن صلاةٍ وصيامٍ، وصدقةٍ وقراءةٍ، وطوافٍ وإحسَانٍ قَوليٍّ وفِعليٍّ.

﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾: لهذا السَّفرِ المباركِ؛ فإنَّ التَّزوُّدَ فيهِ الاستغناءُ عن الخَلْقِ، وعدمُ التَّشوُّفِ لِمَا عندهم، وإعانةُ المسافرِينَ، والتَّوسعةُ على الرُّفْقةِ، والانبساطُ والسُّرورُ في هذا السَّفرِ، وزيادةُ التَّقربِ إلى اللهِ تعالى.

وهذا الزَّادُ: المرادُ بهِ إِقامةُ البُنْيَةِ؛ بُلْغَةٌ(٤)، ومَتَاعٌ(٥).

وأَما الزَّادُ الحقيقيُّ المستمِرُّ نفعُهُ لصاحبِهِ في دُنياهُ وأُخراهُ فهو: زادُ التَّقوى؛ الذي هو زادٌ إلى دارِ القَرارِ، وهو الموصلُ لأَكملِ لذَّةٍ، وأَجلِّ نعيمٍ، دائمًا أَبدًا، ومَن تركَ هذا الزَّادَ فهو المنقَطَعُ بِهِ، الذي هو عُرضةٌ لكلِّ شرٍّ، وممنوعٌ مِن الوصولِ إلى دارِ المتَّقِينَ.

وقد يتمكَّنُ الموفَّقُ مِن جعلِ الزَّادِ الحِسِّي يَجمعُ الزَّادَينِ؛ بأَنْ يقصِدَ بهِ وجهَ اللهِ، والقيامَ بواجبِ النَّفسِ، والرُّفقةِ ومنْ يتَّصِلُ بهِ، والقيامَ بالإحسانِ المستحبِّ، وقصدَ امتثالِ أَمرِ اللهِ؛ فالنِّيَّةُ هي الأَساسُ لكلِّ خيرٍ، التي تجعلُ النَّاقصَ كاملًا، والعادةَ عبادةً(٦).

ثُمَّ قال: ﴿وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾؛ أَيْ: يا أَهلَ العُقولِ الرَّزِينةِ اتَّقوا ربَّكم، الذي تَقواهُ أَعظمُ ما تأْمرُ بِهِ العقُولُ، وتركُها دليلٌ على فسادِ العقلِ والرَّأْيِ.

---

(١) تَنْصِيْصُ العُمومِ: أَي: توكيده؛ "وهي الدَّاخلة على نكرة لا تختصُّ بالنَّفي". التَّحبير شرح التَّحرير، (٦٣٢/٢)، وغاية الوصول، لزكريا الأنصاري، (ص:٦٤)، وتاج العَرُوس، مادَّة: (من).

(٢) س: "فإنَّها تدخل"، وهي أَولى؛ مراعاة لما قبلها.

(٣) الْمُنِيْفَةُ: المرتفعة المشرِفة. ينظر: جَمْهَرَة اللُّغة، وتاج العَرُوس، مادَّة: (نوف).

(٤) البُلْغَةُ: "مِن القُوت: ما يُتبلَّغُ به، ولا فضل فِيه". تهذيب اللُّغة، وينظر: مُختار الصِّحاح، مادَّة: (بلغ).

(٥) الْمَتاعُ: "كلُّ شيءٍ يُنتفع به، ويُتبلغ به ويُتزود، والفَناءُ يأْتي عليه في الدُّنيا". لسان العرب، وتاج العَرُوس، مادَّة: (متع).

(٦) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول اللهِ ﷺ؟ (٦/١) ح (١)، عن عمرﷺ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى. . .)).

ولَمَّا أَمرَ بتقواهُ أَخبرَ أَنَّ ابتغاءَ فضلِهِ -بالاشتغالِ بالتَّكسُّبِ في التِّجارةِ في مواسمِ الحجِّ وغيرِها- ليس فيهِ حرجٌ، إذا لم يَشغَلْ عمَّا يَجبُ، إذا كان المقصودُ هو الحَجُّ، وكان الكَسبُ حَلالًا مَنسوبًا إلى فضلِ اللهِ، مُعتَرَفًا فيهِ بنعمةِ اللهِ، لا مَنسوبًا إلى حِذقِ العبدِ، والوقوفِ معَ السَّببِ ونِسيانِ المسبِّبِ، فإنَّ هذا هو الحرجُ بعينِهِ في كلِّ وقتٍ، فكيفَ إذا قارَنَ النُّسُكَ الفاضلَ.

وفي قولِهِ: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِ﴾: دِلالةٌ على أُمورٍ:

أَحدِها: أَنَّ الوقوفَ بعرفةَ مِن المشاعرِ الجليلةِ، ومِن أَركانِ الحجِّ، فإنَّ الإفاضةَ مِن عرفاتٍ لا تكونُ إلَّا بعدَ الوقوفِ الذي هو رُكنُ الحَجِّ الأَعظمُ، بعد الطَّوافِ.

الثَّاني: الأَمرُ بذكرِ اللهِ عند المشْعرِ الحرامِ؛ وهو الْمُزْدَلِفَةُ(١) -وذلكَ أَيضًا معروفٌ- يكونُ الحاجُّ ليلةَ النَّحرِ بائتًا(٢) بها، وبعد صلاةِ الفجرِ يقِفُ في المزدَلِفَةِ دَاعيًا حتَّى يُسفرَ جِدًّا(٣)، ويَدخلُ في ذكرِ اللهِ عندَ المشْعرِ الحرامِ ما يَقعُ في المشْعَرِ مِن الصَّلواتِ فرضِها ونفلِها.

الثَّالثُ: أَنَّ الوقوفَ بمزدَلِفَةَ متأَخرٌ عن الوقوفِ بعرفةَ، كمَا تدلُّ عليهِ (الفَاءُ) المفيدةُ للتَّرتِيبِ(٤).

الرَّابعُ، والخامسُ: أَنَّ عرفاتٍ ومزدَلفة كليهِما مِن مشاعرِ الحجِّ المقصودِ فعلُها، وإظهارُها.

[السَّادسُ](٥): أَنَّ مُزدَلِفةَ في الحرَمِ، كمَا قيَّدَهُ بالمشْعَرِ الحَرَامِ.

[السَّابعُ](٦): أَنَّ عَرَفةَ بالحِلِّ كما هو مفهومُ التَّقييدِ بمزدلِفَةَ.

﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾؛ أَيْ: اذكُروا اللهَ كمَا مَنَّ عليكم

---

(١) الْمُزدَلِفَةُ: مِن الازْدِلاف، وهو الاقتراب، والحاجُّ يتقرَّب إلى الله فيها. ينظر: مقاييس اللُّغة، ولسان العرب، مادَّة: (زلف).

(٢) س: "بائنًا"، وهي خطأ في النُّسخ.

(٣) أخرج مسلم في صحيحه، كتاب الحجّ، باب حجَّة النَّبيِّ ﷺ، (٢/٨٨٦-٨٩١) ح (١٢١٨)، عن جابر رضي الله عنه، قال: "... وَصَلَّى الْفَجْرَ، حِينَ تَبَيَّنَ لَهُ الصُّبْحُ، بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ، ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ، حَتَّى أَتَى الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَدَعَاهُ وَكَبَّرَهُ وَهَلَّلَهُ وَوَحَّدَهُ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى أَسْفَرَ جِدًّا".

(٤) هذا رأْي جمهور أَهل اللُّغة. ينظر: شرح قَطْر النَّدى، لابن هشام، (ص:٣٠٢)، وشرح ابن عقيل، (٣/٢٢٧).

(٥) خ: "السَّابع"، وس: "السَّادس"، وهو الصَّواب.

(٦) خ: "الثَّامن"، وس: "السَّابع"، وهو الصَّواب.

بالهِدايةِ بعد الضَّلالةِ، و﴿كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾(١)، فهذهِ مِن أَكبرِ النِّعمِ التي يجبُ شُكرُها ومقابلتُها؛ بالإِكثارِ مِن ذكرِ المنعِمِ بالقَلبِ، واللِّسانِ.

﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ﴾؛ أَيْ: مِن مُزدَلِفَةَ.

﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾: مِن لَدُن إبراهيمَ إِلى هذا الوقتِ(٢).

والمقصودُ مِن هذهِ الإفاضةِ كان معروفًا عندهُم؛ وهو رَميُ الجِمارِ، وذبحُ الهدَايا، والطَّوافُ، والسَّعيُ، والْمَبيْتُ بمِنىً ليالِيَ أَيَّامِ التَّشريقِ، وتكميلُ بقيَّةِ المناسكِ.

ولَمَّا كانتْ هذهِ الإِفاضةُ يُقصَدُ بِها ما ذُكِرَ، والمذكوراتُ(٣)[٥١] آخرَ المناسِكِ، أَمرَ -تعالى- بعدَ الفراغِ مِنها باستغفارِهِ -خشيةَ الخَللِ الواقعِ مِن العبدِ في أَداءِ العِبادةِ وتقصيرِهِ فِيها- وبالإِكثارِ مِن ذكرِهِ؛ شُكْرًا لَهُ على نعمةِ التَّوفيقِ لهذهِ العِبادةِ العظيمةِ وتَكميلِها.

وهكذا يَنبغِي للعبدِ كلَّما فرَغَ مِن عِبادةٍ أَنْ يَستغفرَ اللهَ عن التَّقصيرِ، ويَشكرَهُ على التَّوفيقِ، فهذا حقيقٌ بأَنَّ اللهَ يَجبُرُ لَهُ ما نقصَ مِنها ويتقبَّلُها، ويزيدُهُ نِعمًا أُخرى؛ لأَنَّ مَن جَهلَ حقَّ ربِّهِ فرأَى نفسَهُ أَنَّهُ قد كمَّلَ حُقوقَ العِبادةِ -فأُعجِب بنفسِهِ، ومَنَّ بِعبادتِهِ على ربِّهِ، وتراءَى لَهُ أَنَّهُ قد جعَلتْ لَهُ محَلًّا ومَنزلةً رَفيعةً- فهذا حَقيقٌ بالْمَقْتِ(٤)، ويُخشَى عليهِ مِن رَدِّ العملِ.

ثُمَّ أَخبرَ -تعالى- عن أَحوالِ الخَلْقِ، وأَنَّ الجميعَ يَسأَلونَهُ مَطالبَهُم، ويَستدفعونَهُ ما يُضرُّهُم؛ ولكنَّ هِممَهُم ومقاصِدَهُم مُتباينةٌ؛ فمِنهُم: ﴿مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا﴾؛ أَيْ: يسأَلُ ربَّهُ مِن مطالبِ دنياهُ وشهواتِهِ فقط.

﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾(٥): لا رغبةَ لَهُ فِيها، ولا حَظَّ لَهُ مِنها.

ومِنهُم عالي الهمَّةِ مَن يدعو اللهَ لمصلحةِ الدَّارينِ، ويَفتقِرُ إِلى ربِّهِ في مُهمَّاتِ دينِهِ ودنياهُ،

---

(١) البقرة: ٢٣٩

(٢) قال ابن جَرِيْرٍ رحمه الله: "كانت سنَّة إبراهيم وإسمعيل الإفاضة مِن عرَفات". جامع البيان، (١٨٨/٤).

(٣) "والمذكورات"، مكررة في: (خ).

(٤) الْمَقْتُ: "البغض الشَّديد لمن تراه تعاطى القبيح". المفْردات، وينظر: تهذيب اللُّغة: مادَّة: (مقت).

(٥) سورة القرة: ٢٠٠

تمَّ تصحيح الخطأ في نقل الآية حيث كتبت: "من نصيب".

وكلٌّ مِن هؤلاءِ وهؤلاءِ لَهُ نَصيبٌ مِن كسْبِهِم وعملِهِم، وسيجازيهِم اللهُ على حسَبِ أَعمالِهِم وهِمَّاتِهِم[(١)]، ونيَّاتِهِم، جزاءً دائرًا بيْنَ الفضلِ والإِحسانِ والكرَمِ لِلمقبولِينَ، وبيْنَ العدلِ والحِكمةِ لغيرِهِم.

وفِي هذهِ الآيةِ دليلٌ على أَنَّ اللهَ -تعالى- يقبلُ دعوةَ كلِّ داعٍ، مسلمًا كان أَو كافرًا، برًّا أَو فاجرًا[(٢)]؛ ولكنْ ليستْ إِجابتُهُ دعاءَ مَن دعاهُ دليلًا على محبَّتِهِ، وقُرْبِهِ مِنهُ إِلَّا في مطالبِ الآخرةِ ومُهمَّاتِ الدِّينِ؛ فمَن أُجيبتْ دعوتُهُ في هذهِ الأُمورِ الدَّائمِ نفعُها كان مِن البُشرى، وكان أَكبرَ دليلٍ على بِرِّهِ، وقُرْبِهِ مِن رَبِّهِ.

والحسَنةُ المطلوبةُ في الدُّنيا يدخلُ فيها: كلُّ ما يَحسنُ وَقعُهُ عند العبدِ، وما بهِ تكمُلُ حياتُهُ، مِن رَزقٍ هَنيءٍ واسعٍ حَلالٍ، وزوجةٍ صالحةٍ، وولدٍ تقَرُّ بهِ العَينُ، ومِن راحةٍ، وعِلْمٍ نافعٍ، وعَملٍ صالحٍ، وما يَتبعُ ذلكَ مِن المطالبِ النَّافعةِ المحبوبةِ، والمباحةِ.

وأَمَّا حسَنةُ الآخرةِ فهي السَّلامةُ مِن العُقوباتِ التي يَستقبلُها العِبادُ؛ مِن عذابِ القَبرِ والموقفِ، وعذابِ النَّارِ، وحُصولِ رضا اللهِ، والفوزِ بالنَّعيمِ المقيمِ، والقُربِ مِن الرَّبِ الرَّحيمِ[(٣)].

فهذا الدُّعاءُ أَجمعُ الأَدعيةِ، وأَكملُها، وأَوْلَاها بالإِيثارِ، ولهذا كان النَّبيُّ ﷺ يَكثِرُ مِن الدُّعاءِ بهِ، ويَحثُّ عليهِ[(٤)].

ولَمَّا أَكملَ اللهُ -تعالى- أَحكامَ النُّسُكِ أَمرَ بالإِكثارِ مِن ذِكرِهِ في الأَيَّامِ الْمَعدوداتِ، وهي

---

(١) "وهمَّاتهم"، ليست في: (س).

(٢) قال ﷻ: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٥].

(٣) قال ابن كثير رحمه الله: "فإِنَّ الحسنة في الدُّنيا تشمل كلَّ مطلوب دنيويٍّ؛ مِن عافية، ودار رحبة، وزوجة حسنة، ورزق واسع، وعلم نافع، وعمل صالح، ومركب هنيء، وثناء جميل، إِلى غير ذلك مِمَّا اشتملت عليه عبارات المفسِّرين، ولا منافاة بينها، فإِنَّها كلَّها مندرجة في الحسنة في الدُّنيا، وأَمَّا الحسنة في الآخرة فأَعلى ذلك دخول الجنَّة، وتوابعه مِن الأَمن مِن الفزع الأَكبر في العَرَصات، وتيسير الحساب، وغير ذلك مِن أُمور الآخرة الصَّالحة". تفسير القرآن العظيم، (١/٥٥٨).

(٤) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الدَّعوات، باب قول النَّبيِّ ﷺ: ربنا آتنا في الدُّنيا حسنة، (٨/٨٣) ح (٦٣٨٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الذِّكر والدُّعاء والتَّوبة والاستغفار، باب فضل الدُّعاء باللَّهم آتنا في الدُّنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النَّار، (٤/٢٠٧١) ح (٢٦٩٠)، عن أَنس رضي الله عنه، قال: كان أَكثرُ دعاء النَّبيِّ ﷺ: ((اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)).

أَيَّامُ التَّشريقِ في قولِ جمهورِ المفسِّرِينَ(١)؛ وذلكَ لمزيَّتِها وشرفِها؛ وكونِ بقيَّةِ المناسكِ تُفعَلُ بِها، ولِكونِ النَّاسِ فِيها أَضيافًا للهِ، ولهذا حرَّمَ صيامَها(٢)، فلِلذِّكرِ فِيها مَزيَّةٌ ليستْ لِغيرِها؛ ولِهذا قال النَّبيُّ ﷺ: ((أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ، وَشُرْبٍ، وَذِكْرٍ لِلَّهِ))(٣).

ويَدخلُ في ذكرِ اللهِ رميُ الجِمارِ، والتَّكبيرُ عند رميِها، والدُّعاءُ بعدَ(٤) الجَمرتينِ، والذَّبحُ، والتَّسمِيةُ فيهِ، والصَّلواتُ التي تُفعلُ فِيها مِن فرائضَ ونوافلَ، والذِّكرُ المقيَّدُ بعدَ الفرائضِ فيها، وعند كثيرٍ مِن أَهلِ العِلْمِ أَنَّهُ يستحبُّ فيها التَّكبيرُ المطْلَقُ؛ كالعَشْرِ(٥)؛ فجميعُ ما يقرِّبُ إِلى اللهِ داخلٌ بذِكرِهِ.

﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾؛ أَيْ: خرجَ مِن منىً، ونفَرَ مِنها قبلَ غروبِ الشَّمسِ فلا إِثمَ عليهِ، ومَن تأَخَّرَ بأَنْ باتَ بِها ليلةَ الثَّالثِ مِن أَيَّامِ التَّشريقِ؛ لِيرميَ مِن غَدِهِ فلا إِثمَ عليهِ، وهذا تخفيفٌ مِن اللهِ على عبادِهِ؛ حينَ أَباحَ الأَمْرينِ، معَ أَنَّ التَّأَخُّرَ أَرجحُ؛ لموافقتِهِ فعلَ النَّبِيِّ ﷺ(٦)؛ وزيادةِ العباداتِ.

وقولُهُ: ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾: هذا مِن الاحْترازِ العَالي(٧)؛ لأَنَّ نفيَ الحَرجِ يُوهِمُ العُمومَ[٥٢]، فقيَّدَ(٨)

---

(١) كابن عبَّاس، والحسن، وعَطاء، ومُجاهد، وقَتادة، وابن جَرِيْر، والثَّعلبيِّ، وابن الجَوْزيِّ، والقُرْطُبِيِّ، وأَبي حيَّان، وابن كثير رحمهم الله. ينظر: جامع البيان، (٢٠٨/٤)، والكَشْف والبيان، (١١٧/٢)، وزَاد المَسِير، (١٦٩/١)، والجامع لأَحكام القرآن، (٣/٣)، والبحر المحيط، (٣١٩/٢)، وتفسير القرآن العظيم، (٥٦١/١).

(٢) نصَّ على هذه الحِكم، وغيرها ابن رَجَب رحمه الله في لَطائف المعارِف، (ص:٢٩٢).

(٣) أَخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصِّيام، باب تحريم صوم أَيَّام التَّشريق، (٨٠٠/٢) ح (١١٤١)، عن نُبَيْشَةَ الْهُذَلِيِّ رضي الله عنه.

(٤) س: "بين".

(٥) ومنهم ابن كثير، والشَّوكانيُّ، وابن عُثَيْمِين رحمهم الله. ينظر: تفسير القرآن العظيم، (٥٦١/١)، والسَّيل الجرَّار المتدفِّق على حدائق الأَزهار، للشَّوكاني، (ص:١٩٦)، والاختيارات السّعديَّة، (ص:٥٢)، والشَّرح الْمُمْتِع، (١٦٦/٥).

(٦) أَخرج أَحمد في مسنده، (١٤٠/٤١) ح (٢٤٥٩٢)، وأَبو داود في سننه، كتاب المناسك، باب في رمي الجمار، (٢٠١/٢) ح (١٩٧٣)، عن عائشة رضي الله عنها، قالَتْ: ". . . أَفَاضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ آخِرِ يَوْمِهِ حِينَ صَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مِنىً، فَمَكَثَ بِهَا لَيَالِيَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، يَرْمِي الْجَمْرَةَ إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ. . . ".
قال الأَلبانيُّ رحمه الله: "حديث صحيح؛ إلا قوله: حِينَ صَلَّى الظُّهْرَ، فهو منكر؛ لأَنَّ ظاهره أَنَّه صلَّى الظُّهر قبْل طواف الإِفاضة، وهو خلاف حديث جابر". صحيح أَبي داود، (٢١٣/٦) ح (١٧٢٢).
وقال محقِّقو المسند -الأَرْنَؤُوط، وآخرون-: "حديث حسن".

(٧) الاحْتِرَازُ أَو الاحتِراسُ: "أَنْ يُؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه". الإِيضاح في علوم البلاغة، للقَزْوِيني، (٢٠٨/٣)، والتَّعريفات، (ص:١٣)، وينظر: البُرهان في علوم القرآن، (٦٤/٣).

(٨) س: "فقيل"، وهي خطأٌ في النَّسخ.

ذلكَ بِهذا الشَّرطِ، الذي هو شرطٌ لنفيِ الحَرَجِ في كلِّ شيءٍ[١].

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: بامتثالِ أَوامرِهِ، واجتنابِ نواهيهِ.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾: فمُجازِيكُم بأَعمالِكُم.

فمَن اتقاهُ وَجدَ عندَهُ جزاءَ المتَّقِينَ، ومَن لم يتَّقِهِ عاقبَهُ عُقوبةَ تاركِ التَّقوَى؛ فإِنَّ التَّقوَى هي ميزانُ الثَّوابِ والعِقابِ في القائمِ بِها، والمضَيِّعِ لَها؛ فالعِلمُ بالجزاءِ والإِيمانُ بهِ هو أَعظمُ الدَّواعي للقيامِ بالتَّقوَى.

---

(١) وهذا فيه حثٌّ على ترك المعاصي، وبيان لفوائد التَّقوى، والإخلاص لله، كما قالﷻ: ﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [النساء:٧٧]، وقال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ﴾ [الروم:٣٨].
أَخرج البخاريُّ في صحيحه كتاب الحجِّ، باب فضل الحجِّ المبرور، (١٣٣/٢) ح (١٥٢١)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحجِّ، باب في فضل الحجِّ والعمرة، ويوم عرفة، (٩٨٣/٢) ح (١٣٥٠)، عن أَبي هريرةﷺ، قال: سمعت النَّبيَّﷺ يقول: ((مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ)).

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾(١). . . الآيات(٢).

يَذكرُ اللهُ -تعالى- عَظَمةَ البيتِ الحرامِ وجَلالَتَهُ، وعظَمةَ بَانيهِ، وهو خليلُ الرَّحمنِ، فقالَ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾؛ أَيْ: هيَّأْناهُ لَهُ، وأَنزلناهُ إياهُ، بحيثُ جعلَ قِسْمًا مِن ذُرِّيَتِهِ هُم سُكَّانُهُ.

وأَمَرَهُ اللهُ بِبُنيَانِهِ، فبَناهُ، وأَسَّسَهُ على تقوَى اللهِ، ورضوانِهِ، هو وابنُهُ إِسماعيلُ، بنيَّةٍ صادقةٍ، وخضوعٍ للهِ، وإِخلاصٍ، ودعاءٍ منهُما؛ أَنْ يَتقبَّلَ منهُما هذا العَملَ الجَليلَ، فتقبَّلهُ اللهُ(٣).

فهذهِ آثارُ القَبولِ لهذا البيتِ في كلِّ وقتٍ، وجِيلٍ مُتَواصلةٌ.

ووصَّاهُ بأَنْ لا يشرِكْ بهِ شيئًا؛ بأَنْ ينفيَ الشِّركَ عنهُ، وعن ذريَّتِهِ، وعمَّن وصَلَتْ إِليهِ دعوتُهُ(٤).

﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ﴾؛ أَيْ: مِن الشِّركِ والمعاصي، ومِن الأَنجاسِ والأَدناسِ.

وأَضافَهُ إِلى نفسِهِ لِيكتسبَ شَرفًا إِلى شَرفِهِ؛ ولتَعظُمَ محبَّتُهُ في القُلوبِ؛ لكونِهِ بيتَ محبوبِها الأَعظَمَ؛ وتَنْصَبُّ وتَهوِي إِليهِ الأَفئدةُ مِن كلِّ جانبٍ؛ وليكونَ أَعظَمَ لِتطْهيرِهِ، وتَعظيمِهِ للطَّائفِينَ بهِ؛ والقائمِينَ عندَهُ لِلعباداتِ المتنوِّعةِ.

﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾؛ أَيْ: المصَلِّينَ؛ أَيْ: طهِّرهُ لهؤلاءِ الفُضلاءِ الذين ليس لهُم همٌّ إِلَّا طاعةُ مولاهُم، ومَا يقرِّبُهم إِليهِ، فهؤلاءِ لهُم الحقُّ؛ ومِن إِكرامِهم تَطهِيرُ هذا البيتِ لهُم، وتَهيئتُهُ لِمَا يُريدونَهُ عندَهُ، ويَدخلُ في تَطهيرِهِ: تَطهيرُهُ مِن الأَصواتِ اللَّاغيةِ المرتفعةِ التي تشوِّشُ على المتعبِّدِينَ

---

(١) الحج: ٢٦

(٢) "الآيات"، ليست في: (س).

والآيات التي بعدها هي قوله ﷻ: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج:٢٧-٢٩].

(٣) قال ﷻ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧].

(٤) قوله: ينفي عنه الشِّرك، أَيْ: يبعد عنه الشِّرك.

بالصَّلاةِ، والطُّوافِ، والقِراءةِ، وغيرِها.

وقدَّمَ الطَّوافَ لاختصاصِهِ بهذا البيتِ، ثُمَّ الاعتكافَ لاختصاصِهِ بجِنسِ المساجدِ(١).

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾؛ أَيْ: أَعلِمهُم به، وادعُهُم إليهِ، وبلِّغْ دانِيَهُم، وقاصِيَهُم فرْضَهُ، وفَضيلَتَهُ؛ فإنكَ إذا دعوتَهُم عن أمرِ اللهِ أَتوكَ حُجَّاجًا، وعُمَّارًا.

﴿رِجَالًا﴾؛ أَيْ: مشاةً على أرجلِهِم مِن الشَّوقِ.

﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾؛ أَيْ: ناقةٍ ضامرٍ تقطعُ الْمَهَامِهَ(٢) والْمَفَاوِزَ(٣)، وتُواصِلُ السَّيرَ حتَّى تأْتِيَ إلى أَشرفِ الأَماكنِ.

﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾؛ أَيْ: مكانٍ وبلدٍ بعيدٍ.

وقد فعلَ الخليلُ ﷺ ذلكَ(٤)، ثُمَّ مِن بعدِهُ ابنُهُ محمَّدٌ ﷺ(٥)، فدعَيَا النَّاسَ إلى حَجِّ هذا البيتِ، وأَبْدَيَا، وأَعَادا فيهِ؛ فحصَلَ ما وعَد اللهُ بهِ؛ أَتَاهُ النَّاسُ رِجالًا، ورُكبانًا مِن مشارقِ الأَرضِ، ومغارِبِها.

ثُمَّ ذكَرَ فوائدَ زيارةِ بيتِ اللهِ الحرامِ، مُرَغِّبًا فيهِ، فقالَ: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾؛ أَيْ: لِينالوا بوُصُولِهِم لبيتِ اللهِ في الأَنساكِ منافعَ متنوِّعةً دِينيَّةً، ومنافعَ دُنيويَّةً؛ كالتَّكسُّبِ، وحصولِ الأَرباحِ، وهذا أَمرٌ مُشَاهدٌ يعرِفُهُ كلُّ أَحدٍ.

فجميعُ العلومِ والعباداتِ الدِّينيَّةِ التي تُفعَلُ في تلكَ البقاعِ الفاضلةِ، وما جعلَ اللهُ لَها مِن التَّضعيفِ داخلٌ في هذهِ المنافعِ، وجميعُ المنافعِ الدُّنيَويَّةِ التي لا تُعَدُّ ولا تُحصَى داخلةٌ في ذلكَ، فصَدَقَ اللهُ وعدَهُ، وأَنجزَ ما قالَهُ، وكان ذلكَ آيةً، وبُرهانًا على توحيدِهِ، وصِدقِ رُسلِهِ[٥٣].

---

(١) نصَّ عليه ابن تَيميَّة، وابن القَيِّم رحمهما الله. ينظر: مَجْمُوع الفَتاوَى، (٢٦/٢٥٠-٢٥١)، وبدائع الفوائد، (١/٨١).

(٢) الْمَهْمَهَةُ: المفازة البعيدة، والبرِّيَّة القَفْر الخالية. ينظر: مُختار الصِّحاح، ولسان العرب، مادَّة: (مهه).

(٣) الْمَفازَةُ: مِن فَوَّزَ تَفْويزًا؛ أَيْ: هلك؛ وسُمِّيت بذلكَ لأَنَّها مَهْلَكة، وقيل: تفاؤلًا بالسَّلامة والفوز. ينظر: مُختار الصِّحاح، ولسان العرب، مادَّة: (فوز).

(٤) نقل ابن جَرِيْر عدَّة روايات في صفة تأْذين إبراهيم بالحجِّ، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وسعيد بن جُبير، ومُجاهد رحمهما الله، وقال: "وذُكر أَنَّ إبراهيم صلوات الله عليه لَمَّا أَمره الله بالتَّأذين بالحجِّ، قام على مقامه فنادى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا بَيْتَهُ الْعَتِيقَ". جامع البيان، (١٨/٦٠٥-٦٠٧)، وينظر: تفسير القرآن العظيم، (٥/٤١٤).

(٥) أَخرج مسلم في صحيحه، كتاب الحجِّ، باب فرض الحجِّ مرَّة في العمر، (٢/٩٧٥) ح (١٣٣٧)، عن أَبي هريرة رضي الله عنه، قال: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: ((أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا. . .)).

وقولُهُ: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾: وهذهِ تجمعُ الأَمْرينِ: الدِّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ؛ أَيْ: لِيذكروا اسمَ اللهِ عندَ ذبحِ الهدايا؛ شكرًا لِلَّهِ على ما رزقَهُم مِنها، ويَسَّرَها لَهم.

فإذا ذبحتُمُوها: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾؛ أَيْ: شديدَ الفقرِ.

والآيةُ الأُخرى: ﴿وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾[1]؛ ﴿الْقَانِعَ﴾: وهو الفقيرُ الذي لا يسأَلُ النَّاسَ.

﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾: الفقيرَ السَّائلَ.

وفي هذا الأَمرُ بالأَكلِ، والإِهداءِ، والصَّدقةِ؛ فإِنَّ الأَمرَ يشملُ: أَكلَ أَهلِها مِنها، وإِهداءَهُم للأَغنياءِ.

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾؛ أَيْ: يَستكمِلوا بقيَّةَ أَنساكِهِم، ويُزيلوا عنهُم محظوراتِ الإِحرامِ، وما ترتَّبَ عليها مِن الشَّعَثِ[2]، ونَحوِهِ.

﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾: التي أَوجبُوها على أَنفسِهِم مِن الحَجِّ والعُمرةِ والهدايا، فإِنَّ[3] نَفسَ عَقْدِ العبدِ للإِحرامِ إِيجابٌ منهُ على نفسِهِ.

﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾؛ أَيْ: القديمِ؛ أَقدَمِ المساجدِ على الإِطلاقِ، الْمُعتَقِ مِن تسلُّطِ الجبابرةِ عليهِ[4].

وتَخصِيصُ الطَّوافِ بهِ دونَ غيرِهِ مِن الْمَناسكِ؛ لِفضلِهِ وشرفِهِ، ولكونِهِ المقصودَ، وما قبلَهُ وما بعدَهُ وسائلُ وتوابعُ؛ ولأَنَّهُ يُتعبَّدُ بهِ لِلَّهِ معَ الأَنساكِ، ووحدَهُ، وأَمَّا بقيَّةُ الأَنساكِ فلا تكونُ عبادةً إِلَّا إِذا كانتْ تابعةً لِنُسُكٍ[5].

---

(١) الحج: ٣٦

(٢) الأَشْعَثُ: هو المغبرُّ الرَّأْس. ينظر: القاموس المحيط، ومُختار الصِّحاح، مادَّة: (شعث).

(٣) "فإِنَّ"، ليست في: (س).

(٤) في معنى: ﴿الْعَتِيقِ﴾ أَقوال عند السَّلف، والمؤلِّف يرى أَنَّ لفظ الآية يتَّسع لها، كما صنع ابن جرير رحمه الله. ينظر: جامع البيان، (٦١٥/١٨)، وزاد الْمَسِير، (٢٣٤/٣-٢٣٥).

(٥) أَشار ابن تَيميَّة رحمه الله إِلى هذا. ينظر: مَجْمُوع الفَتاوَى، (٢١٦/٢٦-٢١٧)، وجامع المسائل، (٢٠١/١-٢٠٢).

فَصْلٌ: فِي آياتٍ تتعلَّقُ بالجِهادِ وتوابِعِهِ:

قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[١] الآيات[٢].

كان المسلمونَ في أوَّلِ الأمرِ مأْمورِينَ بكفِّ الأَيدي عن قتالِ الكفَّارِ، وإنَّما جهادُهُم بالدَّعوةِ؛ لحِكمةٍ ظاهرةٍ، فلمَّا اضطُهِدُوا، واضطرَّهُم الأَعداءُ إلى ترْكِ بلادِهِم وأَوطانِهم، وقَتلوا مَن قَتلوا، وحَبسُوا مَن حَبسُوا، وجَدُّوا في العَداوةِ البَليغةِ بكلِّ طريقٍ، وهاجرَ المسلمونَ بسببِ ذلكَ إلى المدينةِ، وقوَّاهُمُ اللهُ على قتالِ الأَعداءِ، -وقد رَماهمُ الأَعداءُ عن قَوسٍ واحدةٍ- فحينئذٍ أَذِنَ اللهُ لَهم في القتالِ، ولِهذا قالَ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ﴾؛ بمنعِهِم[٣] مِن دينِهِم، وإخراجِهِم مِن ديارِهِم، ومُطاردتِهم لهُم في كلِّ مكانٍ.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾: وهذا -معَ أَمرِهِ لَهم بفعلِ الأَسبابِ، ومُقاومةِ الأَعداءِ بكلِّ مُستطاعٍ- أَمرٌ لَهم بالتَّوكُّلِ عليهِ، واستنصارِهِ، والطَّلبِ مِنهُ.

ثُمَّ ذكَرَ صِفةَ ظُلمِ أَعدائِهِم[٤]، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم﴾: بالأَذيَّةِ والفِتنةِ، ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾[٥]، إلَّا أَنَّ ذنبَهُم إيمانُهُم باللهِ، واعترافُهُم بأَنَّهُ ربُّهم وإلهُهُم، وأَنَّهم أَخلصوا لَهُ الدِّينَ، وتبرَّؤوا مِن عبادةِ المخلوقِينَ؛ وهذا كمَا قال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾[٦].

وهذا ظاهرٌ في حِكْمةِ الجهادِ، وعِظَمِ مَصلحتهِ، وأَنَّهُ مِن الضَّرورياتِ في الدِّينِ؛ فإنَّ المقصودَ بهِ إقامةُ دِينِ اللهِ، والدَّعوةُ إلى عِبادتِهِ التي خَلقَ اللهُ المكلَّفينَ لَها، وأَوجبَها عليهِم، ودفْعُ كلِّ مَن

---

(١) الحج: ٣٩

(٢) قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

(٣) س: "لمنعهم".

(٤) س: "صفة عدوانهم".

(٥) الآية السَّابقة.

(٦) البروج: ٨

قاوَمَ هذا[١] الأَمرَ الضَّرُوريَّ، ومقاومةُ الظَّالِمِينَ المعتدِينَ على دِينِ اللهِ، وعلى المؤمنِينَ مِن عبادِهِ؛ كمَا قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾[٢]؛ ولِهذا قال: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾[٣].

فلولا مُدافعَةُ اللهِ النَّاسَ بعضَهُم بِبعضٍ -بأَسبابٍ مُتعدِّدةٍ، وطُرُقٍ متنوِّعةٍ قدريَّةٍ وشرعيَّةٍ، وأَعظمُها وأَجلُّها وأَزكاها الجهادُ في سبيلِهِ- لاستولَى الكفَّارُ الظَّالِمونَ، ومحَقُوا أَديانَ الرُّسلِ، فقَتَلوا المؤمنِينَ بِهِم، وهَدَمُوا معابِدَهُم، ولكنَّ أَلطافَ اللهِ عظيمةٌ، وأَيادِيَهِ جَسيمةٌ، وبِهذا وشِبهِهِ يُعرَفُ حِكمةُ الجهادِ الدِّينيِّ، وأَنَّهُ مِن الضَّروريات، لا كقِتالِ الظَّلمةِ المبنيِّ على العَداواتِ، والجَشَعِ، والظُّلمِ، والاستعبادِ لِلخَلقِ.

بلِ الجهادُ الإِسلاميُّ مَرماهُ وغرضهُ الوحيدُ إِقامةُ العَدلِ، وحصولُ الرَّحمةِ، واستِعبادُ الخَلقِ لخالِقِهِم، وأَداءُ الحُقوقِ كلِّها، ونصرُ المظلومِينَ، وقمعُ الظَّالِمينَ، ونَشرُ الصَّلاحِ والإِصلاحِ الْمُطلَقِ بكلِّ وجهٍ واعتبارٍ، وهو مِن أَعظمِ محاسنِ دِينِ الإِسلامِ[٥٤].

---

(١) "هذا": ليست في: (س).

(٢) الأنفال: ٣٩

(٣) الحج: ٤٠

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾(١).

هذهِ الآياتُ تَضمَّنتِ الأمرَ بجهادِ الأعداءِ، والإرشادَ إلى الأسبابِ التي ينبغِي للجيوشِ، والمجاهدِينَ الأخذُ بها، فمِن أَعظمِها، وأَهمِّها أمرانِ:

- الصَّبرُ: وهو الثَّباتُ التَّامُّ، وإبداءُ كلِّ مجهودٍ في تحصيلِ ذلكَ.

- الثَّاني: التَّوكُّلُ على اللهِ، والتَّضرُّعُ إليهِ، والإكثارُ مِن ذكرِهِ، فمتى اجتمعَ الأمرانِ على وجهِ الكمَالِ والتَّكميلِ فقد أَتى المجاهِدونَ بالأَسبابِ الوحيدةِ للنَّصرِ والفلاحِ، فَلْيَبْشَرُوا بنصرِ اللهِ، ولْيَثِقُوا بوعدِهِ.

فيدخلُ في الأمرِ(٢) بالصَّبرِ والثَّباتِ تَمرينُ النُّفوسِ على ذلكَ، فإنَّهُ: ((مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ))(٣)، وتَعلُّمُ الرَّمي، والرُّكوبِ، والفُنونِ العسكريَّةِ المناسبةِ للزَّمانِ؛ فإِنَّ التَّعليمَ، وتَعلُّمَ أُمورِ الجهادِ مِن أَكبرِ العَونِ على الثَّباتِ، والصَّبرِ.

ومِن ذلكَ الحثُّ على الشَّجاعةِ، والسَّعيُ في أَسبابِها، والتَّرغيبُ في فضائلِ الجهادِ، وما فيهِ مِن الثَّمراتِ العاجلةِ والآجلةِ، وما في تضيِيْعِهُ مِن ضياعِ الدِّينِ والدُّنيا، واستيلاءِ الأَعداءِ، والذُّلِّ والدَّمارِ؛ فإِنَّ النُّفوسَ الأَبيَّةَ والهِممَ العَليَّةَ لا تَرضَى لأَنفُسِها بغيرِ هذا الخُلقِ الفاضلِ؛ الذي هو مِن(٤) أَعلى الأَخلاقِ وأَنفعِها، قال تعالى: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾(٥): فحثَّهُم على الصَّبرِ بتأَميلِهم(٦)، وطَمَعِهِم في الأَجرِ والثَّوابِ، وإِدراكِ المقاماتِ العَاليَةِ.

---

(١) الأنفال: ٤٥-٤٧

(٢) س: "بالأَمر".

(٣) أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب الرِّقاق، باب الصَّبر عن محارم الله، (٩٩/٨) ح (٦٤٧٠)، واللَّفظ لَهُ، ومسلم في صحيحه، كتاب الزَّكاة، باب فضل التَّعفف والصَّبر، (٧٢٩/٢) ح (١٠٥٣)، عن أَبي سعيد الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه.

(٤) "مِن": ليست في: (س).

(٥) النساء: ١٠٤

(٦) س: "بتأَمُّلهم".

وقالَ -أَيضًا- في ذمِّ النَّاكِلِينَ[(١)]، وترغيبِ التَّائبِينَ الصَّابرِينَ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[(٢)].

وقالَ عن المنافِقينَ، ونُكُولِهم عن مشقَّةِ الجهادِ: ﴿وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾[(٣)]؛ أَيْ: لو كانَ عندَهُم فِقهٌ نافعٌ في تنزيلِ الأَشياءِ منازِلَها، وتَقديمِ ما ينبغِي تقديمُهُ لآثروا مشقَّةَ الجهادِ على راحةِ القُعُودِ الضَّارِّ عاجلًا وآجلًا، وفي هذا أَنَّهُ بحسَبِ فقهِ العبدِ وعلمِهِ، ويقينِهِ يكونُ قيامُهُ بالجهادِ، وصبرِهِ عليهِ، وثَباتِهِ.

ومِن دَواعي الصَّبرِ -وهو مِن الفِقهِ أَيضًا- أَنَّهُ إِذا عَلِمَ المجاهِدُ أَنَّهُ على الحقِّ، ويُجاهِدُ عن الحقِّ[(٤)] أَهلَ الباطلِ أَنَّ هذا أَعلى الغاياتِ وأَشرفُها وأَحقُّها، وأَنَّ الحقَّ مَنصورٌ، وعاقِبَتُهُ حميدةٌ.

ومِن دَواعي الصَّبرِ الثِّقةُ باللهِ وبوعدِهِ؛ فإِنَّ اللهَ وَعدَ الصَّابِرينَ العَونَ والنَّصرَ، وأَنَّهُ معهُم في كلِّ أَحوالِهم، ومَن كان اللهُ معَهُ فلو اجتمَعَ عليهِ مَن بأَقطارِها لم يَخفْ إِلَّا اللهَ[(٥)].

ومِمَّا يُعِينُ على الصَّبرِ والثَّباتِ: الأَمرُ الثَّاني: وهو التَّوكُّلُ على اللهِ، وقوَّةُ الاعتمادِ عليهِ، والتَّضرُّعُ إِليهِ في طلبِ النَّصرِ، والإِكثارُ مِن ذكرِهِ، كما قال تعالى -هُنَا حيثُ رتَّبَ على هذا الفَلاحَ-: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[(٦)]، وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا

---

(١) النَّاكِلُ: الجَبَان، الممتنع، ويُقال: نَاكِلٌ عن الأُمور: ضعيف عنها. ينظر: تهذيب اللُّغة، ومقاييس اللُّغة، مادة (نكل).

(٢) التوبة: ١٢٠-١٢١

(٣) التوبة: ٨١

(٤) "عن الحقِّ"، ليست في: (س).

(٥) أخرج مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط السَّاعة، باب هلاك هذه الأُمَّة بعضهم ببعض، (٤/٢٢١٥) ح (٢٨٨٩)، عن ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((. . . وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا -أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا-. . .)).

(٦) البقرة: ٢٤٩

لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْأٓخِرَةِ﴾(١)[٥٥]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ﴾(٢) أَيْ: تَقُوموا بِدِينِهِ، وبالحقِّ الذي جاءَ بِهِ رسولُهُ مُخلِصِينَ للهِ، قاصدِينَ أَنْ تكونَ كلمةُ اللهِ هي العُليا: ﴿يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾(٤)؛ فإخبارُهُ بأَنَّهُ المتفرِّدُ بنصرِهِم -وأَنَّ غيرَهُ لا يملِكُ مِن النَّصرِ شيئًا- وأَمْرُهُم بالتَّوكُّلِ عليهِ، أَمرٌ لهم بأَقوى الأَسبابِ النَّافعةِ في هذا المَقامِ العَظيمِ.

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾(٥)، ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عِبَادَهُۥ﴾(٦)؛ أَيْ: الذين قاموا(٧) بعبوديَّتِهِ، فبحسَبِ توكُّلِهم عليهِ، وقيامِهم بعبوديَّتِهِ يحصلُ لهم النَّصرُ، والكِفايةُ التَّامَّةُ.

ومِن أَسبابِ النَّصرِ والصَّبرِ والثَّباتِ: اتِّفاقُ القُلوبِ، وعدمُ التَّفرُّقِ والتَّنازُعِ؛ فإِنَّ ذلكَ مُحَلِّلٌ لِلقُوَّةِ، مُوجِبٌ للفشَلِ.

وأَمَّا اجتماعُ الكَلِمةِ، وقِيامُ الأُلفةِ بيْنَ المؤمِنِينَ، واتِّفاقُهُم على إِقامةِ دينِهِم، وعلى نَصرِهِ، فهذا أَقوَى القُوى المعنَويَّةِ التي هي الأَصلُ، والقُوَّةُ المادِّيَّةُ تبعٌ لَها.

(١) آل عمران: ١٤٦-١٤٨

(٢) محمد: ٧

(٣) الآية السَّابقة.

(٤) آل عمران: ١٦٠

(٥) الطلاق: ٣

(٦) الزمر: ٣٦

هذه قراءة حمزة والكسائي، ينظر: معاني القراءات، للأزهري، (٢/٣٣٨)، والتَّيسير في القراءات السَّبع، (ص:١٨٩).

س: "﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾".

(٧) س: "الذي قام".

والكَمالُ: الجمعُ بيْنَ الأَمرَينِ كمَا أَمرَ اللهُ بذلكَ في هذهِ الآيةِ[(١)]، وفي قولِهِ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾[(٢)].

ومِن أَسبابِ الثَّباتِ والنَّصرِ: حُسنُ النِّيَّةِ، وكَمالُ الإِخلاصِ في إِعلاءِ كلمةِ الحقِّ؛ فلِهذا حذَّرَ -تعالى- مِن مُشابهةِ الذين: ﴿خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[(٣)]؛ فهؤلاءِ لَمَّا لم يعتمِدوا على ربِّهِم، وأُعجِبوا بأنفسِهِم، وخرجوا أَشِرينَ بطِرينَ، وكان قتالُهم لنَصرِ الباطلِ باؤوا بالخَيبةِ، والفشلِ والخُذلانِ[(٤)]؛ ولهذا أَدَّبَ اللهُ[(٥)] خيارَ الخَلقِ[(٦)] لَمَّا حصلَ مِن بعضِهِم الإِعجابُ بالكثرةِ في غزوةِ حُنَينٍ[(٧)] حيثُ قالَ القائلُ[(٨)]: "لَنْ نُغْلَبَ الْيَوْمَ عِنْ قِلَّةٍ"[(٩)]، فقال: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾[(١٠)].

---

(١) قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٥-٤٦].

(٢) الأنفال: ٦٠

(٣) الأنفال: ٤٧

(٤) قال البَغَوِيُّ رحمه الله: "نزلت في المشركين حين أقبلوا إلى بدر، ولهم بَغْي وفخر". مَعَالم التَّنزيل، (٢/٢٩٩).

(٥) "الله" اللَّفظ الجليل ليس في: (س).

(٦) خيار الخلق بعد الأنبياء، وينظر كلام ابن تيميَّة: (ص:٦).

(٧) حُنَيْنٌ: اسم لوادٍ قُرب الطَّائف، سُمِّي باسم: حُنَيْنِ بن قَانِيَةَ بن مَهْلَائِيلَ، وفيه وَقعت غزوة حُنين، في شوَّال، سَنة ثَمان مِن الهجرة. ينظر: جوامع السِّيرة النَّبويَّة، (ص:١٩٢)، ومُعْجَم ما استعجم، (٢/٤٧١)، ومُعْجَم البُلدان، (٢/٣١٣)، ومَعَالم مكَّة التَّأْريخيَّة والأَثريَّة، لعاتق الحربي، (ص:٨٧-٨٨).

(٨) اختلفت المرويَّات في تعيين القائل، وكلُّها آثار ضعيفة، ولكنَّها تتَّفق في حصول هذا القول من أَحد الأَفراد، وممَّا لا شكَّ فيه أَنَّ الإِعجاب بالكثرة حاصل يقينًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ [التوبة:٢٥]. ينظر: السِّيرة النَّبويَّة، لابن كثير، (٣/٦١٠)، وإنسان العيون في سيرة الأَمين المأْمون، للحَلَبي، (٣/١٥٨)، ومَرويَّات غزوة حُنين وحصار الطَّائف، لإبراهيم قريبي، (١/١٣٥-١٣٩).

(٩) بنحوه أَخرجه أبو عَوانة في مُستَخرجه، (٤/٢٧٨) ح (٦٧٥٤)، والهَيثَمِيُّ في كَشْف الأَسْتَار عن زَوائد البزَّار، (٢/٣٤٦) ح (١٨٢٧)، وكذا في مَجمع الزَّوائد ومَنبع الفوائد، (٦/١٧٨) ح (١٠٢٦٤)، عن أَنس رضي الله عنه.
قال العِراقِيُّ رحمه الله: "رواه البَيْهَقِيُّ في الدَّلائل من رواية الرَّبيع بن أَنس مرسلًا. . . وابن فَضالة ضعَّفه الجمهور". ينظر: تخريج أَحاديث إِحياء علوم الدِّين، (٥/٢٠٥٤) ح (٢٣٤٩)، ومَرويَّات غزوة حُنين وحصار الطَّائف، (١/١٣٥-١٣٩).

(١٠) التوبة: ٢٥

فلمَّا زالَ عنهُم هذا الأمرُ[١]، وعرَفوا ضعفَهُم، وعاقبةَ الإعجابِ: ﴿أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾[٢].

ومِن الأَسبابِ التي أَرشدَ اللهُ إليها في القتالِ: الثَّباتُ[٣]، والصَّبرُ، وحُسنُ التَّدبيرِ، والنِّظامُ الكاملُ في جميعِ الحركاتِ العَسْكريَّةِ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٤].

وكانَ ﷺ كما وَصَفَهُ اللهُ[٥] يُرتِّبُ الجيشَ، ويُنْزِلُهم منازِلَهم، ويجعلُ في كلِّ جَنْبَةٍ[٦] كُفْأَها[٧]، ويَسُدُّ الثَّغراتِ التي يُخشى أَنْ يَتسرَّبَ مِنها العدوُّ، ويَحفظُ[٨] الْمَكامِنَ[٩]؛ ويَبعثُ العُيونَ؛ لِتُعرَفَ أَحوالُ العدوِّ، ويَستعينُ بمشاورةِ أَصحابِهِ؛ كمَا أَمرَ اللهُ بذلكَ[١٠]، خُصوصًا في هذا الأَمرِ الْمُهِمِّ.

ومِن المهمِّ[١١] تَعرُّفُ أَسرارِ العدوِّ، وبثُّ العُيونِ، ووضعُ الجواسِيسِ السِّرِّيِّينَ الذينَ لا يكادُ يُشْعرُ بِهِم.

كمَا أَنَّ مِن المهمِّ التَّحرُّزَ مِن جواسيسِ العدوِّ، وعملَ الأَسبابِ؛ لأَخذِ الحذرِ مِن ذلكَ بحسَبِ ما يليقُ، ويناسبُ الزَّمانَ، والمكانَ[١٢].

---

(١) س: "هذا الأَمر عنهم".

(٢) التوبة: ٢٦

(٣) خ: "والثَّبات"، وس: "في القتال: الثَّبات. . . "، بحذف "و"، وهي الأَولى؛ فجميع ما ذُكر مأْمور به في القتال.

(٤) آل عمران: ١٢١

(٥) "كما وصفهُ اللهُ"، ليست في: (س).

(٦) الجَنْبَةُ: النَّاحِية. ينظر: الصِّحاح، ومقاييس اللُّغة، مادَّة: (جنب).

(٧) "كُفْؤَها" كذا في: (خ، س)، والصَّواب: (كُفْأَها)؛ لأَنَّ الهمزة متوسِّطة مفتوحة، وقبلها حرف ساكن صحيح، وليس بعدها أَلف. ينظر: الإِملاء والتَّرقيم في الكتابة العربيَّة، (ص:٤٨).

(٨) س: "يحفظ".

(٩) الْمَكْمَنُ: "الْمُسْتَتَر، جَمْعُه الْمَكَامِنُ". تاج العَرُوس، وينظر: الْمِصباح الْمُنِيْر، مادَّة: (كمن).

(١٠) قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩].

(١١) "مِن المهمِّ"، ليست في: (س).

(١٢) قال ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء:٧١].

قال ابن كثير رحمه الله: "يأْمر الله عباده المؤمنين بأْخذ الحذر من عدوِّهم، وهذا يستلزم التَّأَهُّب لهم بإِعداد الأَسلحة والعُدد، وتكثير العَدد بالنَّفير في سبيله". تفسير القرآن العظيم، (٢/٣٥٧).

=

ومِن الْمُهمِّ -أيضًا- أَنْ تُفعلَ جميعُ الأَسبابِ الممكنةِ في إخلاصِ الجيوشِ للهِ(١)، وقتالِها عن الحقِّ، وأَنْ تكونَ غايتُها كلُّها واحدةً، لا يُزَعْزِعُها عن هذا الغرضِ السَّامِيِّ فقدُ رئيسٍ، أَو انحرافُ كبيرٍ، أَو تَزَعْزُعُ[٥٦] مركزِ قائدٍ، أَو توقُّفٌ في صمودِها -في طريقِها النَّافعِ- على أُمورٍ خارجيَّةٍ؛ فإِنَّهُ متى كانتْ هذهِ الغايةُ العاليةُ هي التي يَسعَى لَها أَهلُ الحَلِّ والعَقدِ، ويَعملونَ لَها التَّعليماتِ القوليَّةِ والفِعليَّةِ، كانتِ الجُيوشُ التي على هذا الوصفِ مَضْرِبَ الْمَثَلِ؛ في الكَمالِ وسدادِ الأَحوالِ، وحُصولِ المقاصدِ الجليلةِ؛ ولهذا أَرشدَ اللهُ المؤمنِينَ يومَ أُحُدٍ(٢) إلى هذا النِّظامِ العَجيبِ، فقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾(٣).

فنبَّهَهُم على أَنَّهُ وإِنْ كان محمَّدٌ هو الإمامُ الأَعظمُ، والرَّسولُ الْمُعظَّمُ، فإِنَّهُ لا يَنبغِي لكم أَنْ يَفُتَّ(٤) فَقْدُهُ في عَزيمتِكُم، وانحلالِ قوَّتِكُم، بل أَنتم تُقاتِلون للهِ، وعلى الحقِّ الذي بَعثَ بهِ رسولَهُ؛ ولِدفعِ الباطلِ والشُّرورِ، فاجعلوا هذهِ الغايةَ نُصْبَ أَعيُنِكُم، وأَساسَ عَمَلِكُم، وامضُوا قُدُمًا في سبيلِ اللهِ، غيرَ هائِبينَ، ولا مُتأَثِّرينَ إذا أَتتِ الأُمورُ على خلافِ مُرادِكُم، فإِنَّ الأُمورَ هكذا تكونُ: تارةً لكَ، وتارةً عليكَ(٥)، والكَمالُ كلُّ الكمالِ أَنْ يكونَ العبدُ عبدًا للهِ في الحالَينِ؛ في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ؛ في حالِ إتيانِ الأُمورِ على ما يُحبُّ، أَو ضِدِّ ذلكَ، وهذا الوصفُ هو كمالُ الفردِ، وكمالُ الجماعاتِ، واللهُ الموفِّقُ(٦).

كرَّر اللهُ الأَمرَ بأَخذ الحذر مرَّتين: فقال ﷻ: ﴿وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ﴾، ثُمَّ قال: ﴿وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء:١٠٢].

(١) "لله"، اللَّفظ الجليل ليس في: (س).

(٢) سيأْتي كلام المؤلِّف ﵀ على هذه الغزوة، (ص:٦).

أُحُدٌ: جبل مشهور عند العرب، كانت عنده غزوة أُحد، ويشرف على المدينة من الشَّمال، وهو داخل حرمِها، وورد في فضله أَحاديث. ينظر: مُعْجَم البُلدان، (١٠٩/١)، ومُعْجَم الْمَعَالم الجغرافيَّة، (ص:١٩).

(٣) آل عمران: ١٤٤

(٤) الفَتُّ: التَّكسير، وفتَّ في ساعده: أَضعفه وأَوهَنه، وكَسرَ قُوَّتَه، وفرَّق أَعوانه. ينظر: تهذيب اللُّغة، والصِّحاح، وتاج العَرُوس، مادَّة: (فتت).

(٥) قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٤٠].

(٦) أَشار إلى هذا ابن تيميَّة، وابن القيِّم ﵏. ينظر: مَجْمُوع الفَتاوَى، (٢١٣/٣، ٣٦٩/١٤-٣٧٥)، وطريق الهجرتين، (ص:٢٧٧-٢٧٨).

=

ومِن الأُمورِ الْمُهمَّةِ جدًّا: أَنْ يكونَ الرَّئيسُ رحيمًا برعيَّتِهِ، ناصحًا مُحبًّا للخيرِ، ساعيًا فيهِ جهدَهُ، كثيرَ المراودةِ، والمشاورةِ لَهم، خصوصًا لأَهلِ الرَّأْيِ والحِجَا[(١)] مِنهُم.

وأَنْ تكونَ الرَّعِيَّةُ مُطيعةً مُنقادةً، ليس عندَهُم مُنازعاتٌ، ولا مُشاغَباتٌ[(٢)]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[(٣)]؛ أَيْ: إذا حصلَ النِّزاعُ في أَيِّ أَمرٍ مِن الأُمورِ -خُصُوصًا في الأُمورِ المتعلِّقةِ في سياسةِ الحربِ- رُدَّتْ إلى هذا الأَصلِ الذي يَطمئنُّ إليهِ المؤمنونَ، ويَلجأُ إليهِ كبارُهُم وصِغارُهُم؛ لِعِلْمِهِم أَنَّهُ فرضٌ على جميعِهِم، ولِعلمِهِم أَنَّ حُكمَ اللهِ ورسولِهِ هو الخيرُ والصَّلاحُ، وأَنَّ اللهَ يعلمُ مِن مصالحِهِم ما لا يعلمونَ، ويُرشدُهُم إلى كلِّ ما بهِ ينتفعونَ.

ومِن الأُمورِ المهمَّةِ جدًّا: سُلوكُ طريقِ الحقِّ، والعدلِ في قَسمِ[(٤)] الغنائِمِ، وأَنْ لا تكونَ ظالمةً، مستبِدًّا بِها الأَقوياءُ، محرومًا مِنها الضُّعفاءُ، أَو تكونُ فوضَى؛ فإِنَّ هذينِ الأَمرينِ معَ ضررِهِما في الدِّينِ -وإِنَ هذا لا يَحِلُّ ولا يجوزُ، وهو مِن أَعظمِ المحرَّماتِ- فإِنَّهُما يَضرانِ غايةَ الضَّررِ في الجيوشِ؛ في وقوعِ العداواتِ، وحصولِ الجَشَعِ والطَّمعِ، وانصرافِ قُلوبِها إلى الطَّمعِ[(٥)]، وكونِ وِجهتِها تكونُ متباينةً، فبذلكَ يَنْحَلُّ النِّظامُ، ويقعُ الفَشلُ، ويكونُ هذا الأَمرُ أَعظمَ سلاحٍ للأَعداءِ على المسلمينَ.

وأخرج مسلم في صحيحه، كتاب الزُّهد والرَّقائق، باب المؤمن أَمره كلُّه خير، (٤/٢٢٩٥) ح (٢٩٩٩)، عن صُهَيْبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)).

(١) الْحِجَا: العَقْل، من "حَجَا حَجْوًا: مَنَع؛ ومنه سُمِّي العَقْل: الحِجا؛ لأَنَّه يَمْنع الإنسان مِن الفساد". تاج العَرُوس، وينظر: الْمِصباح الْمُنِيْر، ومُختار الصِّحاح، مادَّة: (حجو).

(٢) الشَّغْبُ: "تهييج الشَّر، وإثارة الفتن والاضطراب، والجلَبة والخصام". الْمُعْجَم الوسيط، وينظر: العين، مادَّة: (شغب).

(٣) النساء: ٥٩

(٤) س: "قسمة".

(٥) "وانصراف قلوبها إلى الطَّمع"، ليس في: (س)، ولعلَّ ذلك اكتفاء بما سبق.

ومِن الأُمورِ الْمُهمَّةِ جِدًّا أَيضًا -وهي عَونٌ كبيرٌ في الحروبِ- السَّعيُ بقدرِ الاستطاعةِ في إِيقاعِ الانشقاقِ في صفوفِ الأَعداءِ، وفعلِ كلِّ سببٍ يحصلُ بِهِ تفريقُ شَملِهِم، وتفريقُ وَحدَتِهِم، ومهادَنةُ مَن يُمكنُ مهادنتُهُ مِنهم، وبذلُ الأَموالِ للرُّؤساءِ إِذا غلبَ على الظَّنِ أَنَّ يَنْكَفَّ شَرُّهُم عن المسلِمينَ، فكم حصلَ بِهذا الطَّريقِ مِن النِّكايةِ في الأَعداءِ[1] ما لا يحصلُ بالجيوشِ الكثيرةِ، ولهذا قال[٥٧]: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡ﴾[2]، فذكرَ اللهُ هذهِ المصلحةَ العظيمةَ في الكفِّ عن أَمثالِ هؤلاءِ الموصوفِينَ.

وللمُوفَّقِينَ مِن الرُّؤساءِ، وقوَّادِ الجيوشِ في هذهِ الأُمورِ مقاماتٌ معروفةٌ صارَ لهم فِيها اليدُ البيضاءُ على المسلِمينَ.

فانظرْ إِلى هذهِ التَّعاليمِ الإِلهيَّةِ التي هي النِّظامُ الكاملُ الوحيدُ في جميعِ الأَزمنةِ، والأَمكنةِ، واستدلَّ بذلكَ على أَنَّ الإِسلامَ الحقيقيِّ هو الدِّينُ الحقُّ الذي إِليهِ ملجأُ الخَليقةِ، وبهِ سعادتُها وسلامتُها مِن الشُّرورِ كلِّها[3]، وأَنَّ النَّقصَ والهبوطَ بتضييعِ تعاليمِ هذا الدِّينِ؛ الذي أَكمَلَهُ اللهُ، وأَتَمَّ بهِ النِّعمةَ على المؤمِنينَ.

---

(١) س: "مِن نكاية العدوِّ".

(٢) النساء: ٩٠

(٣) "كلِّها"، ليست في: (س).

فَصْلٌ: فِي البُيُوعِ وأَنْواعِ المُعَامَلاتِ:

قال اللهُ تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾(١)، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً﴾(٢)، وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾(٣)، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾، إلى قولِهِ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾(٤).

اشتَملتْ هذهِ الآياتُ الكَريماتُ على أَحكامٍ جَمَّةٍ، وفوائدَ مُهمَّةٍ:

مِنها: أَنَّ الأَصلَ في البُيوعِ والمعاملاتِ والتِّجاراتِ كلِّها الحِلُّ والإِطلاقُ، كما هو صريحُ هذهِ الآياتِ، لا فرقَ بيْنَ تجارةِ الإِدارةِ؛ التي يديرُها التُّجَّارُ بينَهُم؛ هذا يأْخذُ العِوضَ، وهذا يُعطي المعوَّضَ، ولا بيْنَ التِّجارةِ في الدُّيونِ الحالِّ ثمنُها، المؤجَّلِ مثْمَنُها؛ كالسَّلَمِ(٥)، وبَيعِ السِّلَعِ بأَثْمانٍ مُؤَجَّلةٍ؛ لعُمومِ قَولِهِ: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾، ولا بيْنَ تجارةِ التَّربُّصِ والانتظارِ؛ بأَنْ يشتريَ السِّلعَ في أَوقاتِ رُخْصِها، وينتظرُ بِها الفُرَصَ مِن مواسِمَ وغيرِها، ولا بيْنَ التِّجارةِ بالتَّصديرِ والتَّوريدِ مِن محَلٍ إلى آخرَ، ولا بيْنَ التِّجارةِ والتَّكسُّبِ، أَفرادًا ومُشترِكينَ.

فكلُّ هذهِ الأَنواعِ وما يتبعُها قد أَباحَهَا الشَّارعُ، وأَطلقَها لعبادِهِ؛ رحمةً بِهم، وقِيامًا

---

(١) البقرة: ٢٧٥

(٢) آل عمران: ١٣٠

(٣) النساء: ٢٩

(٤) قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَـٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٨٢].

(٥) السَّلَمُ: السَّلَف، وهو: "بيع السِّلعة الآجلة الموصوفة في الذِّمة، بثمن مقبوض في مجلس العقد". مُعْجَم لغة الفِقهاء، (ص:٢٤٩)، وينظر: مُختار الصِّحاح، مادَّة: (سلم).

لِمصالحِهِم، ودفعًا للأَضرارِ عنهُم، وكلُّها جائزةٌ بما يقترنُ بِها، ويتبعُها مِن شُروطٍ ووثائقَ، ونحوِها إِذا سَلِمتْ مِن المحاذيرِ الشَّرعيَّةِ؛ التي نبَّهَ اللهُ ورَسولُهُ عليها(١).

ويَدخلُ في هذا العُمومِ جميعُ أَجناسِ الْمَبِيعاتِ، وأَنواعِها وأَفرادِها؛ مِن عَقاراتٍ، وحيواناتٍ، وأَمتعةٍ، وأَطعمةٍ، وأَوَانٍ، وأَشْرِبةٍ، وأَكْسِيةٍ، وفُرشٍ، وغيرِها.

وكلُّها لا بدَّ أَنْ تقترنَ بهذا الشَّرطِ الذي ذكرَهُ اللهُ، وهو التَّراضِي بيْنَ المتعاوِضَينَ؛ الرِّضا الصَّادرِ عن معرفةٍ.

وأَمَّا السَّفيهُ(٢)، والمجنونُ، ومَن لا يُعتَبرُ كلامُهُ فوَلِيُّهُ يَقومُ مَقامَهُ في مُعاملاتِهِ.

وأَعظمُ المحاذيرِ المانعةِ مِن صحَّةِ المعاملاتِ: الرِّبا، والغَرَرُ(٣)، والظُّلْمُ.

فالرِّبا الذي حرَّمَهُ اللهُ ورسولُهُ يَدخُلُ فيهِ:

رِبا الفَضْلِ: وهو بيعُ المكيلِ بالمكِيلِ مِن جنسِهِ متَفاضِلًا، وبَيعُ الموزونِ بالموزونِ مِن جنسِهِ متَفاضِلًا.

ويُشترَطُ في هذا النَّوعِ -في حِلِّهِ- ما شَرطَ الشَّارعُ، وهو:

- التَّماثُلُ بيْنَ الْمَبِيْعَينِ بمعيارِهِ الشَّرعيِّ مَكيلًا كان أَو مَوزونًا.

- والقَبضُ للعِوَضَينِ قبلَ التَّفرقِ(٤).

ورِبا النَّسِيئَةِ: وهو بيعُ المكيلِ بالمكِيلِ إِلى أَجلٍ، أَو غيرِ مقبوضٍ -ولو مِن غيرِ جِنسِهِ- وبيعُ

---

(١) س: "عليها ورسوله".

(٢) السَّفَهُ: الخِفَّة، والسَّفِيهُ: الخفيفُ العَقْل، والمراد: "تضييع المال، وإتلافه على خلاف مقتضى الشَّرع والعقل". الموسوعة الفِقهيَّة الكويتيَّة، (١٧٧/٤). وينظر: تهذيب اللُّغة، مادَّة: (سفه).

(٣) الْغَرَرُ: "ما يكون مجهول العاقبة لا يُدرى أيكون أم لا". التَّعريفات، (ص: ١٦١).

(٤) أخرج مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب الصَّرف وبيع الذَّهب بالورق نقدًا، (١٢١١/٣) ح (١٥٨٧)، عن عُبادة بن الصَّامت رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ، وَالْبُرُّ بِالْبُرِّ، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ، وَالْمِلْحُ بِالْمِلْحِ، مِثْلًا بِمِثْلٍ، سَوَاءً بِسَوَاءٍ، يَدًا بِيَدٍ، فَإِذَا اخْتَلَفَتْ هَذِهِ الأَصْنَافُ، فَبِيعُوا كَيْفَ شِئْتُمْ، إِذَا كَانَ يَدًا بِيَدٍ)).

الموزونِ بالموزونِ إلى أَجَلٍ، أَو بلا قَبضٍ(١).

ويُستثَنى مِن هذا السَّلَمُ(٢).

وأَشدُّ أَنواعِ هذا النَّوعِ: قَلبُ الدُّيونِ في الذِّممِ، وهو الذي ذكرَهُ بقولِهِ: ﴿لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً﴾: وذلكَ إذا حَلَّ ما في ذِمَّةِ الْمَدِينِ، قال لَهُ الغَرِيمُ: إِمَّا أَنْ تَقْضِيَنِي دَيْنِي، وإِمَّا أَنْ تَزِيدَ في ذِمَّتكَ؛ فيَتضاعَفُ[٥٨] ما في ذِمَّةِ المعسرِ أَضعافًا مُضاعفةً، مِن غيرِ نفعٍ(٣)، ولا انتفاعٍ(٤)؛ وذلكَ أَنَّ المعسرَ قد أَوجبَ اللهُ على غَرِيمِهِ إنظارَهُ، كما قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾(٥).

وسَواءٌ كان قَلْبُ الدَّينِ المذكورُ صَرِيحًا، أَو يُتَحيَّلُ عليهِ بحيلةٍ ليستْ مقصودةً، وإنَّما يُرادُ بِها التَّوصُّلُ إلى مُضاعفةِ ما في ذمَّةِ الغريمِ.

فهذا الذي قد توعَّدَهُ اللهُ بِهذا الوَعيدِ الشَّديدِ، وأَنَّ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾(٦) في الدُّنيا(٧)، ﴿لَا يَقُومُونَ﴾(٨)؛ مِن قُبُورِهِم إلى بَعثِهم ونُشورِهِم: ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾(٩)؛ أَيْ: مِن الجُنونِ؛ فيقومونَ مرعوبِينَ مُنْزَعِجِينَ، قد اختلتْ حرَكاتُهم؛ لِما يعلمونَ ما أَمامَهُم مِن القَلاقِلِ والأَهوالِ المزعِجةِ، والعُقوباتِ لأَكَلَةِ الرِّبا.

---

(١) للحديث السَّابق؛ ولما أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب البيوع، باب بيع الشَّعير بالشَّعير، (٣/٧٤)، (٢١٧٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب الصَّرف وبيع الذَّهب بالورِق نقدًا، (٣/١٢٠٩) ح (١٥٨٦)، عن عمرﷺ، قال رسول اللهﷺ: ((الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ رِبًا إِلَّا هَاءَ وَهَاءَ، وَالبُرُّ بِالْبُرِّ رِبًا إِلَّا هَاءَ وَهَاءَ، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ رِبًا إِلَّا هَاءَ وَهَاءَ، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ رِبًا إِلَّا هَاءَ وَهَاءَ)).

(٢) سبق تعريفه: (ص:٦).

(٣) س: "بلا نفع".

(٤) هكذا كان يفعل أَهل الجاهليَّة، كما هو المأْثور عن عطاء، وسعيد بن جُبير، وابن زَيد، ومجاهدﷺ. ينظر: جامع البيان، (٦/٥٠)، وتفسير ابن الْمُنْذِر، لابن الْمُنْذِر، (١/٣٧٧)، والدُّر المنثور، للسُّيُوطِي، (٢/٣١٤).

(٥) البقرة: ٢٨٠

(٦) البقرة: ٢٧٥

(٧) "في الدُّنيا"، ليست في: (س).

(٨) الآية السَّابقة.

(٩) الآية السَّابقة.

وقد آذَنَهُم اللهُ بمحاربتِهِ، ومحاربَةِ رَسولِهِ إذا لم يَتوبُوا، ومَن كان مُحارِبًا للهِ ورَسولِهِ فإنَّهُ مخذولٌ، وإنَّ عواقِبهُ وَخِيمَةٌ، وإنْ استُدرِجَ في وقتٍ فآخِرُ أَمرِهِ الْمَحْقُ والبَوَارُ[١]، قال تعالى: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾[٢]، ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[٣].

فالْمُرَابي يأْخذُهُ الأَمنُ والغُرورُ الحاضرُ، ولا يدرِي ما خُبِّئَ لَهُ في مستقبلِ أَمرِهِ، وأَنَّ اللهَ سيجْمعُ لَهُ بَيْنَ عقوباتِ الدُّنيا والآخرةِ، إلَّا إنْ تابَ وأَنابَ؛ فإذا تابَ: ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾[٤].

وأَمَّا العُقودُ الحاضرةُ فالزِّيادةُ لا تَحِلُّ لهُ[٥]، وعليهِ أَنْ يَنْزِلَ على رأْسِ مالِهِ، كمَا قال تعالى: ﴿وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ﴾[٦]: بأَخذِ الزِّيادةِ، ﴿وَلَا تُظۡلَمُونَ﴾[٧]: بأَخذِ بعضِ رُؤوسِ أَموالِكُم[٨].

ومِن أَنواعِ الرِّبا: القَرضُ الذي يجُرُّ نَفْعًا[٩]؛ فإنَّ القَرضَ مِن الإِحسانِ، والْمَرافقِ بَيْنَ العِبادِ،

---

(١) البَوارُ: الهَلاك والفناء. ينظر: العين، مادَّة: (بور)، ومجاز القرآن، (١/٣٤٠).

(٢) البقرة: ٢٧٦

(٣) الروم: ٣٩

قال البَغَوِيُّ ﷺ: "هو الرَّجل يُعطي غيرَه العَطيَّة ليثيبه أَكثرَ منها، فهذا جائز حلالٌ، ولكن لا يُثاب عليها في القيامة. . . وكان هذا حرامًا على النَّبيِّ ﷺ خاصَّة؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ﴾ [المدثر:٦]؛ أَيْ: لا تعط وتطلب أَكثر ممَّا أَعطَيت". مَعَالم التَّنزيل، (٣/٥٧٩)، وينظر: تفسير القرآن العظيم، (٦/٣١٨).

فمَن يقصِد بعطيَّته أَمرًا دنيويًا، وعائدًا أَكثر من المال المدفوع فهذا لا يربو أَجره عند الله، ولا يضاعف لَهُ، ولا يؤجر عليه؛ لعدم الإخلاص، ومثله في -عدم الثَّواب- العمل الذي يراد به الجاه، والرِّياء، فهذا كلُّه لا يربو عند الله.

وأَمَّا مَن قصد ببذله وجه الله فهذا هو الذي وُعِد بالثَّواب، والمضاعفة.

فعلى المسلم أَنْ يُصحِّح نيَّته، وأَنْ يخلص لله في عمله. ينظر: تيسير الكريم الرَّحمن، (ص:٦٤٢).

(٤) البقرة: ٢٧٥

(٥) "لهُ"، ليست في: (س).

(٦) البقرة: ٢٧٩

(٧) الآية السَّابقة.

(٨) نصَّ على ذلك ابن جُزَيٍّ، وابن كثير ﷺ. ينظر: التَّسهيل، (١/١٣٨)، تفسير القرآن العظيم، (١/٧١٧).

(٩) لم يصحَّ فيه أَثر عن النَّبيِّ ﷺ، إِلَّا أَنَّه من المتَّفق عليه بين العلماء أَنَّ كلَّ قرض جرَّ نفعًا مشروطًا للمقرِض فهو ربًا. ينظر: الإقناع، لابن الْمُنذِر، (٢/٥٧٨)، وإِكمال الْمُعْلِم، للقاضي عِياض، (٥/٣٠١)، والْمُغني، (٤/٢٤٠)، والجامع لأَحكام القرآن، (٣/٢٤١)، وفَيْض القَدِير شرح الجامع الصَّغير، للمُنَاوِي، (٣/٤٦٦).

فإذا دَخلَتْهُ الْمُعَاوَضَةُ[١]، وشَرَطَ الْمُقرِضُ على الْمُقتَرِضِ ردَّ خيرٍ مِنهُ بالصِّفةِ[٢] أَو الْمِقْدَارِ[٣]، أَو شَرَطَ نَفْعًا[٤] أَو مُحابَاةً[٥] في مُعاوَضةٍ أُخرَى[٦]، فهو مِن الرِّبا؛ لأَنَّهُ في الحَقيقةِ دَراهمُ بدراهمَ مُؤخَّرةٍ، والرِّبحُ ذلكَ النَّفعُ المشروطُ.

فاللهُ -تعالى- وَعظَ المؤْمنِينَ عن تَعاطي الرِّبا كلِّهِ والمعاملةِ بهِ، وأَنْ يكتفُوا بالمكاسِبِ الطَّيِّبَةِ؛ التي فِيها البركةُ، وصلاحُ الدِّينِ والدُّنيا، وفِيها تزكُو الأَخلاقُ، ويَحصلُ الاعتبارُ، وحُسنُ المعامُلةِ، والصِّدقُ، والعَدلُ، وأَداءُ الحُقوقِ، والسَّلامةُ مِن جميعِ التَّبِعاتِ.

ومِن المحاذيرِ في المعاملاتِ محذورُ الميْسِرِ[٧]، والغَرَرِ[٨]، فإِنَّ اللهَ حرَّمَ في كتابهِ الميسِرَ، وقرَنهُ بالخمرِ، وذكرَ مضارَّ ذلكَ، ومَفاسِدَهُ، والْمَيْسِرُ يَدخلُ في المعاملاتِ، كمَا يَدخلُ في الْمُغالَباتِ، فكَما أَنَّ الْمُراهناتِ[٩]، والمقَامَراتِ[١٠] وتوابعَهَا مِن الميْسِرِ، فالبُيوعُ التي فِيها غَرَرٌ ومُخَاطَراتٌ وجَهالاتٌ داخلةٌ في الْمَيسِرِ؛ ولهذا قالﷺ كلمةً جامعةً: ((نَهَى عَنْ بَيْعِ الْغَرَرِ))[١١]؛ فيَدخُلُ في

(١) الْمُعَاوَضَةُ، والْمُعَاوضَاتُ: من العِوض، وهو البَدَل؛ أَخذ أَو إِعطاء شيء بدل شيء؛ والمراد هنا: العقود التي يتمُّ العقد فيها على الملك كالبيع، أَو على المنفعة كالإجارة، ونحوها ممَّا فيه مبادَلة بين طرفين. ينظر: تاج العَرُوس، مادَّة: (عوض)، الموسوعة الفِقهيَّة الكويتيَّة، (٥/٢٣٠)، والفِقه الإسلاميُّ وأَدلَّته، للزُّحَيْلي، (٤/٣٠٩٧).

(٢) بأَن يَشترط عليه أَنْ يَرُدَّ القَرض بصِفة وحالَة أَجود ممَّا أَخذ؛ كأَنْ يُقرضه تمرًا رديئًا، ويشترط عليه أَنْ يَردَّ جيدًا.
(٣) كأَنْ يُقْرِضه أَلفًا ويشترط عليه أَنْ يَردَّ أَلفًا ومائة.
(٤) كأَن يُقْرِضه أَلفًا، على أَنْ يردَّه كاملًا مع استعمال سيارته لمدَّة أُسبوع، أَو إِيصال بضاعة إِلى مكان معيَّن.
(٥) سبق تعريفها: (ص:٦).
(٦) كأَن يُقْرِضه أَلفًا على أَنْ يردَّه كاملًا مع التَّخفيض له في بيع سِلعة مُعَيَّنة.
(٧) الْمَيْسِرُ: قمار الجاهليَّة بالأَزلام، وهو ما تردَّد بين الغُنم والغُرم؛ وسُمِّي ميسرًا لأَنَّ بعض أَهل اليَسار والثَّروة كانوا يفعلونه، أَو لأَنَّهم يُجزِّؤون الجزور أَجزاء، وما جزأْته فقد يَسَرْتَه. ينظر: الحاوي الكبير، (١٣/٣٧٩)، والجامع لأَحكام القرآن، (٣/٥٢)، والمجموع شرح المهذَّب، (٢٠/١١٧)، والمبدِع في شرح المقنع، (٤/٤٥٩).
(٨) سبق تعريفه: (ص:٦).
(٩) الْمُرَاهَنَةُ: الْمُخَاطَرَةُ، "وكلُّ ما يَعتمد على الحظِّ دون أَنْ يكون للإِنسان تدبير فيه". مُعْجَم لغة الفِقهاء، (ص:٤١٤)، وينظر: الصِّحاح، مادَّة: (رهن).
(١٠) القِمارُ: الخِدَاع، وقامَرَه: رَاهَنَهُ، وتَقَامَرُوا: لَعِبُوا القِمارَ، وهو "كلُّ لَعِب يشترط فيه -غالبًا- من المتغالبين شيئًا من المغلوب". التَّعريفات، (ص:١٧٩)، وينظر: لسان العرب، مادَّة: (قمر).
(١١) أَخرج مسلم في صحيحه، كتاب البيوع، باب بطلان بيع الحَصَاة، والبيع الذي فيه غرر، (٣/١١٥٣) ح (١٥١٣) عن أَبي هريرةرضي الله عنه، قال: ((نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ بَيْعِ الْحَصَاةِ، وَعَنْ بَيْعِ الْغَرَرِ)).

ذلكَ بيعُ الحَمْلِ في البطنِ، وبَيعُ الآبِقِ(١) والشَّارِدِ(٢)، والشَّيءِ الذي لم يُرَ، ولم يُوصَفْ، ودخلَ فيهِ بيعُ الْمُلامَسَةِ(٣)، والْمُنابَذةِ(٤)، وجميعُ العقودِ التي فِيها جَهالةٌ بَيِّنةٌ(٥)؛ وذلكَ لأَنَّ أَحدَ المتعامِلَينِ إِمَّا أَنْ يَغْنَمَ، وإِمَّا أَنْ يَغرَمَ، وهذا مُخالفٌ لمقاصدِ الْمُعاوضاتِ التي يُقصدُ أَنْ يكونَ العِوضُ في مقابَلةِ الْمُعَوَّضِ على وجهٍ يَستوي فيهِ عِلْمُ الْمُتعاوِضَينِ؛ فإذا جُهِلَ الثَّمنُ أَو الْمُثْمَنُ، أَو كانَ الأَجلُ في الدُّيونِ غيرَ مُسمًّى ولا مَعلومٍ، دخلَ هذا في بيعِ الغَرَرِ، والميسرِ الذي زَجرَ اللهُ عنهُ.

ومِن المحاذيرِ المنهيِّ عنها في المعاملاتِ: الظُّلمُ والغِشُّ والتَّدليسُ(٦)، وبَخْسُ المكاييلِ والموازينِ، وبخسُ الحُقوقِ أَخذًا وإِعطاءً؛ بأَنْ يأْخذَ أَكثرَ مِمَّا لَهُ، أَو يُعطِيَ أَقلَّ مِمَّا عليهِ، فهذا مِن أَعظمِ المحرَّماتِ، وقد توعَّدَ اللهُ عليهِ بالعقوباتِ في الدُّنيا والآخرةِ، وأَهلكَ أُمَّةً عظيمةً بسببِ هذهِ المعاملةِ الخَبيثةِ(٧)[٥٩]، وهذهِ المعاملاتُ المحرَّمةُ تَدخُلُ في قولِهِ: ﴿لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾، كمَا يَدخلُ فيهِ الغَصْبُ(٨) والسَّرِقَةُ(٩)، ونَحوُهما.

---

(١) الأَبْقُ: الهُروب، ومنه: "هروب العبد من سَيِّده". الْمِصباح الْمُنِيْر، مادَّة: (أبق)، وينظر: التَّعريفات، (ص:٧).

(٢) الشَرِيْدُ: الطَّرِيد، المستَعصِي على صاحبه. ينظر: العين، وتهذيب اللُّغة، مادَّة: (شرد).

(٣) بَيْعُ الْمُلَامَسَةِ: وقوع العقد باللَّمس، وهو من بيوع الجاهليَّة التي أَبطلها الإِسلام، ومِن أَمثلة: أَنْ يشترط البائع: إِنْ لمست السَّلعة فقد وجب البيع. ينظر: أَحكام القرآن، للجصَّاص، (١٣١/٣)، والصِّحاح، مادَّة: (لمس).

(٤) بَيْعُ الْمُنَابَذَةِ: النَّبذُ: الطَّرح، والمراد: وقوع العقد بالنَّبذ، وهو من بيوع الجاهليَّة، ومن أَمثلته: أَنْ يشترط البائع أَنَّ ما نبذتُه لك من السِّلع فهو لك بكذا. ينظر: أَحكام القرآن، للجصَّاص، (١٣١/٣)، والْمِصباح الْمُنِيْر، مادَّة: (نبذ).

(٥) الجَهالة البيِّنة هي التي تُؤدِّي إِلى النِّزاع، وتمنع صحَّة العقد، أَمَّا التي لا تؤدِّي إِلى المنازعة، فجائزة اتِّفاقًا، وتصحُّ معها العقود؛ كأَساس الدَّار، ونحوه. ينظر: الموسوعة الفِقهيَّة الكويتيَّة، (١٦٩/١٦)، والشَّرح الْمُمتِع، (١٥٨/٨).

(٦) التَدْلِيسُ: من الدَّلَس، وهو ما فيه ستر وظُلْمة وخداع، والتَّدليس في البيع: "كِتمانُ عَيب السِّلعة عن المشتري". الصِّحاح، وينظر: مقاييس اللُّغة مادَّة: (دلس).

(٧) هُم قوم شعيبعَلَيْهِ السَّلَامُ، الذين جمعوا بين الشِّرك وبخس الحُقوق، قالتَعَالَى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [هود:٨٤-٨٥].

(٨) الغَصْبُ: أَخْذُ الشَّيءِ ظلمًا وقهرًا، بغير حقٍّ. ينظر: العين، مادَّة: (غصب)، والشَّرح الْمُمتِع، (١٩٥/٩).

(٩) السَّرِقَةُ: أَخْذُ الشَّيءِ من الغير خُفية، وفي الشَّرع: "أَخذُ المكلَّف نِصابًا، خاليًا من الملك وشُبهته، من حِرزٍ خُفيةً". مُعْجَم لغة الفِقهاء، (ص:٢٤٣)، وينظر: التَّعريفات، (ص:١١٨)، والكُلِّيَّات، (ص:٥١٤).

وفي آيةِ الدِّينِ مِن الفوائدِ سِوَى ما تقدَّمَ:

الأَمرُ بكتابةِ المعاملاتِ، والإشهادِ عَليها، وأَنْ يَكونَ الكاتبُ عَدلًا عَارِفًا بالكتابةِ، وبِما ينبغِي أَنْ يَكتُبَ؛ وهذا الأَمرُ للنَّدبِ والاستحبابِ عند جمهورِ العلماءِ[(١)]، إلَّا إذا وجبَ حفظُ المالِ، وكانَ على دَينٍ مؤجَّلٍ أَو غيرِ مَقبوضٍ، فإِنَّهُ لا يَتِمُّ حفظُهُ إلَّا بذلكَ، "وما لا يَتِمُّ الواجِبُ إلَّا بهِ فهو واجبٌ"[(٢)].

وفِيها: أَنَّ الكاتبَ لا يَكتبُ إلَّا ما أَملاهُ مَن عليهِ الحقُّ إنْ كانَ رَشيدًا، أَو[(٣)] وليُّهُ إنْ كانَ عاجزًا ضعيفًا؛ كالمجنونِ، والسَّفِيهِ[(٤)]، والصَّغيرِ[(٥)].

وأَنَّ على صاحبِ الحقِّ أَنْ يُقِرَّ بالحقِّ كلِّهِ مِن غيرِ بَخْسٍ؛ أَيْ: نقصٍ لعدَدِهِ، أَو صِفَتِهِ.

وتَدلُّ الآيةُ[(٦)]: أَنَّ الإقرارَ مِن أَعظمِ الطُّرقِ التي تَثْبتُ بِها الحُقوقُ في الذِّممِ، كما يَثْبتُ فِيها براءةُ الذِّممِ المشتغلةِ بالحُقوقِ إذا أَقرَّ مَن لَهُ الحقُّ بالإِقْبَاضِ[(٧)]، أَو الإبراءِ المعتَبرِ[(٨)]، وأَنَّهُ لا يُعذَرُ

---

(١) كأَبِي سعيد الخدريِّ، والشَّعبِيِّ، والرَّبيع بن أَنس، والحسن، وابن جُرَيْج، وابن عطيَّة، والقُرْطُبِيُّ، والحنفيَّة، والمالكيَّة، والشَّافعيَّة، والحنابلة، وغيرهم: ينظر: أَحكام القرآن، للجصَّاص، (٢/٢٠٦)، والمحرَّر الوجيز، (١/٣٧٩)، والمغني، لابن قدامة، (٤/٢٤٦)، والجامع لأَحكام القرآن، (٣/٣٨٣)، وتفسير القرآن العظيم، (١/٧٢٣).

(٢) هذه قاعدة أُصوليَّة، يُعبَّر عنها بهذا اللَّفظ الذي ذكره المؤلِّف رحمه الله، ويعبَّر عنها: بما لا يتمُّ الأَمر إلَّا به يكون مأْمورًا به، إلَّا أَنَّ الأُولى أَشهر، والثَّانية أَشمل؛ فالأَمر قد يكون للنَّدب لا للوجوب؛ فالوسائل لها حُكم ما أَفضت إليه من وجوب أَو غيره؛ فعلًا أَو تركًا. ينظر: العدَّة في أُصول الفِقه، (٢/٤١٩)، وأَنوار البُروق في أَنْوَاء الفُروق، (١/١٦٦)، ومَجْمُوع الفَتاوَى، (١٠/٥٣١-٥٣٣)، والأَشباه والنَّظائر، للسُّبْكِي، (٢/٨٨).

(٣) "أَو"، ليست في: (س).

(٤) سبق تعريفه: (ص:٦).

(٥) س: "والصَّغير، والسَّفيه".

(٦) قال تعالى: ﴿وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة:٢٨٢].

قال البَغَوِيُّ رحمه الله: "يعني: المطلوب يقرُّ على نفسه بلسانه؛ ليُعلم ما عليه". مَعَالم التَّنزيل، (١/٣٩٣).

(٧) الإِقْبَاضُ: من القبض، وهو الأَخذ، وفي قبضتك، أَيْ: ملكك. ينظر: جَمْهَرة اللُّغة، والصِّحاح، مادَّة: (قبض).

(٨) اسقاط الحقِّ الثَّابت يكون معتَبرًا إذا صدَر من بالغٍ، عاقلٍ، رَشيدٍ، مُختارٍ، مالكٍ -أَو مَنْ ينوب عنه- غيرِ مستغرقٍ للمال إنْ كان في مرض الموت، ومن غيرِ محجور عليه لسفهٍ أَو دَينٍ. ينظر: السَّيل الجرَّار، (ص:٨١٢)، والموسوعة الفِقهيَّة الكويتيَّة، (١/١٥٣-١٥٤).

مَن أَقرَّ لو ادَّعى الغَلطَ، أَو الكَذِبَ، ونحوَهُ[١].

وفِيها: الإرشادُ إلى حفظِ الحُقوقِ؛ بالإشهادِ، والكتابةِ، والرَّهْنِ[٢]، إذا احتيجَ إليهِ في سفرٍ أَو غيرِهِ.

وأَنَّ نصابَ الشَّهادةِ في المعاملاتِ كلِّها -مِن عُقودٍ، وفُسُوْخٍ، وثُبوتٍ[٣]، وشروطٍ، وإبْراءٍ ونحوِها- رجلانِ مَرْضِيَّانِ إنْ أَمْكَنَ، وإلَّا فرجلٌ واحدٌ وامرأَتانِ.

وثَبَتَ في السُّنَّةِ قَبولُ شهادةِ الواحدِ معَ يمينِ صاحبِ الحقِّ[٤].

وفِيها: أَنَّ شهادةَ الفُسَّاقِ، والمجهولِينَ غيرُ مقبولةٍ، وأَنَّ الاعتبارَ بمَن يَرضاهُ النَّاسُ ويَعتبرونَهُ.

وفِيها: أَنَّ شهادَةَ المرأَتينِ تقومُ مقامَ شهادةِ الرَّجلِ؛ لكمالِ حفظِ الرَّجلِ، وقوَّةِ ذاكرتِهِ؛ كما نبَّهَ عليهِ بقولِهِ: ﴿أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ﴾.

وفِيها: دِلالةٌ أَنَّ مَن نَسِيَ شهادةً فتذكَّرَها، أَو ذُكِّرَها فذَكَرَها أَنَّ شهادَتَهُ صَحِيحةٌ.

وفِيها: أَنَّهُ لا يَحِلُّ أَنْ يَشهدَ إلَّا بِما عَلِمَهُ وتيقَّنَهُ، فإنْ شكَّ فيهِ لم يَحلَّ لَهُ أَنْ يَشْهدَ.

وفِيها: بيانُ الحِكمةِ العظيمةِ في هذهِ الإرشاداتِ مِن الرَّبِّ في حفظِ المعاملاتِ؛ وأَنَّ ذلكَ صلاحٌ للعبادِ في مُعاملاتِهم، وأَنْ تكونَ جاريةً على القِسطِ، وأَنَّها تقطعُ الخُصوماتِ والْمُنازَعاتِ، وتُبرئُ الذِّممَ، وتمنعُ الظَّالمَ مِن ظُلمِهِ، فلِهذا قال: ﴿ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ﴾.

فكمْ حصَلَ بهذِهِ الوَثائقِ التي أَرشدَ اللهُ إليها مِن مصالحَ عظيمةٍ، وكمْ اندفعَ بِها مِن مفاسدَ

---

(١) لأَنَّ الإقرارَ شهادة، واعتراف منه على نفسه. ينظر: التَّسهيل لعلوم التَّنزيل، (١/١٣٩)، ومنهج السَّالكين، (ص:٢٨٠)، والقواعد والأُصول الجامعة، للسّعدي، (ص:٨٦).

(٢) الرَّهْنُ: لغة الحَبس والثُّبوت، وفي الشَّرع: "حَبس الشَّيءِ بحقٍّ يمكن أَخذُه منه". التَّعريفات، (ص:١١٣)، وأَنيس الفِقهاء في تعريفات الأَلفاظ المتداولة بين الفِقهاء، لِلْقَوْنَوِيِّ، (ص:١٠٧).

(٣) كإثبات الهبة، أَو الوقف، أَو الوصيَّة.

(٤) أَخرج مسلم في صحيحه، كتاب الأَقضية، باب القضاء باليمين والشَّاهد، (٣/١٣٣٧) ح (١٧١٢)، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، "أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَضَى بِيَمِينٍ، وَشَاهِدٍ".

وشرورٍ كثيرةٍ، فسبحانَ مَن جعلَ شرعَهُ صلاحًا[٦٠] لدِينِ العِبادِ، ودُنياهُم(١).

وفِيها: أَنَّ التِّجارةَ الحاضِرةَ لا بأْسَ بتركِ كتابتِها؛ لكونِ التَّقابُضِ يُغْني غالبًا عن ذلكَ؛ ولمشقَّةِ كثرةِ ذلِكَ(٢)، وأَمَّا الشَّهادةُ فلا ينبغِي تركُها خُصوصًا في الأُمورِ المهمَّةِ.

وقولُهُ: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾: يُحتَملُ أَنَّهُ مبنيٌّ للفاعلِ(٣) أَو للمفعولِ(٤)، والمعنى يشملُ الأَمرينِ؛ فالكاتبُ والشَّهيدُ يجبُ عليهِ أَنْ يعدِلَ في كتابتِهِ وشهادتِهِ، ولا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يميلَ معَ أَحدِهما؛ لغرضٍ مِن أَغراضِهِ، ولا يُضَارَّهُما بأَخذِ أُجرةٍ لا تَحِلُّ لَهُ على شهادتِهِ، أَو يُماطِلُ في شهادتِهِ، وكتابتِهِ مماطلةً تضرُّهُما أَو أَحدَهُما.

وكذلكَ الْمُتعَامِلانِ(٥) لا يَحِلُّ أَنْ يُضارَّا الكاتبَ والشَّهيدَ بأَنْ يُكلِّفاهُ ما لا يُطيقُهُ، أَو يتضرَّرُ بهِ، لأَنَّ الشَّاهدَ والكاتِبَ مُحسِنانِ، حقُّهمَا أَنْ يُشكَرا على ذلكَ؛ فمُضارَّتُهما تُنافِي ذلكَ.

وفِيها: أَنَّ تَعلُّمَ الكتابةِ مِن الأُمورِ المحبوبةِ للهِ، وأَنَّها(٦) نعمةٌ مِن اللهِ على مَن علَّمهُ اللهُ الكتابةَ؛ فمِن شُكْرِ هذهِ النِّعمةِ أَنْ: ﴿لَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾.

ويُستفادُ مِن المعنى المقصودِ أَنَّ اللهَ شرعَ هذهِ الأُمورَ؛ حِفظًا للحُقوقِ، وأَنَّهُ ينبغِي تَعلُّمُ كِتابةِ الوَثائقِ، والاصْطِلاحاتِ الجاريةِ بيْنَ النَّاسِ في المعاملاتِ؛ حتَّى يكونَ الكاتِبُ بِهذِهِ الصِّفةِ التي يُحرِّرُ فِيها المعاملاتِ؛ فينتفعُ النَّاسُ بحفظِ حُقوقِهِم، فلا يكفِي مُجرَّدُ الكتابةِ مِن غيرِ معرفةٍ بِهذِهِ الأُمورِ، كمَا أَنَّهُ لا بُدَّ أَنْ يكونَ الكاتبُ مُعتَبرًا ثِقةً؛ لِيحصلَ الاعتمادُ على كتابَتِهِ والطُّمأْنينةُ إِليها.

---

(١) الكتابة والإشهاد فيهما حفظ للحقوق، وتذكير بمقدارها وميقاتها، وإبعاد للنِّزاعات، وإبراء للذِّمم، فالإنسان يغفل، وينسى، ويطمع، ومعرَّض للأَمراض، والإصابات العقليَّة، والموت المفاجئ، والشَّيطان حريص على الإغواء وجحد الحقوق. ينظر: أحكام القرآن، لابن العربي، (١/٣٢٨)، وتفسير القرآن العظيم، (١/٧٢٢).

(٢) أنعم الله على عباده بآلات سهَّلت للنَّاس إجراءات بيعهم وشرائهم، ويحصلون على وثائق ذلك في لحظات.

(٣) أَيْ: لا يُضَارِرْ؛ بكسر الرَّاء الأُولى؛ فلا يَضُرا صاحبَ الحقِّ بالامتناع، أَو تحريف الحقِّ. ينظر: مَعَالم التَّنزيل، (١/٣٩٦)، وبصائر ذوي التَّمييز، (٣/٤٧٠)، والإكليل في استنباط التَّنزيل، للسُّيُوطِي، (ص:٦٥).

(٤) أَيْ: لا يُضَارَرْ، بفتح الرَّاء؛ فيُجبَرا على الكتابة والشَّهادة ولهما عذر. ينظر: المصادر السَّابقة.

(٥) س: "الْمُعَامِلان".

(٦) س: "وأَنَّه"، فيكون الضَّمير عائدًا على التَّعلم.

ويُستفادُ مِن هذا أَنَّ الخَطَّ المعروفَ صاحبُهُ وثِقتُهُ أَنَّهُ مُعتبَرٌ معمولٌ بهِ؛ لِيتِمَّ المقصودُ مِن الكتابةِ في حياةِ الكاتبِ، وبعدَ موتِهِ.

وفِيها: وجوبُ أَداءِ الشَّهادَةِ، وتَعيُّنُها على مَن تَحمَّلَها، وأَنَّ كِتمانَ الشَّهادَةِ مِن كبائرِ الذُّنوبِ، فكمَا[١] أَنَّ شهادةَ الزُّورِ -بأَنْ يشهدَ بثُبوتِ ما ليسَ بثابتٍ، أَو بالبراءةِ مِن الحقِّ الثَّابتِ وهو كاذبٌ- مِن أَكبرِ الكبائرِ، فكذلِكَ السُّكوتُ عن أَداءِ الشَّهادةِ، وكِلا الأَمرينِ ظلمٌ لصاحبِ الحقِّ بتفويتِ حقِّهِ، وظلمٌ -أَيضًا- للنَّفسِ بوقوعِ الإِثمِ، وظلمٌ للظَّالمِ؛ لإِعانتِهِ على الإِثمِ والعُدوانِ.

وفِيها: مَشرُوعيَّةُ الوثائقِ بالحُقوقِ، وهي أَربعةٌ: الشَّهادةُ، والرَّهنُ -كما هو مذكورٌ في هذا الموضعِ- والضَّمانُ[٢]، والكَفالةُ[٣]، يُؤخذُ مِن الاعتبارِ على هذا المعنى، ومِن قولِهِ: ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾[٤]؛ أَيْ: كَفيلٌ وضامنٌ.

وشرعُ مَن قَبلنا شرعٌ لنا ما لم يَرِدْ شَرعُنا بخلافِهِ[٥].

وتَقييدُ الرَّهنِ بالسَّفرِ لا يدلُّ على أَنَّهُ لا يكونُ رهنٌ في الحَضَرِ؛ بل قيْدٌ لأَجلِ الحاجَةِ إِليهِ لعدمِ الكاتِبِ غالبًا[٦].

وفِيها: ثُبوتُ الوِلايةِ على القَاصِرين -لجنونٍ أَو صِغرٍ أَو سَفهٍ- لقولِهِ: ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ﴾؛ فأَقامَهُ مقامهُ في التَّصرفاتِ في مالِهِ،

---

(١) س: "وكما".

(٢) الضَّمَانُ: الالتزام، وشرعًا: التزامُ جائزِ التَّصرف ما وجبَ على غيره، من حقٍّ ماليٍّ. ينظر: المغني، (٤/٤٠٥)، والمِصباح الْمُنِيْر، مادَّة: (ضمن)، والتَّوقيف على مُهمَّات التَّعاريف، (ص:٢٢٣)، والشَّرح الْمُمْتِع، (٩/١٨٢).

(٣) الْكَفَالَةُ: الضَّمُّ، وشرعًا: التزامُ رشيدٍ إِحضارَ بدنِ من يلزم حضوره في مجلس الحُكم. ينظر: المغني، (٤/٤١٦)، وأَنيس الفِقهاء، (ص:٨١)، والموسوعة الفِقهيَّة الكويتيَّة، (١٨/١٢١-١٢٢).

(٤) يوسف: ٧٢

(٥) هذا هو الرَّاجح من كلام الأُصوليِّيْن. ينظر: المسوَّدة في أُصول الفِقه، لآل تَيميَّة، (ص:١٩٣)، ومذكِّرة في أُصول الفِقه، للشّنْقِيْطِيّ، (ص:١٩٢-١٩٦).

(٦) قال أَبو حيَّانﷺ: "الله -تعالى- ذكر السَّفر على سبيل التَّمثيل للأَعذار، لأَنَّه مظِنَّة فقدان الكاتب، وإِعوازِ الإِشهاد، فأَقام التَّوثُّق بالرَّهن مَقام الكتابة والشَّهادة، ونبَّه بالسَّفر على كلِّ عُذرٍ، وقد يتعذَّرُ الكاتِب في الحضر؛ كأَوقاتِ الاشتغالِ واللَّيل، وقد صحَّ أَنَّ رسول اللهﷺ رهن دِرعه في الحَضر، فدلَّ ذلك على أَنَّ الشَّرط لا يُراد مفهومُه". البحر المحيط، (٢/٧٤٢-٧٤٣).

وعليهِ أَنْ يفعلَ في أَموالِهم ما هو الأَصلحُ، كما[١] قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[٢].

ولا يُدفعُ إِليهِم حتَّى يَرشُدوا، ويُعرَفُ ذلكَ بالاختبارِ والتَّجربةِ[٣]؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾[٤] [٦١].

وفِيها: في قولِهِ: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾؛ مِن الفوائدِ: التَّنبيهُ على أَنَّ كلَّ مَن فعلَ إِحسانًا ومعروفًا أَنَّ عليهِ أَنْ يُتمِّمَهُ، ويُكمِّلَهُ بالتَّسهيلِ والتَّيسيرِ، وعدمِ المضارَّةِ.

وأَنَّ [لِلمحسِنينَ][٥] على النَّاسِ أَنْ يَشكروا لهم معروفَهُم، وأَنْ لا يُكلِّفُوهُم الضَّررَ والمشقَّةَ؛ جزاءً لهم على إِحسانِهم، وتَرغيبًا في الإِحسانِ.

واستُدلَّ بقولِهِ تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾: أَنَّ تقوى اللهِ وسيلةٌ إِلى حصولِ العِلْمِ، كما أَنَّ العِلْمَ سببٌ للتَّقوى[٦].

وأَوضحُ مِن هذا قَولُهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾[٧]؛ أَيْ: عِلمًا تُفرِّقونَ بهِ بيْنَ الحقِّ والباطلِ، وبيْنَ الحقائقِ المحتاجِ إِليها.

وفِيها: أَنَّهُ كمَا أَنَّهُ مِن العُلومِ النَّافعةِ تَعليمُ الأُمورِ الدِّينيَّةِ -المتعلِّقةِ بالعباداتِ والمعاملاتِ- فمِنهُ -أَيضًا- تعليمُ الأُمورِ الدُّنيويَّةِ المتعلِّقةِ بالمعامَلاتِ؛ فإِنَّ اللهَ حفظَ على العِبادَ أُمورَ دينِهم

(١) س: "فأَقامه في التَّصرفات في ماله مقامَ المالِك الرَّشيد، وعليه أَنْ يفعلَ في أَموالهم ما هو الأَصلح، قال تعالى:..."، وهذه أَوضح للمعنى.

(٢) الأنعام: ١٥٢، الإسراء: ٣٤

(٣) اهتمَّ الاسلام بحقوق المستضعفين؛ وشرَع الولاية على القاصرين لحفظ حقوقهم؛ وخصَّ مال اليتيم لأَنَّه مظنَّة الاعتداء عليه، وانعدام المدافع عنه، وربَّما طمع به وليُّه وأَقرب النَّاس إِليه. ينظر: البحر المحيط، (٧/٤٦)، والتَّحرير والتَّنوير، لابن عاشور، (٨/١٦٤).

(٤) النساء: ٦

(٥) خ: "المحسنين"، وس: "للمحسنين"، وبها يصلح المعنى.

(٦) نصَّ القُرْطُبِيُّ على هذا الاستنباط، واعترض ابن جُزَيٍّ رحمه الله، فقال: "وقِيل: معناه الوعد بأَنَّ من اتَّقى علَّمه الله وأَلهمه، وهذا المعنى صحيح، ولكنَّ لفظ الآية لا يُعطيه، لأَنَّه لو كان كذلك لجزم: ﴿يُعَلِّمْكُمُ﴾، في جواب اتقوا". التَّسهيل لعلوم التَّنزيل، (١/١٤٠)، وينظر: الجامع لأَحكام القرآن، (٣/٤٠٦).

(٧) الأنفال: ٢٩

ودُنياهُم، وكتابُهُ العظيمُ فيهِ تُبيانُ كلِّ شَيءٍ.

وفِيها: أَنَّهُ يجوزُ التَّعاملُ بغيرِ وثيقةٍ، بلْ بمجرَّدِ الاستئمانِ؛ لقولِهِ: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾[1]، ولكنْ في هذهِ الحالِ تَتوقَّفُ الثِّقةُ على التَّقوى، والخوفِ مِن اللهِ، وإِلَّا فصاحبُ الحقِّ مخاطِرٌ؛ فلهذا وَعظَ اللهُ مَن عليهِ الحقُّ أَنْ يُؤدِّيَ أَمانتَهُ.

ويُؤخذُ مِن هذا أَنَّ مَن عاملَكَ ورضِيَ بأَمانتِكَ، ووثِقَ فيكَ أَنَّهُ قد فعلَ معكَ معروفًا، ورآكَ موضعَ الثِّقةِ والأَمانةِ؛ فيَتأَكدُ عليكَ أَداءُ الأَمانةِ مِن الجهتَينِ؛ أَداءً لحقِّ اللهِ؛ ووفاءً بحقِّ مَن وَثِقَ فيكَ، ومُكافأَةً لَهُ.

(١) البقرة: ٢٨٣

فَصْلٌ:

قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾[١]، وقال يوسُفُ: ﴿ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[٢].

يؤْخذُ مِن هاتينِ الآيتينِ أَنَّهُ ينبغِي أَنْ يُتخيَّرَ فِي الإِجاراتِ، والجعَالاتِ[٣]، والأَماناتِ والوِلاياتِ كلِّها -كبيرةً كانتْ أَو صغيرةً- مَن جَمَعَ الوَصفَينِ:

- القُوَّةَ على ذلكَ العملِ؛ بالعِلمِ[٤]، والكفاءَةِ والحفظِ، وتوابعِ ذلكَ مِن جميعِ ما تقومُ بِهِ الأَعمالُ، والأَمرُ.
- الثَّاني: الأَمانةَ.

فَبِالأَمانةِ تتِمُّ بهِ الثِّقةُ، ويُعلمُ نُصحُهُ، وبذلُهُ الواجبَ، وبالكفاءَةِ والقوَّةِ يَحصُلُ العمَلُ، ويَتِمُّ ويُتْقَنُ.

فإِنْ وُجِدَ الجامعُ للوصفَينِ على وجهِ الكمالِ فلْيُستَمْسَكْ بغَرْزِهِ[٥]، وإِلَّا اكتُفِي بالأَمثلِ فالأَمثلِ.

ونقصُ الأَعمالِ كلُّها مِن الإِخلالِ بالوصفَينِ أَو أَحدِهما.

---

(١) القصص: ٢٦
(٢) يوسف: ٥٥
(٣) الجُعْلُ، والجِعَالةُ: ما جُعل للإنسان على شيءٍ يفعله. ينظر: الصِّحاح، ومُختار الصِّحاح، مادَّة: (جعل).
(٤) "بالعِلم"، ليست في: (س)، والسِّياق يحتاجها.
(٥) الغَرْزُ: رِكابُ الرَّحْل، من جلدٍ مخروزٍ، يُعتمد عليه في الرُّكوب. ينظر: العين، والصِّحاح، مادَّة: (غرز).
ومِن أَمثال العرب: أُشْدُدْ يَدَيْكَ بِغَرْزِهِ؛ أَيْ: تمسَّك به، والزم أَمره ونهيه. ينظر: الأَمثال، لابن سلَّام، (ص:١٩٩)، وجمهرة الأَمثال، (٧٣/١).

فَصْلٌ: فِي آيَاتِ الْمَوارِيْثِ:

قال اللهُ تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾، إلى[1]: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ﴾[2]، والتي في آخرِ السُّورةِ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَـٰلَةِ﴾، إلى آخرها[3].

تَضمَّنتْ هذهِ الآياتُ الكريمةُ أَحكامَ المواريثِ، في غايةِ البَيانِ والتَّفصيلِ والإيضاحِ، وفي غايةِ الحِكمَةِ.

فتَوصِيتُهُ للعِبادِ بأَولادِهِم مِن كَمالِ رحمتِهِ وعنايتِهِ، وأَنَّهُ أَرحمُ بهِم مِن والدَيهِم؛ ولذلكَ وصَّى الوالدَينِ بالأَولادِ؛ فالأَولادُ عندَ والدَيهِم وصايا مِن اللهِ، وأَماناتٌ عندَهُم؛ على الوالِدَينِ أَنْ يربُّوهُم تربيةً نافعةً لدينِهِم ودُنياهُم؛ فإنْ فعَلوا فقدْ قامُوا بهذهِ الأَمانةِ، وإلَّا فقدْ ضيَّعُوها، وباؤوا بإثمِها وخُسرانِها.

فذكَر اللهُ ميراثَ الأَولادِ، وأَنَّ لهم ثلاثَ حالاتٍ:

الحالةُ الأُولى: إمَّا أَنْ يجتمعَ الذُّكورُ والإناثُ، فحينئذٍ يتقاسَمونَ المالَ[٦٢]، أَو ما أَبقتِ

---

(١) "قوله"، زيادة في: (س).

(٢) قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١١ ۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَـٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ۝١٢ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [النساء:١١-١٣].

(٣) قال ﷻ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَـٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ [النساء:١٧٦].

الفُروضُ[١] على عَددِ رُؤوسِهم: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾: سواءٌ كانوا أَولادَ صُلبٍ أَو أَولادَ ابنٍ، ويُؤخذُ مِن هذا:

الحالةُ الثَّانيةُ: أَنْ يكونَ الأَولادُ ذكورًا فقطْ؛ فإِنَّهُم يتقاسَمونَهُ مُتساوِينَ، ومَن ارتفعتْ درجتُهُ حَجَبَ[٢] مَن دونَهُ مِن الأَولادِ، إِذا كانَ الرَّفيعَ مِن الذُّكورِ.

الحالةُ الثَّالثةُ: إِذا كُنَّ إِناثًا، فإِنْ: ﴿كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ﴾، سواءٌ كانتْ بنتَ صُلبٍ أَو بنتَ ابنٍ، وإِنْ كانَتَا اثْنتينِ فأَكثرَ فَلَهُمَا الثُّلُثانِ.

ومِن الحِكْمةِ في الإِتيانِ بقولِهِ: ﴿فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ﴾: التَّنبيهُ على أَنَّهُ لا يزيدُ الفرضُ –وهو الثُّلثانِ– بزِيادَتِهِنَّ على الثِّنْتَيْنِ، كما زاد فرضُ النِّصفِ لَمَّا صِرنَ أَكثرَ مِن واحدةٍ.

وقد نصَّ اللهُ على أَنَّ الأُختينِ فرضُهُما الثُّلثانِ[٣]، فالبِنتانِ مِن بابِ أَولى وأَحرَى.

فإِنْ كانَ الثِّنتانِ[٤] بناتِ صُلبٍ لم يبقَ لبناتِ الابنِ شَيءٌ، وصارَ البقيَّةُ بعد فرضِ البناتِ للعاصِبِ.

وإِنْ كانتِ العَاليَةُ[٥] واحدةً أَخذتِ النِّصفَ، وتُمِّمَ الثُّلثانِ لِبنتٍ أَو بَناتِ الابنِ؛ وهو سُدسٌ يكمِّلُ بِهِ الثُّلثانِ[٦].

هذا مِيراثُ الأَولادِ قد استوعَبَتهُ الآيةُ استيعابًا.

وقد علِمنا مِن ذلكَ أَنَّ لفظَ: الولدِ يَشمَلُ الذَّكرَ والأُنثى؛ مِن أَولادِ الصُّلبِ، وأَولادِ الابنِ وإِنْ نزلَ، وأَمَّا أَولادُ البناتِ فلا يدخلونَ في إِطلاقِ اسمِ الأَولادِ في المواريثِ[٧].

---

(١) الْفَرْضُ: لغة: الحَزُّ والقطع، وفي علم الفرائض: "النَّصيب المقدَّر شرعًا لوارث، لا يزيد إِلَّا بالرَّدِّ، ولا ينقص إِلَّا بالعَول". إعانة الطَّالب في بداية علم الفرائض، للأَهْدَل، (ص:٢٣)، وينظر: مقاييس اللُّغة، مادَّة: (فرض).

(٢) الحَجْبُ: لغة المنع، وفي الفرائض: "منع الوارث من الإرث كلِّه أَو بعضه". تسهيل الفرائض، للعُثَيْمِين، (ص:٥١)، وينظر: العين، مادة: (حجب)، والتَّعريفات، (ص:٨٢).

(٣) في قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ﴾ [النساء:١٧٦].

(٤) س: "البنتان".

(٥) المراد: بنت المورِّث.

(٦) س: "وباقي الثُّلثين –وهو السُّدس– لبنت أَو بنات الابن". وهذا أَوضح للمعنى.

(٧) لأَنَّهم ينتسبون إِلى غيره. ينظر: الجامع لأَحكام القرآن، (١٦/٧٨).

ثُمَّ ذكرَ اللهُ ميراثَ الأبوينِ: الأُمِّ والأَبِّ، فجعلَ اللهُ للأُمِّ سُدسًا، وثُلثًا؛ جعلَ لها السُّدسَ معَ وُجودِ أَحدٍ مِن الأَولادِ مُطلَقًا؛ منفرِدِينَ أَو مُتعدِّدِينَ، أَولادَ صُلبٍ أَو أَولادَ ابنٍ.

وكذلكَ جَعَلَ لَها السُّدسَ بوجودِ جَمْعٍ مِن الإِخوةِ والأَخواتِ؛ اثنينِ فأَكثرَ.

وجَعَلَ لَها الثُّلثَ إِذا فُقدَ الشَّرطانِ المذكورانِ.

وأَمَّا ثُلثُ الباقي في: زوجٍ أَو زَوجةٍ وأَبوينِ[١] فقِيلَ: إِنهُ يؤْخذُ مِن قولِهِ: ﴿وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ﴾[٢]، فإِذا كان معهُما أَحدُ الزَّوجينِ خرجَتْ عن هذا فلَم يكنْ لَها ثلثٌ كاملٌ.

أَو يُقالُ: إِنَّ اللهَ أَضافَ الميراثَ للأَبوينِ -وهو الأَبُ والأُمُّ- فيكونُ لَها ثلثُ ما ورِثَهُ الأَبوانِ، ويكونُ ما يأْخذُهُ الزَّوجُ أَو الزَّوجةُ بمنزلةِ ما يأْخذُهُ الغَريمُ[٣]. فاللهُ أَعلمُ.

وأَمَّا الأَبُ فقد فرضَ اللهُ لَهُ السُّدسَ معَ وجودِ أَحدٍ مِن الأَولادِ؛ فإِنْ كانَ الأَولادُ ذُكورًا لم يزدِ الأَبُ على السُّدسِ، وصارَ الأَبناءُ أَحقَّ بالتَّقديمِ مِن الأَبِ بالتَّعصيبِ[٤] بالإِجماعِ[٥].

وإِنْ كانَ الأَولادُ إِناثًا -واحدةً أَو مُتعدِّداتٍ- فُرِضَ لَهُ السُّدُسُ، ولهنَّ أَو لَها الفرضُ، فإِنْ بقيَ شيءٌ فهو لأَولَى رَجُلٍ، وهو الأَبُ هُنا؛ لأَنَّهُ أَقربُ مِن الإِخوةِ وبَنِيْهِم، ومِن الأَعمامِ وبَنِيْهِم، فجُمِعَ لَهُ في هذهِ الحالِ بيْنَ الفرْضِ، والتَّعصيبِ.

وإِن استَغرقتِ الفروضُ التَّركةَ لم يبقَ للأَبِ زيادةٌ عن السُّدسِ، كما لو خلَّفَ أَبوينِ وابنتَينِ؛ فلِكُلِّ واحدٍ مِن الأَبوَينِ السُّدسُ، ولِلبِنتَينِ الثُّلثانِ.

ومَفهومُ الآيةِ الكريمةِ أَنَّهُ إِذا لم يكنْ أَولادٌ -ذكورٌ ولا إِناثٌ- أَنَّ الأَبَ يَرثُ بغيرِ تقديرٍ، بل

(١) هما المسأَلتان العُمَرِيَّتان.

(٢) النساء: ١١

(٣) قال ابن كثيرﷺ: "تأْخذ ثلث الباقي في المسأَلتين؛ لأَنَّ الباقي كأَنَّه جميع الميراث بالنِّسبة إِليهما، وقد جعل الله لها نصف ما جعل للأَب، فتأْخذ ثلث الباقي، ويأْخذ ثُلثيه، وهو قول عمر وعثمان، وأَصحُّ الرِّوايتين عن عليٍّ، وبه يقول ابن مسعود وزيد بن ثابت، وهو قول الفقهاء السَّبعة، والأَئمَّة الأَربعة، وجمهور العلماءﷺ". تفسير القرآن العظيم، (٢/٢٢٧).

(٤) عرَّفه المؤلِّفﷺ: (ص:٦).

(٥) ممَّا لا خلاف فيه أَنَّ جهة الأَبناء في التَّعصيب مقدَّمة على الآباء. ينظر: المبسوط، للسَّرْخَسِي، (٢٩/١٧٤)، وبداية المجتهد، (٤/١٤٨)، والمغْني، (٦/٣٠٧).

بالعَصبِ؛ بأَنْ يأْخذَ المالَ كلَّهُ إذا انفردَ، أَو ما أَبقتِ الفُروضُ إنْ كانَ معهُ أَصحابُ فروضٍ(١)، وهو إجماعٌ(٢).

وحكمُ الجدِّ حكمُ الأَبِ في هذهِ الأَحكامِ إلَّا في العُمَريَّتَينِ(٣)؛ فإنَّ الأُمَّ ترثُ ثلثًا كاملًا معَ الجدِّ.

وأَمَّا مِيراثُ الجَدَّةِ السُّدسَ عندَ عدمِ الأُمِّ فهو في السُّنَّةِ(٤)[٦٣].

ثُمَّ ذكرَ اللهُ مِيراثَ الزَّوجينِ، وأَنَّ الزَّوجَ لَهُ نصفُ ما تركتْ زوجتُهُ إنْ لم يكنْ لَها ولدٌ، فإنْ كان لَها ولدٌ فلهُ الرُّبُعُ.

وأَنَّ الزَّوجةَ واحدةً أَو مُتعدِّداتٍ لَها الرُّبُعُ مِمَّا تركَ الزَّوجُ إنْ لم يكنْ لَهُ ولدٌ، فإنْ كان للزَّوجِ ولدٌ مِنها أَو مِن غيرِها؛ ذكرٌ أَو أُنثَى، ولدُ صُلبٍ أَو ولدُ ابنٍ فلَها أَو لهنَّ الثُّمُنُ.

---

(١) هذا تعريف التَّعْصِيْب في علم الفرائض. ينظر: الكُلِّيَّات، (ص:٥٩٨)، وتسهيل الفرائض، (ص:٤٣).

(٢) لأَنَّ اللهَﻷ ذكَرَ ميراث الأُمِّ وسكت عن ميراث الأَب في قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾ [النساء:١١]، فدلَّ على أَنَّ الباقي لَهُ، وليس هناك مستحِقٌّ غيره. ينظر: أَحكام القرآن، للْكِيَا الْهَرَّاسِيّ، (٣٤٥/٢)، ومَعَالم التَّنزيل، (٥٧٤/١)، والجامع لأَحكام القرآن، (٧١/٥)، وتفسير القرآن العظيم، (٢٢٧/٢).

(٣) نسبة إلى عمرﭬ، لأَنَّه أَوَّل من قضى بهما. ينظر: تلخيص فقة الفرائض، للعُثَيْمِين، (ص:١٤).

(٤) أَخرج أَحمد في مسنده، (٤٩٩/٢٩) ح (١٧٩٨٠)، وابن ماجه في سننه، باب ميراث الجَدَّة، (٢٦/٤) ح (٢٧٢٤)، وأَبو داود في سننه، كتاب الفرائض، باب في الجدَّة، (٥٢١/٤) ح (٢٨٩٤)، والتِّرمذيُّ في سننه، باب ما جاء في ميراث الجدَّة، (٤٩٠/٣) ح (٢١٠٠)، عن قَبِيصَة بنِ ذُؤَيْبٍ، قال: "جَاءَتِ الْجَدَّةُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ تَسْأَلُهُ مِيرَاثَهَا، فَقَالَ: مَا أَعْلَمُ لَكِ فِي كِتَابِ اللهِ شَيْئًا، وَلَا أَعْلَمُ لَكِ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِﷺ مِنْ شَيْءٍ، حَتَّى أَسْأَلَ النَّاسَ، فَسَأَلَ فَقَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَﭬ: "سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِﷺ جَعَلَ لَهَا السُّدُسَ"، فَقَالَ: مَنْ يَشْهَدُ مَعَكَ؟ أَوْ مَنْ يَعْلَمُ مَعَكَ؟ فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَﭬ فَقَالَ: مِثْلَ ذَلِكَ، فَأَنْفَذَهُ لَهَا".

قال ابن حَجَرﷺ: "وإسناده صحيح لثقة رجاله، إلَّا أَنَّ صورته مرسل؛ فإنَّ قَبِيْصَة لا يصحّ لَهُ سماع من الصِّديق". التَّلخيص الحَبير في تخريج أَحاديث الرَّافعيِّ الكبير، (١٨٦/٣).

وقال الأَرْنَؤُوْطﷺ: "صحيح لغيره، وهذا إسناد رجاله ثقات، لكنَّ قَبِيصَة بن ذُؤَيْب لم يشهد القصَّة، فلم يثبت سماعه من أَبي بكر، لكنَّه تابعي كبير، وُلد على عهد النَّبيِّﷺ، وجُلُّ روايته عن الصَّحابة، فلعلَّه سمعه من محمَّد بن مَسْلمة أَو المغيرة بن شُعبة أَو صحابيٍّ غيرهما". سنن ابن ماجه، بتحقيق الأَرْنَؤُوْط، وآخرين، (٢٧/٤).

وأَمَّا الأَلبانيُّﷺ فقد ضعفه في إرواء الغَلِيْل، (١٢٤/٦)، بما تقدَّم من حال قَبِيْصَة بن ذُؤَيْبٍ.

هذا والعمل جارٍ بهذه السُّنَّة، قال ابن تَيميَّةﷺ: "اتَّفقت الأُمَّة على العمل بها". مَجْمُوع الفَتاوَى، (٢٣٤/٢٠).

ثُمَّ ذكرَ اللهُ ميراثَ الإخوةِ مِن الأُمِّ، وأَنَّهُم لا يرثونَ إلَّا إذا كانَ[١] الوَرثَةُ كَلَالَةً[٢] ليس فِيهِم أَحدٌ مِن الفُروعِ، ولا الأَبُ والجَدُّ، فلِلواحدِ مِن الإخوةِ مِن الأُمِّ أَو الأَخواتِ السُّدسُ، وللأُنْثيَيْنِ فأَكثرَ الثُّلثُ، يَستَوي فيهِ ذَكَرُهُم وأُنثاهُم.

وهذِهِ الفروضُ كلُّها ذَكرَ اللهُ أَنَّها مِن بعدِ الوَصيَّةِ، إذا حصلَ الإِيْصَاءُ بها، ومِن بعدِ الدَّينِ، وقد قضَى[٣]ﷺ: "أَنَّ الدَّيْنَ قَبْلَ الوَصِيَّةِ"[٤]، وقد اتَّفقَ العلماءُ على ذلكَ[٥].

وشَرطَ اللهُ في الوصيَّةِ أَنْ لا تكونَ على وجهِ الْمُضارَّةِ بالوَرثةِ، فإنْ كانتْ كذلكَ فإنَّها وصيَّةُ إثْمٍ، وجَنَفٍ[٦]، يجبُ تعديلُها، وردُّ الظُّلمِ الواقعِ فِيها.

وأَخبرَ -تعالى- أَنَّ هذهِ التَّقديراتِ والفرائضَ حدودُ اللهِ قدَّرَها وحدَّدَها، فلا يَحِلُّ مجاوزتُها،

---

(١) س: "كانت".

(٢) الكَلالَةُ: من تَكَلَّلَه النَّسب أَحاط به، و"كلُّ مَن مات ولا والد لَهُ ولا ولد، فهو كلالةُ وَرَثَتِه، وكلُّ وارثٍ وليس بوالد لِميِّتٍ ولا ولدٍ لَهُ فهو كلالةُ مَوْرُوثِه". تهذيب اللُّغة، مادَّة: (كلل)، وينظر: مجاز القرآن، (ص:١٢١).

(٣) س: "النَّبيُّ".
وقال ابن كثيرﷺ: "أَجمع العلماء سَلفًا وخَلفًا أَنَّ الدَّين مقدَّم على الوصيَّة، وذلك عند إمعانِ النَّظر يُفهم من فَحوى الآية الكريمة". تفسير القرآن العظيم، (٢/٢٢٨).

(٤) أَخرج أَحمد في مسنده، (٢/٣٣) ح (٥٩٥)، وابن ماجه في سننه، باب الدَّين قبل الوصيَّة، (٤/١٩) ح (٢٧١٥)، والتِّرمذيُّ في سننه، كتاب الزَّكاة، باب ما جاء يبدأُ بالدَّين قبل الوصيَّة، (٣/٥٠٦) ح (٢١٢٢)، والدَّارَقُطْنِيُّ في سننه، كتاب الفرائض، (٥/١٥٣) ح (٤١٢٤)، عن عليٍّﷺ: قَضَى محمَّدٌﷺ: "أَنَّ الدَّيْنَ قَبْلَ الْوَصِيَّةِ، وَأَنْتُمْ تَقْرَءُونَ الْوَصِيَّةَ قَبْلَ الدَّيْنِ. . . ".
قال الأَلبانيُّﷺ: "حسن إسناده". إرواء الغَلِيْل، (٦/١٠٧) ح (٧١).
والأَكثرون على تضعيفه: وذَكَرَ البَيْهَقِيُّ، قول الشَّافعيِّﷺ: "وقد رُوي في تبدِية الدَّين قبل الوصيَّة حديث عن النَّبيِّﷺ لا يُثْبِتُ أَهلُ الحديث مثلَه". ثُمَّ قال البَيْهَقِيُّ: "امتناع أَهلِ الحديث عن إثبات هذا لتفرُّد الحارث الأَعْوَر بروايته عن عليٍّﷺ، والحارث لا يحتجُّ بخبره؛ لطعن الحفَّاظ فيه". السُّنن الكبرى، للبَيهَقِي، (٦/٤٣٧).

(٥) قال التِّرمذيُّﷺ: "والعمل على هذا عند عامَّة أَهل العلم، أَنَّه يُبدأُ بالدَّين قبل الوصيَّة". سنن التِّرمذي، (٤/٤٣٥).
وقال البَغَوِيُّﷺ: "وهذا إجماع أَنَّ الدَّين مُقدَّم على الوصيَّة، ومعنى الآية الجمع لا التَّرتيب، وبيان أَنَّ الميراث مؤخَّر عن الدَّين والوصيَّة جميعًا، معناه من بعد وصيَّة إنْ كانت أَو دَين إنْ كان، والإرثُ مؤخَّر عن كلِّ واحد منهما". مَعَالم التَّنزيل، (١/٥٨٠).
وقال ابن كثيرﷺ: "أَجمع العلماء سَلفًا وخَلفًا أَنَّ الدَّين مقدَّم على الوصيَّة، وذلك عند إمعانِ النَّظر يُفهم من فَحوى الآية الكريمة". تفسير القرآن العظيم، (٢/٢٢٨).

(٦) الجَنَفُ: الميل والجور. ينظر: العين، مقاييس اللُّغة، مادَّة: (جنف).

ولا الزِّيادةُ فِيها، والنُّقصانُ؛ بأَنْ يعطَى وارثٌ فوقَ حقِّهِ، أَو يُحرَمَ وارثٌ، أَو يُنقصَ عن حقِّهِ.

ثُمَّ ذكرَ في آخرِ السُّورةِ ميراثَ الإِخوةِ لغيرِ أُمٍّ وأَخواتِهِم؛ بأَنَّ الأُنثى الواحدةَ لَها النِّصفُ، وللثِّنْتَيْنِ فأَكثرَ الثُّلثانِ.

وإِنْ اجتمعَ رِجالٌ ونساءٌ: ﴿فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾، ويُقالُ فِيهم كمَا يقالُ في الأَولادِ: إِذا كانوا ذكورًا تَساوَوا -إِذا كانوا أَشقاءَ أَو لأَبٍ- فإِنْ وُجِدَ هؤلاءِ وهؤلاءِ حَجبَ الأَشقاءُ الإِخوةَ للأَبِ.

وإِنْ كُنَّ نِساءً أَشقَّاءَ(١) وأَخواتٍ لأَبٍ، واستغرقَ الشَّقيقاتُ الثُّلثينِ لم يبقَ للأَخواتِ للأَبِ شيءٌ؛ فإِنْ كانتِ الشَّقيقةُ واحدةً أَخذتْ نصفَها، وأُعطِيتِ الأُختُ للأَبِ أَو الأَخواتُ السُّدُسَ تكمِلَةَ الثُّلُثينِ.

وما سِوى هذهِ الفُروضِ فإِنَّ الورثةَ مِن إِخوةٍ لغيرِ أُمٍّ وبَنِيهِم، وأَعمامٍ وبَنِيْهِم، وولاءٍ يدخلونَ في قولِهِ ﷺ في حديثِ ابن عباسٍ الصَّحيحِ: ((أَلْحِقُوا الفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا بَقِيَ فَهُوَ لِأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ))(٢). رواهُ مُسْلمٌ.

فيُقدَّمُ الإِخوةُ، ثُمَّ بَنُوهُم، ثُمَّ الأَعمامُ ثُمَّ بَنُوهُم، ثُمَّ الوَلاءُ، ويُقدَّمُ مِنهُمُ الأَقربُ مَنزلةً، فإِنْ استوتْ منزلتُهُم قُدِّمَ الأَقوى؛ وهو الشَّقِيقُ على الذي لأَبٍ. واللهُ أَعلمُ.

(١) س: "شقيقات".

(٢) أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب الفرائض، باب ميراث الولد من أَبيه وأُمِّه، (٨/١٥٠) ح (٦٧٣٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفرائض، باب أَلحِقوا الفرائض بأَهلها، فما بقي فلأَولى رَجل ذكر، (٣/١٢٣٣) ح (١٦١٥).

فُصُولٌ: تَتَعلَّقُ بالنِّكاحِ وتَوابِعِهِ مِن الأَحكامِ:

قال اللهُ تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾(1).

لَمَّا مَنَّ الباري على عِبادِهِ بالنِّكاحِ -قدَرًا وأَباحَهُ شرعًا، بل أَحبَّهُ ورضيَهُ وحثَّ عليهِ؛ لِما يترتَّبُ عليهِ مِن المصالحِ الكثيرةِ -رتَّبَ عليهِ أَحكامًا كثيرةً، وحُقوقًا متنوِّعةً، تدورُ كلُّها على الصَّلاحِ، وإِصلاحِ أَحوالِ الزَّوجينِ، ودفعِ الضَّررِ والفسادِ، وهي مِن محاسنِ الشَّريعةِ، والشَّريعةُ كلُّها محاسنُ، وجلبٌ للمصالحِ، ودرءٌ للمفاسدِ(2).

يقولُ تعالى هُنا: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا﴾؛ أَيْ: تقوموا[٦٤] بحقِّ النِّساءِ اليَتامى؛ اللَّاتي تحت حُجورِكم ووِلايتِكم؛ لعدمِ محبَّتِكم إِيَّاهنَّ، فاعدِلوا إِلى غيرِهنَّ.

﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾؛ أَيْ: ينبغي أَنْ تختارُوا مِنهنَّ الطَّيِّباتِ في أَنفسِهنَّ؛ اللَّاتي تَطيْبُ لكمُ الحياةُ بالاتصالِ بهنَّ، الجامعاتُ للدِّينِ، والحَسَبِ والعقلِ، والآدابِ الحَسَنةِ، وغيرِ ذلكَ؛ مِن الأَوصافِ الدَّاعيةِ لنكاحِهنَّ.

وفي هذهِ الآيةِ الحثُّ على الاختيارِ قبلَ الخِطبةِ، وأَنَّهُ ينبغِي أَنْ لا يتزوَّجَ إِلَّا الجامعةَ للصِّفاتِ المقصودةِ بالنِّكاحِ؛ فإِنَّ النِّكاحَ يُقصدُ لأُمورٍ كثيرةٍ مِن أَهمِّها:

- كفاءَةُ البيتِ والعَائلةِ، وحُسنُ التَّدبيرِ، وحُسنُ التَّربيةِ، وأَهمُّ صفةِ هذا النَّوعِ الدِّينُ، والعَقلُ(3).

- ويُقصدُ بهِ إِحصانُ الفرجِ، والسُّرورُ في الحياةِ، وعُمدةُ هذا حُسنُ الأَخلاقِ الظَّاهرةِ،

---

(١) النساء: ٣-٤

خ: سبق قلم؛ بترك قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾.

(٢) سيأْتي كلام للمؤلِّف في المصالح والمفاسد: (ص:٦، ٦).

(٣) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب النِّكاح، باب الأَكْفَاءِ في الدِّين، (٧/٧) ح (٥٠٩٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب الرَّضاع، باب استحباب نكاح ذات الدِّين، (١٠٨٦/٢) ح (١٤٦٦)، عن أَبي هريرةﷺ، عن النَّبيِّﷺ قال: ((تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ)).

وحُسنُ الأَخلاقِ الباطنةِ.

- ويُقصَدُ بهِ نَجابَةُ الأَولادِ، وشرفُهُم، وأَساسهُ الحَسَبُ والنَّسبُ الرَّفيعُ، ولهذا أَباحَ الشَّارعُ بلْ أَمرَ بالنَّظرِ لِمَن يَخْطِبُها؛ ليكونَ على بصيرةٍ مِن أَمرِهِ[(١)].

﴿مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾؛ أَيْ: مَن أَحبَّ أَنْ يتزوَّجَ اثنتينِ فلْيَفعلْ، أَو ثلاثًا أَو أَربعًا فلْيفعلْ، ولا يزيدُ على الأَربعِ؛ لأَنَّ الآيةَ سِيقتْ للامتنانِ، فلا يجوزُ الزِّيادةُ على غيرِ ما سَمَّى اللهُ إجماعًا[(٢)]؛ وذلكَ أَنَّ الرَّجلَ قد لا تَندفِعُ شهوتُهُ بالواحدةِ، أَو لا يحصلُ مقصودُهُ أَو مَقاصِدُهُ بِها، كما تقدَّمَ أَنَّ النِّكاحَ لَهُ عِدَّةُ مقاصدَ؛ فلهذا أَباحَ اللهُ لَهُ هذا العَددِ؛ لأَنَّ في الأَربعِ غُنيةً لكلِّ أَحدٍ إلَّا ما ندرَ، ومعَ هذا فإذا خافَ مِن نفسهِ الجورَ والظُّلمَ بالزِّيادةِ على الواحدةِ فلْيقتصرْ على الواحدةِ، أَو على مُلكِ يمينهِ؛ التي لا يجبُ عليهِ لَها قسْمٌ كالزَّوجاتِ.

﴿ذَٰلِكَ﴾؛ أَيْ: الاقتصارُ على واحدةٍ مِن الزَّوجاتِ، أَو ما ملكتِ اليَمينُ.

﴿أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾: أَيْ: تَظلِمُوا وتَجورُوا.

ويُستفادُ مِن هذا المعنى أَنَّ تَعرُّضَ العبدِ للأَمرِ الذي يُخافُ مِنهُ الجورُ والظُّلمُ، وعدمُ القِيامِ بالواجبِ -ولو كان مُباحًا- لا ينبغِي لَهُ أَنْ يَتعرَّضَ لَهُ، بلْ يلزمُ السَّعةَ والعَافيَةَ؛ فإِنَّ العَافيَةَ خيرُ ما أُعطيَ العبدُ[(٣)].

ولَمَّا كان كثيرٌ مِن النَّاسِ يَظلِمونَ النِّساءَ ويَهضِمونَهنَّ حُقُوقهنَّ، وخُصوصًا الصَّداقَ؛ الذي يكونُ شيئًا كثيرًا دفعةً واحدةً يَشقُّ عليهِم، حثَّهُم على إيتاءِ النِّساءِ ﴿صَدُقَٰتِهِنَّ﴾؛ أَيْ: مُهورَهنَّ.

﴿نِحۡلَةٗ﴾؛ أَيْ: عن حالِ طُمأْنينةٍ وطيبِ نفسٍ، مِن غيرِ مَطلٍ، ولا بخسٍ منهُ شيئًا.

---

(١) أَخرج مسلم في صحيحه، كتاب النِّكاح، باب ندب النَّظر إلى وجه المرأة وكفيها لمن يريد تزوجه، (١٠٤٠/٢) ح (١٤٢٤)، عن أَبي هريرةﷺ، قال: كنت عند النَّبيِّﷺ، فأَتاه رجل فأَخبره أَنَّه تزوَّج امرأَة من الأَنصار، فقال لَهُ رسول اللهﷺ: ((أَنَظَرْتَ إِلَيْهَا؟))، قال: لا، قال: ((فَاذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَإِنَّ فِي أَعْيُنِ الْأَنْصَارِ شَيْئًا)).

(٢) قال البَغَوِيُّ رحمه الله: "وهذا إجماع؛ أَنَّ أَحدًا من الأُمَّة لا يجوز لَهُ أَنْ يزيد على أَربع نسوةٍ، وكانت الزِّيادة من خصائص النَّبيِّﷺ لا مُشارَكةَ معَه لأَحدٍ من الأُمَّة فيها". مَعالم التَّنزيل، (٥٦٤/١)، وينظر: تفسير القرآن العظيم، (٢٠٩/٢).

(٣) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الجهاد والسِّير، باب لا تمنَّوا لقاء العدو، (٦٣/٤) ح (٣٠٢٤)، عن عبدالله بن أَبي أَوْفَىﷺ، أَنَّ رسولَ اللهﷺ قال: ((أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ العَافِيَةَ. . .)).

وفيهِ: أَنَّ المهرَ للمرأَةِ، وأَنَّهُ يُدفعُ إليها أَو إلى وكيلِها إنْ كانتْ رشيدةً، أَوْ إلى وليِّها إنْ لم تكنْ رشيدةً، وأَنَّها تملِكُهُ بالعقدِ؛ لأَنَّهُ أَضافَهُ إليها، وأَمرَ بإعطائِهِ لَها، وذلكَ يقتضِي الْمُلكَ.

﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾؛ أَيْ: مِن الصَّداقِ.

﴿نَفْسًا﴾: بإسقاطِ شيءٍ مِنهُ، أَو تأْخيرِهِ، أَو الْمُحابَاةِ[١] في التَّعوُّضِ عنهُ.

﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾: لا تبعةَ عليكُم فيهِ، ولا حرجَ.

وهذا دليلٌ على أَنَّ للمرأَةِ الرَّشيدةِ التَّصرُّفَ في مالِها، ولو بالتَّبرُّعِ، وأَنَّهُ ليس لوليِّها مِن الصَّداقِ شيءٌ إلَّا ما طابتْ نفسُها بهِ إذا كانتْ رَشيدةً.

ويُؤْخذُ مِن الأَمرِ بنكاحِ ما طابَ مِن النِّساءِ تحريمُ نكاحِ الخَبيثةِ؛ التي لا يَحِلُّ للمُسْلِمِ نكاحُها؛ وهي الكافرةُ غيرُ الكتابيَّةِ[٢]، وكذلكَ الزَّانيةُ حتَّى تتوبَ، كما نصَّ اللهُ على الثِّنْتَيْنِ[٣].

وفي هذهِ الآيةِ دليلٌ على أَنَّهُ لا بُدَّ في النِّكاحِ مِن صَداقٍ، وأَنَّهُ يجوزُ في الكثيرِ واليَسيرِ للعمومِ، وأَنَّهُ لا يُباحُ لأَحدٍ أَنْ يتزوَّجَ بدونِ صَداقٍ، وإنْ لم يسمَّ فمهرُ الْمِثلِ[٤]، إلَّا النَّبيَّ ﷺ؛ فإنَّ لَهُ ذلكَ خاصَّةً، كما قال تعالى: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ

---

(١) سبق تعريفها: (ص:٦).

(٢) قال تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾. [المائدة:٥].

(٣) قال ﷻ: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ [البقرة:٢٢١]، وقال ﷻ: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:٣].

(٤) أَخرج ابن ماجه في سننه، كتاب النِّكاح، باب الرَّجل يتزوَّج ولا يَفرض لها فيموت على ذلك، (١/٦٠٩) ح (١٨٩١)، وأَبو داود في سننه، كتاب النِّكاح، باب فيمن تزوَّج ولم يسمِّ صداقًا حتَّى مات، (٢/٢٣٧) ح (٢١١٦)، والتِّرمذيُّ في سننه، باب ما جاء في الرَّجل يتزوَّج المرأَة فيموت عنها قبل أَنْ يَفرضَ لها، (٣/٤٤٢) ح (١١٤٥)، واللَّفظ لَهُ، والنَّسائيُّ في سننه، كتاب النِّكاح، باب إباحة التَّزوج بغير صداق، (٦/١٢١) ح (٣٣٥٤)، عن ابن مسعود ﷺ، "أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ رَجُلٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً وَلَمْ يَفْرِضْ لَهَا صَدَاقًا، وَلَمْ يَدْخُلْ بِهَا حَتَّى مَاتَ، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: لَهَا مِثْلُ صَدَاقِ نِسَائِهَا، لَا وَكْسَ، وَلَا شَطَطَ، وَعَلَيْهَا العِدَّةُ، وَلَهَا الْمِيرَاثُ، فَقَامَ مَعْقِلُ بْنُ سِنَانٍ الأَشْجَعِيُّ، فَقَالَ: قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بِرْوَعَ بِنْتِ وَاشِقٍ امْرَأَةٍ مِنَّا مِثْلَ الَّذِي قَضَيْتَ، فَفَرِحَ بِهَا ابْنُ مَسْعُودٍ". قال التِّرمذيُّ ﷺ: "حديث حسن صحيح"، وقال الأَلبانيُّ ﷺ: "صحيح". إرواء الغَلِيْل، (٦/٣٥٨) ح (١٩٣٩).

﴿مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾(١) [٦٥].

وفي قولِهِ: ﴿فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ﴾(٢): دليلٌ على اعتبارِ الوليِّ في النِّكاحِ؛ وهو العاصِبُ، ويُقدَّمُ مِنهم الأَقربُ فالأَقربُ، فإِنْ تعذَّرَ الوليُّ القَريبُ والبَعيدُ؛ لعدمٍ أَو جَهلٍ أَو غَيْبةٍ طويلةٍ قامَ الحاكمُ مَقامَ الوَليِّ؛ فالسُّلطانُ، والحاكمُ وليُّ مَن لا وَليَّ لها مِن النِّساءِ(٣).

---

(١) الأحزاب: ٥٠

قال ابن كثيرؒ: "قال قتادة في قوله: ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[الأحزاب: ٥٠]، يقول: ليس لامرأة تَهَبُ نفسها لرجل بغير وليٍّ ولا مهر إِلَّا للنبيِّ ﷺ". تفسير القرآن العظيم، (٦/٤٤٥).

(٢) البقرة: ٢٣٢

(٣) أخرج أحمد في مسنده، (٤٠/٢٤٣) ح (٢٤٢٠٥)، وابن ماجه في سننه، كتاب النِّكاح، باب لا نكاح إِلَّا بوليٍّ، (٣/٧٨)ح (١٨٨٠)، وأبو داود في سننه، كتاب النِّكاح، باب في الوليِّ، (٣/٤٢٥) ح (٢٠٨٣)، والتِّرمذيُّ في سننه، باب ما جاء لا نكاح إِلَّا بوليٍّ، (٢/٣٩٨) ح (١١٠٢)، عن عائشةؓ، قَالَتْ: قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: ((إِذَا نُكِحَتِ الْمَرْأَةُ بِغَيْرِ أَمْرِ مَوْلَاهَا، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَإِنْ أَصَابَهَا، فَلَهَا مَهْرُهَا بِمَا أَصَابَ مِنْهَا، فَإِنِ اشْتَجَرُوا فَالسُّلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لَا وَلِيَّ لَهُ)).

والحديث حسَّنه التِّرمذيُّ، وصحَّحه الألبانيُّؒ. ينظر: إرواء الغَليل، (٦/٢٤٣) ح (١٨٤٠).

قال ابن بطَّالٍؒ: "أجمع العلماء على أَنَّ السُّلطان وليُّ من لا وليَّ لَهُ". شرح صحيح البخارى، (٧/٢٤٩).

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًاۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1]، إلى قولِهِ: ﴿مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾[2].

كانَ أَهلُ الجاهليَّةِ إذا ماتَ أَحدُهُم وُرِثتْ زوجتُهُ عنهُ كمَا يُورَثُ مالُهُ؛ فرأَى قريبُهُ، كأَخيهِ وابنِ عمِّهِ أَنَّهُ أَحقُّ بِهَا مِن نفسِها، ويَحْجُرُها[3] عن غيرِهِ، فإِنْ رضيَ بِهَا تزوَّجَها على غيرِ صَداقٍ، أَو على صَداقٍ يُحِبُّهُ هو دونَهَا، وإِنْ لم يرضَ بزواجِهَا عضَلَها ومنَعَها مِن الأَزواجِ إِلَّا بعِوضٍ مِن الزَّوجِ أَو مِنها.

وكان مِنهُم -أَيضًا- مَن يَعضُل زوجتَهُ التي هي في حِبالِهِ، فيمنعُها مِن حُقُوقِها، ومِن التَّوسعةِ لَهَا؛ لِتفتديَ مِنهُ، فنهَى اللهُ المؤمنينَ عن هذهِ الأَحوالِ القَبيحةِ الجائرةِ، ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾؛ كالزِّنى، والكلامِ الفاحشِ، وأَذيَّتِها لزوجِها ومَن يتَّصلُ بهِ، فيجوزُ في هذهِ الحالِ أَنْ يعضِلَها مقابلةً لَهَا على فِعلِها؛ لتَفتدِيَ مِنهُ؛ فإِنَّ هذا الافتداءَ بحقٍّ لا بظلمٍ.

ثُمَّ قال: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: وهذا يشمَلُ المعاشَرةَ القَوليَّةَ والفِعليَّةَ؛ فعلى الزَّوجِ أَنْ يعاشِرَ زوجتَهُ ببذلِ النَّفقةِ، والكِسوةِ، والمسكنِ اللَّائقِ بحالِهِ، ويُصاحِبَها صُحبَةً جميلَةً؛ بكفِّ الأَذى، وبذلِ الإِحسانِ، وحُسنِ المعاملةِ والخُلقِ، وأَنْ لا يَمْطُلَها[4] بِحَقِّها، وهي كذلكَ عليها ما عليهِ مِن العِشرةِ.

وكلُّ ذلكَ يَتبعُ العُرفَ في كلِّ زمانٍ، ومكانٍ، وحالٍ ما يليقُ بِهِ، قال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾[5].

---

(١) النساء: ١٩

(٢) قال ﷻ: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔاۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٢٠ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢٠-٢١].

(٣) الحَجْرُ: المنع، "وكلُّ شيءٍ حجرت عليه فقد منعت عنه". جَمْهَرة اللُّغة، وينظر: الصِّحاح، مادَّة: (حجر).

(٤) الْمَطْلُ: التَّسْويفُ والْمُدافَعَةُ، والتَّأْخير للحقوق مرَّة بعد أُخرى. ينظر: القاموس المحيط، وتاج العَرُوس، مادَّة: (مطل).

(٥) الطلاق: ٧

وقولُهُ: ﴿فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾؛ أَيْ: ينبغي لكُم يا مَعشرَ الأَزواجِ أَنْ تُمْسِكوا زوجاتِكُم ولو كَرهتُموهنَّ؛ فإِنَّ في ذلكَ خيرًا كثيرًا:

مِنها: امتثالُ أَمرِ اللهِ ورسولِهِ، الذي فيهِ سعادةُ الدُّنيا والآخرةِ.

ومِنها: أَنَّ إجبارَهُ نفسَهُ، ومجاهدتَهُ إياها معَ عدمِ محبَّةِ زوجتهِ تمرينٌ على التَّخَلُّقِ بالأَخلاقِ الجميلةِ، وربَّما زالتِ الكَراهةُ وخَلَفَتْهَا المحبَّةُ، وربَّما زالتِ الأَسبابُ التي كَرهَها لأَجلِها، وربَّما رُزِقَ مِنها ولدًا صالحًا نفعَ اللهُ بهِ والدَيهِ في الدُّنيا والآخرةِ.

ولا بدَّ لهذهِ الكراهةِ مِن أَسبابٍ مِن الزَّوجةِ، فينبغي إذا كَرِهَ مِنها خُلُقًا لحظَ بقيَّةَ أَخلاقِها، وما فِيها مِن المقاصدِ الأُخرِ، ويجعلُ هذا في مقابَلةِ هذا، وهذا عنوانُ الإنصافِ، والرَّأْيِ الأَصيلِ(١).

فإِنَّ النَّزِقَ(٢) الطَّائشِ الذي ليسَ عندهُ إنصافٌ يلاحظُ بعضَ أَغراضهِ النَّفسيَّةِ، فإذا لم يأْتِ على ما يريدُ أَهدرَ المحاسِنَ، والمناقبَ الأُخرَ، وهذا لا يكادُ يصفو لَهُ خِلٌ في حياتهِ، لا زَوجةٌ، ولا صاحبٌ ولا حَبيبٌ، بل هو سريعُ التَّقلُّبِ.

أَمَّا الرَّجلُ الحازمُ الوفيُّ الذَّكيُّ فإِنَّهُ يُوازنُ بيْنَ الأُمورِ، ويُقدِّمُ الحقَّ السَّابقَ، ويَفي بالسَّوابقِ، ويكونُ نظَرُهُ للمحاسِنِ أَرجحَ مِن نظَرِهِ للمساوئِ.

فإِنْ وَصَلَ إلى الدَّرجةِ العاليةِ التي لا يَصِلُ إليها إِلَّا أَفرادٌ مِن كُمَّلِ الرِّجالِ جعلَ المحاسنِ نُصْبَ عينيهِ، وأَغضى عن المساوئِ بالكُلِّيَّةِ؛ وعفا عنها للهِ، ولحقِّ صاحبِ الحقِّ، فهذا قد كسَبَ الأَجرَ، والرَّاحةَ، والخُلقَ الذي لا يُلحقُ، وذلكَ فضلُ اللهِ يؤتيهِ مَن يشاءُ.

وهذا الصَّبْرُ المأْمورُ بهِ إِنَّما هو معَ الإمكانِ، فإِنْ كان لا بدَّ مِن الفِراقِ، ولم يبقَ للصَّبرِ والإِمساكِ موضعٌ[٦٦]، فاللهُ قد أَباحَ الفِراقَ؛ فلِهذا قال: ﴿وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ﴾؛ أَيْ: فلا حرجَ عليكُم، ولكنْ إذا: ﴿ءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ﴾؛ أَيْ: الزَّوجةَ السَّابقةَ أَو اللَّاحقةَ: ﴿قِنطَارٗا﴾: وهو المالُ الكثيرُ.

---

(١) أَخرج مسلم في صحيحه، كتاب الرَّضاع، باب الوصيَّة بالنِّساء، (١٠٩١/٢) ح (١٤٦٩)، عن أَبي هريرةﷺ، قال: قال رسول اللهﷺ: ((لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ))، أَوْ قَالَ: ((غَيْرَهُ)).

(٢) النَّزِقُ: "خِفَّة في كلِّ أَمر، وعَجلة في جهل، وحُمق". العين، وتهذيب اللُّغة، مادَّة: (نزق).

﴿فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾: بلْ وفِّروهُ لهنَّ، ولا تَمْطُلُوهُنَّ، وهذا يدلُّ على جوازِ إعطاءِ النِّساءِ مِن الْمُهُورِ وغيرِها المالَ الكثيرَ، وأنَّها بذلكَ تملِكُهُ، ولكنَّ الأكملَ والأفضلَ التَّساهلُ في الْمُهورِ؛ اقتداءً بالنَّبيِّ ﷺ، وتسهيلًا للنِّكاحِ، ولطُرقِهِ، وبراءةً للذِّممِ[1].

ثُمَّ ذكرَ الحِكمةَ في تحريمِ أخذِ الزَّوجِ ما أعطاهُ لزوجتِهِ، فقال: ﴿أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٢٠ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾.

وبيانُ ذلكَ أنَّ الأُنثى قبلَ عقدِ النِّكاحِ محرَّمةٌ على الزَّوجِ، وهي لم ترضَ بِهذا الحِلِّ إلَّا بالعقدِ، والميثاقِ الغليظِ الذي عُقِدَ على ذلكَ العِوضِ المشروطِ، فإذا دخلَ عليها وباشَرها، وأَفْضَى إليها وأَفْضَتْ إليهِ -وباشرَها المباشَرةَ التي كانتْ قبلَ هذهِ الأُمورِ حَرامًا- فقد استوفى المعوَّضَ، فثبتَ عليهِ العِوضُ تامًّا، فكيفَ يَستوفي المعوَّضَ ثُمَّ يرجعُ على العِوضِ؟.

لا ريبَ أنَّ هذا مِن المنكراتِ القَبيحةِ شرعًا وعقلًا وفِطرةً.

---

(١) أخرج مسلم في صحيحه، كتاب النِّكاح، باب ندب النَّظر إلى وجه المرأة وكفَّيها لمن يريد تزوُّجها، (١٠٤٠/٢) ح (١٤٢٤)، عن أَبي هريرةﷺ، قال: "جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّﷺ، فَقَالَ: إِنِّي تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّﷺ: ((هَلْ نَظَرْتَ إِلَيْهَا؟ فَإِنَّ فِي عُيُونِ الْأَنْصَارِ شَيْئًا)) قَالَ: قَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهَا، قَالَ: ((عَلَى كَمْ تَزَوَّجْتَهَا؟)) قَالَ: عَلَى أَرْبَعِ أَوَاقٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّﷺ: ((عَلَى أَرْبَعِ أَوَاقٍ؟ كَأَنَّمَا تَنْحِتُونَ الْفِضَّةَ مِنْ عُرْضِ هَذَا الْجَبَلِ، مَا عِنْدَنَا مَا نُعْطِيكَ، وَلَكِنْ عَسَى أَنْ نَبْعَثَكَ فِي بَعْثٍ تُصِيبُ مِنْهُ. . .)).

﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾(١): ثُمَّ عدَّدَ المحرَّماتِ إلى أَنْ قال: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ﴾(٢).

قد استوفى الباري المحرَّماتِ في النِّكاحِ -في هذهِ الآياتِ- في النَّسَبِ(٣)، والرَّضاعِ(٤)، والْمُصاهَرةِ(٥).

أَمَّا المحرَّماتُ بالمصاهَرةِ؛ فإنْ تزوَّجَ الرَّجلُ امرأَةً ترتَّبَ على هذا الزَّواجِ أَربعةُ أَحكامٍ:

- تحريمُ هذهِ الزَّوجةِ على أَولادهِ وإنْ نزلوا نَسَبًا، ورَضَاعًا.

- وتحريمُها على آبائِهِ وإنْ علَوا نَسَبًا، ورَضاعًا.

- وحَرُمتْ عليهِ أُمُّها في الحالِ(٦).

- وأَمَّا بنتُها فإنْ كان قد دخلَ بزوجتهِ حَرُمتْ -أَيضًا- وصارتْ رَبيبَةً(٧)؛ لا فرقَ بينَ بنتِها مِن زوجٍ سابقٍ لَهُ، أَو مِن زوجٍ خَلَفَهُ علَيها(٨).

وأَمَّا المحرَّماتُ بالنَّسَبِ: فتحرمُ الأُمَّهاتُ، وهنَّ: كلُّ أُنثى لها عليكَ وِلادةٌ، وهي التي تخاطِبها بالأُمِّ والجدَّةِ، وإنْ علَتْ مِن كلِّ جِهةٍ.

وتحْرمُ البَناتُ، وهنَّ: كلُّ أُنثى تُخاطِبكَ بالأُبُوَّةِ أَو بالجُدودةِ؛ مِن بناتِ الابنِ، وبناتِ البناتِ، وإنْ نزلنَ.

---

(١) النساء: ٢٢

(٢) النساء: ٢٤

(٣) النَسَبُ: "القَرابةُ، وقِيل: هو في الآباء خاصَّة". لسان العرب، وينظر: العين، والصِّحاح: مادَّة: (نسب).

(٤) الرَّضَاعُ: بفتح الرَّاء، وبكسرها، "مصُّ الرَّضيع من ثدي الآدميَّة في مدَّة الرَّضاع". التَّعريفات، (ص:١١١)، وأَنيس الفِقهاء، (ص:٥٤).

(٥) الْمُصاهَرَةُ: من صاهَرْتَ القوم إذا تزوَّجتَ فيهم. ينظر: العين، ولسان العرب، مادَّة: (صهر).

(٦) حال تمام العقد.

(٧) قال ابن جُزَيٍّ رحمه الله: "الرَّبِيْبَةُ: هي بنت امرأَة الرَّجل من غيره، سُمِّيت بذلك لأَنَّه يربِّيها، فلفظها: فَعِيلَة بمعنى: مَفْعُولَة". التَّسهيل لعلوم التَّنزيل، (١/١٨٦)، وينظر: تهذيب اللُّغة، مادَّة: (ربب)، والتَّسهيل، (١/١٨٦).

(٨) فالرَّبِيْبَة لا تَحرم إِلَّا بالدُّخول بالأُم، بخلاف الأُم فإنَّها تَحرُم بمجرَّد العقد على الرَّبيبة، وهذا هو رأْي جمهورُ علماءِ السَّلف والخَلف. ينظر: تفسير القرآن العظيم، (٢/٢٥٠).

وتَحْرُمُ الأَخواتُ؛ شقيقاتٌ كنَّ أَو لأَبٍ أَو لأُمٍّ، وبناتُ الإخوةِ، وبناتُ الأَخواتِ مطلَقًا.

وتَحْرُمُ العمَّاتُ، والخالاتُ، وهنَّ: كلُّ أُختٍ لأَحدِ آبائِكَ، وإِنْ علا[١]، أَو أَحدِ أَمَّهاتِكَ، وإِنْ علَونَ[٢].

وما سِوى ذلكَ مِن الأَقاربِ حلالٌ؛ كبناتِ الأَعمامِ، وبناتِ العمَّاتِ، وبناتِ الأَخوالِ، وبناتِ الخالاتِ؛ ولهذا ذكرَ اللهُ هذا الحِلَّ، والتَّحريمَ الْمُهِمَّ في موضِعينِ:

- في هذا الموضعِ صرَّحَ بالمحرَّماتِ السَّبعِ، وقال: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾[٣].

- وفي سُورةِ الأَحزابِ أَتى بِها بأُسلوبٍ آخرَ، فقال في الحِلِّ: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾[٤]؛ أَيْ: فهُنَّ حلالٌ، ومَن عَداهنَّ مِن الأَقاربِ حرامٌ.

وأَمَّا المحرَّماتُ بالرَّضاعِ فإِنَّهنَّ نظيرُ المحرَّماتِ بالنَّسَبِ؛ مِن جهةِ المرضِعةِ، وصاحبِ اللَّبَنِ، فالمرضِعةُ أُمٌّ للرَّضيعِ، وأُمَّهاتُها جدَّاتُهُ[٦٧]، وإِخْوتُها وأَخواتُها أَخوالُهُ وخالاتُهُ، وأَولادُها إِخوتُهُ وأَخواتُهُ، وهو عمٌّ لأَولادِهِم، أَو خالٌ[٥]، وكذلكَ صاحبُ اللَّبنِ[٦]؛ وأَمَّا الانتشارُ مِن جهةِ الطِّفلِ الرَّاضِعِ فلا ينتشِرُ التَّحريمُ لأَحدٍ مِن أَقاربِهِ إِلَّا لذُرِّيتهِ فقط.

وتَقييدُ الآيةِ في الرَّبِيبَةِ بقوله: ﴿ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ﴾[٧]: بيانٌ لأَغلبِ أَحوالِها؛ ولبيانِ أَعلى حِكْمَةٍ تناسبُ حِكْمَةَ التَّحريمِ، وأَنَّها إِذا كانتْ في حَجرِكِ بمنزلةِ بناتكِ لا يليقُ إِلَّا أَنْ تكونَ مِن محارِمكَ[٨].

---

(١) وهنَّ العمَّات.

(٢) وهنَّ الخالات.

(٣) النساء: ٢٤

(٤) الأحزاب: ٥٠

(٥) الرَّاضع عمٌّ لأَولاد إِخوته، وخالٌ لأَولاد أَخواته.

(٦) صاحب اللَّبن أَبٌ لَهُ من الرَّضاع.

(٧) النساء: ٢٣

(٨) قال ابن كثير رحمه الله: "وهذا الخطاب خرج مخرج الغالب، فلا مفهوم لَهُ؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور:٣٣]". تفسير القرآن العظيم، (٢/٢٥١).
وقال أَبو السُّعود رحمه الله: "وفائدةُ وصفِهن بذلك تقويةُ عِلَّةِ الحُرمةِ وتكميلها، كما أَنَّها النُّكتةُ في إِيرادهن باسم الرَّبائبِ دون بناتِ النِّساءِ، فإِنَّ كونَهن بصدد احتضانِهم لهنَّ، وفي شرف التَّقلُّبِ في حجورهم، وتحت حمايتِهم، =

وتَقييدُها الآخرُ بقولِهِ: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ﴾[(١)]: تُخرِجُ[(٢)] ابنَ التَّبنِّي[(٣)]، لا تُخرِجُ[(٤)] ابنَ الرَّضاعِ في قول جمهورِ العُلماءِ[(٥)].

﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾[(٦)]؛ أَيْ: ذواتِ الأزواجِ؛ فكلُّ أُنثى في عِصمةِ زَوجٍ أَو في بقيَّةِ عدَّتهِ لا تحِلُّ لغيرِهِ؛ لأَنَّ الأَبْضاعَ[(٧)] ليسَتْ محَلَّ اشتراكٍ، بلْ قُصِدَ تمييْزُها التَّامُّ؛ ولهذا شُرعتِ العِدَّةُ[(٨)] والاسْتِبْراءُ[(٩)]، ونحوُ ذلكَ.

وقولُهُ: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾[(١٠)]: المرادُ بِهذا المِلْكِ: مِلْكُ السَّبْيِ، إذا سُبِيَتِ المرأَةُ ذاتُ الزَّوجِ مِن الكفَّارِ في القِتالِ الشَّرعيِّ حَلَّتْ لِلمسلِمينَ، ولكنْ بعدَ الاسْتِبْراءِ أَو العِدَّةِ[(١١)]، فزوجُها الحَربيُّ

وتربيتِهم ممَّا يقوِّي الملابسة والشَّبَهَ بينهنَّ وبين أَولادِهِم، ويستدعي إجراءَهنَّ مُجرى بناتِهم، لا تقييدُ الحرمةِ بكونهنَّ في حجورهم بالفعل". إرشاد العقل السَّليم، (١٦١/٢).

(١) النساء: ٢٣

(٢) س: "يخرج".

(٣) التَّبنِّي: "اتِّخاذ الشَّخصِ ولدَ غيره ابنًا لَهُ، وكان الرَّجل في الجاهلية يَتَبَنَّى الرَّجل، فيجعله كالابنِ المولودِ لَهُ، ويدعوه إليه النَّاسُ، ويرث ميراث الأَولاد". الموسوعة الفِقهيَّة الكويتيَّة، (١٢٠/١٠)، وينظر: تفسير الرَّازي، (٥٠٨/٩)، والجامع لأَحكام القرآن، (١١٩/١٤).

(٤) س: "يخرج".

(٥) قال ابن عَطيَّة رحمه الله: "وحرمت حَليلة الابن من الرَّضاع -وإنْ لم يكن للصُّلب- بالإجماع المستند إلى قوله ﷺ: (يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ)". المحرَّر الوجيز، (٣٣/٢)، وينظر: أَحكام القرآن، لابن العربي، (٤٨٧/١).

(٦) النساء: ٢٤

(٧) الأَبْضَاعُ: جمع بُضْع: ويُطْلَق على الفرْج، والجماع، والتَّزويج. ينظر: مقاييس اللُّغة، والمِصباح الْمُنِيْر، مادَّة: (بضع).

(٨) الْعِدَّةُ: "مدَّةُ مَنْعِ النِّكاحِ؛ لِفسْخِهِ أَو موتِ الزَّوجِ أَو طلاقه". شرح حدود ابن عرفة، للرَّصَّاع، (ص:٢١٤)، وينظر: التَّعريفات، (ص:١٤٨)، والتَّوقيف على مُهمَّات التَّعاريف، (ص:٢٣٧).

(٩) الاسْتِبْرَاءُ: طلب البراءة، والمراد هنا: مُدَّةُ دليلِ براءة الرَّحِم. ينظر: الْمِصباح الْمُنِيْر، مادَّة: (برأ)، وشرح حدود ابن عرفة، (ص:٢١٧)، ومُعْجَم مقاليد العلوم، (ص:٥٨).

(١٠) النساء: ٢٤

(١١) أَخرج مسلم في صحيحه، في كتاب الرَّضاع، باب جواز وطء المسبيَّة بعد الاستبراء، وإن كان لها زوج انفسخ نكاحها بالسَّبيِّ، (١٠٧٩/٢) ح (١٤٥٦)، عن أَبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه، "أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ بَعَثَ جَيْشًا إِلَى أَوْطَاسَ، فَلَقُوا عَدُوًّا، فَقَاتَلُوهُمْ فَظَهَرُوا عَلَيْهِمْ، وَأَصَابُوا لَهُمْ سَبَايَا، فَكَأَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَحَرَّجُوا مِنْ غِشْيَانِهِنَّ مِنْ أَجْلِ أَزْوَاجِهِنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل فِي ذَلِكَ: ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ [النساء:٢٤]، أَيْ: فَهُنَّ لَكُمْ حَلَالٌ إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهُنَّ".

الذي في دارِ الحربِ لم يبقَ لَهُ فِيها حقٌّ، ولا لَهُ حُرمةٌ؛ فلهذا حَلَّتْ لِلمسلِمينَ؛ كما حَلَّ لَهم مالُهُ ودمُهَ؛ لأَنَّهُ ليس لَهُ عهدٌ، ولا مُهادنةٌ.

وقولُهُ: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾[1]؛ أَيْ: ما سِوى ما نصَّ اللهُ على تحريمِهِ: سَبْعٌ بالنَّسَبِ، وسَبْعٌ بالرَّضاعِ، وأَربعٌ بالصِّهرِ، فما عداهُنَّ فإِنَّهُ حلالٌ، إِلَّا أَنَّهُ حرَّمَ -تعالى- الجمعَ بيْنَ الأُختينِ، وحرَّمَ النَّبيُّ ﷺ الجمعَ بينَ المرأَةِ وعمَّتِها[2]، وحرَّمَ على الأَحرارِ نكاحَ المملوكاتِ؛ لِما فيهِ مِن إِرْقَاقِ الولدِ؛ ولِما فيهِ مِن الدَّناءَةِ، والضَّررِ العائدِ للأَولادِ؛ لتنازُعِ الْمُلَّاكِ، وتنَقُّلاتِ الأَرقاءِ؛ لكنْ إِذا رَجَحتْ مصلحةُ الإِباحةِ فقد أَباحهُ اللهُ بشرطِ:

- المشقَّةِ؛ لحاجةِ مُتعةٍ أَو خِدمةٍ.
- وأَنْ لا يَقدِرَ على الطَّوْلِ[3] للحُرَّةِ.
- وأَنْ تكونَ الأَمَةُ مؤمنةً.
- بإِذنِ أَهلِها.

فعندَ اجتماعِ هذهِ الشُّروطِ كلِّها يَحِلُّ للحُرِّ نكاحُ الإِماءِ[4].

---

(١) النساء: ٢٤

(٢) أخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب النِّكاح، باب لا تنكح المرأة على عمَّتها، (١٢/٧) ح (٥١٠٩)، واللَّفظ لَهُ، ومسلم في صحيحه، كتاب النِّكاح، باب تحريم الجمع بين المرأة وعمَّتها أو خالتها في النِّكاح، (١٠٢٩/٢) ح (١٤٠٨)، عن أَبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: ((لَا يُجْمَعُ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا، وَلَا بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَخَالَتِهَا)).

(٣) الطَّوْلُ: الفضل والغنى والسَّعَة من المال. ينظر: جامع البيان، (١٨٤/٨)، ولسان العرب، مادَّة: (طول).

(٤) هذه الشُّروط صريحة في قوله عز وجل: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۚ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النساء: ٢٥].

وقولُهُ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾(١).

هذا خبرٌ وأَمرٌ؛ أَيْ: الرِّجالُ قوَّامونَ على النِّساءِ في أُمورِ الدِّينِ والدُّنيا؛ يُلزِمونَهنَّ بحُقوقِ اللهِ، والمحافظةِ على فرائضِهِ، ويكفُّونَهنَّ عن جميعِ المعاصي والمفاسدِ، وبتقويمِهنَّ بالأَخلاقِ الجميلةِ، والآدابِ الطَّيِّبةِ.

وقوَّامونَ -أَيضًا- عليهِنَّ بواجباتِهنَّ مِن النَّفقةِ، والكِسوةِ، والمسكنِ، وتَوابعِ ذلكَ، ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾؛ أَيْ: ذلكَ بسببِ فضلِ الرِّجالِ عليهِنَّ، وإِفْضالِهِم عليهِنَّ.

فتفضيلُ الرِّجالِ على النِّساءِ مِن وُجوهٍ مُتعدِّدةٍ(٢):

- مِن كونِ الوِلاياتِ كلِّها مختصَّةً بالرِّجالِ، والنُّبوةُ والرِّسالةُ(٣).
- وباختصاصِهِم بالجهادِ البدنيِّ.
- ووجُوبِ الجَماعةِ والجُمعةِ، ونحوِ ذلكَ.
- وبِما تميَّزوا بهِ عن النِّساءِ مِن العَقلِ والرَّزانةِ، والحفظِ، والصَّبرِ والجَلدِ والقوَّةِ التي ليستْ للنِّساءِ.
- وكذلكَ يَدُهُ هي العُليا علَيها بالنَّفقاتِ المتنوِّعةِ، بل وكثيرٍ مِن النَّفقاتِ الأُخرِ، والمشاريعِ الخيريَّةِ؛ فإِنَّ الرِّجالَ يَفْضُلونَ النِّساءَ بذلكَ كمَا هو مُشاهَدٌ، ولهذا حَذَفَ الْمُتعلَّقَ في قولِهِ: ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾؛ ليدلَّ على هذا التَّعمِيمِ(٤).

---

(١) النساء: ٣٤

(٢) نصَّ عليها البَغَويُّ رحمه الله. ينظر: مَعالم التَّنزيل، (٦١١/١).

(٣) قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [يوسف:١٠٩].

(٤) قال أَبو حيَّان رحمه الله: "﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾: معناه عليهنَّ، وما: مصدريَّة، أَو بمعنى: الذي، والعائد محذوف فيه مسوِّغ الحذف، قِيل: المعنى بما أَخرجوا بسبب النِّكاح من مهورهنَّ، ومن النَّفقات عليهنَّ المستمرَّة". البحر المحيط، (٦٢٣/٣).

فعُلِمَ مِن ذلكَ أَنَّ الرَّجلَ كالواليِّ والسَّيدِ على امرأَتِهِ[٦٨]، وهي عندَهُ أَسيرةٌ عانيةٌ تحتَ أَمرِهِ وطاعتهِ، فليتقِ اللهَ في أَمرِها، ولْيقوِّمْها تَقويمًا ينفعُهُ في دينهِ ودُنياهُ، وفي بيتهِ وعائلتهِ، يجدُ ثمراتِ ذلكَ عاجلًا وآجلًا(١)، وإلَّا يفعلْ فلا يَلُوْمَنَّ إلَّا نفسَهُ؛ وهنَّ قِسمانِ:

القسمُ الأَوَّل: قِسمٌ هنَّ أَعلى طبقاتِ النِّساءِ، وخيرُ ما حازهُ الرِّجالُ، وهنَّ المذكوراتُ في قولهِ: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾؛ أَيْ: مُطيعاتٌ للهِ ولأَزواجهنَّ، قد أَدَّتِ الحَقَّينِ، وفازتْ بكِفْلَينِ(٢) مِن الثَّوابِ؛ حافظاتٌ أَنفسَهنَّ مِن جميعِ الرِّيَبِ، وحافظاتٌ لأَماناتهنَّ ورِعايةِ بُيوتِهِنَّ، وحافظاتٌ للعائلةِ بالتَّربيةِ الحسَنةِ، والأَدبِ النَّافعِ في الدِّينِ والدُّنيا، وعَليهنَّ بذلُ الجهدِ والاستعانةِ باللهِ على ذلكِ؛ فلِهذا قال: ﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾؛ أَيْ: إذا وُفِّقنَ لهذا الأَمرِ الجَليلِ فلْيحمَدْنَ اللهَ على ذلكَ، ويَعلَمْنَ أَنَّ هذا مِن حِفْظِهِ، وتَوفيقِهِ وتيسيرِهِ لَها؛ فإنَّ مَن وُكِلَ إلى نفسهِ، فالنَّفسُ أَمَّارةٌ بالسُّوءِ، ومَن شاهدَ مِنَّةَ اللهِ، وتوكَّلَ على اللهِ، وبذَلَ مقدورَهُ في الأَعمالِ النَّافعةِ كفاهُ اللهُ ما أَهمَّهُ، وأَصلحَ لَهُ أُمورَهُ، ويسَّرَ لَهُ الخيرَ، وأَجراهُ على عوائِدهِ الجَميلةِ.

والقسمُ الثَّاني: هنَّ الطَّبقةُ النَّازِلةُ مِن النِّساءِ، وهنَّ بِضدِّ السَّابقاتِ في كلِّ خَصلةٍ، اللَّاتي مِن سُوءِ أَخلاقهنَّ، وقُبحِ تربيتِهنَّ تَترفَّعُ على زوجِها، وتَعصيهِ في الأُمورِ الواجبةِ والمستحبَّةِ، فأَمرَ اللهُ بتقويمهنَّ بالأَسهلِ فالأَسهلِ، فقال: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ﴾؛ أَيْ: بيِّنوا لهنَّ حُكمَ اللهِ ورسولِهِ في وجوبِ طاعةِ الأَزواجِ، ورغِّبوهُنَّ في ذلكَ؛ بِما يترتَّبُ عليهِ مِن الثَّوابِ، وخوِّفُوهنَّ معصيَةَ الأَزواجِ، وذكِّروهنَّ ما في ذلكَ مِن العِقابِ، وما يترتَّبُ عليهِ مِن قَطعِ حُقوقِها، وإباحةِ هَجرِها وضَربِها.

فإنْ تَقوَّمنَ بالوعظِ والتَّذكيرِ فذلكَ المطلوبُ، وحصلَ الاتِّفاقُ الذي لا يشوبُهُ مُكدِّرٌ، فإنْ لم يُفِدِ التَّذكيرُ فاهجُروهنَّ في المضاجعِ؛ بأَنْ لا ينامَ عندَها، ولا يُباشِرَها بجماعٍ ولا غيرِهِ؛ لعلَّ الهجرَ

---

(١) أَخرج مسلم صحيحه، كتاب الحجِّ، باب حجَّة النَّبيِّ ﷺ، (٢/٨٨٦) ح (١٢١٨)، عن جابر رضي الله عنه أَنَّ رسول الله ﷺ، خطب النَّاس في عرفة، وقال: ((. . . فَاتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ. . .)).

(٢) الكِفْلُ: النَّصِيبُ والحظُّ. ينظر: جَمْهَرة اللُّغة، مادَّة: (كفل)، ومجاز القرآن، (١/١٣٥).

يَنْجَعُ[(١)] فِيها؛ ذلكَ بمقدارِ ما يحصلُ بهِ المقصودُ فقط؛ فإنَّ القَصْدَ بالهَجرِ نفعُ المهجورِ وأَدبُهُ، ليس الغرضُ مِنهُ شِفاءُ النَّفسِ؛ كمَا يفعلُهُ مَن لا رأْيَ لَهُ إذا خالفتْهُ زوجتُهُ أَو غيرُها، ولم يُحَصِّلْ مقصودَهُ، هجرَ هجرًا مُستمرًّا؛ أَيْ: بقيَ متأَثِّرًا بذلكَ، عاتبًا على مَن لم يُوَاتِهِ[(٢)] على ما يُحبُّ، ووصَلتْ بهِ الحالُ إلى الحِقدِ الذي هو مِن الخِصالِ الذَّميمةِ؛ فهذا ليس مِن الهجرِ الجَميلِ النَّافعِ، وإنَّما هو مِن الحِقدِ الضَّارِ بصاحبهِ، الذي لا يحصلُ بهِ تقويمٌ، ولا مَصلحةٌ.

فإنْ نفعَ الهجرُ للزَّوجةِ وإلَّا انتقلَ إلى ضَربِها ضَربًا خَفيفًا غيرَ مُبَرِّحٍ[(٣)].

فإنْ حَصلَ المقصودُ، ورَجعتْ إلى الطَّاعةِ، وتركتِ المعصيةَ، عادَ الزَّوجُ إلى عِشرتِها الجَميلةِ، ولا سبيلَ لَهُ إلى غيرِ ذلكَ مِن أَذيَّتِها؛ لأَنَّها رَجعتْ إلى الحقِّ.

وهذا الدَّواءُ لِكلِّ عاصٍ ومجرمٍ.

إنَّ الشَّارعَ رغَّبهُ إذا تركَ إجرامَهُ عادَ حقُّهُ الخاصُّ والعامُّ كما في حقِّ التَّائبِ مِن الظُّلمِ[(٤)]، وقطعِ الطَّريقِ، وغيرِها[(٥)]، فكيفَ الزَّوجُ معَ زوجتهِ.

وفي هذهِ الآيةِ ونحوِها فائدةٌ نافعةٌ، وهي: أَنَّهُ ينبغي لِمَن عادَ إلى الحقِّ أَنْ لا يُذَكِّرَ الأُمورَ السَّالفةَ؛ فإنَّ ذلكَ أَحرَى للثَّباتِ على المطلوبِ، فإنَّ تذكيرَ الأُمورِ الماضيةِ ربَّما أَثارَ الشَّرَّ، فانتكسَ المرضُ، وعادتِ الحالُ إلى أَشدَّ مِن الأُولى[٨٩][(٦)].

---

(١) يَنْجَعُ: ينفع، ويَصْلح، ويُؤثِّر. ينظر: تهذيب اللُّغة، ولسان العرب، مادَّة: (نجع).

(٢) الْمُواتَاةُ: الموافقة والمطاوعة. ينظر: الصِّحاح، ولسان العرب، مادَّة: (وتي).

(٣) الْمُبَرِّحُ: بضم الميم وكسْر الرَّاء المشدَّدة، أَيْ: الشَّديد، الشَّاق. ينظر: تهذيب اللُّغة، وتاج العَرُوس، مادَّة: (برح).

(٤) قالﷻ: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:٣٩].

(٥) قالﷻ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة:٣٤].

(٦) هذا التَّذكير، فكيف بالتَّعيير المحزنِ للتَّائب، والمعينِ للشَّيطان عليه، والمعرِّضِ للابتلاء بذنبٍ مثله أَو أَشد، والموقعِ في المنهي عنه شرعًا!.

أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الحدود، باب ما يُكره من لعن شارب الخمر، وإنه ليس بخارج من الملَّة، (١٥٨/٨) ح (٦٧٨٠)، عن عمرﷺ، أَنَّ رجلًا على عهد النَّبيِّﷺ كان اسمه عبداللَّه، وكان يُلَقَّبُ حِمَارًا، وكان يُضْحِكُ رَسولَ اللَّهِﷺ، وكان النَّبيُّﷺ قد جلده في الشَّراب، فأُتِي به يومًا فأَمرَ به فجُلِد، فقال رجلٌ من القوم: اللَّهمَّ العنه، ما أَكثرَ ما يُؤْتَى به؟ فقال النَّبيُّﷺ: ((لَا تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)).

=

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾[(١)].

هذهِ حالةٌ أُخرى غيرُ الحالةِ السَّابقةِ التي يمكنُ للزَّوجِ معالجتُها، وهذهِ الحالُ[(٢)] إذا استَطَارَ[(٣)] الشَّرُّ بيْنَ الزَّوجينِ، وبلَغتِ الحالُ إلى الخِصامِ، وعدمِ الالتئامِ، ولم ينفعْ في ذلكَ وعظٌ، ولا كلامٌ ﴿فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾: عَدْلَينِ عاقلَينِ، يعرفانِ الجمعَ والتَّفريقَ، ويفْهمانِ الأُمورَ كمَا ينبغِي؛ فإنَّ الحَكَمَ لا بُدَّ أَنْ يتَّصفَ بهذهِ الأَوصافِ.

فيبحثانِ في الأَسبابِ التي أَدَّتْ بهما إلى هذهِ الحالِ، ويَسأَلانِ كُلًّا مِنهُما ما ينقِمُ على صاحِبهِ، ويُزيلانِ ما يَقْدِرانِ عليهِ مِن الْمَعْتَبَةِ[(٤)]؛ بترغيبِ النَّاقِمِ على الآخرِ؛ بالإِغضاءِ عن الهفواتِ، واحتمالِ الزَّلاتِ، وإرشادِ الآخرِ إلى الوعدِ بالرُّجوعِ، وإرشادِ كلٍّ مِنهُما إلى الرِّضا، والنُّزولِ عن بعضِ حقِّهِ.

فكمْ حصَلَ بِهذا الطَّريقِ مِن المصالحِ شيءٌ كثيرٌ؟.

وإنْ أَمكنَهُما إلزامُ المتعصِّبِ على الباطلِ مِنهُما بالحقِّ فَعَلا.

ومَهما وَجَدَا طريقًا إلى الإِصلاحِ والاتِّفاقِ والملاءَمةِ بينَهُما لم يعدِلا عنها؛ إمَّا بتنازُلٍ عن بعضِ الحُقوقِ، أَو ببذلِ مالٍ، أَو غيرِ ذلكَ.

فإنْ تعذَّرَتِ الطُّرقُ كلُّها، ورأَيَا أَنَّ التَّفريقَ بينهُما أَصلَحُ لتعذُّرِ الملاءَمةِ فرَّقا بينهُمَا بما تقتضيهِ الحالُ؛ بعِوضٍ أَو بغيرِ عِوضٍ، ولا يُشترَطُ في هذا رضا الزَّوجِ؛ لأَنَّ اللهَ سمَّاهُما حَكَمينِ لا وكِيْلَينِ،

وأخرج مسلم في صحيحه، كتاب الحُدود، باب رجْم اليهود أَهل الذِّمة في الزِّنى، (١٣٢٨/٣) ح (١٧٠٣)، عن أَبي هريرةﷺ، أَنَّه سمع رسول اللهﷺ، يقول: ((إِذَا زَنَتْ أَمَةُ أَحَدِكُمْ، فَتَبَيَّنَ زِنَاهَا، فَلْيَجْلِدْهَا الْحَدَّ، وَلَا يُثَرِّبْ عَلَيْهَا، ثُمَّ إِنْ زَنَتْ، فَلْيَجْلِدْهَا الْحَدَّ، وَلَا يُثَرِّبْ عَلَيْهَا، ثُمَّ إِنْ زَنَتِ الثَّالِثَةَ، فَتَبَيَّنَ زِنَاهَا، فَلْيَبِعْهَا، وَلَوْ بِحَبْلٍ مِنْ شَعَرٍ)).

(١) النساء: ٣٥

(٢) "الحال"، ليست في: (س).

(٣) اسْتَطَارَ: انتشر، وتبيَّن. ينظر: مقاييس اللُّغة، ولسان العرب، مادَّة: (طير).

(٤) الْمَعْتَبَةُ والْمَعْتِبَةُ: من العَتْب، يقال: عَتَب عليه، إذا وَجَد عليه. ينظر: لسان العرب، تاج العَرُوس، مادَّة: (عتب).

ومَن قالَ إنَّهُما وكيلانِ اشترطَ في التَّفريقِ رِضا الزَّوجِ، ولكنَّ هذا القولَ ضعيفٌ(١).

ولمحبَّةِ الباري للاتِّفاقِ بينهُما، وترجيحهِ على الآخرِ قال: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ﴾؛ أَيْ: بسببِ الرَّأْيِ الميمونِ، والكلامِ اللَّطيفِ، والوعدِ الجميلِ الذي يجذبُ القُلوبَ، ويؤثِّرُ فِيها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾: بالسَّرائرِ والظَّواهرِ، مطَّلعًا على الخفايا؛ فمِن كمالِ عِلمهِ وحِكمتهِ شرعَ لكُم هذهِ الأَحكامَ الجَليلةَ التي هي الطَّريقُ الوحيدُ إِلى القِيامِ بالحُقوقِ: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾(٢).

---

(١) هذا مذهب عَطاء، وحُكي ذلك عن أَبي حنيفة، والحسن، وهو القول القديم للشَّافعيِّ، وإِحدى الرِّوايتين عن أَحمد؛ لأَنَّ الحقَّ لهما، وهما رشيدان، فلا يَحقُّ التَّصرف فيه إِلَّا بوكالة منهما، أَو وِلاية عليهما. ينظر: أَحكام القرآن، للطَّحاوي، (٤٤٢/٢)، وأَحكام القرآن، للجصَّاص، (١٥٢/٣)، وأَحكام القرآن، لابن العربي، (٥٣٧/١)، والمغني، (٣٢٠/٧)، وتفسير القرآن العظيم، (٢٩٦/٢-٢٩٧).

(٢) المائدة: ٥٠

﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾(١).

هذهِ حالةٌ مِن أَحوالِ الزَّوجينِ غيرُ الأَحوالِ السَّابقةِ؛ لأَنَّ الحَالتينِ السَّابقتَينِ: حالةِ نُشوزِ الزَّوجةِ، وحالةِ وُقوعِ الخِصامِ، واستِطارةِ الشَّرِّ بينهُما.

وهذهِ إِذا كان الزَّوجُ هو الرَّاغبَ عن زوجته؛ إِمَّا عدمَ محبَّةٍ، وإِمَّا طَمعًا؛ فأَرشدَ اللهُ في هذهِ الحالِ إِلى الطَّريقِ الذي تَستقيمُ بهِ الأُمورُ، وهو طريقُ الصُّلحِ مِن المرأَةِ أَو وليِّها؛ ليعودَ الزَّوجُ إِلى الاستقامةِ؛ بأَنْ تَسمحَ المرأَةُ عن بعضِ حقِّها اللَّازمِ لزوجِها، على شرطِ البقاءِ معهُ، وأَنْ يعودَ إِلى مقاصدِ النِّكاحِ أَو بعضِها؛ كأَنْ ترضى ببعضِ النَّفَقَةِ، أَو الكِسوةِ، أَو الْمَسْكنِ، أَو تُسقِطَ حقَّها مِن القَسْمِ، أَو تَهَبَ يومَها وليلتَها لزوجِها، أَو لضرَّتِها بإِذنهِ، فمتى اتَّفقا على شيءٍ مِن ذلكَ فلا حرجَ ولا بأْسَ، وهو أَحسنُ مِن المقاضاةِ في الحُقوقِ المؤدِّيَةِ إِلى الجَفاءِ أَو إِلى الفِراقِ(٢)، ولِهذا قال: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾.

وهذا أَصلٌ عظيمٌ في جميعِ الأَشياءِ، وخُصوصًا في الحُقوقِ الْمُتَنازَعِ فِيها، أَنَّ الْمُصالحةَ فِيها خيرٌ مِن استقصاءِ كلٍّ مِنهُما على حقِّهِ كلِّهِ؛ لِمَا في الصُّلحِ مِن بقاءِ الأُلفةِ، والاتِّصافِ بصِفةِ السَّماحِ.

---

(١) النساء: ١٢٨

(٢) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الصُّلح، باب قول الله تعالى: ﴿أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء:١٢٨]، (١٨٤/٣) ح (٢٦٩٤)، عن عائشةَرضي الله عنها: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾، قالت: "هُوَ الرَّجُلُ يَرَى مِنَ امْرَأَتِهِ مَا لَا يُعْجِبُهُ، كِبَرًا أَوْ غَيْرَهُ، فَيُرِيدُ فِرَاقَهَا، فَتَقُولُ: أَمْسِكْنِي وَاقْسِمْ لِي مَا شِئْتَ، قَالَتْ: فَلَا بَأْسَ إِذَا تَرَاضَيَا".

وأَخرج أَبو داود في سننه، كتاب النِّكاح، باب في القَسْم بين النِّساء، (٢٤٣/٢) ح (٢١٣٥)، أَنَّ عائشةَرضي الله عنها قالت: "قَالَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ: حِينَ أَسَنَّتْ وَفَرِقَتْ أَنْ يُفَارِقَهَا رَسُولُ اللَّهِﷺ يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَوْمِي لِعَائِشَةَ، فَقَبِلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِﷺ مِنْهَا، قَالَتْ: نَقُولُ فِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللَّهُ -تَعَالَى- وَفِي أَشْبَاهِهَا أُرَاهُ قَالَ: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾".

قال الأَلبانيُّرحمه الله: "إِسناده حسن صحيح". صحيح أَبي داود، (٣٥٢/٦) ح (١٨٥٢).

وهو جائزٌ بيْنَ المسلِمينَ في كلِّ الأبوابِ، ((إِلَّا صُلْحًا أَحَلَّ حَرَامًا، أَوْ حَرَّمَ حَلاَلًا))(١).

واعْلمْ أَنَّ كلَّ حُكْمٍ مِن الأَحكامِ لا يتمُّ ولا يكمُلُ إِلَّا بوجودِ مُقتضِيه، وانتفاءِ موانعِهِ(٢)؛ فمِن ذلكَ هذا الحُكمُ الكبيرُ الذي هو الصُّلْحُ[٧٠]، فذكرَ -تعالى- المقتضِى لذلكَ، فقال: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾: والخيرُ كلُّ عاقلٍ يطلبُهُ ويرغَبُ فيهِ، فإِنْ -كان معَ ذلكَ- قدْ أَمرَ اللهُ بهِ وحثَّ عليهِ ازدادَ المؤمنُ طلبًا لَهُ، ورغبةً فيهِ.

وذكرَ المانعَ بقولِهِ: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾؛ أَيْ: جُبِلتِ النُّفوسُ على الشُّحِّ، وهو الاستِئْثارُ والتَّفرُّدُ في الحُقوقِ، وعدمُ الرَّغبةِ في بذلِ ما على الإنسانِ، والحِرصُ على الحقِّ الذي لَهُ؛ فالنُّفوسُ مجبولةٌ على ذلكَ طبعًا.

أَيْ: فينبغي لكُم أَنْ تحرَصوا على قَلْعِ هذا الخُلقِ الدَّنيءِ مِن نفوسِكُم، وتقليلِهِ وتَلطيفِهِ وتستبدِلوا بهِ ضِدَّهُ، وهو السَّماحةُ ببذلِ جميعِ الحُقوقِ التي عليكَ، والاقتناعِ ببعضِ الحقِّ الذي لكَ، والإغضاءِ عن التَّقصيرِ.

فمتى وُفِّقَ العبدُ لهذا الخُلقِ الطَّيِّبِ سَهُلَ عليهِ الصُّلحُ بينَهُ وبينَ كلِّ مَن بينَهُ وبينَهُ مُنازعةٌ ومُعاملةٌ، وتَسَهَّلتِ الطَّريقُ الموصلةُ إلى المطلوبِ، ومَن لم يكنْ بهذا الوصفِ تعسَّرَ الصُّلحُ أَو تعذَّرَ؛ لأَنَّهُ لا يُرضيهِ إِلَّا جميعُ ما لَهُ كاملًا مُكمَّلًا، ولا يَهونُ عليهِ أَنْ يؤدِّيَ ما عليهِ، فإِن كان خصمُهُ مثلَهُ اشتدَّ الأَمرُ.

---

(١) بنحوه أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الأَحكام، باب الصُّلح، (٧٨٨/٢) ح (٢٣٥٣)، والتِّرمذيُّ في سننه، باب ما ذُكر عن رسول اللهﷺ في الصُّلح بين النَّاس، (٦٢٦/٣) ح (١٣٥٢)، عن عَمرو بن عوف الْمُزَنِيِّ ﷺ.
قال التِّرمذيُّ ﷺ: "هذا حديث حسن صحيح".
وقال الأَرْنَؤُوْط، ومن معه في تحقيق سنن ابن ماجه: "حسن لغيره". (٤٤٠/٣).
وعموم النُّصوص تدلُّ على جواز الشُّروط، وأنَّه لايُردُّ منها إِلَّا ما خالف نصوص الشَّريعة، ومن ذلك عموم قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء:١٢٨]، وما رواه البخاريُّ تعليقًا، كتاب الإِجارة، باب أَجر السَّمسرة، (٩٢/٣)، قال: "وقال النَّبيُّﷺ: ((الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ))".
قال الأَلبانيُّ ﷺ: "حديث صحيح بمجموع طُرقه". سلسلة الأَحاديث الصَّحيحة، (٩٩٢/٦) ح (٢٩١٥).

(٢) من القواعد المقرَّرة في الأُصول: "أَنَّ الحُكم الشَّرعيَّ لا يتمُّ إِلَّا باستكمال شروطِهِ وانتفاءِ موانعه". مجموعة الفوائد البهيَّة على منظومة القواعد الفِقهيَّة، للقحطاني، (ص:١٠٩)، وينظر: إغاثة اللَّهفان في حكم طلاق الغضبان، (ص:٦٧).

ثُمَّ قال: ﴿وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ﴾؛ أَيْ: تحسِنوا في عِبادةِ الخالقِ.

والإحسانُ: ((أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ))[1].

وتُحسِنوا إلى المخلوقِينَ بكلّ إحسانٍ قَوليٍّ أَو فِعليٍّ.

و﴿وَتَتَّقُواْ﴾: اللهَ بفعلِ جميعِ المأْموراتِ، وتركِ جميعِ المحظوراتِ، أَو تُحسِنوا بفعلِ المأْمورِ، وتتَّقوا بتركِ المحظورِ.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾: فيجازيْكُم على قِيامِكُم بالإِحسانِ والتَّقوى، أَو على عدمِ ذلكَ بالجزاءِ بالفضلِ، والعَدلِ.

(١) أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النَّبيَّ ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم السَّاعة، (١/١٩)ح (٥٠)، عن أَبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة السَّاعة، (١/٣٦) ح (٨)، عن عمر رضي الله عنه.

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

يُخبرُ -تعالى- أَنَّهُ ليسَ في قُدْرةِ الأزواجِ العَدلُ التَّامُّ بيْنَ زوجاتِهِم؛ فإنَّ العَدلَ التَّامَّ يقتضِي أَنْ يكونَ الدَّاعي والحبُّ على السَّواءِ، والميلُ القَلبيُّ على السَّواءِ، ويقتضِي معَ ذلكَ الإيمانُ الصَّادقُ، والرَّغبَةُ في مكارِمِ الأَخلاقِ؛ للعملِ بمقتضَى ذلكَ، وهذا متعذِّرٌ غيرُ مُمكنٍ؛ فلذلكَ عذرَ اللهُ الأَزواجَ، وعفا عنهُم عمَّا لا يقدِرونَ عليهِ، ولكنَّهُ أَمَرهُم بالعَدلِ الْمُمكنِ فقال: ﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾؛ أَيْ: لا تَميلوا إِلى إِحداهُنَّ عن الأُخرى ميلًا كثيرًا، بحيثُ لا تؤدُّونَ حُقوقَهنَّ الواجبةَ، بلِ افعلوا مستطاعَكُم مِن العَدلِ؛ كالنَّفقةِ[2] والكِسوةِ، والقَسْمِ في المبيتِ والفِراشِ، ونحوُ ذلكَ مَقدورٌ، فعليكُمُ العدلُ فِيها بينهنَّ، بخلافِ الحُبِّ والوَطءِ وتوابعِ ذلكَ، فالعبدُ لا يملكُ نفسَهُ فعذرَهُ اللهُ.

وقولُهُ: ﴿فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾: يَعني: أَنَّ الزَّوجَ إِذا مالَ عن زوجتِهِ وزهِدَ فِيها، ولم يَقمْ بحُقوقِها الواجبةِ، وهي في حِبالِهِ أَسيرةٌ عندَهُ صارتْ كالمعلَّقةِ: التي لا زوجَ لها فتستريحُ، ولا ذاتَ زوجٍ يقومُ بحُقوقِها.

﴿وَإِن تُصْلِحُواْ﴾: فيما بينَكُم وبينَ زوجاتِكُم بوجهٍ مِن وُجوهِ الصُّلحِ؛ كما تقدَّمَ[3]، وبمجاهدةِ أَنفسِكُم على فعلِ ما لا تَهواهُ النَّفسُ؛ احتسابًا، وقِيامًا بحقِّ الزَّوجةِ.

و﴿تُصْلِحُواْ﴾: -أيضًا- فيما بينَكُم وبينَ النَّاسِ فيما تنازعتُم بهِ مِن الحُقوقِ.

﴿وَتَتَّقُواْ﴾: اللهَ بامتثالِ أَمرِهِ، واجتنابِ نهيِهِ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [٧١].

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾[4]: يعني: إِذا تعذَّر الاتفاقُ

---

(١) النساء: ١٢٩

(٢) س: "فالنَّفقة".

(٣) في الآية السَّابقة، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًاۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء:١٢٨].

(٤) النساء: ١٣٠

والالتئامُ فلا بأْسَ بالفِراقِ، فقال: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾؛ أَيْ: بفسْخٍ[١]، أَو طلاقٍ[٢]، أَو خُلْعٍ[٣]، أَو غيرِ ذلكَ[٤].

﴿يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا﴾: مِن الزَّوجينِ.

﴿مِّن سَعَتِهِۦ﴾؛ أَيْ: مِن فضلِهِ وإِحسانِهِ العامِّ الشَّامِلِ، فيُغنِي الزَّوجَ بزوجةٍ خيرٍ لَهُ مِنها، ويُغنِيَها مِن فضلِه برزقٍ مِن غيرِ طريقِهِ، فإنَّها وإِنْ توهَّمَتْ أَنَّهُ إِذا فارَقَها زوجُها -المنفِقُ عليها القائمُ بمؤنتِها- ينقطعُ عنها الرِّزقُ، فسوفَ يُغنِيها اللهُ مِن فضلِهِ؛ فإِنَّ رِزقَها ليسَ على الزَّوجِ ولا على غيرِهِ، بلْ على المتكفِّلِ القائمِ بأرزاقِ الخَليقةِ كلِّها[٥]، وخُصوصًا مَن تعلَّقَ قلبُهُ بهِ، ورَجَاهُ رجاءً قلبيًّا؛ طامعًا في فضلِهِ كلَّ وقتٍ، فإِنَّ اللهَ عندَ ظنِ عبدِهِ بهِ، ولعلَّ اللهَ يرزقُها زَوجًا خيرًا لها مِنهُ وأَنفعَ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا﴾؛ أَيْ: واسعَ الرَّحمةِ كثيرَ الإحسانِ.

﴿حَكِيمًا﴾: في وضعِهِ الأُمورَ مواضعَها.

وفي الآيةِ تنبيهٌ على أَنَّهُ ينبغِي للعبدِ أَنْ يُعلِّقَ رجاءَهُ باللهِ وحدَهُ، وأَنَّ اللهَ إِذا قدَّرَ لَهُ سببًا مِن أَسبابِ الرِّزقِ والرَّاحةِ أَنْ يحمَدَهُ على ذلكَ، ويسأَلَهُ أَنْ يباركَ فيهِ لَهُ، فإِنْ انقطعَ أَو تعذَّرَ ذلكَ السَّببُ فلا يتشوَّشُ قلبُهُ؛ فإِنَّ هذا السَّببَ مِن جُملةِ أَسبابٍ لا تُحصَى، ولا يتوقَّفُ رِزقُ العبدِ على ذلكَ السَّببِ المعيَّنِ، بلْ يفتحُ لَهُ سببًا غيرَهُ أَحسنَ مِنهُ وأَنفعَ، وربَّما فتحَ لَهُ عِدَّةَ أَسبابٍ، فعليهِ في

(١) الْفَسْخُ لغةً: النَّقْض، والتَّفريق، وشرعًا: حلُّ ارتباط العقد بين الزَّوجين. ينظر: مُختار الصِّحاح، والقاموس المحيط، مادة: (فسخ)، والموسوعة الفِقهيَّة الكويتيَّة، (١٣١/٣٢).

(٢) الطَّلاقُ لغةً: التَّخلية والإرسال، وشرعًا: "إزالة النِّكاح، ونقض حِلِّه بلَفْظ مخصوص". الكُلِّيَّات، (ص:٥٨٤)، وينظر: تهذيب اللُّغة، مادَّة: (طلق)، والموسوعة الفِقهيَّة الكويتيَّة، (١٣٢/٣٢).

(٣) الْخُلْعُ لغةً: النَّزْع والإزالة، وشرعًا: "فرقة بين الزَّوجين بعوِض يأْخذه الزَّوج". مُعْجَم مقاليد العلوم، وينظر: الْمِصباح الْمُنِيْر، مادَّة: (خلع).

(٤) الفَسخُ مُقَارِبٌ للطَّلاق، إلَّا أَنَّ الفسخَ نقض للعقد، أَمَّا الطَّلاق فلا ينقض العقدَ، ولكن يُنهي آثاره.

وبين الخُلع والفسخ عموم وخصوص: فالخلعُ خاص بحَلِّ الرَّابطة الزَّوجيَّة، بالتَّراضي، والفسخُ أَعمُّ منه، فهو حَلٌّ لارتباط العقد مطلقًا، ويتمُّ بالتَّراضي أَو بقضاء القاضي. ينظر: الموسوعة الفِقهيَّة الكويتيَّة، (١٣٢/٣٢).

(٥) قال ﷻ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود:٦].

أَحوالهِ كلِّها أَنْ يجعلَ فضلَ ربِّهِ، والطَّمعَ في برِّهِ نُصْبَ عينيهِ، وقِبْلَةَ قَلْبهِ(١)، ويكثرَ مِن الدُّعاءِ المقرونِ بالرَّجاءِ؛ فإِنَّ اللهَ يقولُ على لسانِ نبيِّهِ: ((أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَإِنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ))(٢)، وقال: ((إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ، وَلَا أُبَالِي))(٣).

---

(١) قِبْلَةَ قَلْبِهِ: أَيْ: جهتَه، يُقال: ما لكلامه قِبْلَةٌ، أَيْ: جِهة، ومن أَين قِبْلَتُكَ، أَيْ: من أَين جهتك. ينظر: الصِّحاح، ولسان العرب، مادَّة: (قبل).

(٢) أَخرجه أَحمد في مسنده، (١٥/٣٥) ح (٩٠٧٦)، وابن حبَّان في صحيحه، باب ذكر البيان بأَنَّ اللهَ ﷻ يُعطي مَن ظنَّ ما ظنَّ، إِنْ خيرًا فخير وإِنْ شرًّا فشر، (٢/٤٠٥) ح (٦٣٩)، عن أَبي هريرة ﵁.
والحديث صحَّحه الأَلبانيُّ ﵀ في سلسلة الأَحاديث الصَّحيحة، (٤/٢٢٥).
والجزء الأَوَّل من الحديث: (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي)، أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب التَّوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الفتح:١٥]، (٩/١٤٥) ح (٧٥٠٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب الحثِّ على ذكر الله تعالى، (٤/٢٠٦١) ح (٢٦٧٥).

(٣) بنحوه، أَخرجه التِّرمذيُّ في سننه، (٥/٤٤٠) ح (٣٥٤٠)، عن أَنس ﵁.
قال التِّرمذيُّ ﵀: هذا حديث حسن غريب".
وحسَّنه الأَلبانيُّ ﵀ في سلسلة الأَحاديث الصَّحيحة، (١/٢٤٩) ح (١٢٧).

فَصْلٌ: قالَ اللهُ -تَعالَى- فِي أَحْكَامِ الطَّلاقِ والعِدَدِ:

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾، إلى قولِهِ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(١)، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ ...الآياتِ(٢).

ذكرَ اللهُ أَحكامَ الفِراقِ كما ذكرَ أَحكامَ النِّكاحِ، والدُّخولِ فيهِ.

تَقدَّمَ أَنَّهُ -تعالى- حثَّ الزَّوجَ على الصَّبرِ على زوجتِهِ ما دامَ مُتمكِّنًا مِن الصَّبرِ(٣)، وفي هذا ذكَرَ اللهُ أَنَّهُ إذا كانَ لا بُدَّ لَهُ مِن الطَّلاقِ، فعليهِ أَنْ يُطلِّقَ زوجتَهُ لعدَّتِها؛ أَيْ: لِتستقبِلَ عِدَّتَها؛ وذلكَ أَنْ يطلِّقَها مرَّةً واحدةً، في طُهرٍ لم يجامِعْها فيهِ، أَو يطلِّقَها وهي حاملٌ قد تبيَّنَ حَمْلُها، أَو وهِي آيسةٌ، أَو صَغيرةٌ؛ لأَنَّها في هذهِ الأَحوالِ كلِّها تَبتدئُ بالعِدَّةِ البيِّنةِ الواضحةِ.

فمَن طلَّقَها أَكثرَ مِن واحدةٍ، أَو وهي حائضٌ أَو نُفساءُ، أَو في طُهرٍ قد وَطِئَ فيهِ، ولم يتبيَّنْ حَمْلُها، فإِنَّهُ آثمٌ، مُتعدٍّ لحدودِ اللهِ(٤).

---

(١) قال ﷻ: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمْسَاكُۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُۢ بِإِحْسَٰنٍۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٩-٢٣١].

(٢) قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق:١-٤].

(٣) تقدَّم ذلك: (٦).

(٤) أخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب النِّكاح، باب ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ [البقرة:٢٢٨]، في العِدَّة، وكيف يُراجع المرأة إذا طلَّقها واحدة أو ثنتين، (٥٨/٧) ح (٥٣٣٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الطَّلاق، باب تحريم طلاق =

وإذا طلَّقَها هذا الطَّلاقَ المشروعَ فلَهُ أَنْ يراجِعَها ما دامتْ في العدَّةِ؛ كما قال تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصۡلَٰحٗا﴾(١)، وسَواءٌ رَضيتْ، أَو كَرِهتْ.

وهذا الطَّلاقُ الذي يَتمكَّنُ فيهِ العبدُ مِن الرَّجعةِ هو الطَّلاقُ بواحدةٍ إلى ثنتينِ بلا عِوضٍ.

فإِنْ طلَّقَها الطَّلْقةَ الثَّالثةَ فلا تَحِلُّ لَهُ حتَّى تنقضِيَ عِدَّتُها، وتَنكحِ زوجًا غيرَهُ؛ نكاحَ رَغبةٍ لا نِكاحَ تَحليلٍ(٢)، ويَطأَها ويُطلِّقَها رَغبةً في طلاقِها، وتَنقضِيَ عِدَّتُها مِنهُ، فلَهُ أَنْ يَنكِحَها(٣) بِرضَاها، وبِبقيَّةِ شروطِ النِّكاحِ؛ مِن الوليِّ، ومِن الصَّداقِ، وغيرِه.

فإِنْ طلَّقَها بِعِوَضٍ بلفظِ الطَّلاقِ، أَو الخُلعِ، أَو الفِداءِ، أَو غيرِها مِن الأَلفاظِ، فقد أَباحَ اللهُ هذا الفِداءَ عند الحاجةِ، وهي التي نصَّ عليها بقولِهِ: ﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦ﴾، سواءٌ كان العِوضُ بقليلٍ أَو كثيرٍ؛ لعُمومِ الآيةِ.

فإِذا فارقَها على هذا الوجهِ حصلَ لَها الفِكاكُ مِنهُ، ولم يكنْ لَهُ عليها رَجعةٌ إِلَّا إذا شاءتْ بنكاحٍ جديدٍ.

وعندَ التَّراجُعِ بيْنَ الزَّوجينِ[٧٢] إذا رَغِبَ كلٌّ مِنهُما في الآخرِ، فليسَ لوليِّ الأُنثى أَنْ يَعضِلَها ويمنَعَها أَنْ تراجِعَ بَعْلَها الأَوَّلَ أَو الذي فارقَها؛ بُغضًا لَهُ، أَو نِكايةً لَهُ، وغَضَبًا عليهِ، أَو طَمعًا في بذلِها، أَو بذلِهِ لَهُ شيئًا مِن المالِ، فكلُّ هذا لا يَحِلُّ للوليِّ أَنْ يفعلَهُ، بل عليهِ أَنْ يَسعَى في التَّأْليفِ بينَها وبينَ زوجِها، وأَقلُّ ما عليهِ أَنْ لا يُعارِضَ في ذلكَ، وإذا كانَ مَنهيًا عن ذلكَ بعْدَ الطَّلاقِ أَو الفِداءِ ونحوِهما، فكيفَ في ابتداءِ الأَمْرِ؟(٤).

الحائض بغير رضاها، وأنَّه لو خالف وقع الطَّلاق، ويؤمر برجعتها، (١٠٩٣/٢) ح (١٤٧١)، عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنَّه: "طَلَّقَ امْرَأَةً لَهُ وَهِيَ حَائِضٌ تَطْلِيقَةً وَاحِدَةً، فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُرَاجِعَهَا، ثُمَّ يُمْسِكَهَا حَتَّى تَطْهُرَ، ثُمَّ تَحِيضَ عِنْدَهُ حَيْضَةً أُخْرَى، ثُمَّ يُمْهِلَهَا حَتَّى تَطْهُرَ مِنْ حَيْضَتِهَا، فَإِنْ أَرَادَ أَنْ يُطَلِّقَهَا فَلْيُطَلِّقْهَا حِينَ تَطْهُرُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُجَامِعَهَا، فَتِلْكَ الْعِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللهُ أَنْ يُطَلَّقَ لَهَا النِّسَاءُ".

(١) البقرة: ٢٢٨

(٢) نكاحُ التَّحْليلِ: "أَنْ يتزوَّج المطلَّقة ثلاثاً بعد انقضاء عدَّتها، أو يَدخل بها، ثمَّ يطلِّقها؛ ليُحِلَّها للزَّوج الأول". الموسوعة الفقهيَّة الميسَّرة في فقه الكتاب والسُّنَّة المطهَّرة، للعوايشة، (٥١/٥).

(٣) زوجها الأَوَّل.

(٤) قال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

=

ولكنْ بشرطِ أَنْ يكونَ الزَّوجُ كُفئًا، وترضى المرأَةُ فيهِ؛ وأَمَّا إذا منَعَها مِن تزوُّجِ مَن ليسَ كُفئًا لَها في دينِهِ أَو غيرِهِ مِن الصِّفاتِ المعتَبَرَةِ شرعًا فهو مُحسِنٌ؛ لأَنَّ منْعها عمَّا فيهِ ضَررُها إِحسانٌ عليها، وهذا أَحدُ الأَسبابِ في اعتبارِ الوَليِّ للمرأَةِ في النِّكاحِ.

وفي قولهِ في الرَّجْعَةِ[(١)]: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا﴾[(٢)]، وفي التَّرَاجُعِ[(٣)]: ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ﴾[(٤)]: اعتبارُ هذا الشَّرطِ في الرَّجْعَةِ والتَّراجُعِ، وإِلَّا فلا يُراجعْ، ولا يَتراجَعا؛ للضِّرارِ، ولِلبقاءِ على غيرِ ما يُحبُّهُ اللهُ[(٥)].

وفي هذا أَنَّ الأَفعالَ مَبنيَّةٌ على مقاصِدِها، وأَنَّ الأَمرَ الذي يُقصَدُ فيهِ الخيرُ والصَّلاحُ لا بُدَّ أَنْ يَجعلَ اللهُ فيهِ بركةً، كمَا أَنَّ الذي يُقصَدُ بهِ غيرُ ذلكَ -ولو مُكِّنَ مِنهُ العبدُ- فإِنَّهُ ضررٌ حاضرٌ، ويُخشَى أَنْ تكونَ عَواقبُهُ ذَميمةٌ.

ويُستفادُ مِن هذا معنىً كليًّا نافعًا[(٦)]، وهو أَنَّهُ ينبغِي للعبدِ إذا أَرادَ أَنْ يدخلَ في أَمرٍ مِن الأُمورِ -مثلِ الأُمورِ التي يترتَّبُ عليها حُقوقٌ كثيرةٌ، ومثلِ الوِلاياتِ الكِبارِ والصِّغارِ، والأُمورِ

وأخرج البخاريُّ في صحيحه، باب مَن قال: لا نكاح إِلَّا بوليٍّ، (١٦/٧) ح (٥١٣٠)، عن الحسن، ﴿فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ﴾ قَالَ: "حَدَّثَنِي مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ، أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِ، قَالَ: زَوَّجْتُ أُخْتًا لِي مِنْ رَجُلٍ فَطَلَّقَهَا، حَتَّى إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا جَاءَ يَخْطُبُهَا، فَقُلْتُ لَهُ: زَوَّجْتُكَ وَفَرَشْتُكَ وَأَكْرَمْتُكَ، فَطَلَّقْتَهَا، ثُمَّ جِئْتَ تَخْطُبُهَا، لَا وَاللَّهِ لَا تَعُودُ إِلَيْكَ أَبَدًا، وَكَانَ رَجُلًا لَا بَأْسَ بِهِ، وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تُرِيدُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ﴾، فَقُلْتُ: الآنَ أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ".

(١) الرَّجعة: للزَّوج الذي طلَّق زوجته، مادامت في عدَّة الطَّلقة الأُولى أَو الثَّانية. ينظر: تيسير الكريم الرَّحمن، (ص:١٠٢).

(٢) النساء: ٣٥

هذه الآية تتحدَّث عن حال الشِّقاق بين الزَّوجين، وليس الطَّلاق، وقد أَراد المؤلِّف، قوله تعالى: ﴿إِنۡ أَرَادُوٓاْ إِصۡلَٰحٗا﴾ [البقرة:٢٢٨]، فهي التي تختصُّ بالرَّجعة.

(٣) هذا في: "الطَّلاق البائن، فليس البَعْل بأَحقَّ برجعتها، بل إِنْ تراضيا على التَّراجع، فلا بدَّ من عقد جديد، مجتمعِ الشُّروط". تيسير الكريم الرَّحمن، (ص:١٠٢).

(٤) البقرة: ٢٣٠

(٥) قال الشَّنْقِيْطِيُّ: "فالرَّجعة بقصد الإضرار حرام إجماعًا، كما دلَّ عليه مفهوم الشَّرط المصرَّح به في قوله: ﴿وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا﴾ [البقرة:٢٣١]. . . الآية، وصحَّة رجعته حينئذ باعتبار ظاهر الأمر، فلو صرَّح للحاكم بأَنَّه ارتجعها بقصد الضَّرر، لأَبطل رجعتَه كما ذكرنا، والعلمُ عند الله تعالى". أَضواء البيان، (١٠٣/١).

(٦) خ، س: "كليًّا نافعًا"، الصَّواب: "كليٌّ نافعٌ"؛ لأَنَّهَا صفة لنائب الفاعل: "معنى".

المهمَّةِ- أَنْ يتأَنَّى، وينظرَ في نفسهِ، وعاقبةِ أَمرِهِ؛ فإِنْ رأَى مِن نفسهِ قوَّةً على ذلكَ، ووثِقَ بقيامهِ بما فِيها مِن الحُقوقِ تقدَّمَ إِليها متوكِّلًا على اللهِ، وإِلَّا أَحجَمَ، واغتنمَ السَّلامةَ عن الدُّخولِ في الأُمورِ الخَطِرَةِ.

وأَمرَ -تعالى- الأَزواجَ أَنْ يُمْسِكوا زوجاتِهم بمعروفٍ أَو يُسرِّحوهنَّ بمعروفٍ، فإِنْ أَمسَكَها أَمسَكَها بعشرةٍ حسَنةٍ، وإِنْ فارقَها فليكُنْ على وجهِ الشَّرعِ بطُمأْنينةٍ مِن غيرِ مُغاضبةٍ، ولا مُشاتمةٍ ولا عداواتٍ تقعُ بينَهُ وبينَها، أَو بينَهُ وبينَ أَهلِها.

ومِن التَّسريحِ بالمعروفِ أَنْ يُعطيَها شيئًا مِن المالِ تتمتَّعُ بهِ، ويَنْجَبِرُ بهِ خاطرُها، وتذهبُ عن زوجِها شاكرةً، ولا يكونُ لهذا الفِراقِ على هذا الوجهِ إِلَّا العواقبُ الطَّيِّبةُ للطَّرفينِ.

ولَمَّا بيَّنَ الباري هذهِ الأَحكامَ الجَليلَةَ غايةَ التَّبيِيْنِ، -وكان القَصدُ بها أَنْ يَعْلَمَها العِبادُ ويَعمَلوا بِها، ويقِفُوا عندَها ولا يَتجاوزُوها، فإِنَّهُ لم يُنزِّلها عَبَثًا، بلْ أَنزَلَها بالعِلمِ، والصِّدقِ، والحقِّ النَّافعِ، والجِدِّ- نَهى عن اتِّخاذِها ﴿هُزُوًا﴾؛ أَيْ: لَعِبًا بِها، وهو التَّجرِّي[1] عليها، وعدمُ الامتثالِ لواجبِها؛ مثلُ المضارَّةِ في الإِمساكِ والإِرسالِ، أَو كثرةِ الطَّلاقِ، وجمعِ الثَّلاثِ.

وقال: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: عُمومًا؛ باللِّسانِ حمدًا وثناءً، وبالقَلبِ اعترافًا وإِقرارًا، وبالأَركانِ بأَنْ يُستعانَ بنعَمِهِ على طاعتِهِ.

وخُصوصًا: ﴿مَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾؛ فإِنَّ في الكتابِ والسُّنَّةِ مِن بيانِ الحقِّ والهدى مِن الضَّلالِ، والحلالِ مِن الحرامِ، وجميعِ ما يحتاجُهُ العِبادُ في أُمورِ دينِهِم ودُنياهُم ما يُوجبُ للعبادِ أَنْ يَشكروهُ شكرًا كثيرًا، ويقومُوا بحقِّهِ، ويخضَعُوا لأَحكامِهِ.

وخَتْمُ الآياتِ بعمومِ علمِهِ تَنْبيهٌ على أَنَّ أَحكامَهُ قد شرَعَها العليمُ الحكيمُ، صالحةً للعبادِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ[٧٣].

---

(١) التَّجرِّي: من الجُرْأَة: "الإِقدام على الشَّيء والهجوم عليه". تاج العَرُوس، وينظر: لسان العرب، مادَّة: (جرأ).

وقد ذكَرَ اللهُ[١] عِدَّةَ المُفارَقةِ بِحسَبِ أَحوالِها في كِتابِهِ:

فذكرَ أَنَّ المفارقَةَ بطلاقٍ -إِنْ كانتْ تحيضُ- باستكمالِ ثلاثةِ قُرُوْءٍ، مِن بعدِ وقوعِ الطَّلاقِ علَيها[٢].

وأَنَّ الآيِسةَ، والتي لم تحضْ؛ لصِغَرٍ، ونحوِهِ عِدَّتُها ثلاثةُ أَشهُرٍ[٣].

وأَنَّ المفارَقةَ بموتِ زوجِها تَربُّصُ أَربعةِ أَشهُرٍ وعشْرًا[٤].

وأَنَّ الحاملَ مِن المفارَقاتِ في الحياةِ وبعدَ الْمَماتِ عِدَّتُها بوضعِ الحَملِ[٥].

وفي هذهِ العِدَدِ، وتَقديرِها مِن الأَسرارِ والحِكَمِ، والمنافعِ للزَّوجَينِ، وغيرِهما ما هو مِن آياتِ اللهِ لِلمتأَمِّلِينَ الْمُستبصِرِينَ[٦].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا﴾[٧].

فَفِي هذهِ الآيةِ أَنَّ المفارَقةَ في الحَياةِ؛ بطلاقٍ ونحوِهِ ليس لزوجِها عليها عِدَّةٌ إِذا لم يدخلْ أَو يَخْلُ بِها؛ بلْ بمجرَّدِ ما يطلِّقُها لَها التَّزوُّجُ في الحالِ.

وفي هذا أَنَّ العِدَّةَ تَثبتُ بالدُّخولِ، وكذلكَ الخَلوةِ، كما ثَبتَ عن الخُلفاءِ الرَّاشِدِينَ رضي الله عنهم[٨].

ومَفهومُ الآيةِ أَنَّ الفِراقَ بالموتِ تَعتدُّ لَهُ الزَّوجةُ المعقودُ عليها، ولو قَبلَ الدُّخولِ، وكَما يؤْخذُ

---

(١) "الله"، الاسم الجليل ليس في: (س).

(٢) قال تبارك وتعالى: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٖ﴾ [البقرة:٢٢٨].

(٣) قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّـٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَـٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّـٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَ﴾ [الطلاق:٤].

(٤) قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗا﴾ [البقرة:٢٣٤].

(٥) لعموم قوله عز وجل: ﴿وَأُوْلَـٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّ﴾ [الطلاق:٤].

(٦) سيذكر المؤلِّف رحمه الله جملة من الحِكمِ، بعد ذكره لآيةِ الأَحزابِ التي تلي كلامه هذا.

(٧) الأحزاب: ٤٩

(٨) قال الجصَّاص رحمه الله: "وهو عندنا اتِّفاق الصَّدر الأَوَّل". أَحكام القرآن للجصَّاص، (١٤٩/٢)، وينظر: الكافي في فقه الإِمام أَحمد، لابن قدامة، (١٩٤/٣)، والجامع لأَحكام القرآن، (١٠٢/٥).

مِن مَفهومِ هذهِ فإنَّهُ يؤْخذُ مِن عُمومِ قولِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ ...﴾ الآيةِ[١].

وفِيها: أَنَّ العِدَّةَ مِن حُقوقِ الزَّوجِ؛ لِتَمكُّنهِ مِن الرَّجعةِ؛ ولِحفظِ فِراشهِ ومائِهِ مِن الاختلاطِ، وحقٌّ لَها أَيضًا[٢].

فإِنَّ الْمُعْتَدَّةَ نوعانِ[٣]:

نوعٌ حاملٌ: لها النَّفقةُ بكلِّ حالٍ، قال تعالى: ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾[٤].

ونوعٌ غيرُ حاملٍ: وهي -أَيضًا- نوعانِ:

مفارَقةٌ بائنةٌ: بموتٍ، أَو فَسخٍ[٥]، أَو خُلعٍ[٦]، أَو ثلاثٍ[٧]، أَو عِوضٍ[٨]، فهؤلاءِ كلُّهنَّ لا نفقةَ لهنَّ، ولا كِسوةَ، ولا مَسْكنَ إِلَّا على وجهِ المعروفِ والإِحسانِ[٩].

ومفارَقةٌ رَجعيَّةٌ: فما دامتْ في العِدَّةِ فلَها النَّفقةُ، والكِسوةُ، والمسْكنُ وتوابعُها على الزَّوجِ، وحُكمُها حُكمُ الزَّوجةِ التي في حِبالهِ في كلِّ حالٍ، إِلَّا في القَسْمِ، فلا قَسْمَ لَها[١٠]؛ لأَنَّ اللهَ سمَّاهُ بعْلًا لَها في قولِهِ: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾[١١]؛ ولأَنَّ لَهُ أَنْ يُرْجِعَها إِلى الزَّوجيَّةِ التَّامَّةِ؛ رَضيتْ أَو كَرهتْ ما دامتْ في العِدَّةِ.

---

(١) قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤].

(٢) ومن الحِكم الملتمسَة: العلمُ ببراءة الرَّحم، وتعظيمُ عقد النِّكاح، وإظهارُ شرفه، وقضاءُ حقِّ الزَّوج، وإظهارُ أَثر فقدِه في المنع من التَّزين؛ ولذا شُرع الإحداد عليه أَكثر من الإحداد على الوالد والولد؛ ففي العِدَّة أَربعة حقوق: القيام بحقِّ الله الذي أَوجبه، والاحتياط لحقِّ الزَّوج، ومصلحة للزَّوجة، وحقُّ الولد. ينظر: إعلام الموقِّعين، (٢/٥٠-٥١).

(٣) هذا التَّقسم خاصٌّ ببيان الحقوق المترتِّبة على الفِراق؛ كالنَّفقة، والكِسوة، والسُّكنى، والقَسْم لها.

(٤) الطلاق: ٦

(٥) سبق تعريفه: (ص:٦).

(٦) سبق تعريفه: (ص:٦).

(٧) أَيْ: أَو طلاق بالثَّلاث.

(٨) هو بمعنى الخلع.

(٩) أَخرج مسلم في صحيحه، كتاب الطَّلاق، باب المطلَّقة ثلاثًا لا نفقة لها، (٢/١١١٨) ح (١٤٨٠)، عن فاطمة بنت قَيْس رضي الله عنها، عن النَّبيِّ ﷺ في المطلَّقة ثلاثًا، قال: ((لَيْسَ لَهَا سُكْنَى، وَلَا نَفَقَةٌ)).

(١٠) س: "له".

(١١) البقرة: ٢٢٨

وفي قولِهِ: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾(١): دليلٌ على أَمانتِها على نفسِها، وقبولِ قولِها في وجودِ الحَيضِ وانقطاعِهِ؛ لأَنَّهُ توعَّدَها بكتمانِ ذلكَ، وهذا دليلٌ على أَنَّ قولَها مُعْتَبَرٌ.

وفي قولِهِ: ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾: دليلٌ على أَنَّهُ لا يقعُ الطَّلاقُ إِلَّا بعدَ النِّكاحِ، وأَنَّ مَن عَلَّقَ طلاقًا بنكاحِ امرأَةٍ لم ينعقدْ هذا التَّعليقُ، ولم يقعْ عليها شيءٌ إِذا نكحَها؛ لأَنَّ النِّكاحَ لا يُرادُ بهِ خلافُ مَقصودِهِ(٢)، وهذا بخلافِ تَعليقِ عِتقِ المملوكِ للغيرِ بمُلكِهِ إِياهُ، فإِنَّهُ صحيحٌ، ويَعتُقُ إِذا مَلَكَهُ؛ لأَنَّ تملُّكَ الرَّقيقِ يقصدُ بهِ العِتقُ، وهو مقصودٌ شرعيٌّ صحيحٌ.

وقولُهُ: ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾: فيهِ الأَمرُ بتَمْتيعِ المفارقةِ بالطَّلاقِ قبلَ الْمَسِيْسِ مُطْلَقًا.

وفي آيةِ البقَرةِ الأَمرُ بالتَّمْتيعِ إِذا لم يُسمِّ لَها مَهرًا؛ فإِنْ سَمَّى لَها مَهرًا فإِنَّهُ يَتنصَّفُ إِذا طلَّقَها قبلَ الدُّخولِ، ويكونُ نصفُ الصَّداقِ هو المتعةُ؛ كما قال تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾(٣)؛ فحثَّ على العفوِ في هذا الموضعِ الخاصِّ؛ لنفعهِ، وعِظَمِ موقِعِهِ.

وقال: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾(٤): وهذا إِرشادٌ عظيمٌ نافعٌ في جميعِ المعاملاتِ؛ أَنَّهُ يَنبغِي للعبدِ فِيها أَنْ لا يَستقصِيَ في كلِّ شَيءٍ، بَل يَجعلُ للفضلِ محلًّا مِن عَفوٍ(٥)، ومُحاباةٍ(٦)، وإِعطاءٍ

(١) الآية السَّابقة.

(٢) ومن مَقاصده استِدامة النِّكاح، واستقرار الحياة الزَّوجيَّة، قال ابن كثيرﷺ: "وقد استدلَّ ابن عبَّاس، وسعيد بن المسيَّب، والحسن البَصري، وعليُّ بن الحسين زين العَابدين، وجماعة من السَّلف بهذه الآية، على أَنَّ الطَّلاق لا يَقع إِلَّا إِذا تقدَّمه نكاح؛ لأَنَّ الله -تعالى- قال: ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ [الأحزاب:٤٩]؛ فعقَّب النِّكاح بالطَّلاق، فدلَّ على أَنَّه لا يصحُّ، ولا يَقع قبْله؛ وهذا مذهب الشَّافعيِّ، وأَحمد بن حنبل، وطائفة كثيرة من السَّلف والخَلف، رحمهم الله تعالى". تفسير القرآن العظيم، (٦/٤٤٠)، وينظر: المحلَّى، (٩/٤٦٧).

(٣) البقرة: ٢٣٦-٢٣٧

(٤) الآية السَّابقة.

(٥) مِثلُ أَنْ يتنازل أَحدُ الزَّوجين عن المال الذي له عند الآخر؛ فله مثلًا عشرة آلاف فيتنازل، ويسامح عنها.

(٦) مِثلُ أَنْ يتنازل أَحدُ الزَّوجين عن بعض المال الذي له عند الآخر؛ فله مثلًا مائة أَلف، فيتنازل عن خمسين.

أَزْيَدَ في الذِّمَّةِ قَدْرًا(١) أَو وَصْفًا(٢)، وقَبُولِ أَدْنَى مِن الحقِّ؛ كَمِّيَّةً(٣) وكَيفيَّةً(٤)[٧٤]، فكَمْ حصَلَ بِهذا الفضلِ -وإِنْ كان طَفيفًا- خيرٌ كثيرٌ، وأَجرٌ كبيرٌ، ومعروفٌ، وبركةٌ، وراحةُ فِكرٍ، وطُمَأْنينةُ قَلْبٍ(٥).

وفي قولِهِ: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾(٦)، وهذا العمومُ يقتضِي أَنَّ كُلَّ مُطلَّقةٍ لَهَا على زوجِها مُتعَةٌ(٧)؛ لكنْ إِنْ كانتْ غيرَ مدخولٍ بِها، ولم يُسَمَّ لَها مَهرٌ، فالمتعةُ واجبةٌ -كمَا تقدَّمَ- بحسَبِ يَسَارِ الزَّوجِ، وإِعسَارِهِ(٨).

وإِنْ كان قد سُمِّيَ لَها مَهرٌ تَنصَّفَ المهرُ، وكانَ النِّصفُ الحاصلُ لَها هو الْمُتعةُ، فإِنْ لم يكن الأَمرُ كذلكَ كانتِ الْمُتعةُ حقًّا مَعروفًا، وإِحسانًا جَميلًا(٩)؛ لِما فِيها مِن جَبْرِ خاطِرِها، وقَضاءِ نَوائبِها التي هي مَظِنَّةُ الحاجةِ إِليها في تلكَ الحالِ، وكونِ ذلكَ عُنوَانًا على التَّسريحِ بالمعروفِ، ودَفعًا للمُشاغَباتِ والعَداوَاتِ التي تَحدثُ لكثيرٍ مِن النَّاسِ عندَ الطَّلاقِ، واحتياطًا لبراءَةِ ذمَّتهِ؛ مِمَّا

---

(١) كأَنْ يكون للزَّوجة خمسون أَلفًا في ذمَّة زوجها، فيعطيها عند السَّداد ستِّين أَلفًا.

(٢) كأَنْ يُعطِي الزَّوج زوجته سيَّارة أَحدث مما تَستحقُّ، أَو أعلى في مُواصفاتها.

(٣) مِثل أَنْ تَتَنازل الزَّوجة عن بعض حقِّها الذي لها عند زوجها، فلها مثلًا مائة أَلف، فترضى بثمانين.

(٤) كأَنْ يكون للزَّوجةِ مائة أَلف حالَّة، فترضى أَنْ تكون مُؤجَّلة أَو مُقسَّطة.

(٥) قال ابن جُزَيٍّ رحمه الله: "﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾[البقرة:٢٣٧]، قِيل: إِنَّه يعني إِسقاط المرأَة نصف صداقها، أَو دَفْع الرَّجل النِّصف السَّاقط عنه، واللَّفظ أَعمُّ من ذلك". التَّسهيل لعلوم التَّنزيل، (١/١٢٧).

(٦) البقرة: ٢٤١

(٧) قال الزَّجَّاجُ رحمه الله: "والْمَتاعُ في اللُّغة: كلُّ ما انتفع به، فهو متاع، وقولهﷻ، في غير هذا الموضع: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة:٢٣٦]، ليس بمعنى: زوجُوهُنَّ الْمُتَعَ، إِنَّما المعنى: أَعطوهُن ما يَستَمْتِعْنَ به، وكذلك قوله: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:٢٤١]، ومَن زَعَم أَنَّ قوله: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾ [النساء:٢٤]: المتعة التي هي الشَّرط في التَّمتع الذي تعمله الرَّافضة فقد أَخطأَ خطأً عظيمًا؛ لأَنَّ الآيةَ واضحة بيِّنة". معاني القرآن، (٢/٣٨).

(٨) تقدير الْمُتعة على حسَب غِنى الزَّوج وفقره، وعلى حَسَب الزَّمان والمكان. ينظر: الشَّرح الْمُمْتِع، (١٢/٣٠٧).

(٩) وقد اختلف العلماء في حكم المتعة للمطلَّقة، على أَقوال:

أَحدها: أَنَّها تجب لكلِّ مطلَّقة؛ لعموم قوله تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢٤١]، وقِيل: تجب لمن طُلِّقت قبل المسيس، وقِيل: تجب للمطلَّقة إذا لم يدخل بها، ولم يفرض لها، وقِيل: باستحبابها لكلِّ مطلَّقة عدا المفارقة قبل الدُّخول، وقِيل: باستحبابها مُطلَقًا، ورجَّح ابن جَرِيْر أَنَّها لكلِّ مطلَّقة؛ لعموم الآية. ينظر: جامع البيان، (٥/١٣٠)، وتفسير القرآن العظيم، (١/٦٤١-٦٤٣).

لَعلَّهُ لَحِقَهُ لَها مِن الحُقوقِ، وتَسهيلًا للرَّجعةِ أَو الْمُراجَعةِ[١] إذا تغيَّرتِ الحالُ، وأَحدثَ اللهُ بعدَ ذلكَ أَمرًا، ولَها مِن الفوائدِ شَيءٌ كثيرٌ.

ومدحَ اللهُ هذهِ الأَحكامَ الجَليلةَ بقولِهِ: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٢]: فسمَّى هذهِ الأَحكامَ آياتٍ؛ لأَنَّها تدلُّ أَكبرَ دِلالةٍ على عِنايتهِ، ولُطفهِ بعبادِهِ، وأَنَّهُ شَرعَ لَهم مِن الأَحكامِ، الأَحكامَ الصَّالحةَ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ، ولا يُصلِحُ العبادَ غيرُها.

---

(١) سبق الفرْق بين الرَّجعة والْمُراجعة: (ص:٦٠).

(٢) البقرة: ٢٤٢

فَصْلٌ: في آياتٍ فِي الإِيْلاءِ، والظِّهَارِ، واللِّعَانِ(١):

قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٢).

وقال: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾. . . الآياتِ(٣).

وقال في اللِّعانِ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾. . . الآياتِ(٤).

مِن جملةِ الأَحكامِ المنتشِرَةِ المتعلِّقةِ بالزَّوجةِ أَنَّهُ قد يُؤْلِي مِنها، أَو يظاهرُ مِنها.

والفَرقُ بيْنَ الإِيلاءِ والظِّهارِ:

أَنَّ الإِيلاءَ: هو الحَلِفُ باللهِ على تركِ وطءِ زوجتهِ أَبدًا، أَو مدَّةً طويلةً تزيدُ على أَربعةِ أَشهرٍ، إذا كان قادرًا على الوطءِ(٥)؛ فإِذا فعلَ ذلكَ، وحَلَفَ هذا الحَلِفَ فلا يَخْلو:

- إِمَّا أَنْ تُطالِبَهُ الزَّوجةُ بحقِّها مِن الوَطءِ.
- أَو لا تُطالِبُهُ.

فإِنْ لم تطالِبْهُ تُرِكَ وشأْنَهُ، فإِنْ وَطِئَ في هذهِ المدَّةِ فقد حَنِثَ، وعليهِ كفَّارةُ يمينٍ، وإِلَّا فلا كفَّارَةَ عليهِ.

---

(١) اللِّعَانُ: "شهادات مؤكَّدات بأَيمان من الجانبين، مقرونة باللَّعن، والغضب، قائمة مقام حدِّ قذف في جانبه، وحدِّ زنا في جانبها". المبدع في شرح المقنع، (٧/٤١).

(٢) البقرة: ٢٢٦-٢٢٧

(٣) قال ﷻ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ١-٤].

(٤) قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [النور: ٦-٩].

(٥) كذا في: شرح الزَّركشي على مختصر الخرقي، للزَّركشي، (٥/٤٥٩).

وإنْ طالبتْهُ بالوطءِ أُمرَ بذلكَ وجُعلَ لَهُ أَربعةُ أَشهرٍ؛ فإنْ فاءَ ورَجعَ إلى الوطءِ فذلكَ هو المطلوبُ مِنهُ، وهو أَحبُّ الأَمرينِ إلى اللهِ.

وإنْ أَبى وامتنعَ ومَضتِ الأَربعةُ الأَشهرُ -وهو مُصِرٌّ على عَدَمِ وطئِها، وهي مُقيمةٌ على طلَبِ حقِّها- أُجبرَ على أَحدِ أَمرينِ:

- إمَّا أَنْ يفِيءَ، ويكفِّرَ كفَّارةَ يمينٍ.

- وإمَّا أَنْ يُطلِّقَ.

فإنْ امتنعَ مِن كلٍّ مِنهُما طلَّقَ الحاكمُ عليهِ(١).

وأَمَّا الظِّهارُ: فأَنْ يُحرِّمَ زوجتَهُ؛ ويقولَ لَها: أَنتِ عليَّ كظهرِ أُمي، أَو نحوِهِ مِن أَلفاظِ التَّحريمِ الصَّريحةِ(٢).

فهذا قد أَتى: ﴿مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا﴾، وكذَبَ أَعظَمَ كذِبٍ؛ إذْ شبَّهَ مَنْ هي حلالٌ بمَنْ هي أَعظمُ المحرَّماتِ، وهي الأُمُّ، ولهذا قال: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا﴾.

ثُمَّ عَرضَ التَّوبةَ، فقال: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾، ثُمَّ ذكرَ طَريقَها بالكفَّارةِ؛ فأَمرَ المظاهِرَ أَنْ يُعتِقَ رَقبةً مِن قَبلِ أَنْ يمَسَّها؛ فإنْ لم يجدْ صامَ شهرينِ مُتَتابِعَينِ مِن قَبلِ الْمَسِيسِ -أَيضًا- فإنْ لم يَستطعْ أَطعمَ سِتِّينَ مِسكينًا، فبَعدَ هذهِ الكفَّارةِ تَحِلُّ لَهُ الزَّوجةُ، وتَنحلُّ يَمينُهُ[٧٥].

وأَمَّا اللِّعانُ: فإنَّ الزَّوجَ إذا رَمَى زوجتَهُ بالزِّنى -ولم يكنْ لَهُ على ذلكَ أَربعةُ شُهودٍ، ولم تعترفْ، بلْ أَقامتْ على الإنكارِ- فعليهِ ما على مَن قذفَ المحصناتِ؛ مِن جلدِ ثمانينَ جلدةً، إلَّا أَنْ يلاعِنَها؛ وذلكَ بأَنْ يَشهدَ أَربعَ مرَّاتٍ: ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: فيما رَماها بهِ مِن الزِّنى، ويقولَ في الخامِسةِ دَاعيًا على نفسِهِ: و﴿أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

---

(١) القاضي يقوم مَقام الزَّوج في إيفاء الحقِّ عليه عند امتناعه منه، ولكنَّه لا يطلِّق، ولا يأْمر به إلَّا بطلب من المرأَة؛ لأَنَّه حقٌّ لها. ينظر: المغني، (٧/٢٧٣، ٥٦٣)، وتفسير القرآن العظيم، (١/٦٠٦).

(٢) كأَنْ يقول أَنت عليَّ كبطن أُمي أَو فرجها، وكذلك لو شبَّهها بامرأَة مُحرَّمة عليه بالقَرابة أَو بالرَّضاع. ينظر: مَعَالم التَّنزيل، (٥/٣٩)، والمغني، لابن قُدَامة، (٨/٥).

فحينئذٍ يَترتَّبُ عليها الحدُّ، أَو الحَبسُ حتَّى تُقِرَّ، إِلَّا أَنْ تقابِلَهُ بلِعانٍ يَدْرَأُ(١) عنها العذابَ، بأَنْ تَقولَ أَربعًا: أَشهدُ باللهِ ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾: فيما رَماني بهِ مِن الزِّنى، وتزيدُ في الخامسةِ(٢): و﴿أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: فعندَ ذلكَ يَحصلُ الفِراقُ الأَبديُّ بينَهُ وبينَها(٣).

والحِكمةُ في تخصيصِ الزَّوجِ بسقوطِ حدِّ القذفِ عنهُ إِذا لاعنَ: أَنَّ الزَّوجَ مُحتاجٌ، وربَّما كان مُضطرًا إِلى رَميِها؛ لِنفيِ ما يَلْحَقُهُ مِن أَولادِ غيرِهِ؛ ولحقِّهِ، وإِفسادِ فِراشِهِ.

وأَمَّا القاذِفُ: إِذا كان غيرَ زوجٍ، إِذا قذفَ غيرَهُ بالزِّنى، فإِنَّ اللهَ قالَ في حَدِّهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾(٤).

---

(١) الدَّرْءُ: الدَّفع. ينظر: العين، والصِّحاح، مادَّة: (درأ).

(٢) قال: أَبو السُّعودﷺ: "وتخصيص الغضب بجانب المرأة للتَّغليظ عليها؛ لِما أَنَّها مادَّة الفجور؛ ولأَنَّ النِّساء كثيرًا ما يستعملن اللَّعن فربَّما يجترئن على التَّفوُّه به؛ لسقوط وقْعه عن قلوبهنَّ، بخلاف غضبه تعالى". إرشاد العقل السَّليم، (١٥٩/٦).

(٣) أَخرج أَبو داود في سننه، كتاب النِّكاح، باب في اللِّعان، (٥٦٤/٣) ح (٢٢٥٠)، والدَّارَقُطْنيُّ في سننه، كتاب النِّكاح، باب المهر، (٤١٥/٤) ح (٣٧٠٤)، والبَيْهَقِيُّ في السُّنن الكبرى، كتاب اللِّعان، باب سُنَّة اللِّعان ونَفْي الولد وإلحاقه بالأُمِّ وغير ذلك، (٦٥٨/٧) ح (١٥٣٢٢)، عن سَهل بن سَعدﷺ -وكان حاضرًا لِعان الزَّوجَين- قال: "حَضَرْتُ هَذَا عِنْدَ رَسُولِ اللهِﷺ، فَمَضَتِ السُّنَّةُ بَعْدُ فِي الْمُتَلَاعِنَيْنِ أَنْ يُفَرَّقَ بَيْنَهُمَا، ثُمَّ لَا يَجْتَمِعَانِ أَبَدًا".

قال الأَلبانيُّﷺ: "حديث صحيح، وإسناده على شرط مسلم". صحيح أَبي داود، (٢٠/٧) ح (١٩٤٧).

(٤) النور: ٤-٥

فَصْلٌ: في آياتِ الحُدُودِ[١]:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ﴾ . . . إلى آخرِها، والتي بعدَها[٢].

يَمْتَنُّ اللهُ على عبادِهِ؛ بأَنَّهُ فرضَ عليهِمُ: ﴿ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى﴾؛ أَيْ: المساواةُ فيه، وأَنْ يُقتلَ القاتِلُ عَمدًا على الصِّفةِ التي قُتِلَ عليها المقتولُ؛ إقامةً للعَدلِ بيْنَ العِبادِ[٣].

وتوجيهُ الخِطابِ لعمومِ المؤمنِينَ فيهِ دليلٌ على أَنَّهُ يجبُ عليهِم كلِّهِم -حتَّى أَولياءِ القاتِلِ، حتَّى القاتِلِ بنفسِهِ- إِعانةَ وليِّ المقتولِ إذا طَلَبَ القِصاصَ، وتمكينَهُ مِن القاتِلِ، وأَنَّهُ لا يَحِلُّ لهم أَنْ يَحُولوا بينَهُ وبينَ القاتِلِ إذا تمَّتِ الشُّروطُ، كما يفعلُهُ أَهلُ الجاهليَّةِ، ومَن أَشبَهَهُم مِن إِيواءِ المحدِثِينَ.

ثُمَّ فصَّلَ ذلكَ بقولِهِ: ﴿ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ﴾: يدخلُ في منطوقِها، وفي منطوقِ قولِهِ: ﴿أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾[٤]، أَنَّ الذَّكرَ يُقتلُ بالأُنثى، كما تُقتلُ الأُنثى بالذَّكرِ؛ فيكونُ هذا المنطوقُ[٥] مقدَّمًا على مفهومِ قولِهِ: ﴿وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰ﴾، معَ دِلالةِ صريحِ السُّنَّةِ الصَّحيحةِ في قتلِ النَّبيِّ ﷺ اليهوديَّ بالجاريةِ[٦].

---

(١) الحُدُوْدُ: جمع حدٍّ، وهو في اللُّغة المنع، وفي الشَّرع: "عقوبة مقدَّرة؛ لتمنع من الوقوع في مثله" المبدِع في شرح المقنِع، (٧/ ٣٦٥) ، وينظر: الْمِصباح الْمُنِيْر، مادَّة: (حدَّ).

(٢) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٨-١٧٩].

(٣) قال ﷻ: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦ﴾ [النحل:١٢٦].

قال الشَّنْقِيْطِيُّ ﵀: "أَخذ بعض العلماء من هذه الآية الكريمة المماثلة في القصاص، فمن قَتل بحديدة قُتل بها، ومَن قَتل بحجر قُتل به، ويؤيِّده رضُّه ﷺ رأس يهوديٍّ بين حجرين؛ قصاصًا لجارية فعل بها مثل ذلك، وهذا قول أَكثر أَهل العلم، خلافًا لأَبي حنيفة، ومَن وافقه". أَضواء البيان، (٢/٤٦٧).

(٤) المائدة: ٤٥

(٥) المنطوق في الآية: ﴿ٱلنَّفۡسَ﴾، فتشمل الذَّكرَ والأُنثى؛ لأَنَّ كلًّا منهما نفسٌ.

(٦) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الخُصومات، باب ما يذكر في الإِشخاص والخُصومة بين المسلم واليهود، (٣/١٢١) ح (٢٤١٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والدِّيات، باب ثبوت القصاص في القتل بالحجر وغيره من الْمُحَدَّدَاتِ، والْمُثَقَّلاتِ، وقتل الرَّجل بالمرأَة، (٣/١٣٠٠) ح (١٦٧٢)، =

وخرجَ مِن هذا العُمومِ الأبوانِ وإنْ عَلَوا؛ فلا يُقتلانِ بالولدِ؛ لورودِ السُّنَّةِ بذلكَ(١)؛ معَ أَنَّ في لفظِ: ﴿ٱلْقِصَاصِ﴾: ما يدلُّ على أَنَّهُ ليسَ مِن العَدلِ أَنْ يُقتلَ الوالدُ بولدِهِ؛ ولأَنَّ ما في قلبِ الوالدَينِ مِن الرَّحمةِ المانعةِ مِن صدورِ هذهِ الجريمةِ مِنهُما على ولدِهما ما يُحدِثُ الشُّبهةَ؛ إمَّا أَنَّهُ لا بُدَّ أَنَّ في عقلِهما اختلالًا، أَو أَذيَّةً شديدةً أَحْرَجَتْهُ إلى قتل ولدِهِ، أَو لم يُحَرَّرْ(٢) أَنَّ القَتْلَ عَمْدٌ مَحْضٌ.

وخرجَ مِن هذا العُمومِ أَنَّ المسلمَ لا يقتلُ بالكافرِ لثبوتِ السُّنَّةِ بذلكَ(٣)، معَ أَنَّ الآيةَ في خِطابِ المؤمنِينَ خاصةً، وليسَ -أَيضًا- مِن العَدلِ أَنْ يُقتَلَ وليُّ اللهِ بعدوِّهِ.

﴿وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ﴾: ذكرًا كان أَو أُنثى، تَساوتْ قِيمتُهما، أَو اختلَفَتْ.

ودلَّ مَفهومُها على أَنَّ الحُرَّ لا يُقتلُ بالعبدِ؛ لكونهِ غيرَ مساوٍ لَهُ.

وفي هذهِ الآيةِ دليلٌ على أَنَّ الأَصلَ وجوبُ القَوَدِ في العمدِ العُدوانِ، وأَنَّ الدِّيةَ بدلٌ عنهُ، فلِهذا قال: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ﴾: أَيْ: عفا وَليُّ المقتولِ عن القاتلِ إلى الدِّيةِ، أَو عفا بعضُ الأَولياءِ فإنَّهُ يَسقطُ القِصاصُ، وتجبُ الدِّيةُ.

عن أَنس رضي الله عنه: "أَنَّ يَهُودِيًّا رَضَّ رَأْسَ جَارِيَةٍ بَيْنَ حَجَرَيْنِ، قِيلَ مَنْ فَعَلَ هَذَا بِكِ، أَفُلَانٌ، أَفُلَانٌ؟ حَتَّى سُمِّيَ اليَهُودِيُّ، فَأَوْمَأَتْ بِرَأْسِهَا، فَأُخِذَ اليَهُودِيُّ، فَاعْتَرَفَ، فَأَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فَرُضَّ رَأْسُهُ بَيْنَ حَجَرَيْنِ".

(١) أَخرج أَحمد في مسنده، (١/٢٩٢-٢٩٣) ح (١٤٨)، والتِّرمذيُّ في سننه، باب ما جاء في الرَّجل يقتل ابنه يُقاد منه أَم لا، (٣/٧٠) ح (١٤٠٠)، عن عمر رضي الله عنه: أَنَّه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لَا يُقَادُ لِوَلَدٍ مِنْ وَالِدِهِ)).

قال ابن عبدالبرِّ رحمه الله: "وقد رُوي مسندًا من حديث عَمرو بن شُعيب عن أَبيه عن جدِّه، عن النَّبيِّ ﷺ، وكذلك رُوي قولُه ﷺ: ((لَا يُقَادُ وَالِدٌ))، من حديث عمرو بن شُعيب عن أَبيه عن جدِّه، ومن حديث عمر بن الخطَّاب -أَيضًا- ومن حديث ابن عبَّاس، وهو حديث مشهور عند أَهل العلم بالحجاز والعراق، مستفيض عندهم، يُستغنى بشهرته وقبوله والعمل به عن الإسناد فيه، حتَّى يكاد أَنْ يكونَ الإسناد في مثله لشهرته تكلُّفا". التَّمهيد، (٢٣/٤٣٦-٤٣٧)، وينظر: شرح السُّنَّة للبَغَويِّ، (١٠/١٨١).

وقال الأَلبانيُّ رحمه الله: "وفيما خرَّجته من حديث عمر، وابن عبَّاس وطرقهما كفاية، وهي بمجموعها تدلُّ على أَنَّ الحديث صحيح ثابت". إرواء الغَلِيْل، (٧/٢٧٢).

(٢) أَيْ: لم يظهر، ويُقرَّر أَنَّ القتل عمد خالص، ولم يتبيَّن، ولم يتَّضح ذلك.

(٣) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الدِّيات، باب لا يقتل المسلم بالكافر، (٩/١٢) ح (٦٩١٥)، عن أَبي جُحَيْفَةَ، قال: سأَلت عليًّا رضي الله عنه هل عندكم شيء مِمَّا ليس في القرآن؟ وقال ابن عُيَيْنَة مَرَّةً: ما ليس عند النَّاس؟ فقالَ: "وَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ مَا عِنْدَنَا إِلَّا مَا فِي القُرْآنِ، إِلَّا فَهْمًا يُعْطَى رَجُلٌ فِي كِتَابِهِ، وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ" قُلْتُ: وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ؟ قَالَ: "العَقْلُ، وَفِكَاكُ الأَسِيرِ، وَأَنْ لَا يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ".

وتكونُ الخِيَرَةُ في القَوَدِ، واختيارِ الدِّيةِ إلى الوَلِيِّ؛ فإذا عفا عنهُ وجبَ على وليِّ المقتولِ أَنْ يَتَّبِعَ القاتلَ بالمعروفِ مِن غيرِ أَنْ يَشقَّ عليهِ، ولا يُحمِّلَهُ ما لا يُطيقُ، بلْ يُحسنُ الاقتضاءَ والطَّلبَ، ولا يُحرِجهُ(١).

وعلى القاتلِ: ﴿أَدَاءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖ﴾: مِن غيرِ مَطلٍ، ولا نقصٍ، ولا إساءةٍ فِعليَّةٍ أَو قَوليَّةٍ، فهلْ جزاءُ الإِحسانِ إليهِ بالعفوِ[٧٦] إلَّا الإِحسانُ بحسنِ القضاءِ؟.

وهذا مأْمورٌ بهِ في كلِّ ما ثبتَ في ذِممِ النَّاسِ للإنسانِ؛ مأْمورٌ مَن لَهُ الحقُّ بالاتِّباعِ بالمعروفِ، ومَن عليهِ الحقُّ بالاتِّباعِ(٢) بإحسانٍ؛ كمَا قالﷺ: ((رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمْحًا إِذَا قَضَى، سَمْحًا إِذَا اقْتَضَى))(٣).

وفي قولِهِ: ﴿عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ﴾: ترقيقٌ وحثٌّ على العفوِ إلى الدِّيةِ، وأَكملُ مِن ذلكَ العفوُ مجَّانًا.

وفي قولِهِ: ﴿أَخِيهِ﴾: دليلٌ على أَنَّ القاتلَ عمدًا لا يكفرُ؛ لأَنَّ المرادَ بالأُخوَّةِ هُنا أُخوَّةُ الإِسلامِ، فلم يَخرجْ بالقتلِ عنها، ومِن بابِ أَولى سائرُ المعاصي التي هي دونَ القتلِ، فإِنَّ صاحبَها لا يكفرُ، ولكنَّهُ يَستحِقُّ العقابَ، ويَنقصُ بذلكَ إِيمانُهُ إِنْ لم يَتُبْ.

وإذا عَفَا أَولياءُ المقتولِ أَو بعضُهُم احتَقَنَ دمُ القاتلِ، وصارَ معصومًا مِنهُم، ومِن غيرِهِم،

---

(١) ومِن الإِحراج والأَذيَّة: المبالغة في طلب الأَموال مقابل العفو؛ مِمَّا يسبِّب إرهاق الأُسرة والأَقارب والقبيلة، وربَّما وصل الأَمر إلى استنفار المجتمع، وطلب التَّبرعات منه، واستغلال تلك الحالات للمتاجرة، والسَّمسرة.
إِنَّ الشَّريعة التي لم تمنع من المصالحة على أَكثر من الدِّية، هي التي نهت عن المشقَّة والتَّشديد، وهي التي رغَّبت في العفو والمسامحة، وهي التي كفلت كرامة الإِنسان، وصانت حقوقه، ونأت به عن الذِّلة والمسكنة، وإِنَّ لوليِّ الأَمرِ الحقَّ في التَّدخل للحدِّ من تلك التَّجاوزات؛ قطعًا لدابر الجشع، والمتاجرة بالدِّماء، وإِنَّ على أَهل العلم والتَّربية والإِعلام مسؤوليَّة التَّوعية والتَّوجيه؛ من خلال منابرهم ومراكزهم؛ لِما لهم من تأْثير في النُّفوس، والعقول.

(٢) س: "بالأَداء"، وهي الموافقة للآية.

(٣) أَخرجه الطَّبَرَانيُّ في الْمُعْجَم الأَوسط، (٥/٧٣) ح (٤٧٠٨)، بهذا اللَّفظ، وبنحوه أَخرجه ابن حبَّان في صحيحه، كتاب البيوع، ذكر ترحُّم الله ﷻ على المسامح في البيع والشِّراء والقبض والإِعطاء، (١١/٢٦٧) ح (٤٩٠٣)، قال الأَلبانيُّ رحمه الله: "صحيح". التَّعليقات الحسان على صحيح ابن حبَّان، (٧/٢٥٣) ح (٤٨٨٣).
وهو عند البخاريِّ في صحيحه بمعناه، كتاب البيوع، باب السُّهولة والسَّماحة في الشِّراء والبيع، ومن طلب حقًّا فليطلبه في عفاف، (٣/٥٧) ح (٢٠٧٦)، قالﷺ: "رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى"، عن جابر رضي الله عنه.

فلِهذا قال: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾؛ أَيْ: بعدَ العفوِ.

﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾؛ أَيْ: في الآخرةِ.

وأَمَّا قَتلُهُ وعدمُهُ فيؤْخذُ مِمَّا تقدَّمَ؛ لأَنَّهُ قَتلَ مُكافِئًا لَهُ فيجبُ قتلُهُ بذلكَ.

ثُمَّ بيَّنَ -تعالى- حِكمتَهُ العظيمةَ في مشروعيَّةِ القِصاصِ فقال: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ﴾؛ أَيْ: تَنْحَقِنُ[1] بذلكَ الدِّماءُ، وتَنْقَمِعُ[2] بهِ الأَشقياءُ؛ لأَنَّ مَن عرفَ أَنَّهُ إذا قَتلَ قُتِلَ لا يكادُ يصدرُ مِنهُ قَتْلٌ؛ وإذا رُئِي القاتلُ مَقتولًا انزجرَ غيرُهُ بذلكَ.

فلو كانتْ عُقوبةُ القاتلِ غيرَ القتلِ لم يحصلْ مِن انكفافِ الشَّرِّ ما يحصلُ بالقتلِ.

وهكذا سائرُ الحدودِ الشَّرعيَّةِ: فيها مِن النِّكايةِ والانزجارِ ما يدلُّ على حِكمةِ الحكيمِ الغفَّارِ.

ونَكَّرَ الحياةَ لإِفادَةِ التَّعظيمِ[3].

ولَمَّا كانَ هذا الحُكمُ لا يعرفُهُ حقيقةَ المعرفةِ إِلَّا أَهلُ العقولِ الكاملةِ، قال: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾، وهذا يدلُّ على أَنَّهُ يُحبُّ مِن عبادِهِ أَنْ يُعمِلوا أَفكارَهُم، وعقولَهم في تدبُّرِ ما في أَحكامِهِ مِن الحِكَمِ، والمصالحِ الدَّالةِ على كَمالِهِ، وكَمالِ حِكْمتِهِ وحمْدِهِ، وعدلِهِ، ورحمتِهِ الواسعةِ، وأَنَّ مَن كانَ بِهذا الوصفِ فقد استحقَّ الثَّناءَ والمدحَ بأَنَّهُ مِن ذوي الأَلبابِ، الذين وُجِّهَ إِليهمُ الخِطابُ، وكفى بذلكَ فضلًا، وشرفًا.

وقولُهُ: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾؛ وذلكَ أَنَّ مَن عرَفَ ربَّهُ، وعرَفَ ما في دينِهِ وشرعِهِ مِن الأَسرارِ العظيمةِ والحِكَمِ البديعةِ، والآياتِ الرَّفيعةِ أَوجبَ لَهُ أَنْ ينقادَ لأَمرِ اللهِ، ويخضعَ لشرعِهِ؛ طاعةً للهِ ولرسولِهِ.

---

(١) تَنْحَقِنُ: "من حَقَنْتُ دمَه: منعته أَنْ يُسفَك". الصِّحاح، والْمِصباح الْمُنِيْر، مادَّة: (حقن).

(٢) القَمْعُ: القهر والإذلال. ينظر: الصِّحاح، ولسان العرب، مادَّة: (قمع).

(٣) شرع الله القصاص فانقطعت الفتنة الثَّائرة بسبب القتل، وحصل الهدوء، وشفاء الصُّدور، وتحقَّقت الحياة للنُّفوس؛ فحصلت حياةُ مَن يريد القتل، ومَن سيقع عليه القتل، والاحتراس من الدِّماء، وسائر ضروب الاعتداء؛ إذ العاقل حريص على الحياة، والأَخذ بوسائلها، وتجنُّب غوائلها. ينظر: الكشَّاف، للزَّمَخْشَرِي، (١/٢٢٣)، والمحرَّر الوجيز، (١/٢٤٧)، وتفسير القرآن العظيم، (١/٤٩٢)، وتفسير القرآن الحكيم، (٢/١٠٨).

قولُهُ تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[١].

هذا حدُّ الزَّاني غيرُ المحصَنِ مِن ذكرٍ أَو أُنثى يُجلدُ مائةَ جلدةٍ؛ جلداتٍ تؤلِمُهُ وتزجرُهُ، ولا تهلِكُهُ، ويتعيَّنُ أَنْ يكونَ ذلكَ علنًا لا سِرًّا؛ بحيثُ يشهدُهُ طائفةٌ مِن المؤمنِينَ؛ لأَنَّ إقامَةَ الحدودِ مِن الضَّرورياتِ؛ لقمعِ أَهلِ الجرائمِ، واشتِهارُها هو الذي يحصلُ بهِ الرَّدعُ والانزجارُ، وإظهارُ شعائرِ الدِّينِ.

والاستتارُ بهِ، أَو على أَحدٍ دونَ أَحدٍ فيهِ مفاسدُ كثيرةٌ[٢].

ووَردتِ السُّنَّةُ بتغريبِ عامٍ كاملٍ عن وَطنهِ معَ الجَلدِ[٣].

كما تواترتِ السُّنَّةُ[٤]، وأَجمعَ المسلمونَ على رَجمِ الزَّاني الْمُحْصَنِ؛ يُرجمُ بالحِجارةِ حتَّى يموتَ[٥][٧٧].

---

(١) النور: ٢

خ: لم يذكر قوله تعالى: ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ﴾.

(٢) ومن المفاسد: عصيان الأمر الرَّباني، والتَّعرض للعقوبات والهلاك، وعدم اكتمال الحِكمة التي أرادها الله من مشروعيَّة الحدِّ، وظهور الظُّلم، والحِقد والكراهية، وحصول التَّفرق في المجتمع.

(٣) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الحدود، باب البِكران يجلدان وينْفيان، (١٧١/٨) ح (٦٨٣١)، عن زيد بن خالد الجُهَنِيِّ ﷺ، قال: "سَمِعتُ النَّبِيَّ ﷺ يَأْمُرُ فِيمَنْ زَنَى وَلَمْ يُحْصَنْ: جَلْدَ مِائَةٍ وَتَغْرِيب عَامٍ".

وأَخرج مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب حدِّ الزِّنى، (١٣١٦/٣) ح (١٦٩٠)، عن عُبادة بن الصَّامت ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: ((خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عَنِّي، قَدْ جَعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا، الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَنَفْيُ سَنَةٍ)).

(٤) قال ابن العربيِّ ﷺ: "وأَمَّا الرَّجم فخبر متواتر. . . ولا خلاف فيه بين المحقِّقين، إنَّ حدَّ الرَّجم ثابت بالسُّنَّة النَّبويَّة المتواترة، التي لا مطعن في صحَّتها". أَحكام القرآن، لابن العربي، (٤٦٥/١).

ونصَّ على التَّواتر ابن الهُمَام، والشَّوكانيُّ. ينظر: فَتْح القَدير، لابن الهُمَام، (٢٢٤/٥) والسَّيل الجرَّار، (ص:٨٤٧).

(٥) قال ابن عبدالبرِّ ﷺ: "وأَجمع فقهاء المسلمين وعلماؤهم من أَهل الفِقه والأَثر من لدن الصَّحابة إلى يومنا هذا أَنَّ المحصَن حدُّه الرَّجم". التَّمهيد، (٧٩/٩).

وقال الشَّوكانيُّ ﷺ: "ثبوت الرَّجم للزَّاني المحصن في هذه الشَّريعة ثابت بكتاب الله –سبحانه– وبمتواتر سنَّة رسوله، وبإجماع المسلمين أَجمعين سابقهم ولاحقهم، ولم يُسمع بمخالف خالف في ذلك من طوائف المسلمين، إلَّا ما يُروى عن الخوارج، وهم كلاب النَّار، وليسوا ممَّن يُعتدُّ بخلافهم، ولا يُلتفت إلى أَقوالهم". السَّيل الجرَّار، (ص:٨٤٦).

وممَّن نقل الإجماع على رجم الزَّاني المحصن: ابن رُشْد، وابن مَوْدُوْدٍ الْمَوصِلِي، وابن الهُمَام. ينظر: بداية المجتهد، (٢١٨/٤)، والاختيار لتعليل المختار، لابن مَوْدُوْد، (٨٤/٤) وفَتْح القَدير، لابن الهُمَام، (٢٢٤/٥).

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[١].

السَّارِقُ: هو مَن أخذَ مالَ غيرِهِ المحترَمَ بغيرِ رضاهُ، وهو مِن كبائرِ الذُّنوبِ، الموجبةِ لترتُّبِ هذهِ العُقوبةِ، وهو: أَنَّهُ يجبُ قطعُ يدِهِ اليمنى؛ كما هي في[٢] قِراءةُ بعضِ الصَّحابةِ[٣].

واليدُ إذا أُطلِقتْ فهي الكفُّ إلى الكُوعِ[٤] فقط.

فإذا قُطِعتْ حُسِمَتْ[٥] وجوبًا[٦] في زيتٍ أو وَدَكٍ مَغْلِيٍ؛ لتنسدَّ العُروقُ، فيقِفُ الدَّمُ[٧].

ولكنَّ السُّنَّةَ قيَّدتْ عمومَ الآيةِ الكريمةِ بأُمورٍ كلِّها ترجعُ إلى تحقيقِ السَّرقةِ للأَموالِ:

فمِنها: لا بدَّ أَنْ يكونَ الْمَسرُوقُ نِصابًا، وهو رُبعُ دينارٍ، أَو ثلاثةُ دراهمَ، أَو ما يُساوي ذلكَ[٨].

---

(١) المائدة: ٣٨

(٢) "في": ليس في: (س)، والسِّياق يستقيم بدونها.

(٣) رُوي عن عبدالله بن مسعودﷺ أنَّه كان يقرأُ: ﴿فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْمَانَهُمَا﴾ [المائدة:٣٨].

قال ابن كثيرﷺ: "وهذه قراءة شاذَّة، وإنْ كان الحكم عند جميع العلماء موافقًا لها، لا بها، بل هو مستفاد من دليل آخر". تفسير القرآن العظيم، (١٠٧/٣).

وقال الجصَّاصﷺ: "لم تختلف الأُمَّة في أَنَّ اليد المقطوعة بأَوَّل سرقة هي اليمين، فعلمنا أَنَّ مراد الله -تعالى- بقوله ﴿أَيْدِيَهُمَا﴾: أيمانهما". أحكام القرآن، للجصَّاص، (٦٢/٤)، وينظر: جامع البيان، (٢٩٥/١٠).

(٤) الْكُوعُ: "طرف العظم الذي يلي رُسْغَ اليد، المحاذي للإبهام". الْمِصباح الْمُنِيْر، وينظر: العين، مادَّة: (كوع).

(٥) الْحَسْمُ: القطع، ومنه حَسْم العُروق؛ بأَنْ تُكوى بالنَّار لينقطعَ الدَّم. ينظر: الصِّحاح، مُختار الصِّحاح، مادَّة: (حسم).

(٦) لاخِلاف بين الفِقهاء على حَسْم موضع القطع؛ وذلك باستعمال ما يسدُّ العروقَ، ويوقف نزْف الدَّم؛ لِما فيه من حفظٍ للسَّارقِ من الهلاك. ينظر: الحاوي الكبير، (٣٢٤/١٣)، والبِنَاية شرح الهداية، (٥٠/٧)، والموسوعة الفِقهيَّة الكويتيَّة، (٣٣٩/٢٤).

(٧) الحسْمُ بالزَّيت أَو الكَيِّ بالنَّار يناسب تلك الأَوقات، وأَمَّا الآن فقد تطوَّر الطِّب، وأَمكن إيقاف الدَّم بطرقٍ متعدِّدة، من غير أَلم، فلا مانع من استخدامها؛ لأَنَّ المقصود حفظ النَّفس مِن الهلاك؛ بسبب نزْف الدَّم.

(٨) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الحدود، باب قول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة:٣٨]، وفي كم يقطع؟ (١٦٠/٨) ح (٦٧٩٠)، واللَّفظ لَهُ، ومسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب حدِّ السَّرقة ونصابها، (١٣١٢/٣) ح (١٦٨٤)، عن عائشةﷺ، عن النَّبِيِّﷺ، قال: ((تُقْطَعُ يَدُ السَّارِقِ فِي رُبُعِ دِينَارٍ)).
=

ومِنها: لا بُدَّ أَنْ يكون المأْخوذُ مِنهُ حِرْزًا(١).

وحِرزُ كلِّ مالٍ ما يُحفظُ بهِ عادةً؛ فلو سَرقَ مِن مالٍ غيرِ محرَزٍ فلا قطعَ عليهِ، ويؤْخذُ هذا مِن لفظِ: السَّارقِ؛ فإنَّهُ الذي يأْخذُ المالَ على وجهٍ لا يُمكنُ التَّحرُّزُ مِنهُ.

فإِنْ عادَ السَّارقُ قُطعتْ رِجلُهُ اليُسرى، فإِنْ عادَ فقِيلَ: تقطعُ يدُهُ اليُسرى، ثُمَّ إِنْ عادَ قُطعتْ رجلُهُ اليُمنى(٢)، وقِيل: يُحبَسُ(٣) حتَّى يموتَ(٤)، وورَدَ في ذلكَ آثارٌ عن السَّلفِ مختلفةٌ(٥).

وقولُهُ: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا﴾: مِن التَّجرِّي على أَموالِ النَّاسِ.

﴿نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ أَيْ: ترهيبًا مِنهُ لِلسُّرَّاقِ لِيرتَدِعُوا إذا علِموا أَنَّهُم يُقطَعونَ، وهذا نظيرُ قولِهِ

وأَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الحدود، باب قول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾، وفي كم يقطع؟ (١٦١/٨) ح (٦٧٩٦)، واللَّفظ لَهُ، ومسلم في صحيحه، كتاب الحدود، باب حدِّ السَّرقة، ونصابها، (١٣١٣/٣) ح (١٦٨٦)، عن ابن عمرﷺ، قال: "قَطَعَ النَّبِيُّﷺ فِي مِجَنٍّ ثَمَنُهُ ثَلَاثَةُ دَرَاهِمَ".
ويُجمع بين الحديثين أَنَّ نصاب القطع ربع دينار فصاعدًا، أَو ما يعادله، وأَنَّ ثمن الْمِجَنِّ يومئذ ثلاثةُ دراهم. ينظر: تفسير القرآن العظيم، (١٠٨/٣)، والشَّرح الْمُمْتِع، (٣٧٣/١٤).

(١) الحِرْزُ: الموضع الحصين، وكلُّ شيء ضممته وحفظته فقد أَحرزته. ينظر: جَمْهَرة اللُّغة، والصِّحاح، مادَّة: (حرز).

(٢) هذا رأْي الجمهور، قال ابن بطَّالﷺ: "روى هذا عن أَبي بكر الصِّديق، وعمر، وعثمان، ومن التَّابعين: عُروة، والقاسم، وسَعيد بن المسيّب، ورَبيعة، وهو قول مالك، والشَّافعى". شرح صحيح البخارى، (٤١٣/٨).
وقال الشَّنْقِيْطِيُّﷺ: "والجمهور أَنَّه إِنْ سرق ثانيًا قطعت رجلُه اليسرى، ثمَّ إِنْ سرَق فيدُه اليسرى، ثمَّ إِنْ سرقَ فرجلُه اليمنى، ثمَّ يعزَّر". أَضواء البيان، (٣٢/٣)، وينظر: أَحكام القرآن، لابن العربي، (١١٨/٢)، والعُدَّة، للمقدسي، (ص:٦٠٧).

(٣) الحبس في الثَّالثة حتَّى يتوب، مرويٌّ عن عليٍّﷺ، وهو قول الشَّعبيِّ، والنَّخعيِّ، والأَوزاعيِّ، وأَصحاب الرَّأْي، والرِّواية المعتمدة عند الحنابلةﷺ، فلا قطع لأَكثر من يد ورجل. ينظر: مَعَالم التَّنزيل، (٤٩/٢)، وأَحكام القرآن، لابن العربي، (١١٨/٢)، وبدائع الصنائع، (٨٦/٧)، ولُباب التَّأْويل، (٤٢/٢)، والمبدع، (٤٥٤/٧)، وشرح السُّنَّة، (٣٢٧/١٠).

(٤) قال ابن الهُمَامﷺ: "يُحبَس، ويخلَّد في السِّجن إلى أَنْ يُظهر التَّوبة". فَتْح القَدير، (٣٦٣/٥).

(٥) هي أَقضية ثابتة، وآثار عن عمر، وعليٍّﷺ تفيد قطع الرِّجل اليسرى بعد اليد اليمنى؛ فإِن عاد عُزِّر ولا قطع، قال ابن عبدالبرِّﷺ: "حصل اتِّفاق جمهور السَّلف والخلف على جواز قطع الرِّجل بعد اليد -مَنْ قال بقول الحجازيِّيْن ومَنْ قال بقول العِراقيِّيْن- وهم عامَّة العلماء قالوا بذلك، وهم يقرؤون: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾" [المائدة:٣٨]. الاستذكار، (٥٤٨/٧)، وينظر: الحدود والتَّعزيرات عند ابن القَيِّم، لبكر أَبو زيد، (ص:٣٨٧-٤٠٢).

في القتلِ: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾(١).

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾؛ أيْ: عَزَّ وحَكَمَ، فقطعَ بِحِكمَتِهِ يدَ السَّارقِ؛ تَنْكِيلًا للمجرِمينَ، وحِفْظًا للأموالِ.

وقد ذكرَ اللهُ قبلَ هذا حدَّ قُطَّاعِ الطَّرِيقِ المحارِبينَ في قولِهِ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ﴾(٢)، فقِيلَ: إنَّ الإمامَ مُخيَّرٌ فِيهِم بيْنَ هذهِ الأُمورِ، وعليهِ أَنْ يفعلَ ما تقتضيهِ المصلحةُ، ويحصلُ بهِ النِّكايةُ(٣) بحسَبِ اجتهادِهِ(٤).

وقِيلَ -وهو الصَّحيحُ-(٥): إنَّ هذهِ العُقوبةَ مُرتَّبَةٌ بحسَبِ الجريمَةِ:

- فإنْ جَمعوا بيْنَ القَتْلِ وأخذِ المالِ جُمِعَ لَهم بيْنَ القَتْلِ والصَّلْبِ.
- وإنْ قَتلوا، ولم يأْخذوا مالًا قُتِلوا، ولم يُصْلَبوا.
- وإنْ أَخَذوا مالًا، ولم يَقتلوا قُطِّعَتْ أَيديْهِم وأَرجُلُهُم مِن خِلافٍ.
- وإن أَخافوا النَّاسَ، ولم يَقتلوا ولا أَخذُوا مالًا نُفُوا مِن الأَرضِ؛ فلا يُترَكونَ يأْوونَ إلى بلدٍ، أَو يُحبسُونَ كمَا قالَهُ بعضُهُم(٦).

(١) البقرة: ١٧٩

(٢) المائدة: ٣٣

(٣) قاله به ابن عبَّاس، وسعيد بن جُبير، وإبراهيم النَّخعيُّ، والحسن في رواية، وقَتادة، والسُّدِّيُّ، وعَطَاء الخُراسانيُّ، وأَبو حنيفة، والشَّافعيُّ، ورجَّحه ابن جَرِيْر. ينظر: جامع البيان، (١٠/٢٥٧-٢٦٢)، وأَحكام القرآن للشَّافعي، جمع البَيْهَقِي، (١/٣١٤)، والجامع لأَحكام القرآن، (٦/١٥١)، وتفسير القرآن العظيم، (٣/١٠٠).

(٤) "بحسب اجتهاده"، ليست في: (س).

(٥) "وهو الصَّحيح"، ليست في: (س).

(٦) رُوي عن ابن عبَّاس، وهو قول سعيد بن المسيّب، ومجاهد، وعطاء، والحَسن في رواية، وإبراهيم النَّخَعِيّ، والضَّحَّاك، وهو قول مالك. ينظر: جامع البيان، (١٠/٢٦٢)، وأَحكام القرآن، للْكِيَا الْهَرَّاسِيّ، (٣/٦٦)، والجامع لأَحكام القرآن، (٦/١٥٢)، وتفسير القرآن العظيم، (٣/١٠٠).

فَصْلٌ: في الأَيْمَانِ ونحْوِها:

قال اللهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْۚ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(١).

يقولُ الباري: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: اعملوا بمقتضَى إيمانِكُم في تحليلِ ما أَحلَّ اللهُ، وتحريمِ ما حرَّمَ اللهُ؛ فلا تحرِّموا ما أَحلَّ اللهُ لكُم مِن المطاعِمِ والمشارِبِ وغيرِها، فإنَّها نِعَمٌ تفضَّلَ اللهُ بها عليكُم فاقبلوها، واشكروا اللهَ عليها إذْ أَحلَّها شرعًا، ويسَّرَها قدَرًا.

ولا تردُّوا نعمةَ اللهِ بكفرِها، أَو عدمِ قبولِها، أَو اعتقادِ [٧٨] تحريمِها، أَو الحَلِفِ على عدمِ تناوُلِها؛ فإنَّ ذلكَ كلَّهُ مِن الاعتداءِ، ولِهذا قال: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾، بلْ يبغضُهم، ويمقتُهم على ذلكَ.

﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾؛ أَيْ: كُلوا مِن رزقِهِ الذي ساقَهُ إليكُم، ويسَّرَهُ لكُم بأَسبابِهِ المتنوِّعةِ، إذا كان حلالًا، لا سَرِقةً ولا غَصْبًا، ولا حصلَ في معاملةٍ خبيثةٍ، وكان -أَيضًا- طيِّبًا نافعًا، لا خبَثَ فيهِ.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: في امتثالِ أَوامرِهِ، واجتنابِ نواهيهِ.

﴿ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾: فإنَّ الإيمانَ لا يتمُّ إلَّا بذلكَ، وهو يَدعو إلى ذلكَ.

ودلَّتِ الآيةُ الكريمةُ أَنَّ العبدَ إذا حرَّمَ حلالًا عليهِ مِن طعامٍ، وشرابٍ، وكِسوةٍ، واستعمالٍ، وسُرِّيَةٍ(٢)، ونحوِ ذلكَ، فإنَّ هذا التَّحريمَ مِنهُ لا يُحرِّمُ ذلكَ الحلالَ؛ لكنْ إذا فعلَهُ فعليهِ كفَّارةُ يمينٍ؛

---

(١) المائدة: ٨٧-٨٩

(٢) السُّرِّيَّةُ: يُقال: تَسَرَّرَ وتَسَرَّى، اتَّخذ سُرِّيَّةً، وهي الجارية التي يتسرَّاها مالكها، نُسِبت إلى السِّرِّ، وهو الجماع، والإخفاء، وقِيل: من السُّرور؛ لأَنَّها موضع سرور الرَّجل. ينظر: مُختار الصِّحاح، ولسان العرب، مادَّة: (سرر).

لأَنَّ التَّحريمَ يمينٌ(١)؛ كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾(٢).

وهذا عامٌّ في كلِّ تحريمٍ(٣) طيِّبٍ، إِلَّا أَنَّ تحريمَ الزَّوجةِ يكونُ ظِهَارًا، فيهِ كفَّارةُ الظِّهارِ السَّابقةُ(٤).

وكمَا أَنَّهُ ليس لَهُ أَنْ يحلِفَ على تركِ الطَّيِّباتِ فليسِ لَهُ أَنْ يمتنعَ مِن أكلِها، ولو بلا حَلِفٍ؛ تَنسُّكًا، وغُلُوًا في الدِّينِ؛ بل يتناولُها مُستعينًا بِها على طاعةِ ربِّهِ(٥).

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾، ويَشملُ هذا: الأَيمانَ التي حلَفَ بِها مِن غيرِ نِيَّةٍ ولا قَصدٍ(٦)، أَو عقَدَها يظنُّ صدقَ نفسهِ فبانَ بخلافِ ذلكَ(٧).

﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَ﴾؛ أَيْ: بِما عَقَدَتْ عليهِ قلوبُكُم، كمَا قالَ في الآيةِ

(١) ينظر: الحاوي الكبير، (١٠/١٨٤)، والمغني، (٨/٨)، وزاد المعاد، (٥/٢٨٥).

(٢) التحريم: ١-٢

(٣) س: "تحريم كلّ".

(٤) وذلك في: (ص:٦).

(٥) أخرج البخاريُّ في صحيحه، باب التَّرغيب في النِّكاح، (٧/٢) ح (٥٠٦٣)، ومسلم في صحيحه، باب استحباب النِّكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنة، واشتغال من عجز عن المؤن بالصَّوم، (٢/١٠٢٠) ح (١٤٠١)، واللَّفظ لَهُ، عن أنس بن مالكﷺ أَنَّ نفَرًا من أصحاب النَّبيِّﷺ، سأَلوا أزواج النَّبيِّﷺ، عن عمله في السِّرِّ؟ فقال بعضهم: لا أتزوج النِّساء، وقال بعضهم: لا آكل اللَّحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فحمد الله وأثنى عليه، فقال: ((مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟ لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)).

(٦) أخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الأَيمان والنُّذور، باب: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾ [البقرة:٢٢٥]، (٨/١٣٥) ح (٦٦٦٣)، عن عائشةﷺ: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾، قال: قالت: "أُنْزِلَتْ فِي قَوْلِهِ: لَا وَاللَّهِ، بَلَى وَاللَّهِ".

(٧) أخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الصَّوم، باب إذا جامع في رمضان، ولم يكن لَهُ شيء، فتصُدِّق عليه فليكفِّر، (٣/٣٢) ح (١٩٣٦)، عن أَبي هريرةﷺ، في قصَّة الرَّجل الذي جامع زوجته في نهار رمضان أَنَّه قال: ". . . فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا -يُرِيدُ الحَرَّتَيْنِ- أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي. . . ".
قال العَيْنيُّﷺ: "وفيه جواز الحَلِف على غلبة الظَّن، وإِنْ لم يعلم ذلك بالدَّلائل القطعيَّة؛ لحلف المذكور أَنَّه ليس بالمدينة أَحوج منهم، مع جواز أَنْ يكون بالمدينة أَحوج منهم؛ لكثرة الفقراء فيها، ولم ينكر عليه النَّبيُّﷺ". عُمْدَة القارِي، (١١/٣٤).

الأُخرى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾(١).

فإذا عَقدَ العبدُ اليَمِينَ وحنِثَ -بأَنْ فعلَ ما حلَفَ على تركِهِ، أَو تركَ ما حلَفَ على فعلِهِ- خُيِّرَ في الكفَّارةِ بيْنَ:

- ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾؛ وذلكَ يختلفُ باختلافِ النَّاسِ، والأَوقاتِ، والأَمكنةِ.
- ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾؛ بما يُعدُّ كِسوةً، وقُيدَ ذلكَ بكِسوةٍ تُجزي في الصَّلاةِ(٢).
- ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾؛ صغيرٍ أَو كبيرٍ، ذكرٍ أَو أُنثى(٣)، بشرطِ أَنْ تكونَ الرَّقبةُ مؤمنةً، كمَا في الآيةِ المقيَّدةِ بالإِيمانِ(٤)، وأَنْ تكونَ تلكَ الرَّقبةُ سليمةً مِن العُيوبِ الضَّارةِ بالعملِ.

فمتى كفَّرَ بواحدٍ مِن هذهِ الثَّلاثةِ انحلتْ يمينُهُ.

وهذا مِن نعمةِ اللهِ على هذهِ الأُمَّةِ أَنَّهُ فَرضَ لهم تَحِلَّةَ أَيمانِهِم، ورفعَ عنهُم بذلكَ(٥) الإِلزامَ والجُناحَ.

فمَن لم يجدْ واحدًا مِن هذهِ الثَّلاثةِ فعلَيهِ: ﴿صِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾؛ أَيْ: مُتتابعةٍ معَ الإِمكانِ؛ كمَا قُيِّدتْ في قراءةِ بعضِ الصَّحابةِ(٦).

---

(١) البقرة: ٢٢٥

(٢) وقِيل: المراد ما وقع عليه اسم كسوة، مِمَّا يكون ثوبًا فصاعدًا فلا أَقلَّ منه، وهذا لا يُعارض قول المؤلِّف، قال ابن العربيِّ رحمه الله: "ولعلَّ قول المخالف ما يقع عليه الاسم يماثل ما تجزئ فيه الصَّلاة؛ فإِنَّ مئزرًا واحدًا تجزئ فيه الصَّلاة، ويقع به الاسم عندهم على الأَقلِّ". أَحكام القرآن، (١٦٠/٢) وينظر: جامع البيان، (٥٥١/١٠).

(٣) تَحْرِير الرَّقَبَة: إِعتاقها. ينظر: الصِّحاح، ومُختار الصِّحاح، مادَّة: (حرر).

(٤) حملًا للمُطلق على المقيَّد، في قوله عز وجل: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء:٩٢]. ينظر: الجامع لأَحكام القرآن، (٢٨١/٦)، وتفسير القرآن العظيم، (١٧٦/٣).

(٥) "بذلك"، ليست في: (س).

(٦) رُوي عن أُبي بن كعب، وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهما أَنَّهما كانا يقرءان: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ﴾ [البقرة:١٩٦]، وهي قراءة شاذَّة، وقد أَجمع الصَّحابة على عدم كتابتها في المصاحف العثمانيَّة، وهي محمولة على التَّفسير، قال القُرْطُبِيُّ رحمه الله: "أَمَّا شاذُّ القراءة عن المصاحف المتواترة فليست بقرآن، ولا يعمل بها على أَنَّها منه، وأَحسن محاملها أَنْ تكون بيانَ تأْويلِ مذهبِ من نُسبت إِليه؛ كقراءة ابن مسعود: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَاتٍ﴾". الجامع
=

﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾: عنِ أَنْ تحلِفوا باللهِ وأنتم كاذِبونَ، وعن كثرةِ الأيمانِ، لا سيَّما عندَ البيعِ والشِّراءِ[1]، واحفظُوها إذا حلَفتُم عن الحَنِثِ فِيها، إلَّا إذا كان الحَنِثُ خيرًا مِن المضيِّ فيها؛ كمَا قال تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾[2]؛ أَيْ: لا تَقولوا: إنَّا قد حلَفنا على تركِ البِرِّ، وتركِ التَّقوى، وتركِ الإصلاحِ بيْنَ النَّاسِ، فتجعلوا أَيمانَكُم مانعةً لكُم مِن هذهِ الأُمورِ التي يحبُّها اللهُ ورسولُهُ، بلِ احنَثوا وكَفِّروا وافعلوا ما هو خيرٌ وبرٌّ وتَقوى[3].

واحفَظوا -أيضًا- أَيمانَكُم إذا حلَفتُم وحَنِثتُم بالكفَّارةِ؛ فإِنَّ الكفَّارةَ بِها حِفظُ اليَمينِ الذي معناهُ: تعظِيمُ المحلوفِ بهِ، فمَن كان يحلِفُ ويحنَثُ ولا يُكَفِّرُ فما حفظَ يمينَهُ، ولا قامَ بتعظِيمِ ربِّهِ.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾: المبيِّنةِ للحلالِ مِن الحرامِ، الموضِّحةِ للأَحكامِ.

﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[٧٩]: فعلى العبادِ أَنْ يشكُروا ربَّهُم على بيانِهِ وتعليمِهِ لَهُم ما لم يكونوا يعلَمونَ، فإِنَّ العِلْمَ أَصلُ النِّعمِ، وبهِ تَتِمُّ.

لأحكام القرآن، (٤٧/١). وينظر: جامع البيان، (٥٦٠/١٠)، وتفسير القرآن العظيم، (١٧٧/٣)، وأَضواء البيان، (٢١٥/٦).

(١) أَخرج مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والْمَنِّ بالعطيَّة، وتَنْفِيق السِّلعةِ بالحَلِف، وبيان الثَّلاثة الذين لا يكلِّمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكِّيهم ولهم عذاب أَليم، (١٠٢/١) ح (١٠٦)، عن أَبي ذرٍّ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: ((ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)) قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَ مِرَارًا، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: ((الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ)).

(٢) البقرة: ٢٢٤

(٣) أَخرج مسلم في صحيحه، كتاب الأَيمان، باب ندب من حلف يمينًا فرأَى غيرها خيرًا منها، أَنْ يأْتي الذي هو خير، ويكفِّر عن يمينه، (١٢٧٢/٣) ح (١٦٥٠)، عن أَبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَلْيَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ)).

فَصْلٌ: في آياتٍ في الأَطعِمَةِ ونَحْوِها، والصُّيودِ وتوابِعِها:

قال اللهُ تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾(١)، ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾(٢)، ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾(٣)، ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾... الآية(٤)، وبعدها: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾(٥)، ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾(٦)، ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٧).

دَلَّتْ هذهِ الآياتُ الكريماتُ على أَنَّ الأَصلَ في الأَشياءِ الحِلُّ؛ مِن طعامٍ وشرابٍ وغيرِها؛ ولأَنَّ اللهَ -تعالى- خلقَ لنا ما في الأَرضِ جميعًا، ننتفِعُ بهِ بكلِّ وجوهِ الانتفاعاتِ؛ مِن أَكلٍ وشُربٍ واستعمالٍ.

وفصَّلَ لنا ما حَرَّمَ علَينا، فما لم يُذكرْ في الكتابِ والسُّنَّةِ تحريمُهُ فهُو حَلالٌ.

وأَباحَ لَنا كلَّ طيِّبٍ، وحرَّمَ علينا كلَّ خبيثٍ.

فمِن الخبائثِ المحرَّمةِ:

---

(١) البقرة: ٢٩

(٢) الأنعام: ١١٩

(٣) الأعراف: ١٥٧

(٤) تكملة الآية قوله تعالى: ﴿... وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:٣]

(٥) المائدة: ٤

(٦) الأنعام: ١٢١

(٧) الأنعام: ١٤٥

س: "فإنَّ الله"، والصَّواب: ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ﴾.

المَيْتةُ -سِوى مَيْتَةِ الجرادِ، والسَّمكِ[١]- وهي ما ماتَ حتفَ أَنفِهِ، أَو ذُكِّيَ ذكاةً غيرَ شرعيَّةٍ.

والدَّمُ الْمَسْفُوحُ[٢] كما قيَّدتْهُ الآيةُ الأُخرى[٣]، وأَمَّا الدَّمُ الذي يَبْقَى في اللَّحمِ، والعُروقِ بعدَ الذَّبحِ فإِنَّهُ طيِّبٌ حلالٌ[٤].

﴿وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾: بأَنْ ذُبِحَ لغيرِ اللهِ؛ مِن أَصنامٍ، وملائكةٍ، أَو إِنسٍ أَو جِنٍّ أَو غيرِها مِن المخلوقاتِ.

ومِن الخبائثِ: كلُّ ذِي نابٍ[٥] مِن السِّباعِ[٦]، وكلُّ ذي مِخْلَبٍ[٧] مِن الطَّيرِ؛ كما صحَّ

---

(١) أَخرج أَحمد في مسنده، (١٠/١٥- ١٦) ح (٥٧٢٣)، وابن ماجه في سننه، باب صيد الحيتان والجراد، (٣٧٢/٤) ح (٣٢١٨)، والبَيْهَقِيُّ في السُّنن الكبرى، (١٠/١٢) ح (١٩٦٩٧)، عن ابن عمرﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: ((أُحِلَّتْ لَنَا مَيْتَتَانِ، وَدَمَانِ؛ فَأَمَّا الْمَيْتَتَانِ: فَالحُوتُ وَالجَرَادُ، وَأَمَّا الدَّمَانِ: فَالْكَبِدُ وَالطِّحَالُ)). رُوي مرفوعًا وموقوفًا، ورجَّح البَيْهَقِيُّ، والدَّارَقُطْنِيُّ وقفَه على ابن عمرﷺ، قال ابن عبدالهاديﷺ: "وهو موقوفٌ في حكم المرفوع". تنقيح التَّحقيق، (٦٤٣/٤) ح (٣١٢٨)، وينظر: العِلل الواردة في الأَحاديث النَّبويَّة، (١٥٧/١٣) ح (٣٠٣٨)، وسلسلة الأَحاديث الصَّحيحة، (١١٢/٣) ح (١١١٨).

(٢) الْمَسْفُوحُ: المسال المهراق، "ومنه قولهم: سفح دمعي، أَيْ: سال". مجاز القرآن، (٢٠٧/١)، وينظر: غريب القرآن لابن قُتَيْبَة، (ص:١٦٢)، وجامع البيان، (١٩٢/١٢).

(٣) قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الأنعام:١٤٥].

(٤) قال ابن جَرِيْرﷺ: "وفي اشتراطه -جلَّ ثناؤه في الدَّم عند إعلامه عبادَه تحريمه إياه- المسفوحَ منه دون غيره، الدَّليلُ الواضح أَنَّ ما لم يكن منه مسفوحًا، فحلال غير نجس". جامع البيان، (١٩٣/١٢).

(٥) النَّابُ: "السِّنُّ الذي خلف الرَّباعِيَة". العين، ولسان العرب، مادَّة: (نيب).

(٦) السَّبْعُ: من سَبَعَتِ الذِّئابُ الغَنَمَ، إِذا وَقَعْتَ فيها فذعرتْها، وفرسَتها وأَكلتها، قال ابن قُتَيْبَةﷺ: "والفرْق بين سِباع الوحْش وبهائمها بالأَنياب، وأَنيابُها تكون في مقاديم أَفواهها مكان الأَسنان لبهائم الأَنعام، والسَّبُع كلُّ صائد أَو عاقر أَو آكل لحم، ولا تُسمَّى سَبُعًا حتَّى تكون كذلك؛ مثل: الأَسد والذِّئب والكلب". غريب الحديث، لابن قُتَيْبَة، (٢٣٥/١)، ومقاييس اللُّغة، مادَّة: (سبع)، والنِّهاية في غريب الحديث والأَثر، (٣٣٦/٢).

(٧) الخَلْبُ: الشَّقُّ والقطع، والسَّبُع يَخْلُبُ الفريسة فيشقُّ جلدها، ويُقطِّعه ويُمزِّقه بنابٍ أَو مخلب، قال ابن قُتَيْبَةﷺ: "وأَمَّا ذوات المخالب من الطَّير فهي سباع الطَّير؛ شُبِّهت بسباع الوحش لأَنَّها تصطاد، وتعقِر، وتجرح، وتأْكل اللَّحم؛ كالعقاب والبازيِّ والصَّقر، وربَّما كان من سباع الطَّير ما ليس لَهُ مخلب؛ كالنَّسر لا مخلب لَهُ، إِنَّما ظفُر كظفُر الدَّجاجة، وكالغرابِ والرَّخَمة، فإِنْ قال قائل: إِنَّ هذه ليست داخلة في التَّحريم؛ لأَنَّ رسول اللهﷺ حرَّم ذوات المخالب، قِيل لَهُ: لم يكن القصد بالتَّحريم للمخلب ولا للنَّاب، وإِنَّما المخلب علَم للسِّباع من الطَّير، كما كان النَّاب علَمًا للسِّباع من الوحش؛ لأَنَّ المخالب تكون لأَكثرها، وإِنَّما القصد بالتَّحريم لِما صاد وعقَر وأَكل
=

بذلك الحديثُ عن النَّبِيِّ ﷺ[١].

ومِن الميْتةِ: ﴿الْمُنْخَنِقَةُ﴾؛ أَيْ: التي تُخْنَقُ بالحِبالِ أَو غيرِها، أَو تَختنِقُ فتموتُ.

﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾؛ وهي التي تُضرَبُ بالحصَى أَو بالعصا حتَّى تموتَ، ومِن هذا إِذا رَمَى صيدًا فأَصاب الصَّيْدَ بعَرضِهِ فقتَلهُ[٢].

﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾؛ وهي التي تَسقُطُ مِن موضعٍ عالٍ؛ كسطحٍ، وجبلٍ فتموتُ.

﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾؛ التي تنطحُها غيرُها فتموتُ بذلكَ.

وما أَكلَهُ ذئبٌ، أَو غيرُهُ مِن السِّباعِ.

وكلُّ هذهِ المذكوراتِ إِذا لم تُدْرَكْ ذكاتُها، فإِنْ أَدركَها حيَّةً فذكَّاها حَلَّتْ؛ لقولِهِ: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾، وسواءٌ غلَبَ على الظَّنِّ بقاؤُهُ، أَو تلفُهُ إِذا لم يُذَكَّ أَم لا[٣].

ومِن المحرَّماتِ الحشراتُ، وخَشاشُ الأَرضِ؛ مِن فأْرةٍ وحيَّةٍ ووَزَغٍ، ونحوِها مِن المستخبَثةِ؛ شرعًا، وطَبْعًا[٤].

اللَّحم، وكلُّ ما فعل ذلك فهو محرَّم، وإن لم يكن ذا مخلبٍ". غريب الحديث، (١/٢٣٨)، وينظر: العين، مادَّة: (خلب)، وكشْف الْمُشْكِل من حديث الصَّحيحين، لابن الجوْزي، (٢/٤٦٩).

(١) أَخرج مسلم في صحيحه، كتاب الصَّيد والذَّبائح وما يؤكل من الحيوان، باب تحريم أَكل كلِّ ذي ناب من السِّباع، وكلِّ ذي مِخلب من الطَّير، (٣/١٥٣٤) ح (١٩٣٤)، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، قال: ((نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ، وَعَنْ كُلِّ ذِي مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ)).

(٢) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الذَّبائح والصَّيد، باب صيد الْمِعْرَاض، (٧/٨٦) ح (٥٤٧٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الصَّيد والذَّبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الصَّيد بالكلاب المعلَّمة، (٣/١٥٢٩) ح (١٩٢٩)، عن عديِّ بن حاتم رضي الله عنه، قال: سأَلت رسول الله ﷺ عن المِعْرَاضِ، فقال: ((إِذَا أَصَبْتَ بِحَدِّهِ فَكُلْ، فَإِذَا أَصَابَ بِعَرْضِهِ فَقَتَلَ فَإِنَّهُ وَقِيذٌ فَلَا تَأْكُلْ)).

(٣) قال القُرْطُبِيُّ رحمه الله: "قال إِسحاق بن راهويه: السُّنَّة في الشَّاة على ما وصف ابن عبَّاس، فإِنَّها وإِنْ خرجت مصارينها فإِنَّها حيَّة بعد، وموضع الذَّكاة منها سالم، وإِنَّما ينظر عند الذَّبح أَحيَّة هي أَم ميْتة؟ ولا ينظر إِلى فعل هل يعيش مثلها؟ فكذلك المريضة، قال إِسحاق: ومن خالف هذا فقد خالف السُّنَّة من جمهور الصَّحابة، وعامَّة العلماء". الجامع لأَحكام القرآن، (٦/٥٠).

(٤) س: "طِبًّا"، ويظهر أَنَّه خطأ في النَّسخ.

ومن المعلوم أَنَّ طِباعَ النَّاس مختلفة؛ فمنهم مَن يستخبث الطَّيِّب، ويستطيب الخبيث، ومنهم من اعتاد على شيء فاستطابه، ولم يعتد على شيء فاستخبثه، وعليه يكون الحِلُّ والتَّحريم أَمرًا نسبيًّا، ومرجعه أَعراف النَّاس =

ومِن المحرَّماتِ: ما ذُكِّيَ ذكاةً غيرَ شرعيَّةٍ؛ إمَّا أنَّ الذَّابحَ غيرُ مسْلمٍ ولا كتابيٍّ، وإمَّا أنْ يذبَحَها في غيرِ محَلِّ الذَّبحِ -وهي مَقدورٌ عليها- وإمَّا أنْ لا يَقطعَ حُلقومَها[1] ومَرِيَّها[2]، وإمَّا أنْ يذبَحَها بغيرِ ما يُنهِرُ الدَّمَ، أو بعظمٍ أو ظُفُرٍ[3].

وما أَمَرَ الشَّارِعُ بقتلِهِ[4]، أو نَهى عن قتلِهِ[5] دلَّ على تحريمِهِ، وخُبثِهِ.

وكلُّ هذهِ الأشياءِ تحريمُها في حالِ السَّعةِ، وأمَّا إذا اضطُرَّ إليها: ﴿غَيۡرَ بَاغٖ﴾: لأكلِها قبلَ أنْ يُضطرَّ، ولا مُتعدٍّ إلى الحرامِ -وهو يقدِرُ على الحلالِ- فإنَّهُ إذا اضطُرَّ إليها: ﴿غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[6]، مِن رحمتِهِ أباحَ المحرَّماتِ في حالِ الضَّرورةِ.

ومِن رحمتِهِ وسَّعَ لعبادِهِ طُرُقَ الحلالِ، فأَباحَ الصَّيدَ إذا جُرحَ في أيِّ موضعٍ مِن بدنِهِ[٨٠]، وأَباحَ صيدَ السِّهامِ إذا سمَّى الرَّامِيَ عندَ رميِها[7].

وعاداتهم، وطبائعهم، فيكون الشَّيء حلالًا عند قوم، حرامًا عند آخرين، والصَّحيح أنَّ الوصف بالخبث علَّة لِما حرَّمه الشَّرع، وأنَّ الله حرَّم علينا ما كان خبيثًا. ينظر: الشَّرح المُمْتِع، (٢٣/١٥).

(١) الحُلْقُومُ: مَجْرى النَّفَس، وهو أَطباقُ غَرَاضِيفَ، ليس دُونَه من ظاهر باطن العنق إلَّا جلْد. ينظر: تهذيب اللُّغة، ولسان العرب، مادَّة: (حلقم).

(٢) الْمَرِيءُ، والْمَرِيُّ: مجرى الشَّراب والطَّعام من الحلْق. ينظر: العين، ولسان العرب، مادَّة: (مرأ).

(٣) أخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الذَّبائح والصَّيد، باب التَّسمية على الذَّبيحة، ومن ترك متعمِّدًا، (٩١/٧) ح (٥٤٩٨)، واللَّفظ لَهُ، ومسلم في صحيحه، كتاب الصَّيد والذَّبائح وما يؤكل من الحيوان، باب جواز الذَّبح بكلِّ ما أنهر الدَّم، إلَّا السِّن، والظُّفُر، وسائر العظام، (١٥٥٨/٣) ح (١٩٦٨)، عن رَافِع بن خَدِيجٍ رضي الله عنه، قال: قال النَّبيُّ ﷺ: ((مَا أَنْهَرَ الدَّمَ وَذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَكُلْ، لَيْسَ السِّنَّ وَالظُّفُرَ، وَسَأُخْبِرُكُمْ عَنْهُ: أَمَّا السِّنُّ فَعَظْمٌ، وَأَمَّا الظُّفُرُ فَمُدَى الحَبَشَةِ)).

(٤) أخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب خمس من الدَّواب فواسق، يقتلن في الحرم، (١٢٩/٤) ح (٣٣١٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحجِّ، باب ما يندب للمحرِم وغيره قتله من الدَّواب في الحلِّ والحرم، (٨٥٧/٢) ح (١١٩٨)، عن عائشة رضي الله عنها عن النَّبيِّ ﷺ، قال: ((خَمْسٌ فَوَاسِقُ، يُقْتَلْنَ فِي الحَرَمِ: الفَأْرَةُ، وَالعَقْرَبُ، وَالحُدَيَّا، وَالغُرَابُ، وَالكَلْبُ العَقُورُ)).

(٥) أخرج أحمد في مسنده، (١٩٢/٥) ح (٣٠٦٦)، وابن ماجه في سننه، باب ما ينهى عن قتله، (٣٧٧/٤) ح (٣٢٢٤)، وأبو داود في سننه، كتاب الآداب، باب في قتل الذَّرِّ، (٣٦٧/٤) ح (٥٢٦٧)، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: ((نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ قَتْلِ أَرْبَعٍ مِنَ الدَّوَابِّ: النَّمْلَةِ، وَالنَّحْلَةِ، وَالْهُدْهُدِ، وَالصُّرَدِ)).
قال الألبانيُّ رحمه الله: "وهذا إسناد صحيح على شرط الشَّيخين". إرواء الغَليل، (١٤٢/٨) ح (٢٤٩٠).

(٦) النحل: ١١٥

(٧) لحديث عديِّ بن حاتم رضي الله عنه، (ص:٦٠).

وأَباحَ -أَيضًا- صيدَ الكِلابِ المعلَّمةِ، والطُّيورَ المعلَّمةِ.

والتَّعليمُ يَختلفُ باختلافِ الحيواناتِ، قال العُلماءُ[1]: تعليمُ الكلْبِ:

- أَنْ يَسترسِلَ إذا أُرسِلَ.

- ويَنْزَجِرَ إذا زُجِرَ.

- وإذا أَمسَكَ لم يأْكلْ مِن صيدِهِ؛ لِقولِهِ: ﴿فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾؛ أَيْ: عند إرسالِها لقصدِ الصَّيدِ.

---

(١) لعلَّ الشَّافعيَّ رحمه الله هو أَوَّل من ذكر هذه الشُّروط مجتمعة، كما في الأُم، (٢/٢٤٨)، وينظر: جامع البيان، (٩/٥٦٤).

فَصْلٌ: في جَوامِعِ الحُكْمِ والقَضاءِ(١) فِي الأُصُولِ والفُرُوْعِ:

قال اللهُ تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾(٢)، ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾(٣)، ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾(٤)، ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾(٥)، ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾(٦)، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(٧)، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾(٨).

الحكمُ بيْنَ النَّاسِ بالحقِّ والقِسطِ هو الحُكمُ بِما أَنزلَ اللهُ، وبِما أَراهُ اللهُ رسولَهُ(٩)؛ فإِنَّ هذهِ الآياتِ يُصدِّقُ بعضَها بعضًا(١٠)؛ وتدلُّ على أَنَّ الحقَّ والعدلَ لا يَخرجُ عمَّا جاءَ بهِ الرَّسولُ، وأَنَّ حُكمَ اللهِ ورسولِهِ ﴿أَحْسَنُ﴾: الأَحكامِ على الإِطلاقِ؛ أَيْ: أَعدَلُها وأَقومُها، وأَصلَحُها، وأَحسَمُها لِلشُّرورِ، وأَعظمُ أَحكامٍ تُوُسِّل بِها إِلى تحصيلِ المصالحِ ودرءِ المفاسدِ، وأَنَّ ردَّ مسائلِ النِّزاعِ والاختلافاتِ الدِّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ إِلى اللهِ والرَّسولِ خيرٌ في الحالِ، وأَحسنُ عاقبةً.

وأَنَّ كلماتِ اللهِ تمَّتْ وكمُلتْ مِن كلِّ وجْهٍ: ﴿صِدْقًا﴾: في أَخبارِها، ﴿عَدْلًا﴾: في أَحكامِها، وأَوامِرِها، ونواهِيها، فكلُّ مسأَلةٍ خارجةٍ عن العَدلِ إِلى الظُّلمِ، وعن الصَّلاحِ إِلى الفَسادِ، فليسَتْ مِن الشَّرعِ(١١).

---

(١) س: "القضايا".

(٢) المائدة: ٤٩

(٣) النساء: ١٠٥

(٤) المائدة: ٤٢

(٥) النساء: ٥٩

(٦) ص: ٢٦

(٧) المائدة: ٥٠

(٨) الأنعام: ١١٥

(٩) س: "وهو الرَّدُّ إلى الله ورسوله".

(١٠) هذا نوع من تفسير القرآن بالقرآن.

(١١) قال ابن تَيميَّة رحمه الله: "فبيَّن سبحانه وتعالى أنَّه أنزل الكتاب، وأَنزل العدل، وما به يُعرف العدل؛ ليقوم النَّاس بالقسط، وأَنزل الحديد؛ فمَن خرج عن الكتاب والميزان قوتل بالحديد؛ فالكتاب والعدل متلازمان، والكتاب هو المبيِّن للشَّرع؛ فالشَّرع هو العدل، والعدل هو الشَّرع، ومَن حكم بالعدل فقد حكم بالشَّرع، ولكن كثيرًا من النَّاس ينسبون ما =

وقد جاءَ شرْعُ اللهِ محُكَمَ الأُصولِ والفُروعِ، موافقًا للمعقولِ الصَّحيحِ، والاعتبارِ والميزانِ العادلِ.

وقد حَكَمَ اللهُ ورسولُهُ بأَحكامٍ مُتنوِّعةٍ متفرِّعةٍ عن هذا الأَصلِ العَظيمِ، وتفصيلٍ لمجملِهِ؛ فحَكَمَ اللهُ بأَنَّ إِقرارَ مَن عليهِ الحقُّ مُعتبرٌ في القَليلِ والكثيرِ؛ كما تقدَّمَ التَّنبيهُ عليهِ في آيةِ الدَّيْنِ(١).

وحَكَمَ بأَنَّ البَيِّنَةَ على المدَّعِي لإِثباتِ حقٍّ، أَو المدَّعِي براءةَ الذِّمَّةِ مِن الحُقوقِ الثَّابتةِ، وأَنَّ اليمينَ على مَن أَنكرَ(٢).

وهاتانِ القاعدتانِ عليهما مدارُ جمهورِ القَضايا:

- اعتبارُ إِقرارِ مَن عليهِ الحقُّ إِذا كان جايزَ(٣) التَّصرفِ.

- وتكليفُ المدَّعِينَ كلِّهِم بالبيِّنَاتِ.

والبَيِّنَةُ شَرعًا: اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما بَيَّنَ الحقَّ(٤).

يقولونه إلى الشَّرع وليس من الشَّرع". مجْمُوع الفَتاوَى، (٣٥/٣٦٦)، وينظر: التَّسهيل لعلوم التَّنزيل، (١/٢٧٣)، وتفسير القرآن العظيم، (٣/٣٢٢).

(١) عند قوله تعالى: ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ [البقرة:٢٨٢]، في: (ص:٦)، ومِن هذا أَخذ العلماء قاعدة: "الْمَرْءُ مُؤَاخَذٌ بِإِقْرَارِهِ". شرح القواعد الفِقهيَّة، للزَّرقاء، (ص:٤٠١)، والقواعد الفِقهيَّة وتطبيقاتها، (١/٥٧٤).

(٢) أخرج مسلم في صحيحه، كتاب الأَقضية، باب اليمين على المدَّعى عليه، (٣/١٣٣٦) ح (١٧١١)، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: ((لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ، لَادَّعَى نَاسٌ دِمَاءَ رِجَالٍ وَأَمْوَالَهُمْ، وَلَكِنَّ الْيَمِينَ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ)).

وعند البَيْهَقِيِّ في سننه الصُّغرى، كتاب الدَّعوى والبيِّنات، باب البيِّنة على المدَّعي، واليمين على من أَنكر، (٤/١٨٨) ح (٣٣٨٦)، ((وَلَكِنَّ الْبَيِّنَةَ عَلَى الْمُدَّعِي، وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ)).

قال الأَلبانيُّ رحمه الله: "صحيح". مِشْكاة المصابيح، (٢/١١١٠) ح (٣٧٥٨)، وإِرواء الغَلِيْل، (٨/٣٠٧) ح (٢٦٨٥).

(٣) "جايز"، على وزن فاعل، وقد وقعت الياء عينًا لاسم الفاعل، فيجب أَنْ تقلب إلى همزة، وأَصلها"جاوز"، فتقلب همزة، فيُقال: جائز. ينظر: شذا العَرف في فنِّ الصَّرف، (ص:١٢٣-١٢٤).

(٤) نصَّ على ذلك ابن القَيِّم رحمه الله في الطُّرق الحُكميَّة، (ص:٢٤).

والبيانُ مراتبُ؛ بعضُها يصلُ إلى درجةِ اليَقينِ، وبعضُها -كالقَرَائِنِ(١)، وشواهدِ الأَحوالِ- تُوصلُ إلى غَلَبةِ الظَّنِّ.

والتَّرجيحاتُ كثيرةٌ جدًا، وعندَ تساوي التَّرجيحاتِ، ومقاديرِ الأَشياءِ، وكمِّياتِها بالتَّوسط بينَها؛ إمَّا بقسمتِها متساويةً، وجَعْلِ الزِّيادةِ والنَّقصِ بحسَبِ ذلكَ، وإلَّا بالقُرْعَةِ(٢) إذا تعذَّرتِ القِسْمةُ(٣).

ومِن أَحكامِ الشَّارعِ العادِلةِ: إلغاؤهُ المعاملاتِ الظَّالمةَ الجائرةَ؛ كأَنواعِ الغَرَرِ، والظُّلمِ، والميلِ على أَحدِ المتعامِلَينِ بغيرِ حقٍّ(٤).

ومِن أَحكامِهِ الكُلِّيَّةِ: اعتبارُهُ التَّراضيَ بينَ المتعاملِينَ(٥) في عقودِ المعاوضاتِ(٦)، وفي عُقودِ التَّبرعاتِ(٧)، وأَنَّهُ: ((لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، -أَو مُعاهدٍ- إِلَّا بِطِيبِ نَفْسِهِ))(٨).

---

(١) القَرِيْنَةُ: من المقارنة والمصاحبة، وهي: علامة دالَّة على شيء مطلوب، وأَمارة ترجِّح أَحد الجوانب عند الاشتباه. ينظر: التَّعريفات، (ص:١٧٤)، والكُلِّيَّات، (ص:٧٣٤)، والموسوعة الفِقهيَّة الكويتيَّة، (٤/٣٠٢، ٣٤/٩٣-٩٤).

(٢) القُرْعَةُ: من الاقتراع، وهو الاختيار بإلقاء السِّهام ونحوها، وليست من الميسر؛ لأَنَّ تمييز الحقوق ليس ميسرًا، وليست من الاستقسام المنهي عنه؛ الذي فيه تعرُّض لعلم الغيب الذي استأْثر الله به، في حين أَنَّ القُرعة تميِّزُ نصيبًا موجودًا، فهي أَمارة على إثبات حكم؛ قطعًا لخصومة، أَو إزالة لإبهام. ينظر: أَحكام القرآن، للْكِيَا الْهَرَّاسِيّ، (٣/٢١)، والجامع لأَحكام القرآن، (٤/٨٦)، والطُّرق الحُكميَّة، (ص:٢٤٥-٢٤٩)، والموسوعة الفِقهيَّة الكويتيَّة، (٤/٨١).
وسيأْتي بعض أَدلَّة القُرعة، وكلام المؤلِّف عنها: (ص:٦، ٦).

(٣) قال ابن عبدالسَّلام ﷺ: "وإنَّما شرعت القُرعة عند تساوي الحقوق دفعًا للضَّغائن والأَحقاد، وللرِّضاء بما جرت به الأَقدار". قواعد الأَحكام، (١/٩٠)، وينظر: القواعد لابن رَجَب، (ص:٣٤٨).

(٤) نهى الشَّرع عن الرِّبا والميسر؛ لِما فيهما من الظُّلم، وأَكل المال بالباطل، ونهى عن عدد من المعاملات؛ كبيع الغرر، والمجهول، وبيع الثَّمر قبل بُدُوِّ صلاحه، وغير المقدور على تسليمه، وبيع الملامسة والمنابذة، وبيع الحَصَاة، ونحوها. ينظر: أَحكام القرآن، للجصَّاص، (٣/١٣١)، وإعلام الموقِّعين، (١/٢٩٢)، وفَتْح البَارِي، لابن حَجَر، (٤/٣٥٨).

(٥) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡ﴾ [النساء:٢٩]، وهذا هو دليل قاعدة: "الأَصل في العقود رضا المتعاقدين". القواعد النُّورانيَّة، (ص:٢٨٠).

(٦) سبق تعريفاها: (ص:٦).

(٧) عُقُودُ التَّبَرُّعَاتِ: هي التي يقصد بها الإرفاق والإحسان؛ كالهبة، والعطيَّة، والصَّدقة، والقرض الحسن، والإعارة، والوقف، والوصيَّة. ينظر: منهج السَّالكين، (ص:١٩٥)، والإفادة من مال اليتيم، (ص:٢٨٩).

(٨) أَخرجه الدَّارَقُطْنِيُّ في سننه، دون قوله: "أَو معاهد"، كتاب البيوع، (٣/٤٢٢) ح (٢٨٨١)، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وبنحوه أَخرجه أَحمد في مسنده، (٣٤/٥٦٠) ح (٢١٠٨٢)، عن عمرو بن يَثْرِبِي رضي الله عنه.

=

ومِن أَحكامِهِ الكُلِّيَّةِ: منعُ الضَّررِ والإضرارِ(١) بغيرِ حقٍّ(٢)؛ في كلِّ معاملةٍ(٣)، وخُلْطَةٍ(٤)، وجِوارٍ(٥)، واتِّصالٍ(٦).

ومِن أَحكامِهِ الكُلِّيَّةِ: أَنَّ على العمَّالِ تكميلَ أَعمالِهم بغيرِ نقصٍ، وعلى مَن عملَ لَهم تكميلَ أُجورِهم(٧)[٨١].

قال الألبانيُّ رحمه الله: "صحيح". إرواء الغَلِيْل، (٢٧٩/٥) ح (١٤٥٩).

(١) هذه قاعدة فقهيَّة كُليَّة متَّفق عليها، وأَصلها ما أَخرجه أَحمد في مسنده، (٥٥/٥) ح (٢٨٦٥)، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وابن ماجه في سننه، كتاب الأَحكام، باب من بنى في حقِّه ما يضرُّ بجاره، (٧٨٤/٢) ح (٢٣٤٠)، عن عُبادة بن الصَّامت رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ)).
حسَّنه النَّوَوِيُّ، وصحَّحه الأَلبانيُّ رحمه الله. ينظر: الأَربعون النَّوَوِيَّة، (ص:٩٧)، وإرواء الغَلِيْل، (٤٠٨/٣) ح (٨٩٦).
قال ابن العربيِّ رحمه الله: "وأَجمعت الأُمَّة على معنى الحديث". القَبس في شرح موطَّإ مالك بن أَنس، (ص:٩٢٨).
وينظر: تفسير الرَّازي، (٣١٧/١١)، والأَشباه والنَّظائر، للسُّيُوطِي، (ص:٧).
أَمَّا الضَّرر والإِضْرارُ: فقِيل: معناهما واحد.
وقِيل: لا يَضرُّ أَحد أَحدًا ابتداء، ولا يضرُّه إِنْ ضرَّه وليصبر، ولا يعتدي إِنْ انتصر.
وقِيل: لا يُدخل على أَحد ضررًا لم يدخله على نفسه، ولا يُضارَّ أَحد بأَحد.
وقِيل: الضَّرر الذي لك فيه منفعة، وعلى جارك فيه مضرَّة، والضِّرار ما ليس لك فيه منفعة، وعلى جارك فيه مضرَّة.
وقال العُثَيْمِين رحمه الله: "الضَّرر يحصل بدون قصد، والمضارَّة بقصد، ولهذا جاءت بصيغة المفاعلة". شرح الأَربعين النَّوَوِيَّة، (ص:٣٥٣)، وينظر: الاستذكار، (١٩١/٧)، والجامع لأَحكام القرآن، (٢٥٤/٨).

(٢) قال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب:٥٨].

(٣) كالتَّدليس، والغشِّ، وكتم العيب، والنَّجش، وتلقي الرُّكبان، والبيع على بيع أَخيه، والشِّراء على شرائه، كلُّ هذا من المضارَّة المنهيِّ عنها. ينظر: بهجة قلوب الأَبرار، (ص:٤٦).

(٤) الخُلْطَةُ: الشَّرِكَةُ، فتحرم مُضارَّة الشَّريك لشريكه، ولذلك شُرعت الشُّفعة لإزالة الضَّرر عنه، قال عز وجل: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾ [ص:٢٤].
قال ابن جُزَيٍّ رحمه الله: "وقصد داود بهذا الكلام الوعظ للخصم الذي بَغى، والتَّسلية بالتَّأَسِّي للخصم الذي بُغي عليه". التَّسهيل لعلوم التَّنزيل، (٢٠٦/٢)، وينظر: مُختار الصِّحاح، مادة، (خلط)، وبهجة قلوب الأَبرار، (ص:٤٧، ١١٠).

(٥) فيحرم إلحاق الضَّرر بالجار بقول أَو فعل، قال المؤلِّف رحمه الله: "حتَّى إِنَّه لا يحلُّ لَهُ أَنْ يحدث بملكه ما يضرُّ بجاره، فضلًا عن مباشرة الإضرار به". بهجة قلوب الأَبرار، (ص:٤٧).

(٦) لعلَّ المراد: كلُّ مَن للإِنسان بهم صلة واتِّصال بنسب أَو مصاهرة، أَو صداقة، أَو عمل أَو غيرها.

(٧) حتَّى لا يرتكبوا ما نهى الله عنه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة:١٨٨]، وقال عز وجل: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين:١-٣].
=

ومِن أَحكامِهِ الكُلِّيَّةِ: إيجابُهُ الوفاءَ بالعُقودِ[(١)]، والشُّروطِ التي يَشترطُها أَحدُ المتعاقدَينِ على الآخرِ -في أَبوابِ العُقودِ كلِّها؛ مِمَّا لكلٍّ مِنهُما، أَو لأَحدِهِما فيهِ مَصْلَحةٌ- ((إِلَّا شَرطًا أَحَلَّ حَرامًا أَوْ حَرَّمَ حَلالًا))[(٢)]، فهذا قد أَهدرَهُ الشَّارِعُ، وأَلغاهُ، وقال: ((مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ))[(٣)].

ومِن أَحكامِهِ الكُلِّيَّةِ: اعتبارُ المقاصدِ والنِّياتِ في أَبوابِ المعاملاتِ، والأَعمالِ، كَمَا تُعتَبرُ في بابِ العباداتِ، وبِهذا الأَصلِ أَبْطَلَ جميعَ الحِيلِ التي يُتوسَّلُ بِها إلى فعلِ محرَّمٍ، أَو إِسقاطِ حقِّ مسلمٍ، ونحوِها[(٤)].

ومِن أَحكامِهِ الكُلِّيَّةِ: أَنَّ جميعَ العقودِ اللَّازمةِ والجائزَةِ -عقودِ المعاوَضَةِ، وعقودِ التَّبرُّعِ، وكذلكَ الفُسُوخُ[(٥)]- تنعقدُ بِما دلَّ عليها مِن الأَلفاظِ التي يَتعارفُها الْمُتعاقِدانِ، ومِن الأَفعالِ الدَّالَّةِ على ذلكَ[(٦)].

ومِن أَحكامِهِ الكُلِّيَّةِ: أَنَّ تَلفَ الشَّيءِ بيدِ الظَّالِمِ -كالغاصِبِ[(٧)] ونحوِهِ[(٨)]- فيهِ الضَّمانُ،

وأَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الإجارة، باب إثم من منع أجر الأَجير، (٩٠/٣) ح (٢٢٧٠)، عن أَبي هريرةرضي الله عنه، عن النَّبيِّصلى الله عليه وسلم قال: ((قَالَ اللَّهُ -تَعَالَى-: ثَلاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ)).

وهناك استنباطات لطيفة في الإجارة، في قصَّة موسىعليه السلام مع صاحب مَدْيَن: (ص:٦-٦).

(١) لقولهسبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة:١].

(٢) سبق تخريجه: (ص:٦).

(٣) أَخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأَقضية، باب نقض الأَحكام الباطلة، وردِّ محدثات الأُمور، (١٣٤٣/٣) ح (١٧١٨)، عن عائشةرضي الله عنها.

(٤) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الحيل، باب في ترك الحيل، وأَنَّ لكلِّ امرئ ما نوى في الأَيمان وغيرها، (٢٢/٩) ح (٦٩٥٣)، واللَّفظ لَهُ، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب قولهصلى الله عليه وسلم: ((إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ))، وأَنَّه يدخل فيه الغزو وغيره من الأَعمال، (١٥١٥/٣) ح (١٩٠٧)، عن عمررضي الله عنه، قال: سمعت النَّبيَّصلى الله عليه وسلم يقول: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى. . .)).

ومن هذا الحديث أَخذ العلماء القاعدة الفِقهيَّة الكُلِّيَّة: "الأُمور بمقاصدها". الأَشباه والنَّظائر، للسُّبْكِي، (٥٤/١)، والأَشباه والنَّظائر، للسُّيُوطِي، (ص:٨) والأَشباه والنَّظائر، لابن نُجَيْم، (ص:٢٣).

(٥) سبق تعريفه: (ص:٦).

(٦) قرَّر هذا ابن تَيميَّةرحمه الله، ثمَّ قال: "وهذه القاعدة الجامعة التي ذكرناها مِن أَنَّ العقود تصحُّ بكلِّ ما دلَّ على مقصودها من قول أَو فعل، هي التي تدلُّ عليها أُصول الشَّريعة، وهي التي تعرفها القلوب". القواعد النُّورانيَّة، (ص:١٦٠).

(٧) سبق تعرف الغصب: (ص:٦).

(٨) كالسَّارق.

فرَّطَ[١] أَو لم يُفَرِّطْ؛ فإنَّ ثبوتَ يدِهِ على وجهِ الظُّلمِ والعُدوانِ[٢].

وأَنَّ تَلَفَ الشَّيءِ تحتَ يدِ الأَمينِ لا ضَمانَ فيهِ[٣]، إِنْ لم يُفرِّطْ، أَو يتَعَدَّ[٤].

ومِن أَحكامهِ الكُلِّيَّةِ: أَنَّ الشَّيءَ المشكوكَ فيهِ يُرجعُ فيهِ إِلى اليَقينِ[٥]؛ في العِباداتِ والْمُعاملاتِ؛ فمَن ادَّعى الأَصلَ فقولُهُ مقبولٌ، ومَن ادَّعى خلافَ الأَصلِ لم يُقبل إِلَّا ببيِّنةٍ.

وأَنَّ: الأَصلَ بقاءُ ما كانَ على ما كانَ[٦]، والأَصلَ: براءةُ الذِّمةِ حتَّى يُتيقَّنَ اشتغالُها[٧].

كمَا أَنَّ الأَصلَ بقاءُ ما كان ثابتًا في الذِّمةِ حتَّى يُتيقَّنَ البَراءةُ[٨]؛ بوفاءٍ[٩] أَو إِسقاطٍ[١٠] أَو سُقوطٍ[١١].

---

(١) التَّفرِيْطُ: التَّقصير والتَّضييع، وترك ما يجب. ينظر: الصِّحاح، مادَّة: (فرط)، والشَّرح الْمُمْتِع، (١٩٧/٩).

(٢) قال البَيْهَقِيُّ رحمه الله: "وأَمَّا غُرمُ السَّارق: فقد روينا عن سَمُرة بن جُندُب عن النَّبيِّ ﷺ: ((عَلَى الْيَدِ مَا أَخَذَتْ حَتَّى تُؤَدِّيَهُ))". السُّنن الصُّغرى، (٣١٧/٣)، وينظر: حاشية السِّندي على سنن ابن ماجه، (٧٣/٢).
قال التِّرمذيُّ رحمه الله: "هذا حديث حسن". سنن التِّرمذي، (٥٥٧/٢) ح (١٢٦٦)
وقال الأَلبانيُّ رحمه الله: "ضعيف". إرواء الغَلِيْل، (٣٤٨/٥) ح (١٥١٦).

(٣) سيأْتي تعليل المؤلِّف على هذا، مع التَّعليق عليه: (ص:٦٠).

(٤) التَّعدِّي: التَّصرف في ملك الغير، ومجاوزة ما ينبغي أَنْ يقتصر عليه. ينظر: مقاييس اللُّغة، مادَّة: (عدو)، والتَّعريفات (ص:١٤٤)، والشَّرح الْمُمْتِع، (١٩٧/٩).

(٥) لأَنَّ من القواعد الكُلِّيَّة المتَّفق عليها: "الْيَقِينُ لَا يُزَالُ بِالشَّكِّ"؛ لما أَخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطَّهارة، باب الدَّليل على أَنَّ من تيقَّن الطَّهارة، ثمَّ شكَّ في الحدث فله أَنْ يصلي بطهارته تلك، (٢٧٦/١) ح (٣٦٢)، عن أَبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ فِي بَطْنِهِ شَيْئًا، فَأَشْكَلَ عَلَيْهِ أَخَرَجَ مِنْهُ شَيْءٌ أَمْ لَا، فَلَا يَخْرُجَنَّ مِنَ الْمَسْجِدِ حَتَّى يَسْمَعَ صَوْتًا، أَوْ يَجِدَ رِيحًا)).
ينظر: الأَشباه والنَّظائر، للسُّيُوطِي، (ص:٥٠)، وشرح القواعد الفِقهيَّة، للزَّرقاء، (ص:٧٩).

(٦) هذه قاعدة فقهيَّة مندرجة تحت القاعدة الكُلِّيَّة: "الْيَقِينُ لَا يُزَالُ بِالشَّكِّ". ينظر: الأَشباه والنَّظائر، للسُّيُوطِي، (ص:٥١)، والأَشباه والنَّظائر، لابن نُجَيْم، (ص:٤٩)، وشرح القواعد الفِقهيَّة، (ص:٨٧).

(٧) هذه قاعدة فقهيَّة مندرجة تحت القاعدة الكُلِّيَّة: "الْيَقِينُ لَا يُزَالُ بِالشَّكِّ". الأَشباه والنَّظائر، للسُّبْكِي، (٢١٨/١)، والقواعد، لابن رَجَب، (ص:٣٣٦)، والأَشباه والنَّظائر، للسُّيُوطِي، (ص:٥٣).

(٨) هذه قاعدة فقهيَّة نصَّ عليها عدد من العلماء مع اختلاف في عباراتهم، قال المؤلِّف رحمه الله: "الأَصل بقاء ما اشتغلت به الذِّمم من حقوق الله، وحقوق عباده، حتَّى يُتَيَقن البراءة والأَداء". رسالة لطيفة جامعة في أُصول الفِقه المهمَّة، (ص:١٠١)، وينظر: القواعد، لابن رَجَب، (ص:٣٣٦)، والأَشباه والنَّظائر، للسُّيُوطِي، (ص:٧٠).

(٩) كأَنْ يُخرج كفارةَ اليمين التي وجبت عليه، ويوفِّ الدَّين الذي وجب في ذمَّته لشخص آخر.

(١٠) كأَنْ يُسامِحه صاحبُ الحقِّ مِن الدَّين الذي لزمه.

(١١) كمَن ذهب عقله؛ فإِنَّ التَّكاليف الشَّرعيَّة تسقط عنه.

وأَنَّ الأَصلَ في عقودِ المسلِمينَ الصِّحةُ والسَّلامةُ حتَّى نعرِفَ أَنَّهُ جرى ما يُفسدُها(١).

ومِن أَحكامِهِ الكُلِّيَّةِ: أَنَّ جميعَ الأَحكامِ؛ مِن أُصولٍ وفُروعٍ لا تَتِمُّ وتَكمُلُ، ويَحصلُ مُقتضاها إِلَّا باجتماعِ شُروطِها، وأَركانِها، ومُقوِّماتِها، وانتفاءِ موانِعِها، ومُفسِداتِها(٢).

ومِن أَحكامِهِ الكُلِّيَّةِ: وجوبُ الْمُماثلةِ في الْمُتْلَفاتِ، والْمَضْمُوناتِ بمثلِها إِنْ أَمكنَ الْمِثلُ، وبالقِيمةِ إِنْ تعذَّرَ الْمِثلُ(٣)، وكذلكَ الأَعمالُ، فمَن عمِلَ لغيرِهِ عملًا بعِوضٍ لم يُسَمَّ، أَو سُمِّيَ تَسميةً فاسدةً، أَو جُهِلتِ التَّسميةُ، أَو عاوَضَهُ مُعاوَضَةً تعذَّرَ معرفةُ العِوضِ فِيها، فإِنَّهُ يُرجَعُ في ذلكَ إِلى أُجرةِ المثْلِ، وعِوضِ المثْلِ(٤).

ومِن أَحكامِهِ الكُلِّيَّةِ: وجوبُ العدلِ بيْنَ الأَولادِ(٥) والزَّوجاتِ(٦)، ووجوبُ العَدلِ بيْنَ ذوي الحُقوقِ، الذين لا مزيَّةَ لواحدٍ مِنهُم على الآخرِ؛ كالعَوْلِ(٧) الدَّاخلِ على أَهلِ الفُروضِ بالسَّويَّةِ؛

---

(١) هذه قاعدة فقهيَّة، ذكرها عدد من العلماء، بألفاظ مُتقاربة. ينظر: الأَشباه والنَّظائر، للسُّبْكِي، (١/٢٥٣)، والقواعد، لابن رَجَب، (ص:٣٤٠)، ومَجْمُوع الفَتاوَى، (٣٠/١٨٩)، والقواعد الفِقهيَّة وتطبيقاتها، (٢/٨٢٥).

(٢) ذكر هذا القَرَافِيُّ، والشَّاطِبِيُّ رحمهما الله، قال المؤلِّف رحمه الله: "لاتتِمُّ الأَحكام إِلَّا بوجود شروطها، وانتفاء موانعها". رسالة لطيفة جامعة في أُصول الفِقه، (ص:١٠٤)، وينظر: أَنوار البُروق، (١/١٢٨)، والموافَقات، (١/٣٤٤-٣٤٥).

(٣) نصَّ على هذا ابن عبدالسَّلام، في قواعد الأَحكام، (٢/١٩٦).

ومن أَدلَّة ذلك قوله: تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا﴾ [المائدة:٩٥].

وأَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب المظالم والغصب، باب إِذا كسر قصعة أَو شيئًا لغيره، (٣/١٣٦) ح (٢٤٨١)، عن أَنس رضي الله عنه: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ خَادِمٍ بِقَصْعَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتْ بِيَدِهَا، فَكَسَرَتِ القَصْعَةَ، فَضَمَّهَا، وَجَعَلَ فِيهَا الطَّعَامَ، وَقَالَ: ((كُلُوا))، وَحَبَسَ الرَّسُولَ، وَالقَصْعَةَ حَتَّى فَرَغُوا، فَدَفَعَ القَصْعَةَ الصَّحِيحَةَ، وَحَبَسَ الْمَكْسُورَةَ".

(٤) ذكره ابن رَجَب، والسُّيُوطِيُّ رحمهما الله. ينظر: القواعد، لابن رَجَب، (ص:١٣٥)، والأَشباه والنَّظائر، (ص:٣٦٣).

(٥) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الهبة وفضلها والتَّحريض عليها، باب الهبة للولد، وإِذا أَعطى بعض ولده شيئًا لم يجز، حتَّى يعدل بينهم، ويعطي الآخرين مثله، ولا يُشهد عليه، (٣/١٥٨) ح (٢٥٨٧)، عن النُّعمان بن بَشيرٍ رضي الله عنهما، قال: "أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً، فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فَأَمَرَتْنِي أَنْ أُشْهِدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ((أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟))، قَالَ: لَا، قَالَ: ((فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ))، قَالَ: فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ".

(٦) قال تعالى: ﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾ [النساء:٣].

(٧) العَوْلُ: الميل والجور، والمراد به في عِلم الفرائض: "زيادة السِّهام على الفريضة، فتعول المسأَلة إِلى سهام الفريضة، فيدخل النُّقصان عليهم بقدر حِصصهم". التَّعريفات، (ص:١٥٩)، وينظر: العين، مادَّة: (عول).

وكقِسمةِ المالِ بينَ الغُرماءِ إذا لم يفِ بحُقوقِهم؛ يُعطونَ على قدْرِ حُقوقِهم، إذا لم يكنْ لأَحدِهم مزيَّةُ رَهنٍ(١) ونحوِهِ(٢)؛ وكاشتراكِ الْمُلَّاكِ في الزِّيادةِ المترتِّبةِ عليها على قدرِ أَملاكِهم، والنَّقصِ على قدرِ أَملاكِهم إذا اعتراها نقصٌ، وسواءٌ كان النَّقصُ بحقٍّ(٣)، أَو بتَلفٍ، أَو خَسارةٍ، أَو وقعَ ظُلمًا(٤)؛ فإنَّهم يشتركونَ في الزِّيادةِ، والنَّقصِ على قدرِ أَملاكِهم(٥).

ومِن أَحكامِهِ الكُلِّيَّةِ: إثباتُ الخِيارِ في كلِّ عقدٍ ظَهرَ في العِوضِ -الْمُعَيَّنِ- أَو المعَوَّضِ عيبٌ يُنقِصهُ(٦)، وأَنَّهُ إذا لم يمكنِ الرَّدُّ تَعيَّنَ الأَرْشُ(٧)، وإِسقاطُ النَّقصِ.

وعلى الصَّحيحِ لا فرقَ بيْنَ البيوعِ وغيرِها، فإِنَّ هذا مِن قاعدةِ العَدلِ(٨).

ومِن أَحكامِهِ الكُلِّيَّةِ: جَعْلُ المجهولِ كالْمَعدُومِ(٩).

ويَنْدَرِجُ تحتَ هذا الأَصلِ: الأَموالُ التي جُهِلَ مُلَّاكُهَا؛ أَنَّهُ يُتصدقُ بِها عنهُم، أَو تُبذلُ في

---

(١) الرَّهنُ: لغة: الثُّبوت والاستقرار، وعند الفِقهاء: "تَوْثِيق دَين بِعَين". مُعْجَم مقاليد العلوم، (ص:٥٤)، وينظر: مقاييس اللُّغة، مادَّة: (رهن)، والتَّوقيف على مُهمَّات التَّعاريف، (ص:١٨٢).

(٢) كمَن وَجَد عَيْن ماله عند مفلس؛ لِما أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب في الاستقراض وأَداء الدُّيون والحَجر والتَّفليس، باب إذا وجد ماله عند مفلس في البيع، والقرض والوديعة، فهو أَحقُّ به، (١١٨/٣) ح (٢٤٠٢)، واللَّفظ لَهُ، ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب من أَدرك ما باعه عند المشتري، وقد أفلس فله الرُّجوع فيه، (١١٩٣/٣) ح (١٥٥٩)، عن أَبي هريرةﷺ، يقول: قال رسول اللهﷺ أَو قال: سمعتُ رسول اللهﷺ يقول: ((مَنْ أَدْرَكَ مَالَهُ بِعَيْنِهِ عِنْدَ رَجُلٍ -أَوْ إِنْسَانٍ- قَدْ أَفْلَسَ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنْ غَيْرِهِ)).

(٣) "تعلَّق بها"، زيادة في: (س).

(٤) تقدير الكلام: أَو وقعَ النَّقصُ ظُلمًا.

(٥) قال ابن عبدالسَّلامﷺ: "إذا حجز الحاكم على المفلس وجبت التَّسوية بين الدُّيون بالمحاصَّة فإنْ كان الدَّين مائة وماله عشرة سوَّى بين الغرماء بإيصال كلٍّ منهم إلى عُشْر دَينه". قواعد الأَحكام، (٨٩/١).

(٦) المراد: العَيب الذي يُسبِّب نقص قيمة السِّلعة في عادة التُّجار؛ كالجنون، والبرص في الرَّقيق. ينظر: الشَّرح الكبير على متن المقنع، عبدالرَّحمن المقدِسي، (٨٥/٤).
وكالخَلل في المحرِّكات الأَساسيَّة للسَّيارة، أَو قواعد البِناء أَو أَعمدته.

(٧) الأَرْشُ: "ما يُدْفع بينَ السَّلامَة والعَيب في السِّلعة". القاموس المحيط، وتاج العَرُوس، مادَّة: (أرش).

(٨) قال ابن القَيِّمﷺ: "والأَصل في العقود كلِّها إنَّما هو العدل الذي بُعثت به الرُّسل وأُنزلت به الكتب، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد:٢٥]. إعلام الموقِّعين، (٢٩٢/١).

(٩) هذه قاعدة فقهيَّة، نصَّ عليها القَرَافيُّ، وابن القَيِّم، وابن رَجَب، وغيرهمﷺ، بأَلفاظ مختلفة. ينظر: أَنوار البُروق، (١٦٤/١)، وبدائع الفوائد، (٢٥٤/٣)، والقواعد، لابن رَجَب، (ص:٢٣٧).

المصالحِ نيابةً عنهم، وتَمَلُّكُ اللُّقطَةِ(١)، ومن ماتَ لا وارثَ لَهُ -بفرْضٍ(٢)، ولا تَعصِيبٍ(٣)- ولا رَحمَ، تُجعلُ(٤) تركتُهُ في بيتِ المالِ للمَصالحِ العامَّةِ؛ جَعْلًا للمَجهولِ في ذلكَ كالمعدومِ(٥).

ومن أَحكامِهِ الكُلِّيَّةِ: الرُّجوعُ إلى العُرْفِ(٦)[٨٢] إذا تعذَّرَ التَّعيينُ شرعًا، ولا(٧) لَفْظًا(٨)؛ كالرُّجوعِ للعُرْفِ في نَفقةِ الزَّوجاتِ، والأَقاربِ(٩)، والأُجراءِ، وكالشُّروطِ العُرفيَّةِ في الْمُعاملاتِ(١٠) إذا اطَّردتْ بَيْنَ النَّاسِ(١١)، وكالقَبْضِ(١٢)، والحِرْزِ(١٣)، ونحوِها مِمَّا لا يُعدُّ، ولا يُحصَى(١٤).

---

(١) اللُّقَطَةُ: "هو مالٌ يوجد على الأَرض، ولا يُعرف لَهُ مالك". ينظر: التَّعريفات، (ص:١٩٣)، وينظر: التَّوقيف على مُهمَّات التَّعاريف، (ص:٢٩١).

(٢) سبق تعريفه: (ص:٦).

(٣) سبق تعريفه: (ص:٦).

(٤) "تجعل"، ليست في: (س).

(٥) لمزيد من الأَمثلة ينظر: القواعد، لابن رَجَب، (ص:٢٣٧-٢٣٨)، والقواعد الفِقهيَّة وتطبيقاتها، (٨٥٩/٢-٨٦٠).

(٦) الْعُرْفُ: "ما استقرت النُّفوس عليه بشهادة العقول، وتلقَّته الطَّبائع بالقبول". التَّعريفات، (ص:١٤٩).
وهو: "ما يتعارفه أَكثر النَّاس، ويجري بينهم من وسائل التَّعبير، وأَساليب الخطاب والكلام، وما يتواضعون عليه من الأَعمال، ويعتادونه من شؤون المعاملات مما لم يوجد في نفيه ولا إثباته دليل شرعيٌّ". الجامع لمسائل أُصول الفقه وتطبيقاتها على المذهب الرَّاجح، للنَّملة، (ص:٣٩٣)، وينظر: الكُلِّيَّات، (ص:٦١٧).

(٧) "لا"، ليست في: (س)، والمعنى أَوضح بدونها.

(٨) قال السُّبْكِيُّ رحمه الله: "واشتهر عند الفِقهاء أَنَّ ما ليس لَهُ ضابط في اللُّغة، ولا في الشَّرع يرجع فيه إلى العُرف". الأَشباه والنَّظائر، (٥١/١)، وبنحوه قال السُّيُوطِيُّ رحمه الله في الأَشباه والنَّظائر، (ص:٩٨).

(٩) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب البيوع، باب من أَجرى أَمر الأَمصار على ما يتعارفون بينهم: في البيوع والإِجارة والمكيال والوزن، وسَنَنهم على نِيَّاتهم ومذاهبهم المشهورة، (٧٩/٣) ح (٢٢١١)، عن عائشة رضي الله عنها: "قَالَتْ هِنْدٌ أُمُّ مُعَاوِيَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ، فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ أَنْ آخُذَ مِنْ مَالِهِ سِرًّا؟ قَالَ: ((خُذِي أَنْتِ وَبَنُوكِ مَا يَكْفِيكِ بِالْمَعْرُوفِ)).

(١٠) هذا مبنيٌّ على قاعدة: "المعروفُ عُرفًا كالمشروطِ شرطًا". ينظر: الأَشباه والنَّظائر، للسُّيُوطِي، (ص:٩٦)، والأَشباه والنَّظائر، لابن نُجَيْم، (ص:٨١-٨٦)، وشرح القواعد الفِقهيَّة، (ص:٢٣٧).

(١١) المقصود بالاطِّرادِ: العموم والشُّيوع بين النَّاس، ولو بالأَغلبيَّة. ينظر: القواعد الفِقهيَّة وتطبيقاتها، (٣٢٣/١)، والوجيز في إيضاح قواعد الفِقة الكُلِّيَّة، (ص:٢٩٥).

(١٢) سبق تعريفه: (ص:٦)

(١٣) سبق تعريفه: (ص:٦).

(١٤) لمزيد من الأَمثلة ينظر: شرح القواعد الفِقهيَّة، (ص:٢٣٧)، والقواعد الفِقهيَّة وتطبيقاتها، (٣٢٤/١، ٣٤٦).

ومِن أَحكامِهِ الكُلِّيَّةِ: أَنَّ الأَصلَ في العِباداتِ الحظْرُ[(١)]؛ فلا يشرعُ مِنها إِلَّا ما شرعَهُ اللهُ ورسولُهُ، والأَصلَ في المعامَلاتِ، والاستعمالاتِ كلِّها الإِباحةُ[(٢)]؛ فلا يحْرُمُ مِنها إِلَّا ما حرَّمهُ اللهُ ورسولُهُ، وعلى هذا جميعُ أَحكامِ العِباداتِ، والمعامَلاتِ، وغيرِها؛ مِمَّا لا يمكنُ إِحصاؤهُ؛ ولهذا مَن شَرَعَ[(٣)] عِبادةً لم تُنقلْ عن الشَّارعِ فهو مُبتدعٌ[(٤)]، ومَن حرَّمَ مِن العَاداتِ شيئًا لم يَرِدْ عن الشَّارعِ فهو مُبتدعٌ[(٥)].

ومِن أَحكامِهِ الكُلِّيَّةِ: حثُّهُ على الصُّلحِ والإِصلاحِ بيْنَ مَن بينَهُم حُقوقٌ، وخُصوصًا عندَ اشتباهِها، أَو عندَ تناكُرِهما، وإِذا تَعذَّرَ استيفاءُ الحقِّ كلِّهِ، أَو تَعسَّرَ، فقدْ شُرِعَ في ذلكَ كلِّهِ الصُّلحُ بالعدلِ، وسلوكُ الحالةِ المناسِبةِ لتلكَ القَضيَّةِ بما تقتضيهِ الحالُ، وفيهِ مِن الفوائدِ، والثَّمراتِ الطَّيِّبةِ ما لا يُعدُّ، ولا يُحصَى[(٦)].

---

(١) وللعلماء صيغ أُخرى لهذه القاعدة؛ كالأَصل في العبادات التَّوقيف، أَو الأَصل في العبادات البطلان. ينظر: تفسير القرآن الحكيم، (١٤١/٧)، وأَضواء البيان، (٢١٨/٤)، والقواعد الفِقهيَّة وتطبيقاتها، (٧٦٩/٢).

(٢) هذه قاعدة فقهيَّة ذكرها جَمع من العلماء بصيغ متنوّعة. ينظر: الأَشباه والنَّظائر، للسُّبْكِي، (٢٥٣/١)، والقواعد، لابن رَجَب، (ص:٣٤٠)، وتفسير القرآن الحكيم، (١٤١/٧)، وأَضواء البيان، (٢١٨/٤).

(٣) "في"، زيادة في: (س)، وبدونها يتَّضح المقصود.

(٤) قال ابن تَيميَّة رحمه الله: "ولهذا كان أَحمد، وغيره من فقهاء أَهل الحديث يقولون: إِنَّ الأَصل في العبادات التَّوقيف، فلا يشرع منها إِلَّا ما شرعه الله، وإِلَّا دخلنا في معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى:٢١]". القواعد النُّورانيَّة، (ص:١٦٤).

وأَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الصُّلح، باب إِذا اصطلحوا على صلح جور فالصُّلح مردود، (١٨٤/٣) ح (٢٦٩٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب الأَقضية، باب نقض الأَحكام الباطلة، وردِّ محدثات الأُمور، (١٣٤٣/٣) ح (١٧١٨)، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: ((مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ)).

(٥) قال ابن تَيميَّة رحمه الله: "والعادات الأَصل فيها العفو، فلا يحظر منها إِلَّا ما حرَّمه، وإِلَّا دخلنا في معنى قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾ [يونس:٥٩]". القواعد النُّورانيَّة، (ص:١٦٤).

(٦) سبق كلام المؤلِّف عن الصُّلح: (ص:٦-٦)، وعقد ابن القيِّم فصلًا، بيَّن فيه فضله في القرآن والسُّنَّة، وبعض المواقف التي أَصلح فيها الرَّسول ﷺ بين أَقوام، وأَشخاص، وعلى استحقاقات. ينظر: إِعلام الموقِّعين، (٨٤/١-٨٦).

ومِن أَحكامِهِ الكُلِّيَّةِ: اعتبارُ العَدَالةِ(١) في الشُّهودِ، وأَنْ يكونوا مِمَّن يُرضَى مِن الشُّهداءِ(٢)، وذلكَ يختلِفُ باختلافِ الأَحوالِ والأَشخاصِ؛ فالشَّارِعُ اعتبرَ شهادةَ العَدلِ الْمَرضيِّ مِن الشُّهداءِ، وأَسقَطَ شهادةَ الكاذبِ، والقاذفِ قبلَ التَّوبةِ(٣).

وأَمرَ بالتَّثبُّتِ في خَبرِ الفاسقِ(٤)، وكذلكَ المجهولِ؛ لأَنَّهُ اعتبرَ الْمَرضيَّ العَدلَ عندَ النَّاسِ، فلا بُدَّ مِن تحقيقِ هذا الوصْفِ.

وأَمَّا عددُ الشُّهودِ، ونِصابُها فذلكَ يختلفُ باختلافِ المشهودِ بهِ كما فصَّلَهُ أَهلُ العِلْمِ(٥).

ومِن أَحكامِهِ الكُلِّيَّةِ: أَنَّ مَن سبقَ إِلى مُباحٍ فهو أَحقُّ بهِ(٦)؛ فيدخلُ في هذا: السَّبْقُ إِلى الجلوسِ في المساجدِ، والأَسواقِ، والأَفْنِيَةِ(٧)، ويدخلُ فيهِ السَّبْقُ إِلى النُّزولِ في المساكنِ، والأَوقافِ التي لا تَتوقَّفُ على نَظَرِ ناظرٍ(٨)، ويَدخلُ في ذلكَ السَّبقُ إِلى المباحاتِ؛ مِن الصُّيُودِ البرِّيَّةِ،

---

(١) الْعَدَالَةُ: للعلماء فيها عدَّة تعريفات، فقِيل: استواء أَحوال الشَّخص في الدِّين، واعتداله في أَقواله وأَفعاله، وقِيل: اجتناب الكبائر، وعدم الإِصرار على الصَّغائر، وقيل غير ذلك. ينظر: مَعَالم التَّنزيل، (١/٣٩٤)، والشَّرح الكبير، لعبدالرَّحمن المقدِسي، (١٢/٣٧)، والجامع لأَحكام القرآن، (٣/٣٩٦).

ولابن تَيميَّة رأْي آخر في العدالة، حيث قال: "والعدل في كلِّ زمان ومكان وطائفة بحسَبها؛ فيكون الشَّاهد في كلِّ قوم مَن كان ذا عدل فيهم -وإِنْ كان لو كان في غيرهم لكان عدله على وجه آخر- وبهذا يمكن الحُكم بين النَّاس، وإِلَّا فلو اعتُبر في شُهودِ كلِّ طائفة أَنْ لا يَشهد عليهم إِلَّا مَن يكون قائمًا بأَداء الواجبات، وترك المحرَّمات -كما كان الصَّحابة- لبطلت الشَّهادات كلُّها، أَو غالبها". الفتاوى الكبرى، لابن تَيميَّة، (٥/٥٧٤)،

(٢) قال ﷻ: ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَآءِ﴾ [البقرة:٢٨٢].

(٣) قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝٤ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور:٤-٥].

(٤) قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات:٦].

(٥) لخَّصَ ذلك ابن القَيِّم رحمه الله، ثمَّ لَمَّا عرَّف البيِّنة في الشَّرع قال: "وهي تَارَة تكون أَربعة شهود، وتَارَة ثلاثة بالنَّص في بيِّنة المفلس، وتَارَة شاهدين، وشاهدًا واحدًا، وامرأَة واحدة، وتكون نُكولًا ويمينًا، أَو خمسين يمينًا، أَو أَربعة أَيمان، وتكون شاهد الحال في الصُّور التي ذكرناها، وغيرها". الطُّرق الحُكميَّة، (ص:٢٤).

(٦) الدَّليل على هذه القاعدة: ما أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب المزارعة، باب من أَحيا أَرضًا مواتًا، (٣/١٠٦) ح (٢٣٣٥)، عن عائشة رضي الله عنها، عن النَّبيِّ ﷺ قال: ((مَنْ أَعْمَرَ أَرْضًا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ فَهُوَ أَحَقُّ))، قَالَ عُرْوَةُ: "قَضَى بِهِ عُمَرُ رضي الله عنه فِي خِلَافَتِهِ".

(٧) الأَفْنِيَةُ: جمع فِنَاء، وهو: "ما امْتَدَّ مع الدَّار من جوانِبها". مُختار الصِّحاح، وينظر: الصِّحاح، مادة: (فني).

(٨) النَّاظِرُ: الحَافِظ، وعند الفِقهاء: "هو الذي يلي الوقف، وحِفْظه، وحِفظ رَيعه، وتنفيذ شرطِ واقِفه". دقائق أُولي النُّهى لشرح المنتهى، للبُهُوتي، (٢/٤١٥)، وينظر: مُختار الصِّحاح، مادَّة: (نظر).

والبحريَّةِ، وإلى ما يُستخرجُ مِن البِحارِ، والمعادنِ، وإلى الاحتِشاشِ، والاحتِطابِ، وغيرِ ذلكَ، وإلى إحياءِ الْمَوَاتِ(١)، وغيرِها مِن المسائلِ المتنوِّعةِ الدَّاخلةِ في هذا الأَصلِ.

ومِن أَحكامِهِ الكُلِّيَّةِ: قبولُ قولِ الأُمناءِ على ما في أَيديْهِم(٢)؛ مِمَّا هُم عليهِ أَولياءُ مِن قِبَلِ الشَّارعِ، أَو قِبَلِ المالكِ بالوِكالةِ، أَو الوِصايةِ، أَو النَّظَارةِ للأَوقافِ(٣)؛ فكلُّ هؤلاءِ مقبولٌ قولُهُم فيما يدَّعونَهُ مِن داخلٍ، وخارجٍ، ومصرفٍ، ونحوِهِ، إذا كان ذلكَ مُمْكِنًا(٤)، وهذا معنى تأْمينِهِم، وتولِّيهِم، وولايتِهِم(٥).

واعلمْ أَنَّ قَبولَ قولِ هؤلاءِ في هذهِ الأُمورِ لا يَمنعُ محاسبَتَهم، وطلبَ الوقوفِ على كيفيَّةِ تلكَ المصارفِ الدَّاخليَّةِ والخارجيَّةِ، وتبيينِ وجهِ النَّقصِ، والتَّلفِ، ونحوِ ذلكَ؛ ليُسْتَظْهَرَ بذلكَ على صدقِهِم، وكذبِهِم.

وأَمَّا تمكينُهُم مِن إِطلاقِ سراحِهِم بحجَّةِ أَنَّهُم أُمناءُ مقبولٌ قولُهُم، فهذا غلطٌ على الشَّريعةِ وعلى الحقيقةِ؛ فالشَّارعُ حاسبَ عُمَّالَهُ، واستدركَ عليهِم(٦)، والحَقيقةُ، والوقوفُ عليها مطلوبٌ باتِّفاقِ أَهلِ الاعتبارِ؛ فكمْ مِن أَمينٍ ظهرتْ خيانَتهُ يقينًا حينَ استُدْرِك عليهِ[٨٣].

---

(١) أَخرج النَّسائيُّ في سننه، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في إحياء الْمَوات، (١٧٨/٣) ح (٣٠٧٣)، عن سَعيد بن زَيْدﷺ، والتِّرمذيُّ في سننه، باب ما ذُكر في إحياء أَرض الْمَوات، (٦٥٥/٣) ح (١٣٧٩)، عن جابر بن عبداللهﷺ، عن النَّبيِّﷺ، قال: ((مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ. . .)).

قال التِّرمذيُّﷺ: "هذا حديث حسن صحيح".

وقال الأَلبانيُّﷺ: "صحيح". إرواء الغَلِيْل، (٤/٦) ح (١٥٥٠).

(٢) ذكر ابن رَجَب هذه القاعدة، بلفظ آخر، وقال: "إذ لا معنى للأَمانة إِلَّا انتفاء الضَّمان". القواعد، (ص:٦١-٦٢).

(٣) سبق التَّعريف به، (ص:٦).

(٤) بأَنْ لا يخالف العقل والواقع.

(٥) لأَنَّه "لو لم يُشرع لزَهَد الأُمناء في قبول الأَمانات؛ ولفاتت المصالح المبنيَّة على حفظ الأَمانات". قواعد الأَحكام، (٣٥/٢)، وينظر: أَنوار البُروق في أَنْوَاء الفُروق، (٧٦/٤).

(٦) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الزَّكاة، باب قول الله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ [التوبة:٦٠]، ومحاسبة المصدِّقين مع الإمام، (١٣٠/٢) ح (١٥٠٠)، عن أَبي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّﷺ، قال: "اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِﷺ رَجُلًا مِنَ الأَسْدِ عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي سُلَيْمٍ، يُدْعَى ابْنَ اللُّتْبِيَّةِ، فَلَمَّا جَاءَ حَاسَبَهُ".

ومِن أَحكامِهِ الكُلِّيَّةِ: أَنَّ الواجبَ يسقطُ بالعجزِ عنهُ بالْكُلِّيَّةِ[١]، وأَنَّهُ إذا قَدِرَ على بعضِ الواجبِ وجبَ عليهِ ما يقدِرُ عليهِ مِنهُ، وسَقطَ عنهُ ما يَعجِزُ عنهُ[٢]، وهذا مطَّرِدٌ في العِباداتِ[٣]، والحُقوقِ الواجبةِ[٤]، وغيرِها.

كمَا أَنَّ الضَّرورةَ تبيحُ المحظورَ[٥]، وتُقَدَّرُ بقدرِها[٦].

ومِن أَحكامِهِ الكُلِّيَّةِ: أَنَّهُ أَقامَ البدلَ مقامَ مُبْدَلِهِ؛ في أَحكامِ العباداتِ[٧]، والمعامَلاتِ[٨]، والحُقوقِ[٩]، وغيرِها؛ فمتى كان للشَّيءِ بدلٌ، وتعذَّرَ الأَصلُ قامَ هذا مَقامهُ، وحُكمَ لَهُ بأَحكامِهِ[١٠].

---

(١) قال ابن القيّم رحمه الله: "ومن قواعد الشّرع الكُلِّيَّة أنَّه: لا واجبَ مع عَجْزٍ". إعلام الموقِّعين، (١٧/٢)، وينظر: رسالة لطيفة جامعة في أُصول الفِقه المهمَّة، (ص:١٠٢)، وتفسير العُثَيْمِين: الفاتحة والبقرة، (٤٥٤/٣).

(٢) لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، وقال عز وجل: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦].

(٣) أخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب التَّقصير، باب إذا لم يطق قاعدًا صلى على جنب، (٤٨/٢) ح (١١١٧)، عن عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَتْ بِي بَوَاسِيرُ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَنِ الصَّلَاةِ، فَقَالَ: ((صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ)).

(٤) قال تعالى في النَّفقة: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق:٧].

(٥) هذه قاعدة فقهيَّة مندرجة تحت قاعدة: "لا ضَرر ولا ضِرار"، قال تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام:١١٩]. ينظر: القواعد النُّورانيَّة، (ص:٢٠٥)، والأَشباه والنَّظائر، للسُّبْكِي، (٤٥/١).

(٦) فيَكتفِي بتناول المحرَّم بقدر ما دعت إليه الضَّرورة؛ لأَنَّ الله تعالى يقول: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة:١٧٣]، وهذا دليل القاعدة الفِقهيَّة التي تقول: "مَا أُبِيح للضَّرورة يُقدَّرُ بقَدْرِها". المنثور في القواعد الفِقهيَّة، للزَّرْكَشي، (٣٢٠/٢)، والأَشباه والنَّظائر، للسُّيُوطِي، (ص:٨٤)، والأَشباه والنَّظائر، لابن نُجَيْم، (ص:٧٣).

(٧) مثال ذلك: أَنَّ الله عز وجل جعل التَّيمُّم بدلًا عن الوضوء، في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء:٤٣].

(٨) مثال ذلك: لو عقد الإجارة على شهر؛ فإنْ وقع العقدُ في ابتداء الشَّهر اعتُبر الهلال، وإنْ وقعَ في أَثناء الشَّهر فيصار إلى الأَيام؛ لأَنَّها البدل. ينظر: القواعد الفِقهيَّة وتطبيقاها، (٥١٩/١).

(٩) مثال ذلك: ردُّ الشَّيءِ المغصوب إنْ كان موجودًا، وإلَّا ردَّ بدله مِن مثلٍ أَو قيمة. ينظر: شرح القواعد الفِقهيَّة، (ص:٢٨٧)، والقواعد الفِقهيَّة وتطبيقاها، (٥١٩/١).

(١٠) من القواعد الفِقهيَّة المقرَّرة عند أَهل العلم ما قاله ابن رَجَب رحمه الله: "يقوم البدل مقام الْمُبْدل، ويسدُّ مسدَّه، ويُبني حكمه على حكم مُبدله". القواعد، (ص:٣١٤)، وينظر: شرح القواعد الفِقهيَّة، (ص:٢٨٧).

وأَنَّ نماءَ الأَعيْانِ تابعٌ للأَصلِ[١].

ومِن أَحكامِهِ الكُلِّيَّةِ: أَنَّ مَن وَجبَ عليهِ أَمرٌ مِن الأُمورِ فإِنَّهُ يُجْبَرُ عليهِ بحقٍّ[٢]، وأَنَّ مَن أَتلفَ شيئًا لدفعِ أَذاهُ لَهُ -دَفعًا عن نفسِهِ- فلا ضَمانَ عليهِ، فإِنْ أَتلَفهُ للانتفاعِ بِهِ ضَمِنهُ[٣].

وأَنَّ ما ترتَّبَ على المأْذونَ فيهِ مِن تلفٍ فغيرُ مَضمونٍ، وما ترتَّبَ على غيرِ المأْذونِ فإِنَّهُ مَضمونٌ[٤].

ومِن أَحكامِهِ الكُلِّيَّةِ: أَنَّ الاستثناءاتِ، والقُيودَ، والأَوصافَ الْمُلْحَقةَ بالأَلفاظِ تُعْتَبرُ، وتُقيِّدُ الكلامَ، ويُرتَبطُ بِها، بشرطِ الاتصالِ لفظًا أَو حُكْمًا[٥]، ويدخلُ في هذا أَلفاظُ العُقودِ، والفُسُوخِ، والوقفِ، والوَصايا، والعِتقِ، والطَّلاقِ، والأَيمانِ، والإِقراراتِ، وغيرِها[٦].

ومِن أَحكامِهِ الكُلِّيَّةِ: أَنَّ الشُّركاءَ في الأَملاكِ، والمنافعِ يُلزَمونَ بكلِّ ما يعودُ إِلى حُصولِ المنافعِ الضَّروريَّةِ، ودفعِ المضارِّ، ويُجْبَرُ الممتنعُ مِنهُما مِن ذلكَ، والمصارِفُ[٧]، والنَّفقاتُ، والضَّرائبُ التي تَلحقُ الأَملاكَ، هُم فِيها شُركاءُ على كلٍّ مِنهُم، بقدْرِ مُلكِهِ[٨].

---

(١) س: "وأَنَّ النَّماءَ تابعٌ للأَصل".

وقد ذكر ابن رَجَب قاعدة في هذا، فقالﷺ: "النَّماء المتولِّد من العين حكمه حكم الجزء". القواعد، (ص:٢٧).

(٢) كالنَّفقة على زوجته، وبهائمه، وبذل الطَّعام للمضطرِّ بقيمته. ينظر: القواعد، لابن رَجَب، (ص:٣٢).

(٣) ذكر هذه القاعدة ابن رَجَبﷺ، وقال في أَمثلته لها: "لو أَشرفت السَّفينة على الغرق فأَلقى متاع غيره ليخفِّفها ضَمِنه، ولو سقط عليه متاع غيره فخشي أَنْ يهلكه فدفعه فوقع في الماء لم يَضمنه". القواعد، (ص:٣٦).

(٤) نصَّ عليه ابن القَيِّمﷺ في إِعلام الموقِّعين، (٢/٣٣).

ومثال ذلك: لو حفر إِنسان بئرًا في ملكه الخاصِّ، أَو في طريق عامٍّ بإِذن مِن وليِّ الأَمر، فوقع فيها حيوان لرَجل، فإِنَّه لا يضمن، وهذا معنى قول بعضهم: "الجوازُ الشَّرعيُّ ينافي الضَّمان". شرح القواعد الفِقهيَّة، (ص:٤٤٩)، وينظر: الأَشباه والنَّظائر، للسُّيُوطِي، (ص:١٤١)، والقواعد الفِقهيَّة وتطبيقاتها، (٢/١٠٩١).

(٥) كأَنْ يَحدُث فاصل ضروريٌّ في الكلام؛ كسُعال وعُطاس، ونحوه، فهذا لايضرُّ؛ لأَنَّه في حكمِ المتَّصل.

(٦) هذه الكُلِّيَّة مَنصوص عليها في كثير من كتب الأُصول والفِقه. ينظر: أُصول الفِقه، لابن مُفْلِح، (٣/٩٠١)، والإِنصاف في معرفة الرَّاجح من الخلاف، للمِرْدَاوِيّ، (١١/٢٦).

(٧) س: "من المصارف".

(٨) مثَّل لذلك ابن رَجَبﷺ بانهدام الحائط المشترك، وأَنَّه يجبر الممتنع منهما، وقال: "الشَّريكان في عين مال، أَو منفعة إذاكانا محتاجين إِلى رفع مضرَّة، أَو إِبقاء منفعة أُجبر أَحدهما على موافقة الآخر". القواعد، (ص:١٤٢).

ومِن أَحكامِهِ الكُلِّيَّةِ: أَنَّ الْمُبَاشِرَ[١] لإتلافِ الأَموالِ، أَو الْمُتَسَبِّبَ[٢] لذلكَ ضامنٌ لَهَا، متعمِّدًا كان، أَو ناسِيًا، أَو جاهلًا[٣].

وأَنَّهُ إِذا اجتمعَ الْمُباشِرُ وَالْمُتَسَبِّبُ كان الضَّمانُ على الْمُباشِرِ[٤]، إِلَّا إِنْ تَعذَّرَ تَضْمِينُهُ؛ لفَقْدٍ[٥]، أَو امتِنَاعٍ[٦]، أَو عُسْرٍ[٧]، أَو نَحوِهِ[٨]، فَيُحالُ الضَّمانُ على الْمُتَسَبِّبِ بغيرِ حَقٍّ[٩].

ومِنها: أَنَّ مَن أَدَّى عن غيرِهِ دَينًا واجبًا بِنِيَّةِ الرُّجوعِ فإِنهُ يَرجعُ، ولو لم يَأْذن لَهُ في ذلكَ[١٠].

ومِنها: أَنَّ الوصفَ في الشَّيءِ الذي بِيَدِ الغيرِ، وذلكَ الغيرُ لا يدَّعيهِ لنفسِهِ أَنَّهُ[١١] بَيِّنَةٌ[١٢].

---

(١) الْمُبَاشِرُ: "هو الذي حصل الضَّرر بفعله بلا واسطة". الفِقه الإسلاميُّ وأَدلَّته، للزُّحَيْلي، (٥٦٤٣/٧).

(٢) الْمُتَسَبِّبُ: "هو الذي يُحدِث أَمرًا يؤدِّي إلى تلف شيء آخر بحسَب العادة". الفِقه الإسلاميُّ وأَدلَّته، (٥٦٤٦/٧).

(٣) لأَنَّ الخطأَ يرفع الإثم عن مباشرة الإتلاف، ولا يرفع ضمان الْمُتْلف؛ ولأَنَّ المباشَرة عِلَّة صالحة، وسبب مستقلٌّ للإتلاف، والأَصل إضافة الأَحكام إلى عِللها المؤثِّرة، لا إلى أَسبابها الموصلة. ينظر: شرح القواعد الفِقهيَّة، (ص:٤٤٧، ٤٥٣)، والقواعد الفِقهيَّة وتطبيقاتها، (٥٦٦/١).

(٤) ذكر هذه القاعدة عدد من العلماء بصيغ متنوِّعة، ومثالها: لو دلَّ إنسانٌ آخرَ على مال ليسرقه، أَو دلَّ آخر على قتل، أَو قطع الطَّريق، ففعل، "فلا ضمان على الدَّالِّ بل على السَّارق، والقاتل، وقاطع الطَّريق؛ لأَنَّه المباشر". شرح القواعد الفِقهيَّة، (ص:٤٤٨)، وينظر: الأَشباه والنَّظائر، لابن نُجَيْم، (ص:١٣٥).

(٥) كأَنْ يغيب المباشرُ، وتنقطع أَخباره، أَو يهرب ولا يعلم مكانه.

(٦) مثال ذلك: لو أَنَّ إنسانًا أَلقى شخصًا في مكان أَسَدٍ فافترسه، فإِنَّ الضَّمان على المتسبِّب؛ لأَنَّه يتعذَّر إحالة الضَّمان على المباشر، وهو الأَسد. ينظر: الشَّرح الْمُمْتِع، (١٢/١٤-١٣).

(٧) كأَنْ يكون المباشرُ فقيرًا معسرًا لا يقدر على دفع المال الذي حُكم عليه به.

(٨) كعدم القدرة على الوصول إلى المباشر؛ أَو عدم التَّمكُّن من أَخذ الحقِّ منه؛ لقوَّته، أَو جاهه، أَو سلطانه، أَو وُجود حماية لَهُ؛ من قبيلة، أَو سلطان، ونحو ذلك.

(٩) قال ابن رَجَب رحمه الله: "فإذا لم يمكن إحالة الضَّمان على المباشر أُحيل على المتسبِّب؛ صيانة للجناية على مال المعصوم عن الإهدار مهما أَمكن". القواعد، (ص:٢٠٥)، وينظر: التَّحبير، للمِرْدَاوِي، (١٠٦٣/٣).

(١٠) ذكر هذا ابن رَجَب رحمه الله، ومن أَمثلته لذلك قوله: "نفقة الرَّقيق والزَّوجات والأَقارب والبهائم إذا امتنع مَن يجب عليه النَّفقة فأَنفق عليها غيره بنيَّة الرُّجوع فله الرُّجوع". القواعد، (ص:١٣٨).

(١١) "أَنَّه"، ليست في: (س)، والسِّياق يحتاجها؛ لبيان المعنى.

(١٢) مثال ذلك: اللُّقطة؛ فإذا جاء مَن يدَّعيها، ثمَّ وصفها بصفاتها، فإنَّها تُدفع إليه؛ لأَنَّ الوصف بَيِّنة ظاهرة، ودلالة على صدقه، وصحَّة دعواه بأَنَّها ملكه؛ فقد أَخرج مسلم في صحيحه، كتاب اللُّقطة، باب معرفة العِفاص، والوِكاء، وحكم ضالَّة الغنم، والإبل، (١٣٤٩/٣) ح (١٧٢٢)، عن زيد بن خالد الجُهنيِّ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم، قال: ((. . . فَإِنْ جَاءَ صَاحِبُهَا فَعَرَفَ عِفَاصَهَا، وَعَدَدَهَا وَوِكَاءَهَا، فَأَعْطِهَا إِيَّاهُ وَإِلَّا فَهِيَ لَكَ)). وينظر: قواعد الأَحكام، (١٣٨/٢)، والطُّرق الحُكميَّة، (ص:١٨١)، وإعلام الموقِّعين، (٧٦/١).

ومِنها: أَنَّ: مَن تعجَّلَ شيئًا قَبل أَوانهِ -على وجهٍ محرَّمٍ- عُوقبَ بحرمانهِ(١).

ومِن أَحكامهِ الكُلِّيَّةِ: أَنَّهُ إِذا تَزاحَمتِ المصالحُ قُدِّمَ الأَعلى مِنها، وإِنْ تَزاحَمتِ المفاسدُ -وكان لا بُدَّ مِن فِعلِ إِحداها- ارتُكِبَ الأَخفُّ مِنها؛ لدفعِ الأَشدِّ مَفسدةً، وعلى هذا مِن مسائلِ الفِقهِ ما لا يُعدُّ، ولا يُحصَى(٢)؛ لأَنَّ الشَّارعَ شرعَ الشَّريعةَ؛ لتحصيلِ المصالحِ، أَو تَكمِيلِها، ولِتقليلِ المفاسدِ، وتعطيلِها، بحسَبِ الإِمكانِ(٣).

ومنها: أَنَّ إِطلاقَ التَّشريكِ؛ في الوَصايا، والهِباتِ، والإِقراراتِ، وإِيقاعِ العُقودِ، والفُسوخِ على الأَعيانِ، وغيرِ ذلكَ: كلُّ ذلكَ يقتضِي المساواةَ بيْنَ مَن شُرِّكَ بينَهُم في شيءٍ مِن ذلكَ، إِلَّا إِنْ دلَّ دليلٌ على المفاضلَةِ بينَهُم -وكذلكَ في الأَشياءِ الْمُشتبِهةِ التي يُعلمُ أَنَّها لهؤلاءِ الأَشخاصِ، ولا يُعلمُ مقدارُ ما لِكُلٍّ- فإِنَّهُم يتساوَونَ فِيها(٤).

وأَدلَّةُ هذهِ الأُصولِ مِن الكتابِ والسُّنَّةِ ظاهرةٌ، وهي أُصولٌ جامعةٌ عَظيمةُ النَّفعِ، يَنتفِعُ بِها الحاكمُ، والْمُفْتِي، وطالبُ العِلْمِ، وهي مِن محاسنِ الشَّريعةِ، ومِن أَكبرِ البَراهينِ على أَنَّ ما جاءَ بِهِ الرَّسولُ حقٌّ مِن عندِ اللهِ مُحكَمُ الأُصولِ، مُتناسِبُ الفُروعِ، عدلٌ في معانيهِ، تابعٌ للحُكمِ، والصَّلاحِ في مَبانِيْهِ، فَلْنَقْتَصِرْ على هذهِ القَواعدِ إِذْ غيرُها تَبعٌ لَها، وهي تُغني عن غيرِها، ولا يُغنِي عنها سِواها. واللهُ أَعلمُ[٨٤].

---

(١) هذه قاعدة فقهيَّة، أَوردها كثير من العلماء بصيغ عِدَّة، ومثالها حرمان القاتل من مال مُورِّثه. ينظر: القواعد، لابن رَجَب، (ص:٢٣٠)، والأَشباه والنَّظائر، للسُّيُوطِي، (ص:١٥٢)، والأَشباه والنَّظائر، لابن نُجَيْم، (ص:١٣٢).

(٢) ومثال ذلك: "تجويز السُّكوت على المنكَر إِذا كان يترتَّب على إِنكاره ضرر أَعظم". شرح القواعد الفِقهيَّة (ص:٢٠١)، ينظر: قواعد الأَحكام، (٩٣/١)، والأَشباه والنَّظائر، للسُّيُوطِي، (ص:٨٧).

(٣) نصَّ على هذا عدد من العلماء، بل إِنَّ ابن عبدالسَّلام أَرجَع الفِقه كلَّه إِلى اعتبار المصالح، وقال ابن تَيميَّة ﷺ: "لقد جاءت الشَّريعة الإِسلاميَّة بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وأَنَّها تُرجِّح خيرَ الخيرين، وتدفع شرَّ الشَّرين، وتُحصِّل أَعظم المصلَحتين بتفويت أَدناهما، وتدفع أَعظم المفسدين باحتمال أَدناهما". الحِسْبة، لابن تَيميَّة، (ص:٣)، وينظر: قواعد الأَحكام، (١١/١، ٩٨، ١٨٩/٢)، ومِفتاح دار السَّعادة، (١٩/٢).

(٤) قال ابن تَيميَّة: "موجب عقد الشَّركة المطلقة التَّساوي في العمل والأَجر". مَجْمُوع الفَتاوَى، (٩٧/٣٠). وينظر: موسوعة القواعد الفِقهيَّة، لآل بورنو، (٢٩٥/٢، ٥٧٧/١٠-٥٧٨، ٦٥٩).

فُصُولٌ: في ذِكْرِ ما قَصَّ(١) اللهُ علَينا في كِتَابهِ مِن أَخْبَارِ الأَنْبِيَاءِ معَ أَقوامِهِم:

قد قَصَّ اللهُ علَينا في كتابِهِ قَصصًا طيِّبةً مِن أَخبارِ أَنبيائِهِ، ووصَفَها بأَنَّها: ﴿أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾(٢)؛ وهذا الوصفُ مِن اللهِ العَظيمِ يدلُّ على أَنَّها أَصدَقُها، وأَبلَغُها، وأَنفعُها للعبادِ؛ فمِن أَهمِّ منافعِ هذهِ القَصصِ: أَنَّ بِها يتمُّ ويكملُ الإيمانُ بالأنبياءِ، صلى اللهُ عليهِم وسلَّمَ.

فإِنَّنا وإِنْ كنَّا مؤْمنِينَ بجميعِ الأَنبياءِ على وجهِ العُمومِ والإِجمالِ، فالإِيمانُ التَّفصِيليُّ المستفادُ مِن قِصصِهِم، وما وصَفَهُمُ اللهُ بهِ؛ مِن الصِّدقِ الكاملِ، والأَوصافِ الكاملةِ التي هِي أَعلى الأَوصافِ، وما لهم مِن الفضلِ والفَواضِلِ والإحسانِ على جميعِ نوعِ [الإِنسانِ](٣)، بلْ وصلَ إِحسانُهُم إِلى جميعِ الحيواناتِ، وما(٤) أَبْدَوهُ لِلمكلَّفِينَ في الاعتناءِ بِها، والقِيامِ بِحَقِّها؛ فهذا الإِيمانُ التَّفصِيليُّ بالأَنبياءِ يصلُ بِهِ العبدُ إِلى الإِيمانِ الكاملِ، وهو مِن موادِّ زيادةِ الإِيمانِ، فمَن ذلِكَ: أَنَّ في قِصصِهِم(٥) تقريرَ الإِيمانِ باللهِ، وتوحيدِهِ، وإِخلاصَ العملِ لَهُ، والإِيمانَ باليومِ الآخرِ، وبيانَ حُسنِ التَّوحيدِ، ووجوبِهِ، وقُبحَ الشِّركِ، وأَنَّهُ سببُ الهلاكِ في الدُّنيا والآخرةِ.

وفي قَصصِهِم -أَيضًا- عِبرةٌ لِلمؤْمنِينَ يَقتدونَ بِهِم في جميعِ مَقاماتِ الدِّينِ؛ في مقامِ التَّوحيدِ والقِيامِ بالعبوديَّةِ، وفي مَقاماتِ الدَّعوةِ، والصَّبرِ والثَّباتِ عندَ جميعِ النَّوَائِبِ(٦) الْمُقْلِقةِ، ومقابَلةِ ذلكَ بالطُّمأْنينةِ والسُّكونِ، والثَّباتِ التَّامِّ(٧)، وفي مقامِ الصِّدقِ، والإِخلاصِ للهِ في جميعِ الحركاتِ والسَّكناتِ، واحتسابِ الأَجرِ والثَّوابِ مِن اللهِ -تعالى-، لا يَطلبونَ مِن الخَلقِ أَجرًا ولا جزاءً، ولا شُكورًا، إِلَّا الأُمورَ النَّافعةَ للخَلقِ(٨).

---

(١) القَصُّ: اتِّباع الأَثر، والقاصُّ يقصُّ القَصص لاتِّباعه خبرًا بعد خبرٍ، وقَصص القرآن: إخباره عن أَحوال الأُمم الغابرة، وشأْن النُّبوَّات، والحوادث الواقعة، وغيرها. ينظر: تهذيب اللُّغة، مادَّة: (قص)، والفُروق اللُّغويَّة، (ص:٤٢)، ومباحث في علوم القرآن، للقطَّان، (ص:٣١٦)، وتفسير العُثَيْمِين: الفاتحة والبقرة، (المقدمة/٥٧).

(٢) يوسف: ٣

(٣) خ: "الإِحسان"، وس: "الإِنسان"، وهي الصَّواب، والمناسبة للسِّياق.

(٤) س: "بما".

(٥) "مِن"، ليست في: (س)، وبدونها يتمُّ المعنى.

(٦) النَّوائِبُ: ما ينزل من الْمُهمَّات والحوادث، والمصائب. ينظر: تهذيب اللُّغة، ولسان العرب، مادَّة: (نوب).

(٧) قال ﷻ: ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود:١٢٠].

(٨) قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:٩٠].

وفِيها -أَيضًا- عِبرةٌ لاتِّفاقِهم على دِينٍ واحدٍ وأُصولٍ واحدةٍ[(١)]، ودعوةٍ إلى كلِّ خُلقٍ جميلٍ وعملٍ صالحٍ وإِصلاحٍ، وزجرِهم عن كلِّ ما يضادُّ ذلكَ.

وفِيها -أَيضًا- مِن الفوائدِ الفِقهيَّةِ، والأَحكامِ الشَّرعيَّةِ، والأَسرارِ الحُكمِيَّةِ شيءٌ عظيمٌ، لا غِنى لكلِّ طالبِ علمٍ عَنْها[(٢)].

وفِيها -أَيضًا- مِن الوَعظِ والتَّذكيرِ والتَّرغيبِ والتَّرهيبِ، والفَرجِ بعدَ الشِّدَّةِ، وتَيسيرِ الأُمورِ بعد تعَسُّرِها[(٣)]، وحُسنِ العواقبِ الْمُشاهدَةِ في هذهِ الدَّارِ، وحُسنِ الثَّناءِ، والْمَحبَّةِ في قلوبِ الخَلقِ ما فيهِ زادٌ للمتَّقينَ، وسرورٌ للعابِدينَ، وسَلوَةٌ للمحزُونِينَ، ومواعظُ للمؤْمنِينَ.

فليسَ المقصودُ مِن قصَصِهِم أَنْ تكونَ -فقط- سَمَرًا[(٤)]، وإِنَّما الغَرضُ الأَعظمُ مِنها أَنْ تكونَ تذكيرًا، وعِبَرًا[(٥)].

واعلمْ قبلَ الشُّروعِ فِيها أَنَّ كثيرًا مِن قصَصِهِم -صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِم- أَعادَها اللهُ في كتابهِ مرَّاتٍ عديدةً بأَساليبَ مناسبةٍ لمقامَاتِها، ورُبَّما يكونُ في موضعٍ مِنها ما ليسَ في المواضعِ الأُخرِ؛ مِن الزِّياداتِ والفوائدِ، أَو يَأْتي بِها بأَلفاظٍ غيرِ أَلفاظِ القِصَّةِ الأُخرى، والمعاني متَّفِقَةٌ، أَو مُتَقارِبَةٌ[(٦)].

فعلى حِسابِ أَنَّ هذا التَّعليقَ مختَصرٌ سوفَ آتي بِهذهِ القَصصِ، وأَجمعُ القِصَّةَ في موضعٍ واحدٍ، وأَحرَصُ على ما دلَّتِ عليهِ أَلفاظُ الكتابِ مِن سِياقِها مِن أَوَّلِها إلى آخرِها، وأُتبعُ كلَّ قِصَّةٍ بِما يفتحُ اللهُ بهِ مِن الفوائدِ الأُصُوليَّةِ والفُروعيَّةِ، والأَخلاقِ والآدابِ، والمواضيعِ المتنوِّعةِ، رَاجيًا مِن اللهِ أَنْ يُوفِّقَني بذلكَ لِلصَّوابِ اللَّفظيِّ، والإِخلاصِ الباطنيِّ، وموافقةِ رضاهُ، وأَنْ يحصلَ[(٧)] بذلكَ النَّفعُ العامُّ، إِنَّهُ جَوادٌ كريمٌ[٨٥].

---

(١) قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

(٢) بعد أَنْ ذكر اللهﷻ عددًا من الأنبياء والمرسلين قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [الأنعام:٩٠].

(٣) قالﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ﴾ [يوسف:١١٠].

(٤) السَّمَرُ والْمُسامَرَةُ: "الحديث باللَّيل". مُختار الصِّحاح، وينظر: القاموس المحيط، مادة: (سمر).

(٥) قال تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾ [يوسف:١١١].

(٦) ولتكرار القَصص فوائد أُخرى، منها: انفراد كلِّ قصَّة منها بموضوع، واشتراك مَن تقدَّم إسلامه ومَن تأَخَّر في معرفتها، وإِبراز الكلام الواحد بأَساليب مختلفة من الفصاحة، وفي التَّكرار تحدٍّ للمكذبين، وتعجيزٌ لهم أَنْ يأْتوا بمثلِ القرآن العظيم، وبأَي أُسلوب ونظم مثله. ينظر: البُرهان، (٣/٢٦-٢٧).

(٧) س: "يجعل".

فَصْلٌ: في قِصَّةِ آدَمَ، أَبِي البَشَرِ ﷺ:

لم يزلِ اللهُ أَوَّلًا ليسَ قبلَهُ شَيءٌ، ولم يزلْ فعَّالًا لِما يريدُ، ولا خَلا وقتٌ مِن الأَوقاتِ مِن أَفعالٍ وأَقوالٍ تَصدرُ عن مشيئتِهِ وإِرادتِهِ، بحسَبِ ما تقتضِيهِ حِكمَةُ اللهِ؛ الذي هو حكيمٌ في كلِّ ما قدَّرَهُ وقضاهُ، كمَا هو حَكيمٌ في كلِّ ما شرَعهُ لعبادِهِ.

فلمَّا اقْتضَتِ الحِكمَةُ الشَّامِلةُ والعِلمُ المحيطُ مِن اللهِ، والرَّحمةُ السَّابغةُ خَلْقَ آدمَ؛ أَبِي البَشَرِ -الذين فضَّلهُم اللهُ على كثيرٍ ممَّن خَلقَ تفضيلًا(١)- أَعلمَ الملائكةَ، وقالَ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(٢): يخْلُفُ مَن كان قبلَهُم مِن المخلوقاتِ التي لا يعلمُها إِلَّا هوَ(٣).

﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾(٤)؛ وهذا مِنهُم تعظيمٌ لربِّهِم وإِجلالٌ لهُ عن أَنَّهُ ربَّما يَخْلقُ مخلوقًا يُشْبهُ أَوصافَ(٥) المخلوقاتِ الأُوَلِ(٦)، أَو أَنَّ اللهَ -تعالى- أَخبرَهُم بِخَلقِ آدمَ، وبِما يكونُ مِن مُجرِمي ذُريَّتِهِ، قالَ اللهُ لملائكتِهِ: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(٧)؛ فإِنَّهُ مُحيطٌ عِلمُهُ بكلِّ شَيءٍ، وبِما يترتَّبُ على هذا المخلوقِ مِن المصالحِ، والمنافعِ التي لا تُعدُّ ولا تُحْصَى.

فعرَّفهُم -تعالى- بنفسِهِ بكمالِ عِلمِهِ، وأَنَّهُ يَجِبُ الاعترافُ لِلهِ بسِعةِ العِلْمِ، والحِكمةِ التي مِن

---

(١) قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٧٠].

(٢) البقرة: ٣٠

(٣) قال ابن جرير ؒ: "والخَليفة: الفَعيلَة من قولك: خَلَف فلان فلانًا في هذا الأَمر، إِذا قام مقامه فيه بعده، كما قال جلَّ ثناؤه: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس:١٤]؛ يعني بذلك أَنَّه أَبدلكم في الأَرض منهم، فجعلكم خلفاء بعدهم". جامع البيان، (٤٤٩/١)، وينظر: تفسير القرآن العظيم، (٢١٦/١).

(٤) البقرة: ٣٠

(٥) س: "أَخلاق"، وهي أَوضح للمعنى المراد.

(٦) رُوي عن ابن عبَّاس ؓ قوله: "أَوَّل من سكن الأَرضَ الجنُّ فأَفسدوا فيها، وسفكوا فيها الدِّماء، وقتل بعضهم بعضًا". جامع البيان، (٤٥٠/١)، وينظر: مَعَالم التَّنزيل، (١٠١/١)، وتفسير القرآن العظيم، (٢١٨/١).

ولا شكَّ أَنَّ الجنِّ مخلوقون قبل آدم وذريَّته، قال ﷻ: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [الحجر:٢٧].

وأَمَّا سكنهم الأَرض قبل آدم ففيه أَثر ابن عبَّاس ؓ، وذكره عدد من مفسِّري السَّلف، كما سبق. والله أَعلم.

(٧) البقرة: ٣٠

جُملتِها: أَنَّهُ لا يَخْلُقُ شيئًا عَبَثًا، ولا لِغيرِ حِكْمةٍ، ثُمَّ بيَّنَ لَهُم ذلكَ[(١)] على وجهِ التَّفصيلِ؛ فخَلَقَهُ بيَدِهِ تَشْريفًا لَهُ على جميعِ المخلوقاتِ، وقَبضَ قَبضةً مِن جميعِ الأَرضِ سَهْلِها، وحَزْنِها، وطَيِّبِها وخَبيثِها؛ ليكونَ النَّسلُ على هذهِ الطَّبائعِ[(٢)].

فكانَ تُرابًا أَوَّلًا، ثُمَّ أَلقَى عليهِ الماءَ فصارَ طِينًا، ثُمَّ لَمَّا طالتْ مُدَّةُ بقاءِ الماءِ على الطِّينِ تَغيَّرَ ذلكَ الطِّينُ فصارَ حَمَأً مَسْنُونًا؛ طِينًا أَسودَ، ثُمَّ أَيْبَسَهُ بعدما صوَّرَهُ فصارَ كالفَخَّارِ[(٣)] الذي لَهُ صَلْصَلةٌ[(٤)].

وفي هذهِ الأَطوارِ هو جَسَدٌ بلا رُوحٍ، فلمَّا تكاملَ خَلْقُ جَسَدِهِ، نَفخَ فيهِ الرُّوحَ، فانقلبَ ذلكُ الجَسدُ الذي كان جَمادًا حَيوانًا لَهُ عِظامٌ ولَحمٌ، وأَعصابٌ وعُروقٌ، ورُوحٌ هي حَقيقةُ الإِنسانِ، وأَعدَّهُ اللهُ لِكلِّ عِلمٍ، وخيرٍ، ثُمَّ أَتمَّ عليهِ النِّعمةَ، فعلَّمَهُ أَسماءَ الأَشياءِ كلِّها.

والعِلمُ التَّامُّ يَستدعِي الكمالَ التَّامَّ، وكَمالَ الأَخلاقِ، فأَرادَ اللهُ أَنْ يُرِيَ الملائكةَ كمالَ هذا المخلوقِ، فعرَضَ هذهِ الْمُسمَّياتِ على الملائكةِ، وقالَ لَهم: ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾[(٥)]؛ في مَضمونِ كلامِكُم الأَوَّلِ، الذي مُقتضاهُ أَنَّ ترْكَ خَلْقِهِ أَوْلَى، هذا بِحسَبِ ما بدا لَهم في تلكَ الحالِ، فعجَزتِ الملائكةُ عليهم السلام عن معرفةِ أَسماءِ هذهِ الْمُسمَّياتِ، و﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا

---

(١) "ذلك": ليست في: (س).

(٢) أَخرج أَحمد في مسنده، (٣٢/٣٥٣) ح (١٩٥٨٢)، وأَبو داود في سننه، كتاب السُّنَّة، باب في القدر، (٧/٧٨) ح (٤٦٩٣)، والتِّرمذيُّ في سننه، باب ومن سورة البقرة، (٥/٥٤) ح (٢٩٥٥)، عن أَبي موسى رضي الله عنه، عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنَّ اللهَ عز وجل خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ؛ جَاءَ مِنْهُمُ الْأَبْيَضُ وَالْأَحْمَرُ وَالْأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالْخَبِيثُ، وَالطَّيِّبُ وَالسَّهْلُ، وَالْحَزْنُ، وَبَيْنَ ذَلِكَ)).

قال التِّرمذيُّ: "هذا حديث حسن صحيح"، وصحَّحه الأَلبانيُّ في مِشْكاة المصابيح، (١/٣٦) ح (١٠٠).

(٣) الْفَخَّارُ: الطِّين المطبوخ بالنَّار. ينظر: مجاز القرآن، (٢/٢٤٣)، والْمِصباح الْمُنِيْر، مادَّة: (فخر).

(٤) الصَّلْصَلَةُ: الصَّوت، و"الصَلْصالُ: الطِّين اليابس الذي يَصِلُّ مِن يُبْسِه، أَيْ: يصوِّت". لسان العرب، مادَّة: (صلل)، وينظر: مجاز القرآن، (١/٣٥٠)، ومعاني القرآن، للنَّحَّاس، (٤/٢٣).

وقد جَمع الرَّازيُّ رحمه الله الآيات التي ذكرها الله في خلق آدم، ثمَّ وفَّق بينها، وبيَّن هو وغيره من العلماء أَنَّ التُّراب مرَّ بتلك الأَطوار التي ذكرها المؤلِّف رحمه الله؛ مِمَّا يزيل الإِشكال، ويدفع مُوهم التَّعارض بين الآيات. ينظر: مَعَالم التَّنزيل، (٢/١٠٩)، وتفسير الرَّازي، (٨/٢٤٤)، ودفع إِيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، للشَّنْقِيْطِي، (ص:١٣١).

(٥) البقرة: ٣١

عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[١].

قال اللهُ: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ﴾[٢]؛ شاهَدَ الملائكةُ مِن كَمالِ هذا المخْلوقِ وعِلمِهِ ما لم يكنْ لَهم في حِسابٍ، وعرَفوا بذلكَ -على وجهِ التَّفصِيلِ والْمُشاهدَةِ- كَمالَ حِكمةِ اللهِ، وعظَّموا آدمَ غايةَ التَّعظِيمِ.

فأَرادَ اللهُ أَنْ يَظهَرَ هذا التَّعظيمُ والاحترامُ لآدمَ مِن الملائكةِ ظاهرًا وباطنًا، فقال للملائكةِ: ﴿ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾[٣]؛ احتِرامًا لَهُ وتوقيرًا وتبجِيلًا، وعِبادةً مِنكُم لربِّكُم، وطاعةً ومحبَّةً وذُلًّا؛ فبادَروا كلُّهُم أَجمعونَ، فسجَدوا[٤].

وكان إِبليسُ بينَهُم، وقد وُجِّهِ إِليهِ الأَمرُ بالسُّجودِ معهُم، وكان مِن غيرِ عُنْصُرِ[٥] الملائكةِ؛ كان مِن الجِنِّ[٦]، المخلُوقِينَ مِن نارِ السَّمومِ، وكان مُبْطِنًا لِلكفرِ باللهِ[٧]، والحَسَدِ لِهذا الإِنسانِ -الذي فضَّلهُ اللهُ هذا التَّفضيلَ- فحملَهُ كِبرُهُ وكُفرُهُ على الامتناعِ عن السُّجودِ لآدمَ؛ كُفرًا باللهِ واستِكبَارًا.

---

(١) البقرة: ٣٢

(٢) البقرة: ٣٤

(٣) الأعراف: ١٢

(٤) الآيات القرآنيَّة تدلُّ على أَنَّ الأَمر بالسُّجود كان قبل تعليم الأَسماء، قال ابن كثير رحمه الله: "هذا مقام ذكر الله -تعالى- فيه شرف آدم على الملائكة، بما اختصَّه به من علمِ أَسماءِ كلِّ شيءٍ دونهم، وهذا كان بعد سجودهم لَهُ؛ وإِنَّما قدَّم هذا الفصل على ذاك لمناسبة ما بين هذا المقام وعدم علمِهم بحكمةِ خلقِ الخليفة، حين سأَلوا عن ذلك، فأَخبرهم الله -تعالى- بأَنَّه يعلم ما لا يعلمون؛ ولهذا ذكر -تعالى- هذا المقام عقيب هذا؛ ليبيِّن لهم شرف آدم بما فُضِّل به عليهم في العلم، فقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة:٣١]". تفسير القرآن العظيم، (١/٢٢٢).

(٥) العُنْصُرُ: الأَصْلُ. ينظر: جَمْهرة اللُّغة، ولسان العرب، مادَّة: (عنصر).

(٦) قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠].

(٧) قال ابن عطيَّة عند قوله تعالى: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤]، "يحتمل أَنْ يريد به: وكان من أَوَّل أَمره من الكافرين في علم الله -تعالى- قاله ابن عبَّاس، ويُحتمل أَنْ يريد: ووجد عند هذه الفعلة من الكافرين، وعلى القولين فقد حكم الله على إبليس بالكفر...". المحرَّر الوجيز، (٤/٥١٤).

ولم يَكْفِهِ الامتناعُ حتَّى بَاحَ[(١)] بالاعتراضِ على ربِّهِ، والقَدْحِ في حِكْمتهِ، فقال: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾[(٢)].

فقال اللهُ لَهُ: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾[(٣)]؛ فكانَ هذا الكفرُ والاستِكبَارُ والإباءُ مِنهُ وشِدَّةُ النِّفَارِ هو السَّببُ الوحيدُ أَنْ يكونَ مَطرُودًا مَلعُونًا، فقال اللهُ لَهُ: ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾[(٤)].

فلم يَخضعِ الخبيثُ لربِّهِ، ولم يتُبْ إليهِ، بل بارزَهُ بالعَداوةِ، وصمَّمَ التَّصميمَ التَّامَّ على عَداوةِ آدمَ وذُريَّتِهِ، ووطَّنَ نفسَهُ -لَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ حُتِمَ عليهِ الشَّقاءُ الأَبديُّ- أَنْ يدعوَ الذُّريَّةَ بقولِهِ وفعلِهِ وجنودِهِ[٨٦]، إلى أَنْ يكونوا مِن حِزبِهِ؛ الذين كُتِبتْ لهم دارُ البَوارِ، فقال: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[(٥)]؛ فيتفرَّغُ لإعطاءِ العَداواتِ حقَّها في آدمَ وذريَّتِهِ.

ولَمَّا كانتْ حِكمةُ اللهِ اقتضتْ أَنْ يكونَ الآدميُّ مُرَكَّبًا مِن طَبائعَ مُتبايِنَةٍ، وأَخلاقٍ طيِّبةٍ أَو خَبيثةٍ، وكان لا بُدَّ مِن تَمييزِ هذهِ الأَخلاقِ، وتَصفيتِها بتقديرِ أَسبابِها؛ مِن الابتلاءِ والامتحانِ الذي مِن أَعظمِهِ تمكينُ هذا العدوِّ مِن دعوتِهِم إلى كلِّ شَرٍّ، أَجابَهُ: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝٣٧ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾[(٦)].

فقالَ لربِّهِ مُعْلِنًا مَعصِيتَهُ، وعَداوَةَ[(٧)] آدمَ وذريَّتِهُ: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾[(٨)]، قالَ إبليسُ هذهِ المقالةَ -ظنًّا مِنهُ- لأَنَّهُ عرفَ ما جُبِلَ عليهِ الآدميُّ: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ

(١) البَوْحُ: ظهور الشَّيء، يقال: "باح بسرِّه يبوح بوحًا إذا أظهره". جَمْهَرة اللُّغة، وينظر: العين، مادَّة: (بوح).
(٢) الأعراف: ١٢
(٣) ص: ٧٥
(٤) الأعراف: ١٣
(٥) الحجر: ٣٦
(٦) الحجر: ٣٧-٣٨
(٧) س: "وعداوته".
(٨) الأعراف: ١٦-١٧

ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١).

فَمَكَّنَهُ اللهُ مِن الأَمرِ الذي يريدُهُ إبليسُ في آدمَ وذريَّتِهِ، فقالَ اللهُ لَهُ: ﴿ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾(٢): أَيْ: إنْ قَدِرتَ فاجعلهُم مُنحَرِفِينَ في تَربيةِ أَولادِهِم إلى التَّربيةِ الضَّارَّةِ؛ وفي صرفِ أَموالِهم المصَارِفَ الضَّارَّةَ، وفي الكَسْبِ الضَّارِّ، و-أيضًا- شارِكْ مِنهُم مَن إذ تَناولَ طعامًا أَو شَرابًا أَو نِكاحًا، ولم يذكرِ اسمَ اللهِ على ذلكَ في الأَموالِ الأَولادِ(٣).

﴿وَعِدْهُمْ﴾(٤)؛ أَيْ: مُرْهُم أَنْ يُكذِّبوا بالبعثِ والجَزاءِ، وأَنْ لا يُقْدِمُوا على خَيرٍ، وخوِّفهُم مِن أَوليائِكَ، وخوِّفهُم عندَ الإنفاقِ النَّافعِ؛ بالفَحشاءِ، والبُخلِ(٥)، وهذا مِن اللهِ لحِكَمٍ عَظيمةٍ وأَسْرارٍ(٦).

وإِنَّكَ: أَيُّها العدوُّ الْمُبِينُ، لا تُبقِي مِن مقدورِكَ في إغوائِهِم شيئًا؛ فالخَبيثُ مِنهُم يَظهَرُ خُبثُهُ، ويتَّضِحُ شرُّهُ، واللهُ لا يَعْبأُ بهِ؛ ولا يُبالِي بهِ.

وأَمَّا خَواصُّ الذُّرِّيةِ؛ مِن الأَنبياءِ، وأَتباعِهِم مَن الصِّدِّيقِينَ والأَصْفياءِ، وطَبَقاتِ الأَولياءِ والمؤمنِينَ فإِنَّ اللهَ -تعالى- لم يجعلْ لهذا العدوِّ عليهِم تَسلُّطًا، بلْ أَقامَ عليهِم سُورًا مَنيعًا -وهو حِمايتُهُ وكِفايتُهُ- وزوَّدهُم بسلاحٍ لا يمكنُ لعدوِّهِم مُقاومَتُهُم بكمالِ الإيمانِ باللهِ، وقوَّةِ توكُّلِهِم عليهِ: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(٧)، ومعَ ذلكَ فأَعانَهُم على مُقاوَمةِ هذا العدوِّ الْمُبينِ بأُمورٍ كثيرةٍ:

- أَنزلَ عليهِم كُتبَهُ الْمُحْتَوِيَةَ على العُلومِ النَّافعةِ، والمواعظِ المؤثِّرَةِ، والتَّرغيبِ إلى فعلِ

(١) سبأ: ٢٠

(٢) الإسراء: ٦٣-٦٤

(٣) أخرج مسلم في صحيحه، كتاب الأَشربة، باب آداب الطَّعام والشَّراب وأَحكامهما، (١٥٩٨/٣) ح (٢٠١٨)، عن جابرﷺ، أَنَّه سمع النَّبيَّﷺ يقولُ: ((إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ، وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ، فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ المَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَالْعَشَاءَ)).

(٤) الإسراء: ٦٣-٦٤

(٥) قالﷻ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [البقرة:٢٦٨].

(٦) ومن الحِكَم: الابتلاءُ والامتحانُ للعباد؛ وتبيُّن الخبيث من الطَّيب، وتكميلُ مراتب العبوديَّة؛ بمجاهدة عدوِّ الله إبليس وحزبه ومخالفته، والاستعاذة بالله منه؛ ومن شرِّه وكيده. ينظر: شِفَاء العَلِيل، (ص:٢٣٦).

(٧) النحل: ٩٩

الخَيْراتِ، والتَّرهيبِ مِن فِعلِ الشُّرورِ(١).

- وأرسلَ إليهِمُ الرُّسُلَ مُبشِّرينَ مَن آمنَ باللهِ وأطاعَهُ بالثَّوابِ العاجِلِ والآجلِ(٢)، ومُنذِرينَ مَن كَفرَ وكذَّبَ وتولَّى بالعُقوباتِ الْمُتنوِّعةِ(٣).

- وضمِن لِمَن اتَّبعَ هُداهُ؛ الذي أَنزلَ بهِ كُتبَهِ، وأَرسلَ بهِ رُسلَهُ أَنْ لا يَضِلَّ في الدُّنيا، ولا يَشْقَى في الآخرَةِ(٤)، وأَنَّهُ لا خوفٌ عليهِ، ولا حُزْنَ يَعْتَرِيهِ(٥).

- وأَرشدَهُم في كُتبِهِ، وعلى أَلسِنةِ رُسلِهِ إلى الأُمورِ التي بِها يَحتمُونَ مِن هذا العَدوِّ الْمُبِينِ، وبيَّنَ لَهُم ما يدعو إليهِ هذا الشَّيطانُ، وطُرُقَهُ التي يَصطادُ بِها الخَليقَةَ(٦).

- وكَما بَيَّنها لهم ووضَّحَها فقد أَرشدَهُم إلى الطُّرقِ التي يَنجُونَ بِها مِن شرِّهِ، وفِتنتهِ(٧)، وأَعانَهُم على ذلكَ إعانةً قدريَّةً خارجةً عن قُدرتِهِم(٨)؛ لأَنَّهُم لَمَّا بذلوا المجهودَ، واستعانُوا بالمعبودِ، سَهُلَ لهم كلُّ طريقٍ يُوصِلُ إلى المقصُودِ.

ثُمَّ إنَّ اللهَ -تعالى- أَتمَّ نعمتَهُ على آدمَ، فخَلقَ مِنهُ زوجتَهُ حَوَّاءَ؛ مِن جِنسِهِ، وعلى شَكْلِهِ؛ ليسْكُنَ إليها(٩)، وتَتِمَّ المقاصدُ الْمُتعدِّدةُ مِن الزَّواجِ والالتئامِ، وتنبثَّ الذُّرِّيَّةُ بذلكَ.

وقالَ لَهُ ولزوجهِ(١٠): إن الشَّيطانَ عدوٌّ لكُما، فاحذرَاهُ غايةَ الحذَرِ، ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ

---

(١) قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد:٢٥].

(٢) "والآجل"، ليست في: (س).

(٣) قال ﷻ: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥].

(٤) قال تبارك وتعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه:١٢٣].

(٥) قال سبحانه وتعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٣٨].

(٦) قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [النور:٢١]، وقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر:٥-٦].

(٧) قال عز وجل: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يس:٦٠-٦١].

(٨) قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد:١١].

(٩) قال ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف:١٨٩].

(١٠) س: "ولزوجته".

﴿ٱلْجَنَّةِ﴾(١) التي أَسْكَنَكُما اللهُ إيَّاها، وأَباحَكُمَا أَنْ تأْكلا مِن جميعِ ثِمارِها، وأَنْ تتمتَّعا بجميعِ لذَّاتِها[٨٧] إِلَّا شَجرةً مُعَيَّنةً(٢) في هذهِ الجَنَّةِ، فحرَّمَها عليهِما، فقالَ: ﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٣).

وقالَ اللهُ لآدمَ في تَمْتِيْعِهِ بِهذهِ الجَنَّةِ: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾(٤).

فَمكثَا في الجَنَّةِ ما شاءَ اللهُ على هذا الوصفِ الذي ذكرَهُ اللهُ، وعدُوُّهما يُراقِبُهما ويُراصِدُهُما، ويَنظرُ الفُرصةَ فِيهِما، فلمَّا رأى سُرورَ آدمَ بِهذهِ الجَنَّةِ، ورغْبتَهُ العَظيمةَ في دَوامِها، جاءَهُ بطريقٍ لَطيفٍ في صُورةِ الصَّدِيقِ النَّاصحِ، فقال: يا آدمُ، هل أَدلُّكَ على شجرةٍ إذا أَكلتَ مِنها خَلُدْتَّ في هذهِ الجَنَّةِ، ودامَ لكَ الْمُلكُ الذي لا يبلَى(٥)؟.

فلم يزلْ يُوسوسُ، ويُزيِّنُ، ويُسوِّلُ، ويَعِدُ، ويُمَنِّي، ويُلقي عليهِما مِن النَّصائحِ الظَّاهِرةِ، -وهي أَكبرُ الغِشِّ- حتَّى غرَّهما، فأَكلا مِن الشَّجرةِ التي نَهاهُما اللهُ عنها، وحرَّمَها عليهِما(٦).

فلمَّا أَكلا مِنها بدَتْ لَهما سَوآتُهما بعدما كانا مَستُورَينِ، ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾(٧) على أَنفسِهما مِن أَوراقِ تلكَ الجَنَّةِ؛ أَيْ: يُلْزِقانِ على أَبدانِهما العارِيةِ؛ ليكونَ بدلَ اللِّباسِ، وسُقِطَ في أَيديهِما، وظهرَتْ في الحالِ عُقوبةُ مَعصِيتِهما، ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(٨).

---

(١) طه: ١١٧

(٢) لم يَرِد اسم هذه الشَّجرة في القرآن ولا في صحيح السُّنَّة؛ مِمَّا يدل على أَنَّ العلم به لاينفع، وأَنَّ الجهل به لايضرُّ. ينظر: جامع البيان، (١/٥٢٠-٥٢١).

(٣) الأعراف: ١٩

(٤) طه: ١١٨-١١٩

(٥) قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠].

(٦) قال ﷻ: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٠-٢٢].

(٧) الآية السَّابقة.

(٨) الآية السَّابقة.

فأَوقعَ اللهُ في قَلْبَيهِما التَّوبةَ التَّامَّةَ، والإنابةَ الصَّادِقةَ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾(١)، وقالا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(٢)، فتابَ اللهُ عليهِما، ومحا الذَّنبَ الذي أَصابا، ولكنَّ الأَمرَ الذي حذَّرَهُما اللهُ مِنهُ، وهو الخُروجُ مِن هذهِ الجَنَّةِ إِنْ تناولا مِنها تَحَتَّمَ ومَضَى، فخرجَا مِنها إلى الأَرضِ التي حُشِيَ خَيرُها بِشَرِّها، وسُرورُها بِكَدَرِها(٣).

وأَخبرَهما اللهُ أَنَّهُ لا بُدَّ أَنْ يبتليَهُما وذرِّيتَهُما، وأَنَّ مَن آمنَ وعملَ صالحًا كانتْ عاقبتُهُ خيرًا مِن حالتِهِ الأُولى، ومَن كذَّبَ وتولَّى فآخِرُ أَمرِهِ الشَّقاءُ الأَبَدِيُّ، والعذابُ السَّرمَدِيُّ(٤).

وحذَّرَ اللهُ الذُّرِّيَةَ مِنهُ، وقالَ(٥): ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾(٦).

وأَبدلَهُمُ اللهُ بذلكَ اللِّباسِ الذي نزعهُ الشَّيطانُ مِن الأَبوينِ بلباسٍ يُوارِي السَّوآتِ، ويحصلُ بهِ الجمالُ الظَّاهرُ في الحياةِ، ولباسٍ أَعلى مِن ذلكَ، وهو لباسُ التَّقوى، الذي هو لِباسُ القَلبِ والرُّوحِ بالإيمانِ، والإِخلاصِ، والإِنابةِ، والتَّحلِّي بكلِّ خُلقٍ جميلٍ، والتَّخلِّي مِن(٧) كلِّ خُلقٍ رَذِيلٍ(٨)؛ ثُمَّ بثَّ اللهُ مِن آدمَ وزوجِهُ ﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾(٩)، ونشرَهُم في الأَرضِ، واستخلَفهُم فِيها؛ لِينظرَ كيف يعملونَ(١٠).

---

(١) البقرة: ٣٧

(٢) الأعراف: ٢٣

(٣) قال ﷻ: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة:٣٦].

(٤) قال ﷻ: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه:١٢٣-١٢٤].

(٥) "فقال".

(٦) الأعراف: ٢٧

(٧) س: "عن"، وهي الأنسب للسِّياق.

(٨) قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف:٢٦].

(٩) النساء: ١

(١٠) قال ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الأنعام:١٦٥].

فَوائدُ مُسْتَنْبَطَةٌ مِن هذهِ القِصَّةِ؛ أُصُولِيَّةٌ، وفُرُوْعِيَّةٌ، وأَخْلَاقٌ وآدَابٌ.

فمِنها: أَنَّ هذهِ القِصَّةَ العظيمَةَ ذكَرَها اللهُ في كتابهِ في مواضعَ كثيرةٍ[١] صريحةٍ لا ريبَ فِيها ولا شكَّ، وهي مِن أَعظمِ القَصصِ التي اتَّفقتْ عليها الرُّسُلُ، ونزَلتْ بِها الكُتُبُ السَّماويَّةُ، واعتقدَها جميعُ أَتباعِ الأَنبياءِ مِن الأَوَّلِينَ والآخِرينَ، حتَّى نبَغَتْ في هذهِ الأَزمانِ المتأَخِّرَةِ فِرقةٌ خَبيثةٌ زَنادِقةٌ أَنكروا جميعَ ما جاءتْ بهِ الرُّسُلُ، وأَنكروا وجودَ الباري، ولم يُثْبتوا مِن العُلومِ إِلَّا العُلومَ الطَّبيعيَّةَ التي وصَلتْ إِليها معارفُهُم القاصِرةُ[٢].

فبناءً على هذا المذهبِ الذي هو أَبعدُ المذاهبِ عن الحَقيقةِ شرعًا وعقلًا أَنكروا آدمَ وحَواءَ، وما ذكَرَهُ اللهُ ورسولُهُ عنهُما، وزعموا أَنَّ هذا الإِنسانَ كان حيوانًا قِردًا، أَو شَبِيها بالقِردِ، حتَّى ارتقَى إِلى هذهِ الحالِ الموجودةِ[٣].

وهؤلاءِ اغترُّوا بنظريَّاتِهم الخاطِئةِ الْمَبْنيَّةِ على ظُنونِ عقولٍ مِن أَصْلِها فاسدةٌ، وتركوا لأَجلِها جميعَ العُلومِ الصَّحيحةِ، خصوصًا ما جاءتْهُم بهِ الرُّسلُ، وصدَقَ عليهِم قولُهُ تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾[٤].

وهؤلاءِ أَمْرُهُم ظاهرٌ لجميعِ المسلِمينَ، ولجميعِ الْمُثْبِتِينَ وجودَ الباري؛ يعلَمونَ أَنَّهم أَضلُّ الطَّوائفِ، ولكنْ تسرَّبَ على بعضِ المسلِمينَ مِن هذا المذهبِ الدَّهريِّ بعضُ الآثارِ والفُروعِ المبنِيَّةِ[٨٨] على هذا القولِ؛ إِذْ فسَّر طائفةٌ مِن العَصْريِّيْنَ سجودَ الملائكةِ لآدمَ أَنَّ معناهُ تسخيرُ هذا العالَمِ للآدميِّيْنَ، وأَنَّ الموادَ الأَرضيَّةَ والمعدنيَّةَ ونحوَها قد سخَّرها اللهُ للآدميِّ، وأَنَّ هذا هو معنَى سجودِ الملائكةِ[٥].

---

(١) هذه القِصَّة مذكورة في سُورة: البقرة، والأَعراف، والحِجر، والإِسراء، والكهف، وطه، وص.

(٢) هم القائلون بالطَّبيعة، وقد سبق ذلك: (ص:٦).

(٣) هذه نظريَّة "دارون"، في النُّشوء والإرتقاء. ينظر: في تفنيدها وبيان بطلانها: القائد إلى تصحيح العقائد، للمُعَلِّمِي، (ص:٢٥٢)، والعقيدة في الله، للأَشْقَر، (ص:٨٣-٨٤).

(٤) غافر: ٨٣

(٥) تقدَّم أَشهر مَن يقصدهم المؤلِّف رحمه الله: (ص:٦).

ولا يَسْتَرِيبُ مؤمنٌ باللهِ واليومِ الآخرِ أَنَّ هذا مُستمدٌّ مِن ذلكَ الرَّأْيِ الأَفْنِ[١]، وأَنَّهُ تحريفٌ لكتابِ اللهِ، لا فرقَ بينَهُ وبيْنَ تحريفِ الباطنِيَّةِ[٢]، والقَرامِطَةِ[٣].

وأَنَّهُ إذا أُوِّلتْ هذهِ القِصَّةُ إلى هذا التَّأْويلِ توجَّهَ نظيرُ هذا التَّحريفِ لغيرِها مِن قَصصِ القرآنِ، وانقلبَ القرآنُ -بعدما كان تبيانًا لكلِّ شيءٍ، وهدىً ورحمةً- رُموزًا يُمكِنُ كلُّ عدوٍ للإسلامِ أَنْ يفعلَ بِها هذا الفِعلَ، فَيَبْطُلُ بذلكَ القرآنُ، وتعودُ هِدايتُهُ إِضلالًا، ورحمتُهُ نِقمةً، ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾[٤].

والمؤمنُ في هذا الموضعِ يكفيهِ لإِبطالِ هذا القولِ الخَبيثِ أَنْ يَتلوَ ما قَصَّهُ اللهُ علينا مِن قِصَّةِ آدمَ وسُجودِ الملائكةِ؛ فيَعلمَ أَنَّ هذا منافٍ لِمَا قصدَ اللهُ ورسولُهُ غايةَ المنافاةِ، وإِنْ زَخْرَفَهُ أَصحابُهُ، ولَوَّوا لَهُ العِباراتِ، ونَسبُوهُ إلى بعضِ مَن يُحْسَنُ بِهِمُ الظَّنُّ[٥]، فالمؤمنُ لا يَتركُ إِيمانَهُ، ولا كتابَ ربِّهِ لمثلِ هذهِ التَّرْويْجَاتِ المغرَّرةِ، أَو المغرورِ أَصحابُها.

ومِنها: فضيلةُ العِلْمِ، وأَنَّ الملائكةَ لَمَّا تَبيَّنَ لهم فضلُ آدمَ بعلمِهِ عرَفوا بذلكَ كمالَهُ، وأَنَّهُ يَستحِقُّ الإِجلالَ والتَّوقِيرَ.

ومِنها: أَنَّ مَنْ مَنَّ اللهُ عليهِ بالعِلمِ عليهِ أَنْ يَعترِفَ بنعمةِ اللهِ عليهِ، وأَنْ يقولَ كَمَا قالتِ الملائكةُ والرُّسُلُ: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾[٦]، وأَنْ يتوقَّى التَّكلُّمَ بِما لا يَعلمُ؛ فإِنَّ العِلْمَ أَعظمُ الْمِنَنِ، وشكرُ هذهِ النِّعمةِ الاعترافُ للهِ بِها، والثَّناءُ عليهِ بتعليمِها، وتعليمُ الجهَّالِ، والوقوفُ

(١) الأَفْنُ: النَّقصُ، ورَجل مأْفونٌ أَيْ: ناقص العقل. ينظر: الصِّحاح، ومقاييس اللُّغة، ولسان العرب، مادَّة: (أفن).

(٢) البَاطِنِيَّةُ: مُسمًّى واسع يَشمل عدَّة فِرق، يشتركون في تأْويل النُّصوص الشَّرعيَّة عن معناها الظَّاهر إِلى معان باطنة غير معهودة لدى المسلمين شرعًا أَو لغة أَو عقلًا، ومنهم: غلاة الصُّوفيَّة، والفِرق الباطنيَّة التي انبثقت من الشِّيعة الاثني عشريَّة، كالشِّيعة الإِماميَّة، والإِسماعيليَّة، والنُّصيريَّة، والدُّروز. ينظر: فضائح الباطنيَّة، للغزَالي، (ص:١١)، والْمِصباح الْمُنِيْر، مادَّة: (بطن)، ومصطلحات في كتب العقائد، للحَمَد، (ص:٢٦).

(٣) القَرَامِطَةُ: فرقة باطنيَّة، يزعمون أَنَّ لنصوص الشَّرع باطنًا يخالف ظاهرها، ثمَّ يفسِّرونها بما لا يوافق شرعًا، ولا لغة، ولا عقلًا، وتنسب إِلى: حمدان بن قَرْمَط، قال عبدالقاهر الأَسْفَرايِيْنِيُّ رحمه الله: "الذى يصحُّ عندي من دين الباطنيَّة أَنَّهم دهريَّة زنادقة، يقولون بقِدَم العالَم، وينكرون الرُّسل، والشَّرائع كلَّها". الفَرْق بين الفِرق وبيان الفِرقة النَّاجية، (ص:٢٧٨)، وينظر: مصطلحات في كتب العقائد، (ص:١٢٠).

(٤) النور: ١٦

(٥) تقدَّم أَشهر مَن يقصدهم المؤلِّف رحمه الله: (ص:٦).

(٦) البقرة: ٣٢

على ما عَلِمَهُ العبدُ، والسُّكوتُ عمَّا لم يعلمْهُ.

ومنها: أَنَّ اللهَ جعلَ هذهِ القِصَّةَ لَنا مُعتبَرًا، وأَنَّ الحسَدَ، والكِبرَ، والحِرصَ مِن أَخطرِ الأَخلاقِ على العبدِ(١)؛ فكِبْرُ إبليسَ وحَسَدُهُ لآدمَ صَيَّرَهُ إلى ما تَرى، وحِرصُ آدمَ وزوجِهِ حَملَهُما على تَناوُلِ الشَّجرةِ، ولولا تَدارُكُ رَحمةِ اللهِ لَهُما لأَوْدَتْ بِهما إلى الهلاكِ، ولكنَّ رحمةَ اللهِ تُكمِّلُ النَّاقصَ، وتَجْبرُ الكَسِيرَ، وتُنْجِي الهالكَ، وترفَعُ السَّاقطَ(٢).

ومنها: أَنَّهُ ينبغِي للعبدِ إذا وقعَ في ذَنْبٍ أَنْ يُبادِرَ إلى التَّوبةِ والاعترافِ، ويقولَ ما قالَهُ الأَبوانِ مِن قَلْبٍ خالصٍ؛ وإنابةٍ صَادقةٍ(٣)، فما قَصَّ اللهُ علينا صِفةَ توبتِهما إلَّا لنقتديَ بِهما؛ فنفوزَ بالسَّعادةِ، وننجوَ مِن الهلَكةِ.

وكذلكَ ما أَخبرَنا بِما قالَهُ الشَّيطانُ؛ مِن توعُّدِنا، وعزمِهِ الأَكيدِ على إغوائِنا بكلِّ طريقٍ إلَّا لنستعدَّ لهذا العدوِّ الذي تَظاهرَ بِهذهِ العداوةِ البليغةِ المتأَصِّلةِ(٤)، واللهُ يحبُّ مِنا أَنْ نُقاوِمَهُ بكلِّ ما نقدِرُ عليهِ؛ مِن تجنُّبِ طرُقِهِ وخُطواتِهِ، وفعلِ الأَسبابِ التي يُخشَى مِنها الوقوعُ في شِباكِهِ(٥)، ومِن

---

(١) أخرج أحمد في مسنده، (٢٥/٨٥) ح (١٥٧٩٤)، والتِّرمذيُّ في سننه، باب ما جاء في أخذ المال، (٤/١٦٦) ح (٢٣٧٦)، عن كعب بن مالكﷺ، قال: قال رسول اللهﷺ: ((مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ، وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ)).
قال التِّرمذيُّ ﷺ: "هذا حديث حسن صحيح".
وقال الأَلبانيُّ ﷺ: "صحيح". مِشْكاة المصابيح، (٣/١٤٣١) ح (٥١٨١).

(٢) تحدَّث ابن الْمَوْصِليِّ ﷺ عن آثار رحمة الله بتفصيل عجيب مفيد في مختصر الصَّواعق، (ص:٢٦٨-٣٧١).

(٣) قال ﷻ عن الأبوين: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣].

(٤) قال ﷻ عن إبليس: ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء:١١٨-١٢٠]، وقوله: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص:٨٢-٨٣].

(٥) قال ﷻ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء:٥٣]، وقالﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [النور:٢١]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ﴾ [يس:٦٠-٦٢].

عملِ الحُصُونِ مِن الأَورادِ الصَّحيحةِ(١)، والأَذكارِ القَلْبيَّةِ(٢)، والتَّعوُّذاتِ المتنوِّعةِ(٣)، ومِن السِّلاحِ الْمُهلِكِ لَهُ؛ مِن صدقِ الإيمانِ، وقوّةِ التَّوكُّلِ على اللهِ، ومُراغمتِهِ في أَعمالِ الخَيرِ، ومُقاوَمةِ وسَاوسِهِ، والأَفكارِ الرَّديَّةِ(٤) التي يَدفعُ بِها إِلى القَلبِ كلَّ وقتٍ، بِما يُضادُها، ويُبطلُها مِن العُلومِ النَّافعةِ، والحقائقِ الصَّادقةِ.

ومِنها: أَنَّ فِيها دِلالةً لمذهبِ أَهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ المثْبِتِينَ للهِ ما أَثبتَهُ لنفسِهِ مِن الأَسماءِ الحُسنَى والصِّفاتِ كلِّها، لا فرقَ بيْنَ صِفَاتِ الذَّاتِ، ولا بيْنَ صِفَاتِ الأَفعالِ(٥).

ومِنها: إِثباتُ اليَدَينِ للهِ، كمَا هو في قِصَّةِ آدمَ صَريحًا: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾(٦)؛ فلَهُ يَدَانِ حَقيقةً، كمَا أَنَّ ذاتَهُ لا تُشبِهُها الذَّواتُ، فصِفاتُهُ -تعالى- لا تُشبِهُها الصِّفاتُ(٧)[٨٩].

(١) تقدَّمت قصَّة أَبي هريرة رضي الله عنه مع الشَّيطان، (ص:٦)، وفيها: (إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ).

وأَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب أَحاديث الأَنبياء، باب. . . ، (١٤٧/٤) ح (٣٣٧١)، عن ابن عبّاس رضي الله عنهما، قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ، وَيَقُولُ: ((إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ)).

(٢) كالتَّفكر في عظمة الله وجلاله، ومخلوقاته العُلويَّة والسُّفليَّة، وذكر آلائه وإحسانه على عبيده، واستحضاره بالقلب عند أَمره ونهيه، وعند الهمّ بالمعصية، قال جل جلاله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠١].

قال ابن كثير رحمه الله: "وقوله: ﴿تَذَكَّرُوا﴾؛ أَيْ: عقابَ الله وجزيل ثوابه، ووعده ووعيده، فتابوا وأَنابوا، واستعاذوا بالله ورجعوا إِليه من قريب". تفسير القرآن العظيم، (٥٣٤/٣)، وينظر: مَعَالم التَّنزيل، (٢٦٢/٢)، والوابل الصَّيِّب، (ص:٨٧-٨٩).

(٣) قال عز وجل: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف:٢٠٠]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون:٩٧-٩٨].

(٤) س: "الرَّديئة".

(٥) سبق التَّعريف بهما: (ص:٦).

(٦) ص: ٧٥

(٧) هذه أَحد قواعد السَّلف في صفات الله تعالى. ينظر: التَّدمريَّة، (ص:٤٣).

قِصَّةُ نوحٍ ﷺ:

مكثَ البَشرُ بعدَ آدمَ قُرونًا طويلَةً وهمْ أُمَّةٌ واحدةٌ على الهُدَى، ثُمَّ اختلَفُوا(١)، وأَدْخلتْ عليهمُ الشَّياطينُ الشُّرورَ المتنوِّعةَ بطرقٍ كثيرةٍ(٢).

فكانَ قومُ نوحٍ قد ماتَ مِنهم أُناسٌ صالحونَ فحزَنوا عليهِم، فجاءَهُم الشَّيطانُ فأَمرَهُم أَنْ يُصوِّروا تماثيلَهُم؛ ليتسلَّوا بِها، وليتذكَّروا بِها أَحوالَهم، فكان هذا مبتدأَ الشَّرِ، فلمَّا هلَكَ الذين صوَّرُوهُم لهذا المعنَى جاءَ مَنْ بعدَهُم -وقد اضْمَحلَّ العِلْمُ- فقال لَهُم الشَّيطانُ: إنَّ هؤلاءِ -وَدًّا، وسُوَاعًا، ويَغُوْثَ، ويَعُوْقَ، ونسْرًا- قد كان أَوَّلُوكُم يَدعونَهُم، ويسْتشفِعونَ بِهِم، وبِهِم يُسقَونَ الغيثَ، وتزولُ الأَمراضُ، فلم يزلْ بِهِم حتَّى انهمَكُوا في عبادتِهم، على رغمِ نُصحِ النَّاصِحِينَ(٣).

ثُمَّ بَعثَ اللهُ فِيهِم نُوحًا ﷺ يَعرفونَهُ، ويَعرفونَ صِدقَهُ وأَمانتَهُ، وكَمالَ أَخلاقِهِ، ﴿فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾(٤)، ورغَّبَهُم في خيرِ الدُّنيا والآخرَةِ فقالَ: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى﴾(٥).

---

(١) قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَٱخۡتَلَفُواْ﴾ [يونس:١٩].

(٢) أَخرج مسلم في صحيحه، كتاب الجنَّة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصِّفات التي يعرف بها في الدُّنيا أَهل الجنَّة وأَهل النَّار، (٢١٩٧/٤) ح (٢٨٦٥)، عن عِياض بن حِمار الْمُجاشِعيِّ ﷺ، أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ، قال ذاتَ يومٍ في خُطبته: ((. . . وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا. . .)).

(٣) هذا قول ابن عبَّاس ﷺ وغير واحد من علماء التَّفسير؛ فكانت هذه الآلهة يعبدها قوم نوح، ثمَّ اتَّخذها العرب بعد ذلك؛ فقد أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾ [نوح:٢٣]، (١٦٠/٦) ح (٤٩٢٠)، عن ابن عبَّاس ﷺ، "صَارَتِ الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي العَرَبِ بَعْدُ؛ أَمَّا وَدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهُذَيْلٍ، وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ، ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجَوْفِ، عِنْدَ سَبَإٍ، وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ، وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لِآلِ ذِي الكَلاَعِ، أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ، أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ العِلْمُ عُبِدَتْ".

وينظر: جامع البيان، (٦٣٩/٢٣)، وتفسير القرآن العظيم، (٤٣١/٣).

(٤) الأعراف: ٥٩

(٥) نوح: ٢-٤

فلمَّا بادَأَهُم بالأَمرِ بالإخلاصِ للهِ، وتَسفيهِ آرائِهِم، وتَخويفِهِم بعقوباتِ الدُّنيا والآخرةِ قالوا: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾[1]، وطلَبُوا مِنهُ أَنْ يَطْرُدَ مَن كانَ معهُ مِن المؤمنِينَ؛ استكبارًا مِنهم، واستِنْكافًا[2] على الحقِّ وعلى الخَلقِ، فبيَّنَ لهم أَنَّهُ ليس بهِ ضلالٌ، وإنَّما بهِ تزولُ الضَّلالةُ عن الخَلقِ، وأَنَّهُ رَسولٌ أَمينٌ على بيِّنةٍ مِن ربِّهِ، وبَراهينَ واضحةٍ، وأَنَّ المؤمنِينَ لا يَحِلُّ طرْدُهُم، بلْ حقُّهُم الإِكرامُ والاحتِرامُ[3]، وأَنَّهُ لا يدَّعِي لَهُ[4] طَوْرًا[5] يُزاحِمُ فيهِ الرَّبَّ، فقال: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا﴾[6].

فلم يزلْ يَدعُوهُم ليلًا ونهارًا، وسِرًّا وجهرًا، فلم يزِدْهُم دعاؤُهُ إِلَّا فِرارًا ونُفُورًا وإِعْراضًا، وتَواصِيًا مِنهُم على الإِقامةِ على ما هُم عليهِ مِن عبادةِ غيرِ اللهِ، والتَّمسُّكِ بِها، فـ ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[7].

فلمَّا رأَى أَنَّ التَّذكِيرَ لا ينفعُ فِيهِم بِوجهٍ مِن الوُجوهِ؛ وأَنَّهُ كلَّما جاءَ قَرْنٌ كانَ أَخبثَ ممَّا قَبْلَهُ، قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[8].

فأَجابَ اللهُ دعوتَهُ، وأَمرَهُ أَنْ يصنعَ الفُلكَ برعايةٍ مِنهُ، وحُسنِ نظرٍ وتعليمٍ مِن اللهِ لَهُ هذهِ الصَّنْعةَ، التي امتنَّ اللهُ بِها على العِبادِ، وصارَ نوحٌ لَهُ الفضلُ والابتداءُ بهذهِ الصِّناعةِ، التي حصلَ

---

(١) هود: ٢٧

(٢) الاسْتِنْكَافُ: التَّعاظم، والامتناع، والأَنفة. ينظر: معاني القرآن، للزَّجَّاج، (١٣٦/٢)، ومَعَالم التَّنزيل، (٧٢٦/١).

(٣) قال ﷻ عن نوحٍ أَنَّه قال لقومه: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود:٢٩-٣٠].

(٤) س: "لهم".

(٥) الطَّوْرُ: الحال والهيئة، وجمعه أطوار، وعَدَا طَوْرَه، أَيْ: حدَّه وقدْره. ينظر: المِصباح الْمُنِير، وتاج العَرُوس، مادَّة: (طور).

(٦) هود: ٣١

س: "خزائن الأرض"، وهذا خطأ، فالآية: ﴿خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾.

(٧) نوح: ٢١-٢٣

(٨) نوح: ٢٦-٢٧

بِها مِن المنافعِ الدِّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ في جميعِ الأَوقاتِ ما لا يُعدُّ، ولا يُحصَى، وأَخبرَهُ اللهُ بِتحتُّمِ إغراقِهِم، وأَنْ[(١)] لا يُخاطِب ربَّهُ فِيهِم فإنَّهُم ظالِمونَ[(٢)].

وجعلَ ﴿يَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ﴾[(٣)]، فقال لَهم: ﴿إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا﴾[(٤)]؛ اليومَ، ﴿فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ﴾[(٥)]؛ إذا وقعَ الهلاكُ بِكُم.

وأَوْحَى اللهُ إليهِ أَنَّهُ إذا جاءَ ذلكَ الوقتُ ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾[(٦)]؛ أَيْ: جعلتِ الأَرضُ كلُّها تتفجَّرُ عُيونًا مِن كلِّ جانبٍ، حتَى المواضعُ البعيدةُ عن النَّارِ عادةً.

وأَمرَهُ أَنْ يحمِلَ مِن البهائمِ مِن كلٍّ زوجينِ اثنينِ -ذكرٍ وأُنثى- لِيَبْقَى نسلُها؛ لأَنَّهُ يتعذَّرُ حملُها كلُّها، والحِكمَةُ تقتضِي إبقاءَ هذهِ الحيواناتِ التي خلَقَها اللهُ مسخَّرةً لمصالحِ البَشرِ، ويَحملَ معهُ جميعَ مَن آمنَ مِن رِجالٍ ونساءٍ، والحالُ أَنَّهُ: ﴿مَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[(٧)].

وأَمرَهُ أَنْ يَحمِلَ أَهلَهُ، ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾[(٨)]: بالهلاكِ.

فلمَّا أَركبَ جميعَ مَن أُمرَ بِهِم قالَ لَهم: سَمُّوا اللهَ كُلَّما جرَتْ، وكُلَّما رَسَتْ؛ لأَنَّ الأَسبابَ مَهما عَظُمَتْ فهي مِن لُطفِ اللهِ، ولا تَمامَ لَها إلَّا باللهِ[(٩)].

فَحِينئذٍ فجَّرَ اللهُ الأَرضَ عُيونًا، وأَمرَ السَّماءَ أَنْ تَصُبَّ الماءَ المنهمِرَ الكَثيرَ، فالتقَتْ مياهُ السَّماءِ بمياهِ الأَرضِ[(١٠)]، وساحتْ على الأَماكنِ المنخفِضةِ، ثُمَّ ارتفعتْ شيئًا فشيئًا على كلِّ

---

(١) س: "وأنَّه".

(٢) قال ﷻ لنوح ﵇: ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [هود:٣٧، المؤمنون:٢٧].

(٣) هود: ٣٨

(٤) الآية السَّابقة.

(٥) الآية السَّابقة.

هنا سبق قلم، قال: "نسخرُ منه"، والآية: ﴿نَسْخَرُ مِنكُمْ﴾.

(٦) هود: ٤٠

(٧) الآية السَّابقة.

(٨) الآية السَّابقة.

(٩) قال ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [هود:٤١].

(١٠) قال ﷻ: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر:١١-١٢].

المرتَفعاتِ، حتَّى خَفِيتْ قِمَمُ الجبالِ الشَّاهقةِ، والسَّفينةُ ﴿تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ﴾(١) تضربُ يمينًا وشِمالًا [٩٠].

وفي تلكَ الحالِ المزعِجةِ رأَى نوحٌ ابنَهُ الكَافرَ(٢) الذي كانَ على دِينِ قومِهِ، وقد اعتزَلَ أباهُ حتَّى في هذهِ الحالِ، فرآهُ مثلَ سائرِ قومِهِ، قد فرَّ هَارِبًا مِن المياهِ الجارِفةِ، فناداهُ نوحٌ مُتَرَقِّقًا، فقال: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾(٣)، فتمَادَى بهِ الغُرُورُ في تلكَ الحالِ التي تَنْقَشِعُ فِيها الغَيَاهِبُ(٤) إلَّا عن القُلوبِ المحجُوبةِ؛ فـ ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾(٥).

لم يخطرْ ببالِهم أَنَّ المياهَ سترتَفعُ فوقَ رُؤوسِ الجبالِ، فقالَ لَهُ نوحٌ: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾(٦)؛ فلا يَعْصِمُ جَبلٌ ولا حِصْنٌ، ولا غيرُ ذلكَ إلَّا مَنْ رحمَ اللهُ؛ ورحمتُهُ في تلكَ الحالِ مُتَعيِّنةٌ في رُكوبِ السَّفينةِ معَ نوحٍ.

﴿وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ﴾(٧)؛ فكان ذلكَ الابنُ مِن المغرَقِينَ.

فأَغرقَ اللهُ جميعَ الكافِرينَ، ونجَّى نوحًا ومَن معهُ أَجمعينَ، وكان في ذلكَ آيةٌ على أَنَّ ما جاءَ بهِ نُوحٌ -مِن التَّوحيدِ والرِّسالةِ، والبَعثِ والدِّينِ- حقٌّ، وأَنَّ مَن خالَفَهُ فإنَّهُ مُبطِلٌ، ودَليلٌ على الجزاءِ في الدُّنيا لأَهلِ الإيمانِ بالنَّجاةِ والكَرامةِ، ولأَهلِ الكفرِ بالهلاكِ والإهانةِ.

فلمَّا حَصَلَ هذا المقصودُ العَظيمُ أَمرَ اللهُ السَّماءَ أَنْ تُقْلِعَ عن الماءِ، والأَرضَ أَنْ تَبْلَعَ ما فِيها(٨).

﴿وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ﴾(٩)؛ أَيْ: نَقَصَ شيئًا فشيئًا.

---

(١) هود: ٤٢

(٢) قال ابن كثير رحمه الله: "هذا هو الابن الرَّابع، واسمه: "يام"، وكان كافرًا". تفسير القرآن العظيم، (٤/٣٢٣).

(٣) هود: ٤٢

(٤) الغَيْهَبُ: "الظُّلْمة، والجمع: الغَيَاهِبُ". لسان العرب، وتهذيب اللُّغة، مادَّة: (غهب).

(٥) هود: ٤٣

(٦) الآية السَّابقة.

(٧) الآية السَّابقة.

(٨) قال الله عز وجل: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾ [هود: ٤٤].

(٩) هود: ٤٤

﴿وَٱسۡتَوَتۡ﴾(١): السَّفينةُ -بعد غَيْضِ الماءِ- ﴿عَلَى ٱلۡجُودِيِّ﴾(٢): وهو جَبلٌ شامخٌ مَعروفٌ(٣) في نَواحِي الْمَوْصِلِ(٤)، وهذا دليلٌ على أَنَّ جميعَ الجِبالِ قد غمرَتْها المياهُ، وجاوزَها الطُّوفانُ(٥).

وحزِنَ نوحٌ على ابنِهِ، فقالَ مُنادِيًا ربَّهُ مُترقِّقًا مُتضرِّعًا: يا ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ﴾(٦): أَنْ أَحْمِلَ معيَ أَهلِي؛ وأنتَ أَرحمُ الرَّاحمينَ(٧).

فقال لَهُ ربُّهُ: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ﴾(٨)؛ أَيْ: الموعودِ بنجاتِهم؛ لأَنَّ اللهَ قيَّدَ ذلكَ بقولِهِ: ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ﴾(٩).

﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾(١٠)؛ أَيْ: هذا الدُّعاءُ لابنكَ، الذي على دِينِ قومهِ بالنَّجاةِ(١١).

﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾(١٢)؛ وهذا عِتابٌ مِنهُ لنوحٍ، وتَعليمٌ لَهُ، ومَوعظةٌ عن مثلِ هذا الدُّعاءِ الذي إِنَّما حَملَهُ عليهِ الشَّفَقةُ الأَبَوِيَّةُ، وإِنَّما الواجبُ في الدُّعاءِ أَنْ يكونَ الحاملُ لَهُ العِلْمُ، والإِخلاصُ في طَلَبِ رضى اللهِ تعالى.

فقال نوحٌ: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٌۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ

---

(١) الآية السَّابقة.

(٢) الآية السَّابقة.

(٣) هو جبل في العراق، مُطلٌّ على جزيرة ابن عمر، في الجانب الشَّرقي من دِجلة، من أَعمال الْمَوْصِل. ينظر: مُعْجَم البُلدان، (٢/١٧٩)، ومراصد الاطِّلاع على أَسماء الأَمكنة والبقاع، (١/٣٥٦).

(٤) الْمَوْصِلُ: مدينة شهيرة في العراق، على غربيِّ دِجلة، تابعة لمحافظة نِينَوى، تبعد عن بغداد: اثنين وأَربعمائة كيلًا. ينظر: نزهة المشتاق، للإِدْرِيْسِي، (٢/٦٥٩)، ar. wikipedia. org/wiki/الموصل.

(٥) الطُّوفَانُ: "المطرُ الغالبُ، والماء الغالب يغشى كلَّ شئ". الصِّحاح، وينظر: لسان العرب، مادَّة: (طوف).

(٦) هود: ٤٥

(٧) إن كان المؤلِّف رحمه الله يقصد إكمال الآية فلفظها: ﴿وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾[هود:٤٥].

(٨) هود: ٤٦

(٩) هود: ٤٠

(١٠) هود: ٤٦

(١١) وقرأَ الكِسَائيُّ رحمه الله: ﴿إِنَّهُۥ عَمِلَ غَيۡرَ صَٰلِحٖ﴾؛ أَيْ: عمل عملًا غيرَ صالح؛ حيث كان كافرًا. ينظر: السَّبعة في القراءات، (ص:٣٣٤)، وتفسير القرآن العظيم، (٤/٣٢٦).

(١٢) هود: ٤٦

﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١).

فهَبَطَ وبارَكَ اللهُ في ذُرِّيَّتِه، وجعلَ ﴿ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾(٢)؛ فكان أَولادُهُ: يافِثُ: ملأَ المشْرِقَ مِن الذُّرِّيَّةِ، وحَامٌ: ملأَ المغرِبَ مِن النَّسْلِ، وسَامٌ: ملأَ ما بيْنَ ذلِكَ(٣).

ومَكَثَ في قومِهِ: ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾(٤)، ومَكَثَ بعد هلاكِهِم ما شاءَ اللهُ.

وكان مِن أُولِي العزمِ مِن المرسَلِينَ(٥)، ومِن الخَمسةِ الذينَ تَدورُ عليهِمُ الشَّفاعةُ يومَ القيامةِ(٦)، وهو أَوَّلُ الرُّسلِ إلى النَّاسِ، وهو الأَبُ الثَّاني للبشَرِ(٧)، ﷺ تسليمًا.

يُستفادُ مِن هذهِ القِصَّةِ أُمُورٌ:

مِنها: أَنَّ جميعَ الرُّسلِ مِن نوحٍ إلى محمَّدٍ -صلى اللهُ عليهم وسلَّمَ- متَّفِقونَ على الدَّعوةِ إلى التَّوحيدِ الخالصِ، والنَّهيِ عن الشِّركِ؛ فنوحٌ وغيرُهُ أَوَّلُ ما يَقولونَ لقومِهِمُ: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾(٨).

---

(١) هود: ٤٧-٤٨

(٢) الصافات: ٧٧

(٣) قال ابن جَرِيْرٍ رحمه الله: "فالعجم والعرب أَولاد سَام بن نوح، والتُّرك والصَّقَالِبة والخَزَر أَولاد يَافِث بن نوح، والسُّودان أَولاد حَام بن نوح، وبذلك جاءت الآثار، وقالت العلماء". جامع البيان، (٥٩/٢١)، وينظر: مَعَالم التَّنزيل، (٣٤/٤).

(٤) العنكبوت: ١٤

(٥) هُم ذوو حزمٍ وصبرٍ، امتُحِنوا وأُوذوا فلم تزدهم المحن إِلَّا جِدًّا في أَمر الله، قال البَغَوِيُّ رحمه الله: "وقال ابن عبَّاس، وقتادة: هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، أَصحاب الشَّرائع، فهم مع محمَّدٍ ﷺ خمسة، قلت: ذكرهم الله على التَّخصيص في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب:٧]، وفي قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا . . .﴾ الآية، [الشورى:١٣]". مَعَالم التَّنزيل، (٢٠٧/٤).

(٦) كما في حديث الشَّفاعة، الذي أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب التَّوحيد، باب كلام الرَّبِّ عز وجل يوم القيامة مع الأَنبياء وغيرهم، (١٤٦/٩) ح (٧٥١٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أَدنى أَهل الجنَّة منزلة فيها، (١٨٢/١) ح (١٩٣)، عن أَنس رضي الله عنه.

(٧) لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ [الصافات:٧٧].

(٨) الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥، هود: ٥٠، ٦١، ٨٤، المؤمنون: ٢٣، ٣٢.

ويُقرِّرونَ(١) هذا الأَصلَ بطُرقٍ كثيرةٍ(٢).

ومِنها: آدابُ الدَّعوةِ، وتَمامُها، فإِنَّ نوحًا دعا قومَهُ ليلًا ونَهارًا، وسِرًّا وجِهارًا، بِكلِّ وقتٍ، وبكلِّ حالةٍ يظنُّ فِيها نجاحَ الدَّعوةِ، وأَنَّهُ رغَّبَهُم بالثَّوابِ العاجِلِ -بالسَّلامةِ مِن العِقابِ، وبالتَّمْتيعِ بالأَموالِ والبَنِينَ، وإِدرارِ الأَرزاقِ؛ إِذا آمنوا- وبالثَّوابِ الآجلِ(٣)، وحذَّرَهم مِن ضِدِّ ذلكَ، وصبَرَ على هذا صبرًا عِظيمًا؛ كغيرِهِ مِن الرُّسُلِ، وخاطبَهُم بالكلامِ الرَّقيقِ والشَّفقةِ، وبِكلِّ لفظٍ جاذِبٍ للقُلوبِ محصِّلٍ للمَطلوبِ، وأَقامَ الآياتِ، وبيَّنَ البَراهينَ(٤)[٩١].

ومِنها: أَنَّ الشُّبَهَ التي قَدَحَ فِيها أَعداءُ الرُّسلِ برسالتِهِم مِن الأَدلَّةِ على إِبطالِ قولِ المكذِّبِينَ؛ فإِنَّ الأَقوالَ التي قالوها -ولم يكنْ عندَهُم غيرُها- ليسَ لَها حظٌّ مِن العِلْمِ، والحَقيقةِ عندَ كلِّ عاقلٍ؛ فقولُ قومِ نوحٍ: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾(٥).

تأَمَّلْ جُمَلَها تجدْها تَمْوِيْهاتٍ(٦) دالَّةً على أَنَّهُم مُبطِلونَ، مُكابِرونَ لِلحقيقةِ، فقولُهُم: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾؛ فهلْ في كونِ الحقِّ جاءَ على يدِ بشرٍ شيءٌ مِن الشُّبْهةِ تدلُّ على أَنَّهُ ليس بحقٍّ؟.

---

(١) س: "يكرِّرون"، وما في: (خ) أَدقُّ وأَعمق في الدَّلالة؛ فالتَّقرير فيه تثبيت، واستقرار، ويكون بالتَّكرار، وغيره.

(٢) فينبغي للدَّاعي إِلى الله أَنْ يهتمَّ بالتَّوحيد، وأَنْ يربط به دعوته؛ فيعِظ، ويعلِّم، ويربِّي من خلاله، وأَنْ لا تنفكَّ دعوته عن التَّوحيد بجميع أَنواعه، وأَنْ يسعى إِلى تثبيت العقيدة الصَّحيحة، ويدافع عنها، ويعالج ما نقص عند النَّاس منها، حسَب الزَّمان والمكان، اقتداء بسلفِه مِن الأَنبياء والمرسلين، والتَّابعين لهم بإِحسان.

(٣) قال ﷻ عن نوح ﵇: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح:٥-١٢].

(٤) قال ﷻ عن نوح ﵇: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ۝١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح:١٣-٢١].

(٥) هود: ٢٧

(٦) سبق تعريفه: (ص:٦).

ومَضمونُ هذا الكلامِ: أَنَّ كلَّ قولٍ قالَهُ البَشَرُ -مِن أَيِّ مَصدرٍ- يكونُ باطلًا، وهذا قدحٌ مِنهُم في جميعِ العُلومِ البَشَرِيَّةِ المستفادَةِ مِن البَشَرِ، ومَعلومٌ أَنَّ هذا يُبطِلُ العُلومَ كلَّها، فهلْ عندَ البَشَرِ علومٌ إِلَّا مُسْتَفِيدُها بعضُهم مِن بعضٍ وهي مُتفاوتةٌ؟.

فأَعظمُها وأَصدقُها وأَنفعُها ما تلقَّاهُ النَّاسُ عن الرُّسلِ؛ الذينَ عُلومُهم عن وحيٍ إلهيٍّ.

وكذلكَ قولُهم: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾؛ أَيْ: نحنُ وأَنتم بَشَرٌ.

وقد أَجابتِ الرُّسُلُ كلُّهُم عن هذهِ المَقالةِ فقالوا: ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[1]؛ فمَنَّ اللهُ على الرُّسلِ، وخَصَّهُم بالوحيِ والرِّسالةِ، معَ أَنَّ إِنكارَهُم عليهِم مِن هذهِ الجِهةِ مِن أَكبرِ الجهلِ، وأَعظمِ القَدحِ في نعمةِ اللهِ؛ فإِنَّ رحمةَ اللهِ وحِكْمَتَهُ اقتضتْ أَنْ يكونَ الرُّسُلُ مِن البَشَرِ؛ ليتمكَّنَ العِبادُ مِن الأَخذِ عنهُم، وتَتيسَّرَ عليهِم هذهِ النِّعمةُ، ويُسَهِّلَ اللهُ لَهم طرُقَها، فهؤلاءِ المكذِّبونَ كفَروا بأَصلِ النِّعمةِ، وبالطَّريقِ المستقِيمِ النَّافِعِ الذي جاءَتْهُم بهِ.

وكذلكَ قولُهُم: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾؛ مِن المعلومِ لِكلِّ أَحدٍ عاقلٍ أَنَّ الحقَّ يُعرَفُ أَنَّهُ حقٌّ بنفسِهِ لا بمَن تَبِعَهُ، وأَنَّ هذا القولَ الذي قالوهُ صدَرَ عن كِبْرٍ وتِيْهٍ[2]، والكِبْرُ أَكبَرُ مانعٍ للعبدِ مِن معرفةِ الحقِّ، ومِن اتِّبَاعِهِ.

وأَيضًا قولُهم: ﴿أَرَاذِلُنَا﴾: إِنْ أَرادوا الفَقْرَ؛ فالفَقْرُ ليس مِن العُيوبِ، وإِنْ أَرادوا: ﴿أَرَاذِلُنَا﴾: في الأَخلاقِ[3]؛ فهذا كَذِبٌ مَعلومٌ بالبَدِيْهَةِ[4]، وإِنَّما الأَراذلُ الذين قالوا هذهِ المقالةَ.

فهلِ الإِيمانُ باللهِ ورسلِهِ، وطاعةُ اللهِ ورسلِهِ، والانقيادُ للحقِّ، والسَّلامةُ مِن كلِّ خَصلةٍ ذميمةٍ، هل هذا الوصفُ رَذيلةٌ، وأَهلُهُ أَراذلُ؟.

أَمِ الرَّذِيلةُ بضدِّهِ؛ مَن تَرَكَ أَفرَضَ الفُروضِ -توحيدَ اللهِ وشُكرَهُ وحدَهُ- وامتلأَ قلبُهُ[5] مِن التَّكبُّرِ على الحقِّ، وعلى الخَلقِ؟.

---

(١) إبراهيم: ١١

(٢) التِّيْهُ: "الحيرة والضَّلال؛ وإِنَّما سُمِّيَ المتكبِّر تائهًا على وجه التَّشبيه بالضَّلال والتَّحَيُّر". مُعْجَم الفُروق اللُّغويَّة، (ص:٤٤٥)، وينظر: مُختار الصِّحاح، مادَّة: (تيه).

(٣) أَشار عدد من المفسِّرين إلى هذين القولين. ينظر: الهداية إلى بلوغ النِّهاية، (٥/٣٣٧٥)، والتَّسهيل لعلوم التَّنزيل، (١/٣٦٩)، والجامع لأَحكام القرآن، (٩/٢٣).

(٤) الْبَدِيهَةُ: "معرفة تامَّة تجيء بلا فكرٍ، ولا قصد". مُعْجَم مقاليد العلوم، (ص:٢٠٠)، مادَّة: (بده).

(٥) س: "امتلاء القلب"، فيكون الضَّبط: "مِن تَرْكِ أَفرَضِ الفُروضِ -توحيدِ اللهِ وشُكرِهِ وحدَهُ- وامتلاءِ القلبِ...".

هذا -واللهِ- أرذلُ الرَّذائلِ، ولكنَّ القومَ مُباهِتُونَ فما نقَمُوا مِن هؤلاءِ الأَخيارِ: ﴿إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾(١).

وقولُهم: ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾؛ أَيْ: مبادرةً مِنهُم إلى الإيمانِ بكَ يا نوحُ، لم يُشاوِروا ولم يَتأَنَّوا ويَتروَّوا، لو فُرِضَ أَنَّ هذا حَقيقةً، فهذا مِن أَدلَّةِ الحقِّ، فإِنَّ الحقَّ عليهِ مِن البَراهينِ والنُّورِ، والجَلالَةِ والبَهاءِ، والصِّدقِ والطُّمأْنينَةِ ما لا يَحتاجُ إلى مُشاورةِ أَحدٍ باتِّباعِهِ، وإنَّما التي تَحتاجُ إلى مُشاورةٍ هي الأُمورُ الخَفِيَّةُ، التي لا تُعلَمُ حقيقتُها ولا مَنفعتُها؛ أَمَّا الإيمانُ الذي هو أَجْلَى مِن الشَّمسِ في نُورِها، وأَحلَى مِن كلِّ شيءٍ، فمَا يتأَخَّرُ عنهُ إلَّا كلُّ مُتكبِّرٍ جبَّارٍ، أَمثالِ هؤلاءِ الطُّغاةِ البُغاةِ(٢).

وقولُهم: ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾، هلْ في هذا الكلامِ شيءٌ مِن الإنصافِ بوجهٍ؟.

لأَنَّهم يخبِرونَ عن أَنفسِهم؛ وكلامُهُم يُحتَملُ أَنَّهُ الذي في قُلوبِهم، ويُحتَملُ أَنَّهم يقولونَ ما لا يعتقِدونَ(٣)، وعلى كِلا الأَمرينِ فالحقُّ يجبُ قَبولُهُ، سواءٌ أَقالَهُ الفاضِلُ أَو الْمَفْضُولُ؛ الحقُّ أَعلى مِن كلِّ أَحدٍ(٤).

وكذلكَ قولُهم: ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾، معلومٌ أَنَّ: ((الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ))(٥).

ثُمَّ لَو قالوا: بلْ نعلمُكُم كاذِبِينَ، فهذهِ كلُّ مُبطِلٍ يَقدرُ أَنْ يقولَها، ولكنْ بأَيِّ شيءٍ استَدلَلْتم أَنَّهم كاذِبونَ؟.

---

(١) البروج: ٨

(٢) اعتراض هؤلاء الكافرين دليل على جهلهم، ونقص عقلهم؛ لأَنَّ الحقَّ في نفسه صحيح، سواء أَكان أَتباعه من الأَشراف أَم من الأَراذل؛ بل أَتباع الحقِّ هم الأَشراف، ولو كانوا فقراء، والذين يأبونه ويعرضون عنه هم الأَراذل، ولو كانوا أَغنياء، ثمَّ إنَّ الواقع -في الغالب- أَنَّ الضُّعفاء هم أَتباع الحقِّ، أَمَّا الأَشراف والأَكابر فهم المعرِضون الصَّادُّون عنه؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [سبأ:٣٤]. ينظر: تفسير القرآن العظيم، (٣١٦/٤).

(٣) قال ابن كثير رحمه الله: "لأَنَّهم عُمي عن الحقِّ، لا يسمعون ولا يبصرون، بل هم في ريبهم يتردَّدون، في ظلمات الجهل يعمهون، وهم الأَفَّاكون الكاذبون، الأَقلُّون الأَرذلون، وفي الآخرة هم الأَخسرون". تفسير القرآن العظيم، (٣١٧/٤).

(٤) س: "شيء".

(٥) أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب الأَدب، باب ما ينهى عن التَّحاسد والتَّدابر، (١٩/٨) ح (٦٠٦٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب البرِّ والصِّلة والآداب، باب تحريم الظَّن، والتَّجسُّس، والتَّنافس، والتَّناجش ونحوها، (١٩٨٥/٤) ح (٢٥٦٣)، عن أَبي هريرة رضي الله عنه.

فهذهِ أَدلتُهم وبَراهينُهُم أَبطلتْ نفسَها بنفسِها كما ترى، فكيفَ وقدْ قابَلها الرُّسلُ بالأَدِلَّةِ والبَراهينِ المتنوِّعةِ التي لا تُبقِي رَيْبًا لأَحدٍ في بُطلانِها[٩٢].

ومِنها: أَنَّ مِن فضائلِ الأنبياءِ، وأَدِلَّةِ رسالتِهم إِخلاصَهُم التَّامَّ للهِ -تعالى- في عُبوديَّتِهم للهِ القَاصِرَةِ(١)، وفي عُبوديَّتِهم المتعدِّيَةِ؛ لنفعِ الخَلقِ؛ كالدَّعوةِ، والتَّعليمِ، وتوابعِ ذلكَ؛ ولذلكَ يُبْدُونَ ذلكَ ويُعِيْدونَهَ على أَسماعِ قومِهم، كلٌّ مِنهُم يقولُ: ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾(٢)؛ ولهذا كانَ مِن أَجَلِّ الفَضائلِ لأَتْباعِ الرُّسلِ أَنْ يكونوا مُقْتَدِينَ بالرُّسُلِ في هذهِ الفَضيلةِ، واللهُ -تعالى- يجعلُ لهم مِن فضلِهِ؛ مِن رِفعةِ الدُّنيا والآخرةِ أَعظمَ مِمَّا يتنافسُ فيهِ طلَّابُ الدُّنيا.

ومِنها: أَنَّ القدحَ في نيَّاتِ المؤمنِينَ، وفِيما مَنَّ اللهُ عليهِم بهِ مِن الفضائلِ، والتَّأَلِّيَ(٣) على اللهِ؛ أَنَّهُ لا يؤْتيْهِم مِن فضلِهِ؛ مِن مَواريثِ أَعداءِ الرُّسُلِ، فلهذا قالَ نوحٌ لقومِهِ حِينَ تَأَلَّوا على اللهِ، وتوسَّلوا في ذمِّ المؤمنِينَ بهِ بذلكَ، فقالَ: ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾(٤).

ومِنها: أَنَّهُ ينبغِي الاستعانةُ باللهِ، وأَنْ يُذْكرَ اسمُهُ عندَ الرُّكوبِ والنُّزولِ، وفي جميعِ التَّقلُّباتِ والحركاتِ، وحمدُ اللهِ والإِكثارُ مِن ذِكرِهِ عندَ النِّعمِ لا سِيما النَّجاةِ مِن الكُرُباتِ والْمَشَقَّاتِ، كمَا قالَ تعالى: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾(٥)، وقالَ: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٦).

---

(١) كالصَّلاة، والصِّيام، والذِّكر.

(٢) هود: ٢٩

خ، س: "لا أسأَلكم عليه أجرًا"، والصَّواب: ﴿لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾.

وقال هود عليه السلام ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ﴾ [هود:٥١]، وقال نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب عليهم السلام: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الشعراء:١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠]، وقال تعالى لنبيه محمَّد: ﷺ ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:٩٠].

(٣) التَّأَلِّي: من "تَأَلَّى؛ إذا اجترأَ على أَمرٍ غيبٍ فحلف عليه". العين، وينظر: مُختار الصِّحاح، مادَّة: (أَلَا).

(٤) هود: ٣١

خ: "بما قلوبهم"، والصَّواب: ﴿بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾.

(٥) هود: ٤١

(٦) المؤمنون: ٢٨

وأَنَّهُ يَنبغِي -أَيضًا- الدُّعاءُ بالبركةِ في نُزولِ الْمَنَازِلِ العَارِضةِ؛ كالمنازِلِ في إِقاماتِ السَّفرِ وغيرِهِ، والمنازِلِ الْمُستقِرَّةِ؛ كالمساكنِ والدُّورِ؛ لقولِهِ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾(١)، وفي ذلكَ كلِّهِ -مِن استِصحابِ ذكرِ اللهِ، ومِن القُوَّةِ على الحَركاتِ، والسَّكناتِ، ومِن قُوَّةِ الثِّقةِ باللهِ، ومِن نُزولِ بركةِ اللهِ التي خَيرُ ما صحِبتِ العبدَ في أَحوالِهِ كلِّها- ما لا غِنَى للعبدِ عنهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ.

ومِنها: أَنَّ تقوى اللهِ، والقِيامَ بواجباتِ الإِيمانِ مِن جُملةِ الأَسبابِ التي تُنالُ بِها الدُّنيا، وكَثرةُ الأَولادِ والرِّزقِ، وقُوَّةُ الأَبدانِ، وإِنْ كان لِذلكَ -أَيضًا- أَسبابٌ أُخرُ(٢)، وهِي(٣) السَّببُ الوحِيدُ الذي ليسَ(٤) سِواهُ في نَيلِ خيرِ الآخرَةِ، والسَّلامةِ مِن عِقابِها.

ومِنها: أَنَّ النَّجاةَ مِن العُقوباتِ العامَّةِ الدُّنيويَّةِ هي للمؤمنِينَ؛ وهُم الرُّسُلُ وأَتباعُهُم؛ وأَمَّا العُقوباتُ الدُّنيويَّةُ العامَّةُ فإِنَّها تختصُّ بالمجرمِينَ، ويتبعُهُم توابعُهُم مِن ذُرِّيَّةٍ وحيوانٍ، وإِنْ لم يكنْ لها ذُنوبٌ؛ لأَنَّ الوقائعَ التي أَوقعَ اللهُ بأَصنافِ المكذِّبِينَ شَمِلتِ الأَطفالَ والبَهائمَ(٥).

وأَمَّا ما يُذكرُ في بعضِ الإِسرَائيليَّاتِ(٦) أَنَّ قومَ نوحٍ -أَو غيرَهُم- لَمَّا أَرادَ اللهُ إِهلاكَهُم أَعْقَمَ الأَرحامَ؛ حتَّى لا يَتبَعُهُم في العُقوبةِ أَطفالُهم فهذا ليسَ لَهُ أَصلٌ، وهو منافٍ للأَمرِ المعلومِ؛ وذلكَ مصداقٌ لقولِهِ تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾(٧).

---

(١) المؤمنون: ٢٩

(٢) كالسَّعي في الأَرض، والزَّواج، وعدم العوائق المانعة.

(٣) اسم الإشارة يعود على: تقوى الله.

(٤) "هناك سبب"، زيادة في: (س).

(٥) هذا عذاب الاسْتِئْصَال، الذي لا يترك أَحدًا من القوم المكذبين؛ كما حصل لقوم نوح، وعاد، وثمود، ومَدْيَن، وقوم لوط، وفرعون، وهذا قبل نزول التَّوراة، فلم يُهلك الله مكذبي الأُمم بعدها بعذاب يستأْصلهم، قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص:٤٣]. ينظر: الجواب الصَّحيح، (٤٤١/٦-٤٤٢)، وجَلاء الأَفْهام في فَضل الصَّلاة على محمَّد خير الأَنَام، لابن القيِّم، (ص:٣١٤)، وأَضواء البيان، (٨٣/٧).

(٦) وهو مَنقول عن ابن عبَّاس، ومحمَّد بن كعْب، ومُقاتل، والرَّبيع، وعَطيَّة، وابن زيد، وغيرهم. ينظر: جامع البيان، (٣١٤/١٥)، والهداية إِلى بلوغ النِّهاية، (٣٣٩٥/٥)، ومَعَالم التَّنزيل، (٤٤٧/٢)، والمحرَّر الوجيز، (٣٧٧/٥)، وزَاد الْمَسِير، (٣٤٢/٤)، والجامع لأَحكام القرآن، (٤١/٩).

(٧) الأنفال: ٢٥

قِصَّةُ هُودٍ عليه السلام

بَعَثَ اللهُ هُودًا عليه السلام إلى قومِهِ عادًا الأُولى المقيمِينَ بالأَحْقَافِ[١] -مِن رِمالِ حَضْرَمَوْتَ[٢]-؛ لَمَّا كثُرَ شرُّهُم، وتجبَّروا على عبادِ اللهِ، وقالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾[٣]، معَ شركِهِم باللهِ، وتكذيبِهِم لرُسُلِ اللهِ، فأَرسَلَهُ اللهُ إليهِم، يَدعوهُم إلى عبادةِ اللهِ وحدَهُ، وينهاهُم عن الشِّركِ، والتَّجبُّرِ على العِبادِ، ويَدعوهُم بكلِّ وَسيلَةٍ، ويُذكِّرُهُم ما أنعمَ اللهُ عليهِم بهِ مِن خيرِ الدُّنيا، والبَسْطةِ في الرِّزقِ والقُوَّةِ، فرَدُّوا دعوتَهُ، وتَكبَّروا عن إجابتِهِ، و﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[٤][٩٣].

وهم كاذبونَ في هذا الزَّعمِ، فإنَّهُ: ((مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ مِنَ الْآيَاتِ مَا عَلَى مِثْلِهِ يُؤْمِنُ الْبَشَرُ))[٥].

ولو لم يكنْ مِن آياتِ الرُّسُلِ إلَّا أنَّ نفْسَ الدِّينِ الذي جاءُوا بهِ أَكبرُ دليلٍ أنَّهُ مِن عندِ اللهِ؛ لإِحكامِهِ؛ وانتظامِهِ للمصَالحِ في كلِّ زمانٍ بحسَبِهِ؛ وصِدقِ أَخبارِهِ؛ وأَمرِهِ بكلِّ خيرٍ، ونَهيِهِ عن كلِّ

(١) الأَحْقَافُ: الرِّمال المستطيلة المعوجَّة، وتقع جنوب شِبه الجزيرة العربيَّة، وشمال حضرموت. ينظر: تهذيب اللُّغة، مادَّة: (حقف)، ومُعْجَم البُلدان، (١١٥/١)، والْمَعَالم الأَثيرة في السُّنَّة والسِّيرة، لمحمَّد شُرَّاب، (ص:٢٠).

(٢) حَضْرَمَوْت: منطقة شرق اليمن، تبعد عن "صنعاء": أَربعًا وتسعين وسبعمائة كيلًا تقريبًا. ينظر: مُعْجَم الْمَعَالم الجغرافيَّة، (ص:١٠١)، ar. wikipedia. org/wiki/ حضرموت.

(٣) فصلت: ١٥

(٤) الشعراء: ١٥٣-١٥٤

س: اقتصر على قوله تعالى: ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.
والآيتان واردتان في قصَّة نبيِّ الله صالح عليه السلام.
وأَمَّا قوم هود عليه السلام فقالوا له: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [الأعراف:٦٦]، و﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [هود:٥٣]، و﴿قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء:١٣٦-١٣٨]، و﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف:٢٢].

(٥) بمعناه أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، باب قول النَّبيِّ ﷺ بعثت بجوامع الكلِم، (٩٢/٩) ح (٧٢٧٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمَّد ﷺ إلى جميع النَّاس، ونسخ الملل بملَّته، (١٣٤/١) ح (١٥٢)، عن أَبي هريرة رضي الله عنه.

شَرٍّ؛ وأَنَّ كلَّ رسولٍ يُصَدِّقُ مَنْ قَبْلَهُ، ويَشهدُ لَهُ، ويُصَدِّقُهُ مَنْ بعدَهُ، ويَشهدُ لَهُ(١).

ومِن آياتِ هُودٍ الخاصَّةِ: أَنَّهُ مُتفرِّدٌ وحدَهُ في دعوتِهِ، وتَسْفِيهِ أَحلامِهِم وتَضليلِهِم، والقَدحِ في آلهتِهِم، وَهُم أَهلُ البَطْشِ والقُوَّةِ والجبروتِ، وقد خَوَّفوهُ بآلهتِهِم إِنْ لم ينْتَهِ -أَنْ تَمسَّهُ بِجنونٍ أَو سُوءٍ- فتحدَّاهُم علنًا، وقال لَهم جِهارًا: ﴿إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٢)؛ فلم يصِلوا إِليهِ بسُوءٍ.

فأَيُّ آيةٍ أَعظمُ مِن هذا التَّحدِّي لهؤلاءِ الأَعداءِ الحَرِيْصِينَ على إِبطالِ دعوتِهِ بكلِّ طريقٍ؟.

فلمَّا انتهى طُغيانُهُم تولَّى عنهُم، وحذَّرَهم نزولَ العذابِ، فجاءَهُم العذابُ مُعترِضًا في الأُفُقِ؛ وكان الوقتُ وقتَ شِدَّةٍ عَظيمةٍ، وحاجةٍ شديدةٍ إِلى المطرِ، فلمَّا رَأَوهُ(٣) استبشَروا، وقالوا: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾(٤)، قالَ اللهُ: ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ﴾(٥): بقولِكُم: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾(٦)، ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ﴾(٧): تَمُرُّ عليهِ(٨): ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾(٩)، ﴿فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ

---

(١) قال ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

(٢) هود: ٥٤-٥٦

خ: "تدعون من دون الله"، والصَّواب: ﴿تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ﴾.

(٣) "رَؤُهُ"، ليست في: (س)، والصَّواب: "رأوه"؛ فالهمزة متوسِّطة مفتوحة، مفتوح ما قبلها. ينظر: الإملاء والتَّرقيم، (ص:٤٦-٤٧).

(٤) الأحقاف: ٢٤

(٥) الآية السَّابقة.

(٦) الأحقاف: ٢٢

(٧) الأحقاف: ٢٤-٢٥

(٨) قال ﷻ: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ [الذاريات: ٤٢].

قال ابن جرير رحمه الله: "وإنَّما عنى بقوله: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾؛ ممَّا أُرسلت بهلاكه، لأَنَّها لم تدمِّر هودًا، ومَن كان آمَن به". جامع البيان، (٢٢/١٢٩).

(٩) الحاقة: ٧

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾(١).

فبعدَما كانتِ الدُّنيا لَهُم ضاحكةً، والعِزُّ بليغٌ، ومَطالبُ الحياةِ مُتوفِّرةٌ، وقد خَضعَ لَهم مَن حولَهُم مِن الأَقطارِ والقَبائلِ، إذ أَرسلَ اللهُ إليهِم: ﴿رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾(٢)، ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾(٣).

ونَجَّى اللهُ هُودًا ومَن مَعهُ مِن المؤمنِينَ.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾(٤): على كَمالِ قُدرةِ اللهِ، وإكرامِهِ الرُّسلَ وأَتباعَهُم، ونَصْرِهِم في الحياةِ الدُّنيا، ويومَ يقومُ الأَشهادُ، وآيةً على إبطالِ الشِّركِ، وأَنَّ عَواقبَهُ شَرُّ العواقبِ وأَشنعُها، وآيةً على البَعثِ والنُّشورِ.

فوائدُ مِن هذهِ القِصَّةِ:

فِيها ما تقدَّم في قَصَّةِ نوحٍ؛ مِن الفوائدِ المشتركةِ بينَ الرُّسلِ:

ومِنها: أَنَّ اللهَ بِحكمَتِهِ يقصُّ علينا نَبأَ الأُممِ المجاورِينَ لنا في جَزيرةِ العَربِ وما حَولَها(٥)؛ لأَنَّ القرآنَ يَذْكرُ أَعلى الطُّرقِ في التَّذكيرِ، واللهُ -تعالى- صرَّفَ فيهِ التَّذكيراتِ تَصريفًا نافِعًا.

ولا رَيبَ أَنَّ الأَقطارَ النَّائيةَ عنَّا في مَشارقِ الأَرضِ ومَغاربِها قد بَعثَ اللهُ إليهِم رُسُلًا، ولَهم معَهُم نظيرُ ما لِلمذكُورِينَ؛ مِن إجابةٍ، وردٍّ، وإكرامٍ، وعُقوبةٍ(٦).

---

(١) الأحقاف: ٢٥

(٢) فصلت: ١٦

(٣) هود: ٦٠

(٤) الشعراء: ١٣٩

(٥) قال ابن كثير رحمه الله: "كعاد وكانوا بالأحقاف بحضرموت عند اليمن، وثمود وكانت منازلهم بينهم وبين الشَّام، وكذلك سبأ، وهم أهل اليمن، ومدين وكانت في طريقهم وممرِّهم إلى غزَّة، وكذلك بحيرة قوم لوط، كانوا يمرُّون بها أيضًا". تفسير القرآن العظيم، (٢٨٨/٧).

(٦) قال تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [فاطر:٢٥-٢٦]، وقال عز وجل: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [فصلت:٤٣].

وما مِن أُمَّةٍ إِلَّا بَعثَ اللهُ فِيهِم رَسولًا[١]، ولكنَّ نَفْعَنا بتذكيرِنا بِما حَولَنا، وما نَتناقَلُهُ جِيلًا بعد جِيلٍ، بل نُشاهدُ آثارَهُم، ونَمُرُّ بديارِهِم كلَّ وقتٍ، ونَفهَمُ لغاتِهِم، وطَبائِعُهُم أَقربُ إِلى طَبائِعِنا، لا رَيبَ أَنَّ نفعَ هذا عَظيمٌ، وأَنَّهُ أَولى مِن تذكيرِنا بأُممٍ لم نَسمعْ لَهم بِذِكرٍ ولا خَبَرٍ، ولا نَعرِفُ لغاتِهِم، ولا تَتَّصلُ إلينا أخبارُهُم بِما يُطابِقُ ما يخبرُنا اللهُ بهِ، فَيُؤخذُ مِن هذا أَنَّ تذكيرَ النَّاسِ بِما هو أَقربُ إِلى عُقولِهِم، وأَنسبُ لأَحوالِهِم، وأَدخلُ في مداركِهِم، وأَنْفعُ لَهم مِن غيرِهِ أَولى مِن التَّذكِيراتِ بِطُرُقٍ أُخرى؛ وإِنْ كانتْ حقًّا، لكنَّ[٢] [٩٤] الحقَّ يَتفاوتُ[٣].

والمذَكِّرُ والمعلِّمُ إذا سَلكَ هذا الطَّريقَ واجتَهدَ في إيصالِ العِلْمِ، والخبَرِ إِلى النَّاسِ؛ بالوسائلِ التي يَفهَمُونَها، ولا يَنفُرونَ مِنها، أَو تكونُ أَقرَبَ لإِقامةِ الحُجَّةِ عليهِم نَفعَ وانتَفعَ.

وأَشارَ الباري إِلى هذا في آخرِ قِصَّةِ عادٍ، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَـٰتِ﴾[٤]؛ أَيْ: نوَّعناها بكلِّ فنٍّ ونوعٍ؛ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٥]؛ أَيْ: ليكونَ أَقربَ لحصولِ الفائدةِ.

ومِنها: أَنَّ اتِّخاذَ المباني الفَخمةِ؛ للفخرِ والخُيلاءِ والزِّينةِ، وقَهرِ العبادِ بالجبروتِ مِن الأُمورِ المذمُومةِ، الموروُثَةِ عن الأُممِ الطَّاغيةِ؛ كَما قال -تعالى-[٦] في قِصَّةِ عادٍ، وإنكارِ هودٍ عليهِم، قال: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾[٧].

وبالجُملةِ[٨]: فالبِناياتُ للقُصُورِ والحُصُونِ والدُّورِ وغيرِها مِن الأَبنِيةِ:

---

(١) قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ [النحل:٣٦]، وقال ﷻ: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:٢٤].

(٢) "لكن" مكرَّرة في: (خ).

(٣) أخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب العلم، باب من خصَّ بالعلم قومًا دون قوم، كراهية أَنْ لا يفهموا، (٣٧/١) ح (١٢٧): وقال عليٌّ ﷺ: "حَدِّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ، اللَّهُ وَرَسُولُهُ".
قال ابن الجوزيِّ ﷺ: "أراد: حدِّثوهم بما تحتمله أفهامهم من الْعلم". كشف الْمُشْكِل، (٢٠١/١).
وأخرج مسلم في مقدِّمة صحيحه، (١١/١)، عن عبدالله بن مسعود ﷺ، قال: "مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ، إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً".

(٤) الأحقاف: ٢٧

(٥) الآية السَّابقة.

(٦) س: "الله".

(٧) الشعراء: ١٢٨-١٢٩

(٨) قال ابن عُثَيْمِين ﷺ: "والفقهاء إذا قالوا: "في الجملة"، فالمعنى: أَكثر الصُّور، وإذا قالوا: "بالجملة"، فالمعنى: جميع الصُّور، هذا مُصطلح عندهم، والفرق أَنَّ: "في" للظرفيَّة، و"الباء": للاستيعاب". الشَّرح الْمُمْتِع، (٣٤٥/٨).

- إِمَّا أَنْ تُتَّخذَ مَساكنَ لِلحاجةِ إليها -والحاجاتُ تتنوَّعُ وتَختلفُ- فهذا النَّوعُ مِن الأُمورِ المباحةِ، وقد يُتوسَّلُ بهِ بالنِّيةِ الصَّالحةِ إلى الخَيرِ.

- وإِمَّا أَنْ تكونَ البِناياتُ حُصونًا واقيةً لشُرورِ الأَعداءِ، وثُغورًا تحفظُ بِها البلادُ ونحوُها -مِمَّا ينفعُ المسلِمِينَ- ويَقيهِم الشَّرَّ، فهذا النَّوعُ يدخلُ في الجهادِ في سبيلِ اللهِ، وهو داخلٌ في الأَمرِ باتِّخاذِ الحذرِ مِن الأَعداءِ.

- وإِمَّا أَنْ يكونَ للفخرِ والخُيلاءِ، والبَطشِ بعبادِ اللهِ، وتَبذِيرِ الأَموالِ، التي يَتعيَّنُ صَرفُها في طُرقٍ نافعةٍ، فهذا النَّوعُ هو المذمُومُ، الذي أَنكرَهُ اللهُ على عادٍ، وغيرِهِم.

ومِنها: أَنَّ العُقولَ والأَذهانَ والذَّكاءَ، وما يَتبعُ ذلكَ مِن القُوَّةِ المادِّيَّةِ، وما ترتَّبَ عليها مِن النَّتائجِ والآثارِ -وإِنْ عَظُمتْ وبلَغتْ مَبْلَغًا هائِلًا- فإِنَّها لا تَنفعُ صَاحبَها إِلَّا إِذا قارَنَها الإِيمانُ باللهِ ورَسلِهِ.

وأَمَّا الجاحدُ لآياتِ اللهِ المكذِّبُ لرُسُلِ اللهِ، فإنهُ وإِنْ استُدرِجَ في الحياةِ وأُمهِلَ فإِنَّ عاقبتَهُ وخِيمةٌ، وسَمعَهُ وبَصرَهُ وعَقْلَهُ لا يُغني عنهُ شيئًا إِذا جاءَ أَمرُ اللهِ؛ كمَا قالَ اللهُ عن عادٍ: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّـٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَـٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾(١).

وفي الآيةِ الأُخرى: ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾(٢).

(١) الأحقاف: ٢٦

(٢) هود: ١٠١

قِصَّةُ صَالِحٍ ﷺ

كانتْ ثمودُ -وهي عادٌ الثَّانيةُ-[١] يَسكنونَ في الحِجْرِ[٢] وما حولَها، وكانوا أَهلَ مَواشٍ كثيرةٍ، وأَهلَ حَرثٍ وزُروعٍ[٣].

وتواصلتْ عَليهِمُ النِّعمُ فكانوا يتَّخِذونَ مِن السُّهولِ قُصورًا مُزخرفةً، ومِن الجبالِ بُيوتًا مَنْحوتةً مُتقنَةً، فبَطِروا النِّعمَ وكفَروها، وعبَدوا غيرَ اللهِ، فأَرسلَ اللهُ إِليهِم أَخاهُم صَالحًا مِن قَبيلتِهِم، يعرفونَ نسبَهُ، وحَسَبَهُ، وفضلَهُ وكمالَهُ، وصِدقَهُ، وأَمانتَهُ.

فدَعاهم إِلى اللهِ، وإِلى إِخلاصِ الدِّينِ لَهُ، وتَرْكِ ما كانوا يَعبدونَ مِن دُونهِ، وذكَّرهُم بنعمِ اللهِ،

---

(١) لعلَّ هذه التَّسمية مأخوذة من مفهوم قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ [النجم:٥٠].
قال المحلِّيُّ رحمه الله: "وهي قوم عاد، والأُخرى قوم صالح". تفسير الجلالَين، للسُّيُوطِي، والمحلِّي، (ص:٧٠٤).
وقيل: إنَّ عادًا الثَّانية هي: عاد إِرَم. ينظر: أنوار التَّنزيل وأَسرار التَّأْويل، للبَيْضَاوِي، (١٣٩/٣).
قال ابن عاشور رحمه الله: "ووصْفُ عاد بالأُولى على اعتبار عادٍ اسمًا للقبيلة، كما هو ظاهر؛ ومعنى كونها أُولى: لأَنَّها أَوَّل العرب ذِكرًا، وهم أَوَّل العرب البائدة، وهم أَوَّل أُمَّة أُهلكت بعد قوم نوح، وأَمَّا القول: بأَنَّ عادًا هذه لَمَّا هلكت خلفتها أُمَّة أُخرى تعرف بعاد إِرم أَو عاد الثَّانية، كانت في زمن العَمَالِيق فليس بصحيح، ويجوز أَن يكون "الأُولى" وصفًا كاشفًا، أَيْ: عادًا السَّابقة، وقِيل: "الأُولى" صفة عظمة، أَي: الأُولى في مراتب الأُمم قوَّة وسعة". التَّحرير والتَّنوير، (١٥٣/٢٧).
(٢) الحِجْرُ: المكان المحجور، أَي: الممنوع من النَّاس؛ لاختصاصهم به، أَو مُشتقٌّ من الحِجارة؛ لأَنَّهم كانوا ينحتون بيوتهم في صخر الجبل، ومساكنهم بين المدينة النَّبويَّة وتبوك، ويُسمَّى المكان وادي القُرَى، ووادي العُلا، قال تعالى: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ [الفجر:٩].
ويرى بعض الباحثين أَنَّه وقع خلْط بين الآثار الواقعة شمال مدينة: "العُلا" في وادي الحِجر، وبين الآثار الواقعة جنوبها، والتي حدثت في صدر الإِسلام، ويطلق عليها الآن: "المَابيات"، وتعرف في القرن السَّابع الهجري، وما قرب منه بـ: "مدينة صالح"، ثمَّ: "مدائن صالح"، ولها قبل ذلك اسم آخر، والأَقرب أَنَّه: "الرَّحبة"، وساعد على الخلط أَنَّ هذا الموضع كان يعرف: "بمدينة صالح"، وهو رجل مسلم، من بني العبَّاس، ومدينته هذه كانت قائمة إِلى القرن الرَّابع الهجري، وأَنَّ الحِجْر -الواقع شمال العُلا- عُرف سكانه: "بقوم صالح"، وعُرفت إِحدى آباره: "بئر ناقة صالح"، ومن هنا أُطلق على الحِجْر خطأً اسم: "مدائن صالح". ينظر: جامع البيان، (١٢٦/١٧)، ورحلة ابن بطُّوطة، (٥١/١)، ومُعْجَم المَعَالم الجغرافيَّة، (٤٤٥/١)، ومجلَّة العرب، للجاسر، (عدد:١٣، ص:٣).
(٣) قال تعالى عن نبيِّ الله صالح أَنَّه قال لقومه: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ﴾ [الشعراء:١٤٦-١٤٩].

وبأَيَّامِهِ بالأُممِ المجاورةِ لَهُم، فلم يتَّبِعْهُ إِلَّا القليلُ[(١)].

وحِينَ ذكَّرهم، وأَقامَ الأَدِلَّةَ والبَراهِينَ على وُجوبِ توحيدِ اللهِ اشْمَأَزُّوا ونَفَرُوا واستكبَروا، و﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ﴾[(٢)]؛ أَيْ: قد كنَّا قد تَخَايَلْنَا[(٣)] فِيكَ أَنْ تفضُلَنا جَميعًا؛ لِكمالِكَ، وكمالِ أَخلاقِكَ، وآدابِكَ الطَّيِّبةِ، وهذا اعترافٌ مِنهُم لَهُ بِهذهِ الأُمورِ قبلَ أَنْ يقولَ ما قالَ، فما نزَّلَهُ عن هذهِ المرتَبةِ عندَهُم إِلَّا أَنَّهُ[٩٥] دَعاهُم إِلى عِبادةِ الخَالقِ مِن عِبادةِ العَبيدِ، وإِلى السَّعادةِ الأَبَديَّةِ.

وما ذَنْبُهُ إِلَّا أَنَّهُ خَالفَ آباءَهُم الضَّالِّينَ، وهُم كانوا أَضلَ مِنهُم؟.

ثُمَّ أَقامَ لَهم بيِّنةً عظيمَةً وبُرهَانًا، ونِعمةً على جميعِ القَبيلةِ بأَسرِها، وقال: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾[(٤)]: التي لا يُشْبِهُها شَيءٌ مِن النُّوقِ؛ في ذاتِها، وشَرفِها، ومَنافِعِها.

﴿لَكُمْ ءَايَةً﴾[(٥)]: على صِدقِي، وعلى سَعَةِ رَحمةِ ربِّكُم.

﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾[(٦)]: على اللهِ رِزقُها، ولكُم نفعُها، تَرِدُ الماءَ يومًا، فتَرِدُ القَبيلةُ بأَسرِها على ضَرْعِها، كلٌّ يَصدرُ عن ضَرْعِها، قد مَلأَ آنيتَهُ، ثُمَّ تَرِدُونَ أَنتم في اليومِ الثَّاني، فَمَكَثتْ على هذا ما شاءَ اللهُ.

وكان في مَدينتِهِم: ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾[(٧)]: مِن شَياطينِهِم، قد قَاوَمُوا ما جاءَ بِهِ صالحٌ أَشدَ المقاوَمَةِ؛ يَصدُّونَ عن سبيلِ اللهِ، و﴿يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾[(٨)]، وكان صالحٌ قد

---

(١) قال ﷻ عن نبيِّ الله صالح أنَّه قال لقومه: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٧٤].

(٢) هود: ٦٢

(٣) تَخَايَلْنَا: من خَالَ الشَّيء وتَخَيَّلَه: ظَنَّه وتفرَّسه، ويقال: تَخَيَّلَ عليك فلان: إذا اختارَك، وتفرَّس فيك الخَيْرَ. ينظر: العين، ومُختار الصِّحاح، ولسان العرب، مادَّة: (خيل).

(٤) هود: ٦٤

(٥) الآية السَّابقة.

(٦) الآية السَّابقة.

(٧) النمل: ٤٨

(٨) الآية السَّابقة.

حذَّرَهُم مِن عَقْرِ النَّاقةِ؛ لِمَا رأى مِن كِبرِهِم وردِّهِم الحقَّ، فأَوَّلُ ما فعلَ أُولئكَ الملأُ الأَشرارُ أَنْ عقَدوا مجلِسًا عَامًّا لِيَتَّفِقُوا على عَقْرِ النَّاقةِ، فاتَّفقُوا، فانْتُدِبَ لذلكَ أَشْقَى القَبِيْلةِ[١]؛ ولِهذا قال اللهُ تعالى: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾[٢]؛ أَيْ: بعدَ اتِّفاقِهِم، ونَدْبِهِم إِيَّاهُ بَعثُوهُ لِذلكَ، فانْبَعَثَ، واستعدَّ وتَكفَّلَ لهم بعقْرِها، وهُم جميعُهُم راضونَ بلْ آمِرونَ، فعَقَرَها، فكان هذا العَقْرُ مُؤْذِنًا بهلاكِ القَبِيْلةِ بأَسْرِها[٣].

فلمَّا شعَرَ صالحٌ بالأَمرِ، ورأَى مَنظَرًا فَظِيعًا عَلِم أَنَّ العذابَ قد تَحتَّمَ لا مَحالةَ؛ لأَنَّ الجَرِيمةَ قد تَفاقَمَتْ، ولم يَبقَ حالةٌ يُرجَى فِيها لَهم تَقويمٌ، فقالَ لَهم صالحٌ: ﴿تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ﴾[٤]، ونبَّهَ بِهذا الكَلامِ دانِيَهُم، وقاصِيَهُم.

فَفِي أَثناءِ هذهِ المدَّةِ اتَّفقَ هؤلاءِ الرَّهطُ التِّسْعةُ على أَمرٍ أَغْلَظَ مِن عَقْرِ النَّاقةِ؛ على قَتلِ نبيِّهِم صالحٍ، وتعاهَدُوا وتعاقَدوا، وحلَفُوا الأَيمانَ المغَلَّظةَ، وكتَمُوا أَمرَهُم؛ خَشْيةً مِن مَنْعِ أَهلِ بيتِهِ؛ لأَنَّهُ في بيتِ عِزٍّ وشَرفٍ، وقالوا: ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ﴾[٥]، ثُمَّ إِذا ظُنَّ بِنا أَنَّنا قَتلناهُ حلَفنَا لأَوليائِهِ أَنَّنا: ﴿مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾[٦].

فَدَبَّروا هذا الْمَكرَ العظيمَ، ولكنَّهُم يَمكُرونَ ويمكُرُ اللهُ لِنبيِّهِ صالحٍ؛ فحِينَ كَمَنُوا[٧] في أَصلِ جبلٍ؛ لينظُروا الفُرصَةَ في صالحٍ، بدأَ اللهُ بِعُقوبَتِهِم، فكانوا سَلَفًا؛ مُقدَّمًا لِقومِهِم إِلى نارِ جهنَّمَ؛ فأَرسلَ اللهُ صخرةً مِن أَعلى الجبلِ فشَدَخَتْهُم، وقُتِلوا أَشْنَعَ قِتلَةٍ[٨].

---

(١) هو رَجل شريف في قومه نسيبٌ، ورئيس مطاعٌ، يُقال لَهُ: أُحَيْمِرُ ثمود، واسمه: قُدَارُ بن سَالِف، كما صرَّح به عدد من المفسِّرين. ينظر: جامع البيان، (٢٤/٤٥٩)، ومَعَالم التَّنزيل، (٢/٢٠٩)، وتفسير القرآن العظيم، (٨/٤١٤).

(٢) الشمس: ١٢

(٣) قال ابن كثير رحمه الله: "قال قتادة: بلغنا أَنَّ أُحَيْمِرَ ثمود لم يعقر النَّاقة حتَّى تابعه صغيرهم وكبيرهم، وذكرهم وأُنثاهم، فلمَّا اشترك القوم في عقرها دَمْدَم الله عليهم بذنوبهم فسوَّاها". تفسير القرآن العظيم، (٨/٤١٤).

(٤) هود: ٦٥

(٥) النمل: ٤٩

(٦) الآية السَّابقة.

(٧) كَمَنَ: اختفى، واستتر في مَكْمَنٍ لا يُفطَن لَهُ، ومنه الكَمين في الحرب. ينظر: العين، وجمهرة اللُّغة، مادَّة: (كمن).

(٨) قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٥٠ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٥١ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [النمل: ٥٠-٥٢].

ثُمَّ لَمَّا تَمَّتْ ثلاثةُ[١] الأيامِ جاءَتْهُم صَيحةٌ مِن فوقِهِم، ورَجْفةٌ مِن أَسفلَ مِنهُم، فأَصبَحوا خامِدينَ، ونجَّى اللهُ صَالحًا ومَن معهُ مِن المؤمِنينَ، ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[٢].

فوائِدُ تتعَلَّقُ بِهذهِ القِصَّةِ:

مِنها: أَنَّ جميعَ الأَنبياءِ دعوتُهُم واحدةٌ، وأَنَّ مَن كذَّبَ واحدًا مِنهُم فقد كذَّبَ الجَميعَ؛ لأَنَّهُ كذَّبَ[٣] الحقَّ الذي جاءَ بِهِ كلُّ واحدٍ مِنهُم، ولهذا يقولُ في كلِّ قِصَّةٍ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[٤]، ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[٥]، ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[٦].

ومِنها: أَنَّ عُقوباتِ اللهِ لِلأُممِ الطَّاغيةِ عندَ تَناهِي طُغيانِهَا، وتَفاقُمِ جَرائِمِها؛ فكُفْرُهُم وتَكذيبُهُم موجِبٌ لِلهلاكِ، ولكنَّ تحتُّمَ الإِهلاكِ عندَ تناهي إِجرامِهِم؛ لأَنَّ اللهَ -تعالى- بالمرصادِ، فيُمْهِلُ ثُمَّ يُمْهِلُ حتَّى إِذا أَخذَهم، أَخذَهم: ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[٧].

ومِنها: أَنَّ العقائدَ الباطِلةَ الرَّاسِخَةَ المأْخوذَةَ عمَّنْ يُحسَنُ بِهِم الظَّنُّ -مِن آباءٍ أَو غيرِهِم- مِن أَكبرِ الموانعِ لقبولِ الحقِّ، والحالُ أَنَّها: "ليسَتْ في العِيْرِ ولا في النَّفِيرِ"[٨]، ولا لَها مَقامٌ في الحُجَجِ

---

(١) "هذه" زيادة في: (س).

(٢) الأعراف: ٧٩

تم التَّصحيح في نقل الآية؛ من: "وتولى" إلى: ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾.

(٣) س: "يكذِّب".

(٤) الشعراء: ١٠٥

(٥) الشعراء: ١٢٣

(٦) الشعراء: ١٤١

(٧) القمر: ٤٢

أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود:١٠٢]، (٧٤/٦) ح (٤٦٨٦)، واللَّفظ لَهُ، ومسلم في صحيحه، كتاب البِرِّ والصِّلة والآداب، باب تحريم الظُّلم، (١٩٩٧/٤) ح (٢٥٨٣)، عن أَبي موسى رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ))، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾.

(٨) هذا مثل عربيٌّ، وأَوَّل مَن قاله أبو سفيان رضي الله عنه، حيث كان قائد عِيرِ قريش التي خرج إليها المسلمون قبل معركة بدر، ويُضْرب هذا المثل: لِمَن يُحتَقر لقلَّة نَفعه، ولِمَن لا يصلح لخير، ولا لشرٍّ، ولا يُحفل به. ينظر: جَمْهَرة الأَمثال، (٣٩٩/٢)، والأَمثال، للهاشمي، (٢٨٦/١)، ومَجْمع الأَمثال، (٢٢١/٢).

الصَّحيحةِ الدَّالَّةِ على الحقائقِ؛ فلِهذا أكبرُ ما ردَّ بهِ قومُ صالحٍ لِدعوتِهِ أنْ قالوا: ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾[1].

وقالتْ جميعُ الأُممِ المكَذِّبةِ رادِّينَ لدَعوةِ الرُّسُلِ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[2]، وهذا سبيلٌ لا يَزالُ مَعمورًا بالسَّالكِينَ مِن أَهلِ الباطلِ؛ نَهَجَتْهُ الشَّياطينُ لِيصدُّوا بهِ العِبادَ عن سبيلِ اللهِ.

ومِن المعلومِ أَنَّ طريقَ الرُّسُلِ هي طريقُ الهُدى والحقِّ، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾[3][٩٦].

---

(١) هود: ٦٢

(٢) الزخرف: ٢٣

(٣) يونس: ٣٢

قِصَّةُ إبراهيمَ خَليلِ الرَّحمنِ ﷺ

قد ذكرَ اللهُ له(١) في كِتابهِ سِيرةً وأخبارًا كثيرةً مِن سِيرةِ إبراهيمَ(٢)، فِيها لَنا الأُسْوةُ بالأنبياءِ عُمومًا، وبهِ على وجهِ الخُصوصِ؛ فإنَّ اللهَ أمرَ نبيَّنا وأمرنا باتِّباعِ مِلَّتهِ؛ وهي ما كان عليهِ مِن عقائدَ وأخلاقٍ، وأعمالٍ قاصِرةٍ ومُتعدِّيَةٍ(٣).

فقد آتاهُ اللهُ رُشدَهُ، وعَلَّمهُ الحِكمةَ منذُ كانَ صَغِيرًا(٤)، وأراهُ مَلَكُوتَ السَّمواتِ والأرضِ؛ لهذا(٥) كانَ أعظمَ النَّاسِ يَقِينًا، وعِلمًا، وقوَّةً في دِينِ اللهِ، ورَحمةً بالعِبادِ(٦).

وكان قد بَعثَهُ اللهُ إلى قَومٍ مُشرِكِينَ يَعبُدونَ الشَّمسَ والقَمرَ والنُّجومَ، وهُم فَلاسِفَةُ(٧) الصَّابِئَةِ(٨)؛ الذين هُم مِن أَخبَثِ الطَّوائفِ، وأَعظَمِهم ضَررًا على الخَلقِ.

فَدَعَاهُم بطُرُقٍ شتَّى؛ فأوَّلُ ذلكَ دَعاهُم بطريقَةٍ لا يُمكنُ لصاحبِ عَقْلٍ أَنْ يَنفِرَ مِنها.

---

(١) "له"، ليست في: (س).

(٢) صرَّح القرآن الكريم باسمه تسعًا وستِّين مرَّةً ﷺ.

(٣) سيذكر المؤلِّف الأدلَّة على ذلك: (ص:٦).

(٤) قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥١].

(٥) س: "ولهذا".

(٦) قال ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥].

(٧) سبق تعريفهم: (ص:٦).

(٨) الصَّابِئَةُ: اختلفت كلمة العلماء فِيهم:

فقِيل: قوم يشبه دينهم دين النَّصارى، إلَّا أنَّ قِبلتهم نحو مهبِّ الجنوب، ويزعمون أنَّهم على دين نوح ﷺ.

وقِيل: قوم تركَّب دينهم بين اليهود والمجوس.

وقِيل: قوم يعبدون الكواكب.

وقال ابن كثير ﷺ: "أظهر الأقوال: أنَّهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النَّصارى ولا المجوس ولا المشركين، وإنَّما هم قوم باقون على فطرتهم، ولا دين مقرَّر لهم يتَّبعونه ويقتفونه". تفسير القرآن العظيم، (١/٢٨٧).

ويَرى ابن تَيميَّة: أنَّهم على قِسمين:

صابئة حُنفاء: مُتمسِّكون بالإسلام المشترك، وهو عبادة الله وحده، وإيجاب الصِّدق والعدل، وتحريم الفواحش والظُّلم، ونحو ذلك ممَّا اتَّفقت الرُّسل على إيجابه وتحريمه، وليس لهم شريعة مأْخوذة عن نبيٍّ، ولم يرِد بذلك أنَّهم كفَّار؛ فإنَّ الله قد أثنى على بعضهم.

وصابئة مشركون: منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الكواكب. ينظر: الرَّدُّ على المنطقِيِّين، (ص:٤٥٥)، وتفسير القرآن العظيم، (١/٢٨٦-٢٨٧).

ولَمَّا كانوا يَعبُدونَ السَّبْعَ السَّيَّارَاتِ[١] -التي مِنها الشَّمسُ والقَمرُ- وقد بَنوا لَهَا البُيُوتَ، وسَمَّوها الهَيَاكِلَ، قال لَهم نَاظرًا ومُناظرًا: هَلُمَّ يا قومِ نَنْظرْ هل يَستحِقُّ مِنها شيءٌ الإلهيَّةَ والرُّبوبيَّةَ[٢]؟.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾[٣].

والمناظَرةُ[٤] تُخَالفُ غيرَها[٥] في أُمورٍ كثيرةٍ:

مِنها: أَنَّ المناظِرَ يقولُ الشَّيءَ الذي لا يَعتقِدُهُ؛ ليَبْنِيَ عليهِ حُجَّتَهُ، ولِيُقِيمَ الحُجَّةَ على خَصمِهِ؛ كَمَا قالَ في تكسيرِهِ الأَصنامَ لَمَّا قالوا لَهُ: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾[٦]، فأَشارَ إِلى الصَّنمِ الذي لم يَكسِرْهُ، فقالَ: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾[٧]، ومعلومٌ أَنَّ غرضَهُ إِلزامُهُم

(١) هُنَّ: القمر، وعُطارد، والزُّهرة، والشَّمس، والمرِّيخ، والمشترى، وزُحل. ينظر: تفسير القرآن العظيم، (٢٩٢/٣).

(٢) اختلف المفسِّرون في حال إبراهيم عليه السلام هل كان نَاظِرًا، أَو مُنَاظِرًا، والذي عليه المحقِّقون أَنَّه مُنَاظِر لقومه؛ فإِنَّ الله تعالى قد نَفَى عنه الشِّرك، وأَثبت لَهُ التَّوحيد صريحًا في خمس آيات من كتابه، منها قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران:٦٧]، وقوله جلَّ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٣]، وأَخبر عزَّ وجلَّ أَنَّه بلغ مرتبة اليقين، فقال جلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام:٧٥]، كما أَخبر أَنَّه في مقام المناظرةِ والمحاجَّة لقومه، فقال تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ﴾ [الأنعام:٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأنعام:٨٣].

قال المؤلِّف رحمه الله: "وهذا الذي ذكرنا في تفسير هذه الآيات، هو الصَّواب، وهو أَنَّ المقام مقامُ مناظرةٍ، من إبراهيم لقومه، وبيان بطلان إلهيَّة هذه الأَجرام العُلويَّة وغيرها، وأَمَّا مَن قال: إِنَّه مقام نظر في حال طفوليَّته، فليس عليه دليل". تيسير الكريم الرَّحمن، (ص:٢٦٢)، وينظر: تفسير القرآن العظيم، (٢٩٢/٣)، وأَضواء البيان، (٤٨٦/١).

وأَمَّا قول المؤلِّف هنا: "نَاظِرًا": فهو تفكُّر مع القوم؛ من أَجل إقناعهم حين الْمُنَاظرة، فهو لإبراهيم زيادة في الإيمان، وترقٍّ في درجات اليقين، وهو قائد لهم إِلى التَّوحيد وإبطال ماهم عليه من الشِّرك، لا أَنَّ الخليل يطلب إزالة شكٍّ أَو محوَ خللٍ حاصلٍ عنده في التَّوحيد، وقد بيَّن المؤلِّف هذا في سياق كلامه، وأَشار إليه: (ص:٦).

(٣) الأنعام: ٧٦

(٤) الْمُنَاظَرَةُ: لغة من النَّظِيْر، أَو النَّظَر بالبَصِيرة، واصطلاحًا: النَّظَر بالبصيرة من الجانبَين في النِّسبة بين الشَّيئَين؛ إظهارًا للصَّواب. ينظر: التَّعريفات، (ص:٢٣١-٢٣٢)، ومُعْجَم مَقاليد العلوم، (ص:٧٦)، والكُلِّيَّات، (ص:٨٤٩).

(٥) من الحوارات، والرُّدود، والمجادلات التي لم تصل إِلى مستوى المناظرة.

(٦) الأنبياء: ٦٢

(٧) الأنبياء: ٦٣

بالحُجَّةِ، وقد حَصَلتْ.

فهُنَا يَسْهُلُ علَينا فَهْمُ معنَى قولِهِ: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾[١]؛ أَيْ: إنْ كان يَستحِقُّ الإلهيَّةَ بعدَ النَّظرِ في حالتِهِ ووصفِهِ فهو ربِّي، معَ أنَّهُ يَعلَمُ العِلْمَ اليَقِينيَّ أنَّهُ لا يَستحقُّ مِن الرُّبوبيَّةِ والإلهيَّةِ مِثقالَ ذرَّةٍ، ولكنْ أرادَ أنْ يُلْزِمَهُم بالحُجَّةِ.

﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾[٢]؛ أَيْ: غابَ، ﴿قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾[٣]؛ فإنَّ مَن كانَ لَهُ حالُ وُجُودٍ وعَدَمٍ، أَو حالُ حُضورٍ وغَيْبةٍ، قد عَلِمَ كلُّ عاقلٍ أنَّهُ ليسَ بكامِلٍ، فلا يكونُ إلهًا.

ثُمَّ انتقلَ إلى القَمرِ، فلمَّا رآهُ: ﴿بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾[٤]، يُرِيْهِم -صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِ-، وقد صوَّرَ نفسَهُ بصُورَةِ الموافِقِ لهُم -لكنْ على وجهِ التَّقليدِ، بلْ يَقصِدُ إقامَةَ البُرهانِ- على إلهيَّةِ النُّجومِ والقَمرِ، فالآنَ وقد أَفَلَتْ، وتَبَيَّنَ بالبُرهانِ العَقليِّ معَ السَّمْعِيِّ بطلانُ إلهيتِها، فأَنا إلى الآنَ لم يَستقِرَّ لي قرارٌ على ربٍّ وإلهٍ عَظِيمٍ.

﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً﴾[٥]، قال: ﴿هَٰذَا أَكْبَرُ﴾[٦]؛ مِن النُّجومِ ومِن القَمَرِ، فإنْ جرى علَيها ما جَرى علَيهِما كانتْ مثلَهُما.

﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ﴾[٧]: وقد تَقرَّرَ عندَ الجميعِ -فيما سَبقَ- أنَّ عِبادةَ مَن يأْفِلُ مِن أَبطلِ الباطلِ، فَحينئذٍ أَلزَمَهُم بِهذا الإلزامِ، ووجَّهَ عليهِم الحُجَّةَ، فقالَ: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾[٨]؛ أَيْ: ظاهِري وباطِني: ﴿لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٩]؛ هذا بُرهانٌ عَقليٌّ واضحٌ أنَّ الخَالِقَ للعالَمِ العُلويِّ والسُّفليِّ هو الذي يَتعيَّنُ أنْ

(١) الأنعام: ٧٦
(٢) الآية السَّابقة.
(٣) الآية السَّابقة.
(٤) الأنعام: ٧٧
(٥) الأنعام: ٧٨
(٦) الآية السَّابقة.
(٧) الآية السَّابقة.
(٨) الأنعام: ٧٨-٧٩
(٩) الأنعام: ٧٩

يُقصَدَ بالتَّوحيدِ والإخلاصِ، وأَنَّ هذهِ الأَفلاكَ والكَواكبَ وغيرَها مخلوقاتٌ مُدبَّراتٌ، ليس لَها مِن الأَوصافِ ما تَستَحِقُّ العِبادَةَ لأَجلِها.

فجَعلوا يُخوِّفُونَهُ آلهتَهُم أَنْ تمسَّهُ بسُوءٍ، وهذا دَليلٌ على أَنَّ المشركِينَ عندَهُم مِن الخَيالاتِ الفَاسِدةِ، والآراءِ الرَّديئةِ ما يَعتقدونَ أَنَّ آلهتَهُم تنفعُ مَن عبَدَها، وتَضُرُّ مَن تركَها، أَو قَدحَ فِيها، فقالَ لهم مُبيِّنًا لَهم أَنَّهُ ليسَ عليهِ شَيءٌ مِن الخَوفِ، وإِنَّما الخَوفُ الحَقِيقيُّ عليكُم، فقالَ: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[١].

أَجابَ اللهُ عن[٢] هذا الاستفهامِ جَوابًا يَعمُّ هذهِ القَضيَّةَ[٣]، وغيرَها في كلِّ وقتٍ وزمانٍ[٤]، فقالَ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾[٥]؛ أَيْ: بشِركٍ[٦][٩٧]، ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[٧].

فرفَعَ اللهُ خَليلَهُ إِبراهيمَ بالعِلمِ، وإِقامةِ الحُجَّةِ، وعَجَزوا عن نَصرِ باطلِهِم؛ ولكنَّهُم صَمَّمُوا على الإِقامةِ على ما هُم عليهِ، ولم ينفعْ فِيهِم الوَعظُ والتَّذكيرُ، وإِقامةُ الحُجَجِ.

فلم يزلْ يدعوهُم إِلى اللهِ، وينهاهُم عمَّا كانوا يَعبُدونَ نَهيًا عامًّا وخاصًّا؛ وأَخصُّ مَن دَعاهُ

---

(١) الأنعام: ٨١

(٢) "عن"، ليست في: (س).

(٣) س: "القصَّة".

(٤) "وزمان"، ليست في: (س).

(٥) الأنعام: ٨٢

(٦) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب أَحاديث الأَنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:١٢٥]، (١٤١/٤) ح (٣٣٦٠)، واللَّفظ لَهُ، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه، (١١٤/١) ح (١٢٤)، عن ابن مسعودﷺ، قال: لَمَّا نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام:٨٢]، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: ((لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ: ﴿لَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾: بِشِرْكٍ، أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ: ﴿يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣])).

(٧) الأنعام: ٨٢

أبوهُ آزرُ[١]؛ فإنَّهُ دَعاهُ بعدَّةِ طُرُقٍ نافِعةٍ، ولكنْ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾[٢].

فمِن جُملةِ مقالاتِهِ لأَبيهِ: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾[٣].

انظرْ إلى حُسْنِ هذا الخِطابِ الجاذِبِ للقُلوبِ: لم يقلْ لأَبيهِ: إنكَ جاهلٌ؛ لِئلَّا ينْفِرَ مِن الكَلامِ الخَشِنِ، بلْ قالَ لَهُ هذا القَولَ: ﴿فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾[٤].

فانتقلَ بدعوتِهِ مِن أُسلوبٍ لآخرَ؛ لَعلَّهُ يَنْجَعُ فيهِ أَو يُفيدُ، ولكنَّهُ معَ ذلكَ قالَ لَهُ أَبوهُ: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾[٥].

هذا وإِبراهيمُ لم يَغضَبْ، ولم يُقابِلْ أَباهُ ببعضِ ما قالَ، بلْ قابَلَ هذهِ الإساءَةَ الكُبرى بالإِحسانِ فقالَ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾[٦]؛ أَيْ: لا أَتكلَّمُ معكَ إلَّا بكلامٍ طَيِّبٍ، ليِّنٍ[٧]؛ لا غِلظَةَ فيهِ، ولا خُشُونَةَ، ومعَ ذلكَ فلستُ بآيسٍ مِن هِدايتِكَ: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾؛ أَيْ: برًّا رحِيمًا قد عوَّدَنِي لُطفَهُ، وأَجرَانِي على عوائدِهِ الجميلةِ، ولم يزلْ لدعائي مُجِيبًا.

---

(١) آزرُ: هو المعنى العربيُّ لاسمه: تارِح، وقيل: اسم صنم كان يعبده، وقد كان يصنع الأَصنام ويبيعها، والصَّحيح أَنَّ اسمه: آزر؛ كما هو صريح القرآن والسُّنَّة؛ فقد أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب قول الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:١٢٥]، (١٣٩/٤) ح (٣٣٥٠)، عن أَبي هريرةﷺ، عن النَّبيِّﷺ، قال: ((يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزرَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِ آزرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي، فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَاليَوْمَ لَا أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الأَبْعَدِ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَّمْتُ الجَنَّةَ عَلَى الكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ، فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ)). وينظر: جامع البيان، (٤٦٨/١١)، والبداية والنِّهاية، (١٦٣/١).

(٢) يونس: ٩٦-٩٧

(٣) مريم: ٤٢-٤٣

(٤) مريم: ٤٣-٤٥

(٥) مريم: ٤٦

(٦) مريم: ٤٧

(٧) "ليِّن"، ليست في: (س).

فلم يزلْ[١] معَ أَبيهِ[٢] وقومهِ في دعوةٍ وجدالٍ، وقد أَفحمَهُم، وكَسَّرَ جميعَ حُجَجِهِم، وشُبَهِهِم، فأَرادَ ﷺ أَنْ يُقاوِمَهُم بأَعظمِ الحُجَجِ، وأَنْ يَصمِدَ لبطشِهِم وجَبروتِهِم، وقدرتِهِم وقوتِهِم، غيرَ هائبٍ، ولا وَجِلٍ؛ فلمَّا خرجوا ذاتَ يومٍ لِعيدٍ مِن أَعيادِهِم، وخرجَ معَهُم، ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ۝٨٨ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾[٣]؛ لأَنَّهُ خَشِي إِنْ تَخَلَّفَ لغيرِ هذهِ الوَسِيلةِ لم يُدْرِكْ مطلوبَهُ؛ لأَنَّهُ تظاهرَ بعداوتِها، والنَّهيِ الأَكيدِ عنها، وجِهادِ أَهلِها، فلمَّا برَزُوا جَميعًا إِلى الصَّحراءِ كرَّ رَاجعًا إِلى بيتِ أَصنامِهِم، فجعلَها جُذاذًا كلَّها إِلَّا صَنَمًا كبيرًا أَبْقَى عليهِ؛ لِيُلْزِمَهُم بالحُجَّةِ[٤].

فلمَّا رجعوا مِن عِيدِهِم بادَروا إِلى أَصنامِهِم صَبَابَةً[٥] بِها[٦] ومَحبَّةً، فرأَوا فِيها أَفظعَ مَنظرٍ رآهُ أَهلُها، فقالوا: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٩ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾[٧]؛ أَيْ: يَعيبُها ويَذكرُها بأَوصافِ النَّقصِ والسُّوءِ: ﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾[٨].

فلمَّا تحقَّقوا أَنَّهُ الذي كسَّرَها: ﴿قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾[٩]؛ أَيْ: يحظرُ النَّاسُ، أَيْ: أَحضِرُوهُ[١٠] بِمَحضَرِ[١١] الخَلقِ العَظيمِ، ووبِّخوهُ أَشدَ التَّوبيخِ، ثُمَّ نكِّلوا بهِ، وهذا الذي أَرادَ إِبراهِيمُ؛ ليظْهَرَ الحقُّ بمرأَى الخَلقِ، ومَسمَعِهِم[١٢].

فلمَّا جُمِعَ النَّاسُ وحضَروا، وأَحضَروا[١٣] إِبراهيمَ قالوا: ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝٦٢

---

(١) "إِبراهيم"، زيادة في: (س).

(٢) "أَبيه"، ليست في: (س).

(٣) الصافات: ٨٨-٨٩

(٤) قال البَغَوِيُّ رحمه الله: "قال ابن عبَّاس: كان قومه يتعاطون علم النُّجوم فعاملهم من حيث كانوا يتعاطون؛ لئلَّا ينكروا عليه؛ وذلك أَنَّه أَراد أَنْ يكايدهم في أَصنامهم؛ ليلزمَهم الحُجَّة في أَنَّها غير معبودة". مَعَالم التَّنزيل، (٤/٣٤).

(٥) الصَّبَابَةُ: رِقَّة الشَّوْق وحَرَارَته. ينظر: جَمْهَرة اللُّغة، والصِّحاح، ومُختار الصِّحاح، مادَّة: (صبب).

(٦) "بها"، ليست في: (س).

(٧) الأنبياء: ٥٩-٦٠

(٨) الأنبياء: ٦٠

(٩) الأنبياء: ٦١

(١٠) "يحظر النَّاس، أَيْ: أَحضروه"، ليست في: (س).

(١١) س: "بحضرة".

(١٢) وهذا الذي قصَدَه إِبراهيم عليه السلام من كشف الحقِّ أَمام النَّاس هو ما دعى إِليه موسى عليه السلام حينما: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ [طه:٥٩].

(١٣) س: "حضَّروا".

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾(١): مشيرًا إلى الصَّنمِ الذي سَلِمَ مِن تِكْسيرِهِ.

وهُم في هذهِ بَينَ أَمرَينِ:

- إمَّا أَنْ يعترِفوا بالحقِّ، وأَنَّ هذا لا يَدخلُ عقلَ أَحدٍ؛ أَنَّ جمَادًا مَعروفًا أَنَّهُ مَصنوعٌ مِن مَوادَ معروفةٍ لا يمكنُ أَنْ يَفعلَ هذا الفِعلَ.

- وإمَّا أَنْ يقولوا: نعمْ هو الذي فعَلَها، وأَنتَ سالمٌ ناجٍ مِن تَبِعَتِها.

وقد علِمَ أَنَّهم لا يقولونَ الاحتمالَ الأَخيرَ، قال: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾(٢)؛ وهذا تَعليقٌ بالأَمرِ الذي يَعترِفونَ أَنَّهُ مُحالٌ.

فحينَئذٍ ظهَرَ الحقُّ وبَانَ، واعترَفوا هُم بالحقِّ، ﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾(٣)[٩٨]؛ أَيْ: ما كانَ اعترافُهُم ببطلانِ إلهيَّتِها إلَّا وَقتًا قَصيرًا -أَظهَرَتْهُ(٤) الحُجَّةُ مباشرةً، التي لا يُمكنُ مُكابَرتُها- ولكنْ ما أَسرعَ ما عادتْ عليهِم عقائدُهُم الباطلَةُ التي رَسَخَتْ في قُلوبِهِم، وصَارتْ صِفاتٍ مُلازمةً، إنْ وُجِدَ ما يُنافِيها فإنَّهُ عَارِضٌ يَعرِضُ ثُمَّ يَزولُ: ﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾.

فحينئذٍ وبَّخَهم بعدَ إقامةِ الحُجَّةِ التي اعترفَ بِها الخُصومُ على رُؤوسِ الأَشهادِ، فقالَ لهم: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(٥)؛ فلو كان لكُم عُقولٌ صَحيحةٌ لم تقِيموا على عِبادةِ ما لا يَنفعُ ولا يَضرُّ، ولا يَدفعُ عن نفسِهِ مَن يُريدُهُ بسُوءٍ.

فلمَّا أَعيَتهُم الْمُقاومةُ بالبراهينِ والحُججِ عدَلوا إلى استعمالِ قُوَّتِهِم وبطشِهِم وجَبروتِهِم في عُقوبةِ إبراهيمَ، فقالوا: ﴿حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾(٦)؛ فأَوقَدوا نارًا عظيمةً جِدًّا فأَلقَوهُ بِها،

(١) الأنبياء: ٦٢-٦٣.
(٢) الأنبياء: ٦٣
(٣) الأنبياء: ٦٥
(٤) س: "ظهرت".
(٥) الأنبياء: ٦٦-٦٧
(٦) الأنبياء: ٦٨

قالَ وهو في تلكَ الحالِ: "حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ"[١]، فقالَ اللهُ للنَّارِ: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾[٢]، فلم تَضرُّهُ بشَيءٍ.

﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا﴾[٣]؛ لينصُروا آلهتَهُم، ويُقيمُوا لَها في قُلوبِهِم، وقُلوبِ أَتباعِهِم الخُضوعَ والتَّعظيمَ، فكان مَكرُهُم وَبَالًا عليهِم، وكان انتصارُهُم لآلهتِهِم نَصرًا عَظيمًا عندَ الحاضِرينَ، والغائبِينَ، والموجودِينَ، والحادِثِينَ عَليهِم[٤].

وانتصرَ الخليلُ على الخَواصِّ، والعَوامِّ، والرُّؤساءِ، والمرؤُوسِينَ حتَّى إنَّ مَلِكَهُم[٥] حاجَّ إبراهيمَ في رَبِّهِ؛ بَغْيًا، وطُغيانًا: ﴿أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ﴾[٦]؛ فقالَ إبراهيمُ: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾[٧]، فألزَمَهُ الخَليلُ بِطَرْدِ[٨] دليلِهِ بالتَّصرُّفِ المُطْلَقِ، فقالَ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٩].

---

(١) أخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾ [آل عمران:١٧٣]، الآية، (٣٩/٦) ح (٤٥٦٤)، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما.

(٢) الأنبياء: ٦٩

(٣) الأنبياء: ٧٠

(٤) المراد بقوله: "بالحادِثِين عليهم": الزَّائرين، وغير أَهل البلد المستوطِنين.

(٥) ملك جبَّار كان "بِبَابِلَ" يُقال لَهُ: "نُمْرُوْدُ بن كَنْعَان"، ادَّعى الرُّبوبيَّة، فأَظهر الله خِزيه، ونصر عليه خليله إبراهيم عليه السلام. ينظر: جامع البيان، (٤٣٠/٥)، وتفسير القرآن العظيم، (٦٨٦/١).

(٦) البقرة: ٢٥٨

(٧) الآية السَّابقة.

(٨) الطَّرْدُ: من طردت الخِلاف في المسأَلة طردًا أَجريته، ويَقصد به الأُصوليُّون: "اقتران الحُكم بسائر صور الوصف". شرح تَنْقِيح الفُصول، للقَرَافي، (ص:٣٩٨)، وينظر: الْمِصباح الْمُنِيْر، مادَّة: (طرد).

(٩) البقرة: ٢٥٨

فَصْلٌ:

ثُمَّ خرجَ مِن بيْنِ أَظهرِهِم مُهاجِرًا وزوجتُهُ وابنُ أَخيهِ لوطٌ، إلى الدِّيارِ الشَّاميَّةِ(١).

وفي أَثناءِ مُدَّةِ إقامتهِ بالشَّامِ ذهبَ إلى مِصرَ بزوجتِهِ سَارَةَ(٢)، وكانتْ أَحسنَ امرأَةٍ على الإِطلاقِ، فلمَّا رآها مِلِكُ مِصرَ(٣) -وكان جَبَّارًا عَنِيدًا- لم يملِكْ نفسَهُ، حتَّى أَرادَها على نَفسِها، فدَعَتِ اللهَ عليهِ، فكادَ أَن يموتَ، ثُمَّ أَطْلَقَ، ثُمَّ عادَ ثانيةً، وثالثةً(٤)، وكلَّما أَرادَها دَعتْ عليهِ فصُرِعَ، ثُمَّ دعتْ لَهُ فَأَطْلَقَ، فكَفَاهُمَا اللهُ شرَّهُ، ووَهبَ لَها هاجرَ جاريةً قِبطِيَّةً(٥).

وكانتْ سَارَةُ عاقرًا منذُ كانتْ شابَّةً، فوَهَبَتْ هذهِ الجاريةَ لإبراهيمَ ليتسرَّرَها(٦)؛ لَعلَّ اللهَ يَرزقَهُ مِنها وَلدًا، فأَتتْ هاجرُ بإِسماعيلَ على كِبَرِ إبراهيمَ، فَفرِحَ بهِ فرَحًا شَديدًا، ولكنَّ سارةَ رضي الله عنها أَدركتْها الغَيرةُ فحلَفتْ أَنْ لا يُساكِنَها بِها، وذلكَ لِما يريدُهُ اللهُ، وهذا مِن جُملةِ الأَسبابِ لذهابِهِ بِها إلى موضعِ البَيتِ الحرامِ، وإلَّا فهو مُتقرِّرٌ عندَهُ ذلكَ عليه السلام، فذهبَ بِها وبِابنِها إسماعيلَ إلى مكَّةَ، وهي في ذلكَ الوقتِ ليسَ فِيها سَكَنٌ ولا مَسكِنٌ، ولا ماءٌ ولا زرعٌ ولا غيرُهُ، وزَوَّدَهُما بسِقاءٍ فِيهِ ماءٌ[٩٩]، وجِرَابٌ(٧) فِيهِ تمرٌ، ووضَعهُما عندَ دَوْحَةٍ(٨) قَريبةٍ مِن محلِّ بئرِ زَمزمَ، ثُمَّ قَفَّى(٩) عنهُما.

---

(١) الشَّامُ: اسم قديم، يشمل الأُردُنّ وسوريا ولبنان، وفلسطين، وغيرها، قال ياقوت: "وأَمَّا حدُّها فمِن الفُرات إلى العَريش المتاخِم للدِّيار المصريَّة، وأَمَّا عرضها فمِن جَبلَي طيءٍ من نحو القبلة إلى بحر الرُّوم". مُعْجَم البُلدان، (٣١٢/٣)، وينظر: بلاد_الشَّام/https: //ar. wikipedia. org/wiki.

(٢) قال ابن عطيَّة رحمه الله: "وامرأَة إبراهيم هذه هي سَارة بنت هارُون بن نَاحُور، وهو إبراهيم بن آزر بن نَاحُور فهي ابنة عمِّه". المحرَّر الوجيز، (١٨٩/٣).

(٣) قِيل هو: عَمرو بن امْرِئ الْقَيْس بن سَبأٍ، وكان على مصر، وقِيل: صَادُوق، وكان على الأُردن، وقِيل: سِنَانُ بْنُ علوان، ويُقال: إنَّه أَخو الضَّحَّاك الذي ملك الأَقاليم. ينظر: فَتْح البَارِي، لابن حَجَر، (٣٩٢/٦).

(٤) "وثالثة"، ليست في: (س)، وهي الموافقه للقصَّة الثَّابتة.

(٥) القصَّة عند البخاريِّ في صحيحه، كتاب أَحاديث الأَنبياء، باب قول اللَّه تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:١٢٥]، (١٤٠/٤) ح (٣٣٥٨)، وأَخرجها مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل عليه السلام، (١٨٤٠/٤) ح (٢٣٧١)، عن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولفظ رواية البخاريِّ: ((امْرَأَةٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ))، ولفظ رواية مسلم: ((وَكَانَتْ أَحْسَنَ النَّاسِ)).

(٦) سبق تعريفها: (ص:٦٠).

(٧) الجِرَابُ: "وِعَاء الزَّاد". مُختار الصِّحاح، وينظر: لسان العرب، مادَّة: (جرب).

(٨) الدَّوْحَةُ: الشَّجرة الْعَظِيمة. ينظر: العين، وجمهرة اللُّغة، مادَّة: (دوح).

(٩) قَفَّى: ذهب، وانْصَرف. ينظر: تهذيب اللُّغة، مادَّة: (قفا)، وتفسير غريب ما في الصحيحين، (ص:٢٢٦).

فلمَّا كان في الثَّنِيَّةِ(١) بحيثُ يُشرفُ عليهمَا دَعا اللهَ -تعالى- فقالَ: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾(٢)، إلى آخرِ الدُّعاءِ(٣).

ثُمَّ استسلَمَتْ لأمرِ اللهِ، وجَعلتْ تأْكلُ مِن ذلكَ التَّمرِ، وتَشرَبُ مِن ذلكَ الماءِ حتَّى نَفِدَا، فعطِشَتْ، ثُمَّ عَطِشَ وَلدُها، فجَعلَ يتلوَّى(٤) مِن العَطَشِ.

ثُمَّ ذهبَتْ في تلكَ الحالِ لَعلَّها ترى أَحدًا، أَو تجِدُ مُغيثًا، فَصعِدتْ أَدنى جَبلٍ مِنها؛ وهو الصَّفَا(٥)، وتطلَّعتْ فلم ترَ أَحدًا.

ثُمَّ ذهبتْ إلى الْمَرْوَةِ(٦) فَصعِدتْ عليهِ فتطلَّعتْ، فلم ترَ أَحدًا، ثُمَّ جَعلَتْ تتردَّدُ في ذلكَ الموضعِ، وهي مَكروبَةٌ مُضطرةٌ، مُستغيثةٌ باللهِ لَها ولابنِها، وهي تَمشِي وتَلْتَفتُ إليهِ خَشيةَ السِّباعِ عليهِ، فإذا هَبَطَتِ الوَاديَ سَعَتْ حتَّى تَصعَدُ مِن جانبِهِ الآخرِ؛ لِئلا يَخْفى على بَصَرِها ابنُها.

والفَرجُ معَ الكَرْبِ(٧).

والعُسْرُ يتبَعُهُ اليُسْرُ(١).

---

(١) الثَّنِيَّةُ: في اللُّغة: الطَّريقُ أَعلى الجبل؛ وفيه صُعُودٍ وحُدُورٍ فكأَنَّه يَثني السَّيْر، والمقصود موضع بمكَّة عند الحجون. ينظر: التَّلخيص في معرفة أَسماء الأَشياء، للْعَسْكَري، (ص:٣٢١)، وتفسير غريب ما في الصَّحيحين، للحُمَيْدي، (ص:١٩٢)، ولسان العرب، مادَّة: (ثني)، وإرشاد السَّاري لشرح صحيح البخاري، (٥/٣٥٣)، ودليل الفالحين لطرق رياض الصَّالحين، لابن علَّان، (٨/٦٩٩).

(٢) إبراهيم: ٣٧

(٣) قال ﷻ: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٣٨ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾ [إبراهيم:٣٨-٤١].

(٤) التَّلَوِّي: التَّثَنِّي، والإماله، والانطواء. ينظر: مُختار الصِّحاح، ولسان العرب، والقاموس المحيط، مادَّة: (لوي).

(٥) الصَّفَا: الحجر الأَملس، والمراد هنا: الجبل الواقع في أَصل جبل "أَبي قُبَيْس" على الجهة الجنوبيَّة الشَّرقيَّة من الكعبة. ينظر: مقاييس اللُّغة، مادَّة: (صفا)، ومعجم البلدان، (٣/٤١١).

(٦) الْمَرْوَةُ: حجر أَبيض، تقدح منه النَّار، والمراد هنا: الجبل المقابل للصَّفا، الواقع في أَصل جبل: "قُعَيْقِعَانِ"، شمال شرقي الكعبة. ينظر: الصِّحاح، مادَّة: (مرا)، ومعجم البلدان، (٥/١١٦).

(٧) قال ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا﴾ [يوسف:١١٠]، وقال ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [الشورى:٢٨].

فلمَّا تمَّتْ سَبعَ مرَّاتٍ تَسمَّعتْ حِسَّ(٢) الملَكِ، فبحثَ في الموضعِ الذي فِيهِ زمزمُ فنبَعَ الماءُ، فاشتدَّ فرحُ أُمِّ إسماعيلَ بهِ، فشربتْ مِنهُ وأَرْضَعتْ ولدَها، وحمِدَتِ اللهَ على هذهِ النِّعمةِ الكُبرى، وحَوَّطتْ على الماءِ؛ لئلَّا يَسِيْحَ(٣)، قال النَّبيُّ ﷺ: ((رَحِمَ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، لَوْ(٤) تَرَكَتْ مَاءَ زَمْزَمَ -أَيْ: لم تحوِّطْهُ- لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا))(٥).

ثُمَّ عَثرَ بِها قَبيلةٌ مِن قبائلِ العَربِ يُقالُ لَهم: جُرْهُمُ(٦)، فنزَلوا عندَها، وتمَّتْ عليَها النِّعمةُ.

وشَبَّ إسماعيلُ شَبابًا حسَنًا، وأَعجبَ القَبيلةَ بأَخلاقِهِ، وعُلُوِّ هِمَّتِهِ وكمالِهِ، فلمَّا بلغَ تزوَّجَ مِنهُمُ امرأَةً، فَفِي أَثناءِ هذهِ المدَّةِ ماتتْ أُمُّهُ رضي الله عنها، وجاءَ إبراهيمُ بغَيْبَةِ إسماعيلَ يَتصَيَّدُ، فدخلَ على امرأَتِهِ فَسأَلَها عن زَوجِها وعن عَيشِهِم، فأَخبرتْهُ أَنَّ زوجَها قد ذهبَ يَتصَيَّدُ، وأَنَّ عَيْشَهُم عَيْشُ الشِّدَّةِ، والشَّقَا(٧)، فقال لَها: إذا جاءَ زَوجُكِ فأَقرئِيهِ منِّي السَّلامَ، وقُولِي لَهُ يُغيِّرُ عتبَةَ بابهِ، ورَجعَ مِن فَورِهِ؛ لِحِكمةٍ أَرادَها اللهُ، فلمَّا جاءَ إسماعيلُ كأَنَّهُ آنسَ شَيئًا، فسأَلَ امرأَتَهُ، فأَخبرتْهُ أَنَّهُ جاءَهُم شيخٌ بِهذا الوَصفِ، وأَنَّهُ سأَلَ عنكَ فأَخبرتُهُ، وسأَلَنا عن عيشِنا، فأَخبرتُهُ أَنَّا في شِدَّةٍ، وأَنَّهُ يقرأُ عليكَ السَّلامُ، ويقولُ لكَ: غيِّرْ عَتبَةَ بابِك، فقالَ: ذاكَ أَبِي، وأَنتِ العَتبَةُ، الحقِي بأَهلِكِ، ثُمَّ تزوَّجَ إسماعيلُ غيرَها.

ثُمَّ جاءَ إبراهيمُ مرَّةً أُخرى وإسماعيلُ -أَيضًا في الصَّيدِ- فدخلَ على امرأَتِهِ فسأَلَها عن إسماعيلَ، فأَخبرَتْهُ، وسأَلَها عن عَيْشِهِم، فأَخبرَتْهُ أَنَّهُم في نِعمةٍ وخَيرٍ -وكانتْ امرأَةً طَيِّبَةً شَاكرةً للهِ،

---

(١) قال ﷻ: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق:٧]، وقال ﷻ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح:٥-٦].

(٢) الحِسُّ: "الصَّوْت الخَفي". الصِّحاح، ومُختار الصِّحاح، مادَّة: (حسس).

(٣) السَّيْحُ: من ساح الماء يسيح إذا جرى على وجه الأَرْض. ينظر: العين، وجمهرة اللُّغة، مادَّة: (سيح).

(٤) استعمال لفظ: "لو" على قسمين: مذموم ومحمود، وتفصيل ذلك؛ بقول المؤلِّف رحمه الله: "فاستعمال "لو" تكون بحسَب الحال الحامل عليها: إنْ حمل عليها الضَّجر والحزن وضعف الإيمان بالقضاء والقدر، أَو تمنِّي الشَّرِّ كان مذمومًا، وإِنْ حمل عليها الرَّغبة في الخير، والإرشاد والتَّعليم كان محمودًا". القول السَّديد، (ص:١٧٢).

(٥) بنحوه أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب المساقاة، باب مَن رأَى أَنَّ صاحب الحوض والقِربة أَحقُّ بمائه، (١١٢/٣) ح (٢٣٦٨)، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما.

(٦) جُرْهُمُ: حيٌّ مِن اليمن، مِن قَحطان، نزلوا مكَّة، وتزوَّج منهم إسماعيل عليه السلام، وكان لهم ولاية على البيت، حتَّى استخفُّوا بحرمته، وأَضاعوا حقَّه، وهلك أَكثرهم بالطَّاعون، فقويت عليهم خُزاعة، فأَخرجتهم. ينظر: أَنساب الأَشراف، للبَلاذُري، (٧/١)، والبداية والنِّهاية، لابن كثير، (١٧٩/١).

(٧) "الشَّقا"، ليست في: (س).

وشَاكرةً لزوجِها- ثُمَّ قالَ لَها: إذا جاءَ زَوجُكِ فاقرئي عليهِ السَّلامَ، وقولِي لَهُ يُثْبتُ عَتَبَةَ بابِهِ.

ثُمَّ رَجعَ -أَيضًا- مِن فَورِهِ قَبْلَ مُواجهةِ إسماعيلَ؛ لحِكمةٍ أَرادَها اللهُ -تعالَى-، فلمَّا رجعَ إسماعيلُ مِن صَيدِهِ قال: هلْ جاءَكُم مِن أَحدٍ؟، فقالتْ: جاءَنا شيخٌ بِهذا الوَصفِ، فقالَ: هلْ قالَ لكمْ مِن شَيءٍ؟، فقالتْ: سأَلَنا عنكَ فأَخبرتُهُ، وسأَلَنا عن عَيشِنا فأَخبرتُهُ أَنَّا في نِعمةٍ، وأَثْنيْتُ على اللهِ، فقالَ: فما قالَ؟، قالتْ: هو يَقرأُ عليكَ السَّلامُ، ويأْمرُكَ أَنْ تُثْبِتَ عَتَبَةَ بابِكَ، فقالَ: ذاكَ أَبِي، وأَنتِ العَتَبَةُ، أَمرَنِي أَنْ أُمسِكَكِ.

ثُمَّ عادَ إبراهيمُ المرَّةَ الثَّالثةَ فوجدَ إسماعيلَ يَبْرِي[1] نَبْلًا[2] عندَ زمزمَ، فلمَّا رَآهُ قامَ إِليهِ فصنَعا كمَا يَصنعُ الوالدُ الشَّفِيقُ والولدُ الشَّفيقُ، فقالَ: يا إسماعيلُ إنَّ اللهَ أَمرنِي أَنْ أَبْنِيَ هُنا بيتًا يكونُ مَعبَدًا للخَلقِ إلى يومِ القِيامةِ، قال: سأُعينُكَ على ذلكَ.

فجَعَلا يرفعانِ القواعدَ مِن البيتِ؛ إبراهيمُ يَبْنِي، وإسماعيلُ يُناوِلُهُ الحِجارَةَ، وهُما يقولانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[3][١٠٠].

فلمَّا تَمَّ بُنْيَانُهُ، وتَمَّ لِلخَليلِ هذا الأَثرُ الجليلُ، أَمرَهُ اللهُ أَنْ يدعوَ النَّاسَ؛ ويُؤَذِّنَ فِيهم بحَجِّ هذا البيتِ؛ فجعلَ يدعو النَّاسَ، وهُم يفِدونَ إلى هذا البيتِ: ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ﴾[4]: دُنياهُم وأُخراهُم، ويَسعدُوا، ويَزولَ عَنهُم شَقاؤُهُم.

وفي هذهِ الأَثناءِ حِينَ تمكَّنَ حُبُّ إسماعيلَ مِن قَلْبِهِ، وأَرادَ اللهُ أَنْ يمتحِنَ إبراهيمَ؛ لِتقديمِ محبَّةِ ربِّهِ وخُلَّتهِ[5]، التي لا تَقبلُ الْمُشارَكةَ والْمُزاحَمةَ[1]، فأَمرَهُ في المنامِ أَنْ يذبحَ إسماعيلَ -ورُؤيا الأَنبياءِ

---

(١) الْبَرْيُ: "بَرَى السَّهم يَبْرِيه بَرْيًا، وابْتراهُ: نَحَته". القاموس المحيط، وينظر: مُختار الصِّحاح، مادَّة: (برى).

(٢) النَّبْلُ: "السِّهام العربيَّة". الصِّحاح، ومقاييس اللُّغة، مادَّة: (نبل).

(٣) البقرة: ١٢٧-١٢٩

أورد المؤلِّف هذه القِصَّة بمعنى الحديث أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب أَحاديث الأَنبياء، باب: ﴿يَزِفُّونَ﴾ [الصافات:٩٤]، (١٤٢/٤-١٤٤) ح (٣٣٦٤، ٣٣٦٥)، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما.

(٤) الحج: ٢٧-٢٨

(٥) سيأْتِي تعريف الخُلَّة عند المؤلِّف رحمه الله، (ص:٦٠).

وحيٌ مِن اللهِ- فقالَ لإسماعيلَ: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا﴾[(٢)]؛ أَيْ: خضَعَا لأمرِ اللهِ، وانْقَادَا لأمرِه، ووطَّنَا أنفسَهُما على هذا الأمرِ المزعجِ الذي لا تكادُ النُّفوسُ تَصبِرُ على عُشْرِ مِعْشَارِه، ﴿وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾[(٣)]: نزلَ الفرجُ مِن الرَّحمنِ الرَّحيمِ.

﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآ﴾[(٤)]؛ فحصَلَ توطِينُ النَّفسِ على هذهِ الطَّاعةِ التي هي أَجلُّ الطَّاعاتِ[(٥)]، وحصَلتِ المقدِّماتُ والجَزمُ الْمُصمِّمُ، وتمَّ لَهُما الأَجرُ والثَّوابُ، وحَصلَ لَهُما الشَّرَفُ، والقُرْبُ والزُّلْفَى مِن اللهِ، وما ذلكَ مِن أَلطافِ الرَّبِ بعزيزٍ، قال تعالى: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ﴾[(٦)]؛ وأَيُّ ذِبحٍ أَعظمُ مِن كونهِ حَصلَ بهِ مقصودُ هذهِ العِبادَةِ؟ التي لا يُشْبِهُهَا عِبادةٌ، وصارَ سُنَّةً في عَقِبهِ إلى يومِ القيامةِ يُتقرَّبُ بهِ إلى اللهِ، ويُدرَكُ بهِ ثوابُهُ ورضاهُ[(٧)]: ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾[(٨)].

(١) قال ابن القيِّم رحمه الله: "ولَمَّا سأَل إبراهيم عليه السلام الولد فأُعطيه، وتعلَّق حبُّه بقلبه، فأَخذ منه شُعبة، غار الحبيبُ على خليله أَنْ يكون في قلبه موضعٌ لغيره، فأَمره بذبحه؛ وكان الأَمر في المنام؛ ليكون تنفيذُ المأْمور به أَعظم ابتلاءً وامتحانًا، ولم يكن المقصود ذبح الولد، ولكن المقصود ذبحه من قلبه؛ ليخلص القلب للرَّب، فلمَّا بادر الخليل عليه الصلاة والسلام إلى الامتثال، وقدَّم محبَّة الله على محبَّة ولده، حصل المقصود فرُفع الذَّبح، وفُدي بذِبحٍ عظيم، فإِنَّ الرَّب -تعالى- ما أَمر بشيء ثمَّ أَبطله رأْسًا، بل لا بد أَنْ يُبقي بعضَه أَو بدله، كما أَبقى شريعةَ الفِداء، وكما أَبقى استحبابَ الصَّدقة بين يدي المناجاةِ، وكما أَبقى الخمسَ الصَّلوات بعد رفع الخمسين وأَبقى ثوابها، وقال: ولا يُبَدَّلُ القول لديَّ، هي خمس في الفعل، وهي خمسون في الأَجر". الجواب الكافي، (ص:١٩٠-١٩١).

(٢) الصافات: ١٠٢-١٠٣

(٣) الصافات: ١٠٣

(٤) الصافات: ١٠٤-١٠٥

(٥) س: "على هذه الْمحنة، والبلوى الشَّاقَّة الْمزعجة".

(٦) الصافات: ١٠٥-١٠٧

(٧) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الأَضاحي، باب التَّكبير عند الذَّبح، (١٠٢/٧) ح (٥٥٦٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب الأَضاحي، باب استحباب الضَّحيَّة، وذبحها مباشرة بلا توكيل، والتَّسمية والتَّكبير، (١٥٥٦/٣) ح (١٩٦٦)، عن أَنس رضي الله عنه، قال: ((ضَحَّى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ، ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ، وَسَمَّى وَكَبَّرَ، وَوَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا)).

(٨) الصافات: ١٠٨-١٠٩

فَصْلٌ:

ثُمَّ إِنَّ اللهَ أَتَمَّ النِّعمَةَ على إبراهيمَ، ورَحِمَ زوجتَهُ سَارَةَ -على الكِبَرِ(١) والعُقْمِ(٢) واليأْسِ- بالبِشَارةِ بالابنِ الجَليلِ؛ وهو إسحاقُ(٣)، ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾(٤).

فحِينَ أَرسلَ اللهُ لوطًا إلى قومِهِ، وتمرَّدُوا عليهِ، وحَتَّمَ اللهُ عُقوبتَهُم؛ وكان لوطٌ تِلميذًا لإبراهِيْمَ، ولإبراهيمَ عليهِ حُقوقٌ كثيرةٌ(٥)، فمرَّتِ الملائكةُ -الذين أُرسلوا لإهلاكِ قومِ لوطٍ- بإبراهيمَ بِصُورةِ آدمِيِّيْنَ.

فلمَّا دَخلوا عليهِ وسَلَّموا، ردَّ عليهِمُ السَّلامَ(٦)، بادَرَهُم بالضِّيافَةِ، وكان اللهُ قد أَعطاهُ الرِّزقَ الواسِعَ، والكرَمَ العَظيمَ.

وكان بيتُهُ مأْوىً للأَضيافِ، فبالحالِ: ﴿رَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾(٧): بسُرعةٍ، وخُفيَةٍ مِنهُم.

﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾(٨)، محْنُوذٍ(٩): مَشويٍّ على الرَّضْفِ(١٠).

﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾(١١)، ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾(١٢)؛

---

(١) كما في دعائه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم:٣٩].

(٢) قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات:٢٩].

(٣) قال ابن كثيرﷺ: "وكان هذا مُجازاة لإبراهيمﷺ حين اعتزل قومه وتركهم، ونزح عنهم، وهاجر من بلادهم ذاهبًا إلى عبادة الله في الأرض، فعوَّضه اللهﷻ عن قومه وعشيرته بأولاد صالحين من صُلبه على دينه، لتقرَّ بهم عينه؛ كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم:٤٩]". تفسير القرآن العظيم، (٣/٢٩٧).

(٤) هود: ٧١

(٥) ذكر المؤلِّفﷺ بعض هذه الحقوق: (ص:٦).

(٦) قالﷻ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ﴾ [هود:٦٩].

(٧) الذاريات: ٢٦

(٨) الآية السَّابقة.

(٩) قال تعالى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود:٦٩].

(١٠) الرَّضْفُ: "حِجارةٌ على وجه الأَرض قد حَمِيَت". العين، وينظر: الصِّحاح، مادَّة: (رضف).

(١١) الذاريات: ٢٧

س، خ: "فقال أَلا تأْكلون"، والصَّواب: ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾.

(١٢) هود: ٧٠

إِذْ ظنَّ أَنَّهُم لصُوصٌ[١]: ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾[٢].

وكانتْ سَارَةُ قائمةً في خِدمتِهِم[٣]، ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾[٤]، فصرَخَتْ سَارَةُ، وصَكَّتْ وَجهَها؛ مُتعجِّبةً ومُستبشِرَةً، ومُتردِّدَةً ومُتحيِّرَةً، وقالتْ: ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾[٥]، وقَبلَ ذلكَ كنتُ عَقِيمًا[٦]، ﴿وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾[٧].

فبشَّرَاهُما بإسحاقَ، وأَنَّهُ يَعيشُ، ويُولدُ لَهُ يعقوبُ ويُدركانهِ؛ ولهذا حَمِدَ اللهَ إبراهيمُ على تمامِ نِعمتهِ، وقالَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[٨][١٠١].

(١) قال الفرَّاءِ رحمه الله: "وذلك أَنَّهَا كانت سُنَّة فِي زمانِهِم؛ إذا وَرد عليهم القوم فأُتُوا بالطَّعام فلم يَمسُّوه ظنُّوا أَنَّهم عَدُوٌّ أَو لصُوص". معاني القرآن، للفرَّاء، (٢/٢١-٢٢).

(٢) هود: ٧٠

(٣) هذا أَحد المعاني لقوله تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ﴾ [هود: ٧١].
وقِيل: قائمة وراء السِّتر تسمع كلامهم.
وقِيل: قائمة تصلِّي. ينظر: زَاد الْمَسِير في علم التَّفسير، (٢/٣٨٦).
ولايلزم من هذه الخِدمة أَنْ تكون مختلطة بهم؛ فلم تزل النِّساء يخدمن أَضياف أَهليهنَّ وأَزواجهنَّ ويسمعن كلام الضَّيف، من غير اختلاط؛ فسارة أَعدَّت الطَّعام، ولم تقرِّبْه إِليهم، وإِنَّما الذي قَرَّبه، ورَاغَ إِلى أَهله لإِحضار العجل: إِبراهيمُ عليه السلام.

(٤) الذاريات: ٢٨

(٥) هود: ٧٢

(٦) الْعَقِيمُ: "الذي لا يُولد لَهُ، يُطلَق على الذَّكر والأُنثى". الْمِصباح الْمُنِيْر، وينظر: تهذيب اللُّغة، مادة: (عقم).

(٧) هود: ٧٢-٧٣

(٨) إِبراهيم: ٣٩

فَصْلٌ: فِيما فِي قِصَّةِ الخَلِيلِ مِن الفَوَائِدِ

أَوَّلًا(١): لِيُعلمَ أَنَّ جَميعَ ما قَصَّهُ اللهُ علَينا مِن سِيرةِ إبراهيمَ الخَليلِ ﷺ فإنَّنا مأْمورُونَ بهِ أَمْرًا خاصًّا، قال تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَ﴾(٢)؛ أَيْ: الزمُوها، ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا﴾(٣)، ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ﴾... الآية(٤).

فما هو عليهِ في التَّوحيدِ والأُصُولِ، والعَقائدِ والأَخلاقِ، وجَميعِ ما قَصَّ علَينا مِن نَبَئِهِ؛ فإنَّ اتِّباعَنا إِياهُ مِن دِينِنا(٥).

ولهذا لَمَّا كانَ هذا أَمْرًا عامًّا لأَحوالِهِ كلِّها، استَثْنَى اللهُ حالةً مِن أَحوالِهِ فقالَ: ﴿إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ﴾(٦)؛ أَيْ: فلا تَقتَدوا بهِ في هذهِ الحالِ بالاستغفارِ للمُشركِينَ؛ فإنَّ استغفارَ إبراهيمَ لأَبيهِ إنَّما كانَ: ﴿عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُ﴾(٧).

ومِنها: أَنَّ اللهَ اتَّخذَهُ خليلًا؛ والخُلَّةُ: أَعلى درجاتِ الْمَحبَّةِ(٨).

وهذهِ المرتَبةُ لم تَحصلْ لأَحدٍ مِن الخَلقِ إلَّا لِلخَلِيلَينِ؛ إبراهيمَ ومحمَّدٍ صلى اللهُ عليهِما وسلَّمَ(٩).

---

(١) "أَوَّلًا"، ليست في: (س).

(٢) الحج:٧٨

(٣) النحل: ١٢٣

(٤) تكملة الآية: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الممتحنة:٤].

(٥) التَّوحيد ومحاسن الأخلاق مِمَّا اتَّفقت عليه الرُّسل، وتقدَّم كلام ابن تَيميَّة فيه: (ص:٦)، وينظر: تيسير الكريم الرَّحمن، (ص:٥٥٣)، وأَمَّا حكم العملِ بشريعة مَن قبلنا فقد مضى: (ص:٦)، وسيأْتي: (ص:٦).

(٦) الممتحنة: ٤

(٧) التوبة: ١١٤

(٨) مراتب المحبَّة عشر: أُولها: العَلاقَة، والثَّانية: الإِرَادَة، والثَّالثة: الصَّبَابَة، والرَّابعة: الغَرَام، والخامسة: الوِداد، والسَّادسة: الشَّغَف، والسَّابعة: الْعِشْق: ولا يوصف به الرَّبُّ ﷻ، ولا العبد في محبَّة ربِّه، والثَّامنة: التَّيْم، والتَّاسعة: التَّعَبُّد، والعاشرة: الخُلَّة، وهي: المحبَّة التي تخلَّلت روح الْمُحِبِّ وقلبه. ينظر: مَدارِج السَّالِكِين، (٣/٢٩-٣٣).

(٩) قال ﷻ: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ [النساء:١٢٥].

وأَخرج مسلم في صحيحه، كتاب المساجد، ومواضع الصَّلاة، باب النَّهي عن بناء المساجد، على القبور، واتِّخاذ الصُّور فيها، والنَّهي عن اتِّخاذ القبور مساجد، (١/٣٧٧) ح (٥٣٢)، عن جُنْدَبٍ ﷺ، قال: سمعت النَّبيَّ ﷺ قَبْل أَنْ يموت بِخَمْس، وهو يقول: ((... فَإِنَّ اللهِ -تَعَالَى- قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا...)).

=

ومِنها: ما أَكرَمَهُ اللهُ بهِ مِن الكَرَاماتِ الْمُتنوِّعةِ:

- جَعلَ في ذُرِّيَّتِهِ النُّبوَّةَ والكِتابَ(١).

- وأَخرجَ مِن صُلبِهِ أُمَّتَينِ، هُما أَفضلُ الأُممِ: العَربُ(٢)، وبَنُو إسرائيلَ(٣).

- واختارَهُ اللهُ لِبناءِ بَيْتِهِ؛ الذي هو أَشرفُ بيتٍ، وأَوَّلُ بيتٍ وُضِعَ للنَّاسِ(٤).

- ووهبَ لَهُ الأَولادَ بعدَ الكِبَرِ واليأْسِ(٥).

- مَلأَ بذكرِهِ ما بَيْنَ الخَافِقَيْنِ(٦)، وامتلأَتْ قُلوبُ الخَلقِ مِن محَبَّتِهِ، وأَلسنتُهُم مِن الثَّناءِ عليهِ(٧).

ومِنها: أَنَّ اللهَ رفعَهُ بالعلمِ واليَقِينِ، وقُوَّةِ الحُجَجِ، قال تعالى(٨): ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾(٩)، ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾(١٠).

ومِن شَوْقِهِ إِلى الوُصولِ إِلى غايةِ العِلْمِ ونِهايتِهِ أَنْ سأَلَ ربَّهُ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ

هذا ونبَّه بعض أَهل العلم إلى أَنَّه من الخطإِ أَنْ تُقصرَ الخُلَّةُ على إبراهيمَ عليه السلام، ويُكتفى بوصف محمَّد ﷺ بأَنَّه حبيب الله؛ ففي ذلك هضم لحقِّه ﷺ؛ لأَنَّ الخُلَّةَ أَعلى في الوصف من المحبَّة، فالخُلَّةُ خاصَّة والمحبَّة عامَّة؛ والله يحبُّ التَّوابين ويحبُّ المتطهِّرين، وأَمَّا الخُلَّةُ فلم تثبت إلَّا لإبراهيم ومحمَّد عليهما الصَّلاة والسَّلام. ينظر: مَدارِجِ السَّالِكِين، (٣/٣٢-٣٣)، وروضة المحبِّين ونُزهة المشْتَاقِين، لابن القَيِّم، (ص:٤٩)، وشرح الطَّحاويَّة، لابن أَبي العزِّ، (ص:١٢٣)، وشرح الأَربعين النَّوويَّة، للعُثَيْمِين، (ص:٥٩)، ومُعْجَم المناهي اللَّفظيَّة، لبكر أَبو زيد، (ص:٢٢١).

(١) قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت:٢٧].

(٢) اسماعيل عليه السلام أبو العرب. ينظر: تفسير القرآن العظيم، (٧/٢٧).

(٣) إسحاق عليه السلام أبو بني إسرائيل. المرجع السَّابق.

(٤) قال عز وجل: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٦].

(٥) قال جل جلاله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم:٣٩].

(٦) الخَافِقَانِ: "المشرق والمغرب؛ لأَنَّ اللَّيل والنَّهار يَخْفِقَان بينهما". تهذيب اللُّغة، وينظر: مُختار الصِّحاح، مادَّة: (خفق).

(٧) وهذا الذِّكر الجميل، والثَّناء الحسن استجابة لدعوته عليه السلام: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الشعراء:٨٤].

(٨) س: "جلَّ ذكره".

(٩) الأنعام: ٧٥

(١٠) الأنعام: ٨٣

جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(١).

ومِنها: أَنَّ مَن عَزَمَ على فِعلِ الطَّاعاتِ، وبَذَلَ مَقدُورَهُ في أَسبابِها، ثُمَّ حَصَلَ مانعٌ يمنعُ مِن إكمالِها، أَنَّ أَجرَهُ قد وجَبَ على اللهِ؛ كَمَا قالَ اللهُ ذلكَ في الْمُهاجِرِ، الذي يموتُ قبلَ أَنْ يَصِلَ إلى مُهاجَرِهِ(٢)، وكَمَا ذكرَهُ اللهُ في قِصَّةِ الذَّبحِ، وأَنَّ اللهَ أَتَمَّ الأَجرَ لإِبراهيمَ وإِسماعيلَ حينَ أَسلما للهِ، وأَذعَنا لأَمرِهِ(٣)، ثُمَّ رفعَ عنهُما المشقَّةَ، وأَوجبَ لهما الأَجرَ الدُّنيويَّ والأُخرويَّ(٤).

ومِنها: ما في قَصَصِهِ مِن آدابِ الْمُناظرَةِ:

- طرقُها ومسالِكُها النَّافعةُ.
- وكيفيَّةُ إِلزامِ الخَصْمِ بالطُّرُقِ الواضحةِ التي يَعْتَرِفُ بِها أَهلُ العُقولِ(٥).
- وإلجاؤهُ الخَصْمَ الأَلَدَّ إلى الاعترافِ ببطلانِ مَذْهَبِهِ(٦).
- وإِقامةُ الحُجَّةِ على الْمُعانِدِينَ، وإرشادُ الْمُسترشِدِينَ(٧).

ومِنها: أَنَّ مِن نِعمةِ اللهِ على العبدِ هِبةَ الأَولادِ الصَّالحِينَ، وأَنَّ عليهِ في ذلكَ أَنْ يَحمَدَ اللهَ، ويَدعوَ اللهَ لذريَّتهِ، كَمَا فعلَ الخَليلُ ﷺ في قولِهِ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾(٨)، إلى آخرِ الدُّعاءِ(٩).

وقالَ جلَّ ذِكرُهُ في الثَّناءِ عُمومًا على مَن يَدعُو اللهَ بصلاحِ ذُرِيَّتِهِ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ

(١) البقرة: ٢٦٠

(٢) قال ﷻ: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠].

(٣) قال ﷻ: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات: ١٠٣ - ١٠٥].

(٤) قال ﷻ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٧].

(٥) قال تعالى: ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

(٦) بيَّن المؤلِّف ﷺ ذلك: (ص: ٦-٦).

(٧) المرجع السَّابق.

(٨) إبراهيم: ٣٩

(٩) تكملة الدُّعاء: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤٠-٤١].

سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1].

فإِنَّ العَبْدَ إذا ماتَ: ((انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ))[2].

ومِنها: أَنَّ المشاعِرَ ومَواضِعَ الأَنساكِ مِن جُملةِ الحِكَمِ فِيها:

أَنَّ فِيها تَذكِيْرَاتٍ بمقاماتِ الخَليلِ وأَهلِ بيتِهِ في عِباداتِ ربِّهِم، وإيمانٌ[3] باللهِ ورَسلِهِ، وحَثٌّ[4] على الاقتداءِ بِهِم في كلِّ أَحوالِهِم الدِّيْنِيَّةِ -وكلُّ أَحوالِ الرُّسلِ دِينيَّةٌ- لقولِهِ تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[5].

ومِنها: الأَمرُ بتطهيرِ المسجدِ الحرامِ مِن الأَنجاسِ، ومِن جميعِ المعاصي القَوليَّةِ[١٠٢] والفِعليَّةِ؛ تعظِيمًا للهِ، وإعانةً وتَنْشِيطًا لِلمُتعبِّدِينَ فِيهِ، ومِثلُهُ بقيَّةُ المساجدِ؛ لقولِهِ تعالى[6]: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[7]، وقالَ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾[8].

ومِنها: أَنَّ أَفضلَ الوَصَايا على الإِطلاقِ ما وَصَّى بهِ إبراهيمُ بَنِيْهِ ويَعقوبُ؛ وهو الوَصِيَّةُ بملازَمةِ القِيامِ بالدِّينِ[9]، وتَقوى اللهِ، والاجتماعِ على ذَلِكَ، وهي وَصِيَّتُهُ -تعالى- للأَوَّلِينَ

---

(١) الأحقاف: ١٥

(٢) بنحوه أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الوصيَّة، باب ما يَلحق الإنسان من الثَّواب بعد وفاته، (١٢٥٥/٣) ح (١٦٣١)، عن أَبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) خ، س: "إِيمانٌ"، والصَّواب: "إيمانًا"؛ لأَنَّها معطوفة على اسم أَنَّ المؤخَّر: "تذكِيْرَات".

(٤) خ، س: "حثٌّ"، والصَّواب: "حثًّا"؛ لأَنَّها معطوفة على اسم أَنَّ المؤخَّر: "تذكِيْرَات".

(٥) البقرة: ١٢٥

(٦) س: "عز وجل".

(٧) الحج: ٢٦

(٨) النور: ٣٦

(٩) قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٠-١٣٢].

والآخِرينَ، إذ بِها السَّعادَةُ الأَبَديَّةُ، والسَّلامةُ مِن شُرورِ الدُّنيا والآخِرةِ(١).

ومِنها: أَنَّ العامِلَ -كَما عليهِ أَنْ يُتْقِنِ عملَهُ، ويَجْتَهِدَ في إيقاعِهِ على أَكملِ الوُجوهِ- فَعليهِ معَ ذلكَ أَنْ يكونَ بَينَ الخَوفِ والرَّجاءِ، وأَنْ يَتضرَّعَ إلى ربِّهِ في قَبولِهِ وتَكميلِ نَقصِهِ، والعَفوِ عمَّا وقعَ فيهِ مِن خَللٍ أَو نَقْصٍ(٢)؛ كَما كان إبراهيمُ وإسماعيلُ يَرفعانِ القَواعدَ مِن البَيتِ، وهُما بِهذا الوَصْفِ الكامِلِ.

ومِنها: أَنَّ الجَمعَ بيْنَ الدُّعاءِ للهِ بِمصالحِ الدُّنيا والدِّينِ مِن سبيلِ أَنبياءِ اللهِ، وكذلكَ السَّعيُ في تحصيلِهِما.

الدِّينُ هو الأَصلُ والْمَقصودُ والذي(٣) خُلِق لَهُ الخَلقُ، والدُّنيا وَسيلةٌ ومَعونَةٌ عليهِ؛ لِدعاءِ الخَليلِ لأَهلِ البَيتِ الحَرامِ بالأَمرَينِ، وتَعليلِهِ الدُّعاءَ بالأُمورِ الدُّنيويَّةِ أَنَّهُ وَسيلةٌ إِلى الشُّكرِ، فقال: ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾(٤).

ومِنها: ما اشتملتْ عليهِ قِصَّةُ إبراهيمَ مِن مَشروعيَّةِ الضِّيافةِ وآدابِها(٥)؛ فإِنَّ اللهَ أَخبرَ عن ضَيفِهِ أَنَّهم: مُكْرَمونَ؛ يعني: أَنَّهُم كُرماءُ على اللهِ، وأَيضًا إبراهيمُ أَكرَمَهُم بضِيافَتِهِ قولًا وفعلًا؛ فإِكرامُ الضَّيفِ مِن الإِيمانِ(٦)، وأَنَّهُ خدَمَهُم بنفسِهِ، وبادرَ بضيافَتِهِم قبلَ كلِّ شَيءٍ، وأَتى بأَطيَبِ مالِهِ؛ عجلٍ حَنيْذٍ سَمينٍ، وقرَّبَهُ إِليهِم، ولم يُحوِجْهُم إلى الذَّهابِ إِلى مَحلٍّ آخرَ، وعَرَضَ عليهِمُ

---

(١) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء:١٣١].

(٢) شُرِع لنا الاستغفار بعد عدد من العبادات؛ كالطُّهور، والصَّلاة والحجِّ، قال ابن القَيِّم رحمه الله: "وأَرباب العزائم والبصائر أَشدُّ ما يكونون استغفارًا عُقيب الطَّاعات؛ لشهودهم تقصيرهم فيها". مَدارج السَّالِكِين، (١/١٩٢).

(٣) س: "والذي".

(٤) إبراهيم: ٣٧

(٥) ذكرَ ابن القَيِّم رحمه الله جملة من الفوائد في آداب الضِّيافة، عند قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات:٢٤]، في الرِّسالة التَّبوكيَّة= زاد المهاجر إلى ربِّه، (ص:٦٣-٦٩)، وجلاء الأَفهام، (ص:٢٧١-٢٧٤).

(٦) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الأَدب، باب إِكرام الضَّيف، وخدمته إيَّاه بنفسه، (٨/٣٢) ح (٦١٣٨)، ومسلم، في صحيحه، كتاب الإِيمان، باب الحثِّ على إِكرام الجار والضَّيف، ولزوم الصَّمت إلَّا عن الخير، وكون ذلك كلِّه من الإِيمان، (١/٦٨) ح (٤٧)، عن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ)).

الأَكلَ بلفظٍ رَقيقٍ فقالَ: ﴿أَلَا تَأۡكُلُونَ﴾(١)؟.

ومِنها: مَشرُوعيَّةُ السَّلامِ، وأَنَّ الْمُبتَدِئَ فيهِ هو الدَّاخلُ، وهو الماشِي، وأَنَّهُ يَجِبُ رَدُّهُ(٢).

ومَشْرُوعيَّةُ الوُقُوفِ على اسمِ مَن يَتَّصلُ بكَ مِن صَاحِبٍ، ومُعامِلٍ وضَيفٍ؛ لِقولِهِ: ﴿قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ﴾(٣)؛ أَيْ: لا أَعرِفُكُم فأُحِبُّ أَنْ تُعرِّفوني بأَنفسِكُم، وهذا أَلطفُ مِن قولِهِ: أَنْكرتُكُم، ونحوِهِ.

ومِنها: التَّرغيبُ في أَنْ يكونَ أَهلُ الإنسانِ، ومَن يَتولَّى شُؤونَ بيتِهِ حَازِمِينَ، مُستَعدِّينَ لِكلِّ ما يُرادُ مِنهُم مِن الشُّؤونِ، والقِيامِ بِمُهمَّاتِ البَيتِ؛ فإِنَّ إِبراهيمَ في الحَالِ بادَرَ إلى أَهلِهِ فوجدَ طَعامَ ضُيوفِهِ حاضِرًا، لا يُحوجُ إِلَّا إلى تَقديمِهِ.

ومِنها: أَنَّ إِتيانَ الوَلدِ، والبِشَارةَ بهِ مِن سَارَةَ -وهي عَجوزٌ عَقيمٌ- يُعدُّ مُعجزةً(٤) لإبراهيمَ، وكَرامَةً(٥) لِسارَةَ؛ ففِيهِ مُعجِزةُ نبيٍّ، وكَرامَةُ وَليٍّ.

ونَظِيرُهُ بِشَارةُ الملائكةِ لمريمَ بِعيسى(٦)، وبِشارَتُهُم بِيحْيى لِزكريَّا وزوجتِهِ، وكونُ زكريَّا جَعلَ اللهُ آيةَ وجودِ الْمُبشَّرِ بِهِ أَنْ لا يُكَلِّمَ النَّاسَ ثلاثةَ أَيَّامٍ، وهو سَويٌّ، لا آفةَ فِيهِ إِلَّا بالرَّمزِ والإشَارَةِ(٧)، وكلُّ هذا وما أَشبهَهُ مِن آياتِ اللهِ، وأَعْجَبُ مِن هذا إِيجادُهُ آدمَ مِن تُرابٍ(٨)، فسُبحانَ مَن هو

---

(١) الذاريات: ٢٧

(٢) قال ﷻ: ﴿إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ﴾ [الذاريات:٢٥].

(٣) الذاريات: ٢٥

(٤) الْمُعْجِزَةُ: أَمرٌ خارقٌ لعادة غير الأَنبياء، يُظهره اللهُ ﷻ على يدِ الرَّسول؛ تأْييدًا لَهُ، والأَولى أَنْ تُسمَّى آيات، وبراهين، كما سمَّاها الله في كتابه. ينظر: النُّبوَّات، لابن تيميَّة، (١/١٢٩، ١٩٢).

(٥) الْكَرَامَةُ: "أَمر خارق للعادة يظهره الله -تعالى- على يد وليٍّ من أَوليائه؛ تكريمًا لَهُ، أَو نصرة لدين الله". مجموع فتاوى ورسائل العُثَيْمِين، (٤/٣١١)، وينظر: شرح الطَّحاويَّة، لابن أَبي العزِّ، (ص:٥٠٧).

(٦) قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران:٤٥].

(٧) قال ﷻ: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ [آل عمران:٣٨-٤٢].

(٨) قال ﷻ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٥٩].

على كلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ.

ومنها: ثناءُ اللهِ على إبراهيمَ؛ أَنَّهُ أتَى: ﴿رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾(١)، وقد قالَ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾(٢)، والجامعُ لمعناهُ أَنَّهُ:

- سَلِيمٌ مِن الشُّرورِ كلِّها ومِن أَسبابِها، مَلآنُ مِن الخَيرِ والبِرِّ والكَرمِ.

- سَلِيمٌ مِن الشُّبهاتِ القَادِحةِ في العِلْمِ واليَقينِ، ومِن الشَّهواتِ الحائِلةِ بَيْنَ العَبدِ وبيْنَ كمالِهِ.

- سَلِيمٌ مِن الكِبرِ، ومِن الرِّياءِ، والشِّقاقِ، والنِّفاقِ، وسُوءِ الأَخلاقِ.

- وسَلِيمٌ مِن الغِلِّ والحِقدِ، مَلآنُ بالتَّوحيدِ والإيمانِ، والتَّواضعِ لِلحقِّ ولِلخَلقِ، والنَّصيحةِ لِلمسلِمينَ، والرَّغبةِ في عبوديَّةِ اللهِ، وفي نَفعِ عِبادِ اللهِ[١٠٣].

ومنها: ما ذَكَرهُ في قِصَّةِ نوحٍ، وإبراهيمَ، ومُوسى، وهَارونَ(٣)، وإلياسَ(٤): ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٥)، ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾(٦)، يُتْبِعها بقولِهِ: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٧).

فوعَدَ الباري أَنَّ كلَّ مُحسِنٍ -في عبادتِهِ، مُحْسِنٍ إلى عبادِهِ- أَنَّ اللهَ يَجْزيهِ الثَّناءَ الحَسَنَ، والدُّعاءَ مِن العالَمِينَ بحسَبِ إحسانِهِ.

وهذا ثوابٌ عاجلٌ وآجِلٌ، وهو مِن البُشرَى في الحياةِ الدُّنيا، ومِن علاماتِ السَّعادَةِ.

---

(١) الصافات:٨٤

(٢) الشعراء: ٨٨-٨٩

(٣) قال ﷻ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات:١٢٠-١٢١].

(٤) قال ﷻ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾ [الصافات:١٣٠].

(٥) الصافات: ٧٩

(٦) الصافات: ١٠٩

(٧) الصافات: ١٠٥

قِصَّةُ لُوْطٍ عليه السلام

وقِصَّةُ لوطٍ عليه السلام تَبَعٌ لقِصَّةِ إبراهيمَ[١]؛ لأَنَّهُ تِلميذُهُ، وقد تعلَّمَ مِن إبراهيمَ، وكانَ لَهُ بِمَنزِلَةِ الابنِ[٢]، فنبَّأَهُ اللهُ بحياةِ الخَليلِ، وأَرسلَهُ إلى قُرى سَدُومٍ[٣] مِن غَوْرِ[٤] فِلسطِينَ[٥]، وكانوا -معَ شِركِهِم باللهِ- يَلُوطُونَ بالذُّكورِ، ولم يَسبقْهُم أَحدٌ إلى هذهِ الفاحشةِ الشَّنْعاءِ؛ فدَعاهُم إلى عبادَةِ اللهِ وحدَهُ، وحذَّرَهُم مِن هذهِ الفاحِشةِ، فلم يَزْدَادُوا إلَّا عُتوًّا، وتَمادِيًا فيما هُم فِيهِ[٦].

ولَمَّا أَرادَ اللهُ إِهلاكَهُم[٧] أَرسلَ الملائكةَ لِذلكَ، فمَرُّوا بطريقِهِم على إبراهيمَ، وأَخبَرُوهُ بذلكَ، فجعلَ إبراهيمُ يُجادِلُ في إهلاكِهِم -كانَ رَحِيْمًا حَلِيْمًا- وقالَ: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾[٨]، فقِيلَ: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۖ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾[٩].

ولَمَّا ذهبَ الملائكةُ إلى لوطٍ بصُورةِ أَضيافٍ؛ آدميِّيْنَ شَبابٍ، ساءَ لوطًا ذلكَ، ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾[١٠]؛ لِعلمهِ بِما عليهِ قومُهُ مِن هذهِ الجراءَةِ الشَّنِيعةِ.

---

(١) كما في سورة: هود، والحِجر، والعنكبوت.

(٢) إبراهيمُ عمُّ لوطٍ عليهما السلام. ينظر: المحرَّر الوجيز، (١٨٩/٣)، وتفسير القرآن العظيم، (٢٩٨/٣).

(٣) سَدُوْمُ، وسَذُومُ: أكبر قرى قوم لوط، الذين ذكرهم القرآن الكريم خمس عشرة مرَّة، وسمَّاهم: قوم لوط، وإخوان لوط، والقرية التي كانت تعمل الخبائث، والقرية التي أُمطِرت مطر السَّوء، والمؤتَفِكة، والمؤتفِكات. ينظر: المسالك والممالك، للبَكْرِي، (١١١/١)، والمحرَّر الوجيز، (٣٣٠/٥)، ومُعْجَم البُلدان، (٢٠٠/٣)، والبحر المحيط، (٢٤٩/٥).

(٤) الغَوْرُ: المنخفض مِن الأَرض، والمراد: غَوْر الأُردن. ينظر: الصِّحاح، مادَّة: (غور)، ومُعْجَم البُلدان، (٢١٦/٤)، ومراصد الاطلاع، (١٠٠٤/٢).

(٥) بجوار البحر الميِّت، ويُسمَّى: بُحيرة لوط، وبَحر لوط، والأَرض المقْلُوبَة. ينظر: محاسن التَّأْويل، للقاسِمي، (١٤٣/٥)، والتَّحرير والتَّنوير، (٢٣٠/٨)، و(٢٦١/١٠)، ar. wikipedia. org/سدوم_وعمورة.

(٦) وكانوا مع ذلك يقطعون الطَّريق، ويخونون الرَّفيق، ويأْتون في مجتمعهم ومَحلِّ حديثهم وسَمرهم المنكر؛ مِن الأَقوال والأَفعال، قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [العنكبوت:٢٨-٢٩].

(٧) س: "هلاكهم".

(٨) العنكبوت: ٣٢

(٩) هود: ٧٦

(١٠) هود: ٧٧

ووقعَ ما خافَ مِنهُ، فجاءَهُ: ﴿قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾(١)؛ يُريدونَ فِعلَ الفاحشةِ بأَضيافِ لوطٍ، فقالَ: ﴿يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾(٢)؛ لِعِلمهِ أَنَّهُ لا حَقَّ لَهم فِيهنَّ(٣)؛ كما عَرَض سُليمانُ للمرأتينِ حِينَ اختصمتا في الولَدِ، فقالَ: ((ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَكُمَا))(٤)، ومِن المعلومِ أَنَّهُ لا يَقعُ ذلكَ، وهذا مِثلُهُ؛ ولِهذا قالَ قومُهُ: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾(٥).

وأَيضًا: يريدُ بعضَ العُذْرِ مِن أَضيافِهِ.

وعلى هذا التَّأْويلِ؛ لا حاجةَ إلى العُدولِ إلى قولِ بعضِ المفسِّرينَ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى﴾(٦)؛ يَعني: زَوجاتِهِم(٧)؛ يَعني: لأَنَّ النَّبِيَّ أَبٌ لأُمَّتِهِ؛ فإنَّ هذا يَمْنعُهُ أمرانِ:

أحدُهما: قولُهُ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى﴾: يُشِيرُ إِليهنَّ إِشارةَ الحاضرِ(٨).

ثانيًا: هذا الإِطلاقُ على زَوجاتِهِم لا نَظِيرَ لَهُ.

وأَيضًا: النَّبِيُّ إِنَّما هو بِمَنزلةِ الأَبِ لِلمؤمنِينَ بهِ، لا لِلكفارِ.

والمحْذورُ الذي توَهَّمُوهُ يَزولُ بِما ذَكَرْنا، وأَنَّهُ يُعْلمُ أَنَّهُ لا حَقَّ لهم فِيْهِنَّ، وإِنَّما يُريدُ مُدافَعَتَهُم بِكلِّ طريقٍ(٩).

---

(١) هود: ٧٨

(٢) الآية السَّابقة.

(٣) أشار إلى هذا المعنى ابن عطيَّة والقُرْطُبيُّ رحمهما الله. ينظر: المحرَّر الوجيز، (٣/٣٦٩)، والجامع لأحكام القرآن، (٩/٧٦).

(٤) أخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب الفرائض، باب إذا ادَّعت المرأة ابنًا، (٨/١٥٦-١٥٧) ح (٦٧٦٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب بيان اختلاف المجتهدين، (٣/١٣٤٤) ح (١٧٢٠)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) هود: ٧٩

(٦) هود: ٧٨

(٧) قال ابن كثير: "يرشدهم إلى نسائهم، فإنَّ النَّبيَّ للأُمة بمنزلة الوالد للرِّجال والنِّساء". تفسير القرآن العظيم، (٤/٣٣٧).

(٨) نصَّ عليه ابن القَيِّم رحمه الله في بدائع الفوائد، (٣/٢٢٤).

(٩) فهو لا يَرى مناكحتهم، ولا رغبة لهم في النِّساء، قال الزَّمَخْشَرِيُّ رحمه الله: "ويجوز أَنْ يكون عرض البنات عليهم مبالغة في تواضعه لهم، وإظهارًا لشدَّة امتعاضه مِمَّا أَوردوا عليه؛ طَمعًا في أَنْ يستحيوا منه، ويَرِقُّوا لَهُ إذا سمعوا ذلك، فيتركوا لَهُ ضيوفه، مع ظهور الأمر، واستقرار العلم عنده وعندهم أَنْ لا مُناكحة بينه وبينهم، ومِن ثَمَّ قالُوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ مستشهدين بعلمه: ﴿مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ [هود:٧٩]؛ لأنَّك لا ترى مناكحتنا، وما هو إلَّا عَرض سَابِرِيّ". الكشَّاف، (٢/٤١٤)، وإرشاد العقل السَّليم، (٤/٢٢٨).

=

فاشتدَّ الأمرُ بلوطٍ، و﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ﴾[١]؛ أيْ: لَدافعتُكُم، فلمَّا رآهُم جازِمِينَ على مُرادِهِم الخَبيثِ قالَ لقومِهِ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾[٢]، فاسْتَلَجُّوا[٣] في طُغيانِهِم وسُكْرِهِم، فحينئذٍ أخبرَتْهُ الملائكةُ[٤] بأَمْرِهِم، وأَنَّهُم أُرسِلُوا لإهلاكِهِم؛ فصَدَمَ جبريلُ أو غيرُهُ مِن الملائكةِ[٥] الذين يُعالِجُونَ[٦] البابَ؛ لِيَدْخُلوا على لوطٍ، فطَمَسَ بهذهِ الصَّدْمَةِ أعينَهُم[٧]، فكانَ هذا عَذابًا مُعجَّلًا، وأُنموذَجًا[٨] لِمَن باشَروا مُراودةَ لوطٍ على أضيافِهِ.

وأَمَرُوا لُوطًا أَنْ يَسْرِيَ بأَوَّلِ اللَّيلِ بأَهلِهِ، ويُلِحَّ في السَّيرِ حتَّى يَخْلُفَ دِيارَهُم، ويَنجُوَ مِن مَعَرَّةِ[٩] العذابِ، فخرجَ بِهِم، فما أَصبحَ الصَّباحُ حتَّى خلفُوا دِيارَهُم، وقلَبَ اللهُ عَليهِم دِيارَهُم، فجعلَ أعلاهَا أَسْفلَها، وأَمطَرَ ﴿عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ٨٢ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[١٠]؛ الذين يَعملونَ عَملَهُم: ﴿بِبَعِيدٖ﴾[١١].

وفي هذهِ القِصَّةِ أكبرُ دليلٍ على أَنَّ فاحِشةَ اللِّواطِ[١٢] مِن أَشْنَعِ القَبائحِ، وأنَّها تُوجِبُ

والسَّابِرِيُّ: نسبة إلى سَابُور: ملك مِن ملوك الأكاسرة، ويُطلق على الثَّوب الرَّقيق، وهو مثلٌ للعَرض الذي لا يبالغ فيه، ولا يقصد به إرادة البذل، وإنَّما لتطييب نفسٍ أو نحوه. ينظر: جَمْهَرة الأمثال، (٤٨/٢)، ومُعْجَم البُلدان، (١٦٧/٣)، ولسان العرب، مادَّة: (سبر)، وعِناية القاضي وكِفاية الرَّاضي، للخَفاجِي، (١١٨/٥).

(١) هود: ٨٠

(٢) هود: ٧٨

خ: "ولا تخزوني"، والصَّواب: ﴿وَلَا تُخۡزُونِ﴾، لأنَّه فعل مضارع مجزوم، وعلامة جزمه حذف الياء.

(٣) اللَّجَاجُ: "التّمادي والعناد في تعاطي الفعل المزْجُور عنه". المفْردات، وينظر: الْمِصباح الْمُنِيْر، مادَّة: (لجج).

(٤) س: "ملائكة الرَّحمن".

(٥) قال ابن كثيرﷺ: "خرج عليهم جبريلﷺ، فضرب وجوههم بجناحه، فطمس أَعينهم، فرجعوا وهم لا يهتدون الطَّريق". تفسير القرآن العظيم، (٣٣٩/٤)، وينظر: جامع البيان، (٥٩٧/٢٢)، ومَعَالم التَّنزيل، (٣٢٦/٤).

(٦) الْمُعَالَجَةُ: الْمُزَاوَلَةُ، والمحاولة، أيْ: يحاولون الدُّخول بقوَّة وغلبة. ينظر: الدَّلائل في غريب الحديث، للسَّرَقُسْطيِّ، (٥٩٧/٢)، ومُختار الصِّحاح، وتكملة المعاجم العربيَّة، لدُوزِي، مادَّة: (علج).

(٧) قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر:٣٧].

(٨) سبق تعريفه: (ص:٦).

(٩) الْمَعَرَّة: الْأَذى، والشدّة. ينظر: ياقُوتَة الصِّراط، لغُلام ثعلب، (ص:٤٧١)، وتهذيب اللُّغة، مادَّة: (عرر).

(١٠) هود: ٨٢-٨٣

(١١) الآية السَّابقة.

(١٢) لَوطَ: مِن لاط يَلوطُ ويَلِيطُ، ويقال: إني لأجِد لَهُ في قلبي لَوْطًا ولَيْطًا، يعني: الحُبَّ اللَّازقَ بالقلب، وقد اشتَقَّ النَّاس مِن اسم لوطﷺ فِعلًا لِمَن فَعَل فِعْل قومه؛ ولِما في الفعل مِن معنى الحُبِّ والإلصاق، وقد أَطبق العلماء

=

العِقابَ الشَّديدَ، وأَنَّ مَن ابتُلِي بِهذهِ الفاحِشةِ -فمعَ ذهابِ دِينِه-[(١)] قد انقلبَ عليهِ الحَسَنُ بالقَبيحِ، فاستَحسَنَ ما كانَ قَبيحًا، ونَفَرَ مِن الطَّيِّبِ، وذلكَ دليلٌ على انحِرافِ الأَخلاقِ.

وفِيها: وفي قِصَّةِ إِبراهيمَ، جوازُ التَّعْرِيْضِ:

أَمَّا قِصَّةُ إبراهيمَ؛ فَفِي قَولِهِ: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾[(٢)][١٠٤].

وأَمَّا لوطٍ؛ فَفِي قَولِهِ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡ﴾[(٣)].

والتَّعْرِيْضُ يكونُ في الأَقوالِ، ويكونُ في الأَفعالِ، وهو: أَنْ يقصِدَ المتكلِّمُ أَو العامِلُ لعملٍ أَمرًا مِن الأُمورِ التي لا بأْسَ بِها، ويُوهِمُ السَّامعَ والرَّائيَ أَمرًا آخرَ؛ ليَسْتَجْلِبَ منفعةً، أَو يَدفعَ مَضرَّةً[(٤)].

ومِنها: أَنَّ مِن عَلامةِ الرَّجلِ الرَّشيدِ: أَنَّهُ هو الْمُسدَّدُ في أَقوالِهِ وأَفعالِهِ، ومِن ذلكَ: أَنَّهُ ينصرُ

على إطلاق تسمية: "اللِّواط، واللُّوطيَّة" في مصنَّفاتهم، قال ابن فارس رحمه الله: "وقولهم: لَوَّطَ فلان: إذا تعاطى فعل قوم لوط، فمن طريق الاشتقاق، فإِنَّه اشتُقَّ مِن لفظ لوط النَّاهي عن ذلك، لا مِن لفظ المتعاطين لَهُ". مقاييس اللُّغة، وينظر: الصِّحاح، مادَّة: (لوط).

ورأى بعض العلماء كراهية ذلك؛ تنزيهًا لِلوط عليه السلام، واكتفاء بما لهم في القرآن والسُّنَّة مِن الأَسماء، والأَوصاف؛ كالفاحشة، والخبائث، والفُسوق، وقَوم سَوء، وعَمَل قوم لوط؛ فالإِعراض عن هذه التَّسمية أَمر مطلوب، وتوقيرُ النَّبيِّ واحترامه مشروع، وفي تركها حُسن أَدب، وحميَّة للنَّبيِّ الكريم الطَّاهر، ولو باعتباره ناهيًا، ولو لم يخطر ببال مسلم أَدنى إساءة إِليه. ينظر: مُعْجَم المناهي اللَّفظيَّة، (ص:٤٦١).

(١) فعل قوم لوط للفاحشة فعل المستحل، وأَمَّا مِن فعلها مِن المسلمين مِن غير استحلال فإِنَّه يذهب عنه كمال الدِّين؛ كما قرَّره المؤلِّف رحمه الله في شروحه ومؤلَّفاته النَّاطقة بعقيدة السَّلف؛ وأَنَّ مرتكب الكبيرة مِن الموحِّدين-كما قال ابن تَيميَّة-: "مؤمن ناقص الإِيمان، أَو مؤمن بإِيمانه فاسق بكبيرته، فلا يُعطَى الاسم المطلق، ولا يُسلَبُ مُطْلَق الاسم". العقيدة الواسطيَّة، (ص:٢٤)، وقرَّر المؤلِّف ذلك مطوَّلًا في: التَّنبيهات اللَّطيفة، (ص:١٠٨-١١٢)، وقال في تفسيره: "قد دلَّت النُّصوص القرآنيَّة والسُّنَّة النَّبويَّة أَنَّ جميع المؤمنين سيخرجون مِن النار، ولا يُخلَّد فيها مؤمن، ولو فعل مِن المعاصي ما فعل". تيسير الكريم الرَّحمن، (ص:٥٨٧)، وسبق مثله: (ص:٦)، وساق المؤلِّف حديث أَبي هريرة رضي الله عنه، الذي في الصَّحيحين: (لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ. . .)، ثُمَّ قال: "ومَن وقعت منه فإِنَّه لِضعف إِيمانه، وذهاب نوره، وزوال الحياء مِمَّن يراه حيث نهاه، وهذا معروف مشاهد". التَّوضيح والبيان لشجرة الإِيمان، (ص:٨٩). وينظر: (ص:٦، ٦)، من هذا الكتاب.

(٢) الصافات: ٨٨-٨٩

خ: تكرار: "فنظر".

(٣) هود: ٧٨

(٤) ويشترط فيها: أَنْ لا تتضمَّن استباحة محرَّم، أَو إِسقاط واجب، أَو إِبطال حقٍّ. ينظر: إِكمال المعلم بفوائد مسلم (٣٤٧/٧)، والْمِنْهاج، (١٢٤/١٤)، وإعلام الموقِّعين، (١٨٣/٣).

المظلومِينَ، ويُفَرِّجُ الكَرْبَ عن الْمَكرُوبِينَ، ويأْمرُ بالخيرِ، وينهَى عن الشَّرِّ، هذا هو الرَّشِيْدُ حقيقةً؛ فلهذا قالَ لوطٌ: ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾[١]؟ أَيْ: فيأْمرُ بمعروفٍ، وينهى عن مُنكرٍ، ويَدفعُ أَهلَ الشَّرِّ، والبَغْيِ.

ومِنها: الحثُّ على السَّعيِ في الأَعوانِ على أُمورِ الخَيرِ ودفْعِ الشَّرِّ -ولو كان المعاونُ على ذلكَ مِن أَهلِ الشَّرِّ- فـ ((إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ [الدِّينَ][٢] بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ))[٣]، و((بِأَقْوَامٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ))[٤] عندَ اللهِ، ولهذا قالَ لوطٌ: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٖ شَدِيدٖ﴾[٥].

وأَكثرُ الأَنبياءِ يَبعثُهُم اللهُ في أَشرافِ قَومِهِم، ويَحصُلُ بذلكَ مِن تأْيِيدِ الحقِّ، وقَمْعِ الباطلِ، والتَّمَكُّنِ مِن الدَّعوةِ ما لا يَحصلُ لو لم يكنْ كذلِكَ، واعتَبِرْ هذا بحالِ شُعَيْبٍ، وقولِ قومِهِ لَهُ: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٖ﴾[٦].

---

(١) هود: ٧٨

(٢) خ: "الحقَّ"، وس: "الدِّين"، وهي الموفقة للفظ الصَّحيحين.

(٣) أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب الْمَغَازِي، باب غزوة خيبر، (١٣٢/٥) ح (٤٢٠٣)، واللَّفظ لَهُ، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإِنْسان نفسه، وأَنَّ مَن قتل نفسه بشيء عذب به في النَّار، وأَنَّه لا يدخل الجنَّة إِلَّا نفس مسلمة، (١٠٥/١) ح (١١١)، عن أَبي هريرةرضي الله عنه.

(٤) أَخرجه البزَّار في مسنده، (١٨٩/١٣) ح (٦٦٤١)، والنَّسائيُّ في السُّنن الكبرى، (١٤٧/٨) ح (٨٨٣٤)، وابن حبَّان في صحيحه، (٣٧٦/١٠) ح (٤٥١٧)، عن أَنسرضي الله عنه.

قال العِراقيُّرحمه الله: "أَخرجه النَّسائيُّ مِن حديث أَنس بإِسناد صحيح". الْمُغْنِي عن حَمْل الأَسفار، في تخريج ما في الإِحياء من الأَخْبَار، (ص:٦٠).

وقال الأَلبانيُّرحمه الله: "صحيح". صحيح الجامع، (٣٨٠/١) ح (١٨٦٦).

(٥) هود: ٨٠

(٦) هود: ٩١

وكذلكَ نبيُّنا محمَّدٌ ﷺ(١) بُعثَ في أَشرَفِ بيتٍ في قُرَيْشٍ(٢)، وأَعزِّه(٣)، وقد رَمَاهُ قومُهُ بالعَداوةِ البَلِيْغةِ، وعَقَدُوا المجالسَ المتعدِّدَةَ في إبطالِ قولِهِ ودِينِهِ، بل وفي كيفيَّةِ الفَتكِ بهِ(٤).

ومِن الأَسبابِ التي أَوقفَتْهُم عندَ حدِّهِم خَوفُهُم مِن قبيلتِهِ.

وانظرْ إلى حالَتِهِ في تَضييقِهِم عليهِ بالشِّعْبِ(٥)، وانحيازِ قَبيلَتِهِ معَهُم(٦)، مُسلِمِهِم وكافرِهِم(٧)، ولم يخطُرْ ببالِهِم أَنَّهم يَصِلُونَ إلى الفَتكِ بشَخصِهِ الكَريمِ حتَّى مَكَرُوا ذلكَ الْمَكرَ العظيمَ، إذ اتَّفقَ رأْيُهُم على أَنْ يُنْتَدَبَ لِقتلِهِ مِن كلِّ قَبيلةٍ رَجلٌ؛ ليتفرَّقَ دمُهُ في القبائلِ، فيعجَزُ قومُهُ عن الأَخذِ بثَأْرِهِ(٨)، ولكنَّهُم: ﴿يَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾(٩).

---

(١) "ﷺ"، ليست في: (س).

(٢) قُرَيْشٌ: قبيلة عربيَّة عريقة، وهو لقب لجدِّهم النَّضر بن كِنانة، وقِيل: لفِهْر بن مالك، أَنزل الله فيهم سورة من القرآن، ونصَّت الأَحاديث على شرف نسبهم، منهم نبيُّ الرَّحمة، ونزل القرآن بلسانهم، ولغتهم أَفصح اللُّغات، ونسبهم أَصحُّ الأَنساب، وبيت الله كان في أَيديهم، ومفاتيحه كانت إليهم. ينظر: نسب قريش، (ص:١٢)، والمنمّق في أَخبار قريش، (ص:١٩).

(٣) سبق الدَّليل على ذلك، (ص:٦).

(٤) قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال:٣٠].

(٥) الشِّعْبُ: "أَوسع الطُّرق في الجبل". جَمْهَرة اللُّغة، وينظر: الصِّحاح، مادَّة: (شعب).

(٦) لعلها "معه" فهذا مقصود المؤلِّف من السِّياق، وهو الوارد في الحديث، والسِّير.

(٧) تعاهَد كفار قريش على حِصَار كلِّ مَن يدافع عن الرَّسولﷺ أَلَّا يُناكِحوهم، ولا يُبايِعوهم، ولا يُكلِّموهم، ولا يُجالِسوهم، فشمل ذلك الحِصَار بني هاشم وبني المطَّلب، كافرهم ومؤمنهم، حاشا أَبا لهب وولده؛ فإنَّهم مع قريش على قومهم، ووقع الحِصَار في شِعب أَبي طالب، ويعرف اليوم بشِعب عليٍّ، شرقيّ المسعى، واستمرَّ الحصار ثلاث سنوات، حتَّى تمَّ نقض الاتفاق، وتَلفت الصَّحيفة التي كتبوها. ينظر: جوامع السِّيرة النَّبويَّة، لابن حزْم، (ص:٥١)، وفَتْح البَارِي، لابن حَجَر، (٧/٢٣٢)، ومَعَالم مكَّة التَّأْريخيَّة والأَثريَّة، (ص:٣٨).

(٨) سيأْتي كلام للمؤلِّف رحمه الله على هذا، (ص:٦).

(٩) الأنفال: ٣٠

قِصَّةُ شُعَيْبٍ عليه السلام.

نَبَّأَهُ اللهُ وأَرسلَهُ إلى أَهلِ مَدْيَنَ(١)، وكانوا معَ شركِهِم يَبخَسُونَ الْمَكايِيلَ والْمَوازِينَ، ويَغُشُّونَ في المعامَلاتِ، ويَنقصُونَ النَّاسَ أشياءَهُم، فدَعاهُم إلى توحيدِ اللهِ، ونهاهُم عن الشِّركِ بهِ، وأَمرَهُم بالعَدلِ في المعامَلةِ(٢)، وزَجَرَهُم عن البَخسِ في المعامَلاتِ.

وذكَّرهُم الخيرَ الذي أَدرَّهُ اللهُ عليهِم، والأَرزَاقَ الْمُتنوِّعَةَ، وأَنَّهُم ليسوا بحاجةٍ إلى ظُلمِ النَّاسِ في أَموالِهم، وخوَّفَهُم العذابَ الْمُحِيطَ في الدُّنيا قبلَ الآخرةِ، فأَجابوهُ سَاخِرِينَ، وردُّوا عليهِ مُتهكِّمِينَ، فقالوا: ﴿يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾(٣)؛ أَيْ: فنحنُ جازِمونَ على عِبادَةِ ما كانَ آباؤُنا يَعبدونَ، وجازِمونَ على أَنَّنا نَفعلُ في أَموالِنا ما نُريدُ؛ مِن أَيِّ مُعاملةٍ تكونُ، فلا نَدخلُ تحتَ أَوامرِ اللهِ وأَوامرِ رُسلِهِ؛ فقالَ لهم: ﴿يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗا﴾(٤)؛ أَيْ: أَغناني اللهُ.

﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ﴾(٥)؛ أَيْ: ما نَهيتُكُم عن المعامَلاتِ الخَبيثَةِ وظُلمِ النَّاسِ فِيها، إلَّا وأَنا أَوَّلُ تاركٍ لَها -معَ أَنَّ اللهَ أَعطانِي ووسَّعَ عليَّ- وأَنا مُحتاجٌ إلى الْمُعاملةِ، ولكنِّي مُتقيِّدٌ بطاعةِ ربِّي.

﴿إِنۡ أُرِيدُ﴾(٦) في فِعلِي وأَمرِي لَكُم، ﴿إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ﴾(٧)؛ أَيْ: أَنْ تَصْلحَ أَحوالُكُم الدِّينيَّةُ

---

(١) مَدْيَنُ: أَرض نبيِّ الله شُعيب عليه السلام، وأَهلُها مِن العرب العاربة، وجاء ذكرهم في القرآن الكريم متكرِّرًا باسم: مَدْين، وأَصحاب مَدْين، وأَصحاب الأَيْكَة، وتقع شمال غرب شبه الجزيرة العربيَّة، وتعرف اليوم باسم: "الْبِدْعِ" -كما هو رأْي بعض المؤرِّخين- في واد بين الجبال، يُسمَّى: "عُفَال"، والبِدْعُ: بلدة بين تبوك والسَّاحل، وتبعد عن تبوك غربًا قرابة اثنين وثلاثين ومائة كيلًا، وهي شرق رأْس الشَّيخ حميد قرابة سبعين كيلًا. ينظر: البداية والنِّهاية، (١/٢١٣، ٢١٨-٢١٩)، ومُعْجَم الْمَعَالم الجغرافيَّة، (ص:٢٨٤).

(٢) س: "المعاملات".

(٣) هود: ٨٧

(٤) هود: ٨٨

(٥) الآية السَّابقة.

(٦) الآية السَّابقة.

(٧) الآية السَّابقة.

والدُّنيويَّةُ: ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾(١).

ثُمَّ خوَّفَهُم أَخذَاتِ الأُمِمِ التي حولَهم في الزَّمانِ والمكانِ[١٠٥]، فقالَ: ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾(٢).

ثُمَّ عَرَضَ عليهِم التَّوبةَ، ورغَّبَهُم فِيها، فقالَ: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾(٣)، فلم يُفِدْ فِيهم، فقالوا: ﴿مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾(٤)، وهذا لِعنادِهِم، وبُغضِهِم البليغِ لِلحقِّ، ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًاۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾(٥).

ثُمَّ لَمَّا رَأَى عُتُوَّهُم قالَ: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌۖ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾(٦).

فأَرسلَ اللهُ عليهِم حرًّا أَخذَ بأَنفاسِهِم حتَّى كادوا يَختنِقونَ مِن شِدَّتِه، ثُمَّ في أَثناءِ ذلكَ أَرسلَ سَحابَةً بارِدَةً فأَظلَّتْهُم، فتنادَوا إِلى ظِلِّها غيرِ الظَّليلِ، فلمَّا اجتمَعُوا فيها التَهبَتْ عليهِم نارًا، فأَحرقَتْهُم، وأَصبَحوا خامِدينَ، مُعذَّبينَ مَذمُومِينَ، مَلعونينَ في جميعِ الأَوقاتِ(٧).

---

(١) الآية السَّابقة.

(٢) هود: ٨٩

(٣) هود: ٩٠

(٤) هود: ٩١

(٥) هود: ٩١-٩٢

(٦) هود: ٩٣-٩٤

خ، س: "فلمَّا جاء أمرنا"، والصَّواب: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾.

وكذلك ختمت الآية بقوله ﷻ: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [هود:٥٨]، وهي في قصَّة هود ﵇، والصَّواب: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [هود:٩٤].

(٧) قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء:١٨٩].

وفي قِصَّةِ شُعيبٍ فوائدُ مُتعدِّدَةٌ:

مِنها: أَنَّ بَخْسَ المكاييلِ والموازينِ خُصوصًا، وبَخسَ النَّاسِ أَشياءَهُم عُمومًا مِن أَعظمِ الجَرائمِ الموجِبةِ لعقوباتِ الدُّنيا والآخرةِ.

ومِنها: أَنَّ المعصِيةَ الواقعةَ لِمن عُدِمَ منهُ الدَّاعِي والحاجةُ إِليها أَعظمُ؛ ولهذا كان الزِّنى مِن الشَّيخِ أَقبحَ مِن الشَّبابِ، والكِبْرُ مِن الفَقيرِ أَقبحَ مِن الغنِيِّ[١]، والسَّرقةُ ممَّن ليسَ بمحتاجٍ أَعظمَ مِن وُقوعِها مِن الْمُحتاجِ؛ لهذا قالَ شُعيبٌ لقومِهِ: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ﴾[٢]؛ أَيْ: بنعمٍ كثيرةٍ، فأَيُّ أَمرٍ أَحْوَجَكُم إِلى الهَلَعِ إِلى ما بأَيدِي النَّاسِ بطُرُقٍ مُحَرَّمةٍ؟!.

ومِنها: قولُهُ: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾[٣]، فيهِ الحثُّ على الرِّضا بِما أَعطَى اللهُ، والاكتفاءِ بحلالِهِ عن حرامِهِ، وقَصْرِ النَّظرِ على الموجودِ عندكَ مِن غيرِ تطلُّعٍ إِلى ما عندَ النَّاسِ.

ومِنها: فيهِ دِلالةٌ على أَنَّ الصَّلاةَ سَببٌ لفعلِ الخَيراتِ، وتركِ المنكراتِ، وللنَّصيحةِ لِعبادِ اللهِ، وقد علِمَ ذلكَ الكفارُ بِما قالوا لشُعَيبٍ: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾[٥].

ومِن هُنا نعرفُ[٦] حِكمةَ اللهِ ورَحمتَهُ في أَنَّهُ فَرضَ علينا الصَّلواتِ، تَتكرَّرُ في اليومِ واللَّيلةِ لِعظَمِ وَقعِها، وشِدَّةِ نَفعِها، وجَميلِ آثارِها، فلِلَّهِ على ذلكَ أَتمُّ الحمدِ.

ومِنها: أَنَّ العبدَ في حركاتِ بدنِهِ وتَصرفاتِهِ، وفي مُعاملاتِهِ الماليةِ، داخلٌ تحتَ حَجْرِ الشَّريعةِ،

(١) أَخرج مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والمنِّ بالعطيَّة، وتنفيق السِّلعة بالحلف، وبيان الثَّلاثة الذين لا يكلِّمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكِّيهم، ولهم عذاب أليم، (١٠٢/١)، عن أَبي هريرةﷺ: قال رسول اللهﷺ: ((ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ -قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ- وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ)).

(٢) هود: ٨٤

(٣) هود: ٨٦

(٤) هود: ٨٧

(٥) العنكبوت: ٤٥

(٦) س: "تعرف".

فما أُبيحَ لَهُ مِنها فَعَلَهُ، وما مَنَعَهُ الشَّرعُ تَعَيَّنَ عليهِ تَرْكُهُ.

ومَن يَزعُم أَنَّهُ في مالِهِ حُرٌّ؛ لَهُ أَنْ يَفعلَ ما يشاءُ مِن معاملاتٍ طيِّبةٍ وخَبيثةٍ، فهو بمنزلةِ مِن يَرى أَنَّ عمَلَ بدنِهِ كذلكَ، وأَنَّهُ لا فَرقَ عندَهُ بيْنَ الكُفرِ والإيمانِ، والصِّدقِ والكَذِبِ، وفِعلِ الخيرِ والشَّرِّ، الكُلُّ مُباحٌ، ومِن المعلومِ أَنَّ هذا المذهبَ(١) هو مَذهبُ الإباحِيِّيْنَ(٢)؛ الذين هُم شَرُّ الخَليقةِ، ومذهبُ قومِ شُعَيْبٍ يُشْبِهُ هذا؛ لأَنَّهُم أَنكروا على شُعَيبٍ لَمَّا نَهاهُم عن المعامَلاتِ الظَّالِمةِ، وأَباحَ لهم سِواها، فرَدُّوا عليهِ أَنَّهم أَحرارٌ في أَموالِهِم، لَهم أَنْ يَفعَلوا فِيها ما يُريدونَ.

ونظيرُ هذا: قولُ مِن قالَ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾(٣)؛ فمَن سَوَّى بيْنَ ما أَباحَهُ وبيْنَ ما حرَّمَهُ اللهُ فقد انحرفَ في عقلِهِ وفِطرتِهِ(٤)، بعدَما انحرفَ في دِينِهِ.

ومنها: أَنَّ النَّاصحَ لِلخلقِ الذي يأْمرُهُم وينهاهُم -مِن تَمامِ قبولِ النَّاسِ لَهُ- أَنَّهُ إذا أَمرَهُم بشيءٍ أَنْ يكونَ أَوَّلَ الفاعِلِينَ لَهُ، وإذا نَهاهُم عن شَيءٍ كان أَوَّلَ التَّارِكِينَ؛ لقولِ شُعَيْبٍ: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُ﴾(٥)[١٠٦].

ومِنها: أَنَّ الأَنبياءَ جَميعَهُم بُعثوا بالإِصلاحِ والصَّلاحِ، ونُهوا عن الشُّرُورِ والفَسادِ، فكلُّ صلاحٍ وإِصلاحٍ دِينيٍّ ودُنيَويٍّ فهو مِن دِينِ الأَنبياءِ، وخُصوصًا إِمامَهُم، وخاتَمَهُم محمَّدٌ ﷺ(٦)؛ فإِنهُ أَبْدَى وأَعادَ في هذا الأَصلِ، ووضعَ لِلخَلقِ الأُصولَ النَّافعةَ، التي يَجْرُونَ عليها في الأُمورِ العَادِيَّةِ والدُّنيويَّةِ، كمَا وضعَ لهم الأُصولَ في الأُمورِ الدِّينيَّةِ.

وأَنَّهُ كمَا أَنَّ على العبدِ السَّعيَ والاجتهادَ في فعلَ الصَّلاحِ والإِصلاحِ، فعليهِ أَنْ يَستمِدَّ العونَ مِن ربِّهِ على ذلكَ، وأَنَّ يَعلمَ أَنَّهُ لا يَقْدِرُ على ذلكَ، ولا على تكمِيلِهِ إِلَّا باللهِ؛ لِقولِ

---

(١) "المذهب"، ليست في: (س).

(٢) الإِبَاحِيُّ: "مَن لا يتورَّع عن فعل المحظورات، المنحلُّ أخلاقيًّا، ويرى أَنَّ كلَّ شيء مباحٌ لَهُ ولغيره". مُعْجَم اللُّغة العربيَّة المعاصرة، وينظر: تكملة المعاجم العربيَّة، مادَّة: (بوح).

(٣) البقرة: ٢٧٥

(٤) س: "فطرته وعقله".

(٥) هود: ٨٨

(٦) خ، س: "محمَّدٌ"، وهذا سبق قلم، والصَّواب: "محمَّدًا"؛ لأَنَّها مفعولٌ به.

شُعَيْبٍ: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾(١).

ومِنها: أَنَّ الدَّاعيَّ إِلى اللهِ يَحتاجُ إِلى الحِلمِ، وحُسْنِ الخُلُقِ، ومُقابلةِ الْمُسيئِينَ بأَقوالِهم وأَفعالِهم بضدِّ ذلكَ، وأَنْ لا يُحْفِظَهُ(٢) أَذى الخَلقِ، ولا يَصدَّهُ عن شيءٍ مِن دعوتِهِ.

وهذا الخُلُقُ كَمالُهُ للرُّسُلِ صَلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِم(٣)؛ فانظرْ إِلى شُعَيْبٍ عليه السلام، وحُسنِ خُلُقهِ معَ قومِهِ، ودعوتِهِ لهم بكلِّ طريقٍ، وهُم يُسْمِعونَهُ الأَقوالَ السَّيِّئةَ، ويُقابلونَهُ المقابَلَةَ الفِعليَّةَ، وهو صلى الله عليه وسلم يَحْلُمُ عليهِم ويَصْفحُ، ويتكلَّمُ معَهُم كَلامَ مَن لم يصدرْ منهُم لَهُ وفي حَقِّهِ إِلَّا الإِحسانُ.

ويُهَوِّنُ هذا الأَمرَ أَنَّ هذا خُلُقٌ مَن ظَفرَ بِهِ وحازَهُ فقد فازَ بالحَظِّ العَظيمِ، وأَنَّ لِصاحبِهِ عندَ اللهِ الْمَقاماتِ العاليَةَ، والنَّعيمَ المقيمَ.

ويُهَوِّنُهُ أَنَّهُ يُعالِجُ أُمَمًا قد طُبِعُوا على أَخلاقٍ إِزالتُها وقَلْعُها أَصعبُ مِن قَلعِ الجِبالِ الرَّواسِي، ومُرِّنُوا على عقائدَ ومَذاهبَ بذَلوا فِيها الأَموالَ والأَرواحَ، وقدَّمُوها على جَميعِ الْمُهِمَّاتِ عندَهُم، أَفَتَظُنُّ معَ هذا أَنَّ أَمثالَ هؤلاءِ يَقتنِعونَ بِمجرَّدِ القَولِ بأَنَّ هذهِ مذاهبُ باطلةٌ، وأَقوالٌ فاسدةٌ؟.

أَمْ تحسَبُهُم يَغتفِرونَ لِمَن نالَها بسُوءٍ؟(٤).

كلَّا واللهِ، إِنَّ هؤلاءِ يَحتاجونَ إِلى مُعالَجاتٍ مُتنوِّعةٍ بالطُّرقِ التي دعتْ إِليها الرُّسلُ:

– يُذَكَّرونَ بنعمِ اللهِ، وأَنَّ الذي تَفرَّدَ بالنِّعمِ يتعيَّنُ أَنْ يُفردَ بالعِبادَةِ، ويُذْكَرُ لهم مِن تفاصيلِ النِّعمِ ما لا يُعدُّ ولا يُحصَى(٥).

– ويُذَكَّرونَ بِما في مَذاهبِهِم مِن الزَّيغِ والفَسادِ والاضطرابِ، والتَّناقُضِ المزلزِلِ للعقائدِ، الدَّاعِي

---

(١) الآية السَّابقة.

(٢) يُحْفِظُهُ: يُغضِبه؛ والحَفِيْظَةُ: الغضب، مقاييس اللُّغة، والقاموس المحيط، مادة: (حفظ).

(٣) س: "صلوات الله عليهم وسلم".

(٤) قال قوم إبراهيم عليه السلام: ﴿حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:٦٨].

(٥) قال هود عليه السلام لقومه: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الشعراء:١٣٢–١٣٤]، وقال صالح عليه السلام لقومه: ﴿أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ﴾ [الشعراء:١٤٦–١٤٩].

إلى تركِها[١].

- ويُذَكَّرونَ بما بَيْنَ أيديهِم، ومَا خلفَهُم مِن أَيَّامِ اللهِ ووقائِعهِ؛ بالأُمَمِ المُكذِّبةِ للرُّسلِ، المنكرةِ للتَّوحيدِ[٢].

- ويُذَكَّرونَ بما في الإيمانِ باللهِ وتوحيدِهِ ودينِهِ مِن المحاسنِ والمصالحِ والمنافعِ الدِّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ؛ الجاذِبةِ للقُلوبِ، المُسَهِّلةِ لِكلِّ مَطلوبٍ[٣].

ومعَ هذا كلِّهِ فيحتاجُ الخَلقُ إلى الإحسانِ إليهِم، وبذلِ المعروفِ، وأَقلُّ ذلكَ الصَّبرُ على أَذاهُم، وتَحمُّلُ ما يصدُرُ منهُم، ولِينُ الكَلامِ معَهُم، وسلوكُ كلِّ سبيلِ حِكمةٍ معَهُم، والتَّنقُّلُ معَهُم في الأُمورِ؛ بالاكتفاءِ ببعضِ ما تَسمحُ بهِ أَنفسُهُم؛ ليُسْتَدْرَجَ بِهَم إلى تكميلِهِ[٤]، والبَداءَةُ بالأَهمِّ فالأَهمِّ، وأَعظمُهُم قيامًا بهذهِ الأُمورِ وغيرِها سيِّدُهُم وخاتَمُهُم وإمامُ الخَلقِ على الإطلاقِ محمَّدٌ ﷺ[٥].

---

(١) قال إبراهيم عليه السلام لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم:٤٢]، وقال عز وجل: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ۝٦٩ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٧٠ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ۝٧١ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ۝٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ﴾ [الشعراء:٦٩-٧٣].

(٢) قال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ﴾ [هود:٨٩].

(٣) قال هود عليه السلام: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ﴾ [هود:٥٢]، وبيَّن إبراهيم عليه السلام لقومه أنَّ الذي يستحقُّ العبادة هو: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ۝٨١ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء:٧٨-٨٢].

(٤) قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩].

(٥) قال جل جلاله: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:١٢٨].

قِصَّةُ مُوسَى وهَارُونَ عليهما السلام.

قد ذكرَ اللهُ لِموسَى بنِ عِمْرانَ[١] ومَعهُ أخوهُ هَارُونُ[٢] عليهما السلام سِيرةً طَويلةً، وسَاقَ قَصصَهُ في مواضعَ مِن كتابهِ بأَساليبَ مُتنوِّعةٍ، واختصارٍ[٣]، أَو بَسْطٍ[٤] يَليقُ بذلكَ المقامِ.

ولَيسَ في قَصَصِ القرآنِ أَعظمُ مِن قِصَّةِ مُوسى[٥]؛ لأَنَّهُ عالجَ فرعونَ وجنودَهُ، وعَالجَ بَنِي إِسرائيلَ أَشدَّ الْمُعالجَةِ[٦].

وهو أَعظمُ أَنبياءِ بَنِي إِسرائيلَ، وشَريعتُهُ وكِتابُهُ التَّوراةُ هو مَرجِعُ أَنبياءِ بَنِي إِسرائيلَ وعُلمائِهِم[٧]، وأَتباعُهُ أَكثرُ أَتباعِ الأَنبياءِ غيرِ أُمَّةِ محمَّدٍ ﷺ[٨]، ولَهُ مِن القُوَّةِ العَظِيمةِ في[١٠٧]

---

(١) ذكَره القرآن الكريم كثيرًا، وصرّح باسمه ستًا وثلاثين ومائة مرّة ﷺ.

(٢) ذكره القرآن باسمه تسع عشرة مرّة ﷺ.

(٣) كمَا في السُّور التَّالية: هود، ومريم، والأنبياء، والمؤمنون، والصَّافَّات.

(٤) كمَا في السُّور التَّالية: الأَعراف، ويونس، وطه، والشُّعراء، والقصص.

(٥) قال ابن تَيميَّة رحمه الله عن قصَّة موسى عليه السلام: "أعظم قصص الأَنبياء التي تذكر في القرآن؛ ثنَّاها الله أَكثر مِن غيرها، وبسطها وطوَّلها أَكثر مِن غيرها". شرح العقيدة الأَصفهانيَّة، (ص:٢٠٩)، ومَجْمُوع الفَتاوَى، (٢١/١٧).

(٦) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، (١١٠/٤) ح (٣٢٠٧)، عن مالك بن صَعْصَعَة رضي الله عنه، أَنَّ موسى عليه السلام قال لنبيِّنا محمَّد ﷺ: (. . . مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: فُرِضَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ صَلاَةً، قَالَ: أَنَا أَعْلَمُ بِالنَّاسِ مِنْكَ، عَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، وَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَسَلْهُ. . .).

(٧) قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ [المائدة:٤٤].

قال ابن جَرِير رحمه الله، عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾ [البقرة:٨٧]: "لأَنَّ كلَّ مَن بعثه الله نبيًّا بعد موسى ﷺ إِلى زمان عيسى ابن مريم، فإِنَّما بعثه يأْمر بني إِسرائيل بإِقامة التَّوراة، والعمل بما فيها، والدُّعاء إِلى ما فيها؛ فلذلك قِيل: ﴿وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾: يعني على مِنهاجه وشريعته، والعمل بما كان يعمل به". جامع البيان، (٣١٨/٢)، وينظر: المحرَّر الوجيز، (١٧٦/١).

(٨) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب المرضى، باب مَن اكتوى أَو كوى غيره، وفضل مَن لم يكتو، (١٢٦/٧) ح (٥٧٠٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإِيمان، باب الدَّليل على دخول طوائف مِن المسلمين الجنَّة بغير حساب ولا عذاب، (١٩٩/١) ح (٢٢٠)، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: ((عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، حَتَّى رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ أُمَّتِي هَذِهِ؟ قِيلَ: بَلْ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، قِيلَ: انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ، فَإِذَا سَوَادٌ يَمْلأُ الأُفُقَ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ، فَإِذَا سَوَادٌ قَدْ مَلأَ الأُفُقَ، قِيلَ: هَذِهِ أُمَّتُكَ. . .)).

إِقامةِ دينِ اللهِ، والدَّعوةِ إليهِ، والغَيرةِ العَظيمةِ ما ليسَ لغيرِه(١).

وقد وُلدَ في وقتٍ قد اشتدَّ فيهِ فِرْعَونُ على بَنِي إسرائيلَ؛ فكانَ يُذبِّحُ كلَّ مولودٍ ذكرٍ يُولدُ مِن بني إسرائيلَ، ويَسْتَحْيِيْ(٢) النِّساءَ للخِدمَةِ والامْتهانِ(٣).

فلمَّا ولَدتْهُ أُمُّهُ(٤) خافتْ عليهِ خوفًا شَديدًا؛ فإنَّ فِرعونَ جَعلَ على بَنِي إسرائيلَ مَن يَرقبُ نساءَهُم، ومواليدَهُم(٥)، وكان بيتُها على ضِفَّةِ نَهرِ النِّيلِ(٦) فألْهَمَها اللهُ أنْ وضعتْ لَهُ تابُوْتًا إذا خَافتْ أَحدًا أَلقَتْهُ في اليَمِّ، ورَبطَتهُ بحبلٍ لِئَلَّا تَجْري بهِ جِرْيَةُ(٧) الماءِ، ومِن لُطفِ اللهِ بِها أَنَّهُ أَوحَى لَها أَنْ: ﴿لَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾(٨)، فلمَّا أَلقتْهُ ذات يومٍ انفلَتَ رِباطُ التَّابُوتِ(٩)، فذهبَ الماءُ بالتَّابوتِ الذي في وسَطِهِ مُوسَى.

---

(١) قال ﷻ: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ [الأعراف:١٥٠]، قال السّعديُّ رحمه الله: "ممتلئًا غضبًا وغيظًا عليهم؛ لتمامِ غيرتِه ﷺ، وكمالِ نصحِهِ وشفقتهِ". تيسير الكريم الرَّحمن، (ص:٣٠٣).

(٢) يَسْتَحْيِي: مِن الحياة، أيْ: يستبقي النِّساء، ويتركهنَّ أحياء. ينظر: غريب القرآن =نزهة القلوب، للسِّجِستَانِيِّ، (ص:٥٠٢)، ومَعَالم التَّنزيل، (١/١١٣).

(٣) قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص:٤].

(٤) لم يرِد نصٌّ في تَسميتها، وذكر البَغويُّ رحمه الله أنَّها: "يُوحَانذ بنت لَاوِي بن يعقوب". مَعَالم التَّنزيل، (٣/٥٢٢).

(٥) دلَّ على ذلك حديث الفُتُون الطَّويل، الذي أَجاب فيه عبدالله بن عبَّاس رضي الله عنهما على سؤال سعيد بن جُبَيْر رحمه الله، عن قول الله ﷻ لموسى عليه السلام: ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ [طه:٤٠]، وفيه ربط لأَحداث قصص موسى في القرآن الكريم، وقد أَخرجه النَّسائي في السُّنن الكبرى، (١٠/١٧٢) ح (١١٢٦٣)، وأَبو يَعْلَى الْموصِلي في مسنده، (٥/١٠) ح (٢٦١٨)، والطَّحاوي في شرح مُشكِل الآثار، (١/٦٠) ح (٦٦)، والسُّيُوطِيُّ في الدُّر المَنْثُور، (٥/٥٦٩-٥٧٩)، وبعد أَنْ ساقه ابن كثير رحمه الله قال: "وهو موقوف مِن كلام ابن عبَّاس، وليس فيه مرفوع إلَّا قليل منه، وكأنَّه تلقَّاه ابن عبَّاس رضي الله عنه ممَّا أُبيح نقله مِن الإِسرائيليات، عن كعب الأَحبَار، أَو غيره، والله أَعلم، وسمعت شيخنا الحافظ أَبا الحجَّاج الْمِزِّيّ يقول ذلك أَيضًا". تفسير القرآن العظيم، (٥/٢٩٣).

(٦) النِّيْلُ: نَهر عظيم يمرُّ بمصر، يبدأُ مِن مرتفعات أُوغندة، ثُمَّ يشقُّ أَرض السُّودان، ثُمَّ أَرض مصر، إِلى أَنْ يَصبَّ في البحر الأَبيض المتوسِّط. ينظر: مُعْجَم البُلدان، (٥/٣٣٥)، ومُعْجَم الْمَعَالم الجغرافيَّة في السِّيرة النَّبويَّة، (ص:٣٢١).

(٧) الجِرْيَةُ: بالكسر، حالة الجريان. التَّوقيف على مُهمَّات التَّعريف، (ص:١٢٤)، وتاج العَرُوس، مادَّة: (جري).

(٨) القصص: ٧

(٩) التَّابُوتُ: الصُّندوق، أَو شِبْهه، يُنْحَت مِن خشب، وبالتَّاء لغة قريش، وبالهاءِ لغة الأَنصار. ينظر: الصِّحاح، وتاج العَرُوس، مادَّة: (توب).

ومِن قدَرِ اللهِ أَنْ وقعَ في يدِ آلِ فرعونَ، وجِيءَ بهِ إلى امرأةِ فِرعونَ؛ آسِيَةَ[١]، فلمَّا رأَتهُ أَحبَّتهُ حُبًّا شَديدًا، وكان اللهُ قد أَلقى عليهِ المحبَّةَ في القُلوبِ[٢]، وشاعَ الخبَرُ، ووَصلَ إلى فِرعونَ، فطلَبَهُ ليقتلَهُ، فقالتْ امرأَتُهُ: ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾[٣]؛ ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾[٤]، ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾[٥]، فَنجَا بِهذا السَّببِ مِن قتلِهِم، وكان هذا الأَثرُ الطَّيِّبُ، والمقدِّمةُ الصَّالحةُ مِن السَّعيِ الْمَشكُورِ عند اللهِ، فكانَ هذا مِن أَسبابِ هِدايتِها، وإِيمانِها بموسَى بعدَ ذلكَ[٦].

أَمَّا أُمُّ مُوسَى فإِنَّها فزِعتْ، وأَصبحَ فؤادُها فارغًا[٧]، وكادَ الصَّبرُ أَنْ يَغلِبَ فِيها، ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٨].

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾[٩]؛ وتَحسَّسِي عنهُ.

وكانتِ امرأَةُ فِرعونَ قد عَرضَتْ عليهِ المراضِعَ، فلمْ يَقْبلْ ثَدْيَ امرأَةٍ[١٠]، وعَطِشَ، وجَعلَ

(١) امتدحها الله وأثنى عليها في كتابه، وشهد لها بالإيمان، وأثنى عليها محمَّدٌ ﷺ فيما أخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب أَحاديث الأَنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ [التحريم:١١]، إلى قوله: ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم:١٢]، (٤/١٥٨) ح (٣٤١١)، عن أَبي موسى رضي الله عنه، قال قال رسول ﷺ: ((كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ)).
قال البَغَوِيُّ رحمه الله: "وكان فرعون قد استنكح امرأَة مِن بني إسرائيل، يُقال لها: آسية بنت مُزاحم، وكانت مِن خيار النِّساء، ومِن بنات الأَنبياء، وكانت امرأَة للمساكين؛ ترحمهم، وتتصدَّق عليهم، وتعطيهم". مَعَالم التَّنزيل، (٣/٥٢٤).
(٢) قال ﷻ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه:٣٩].
(٣) القصص: ٩
(٤) الآية السَّابقة.
(٥) الآية السَّابقة.
(٦) ويستفاد مِن هذا: أَثر الجليس الصَّالح، والشَّفاعة الحسنة، واستشعار المسؤوليَّة، والقيام بها بحِكمة، وبتوقيت مناسب، والتَّعليل الحكيم الذي يحصل به الإقناع، وزوال الضَّرر.
(٧) فَارِغًا: "خاليًا مِن كلِّ شيءٍ إِلَّا مِن ذكر موسى، وهمِّه". مَعَالم التَّنزيل، (٣/٥٢٤)، وينظر: جامع البيان، (١٩/٥٢٨)، وتفسير القرآن العظيم، (٥/٢٨٥).
(٨) القصص: ١٠
(٩) القصص: ١١
(١٠) قال ﷻ: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ [القصص:١٢].

يَتَلَوَّى مِن الجُوعِ، وأَخرجوهُ إِلى الطَّريقِ؛ لعلَّ اللهَ أَنْ يُيَسِّرَ لَهُ أَحدًا، فحانتْ مِن أُختهِ[١] نَظْرَةٌ إِليهِ، و﴿بَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[٢]: بشأْنِها، فلمَّا أَقبلتْ عليهِ، وفهِمَتْ مِنهُم أَنَّهم يَطْلُبونَ لَهُ مُرْضِعًا قالتْ لَهم: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ۝١٢ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾[٣].

ثُمَّ ذكرَ اللهُ في هذهِ السُّورةِ[٤] قِصَّتَهُ[٥] مُفصَّلةً واضحةً، وكيفَ تَنقَّلَتْ بهِ الأَحوالُ؛ قِراءَتُهَا[٦] كافيةٌ عن شرحِ معناهَا؛ لوضوحِها، وتَفصِيلاتِها.

واللهُ -تعالى- ما فصَّلَ لَنَا إِلَّا ما نَنْتفعُ بهِ، ونَعتبِرُ، ولكنْ في قِصَّتهِ مِن العِبَرِ والفوائدِ شيءٌ كثيرٌ، نُنَبِّهُ على بعضِها.

---

(١) لم يرد نصٌّ صحيح في تسميتها؛ ولذا اختُلف فيه على أَقوال، قال القُرْطُبِيُّ رحمه الله: "واسمها مَريم بنت عِمران، وافق اسمها اسم مريم؛ أُمّ عيسى عليه السلام، ذكره السُّهَيْلِيُّ والثَّعْلَبِيُّ، وذكر الْمَاوَرْدِيُّ عن الضَّحَّاك: أَنَّ اسمها كَلْثَمَة، وقال السُّهَيْلِيُّ: كُلْثُوم". الجامع لأَحكام القرآن، (١٣/٢٥٦). وينظر: والبداية والنِّهاية، (١/٣١٩).

(٢) القصص: ١١

(٣) القصص: ١٢-١٣

(٤) سورة: القصص؛ حيث جميع الآيات التي ذكرها في هذه القصَّة من هذه السُّورة.

(٥) س: "قصَّة".

(٦) خ: "قِرائَتُهَا"، وس: "قراءتها"، وهي الصَّواب؛ لأَنَّ الهمزة متوسِّطة مفتوحة، وقبلها حرف ساكن غير صحيح، وهو الأَلف. ينظر: الإِملاء والتَّرقيم في الكتابة العربيَّة، (ص:٤٩).

ذِكْرُ الفَوائِدِ المُسْتَنْبَطةِ -نصًّا[١] أو ظَاهِرًا[٢] أَو تَعْمِيْمًا[٣] أَو تَعْلِيْلًا[٤]- مِن قِصَّةِ مُوسَى ﷺ:

مِنها: لُطْفُ اللهِ بأُمِّ مُوسَى بذلكَ الإلهامِ الذي بهِ سَلِمَ ابنُها، ثُمَّ تِلكَ البِشارةُ مِن اللهِ لَها بِرَدِّهِ إليها، التي لولاها لقَضَى علَيها الحُزْنُ على وَلَدِها، ثُمَّ رَدِّهِ إليها بإجائِهِ إليها قَدَرًا؛ بتحريمِ المراضِعِ عليهِ، وبذلكَ وغيرِهِ يُعلَمُ أَنَّ أَلطافَ اللهِ على أَوليائهِ لا تَتصوَّرُها العُقولُ، ولا تُعَبِّرُ عَنها العِباراتُ.

وتأَمَّلْ مِن[٥] موقعَ هذهِ البِشارةِ، وأَنَّهُ أَتاها ابنُها تُرضِعُهُ جَهْرًا، وتأْخُذُ عليهِ أَجْرًا، وتُسمَّى أُمَّهُ شَرعًا وقَدَرًا، وبذلكَ اطمأَنَّ قَلبُها، وازدادَ إِيمانُها، وفي هذا مِصداقٌ لقولِهِ تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾[٦]، فلا أَكْرَهَ لأُمِّ مُوسَى مِن وُقُوْعِ ابنِها بِيَدِ آلِ فِرْعَونَ، ومعَ ذلكَ ظَهَرَتْ عواقِبُهُ الحَميدةُ، وآثارُهُ الطَّيِّبةُ.

ومِنها: أَنَّ آياتِ اللهِ، وعِبَرَهُ في الأُمَمِ السَّابقةِ إِنَّما يَستفيدُ مِنها، ويَستنيرُ بِها المؤمنونَ، واللهُ -تعالَى-[٧] يَسوقُ القَصصَ لأَجلِهِم؛ كَما قالَ[٨] في هذهِ القِصَّةِ: ﴿نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[٩].

---

(١) النَّصُّ: أَقصى الشَّيء وغايته، وفي اصطلاح الأُصوليِّيْن: "اللَّفظ الذي يفيد معناه بنفسه، مِن غير احتمال". المهذَّب في علم أُصول الفِقه المقارَن، للنَّملة، (١١٩٥/٣)، وينظر: شرح مختصر الرَّوضة، للطُّوفي، (٥٥٤/١)، والتَّحبير، للمِرْدَاوي، (٢٨٧٤/٦)، وتاج العَرُوس، مادَّة: (نصص).

(٢) الظَّاهِرُ: ضدُّ الباطن، وظهر الشَّيء: تبيَّن، وفي اصطلاح الأُصوليِّيْن: "اللَّفظ الذي يحتمل معنيين، هو في أَحدهما أَظهر". المهذَّب في علم أُصول الفِقه، (١٢٠١/٣)، وينظر: المستصفى، (ص:١٩٦)، ومُختار الصِّحاح، مادَّة: (ظهر)، وشرح مُختَصَر الرَّوضة، (٥٥٨/١).

(٣) العَامُّ: مِن عمَّ الشَّيء يعمُّ عُمومًا: شمل الجماعة، وعند الأُصوليِّيْن: "اللَّفظ المستغرق لجميع ما يصلح لَهُ، بحسَب وضع واحد". المهذَّب في علم أُصول الفِقه، (١٤٥٩/٤)، وينظر: الصِّحاح، مادَّة: (عمم)، والمعتمد، (١٨٩/١)، وإرشاد الفُحول، للشَّوكاني، (٢٩١/١).

(٤) يُقصد بالتَّعليل هنا: القياس؛ كما يُعبِّر بعض الأُصوليِّيْن، ومنه قول السَّرْخَسِي: "والمذهب عندنا أَنَّ حكم التَّعليل هو تعدية حكم الأَصل إِلى الفروع". أُصول السَّرْخَسِي، (١٥٩/٢)، وينظر: شرح التَّلويح، للتَّفتَازَانِي، (١٣٤/٢).

(٥) "مِن"، ليست في: (س).

(٦) البقرة: ٢١٦

(٧) "تعالى"، ليست في: (س).

(٨) "تعالى"، زيادة في: (س).

(٩) القصص: ٣

ومِنها: أَنَّ اللهَ إِذا أَرادَ شيئًا هَيَّأَ أَسبابَهُ، وأَتى بِهِ شَيئًا فشَيئًا بالتَّدريجِ لا دَفْعَةً واحِدةً[(١)].

ومِنها: أَنَّ الأُمَّةَ المستضعَفَةَ، ولو بلَغَتْ في الضَّعفِ ما بلَغَتْ، لا يَنبغِي أَنْ يستوليَ عليها الكَسَلُ عن السَّعيِ في حُقوقِها، ولا اليأْسُ مِن الارتقاءِ إِلى أَعلى الأُمُورِ، خُصوصًا إِذا كانوا مَظلومِينَ[١٠٨]؛ كما استنقذَ اللهُ بَنِي إِسرائيلَ على ضَعفِها، واستِعبادِها لفِرعونَ وملئِهِ مِنهُم، ومكَّنهُم في الأَرضِ، وملَّكهُم بلادَهُم.

ومِنها: أَنَّ الأُمَّةَ ما دامتْ ذليلةً مَقهُورةً لا تُطالبُ بحقِّها لا يقومُ لها أَمرُ دينِها، كمَا لا يقومُ لها أَمرُ دُنياها[(٢)].

---

(١) يظهر ذلك مِن الأَحوال والأَطوار والمراحل التي مرَّ بها مُوسىعليه السلام؛ مِن ولادته، وجعله في الصُّندوق، ونجاته مِن الذَّبح، وتحريم المراضع؛ ليصل إلى أُمِّه، مع ارتباطه ببيت فرعون، ثُمَّ قتْله القِبْطيَّ، وخروجه إلى أَرض مَدْين، ورعْيه، وزواجه، ثُمَّ رجوعه إلى مصر، والتَّشريف بالتَّكليم الرَّبَّاني، وبالرِّسالة، ودعوة فرعون وقومه، وما أَيَّده الله به مِن المعجزات، ثُمَّ نجاته ومَن معه مِن المؤمنين، وإغراق فرعون وجنوده، وصدق الله، الحكيم العليم: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:٧].

(٢) لا لوم في المطالبة بالحقوق المشروعة، ولكن وفق الضَّوابط الشَّرعيَّة، والمنهج النَّبويِّ، وما عليه أئمَّة السَّلف مِن إعمال قواعد المصالح والمفاسد، والمقاصد الشَّرعيَّة، وقاعدة الذَّرائع، وفقه الأَولويَّات، والأَحوال، ومُراعاة فِقه القوَّة والضَّعف، ومع النَّظر في مآلات الأُمور، والمشاورة الجماعيَّة؛ ليصدر الأَمر الذي يَهمُّ الأُمَّة عن الجماعة المعتَبرة التي تتَّصف بالعلم والمعرفة، والحِكمة، والخِبرة والبَصيرة، ومَن وُفِّق كان عنده بَصَر نافذ عند مجيء الشُّبهات، وعقل كامل عند نزول الشَّهوات، قال المؤلِّفرحمه الله: "حثَّ الله ورسوله على لزوم طاعة ولاة الأُمور والنُّصح لهم، وحذَّر من غشِّهم، والقيام عليهم؛ لما في ذلك من ضررِ الدِّين والدُّنيا، وهو مِن أَكبر سلاحِ الأَعداءِ؛ فإنَّ الأَعداء يسعون لإثارةِ الفتن بين المسلمين، وإغرار الأَغرار الذين لا خلاق لهم بذلك، وإحداث الثَّورات الموهنة للإسلام والمسلمين، وتبريرهم ذلك بطلب حقوقهم، وهذا محادَّة لله ولرسوله، وخيانة للدِّين والبلاد والمجتمع؛ فالشَّارع يحثُّ النَّاس على لزوم الطَّاعة والسَّكينة، مع بذل النَّصيحة، ويأْمر بالصَّبر على طاعة الولاة، حتَّى ولو جاروا، ولكنَّه يأْمر بالصَّبر ويأْمر مع ذلك بالنَّصيحة لولاة الأُمور؛ لأَنَّ هذا أَصل الخير، وبذلك تندفع شرور كثيرة، وأَمَّا الثَّورات، والقدح في الولاة والسَّعي فيما يتفرَّع عن ذلك فيترتَّب عليه شرور كثيرة؛ فقد رأَى النَّاس آثارها؛ لهذا حذَّر الشَّارع منها أَعظم تحذير، ولا يسعى بذلك إلَّا مَن لا دِين له، ولا خُلق، ولا إنسانيَّة وأَمانة، بل ولا عقل صحيحٌ؛ فإنَّ الإنسان وإنْ لم يكن معه دِين فالعقل الصَّحيح يأْمر بالمدافعة عن القوم، والأَحساب، والأَوطان، وينهى عن كلِّ ما ينافي ذلك". مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي، (١٤٩/٢٦)، وينظر: الموافقات، (١٧٧/٥-٢٠٠)، وإعلام الموقِّعين، (١٠٨/٣-١٢٦)، وبهجة قلوب الأَبرار وقرَّة عيون الأَخيار، (ص:١٩).

ومِنها: أَنَّ الخوفَ الطَّبيعِيَّ مِن الخَلقِ لا يُنافِي الإيمانَ ولا يُزيلُهُ، كمَا جَرى لأُمِّ مُوسَى، ولِموسَى مِن تلكَ المخاوِفِ.

ومِنها: أَنَّ الإيمانَ يَزيدُ وينقُصُ؛ لقولهِ: ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(١)؛ والمرادُ بالإيمانِ هُنا زِيادَتهُ، وزِيادةُ طُمأْنِينَتِهِ.

ومِنها: أَنَّ مِن أَعظمِ نِعمِ اللهِ على العَبدِ تَثبيتَ اللهِ لَهُ عندَ الْمُقْلِقاتِ والمخاوِفِ؛ فإِنَّهُ كمَا يَزدادُ بهِ إِيمانُهُ وثَوابُهُ فإِنَّهُ يَتمكَّنُ مِن القولِ الصَّوابِ، والفِعلِ الصَّوابِ، ويَبقَى رأْيُهُ وأَفكارُهُ ثَابتةً، وأَمَّا مَن لم يحصلْ لَهُ هذا الثَّباتُ؛ فإِنَّهُ لِقَلقهِ ورَوعِهِ يَضيعُ فِكرُهُ، ويَذهَلُ عَقلُهُ، ولا يَنتفعُ بنفسِهِ في تلكِ الحالِ(٢).

ومِنها: أَنَّ العبدَ وإِنْ عَرَفَ أَنَّ القَضاءَ والقَدَرَ حَقٌّ، وأَنَّ وَعْدَ اللهِ نافذٌ لا بدَّ مِنهُ، فإِنَّهُ لا يُهْمِلُ فعلَ الأَسبابِ التي تَنفعُ؛ فإِنَّ الأَسبابَ والسَّعيَ فِيها مِن قَدَرِ اللهِ؛ فإِنَّ اللهَ قد وَعَدَ أُمَّ مُوسَى أَنْ يَرُدَّهُ علَيها، ومعَ ذلكَ لَمَّا التقَطهُ آلُ فِرعونَ سَعَتْ بالأَسبابِ، وأَرسلتْ أُختَهُ لِتَقُصَّهُ، وتَعمَلَ الأَسبابَ المناسِبةَ لِتلكَ الحالِ.

ومِنها: جَوازُ خُروجِ المرأَةِ في حَوائِجِها، وتَكليمِها للرِّجالِ إِذا انتَفَى المحذورُ؛ كمَا صَنَعتْ أُختُ مُوسَى، وابنَتا صَاحبِ مَدْينَ(٣).

---

(١) القصص: ١٠

(٢) قال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص:١٠].

(٣) قال المؤلِّف رحمه الله: "وهذا الرَّجل، أَبو المرأَتين؛ صاحب مَدْيَن، ليس بشُعَيْب النَّبيِّ المعروف، كما اشتهر عند كثير مِن النَّاس، فإِنَّ هذا قول لم يدلَّ عليه دليل، وغاية ما يكون أَنَّ شُعَيْبًا عليه السلام، قد كانت بلده مَدْيَن، وهذه القضيَّة جَرَت في مَدْيَن، فأَين الملازمة بين الأَمرين؟.
وأَيضًا، فإِنَّه غير معلوم أَنَّ موسى أَدرَك زمان شُعَيب، فكيف بشخصه؟.
ولو كان ذلك الرَّجل شُعَيْبًا، لذكره الله -تعالى- ولسمَّته المرأَتان، وأَيضًا فإِنَّ شُعَيْبًا عليه الصلاة والسلام قد أَهلك اللهُ قومَه بتكذيبهم إِيَّاه، ولم يبق إِلَّا مَن آمن بهِ، وقد أَعاذ الله المؤمنين أَنْ يرضوا لبنتي نبيِّهم، بمنعهما عن الماء، وصدِّ ماشيتهما، حتَّى يأْتيهما رجل غريب فيحسِن إِليهما، ويَسقي ماشِيتَهما، وما كان شُعَيْبٌ ليرضى أَنْ يرعى مُوسَى عنده، ويكون خادمًا لَهُ، وهو أَفضل منه، وأَعلى درجة، والله أَعلم.
إِلَّا أَنْ يقال: هذا قبل نبوَّة موسى فلا منافاة، وعلى كلِّ حالٍ لا يُعتمد على أَنَّه شُعَيْب النَّبيُّ بغير نقل صحيح عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم". تيسير الكريم الرَّحمن، (ص:٦١٥)، وينظر: تفسير القرآن العظيم، (٦/٢٢٨-٢٢٩).

ومِنها: جَوازُ أَخذِ الأُجْرَةِ على الكَفَالةِ والرَّضاعِ؛ كمَا فعلتْ أُمُّ مُوسَى، فإِنَّ شَرعَ مَن قبْلَنا شَرعٌ لَنا، ما لَم يَرِدْ مِن شَرعِنا ما يَنسخُهُ[١].

ومِنها: أَنَّ قَتلَ الكافرِ الذي لَهُ عَهْدٌ بعَقدٍ، أَو عُرْفٍ لا يجوزُ؛ فإِنَّ مُوسَى ندِمَ على قَتلِهِ القِبطِيَّ[٢]، واستغفرَ اللهَ منهُ، وتابَ إِليهِ[٣].

و[٤] أَنَّ الذي يَقتُلُ النُّفوسَ بغيرِ حَقٍّ يُعَدُّ مِن الجبَّارِينَ الْمُفسِدِينَ في الأَرضِ؛ ولو كان غَرَضهُ مِن ذلكَ الإِرهابَ، ولو زعمَ أَنَّهُ مُصْلحٌ، حتَّى يَرِدَ الشَّرعُ بِما يُبيحُ قتلَ النَّفسِ[٥].

ومِنها: أَنَّ إِخبارَ الغَيرِ بِما قِيلَ فيهِ وعَنهُ على وجْهِ التَّحذيرِ لَهُ مِن شَرٍّ يَقعُ بهِ لا يكونُ نَميمةً، بلْ قد يكونُ واجبًا؛ كمَا ساقَ اللهُ خبرَ ذلكَ الرَّجلِ الذي جاءَ: ﴿مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾[٦]: محذِّرًا لموسَى على وجهِ الثَّناءِ عليهِ.

ومِنها: إِذا خافَ التَّلفَ بالقَتلِ بغيرِ حَقٍّ في إِقامتهِ في المواضعِ[٧]، فلا يُلقِي بيدِهِ إِلى التَّهلُكةِ ويَستسلمُ للهلاكِ، بل يَفِرُّ مِن ذلكَ الموضعِ -مَع القُدْرةِ- كمَا فعلَ مُوسَى[٨].

ومِنها: إِذا كان لا بُدَّ مِن ارتكابِ إِحدى مَفسَدَتَينِ تَعيَّنَ ارتكابُ الأَخفِّ منهُما الأَسْلمِ؛ دَفْعًا لَمَّا هو أَعظمُ وأَخطَرُ[٩]؛ فإِنَّ مُوسَى لَمَّا دارَ الأَمرُ بَيْنَ بَقائهِ في مصرَ، ولكنَّهُ يُقْتلُ، أَو ذهابِهِ إِلى بعضِ البلدانِ البعيدةِ -التي لا يَعرفُ الطَّرِيقَ إِليها، وليس معهُ دليلٌ يدلُّهُ غيرُ هِدايةِ ربِّهِ، ومعلومٌ أَنَّها أَرجَى لِلسَّلامَةِ، لا جَرمَ- آثرَهَا مُوسَى.

---

(١) بيان هذا: (ص:٦، ٦).

(٢) القِبطُ: طائفة بمصر قديمة، نُسبوا إلى قِبْط ابن قُوط بن حَام. ينظر: الأَنساب، للسَّمعاني، (٣٢٨/١٠)، واللُّباب في تهذيب الأنساب، لابن الأَثير، (١٣/٣)، ولبُّ اللُّباب في تحرير الأَنساب، للسُّيُوطي، (ص:٢٠٣).

(٣) قال ﷻ إخبارًا عن موسى ﵇: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [القصص:١٦].

(٤) "منها"، زيادة في: (س).

(٥) قال ﷻ: ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [القصص:١٩].

(٦) القصص: ٢٠

(٧) س: "موضع".

(٨) قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص:٢١].

(٩) سبق مرجع هذه القاعدة: (ص:٦).

ومِنها: فِيهِ تنبيهٌ لَطيفٌ على أَنَّ النَّاظرَ في العِلْمِ -عندَ الحَاجةِ إلى العَملِ أو التَّكلُّم بهِ- إذا لم يترجَّحْ عندَهُ أَحدُ القَولَينِ، فإنَّهُ يَستهدِي ربَّهُ، ويسأَلُهُ أَنْ يَهديَهُ إلى الصَّوابِ مِن القَولَينِ، بعدَ أَنْ يَقْصِدَ الحقَّ بقلبِهِ، ويَبحثَ عنهُ، فإنَّ اللهَ لا يُخيِّبُ مَن هذهِ حالُهُ؛ كمَا جرَى لموسَى لَمَّا قَصدَ ﴿تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾[1]، ولا يَدرِي الطَّرِيقَ الْمُعَيَّنَ إليها، ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[2]، وقد هَداهُ اللهُ، وأَعطاهُ ما رَجَاهُ وتمنَّاهُ.

ومِنها: أَنَّ الرَّحمةَ والإحسانَ على الخَلقِ -مَن عرَفهُ العَبدُ ومَن لا يَعْرِفهُ- مِن أَخلاقِ الأَنبياءِ، وأَنَّ مِن جُملةِ الإِحسانِ الإِعانَةَ على سَقْيِ الماشيةِ، وخُصوصًا إِعانةَ العاجزِ، كمَا فعلَ مُوسَى معَ ابنتَي[١٠٩] صاحِبِ مَدْينَ، حينَ سَقَى لَهمَا، لَمَّا رآهُما عاجِزتَينِ عن سَقْيِ ماشيتِهما قَبلَ صُدُورِ[3] الرُّعَاةِ.

ومِنها: أَنَّ اللهَ كمَا يُحِبُّ مِن الدَّاعِي أَنْ يَتوسَّلَ إليهِ بأَسمائهِ وصِفاتهِ، ونِعَمِهِ العامَّةِ والخاصَّةِ، فإنَّهُ يُحِبُّ منهُ أَنْ يَتوسَّلَ إليهِ بضَعفِهِ وعَجْزِهِ وفَقْرِهِ، وعدمِ قُدرتهِ على تحصيلِ مَصالحِهِ، ودفعِ الأَضرارِ عن نفسِهِ؛ كمَا قالَ مُوسَى: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[4]؛ لِما في ذلكَ مِن إِظهارِ التَّضرُّعِ والمسْكَنةِ، والافتقارِ لِلهِ الذي هو حَقيقةُ كُلِّ عَبدٍ[5].

ومِنها: أَنَّ الحَياءَ، والْمُكافأَةَ على الإِحسانِ لم يزلْ دَأْبَ الأُممِ الصَّالِحِينَ[6].

ومِنها: أَنَّ العبدَ إذا عملَ العَملَ للهِ خالِصًا، ثُمَّ حصلَ لَهُ[7] مُكافأَةٌ عليهِ بغيرِ قصدِهِ فإنَّهُ لا يُلامُ على ذلكَ، ولا يُخِلُّ بإِخلاصهِ وأَجرِهِ، كمَا قَبِلَ مُوسَى مُكافَأَةَ صاحبِ مَدْينَ عن معروفِهِ

(١) القصص: ٢٢

(٢) الآية السَّابقة.

(٣) صُدُوْرُ الرُّعَاة: رجوعهم، وانصرافهم بمواشيهم مِن سقي الماء. ينظر: غريب القرآن، لابن قُتَيْبَة، (ص:٣٣٢)، ومَعَالم التَّنزيل، (٥٢٩/٣)، ولسان العرب، مادَّة: (صدر).

(٤) القصص: ٢٤

(٥) قال ﷻ إخبارًا عن أَيُّوب عليه السلام: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣].

(٦) قال ﷻ إخبارًا عن بنت صاحب مَدْيَن: ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص:٢٥].

(٧) س: "به".

الذي لم يَطلبْهُ، ولم يَسْتَشْرفْ لَهُ على مُعَاوَضةٍ(١).

ومِنها: جَوازُ الإِجارةِ على كلِّ عَملٍ مَعلُومٍ؛ في نَفعٍ مَعلومٍ، أَو زَمنٍ مُسمًّى، وأَنَّ مَردَّ ذلكَ إِلى العُرفِ(٢).

وأَنَّهُ تجوزُ الإجارةِ وتكونُ المنفعةُ البُضْع(٣)؛ كمَا قالَ صاحبُ مَدْيَنَ: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ﴾(٤).

وأَنَّهُ يجوزُ للإنسانِ أَنْ يَخطِبَ الرَّجلَ لابنتِهِ، ونحوِها مِمَّن هو وَليٌّ علَيها، ولا نَقصَ في ذلكَ، بلْ قد يَكونُ نَفعًا وكَمالًا؛ كمَا فعلَ صاحبُ مَدْينَ معَ مُوسَى(٥).

ومِنها: قولُهُ: ﴿إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾(٦)، هذانِ الوصْفانِ بِهِما تمامُ الأَعمالِ كلِّها؛ فكلُّ عَملٍ مِن الوِلاياتِ أَو مِن الخِدْماتِ أَو مِن الصِّناعاتِ، أَو مِن الأَعمالِ التي القَصدُ مِنها الحِفظُ والْمُراقبةُ على العُمَّالِ والأَعمالِ إِذا جَمعَ الإِنسانُ الوصْفَينِ: -

- أَنْ يكونَ قَوِيًّا على ذلكَ العَملِ؛ بحسَبِ أَحوالِ الأَعمالِ.

- وأَنْ يكونَ مؤتَمَنًا عَليهِ-.

تَمَّ ذلكَ العَملُ، وحَصلَ مقصودُهُ، وثمرتُهُ، والخَللُ والنَّقصُ سببُهُ الإِخلالُ بِهما أَو بأَحدِهِما.

ومِنها: مِن أَعظمِ مَكارمِ الأَخلاقِ تحسِينُ الخُلقِ معَ كلِّ مَن يتَّصلُ بكَ؛ مِن خَادمٍ وأَجيرٍ، وزَوجةٍ وولدٍ، ومُعاملٍ وغيرِهم، ومِن ذلكَ تخفيفُ العَملِ عن العامِلِ؛ لقولِهِ: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ

(١) كما في الآية السَّابقة.

(٢) سبق تعريف العُرف، (ص:٦).

قال جَلَّ إخباراً عن صاحب مَدْيَن: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القصص:٢٧].

(٣) سبق بيان معناه: (ص:٦).

(٤) القصص: ٢٧

(٥) الوليُّ النَّاصح الحكيم يستطيع أَنْ يخطِب لابنته مَن يصلح لها بطُرق كثير؛ مِن التَّصريح والتَّلميح، وبطلبٍ مِن صديق يشير ويُرغِّب شَخصًا بالخِطبة، وغير ذلك مِمَّا يتحقَّق به المقصود، ويحفظ للبنت كرامَتها، وقدرَها، ومكانَتها.

(٦) القصص: ٢٦

عَلَيْكَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[١].

وفيهِ أَنَّهُ لا بأْسَ أَنْ يُرَغِّبَ المعامِلُ في معامَلتِهِ بالمعاوَضَاتِ[٢] والإجاراتِ؛ بأَنْ يَصِفَ نفسَهُ بِحُسْنِ الْمُعامَلةِ، بشرطِ أَنْ يكونَ صَادِقًا في ذلكَ[٣].

ومِنها: جوازُ عَقدِ الْمُعامَلاتِ؛ مِن إجارةٍ وغيرِها بغيرِ إشهادٍ؛ لقولِهِ: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾[٤].

وتقدَّمَ أَنَّ الإِشهادَ بهِ[٥] تَنْحَفِظُ بهِ الحُقوقُ، وتَقِلُّ الْمُنازَعاتُ[٦]، والنَّاسُ في هذا الموضعِ درجاتٌ مُتفاوتةٌ، وكذلكَ الحُقوقُ.

ومِنها: الآياتُ البيِّناتُ التي أَيَّدَ اللهُ بِها مُوسَى مِن:

- انقلابِ عصاهُ التي كان يعرِفُها: ﴿حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾[٧]، ثُمَّ عَوْدُها إلى[٨]: ﴿سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾[٩].

- وأَن يَدَهُ إذا أَدخلَها في جَيْبِهِ[١٠] ثُمَّ أَخرجَها صارتْ: ﴿بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾[١١] للنَّاظِرِينَ.

- ومِن عِصْمةِ[١٢]، وحمايتِهِ لموسَى وهارونَ مِن فِرعَونَ ومَلَئِهِ[١٣].

---

(١) القصص: ٢٧

(٢) سبق تعريفها: (ص:٦).

(٣) قال ﷻ إخبارًا عن صاحب مَدْيَن: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القصص:٢٧].

(٤) القصص: ٢٨

(٥) "به"، ليست في: (س)، وبدونها أسلم للسِّياق.

(٦) سبق ذلك: (ص:٦).

(٧) طه: ٢٠

(٨) "إلى"، ليست في: (س).

(٩) طه: ٢١

(١٠) الجَيْبُ: "فتح الجُبَّة مِن حيث يُخرج الإِنْسان رأْسَه". التَّسهيل لعلوم التَّنزيل، (٢/١١٣)، والبحر المحيط، (٨/٣٠٢).

(١١) القصص: ٣٢

﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾: أَيْ: مِن غير برص. ينظر: جامع البيان، (١٨/٢٩٧)، وتفسير القرآن العظيم، (٣/٤٥٥).

(١٢) س: "رحمة".

(١٣) قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الصافات:١١٤-١١٥].

- ومِن انْفِلاقِ البحرِ لَمَّا ضَرَبَهُ مُوسَى بعَصَاهُ؛ فصَارَ اثْني عَشَرَ طَرِيقًا، وسَلَكَهُ هَؤلاءِ فنَجَوا، وقومُ فرعونَ فهَلَكوا(١).

وغيرِ ذلكَ مِن الآياتِ الْمُتَتَابِعاتِ(٢)؛ التي هي بَراهينُ وآياتٌ لِمَن رَآها وشَاهدَها، وبَراهِينُ لِمَن سَمِعَها؛ فإنَّها نَقَلتْها مُعظمُ مَصادرِ اليَقينِ؛ الكُتبُ السَّماويَّةُ، ونَقَلتْها القُرونُ كلُّها، ولم يُنْكِرْ مثلَ هذهِ الآياتِ إِلَّا جاهلٌ مُكابرٌ زِنْدِيقٌ(٣)، وجَميعُ آياتِ الأَنبياءِ بِهذهِ الْمَثابَةِ.

ومِنها: أَنَّ آياتِ الأَنبياءِ، وكَراماتِ الأَولياءِ، وما يَخْرُقُهُ اللهُ مِن الآياتِ، ومِن تَغْيِيرِ الأَسبابِ، أَو مَنعِ سَبَبِيَّتِها، أَو احتياجِها إِلى أَسبابٍ أُخرَ، أَو وجودِ موانعَ تَعوقُها(٤) هي مِن البَراهِينِ العَظيمةِ على وَحدانيَّةِ اللهِ، وأَنَّهُ على كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ.

وأَنَّ أَقدارَ اللهِ لا يَخرجُ عنها حادثٌ جَليلٌ ولا حَقِيرٌ، وأَنَّ هذهِ الْمُعجزاتِ والكَرَامَاتِ والتَّغْيِيراتِ لا تُنافي ما جعلَ اللهُ -تعالى-(٥) في هذهِ المخلوقاتِ مِن الأَسبابِ الْمَحسُوسةِ، والنِّظاماتِ(٦) المعهودَةِ، وإِنكَ لا تجدُ لسُنَّةِ اللهِ تبديلًا ولا تحويلًا(٧)؛ فإِنَّ سُنَنَ اللهِ في جميعِ الحوادِثِ السَّابقةِ[١١٠] واللَّاحقَةِ قِسمانِ:

أَحدُهما: وهو جُمهورُ الحَوادثِ، والكَائناتِ، والأَحكامِ الشَّرعيَّةِ، والقَدَرِيَّةِ، وأَحكامِ الجَزاءِ لا تتغيَّرُ، ولا تَتبدَّلُ عمَّا يَعهَدُهُ النَّاسُ، ويَعرِفُونَ أَسبابَهُ.

وهذا القِسْمُ -أَيضًا- مُنْدَرِجٌ في قُدْرةِ اللهِ وقَضائِهِ.

ويُستفادُ مِن هذا العِلْمُ بكمالِ حِكمَةِ اللهِ في خَلقِهِ، وشَرعِهِ.

---

(١) قال ﷻ: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴾ [الشعراء:٦٣-٦٦].

(٢) قال تبارك وتعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَـٰتٍ مُّفَصَّلَـٰتٍ ﴾ [الأعراف:١٣٣].

(٣) سبق تعريفه: (ص:٦).

(٤) ومِن ذلك: "ما أَجرى الله على يد موسى مِن الآيات البيِّنات، والمعجزات الظَّاهرة، مِن الحيَّة، وانقلاب يده بيضاء مِن غير سُوء، ومَن عِصمَة الله لموسى وهارون، مِن فرعون، ومِن الغَرق". تيسير الكريم الرَّحمن، (ص:٦١٩).

(٥) "تعالى"، ليست في: (س).

(٦) سبق بيانها: (ص:٦).

(٧) قال ﷻ: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر:٤٣].

وأَنَّ الأَسبابَ والْمُسَبَّبَاتِ مَن سَلكَ طُرُقَها على وجهٍ كاملٍ أَفْضتْ بهِ إلى نَتائِجِها وثمراتِها، ومَنْ لم يَسْلُكْهَا أَو سَلكَها على وجهٍ ناقصٍ لم يحصلْ لَهُ الثَّمراتُ التي رُتِّبَتْ على الأَعمالِ شَرْعًا ولا قَدَرًا، وهذهِ توجِبُ للعبدِ أَنْ يَجِدَّ ويَجتهِدَ في الأَسبابِ الدِّينيَّةِ والدُّنيَويَّةِ النَّافعةِ معَ استعانتهِ باللهِ، والثَّناءِ على ربِّهِ في تَيسيرِها، وتَيسيرِ أَسبابِها وآلاتِها، وكلِّ ما تَتوقَّفُ عليهِ.

والقِسمُ الثَّاني: حَوادثُ مُعجزاتِ الأَنبياءِ، التي تَواترتْ تَواتُرًا لا يَتواترُ مثلُهُ في جميعِ الأَخبارِ، وتَناقلَتْها القُرونُ كلُّها.

وكذلكَ ما يُكرِمُ اللهُ بهِ عِبادَهُ مِن إجابةِ الدَّعواتِ، وتَفريجِ الكُرُباتِ، وحُصولِ المطالِبِ المتنوِّعةِ، ودفعِ المكارِهِ التي لا قُدرةَ للعبدِ على دَفعِها، والفُتوحاتِ الرَّبانيَّةِ، والإلهامَاتِ الإلهيَّةِ، والأَنوارِ التي يَقذِفُها اللهُ في قُلوبِ خَواصِّ خَلقِهِ، فَيَحصُلُ لهم بذلكَ مِن اليَقِينِ والطُّمأْنِينَةِ، والعلومِ المتنوِّعةِ ما لا يُدرَكُ بمجرَّدِ الطَّلَبِ، وفعلِ السَّببِ، ومِن نصرِهِ للرُّسلِ وأَتباعِهم، وخُذلانهِ لأَعدائِهِم، وهو مُشاهدٌ في كَثيرٍ مِن الأَوقاتِ.

فهذا القِسْمُ ليسَ عندَ الخَلْقِ اهتداءٌ إلى أَسبابِ هذهِ الحَوادثِ، ولا جُعلَ لهم في الأَصلِ وُصولٌ إلى حَقيقَتِها وكُنْهِها، وإنَّما هي حَوادثُ قدَّرها الرَّبُ العظيمُ، الذي هو على كلِّ شَيءٍ قديرٌ، بأَسبابٍ وحِكمٍ وسُننٍ لا يعقِلُها الخَلقُ، ولا لحِواسِّهِم وتجارِبِهم وصولٌ إليها بوجْهٍ[1]، وبِها آمنَ الرُّسُلُ مِن أَوَّلِهم إلى آخِرِهم، وأَتْباعُهُم الأَوَّلونَ منهُم والآخِرونَ، وبِها يُعرَفُ عَظمةُ البَاري، وأَنَّ نَواصيَ العِبادِ بِيَدِهِ، وأَنَّهُ ما شاءَ اللهُ كانَ، وما لم يَشأْ لم يَكُنْ، ويُعرَفُ بذلكَ صِحَّةُ ما جاءتْ بهِ الرُّسُلُ، كمَا يُعرَفُ -أَيضًا- بالقِسْمِ الأَوَّلِ.

وكمَا أَنَّهُ لا سَبِيلَ إلى العِبادِ في هذهِ الدَّارِ إلى إدراكِ كُنْهِ[2] صِفاتِ اليَومِ الآخِرِ، وكُنْهِ ما في الجنَّةِ والنَّارِ -وإنَّما يَعلمونَ مِنها ما عَلَّمتْهُم بهِ الرُّسلُ، ونَزلَتْ بهِ الكُتُبُ، ولا سَبيلَ إلى أَهلِ هذا الكَونِ الأَرضيِّ لِلوصولِ إلى العالَمِ السَّماويِّ، ولا سَبيلَ لهُم إلى إحياءِ الموتَى، وإيجادِ الأَرواحِ في الجَماداتِ -فكذلِكَ هذا النَّوعُ العظيمُ مِن حَوادثِ الكَونِ.

وإنَّما أَطلْنا الكلامَ على هذهِ المسأَلةِ -وإنْ كانتْ تَستحِقُّ مِن البَسْطِ أَكثرَ مِن هذا-

---

(١) "مِن الوجوه"، زيادة في: (س).

(٢) سبق تعريفه: (ص:٦٠).

لأَمرينِ:

الأَوَّلُ: أَنَّ الزَّنادِقةَ(١) المتأَخِّرينَ الذين أَنكرُوا وجودَ الباري، وأَنكرُوا جميعَ ما أَخبرتْ بهِ الرُّسلُ والكتُبُ السَّماويَّةُ؛ مِن أُمورِ الغَيبِ، ولم يُثْبِتوا مِن العُلومِ إِلَّا ما وصَلَتْ إِليهِ حَواسُّهُم، وتَجارِبُهُم القَاصِرةُ على بعضِ عُلومِ الكَونِ، وأَنكَروا ما سِوى ذلكَ، وزعمُوا أَنَّ هذا العَالَمَ وهذا النِّظامَ الموجودَ فيهِ لا يمكنُ أَنْ يُغيِّرَهُ مُغيِّرٌ، أَو يُغيِّرَ شيئًا مِن أَسبابِهِ، وأَنَّهُ وُجِدَ صُدفةً مِن غيرِ إِيجادِ مُوْجِدٍ، وأَنَّهُ آلةٌ تَمشِي بنفسِها وطَبيعتِها، ليس لها مُدَبِّرٌ، ولا رَبٌّ، ولا خالِقٌ(٢).

وهؤلاءِ جميعُ أَهلِ الأَديانِ يَعرفونَ مُكابَرتَهُم ومُباهَتَتَهُم(٣)؛ لأَنَّهُم كَما عُدِمُوا الدِّينَ بالكُلِّيَّةِ فقد اختلَّتْ عُقولُهُم الحَقيقةُ؛ إِذ أَنكروا أَجْلَى الحقائقِ وأَوضَحَها، وأَعظَمُها آياتٌ وبَراهينُ(٤)، وتَاهوا بعقولِهِم القَاصِرةِ، وآرائِهِم الفَاسِدةِ، هؤلاءِ أَمرُهُم مَعلُومٌ، ولكنْ:

الأَمرُ الثَّاني: أَنَّ بعضَ أَهلِ العِلْمِ العَصرِيِّيْنَ الذين يَتظاهَرونَ بِنَصرِ الإِسلامِ، والدُّخولِ معَ هؤلاءِ الزَّنادِقَةِ في الجِدالِ عنهُ يريدونَ باجتهادِهِم أَو اغترارِهِم أَنْ يُطَبِّقوا السُّننَ الإِلهيَّةَ، وأُمورَ الآخِرةِ على ما يَعرفُهُ العِبادُ بِحَواسِّهِم، ويدركونَهُ بتجارِبِهِم، فحرَّفوا لذلكَ المعجزاتِ، وأَنكروا الآياتِ البَيِّناتِ، ولم يستفيدوا إِلَّا الضررَّ على أَنفسِهِم، وعلى مَن قرأَ كِتاباتِهِم في هذهِ الْمَباحثِ؛ إِذ ضَعُفَ إِيمانُهُم باللهِ[١١١] بتحريفِهِم لِمعجزاتِ الأَنبياءِ تَحرِيفًا يَؤولُ إِلى إِنكارِها(٥)، وإِنكارِهِم هذا النَّوعَ العَظيمَ مِن قَضاءِ اللهِ وقَدَرِهِ.

وضَعُفَ إِيمانُ مَن وقَفَ على كلامِهِم مِمَّن ليسَتْ لَهُ بَصِيرةٌ، ولا عِندَهُ مِن العُلومِ الدِّينيَّةِ ما يُبْطِلُ هذا النَّوعَ، ولم يحصلْ ما زعموهُ مِن جلبِ المادِّيِّيْنَ إِلى الهُدى والدِّينِ، بلْ زادُوهُم إِغراءً في مَذاهِبِهِم لَمَّا رأَوا أَمثالَ هؤلاءِ يُحاولونَ إِرجاعَ النُّصوصِ الدِّينيَّةِ، ومُعجزاتِ الأَنبياءِ، وأُمورِ الغيبِ إِلى علومِ هؤلاءِ القَاصِرةِ على التَّجارِبِ المدرَكاتِ بالحَواسِّ.

---

(١) سبق تعريفها: (ص:٦)

(٢) سبق القائلون بهذا وأَشهر مَن يقصِدهم المؤلِّف رحمه الله: (ص:٦)

(٣) سبق تعريفها: (ص:٦)

(٤) س: "براهين وآيات".

(٥) سبق أَشهر مَن يقصِدهم المؤلِّف رحمه الله: (ص:٦).

فَيَا عِظَمَ المصيبةِ!، ويا شِدَّةَ الجُرْمِ الْمُزَوَّقِ(١)!

ولكنَّ ضَعفَ البَصيرةِ، والإعجابَ بزنادِقَةِ الدَّهْرِيِّيْنَ أَوجبَ الخُضوعَ لأَقوالِهم، فلا حولَ ولا قُوةَ إِلَّا باللهِ.

ومِنها: أَنَّ مِن أَعظمِ العُقوباتِ على العبدِ أَنْ يكونَ إمامًا في الشَّرِّ، ودَاعيًا إِليهِ، كمَا أَنَّ مِن أَعظمِ نِعمِ اللهِ على العَبدِ أَنْ يجعلَهُ إمامًا في الخيرِ هَادِيًا مَهدِيًّا، قالَ -تعالى- في فِرْعَونَ وَمَلَئِهِ: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾(٢)، وقالَ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾(٣).

ومِنها: ما في هذهِ القِصَّةِ مِن الدِّلالةِ على رِسالةِ محمَّدٍﷺ إِذْ أَخبرَ بهذهِ القِصَّةِ وغيرِها خبَرًا مُفصَّلًا مُطابِقًا، وتَأْصِيلًا مُوافِقًا، قَصَّهُ قَصًّا صَدَّقَ بهِ المرسلِينَ، وأَيَّدَ بهِ الحقَّ الْمُبِينَ(٤)، وهو لم يَحضرْ في شَيءٍ مِن تلكَ المواضعِ، ولا دَرَسَ شيئًا عَرَفَ بهِ أَحوالَ هذهِ التَّفصِيلاتِ، ولا [جَالسَ](٥) وأَخذَ عن أَحدٍ مِن أَهلِ العِلْمِ، إِنْ هو إِلَّا رِسالةُ الرَّحمنِ الرَّحيمِ، ووحْيٌ أَنْزَلَهُ عليهِ الكَريمُ المنَّانُ؛ لِيُنْذِرَ بهِ العبادَ أَجمعينَ، ولهذا يقولُ في آخرِ هذهِ القِصَّةِ: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ﴾(٦)، ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾(٧)، ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾(٨)، وهذا نوعٌ مِن أَنواعِ بَراهِينِ رسالَتهِ.

ومِنها: -ذَكَرَ كثيرٌ مِن أَهلِ العِلْمِ- أَنَّهُ يُستفادُ مِن قولِهِ -تعالى- عن جوابِ مُوسَى لربِّهِ لَمَّا سأَلَهُ عن العَصَا، فقال: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾(٩)، استحبابُ استِصحابِ العَصَا؛ لَمَّا فيهِ مِن هذهِ المنافعِ الْمُعَيَّنَةِ،

---

(١) التَّزْوِيقُ: التَّزْيين والتَّحْسين. ينظر: القاموس المحيط، وتاج العَرُوس، مادَّة: (زوق).

(٢) القصص: ٤١

س: "يهدون إلى النَّار"، والصَّواب: ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾.

(٣) السجدة: ٢٤

(٤) قال ﷻ: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات:٣٧].

(٥) خ: "مجالسته"، وس: "جالس"، وهي أَليق بالسِّياق.

(٦) القصص: ٤٦

(٧) القصص: ٤٤

(٨) القصص: ٤٥

(٩) طه: ١٧-١٨

=

والْمُجْمَلةِ في قَولِهِ: ﴿مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ﴾[(١)].

وأَنَّهُ يُستفادُ مِنها -أَيضًا- الرَّحمةُ بالبَهائمِ، والإِحسانُ إِليها، والسَّعيُ في إِزالةِ ضَررِها[(٢)].

ومِنها: أَنَّ قولَهُ تعالَى[(٣)]: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾[(٤)]؛ أَيْ: أَنَّ ذِكْرَ العبدِ لربِّهِ هو الذي خُلقَ لَهُ العَبدُ، وبهِ صلاحُهُ وفلاحُهُ، وأَنَّ المقصودَ مِن إِقامةِ الصَّلاةِ إِقامةُ هذا المقصودِ الأَعظمِ، ولولا الصَّلاةُ التي تَتكرَّرُ على المؤْمنِينَ في اليَومِ واللَّيلةِ لِتُذكِّرَهُم باللهِ، ويَتعاهدُونَ فِيها قِراءةَ القُرآنِ، والثَّناءَ على اللهِ، ودعائِهِ، والخُضوعَ لَهُ -الذي هو رُوح الذِّكرِ- لولا هذهِ النِّعمةُ لكانوا مِن الغَافِلِينَ[(٥)].

وكمَا أَنَّ الذِّكرَ هو الذي خُلقَ الخَلقُ لأَجلِهِ -والعِباداتُ كلُّها ذِكرٌ للهِ- فَكذلكَ الذِّكرُ يُعينُ العَبدَ على القِيامِ بالطَّاعاتِ وإِنْ شَقَّتْ، ويُهوِّنُ عليهِ الوُقوفَ بيْنَ يدي الجَبابِرةِ، ويُخفِّفُ عليهِ الدَّعوةَ إِلى اللهِ، قالَ -تعالى- في هذهِ القِصَّةِ: ﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا﴾[(٦)]، وقالَ: ﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي﴾[(٧)].

ومِنها: إِحسانُ مُوسَىﷺ على أَخيهِ هَارونَ، إِذْ طَلبَ مِن ربِّهِ أَنْ يكونَ نَبيًّا معهُ، وطَلبَ الْمُعاونَةَ على الخيرِ والْمُساعدَةَ عليهِ[(٨)]، إِذْ قالَ: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي

س: لم يذكر قولهﷻ: ﴿وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ﴾، واكتفى بقوله: "الآية".

(١) طه: ١٨

قال البَغَويُّ؇: "وأَراد بالمآرب: ما يُستعمل فيه العصا في السَّفر، فكان يَحمل بها الزَّاد، ويَشدُّ بها الحبل؛ فيستقي الماء مِن البئر، ويَقتل بها الحيَّات، ويُحارب بها السِّباع، ويَستظلُّ بها إذا قعد، وغير ذلك". مَعَالم التَّنزيل، (٣/٢٥٩).

(٢) كما فعل موسى؈ بضرب الشَّجر بالعصا؛ ليسقط ما تأْكله الغنم. ينظر: جامع البيان، (١٨/٢٩٢)، والتَّسهيل لعلوم التَّنزيل، (٢/٧)، وتفسير القرآن العظيم، (٥/٢٧٩).

(٣) س: "جلَّ ذكره".

(٤) طه: ١٤

(٥) قالﷻ: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:٢٠٥].

(٦) طه: ٣٣-٣٤

(٧) طه: ٤٢

(٨) قال ابن كثير؇: "قال بعض السَّلف: ليس أَحد أَعظم منَّة على أَخيه، مِن موسى على هَارُون؊ فإنَّه شفع فيه حتَّى جعله الله نبيًّا ورسولًا معه إلى فرعون وملئه، ولهذا قال الله -تعالى- في حقِّ موسى: ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا﴾ [الأحزاب:٦٩]". تفسير القرآن العظيم، (٦/٢٣٦).

﴿وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣١﴾[1].

ومِنها: أَنَّ الفَصَاحةَ والبَيانَ مِمَّا يُعِينُ على التَّعليمِ، وعلى إِقامةِ الدَّعوةِ؛ لِهذا طَلَبَ مُوسَى مِن ربِّهِ أَنْ يَحُلَّ[2] عُقْدَةً مِن لِسانِهِ لِيفْقَهُوا قولَهُ، وأَنَّ اللُّثْغَةَ[3] لا عَيْبَ فِيها إذا حَصَلَ الفَهمُ لِلكَلامِ.

ومِن كمالِ أَدبِ مُوسَى معَ ربِّهِ أَنَّهُ لم يَسأَلْ زَوالَ اللُّثْغَةِ كُلِّها[١١٢]، بلْ سأَلَ إِزالةَ ما يَحصُلُ بهِ الْمَقصُودُ[4].

ومِنها: أَنَّ الذي يَنبغِي في مُخَاطَبةِ الملوكِ والرُّؤسَاءِ ودعوتِهِم وموعِظتِهِم: الرِّفْقُ والكَلامُ اللَّيِّنُ الذي يحصلُ بهِ الإِفهامُ بلا تَشويشٍ ولا غِلظةٍ، وهذا يُحتاجُ إِليهِ في كلِّ مَقامٍ، لكنَّ هذا أَهمُّ المواضعِ؛ وذلكَ لأَنَّهُ الذي يَحصلُ بهِ الغَرضُ المقصودُ[5]، وهو قولُهُ: ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾[6].

---

(١) طه: ٢٩-٣٢

(٢) س: "يحلَّ".

(٣) اللُّثْغَةُ: "ثِقَلُ اللِّسان بالكلام". تهذيب اللُّغة، ولسان العرب، مادَّة: (لثغ).

(٤) قال ابن كثيرﷺ: "وما سأَل أَنْ يزول ذلك بالكُلِّيَّة، بل بحيث يزول العِيُّ، ويحصل لهم فهم ما يريد منه، وهو قدر الحاجة، ولو سأَل الجميع لزال، ولكنَّ الأَنبياء لا يسأَلون إِلَّا بحسب الحاجة، ولهذا بقيت بقيَّة، قال الله –تعالى– إِخبارًا عن فرعون أَنَّه قال: ﴿أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف:٥٢]، أَيْ: يُفصِح بالكلام". تفسير القرآن العظيم، (٥/٢٨٢).

(٥) وفيه امتثال أَمر الله، وبعدٌ عن المضايقة، واستمرار للدَّعوة، ونماء لها، وبعكس ذلك يحصل الضَّرر العامُّ والخاصُّ.

(٦) طه: ٤٤

ومِنها: أَنَّ مَن كانَ في طَاعةِ اللهِ، مُستعينًا باللهِ، واثقًا بوعدِ اللهِ، رَاجيًا ثَوابَ اللهِ، فإنَّ اللهَ مَعهُ، ومَن كانَ اللهُ مَعهُ فلا خَوفَ عليهِ، لقولِهِ تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[1]، وقالَ تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾[2].

ومِنها: أَنَّ أَسبابَ العَذابِ مُنحَصِرةٌ في هذينِ الوَصْفَينِ: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾[3]؛ أَيْ: كذَّبَ خبَرَ اللهِ وخبَرَ رُسُلِهِ، وتولَّى عن طَاعةِ اللهِ وطَاعةِ رُسُلِهِ، ونَظيرُها قولُهُ تعالى: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى (١٥) ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾[4].

ومِنها: أَنَّ قولَهُ تعالى: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾[5]، استوعبَ اللهُ بِها الأَسبابَ التي تُدْرَكُ بِها مَغفِرةُ اللهِ:

أَحدُها: التَّوبةُ، وهو الرُّجوعُ عمَّا يَكْرَهُهُ اللهُ ظاهرًا وباطنًا إلى ما يُحِبُّهُ اللهُ ظاهرًا وباطنًا، وهي تَجُبُّ ما قبلَها مِن الذُّنوبِ صِغارِها وكِبارِها.

الثَّاني: الإيمانُ، وهو الإقرارُ والتَّصديقُ الجازمُ العامُّ بكلِّ ما أَخبَرَ اللهُ بهِ ورَسولُهُ، الْمُوجِبُ لأَعمالِ القُلوبِ، ثُمَّ تَتبَعُها أَعمالُ الجَوارِحِ.

ولا رَيبَ أَنَّ ما في القَلبِ مِن الإيمانِ باللهِ وكُتبهِ، ورُسلِهِ واليومِ الآخرِ الذي لا رَيْبَ فِيهِ، أَصلُ الطَّاعاتِ، وأَكبرُها وأَساسُها، ولا رَيبَ أَنَّهُ بحسَبِ قُوَّتهِ يَدفعُ السَّيئاتِ؛ يَدفعُ ما لم يَقعْ؛ فيمنعُ صاحِبَهُ مِن وُقوعِهِ، ويَدفعُ ما وَقعَ بالإتيانِ بما يُنافيهِ، وعَدَمِ إِصرارِ القَلبِ عَليهِ؛ فإِنَّ المؤمِنَ ما في قَلبِهِ مِن الإيمانِ ونُورِهِ لا يُجامِعُ المعاصِي[6].

الثَّالثُ: العَملُ الصَّالحُ، وهذا شَاملٌ لأَعمالِ القُلوبِ، وأَعمالِ الجَوارِحِ، وأَقوالِ اللِّسانِ،

---

(١) طه: ٤٦

(٢) التوبة: ٤٠

(٣) طه: ٤٨

(٤) الليل: ١٥-١٦

(٥) طه: ٨٢

(٦) قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥].

والحَسناتُ يُذهِبنَ السَّيئاتِ(١).

الرَّابعُ: الاستمرارُ على الإيمانِ، والهِدايةِ، والازديادِ مِنها.

فمَن كمَّلَ هذهِ الأَسبابَ الأَربعةَ فَلْيَبْشَرْ(٢) بمغفرةِ اللهِ العامَّةِ الشَّاملةِ؛ ولهذا أَتى فِيهِ بوصْفِ المبالغةِ فقالَ: ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ**﴾(٣).

ولْنكتفِ مِن قِصَّةِ مُوسَى بهذهِ الفوائدِ، معَ أَنَّ فِيها فوائدَ كَثيرةً لِلمُتأَمِّلِينَ.

---

(١) قالَ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

(٢) سبق معناها: (ص:٦، ٦).

(٣) طه: ٨٢

قِصَّةُ يُونُسَ ﷺ

[١]مِن أَنْبياءِ بَنِي إِسرائيلَ العِظامِ، بعثَهُ اللهُ إِلى أَهلِ نِيْنَوَى[٢] -مِن أَرضِ الْمَوْصِلِ[٣]- فدعَاهُم إِلى اللهِ -تعالى- فأَبَوا عليهِ، ثُمَّ كرَّرَ عليهِم الدَّعوةَ فأَبَوا، فوَعدَهُم العذابَ.

وخَرجَ مِن بَينِ أَظهُرِهِم، ولم يَصبِرْ الصَّبرَ الذي ينبغِي، ولكنَّهُ أَبَقَ[٤] مُغاضِبًا لهُم.

وهُم لَمَّا ذهبَ نبيُّهُم أُلقِيَ في قُلوبِهِم التَّوبةُ إِلى اللهِ والإِنابَةُ؛ بعدما شَاهَدوا مقدِّماتِ العَذَابِ، فكشَفَ اللهُ عنهُم العذابَ[٥].

والظَّاهرُ أَنَّ يُونسَ علِمَ انكشافَ العَذابِ عنهُم، واستمرَّ في ذَهابِهِ عَنهُم[٦]؛ ولِهذا قال تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾[٧]، وقال تعالى: ﴿إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾[٨]، فركِبَ في سَفينةٍ مُوْقِرَةٍ[٩] مِن الرُّكَّابِ والأَحْمالِ، فلمَّا توسَّطُوا البَحرَ شَارفتْ على الغَرقِ، ودَارَ الأَمرُ بيْنَ أَنْ يَبقَوا جميعًا فِيها فيَهلِكوا، وبيْنَ أَنْ يُلْقُوا بعضَهُم بمقدارِ ما تَخِفُّ السَّفينةُ فيسْلمُ البَاقونَ، فاختارُوا الأَخِيرَ؛ لِعَدْلِهم، وتَوفيقِهِم[١٠][١١٣].

---

(١) "وهو"، زيادة في: (س).

(٢) نِيْنَوَى: إحدى الأَماكن المهمَّة في العراقِ، وذات شهرة تاريخيَّة، وتقع على الضِّفَّة الشَّرقيَّة لنهر "دِجْلَة"، إلى الشَّرق الجنوبيِّ من مدينة "الْمَوْصِل"، وكان منها نبيُّ الله يونس بن متَّى. ينظر: مُعْجَم البُلدان، (٣٣٩/٥)، ومُعْجَم الْمَعَالم الجغرافيَّة، (ص:٣٢٣)، نينوى/ ar. wikipedia. org.

(٣) سبق التَّعريف بها: (ص:٦).

(٤) سبق تعريفه: (ص:٦).

(٥) قال ﷻ: ﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾ [يونس:٩٨].

(٦) قال ابن تيميَّة ﷺ: "وقد رُوي أَنَّ يونس ﷺ ندم على ارتفاع العذاب عن قومه بعد أَنْ أَظلَّهم، وخاف أَنْ يَنسِبوه إلى الكذب فغاضب". مَجْمُوع الفَتاوَى، (٢٨٦/١٠)، وينظر: جامع البيان، (٥١١/١٨)، ومَعَالم التَّنزيل، (٣١٣/٣).

(٧) الأنبياء: ٨٧

(٨) الصافات: ١٤٠

(٩) الْوِقْرُ: الْحِمْلُ، "ويقال نخلة مُوَقَّرَةٌ ومُوقِرٌ، أي: ذات حَمْلٍ كثير". مقاييس اللُّغة، وينظر: مُختار الصِّحاح، مادَّة: (وقر).

(١٠) تقدَّم كلام المؤلِّف ﷺ على قاعدة المصالح والمفاسد وتزاحمها، (ص:٦).

فاقْتَرَعُوا فأَصَابَتِ القُرْعَةُ[١] أُناسًا مِنهُم[٢]، مِنهُم يُونُسُ عليه السلام، ولهذا قال: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾[٣]؛ أَيْ: المغلوبينَ في القُرْعَةِ، فَأُلْقُوا، فابتلَعهُ حُوتٌ في البَحرِ ابتِلاعًا، ((لَمْ يَكْسِرْ لَهُ عَظْمًا، ولم يَمْضَغْ لَهُ لَحْمًا))[٤].

فلمَّا صارَ في جَوْفِ الحُوتِ في تلكَ الظُّلماتِ نادَى: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٥]، فأَمرَ اللهُ الحُوتَ أَنْ تُلْقِيَهُ بالعَرَاءِ[٦]، فخرجَ مِن بطنِها كالفَرخِ الْمَمْعُوطِ[٧] مِن البَيْضَةِ، في غايةِ الضَّعْفِ والوَهْنِ، فَلَطُفَ اللهُ بهِ، وأَنْبَتَ عليهِ شَجرةً مِن يَقْطِينٍ[٨]، فأَظلَّتهُ بِظِلِّها الظَّلِيلِ، حتَّى قَوِيَ واشتدَّ، وأَمرَهُ اللهُ أَنْ يَرجِعَ إلى قومِهِ فيُعَلِّمَهُم ويَدعوَهُم، فاستجابَ لَهُ أَهلُ بلدِهِ: ﴿مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ۝١٤٧ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾[٩].

---

(١) سبق تعريفها: (ص:٦).

(٢) س: "ومنهم".

(٣) الصافات: ١٤١

(٤) بمعناه أخرجه البزّار في البحر الزّخار، (٣٤/١٥) ح (٨٢٢٧)، ومَجْمَع الزّوائد ومَنْبَع الفوائد، للهَيْثَمِيِّ، (٩٨/٧) ح (١١٣٠٢)، عن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ تعالى حَبْسَ يُونُسَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى الْحُوتِ أَنْ لَا تَخْدِشَنَّ لَهُ لَحْمًا، وَلَا تَكْسِرَنَّ لَهُ عَظْمًا. . .)).
قال الْهَيْثَمِيُّ رحمه الله: "رواه البزّار عن بعض أَصحابه ولم يسمِّه، وفيه ابن إسحاق، وهو مدلس، وبقيَّة رجاله رجال الصَّحيح".

(٥) الأنبياء: ٨٧

(٦) الْعَرَاءُ: "الأَرض التي لا تُواري مَن فيها بجبل ولا شجر". غريب القرآن، لابن قُتَيْبَة، (ص:٤٨١)، وينظر: معاني القرآن، للزَّجَّاج، (٣١٣/٤)، ومُختار الصِّحاح، مادَّة: (عرا).

(٧) الْمَعْطُ: الجَذْب، و"مدُّ الشَّيء، وامتعَطْت السَّيف مِن غِمْدِه، سَلَلته". العين، وينظر: تهذيب اللُّغة، مادَّة: (معط).

(٨) اليَقْطِيْنُ: "كلُّ شجرة لا تقوم على ساق فهي يقطين نحو الدُّبَّاء والحنظل والبطِّيخ". مجاز القرآن، (١٧٥/٢).
وخصَّها كثير مِن المفسِّرين بالدُّبَّاء وهي: القَرَع، وهو قول ابن مسعود، وابن عبَّاس، ومُجاهد، وعِكرمة، ووهْب بن مُنبِّه، والسُّدِّيُّ، وعَطاء، والضَّحَّاك، وقتادة رحمهم الله، قال ابن جُزَيٍّ رحمه الله: "واليَقْطِينُ: القَرَع؛ وإنَّما خصَّه الله به لأَنَّه يَجمع بَرْد الظِّل، ولِين اللَّمس، وكبر الورَق، وأَنَّ الذُّباب لا يَقربه؛ فإنَّ لحم يونس لَمَّا خرج مِن البحر كان لا يحتمل الذُّباب". التَّسهيل لعلوم التَّنزيل، (١٩٨/٢)، وينظر: جامع البيان، (١١٣/٢١-١١٤)، وتفسير القرآن العظيم، (٤٠/٧).

(٩) الصافات: ١٤٧-١٤٨

وفي هذهِ القِصَّةِ عِتابُ اللهِ ليُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ اللَّطيفُ، وحَبْسُهُ في بطنِ الحوتِ؛ ليكونَ كفَّارةً، وآيةً عَظِيمةً، وكَرامةً ليُونُسَ.

ومِن نعمةِ اللهِ عليهِ أَنَّهُ استجابَ لَهُ هذا العَددُ الكثيرُ مِن قومِهِ؛ فكثْرةُ أَتباعِ الأَنبياءِ مِن جملةِ فضائلِهِم(١).

وفِيها: استعمالُ القُرْعَةِ عندَ الاشتباهِ في مسائلِ الاستحقاقِ والحِرمانِ، إذا لم يكنْ مُرجِّحٌ سِواها(٢).

وفي عَمَلِ أَهلِ السَّفِينةِ هذا العَمَلَ دليلٌ على القَاعِدةِ الْمَشهُورةِ: أَنَّهُ يُرْتَكَبُ أَخَفُّ الضَّرَرَينِ لِدَفْعِ الضَّرَرِ الذي هو أَكبرُ منهُ(٣)؛ ولا رَيبَ أَنَّ إِلْقَاءَ بعضِهِم وإِنْ كان فيهِ ضررٌ؛ فَعَطَبُ الجميعِ إذا لم يُلْقَ أَحدٌ أَعظمُ.

وفِيها: أَنَّ العَبْدَ إذا كانتْ لَهُ مقدِّمةٌ خاصَّةٌ معَ ربِّهِ، وقد تعرَّفَ إلى ربِّهِ في حالِ الرَّخاءِ، أَنَّ اللهَ يشكرُ لَهُ ذلكَ، ويعرِفُهُ في حالِ الشِّدَّةِ(٤) بِكَشْفِها بالكُلِّيةِ(٥) أَو تَخْفِيفِها(٦)؛ ولهذا قال في

---

(١) سبق الدَّليل على ذلك: (ص:٦).

(٢) قال الْكِيا الْهَرَّاسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "قوله تعالى: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ [الصافات:١٤١]، يَحتجُّ به مَن يرى للقُرْعة أثرًا في تعيين المستحقِّ بعد تردُّد الحقِّ في أعيانٍ لا سبيل إلى نفيه عنها، ولا إثباته في جميعها، فتدعو الحاجة إلى القُرْعة، وهذا بيِّن". أحكام القرآن، (٣٥٨/٤).

(٣) سبق الكلام عليه: (ص:٦).

(٤) أخرج أَحمد في مسنده، (١٨/٥-١٩) ح (٢٨٠٣)، عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لَهُ: ((احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ. . .)).
قال الأَلبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "صحيح". صحيح الجامع الصَّغير، (٥٦٩/١) ح (٢٩٦١)، وسيأتي بعضه: (ص:٦).

(٥) كما في قصَّة أَصحاب الغار التي أَخرجها البخاريُّ في صحيحه، كتاب أَحاديث الأَنبياء، باب حديث الغار، (١٧٢/٤) ح (٣٤٦٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب الرِّقاق، باب قصَّة أَصحاب الغار الثَّلاثة، والتَّوسل بصالح الأَعمال، (٢٠٩٩/٤) ح (٢٧٤٣)، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٦) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب المرضى، باب فضل مَن يصرع مِن الرِّيح، (١١٦/٧) ح (٥٦٥٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب البرِّ والصِّلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أَو حزن، أَو نحو ذلك حتَّى الشَّوكة يُشاكها، (١٩٩٤/٤) ح (٢٥٧٦)، عن عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَلاَ أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي، قَالَ: ((إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ))، فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا".

قِصَّةِ يُونُسَ: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[١].

ومِنها[٢]: ما قالَهُ النَّبِيُّ ﷺ: ((دَعْوَةُ أَخِيْ ذِيْ النُّونِ مَا دَعَا بِهَا مَكْرُوْبٌ إِلَّا فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾))[٣].

وفِيها: أَنَّ الإِيمانَ يُنجِي مِن الأَهوالِ والشَّدائدِ؛ لِقولِهِ تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤]؛ أَيْ: إذا وَقَعوا فِيها؛ لإِيمانِهِم.

---

(١) الصافات: ١٤٣-١٤٤

(٢) س: "فيها"، وهي المتناسقة مع مثيلاتها فيما سبق.

(٣) الأنبياء: ٨٧

وبنحوه أخرجه أحمد في مسنده، (٣/٦٦) ح (١٤٦٢)، والتِّرمذيُّ في سننه، (٥/٤٠٩) ح (٣٥٠٥)، والنَّسائيُّ في الكُبرى، (٩/٢٤٣) ح (١٠٤١٧)، والحاكم في المستدرَك، (٢/٤١٤) ح (٣٤٤٤)، عن سَعد بن أَبي وقَّاص رضي الله عنه.

قال الحاكم رحمه الله: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه".

وصحَّحه الألبانيُّ رحمه الله في تَخْريج الكَلِم الطَّيِّب، (ص:١١٨) ح (١٢٣).

(٤) الأنبياء: ٨٨

قِصَّةُ دَاودَ وسُلَيمانَ علَيهِمَا الصَّلاةُ والسَّلامُ.

وكانا مِن أَعظمِ أَنبياءِ بَنِي إسرائيلَ، وجَمعَ اللهُ لَهمَا بَيْنَ النُّبوَّةِ والحِكمَةِ، والْمُلكِ العَظيمِ القَويِّ؛ أَمَّا داوُدُ ﷺ فكانَ مِن جُملةِ العَسْكرِ الذينَ معَ طَالُوْتَ[١]، الذي اختارَهُ أَحدُ أَنبياءِ[٢] بَنِي إسرائيلَ مَلِكًا على بَنِي إسرائيلَ لشجاعتهِ وقوَّتهِ، وعِلْمِهِ فِي السِّياسَةِ، ونِظامِ الجُيُوشِ، كمَا قال تعالى: ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾[٣].

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾[٤]، وصبَرَ عسْكرُ طَالُوْتَ، واستعانُوا باللهِ تَفوَّقَ داوُدُ ﷺ على الجَميعِ بالشَّجاعَةِ العَظيمَةِ، فباشَرَ بنفسِهِ قتلَ مَلِكِهِم جَالُوْتَ[٥]، وحصلَتِ الهزيمةُ على بَقيَّتِهِم، ونصرَ اللهُ بَنِي إسرائيلَ ذلكَ النَّصْرَ[٦].

و[٧]نبَّأَ اللهُ داوُدَ، وأَعطاهُ الحِكمَةَ، والْمُلْكَ القَويَّ، كمَا قال تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾[٨].

وكان قدْ أَعطاهُ اللهُ قوَّةً فِي العِبادةِ، وبَصِيرَةً، ووصَفَهُ اللهُ بهذينِ الوَصفَينِ اللَّذينِ بِهمَا كمالُ العَبدِ، فقال: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[٩]؛ فوصَفَهُ بالقُوَّةِ العَظِيمَةِ على ما أَمرَ اللهُ، وبأَنَّهُ أَوَّابٌ؛ لِكمالِ مَعرفتهِ باللهِ.

---

(١) طَالُوْتُ: مِن سِبط يوسف ﷺ، توفَّرت فيه صفات القائد النَّاجح، وآتاه الله الملك، وزاده بسطة في العلم والجسم، وجاء ذكره في القرآن مرَّتين. ينظر: الأخبار الطِّوال، للدِّيْنَوَري، (ص:١٧)، والكامل في التَّاريخ، (١/١٩٠).

(٢) لم يتَّفق المفسِّرون على تحديد اسمه؛ لعدم النَّصِّ في ذلك؛ وإنَّما الوارد وصفه بالنُّبوَّة، قال ﷻ: ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٤٦]. ينظر: جامع البيان، (٥/٢٩١-٢٩٣)، والمحرَّر الوجيز، (١/٣٣٠).

(٣) البقرة: ٢٤٧

(٤) البقرة: ٢٥٠

(٥) جَالُوْتُ: ملك كافر، مِن ملوك الْعَمالِقَة، وقِيل: إنَّه مِن بَنِي فِلَسْطِين بن كَسْلُوحِيم، وذكره القرآن ثلاث مرَّات، وقد قتله داود ﷺ. ينظر: الكامل في التَّاريخ، لابن الأَثِير، (١/١٩٠)، وديوان المبتدأ والخبر، لابن خلدون، (٥/٧-٦).

(٦) قال ﷻ: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ [البقرة:٢٥١].

(٧) "و"، ليست في: (س).

(٨) ص: ٢٠

(٩) ص: ١٧

وكان اللهُ -تعالى- قد سخَّرَ لَهُ الطَّيْرَ، والجِبالَ تُسبِّحُ اللهَ معهُ[١]، وكان قدْ أُعطِيَ مِن حُسْنِ الصَّوتِ ورَخامَتِهِ ما لم يُؤتَ أَحدٌ مِن العالَمينَ[٢]، ((وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَيَصُومُ يَوْمًا، وَيُفْطِرُ يَوْمًا))[٣]، وكان إذا لاقَى العَدُوَّ رَأَى الخَلقُ مِن شَجاعتهِ ما يُعجِبُ النَّاظِرِينَ.

وقد أَلانَ اللهُ لَهُ الحَدِيدَ[٤]، وعلَّمَهُ صَنْعةَ الدُّرُوعِ الواقِيةِ في الحُروبِ، وهو أَوَّلُ مَن صَنعَ الدُّرُوعَ السَّرْدِيَّةَ[٥] ذواتِ الحِلقِ التي يحصلُ فِيها الوِقايةُ، وهي خَفيفةُ الْمَحْمَلِ[٦].

وقد عاتبَهُ اللهُ بسببِ ذنْبٍ أَذنبَهُ[٧] بأَنْ أَرسلَ إليهِ مَلَكينِ بصورةِ خَصمَينِ، فدخلَا[٨] عليهِ وهو في مِحْرَابِهِ[٩] ففزِعَ منهُما؛ لأَنَّهُما دخلَا عليهِ في وقتٍ لا يَدخُل عليهِ فيهِ أَحدٌ، وتَسوَّرا الْمِحرَابَ، وقالَا: ﴿لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾[١٠].

---

(١) قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾ [سبأ: ١٠].

(٢) أخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصَّوت بالقراءة للقرآن، (٦/١٩٥) ح (٥٠٤٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصَّوت بالقرآن، (١/٥٤٦) ح (٧٩٣)، عن أَبي موسى ؓ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لَهُ: ((يَا أَبَا مُوسَى لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ)).

(٣) أخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب التَّهجد، باب مَن نام عند السَّحر، (٢/٥٠) ح (١١٣١)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصِّيام، باب النَّهي عن صوم الدَّهر لمن تضرَّر به أَو فوَّت به حقًّا أَو لم يفطر العيدين والتَّشريق، وبيان تفضيل صوم يوم، وإفطار يوم، (٢/٨١٦) ح (١١٥٩)، عن عبدالله بن عمرو ؓ.

(٤) قال ﷻ: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠].

(٥) السَّرْدُ: "اسمٌ جامع للدُّروع ونحوها مِن عمل الحَلَق؛ وسُمِّيَ سَرْدًا لأَنَّه يُسرَّدُ فيُثْقَبُ طَرَفا كُلِّ حَلقةٍ بمسمار، فذلك الحَلَق الْمُسرَّد". العين، مادَّة: (سرد)، وينظر: معاني القرآن، للفرَّاء، (٢/٣٥٦).

(٦) قال ﷻ: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠]؛ "يعني صنعة الدُّروع، قال قتادة: إِنَّما كانت الدُّروع قَبْلَه صفائح، وهو أَوَّل مِن سَرَدَها حلقًا". تفسير القرآن العظيم، (٥/٣٥٨).

(٧) قال ابن عطيَّة ؒ: "وفي كتب بني إسرائيل في هذه القصَّة صور لا تليق، وقد حدَّث بها قُصَّاصٌ في صدر هذه الأُمَّة، فقال عليُّ بن أَبي طالب ؓ: مَن حدَّث بما قال هؤلاء القُصَّاص في أَمر داود ؈ جلدته حدَّين؛ لِما ارتكب مِن حرمة مَن رفع الله محلَّه". المحرَّر الوجيز، (٤/٤٩٩).

(٨) س: "فدخلوا".

(٩) الْمِحْرابُ: "الذي يصلَّى فيه، وأَشرف موضع في الدَّارِ وفي البيت". معاني القرآن، للزَّجَّاج، (٤/٢٤٦)، وينظر: تهذيب اللُّغة، مادَّة: (حرب).

(١٠) ص: ٢٢

خ: "واهدنا سَواء"، والصَّواب: ﴿وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ﴾.

ثُمَّ قَصَّ عليهِ أحدُهُما القِصَّةَ[١١٤]، فقال: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً﴾(١)؛ والمرادُ بِها: المرأةُ(٢)، ﴿وَلِىَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلۡخِطَابِ﴾(٣)؛ أَيْ: صارَ خِطابُهُ أقوى منِّي فغَلَبَني، فقالَ داوُدُ‌عَلَيْهِ‌السَّلَامُ: ﴿لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِى بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمۡ﴾(٤).

وعَلِمَ داوُدُ أَنَّهُ هو المرادُ بِهذهِ القَضِيَّةِ(٥)، فانتبهَ لذلكَ: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٍ﴾(٦)، فمَحا اللهُ عنهُ الذَّنْبَ، وعادَ بهِ بعدَ التَّوبةِ أَحسَنَ مِمَّا كانَ قبلَ ذلكَ؛ حصلَ لَهُ القُرْبُ العظيمُ مِن ربِّهِ، وحُسنُ العاقِبةِ، وقالَ اللهُ لَهُ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾(٧).

وأمَّا سُليمانُ بنُ داوُدَ‌عَلَيْهِمَا‌السَّلَامُ فإنَّ اللهَ أعطاهُ النُّبوَّةَ وورِثَ أباهُ؛ عِلْمَهُ ونبوَّتَهُ ومُلْكَهُ(٨)، وزادَهُ اللهُ مُلْكًا عَظِيمًا لم يحصلْ لأحدٍ قَبلَهُ ولا بَعدَهُ(٩)؛ سخَّرَ اللهُ لَهُ الرِّيحَ تَجري بأمرِهِ وتدبيرِهِ: ﴿رُخَآءً﴾(١٠)؛ أَيْ: بِسُهولةٍ حيثُ أرادَ، ﴿غُدُوُّهَا شَهۡرٌ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٌ﴾(١١).

---

(١) ص: ٢٣

(٢) قال البَغَوِيُّ‌رَحِمَهُ‌اللهُ: "والعرب تكنِّي بالنَّعجة عن المرأة". مَعَالم التَّنزيل، (٤/٦٠).

(٣) ص: ٢٣

(٤) ص: ٢٤

(٥) قال ابن كثير‌رَحِمَهُ‌اللهُ: "قد ذكر المفسِّرون هاهنا قصَّة أكثرها مأْخوذ مِن الإسرائيليَّات، ولم يَثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتِّباعه. . .". تفسير القرآن العظيم، (٧/٦٠)، وينظر: معاني القرآن، للنَّحَّاس، (٦/٩٨).

(٦) ص: ٢٤-٢٥

(٧) ص: ٢٦

(٨) قال ﷻ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل:١٦].

(٩) كما في دعوته‌عَلَيْهِ‌السَّلَامُ، في قوله‌تَعَالَىٰ: ﴿وَهَبۡ لِى مُلۡكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعۡدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾ [ص:٣٥].

(١٠) ص: ٣٦

س: "برخاء".

(١١) سبأ: ١٢

وسخَّرَ اللهُ لَهُ الجِنَّ والشَّياطينَ والعَفَارِيْتَ[١] يَعملونَ لَهُ الأَعمالَ الفَخمَةَ بحسَبِ إرادتهِ، ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾[٢]، وتَذهبُ وتَجيءُ بأَمرِهِ إلى حيثُ أَرادَ، وسخَّرَ لَهُ مِن الجُنودِ: مِن الإِنسِ والجِنِّ والطَّيرِ، ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[٣]، بتدبيرٍ عَجيبٍ، ونِظامٍ غَريبٍ، وعلَّمَهُ مَنطِقَ الطَّيرِ، وسائرَ الحَيواناتِ، فكانتْ تخاطِبُهُ، ويَفهَمُ ما تتكلَّمُ بهِ[٤]؛ ولِهذا خاطبَ الهُدْهُدَ، وراجعَهُ تلكَ المراجعةَ، وسَمِعَ النَّملَةَ إِذْ نادتْ في قومِها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[٥]، فحذَّرتْ، وأَمَرتْ بِما يَقِي مِن الخَطرِ، واعتذرتْ عن سُليمانَ وجُنودِهِ؛ فلِهذا ابتَسمَ سُليمانُ ضَاحكًا مِن قولِها[٦]، وقالَ: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[٧].

ومِن حُسنِ نِظَامِهِ، وحَزْمِهِ أَنَّهُ يتفقَّدُ الجنودَ بنفسِهِ، معَ أَنَّهُ قد جَعلَ لهُم مُدبِّرِينَ؛ فإِنَّ قولَهُ: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[٨]: دليلٌ على ذلكَ، حتَّى أَنَّهُ تفقَّدَ الطُّيورَ؛ لِينظرَ هل هي لَازمةٌ لمراكِزِها، ﴿فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾[٩].

وليسَ الأَمرُ كمَا يقولُ كثيرٌ مِن المفسِّرينَ أَنَّهُ طلبَهُ لينظرَ لَهُ الأَرضَ، وبُعْدَ مائِها[١٠]، فإِنَّ هذا خلافُ اللَّفظِ القرآنِيِّ، فإِنَّ اللهَ لم يقلْ: وطَلبَ الهُدْهُدَ، بلْ قال: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾[١١].

---

(١) العِفْرِيتُ: "النَّافِذ فِي الأَمر المبالِغ فِيهِ مَعَ خُبْث ودهاء". تهذيب اللُّغة، وينظر: المفْردات، ماد: (عفر).

(٢) سبأ: ١٣

(٣) النمل: ١٧

يُوزَعُونَ: "يُردُّ أَولهم على آخرهم حَتَّى يَجتمعوا". معاني القرآن، للفرَّاء، (٢٨٩/٢)، وينظر: العين، مادَّة: (وزع).

(٤) س: "تكلَّم".

قال ﷻ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ [النمل:١٦].

(٥) النمل: ١٨

(٦) قال ابن القَيِّم رحمه الله: "فتكلَّمت بعشرة أَنواع مِن الخطاب في هذه النَّصيحة: النِّداء، والتَّنبيه، والتَّسمية، والأَمر، والنَّص، والتَّحذير، والتَّخصيص، والتَّفهيم، والتَّعميم، والاعتذار". مِفتاح دار السَّعادة، (٢٤٣/١).

(٧) النمل: ١٩

(٨) النمل: ٨٣

(٩) النمل: ٢٠

(١٠) روي هذا عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما. ينظر: جامع البيان، (٤٤٢/١٩)، ومَعَالم التَّنزيل، (٤٩٦/٣).

(١١) النمل: ٢٠

ثُمَّ توعَّدَهُ لمخالفتِهِ لأَمرِهِ، ولَمَّا كانَ مُلكُهُ مَبْنِيًّا على كَمالِ العَدلِ استَثنَى فقالَ: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾[1]، فجاءَ الهُدهدُ[2]، ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾[3].

فَفِي هذهِ الْمُدَّةِ القَصيرةِ جاءَ الهُدْهُدُ بِهذهِ الْمعلوماتِ العَظيمَةِ؛ أَخبرَ سُليمانَ عن مُلْكِ الدِّيَارِ اليمانيَّةِ، وأَنَّ مَلِكَتَهُم: امرأةٌ[4]، وأَنَّها قدْ أُعطِيتْ مِن كلِّ شَيءٍ يحتاجُ الْمُلْكُ إليهِ، وأَنَّ لها عَرْشًا عظِيمًا.

ومعَ فَهمِهِ لِمُلْكِهِم وقوَّتِهِم فَهِمَ -أَيضًا- دِينَهُم، وأَنَّهُم مُشرِكونَ يَعبُدونَ الشَّمسَ، وأَنْكرَ الهُدهُدُ عليهِم غايةَ الإنكارِ، هذا مِن الأَدلَّةِ على أَنَّ الحَيواناتِ تعرِفُ ربَّها، وتوحِّدُهُ، وتُسَبِّحُهُ[5]، وتُحِبُّ المؤمنِينَ، وتَدِينُ لربِّها بذلكَ، وتُبغِضُ الكفَّارَ المكذِّبِينَ، وتَدِينُ بذلكَ، فقالَ لَهُ سُليمانُ: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾[6].

فذهبَ بالكتابِ فألقاهُ في حَجرِ المرأَةِ[7]: مَلِكَةِ سَبَإٍ[8]، فلمَّا قرأَتْهُ عظَّمتهُ تعظيمًا[9]، وأُرعِبتْ

---

(١) النمل: ٢١-٢٢

(٢) "فجاء الهدهد"، ليست في: (س).

(٣) النمل: ٢٢-٢٦

(٤) هي: "بِلْقِيسُ بِنْتُ شَرَاحِيل، كان أَبوها ملك اليمن، ولم يكن لَهُ ولد غيرها، فغلبت بعده على الملك". التَّسهيل لعلوم التَّنزيل، (٢/١٠٠-١٠١)، وينظر: مَعَالم التَّنزيل، (٣/٤٩٨)، وتفسير القرآن العظيم، (٦/١٨٦).

(٥) س: "وتسبِّحه وتوحِّده".

قال ﷻ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

(٦) النمل: ٢٧-٢٨

(٧) رُوي عن مُقاتِل أَنَّ الهُدهُد أَلقَى الكتاب في حجر بِلْقِيس. والله أَعلم. ينظر: مَعَالم التَّنزيل، (٣/٥٠١).

(٨) سَبَأُ: اسم رجل مِن العرب في اليمن، يُقال لَهُ: سَبَأُ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطَان، وإليه تنتسب عدد مِن قبائل اليمن، ثُمَّ سُمِّي المكان الذي يسكنونه بهذا الاسم، ولهم آثار، وحضارتهم موجودة الآن في مدينة مِأْرِب. ينظر: المحرَّر الوجيز، (٤/٤١٣)، ومُعْجَم البُلدان، (٣/١٨١)، والْمَعَالم الأَثيرة في السُّنَّة والسِّيرة، (ص:٢٣٧).

(٩) خ: "تعظيمًا"، وس: "جدًّا".

منهُ فزعًا، وجمعَتْ رُؤَساءَ قومِها، فقالتْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ٢٩ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾[1] [١١٥]؛ كتابٌ مُختصرٌ جامعٌ، فيهِ المقصودُ كلُّهُ.

﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي﴾[2]؛ أيْ: أَشِيرُوا عليَّ، وهذا مِن حَزْمِها، وحُسْنِ تَدْبيرِها.

استعمَلتِ الْمَشُوْرَةَ مع رُؤساءِ قومِها، ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ٣٢ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ﴾[3]؛ أيْ: مُستعدُّونَ لَمَّا تقوْلينَ حَربًا وسِلْمًا، وأَرجَعْنا الأمرَ إلى ما تَختارِينَ.

فمِن عَزْمِها وحَزْمِها وبُعدِ نَظَرِها عَدَلتْ عن الحَربِ، واختارتِ السِّلْمَ، لكنْ بصُورةٍ حازِمَةٍ، فقالتْ: سَأُهدِي لَهُ هديَّةً عظيمةً فاخرةً[4]: ﴿فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾[5]؟.

إنْ كان مِن الملوكِ الذين ليس لهُم همٌّ إلَّا الدُّنيا فربَّما أنَّ الهديَّةَ كَسرتْ سَوْرَتَهُ[6]، وفَلَّتْ عَزِيْمَتَهُ، وسَالَمَنا وسَالَمْناهُ مِن بَعيدٍ، وإنْ كان غيرَ ذلكَ بانَ لَنا الأمرُ.

فأَرسَلتْ أُناسًا ذَوِي عقلٍ وحَزْمٍ، وخِبْرةٍ ومَعرِفةٍ، فلمَّا جاؤوا لسُليمانَ بالهديَّةِ، قالَ: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ﴾[7]؛ فبيَّنَ لهُم أنَّهُ لا غَرَضَ لهُ في الدُّنيا، وإنَّما غَرَضُهُ إقامةُ الدِّينِ، ودُخُولُ عبادِ اللهِ في الإسلامِ.

ثُمَّ وَصَّى الرُّسُلَ، واستغنَى بذلكَ عن الكِتابِ، وقالَ للرَّسولِ: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾[8].

وعَلِمَ سُليمانُ [أَنَّهُم][9] سيَنْقادونَ ويُسْلِمونَ، فقالَ لأَهلِ مَجْلسِهِ: ﴿أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي

(١) النمل: ٢٩-٣١

(٢) النمل: ٣٢

(٣) النمل: ٣٢-٣٣

(٤) خ: "عظيمة فاخرة"، وس: "حاضرة".

(٥) النمل: ٣٥

(٦) السَّوْرَةُ: الحِدَّةُ، والْبَطْشُ. ينظر: الْمِصباح الْمُنِير، وتاج العَرُوس، مادَّة: (سور).

(٧) النمل: ٣٦

(٨) النمل: ٣٧

(٩) خ: "أنَّه"، وس: "أَنَّهم"، وهي المناسبة للسِّياق.

مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾(١)، وسُليمانُ بالدِّيارِ الشَّاميَّةِ، وبَيْنَهُ وبينَها مَسافةُ شَهرينِ ذَهابًا، وشَهرينِ إيابًا(٢)، ثُمَّ: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾(٣)، يُحتَملُ أَنَّهُ كما قالَ أكثرُ المفسِّرينَ: إِنَّهُ رَجلٌ صالحٌ قد أُعطيَ الاسمَ الأَعظمَ الذي إذا دُعِيَ اللهُ بهِ أَجابَ(٤)، وأَنَّهُ دَعا اللهَ فأُتِي بهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِليهِ طَرْفُهُ.

ويُحتَملُ أَنَّ الذي عندَهُ عِلمٌ مِن الكتابِ؛ عندَهُ مِن الأَسبابِ التي يُسَخِّرُها اللهُ لسُليمانَ؛ أَسبابٌ يَحصُلُ بِها تَقريبُ المواصَلاتِ، وجَلبُ الأَشياءِ البَعيدَةِ(٥).

وعلى كُلٍّ فهذا مَلِكٌ عظيمٌ بلَحظةٍ يُحضَرُ لَهُ هذا العَرشُ العظيمُ؛ ولِهذا لَمَّا رآهُ مُستَقِرًّا عندَهُ حَمِدَ اللهَ على ذلكَ، ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾(٦).

فقالَ لِمَن حَولَهُ: ﴿نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا﴾(٧)؛ أَيْ: غيِّروا فيهِ وزيدُوا وانْقُصُوا(٨)، ﴿نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾(٩)؛ وكان قد مُدِحَ لَهُ رأْيُها وعَقلُها، فأَحبَّ أَنْ يَقِفَ على الحَقيقةِ.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾(١٠)، وعُرِضَ عليها، فلمَّا رأَتهُ عرفَتْهُ، ورأَتْ ما فيهِ مِن التَّنْكيرِ،

---

(١) النمل: ٣٨-٣٩

(٢) قال ﷻ: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ:١٢]، قال قتادة ﵀: "مسيرة شهرين في يوم". جامع البيان، (٣٦٢/٢٠)، وينظر: مَعَالم التَّنزيل، (٦٧٢/٣)، وتفسير القرآن العظيم، (١٩٦/٦).

(٣) النمل: ٤٠

س: تكملة للآية: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾.

(٤) سبق الكلام عليه: (ص:٦).

(٥) القائل مبهم، ولا نصَّ يرجع إليه في تسميته وتحديده، وللمفسِّرين فيه آراء كثيرة مضطربة، قال البَغَوِيُّ ﵀: "قال أَكثر المفسِّرين: هو آصفُ بن بَرْخِيا، وكان صِدِّيقًا، يعلم اسم الله الأَعظم، الذي إذا دُعِي به أَجاب، وإذا سُئل به أَعطى". مَعَالم التَّنزيل، (٥٠٥/٣)، وينظر: المحرَّر الوجيز، (٢٦١/٤)، وتفسير الرَّازي، (٥٥٦/٢٤-٥٥٧).

(٦) النمل: ٤٠

خ: "غنيٌّ حميدٌ" والصَّواب: ﴿غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾.

(٧) الآية السَّابقة.

(٨) س: "وأَنقصوا".

(٩) الآية السَّابقة.

(١٠) النمل: ٤٢

فأَنكرتْهُ، فقالتْ مُرَدِّدَةً للاحتمالَينِ: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾[١]؛ لم تقلْ: هوَ؛ لِمَا فيهِ مِن التَّغْيِيْرِ، ولم تَنْفِ أَنَّهُ هوَ؛ لَمَّا كانتْ تعرِفُهُ، فأَتتْ بلفظٍ صالحٍ للأَمرَينِ، فعرَفَ سُليمانُ رَجاحَةَ عقلِها.

﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾[٢]: إنْ كانَ هذا مِن كلامِ سُليمانَ فمعناهُ إنَّنا أُخبِرنَا عن عَقلِها، وعُلِّمنا بذلكَ قَبلَ هذهِ الحالةِ فَتحقَّقْناها لَمَّا سَبَرْناها، وإِنْ كانَ الكلامُ كلامَ ملِكةِ سَبَإٍ، فإِنَّها تقولُ: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ﴾؛ عن مُلْكِ سُليمانَ؛ وأَنَّهُ مُلْكُ نُبوَّةٍ ورِسالةٍ، وقوَّةٌ هائلةٌ مِن قَبلِ هذهِ الحالَةِ[٣].

﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾: مُذعِنِينَ لِما قالَهُ سُليمانُ، بعدمَا تحقَّقْنا أَمْرَهُ، فكأَنَّهُ قِيلَ: معَ عَقْلِها هذا، ورأْيِها السَّديدِ فكيفَ كانتْ تَعْبدُ غيرَ اللهِ؟.

وكيفَ يجتمِعُ[٤] العقلُ، وعِبادةُ مَن لا ينفعُ ولا يَضرُّ، وإِنَّما يَضرُّ مَن عَبدَهُ؟.

حاصلُ الجوابِ، قولُهُ: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ﴾[٥]؛ أَيْ: العقائدُ التي نشأَتْ علَيها، والمذاهبُ الفاسِدَةُ تُسَيْطِرُ على عقلِ العاقلِ، وتُذْهِبُ لُبَّ اللَّبِيْبِ، حتَّى يُقيِّضَ اللهُ[٦] لَهُ مِن الأَسبابِ الْمُبارَكةِ ما يُبيِّنُ لَهُ الحقَّ، ويَمُنُّ عليهِ باتِّباعِهِ[٧].

وكانَ لَهُ صَرْحٌ[٨] مِن قَوارِيرَ[٩]، أَجْرَى تحتهُ الأَنْهارَ، فكانَ مَنْ ينظرُ إِليهِ يَظنُّهُ ماءً يَجري؛ لأَنَّ الزُّجاجَ شَفَّافٌ، فلمَّا: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ﴾[١٠]، فرأَتهُ لُجَّةً[١١]، ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ

(١) الآية السَّابقة.

(٢) الآية السَّابقة.

(٣) نصَّ الرَّازيُّ على هذين القولين. ينظر: تفسير الرَّازي، (٢٤/٥٥٨).

(٤) س: "اجتمع".

(٥) النمل: ٤٣

(٦) "الله"، لفظ الجلالة ليس في: (س).

(٧) وفي الآية تنبيه للمسلم بأَنْ يكون على حذر مِمَّا يُشوِّش عليه دينه، أَو يصدُّه عنه، مِن صحبة الكافرين، والفاسقين، وقراءة كتب أَهل الضَّلال، أَو الاستماع لشُبهاتهم، خاصَّة مع ضعف التَّأْصيل العلميِّ، والتَّربويِّ.

(٨) الصَّرْحُ: القَصْرُ، وصحن الدَّار. ينظر: معاني القرآن، للزَّجَّاج، (٤/١٢٢)، وجمهرة اللُّغة، مادَّة: (صرح).

(٩) القَارُورَةُ: الزُّجاجَة؛ وسُمِّيت قارورة، لأَنَّ الشَّيء يَقرُّ فيها. ينظر: التَّلخيص في معرفة أَسماء الأَشياء، (ص:١٩٥)، ومُختار الصِّحاح، مادَّة: (قرر)، والتَّسهيل لعلوم التَّنزيل، (٢/١٠٣).

(١٠) النمل: ٤٤

(١١) اللُّجَّةُ: "الماء الكثير". معاني القرآن، للفرَّاء، (٢/٢٩٥)، وينظر: معاني القرآن، للنَّحاس، (٥/١٣٨).

مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾(١)[١١٦]، فأَسلَمتْ للهِ، واتَّبَعَها قومُها، فيقالُ: إنَّ سُليمانَ تزوَّجَها، فاللهُ أَعلمُ(٢).

ولَمَّا كانتِ الشَّياطِينُ زمنَ سُليمانَ قد سخَّرَهُمُ اللهُ لَهُ، وبلَّغَهُ أَنَّهُم باجتماعِهم بالإِنسِ يُعَلِّمُونَهُم السِّحرَ، فجمعَهُم وتوعَّدَهُم، وأَخذَ كُتُبَهُم ودفَنَها، فلمَّا تُوفِّيَ سُليمانُ جاءتِ الشَّياطِينُ للنَّاسِ، وقالوا: إنَّ مُلْكَ سُليمانَ مُشَيَّدٌ على السِّحرِ، واستخرجوا الكُتُبَ التي دَفنَها، وأَشَاعُوا -مِن إغوائِهِم للنَّاسِ- أَنَّها مأْخوذةٌ مِن سُليمانَ، وأَنَّ سُليمانَ سَاحِرٌ، وروَّجَ ذلكَ طائفةٌ مِن اليهودِ، فبرَّأَ اللهُ سُليمانَ مِن هذا الأَمرِ، وبيَّن أَنَّ السِّحرَ مِن العُلومِ الضَّارَّةِ، فقالَ تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ﴾(٣)؛ أَيْ: بتعليمِ السِّحرِ، أَو إِقرارِهِ أَو الرِّضا(٤) بهِ(٥)، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ﴾(٦).

وهذا مِن عَظَمةِ القرآنِ أَنَّهُ يأْمرُ الخَلقَ بالإِيمانِ بِجميعِ الرُّسُلِ، ويَذْكُرُهُم بأَوصافِهِم الجَميلَةِ، ويُنَزِّهُهُم عمَّا قالَهُ النَّاسُ فِيهِم؛ مِمَّا يُنافي رسالَتَهُم.

وكانَ اللهُ قد ابتلَى سُليمانَ، وأَلقَى على كُرسيِّهِ جَسَدًا؛ أَيْ: شَيطَانًا(٧)؛ اعتابًا(٨) لَهُ على

---

(١) النمل: ٤٤

(٢) قال البَغَوِيُّ رحمه الله: "سأَل رجل عبدالله بن عُتْبَة: هل تزوجها سُليمان؟ فقال: انتهى أَمرها إِلى قولها: ﴿أَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [النمل:٤٤]؛ يعني لا علم لنا وراء ذلك". مَعَالم التَّنزيل، (٣/٥٠٨).

(٣) البقرة: ١٠٢

(٤) س: "بتعليم السِّحر، والرِّضا".

(٥) أَورد ابن جَرِيْر وابن كثير روايات كثيرة عن السَّلف رحمهم الله في هذا المقام، وما ذكره المؤلِّف رحمه الله ملخَّص لها. ينظر: جامع البيان، (٢/٤٠٥-٤٠٩)، وتفسير القرآن العظيم، (١/٣٤٦-٣٥٠).

(٦) البقرة: ١٠٢

(٧) س: "عتابًا".

(٨) قاله ابن عبَّاس رضي الله عنهما، ومجاهد، وسعيد ابن جُبير، والحَسن، وقَتادة، وكثير من المفسِّرين رحمهم الله، وهو أَشهر الأَقوال، وقال البَغَوِيُّ رحمه الله:"وقِيل: قال سليمان يومًا لأَطوفنَّ اللَّيلة على نسائي كلِّهن، فتأْتي كلُّ واحدة بابن يجاهد في سبيل الله ولم يَستثن فجامَعهن، فما خرج له منهنَّ إلا شِقُّ مولود فجاءت به القابلة فأَلقته على كرْسيِّه، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ [ص:٣٤]". معالم التَّنزيل، (٤/٧١)، وينظر: جامع البيان، (٢١/١٩٦)، وتفسير القرآن العظيم، (٧/٦٦-٦٩).

﴿وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص:٣٤]

بعضِ الْهَفَواتِ(١)، وإرجَاعًا لَهُ إلى كَمالِ الخُضوعِ لربِّهِ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾(٢): إلى اللهِ بقَلبِهِ ولِسانِهِ، وبدنِهِ بظاهرِهِ وباطنِهِ، فقال: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾(٣)، فاستجابَ اللهُ لَهُ دعاءَهُ، وأَعطاهُ ما طلبَهُ مِن مغفِرةِ الذَّنْبِ، وأَعطاهُ جميعَ ما طَلَبَ كمَا تقدَّمَ(٤).

وقد أَثْنَى اللهُ على داوُدَ وسُليمانَ بالعِلْمِ والحُكْمِ، وخَصَّ سُليمانَ بزيادَةِ الفَهْمِ، فقال: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾(٥)؛ أَيْ: دخلتِ الغَنَمُ بُستانَهُم ليلًا فرَعَتْ زَرْعَهُ وأَشجارَهُ، فحَكَمَ داوُدُ -بحسَبِ اجتهادِهِ وتقديرِهِ- أَنَّ الغَنَمَ تكونُ لصَاحِبِ الحَرثِ؛ لظنِّهِ أَنَّ الذي تَلِفَ مِن الحَرثِ يُقابِلُ قِيمتَها.

ثُمَّ رُفِعَتِ القَضيَّةُ إلى سُليمانَ، فحَكَمَ على صاحبِ الغَنَمِ أَنْ يقومَ على حَرْثِ صَاحبِ البُستانِ؛ بالسَّقْيِ والتَّعميرِ والملاحَظةِ، حتَّى يعودَ كمَا كان قبلَ نَفَشِها(٦)، ويَدْفَعَ لَهُ صاحبُ الغَنمِ الغَنَمَ يَنْتَفِعُ بدَرِّها، ولَبَنِها، ودُهْنِها، وصُوْفِها، ومَغَلِّها؛ مُقابِلَ ما كان، بصدَدِ(٧) أَنْ ينتفعَ بحرثِهِ في هذهِ المدَّةِ.

فكانَ هذا الحُكْمُ مِن سُليمانَ أَقربَ إلى الصَّوابِ، وأَنفعَ لصاحبِ الغَنمِ والحَرْثِ، فلِهذا قالَ تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾(٨).

ونَظيرُ هذهِ القَضيَّةِ حُكمُ داوُدَ وسُليمانَ بيْنَ المرأَتَيْنِ اللَّتينِ خرجَتا ومعَ كلِّ واحدةٍ ابنُها،

---

(١) المرجع السَّابق، وسبق -أيضًا- الكلام على مثل هذا: (ص:٦).

(٢) ص: ٣٤

(٣) ص: ٣٥

(٤) سبق ذلك: (ص:٦)، وقال أبو حيَّان ﷺ: "والاستغفار مقدِّمة بين يدي ما يَطلب المستغفِر بطلب الأهمِّ في دينه، فيترتَّب عليه أَمر دنياه، كقول نوح في ما حكى الله عنه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [نوح:١٠-١١]". ينظر: البحر المحيط، (١٥٦/٩).

(٥) الأنبياء: ٧٨

(٦) النَّفْشُ: نشْر الصُّوف وغيره، ونَفَشَت الغنمُ في الزَّرْع، إذا رعته ليلًا بلا راعٍ. ينظر: تهذيب اللُّغة، والصِّحاح، والمفْردات، مادَّة: (نفش).

(٧) الصَّدَدُ: القُرْبُ، والقُبالة، وداري صَدَد داره، أَيْ: قُبالَتها. ينظر: تهذيب اللُّغة، والصِّحاح، مادَّة: (صدد).

(٨) الأنبياء: ٧٩

فعدا الذِّئبُ على ابنِ الكُبْرَى، فادَّعتِ الكُبْرَى على الصُّغْرَى أَنَّ الذِّئبَ [أَكَلَ][(١)] ابنَ الصُّغْرَى، وأَنَّ الذي سَلِمَ مِن الذِّئبِ هو[(٢)] ابنُها.

والمرأَةُ الصُّغْرَى انكرَتْ، وقالتْ: بلِ الذِّئبُ أَكلَ ابنَ الكُبْرَى فتَحاكَما إِلى داوُدَ، فلمَّا[(٣)] لم يرَ لكلٍّ منهُما بَيِّنةً إِلَّا قولَهما[(٤)]، رأَى أَنْ يَحكُمَ بهِ للكُبْرَى؛ اجتهادًا، ورَحمةً بِها لِكِبَرِها، وأَنَّ الصُّغْرَى في مُستقبَلِ عُمُرِها سَيرزُقُها اللهُ ولدًا بدَلَهُ.

ثُمَّ رُفعتِ القَضِيَّةُ إِلى سُليمانَ، فقال لَهُمَا: ائْتُوني بالسِّكينِ أَشقُّهُ بينَكُمَا، فرَضِيتِ الكُبْرَى، وقالتِ الصُّغْرَى: -لَمَّا دارَ الأَمرُ بيْنَ تلَفِهِ أَو بقائِهِ بِيَدِ غيرِها، وهو أَهوَنُ الأَمرَينِ عَلَيها-: هو ابنُها يا نبيَّ اللهِ، فعَلِمَ سُليمانُ بِهذا الأَمرِ الطَّبيعِيِّ الذي هو مِن أَقوَى البيِّناتِ أَنَّهُ ليسَ ابنًا لِلكُبْرَى؛ لِكونِها رَضِيتْ بشَقِّهِ وإِتلافِهِ، وأَنَّ دعوَاها على الأُخرَى إِنَّما حمَلَها عليهِ الحَسَدُ، وأَنَّهُ ابنُ الصُّغْرَى؛ حينَ فَزِعتْ مِن شَقِّهِ إِلى التَّنازُلِ عن دعوَاها، فقضَى بهِ سُليمانُ للصُّغْرَى[(٥)].

ولا رَيبَ أَنَّ استخراجَ الصَّوابِ في القَضايَا بالبيِّناتِ والقَرائنِ، وشواهدِ الأَحوالِ مِن الفَهْمِ الذي يَخُصُّ اللهُ بهِ مَن يشاءُ[١١٧].

(١) "أَكل"، زيادة في: (س)، وهي ضروريَّة للمعنى، وهي من أَلفاظ هذه القصَّة الثَّابتة، وسيأْتي تخريجها قريبًا.
(٢) "هو"، ليست في: (س).
(٣) س: "فلم".
(٤) س: "قولها".
(٥) هذا معنى ما أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب الفرائض، باب إِذا ادَّعت المرأَة ابنًا، (١٥٦/٨) ح (٦٧٦٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الأَقضية، باب بيان اختلاف المجتهدين، (١٣٤٤/٣) ح (١٧٢٠)، عن أَبي هريرة رضي الله عنه.

فَصلٌ: في بعضِ الفَوائدِ المُسْتَنْبَطةِ مِن قِصَّةِ دَاوُدَ وسُلَيمانَ ﷺ.

فمِنها: أَنَّ اللهَ يَقصُّ على نبيِّهِ محمَّدٍ ﷺ أخبارَ مَن قَبْلَهُ؛ لِتثبيتِ فؤادِهِ وتَطمينِ نفسِهِ، ويَذكُرُ لَهُ مِن عِباداتِهم، وشِدَّةِ صَبرِهم وإنابتِهم ما يُشوِّقُ إلى مُنافسَتِهم، والتَّقرُّبِ إلى اللهِ؛ الذي تنافَسُوا في قُرْبِهِ، والصَّبرِ على أذى قومِهِ؛ ولِهذا في سورةِ: (ص) ذكرَ في أوَّلِها[1] ما قالَهُ المكذِّبونَ لمحمَّدٍ ﷺ، وما آذوهُ بهِ[2]، قالَ بعدَها: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[3].

ومِنها: أَنَّ قولَهُ: ﴿ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾؛ مدْحٌ عظيمٌ مِن اللهِ لهذينِ الوصْفَينِ:

- قوَّةِ القَلبِ، والبَدَنِ على طاعةِ اللهِ.

- والإنابةِ باطنًا وظاهرًا إلى اللهِ؛ الْمُستلزِمةِ لِمَحبَّتِه، وكمالِ معرفتِهِ.

وأَنَّ هذينِ الوصفَينِ للأنبياءِ على وجهِ الكَمالِ، ولِمَنْ بَعدَهُم مِن أتباعِهم على حسَبِ اتِّباعِهم.

والثَّنا[4] مِن اللهِ عليهِما يقتضِي الحثَّ على جميعِ الأَسبابِ التي تُعِينُ على القُوَّةِ والإنابةِ، وأَنْ يكونَ العبدُ رجَّاعًا إلى ربِّهِ[5] في حالِ السَّراءِ والضَّراءِ، وفي جميعِ الأَحوالِ.

ومِنها: ما أكرمَ اللهُ بهِ نبيَّهُ داوُدَ ﷺ مِن حُسنِ الصَّوتِ ورَخامتِهِ، وأَنَّ الجِبالَ والطُّيورَ تُسبِّحُ اللهَ معَهُ وتُجاوِبُهُ، وذلكَ مِن زيادَةِ درجاتِهِ، ومَقاماتِهِ العاليَةِ[6].

ومِنها: أَنَّ مِن أكبرِ نِعمِ اللهِ على عبدِهِ أَنْ يرزقَهُ العِلْمَ النَّافعَ، ويَعرِفَ الحُكْمَ بَيْنَ النَّاسِ في الْمَقالاتِ والْمَذاهِبِ، وفي الخُصوماتِ والْمُشاحَناتِ؛ كمَا قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ

---

(١) س: "ولهذا ذكرَ -تعالى- في أوَّل سورة: (ص)".

(٢) قال ﷻ: ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾ [ص:٤-٨].

(٣) ص: ١٧

(٤) س: "الثَّناء".

(٥) س: "الله".

(٦) قال ﷻ: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ۝١٨ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص:١٨-١٩].

ٱلْخِطَابِ﴾(١).

ومِنها: كمالُ اعتناءِ المولَى بأَنبيائِهِ وأَصفِيائِهِ عندَما يقعُ منهُم بعضُ الْهَفواتِ بِفِتْنَتِهِ(٢) إيَّاهُم، وابتلائِهِم بما يَزولُ عنهُم المحذورُ؛ حتَّى يعودُوا إلى(٣) أَكملَ مِن أَحوالِهم الأُولَى، كمَا جَرى لداوُدَ وسُليمانَ.

ومِنها: أَنَّ الأَنبياءَ مَعصومُونَ عن الخَطإِ(٤) فيما يبلِّغونَ عن اللهِ(٥)؛ فإِنَّ اللهَ أَمرَ بطاعَتِهِم مُطْلَقًا، ومَقصودُ الرِّسالةِ لا يَحْصلُ إِلَّا بذلكَ.

وقد يَجرِي مِنهُم -أَحيانًا- بعضُ مقتَضَياتِ الطَّبيعَةِ مِن الْمُخالفاتِ، ولكنَّ اللهَ -تعالى- يُبادِرُهُم بلُطْفِهِ، ويَتدارَكُهُم بالتَّوبةِ والإِنابةِ(٦).

ومِنها: أَنَّ داوُدَ في أَغلبِ أَوقاتِهِ مُلازِمًا مِحرَابَهِ لخِدمَةِ ربِّهِ(٧)، ولَهُ وقتٌ يجلسُ فيهِ لحوائجِ الخَلقِ، فقد أَتمَّ القِيامَ بحقِّ اللهِ، وحَقِّ عبادِهِ.

ومِنها: أَنَّهُ ينبغِي استعمالُ الأَدبِ في الدُّخولِ على النَّاسِ، خُصوصًا الحُكَّامَ والرُّؤساءَ؛ فإِنَّ الخَصمَينِ لَمَّا دَخلَا على داوُدَ في حالةٍ غيرِ معتادَةٍ، ومِن غيرِ البابِ فَزِعَ مِنهُم، واشتدَّ عليهِ ذلكَ، ورآهُ غيرَ لائقٍ بالحالِ.

---

(١) ص: ٢٠

(٢) س: "بفتنة".

(٣) "إلى"، ليست في: (س).

(٤) "عن الخطإ"، ليست في: (س).

(٥) وهذا مُجمع عليه، ومعنى العِصمة في التَّبليغ: أَنَّ ما أَنبأَهم الله به فهو صدق لا كذب فيه، وما أَنبؤوا به عن الله فهو صدق، لا مخالفة؛ لا عمدًا، ولا خطأً. ينظر: أَحكام القرآن، للجصَّاص، (١٠٦/٤)، والجامع لأَحكام القرآن، (٢٤٣/٦)، والنُّبوَّات، لابن تيميَّة، (٨٧٣/٢-٨٧٤)، والجواب الصَّحيح، (٤٤٦/١).

(٦) لم يذكر القرآن الكريم ذنْب نبي إلَّا مقرونًا بالتَّوبة والاستغفار، كقول آدم وزوجته ﷺ: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣]، وقول نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود:٤٧]، وقول موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾ [القصص:١٦]، وقوله ﷻ عن داود عليه السلام: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص:٢٤]، وقال سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ [ص:٣٥]. ينظر: مجْمُوع الفَتاوَى، (٢٩٦/١٠).

(٧) سبق الكلام على هذا اللَّفظ: (ص:٦).

ومِنها: أَنَّهُ لا يَمنعُ الحاكمَ مِن الحُكمِ بالحقِّ سوءُ أَدبِ الخَصمِ، وفِعلُهُ ما لا ينبغِي[(١)].

ومِنها: كمالُ حِلْمِ داوُدَ؛ فإِنَّهُ ما غضِبَ منهُما حينَ جاءَاهُ بغيرِ استئذانٍ، ولا انْتَهَرَهُما، ولا وبَّخَهُما.

ومِنها: جوازُ قولِ المظلومِ لِمَنْ ظلَمهُ أَنتَ ظَلمتَني، أَو: يا ظالمُ، ونحوَهُ، أَو: يا باغِي؛ لقولِهِ: ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[(٢)].

ومِنها: أَنَّ المنصوحَ -ولو كانَ كبيرَ القَدْرِ كثيرَ العِلْمِ- عليهِ أَنْ لا يغضَبَ ولا يشمئِزَّ، بل يبادرُ بقبولِ النَّصِيحةِ، والشُّكرِ لِمَن نصَحهُ، ويَحمدُ اللهَ إذ قيَّضَ لَهُ النَّصيحةَ على يدِ النَّاصِحِ؛ فإِنَّ داوُدَ لم يَشمئِزَّ مِن قولِ الخَصمَينِ: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾[(٣)]، بل حكَمَ بالحقِّ الصِّرفِ.

ومِنها: أَنَّ المخالَطةَ بيْنَ الأَقاربِ والأَصحابِ والْمُعامَلِينَ، وكثرةَ التَّعلُّقاتِ الدُّنيويَّةِ الماليَّةِ موجِبَةٌ للتَّعادِي، وبَغْيِ بعضِهِم على بعضٍ، وأَنَّهُ لا يَرُدُّ عن هذا الدَّاءِ العُضالِ إِلَّا التَّقوَى، والصَّبرُ بالإِيمانِ والعَملِ الصَّالحِ، وأَنَّ هذا مِن أَقلِّ شَيءٍ في النَّاسِ[(٤)][١١٨].

ومِنها: إِكرامُ اللهِ لداوُدَ وسُليمانَ بالزُّلْفَى عندَهُ، وحُسنِ المآبِ، فلا يَتوهَّمُ أَحدٌ أَنَّ ما جَرى منهُما مُنقِصٌ لدرجَتِهِما عندَ اللهِ، وهذا مِن تمامِ لُطفِهِ بعبادِهِ الْمُخلصِينَ، وأَنَّهُ إذا غفَرَ لَهم وأَزالَ عنهُم أَثرَ ذُنوبِهِم[(٥)]، أَزالَ الآثارَ المترتِّبَةَ عليها، حتَّى ما يقعُ في قلوبِ الخلقِ، وما ذلِك على فضلِ الكريمِ بعزيزٍ[(٦)].

ومِنها: أَنَّ مرتَبةَ الحُكمِ بيْنَ النَّاسِ مَرتَبةٌ دِينيَّةٌ تولَّاها رُسلُ اللهِ، وخَواصُّ خَلقِهِ، وأَنَّ على القائمِ بِها الحُكمَ بالحقِّ، وأَنْ لا يتَّبعِ الهوَى[(٧)].

---

(١) فقد تسوَّر الخصمان المحراب، ونَهياه عن الجور فقالا: ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ [ص:٢٢].

(٢) ص: ٢٢

(٣) الآية السَّابقة.

(٤) قال ﷻ: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص:٢٤].

(٥) س: "الذُّنوب".

(٦) قال ﷻ في كلٍّ من داود وسليمان عليهما السلام: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص:٢٥، ٤٠].

(٧) قال ﷻ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص:٢٦].

فالحُكمُ بالحقِّ يَقتضِي العِلْمَ بالأُمورِ الشَّرعيَّةِ، والعِلمَ بصُورةِ القَضيَّةِ المحكومِ بِها، وكيفيَّةِ إدخالِها في الأَحكامِ الشَّرعيَّةِ الكُلِّيَّةِ؛ فالجاهلُ بِواحدٍ مِن هذهِ الأُمورِ لا يَحِلُّ لَهُ الإقدامُ على الحُكمِ بيْنَ النَّاسِ(١).

ومِنها: أَنَّ سُليمانَ يُعدُّ مِن فضائلِ داوُدَ، ومِن مِنَنِ اللهِ عليهِ، قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾(٢)، وهذا أَعظمُ تزكيَةٍ، وأَكبرُ فخرٍ لسُليمانَ.

ومِنها: كثْرةُ خيرِ اللهِ، وفضلِهِ على عَبيدِهِ الأَخيارِ؛ يَمنُّ عليهِم بالأَخلاقِ الجَميلَةِ، والأَعمالِ الصَّالحةِ، ثُمَّ يُثْني عليهِم بِها، ويُرتِّبُ عليهَا مِن الثَّوابِ أَنواعًا مُنوَّعةً، وهو المتفضِّلُ بالأَسبابِ، ومُسبَّبَاتِها(٣).

ومِنها: أَنَّ سُليمانَ قدَّمَ مَحبَّةَ اللهِ على مَحبَّةِ كلِّ شيءٍ، وأَتلفَ الخَيلَ التي أَلْهَتهُ عن ذِكرِ ربِّهِ حتَّى توارتِ الشَّمسُ بالحِجَابِ(٤).

ومِنها: أَنَّ كلَّ ما أَشغلَ العَبدَ عن طاعةِ مولاهُ فهو مَشؤومٌ، فلْيفارِقْهُ، وليُقبِلْ على ما هو أَنفعُ لَهُ(٥).

---

(١) تنصُّ كتب الأُصول على أَنَّ: "الحكم على الشَّيء -بالنَّفي والإثبات- فرع عن تصوُّره". نهاية السُّول شرح مِنهاج الوصول، للإِسْنَوي، (ص:١٥)، ومُختصر التَّحرير شرح الكوكب المنير، (١/٥٠).

(٢) ص: ٣٠

(٣) قال ﷻ: ﴿وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص:٢٤-٢٥].

(٤) جمهور المفسِّرين على أَنَّ سليمان عليه السلام عقرَ الخيل، وقطع أَعناقها، ورُوي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أَنَّه مسح أَعرافها، وعَراقيبها؛ حبًّا لها، ورجَّحه ابن جَرِيْر؛ لأَنَّ نبيَّ الله ﷻ لم يكن ليهلك المال، أَو يعذِّب الحيوان بلا ذنب لها، ولم يمنع ابن كثير مِن ذلك؛ لأَنَّ ذلك قد يكون جائزًا في شرعهم، ولا سيما إذا كان غضبًا لله ﷻ؛ حيث أَلهته عن طاعة ربِّه. ينظر: جامع البيان، (٢١/١٩٥-١٩٦)، وتفسير القرآن العظيم، (٧/٦٤-٦٥).
وعلى المسلم أَنْ يبتعد عن كلِّ ما يلهيه عن طاعة ربِّه، وما يُسبِّب لَهُ معصيته، وأَنْ يفارق أَهل الفجور والشَّهوات، ومجالس أَهل الضَّلال والانحراف، وأَنْ يتلف كلَّ محرَّم يصدُّه عن ربِّه، وأَنْ يسدَّ طرق التَّواصل معها؛ حتَّى لا يغويه الشَّيطان فيرجع إِليها.

(٥) أَخبر ﷻ عن سُليمان عليه السلام أَنَّه قال: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ [ص:٣٣].

ومِنها: أَنَّهُ يُؤخذُ مِن أَنَّ سُليمانَ لَمَّا أَتلفَ الخَيلَ الجِيَادَ[١] -التي أَلْهَتهُ عن طاعةِ اللهِ- سخَّرَ اللهُ لَهُ الرِّيحَ، والشَّياطينَ: ((أَنَّ مَنْ تَرَكَ شَيْئًا لِلهِ عَوَّضَهُ اللهُ خَيْرًا مِنْهُ))[٢].

ومِنها: أَنَّ تَسخِيرَ الشَّياطينِ، وتَسخِيرَ الرِّيحِ على الوجهِ الذي سُخِّرتْ لسُليمانَ لا تكونُ لأَحدٍ بعدَ سُليمانَ[٣]؛ ولهذا لَمَّا أَرادَ[٤] النَّبيُّ ﷺ أَنْ يأْخذَ الشَّيطانَ الذي تَفَلَّتَ عليهِ لَيْلَةً فيربطَهُ في سَاريةِ المسجدِ قالَ: ((ذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِي سُلَيْمَانَ فَتَرَكْتُهُ))[٥].

ومِنها: أَنَّ سُليمانَ كان مَلِكًا نَبيًّا مباحٌ لَهُ أَنْ يفعلَ ما يريدُ، ولكنَّهُ لكمالِهِ لا يُرِيدُ إِلَّا الخيرَ والعَدلَ، وهذا بخلافِ النَّبيِّ العَبدِ، فإِنَّهُ لا يكونُ لَهُ إِرادةٌ مُستقلَّةٌ، بل إِرادتُهُ تابعةٌ لمرادِ اللهِ منهُ؛ فلا يفعلُ ولا يتركُ إِلَّا تبعًا للأَمرِ، كحالِ نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ.

ومِنها: أَنَّ اللهَ أَعطَى سُليمانَ مُلْكًا عَظِيمًا، فيهِ أُمورٌ لا يمكنُ أَنْ تُدْرِكَ بالأَسبابِ، وإِنَّما هي مِن تقديرِ المَلِكِ الوهَّابِ؛ مثلُ: تَسخِيرِ الرِّيحِ تَبعًا لأَمرِهِ، وتسخِيرِ الشَّياطينِ، وكونِ جنودِهِ مِن الإِنسِ والجنِّ والطَّيرِ، وأَنَّ الطُّيورَ كانتْ تخدمُهُ الخِدمةَ العَظيمَةَ؛ يُرسلُها لِلجهاتِ؛ تُوَصِّلُ منهُ الأَخبارَ، وتأْتيهِ بأَخبارِ تلكَ الجِهاتِ، وقد أَعطاها اللهُ مِن الفَهْمِ، ومَعرفةِ أَحوالِ الآدميِّيْنَ ما قَصَّ اللهُ علينا نبأَهُ في هذهِ القِصَّةِ، وكذلكَ الذي عندَهُ علمٌ مِن الكتابِ حينَ استعدَّ أَنْ يأْتيَهُ بعرشِ مَلِكةِ سبإٍ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِليهِ طَرْفُهُ.

وهذهِ آياتُ أَنبياءٍ؛ فلِهذا مَهْما بلغَ الخَلْقُ في التَّرَقِّي في علومِ الطَّبيعَةِ، والمهارَةِ بالمختَرَعاتِ فلن يَصِلُوا إِلى ما أُعطِيَهُ سُليمانُ.

ومِنها: أَنَّهُ ينبغِي لِلملوكِ والرُّؤساءِ أَنْ يَسأَلوا عن أَحوالِ الأُمَراءِ والرُّؤساءِ والرِّجالِ الْمُتميِّزِيْنَ،

---

(١) الجِيَادُ: جمع جَواد، وهو: الخيل السَّريع، بَيِّن الجودة. ينظر: المفْردات، ومقاييس اللُّغة، مادَّة: (جود).

(٢) سبق تخريجه: (ص:٦).

(٣) كما في دعوة سُليمان عليه السلام: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص:٣٥].

(٤) س: "رأى"، وما في: (خ) هو الموافق للفظ القصَّة في الحديث الآتي تخريجه.

(٥) بمعناه أخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب أَحاديث الأَنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص:٣٠]، (١٦٢/٤)، (٣٤٢٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصَّلاة، باب جواز لعن الشَّيطان في أثناء الصَّلاة، والتَّعوذ منه، وجواز العمل القليل في الصَّلاة، (٣٨٤/١) ح (٥٤١).

ولا يَكتَفُوا بمجرَّدِ السُّؤالِ، بل يَختبِروهُم، ويختبِرونَ عُقولَهُم، ومَعرفتَهُم للأُمورِ[(١)]؛ كمَا فعلَ سُليمانُ معَ مَلِكَةَ سبإٍ: امتحَنَها لِيستدلَّ على كَمالِ عقلِها ورَجاحَتِهِ، ولم يَكْتفِ بالسُّؤالِ[(٢)]، وهذا فيهِ لِلملوكِ فوائدُ عَظيمةٌ، وهم مُحتاجونَ لهذا أَشدَّ الحاجةِ، وتَمامُ الْمُلْكِ أَنْ يُديرَ دَفَّتَهُ الرِّجالُ الكامِلونَ[١١٩].

(١) س: "معرفتهم للأُمور وعقولهم".

(٢) قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [النمل:٤٢].

قِصَّةُ أَيُّوبَ ﷺ.

كانَ أَيُّوبُ مِن أَنبياءِ بَنِي إِسرائيلَ، ومِن الأَصفياءِ الكِرامِ، وقد ذَكَرَهُ اللهُ في كتابهِ[(١)]، وأَثنى عليهِ بالخِصالِ الحَميدةِ عُمومًا، وبالصَّبرِ على البَلاءِ خُصوصًا؛ فإِنَّ اللهَ -تعالى- ابتلاهُ بولدِهِ وأَهلِهُ ومالِهُ، ثُمَّ بِجَسدِهِ، فأَصابَهُ مِن البَلاءِ ما لم يُصِبْ أَحدًا مِن الخَلقِ، فصَبرَ لأَمرِ اللهِ، ولم يَزلْ مُنيبًا للهِ.

ولَمَّا تَطاوَلَ بهِ المرضُ العَظيمُ، ونَسيَهُ الصَّاحبُ والحَميمُ نادى ربَّهُ: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[(٢)]، فقِيلَ لَهُ: ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَ﴾[(٣)]، فرَكَضَ[(٤)]، فنبَعتْ بِرَكْضَتِهِ عَيْنُ ماءٍ باردٍ، فقِيلَ لَهُ: اشربْ مِنها، واغتسلْ، ففعلَ ذلكَ، فأَذهبَ اللهُ ما في باطنِهِ وظاهرِهِ مِن البلاءِ.

ثُمَّ أَعادَ اللهُ لَهُ أَهلَهُ ومالَهُ، وأَعطاهُ مِن النِّعَمِ والخيراتِ شَيئًا كَثيرًا[(٥)].

وصارَ بِهذا الصَّبرِ قُدوةً للصَّابِرينَ، وسَلْوةً لِلمُبْتَلَيْنَ، وآيةً[(٦)] لِلمُعْتَبِرِينَ.

---

(١) جاء ذكره في القرآن الكريم أَربع مرَّات؛ في سورة: النِّساء، والأَنعام، والأَنبياء، وص.

لم يطلِ المؤلِّف ﷺ في الفوائد المستنبطة مِن هذه القصَّه، واقتصر على ما لم يذكره مِن قبل في قصص الأَنبياء.

(٢) الأنبياء: ٨٣

قال البَغَوِيُّ ﷺ: "ليس هذا بشِكاية، إِنَّما هو دعاء؛ بدليل قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا﴾ [الأنبياء:٨٤]، على أَنَّ الجزَع إِنَّما هو في الشَّكوى إِلى الخَلق، فأَمَّا الشَّكوى إِلى الله ﷻ فلا يكون جزَعًا، ولا تَرْكَ صبر؛ كما قال يعقوب: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف:٨٦]، قال سُفيان بن عُيينة: وكذلك كلُّ مَن أَظهر الشَّكوى إِلى الخَلق وهو راض بقضاء الله لا يكون ذلك جزَعًا". مَعَالم التَّنزيل، (٣/٣١٠).

(٣) ص: ٤٢

(٤) الرَّكْضُ: تحريكُ الرِّجل، والضَّرب والدَّوس بها، و"﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَ﴾: أي: اضرب الأَرض برِجْلك". غريب القرآن، لابن قُتَيْبَة، (ص:٣٨٠)، وينظر: معاني القرآن، للزَّجَّاج، (٤/٣٣٤)، والصِّحاح، وتاج العَرُوس، مادَّة: (ركض).

(٥) قال ﷻ: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص:٤٣].

وقد خرجت أَبحاث طِبِّيَّة، تُبيِّن أَثر شرب الماء والاغتسال بهِ على الوقاية الصِّحية، وعلاج كثير مِن الأَمراض في الجسم. ينظر: تفسير المرَاغِي، للمَرَاغِي، (٢٣/١٢٤-١٢٥)، والتَّحرير والتَّنوير، (٢٣/٢٧٠-٢٧١)، والماء القلوي، لهند أَحمدوه، (ص:٦٢-٦٣).

(٦) س: "عبرة".

وكانَ في مرضِهِ قد وَجَدَ على زوجتهِ -المرأَةِ البارَّةِ الرَّحيمَةِ- في بعضِ شَيءٍ(١)، فحلَفَ أَنْ يجلِدَها مائةَ جلْدةٍ، فخفَّفَ اللهُ عنهُ وعنهَا؛ وقيلَ لَهُ: ﴿خُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾(٢): حُزْمةَ حَشِيْشٍ أَو عَلَفٍ، أَو شَمَارِيخَ(٣) أَو نحوَها؛ فِيها مائةُ عُودٍ: ﴿فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾(٤)؛ أَيْ: يَنْحلُّ بذلكَ يمينُكَ.

وفي هذا دليلٌ على أَنَّ كفَّارَةَ اليَمينِ لم تُشرعْ لأَحدٍ مِن قبلِ شَريعتِنا، وأَنَّ اليَمينَ عندَهُم بمنزلةِ النَّذرِ الذي لا بُدَّ مِن وفائِهِ(٥).

وفي هذا دليلٌ على أَنَّ مَن لا يَحْتَمِلُ إِقامَةَ الحَدِّ عليهِ لضَعْفِهِ ونحوِهِ أَنَّهُ يُقامُ عليهِ مُسمَّى ذلكَ؛ لأَنَّ الغَرضَ التَّنكيلُ، ليس الإِتلافَ والإِهلاكَ(٦).

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله: "وذلك أَنَّ أَيُّوب عليه السلام كان قد غضب على زوجته ووجد عليها في أمر فعلته، قِيل: إنَّها باعت ضَفِيرَتَهَا بخبز فأَطعمته إيَّاه فلامَها على ذلك، وحلف إنْ شفاهُ الله ليضربنَّها مائة جلد، وقِيل: لغير ذلك مِن الأَسباب، فلمَّا شفاه الله وعافاه ما كان جزاؤها مع هذه الخدمة التَّامَّة، والرَّحمة والشَّفقة والإحسان أَنْ تقابَل بالضَّرب فأَفتاه الله عزَّ وجلَّ أَنْ يأْخذ ضِغْثًا -وهو: الشِّمْرَاخ- فيه مائة قَضِيبٍ فيضربها به ضربة واحدة، وقد برَّت يمينُه، وخرج مِن حِنْثِهِ، ووفَّى بنذره، وهذا مِن الفرج، والمخرج لمن اتَّقى الله، وأَناب إليه". تفسير القرآن العظيم، (٧/٧٦).

(٢) ص: ٤٤

(٣) الشَّمَارِيخُ: جمع شِمْرَاخٍ، وهو: "ما يكون فِيه الرُّطب". المصباح، وينظر: لسان العرب، مادَّة: (شمرخ).

(٤) ص: ٤٤

(٥) أَشار إِليه ابن العربيِّ، ونصَّ عليه ابن كثير، وردَّه القُرْطُبِيُّ رحمهم الله. ينظر: أَحكام القرآن، لابن العربي، (٤/٧٢)، والجامع لأَحكام القرآن، (١٥/٢١٥)، وتفسير القرآن العظيم، (٧/٧٦).

(٦) أَخرج أَحمد في مسنده، (٣٦/٢٦٣) ح (٢١٩٣٥)، واللَّفظ لَهُ، وابن ماجه في سننه، كتاب الحدود، باب الكبير والمريض يجب عليه الحدُّ، (٢/٨٥٩) ح (٢٥٧٤)، وأَبو داود في سننه، كتاب الحدود، باب في إقامة الحدِّ على المريض، (٤/١٦١) ح (٤٤٧٢)، عن أَبِي أُمَامَةَ بن سَهْل، عن سَعِيد بن سَعْد بن عُبَادَة، قَالَ: "كَانَ بَيْنَ أَبْيَاتِنَا إِنْسَانٌ مُخْدَجٌ ضَعِيفٌ، لَمْ يُرَعْ أَهْلُ الدَّارِ إِلَّا وَهُوَ عَلَى أَمَةٍ مِنْ إِمَاءِ الدَّارِ يَخْبُثُ بِهَا، وَكَانَ مُسْلِمًا، فَرَفَعَ شَأْنَهُ سَعْدٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: ((اضْرِبُوهُ حَدَّهُ))، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُ أَضْعَفُ مِنْ ذَلِكَ، إِنْ ضَرَبْنَاهُ مِائَةً قَتَلْنَاهُ قَالَ: ((فَخُذُوا لَهُ عِثْكَالًا فِيهِ مِائَةُ شِمْرَاخٍ، فَاضْرِبُوهُ بِهِ ضَرْبَةً وَاحِدَةً، وَخَلُّوا سَبِيلَهُ))".

صحَّحه الأَلبانيُّ، والأَرْنَؤُوط، ومَن معه في تحقيق مسند أَحمد، وقال: "حديث صحيح، وهذا إِسناد رجاله ثقات، غير محمَّد بن إِسحاق، فهو صدوق حسن الحديث، لكنَّه مُدلِّس، وقد عنعنه، لكن رُوي الحديث مِن غير وجه عن أَبي أُمامة، واختُلف عليه في وصله وإرساله، وأَصحُّ هذه الأَوجه عنه المرسل، وإرساله لا يضرُّ، فهو معدود في صغار الصَّحابة، ولد في عهد النَّبيِّ ﷺ، وهو الذي سمَّاه وحنَّكه". مسند أَحمد، (٣٦/٢٦٣)، وينظر: سلسلة الأَحاديث الصَّحيحة، (٦/١٢١٥-١٢٢١) ح (٢٩٨٦).

=

قِصَّةُ الخَضِرِ[١] مَعَ مُوسَى

وَمَحَلُّها في أَثْناءِ قَصَصِ مُوسَى[٢].

وذلكَ أَنَّ مُوسَى عليه السلام قامَ ذاتَ يومٍ في بَنِي إسرائيلَ مَقامًا عَظيمًا، علَّمهُم فيهِ عُلومًا جَمَّةً، وأَعجبَ النَّاسَ بكمالِ علمِهِ، فقال لَهُ قائلٌ: يا نبيَّ اللهِ، هل يُوجدُ، أَو هلْ تَعْلَمُ في الأَرضِ أَحدًا أَعلَمَ منكَ؟ فقالَ: لَا؛ بناءً على ما يَعرِفُهُ، وتَرغِيبًا لهم في الأَخذِ عنهُ، فأَخبرَهُ اللهُ أَنَّ لَهُ عَبدًا في مَجْمَعِ البَحرينِ[٣] عندَهُ عُلومٌ ليستْ عندَ مُوسَى، وإلهامَاتٌ خارجةٌ عن الطَّورِ المعهودِ، فاشتاقَ مُوسَى إلى لُقْياهُ؛ رغبةً في الازديادِ مِن العِلْمِ، فطَلَبَ مِن اللهِ أَنْ يَأْذنَ لَهُ في ذلكَ، وأَخبرَهُ بموضِعِهِ، وتَزَوَّدَا[٤] حُوْتًا، وقِيلَ لَهُ: إذا فَقَدْتَّ الحُوتَ فهُو في ذلكَ المكانِ، فذهبَ فوجدَهُ، وكان ما قَصَّ اللهُ -تعالى-[٥] مِن نبَئِهما[٦] في الكَهْفِ[٧]: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ

وهذا الحُكم معمول به عند كثير من العلماء، خلافًا لمالك رحمه الله. ينظر: أحكام القرآن، للجصَّاص، (٥/٢٥٨-٢٥٩)، أحكام القرآن، للْكِيَا الْهَرَّاسِيّ، (٤/٣٦١)، وأحكام القرآن، لابن العربي، (٤/٧١)، والمغني، لابن قدامة، (٩/٤٨).

(١) أخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب أَحاديث الأنبياء، باب حديث الخَضر مع موسى عليهما السلام، (٤/١٥٦) ح (٣٤٠٢)، عن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنَّمَا سُمِّيَ الخَضِرَ أَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوَةٍ بَيْضَاءَ، فَإِذَا هِيَ تَهْتَزُّ مِنْ خَلْفِهِ خَضْرَاءَ)).

(٢) قصص موسى عليه السلام تقدَّمت: (ص:٦-٦).

(٣) قال ابن عطيَّة رحمه الله: "واختلف النَّاس في مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَين هو؟ فقال مُجاهد وقَتادة: هو مُجتمع بحر فارس وبحر الرُّوم، قال القاضي أبو محمَّد: وهو ذراع يخرج من البحر المحيط، من شمال إلى جنوب في أَرض فارس من وراء أَذْرَبِيْجَان؛ فالرُّكن الذي لاجتماع البحرين ممَّا يلي برَّ الشَّام هو مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ، هو عند طَنْجَة، وهو حيث يجتمع البحر المحيط، والبحر الخارج منه السَّائر من دَبُورٍ إِلَى صِبَا، ورُوي عن أُبيِّ بن كعْب أنَّه قال: مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ بإفريقيَّة، وهذا يقرب من الذي قبله، وقال بعض أَهل العلم: هو بحر الأَندلس من البحر المحيط، وهذا كلُّه واحد". المحرَّر الوجيز، (٣/٥٢٧).

(٤) موسى وفتاه عليهما السلام.

(٥) "تعالى"، ليست في: (س).

(٦) خ: "نبائهما"، س: "نبأهما"، والصَّواب: "نبئهما"؛ لأَنَّ الهمزة متوسِّطة مكسورة. ينظر: الإملاء والتَّرقيم، (ص:٥٢).

(٧) ما سبق هو بمعنى الحديث الذي أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب أَحاديث الأَنبياء، باب حديث الخَضِر مع موسى عليهما السلام، (٤/١٥٤) ح (٣٤٠١)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب مِن فضائل الخَضِر عليه السلام، (٤/١٨٤٧) ح (٢٣٨٠)، عن أُبيِّ ابن كعب رضي الله عنه.

﴿أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾[(١)]، ﴿ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا﴾[(٢)].

وفي هذهِ القِصَّةِ مِن الفوائدِ والأَحكامِ والقَواعدِ شَيءٌ كثيرٌ، نُنَبِّهُ على بَعضهِ بعونِ اللهِ، ونَذْكُرُ الْمُهِمَّ منهُ:

فمِنها: ما اشتملتْ عليهِ القِصَّةُ مِن فَضِيلةِ العِلْمِ وشَرفِهِ، ومَشروعيَّةِ الرِّحلَةِ في طلَبِهِ، وأنَّهُ أهمُّ الأُمورِ؛ فإنَّ مُوسَى رَحلَ لطلَبِهِ[(٣)] مَسافةً طويلةً، ولَقِيَ في ذلكَ النَّصَبَ، وترَكَ الإِقامَةَ عندَ بَني إِسرائيلَ -لتعليمِهِم وإرشادِهِم- واختارَ السَّفرَ؛ لزيادةِ العِلْمِ على ذلكَ[(٤)].

ومِنها: البُداءَةُ في العِلْمِ بالأَهَمِ فالأَهَمِ، فإنَّ زيادَةَ عِلمِ الإِنسانِ بنفْسِهِ أَهمُّ مِن ترْكِ ذلكَ؛ اشتغالًا بالتَّعليمِ فقطْ، بل يَتعلَّمُ لِيُعلمَ.

ومِنها: جوازُ أَخذِ الخادمِ في السَّفرِ والحضَرِ؛ لِكفايةِ الْمُؤَنِ، وطلبِ الرَّاحةِ، كما فعلَ مُوسَى[(٥)].

ومِنها: أَنَّ المسافِرَ بطلبِ العِلْمِ أَو الجِهادِ أَو غيرِهما مِن أَسفارِ الطَّاعةِ، بل وكذلكَ غيرُهُا[(٦)] إذا اقتضَتِ المصلَحةُ الإِخبارَ بِمَطْلَبِهِ، وأَينَ مُرادِهِ؛ فإِنَّهُ أَكمَلُ مِن كَتْمِهِ؛ فإِنَّ في إِظهارِهِ مِن فوائدِ الاستعدادِ لَهُ عُدَّتَهُ، وإِتيانِ الأَمرِ على بَصيْرةٍ، والإِعلانِ بالتَّرغيبِ لهذهِ العِبادةِ الفاضلَةِ[(٧)]؛ لقولِ مُوسَى: ﴿لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾[(٨)].

---

(١) الكهف: ٦٠

(٢) الكهف: ٨٢

(٣) س: "في طلبه".

(٤) قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾ [الكهف: ٦٠].

(٥) "ﷺ"، زيادة في: (س).

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا﴾ [الكهف: ٦٢].

(٦) س: "غيرهما".

(٧) لم يذكر المؤلِّف رحمه الله اسم "إنَّ"، والمعنى واضح من السِّياق، ويمكن أن يقدَّر: "مصلحةً"، أو "خيراً"، أو نحوهما.

(٨) الكهف: ٦٠

ولَمَّا غَزَا[(١)] ﷺ[(٢)] أَخبرَ النَّاسَ بِمَقْصِدِهِ، مع أَنَّهُ كان في الغالبِ: ((إِذَا أَرَادَ غَزْوَةً وَرَّى بِغَيْرِهَا))[(٣)] تَبَعًا للمصلَحةِ في الحالَتَينِ.

ومِنها: إِضافَةُ الشَّرِّ وأَسبابِهِ إِلى الشَّيطانِ، وكذلِكَ النَّقصُ؛ لقولِ فَتَى مُوسَى[(٤)]: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥ﴾[(٥)].

ومِنها: جوازُ إِخبارِ الإِنسانِ عمَّا يَجِدُهُ مِمَّا هو مُقتَضَى الطَّبيعَةِ البَشَرِيَّةِ، مِن نَصَبٍ أَو جُوعٍ أَو عَطَشٍ[١٢٠]، إِذا لم يكنْ على وجهِ التَّسَخُّطِ، وكان صِدْقًا[(٦)]؛ لقولِهِ: ﴿لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا﴾[(٧)].

ومِنها: أَنَّهُ ينبغِي أَنْ يَتَّخِذَ الإِنسانُ خادِمًا ذَكِيًّا، فَطِنًا كَيِّسًا؛ لِيتِمَّ لَهُ أَمْرُهُ الذي يُرِيدُ.

ومِنها: استحبابُ إِطعامِ الإِنسانِ خادِمَهُ مِن مَأْكَلِهِ، وأَكْلِهِما جَمِيعًا؛ لأَنَّ ظاهِرَ قولِهِ: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾[(٨)] أَنَّهُ لِلجميعِ[(٩)].

---

(١) خ: "غزى"، وس: "غزا"؛ وهي الصَّواب إملائيًا؛ لأَنَّه فعل ثلاثي أَلفه منقلبة عن واو، فمضارعه: "يغزو". ينظر: الإملاء والتَّرقيم في الكتابة العربيَّة، (ص:٧١)، وقواعد الإملاء، لعبدالسَّلام هارون، (ص:٢٦، ٧٦).

(٢) س: "غزا تبوك"، وهي الأَولى؛ لأَنَّهﷺ لم يصرِّح ببيان وِجْهَتِهِ إلا في غزوة تبوك، دون غيرها من الغزوات.

(٣) بنحوه أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب الجهاد والسِّير، باب مَن أَراد غزوة فورَّى بغيرها، ومَن أَحبَّ الخروج يوم الخميس، (٤٨/٤) ح (٢٩٤٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب التَّوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، (٢١٢٨/٤) ح (٢٧٦٩)، عن كعب بن مالكﷺ.

(٤) الفَتَى: الشَّاب، ولم يكن عبدًا؛ "وإنما سُمِّي فتاه لأَنَّه كان يلازمه، ويأْخذ عنه العلم، ويخدمه". زاد الْمَسِير، (٩٥/٣)، وينظر: إكمال الْمُعْلِم، (١٩٠/٧)، ومُختار الصِّحاح، مادَّة: (فتي).

وهو: يُوشَع بن نُون، مِن نسل يوسفعليه السلام، وابن أُخت موسىعليه السلام، ووصيُّه بعد موته، يقيم فيهم التَّوراة، وأَحد الرَّجلَين الذَين أَنعم الله عليهما، وهو الذي فتح الأَرض المقدَّسة، واستُوقِفت لَهُ الشَّمس. ينظر: جامع البيان، (١٧٦/١٠)، والمحرَّر الوجيز، (٥٢٧/٣)، والجامع لأَحكام القرآن، (٢٧٠/٩).

(٥) الكهف: ٦٣

(٦) أَخبرﻷ عن لوطعليه السلام أَنَّه قال: ﴿هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ﴾ [هود:٧٧]؛ فلا يدخل هذا في سبِّ الدَّهر؛ لأَنَّه قصد الخبر عن الواقع، وليس اللَّوم، والتَّسخط. ينظر: القول المفيد على كتاب التَّوحيد، للعُثَيْمِين، (٢٤٠/٢).

(٧) الكهف: ٦٢

(٨) الآية السَّابقة.

(٩) أَخرج مسلم في صحيحه، كتاب الأَيمان، باب إطعام المملوك مِمَّا يأْكل، وإلباسه مِمَّا يلبس، ولا يكلِّفه ما يغلبه، (١٢٨٤/٣) ح (١٦٦٣)، عن أَبي هريرةﷺ، قال: قال رسول اللهﷺ: ((إِذَا صَنَعَ لِأَحَدِكُمْ خَادِمُهُ طَعَامَهُ، ثُمَّ
=

ومِنها: أَنَّ الْمَعُونةَ تَنْزِلُ على العبدِ بحسَبِ قيامِهِ بالأَمرِ الشَّرعِيِّ، وأَنَّ ما وافقَ رِضا اللهِ يُعانُ عليهِ ما لا يُعانُ على غيرِهِ؛ لِقولِهِ: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾، والإشارةُ إلى السَّفرِ المجاوِزِ لِمَجْمَعِ البحرينِ، وأَمَّا الأَوَّلُ فلَم يَشْتَكِ منهُ معَ طُولِهِ[1].

ومِنها: أَنَّ ذلِكَ العبْدَ الذي لَقِيَاهُ ليس نبيًّا، بل هو عبدٌ صالحٌ عالمٌ مُلْهَمٌ؛ لأَنَّ اللهَ ذكرَهُ بالعِلمِ والعُبوديَّةِ الخاصَّةِ والأَوصافِ الجميلَةِ، ولم يذكرْ معَها أَنَّهُ نَبِيٌّ أَو رَسولٌ[2].

وأَمَّا قولُهُ في آخرِ القِصَّةِ: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾[3]، فإِنَّهُ لا يدلُّ على أَنَّهُ نَبِيٌّ، وإِنَّما يدلُّ على الإلهامِ والتَّحْدِيثِ، وذلكَ يكونُ لغيرِ الأَنبياءِ، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾[4]، ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾[5].

ومِنها: أَنَّ العِلْمَ الذي يُعَلِّمُهُ اللهُ للعبدِ نوعانِ:

- عِلمٌ مُكْتَسَبٌ، يُدرِكهُ العبدُ بطلبِهِ وجِدِّهِ.

- وعِلمٌ إلهيٌّ لَدُنِّيٌّ[6]، يهَبُهُ اللهُ لِمَن يَمُنُّ عليهِ مِن عبادِهِ؛ لقولِهِ: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[7]، فالخَضِرُ أُعطِيَ مِن هذا النَّوعِ الحظُّ الأَوفرُ.

جَاءَهُ بِهِ، وَقَدْ وَلِيَ حَرَّهُ وَدُخَانَهُ، فَلْيُقْعِدْهُ مَعَهُ، فَلْيَأْكُلْ، فَإِنْ كَانَ الطَّعَامُ مَشْفُوهًا قَلِيلًا، فَلْيَضَعْ فِي يَدِهِ مِنْهُ أُكْلَةً أَوْ أُكْلَتَيْنِ)).

(١) نصَّ كثير مِن المفسِّرين أَنَّ موسى عليه السلام لم يجد التَّعب حتَّى جاوز المكان الذي أَمره الله تعالى به. ينظر: مَعَالم التَّنزيل، (٣/٢٠٢)، والجامع لأَحكام القرآن، (١١/١٣)، وتفسير القرآن العظيم، (٥/١٧٥).

(٢) وهناك رأْي قويٌّ يقول: بنبوَّته؛ لقوله جل جلاله: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف:٦٥]، وقول موسى لَهُ: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف:٦٦]، وقول الخَضِر: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف:٨٢]، وأَفعاله تدلُّ على نبوَّته، والزَّنادقة يتذرَّعون بكونه غير نبيٍّ، فيفضِّلون الوليَّ على النَّبيِّ، قال ابن عَرَبِيٍّ:

مَقَامُ النُّبُوَّةِ فِيْ بَرْزَخٍ فُوَيْقَ الرَّسُوْلِ وَدُوْنَ الْوَلِيِّ"

ينظر: الجامع لأَحكام القرآن، (١١/١٦)، وتفسير القرآن العظيم، (٥/١٨٧)، والزَّهر النَّضِر في حال الخَضِر، لابن حجَر، (ص:٢٩)، وأَضواء البيان، (٣/٣٢٢-٣٢٦).

(٣) الكهف: ٨٢

(٤) النحل: ٦٨

(٥) القصص: ٧

(٦) هو ما يحصل للعبد بإلهام مِن الله جل جلاله. ينظر: مَدارج السَّالِكِين، (٢/٤٤٥).

(٧) الكهف: ٦٥

ومِنها: التَّأَدُّبُ مع الْمُعلِّمِ والتَّلطُّفُ في خِطابِهِ؛ لقولِ مُوسَى: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾(١)؛ فَأَخرجَ الكلامَ بصورةِ الْمُلاطَفةِ والمشَاورَةِ، وأَنَّكَ هلْ تأْذنُ لِي أَمْ لا؟.

وإظهارُ حاجتهِ إِلى الْمُعَلِّمِ، وأَنَّهُ يَتعلَّمُ منهُ، ومُفتَاقٌ(٢) إلى ما عِندَهُ، بخلافِ حالِ أَهلِ الكِبرِ والجَفاءِ الذين لا يُظْهِرونَ حاجتَهُم إلى عِلْمِ الْمُعلِّمِ، فلا أَنْفعَ لِلمُتعلِّمِ مِن إظهارِ الحاجةِ إلى عِلمِ المعلِّمِ، وشُكرِهِ على تَعليمِهِ.

ومِنها: تواضعُ الفاضلِ للتَّعلُّمِ مِمَّن هو دُونَهُ، فإِنَّ مُوسَى -بِلا رَيبٍ- أَفضلُ مِن الخَضِرِ(٣).

ومِنها: تَعلُّمُ العَالِمِ الفاضلِ لِلعِلمِ الذي لم يَتمَهَّرْ فيهِ مِمَّن مَهَرَ فيهِ(٤) -وإِنْ كانَ دُونَهُ في العِلْمِ درجاتٍ- فإِنَّ مُوسَى مِن أَكابرِ أُولِي العَزْمِ مِن الرُّسُلِ(٥)، الذين مَنَحهُم اللهُ، وأَعطَاهُم مِن العُلومِ ما لم يُعْطِ سِواهُم، ولكنْ في هذا العِلْمِ الخاصِّ كانَ عندَ الخَضِرِ ما ليسَ عندَهُ؛ فلِهذا اشتدَّ حِرصُهُ على التَّعلُّمِ منهُ.

ومِنها: أَنَّهُ يَتَعَيَّنُ إضافةُ العِلْمِ وغيرِهِ مِن الفضائلِ إلى فضلِ اللهِ ورحمتِهِ، والاعترافُ بذلكَ، وشكرُ اللهِ عليهِ؛ لقولِهِ: ﴿تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾(٦).

ومِنها: أَنَّ العِلْمَ النَّافعَ: هو العِلْمُ الْمُرشِدُ إلى الخيرِ، وكلُّ عِلمٍ فيهِ رُشْدٌ وهِدايةٌ لطريقِ الخيرِ، وتحذيرٌ عن طريقِ الشَّرِّ، أَو وَسيلةٌ إلى ذلكَ، فإِنَّهُ مِن العِلمِ النَّافعِ، وما سِوى ذلكَ فإِمَّا أَنْ يكونَ ضَارًّا، أَو ليسَ فيهِ فائدةٌ؛ لقولِهِ: ﴿أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾.

ومِنها: أَنَّ مَن ليسَ لَهُ صبرٌ على صُحبةِ العَالِمِ، ولا قُوَّةٌ على الثَّباتِ على طريقةِ التَّعلُّمِ، فإِنَّهُ

(١) الكهف: ٦٦

(٢) س: "مشتاق".

و"مُفتَاقٌ" أَبلغ، وهي من"الفَاقة: الفقر والحاجة، وافْتَاق الرَّجل افتقر". مختار الصِّحاح، مادة: (فوق).

(٣) لكونه نبيًّا رسولًا؛ ومِن أُولي العزم، ولَمَّا عدَّد الله ﷻ جملة مِن الأنبياء والرُّسل قال: ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:٨٦]، وأَمَّا الخَضِر فعبد صالح -على رأيٍ-، قال ابن تيميَّة رحمه الله: "والأنبياء أَفضل الخَلق باتِّفاق المسلمين". مِنهاج السُّنَّة النَّبويَّة، (٢/٤١٧).

(٤) نصَّ النَّوَوِيُّ على هذه الفائدة، مع فوائد أُخر. ينظر: الْمِنهَاج شرح صحيح مسلم بن الحَجَّاج، (١٥/١٣٧).

(٥) سبق ذكرهم، (ص:٦).

(٦) الكهف: ٦٦

قاصرٌ ليسَ بأَهلٍ لِتلَقِّي العِلْمِ، فمَن لا صَبرَ لَهُ لا يُدْرِكُ العِلمَ، ومَن استعملَ الصَّبْرَ ولازمَهُ أَدركَ بهِ كلَّ أَمرٍ سَعَى إِليهِ؛ فإِنَّ الخَضِرَ اعتذرَ عن مُوسَى أَنَّهُ لا يَصبِرُ على عِلْمِهِ الخاصِّ(١).

ومنها: أَنَّ مِمَّا يُعِينُ على الصَّبرِ على الأَشياءِ إِحاطةَ العَبْدِ بِها عِلمًا، وبِمنافِعِها وثَمراتِها ونَتائِجِها، فمَن لا يَدْرِي هذهِ الأُمورَ يصعُبُ عليهِ الصَّبرُ؛ لقولِهِ: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾(٢).

ومنها: الأَمرُ بالتأَنِّي والتَّثبُّتِ، وعدمِ المبادرةِ على الحُكمِ على الأَشياءِ حتَّى يَعْرِفَ ما يُرادُ منهُ، وما هو المقصودُ(٣).

ومنها: مشروعيَّةُ تعليقِ إِيجادِ الأُمورِ الْمُستقْبَلَةِ على مشيئةِ اللهِ؛ لقولِهِ: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾(٤).

وأَنَّ(٥) العزْمَ على الشَّيءِ ليسَ بمنزلةِ فِعلِهِ؛ فمُوسَى عزَمَ على الصَّبرِ، ولكنْ لم يفعلْ.

ومنها: أَنَّ المعَلِّمِ إِذا رأَى مِن المصْلَحةِ أَنْ يُخبِرَ المتعلِّمَ[١٢١] أَنْ يَتْرُكَ الابتداءَ في السُّؤالِ عن بعضِ الأَشياءِ؛ حتَّى يكونَ المعلِّمُ هو الذي يُوقِفُهُ عَليها، فإِنَّ المصلَحَةَ تُتَّبعُ؛ كمَا إِذا كانَ فَهْمُهُ قاصِرًا، أَو نَهاهُ عن التَّدقيقِ الشَّديدِ، أَو الأَسئلةِ التي لا تَتعلَّقُ بالموضُوعِ(٦).

ومنها: جوازُ رُكوبِ البَحرِ؛ إِذا لم يكنْ في ذلكَ خطَرٌ(٧).

ومنها: أَنَّ النَّاسِيَ غيرَ مؤَاخذٍ، لا في حَقِّ اللهِ ولا في حَقِّ العِبادِ، إِلَّا إِنْ ترتَّبَ على ذلكَ

---

(١) أَخبر الله -تعالى- أَنَّ الخَضِر قال لموسى عليه السلام: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ۝٦٧ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ [الكهف:٦٧-٦٨].

(٢) الكهف: ٦٨

(٣) سبق كلام الأُصوليِّيْن في مثل هذا: (ص:٦).

(٤) الكهف: ٦٩

(٥) س: "إِنَّ".

(٦) أَخبر جل جلاله أَنَّ الخَضِر قال لموسى عليه السلام: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٧٠].

(٧) قال جل جلاله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ﴾ [الكهف:٧١]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ [الكهف:٧٩].

إتلافُ مالٍ، ففيهِ الضَّمانُ حتَّى على النَّاسي[١]؛ لقولِهِ: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾[٢].

ومِنها: أَنَّهُ ينبغِي للعبدِ أَنْ يأْخذَ مِن أَخلاقِ النَّاسِ ومُعامَلاتِهم العَفوَ مِنها، وما سَمَحتْ بهِ أَنفسُهُم، ولا يَنبغِي لَهُ أَنْ يُكلِّفَهُم ما لا يُطيقونَ، أَو يَشقُّ عليهِم أَو يُرهِقُهُم، فإِنَّ هذا داعٍ إِلى النُّفورِ، بل يأْخذُ المتيسِّرَ؛ ليتيسَّرَ لَهُ الأَمرُ[٣].

ومِنها: أَنَّ الأُمورَ تُجْرى على ظاهرِها، وتُعلَّقُ بِها الأَحكامُ الدُّنيويَّةُ في كلِّ شيءٍ؛ فإِنَّ مُوسَى عليه السلام أَنكرَ على الخَضِرِ خَرْقَ السَّفينةِ، وقَتْلَ الغلامِ بحسَبِ أَحكامِها العامَّةِ، ولم يَلْتفتْ إِلى الأَصلِ الذي أَصَّلَاهُ -هو والخَضِرُ- أَنَّهُ لا يَسأَلُهُ، ولا يَعْترضُ عليهِ حتَّى يكونَ الخَضِرِ هو المبتدِئُ.

ومِنها: فيهِ تنبيهٌ على القاعدةِ[٤] الكبيرةِ، وهو أَنَّهُ: (يُدْفعُ الشَّرُّ الكبيرُ بارتكابِ الشَّرِّ الخَفيفِ، ويُراعَى أَكبرُ المصلَحتَينِ بتفويتِ أَدناهُما)[٥]؛ فإِنَّ قتلَ الغلامِ الصَّغيرِ شَرٌّ، ولكنْ بقاؤُهُ[٦] حتَّى يبلغَ، ويَفتِنَ أَبويهِ عن دينِهما أَعظمُ شرًّا، وبقاءُ الغلامِ مِن دونِ قَتْلٍ وإِنْ كانَ في ظاهرِ الحالِ أَنَّهُ خيرٌ، فالخيرُ ببقاءِ أَبويهِ على دينِهما خيرٌ مِن ذلكَ؛ فلِذلكَ قَتلَهُ الخَضِرُ بعدمَا أَلهمَهُ اللهُ الحَقِيقةَ؛ فكانَ إِلهامُهُ الباطنيُّ لهُ[٧] بمنزلةِ البَيِّناتِ الظَّاهرةِ في حقِّ غيرِهِ[٨].

---

(١) الخطأُ والنِّسيان يُرفع فيهما الإثم، أَمَّا الضَّمان فغير مرفوع، وهذا متَّفق عليه بين أَهل العلم، وقد نصَّ عليه ابن العربيِّ، وابن عبدالبرِّ، والقُرْطُبِيُّ، قال ابن القيِّم رحمه الله: "فالخطأُ والعمد اشتركا في الإتلاف، الذي هو عِلَّة للضَّمان، وإنْ افترقا في علَّة الإثم، وربْطُ الضَّمان بالإتلاف مَن باب ربط الأَحكام بأَسبابها، وهو مقتضى العَدلِ الذي لا تَتمُّ المصلحة إلَّا به، كما أَوجب على القاتل خطأً دية القتيل؛ ولذلك لا يعتمد التَّكليف؛ فيضمن الصَّبي والمجنون والنَّائم ما أَتلفوه مِن الأَموال، وهذا مِن الشَّرائع العامَّة التي لا تتمُّ مصالح الأُمَّة إلَّا بها؛ فلو لم يضمنوا جنايات أَيديهم لأَتلف بعضهم أَموال بعض، وادعى الخطأَ، وعدم القصد". إعلام الموقِّعين، (١١٦/٢)، وينظر: أَحكام القرآن، لابن العربي، (٣٤٨/١)، والاستذكار، (٣٠٠/٧)، والجامع لأَحكام القرآن، (٤٣٢/٣).

(٢) الكهف: ٧٣

(٣) أخبر عز وجل أَنَّ موسى قال للخضِر عليه السلام: ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [الكهف:٧٣].

(٤) "المشهورة"، زيادة في: (س).

(٥) سبق الكلام على هذه القاعدة: (ص:٦).

(٦) س: "بقاءه"، على أَنَّها اسم "لكنَّ".

(٧) "له"، ليست في: (س).

(٨) هذا مُشكل جدًّا، وهو مَبنِيٌّ على القول بعدم نبوَّة الخَضِر، وكثيرٌ مِن غلاة الصُّوفيَّة يدَّعون هذا الإلهام الباطنيَّ الذي لا ينضبط، فأَدخلوا في دين الله أَنواعًا مِن الخرافات والزَّندقة، وقد سبق ترجيح نبوَّة الخَضِر: (ص:٦). ينظر: كشف شُبهات الصُّوفيَّة، لشحاتة محمَّد، (ص:١٦٠)، والفكر الصُّوفيُّ، لعبدالرَّحمن بن عبدالخالق، (ص:١٣٣).

ومِنها: القاعدةُ الكبيرةُ الأُخرَى، وهي: أَنَّ عَمَلَ الإنسانِ في مالِ غيرِهِ -إذا كانَ على وجْهِ المصْلحةِ ودفعِ المضرَّةِ- يجوزُ بلا إِذنٍ، حتَّى ولو ترتَّبَ عليهِ إتلافُ بعضِ المالِ؛ كما خَرَقَ الخَضِرُ السَّفِينَةَ؛ لِتَعِيبَ، فتسلمَ مِن غَصْبِ الملِكِ الظَّالِمِ(١).

وتحتَ هاتينِ القاعدَتينِ مِن الفوائدِ ما لا حَصرَ لَهُ(٢).

ومنها: أَنَّ العمَلَ يجوزُ في البحرِ كما يجوزُ في البَرِّ؛ لقولِهِ: ﴿يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾(٣).

ومِنها: أَنَّ القَتلَ مِن أكبرِ الذُّنوبِ(٤).

ومِنها: أَنَّ العَبْدَ الصَّالِحَ يَحفظُهُ اللهُ في نفسِهِ، وفي ذُرِيَّتِهِ، وما يَتعلَّقُ بهِ؛ لقولِهِ: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا﴾(٥).

وأَنَّ خِدمَةَ الصَّالِحِينَ، وعَملَ مصالحِهِم أَفضلُ مِن غيرِهِم؛ لأَنَّهُ عَلَّلَ أَفعالَهُ بالجِدَارِ بقولِهِ: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا﴾.

ومِنها: استعمالُ الأَدبِ معَ اللهِ -حتَّى في الأَلفاظِ- فإِنَّ الخَضِرَ أَضافَ عَيْبَ السَّفينَةِ إِلى نفسِهِ، بقولِهِ: ﴿فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا﴾(٦).

وأَمَّا الخَيْرُ فأَضافَهُ إِلى اللهِ؛ لقولِهِ: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ﴾(٧)، وقال إبراهيمُ: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾(٨)، وقالتِ الجنُّ: ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ

---

(١) قال العُثَيْمِين رحمه الله: "فصار فعل الخَضِر مِن باب دفع أَشدِّ الضَّررين بأخفِّهما، ومنه يؤخذ فائدة عظيمة وهي: إتلاف بعض الشَيء لإصلاح باقيه، والأَطباء يعملون به، تجده يأْخذ مِن الفخذ قطعة فيصلح بها عيبًا في الوجه، أو في الرَّأْس، أو ما شابه ذلك، وأَخذ منه العلماء رحمهم الله أَنَّ الوقف إذا دَمَر وخرب فلا بأْس أَنْ يباع بعضه ويصرف ثمنه في إصلاح باقيه". تفسير العُثَيْمِين: الكهف، (ص:١٢١-١٢٢).

(٢) للوليِّ أَنْ يصانع السُّلطان ببعض مال اليتيم؛ ليسلم باقيه، وللرَّاعي أَنْ يُذكِّي الشَّاة المشرفة على الهلاك؛ لينتفع بها أَهلها، بلا ضمان. ينظر: الجامع لأَحكام القرآن، (١٩/١١)، ومَجْمُوع الفَتَاوَى، (٢٥٤/٣٠).

(٣) الكهف: ٧٩

(٤) أَخبر سبحانه وتعالى أَنَّ موسى قال للخضِر عليه السلام: ﴿أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا﴾ [الكهف:٧٤].

(٥) الكهف: ٨٢

(٦) الكهف: ٧٩

(٧) الكهف: ٨٢

(٨) الشعراء: ٨٠

أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾[١]، معَ أَنَّ الكُلَّ بقضاءِ اللهِ، وقدرِهِ[٢].

ومِنها: أَنَّهُ يَنْبَغِي للعبدِ أَنْ لا يُفارِقَ صاحبَهُ في حالةٍ مِن الأَحوالِ، ويترك صُحبَتَهُ، بلْ يَفِي لَهُ بذلكَ حتَّى لا يَجدَ للصَّبْرِ مَحَلًّا[٣].

وأَنَّ مُوافَقةَ الصَّاحبِ لصَاحِبهِ في غيرِ الأُمورِ المَحْذورةِ مَدعاةٌ، وسَببٌ لِبقاءِ الصُّحبَةِ، وتأَكُّدِها، كمَا أَنَّ عدمَ الموافقةِ سَببٌ لقطعِ الْمُرافَقةِ[٤].

---

(١) الجن: ١٠

(٢) نبَّه عدد من العلماء على هذا الأَدب في الخطاب مع الله عَزَّ وَجَلَّ. ينظر: قانون التَّأْويل، لابن العربي، (ص:٥٢٣)، والبُرهان في علوم القرآن، (٤/٥٩)، ومُعْتَرك الأَقران في مُشْتَرك القرآن، للسُّيُوطِي، (٣/٦٠).

(٣) أَخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّ مُوسَى قال للخضِر عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف:٧٦].

(٤) أَخبر تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّ الخَضِر قال لموسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف:٧٨].

قِصَّةُ ذِي(١) القَرْنَيْنِ(٢).

وكانَ ذُو القَرْنَينِ مَلِكًا صَالحًا، وقد أَعطاهُ اللهُ مِن القُوَّةِ و(٣) أَسبابِ الْمُلْكِ، والفُتوحِ ما لم يكن لغيرِهِ.

فذكرَ اللهُ مِن حُسْنِ سِيرتهِ، ورَحمتِهِ، وقوَّةِ مُلكِهِ، وتوَسُّعِهِ في الْمَشارِقِ والْمَغارِبِ ما يحصلُ بِهِ المقصودُ التَّامُّ مِن سِيرتِهِ، ومعرفةِ أَحوالِهِ، ولِهذا قال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾(٤)؛ أَيْ: مِن بعضِ أَخبارِهِ.

ومِن المعلومِ أَنَّ ما قَصَّهُ اللهُ في كِتابهِ هو أَحسَنُ، وأَنفعُ ما يُقَصُّ على العِبادِ.

فأَخبرَ أَنَّهُ أَعطاهُ: ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾(٥)؛ يحصلُ بِهِ قوَّةُ الملكِ، وعلمُ السِّياسةِ، وحُسنُ التَّدبِيرِ، والسِّلاحُ الْمُخْضِعُ للأُممِ، وكثرةُ الجنودِ، وتَسهِيلُ المواصلاتِ، وجميعُ ما يحتاجُهُ.

ومعَ ذلكَ فقدْ عَمِلَ بالأَسبابِ[١٢٢] التي أُعطيَها، فما كلُّ أَحدٍ يُعطَى الأَسبابَ النَّافعةَ، ولا كلُّ مَن أُعطيَها يتَّبعُها، ويَعملُ بِها؛ أَمَّا ذو القَرنَينِ فإِنَّهُ تَمَّ لَهُ الأَمرانِ:

أُعطِيَّ سَببًا فأَتبعَ سَببًا؛ فغزا بجيوشِهِ الجرَّارةِ أَدْنَى أَفرِيْقِيَّةَ وأَقصَاها، حتَّى بلغَ البحرَ المحيطَ الغَربِيَّ(٦)، فوَصَلَ إِلى مَحلٍّ إِذا غَربتِ الشَّمسُ: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾(٧)؛ أَيْ: رآهَا في رُؤْيَةِ العَينِ كأَنَّها تَغْرُبُ في البَحرِ(٨)، والبَحرُ لونُهُ أَسودُ كالحَمِئَةِ(٩).

---

(١) س: "ذو"، ولعلَّها على الحكاية.

(٢) اختُلِف في اسمه، وسبب تسميته: بذي القَرْنَين، وظاهر القرآن أَنَّه رجل مسلم صالح، وملك عادل، قد أُعطي قوَّة تمكِّنه مِن استقرار ملكه، الممتدِّ مِن المشرق إلى المغرب. ينظر: مَعَالم التَّنزيل، (٣/٢١٢)، والمحرَّر الوجيز، (٣/٥٣٨).

(٣) "و"، ليست في: (س)، والسِّياق يحتاجها.

(٤) الكهف: ٨٣

(٥) الكهف: ٨٤

(٦) لَهُ عدَّة أَسماء منها: أُوقْيَانُوس، ولَبْلَايه -بتفخيم اللَّام الثَّانية- والبحر الأَخضر والأَسود، وبحر الظُّلمات، والمحيط الأَطْلَسِيُّ. ينظر: البداية والنِّهاية، (٢/١٠٧)، وديوان المبتدأ والخبر، (١/٥٧)، وتفسير المراغِي، (١٦/١٦).

(٧) الكهف: ٨٦

(٨) قال ابن كثيرﷺ: "رأَى الشَّمس في منظره تغرب في البحر المحيط، وهذا شأْن كلِّ مَن انتهى إلى ساحله، يراها كأَنَّها تغرب فيه". تفسير القرآن العظيم، (٥/١٩١).

(٩) الحَمَأُ: "الطِّين الأَسود المنتن". لسان العرب، وينظر: تفسير القرآن العظيم، (٥/١٩٢).

والقَصدُ أَنَّهُ وَصَلَ إلى حيثُ مُنتهى الخُفِّ[١]، والحَافِرِ[٢] مِن بلادِ أَفرِيقيَّةَ، ووجدَ في ذلكَ الْمَحلِّ، وتلكَ الأَقطارِ قَومًا، منهُم المسلمُ والكافِرُ، والبَرُّ والفاجِرُ؛ بدليلِ قولِهِ: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾[٣]؛ إِمَّا أَنَّ القائلَ لَهُ نَبِيٌّ مِن أَنبياءِ اللهِ، أَو أَحدُ العلماءِ، أَو أَنَّ المعنَى أَنَّهُ بسببِ قدرتهِ كانَ مُخَيَّرًا قَدَرًا، وإِلَّا فمِن المعلومِ أَنَّ الشَّرعَ لا يُسَوِّي بيْنَ الأَمرينِ المتفاوتَينِ في الإِحسانِ والإِساءَةِ[٤]، فقالَ: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾[٥]، وهذا يَدلُّ على عَدلِهِ، وأَنَّهُ مَلِكٌ صالحٌ، وعلَى حُسْنِ تَدبيرِهِ.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾[٦]؛ أَيْ: ثُمَّ عملَ بالأَسبابِ التي أُوتِيَها، بعدما أَخضَعَ أَهلَ المغارِبِ رجعَ يَفتحُ الأَرضَ قُطْرًا قُطْرًا، حتَّى وَصَلَ إلى: ﴿مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ﴾[٧] مِن بلادِ الصِّينِ[٨]، وشَواطِئِ البحرِ المحيطِ الهادِي[٩]، وهذا مُنتهَى ما وَصَلَ إليهِ الفاتِحونَ[١٠].

---

(١) الخُفُّ: واحد أَخْفاف البعير، والمراد هنا: الإبل. ينظر: تهذيب اللُّغة، والصِّحاح، ولسان العرب، مادَّة: (خفف).

(٢) الحَافِرُ: مِن حفرت الأَرض حفرًا، وحافِر الفرَس مِن ذلك، كأَنَّه يحفر به الأَرض، والحافِرُ: يقَع على الخَيْل والبِغَال والحُمُر: ينظر: مقاييس اللُّغة، ولسان العرب، مادَّة: (حفر).

(٣) الكهف: ٨٦

(٤) هذه الأَقوال عند مَن لا يقول بنبوَّته، وهو الرَّاجح؛ لعدم الدَّليل. ينظر: مَعَالم التَّنزيل، (٣/٢١٣)، والمحرَّر الوجيز، (٣/٥٣٩)، وروح المعاني، للآلُوسِي، (٨/٣٥٥-٣٥٦).

(٥) الكهف: ٨٧-٨٨

(٦) الكهف: ٨٩

(٧) الكهف: ٩٠

(٨) الصِّيْنُ: دولة في شرق آسيا، وتُسمَّى: جمهوريَّة الصِّين الشَّعبيَّة، واسعة المساحة، وعجائبها كثيرة، وتملك قوَّة هائلة في العَدد والعُدة، وهي أَكثر بلدان العالم سُكَّانًا، ويغلب عليهم استدارة الوُجوه، وفُطْسُ الأُنوف، عُرِفوا منذ القدم بالحِذق في الصِّناعة والتِّجارة، والدِّيانات المختلفة. ينظر: مُعْجَم البُلدان، (٣/٤٤٠)، وآثار البلاد وأَخبار العباد، (ص:٥٣)، ar. wikipedia. org/الصِّين.

(٩) الْمُحِيْطُ الهادِئُ: أَكبر مسطَّح مائيٍّ على وجه الأرض، وأَعمق المحيطات، وتطلُّ عليه أَربع قارَّات، ويمتدُّ مِن القُطب الشَّمالي شمالًا، إلى المحيط المتجمِّد الجنوبي جنوبًا، ويحدُّه آسيا وأُستراليا غربًا، والأَمريكيَّتان شرقًا، ويعادل ثلث سطح الأَرض تقريبًا، ويشتمل على آلاف الجُزر. ينظر: المقدِّمات في الجغرافيا الطَّبيعيَّة، لعبدالعزيز شرف، (ص:٢٠٨)، والمدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة، لمحمَّد محمَّدين، وطه الفرَّاء، (ص:٢١٨-٢١٩).

(١٠) وصلت الفتوحات الإِسلاميَّة إلى الحدود الغربيَّة للصِّين، بقيادة: "قُتَيْبَة بن مسلم البَاهلي"، حيث دخل أَرض الصِّين، وأَوغل في مقاطة: "سنكيانج"، ووصل إلى إقليم: "كاشْغَر"، وجعلها قاعدة إِسلاميَّة، وأَجبر ملك =

﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾[١]؛ أَيْ: لا سِتْرَ لهم عن الشَّمسِ؛ لا ثيابَ يَنْسُجونَها ويَلْبَسُونَها، ولا بُيُوتَ يَبْنُونَها، ويأْوُونَ إليها[٢]؛ أَيْ: وجدَ هؤلاءِ القَومِ الذين في أَقصَى المشرقِ بِهذهِ الصِّفةِ والوحشيَّةِ؛ بمنزلةِ الوُحوشِ التي تأْوِي إلى الغِياضِ[٣]، والغِيْرَانِ[٤]، والأَسْرَابِ[٥]، مُنْقَطِعينَ عن النَّاسِ، وكانوا في ذلكَ الوقتِ على هذهِ الحالةِ التي وصفَ اللهُ، والمقصودُ مِن هذا أَنَّهُ وَصَلَ إلى ما لم يصلْ إليهِ أَحدٌ.

ثُمَّ كرَّ رَاجعًا، وأَتْبعَ سَببًا يُمكِّنهُ مِن سُلوكِ[٦] مناهجِ البِلادِ، وتَخْضِيْعِ العِبادِ، قاصِدًا نحوَ الشَّمالِ[٧]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾[٨]؛ أَيْ: بلغَ مَحلًّا مُتوسطًا بيْنَ السَّدَينِ الموجودَينِ مُنذُ خَلقَ اللهُ الأَرضَ؛ وهما سَلاسلُ جبالٍ عَظيمةٍ شاهقةٍ متواصِلةٍ مِن تلكَ الفَجْوَةِ؛ وهي الرِّيْعُ[٩] إلى البِحارِ الشَّرقيَّةِ والغربيَّةِ، وهي في بلادِ التُّركِ، على هذا اتَّفقَ المفسِّرونَ[١٠]، والمؤرِّخونَ[١١]، وإنَّما اختلَفوا:

الصِّين على دفع الجزية. ينظر: تاريخ الرُّسل والملوك، للطَّبري، (٥٠٣/٦)، والمنتظم في تاريخ الملوك والأُمم، لابن الجَوْزي، (١٢/٧)، وموجز عن الفتوحات الإسلاميَّة، لطه أَبو عُبيَّة، (ص:١٤).

(١) الكهف: ٩٠

(٢) ذكر المؤلِّف رحمه الله قولي العلماء في تفسير الآية، ويَرى ابن عطيَّة رحمه الله أَنَّ اللَّفظ يدلُّ على قرب الشَّمس منهم، وتأثيرها فيهم سواء كان لهم أَسْراب أَو دور أَو لم يكن، ولعلَّ كلَّ هذه المعاني مُحتَمَلة، والله أَعلم. ينظر: المحرَّر الوجيز، (٥٤١/٣)، وتفسير الرَّازي، (٤٩٧/٢١)، والتَّسهيل لعلوم التَّنزيل، (٤٧٤/١).

(٣) الغِياضُ: الشَّجر الْمُلْتَف، النَّابت في مجمع الماء. ينظر: مُختار الصِّحاح، ولسان العرب، مادَّة: (غيض).

(٤) الغِيْرَانُ: جمع غار، وهو كالكهف في الجبل، إلا أَنَّه أَصغر منه. ينظر: الصِّحاح، ولسان العرب، مادَّة: (غور).

(٥) الأَسْرَاب: جمع سَرَب، "بيت في الأَرض". مُختار الصِّحاح، وينظر: مقاييس اللُّغة، مادَّة: (سرب).

(٦) "سلوك"، ليست في: (س).

(٧) قال أَبو السَّعود رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف:٨٩]: "أَيْ: طريقًا ثالثًا معترِضًا بين المشرق والمغرب آخذًا مِن الجنوب إلى الشّمال". إرشاد العقل السَّليم، (٢٤٤/٥).

(٨) الكهف: ٩٣

(٩) الرِّيْعُ: "المرتفع مِن الأَرض، وقيل: الجبل". مُختار الصِّحاح، وينظر: مقاييس اللُّغة، مادَّة: (ريع).

(١٠) كابن عطيَّة، وابن الجَوْزيِّ، والرَّازيِّ، والقُرْطُبِيِّ، وأَبي حيَّان رحمهم الله. ينظر: المحرَّر الوجيز، (٥٤١/٣)، وزاد الْمَسِير، (١٠٨/٣)، وتفسير الرَّازي، (٤٩٨/٢١)، والجامع لأَحكام القرآن، (٥٥/١١)، والبحر المحيط، (٢٢٤/٧).

(١١) كالمقدسيِّ، وابن الجَوْزيِّ، وابن كثير، وابن خلدون رحمهم الله. ينظر: البدء والتَّاريخ، (٦١/٤)، والمنتظم في تاريخ الملوك والأُمم، (١٣٩/١)، والبداية والنِّهاية، (١٣٢/٢)، وديوان المبتدأ والخبر، (٥٨/١).

هل هي سلاسلُ جبالِ القَفْقاسِ؟(١)، أَمْ دونَ ذلكَ في أَذْرِبِيْجَانَ؟(٢)، أَمْ سلاسلُ جبالِ أَلْتَاي؟(٣)، أَمْ الجبالُ المتَّصِلةُ بالسُّورِ الصِّينيِّ(٤) في بلادِ مَنْغُوْليا؟(٥)، وهو الظَّاهرُ(٦).

وعلى الأَقوالِ كلِّها فَوَجَدَ عندَ تِلكَ الفَجْوةِ التي بيْنَ سَلاسلِ هذهِ الجبالِ ﴿قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾(٧)؛ مِن بُعْدِ لغتِهِم، وثِقَلِ فَهمِهِم لِلُغاتِ الأُممِ(٨).

---

(١) القَفْقَاسُ أَو القَوْقَازُ: سلسلة جبال بين البحر الأَسود وبحر قَزْوِين ينظر: جغرافية المناخ والنَّبات، ليوسف فايد، (ص:٢٠٠). https: //ar. wikipedia. org/wiki/القوقاز.

(٢) روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما في قوله عز وجل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ [الكهف:٩٣]، "قال: الجبلان: أَرْمِينِيَةُ وَأَذْرَبِيجَانُ". جامع البيان، (١٠٢/١٨)، وينظر: تفسير الرَّازي، (٤٩٨/٢١).

(٣) سلسلة جبال في آسيا الوسطى، وأبرز جبال سِيْبِيْريا الغربيَّة، والموضع الأَصلي للنَّاطقين بالتُّركيَّة. ينظر: جغرافيَّة المناخ والنَّبات، (ص:٢٠٠)، ar. wikipedia. org/wiki/جبال_ألتاي.

(٤) السُّوْرُ الصِّيْنِي: هو سور الصِّين العظيم، أَطول بناء في التَّاريخ، شُيِّد يدوِيًّا، ويمتدُّ على الحدود الشَّماليَّة والشَّماليَّة الغربيَّة لجمهوريَّة الصِّين الشَّعبيَّة، وأَصله مشروع دفاعيٌّ بناه الصِّينيون لحماية حدودهم الشَّماليَّة مِن الغزاة. ينظر: محاسن التَّأْويل، (٧٦/٧)، ar. wikipedia. org/سور_الصِّين_العظيم.

ولا علاقة لذي القَرْنَين بهذا السُّور، فهو مَبنِيٌّ مِن الأَحجار والأَخشاب والطِّين، أَمَّا ردم ذي القَرْنَين فمِن الحديد والنُّحاس، وقد أَخبرنا الله جل جلاله في القرآن أَنَّه بين جبلين، وأَنَّه يمنع يَأْجُوْج ومَأْجُوْج مِن خروجهم على النَّاس، قال تعالى: ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾ [الكهف:٩٧]، أَمَّا سُور الصِّين فكلٌّ يستطيعُ الظُّهور عليه واختراقه، وهو على الجبال، وليس بينها.

(٥) مَنْغُوْلِيَا: دولة شيوعيَّة، تقع في وسط شرق آسيا، وتحدُّها الصِّين مِن الجنوب والشَّرق والغرب، وتشترك في حدودها الغربيَّة مع تركستان الشَّرقيَّة، وتغطِّي الهضاب والسَّلاسل الجبليَّة أَغلب أَراضيها، ويطلق على سُكَّانها: "الْمَغُول"، وفي القديم كانوا قبائل متفرِّقة، ومعظمهم مِن الوثنِيِّيْن، ويعملون بالرَّعي والصَّيد، ويُغِيرون على مَن حولهم كلَّما استطاعوا، ووحَّدهم: "جَنْكِيزْ خَانَ"، وغزوا بلاد المسلمين فقتلوا وسلبوا وغدروا، وأَفسدوا، وأَنشؤوا إمبراطوريَّة كبيرة. ينظر: موجز التَّاريخ الإسلامي، للعَسِيْري، (ص:٢٨٤-٢٨٥)، والمغول "التَّتار" بين الانتشار والانكسار، للصَّلَّابي، (ص:٢٥-٢٨)، ar. wikipedia. org / منغوليا.

(٦) يتبيَّن مِن هذه الأَقوال أَنَّه لا يمكن الجزم بمكان السَّدِّ، ولله الحكمة في إخفائه؛ فمع دِقَّة أَجهزة الاستكشاف، فالبَشر عاجزون عن كشف ما أَراد الله إخفاءه، قال ابن عطيَّة رحمه الله: "وإنَّما هما في طريق الأَرض ممَّا يلي المشرق، ويظهر مِن أَلفاظ التَّواريخ أَنَّه إلى ناحية الشَّمال، وأَمَّا تعيين موضع فيضعف". المحرَّر الوجيز، (٥٤١/٣).

(٧) الكهف: ٩٣

(٨) هذا التَّفسير فيه جمع بين القراءتين الثَّابتتين؛ فقد قرأ ابن كثير ونافع وأَبو عَمرو وعاصم وابن عامر: ﴿يَفْقَهُونَ﴾، وقرأ حمزة والكِسَائِيُّ: ﴿يُفْقِهُون﴾؛ فلا يفهمون كلام أَحَد، ولا يَفهم النَّاسُ كلامهم. ينظر: جامع البيان، (١٠٣/١٨)، والحُجَّة في القراءات السَّبع، (ص:٢٣١)، والحُجَّة للقرَّاء السَّبعة، لأَبي عليٍّ الفارسي، (١٧٢/٥).

﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[١]: وهمْ أُممٌ عظيمةٌ مِن نسلِ يَافِثِ بنِ نوحٍ؛ مِن العناصرِ التُّركيَّةِ، وغيرِهِم، كمَا هو مذكورٌ مفصَّلٌ مِن أحوالِهم، ومَشروحٌ مِن صِفاتِهم[٢].

﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي﴾[٣]؛ مِن القُوَّةِ والأَسبابِ والاقتدارِ: ﴿خَيْرٌ﴾[٤].

﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾[٥]؛ أَيْ: إنَّ هذا بناءٌ عظيمٌ؛ يحتاجُ في الإعانةِ عليهِ إلى مساعدةٍ قَويَّةٍ في الأَبدانِ.

﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾[٦]، ولم يقلْ: سَدًّا؛ لأَنَّ الذي بَنَى فقط هو تِلكَ الثَّنِيَّةَ[٧] والرَّيْعَ الواقعَ بيْنَ السَّدَّينِ الطَّبيعِيَّيْنِ؛ أَيْ: بَيْنَ سلاسلِ تلكَ الجبالِ.

فَدبَّرهُم على كيفيَّةِ آلَاتهِ وبُنيانِهِ، فقال: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾[٨]؛ أَيْ: اجمَعوا لِي جميعَ قِطَعِ الحديدِ الموجودةِ مِن صِغارٍ وكبارٍ، ولا تَدَعُوا مِن الموجودِ شيئًا، واركُمُوهُ بيْنَ السَّدَّينِ، ففعَلُوا ذلكَ حتَّى كانَ الحديدُ تُلُوْلًا[٩] عظيمةً مُوازنةً للجبالِ، ولِهذا قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾[١٠]؛ أَيْ: الجبَلَينِ الْمُكتَنِفَيْنِ[١١] لذلِكَ الرَّدْمِ[١٢]، ﴿قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾[١٣]؛ أَيْ: أَمَرَ بالنُّحاسِ، فأُذِيبَ

---

(١) الكهف: ٩٤

(٢) كما في عددٍ مِن كتب التَّفسير، وشروح الأحاديث، قال النَّووي: "وأَصله من أَجيج النَّار وهو صوتها وشررها؛ شبهوا به لكثرتهم، وشدتهم، واضطرابهم بعضهم في بعض، قال وهب بن منبِّه، ومقاتل بن سليمان: هم من ولد يافث بن نوح، وقال الضَّحاك هم جيل من التُّرك". الْمِنهاج، (٩٨/٣)، وينظر: مَعَالم التَّنزيل، (٢١٤/٣)، وزَاد الْمَسِير، (١٠٨/٣)، والجامع لأَحكام القرآن، (٢٣٣/٧)، وتفسير القرآن العظيم، (٣٧٢/٥).

(٣) الكهف: ٩٤-٩٥

(٤) الكهف: ٩٥

(٥) الآية السَّابقة.

(٦) الآية السَّابقة.

(٧) سبق التَّعريف بها: (ص:٦).

(٨) الكهف: ٩٦

(٩) سبق معناها: (ص:٦).

(١٠) الكهف: ٩٦

(١١) الكَنَفُ: "الجانب والنَّاحية". لسان العرب، وينظر: تهذيب اللُّغة، مادَّة: (كنف).

(١٢) الرَّدْمُ: وضع الشَّيء على الشَّيء؛ مِن حجارة أَو نحوها، حتَّى يقوم منه حاجز منيع، وهو أَبلغ مِن السَّد؛ إذ السَّد: كلُّ ما سُدَّ به. ينظر: معاني القرآن، للزَّجَّاج، (٣١١/٣)، والمحرَّر الوجيز، (٥٤٢/٣)، ولسان العرب، مادَّة: (ردم).

(١٣) الكهف: ٩٦

س: ﴿قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾، وبهذا يتمُّ المعنى.

بالنِّيرانِ، وجعلَ يَسيلُ بيْنَ قِطَعِ الحَديدِ، فالتحَمَ بعضُها ببعضٍ، وصَارتْ جَبَلًا هائِلًا مُتَّصِلًا بالسَّدَّينِ؛ فحصَلَ بذلكَ المقصودُ مِن عَيْثِ يَأْجُوج ومَأْجُوجَ، ولهذا قالَ: ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَـرُوهُ﴾(١)؛ أَيْ: يَصْعَدوا[١٢٣] ذلكَ الرَّدْمَ، ﴿وَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾(٢).

﴿قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾(٣)؛ أَيْ: رَبِّي الذي وفَّقني لهذا العملِ الجليلِ، والأَثرِ الجميلِ، وبِكُم(٤) إذ مَنَعكُم مِن ضَرَرِ يأْجُوجَ ومأْجُوجَ بِهذا السَّببِ الذي لا قُدرةَ لكمْ عليهِ.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾(٥)؛ أَيْ: هذا العَملُ والحَيلُولةُ بينَكُم وبيْنَ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ مُؤقَّتٌ إلى أَجلٍ، فإذا جاءَ ذلكَ الأَجلُ قدَّرَ اللهُ لِلخَلقِ مِن أَسبابِ القُوَّةِ والقُدْرَةِ، والصِّناعاتِ والاختراعاتِ الهائلَةِ ما يُمكِّنُ يَأْجُوجَ [ومَأْجُوجَ](٦) مِن وطءِ بلادِكُم أَيُّها الْمُجَاوِرونَ، بلْ ومِن وَطءِ مشارقِ الأَرضِ ومَغارِبِها وأَقطارِها؛ كمَا قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾(٧)؛ أَيْ: مِن كلِّ مكانٍ مرتَفِعٍ سَواءٍ(٨) مثلِ هذهِ السُّدودِ، والبِحارِ، وجوِّ السَّماءِ.

﴿يَنسِلُونَ﴾؛ أَيْ: يُسرِعونَ فِيها غيرَ مُكْتَرِثِينَ(٩)، ولا حَاجزَ يَحجِزُهُم.

فلَفظَةُ: ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ﴾: تَشملُ جميعَ المواضعِ والأَقطارِ؛ سَهْلِها وصَعْبِها، مُنْخَفضِها ومُرْتفعِها؛ وإِنَّما نصَّ اللهُ على المرتفعاتِ؛ لأَنَّ السُّهولَ والأَماكنِ المنخَفِضَةَ مِن بابِ أَوْلى وأَحرى.

---

(١) الكهف: ٩٧

(٢) الآية السَّابقة.

(٣) الكهف: ٩٨

(٤) س: "فرحمكم".

(٥) الآية السَّابقة.

(٦) "ومَأْجُوج"، زيادة في: (س)، وهي الأَولى؛ لموافقتها للنَّص القرآني.

(٧) الأنبياء: ٩٦

(٨) لعلَّها: "وسَواءٍ"؛ لأَنَّ المؤلِّف رحمه الله مثَّل للأَماكن المرتفعة والمستوية؛ ونصَّ بعد أَسطر على أَنَّ اللَّفظ يشمل جميع المواضع والأَقطار؛ سَهلها وصَعبها، منخفضها ومرتفعها.

(٩) الاكتِراثُ: مِن كَرَثه الأَمر: ساءه واشتدَّ عليه، وبلغ منه المشَقَّة، وما أَكْتَرِثُ لَهُ: ما أُبالي به. ينظر: تهذيب اللُّغة، ومُختار الصِّحاح: مادَّة: (كرث).

وقد وَردَ في صِفاتِهم أَحاديثُ في الصَّحيحَينِ تُؤَيِّدُ(١) ما في هذهِ الآياتِ مِن صِفاتِهِم(٢)، وأَوردَ أَصحابُ السِّيَرِ، والتَّواريخِ الأُولِ مِن صِفاتِهِم، وهَيْئَاتِهِم آثارًا لا خِطَامَ(٣) لَها، ولا زِمَامَ(٤)، شَوَّشَتْ أفكارَ أَكثرِ النَّاسِ، ومَنَعتهُم مِن الاستدلالِ بالآياتِ القرآنيَّةِ، والأَحاديثِ الصَّحيحةِ النَّبويَّةِ، وتِطبيقِها على الوَاقعِ(٥).

فعليكَ بلُزومِ ما دلَّ عليهِ الكتابُ والسُّنَّةُ الصَّحيحةُ(٦)، ودعْ ما سِوى ذلكَ؛ فإنَّ فيهِ الهدى والرُّشدَ والنُّورَ(٧).

---

(١) مقصود المؤلِّف رحمه الله أنَّ ما جاء في الأَحاديث الصَّحيحة يوافق ما في القرآن الكريم.

(٢) أخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب أَحاديث الأَنبياء، باب قصَّة يَأْجُوجَ، ومَأْجُوج، (١٣٨/٤) ح (٣٣٤٦)، واللَّفظ لَهُ، ومسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأَشراط السَّاعة، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يَأْجُوج ومَأْجُوج، (٢٢٠٨/٤) ح (٢٨٨٠)، عن زينب بنت جَحْش رضي الله عنها أَنَّ النَّبيَّ ﷺ، دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ: ((لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ))، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: ((نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ)).
وأَخرج مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأَشراط السَّاعة، باب ذكر الدَّجال وصفته وما معه، (٢٢٥٠/٤) ح (٢٩٣٧)، عن النَّوَّاس بن سَمْعَان رضي الله عنه، في خبر الدَّجال ونزول عيسى عليه السلام، وفيه: ((ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى، كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ، فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ)).

(٣) الخِطامُ: "كُلُّ حَبْل يُعَلَّق في حَلْق البعير ثمَّ يُعْقَد على أَنفه". لسان العرب، مادة: (خطم).

(٤) الزِّمَامُ: الخَيْط الذي في أَنف النَّاقة. ينظر: العين، مادة: (زمم).

(٥) قال ابن كثير رحمه الله: "وقد ذكر ابن جَرِيْر هاهنا عن وَهْب بن مُنبِّه أَثرًا طويلًا عجيبًا في سير ذِي القَرْنَين، وبنائه السَّدَّ، وكيفية ما جرى لَهُ، وفيه طول وغرابة ونكارة في أَشكالهم وصفاتهم، وطولهم وقصر بعضهم، وآذانهم، وروى ابن أَبي حاتم أَحاديث غريبة في ذلك لا تصحُّ أَسانيدها، والله أَعلم". تفسير القرآن العظيم، (١٩٥/٥).

(٦) "الصَّحيحة"، ليست في: (س).

(٧) لم يذكر المؤلِّف رحمه الله هنا فوائد على خلاف عادته في القصص.

قِصَّةُ عِيسَى وأُمِّهِ، وزَكَرِيَّا، ويَحْيَى عليهم السلام[(١)].

كانتْ زوجةُ عِمرانَ[(٢)] -وهو مِن أَكابرِ بَنِي إِسرائيلَ ورُؤسائِهِم، وعُلمائِهِم[(٣)]، وذَوِي الْمَقاماتِ العَالِيةِ عندَهُم- نذَرَتْ حينَ ظَهرَ حَمْلُها أَنْ تُحَرِّرَ ما في بطنِها لبيتِ الْمَقْدِسِ؛ يكونُ خَادِمًا لبيتِ اللهِ، مُعَدًّا لعبادَةِ اللهِ؛ ظَنًّا أَنَّ الذي في بطنِها ذَكرٌ[(٤)].

فلمَّا وَضَعَتها قالتْ مُعْتذِرةً إلى اللهِ، شَاكِيةً إِليهِ الحَالَ: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾[(٥)]؛ أَيْ: إنَّ الذَّكرَ هو[(٦)] الذي لَهُ القُوَّةُ والقُدْرَةُ على ما يُرادُ منهُ مِن القِيامِ بِخِدمَةِ بيتِ المقدسِ.

﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[(٧)]، فحَصَّنَتْها باللهِ مِن عَدُوِّها هي وذُرِّيتِها، وكانَ هذا أَوَّلَ حفظٍ وحِمايةٍ مِن اللهِ لَهَا[(٨)]؛ ولهذا استجابَ اللهُ لَهَا في هذهِ الدُّنيا،

---

(١) لعلَّ المؤلِّف رحمه الله جمع بينهم لِما بيْن قَصصهم مِن ترابط في القرآن الكريم؛ ولِما بينهم مِن القَرابة، فزكريَّا وعِمران تزوجا أُختين؛ فأُمُّ يحي هي: أَشْياع بنت فَاقُوذَ، زوجة زكريَّا، وأُمُّ مَريم هي: حَنَّة بنت فَاقُوذَ، زوجة عِمران؛ فمريمُ ويحي أَولاد خالة، وقِيل: إنَّ أَشْياع أُختٌ لمريم، فيكون يحي وعيسى عليهما السلام أبناء الخالة. ينظر: جامع البيان، (٣٣٠/٦)، وتفسير القرآن العظيم، (٣٥/٢).

(٢) هي: حَنَّة بنت فَاقُوذَ أُمُّ مريم، وعِمرانُ: هو ابن مَاثَان، وقِيل: ابن يَاشَم بن أَمُونَ، مِن سلالة سليمان بن داود عليهما السلام، ومِن المعلوم أنَّه ليس هو بعِمران أَبي موسى عليه السلام؛ لأَنَّ بينهما أَلفًا وثمانمائة سنة تقريبًا. ينظر: جامع البيان، (٣٢٨/٦-٣٢٩)، ومَعَالم التَّنزيل، (٤٣١/١)، وتفسير القرآن العظيم، (٣٣/٢).

(٣) "وعلمائهم"، ليست في: (س).

(٤) س: "ذكرًا"، وهي خلاف الصَّواب؛ لأَنَّها خبر "أَنَّ".

(٥) آل عمران: ٣٦.

يظهر مِن صنيع المؤلِّف رحمه الله في ذكر الآية كاملة، في سياق واحد أَنَّه يُشير إلى القراءة الأُخرى، فقد قرأَ ابن عامر، وأَبو بكر عن عاصم ويعقوب: ﴿بِمَا وَضَعْتُ﴾، فيكون القول مِن أُمِّ مريم، وقرأَ الباقون: ﴿بِمَا وَضَعَتْ﴾؛ على أَنَّه إخبارٌ مِن الله عز وجل عنها. ينظر: معاني القراءات، (٢٥١/١)، والحجَّة للقرَّاء السَّبعة، (٣٢/٣).

(٦) "هو"، ليست في: (س).

(٧) آل عمران: ٣٦

(٨) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران:٣٦]، (٣٤/٦) ح (٤٥٤٨)، واللَّفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام، (١٨٣٨/٤) ح (٢٣٦٦)، عن أَبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: ((مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا وَالشَّيطانُ يَمَسُّهُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيطان إِيَّاهُ، إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا))، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾.

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾(١)؛ فجمعَ اللهُ لَها بيْنَ التَّربيَةِ الجَسديَّةِ والتَّربيَةِ الرُّوحِيَّةِ، حيثُ قدَّرَ أَنْ يكونَ كافِلُها أَعظمَ أنبياءِ بَنِي إِسرائيلَ في ذلكَ الوقتِ؛ فإِنَّ أُمَّهَا لَمَّا جاءَتْ بِها لأَهلِ بيتِ المقدسِ تنازَعوا أَيُّهُم يكْفُلُها؛ لأَنَّها ابنةُ رَئِيسِهِم(٢)، فاقْترَعُوا وأَلقَوا أَقلامَهُم، فأَصابَتِ القُرْعةُ زَكريَّا؛ رَحمةً بهِ وبِمريمَ، فكفَلَها أَحْسَنَ كَفالةٍ، وأَعانَهُ اللهُ(٣) على كَفالَتِها بكرامَةٍ عَظيمةٍ مِنهُ(٤).

فكانتْ قد نشأَتْ نشأَةَ الصَّالحاتِ الصِّدِّيقاتِ، وعَكَفَتْ على عِبادةِ رَبِّها، ولَزِمَتْ مِحْرابَها، فكان زَكريَّا كُلَّمَا دخلَ عليها الْمِحرَابَ وجدَ عندَها رِزقًا، قال: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾(٥)؛ فإِنَّهُ ليسَ لَها كافلٌ غيرَ زَكريَّا، ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٦)؛ أَيْ: رِزقُهُ -تعالى- يأْتِي بطُرُقٍ مَعهُودةٍ، وبطُرُقٍ أُخرى، واللهُ على كلِّ شَيءٍ قديرٌ.

فحينَ رَأَى(٧) هذهِ الحالةَ ذَكَّرهُ ذلكَ لُطْفُ ربِّهِ، ورَجَّاهُ إِلى رَحمتِه، فدَعا اللهَ أَنْ يهَبَ لَهُ ولدًا يَرِثُهُ عِلْمَهُ ونُبُوَّتَهُ، ويَقومُ بَعْدَهُ في بَنِي إِسرائيلَ في تَعليمِهِم، وهِدايَتِهِم(٨): ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا﴾(٩)؛ أَيْ: عَظِيمًا عندَ اللهِ، وعندَ الخَلقِ؛ لِما جَبَلَهُ اللهُ عليهِ مِن الأَخلاقِ الحَميدَةِ، والعُلومِ العَظيمَةِ، والأَعمالِ الصَّالحةِ.

---

(١) آل عمران: ٣٧

(٢) قال ابن جَرِيْر ﷺ: "كانت مريم ابنة إمامهم وسيِّدهم". جامع البيان، (٤٠٨/٦).

(٣) "الله"، لفظ الجلالة لم يكتب في: (س).

(٤) قال ابن كثير ﷺ: "وإنَّما قدَّر الله كون زكريَّا كافلها لسعادتها؛ لتقتبس منه علمًا جمًّا نافعًا، وعملًا صالحًا؛ ولأنَّه كان زوج خالتها، على ما ذكره ابن إسحاق، وابن جرِيْر، وغيرهما، وقِيل: زوج أُختها، كما ورد في الصَّحيح: (فَإِذَا بِيَحْيَى وَعِيسَى، وَهُمَا ابْنَا الخَالَةِ)، وقد يطلق على ما ذكره ابن إسحاق ذلك -أيضًا- توسُّعًا، فعلى هذا كانت في حضانة خالتها". تفسير القرآن العظيم، (٣٥/٢).

(٥) آل عمران: ٣٧

(٦) الآية السَّابقة.

(٧) خ: "رئَى"، وس: "رأَى"، وهي الصَّواب؛ فالهمزة متوسِّطة، وهي وما قبلها مفتوح. ينظر: الإملاء والتَّرقيم، (ص:٤٧).

(٨) قال تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ١-٦].

(٩) آل عمران: ٣٩

﴿وَحَصُورًا﴾[(١)]؛ أيْ: ممنوعًا بعِصمَةِ اللهِ وحِفظِهِ، ووِقايتِهِ مِن مُواقعةِ الْمَعاصِي؛ فوصفَهُ اللهُ بالتَّوفيقِ لجميعِ الخَيراتِ، والحِمايةِ مِن السَّيِّئاتِ، والزَّلاتِ، وهذا غايةُ كمالِ العَبْدِ[(٢)].

فتعجَّبَ زكرِيَّا مِن ذلكَ، وقالَ: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا﴾[(٣)][١٢٤]، وهذا أعجبُ مِن حَمْلِها وهي عَاقِرٌ على كِبَرِكَ.

فمِن فرَحِهِ ورغبتِهِ العَظيمَةِ في طُمأْنينَةِ قلبِهِ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا﴾[(٤)]، ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾[(٥)]، وهذهِ آيةٌ كُبرى، يُمنعُ مِن الكلامِ الذي هو أَسهلُ ما يَقْدِرُ عليهِ الإنسانُ، وهو سَوِيٌّ، فلا يَقْدرُ أَنْ يُكلِّمَ أحدًا إلَّا بالإشارةِ، ومعَ ذلكَ لِسانُهُ مُنْطَلِقٌ بذكرِ اللهِ، وتَسبيحِهِ، وتَحميدِهِ[(٦)].

فحينئذٍ تَمَّتْ لَهُ البِشارةُ مِن اللهِ، وعرَفَ أَنَّهُ لا بدَّ أَنْ يكونَ، فولَدَتْ زوجتُهُ يَحْيى، وأَنشأَهُ اللهُ نشأَةً عَجيبةً، فتعَلَّمَ وهو صَغيرٌ، ومَهَرَ في العِلْمِ وهو صَغيرٌ، ولهذا قال: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ١٣ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ١٤ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا﴾[(٧)]، ومَضمُونُ هذا: وصفُهُ بالقِيامِ بحُقوقِ اللهِ، وحُقوقِ والديهِ، وحُقوقِ الخَلقِ، وأَنَّ اللهِ سَيُحْسِنُ لَهُ العَواقبَ في أَحوالِهِ كُلِّها.

---

(١) الآية السَّابقة.

(٢) أنكر القاضي عِياض ما يذكره بعض المفسِّرين رحمهم الله مِن أنَّ معنى: ﴿حَصُورًا﴾: لا ذَكَر لَهُ، أو لا شهوة لَهُ؛ لأَنَّ الله عز وجل مدح يحيى عليه السلام وأثنى عليه، وعدمُ القدرة على النِّكاح نقيصة وعَيب، لا تليق بالأنبياء عليهم السلام، وإنَّما الفضل في كون الرَّغبة موجودة عنده ثُمَّ قَمَعَها، والمعنى: أنَّه معصوم مِن الذُّنوب والفواحش، ولا يمنع ذلك التزوُّج بالنِّساء، وغِشيانهنَّ. ينظر: الشِّفا بتعريف حقوق المصطفى، (١/١٩٢-١٩٢)، وتفسير القرآن العظيم، (٢/٣٨-٣٩).

(٣) مريم: ٨-٩

(٤) مريم: ١٠

(٥) آل عمران: ٤١

خ، س: "واذكر ربَّك بالعشيِّ والإبكار"، والصَّواب: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾.

(٦) ومِمَّا هو مشاهد، ومشهور، ومنقول عن الثِّقات أنَّ بعض الصَّالحين المداومين على الذِّكر، وقِراءة القرآن يذْكر الله، ويَقرأُ، وهو نائم، أَو في غيبوبة، أَو فقْدٍ للذَّاكرة، أَو لديه مرض يعوقه عن الكلام، فسبحان مَن أَلهمهم ذِكْرَه.

(٧) مريم: ١٢-١٥

وأمَّا مَريمُ فإنَّها: ﴿انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾[١]؛ مُتجرِّدةً لعبادةِ ربِّها: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾[٢]؛ لئلَّا يَشْغلَها أحدٌ عمَّا هي بِصَدَدِهِ.

فأرسلَ اللهُ لَها الرُّوحَ الأَمينَ جِبريلَ، في صُورةِ بشرٍ سَويٍّ مِن أكمَلِ الرِّجالِ، وأَجْمَلِهِم[٣]، فظنَّتْ أنَّهُ يُريدُها بسُوءٍ، فقالتْ: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾[٤]، فتوسَّلتْ باللهِ في حِفظِها وحِمايتِها، وذكَّرتْهُ وُجوبَ التَّقوى على كلِّ مُسْلِمٍ يَخشَى اللهَ.

فكانَ هذا الوَرَعُ العظيمُ مِنها في هذهِ الحالةِ التي يُخشَى مِنها الوُقوعُ في الفِتنةِ، ورفعَ اللهُ بذلكَ مَقامَها، ونعَتَها بالعِفَّةِ الكامِلَةِ، وأنَّها أحْصنَتْ فرْجَها، فقالَ لَها جبريلُ: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾[٥]، فلا تَعْجَبي مِمَّا قدَّرَهُ اللهُ[٦]، وقَضَاهُ.

﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾[٧]؛ لِمَا تعرفُهُ مِمَّا هِي مُتعرِّضةٌ لَهُ مِن النَّاسِ، وأنَّهُم لا يُصدِّقُونَها، ولم تَدْرِ ما اللهُ صانعٌ لَها.

﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا﴾[٨]، وكانتْ في مكانٍ مُرتفعٍ، ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾[٩]: ﴿أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾[١٠]؛ بولادةِ عِيسَى؛ ولْيذْهَبْ رَوْعُكِ وخوفُكِ، ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ

---

(١) مريم: ١٦

(٢) مريم: ١٧

(٣) قال تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ﴾ [النجم:٦].
قال البَغَوِيُّ رحمه الله: "قال ابن عبَّاس: ذو مِرَّة يعني: ذو منظَر حسَن". مَعالم التَّنزيل، (٤/٣٠١).

(٤) مريم: ١٨

(٥) مريم: ١٩-٢١

(٦) "الله"، لفظ الجلالة ليس في: (س).

(٧) مريم: ٢٢-٢٣

(٨) مريم: ٢٤

(٩) المؤمنون: ٥٠

(١٠) مريم: ٢٤-٢٦

صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا﴾[١] فاطْمأَنَّ قَلْبُها، وزَالَ عنهَا ما كانتْ تجِدُ.

ثُمَّ لَمَّا تَعالَتْ[٢] مِن نِفاسِها، وأَصلَحتْ مِن شأْنِها، وقَوِيَتْ بعدَ الوِلادَةِ: ﴿فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥ﴾[٣]، علَنا غيرَ هائِبةٍ، ولا مُباليةٍ.

فلمَّا رَآهُ قومُها، وقد علِمُوا أنَّهُ لا زَوجَ لَها، جَزمُوا أَنَّهُ مِن وَجْهٍ آخرَ، فقالُوا: ﴿يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ٢٧ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ٢٨ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ﴾[٤]، كمَا أُمِرَتْ بذلكَ، فقالُوا منْكِرِينَ علَيها مَقالَتَها لَهُم: ﴿كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا﴾[٥].

فقالَ -وهو في تِلكَ الحَالِ، لَهُ أَيَّامٌ يَسِيْرةٌ[١٢٥] بعدَ وِلادَتِهِ-: ﴿إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ٣١ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ٣٢ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾[٦]؛ فكانَ هذا الكلامُ مِنْهُ في هذهِ الحَالِ مِن آياتِ اللهِ، وأَدِلَّةِ رِسالَتِه، وأَنَّهُ عَبْدُ اللهِ، لا كما زَعَمَتْهُ[٧] النَّصارَى[٨].

وحَصَلَ لأُمِّهِ البَراءَةُ العَظِيمَةُ مِمَّا يُظَنُّ بِها مِن السُّوءِ؛ لأَنَّها لو أَتَتْ بأَلفِ شَاهدٍ على البَراءَةِ -وهي على هذهِ الحَالِ- ما صدَّقَها النَّاسُ، ولكنَّ هذا الكَلامَ مِن عِيسَى -وهو في الْمَهْدِ- جَلَّى كلَّ رَيْبٍ يَقَعُ في القُلوبِ، فانقسَمَ النَّاسُ فيهِ بعدَ هذا ثلاثةَ أَقسَامٍ:

- قِسْمٍ آمنوا بهِ وصَدَّقُوهُ في كَلامِهِ هذا، وفي الانقيادِ لَهُ بعدَ النُّبوَّةِ، وهمُ المؤمِنُونَ حَقيقةً[٩].

---

(١) مريم: ٢٦

(٢) التَّعَالِي: الارتفاع، وتَعَالَت مِن نفاسها: ارتفعَتْ وطَهُرت. ينظر: الصِّحاح، والنِّهاية في غريب الحديث والأَثر، ومُختار الصِّحاح، مادَّة: (علا).

(٣) مريم: ٢٧

(٤) مريم: ٢٧-٢٩

(٥) الآية السَّابقة.

(٦) مريم: ٣٠-٣٣

(٧) "يزعمه".

(٨) قال ابن كثير رحمه الله: "ولم يقل: أنا الله، ولا ابن الله". تفسير القرآن العظيم، (١٥٧/٣).

(٩) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

– وقِسْمٍ غَلوا فيهِ، وهُمُ النَّصارَى، فقالوا فيهِ الْمَقَالاتِ المعرُوفةِ، ونزَّلوهُ مَنزلةَ الرَّبِ، تعالى اللهُ عن قولِهِم عُلوًّا كَبيرًا(١).

– وقِسْمٍ كفرُوا بهِ وجفَوْهُ –وهمُ اليهودُ– ورَمَوا أُمَّهُ بما بَرَّأَهَا اللهُ مِنهُ(٢)؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾(٣).

ولَمَّا أَرسَلَهُ اللهُ إلى بَني إسرائيلَ آمنَ بهِ مَن آمنَ، وكفَرَ بهِ مَن كَفَرَ، وجَعلَ يُرِيْهِم الآياتِ والعَجائبَ، فكانَ يُصَوِّرُ الطِّينَ، فَينفُخُ فيهِ، فيكونُ طَيرًا بإذنِ اللهِ، ويُبْرِئُ الأَكْمَهَ(٤)، والأَبْرَصَ، ويُحيِي الموتَى بإذنِ اللهِ، ويُنَبِّئُهُم عن كثيرٍ مِمَّا يأْكلُونَ، ويَدَّخِرونَ في بيوتِهِم(٥).

ومعَ ذلِكَ فتَكَالَبَتْ عليهِ أَعداؤُهُ، وأَرادُوا قَتْلَهُ، فأَلقَى اللهُ شَبَهَهُ على واحدٍ مِن الحَوارِيِّيْنَ(٦)؛ أَصحابِهِ أَو مِن غيرِهِم، ورفَعَهُ اللهُ إليهِ، وطَهَّرَهُ مِن قَتْلِهِم، فأَخذوا شَبِيْهَهُ فقَتلوهُ وصَلَبُوهُ، وباءُوا بالإثمِ العَظيمِ والجُرمِ الجَسيمِ، وصَدَّقَهُم النَّصارَى أَنَّهُم قَتلُوهُ وصَلَبُوهُ، ونَزَّهَهُ اللهُ مِن هذهِ الحالةِ، فقالَ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡ﴾(٧).

---

(١) قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [النساء: ١٧١]، وقال ﷻ: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ [المائدة: ١٧]، وقال ﷻ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

(٢) قال ﷻ: ﴿وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ١٥٦].

(٣) مريم: ٣٧

خ، س: "فاختلف الأحزاب من بعدهم"، والصَّواب: ﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡ﴾.

(٤) الْأَكْمَهُ: الذي يولد أعمى. ينظر: مجاز القرآن، (١/٩٣)، وجمهرة اللُّغة، وتهذيب اللُّغة، مادَّة: (كمه).

(٥) أخبر ﷻ عن قول عيسى ﵇: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩].

(٦) الحَوارِيُّونَ: خاصَّة عيسى ﵇، والصَّفوة الذين كانوا معه ينصرونه، ويستُعمل هذا الاسم لكلِّ خاصَّةٍ للرَّجل مِن أَصحابه، وأَنصاره. ينظر: العين، مادَّة: (حور)، ومعاني القرآن، للفرَّاء، (١/٢١٨).

(٧) النساء: ١٥٧

وقد قَامَ عِيسَى فِي بَنِي إِسرائيلَ فَبَشَّرَ وأَعْلَنَ برِسالةِ محمَّدٍ ﷺ(١).

فلمَّا جاءَهُم محمَّدٌ الذي يعرِفونَهُ، كمَا يعرفونَ أبناءَهُم: ﴿قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾(٢)، كمَا قالوا في عِيسَى: ﴿فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾(٣).

وفي هذهِ القِصَّةِ مِن الفوائِدِ أُمورٌ:

مِنها: أَنَّ النَّذرَ ما زالَ مَشرُوعًا في الأُممِ السَّابقَةِ(٤)، والنَّبِيُّ ﷺ قال فيهِ كَلمةً جامعةً للصَّحيحِ النَّافذِ منهُ، ولِلباطلِ، فقالَ: ((مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلَا يَعْصِهِ))(٥).

ومِنها: أَنَّ مِن نِعمةِ اللهِ على العَبْدِ أَنْ يكونِ في كَفَالةِ الصَّالحِينَ الأخيارِ؛ فإِنَّ الْمُرَبِّيَ والكافلَ لَهُ الأَثرُ الأَعظمُ في حَيَاةِ المكْفُولِ، وأخلاقِهِ وآدابِهِ؛ ولهذا أَمَرَ اللهُ المربِّيْنَ بالتَّربيةِ الطَّيِّبَةِ، المشتملةِ على الحثِّ على الأَخلاقِ الجَميلَةِ، والتَّرهِيبِ مِن مَساوِئِ الأَخلاقِ(٦).

ومِنها: إِثباتُ كراماتِ(٧) الأَولياءِ؛ فإِنَّ اللهَ كرَّمَ مَريمَ بأُمورٍ:

- يسَّرَ لَها أَنْ تكونَ في كَفالةِ زَكريَّا، بعدَما حَصَلَ الخِصامُ في شَأْنِها(٨).

---

(١) قال ﷻ: ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ [الصف:٦].

(٢) الصف: ٦

(٣) المائدة: ١١٠

(٤) ومِن نذْرِهم: "الصَّمتُ"، وكان جائزًا في شريعتهم، لا في شريعتنا؛ لِما أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب الأَيمان والنُّذور، باب النَّذر فيما لا يملِك، وفي معصية، (١٤٣/٨) ح (٦٧٠٤)، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، قال: بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ، إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ، فَسَأَلَ عَنْهُ فَقَالُوا: أَبُو إِسْرَائِيلَ، نَذَرَ أَنْ يَقُومَ وَلَا يَقْعُدَ، وَلَا يَسْتَظِلَّ، وَلَا يَتَكَلَّمَ، وَيَصُومَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((مُرْهُ فَلْيَتَكَلَّمْ وَلْيَسْتَظِلَّ وَلْيَقْعُدْ، وَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ)). ينظر: الجامع لأَحكام القرآن، (٩٨/١١)، وفتْح البارِي، لابن حَجر، (٥٩٠/١١)، وأَضواء البيان، (٤١١/٣-٤١٠).

(٥) بنحوه أَخرجه البخاريُّ، كتاب الأَيمان والنُّذور، باب النَّذر في الطَّاعة، (١٤٢/٨) ح (٦٦٩٦)، عن عائشة رضي الله عنها.

(٦) قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم:٦].

(٧) سبق تعريف الكَرامة: (ص:٦).

(٨) قال ﷻ: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ﴾ [آل عمران:٤٤].

- وأَكْرَمَها بأَنْ كان رِزقُها يأْتيها مِن اللهِ بلا سَبَبٍ(١).

- وأَكْرَمَها بوجودِ عِيسَى، ووِلادتِها إِيَّاهُ.

- وبخطابِ الملَكِ لَها بِما يُطَمِّنُ قلْبَها(٢).

- ثُمَّ بكلامِهِ في الْمَهْدِ(٣)، فهذهِ الأَخِيرَةُ جَمَعَتْ كَرَامةَ وَلِيٍّ(٤)، ومُعْجِزَةَ نَبِيٍّ(٥).

ومِنها: الآياتُ العَظِيمةُ التي أَجرَاها اللهُ على يَدِ عِيسَى بنِ مَرْيَمَ؛ مِن إِحياءِ الموتَى، وإبراءِ الأَكْمَهِ، والأَبْرَصِ، ونحوِهِما(٦).

ومِنها: ما أَكرَمَ اللهُ بِهِ عِيسَى بأَنْ جعلَ لَهُ حَوَارِيِّيْنَ وأَنصارًا في حياتِهِ، وبعدَ مَماتِهِ(٧) في بَثِّ دعوتِهِ، والنُّصرِ لِدِينِهِ؛ ولذلكَ كَثُرَ تابِعُوهُ، ولكنْ مِنهُم المستَقِيمُ؛ وهو الذي آمنَ بهِ حَقِيقةً، وآمنَ بجميعِ الرُّسُلِ، ومِنهُم المنحَرِفُ؛ وهمُ الذينَ غَلَوا فيهِ؛ وهمْ جُمهورُ مَن يَدَّعِي أَنَّهُ مِن أَتباعِهِ، وهمْ أَبعدُ النَّاسِ عنهُ(٨).

---

(١) قال ﷻ مُخْبِرًا عن مريم عليها السلام: ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:٣٧].

(٢) قال ﷻ مُخْبِرًا عن جبريل عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم:١٩].

(٣) قال تبارك وتعالى مُخْبِرًا عن عيسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم:٣٠-٣٣].

(٤) المراد: مريم عليها السلام.

(٥) المراد: عيسى عليه السلام.

(٦) سبق الدَّليل على هذا في حاشية هذا التَّحقيق: (ص:٦).

(٧) لعلَّ الأَولى أَنْ يقال: بعد رفعه؛ لأَنَّه لم يمت، قال ﷻ: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٥٨].

وهذا ما صرَّح به المؤلِّف رحمه الله، فقد ذكر في تفسيره خلافَ المفسِّرين في عَود الضَّمير في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء:١٥٩]، وأَنَّه يُحتملُ: أَنَّه يعود إِلى أَهل الكتاب، ويُحتمل: أَنَّه راجع إِلى عيسى عليه السلام، ثُمَّ قال: "فيكون المعنى: وما مِن أَحد مِن أَهل الكتاب إِلَّا ليؤمِنَنَّ بالمسيح عليه السلام قبل موت المسيح، وذلك يكون عند اقتراب السَّاعة، وظهور علاماتها الكِبار؛ فإِنَّه تكاثرت الأَحاديث الصَّحيحة في نزوله عليه السلام في آخر هذه الأُمَّة". تيسير الكريم الرَّحمن، (ص:٢١٤، ٩٦٧).

(٨) سبق الدَّليل على هذا في أَقسام النَّاس في عيسى عليه السلام: (ص:٦).

ومِنها: أَنَّ اللهَ أَثْنَى على مَريمَ بالكَمالِ بالصِّدِّيْقِيَّةِ، وأَنَّها: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾(١)، وهذا وصفٌ لَها بالعِلْمِ الرَّاسِخِ[١٢٦]، والعِبادَةِ الدَّائِمةِ، والخُشُوعِ لِلهِ، وأَنَّهُ اصطَفَاهَا، وفضَّلَها على نِساءِ العالَمِينَ(٢).

ومِنها: أَنَّ إِخبارَ اللهِ للنَّبِيِّ بِهذهِ القِصَّةِ وغيرِها مُفصَّلةً مُطابِقةً لِلحَقيقةِ مِن أَدِلَّةِ رِسالَته، وآياتِ نُبوَّتهِ؛ لقولِهِ: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾(٣).

---

(١) التحريم: ١٢

(٢) قال ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢].

(٣) آل عمران: ٤٤

قِصَّةُ يُوسُفَ ويَعْقوبَ عليهما الصَّلاةُ والسَّلامُ.

هذهِ القِصَّةُ مِن أَعجَبِ القَصَصِ، وذكَرَها اللهُ جَميعًا، وأَفردَهَا بسُورةٍ مُطوَّلَةٍ مُفَصَّلَةٍ تَفصِيلًا واضِحًا، قِراءَتُها[١] تُغْني عن التَّفسيرِ؛ فإِنَّ اللهَ سَاقَ فيها حالةَ يوسُفَ مِن ابتداءِ أَمْرِهِ إلى آخرِهِ، وما بيْنَ ذلكَ مِن التَّنَقُّلاتِ واختلافِ الأَحوالِ، وقالَ فِيها: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾[٢].

فلْنذكُرْ ما يُسْتَنْبَطُ مِن هذهِ القِصَّةِ العَظيمةِ مِن الفوائدِ، فنَقُولُ مُسْتَعِيْنِينَ باللهِ[٣]:

ذِكرُ ما فِيها مِن الفَوائدِ:

مِنها: أَنَّ هذهِ القِصَّةَ مِن أَحسَنِ القَصصِ وأَوضحِها؛ لِمَا فِيها مِن أَنواعِ التَّنَقُّلاتِ مِن حالٍ إلى حالٍ؛ مِن مِحْنةٍ[٤] إلى مِحْنةٍ[٥]، ومِن مِحْنةٍ إلى مِنْحَةٍ[٦] ومِنَّةٍ[٧]، ومِن ذُلٍّ إلى عِزٍّ[٨]، ومِن

(١) خ: "قرائَتها"، س: "قراءَتها"، وهي الصَّواب؛ لأَنَّ الهمزة متوسِّطة مفتوحة، وقبلها حرف ساكن غير صحيح، وهو الأَلف. ينظر: الإملاء والتَّرقيم في الكتابة العربيَّة، (ص:٤٩).

(٢) يوسف: ٧

(٣) قال ابن القَيِّمِ رحمه الله: "وفي هذه القِصَّة مِن العبر والفوائد والحكم ما يزيد على الأَلف فائدة، لعلنا إنْ وفَّق الله أَنْ نفردها في مصنَّف مُستقلٍّ. " الجواب الكافي، (ص:٢١٠).
وللمؤلِّف رحمه الله كتاب اسمه: "فوائد مستنبطة مِن قصَّة يوسف".

(٤) الْمِحْنَةُ: "واحدة الْمِحَنِ، التي يُمْتَحَن بها الإنْسان مِن بَليَّة، ومَحَنْتُه وامْتَحَنْتُه، أَيْ: اختبرته". الصِّحاح، وينظر: مُختار الصِّحاح، مادَّة: (محن).

(٥) تتابعت المحن على يوسف عليه السلام؛ مِن فراق أَبيه، ومكر إخوته وكيدهم له، ثُمَّ الخوف مِن القتل، وحين غُيِّب في البئر، ثُمَّ البيع والرِّق، ثُمَّ الغُربة بمصر، ثُمَّ الخِدمة في بيت امرأَة العزيز، ثُمَّ بمراودة المرأَة لَهُ، ثُمَّ السِّجن ظلمًا، وبهتانه وتشويه عِرضه النَّقي الطَّاهر.

(٦) الْمِنْحَةُ: العَطيَّة، مِن الْمَنْح، وهو العطاء. ينظر: الصِّحاح، ومُختار الصِّحاح، مادَّة: (منح).

(٧) توالت المنح والمنن الرَّبانيَّة على الصِّديق؛ فقد عصمه اللَّطيف الحكيم مِن السُّوء والفحشاء، وجاءت شهادة الشَّاهد لصالحه، ثُمَّ أَقرَّت المرأَة صراحة ببراءته، ثُمَّ أَنعم الله عليه بالخروج مِن ظلمات السِّجن، وبسمعة حسنة، ومنصِب رفيع، واجتماع واستقرار مبارك لأَهله وأَسرته.

(٨) ذاق يوسف عليه السلام إهانة واستضعافاً، وظلمًا وقهرًا بيِّنًا من إخوته، ثمَّ تجرَّع ذُلَّ العبوديَّة، ومرارة الرِّقِّ حين بِيع على السَّيارة، ثُمَّ ذُلَّ الغُربة والوحدة في مصر، ثُمَّ حلَّت عليه النِّعم الرَّبانيَّة؛ فذاق طعم العزِّ بإِعلان نزاهته، وظهور براءته، وتلذَّذ بعزِّ النَّصر، وحلاوة الصَّبر والتَّقوى، ثمَّ صار عزيزًا في سلطانه وولايته، وأَمره ونهيه، موشَّحاً بعزِّ الاحترام والتَّقدير والإجلال من الأَقارب والأَباعد.

أَمْنٍ إلى خَوفٍ وبالعَكْسِ(١)، ومِن مُلْكٍ إلى رِقٍّ وبالعَكْسِ(٢)، ومِن فُرْقَةٍ وشَتَاتٍ إلى انضِمامٍ وائتِلافٍ وبالعَكْسِ(٣)، ومِن سُرورٍ إلى حُزْنٍ وبالعَكْسِ(٤)، ومِن رَخاءٍ إلى جَدْبٍ وبالعَكْسِ(٥)، ومِن ضِيقٍ إلى سَعةٍ وبالعَكْسِ(٦)، ومِن وُصولٍ إلى عواقِبَ حَميدةٍ(٧)، فتبارَكَ مَن قَصَّها، وجعَلَها عِبرةً لأُولي الألبابِ(٨).

---

(١) نشأ يوسف عليه السلام في حنان والده في أَمن واستقرار، ثُمَّ تبدَّلت حالته إلى ذُعرٍ وهلع يلاحقه؛ مخاوف من المكر الجماعيِّ الظالم من إخوته، ومن القتل، ومن ظلمات البئر وأخطاره، ثُمَّ أكرمه الله بالأَمن، وبالنَّجاة والسَّلامة.

(٢) عاش الكريم بن الكريم في نعيم الحريَّة عند والده الحنون، ثُمَّ سرعان ما انقلبت حاله -ظلمًا وزورًا- إلى رقيقٍ يباع ويشترى، ليحلَّ في أيدي القوم المارِّين في الطَّريق، عبدًا مَزْهُودًا فيه، مملوكًا لهم بثمن قليل، وبعد مدَّة تزول الغُمَّة ويظهر الحقُّ فيرجع إلى عزِّ الحُرِّية، متوليًّا منصبًا عاليًا في مصر، يأمر وينهى، ويتصرَّف بكامل الحريَّة والملكيَّة.

(٣) نزغ الشَّيطان بين يوسف وإخوته فتفرَّقوا بعد اجتماع، ثمَّ لطف الله عز وجل بهم، فجمع شملهم عند يوسف عليه السلام، صافية قلوبهم، هادئة نفوسهم، فرحين بنعمة الاجتماع والتَّآلف الذي لا يكدِّره إلَّا مفرِّق الجماعات الموت.

(٤) كان يوسف عليه السلام مسرورًا بحنان والده ومحبَّته، إلَّا أَنَّ هذا السُّرور تبدَّل إلى أَحزان بفراقه، وبتلك المصائب التي حلَّت به، ثُمَّ أَنعم الله عليه بذلك الاجتماع المبارك في مصر، فانقلبت الأَحزان إلى فرح وسرور، واغتباط وحبور.

(٥) مرَّ على تلك الأُسرة الكريمة أعوام رخاء عاشوا فيها بسَعة مِن الحال والرِّزق، ثُمَّ حلَّت السُّنون العِجاف فأَصابهم الضُّرُّ، والضِّيق في المعاش، ثُمَّ جاءت أَعوام الرَّخاء؛ فعادت لهم الحال إلى مزيدٍ مِن الرَّغد والنَّعيم.

(٦) صبر يوسف عليه السلام على ابتلاءات عظيمة لازمته حتى نزل به الفرج مِن اللَّطيف الخبير، فتحوَّلت الضَّوائق والشَّدائد إلى سَعة ويسر، فانشرح صدره، وحصل الاجتماع والتَّسامح، والرِّزق الوافر، والهدوء، وراحة البال.

(٧) قال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف:١٠٠].

(٨) قال الفَيْرُوزآبَادِيُّ رحمه الله: "محَنَه الله -تعالى- بعَشْر مِحَن، وكافأه بعَشْرِ مِنَح: الأَوَّل: بفراق أَبيه، وختم بمَسرَّة: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يوسف:١٠٠]، وابتُلي بجفاء الإخوة، وختم بمَسرَّة: ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗا﴾ [يوسف:١٠٠]، وابتُلي بوَحْشَة الجُبِّ، وجُوزِي بفَرْحَة: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا﴾ [يوسف:١٥]، وابتُلي بملكة عَزيز مِصْر، وكُوفِئ بملكة أَهْل مِصْرَ قاطِبة: ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [يوسف:٥٦]، وابتُلي بقَصْد زُلَيْخَا، ونجا بشهادة طفل لم يَنْطق بعدُ: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [يوسف:٢٦]، وابتُلي بِحِيلَة نساء مِصْر، وختم ببراءته، وقولهنَّ: ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٖ﴾ [يوسف:٥١]، وابتُلي بدعوة الشَّيطان، وصِينَ بِعِصْمَة الرَّحمن: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ [يوسف:٢٤]، وابتُلي بالسِّجن والحَبْس، وكُوفِئ بالمُلك والسَّلْطَنَة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ﴾ [يوسف:٨٨]، وابتُلي بالزُّور والبُهتان وصار ذلك أَظهر من كلِّ عَيان: ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ [يوسف:٥١]، وابتُلي بالمال والمُلْك واتِّساع الدُّنيا، وأُبْعِد عنه ضَرُّها بولاية المَوْلَى في الآخرة والأُولى: ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ﴾ [يوسف:١٠١]". بصائر ذوي التَّمييز في لطائف الكتاب العزيز، (٦/٤٩).

ومِنها: ما فِيها مِن أُصولِ تَعبيرِ الرُّؤيا المناسبةِ، وأَنَّ عِلْمَ التَّعْبيرِ عِلْمٌ مُهِمٌّ يُعطيهِ اللهُ مَن يشاءُ مِن عبادِهِ، وأَنَّ أَغلَبَ ما تُبْنَى عليهِ المناسباتُ، وضَرْبُ الأَمْثالِ، والْمُشابَهةُ في الصِّفاتِ(١).

فَوَجْهُ مُناسبةِ رُؤيا يوسفَ -أَنَّهُ رأَى الشَّمسَ والقَمرَ، والكَواكبَ الأَحدَ عشَرَ(٢) ساجِدينَ لَهُ- أَنَّ هذهِ زِينةٌ لِلسَّماءِ، وفِيها مَنافِعُها، فكذلِكَ الأَنبياءُ والعُلماءُ والأَصْفياءُ زِينةُ الأَرضِ، وبِهِم يُهْتَدَى في الظُّلماتِ كمَا يُهْتَدَى بالأَنوارِ السَّماويَّةِ؛ ولأَنَّ أَباهُ وأُمَّهُ أَصْلٌ، وإِخوتَهُ فرعٌ عنهُما، فمِنَ المناسِبِ أَنْ يكونَ الأَصلُ أَعظمَ نُورًا وجُرْمًا مِن الفَرعِ؛ فلذلِكَ كانتِ الشَّمسَ أُمُّهُ، أَو أَبوهُ(٣)، والقَمرَ الآخَرُ منهُما، والكواكبَ إِخوتُهُ(٤).

ومِن المناسبِ أَنَّ السَّاجدَ مُحْتَرِمٌ لِمن سَجد لَهُ، والْمَسْجُود لَهُ مُعَظَّم مُحْتَرَمٌ؛ فدلَّ ذلكَ على أَنَّ يوسفَ يَصيرُ مُعظَّمًا(٥)، مُحتَرِمًا لأَبويهِ وإِخوتهِ(٦)، ولا يَتِمُّ هذا إِلَّا بمقدِّماتٍ تَقتضِي الوصولَ إِلى هذا؛ مِن علومٍ وأَعمالٍ، واجتِباءٍ مِن اللهِ، فلِهذا قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ

---

(١) تحدَّث ابن القيِّم‌رحمه الله عن الرُّؤيا، وذكر قواعد عامَّة تُساعد على فهمها وتفسيرها، ثُمَّ قال: "وبالجملة فما تقدَّم مِن أَمثال القرآن كلُّها أُصول وقواعد لعلم التَّعبير لمن أَحسن الاستدلال بها، وكذلك مَن فَهِمَ القرآن؛ فإِنَّه يُعَبِّرُ به الرُّؤيا أَحسن تعبير، وأُصول التَّعبير الصَّحيحة إِنَّما أُخذت مِن مِشكاة القرآن". إِعلام الموقِّعين، (١/١٤٨).

(٢) أَورد بعض المفسِّرين أَثرًا ضعيفًا في أَنَّها: الْحَرْثَانِ، وَالطَّارِقُ، وَالذَّيَّالُ، وَقَابِسٌ، وَالْمُصْبِحُ، وَالضَّرُوحُ، وَذُو الْكَنَفَاتِ، وَذُو الْفَرْعِ وَالْفَلِيقُ، وَوَثَّابٌ، وَالْعَمُودَانِ، قال ابن كثير‌رحمه الله: "تفرَّد به: الْحَكَمُ بْنُ ظُهَيْرٍ الْفَزَارِيُّ، وقد ضعَّفه الأَئِمَّة، وتركه الأَكثرون، وقال الْجُوزَجَانِيُّ: ساقط". تفسير القرآن العظيم، (٤/٣٧٠).

(٣) تقدَّم الخبر: "الشَّمس"، بدليل كلمة: "أَبوه"، وهذا جائز لغة، قال‌جل جلاله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧].
ينظر: شرح المفصَّل، لابن يعيش، (٤/٣٤٥)، وشرح الكافية الشَّافية، لابن مالك، (١/٤٠٠).
ويظهر أَنَّ المؤلِّف‌رحمه الله قصد ذلك، ولو لم يقصد تقديمه لقال: "أَباه"، ويحتمل أَنَّ ذلك سبق قلم. والله أَعلم.

(٤) هذا التَّعبير هو الذي عليه عامَّة المفسِّرين. ينظر: جامع البيان، (١٥/٥٥٦-٥٥٧)، ومَعَالم التَّنزيل، (٢/٤٧٥)، والمحرَّر الوجيز، (٣/٢١٩)، وزاد الْمَسِير، (٢/٤١٣)، وتفسير القرآن العظيم، (٤/٣٦٩).

(٥) اختلف المفسِّرون في المراد بهذا السُّجود: هل هو السُّجود المعهود، أَو الإِيماء بالرُّؤوس، أَو الانحناء كالرُّكوع، وقد أَجمعوا على أَنَّ السُّجود إِنْ كان ليوسف فهو سجود تحيَّة لا عبادة، وأَنَّه محرَّم في شريعتنا، وأَنَّ تحيَّة هذه الأُمَّة السَّلام، وأَنَّ السُّجود مُختصٌّ بجناب الرَّب العظيم؛ ولهذا يرى بعض المفسِّرين أَنَّ السُّجود كان لله، وليس ليوسف؛ شكرًا على أَنَّهم وجدوه. ينظر: جامع البيان، (١٦/٢٦٩)، وتفسير الرَّازي، (١٨/٥١٠-٥١١)، والجامع لأَحكام القرآن، (٩/٢٦٤-٢٦٥)، وتفسير القرآن العظيم، (٤/٤١٢).

(٦) لا يستقيم المعنى إِلَّا بهذا الضَّبط، لكن السِّياق يُشعر أَنْ يكون الكلامُ كما قاله المؤلِّف‌رحمه الله في تفسيره: "مُعظَّمًا مُحتَرَمًا عند أَبويهِ وإِخوته". تيسير الكريم الرَّحمن، (ص:٤٠٧).

﴿وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾(١).

ومِنها: المناسبةُ في رُؤيا الفَتيَيْنِ؛ حيثُ عبَّرَ رُؤيا مَن رَأى أنَّهُ يَعْصِرُ خمرًا أنَّ الذي يَعمَلُ هذا العمَلَ يكونُ في العَادةِ خَادِمًا لغيرِهِ، و-أيضًا- العَصرُ مقصُودٌ لغيرِهِ، والخادِمُ تابعٌ لغيرِهِ، ويَؤولُ -أيضًا- إلى السَّقْيِ الذي هو خِدمتُهُ؛ فلِذلكَ أَوَّلَهُ بِما يؤُولُ إِليهِ.

وأمَّا تَعْبِيْرُهُ لرُؤيا مَن رَأى أنَّهُ يَحْمِلُ فوقَ رأْسِهِ: ﴿خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ﴾(٢): بأنَّهُ يُقْتَلُ ويُصْلَبُ مُدَّةً حتَّى تأْكلَ الطَّيرُ مِن مُخِّ رأْسِهِ الذي هو يَحْمِلُ.

وعَبَّرَ رُؤيَا الملِكِ بالبَقراتِ والسُّنْبُلاتِ: بأنَّها السِّنِينُ الْمُخْصِبَةُ والْمُجْدِبةُ، ووجهُ المناسبةِ: أنَّ الْملِكَ بهِ تَرتبطُ أُمورُ الرَّعيَّةِ[١٢٧] ومَصالِحُها، وبصلاحِهِ تصْلُحُ، وبفسادِهِ تَفْسُدُ، فهذا(٣) نِسبَتهُ إِذْ رَأى هو الرُّؤيَا.

وكذلكَ السُّنُونُ بِخِصْبِها وجَدْبِها تَنْتَظمُ أُمورُ المعاشِ، أَو تَخْتلُّ، والبقرُ هي آلةُ حَرثِ الأَرضِ، واستخْراجِ مغَلِّها -والْمَغَلُ هو الزَّرعُ- فرَأى السَّبَبَ والْمُسَبَّبَ(٤).

فرُؤيَتهُ السَّبْعَ السِّمانَ مِن البَقرِ، ثُمَّ السَّبْعَ العِجافَ، والسَّبْعَ السُّنْبُلاتِ الخُضْرَ، ثُمَّ السَّبْعَ اليَابِسَاتِ؛ أَيْ: لا بُدَّ أَنْ تَتَقدَّمَ السِّنِينُ السَّبْعُ(٥) الْمُخصِباتُ، ثُمَّ تَتلوها الْمُجْدِباتُ، وتَأْكلُ ما حصَلَ فِيها مِن غِلالٍ(٦)، ولا تُبْقِي إِلَّا شَيئًا يُحْصِنُونَهُ عَنها، وإِلَّا فهِي بِصَددِ أَكلِها كلِّها.

فإِنْ قِيلَ: مِن أَينَ أَخذَ قولَهُ: ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾(٧)، فإِنَّ بعض المفسِّرِينَ(٨) قال: هذهِ زِيادةٌ مِن يوسفَ في التَّعبِيرِ؛ بوحْيٍ أُوحِيَ إِليهِ؟.

---

(١) يوسف: ٦

(٢) يوسف: ٣٦

(٣) س: "فهذه".

(٤) السَّبب: آلة الحرث؛ وهي البقر، أمَّا الْمُسبَّب: فهو الزَّرع.

(٥) س: "السَّبع السِّنين".

(٦) الغِلَالُ: والغَلَّاتُ جمع غَلَّة، وهي: "كلُّ شيء يحصل مِن رَيْع الأَرض أَو أُجرتها، ونحو ذلك". الْمِصباح الْمُنِيْر، مادَّة: (غلل)، وينظر: أَنيس الفِقهاء في تعريفات الأَلفاظ المتداولة بين الفِقهاء، لقاسم الحنفي، (ص:٦٦).

(٧) يوسف: ٤٩

(٨) ومنهم قَتادة، وابن جَرِيْر، والرَّازيُّ، والقُرْطُبِيُّ. ينظر: جامع البيان، (١٦/١٢٨)، وتفسير الرَّازي، (١٨/٤٦٥)، والجامع لأَحكام القرآن، (٩/٢٠٤).

فالجوابُ ليسَ الأمرُ كذلكَ؛ وإنَّما أَخذَها مِن رُؤيَا الملِكِ، فإِنَّ السِّنِينَ المجدِبَةَ سَبْعٌ فقط؛ فدلَّ على أَنَّهُ سَيأْتي بعدَها عامُ الخِصْبِ، كثيرُ البَركاتِ، يُزيلُ الجَدْبَ العَظيمَ الحاصِلَ مِن السِّنِينِ المجدِبَةِ التي لا يُزيلُها عامُ خِصْبٍ عاديٍّ، بل لا بدَّ فيهِ مِن خِصْبٍ خلافِ العادَةِ، وهذا واضحٌ وهو مِن مَفهُومِ العَددِ[1].

ومِنها: ما فِيها مِن الأَدِلَّةِ والبَّراهينِ على نُبوَّةِ نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ، حيثُ قَصَّ عليهِ هذهِ القِصَّةَ الْمُفَصَّلَةَ المبسُوطَةَ، الموافِقَةَ لِلواقِعِ، التي أَتتْ بِالمقصودِ كلِّهِ، وهو لم يَقْرأْ كُتُبَ الأَوَّلِينَ، ولا دارَسَ أَحدًا كمَا هو مَعلومٌ لقومِهِ، وهو بنفسِهِ أُمِّيٌّ لا يَقْرأُ[2]، ولا يَكْتُبُ، ولهذا قال: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾[3].

ومِنها: أَنَّهُ ينبغِي للعبدِ البُعْدُ عن أَسبابِ الشَّرِّ، وكِتمانُ ما تُخشَى مَضرَّتُهُ؛ لقولِ يَعْقُوبَ ليوسُفَ: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا﴾[4].

ومِنها: ذِكْرُ الإِنسانِ بِما يكرَهُ على وجْهِ الصِّدقِ والنَّصيحةِ لَهُ أَو لغيرِهِ[5].

ومِنها: أَنَّ نِعمةَ اللهِ على العَبدِ نِعمةٌ على مَن يَتعلَّقُ بهِ، ويتَّصِلُ مِن أَهلِ بيتِهِ وأَقارِبِهِ وأَصحابِهِ، فإِنَّهُ لا بُدَّ أَنْ يَصِلَهُم ويَشْمَلَهم مِنها جانبٌ، لِقولِهِ: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾[6]؛ أَيْ: بِما يَحصُلُ لكَ؛ ولهذا لَمَّا تَمَّتِ النِّعمةُ على يوسُفَ حصلَ لآلِ يعقوبَ مِن العِزِّ والتَّمْكِينِ، والسُّرورِ، وزَوالِ المكروهِ، وحصولِ المحبُوبِ ما ذكرَ اللهُ في آخرِ القِصَّةِ[7].

---

(١) هذا السَّؤال أَورده الرَّازيُّ رحمه الله، وأَجاب عنه بقوله: "هب أَنَّ تَبدُّلَ القحط بالخصب معلوم مِن المنام، أَمَّا تفصيل الحال فيه وهو قوله: ﴿فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف:٤٩]، لا يعلم إِلَّا بالوحي". تفسير الرَّازي، (١٨/٤٦٦-٤٦٥).

(٢) المقصود كما قال ابن تَيميَّة رحمه الله: "لا يكتبُ، ولا يقرأُ ما في الكتب، لا باعتبار أَنَّه لا يقرأُ مِن حفظه بل كان يحفظ القرآن أَحسنَ حفظ". مجْمُوع الفَتاوَى، (١٧/٤٣٦).

(٣) يوسف: ١٠٢

(٤) يوسف: ٥

(٥) "لقوله: ﴿فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا﴾"، زيادة في: (س).

(٦) يوسف: ٦

(٧) قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ
=

ومِنها: أَنَّ النِّعَمَ الكبيرةَ الدِّينيَّةَ والدُّنيويَّةَ لا بُدَّ أَنْ يتقدَّمَها أَسبابٌ ووسائلُ إليها؛ لأَنَّ اللهَ حكيمٌ، ولهُ سُنَنٌ لا تَتغيَّرُ؛ قَضَى بأَنَّ المطالِبَ العاليَةَ لا تُنالُ إِلَّا بالأَسبابِ النَّافِعةِ، خُصُوصًا العُلومَ النَّافعةَ، ومَا يَتفرَّعُ عنها مِن الأَخلاقِ والأَعمالِ؛ فلِهذا عَرفَ يعقوبُ أَنَّ وُصولَ يوسُفَ إلى تلكَ الحالةِ التي يَخْضَعُ لَهُ فيها أَبوهُ وأُمُّهُ وإِخوتُهُ مَقامٌ عَظيمٌ، ومَرْتَبةٌ عاليَةٌ، وأَنَّهُ لا بُدَّ أَنْ يُيَسِّرَ اللهُ ليوسُفَ مِن الوسائلِ ما يُوصِلُهُ إليها؛ ولِهذا قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾(١).

ومِنها: أَنَّ العَدلَ مَطلوبٌ في جميعِ الأُمورِ الكِبارِ والصِّغارِ(٢)؛ في مُعاملةِ السُّلطانِ لِرعِيَّتِه، ومُعاملةِ الوالِدَينِ للأَولادِ، والقِيامِ بحُقوقِ الزَّوجاتِ، وغيرِ ذلكَ؛ في الْمَحبَّةِ والإِيثارِ ونحوِها، وأَنَّ القِيامَ بالعَدلِ في ذلكَ تستقِيمُ الأُمورُ صِغارُها وكِبارُها(٣)، ويَحْصلُ للعَبدِ ما أَحَبَّ، وفي الإِخلالِ بذلكَ تَفسُدُ الأَحوالُ، ويَحصُلُ للعبدِ المكروهُ مِن حيثُ لا يَشعرُ؛ لهذا لَمَّا قَدَّمَ يَعقوبُ يُوسُفَ في الْمَحبَّةِ، وجعلَ وجهَهُ لَهُ جَرَى مِنهُم على أَبيهِم وأَخِيهِم مِن المكروهِ ما جَرَى(٤).

ومِنها: الحذَرُ مِن شُؤْمِ الذُّنوبِ، فكم مِن ذنْبٍ واحدٍ استتْبَعَ ذُنُوبًا كثيرةً، وتَسَلْسَلَ الشَّرُّ المؤَسَّسُ على الذَّنْبِ الأَوَّلِ؛ وانظرْ إلى جُرمِ إِخوةِ يوسُفَ؛ فإِنَّهُم لَمَّا أَرادُوا التَّفريقَ بَينَهُ وبيْنَ أَبيْهِ الذي هو مِن أَعظمِ الجرائِمِ، احتَالُوا على ذلكَ بِعدَّةِ حِيَلٍ، وكذَبُوا عِدَّةَ مرَّاتٍ(٥)[١٢٨]، وزَوَّروا على أَبيهِم؛ في القَميصِ، والدَّمِ الذي فيهِ، وفي صِفةِ حالِهم حِينَ أَتوا عِشاءً يَبكُونَ(٦).

ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ١٠٠ ۞ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف:١٠٠-١٠١].

(١) يوسف: ٦

(٢) س: "الصَّغار والكبار".

(٣) "به"، زيادة في: (س).

(٤) وقد صرَّحوا بما يجدونه في نفوسهم بسبب هذا التَّقديم، قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [يوسف:٨].

(٥) إلى هنا انتهى خطُّ المؤلِّف رحمه الله وبدأ خطُّ الشَّيخ: محمَّد بن سليمان البسَّام رحمه الله، وينتهي عند قول المؤلِّف: "أَمَّا الموَفَّقُونَ الأَصْفياءُ فإِنَّهم في هذهِ". (ص:٦٠).

(٦) قال جل جلاله: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖ﴾ [يوسف:١٦-١٨].

ولا بُدَّ أَنَّ الكَلامَ في هذهِ القَضيَّةِ تَسَلْسَلَ وتَشعَّبَ، بلْ رُبَّما أَنَّهُ اتَّصلَ إلى الاجتماعِ بيوسُفَ، وكلَّما بُحِثَ في هذا الموضوعِ فهو بحثُ كذِبٍ وزُورٍ[(١)]، معَ استمرارِ أَثَرِ الْمُصيبةِ على يعقوبَ[(٢)]، بلْ وعلى يُوسُفَ[(٣)]، فليحذرِ العبْدُ مِن الذُّنوبِ، خُصوصًا الذُّنوبَ الْمُتَسَلْسِلَةَ.

وضِدُّ ذلكَ بعضُ الطَّاعاتِ؛ تكونُ طاعةً واحدةً، ولكنْ يَتَسلْسَلُ نَفْعُها وبَرَكَتُها حتَّى تَسْتَتْبِعَ طاعاتٍ مِن الفَاعلِ وغيرِهِ، وهذا مِن أَعظمِ آثارِ بركةِ اللهِ للعبدِ في عِلمِهِ وعَملِهِ.

ومِنها: أَنَّ العِبرَةَ لِلعبدِ في حالِ كَمالِ النِّهايَةِ، لا بِنَقصِ البِدايةِ، فإِنَّ أَولادَ يَعقُوبَ عليه السلام جَرى منهُم ما جَرى في أَوَّلِ الأَمرِ مِن الجَرائمِ المتنوِّعَةِ، ثُمَّ انتهَى أَمرُهُم إلى التَّوبةِ النَّصُوحِ، والاعترافِ التَّامِّ بجُرمِهِم[(٤)]، والعَفوِ التَّامِّ عنهُم مِن يُوسُفَ[(٥)]، ومِن أَبِيهِم، والدُّعاءِ لهُم بالمغفِرةِ والرَّحمَةِ[(٦)].

وإذا سَمَحَ العبدُ بحَقِّهِ[(٧)]، فاللهُ أَولَى بذلكَ، وهو خَيرُ الرَّاحمينَ الغَافِرِينَ؛ ولهذا في أَصحِّ الأَقوالِ أَنَّ اللهَ جعلَهُم أَنبياءَ[(٨)]؛ لِمَحْوِ ما سبقَ مِنهُم، وكأَنَّهُ ما كانَ، ولِقولِهِ: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ

---

(١) ولهذا أَخبر اللهُ تعالى أَنَّهم: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف:٩٧].
وقد تحدَّث المؤلِّف رحمه الله عن هذا في كتابه: فوائد مستنبطة مِن قصَّة يوسف، (ص:٢٢-٢٣).

(٢) قال عز وجل: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف:٨٤-٨٦].

(٣) أَخبر تعالى أَنَّ يوسُف عليه السلام قال لإخوته: ﴿قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ﴾ [يوسف:٨٩]، وقوله: ﴿أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:٧٧].

(٤) "بجرمهم"، ليست في: (س).
قال عز وجل مُخبِرًا عن إخوة يوسُف عليه السلام: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف:٩١].

(٥) قال تعالى مُخبِرًا عن يوسُف عليه السلام: ﴿قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:٩٢].

(٦) قال جل وعلا مُخبِرًا عن إخوة يوسف وأَبيهم عليه السلام: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يوسف:٩٧-٩٨].

(٧) س: "بحق".

(٨) رجع المؤلِّف رحمه الله عن هذا التَّرجيح؛ حيث قال: "وقِيل: بل كانوا قومًا صالحين؛ كما قاله آخرون، وهو الظَّاهر؛ لأَنَّ المراد بالأَسباط قبائل بني إسرائيل، وهو اسم لعموم القبيلة؛ لأَولاد يعقوب الاثني عشر، فهم آباء الأَسْباط، وهم مِن الأَسْباط". فوائد مستنبطة مِن قصَّة يوسُف، (ص:٢٥)، وهو مِن آخر مؤلَّفاته، كما سبق: (ص:٦).

وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾(١)؛ وهُم أَولادُ يعقوبَ الاثنا عشَرَ وذُرِّيتُهُم؛ ومِمَّا يُؤيِّدُ هذا أَنَّ في رُؤيَا يُوسُفَ في(٢) أَنَّهُم هُمُ الكَواكِبُ(٣) فِيها النُّورُ والهِدايَةُ، وهي مِن صِفاتِ الأَنبياءِ(٤)، فإِنْ لم يكونوا أَنبياءَ فإِنَّهُم عُلماءُ عبَّادٌ(٥).

ومِنها: ما مَنَّ اللهُ بِهِ على يُوسُفَ مِن العِلْمِ والحِلْمِ، والأَخلاقِ الكَامِلةِ، والدَّعوةِ إِلى اللهِ وإِلى دِينِهِ، وعَفوِهِ عن إِخوتِهِ الخَاطِئِينَ عَفوًا بَادَرَهُم بِهِ(٦)، وتَمَّمَ ذلكَ بأَنْ أَخبرَهُم أَنَّهُ لا تَثْرِيبَ(٧) عليهِم بعدَ هذا العَفوِ، ثُمَّ بِرُّهُ العظيمُ بأَبيهِ وأُمِّهِ(٨)، وإِحسانُهُ على إِخوتِهِ، وإِحسانُهُ على عُمُومِ الخَلقِ، كمَا هو بَيِّنٌ في سِيرتهِ وقِصَّتهِ(٩).

ومِنها: أَنَّ بعضَ الشَّرِّ أَهونُ مِن بَعضٍ، وارتكابَ أَخَفِّ الضَّرَرينِ أَولَى مِن ارتكابِ أَعظمِهِما(١٠)؛ فإِنَّ إِخوةَ يوسُفَ لَمَّا قالوا: ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾(١١)، و﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟

---

(١) البقرة: ١٣٦

(٢) "في"، ليس في: (س).

(٣) "التي"، زيادة في: (س).

(٤) يقابل هذا تعليل آخر للمؤلِّف رحمه الله بعد أَنْ رجَّح عدم نبوَّهم، قال: "ولهذا في رؤْيا يوسف رآهم بمنزلة الكواكب في إشراقها وعلومها، وهذه صفة أَهل العلم والإيمان، والله أَعلم". فوائد مستنبطة مِن قصَّة يوسُف، (ص:٢٥).

(٥) ضعَّف ابن تَيميَّة وابن كثير رحمهما الله القول بنبوَّة إخوة يوسف، قال ابن كثير: "واعلم أَنَّه لم يقم دليل على نبوَّة إخوة يوسف، وظاهر هذا السِّياق يدلُّ على خلاف ذلك، ومِن النَّاس مَن يزعم أَنَّهم أُوحي إليهم بعد ذلك، وفي هذا نظر، ويحتاج مدَّعي ذلك إلى دليل، ولم يذكروا سوى قوله تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ [البقرة:١٣٦]، وهذا فيه احتمال؛ لأَنَّ بطون بني إسرائيل يُقال لهم: الأَسباط، كما يقال للعرب: قبائل، وللعجم: شُعوب؛ يَذكر -تعالى- أَنَّه أَوحى إلى الأَنبياء مِن أَسباط بني إسرائيل، فذكرهم إجمالًا لأَنَّهم كثيرون، ولكن كلَّ سِبط مِن نسْل رَجل مِن إخوة يوسف، ولم يقم دليل على أَعيان هؤلاء أَنَّهم أُوحي إليهم، والله أَعلم". تفسير القرآن العظيم، (٣٧٢/٤)، وينظر: جامع المسائل، لابن تَيميَّة، (٢٩٧/٣).

(٦) قال ﷻ: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:٩٢].

(٧) س: "يثرِّب".

(٨) قال ﷻ: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ [يوسف:٩٩-١٠٠]، قال الرَّزيُّ رحمه الله: "مبالغة في تعظيمهما". تفسير الرَّازي، (٥١١/١٨).

(٩) شهرته بالإحسان ظاهرة، صرَّح بها الفتيان، وإخوته، بقولهم: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:٣٦، ٧٨].

(١٠) سبق الكلام على هذه القاعدة: (ص:٦٠).

(١١) يوسف: ٩

يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾[(١)]؛ كانَ قولُهُ أَحسنَ مِنهُم وأَخفَ، وبِسَبَبِهِ خَفَّ عن إِخوتِهِ الإِثمُ الأَكبرُ، وهو مِن جُملةِ الأَسبابِ التي قدَّرَ اللهُ ليوسُفَ في وُصولِهِ إِلى الغايةِ التي يُريدُ.

ومِنها: أَنَّ الشَّيءَ إذا تَداوَلَتْهُ الأَيدِي، وصارَ مِن جُملةِ الأَموالِ، ولم يَعلَمِ العامِلونَ[(٢)] أَنَّهُ على غيرِ وجْهِ الشَّرعِ، فلا إِثمَ على مَن باشَرَهُ بِبيعٍ، أَو شِراءٍ، أَو خِدْمَةٍ، أَو انتفاعٍ، أَو استِعمالٍ؛ فإِنَّ يُوسُفَ باعَهُ إِخوتُهُ بَيْعًا مُحرَّمًا عليْهِم؛ واشترَتْهُ السَّيَّارةُ[(٣)] بناءً على أَنَّهُ عَبْدٌ لإِخوةِ يوسُفَ البائِعِينَ، ثُمَّ ذَهبُوا بهِ إِلى مِصْرَ فباعُوهُ بِها، وبَقِي عندَ سيِّدِهِ غُلامًا رَقِيقًا، وسَمَّاهُ اللهُ سَيِّدًا[(٤)]، وكانَ عندَهُم بمنزِلةِ الرَّقيقِ المكرَّمِ، وسَمَّى اللهُ شراءَ السَّيَّارةِ، وشراءَهُ في مِصْرَ مُعامَلةً لِما ذَكرْنا[(٥)].

ومِنها: الحَذرُ مِن الخَلوَةِ بالنِّساءِ الأَجنَبيَّاتِ، وخُصوصًا اللَّاتي يُخْشَى مِنهنَّ الفِتنةُ[(٦)].

والحَذَرُ -أَيضًا- مِن الْمَحبَّةِ التي يُخشَى ضَررُها؛ فإِنَّ امرأَةَ العَزيزِ جَرى مِنها ما جَرى بِسببِ تَوحُّدِها بِيُوسُفَ، وحُبِّها الشَّديدِ لَهُ[(٧)]؛ الذي ما تَركَها حتَّى رَاوَدَتْهُ تلكَ الْمُراوَدَةَ، ثُمَّ كَذَبَتْ عليهِ؛ فسُجِنَ ذلكَ السِّجنَ الطَّويلَ[(٨)].

ومِنها: أَنَّ الهَمَّ الذي هَمَّ بِهِ يوسُفُ ثُمَّ تركَهُ لِلهِ؛ والبُرهانَ الإِيمانيَّ[(٩)] الذي وضَعهُ اللهُ في

---

(١) يوسف: ١٠

(٢) س: "المعامِلون".

(٣) السَّيَّارَةُ: القافِلة، والجماعة، والقوم المسافرون؛ وسُمُّو بذلك لأَنَّهم يسيرون في الأَرض. ينظر: غريب القرآن، لابن قُتَيْبَة، (ص:٢١٤)، ولسان العرب، مادَّة: (سير).

(٤) لعلَّ المؤلِّف رحمه الله أَخذ هذا من قول إخوته لَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ﴾ [يوسف:٧٨]؛ أَي: الملِك العزيز القادر الممتنع، وهو لقب ملِك مِصر. ينظر: جامع البيان، (٢٠٢/١٦)، ولُباب التَّأْويل، (٥٥٢/٢)، وزاد الْمَسِير، (٤٦٦/٢).

(٥) قال تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ۝٢٠ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ﴾ [يوسف:٢٠-٢١].

(٦) قال عز وجل: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف:٢٣].

(٧) قال تعالى: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف:٣٠].

(٨) قال جل جلاله: ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يوسف:٢٥].

(٩) س: "ولبرهان الإيمان".

قَلبِهِ(١) مِمَّا يُرقِّيهِ إلى اللهِ زُلْفَى؛ لأنَّ[١٢٩] الهَمَّ داعٍ مِن دَواعِي النَّفْسِ الأَمَّارةِ بالسُّوءِ، وهو طَبِيعةٌ طُبِعَ علَيها الآدَمِيُّ، فإذا حَصَلَ الْهَمُّ بالمعصيَةِ ولم يكنْ عندَ العَبْدِ ما يُقاوِمُ ذلِكَ مِن الإيمانِ والخَوفِ مِن اللهِ وقعَ الذَّنْبُ، وإنْ كانَ العَبْدُ مُؤمِنًا كاملَ الإيمانِ فإنَّ الهَمَّ الطَّبِيعِيَّ إذا قابَلَهُ ذلكَ الإيمانُ الصَّحيحُ القَوِيُّ منعَهُ مِن تَرَتُّبِ أَثَرِهِ، ولو كانَ الدَّاعِي قَوِيًّا؛ ولهذا كان يُوسُفُ مِن أَعلَى هذا النَّوعِ، قال تعالى: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾(٢)؛ لاستخلاصِ اللهِ إيَّاهُ، وقُوَّةِ إيمانِهِ وإخلاصِهِ، خَلَّصهُ اللهُ مِن الوُقوعِ في الذَّنْبِ، فكانَ مِمَّن: ﴿خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾(٣)، ومِن أَعلى السَّبعَةِ الذين يُظلُّهُمُ اللهُ في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ، فذكَرَ ﷺ مِنهُم رَجلًا: ((دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ))(٤)؛ فَهَمُّها لَمَّا كانَ لا مُعارِضَ لَهُ استمرَّتْ في مُراودَتِهِ، وهَمُّهُ عارِضٌ عَرَضَ، ثُمَّ زالَ في الحالِ؛ بِبُرهانِ ربِّهِ(٥).

ومِنها: أَنَّ مَن دخلَ الإيمانُ قلبَهُ استَنارَ بمعرفةِ ربِّهِ، ونورِ الإيمانِ بهِ، وكانَ مُخلِصًا للهِ في كلِّ أَحوالِهِ؛ فإنَّ اللهَ يَدفَعُ عنهُ بِبُرهانِ إيمانِهِ وإخلاصِهِ مِن أَنواعِ السُّوءِ والفَحشاءِ، وأَسبابِ المعاصِي ما

---

(١) يَرى ابن جَرِيْر، وابن كثيرِ ﷺ أَنَّ يوسفَ عليه السلام، رأَى مِن آيات الله ما زجره عمَّا هَمَّ به، مِن غير تحديد شيء معيَّن؛ إمَّا صُورة يعقوب أَو الملِك، أَو آيات الوعيد عن الزِّنا، أَو غير ذلك، وأَنَّ الصَّواب الإطلاق، وعدم التَّحديد، والوقوف عند النَّصِّ، قال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف:٢٤]. ينظر: جامع البيان، (٤٩/١٦)، وتفسير القرآن العظيم، (٣٨٢/٤).

(٢) يوسف: ٢٤

(٣) النازعات: ٤٠

(٤) أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب الزَّكاة، باب الصَّدقة باليمين، (١١١/٢) ح (١٤٢٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزَّكاة، باب فضل إخفاء الصَّدقة، (٧١٥/٢) ح (١٠٣١)، عن أَبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) قال تعالى مُخْبِرًا عن يوسف عليه السلام وامرأَة العزيز: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يوسف:٣٢-٣٤].

قال ابن كثير رحمه الله: "عصَمه الله عِصمة عظيمة، وحَماه، فامتنع منها أَشدَّ الامتناع، واختار السِّجن على ذلك، وهذا في غاية مقامات الكمال: أَنَّه مع شَبابه، وجَماله، وكماله تدعوه سيِّدته، وهي امرأَة عزيز مصر، وهي مع هذا في غاية الجمال والمال، والرِّياسة ويمتنع من ذلك، ويختار السِّجن على ذلك؛ خوفًا من الله؛ ورجاءَ ثوابه". تفسير القرآن العظيم، (٣٨٦/٤-٣٨٧).

هوَ جَزاءٌ[١] لإيمانِهِ وإخلاصِهِ؛ لأنَّ اللهَ علَّلَ صَرفَ هذهِ الأُمورِ عن يوسُفَ بقولِهِ: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[٢]، على قراءَةِ مَن قَرأَها بكسرِ اللَّامِ[٣]، ومَن قرَأَها بالفَتحِ[٤]؛ فإنَّ مَن أَخلَصَهُ اللهُ واجْتَباهُ فلا بُدَّ أَنْ يكونَ مُخلِصًا، فالمعنَيانِ مُتلَازِمانِ[٥].

ومِنها: أَنَّهُ ينبغِي للعبدِ إذا ابتُلِيَ بالوقوعِ في مَحَلٍّ فيهِ فِتنةٌ، وأَسبابُ معصيةٍ أَنْ يَفِرَّ ويَهْرُبَ غايةَ ما يُمكِنهُ؛ لِيتمكَّنَ مِن التَّخلُّصِ مِن ذلكَ الشَّرِّ؛ كما فَرَّ يوسُفُ هَارِبًا لِلبابِ، وهي تُمسِكُ بثوبِهِ، وهو مُدْبِرٌ عنْها[٦].

ومِنها: أَنَّ القَرائِنَ يُعمَلُ بِها عندَ الاشتباهِ في الدَّعاوَى؛ وذلكِ أَنَّ الشَّاهِدَ -الذي شَهِدَ؛ أَيْ: حَكَمَ على يُوسُفَ، وعلى المرأَةِ- اعتبَرَ القَرينَةَ، فقال: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ﴾[٧]، إلى آخرِ القَضيَّةِ، وصارَ حُكْمُهُ هذا موافِقًا للصَّوابِ[٨].

---

(١) س: "جزاءًا"، والصَّواب ما في: (خ)؛ لأَنَّها خبر للمبتدأ: "هو".

(٢) يوسف: ٢٤

(٣) قرأَ ابن كثير، وأَبو عمرو، وابن عامر، ويعقوب: ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾، مِن أَخلَص فهو مخلِص. ينظر: الحُجَّة في القراءات السَّبع، (ص:١٩٤)، والمبسوط في القراءات العشر، (ص:٢٤٦).

(٤) قرأَ أَبو جعفر، ونافع، وعاصم، وحمزة، والكِسَائي، وخَلَف: ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾، مِن: أَخلصهم الله فهم مُخلَصون. ينظر: المرجع السَّابق.

(٥) نصَّ على هذا ابن جرير رحمه الله، فقال: "إِنَّهما قراءتان معروفتان، قد قرأَ بهما جماعة كثيرة مِن القُرَّاء، وهما متَّفقتا المعنى؛ وذلك أَنَّ مَن أَخلصه الله لنفسه فاختاره فهو مُخْلِصٌ لله التَّوحيد والعبادة، ومَن أَخلَص توحيد الله وعبادته فلم يشرك بالله شيئًا فهو ممَّن أَخلَصه الله". جامع البيان، (١٦/٥٠).

(٦) قال تعالى: ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ﴾ [يوسف:٢٥].

(٧) يوسف: ٢٦

(٨) قال القُرْطُبيُّ رحمه الله: "وكان شُرَيْح وإِياس بن مُعاوية يَعملان على العلامات في الحُكومات، وأَصل ذلك هذه الآية". الجامع لأَحكام القرآن، (٩/١٧٤)، وينظر: أَحكام القرآن، للْكِيَا الهَرَّاسِيّ، (٤/٢٣١).

ومِن القَرائنِ وُجُودُ الصُّوَاعِ(١) في رَحْلِ(٢) الأَخِ(٣)، وقد اعتُبِرَ هذا وهذا(٤).

ومِنها: ما عليهِ يُوسُفُ مِن الجمالِ الباهرِ ظاهرًا وباطنًا؛ فإنَّ جَمالَهُ الظَّاهرَ أَوجبَ لامرأةِ العَزيزِ ما أَوجَبَ مِن الحُبِّ المفرِطِ، والْمُراوَدَةِ الْمُستَمِرَّةِ، ولَمَّا لامها النِّساءُ دَعَتْهُنَّ: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾(٥).

وأَمَّا جَمالُهُ الباطنُ فهُو العِفَّةُ العَظيمةُ مِنهُ، معَ وُجودِ الدَّواعِي الكَثيرةِ لوقوعِ السُّوءِ مِنهُ، ولكنَّ الإيمانَ ونورَهُ، والإخلاصَ وقوَّتَهُ لا يَشُذُّ عنهُما فَضيلةٌ، ولا تُجامِعُهُما رَذِيْلَةٌ، وقد بَيَّنَتِ امرأَةُ العَزيزِ للنِّساءِ مِن يُوسُفَ الأَمرَينِ، فإنَّها لَمَّا أَرَتْهُنَّ جَمالَهُ الظَّاهرَ، الذي اعتَرَفْنَ أَنَّ هذا الجمالَ لا يُوجدُ في الآدميِّيْنَ، قالتْ: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾(٦)، وقالتْ بعدَ ذلكَ: ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾(٧).

ومِنها: أَنَّ يُوسُفَ ﷺ اختارَ السِّجنَ على المعصِيةِ، فهكَذا إذا ابْتُلِيَ العَبدُ بأَحدِ أَمرَينِ، إمَّا أَنْ يَلْجَأَ إلى فِعلِ المعصِيةِ، وإمَّا أَنْ يُعاقَبَ عُقوبةً دُنيويَّةً، فعَليهِ أَنْ يَخْتارَ العُقوبَةَ الدُّنيويَّةَ التي فِيها الثَّوابُ مِن هذا الوَجهِ بعِدَّةِ أُمورٍ:

- ثوابٍ مِن جهةِ اختيارِهِ الإيمانَ على السَّلامةِ مِن[١٣٠] العُقوبَةِ الدُّنيَويَّةِ(٨).

- وثوابٍ مِن جهةِ أَنَّ هذا مِن بابِ التَّخْلِيصِ لِلمؤْمنِ والتَّصفِيةِ، وهو يدخلُ في الجهادِ في سبيلِ اللهِ.

---

(١) سبق تعريف الصَّاع: (ص:٦)، والمراد: "الإناء الذي كان يوسف يكيل به الطَّعام". جامع البيان، (١٦/١٧٦).

(٢) الرَّحْلُ: ما يوضع على البعير للرُّكوب، ثُمَّ يعبَّر به تَارة عن البعير، وتَارة عمَّا يُجلس عليه في المنزل، وجمعه: رِحَالٌ، والمعنى هنا: في متاع أَخيه. ينظر: جامع البيان، (١٦/١٧٣)، وتهذيب اللُّغة، والمفْردات، مادَّة: (رحل).

(٣) اسمه: بِنْيَامِين. ينظر: جامع البيان، (١٦/١٧٣)، ومَعَالم التَّنزيل، (٢/٥٠٤).

(٤) اسم الإشارة يعود على القرائن السَّابقة التي حُكِم بها، وهي مكان الشَّقِّ في قميص يوسف، والصُّواع في الرَّحل.

(٥) يوسف: ٣١

(٦) يوسف: ٣٢

(٧) يوسف: ٥١

(٨) قال ﷻ مُخْبِرًا عن يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف:٣٣].

- وثوابٍ مِن جهةِ الْمُصِيبَةِ التي نالَتْهُ، والألَمِ الذي أَصابَهُ(١).

فسُبحانَ مَن يُنعِمُ ببلائِهِ، ويَلْطُفُ بِأَصْفيائِهِ، وهذا -أيضًا- عُنوانُ الإيمانِ، وعلامَةُ السَّعادَةِ.

ومِنها: أَنَّهُ ينبغِي لِلعبدِ أَنْ يَلْتَجِئَ إلى ربِّهِ، ويَحْتَمِيَ بِحِمَاهُ عندَ وجودِ أَسبابِ المعصِيةِ، ويَتَبرَّأَ مِن حَولِهِ وقُوَّتِهِ؛ لقولِ يُوسُفَ: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾(٢)، فالعَبدُ الموفَّقُ يَستعِينُ ربَّهُ على دفعِ المعاصِي وأَسبابِها، كمَا يَستَعِينُ بهِ عندَ فعلِ الطَّاعاتِ والخَيراتِ، واللهُ كافِي المتوكِّلِينَ(٣).

ومِنها: أَنَّ العِلْمَ والعَقلَ الصَّحيحَ يَدعوانِ صاحبَهُما إلى الخَيرِ، ويَنهَيانِهُ عن الشَّرِّ، وأَنَّ الجهلَ يدعُو صاحبَهُ إلى ضدِّ ذلكَ، لقولِهِ: ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾؛ أَيْ: الجاهلِينَ بالأُمورِ الدِينيَّةِ، والجاهِلِينَ بالحقائقِ النَّافعةِ، والحَقائقِ الضَّارَّةِ.

ومِنها: أَنَّهُ كمَا على العَبدِ عُبوديَّةٌ لِربِّهِ في حالِ رَخائِهِ، فَعَليهِ عُبودِيَّةٌ في حالِ الشِّدَّةِ؛ فيُوسُفُ ﷺ لم يزلْ يدعُو إلى اللهِ، فلمَّا دخلَ السِّجنَ استمرَّ على ذلكَ، ودعَا مَن يَتَّصلُ بهِ مِن أَهلِ السِّجنِ، ودعَا الفَتيَيْنِ إلى التَّوحيدِ، ونَهاهُما عن الشِّرْكِ(٤).

ومِن كمالِ رأْيِهِ وحِكْمَتِهِ أَنَّهُ لَمَّا رَأَى فِيهِما قابِلِيَّةً لدَعوتِهِ -حينَ احتاجَا إليهِ في تَعْبِيرِ رُؤْياهُما، وقالَا لَهُ: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾(٥) -رَأَى ذلكَ فُرصَةً، فدَعاهُما إلى اللهِ قبلَ أَنْ يُعبِّرَ رُؤيَاهُما؛ ليكونَ أَقربَ إلى حُصولِ المطلُوبِ، وبيَّنَ لهمَا أَنَّ الذي أَوصَلَهُ إلى هذهِ الحالِ -التي رَأَيَاهُ

---

(١) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفَّارة المرض، (١١٤/٧) ح (٥٦٤١)، واللَّفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب البرِّ والصِّلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه مِن مرض، أو حزن، أو نحو ذلك حتَّى الشَّوكة يشاكها، (١٩٩٢/٤) ح (٢٥٧٣)، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ)).

(٢) يوسف: ٣٣

(٣) قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٤].

(٤) قال ﷻ مُخبِرًا عن يوسف عليه السلام أنَّه قال: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٣٩-٤٠].

(٥) يوسف: ٣٦

فِيها مِن الكَمالِ والعِلمِ- إيمانُهُ وتوحيدُهُ، وتركُهُ لِمِلَّةِ المشركِينَ، وهذا دعاءٌ لهمَا بالحَالِ[١]، ثُمَّ دعاهُما بالْمَقالِ[٢]، وبَرْهَنَ لهمَا على حُسْنِ التَّوحيدِ ووُجُوبِهِ، وعلى قُبْحِ الشِّرْكِ، وتحريمِهِ.

ومِنها: أَنَّهُ يُبْدأُ بالأَهمِّ فالأَهمِّ، وأَنَّهُ إذا سُئِلَ الْمُفْتِي وكان السَّائِلُ حاجَتُهُ في غيرِ سُؤَالِهِ أَشدَّ أَنَّهُ ينبغِي لَهُ أَنْ يُعَلِّمَهُ ما يحتاجُ إليهِ قَبْلَ أَنْ يُجيبَ سؤالَهُ، فإِنَّ هذا علامةٌ على نُصحِ المعلِّمِ وفِطنتهِ، وحُسنِ إرشادِهِ وتَعليمِهِ؛ فإِنَّ يُوسُفَ لَمَّا سَأَلَهُ الفَتيَانِ عن رُؤْيَاهُما، وكانتْ حاجتُهُما إلى التَّوحيدِ والإيمانِ أَعظمَ مِن كلِّ شَيءٍ، قدَّمَها.

ومِنها: أَنَّ مَن وَقعَ في مَكرُوهٍ وشِدَّةٍ لا بأْسَ أَنْ يَستعِينَ بِمَن لَهُ قُدْرةٌ على تَخْلِيصِهِ بِفِعلِهِ، أَو الإخبارِ بِحَالِهِ، وأَنَّ هذا لا يكونُ نَقْصًا، ولا شَكْوَى إلى الْمَخْلوقِ مَمْنُوعةً، فإِنَّ هذا مِن الأُمورِ العادِيَّةِ التي جَرى العُرْفُ باستِعانةِ النَّاسِ بعضِهِم ببعضٍ فِيها[٣]؛ ولهذا قال يوسُفُ: ﴿لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾[٤].

ومِنها: أَنَّهُ يَتعَيَّنُ على الْمُعَلِّمِ، والدَّاعِي إلى اللهِ استعمالُ الإخلاصِ التَّامِّ في تعلِيمِهِ ودعوتِهِ، وأَنْ لا يَجعَلَ ذلكَ وَسِيلةً إلى مُعَاوَضةٍ في مالٍ أَو جاهٍ أَو نَفْعٍ[٥].

وأَنْ لا يَمْتنِعَ مِن التَّعلِيمِ إذا لم يَفعَلِ السَّائِلُ ما كَلَّفَهُ بِهِ المعَلِّمُ، فإِنَّ يُوسُفَ قد وَصَّى أَحدَ الفَتيَيْنِ أَنْ يَذْكُرَهُ عندَ رَبِّهِ، فلم يَذْكُرْهُ ونَسِيَ، فلمَّا بَدَتْ حاجتُهُم إلى سُؤالِ يُوسُفَ أَرسلُوا ذلكَ

---

(١) قال ﷻ مُخْبِرًا عن يوسف عليه السلام أنَّه قال: ﴿إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [يوسف:٣٧-٣٨].

(٢) كما في الآيتين السَّابقتين في هذه الحاشية: ﴿يَـٰصَـٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ . . .﴾ [يوسف:٣٩-٤٠].

(٣) قال ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة:٢]، وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَغَـٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص:١٥].

(٤) يوسف: ٤٢

(٥) أَخبر الله ﷻ عن نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشُعيب عليهم السلام أَنَّهم قالوا لقومهم: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الشعراء:١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠]، وقال الله ﷻ لنبيِّه محمَّد ﷺ: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ [ص:٨٦]، وقال الرَّجل النَّاصح لقومه: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [يس:٢١].

الفَتَى، وجاءَهُ سائِلًا، مُسْتَفْتِيًا عن تلكَ الرُّؤيَا(١)، فلم يُعَنِّفْهُ يُوسُفُ ولا وَبَّخَهُ، بلْ ولا قالَ لَهُ: لِمَ لَمْ تَذْكُرْنِي عندَ ربِّكَ؟، وأَجابَهُ جوابًا تامًّا مِن جَمِيعِ الوُجوهِ(٢).

ومنها: أَنَّهُ ينبغِي لِلمسؤُولِ إذا أَجابَ السُّؤالَ أَنْ يَدلَّ السَّائلَ على الأَمرِ الذي ينْفعُهُ مِمَّا يَتعلَّقُ بسؤالِهِ[١٣١]، ويُرشِدَهُ إلى الطَّرِيقِ التي يَنتفعُ بِها في دِينِهِ ودُنياهُ، فإنَّ هذا مِن كَمالِ نُصحِهِ، وجَزَالةِ رأْيِهِ، وحُسْنِ إرشادِهِ؛ فإِنَّ يُوسُفَ لم يَقْتَصِرْ على تَعبيرِ رُؤيَا الملِكِ، بل دلَّهم معَ ذلكَ، وأَشارَ عليهِم بِما يَصنعونَهُ في تلكَ السِّنِينِ الْمُخْصِباتِ؛ مِن الإِكثارِ مِن الزِّراعةِ، وحُسْنِ الحِفْظِ والجِبَايَةِ(٣).

ومِنها: أَنَّهُ لا يُلامُ العَبدُ على دَفْعِ التُّهْمَةِ عن نَفسِهِ، بل ذلكَ مَطلُوبٌ؛ كَما امتنعَ يُوسُفُ مِن الخُروجِ مِن السِّجنِ حتَّى يتبَيَّنَ(٤) لهم بَراءَتُهُ معَ النِّسْوةِ اللَّاتي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ(٥).

ومِنها: فَضيلةُ العِلْمِ؛ علمِ الشَّرعِ والأَحكامِ، وعِلمِ تَعبِيْرِ الرُّؤيَا، وعِلمِ التَّدبِيْرِ، والتَّربِيةِ، وعِلمِ السِّياسَةِ، فإِنَّ يُوسُفَ ﷺ إنَّما حَصَلتْ لَهُ الرِّفْعَةُ في الدُّنْيا والآخرةِ بسببِ عِلمِهِ الْمُتنوِّعِ(٦).

وفيهِ أَنَّ عِلمَ التَّعبيرِ داخلٌ في الفَتْوى، فلا يَحِلُّ لأَحدٍ أَنْ يَجْزِمَ بالتَّعبِيرِ قبلَ أَنْ يَعرِفَ ذلكَ؛ كَما ليسَ لَهُ أَنْ يُفتِيَ في الأَحكامِ بغيرِ عِلمٍ؛ لأَنَّ اللهَ سَمَّاها فتوى في هذهِ السُّورةِ(٧).

---

(١) قال ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ۝٤٥ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا...﴾ [يوسف:٤٥-٤٦].

(٢) قال ﷻ مُخْبِرًا عن يوسف ﷺ: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ۝٤٧ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ۝٤٨ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف:٤٧-٤٩].

(٣) كما في الدَّليل السَّابق في هذه الحاشية.

الجِبَايَةُ: مِن "جَبَيْتُ المال والخراج جِبَاية: جَمَعْتُه وحصَّلته. ينظر: العين، والْمِصباح الْمُنِيْر: مادَّة: (جبي).

(٤) س: "تتبيَّن".

(٥) قال ﷻ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ۝٥٠ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [يوسف:٥٠-٥١].

(٦) قال ﷻ مُخْبِرًا عن يوسف ﷺ أنَّه قال للفتيين: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ﴾ [يوسف:٣٧].

(٧) قال ﷻ مُخْبِرًا عن يوسف ﷺ أنَّه قال: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف:٤١].

ومِنها: أَنَّهُ لا بَأْسَ أَنْ يُخبِرَ الإِنسانُ عمَّا في نفسِهِ مِن الصِّفاتِ الكامِلَةِ، مِن العِلْمِ وغيرِه، إذا كانَ في ذلكَ مَصلحةٌ وسَلِمَ مِن الكَذِبِ، ولم يَقصِدْ بهِ الرِّياءَ؛ لقولِ يوسُفَ: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[(١)].

وكذلكَ لا تُذَمُّ الوِلايَةُ إذا كانَ الْمُتَولِّي لَها يَقومُ بما يَقدِرُ عِليهِ؛ مِن إقامةِ الشَّرعِ، وإيصالِ الحُقوقِ إلى أَهلِها، وأَنَّهُ لا بَأْسَ بِطَلَبِها إذا كانَ أَهلًا، وأَعظمَ كفاءَةً مِن غيرِهِ، وإِنَّما المذمُومُ إذا لم يكنْ فيهِ كَفاءَةٌ، أَو كانَ موجودًا مَن هو أَمْثَلُ مِنهُ أَو مِثلُهُ، أَو لم يُرِدْ بها إِقامَةَ أَمرِ اللهِ، بلْ أَرادَ التَّرَؤُّسَ، والْمَأْكَلةَ الماليَّةَ[(٢)].

ومِنها: أَنَّ اللهَ واسعُ الجُودِ والكَرمِ، يَجودُ على عَبدِهِ بخيرِ الدُّنيا والآخرةِ، وأَنَّ خيرَ الآخرةِ لَهُ سَببانِ لا ثالثَ لهُما:

- الإيمانُ بكلِّ ما أَوجبَ اللهُ الإيمانَ بهِ.
- والتَّقْوى التي هي امتثالُ الأَوامرِ الشَّرعيَّةِ، واجتنابُ النَّواهي.

وأَنَّ خيرَ الآخرةِ خيرٌ مِن ثوابِ الدُّنيا ومُلْكِها، وأَنَّهُ ينبغِي للعبدِ أَنْ يدْعُوَ نفسَهُ، ويُشَوِّقَها لِثوابِ اللهِ، ولا يَدَعَها تَحْزَنُ إذا رأَتْ لَذَّاتِ الدُّنيا ورِياسَاتِها وهي عَاجزةٌ عنها، بل يُسَلِّيها بالثَّوابِ الأُخرَوِيِّ؛ لِيَخِفَّ علَيها عدمُ حصولِ الدُّنيا؛ لقولِ يوسُفَ: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾[(٣)].

ومِنها: أَنَّ جِبايَةَ الأَرزاقِ إذا أُريدَ بِها التَّوسِعةُ على النَّاسِ مِن غيرِ ضَرَرٍ يَلحَقُهُم لا بَأْسَ بهِ، بل ذلكَ مَطلُوبٌ؛ لأَنَّ يوسُفَ أَمَرَهُم بجِبَايةِ الأَرزاقِ والأَطعمةِ في السِّنِينِ الْمُخْصِباتِ؛ للاستعدادِ

---

(١) يوسف: ٥٥

(٢) أخرج مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، (١٤٥٧/٣) ح (١٨٢٥)، عن أَبي ذَرٍّ رضي الله عنه، قال: قُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: ((يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا)).
قال النَّوَوِيُّ رحمه الله: "هذا الحديث أَصل عظيم في اجتناب الوِلايات، لا سيَّما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الوِلاية، وأَمَّا الخزي والنَّدامة فهو في حقِّ مَن لم يكن أَهلًا لها، أَو كان أَهلًا ولم يعدل فيها، فيُخْزيه الله -تعالى- يوم القيامة ويفضحه، ويندم على ما فرَّط، وأَمَّا مَن كان أَهلًا للوِلاية، وعدل فيها، فله فضل عظيم تظاهرت به الأَحاديث الصَّحيحة". الْمِنهاج، (٢١٠/١٢-٢١١)، وينظر: أَحكام القرآن، للجصَّاص، (٣٨٩/٤).

(٣) يوسف: ٥٧

بهِ للسِّنين الْمُجْدِباتِ، وقدْ حصلَ بهِ الخَيرُ الكثيرُ(١).

ومِنها: حُسنُ تَدبيرِ يُوسُفَ لَمَّا تَولَّى خَزائنَ الأَرضِ(٢) مِن أَقصَاها إلى أقصَاها،(٣)حتَّى كَثُرَتِ الغِلالُ جِدًّا؛ فصارَ أَهلُ الأَقطارِ يَقصِدونَ مِصرَ لِطَلَبِ الْمِيْرَةِ(٤) مِنها؛ عندما فقَدُوا ما عِندَهُم؛ لِعلمِهِم بِوُفُورِها في مِصرَ.

ومِن عَدْلِهِ وتَدْبيرِهِ وخَوفِهِ أَنْ يَتلاعبَ بِها التُّجَّارُ أَنَّهُ لا يَكِيلُ لأَحدٍ إِلَّا مِقدارَ الحاجةِ الخاصَّةِ أَو أَقلَّ، لا يَزيدُ كلَّ قادمٍ على كَيْلِ بَعِيْرٍ وحِملِهِ، وظاهرُ حَالِهِ هذا أَنَّهُ لا يُعطِي أَهلَ البَلَدِ إِلَّا أَقلَّ مِن ذلكَ بكثيرٍ؛ لحضورِهِم عندَهُ(٥).

ومِنها: مَشرُوعيَّةُ الضِّيافةِ، وأَنَّها مِن سُنَنِ المرسَلِينَ، وإِكرامِ الضَّيفِ؛ لقولِ يُوسُفَ: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾(٦).

ومِنها: أَنَّ سُوءَ الظَّنِّ معَ وجودِ القَرائِنِ الدَّالةِ عليهِ غيرُ مَمنوعٍ ولا مُحَرَّمٍ؛ فإِنَّ يعقُوبَ قالَ لأَولادِهِ: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾(٧)، و﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾(٨)[١٣٢]؛ فَهُم في الأَخِيرةِ، وإِنْ لم يكونُوا مُفَرِّطِيْنَ، فقد جَرى مِنهُم ما أَوجَبَ لأَبيهِم أَنْ يقولَ ما قالَ، مِن غيرِ لَومٍ عليهِ(٩).

---

(١) أخبر الله ﷻ أَنَّ يوسف عليه السلام قال للملك: ﴿ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٥٥]؛ فسأَل العملَ لِعلمه بقدرته عليه؛ ولِما في ذلك من المصالح للنَّاس؛ وليتصرف لهم على الوجه الأَحوط والأَصلح والأَرشد". ينظر: تفسير القرآن العظيم، (٤/٣٩٥-٣٩٦)

(٢) س: "الدِّيار الْمصريَّة".

(٣) "فنهَض بالزِّراعة"، زيادة في: (س).

(٤) الْمِيْرَةُ: جلب الطَّعام، ومار أَهلَه، ويَميرُهُم؛ إذا حمل إليهم أَقواتَهم مِن غير بلده. ينظر: العين، مادَّة: (مير)، وغريب القرآن، لابن قُتَيْبَة، (ص:٢١٩).

(٥) أخبر ﷻ عن إخوة يوسف عليه السلام أَنَّهم قالوا: ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ [يوسف:٦٥].

(٦) يوسف: ٥٩

(٧) يوسف: ٦٤

(٨) يوسف: ٨٣

(٩) قال ابن عطيَّة رحمه الله: "والظَّاهر أَنَّ قوله: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾؛ إِنَّما هو ظنٌّ سيءٌ بهم، كما كان في قصَّة يوسف قبل، فاتَّفق أَنْ صَدَق ظنّه هناك، ولم يتحقَّق هنا". المحرَّر الوجيز، (٣/٢٧١).

ومِنها: أَنَّ استعمالَ الأَسبابِ الدَّافِعةِ للعَيْنِ وغيرِها مِن الْمَكارِهِ، أَو الرَّافعةِ لَها بعدَ نُزولِها غيرُ مَمنوعٍ، وإِنْ كان لا يَقعُ شَيءٌ إِلَّا بقضاءِ اللهِ وقدَرِهِ؛ فإِنَّ الأَسبابَ -أَيضًا- مِن القَضاءِ والقَدرِ؛ لقولِ يعقوبَ: ﴿يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖ﴾(١).

ومِنها: جوازُ استعمالِ الحِيَلِ(٢) والْمَكَايِدِ التي يُتَوصَّلُ بِها إِلى الحُقُوقِ، وأَنَّ العِلْمَ بالطُّرُقِ الخَفِيَّةِ الموصِلةِ إِلى مَقاصِدِها مِمَّا يُحْمَدُ عليهِ العَبدُ(٣)، وأَمَّا الحِيَلُ التي يُرادُ بِها إِسقاطُ واجبٍ(٤)، أَو فِعلُ مُحَرَّمٍ فإِنَّها مُحَرَّمَةٌ، غيرُ نافذةٍ(٥).

ومِنها: أَنَّهُ ينبغِي لِمَن أَرادَ أَنْ يُوهِم غيرَهُ بأَمرٍ لا يُحِبُّ بيانَهُ لَهُ أَنْ يَستعمِلَ الْمَعَارِيضَ(٦) القَوليَّةَ والفِعليَّةَ المانعةَ لَهُ مِن الكَذِبِ؛ كَمَا فعلَ يُوسُفُ حِينَ أَلْقَى الصُّوَاعَ في رَحْلِ أَخِيهِ، ثُمَّ استخرجَها مِنهُ مُوهِمًا أَنَّهُ سَارِقٌ، وليسَ في ذلكَ تَصريحٌ بِسَرِقَتِهِ، وإِنَّما استعمَلَ المعَارِيضَ، ومثلُ هذا قولُهُ: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾(٧)، ولم يَقلْ: مَن سَرَقَ مَتاعَنا(٨).

ومِنها: أَنَّهُ لا يَجوزُ أَنْ يَشْهدَ إِلَّا بِما عَلِمهُ وتحقَّقهُ؛ برؤْيَةٍ أَو سَماعٍ، لِقولِهِم: ﴿وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا

(١) يوسف: ٦٧

(٢) الحِيَلُ: جمع حِيلَة، اسم مِن الاحتيال، وهي: الْحِذْقُ في تدبير الأُمور، وتقليب الفكر حتَّى يصل إِلى المقصود. ينظر: الْمِصباح الْمُنِيْر، ومُختار الصِّحاح، مادَّة: (حيل).

(٣) قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف:٧٦].

قال ابن كثير رحمه الله: "وهذا مِن الكيد المحبوب المراد، الذي يحبُّه الله ويرضاه؛ لِما فيه مِن الحِكمة والمصلحة المطلوبة". تفسير القرآن العظيم، (٤/٤٠١).

وقال القُرْطُبِيُّ رحمه الله: "وفيه جواز التَّوصل إِلى الأَغراض بالحِيل إِذا لم تخالف شريعة، ولا هدمت أَصلاً". الجامع لأَحكام القرآن، (٩/٢٣٦).

(٤) كأَنْ يبيع نصاب الزَّكاة أَو يهبه قبل الحَول، ثمَّ يستردُّه، بقصد الفِرار من الزَّكاة. إعلام الموقِّعين، (٣/١٩٣).

(٥) كنكاح التَّحليل، و"كالحيل على أَخذ أَموال النَّاس، وظلمهم في نفوسهم، وسفك دمائهم، وإِبطال حقوقهم، وإِفساد ذات بينهم". إعلام الموقِّعين، (٣/٢٥٥).

(٦) سبق أَنْ عرَّفها المؤلِّف رحمه الله: (ص:٦).

(٧) يوسف: ٧٩

(٨) قال أَبو السُّعود رحمه الله: "وإِيثارُ: ﴿مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ دُون: سرق متاعنا؛ لتحقيقِ الحقِّ، والاحتراز عن الكذب في الكلام". إرشاد العقل السَّليم، (٤/٢٩٩).

عِلِمۡنَا﴾[١]، وقولِهِ: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[٢].

ومِنها: هذهِ الْمِحْنةُ العَظيمةُ التي امْتَحنَ اللهُ بِها نَبيَّهُ وصَفِيَّهُ يَعْقُوبَ، إذْ قَضَى بالتَّفريقِ بينَهُ وبيْنَ ابنِهِ يُوسُفَ الذي لا يَقدِرُ على فِراقِهِ سَاعةً واحدةً، ويَحْزُنُهُ أَشَدَّ الحُزْنِ، فتمَّ لهذهِ الفُرْقَةِ مُدَّةٌ طَويلةٌ[٣]، ويَعْقُوبُ لم يُفارِقِ الحُزْنُ قَلبَهُ، ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ﴾[٤].

ثُمَّ ازدادَ بِهِ الأَمْرُ حِيْنَ اتَّصلَ فِراقُ الابنِ الثَّاني[٥] بالأَوَّلِ، وهو في ذلكَ صَابِرٌ لأَمرِ اللهِ، مُحتَسِبٌ الأَجرَ مِن اللهِ.

وقد وَعدَ مِن نفسِهِ الصَّبرَ الجَمِيلَ، ولا رَيْبَ أَنَّهُ وَفَّى بِما وَعَدَ بهِ، ولا يُنافي ذلكَ قولَهُ: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[٦]؛ فإنَّ الشَّكوَى إلى اللهِ لا تُنافي الصَّبْرَ، وإنَّما الذي يُنافيهِ الشَّكوَى إلى المخلُوقِينَ[٧].

ولا رَيبَ أَنَّ اللهَ رفعَهُ بِهذهِ الْمِحْنَةِ دَرجاتٍ عاليةً، ومَقاماتٍ سَامِيَةً، لا تُنَالُ إِلَّا بِمثلِ هذهِ الأُمُورِ.

ومِنها: أَنَّ الفَرَجَ معَ اشتدادِ الكَرْبِ؛ فإِنَّهُ لَمَّا تَراكَمَتِ الشَّدائِدُ الْمُتنوِّعةُ، وضَاقَ العَبْدُ ذَرْعًا بِحمْلِها، فَرَّجَها فارِجُ الهَمِّ، كاشِفُ الغَمِّ، مُجِيبُ دَعوَةِ الْمُضطرِّينَ، وهذهِ عَوائِدُهُ الجَمِيلَةُ، خُصُوصًا لأَوليائِهِ وأَصفيائِهِ؛ لِيكُوْنَ لِذلكَ الوَقْعُ الأَكبَرُ، والمَحَلُّ الأَعظَمُ، ويَحصلَ[٨] مِن المعرفةِ باللهِ، والمحبَّةَ لَهُ ما يُوازِنُ، ويَرْجُحُ بِما جَرى على العَبْدِ بلا نِسْبةٍ[٩].

ومِنها: جَوازُ إِخبارِ العَبْدِ بِما يَجِدُ، وما هو فِيهِ مِن مَرَضٍ أَو فَقْرٍ أَو غَيرِهِما على غَيرِ وَجْهِ

---

(١) يوسف: ٨١

(٢) الزخرف: ٨٦

(٣) المدَّة مختلف فيها؛ ولا دليل على شيء منها. ينظر: المحرَّر الوجيز، (٣/٢٨٢)، وتفسير القرآن العظيم، (٤/٤١٣).

(٤) يوسف: ٨٤

(٥) سبق بيانه: (ص:٦٠).

(٦) يوسف: ٨٦

(٧) ينافي الصَّبر إذا كان على سبيل التَّسخُّط، كما سيبيِّنه المؤلِّف في الاستنباطات التَّالية.

(٨) قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا﴾ [يوسف: ١١٠].

(٩) س: "وليجعل".

التَّسَخُّطِ؛ لِقولِ يَعْقُوبَ: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾[(١)]، وقولِ إِخوةِ يوسُفَ: ﴿مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾[(٢)]، وأَقَرَّهُم يُوسُفُ[(٣)].

ومِنها: فَضِيلةُ التَّقوَى والصَّبرِ، وأَنَّ كلَّ خيرٍ في الدُّنيا والآخرةِ فمِن آثارِ التَّقوَى والصَّبرِ، وأَنَّ عاقبةَ أَهلِهِما أَحسَنُ العَواقِبِ؛ لقولِهِ: ﴿قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[(٤)].

ومِنها: أَنَّهُ يَنبغِي للعبدِ إِذا أُنعِم عليهِ بنِعمَةٍ بَعْدَ ضِدِّها أَنْ يَتَذَكَّرَ الحالةَ السَّابِقَةَ؛ لِيَعظُمَ وَقْعُ هذهِ النِّعمَةِ الحاضِرةِ، ويَكْثُرَ شكرُهُ للهِ -تعالى-؛ ولهذا قالَ يُوسُفُ: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾[(٥)].

ومِنها: ما في هذهِ القِصَّةِ مِن الأَلطافِ الْمُتنوِّعةِ الْمُسَهِّلةِ لِلبلاءِ، مِنها:

- رؤيَا يوسُفَ السَّابقةُ[١٣٣]؛ فإِنَّ فِيها رَوْحًا[(٦)]، ولُطْفًا بيُوسُفَ، وبيَعْقُوبَ، وبِشَارَةً بالوُصُولِ إِلى تأْوِيلِها.
- ولُطْفُ اللهِ بيوسُفَ إِذْ أَوْحى إِليهِ وهو في الجُبِّ[(٧)]: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[(٨)].
- وتَنَقُّلاتُهُ مِن حَالٍ إِلى حَالٍ، فإِنَّ فِيها أَلطَافًا ظَاهِرةً وخَفيَّةً؛ ولهذا قالَ في آخرِ الأَمرِ: ﴿إِنَّ

---

(١) يوسف: ٨٤

(٢) يوسف: ٨٨

(٣) نصَّ ابن القيِّم وابن حَجَر رحمهما الله على هذا؛ وقال ابن القيِّم رحمه الله: "فإذا حَمِد المريض الله ثُمَّ أخبر بعلَّته لم يكن شكوى منه، وإنْ أخبر بها تبرُّمًا وتسخُّطًا كان شكوى منه". عدة الصَّابرين، (ص:٩١).
وقال ابن حَجَر رحمه الله: "كثرة الشَّكوى تدلُّ على ضعف اليقين، وتُشعِر بالتَّسخُّط للقضاء، وتُورث شماتة الأَعداء، وأمَّا إخبار المريض صديقه أو طبيبه عن حاله فلا بأْس به اتِّفاقًا". فَتْح البَارِي، (١٢٤/١٠).

(٤) يوسف: ٩٠

(٥) يوسف: ١٠٠

(٦) الرَّوْحُ: الرَّاحة، والسُّرور والفَرَح، والاسْتِراحة مِن غمِّ القلب. ينظر: تهذيب اللُّغة، وتاج العَرُوس، مادَّة: (روح).

(٧) الجُبُّ: "البئر التي ليست بمطويَّةٍ". معاني القرآن، للزَّجَّاج، (٩٤/٣)، وينظر: مجاز القرآن، (٣٠٢/١).

(٨) يوسف: ١٥

رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾[١]؛ يَلْطُفُ بِهِ فِي أَحوالِهِ الدَّاخِلِيَّةِ، ويَلْطُفُ لَهُ في الأُمُورِ الخارِجِيَّةِ، ويُوْصِلُهُ إلى أعلى المطالبِ مِن حيثُ لا يَشعُرُ.

ومِنها: أَنَّهُ ينبغِي للعَبدِ أَنْ يُلِحَّ دائمًا على ربِّهِ في تَثْبِيتِ إِيمانِهِ، وأَنْ يُحْسِنَ لَهُ الخاتِمَةَ، وأَنْ يَجعَلَ خيرَ أَيامِهِ آخرَها، وخيرَها[٢] خواتِمَها[٣]، فإِنَّ اللهَ كريمٌ جَوادٌ رَحِيمٌ.

---

(١) يوسف: ١٠٠

(٢) س: "خير أَعماله".

(٣) قال ﷻ مُخبِراً عن يوسف عليه السلام أنَّه قال: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

قِصَّةُ أَصْحَابِ الكَهْفِ[١].

وهُم فِتْيَةٌ وفَّقهُمُ اللهُ، وأَلْهَمَهُم الإيمانَ[٢]، وعرَفُوا ربَّهُم، وأَنكَرُوا ما عليهِ قومُهُم مِن عِبادَةِ الأَوثانِ، وقامُوا بيْنَ أَظهُرِهِم، مُعْلِنِينَ فِيما بينَهُم عَقِيدَتَهُم، خائِفِينَ مِن سَطْوَةِ قومِهِم، ﴿فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا﴾[٣]؛ أَيْ: إِنَّ دَعَوْنا غيرَهُ: ﴿شَطَطًا﴾[٤]؛ أَيْ: زُوراً وبُهتانًا وظُلْمًا، ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾[٥].

فلمَّا اتَّفقُوا على هذا الأَمرِ، وعرَفُوا أَنَّهُم لا يُمْكِنُهُم إظهارُ ذلكَ لِقومِهِم سأَلوا اللهَ أَنْ يُسَهِّلَ أَمرَهُم، ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا﴾[٦].

فَأَوَوْا إِلى غارٍ[٧] يَسَّرَهُ اللهُ غايةَ التَّيْسِيرِ، واسعِ الفَجْوةِ، بَابُهُ نحوَ الشِّمالِ[٨]، ولا[٩] تَدخُلُهُ الشَّمسُ، لا في طُلوعِها ولا في غُروبِها، فَنامِوا في كَهْفِهِم بِحفظِ اللهِ ورِعايتِهِ: ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا﴾[١٠].

---

(١) الكَهْفُ: كالبيت الْمَنقُور فِي الجَبَل، وهو أَوسع مِن الغَار. ينظر: العين، ومُختار الصِّحاح، مادَّة: (كهف).

(٢) قال تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى﴾ [الكهف:١٣].

(٣) الكهف: ١٤

(٤) الآية السَّابقة.

(٥) الكهف: ١٥

(٦) الكهف: ١٠

قال ابن كثير: "يخبر -تعالى- عن أُولئك الفتية، الذين فَرُّوا بدينهم من قومهم؛ لئلَّا يفتنوهم عنه، فهربوا منه فلجؤوا إلى غار في جبل؛ ليختفوا عن قومهم، فقالوا حين دخلوا سائلين من الله -تعالى- رحمته، ولطفه بهم: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ...﴾". تفسير القرآن العظيم، (١٣٩/٥).

(٧) سبق تعريف الغار: (ص:٦٠).

(٨) جزم به ابن كثير، وذكره الرَّازيُّ، والقُرْطُبِيُّ، وابن جُزَيٍّ قولًا. ينظر: تفسير الرَّازي، (٤٤٣/٢١)، والجامع لأَحكام القرآن، (٣٦٩/١٠)، والتَّسهيل لعلوم التَّنزيل، (٤٦١/١)، وتفسير القرآن العظيم، (١٤٢/٥).

(٩) س: "لا".

(١٠) الكهف: ٢٥

وقد ضَربَ اللهُ علَيهِم نِطَاقًا[١] مِن الرُّعبِ على قُربِهم مِن مَدينةِ قومِهم، ثُمَّ إنَّهُ في الغَارِ تولَّى حِفظَهُم؛ بقولِهِ: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾[٢]؛ وذلكَ لِئلَّا تُبْلِي الأَرضُ أَجْسادَهُم.

ثُمَّ أَيْقَظَهُم بعدَ هذهِ الْمُدَّةِ الطَّويلَةِ: ﴿لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ﴾[٣]؛ وليتَّفقُوا[٤] في آخرِ الأَمرِ على الحَقيقةِ، فقالَ: ﴿قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾[٥]. . .إلى آخرِ القِصَّةِ[٦]، ففِيها آياتٌ بيِّناتٌ، وفَوائدُ مُتعدِّدَةٌ:

مِنها: أَنَّ قِصَّةَ أَصحابِ الكَهفِ وإنْ كانتْ عَجيبَةً فليستْ مِنْ أَعجبِ آياتِ اللهِ، فإنَّ للهِ آياتٍ عَجيبةً، وقَصَصًا فِيها عِبرةٌ للمُعتَبِرِينَ[٧].

مِنها: أَنَّ مَنْ أَوَى إلى اللهِ أَوَاهُ اللهُ[٨]، ولَطُفَ بهِ، وجعَلهُ سببًا لهدايةِ الضَّالِّينَ؛ فإنَّ اللهَ لَطُفَ بِهِم في هذهِ النَّومَةِ الطَّويلَةِ؛ إبقاءً على إيمانِهِم، وأَبدانِهِم مِن فِتنَةِ قَومِهِم وقَتلِهِم، وجعلَ هذهِ النَّوْمَةَ[٩] مِن آياتِهِ التي يُسْتَدلُّ بِها على كَمالِ قدرةِ اللهِ، وتنوّعِ إحسانِهِ؛ ولِيعلَمَ العِبادُ ﴿أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾[١٠].

مِنها: الحثُّ على تحصيلِ العُلومِ النَّافعةِ والْمُباحَثَةِ فِيها؛ لأَنَّ اللهَ بعثَهُم لأَجلِ ذلكَ، وبَبحثِهِم، ثُمَّ بعِلْمِ النَّاسِ بِحالِهِم حَصُلَ البُرهانُ والعِلْمُ بأَنَّ وعدَ اللهِ حقٌّ، ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ

---

(١) النِّطَاقُ: حِزامٌ تلبسه المرأة تشدُّه على وسطها أثناء العمَل، ويُطلق على الأَطراف والحدود والحِزام، وهو المراد هنا. ينظر: مُختار الصِّحاح، والْمِصباح الْمُنِيْر، ومُعْجَم اللُّغة العربيَّة المعاصرة، مادَّة: (نطق).

(٢) الكهف: ١٨

(٣) الكهف: ١٩

(٤) س: "ليقفوا"، والمعنى: "ليتباحثوا؛ للوقوف على الحقيقة مِن مدَّة لبثهم". تيسير الكريم الرَّحمن، (ص:٤٧٣).

(٥) الكهف: ١٩

(٦) تنتهي قصَّتهم عند قولهﷻ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف:٢٦].

(٧) قالﷻ: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف:٩].

(٨) قالﷻ مُخبِرًا عن الفِتية أنَّهم قالوا: ﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [الكهف:١٦].

(٩) س: "القَوْمة"، وهي الموافقة للقرآن، قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ [الكهف:١١-١٢].

(١٠) الكهف: ٢١

فِيهَا﴾(١).

مِنها: الأَدبُ فيمَن اشْتَبهَ عليهِ العِلْمُ أَنْ يَرُدَّهُ إلى عَالِمِهِ، وأَنْ يَقِفَ عندَ ما يَعرِفُ(٢).

مِنها: صِحَّةُ الوَكالةِ في البَيعِ والشِّراءِ، وصِحَّةُ الشَّرِكةِ في ذلكَ؛ لِقولِهم: ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾(٣).

مِنها: جَوازُ أَكلِ الطَّيِّباتِ، والتَّخَيُّرِ مِن الأَطعِمةِ ما يُلائِمُ الإنسانَ ويُوافِقهُ، إذا لم [١٣٤] تَخرُجْ إلى حدِّ الإِسرافِ المنهيِّ عنهُ، لِقولِهِ: ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾.

ومِنها: الحثُّ والتَّحَرُّزُ والاستِخْفَاءُ، والبُعدُ عن مَواقعِ الفِتَنِ في الدِّينِ، واستعمالُ الكِتْمَانِ الذي يَدْرَأُ عن الإِنسانِ الشَّرَّ(٤).

ومِنها: بيانُ رَغْبةِ هؤلاءِ الفِتيةِ في الدِّينِ، وفِرارِهم مِن كلِّ فِتنةٍ في دِينِهم، وتَركِهم لأَوطانِهم وعوائدِهم؛ في اللهِ(٥).

ومِنها: ذِكْرُ ما اشتَملَ عليهِ الشَّرُّ مِن الْمَضارِّ والمفاسدِ الدَّاعيةِ لِبغضهِ وتركِهِ، وأَنَّ هذهِ الطَّرِيقَةَ طريقةُ المؤمنِينَ(٦).

ومِنها: أَنَّ قولَهُ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾(٧)، فيهِ دليلٌ على أَنَّ هؤلاءِ القومِ الذين بُعثوا في زَمانِهم أُناسٌ أَهلُ تَدَيُّنٍ؛ لأَنَّهم عَظَّمُوهُم هذا التَّعظيمَ حتَّى عَزمُوا على

---

(١) الحج: ٧

إن كان المؤلِّف رحمه الله قصد آية الكهف فهي قوله عز وجل: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾ [الكهف: ٢١].

(٢) قال عز وجل: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٢].

(٣) الكهف: ١٩

(٤) قال تعالى مُخبِرًا عن الفِتية أنَّهم قالوا: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١٩].

(٥) قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [الكهف: ١٦].

(٦) قال جل جلاله مُخبِرًا عن الفِتية أنَّهم قالوا: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢٠].

(٧) الكهف: ٢١

اتِّخاذِ مَسجِدٍ على كَهْفِهِم، وهذا وإنْ كانَ مَمْنُوعًا -وخُصُوصًا في شَريعتِنا[١]- فالمقصودُ بَيانُ أَنَّ ذلكَ الخوفَ العَظيمَ مِن أَهلِ الكَهْفِ وَقْتَ إيمانِهِم ودُخولِهِم في الغَارِ بَدَّلَهُمُ[٢] اللهُ بِهِ بعدَ ذلكَ أَمْنًا، وتَعظِيمًا مِن الخَلْقِ، وهذهِ عوائدُ اللهِ فِيمَن تَحَمَّلَ الْمَشاقَّ مِن أَجْلِهِ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ العاقِبَةَ الحَميدَةَ[٣].

ومِنها: أَنَّ[٤] البَحثَ، وطولَهُ في المسائلِ التي لا أَهَمِّيَّةَ لها لا يَنْبَغِي الانهِماكُ بهِ؛ لِقولِهِ: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾[٥].

ومِنها: أَنَّ سؤالَ مَن لا عِلمَ لَهُ في القَضِيَّةِ المسؤولِ فِيها، أَو لا يَثِقُ بِهِ مَنْهِيٌّ عنهُ؛ لِقولِهِ: ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾[٦].

---

(١) أَخرج البخاريُّ، في صحيحه، كتاب الجنائز، باب بناء المسجد على القبر، (٢/٩٠) ح (١٣٤١)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصَّلاة، باب النَّهي عن بناء المساجد، على القبور واتِّخاذ الصُّور فيها، والنَّهي عن اتِّخاذ القبور مساجد، (١/٣٧٥) ح (٥٢٨)، واللَّفظ له، عن عائشة، أَنَّ أُمَّ حَبِيبَة، وأُمَّ سَلَمَةَ رضي الله عنهن ذَكَرَتَا كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِالْحَبَشَةِ فِيهَا تَصَاوِيرُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((إِنَّ أُولَئِكَ، إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، فَمَاتَ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)).

(٢) س: "أَبدلهم".

(٣) قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور:٥٥].

(٤) "كثرة"، زيادة في: (س).

(٥) الكهف: ٢٢

(٦) الآية السَّابقة.

قِصَّةُ خَاتَمِ النَّبِيِّيْنَ وإمامِ المُرْسَلِينَ، وَمَنْ أُنزلَ عَليهِ القُرآنُ هُدَىً ورَحْمَةً لِلمُؤْمِنِيْنَ.

إعلمْ أَنَّ سِيرةَ نبيِّنا محمَّدٍﷺ أعظمُ عَوْنٍ على مَعرفةِ تَفسيرِ كتابِ اللهِ[١]؛ والقُرآنُ إنَّما كان يَنزلُ تَبَعًا لمناسباتِ سِيرَتِهِ، ومَا يَقولُهُ لِلخَلْقِ، وجَوابِ ما يُقالُ لَهُ، وما يَحصلُ بِهِ تَحقيقُ الحَقِّ الذي جاءَ بِهِ، وإبطالُ المذاهِبِ التي جاءَ لإبطالِها، وهذا مِن حِكمةِ إنزالِهِ مُفَرَّقًا[٢]؛ كَمَا ذَكرَ اللهُ هذا المعنَى بقولِهِ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[٣]، وقالَ: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ﴾[٤].

فلْنُشِرْ مِن سِيرتهﷺ على الأَحوالِ الْمُناسِبةِ لِنزولِ الآياتِ الْمُعَيَّناتِ، أَو لِجِنْسِ النَّوعِ مِن عُلومِ القرآنِ؛ لِيكونَ عَوْنًا في هذا الْمَقامِ.

فأَوَّلُ مَقامَاتِهِ في إنزالِ القُرآنِ عليهِ: أَنَّهُ كانَ قَبلَ البِعثةِ قد بُغِّضَتْ إِليهِ عِبادَةُ الأَوثانِ، وبُغِّضَ إليهِ كلُّ قَولٍ قبيحٍ، وفِعلٍ قَبيحٍ، وفُطِرَﷺ فِطْرَةً مُستعدَّةً مُتهيِّئةً لقولِ الحَقِّ عِلمًا وعَمَلًا[٥].

واللهُ -تعالى- هو الذي طهَّرَ قلبَهُ وزكَّاهُ وكمَّلهُ[٦]؛ فكانَ مِن رَغْبَتِهِ العَظيمةِ فيمَا يُقَرِّبُ إلى

(١) أخرج مسلم في صحيحه، (٥١٢/١-٥١٣) ح (٧٤٦) عن سَعْدَ بن هِشَام بْن عَامِر -في سؤاله لأُم المؤمنين عائشةﭫ- "فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِﷺ، قَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِﷺ كَانَ الْقُرْآنَ".

قال القاضي عِياضﷺ: "تعني التَّأدُّب بآدابه، والتَّخلُّق بمحاسنه، والالتزام لأوامره وزواجره". إكمال الْمُعْلِم، (٩٤/٣).

(٢) قال: ﷻ ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء:١٠٦].

قال السُّيُوطِيُّﷺ: "الذي استُقْرِئَ مِن الأَحاديث الصَّحيحة، وغيرها أَنَّ القرآن كان ينزل بحسب الحاجة خمس آيات وعشرًا، وأكثر وأقلَّ". الإتقان في علوم القرآن، (١٥٥/١).

(٣) الفرقان: ٣٢-٣٣

(٤) هود: ١٢٠

(٥) قال القاضي عِياضﷺ: "ولا خلاف بين أهل التَّحقيق أنَّه قبل نبوَّتهﷺ وسائر الأنبياء مُنشرح الصَّدر بالتَّوحيد، والإيمان بالله، لا يليق به الكفر، ولا الشَّكُّ في شيء مِن ذلك، ولا الجهل به، ولا خلاف في عِصمتهم مِن ذلك، خلافًا لمن جوَّزه". إكمال الْمُعْلِم، (٤٨١/١)، وينظر: الشَّريعة، (١٤٣٣/٣)، وزاد الْمَعَاد، (٧٦/١).

(٦) أخرج مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول اللهﷺ إلى السَّموات، وفرض الصَّلوات، (١٤٧/١) ح (١٦٢)، عن أنس بن مالكﭬ، "أَنَّ رسول اللهﷺ، أَتَاهُ جِبْرِيلُﷺ، وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيطان مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ. . . ".

اللهِ أَنَّهُ كانَ يَذهبُ إلى غَارِ حِرَاءٍ(١) الأَيامَ ذَواتِ العَدَدِ(٢)، ويأْخذُ معهُ طَعامًا يُطعِمُ منهُ المساكِينَ(٣)، ويتعبَّدُ ويَتحنَّثُ فِيهِ(٤).

فَقَلْبُهُ في غايةِ التَّعلُّقِ بِربِّهِ، ويَفعلُ مِن العِباداتِ(٥) ما وصَلَ إليهِ عِلمُهُ في ذلكَ الوقتِ الجاهِليِّ الخَالي مِن العِلْمِ(٦)، ومعَ ذلكَ فهُو في غايةِ الإِحسانِ إلى الخَلقِ.

فلمَّا تمَّ عُمُرهُ أَربعينَ(٧)، وتمَّتْ قُوَّتهُ العَقليَّةُ، وَصَلُحَ لِتلَقِّي أَعظمَ رسالةٍ أَرسلَ اللهُ بِها أَحدًا مِن خَلقِهِ، تبدَّى لَهُ جِبريلُ ﷺ فرأَى منظرًا هَالَهُ وأَزعَجَهُ؛ إِذْ لم يَتقَدَّمْ لَهُ شَيءٌ مِن ذلِكَ، وإِنَّما قدَّمَ اللهُ لَهُ الرُّؤيا، التي كان لا يَرى رُؤيًا إِلَّا جاءتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبحِ(٨).

---

(١) حِرَاء: جبل في الجهة الشَّرقيَّة من مكَّة، على مسافة أَربعة أَكيال تقريبًا عن الكعبة، ويُسمَّى: "جَبَل النُّورِ"، والغَارُ: فجوة في أَعلى الجبل، بابها نحو الشِّمال، ويتَّسع الغار لخمسة أَشخاص في آنٍ واحد، والدَّاخل فيه يكون متَّجهًا نحو الكعبة. ينظر: مُعْجَم البُلدان، (٢/٢٣٣)، ar. wikipedia. org/wiki/غار_حراء.

(٢) قِيل: المراد بهذا الوصف التَّقليل، قال تعالى: ﴿دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ﴾ [يوسف: ٢٠]، ويُحتمل الكثرة.

ولعلَّ إبهام العدد لاختلافه بالنِّسبة إلى المدَّة التي يتخلَّلها مجيئه ﷺ إلى أَهله إذا نفد الزَّاد؛ فقد كان يُجاور في حِرَاء شهرًا مِن السَّنة، وحدَّده البعض في رمضان. ينظر: الكاشِف عن حقائق السُّنن، للطِّيبي، (١٢/٣٧١٦)، وطَرح التَّثريب، للعِراقي، (٤/١٨٥)، وفَتْح البَاري، لابن حَجَر، (١٢/٣٥٥-٣٥٦)، وعُمْدَة القارِي، (١/٥٦).

(٣) قال ابن إسحاق رحمه الله: "فكان رسول الله ﷺ يخرج إلى حِراء في كلِّ عام شهرًا مِن السَّنة يَنسك فيه. . . يُطعم مَن جاءه مِن المساكين". السِّير والْمَغَازِي، (ص: ١٢١)، والسِّيرة النَّبويَّة، لابن هشام، (١/٢٣٦)، والسِّيرة النَّبويَّة، لابن كثير، (١/٤٠٢).

(٤) قال المازِرِيُّ رحمه الله: "يَتَحَنَّث معناه: يفعل فعلًا يخرج به مِن الحِنْث، والحِنْث الإِثم". الْمُعْلِم بفوائد مُسْلِم، (١/٣٢٤).

(٥) قال ابن الْمُلَقِّن رحمه الله: "فإنْ قُلْتَ: ما كان صفة تعبُّده؟ قُلْتُ: لم أَر فيه نقلًا بخصوصه". التَّوضيح لشرح الجامع الصَّحيح، (٢/٢٥٦).

(٦) هل كان نبيُّنا محمَّد ﷺ مُتعبَّدًا قبل نبوَّته بشريعة إبراهيم أَو غيره مِن الرُّسل؟.

في ذلك أَقوال، ولا دليل صحيحًا صريحًا يعتمد عليه في شيء منها. ينظر: الْمُعْلِم بفوائد مُسْلِم، (١/٣٢٤-٣٢٥)، والتَّوضيح، (٢/٢٥٤-٢٥٦)، وطَرح التَّثريب، (٤/١٨٥-١٨٦).

(٧) "سَنَة"، زيادة في: (س).

(٨) "أَي مثل ضيائه إذا انْفَلق، وانْمَاز عن ظلام اللَّيل، وذلك حين يَتَّضح فلا يشكُّ فيه". كشْف الْمُشْكِل مِن حديث الصَّحيحين، (٤/٢٧١)، وطَرح التَّثريب، (٤/١٨٣).

فأوَّلُ ما أنزلَ اللهُ عليهِ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾[١]، فجاءَهُ بِها جبريلُ، وقالَ لَهُ: اقرأْ، فأَخبَرَهُ أَنَّهُ ليسَ بقارِئٍ -أَيْ: لا يَعرفُ أَنْ يَقرأَ- كما قال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ﴾[٢].

ونَظِيرُها الآيةُ الأُخرى: ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا﴾[٣].

فَغَطَّهُ[٤] جِبْريلُ مَرَّتَيْنِ أَو ثَلاثًا؛ لِيُهَيِّئَهُ لِتَلقِّي القرآنِ العَظيمِ، ويَتجرَّدَ قلبُهُ وهِمَّتُهُ، وظَاهِرُهُ وباطِنُهُ لذلكَ.

فنَزَلَتْ هذهِ السُّورةُ التي فِيها نُبُوَّتُهُ، وأَمْرُهُ بالقِراءَةِ باسمِ ربِّهِ، وفِيها أَصنافُ نِعَمِهِ على الإِنسانِ بِتعليمِهِ البَيانَ العِلميَّ[١٣٥]، والبَيانَ اللَّفظيَّ، والبَيانَ الرَّسميَّ[٥].

فجاءَ بِها إِلى خَديجةَ، تُرْعَدُ[٦] فَرَائِصُهُ[٧] مِن الفَرَقِ[٨]، وأَخبرَها بِما رآهُ، وما جَرَى عليهِ، فقالتْ خَديجةُ رضي الله عنها: "أَبْشِرْ، فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ[٩] اللَّهُ أَبَدًا؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَقْرِي

---

(١) العلق: ١

(٢) الضحى: ٧

(٣) الشورى: ٥٢

(٤) الغَطُّ: العَصْر، والضَّغط الشَّديد. ينظر: كَشْف الْمُشْكِل مِن حديث الصَّحيحين، (٤/٢٧٢)، والنِّهاية في غريب الحديث والأثر، (٣/٣٧٣)، ولسان العرب، مادَّة: (غطط).

(٥) البيان العِلميُّ دلَّ عليه قوله ﷻ: ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق:٥]، والبيان اللَّفظي، والبيان الرَّسمي الخَطِّيُّ -الذي يُرسم به تلك الألفاظ-، قد دلَّ عليه قوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾ [العلق:٤]، والبيان اللَّفظي مِن لوازم التَّعليم بالقلم، فإنَّ الكتابة فرعُ النُّطق، ومراتب البيان الثَّلاثة يشملها قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ [الرحمن:٤]، ينظر: مِفتاح دار السَّعادة، (١/٥٨، و٢٧٨-٢٨٠).

(٦) تُرْعَدُ: "ترجف وتضطرب مِن الخوف". النِّهاية في غريب الحديث والأثر، (٢/٢٣٤)، ولسان العرب، مادَّة: (رعد).

(٧) الفَرَائِصُ: جمع فَرِيْصَة، وهي: اللَّحمة التي بين الْكَتف والجنب. ينظر: غريب الحديث، للقاسم بن سلَّام، (٣/١٩)، وجمهرة اللُّغة، مادَّة: (فرص).

(٨) الْفَرَقُ: "تَفَرُّقُ القلب مِن الخوف". المفْردات، (ص:٦٣٤)، والكُلِّيَّات، (ص:٤٢٩).

(٩) الْخِزْيُ: السُّوء، والفَضيحة والهوان، والمعنى: لن يصيبك هوان أو مكروه، ولا ذلٌّ أو فضيحة، وأَنت على صفات عظيمة مِن مكارم الأخلاق، فصنائع المعروف تقي مصارع السُّوء. ينظر: تهذيب اللُّغة، مادَّة: (خزي)، والْمِنْهَاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج، (٢/٢٠١)، ومَنَار القَارِي، لحمزة قاسم، (١/٣٨-٣٩).

الضَّيْفَ[١]، وَتَحْمِلُ الكَلَّ[٢]، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ[٣]، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ[٤]؛ أَيْ: وَمَن كانتْ هذهِ صِفتُهُ فإنَّها تَسْتَدْعِي نعَمًا مِن اللهِ أَكبرُ مِنها وأَعظمُ، وكان هذا مِن توفيقِ اللهِ لَها ولنبيِّهِ، ومِن تَهْوِينِ القَلَقِ الذي أَصابَهُ[٥]، وبِهذهِ السُّورةِ ابتدأَتْ نُبوَّتُهُ.

(١) تَقْرِي الضَّيْفَ: مِن قَرَى الضَّيف يَقْرِيه قِرىً: أَحسن إليه، ومِن ذلك الطَّعام المقدَّم لَهُ، ورسولﷺ يكرم الضَّيْف، بما يليق به، ويحتاج إليه؛ مِن الطَّعام، والتَّرحيب، والبَشاشة، وغير ذلك. ينظر: شرح الحديث المقتَفَى في مبعث النَّبيِّ المصطفى، لأَبي شامة، (ص:١٤٥)، ومُختار الصِّحاح، مادَّة: (قرا)، والْمِنْهاج شرح صحيح مسلم بن الحَجَّاج، (٢/٢٠٢)، ومَنَار القَارِي، (١/٤٠).

(٢) الْكَلُّ: الإعياء وَالثِّقْل، قالﷻ: ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾ [النحل:٧٦]، ومنه العاجز عن مَؤنة عياله، فالرَّسولﷺ يساعد العَجزة والضُّعفاء، ويعينهم، على تكاليف الحياة. ينظر: الصِّحاح، مادَّة: (كلل)، وينظر: تفسير غريب ما في الصَّحيحين، (ص:٣٠٢)، والْمِنْهاج شرح صحيح مسلم بن الحَجَّاج، (٢/٢٠١)، ومَنَار القَارِي، (١/٣٩).

(٣) تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ: مِن عَدِمَ إذا افْتقر، والمعنى: إما أَنَّك محظوظ، تَكسب المال الذي يعجز عنه غيرك، ثُمَّ تجود به، وكانت العرب تتمادح بكسب المال المعدوم، لا سيما قريش، وكان النَّبيُّﷺ محظوظًا في تجارته، وإمَّا أَنَّك تُعطي النَّاس الشَّيء المعدوم الذي لا يجدونه ممَّا يحتاجون إليه، وإمَّا أَنَّ خديجةرضي الله عنها قصَدت الفقير، الذي صار مِن شدة حاجته كالمعدوم نفسه، فأَنت تعطيه، وكلُّ هذه المعاني تنطبق عليهﷺ. ينظر: تهذيب اللُّغة، مادَّة: (عدم)، والنِّهاية في غريب الحديث والأَثر، (٣/١٩١-١٩٢)، والْمِنْهَاج شرح صحيح مسلم بن الحَجَّاج، (٢/٢٠١)، ومَنَار القَارِي، (١/٤٠).

(٤) نَوَائِبُ الحَقِّ: النَّوائِبُ: الحَوادِثِ، والمصائب والنَّوازل، والمعنى: أَنَّهﷺ يساعد -بما يقدر عليه- مَن أُصيب بحادثة ونازلة، ويقف مع الحقِّ؛ فلا يعين على باطل، ولا ظالِمًا على ظلمه، ولكنَّه يناصر المظلوم، ويأْخذ على يد الظَّالم، ويُسعف الملهوف، ويُجير مَن استجار به بحقٍّ. ينظر: لسان العرب، مادَّة: (نوب)، والتَّوضيح لشرح الجامع الصَّحيح، (٢/٢٧٩)، ومَنَار القَارِي، (١/٤٠).

وهذا النَّصُّ الذي ذكرهُ المؤلِّفرحمه الله، وكذا غالب ما ذكره في هذا المقام هو بمعنى الحديث الذي أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول اللهﷺ؟ وقول اللَّه جَلَّ ذِكره: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النساء:١٦٣]، (١/٧) ح (٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول اللهﷺ، (١/١٣٩) ح (١٦٠)، عن عائشةرضي الله عنها.

(٥) قال النَّوَوِيُّرحمه الله: "قال العلماءرضي الله عنهم، معنى كلام خديجةرضي الله عنها، إنك لا يصيبك مكروه؛ لِما جعل الله فيك مِن مكارم الأَخلاق، وكرم الشَّمائل -وذكرت ضروبًا مِن ذلك- وفي هذا دلالة على أَنَّ مكارم الأَخلاق، وخصال الخير سبب السَّلامة مِن مصارع السُّوء، وفيه مدح الإنْسان في وجهه في بعض الأَحوال؛ لمصلحة تَطْرأ، أَو فيه تأْنيس مَن حصلت لَهُ؛ مخافة مِن أَمر، وتبشيره، وذكر أَسباب السَّلامة لَهُ، وفيه أَعظم دليل وأَبلغ حُجَّة على كمال خديجةرضي الله عنها، وجزالة رأْيها، وقوَّة نفسها، وثبات قلبِها، وعِظم فقهها، والله أَعلم". الْمِنْهَاج، (٢/٢٠٢).

ثُمَّ فترَ عنهُ الوَحيَ مُدَّةً(١)؛ لِيشْتاقَ إليهِ؛ وليكونَ أعظمَ لموقعِهِ عندَهُ، وكانَ قد رَأى الملَكَ على صُورتِهِ فانْزعَجَ، فجاءَ إلى خديجةَ -أيضًا- تُرْعَدُ فَرائِصُهُ، فقال: ((دَثِّرونِي(٢) دَثِّرونِي، فأَنزلَ اللهُ عليهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾(٣)))، فكانَ في هذا الأَمرُ لَهُ بدعوةِ الخَلقِ وإنذارِهِم، فَشَمَّرَ ﷺ عن عَزمِهِ، وصَمَّمَ على الدَّعوةِ إلى ربِّهِ، معَ عِلمِهِ أنَّهُ سَيُقَاوِمُ بِهذا الأَمرِ البعيدَ والقَريبَ، وسَيَلْقَى كلَّ مُعارَضةٍ مِن قومِهِ، ومِن غيرِهِم، وشِدَّةٍ، ولكنَّ اللهَ أَيَّدَهُ، وقَوَّى عزمَهُ، وأيَّدَهُ بِرُوحٍ مِنهُ، وبالدِّينِ الذي جاءَ بِهِ(٤).

وجاءَتهُ سورةُ الضُّحى في فَتْرةِ الوَحيِ(٥)؛ لَمَّا قالَ المكذِّبُونَ: إنَّ ربَّ مُحَمَّدٍ قَلَاهُ(٦)، قال: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾. . . إلى آخرِها(٧).

---

(١) فَتْرَةُ الوِحيِ: احتباسه، وعدم تتابعه وتواليه، وهي ما بين نزول اقرأْ والمدَّثر، وليس عدم مجيء جبريل عليه السلام للنَّبيِّ ﷺ، وقد قِيل: إنَّها ثلاث سنوات، وقيل: سنتان ونصف، وقِيل: كانت أيَّامًا. ينظر: الْمِنهَاج شرح صحيح مسلم بن الحَجَّاج، (٢/٢٠٥-٢٠٦)، وفَتْح البَارِي، لابن حَجَر، (١/٢٧).

(٢) الدِّثَارُ: مَا يُلقَى على الجسد فوق الشِّعار، والمعنى: غطُّوني بما أدفأُ به. ينظر: غريب الحديث، للقاسم بن سلَّام، (١/٣١١)، ومَطَالِع الأنوار على صِحاح الآثار، لابن قُرْقُول، (٣/١٢)، ومُختار الصِّحاح، مادَّة: (دثر).

(٣) المدثر: ١-٥

وبمعناه أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر:٤]، (٦/١٦٢) ح (٤٩٢٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، (١/١٤٣) ح (١٦١)، عن جابر رضي الله عنه.

(٤) قال الله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٢].

(٥) هذه الفترة غير الفترة المذكورة في ابتداء الوحي، واختُلف في مدَّتها، فقِيل: ليلتان أو ثلاث، وقيل: اثنا عشر يومًا، وقِيل: خمسة عشر يومًا، وقِيل: خمسة وعشرون يومًا، وقِيل: أربعون يومًا. ينظر: معاني القرآن، للفرَّاء، (٣/٢٧٣)، وتفسير القرآن العظيم، (٨/٤٢٥)، وفَتْح البَارِي، لابن حَجَر، (٨/٧١٠)، وعُمْدَة القارِي، (٧/١٧٢-١٧٣).

(٦) الْقِلَى: "شدَّة الْبُغْضُ" المفْردات، وينظر: مُختار الصِّحاح، مادَّة: (قلا).

(٧) الضحى: ١-٣

تمامُ السُّورة قوله عز وجل: ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى:٤-١١].

وبمعناه أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى:٣]، (٦/١٧٢) ح (٤٩٥٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسِّير، باب: ما لقي النَّبيُّ ﷺ مِن أذى المشركين والمنافقين، (٣/١٤٢٢) ح (١٧٩٧)، عن جُنْدُب بن سفيان رضي الله عنه.

وهذا اعتِنَاءٌ عَظِيمٌ مِن اللهِ برَسولِهِ، ونَفْيٌ لكلِّ نَقْصٍ، وبِشارةٌ بأَنَّ كلَّ حَالَةٍ لَهُ أَحسَنُ مِمَّا قبلَها وخَيرٌ مِنها، وأَنَّ اللهَ سيُعطيهِ مِن النَّصرِ والأَتباعِ، والعِزِّ العَظيمِ، وانتشارِ الدِّينِ ما يُرضِيهِ(١).

فكانَ أَعظمُ مَقَامَاتِ دَعْوَتِهِ: دَعوتُهُ إلى التَّوحِيدِ الخَالصِ، والنَّهيِ عن ضِدِّهِ:

دَعَا(٢) النَّاسَ لِهذا، وقَرَّرَهُ اللهُ في كِتابهِ، وصَرَّفَهُ بطُرُقٍ كثيرةٍ واضحةٍ، تُبَيِّنُ وجوبَ التَّوحيدِ وحُسنَهُ، وتُعَيِّنُهُ طَرِيقًا إلى اللهِ، وإلى دارِ كَرامتهِ، وقَرَّرَ إبطالَ الشِّركِ، والمذاهِبِ الضَّارةِ بِطُرُقٍ كثيرةٍ احتوى عليها القُرآنُ، وهي أَغلبُ السُّورِ المكِّيَّةِ(٣).

فاستجابَ لَهُ في هذا الواحدُ بعدَ الواحدِ على شِدَّةٍ عَظيمةٍ مِن قومِهِ، وقَاوَمهُ قومُهُ وغيرُهُم، وبغَوا لَهُ الغَوَائِلَ(٤)، وحَرَصُوا على إطفاءِ دعوتِهِ بجُهدِهِم، وقولِهِم وفِعلِهِم، وهو يُجادِلُهم ويَتَحدَّاهُم أَنْ يأْتُوا بمِثلِ هذا القرآنِ، وهُم يَعلمونَ أَنَّهُ الصَّادقُ الأَمينُ، ولكنَّهُم يُكابِرونَ ويَجْحَدونَ آياتِ اللهِ، كمَا قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾(٥)؛ ولهذا لَمَّا كانَ استماعُهُم للقرآنِ على وجهِ الكُفرِ والجَحْدِ والتَّكذِيبِ، وتوطِينِ نُفوسِهم على مُعادَاتِهِ، أَخبرَ اللهُ -تعالى- أَنَّهُ جَعلَ ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾(٦)، وأَنَّهُم لا يَهتَدونَ بسبَبِ ما أَسَّسُوا مِن هذا الأَصلِ الخَبيثِ، المانعِ لصاحِبهِ مِن كلِّ خيرٍ وهُدىً.

وهذا مِمَّا يُعلَمُ بهِ حِكمَةُ البَارِي في إضلالِ الضَّالِّينَ، وأَنَّهُم لَمَّا اختارُوا لأَنفسِهِم الضَّلالَ ورَغِبوا فيهِ ولَّاهُم اللهُ ما تَولَّوا لأَنفسِهِم(٧)، وتركَهُم في طُغيانِهِم يَعْمَهُونَ(٨)، وأَنَّهم لَمَّا رَدُّوا نِعمةَ

---

(١) قال ﷻ: ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى:٤-٥].

(٢) خ، س: "دعى"، والصَّواب: "دعا"؛ لأَنَّه فعل ثلاثي أَلفه منقلبة عن واو، فمضارعه: "يدعو". ينظر: الإملاء والتَّرقيم في الكتابة العربيَّة، (ص:٧١)، وقواعد الإملاء، لعبدالسَّلام هارون، (ص:٢٦، ٧٦).

(٣) قال ابن القيِّم رحمه الله: "والاعتناء في السُّور المكيَّة إِنَّما هو بأُصول الدِّين؛ من تقرير التَّوحيد والمعاد والنُّبوَّة". التِّبيان في أَقسام القرآن، (ص:٢٢٧).

(٤) الْغَوَائِلُ: الدَّوَاهِي، والغائلة: الفساد والشَّر، و"الخصلة التي تغول، أَيْ: تهلك في خُفية، ومنه قِيل لأُنثى الجنِّ: غُوْلٌ". التَّوقيف على مُهمَّات التَّعاريف، (ص:٢٥٤)، وينظر: الْمِصباح الْمُنِيْر، مادَّة: (غول).

(٥) الأنعام: ٣٣

(٦) الأنعام: ٢٥

(٧) قال ﷻ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥]، وقال ﷻ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الصف:٥].

(٨) الْعَمَهُ: التَّردُّدُ في الأَمر والتَّحيُّر. ينظر: تهذيب اللُّغة، والمفْردات، مادَّة: (عمه).

اللهِ عليهِم حِينَ جاءَتْهُم قَلَّبَ اللهُ أَفئدَتَهم، [وأَصمَّ أَسماعَهُم، وأَعمَى أَبصارَهم][(١)]، وأَفئدَتَهم[(٢)].

وهذا الوصفُ الذي أَشرنا إِليهِ قد ذكَرَهُ اللهُ في كِتابهِ عنهُم، وهو يُعينُكَ على فَهْمِ آياتٍ كثيرةٍ يُخبِرُ اللهُ فِيها بِضَلالِهِم، وانسِدادِ طُرُقِ الهِدايةِ عليهِم، وعدمِ قبولِ مَحالِّهِم، وقُلوبِهِم للهُدَى، والذَّنْبُ ذنبُهُم، وهمُ السَّببُ في ذلكَ؛ قال تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[(٣)].

وبِضِدِّهِ تُعرَفُ الحِكمَةُ في هِدايتِهِ لِلمؤمنِينَ، وأَنَّهُم لَمَّا كانوا مُنْصِفِينَ، ليس غَرضُهُم إِلَّا الحقَّ، ولا لهم قَصدٌ إِلَّا طَلَبُ رِضا ربِّهم، هداهُم اللهُ بالقُرآنِ، وازدادتْ بهِ عُلومُهُم ومَعارِفُهم، وإِيمانُهم وهِدايَتُهُم المتنوِّعةُ، قال تعالى: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[(٤)].

وهذا الوصفُ الجَليلُ للمُؤْمِنينَ هو الأَساسُ لِهدايتِهِم، وزِيادةِ إِيمانِهِم[١٣٦]، وانقيادِهِم، وبهِ يَنْفَتِحُ لكَ البابُ في فَهمِ الآياتِ في أَوصافِ المؤمنِينَ، وسُرعةِ انقيادِهِم لِلحقِّ؛ أُصولِهِ وفُروعِهِ[(٥)].

ومن مَقاماتِ النَّبيِّ ﷺ مع المُكذِّبينَ لَهُ: أَنَّهُ يَدعُوهُم بالحِكْمَةِ والموعظةِ الحَسنةِ، ويُجادِلُهم بالتي هي أَحسَنُ[(٦)]، ويدعُوهُم أَفرادًا ومُتفرِّقِينَ، ويُذكِّرُهُم بالقُرآنِ[(٧)]، ويَتلوهُ في الصَّلاةِ وخارجِها.

---

(١) خ: "وأَعمَى أَسماعَهُم، وأَبصارَهُم"، وس: "وأَصمَّ أَسماعهم، وأَعمى أَبصارهم"، وهي الأُولى؛ فالصَّمم للأَسماع، والعَمى للأَبصار.

(٢) قال ﷻ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠].

(٣) الأعراف: ٣٠

(٤) المائدة: ١٦

(٥) قال ﷻ في صفات المؤمنين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢-٤]، وقال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

(٦) قال ﷻ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

(٧) قال ﷻ: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥].

وكانوا إذا سَمِعُوهُ صَمُّوا آذانَهُم، وقد يَسُبُّونَهُ، ويَسُبُّونَ مِن أَنْزلَهُ(١)، فأَنزلَ اللهُ على رَسولِهِ آياتٍ كثيرةً في هذا المعنَى، يُبَيِّنُ حَالَهم معَ سَماعِ القُرآنِ، وشِدَّةَ نُفورِهِم: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾(٢)، وأَنَّ شَياطينَهُم ورُؤساءَهم في الشَّرِّ فكَّرُوا وقدَّرُوا، ونَظرُوا فيما يقولونَ عن القُرآنِ، ويَصفونَهُ بهِ؛ لِيُنفِّرُوا عنهُ النَّاسَ، حتَّى قَرَّ قَرارُ رَئيسِهِمُ الوَلِيدِ بنِ المغيرةِ الذي سَمَّاهُ اللهُ: ﴿وَحِيدًا﴾(٣)، ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾(٤).

ولكنْ أَبَى اللهُ إلَّا أَنْ يَعلوَ هذا الكلامُ كلَّ كلامٍ، ويُزْهِقُ هذا الحقُّ كلَّ باطلٍ، وكانوا مِن إفْكِهِم يقولونَ في القُرآنِ الأَقوالَ الْمُتناقِضَةَ، يقولون: إنَّهُ سِحْرٌ، إنَّهُ كِهانةٌ، إنَّهُ شِعْرٌ، إنَّهُ كَذِبٌ، إنَّهُ أَساطِيرُ(٥)؛ فجَعلوا القُرآنَ عِضِينَ(٦).

كلُّ هذا أَثَرُ البُغْضِ الذي أَحرَقَ قلوبَهُم، حتَّى قالوا فِيهِ مَقالةَ الْمَجانِينِ، وكلَّما قالوا قولًا مِن هذهِ الأَقوالِ أَنزلَ اللهُ آياتٍ يُبْطِل بِها ما قَالوا، ويُبَيِّنُ زُورَهُم، وافتِراءَهُم، وتَناقُضَهُم(٧).

وكان مِن الأَدِلَّةِ والبَراهِينِ على رِسالةِ محمَّدٍ ﷺ، وأَنَّ القُرآنَ مِن عندِ اللهِ، مُقابَلةُ المكذِّبِينَ لَهُ، فإِنَّ مَن نَظرَ إليهَا عَلمَ أَنَّها سِلاحٌ عليهِم، وأَكبرُ دليلٍ على أَنَّهم مُقاوِمونَ لِلحقِّ، سَاعُونَ في إبطالِهِ، وأَنَّهُم على الباطلِ، الذي ليسَ لَهُ حظٌّ مِن العَقلِ، كمَا ليسَ لَهُ حظٌّ مِن الدِّينِ.

---

(١) قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان:٤١].

(٢) المدثر: ٥٠-٥١

(٣) المدثر: ١١

كان يُسمَّى الوحيد في قومه. ينظر: المحرَّر الوجيز، (٣٩٤/٥).

(٤) المدثر: ٢٤-٢٥

(٥) سبقت الأَدلَّة على هذه الأَقوال: (ص:٦-٦).

(٦) فلم يتَّفقوا فيه على وصف معيَّن، قال ﷻ: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ۝ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر:٨٩-٩١]؛ قال البَغَوِيُّ رحمه الله: "قِيل: المقْتَسِمِين: قوم اقتسموا القرآن، فقال بعضهم: سحر، وقال بعضهم: شعر، وقال بعضهم: كذب، وقال بعضهم: أساطير الأولين". مَعَالم التَّنزيل، (٦٧/٣)، وينظر: تفسير القرآن العظيم، (٥٤٩/٤).

(٧) قال ﷻ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان:٣٣].

وكانُوا -أَيضًا- يقولونَ في النَّبيِّ ﷺ الأَقوالَ التي ليس فِيها دِلالةٌ على ما كانوا يَعتقِدونَ، وليس فيها نَقْصٌ بالنَّبيِّ ﷺ؛ يقولونَ: لو أَنَّ محمَّدًا صادقٌ لأَنزلَ اللهُ ملائكةً يَشْهدونَ لَهُ بذلِكَ، ولأَغناهُ اللهُ عن الْمَشْيِ في الأَسواقِ، وطلَبِ الرِّزقِ كمَا يَطْلُبُهُ غيرُهُ، ولَجَعلَ لَهُ كذا وكذا؛ مِمَّا تُوحِي إليهِ عُقولُهم الفاسِدةُ[(١)].

ويَذكرُها اللهُ في القُرآنِ في مَواضِعَ متعدِّدَةٍ؛ تارةً يُصوِّرُها للعبادِ فقط؛ لأَنَّ مَن تَصَوَّرَها عَرَفَ بُطْلانَهَا، وأَنَّها ليسَتْ مِن الشُّبهِ القَادِحةِ، فضلًا عن الحُجَجِ الْمُعْتَبَرَةِ[(٢)]، وتَارةً يُصَوِّرُها، ويَذْكرُ ما يُبْطِلُها مِن الأُمورِ الواضِحةِ، وهذا كثيرٌ في القُرآنِ[(٣)].

ومِن مَقاماتِهم معَ النَّبيِّ ﷺ: أَنَّهُم يَسعَونَ أَشَدَّ السَّعيِ أَنْ يَكُفَّ عن عَيْبِ آلهتِهِم، والطَّعنِ في دِينِهم، ويُحِبُّونَ أَنْ يُتارِكَهُم ويُتَارِكوهُ؛ لِعلمِهِم أَنَّهُ إذا ذَكرَ آلهتَهُم، ووصَفَها بالصِّفاتِ التي هي عليهِ مِن النَّقصِ، -وأَنَّهُ ليس فِيها شَيءٌ مِن الصِّفاتِ يُوجِبُ أَنْ تَسْتحِقَّ شَيئًا مِن العِبادَةِ- يعرِفونَ أَنَّ النَّاسَ يَعرِفونَ ذلكَ، ويَعترِفونَ بهِ، فلا أَحبَّ إليهِم مِن التَّزويرِ، وإِبقاءِ الأُمُورِ على عِلَّاتِها مِن غيرِ بحثٍ عن الحقائقِ؛ لأَنَّهُم يعرفونَ حقَّ المعرفةِ أَنَّ الحقائقَ إذا بانتْ ظَهرَ للخَلْقِ بُطلانُ ما هُم عليهِ، وهذا الذي منهُ يفِرُّونَ، وهذا المقامُ -أَيضًا- ذَكرَهُ اللهُ في آياتٍ مُتعدِّدةٍ؛ مثلِ: قولِهِ: ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾[(٤)]، ونحوِها مِن الآياتِ[(٥)].

---

(١) قال ﷻ: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ۝٨ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا﴾ [الفرقان:٧-٨].

(٢) قال ﷻ: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٞ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمۡ عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُكُمۡ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٞ مُّفۡتَرٗىۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ [سبأ:٤٣].

(٣) قال ﷻ: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ۝٧ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَلَا تَمۡلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٨ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٩ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ﴾ [الأحقاف:٧-١١].

(٤) القلم: ٩

(٥) قال ﷻ: ﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٧٤].

وأَمَّا: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾(١)؛ فهذا إِذا ترَتَّبَ على السَّبِّ المذكورِ سَبُّهُم للهِ فإِنَّهُ يُتْرَكُ؛ لِمَا يَتَرَتَّبُ عليهِ مِن الشَّرِّ(٢).

ومِن مَقامَاتِهِمُ المُتنوِّعَةِ معَ النَّبيِّ ﷺ: أَنَّهُم كانوا يَقترِحونَ الآياتِ بِحَسَبِ أَهوائِهِم، ويقولونَ: إِنْ كنتَ صادِقًا فأتِنا بعذابِ اللهِ، أَو بِما تَعِدُنا، أَو أَزِلْ عنَّا جِبالَ مكَّةَ، واجعلْ لَنا فيها أَنْهارًا وعُيونًا، أَو(٣)حتَّى يحصلَ لَكَ كذَا وكَذَا مِمَّا ذكرَهُ اللهُ عنهُم، فَيُجيبُهُم اللهُ عن هذهِ الأَقوالِ بأَنَّ رسولَهُ ﷺ قدْ أَيَّدَهُ اللهُ بالآياتِ، واللهُ أَعلمُ بِما يُنَزِّلُ مِن آياتِهِ، وأَعلَمُ بِما هوَ أَنفعُ لهُم، وأَنَّهُ قدْ حصَلَ المقصودُ مِن بيانِ صِدقِهِ، وقامتِ الأَدلَّةُ والبَراهينُ على ذلِكَ(٤).

فقولُ الجاهلِ الأَحْمَقِ: لو كانَ كَذَا وكَذَا؛ جَهْلٌ منهُ، وكِبْرٌ، ومُشَاغَبةٌ[١٣٧] مَحْضَةٌ.

وتَارةً يُخْبِرُهُم أَنَّهُ لا يَمنعُهُ مِن الإِتيانِ بِها إِلَّا الإِبقاءُ عليهِم(٥)، وأَنَّها لو جاءَتْ لا يؤمنونَ، فعند ذلِكَ يُعَاجِلُهُم اللهُ بالعِقابِ(٦).

وتَارةً يُبَيِّنُ لهم أَنَّ الرَّسولَ إِنَّما هو نَذيرٌ مُبِيْنٌ(٧)، ليسَ لَهُ مِن الأَمرِ شَيءٌ، ولا مِن الآياتِ شيءٌ، وأَنَّ هذا مِن عندِ اللهِ، فَطَلَبُهُم مِن الرَّسولِ محضُ الظُّلمِ والعُدوانِ، وهذهِ المعاني في القرآنِ كثيرةٌ بأَساليبَ متعدِّدةٍ(٨).

---

(١) الأنعام: ١٠٨

(٢) ومِن هذه الآية أخذ العلماء قاعدة: "درء المفاسد أولى من جلب المصالح". الأشباه والنَّظائر، للسُّبْكِي، (١/١٠٥)، والأشباه والنَّظائر، للسُّيُوطِي، (ص:٨٧)، وينظر: أنوار البُروق في أنْوَاء الفُروق، (٤/٢١٢)، والموافقات، (٥/٣٠٠).

(٣) س: "و".

(٤) قال ﷻ: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ۝٩١ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ۝٩٢ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٣].

(٥) قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء: ٥٩].

(٦) قال ﷻ: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۚ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩].

(٧) قال ﷻ: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾ [العنكبوت: ٥٠].

(٨) قال ﷻ: ﴿لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

وأحيانًا يَقْدَحونَ في الرَّسولِ: قَدْحًا يعترِضونَ فيهِ على اللهِ؛ وأنَّهُ: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[١]، ومحمَّدٌ ليسَ كذلكَ، وأنَّكَ يا محمَّدُ لسْتَ بأَولَى بفضلِ اللهِ مِنَّا، فلأَيِّ شَيءٍ تَفْضُلُ علينا بالوَحْيِ؟ ونحوهِ مِن الأَقوالِ النَّاشِئةِ عن الحَسَدِ[٢]، فَيُجِيبُهُم اللهُ بذِكرِ فضلِهِ، وأَنَّ فضلَهُ يُؤتيهِ مَن يشاءُ، وأَنَّهُ: ﴿أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[٣]، والمحلَّ اللائقَ بِها، ويشرحُ لهم مِن صفاتِ رسولِهِ التي يُشاهدونَها رأْيَ عَيْنٍ ما يَعلمونَ هُم وغيرُهُم أَنَّهُ أَعظَمُ رجلٍ في العالَمِ[٤]، وأَنَّهُ ما وُجِدَ ولن يُوجدَ أَحدٌ يُقارِبُهُ في الكَمالِ، مُؤَيِّدًا ذلكَ بالأُمورِ الْمَحسُوسَةِ، والبَراهينِ الْمُسَلَّمةِ، وقد أَبْدَى اللهُ هذهِ المعانِي وأَعادَها معَهم في مواضعَ كثيرةٍ[٥].

ومِن مَقامَاتِهِ ﷺ معَ المؤْمِنينَ: الرَّأْفةُ العَظيمةُ، والرَّحمةُ لهُم، والمحبَّةُ التَّامَّةُ، والقِيامُ معَهُم في كلِّ أُمورِهِم، وأَنَّهُ بِهِم[٦] أَرحمُ، وأَرْأَفُ مِن آبائِهِم وأُمَّهاتِهِم، وأَحْنَى عليهِم مِن كلِّ أَحدٍ، كمَا قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٧]، ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[٨]، ﴿فَبِمَا

---

(١) الزخرف: ٣١

(٢) قال ﷻ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾ [القصص:٤٨].

(٣) الأنعام: ١٢٤

(٤) يظهر أَنَّ هذه التَّعبير مستفاد مِن "مجلَّة الْمَنَار" التي كانت تصِل إلى المؤلِّف، ويقرؤها، ويُراسل القائمين عليها، كما سبق: (ص:٦)، ومِن كُتَّابِها الشَّيخ: محمَّد رَشِيْد رِضَا رحمه الله، الذي لَهُ فيها مقال، عنوانه: "أعظم رجل في العالَم"، ذكر فيه: أَنَّ بعض الجرائد الأُوربيَّة، وكذا جريدة: "الوَطَن" البيروتيَّة، اقترحت على قُرائها أَنْ يكتبوا إليها عن أَعظم رجل، فكانت أَول إجابة مِن نصرانيٍّ، أَنَّه محمَّد ﷺ، ثُمَّ ظهر أخيرًا كتاب: "الخالِدون المائة"، لمايكل هارت، والذي وضع أَسماء مائة شخص، رتَّبهم حسب تأْثيرهم في التَّاريخ، متَّبعًا أُسُسًا محدَّدة، وشروطًا للاختيار، فكان الأَول هو محمَّد ﷺ. ينظر: مجلة الْمَنَار، لمجموعة مؤلِّفين، (٧٥/١٤)، الخالدون-المئة- ar. wikipedia. .org/wiki/

(٥) قال ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤].

(٦) س: "لهم"، ولكنْ: "بهم"، هي الموافقة للقرآن الكريم، قال تعالى: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

(٧) التوبة: ١٢٨

(٨) آل عمران: ١٦٤

رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾(١).

فلمْ يَزلْ يَدعو إلى التَّوحيدِ، وعَقائدِ الدِّينِ وأُصولِهِ، ويُقَرِّرُ ذلكَ بالبَراهِينِ، والآياتِ الْمُتنوِّعةِ، ويحذِّرُ مِن الشِّركِ، والشُّرورِ كلِّها منذُ بُعِثَ إلى أَنْ استكمَلَ بعدَ بِعثتِهِ نحوَ عشرِ سِنينَ(٢)، وهو يدعو إلى اللهِ على بَصِيرَةٍ.

ثُمَّ أُسْرِيَ(٣) بهِ مِن المَسجدِ الحَرامِ(٤) إلى المَسجدِ الأَقْصَى(٥)؛ لِيُرِيَهُ مِن آياتِهِ(٦)، وعُرِجَ(٧) بهِ إلى فَوقِ السَّمواتِ السَّبعِ، وفَرَضَ اللهُ عليهِ الصَّلواتِ الخَمسَ بأَوقاتِها، وهَيئَاتِها(٨).

وجَاءَهُ جِبريلُ على أَثرِهَا، فعلَّمَهُ أَوقاتِها، وكيفيَّاتِها، وصلَّى بهِ يَومينِ؛ اليومَ الأَوَّلَ صلَّى الصَّلواتِ الخَمسَ في أَوَّلِ وقْتِها، واليومَ الثَّانيَ في آخرِ الوقْتِ، وقال: ((الصَّلاةُ ما بَيْنَ هَذَيْنِ

---

(١) آل عمران: ١٥٩

(٢) هذه المدَّة كانت في التَّوحيد وتقريره، والتَّحذير مِن الشِّرك، ثُمَّ جاءت التَّشريعات الأُخرى مع التَّوحيد، وهذا بناء على أَنَّ الْمِعرَاج -الذي فرضت فيه الصَّلاة- كان قبل الهجرة بثلاث سنين، كما سيذكره المؤلِّف رحمه الله في الفقرة التَّالية.

(٣) السُّرَى: "سير اللَّيل، يقال: سَرَى وأَسْرَى". المفْردات، وينظر: العين، مادَّة: (سرى).

(٤) هل هو مِن نفس المسجد، أَو من داخل الحِجْر، أَو مِن الحَرَم، أو مِن بيت أُم هانِئ بنت أَبي طالب رضي الله عنها، أَو شِعب أَبي طالب، أَقوال عند المفسِّرين، وأَرجحها: الأَول؛ لأَنَّه هو المعروف عند الإِطلاق. ينظر: جامع البيان، (٣٣٣/١٧)، ومَعَالم التَّنزيل، (١٠٥/٣)، والمحرَّر الوجيز، (٤٣٥/٣).

(٥) يعني: مسجد بيت المقدس؛ وسُمِّي أَقصى لأَنَّه أَبعد المساجد التي تُزار، أَو لبعده عن المسجد الحرام، أَو لأَنَّه لم يكن وراءه مسجد، ويُحتمل أَنَّ المقصد إظهار العجب في الإِسراء إلى هذا المكان البعيد في لَيْلَةٍ. والله أَعلم. ينظر: جامع البيان، (٣٣٣/١٧)، ومَعَالم التَّنزيل، (١٠٥/٣)، والتَّسهيل لعلوم التَّنزيل، (٤٤٠/١).

(٦) قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِي بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١].

(٧) الْعُرُوجُ: الِارْتِقَاءُ، والصُّعودُ، والْمِعْرَاجُ: "مِفْعَالٌ، مِن الْعُرُوج، أَي: الآلة التي يُعْرَجُ فيها، أَي: يُصعد، وهو بمنزلة السُّلَّم، لكن لا يُعلم كيف هو، وحُكمه كحُكم غيره مِن المغيَّبات، نؤمن به، ولا نشتغل بكيفيَّته". شرح الطَّحاوية، لابن أَبي العزِّ، (ص:١٩٥-١٩٦)، وينظر: مقاييس اللُّغة، مادَّة: (عرج)، وشرح ثلاثة الأُصول، للعُثَيْمِين، (ص:١٢٤).

(٨) العُرُوج به ﷺ، وفرض الصَّلوات ثابت فيما أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب الصَّلاة، باب: كيف فرضت الصَّلاة في الإِسراء؟ (٧٨/١) ح (٣٤٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإِيمان، باب: الإِسراء برسول الله ﷺ، إلى السَّموات، وفرض الصَّلوات، (١٤٨/١) ح (١٦٣)، عن أَبي ذر رضي الله عنه.

الْوَقْتَيْنِ))(١).

فَفُرِضتِ الصَّلواتُ الخمسُ قبلَ الهجرةِ بنحوِ ثلاثِ سِنينَ(٢)، ولم يُفرضِ الأذانُ في ذلكَ الوقتِ(٣)، ولا بَقِيَّةُ أَركانِ الإِسلامِ(٤).

وانتَشرَ الإِسلامُ في المدينَةِ وما حَوْلَها؛ ومِن جملةِ الأَسبابِ: أَنَّ الأَوْسَ والخَزْرَجَ(٥) كان اليهودُ في المدينةِ جيرانًا لهم، وقد أَخبرُوهُم أَنَّهُم يَنْتَظِرونَ نَبِيًّا قد أَظلَّ زمانُهُ، وذكَرُوا مِن أَوصافِهِ ما دلَّهُم عليهِ، فبَادَرَ الأَوسُ والخَزْرَجُ، واجتمعُوا بالنَّبيِّ ﷺ في مكَّةَ(٦) وتَيَقَّنوا أَنَّهُ رسولُ اللهِ، وأَمَّا اليهودُ

---

(١) بنحوه أَخرجه أَحمد في مسنده، (٥/٢٠٢) ح (٣٠٨١)، والتِّرمِذِيُّ في سننه، (١/٢١٧) ح (١٤٩) والبَيْهَقِيُّ في سُننه الكُبرى، (١/٥٣٥) ح (١٧٠٢)، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما.
قال التِّرمذيُّ رحمه الله: "حديث ابن عبَّاس حديث حسن". سنن التِّرْمِذِي، (١/٢١٩).
وقال ابن عبدالبَرِّ رحمه الله: "تكلَّم بعض النَّاس في إسناد حديث ابن عبَّاس هذا، بكلام لا وجه لَهُ، وهو والله كلهم معروفو النَّسب، مشهورون بالعِلم". التَّمهيد، (٨/٢٨).
وقال الأَلبانيُّ رحمه الله: "قلت: فالسَّند حسن، والحديث صحيح بهذه المتابعة لشواهده". إرواء الغَلِيْل، (١/٢٦٨) ح (٢٤٩).

(٢) أَجمع العلماء على أَنَّ الصَّلوات الخمس فرضت ليلة الإِسراء، واختلفوا في وقت الإِسراء: فقِيل: قبل الهجرة بستَّة أَشهر، وقِيل: بثمانية أَشهر، وقيل: بسَنة، وعليه الأَكثر، وقِيل: قبلها بسنة وشهرين، وقِيل: بسنة وثلاثة أَشهر، وقِيل: بسنة وخمسة أَشهر، وقِيل: بثمانية عشر شهرًا، وقِيل: قَبل الهجرة بثلاث سنين، وهو أَشهر، وقِيل: بخمس سنين. ينظر: المحرَّر الوجيز، (٣/٤٣٥)، وفَتْح البَارِي، لابن رَجَب، (٢/٣٠٧)، وفَتْح البَارِي، لابن حَجَر، (٧/٢٠٣)، وفَتْح القَدير، (٣/٢٤٧).

(٣) شرع الأَذان في المدينة، والرَّاجح أَنَّه في السَّنة الأُولى مِن الهجرة. ينظر: التَّسهيل لعلوم التَّنزيل، (٢/٢٤١)، وفَتْح البَارِي، لابن حَجَر، (٢/٧٨).

(٤) فرضت الزَّكاة والصَّوم في السَّنة الثَّانية مِن الهجرة، وقد ذكر ذلك المؤلِّف: (ص:٦)، أَمَّا الحجُّ فسَنة تسع أَو عشر، على خلاف بين العلماء. ينظر: تفسير القرآن العظيم، (٧/١٦٤)، ومحاسن التَّأْويل، (٢/١٧، ٣٦٥).

(٥) الأَوْسُ الخَزْرَجُ: أَخوان، أَبوهما حَارِثَةُ بن ثَعْلَب بن مُزَيْقيَا، مِن الأَزد ثُمَّ قحطان، ويُقال لهما بنو: "قَيْلَة"، وهي أُمُّهم، ومنهما نشأَة قبيلتا: "الأَوْسِ والخَزْرَجِ"، هاجروا مِن اليمن، واستوطنوا المدينة، وجرت بينهما خلافات وحروب، وكانوا يحجُّون، ويقفون مع النَّاس، فإذا نفروا أَتوا "مَنَاةَ"، وحلقوا رؤوسهم عنده، حتَّى أَكرمهم الله بالإِسلام، ونصرة الرَّسول ﷺ، فنالوا شرف السَّبق والنُّصرة، ولقب الأَنصار، وأَلف الله بين قلوبهم، وجمع كلمتهم. ينظر: المعارف، لابن قُتَيْبَة، (١/١٠٩)، واللُّباب في تهذيب الأَنساب، (١/٩٣، ٤٤٠)، ونِهاية الأَرَب في معرفة أَنساب العَرب، للقَلْقَشَنْدِي، (ص:٥٢، ٩٣)، ومُعْجَم قبائل العرب القديمة والحديثة، (١/٥٠، ٣٤٢).

(٦) هذا الاجتماع في بَيْعَة العَقبة الأُولى: وكانوا اثني عشر رجلًا، ثُمَّ في بَيْعَة العَقبة الثَّانية، وكانوا ثلاثًا وسبعين رجلًا وامرأَتين، وبين البَيْعَتين عام أَو نحوه، والعَقبة الثَّانية قبل الهجرة بأَشهر يسيرة؛ ثلاثة أَشهر أَو نحوها. ينظر: التَّمهيد، (٢٣/٢٧٥)، والمنتظم في تاريخ الملوك والأُمم، (٣/٣٤)، والكامل في التَّاريخ، (١/٦٨٩-٦٩٠).

فاستولَى عليهِم الشَّقاءُ، والحَسَدُ، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾(١).

وكان المسلِمونَ في مكَّةَ في أذىً شديدٍ مِن قُرَيشٍ(٢)، فأَذِنَ لهُم النَّبيُّ ﷺ في الهِجْرةِ(٣) أوَّلًا إلى الحَبَشَةِ(٤)، ثُمَّ لَمَّا أَسلمَ كثيرٌ مِن أهلِ المدِينةِ صارتِ الهِجرةُ إلى المدِينةِ(٥).

وحِينَ خافَ أَهلُ مكَّةَ مَن هذهِ الحَالِ: اجتمعَ ملَؤُهُم ورُؤساؤُهُم في دارَ النَّدْوَةِ(٦)؛ يُريدونَ القَضاءَ التَّامَّ على النَّبيِّ ﷺ؛ فاتَّفقَ رأْيُهُم أَنْ يَنْتَخِبوا مِن قبائلِ قُرِيشٍ مِن كلِّ قَبيلةٍ رَجلًا شُجَاعًا، فَيجتمِعونَ ويَضربُونَهُ بِسُيوفِهِم ضَربةً واحدةً، قالوا: لأَجلِ أَنْ يَتفَرَّقَ دمُهُ[١٣٨] في القَبائلِ، فتَعجَزُ بنو هاشمٍ(٧) عن مُقاوَمةِ سائرِ قُرَيشٍ، فيرضَونَ بالدِّيَةِ(٨)؛ فهُم: ﴿يَمْكُرُوْنَ

(١) البقرة: ٨٩

(٢) سبق تعريفهم، (ص:٦).

(٣) الهِجْرَةُ: "مفارقة بلد إلى غيره، فإنْ كانت قُربة لله فهي الهجرة الشَّرعيَّة". الْمِصباح الْمُنِيْر، مادَّة: (هجر).
وقال عبدالرَّحمن بن حسن رحمه الله: "الانتقال من الأَوطان والمساكن، ومفارقة الأَهلين والإخوان في طاعة الله ومرضاته، فالمهاجر من هجر أَهل الكفر والمعاصي بمفارقتهم والانتقال عنهم إلى محلٍّ لا يرى فيه منكرًا، ولا يسمع فيه باطلًا؛ تحيزًا بدينه". المطلب الحميد في بيان مقاصد التَّوحيد، (ص:١٤٢).

(٤) الحَبَشَةُ: هضبة مرتفعة غرب اليمن بينهما البحر الأَحمر، ولهم صِلات قديمة مع العرب، ولِمَلِكِهم موقف مشرِّف مع الصَّحابة المهاجرين رضي الله عنهم، سنة خمس مِن البعثة، وغالبها الآن تُسمَّى: أَثيوبيا. ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم، (٣٧٤/٢)، والكامل في التَّاريخ، (٦٧٣/١)، ومُعْجَم الْمَعَالم الجغرافيَّة في السِّيرة النَّبويَّة، (ص:٩١).

(٥) أخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب المناقب، باب هجرة النَّبيِّ ﷺ وأَصحابه إلى المدينة، (٥٩/٥) ح (٣٩٠٥)، عن عائشة رضي الله عنها -في قصَّة الهجرة- أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال "للمسلِمين: ((إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ، ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ))، وَهُمَا الحَرَّتَانِ، فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قِبَلَ الْمَدِينَةِ، وَرَجَعَ عَامَّةُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الحَبَشَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ".

(٦) دَارُ النَّدْوَةِ: منزل قُصَيِّ بن كِلَابٍ، ومقرُّ اجتماعات قريش، وتشاورهم في الأُمور المهمَّة، وتقع في الجانب الشَّمالي مِن المسجد الحرام، ثُمَّ دخلت في توسعته في عهد العبَّاسيين. ينظر: مُعْجَم البُلدان، (٤٢٣/٢)، ومَعَالم مكَّة التَّأْريخيَّة والأَثريَّة، (ص:٣٠٣)، ومُعْجَم الْمَعَالم الجغرافيَّة في السِّيرة النَّبويَّة، (ص:٣١٨).

(٧) بنو هاشم: هم فصيلة رسول الله ﷺ، وعشيرته الأَقربون، واسم هاشم: عمرو بن عبد مناف بن قُصي، وكان إليه الرِّفادة، والسِّقاية بمكَّة، وانتهت إليه سيادة قريش، وسُمِّيَ هشمًا؛ لأَنَّه كان يهشم الثَّريد للحجيج، ويطعمهم. ينظر: الإنباه على قبائل الرُّواة، لابن عبد البرِّ، (ص:٤٦)، ونهاية الأَرب في معرفة أَنساب العرب، (ص:٤٣٥).

(٨) هذا الاجتماع، والاتِّفاق على القتل كان على رأْي أَبي جهل، ويذكره المفسِّرون، عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال:٣٠]. ينظر: جامع البيان، (٤٩٤/١٣-٤٩٥)، ومَعَالم التَّنزيل، (٢٨٧/٢)، وتفسير القرآن العظيم، (٤٥/٤).

﴿وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾(١).

فجاءَ الوَحْيُ إلى النَّبيِّ ﷺ، وعزمَ على الهِجرةِ، وأخبرَ أبا بكرٍ بذلكَ، وطَلبَ منهُ الصُّحبَةَ، فأَجابَهُ إلى ذلكَ(٢).

وخرجَ في تلكَ اللَّيْلَةِ التي اجتمعُوا على الإيقاعِ بهِ، وأَمرَ عَليًّا أَنْ ينامَ على فِراشِهِ(٣)، وخرجَ هو وأبو بكرٍ إلى الغارِ(٤)، فلم يَزالوا يَرْصُدونَهُ حتَّى بَرَقَ الفَجْرُ، فخرَجَ إليهم عليٌّ، فقالوا: أينَ صاحبُكَ؟ قال: لا أَدري، ثُمَّ ذهبوا يَطلبونَهُ في كلِّ وِجهةٍ، وجَعلوا الجِعالاتِ(٥) الكثيرةَ لِمَن يأْتي بهِ(٦).

كانَ الجَبَلُ الذي فيهِ الغَارُ قد امتلأَ مِن الخَلْقِ؛ يَطلبونَ رَسولَ اللهِ ﷺ، فقال أَبو بكرٍ: يا رَسولَ اللهِ لو نظرَ أَحدُهُم إلى قدمَيهِ لأَبصرَنا، فقال: ((يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا))(٧)؟.

---

(١) الأنفال: ٣٠

(٢) أخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب المناقب، باب هجرة النَّبيِّ ﷺ وأَصحابه إلى المدينة، (٥/٥٩) ح (٣٩٠٥)، عن عائشة رضي الله عنها -في قصَّة الهجرة- أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لأَبي بكر: ((فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الخُرُوجِ))، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((نَعَمْ)).

(٣) خَبَرُ نَوم عليٍّ رضي الله عنه في فِراش رسول ﷺ لَمَّا أَراد الهجرة، مشهور في السِّيَر، وبعض كتب السُّنَّة، فقد أَخرجه أَحمد في مسنده، (٥/١٧٨) ح (٣٠٦١)، والحاكم في المستدرك على الصَّحيحين، (٣/٥) ح (٤٢٦٣).
قال ابن تَيميَّة رحمه الله بعد أَنَّ ساق أَلفاظًا منه: "هذا ليس مُسندًا، بل هو مُرسَل لو ثبت عن عمرو بن ميمون، وفيه أَلفاظ هي كذب على رسول الله". مِنهاج السُّنَّة النَّبويَّة، (٥/٣٤).
وقال العِراقيُّ رحمه الله: "وفيه أَبو بَلْجٍ، مختلف فيه، والحديث منكر". الْمُغْنِي عن حَمل الأَسْفَار، (ص:١١٦٤).
وقال الأَرْنَؤُوط، ومَن معه في تَحقيق مسند أَحمد: "وقصَّة نوم عليٍّ رضي الله عنه في فِراش رسول الله ﷺ: رُويت في كتب السِّير وغيرها، وليس فيها إِسناد قائم". مسند أَحمد، (٥/١٨٥-١٨٨) ح (٣٠٦١).

(٤) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب المناقب، باب هجرة النَّبيِّ ﷺ وأَصحابه إلى المدينة، (٥/٥٩) ح (٣٩٠٥)، عن عائشة رضي الله عنها -في قصَّة الهجرة- "قَالَتْ: ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ، فَكَمَنَا فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ".
وجبل ثَوْر: جبل بارز معلوم، في جنوب مكَّة. ينظر: مُعْجَم البُلدان، (٤/١٨٢)، ومَعَالم مكَّة التَّأْرِيخيَّة، (ص:٢٧).

(٥) سبق تعريفها: (ص:٦).

(٦) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب المناقب، باب هجرة النَّبيِّ ﷺ وأَصحابه إلى المدينة، (٥/٦٠) ح (٣٩٠٦)، أَنَّ سُرَاقَةَ بْنَ جُعْشُمٍ قال: "جَاءَنَا رُسُلُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ، دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، مَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسَرَهُ".

(٧) أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠]، (٦/٦٦) ح (٤٦٦٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصَّحابة -رضي الله تعالى عنهم-، باب مِن فضائل أَبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، (٤/١٨٥٤) ح (٢٣٨١)، عن أَبي بكر رضي الله عنه.

وأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[١].

فهاجرَ إلى المدينةِ واستقرَّ بِها، وأُذِنَ لَهُ في القتالِ بعدما كانَ قبلَ الهِجرَةِ ممنوعًا[٢]؛ لِحِكمَةٍ مُشاهَدَةٍ[٣]، فقالَ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[٤].

وجَعلَ يُرسِلُ السَّرَايا[٥].

ولَمَّا كانتِ السَّنةُ الثَّانيةُ: فَرضَ اللهُ على العِبادِ الزَّكاةَ، والصِّيامَ؛ فآياتُ الصِّيامِ والزَّكاةِ إنَّما نزلتْ في هذا العامِ، وَقْتَ فَرْضِها؛ وأمَّا قولُهُ تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾[٦]؛ فإنَّ المرادُ زكاةُ القَلبِ وطَهارَتُهُ؛ بالتَّوحيدِ، وتركِ الشِّركِ[٧].

وفِي السَّنةِ الثَّانيةِ[٨] -أيضًا- كانتْ وَقْعَةُ بَدْرٍ[٩]: وسببُها أَنَّ عِيرًا لِقُرَيشٍ تَحْمِلُ تِجارَةً

---

(١) التوبة: ٤٠

(٢) قال القُرْطُبِيُّ رحمه الله: "ولم يُؤذن للنَّبيِّ ﷺ في القتال مدَّة إقامته بمكَّة، فلمَّا هاجر أُذن لَهُ في قتال مَن يقاتله مِن المشركين". الجامع لأحكام القرآن، (٣/٣٨)، وينظر: أَحكام القرآن، لابن العربي، (٣/٣٠١).

(٣) لعلَّ مِن الحِكم في ذلك: إقامة الحجَّة، والإعذار إلى الخَلق؛ ولأَنَّ المسلمين في قلَّة وضعف؛ فلو أُمروا بقتال لشقَّ عليهم؛ فلمَّا قامت الحُجَّة، وحصل الإعذار، وظهر بغْي المشركين، وأَخرجوا النَّبيَّ الكريم، وهمُّوا بقتله، وشرَّدوا أَصحابه، وحصل الاجتماع، والاستقرار بالمدينة، وصارت دار إسلام، ومعقِلًا يَلجؤون إليه شرع الله الجهاد. ينظر: أَحكام القرآن، لابن العربي، (٣/٣٠٠)، والجامع لأَحكام القرآن، (١٢/٦٩)، وتفسير القرآن العظيم، (٥/٤٣٤).

(٤) الحج: ٣٩

(٥) السَّرِيَّةُ: "قِطعة مِن الجيش". الصِّحاح، ومُختار الصِّحاح، مادَّة: (سرا).

(٦) فصلت: ٦-٧

(٧) رُوي هذا عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وقِيل: لا يقرُّون بوجوبها، وقِيل: لا يُؤَدُّون زكاة أَموالهم، ورجَّحه ابن جرِير، وغيره، واعترض ابن كثير: بأَنَّ إيجاب الزَّكاة كان في المدينة، وهذه الآية مكيَّة، إلَّا أَنْ يُقال: أَصل الزَّكاة كان مأمورًا به في ابتداء البِعثة، وأَمَّا الزَّكاة ذات المقادير ففي المدينة. ينظر: جامع البيان، (٢١/٤٣٠-٤٣١)، ومَعالم التَّنزيل، (٤/١٢٥)، وتفسير القرآن العظيم، (٧/١٦٤).

(٨) في صَباح الجمعة، لسبع عشرة مِن شهر رمضان. ينظر: السِّير والْمَغازي، (ص:١٣٠).

(٩) بَدْرٌ: اسم مكان يبعد عن المدينة النَّبويَّة خمسة وخمسين ومائة كيلًا، وهو الآن محافظة عامرة بالسُّكَّان، وقعت فيه المعركة المشهورة التي نصر الله فيها المسلمين على أَهل الأَوثان. ينظر: مُعْجَم الْمَعَالِم الجغرافيَّة، (ص:٤١).

عَظِيمةً مِن الشَّامِ؛ خرجَ النَّبيُّ ﷺ بِمَن خفَّ مِن أَصحابِهِ لِطلَبِها؛ فخرجتْ قُرَيشٌ لِحمايَتِها، وتَوافَوا في بَدْرٍ على غيرِ مِيعادٍ؛ فالعِيرُ[١] نَجَتْ، والنَّفِيرُ[٢] التَقوا معَ الرَّسولِ وأَصحابِهِ، وكانوا أَلفًا، كامِلِي العُدَدِ والخيلِ، والمسلِمونَ ثلاثمُائةٍ وبِضْعَةَ[٣] عشرَ[٤]، على سَبعينَ بَعِيرًا يَعْتَقِبُونَها[٥].

فهَزَمَ اللهُ المشرِكينَ هزيمةً عظيمةً، قُتِلَتْ سَرَوَاتُهم[٦] وصَنَادِيْدُهُم[٧]، وأُسِرَ مَن أُسِرَ مِنهُم، وأَصابَ المشرِكِينَ مُصيبةٌ ما أُصيبُوا بِمِثلِها.

وهذهِ الغَزوةُ أَنزلَ اللهُ فِيها، وفي تَفاصِيلِها سُورةَ الأَنفالِ.

وبعدما رَجعَ إلى المدينةِ مِنها مُظَفَّرًا مَنصُورًا قلَّ مَن بقِيَ[٨] لم يُسلمْ مِن الأَوسِ والخَزْرَجِ، ودخلَ بعضُهُم في الإِسلامِ نِفَاقًا؛ ولذلكَ جَميعُ الآياتِ التي نَزَلتْ في المنافِقِينَ إِنَّما كانتْ بعدَ غَزوةِ بدرٍ[٩].

---

(١) العِيْرُ: القَافِلة، والقوم الذين معهم أَحمال الطَّعام. ينظر: المفْردات، ولسان العرب، مادَّة: (عير).

(٢) النَّفِيْرُ: "القوم النَّافرون لِحَرْب أَو غيرها". جَمْهَرة اللُّغة، وينظر: العين، مادَّة: (نفر).

(٣) البِضْعُ: ما بين الثَّلاثة إلى العشرة. ينظر: جَمْهَرة اللُّغة، وتهذيب اللُّغة، مادَّة: (بضع).

(٤) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب المناقب، باب عِدَّة أَصحاب بدر، (٧٣/٥) ح (٣٩٥٨)، عن البَراءِ رضي الله عنه، قال: "كُنَّا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ، نَتَحَدَّثُ: أَنَّ عِدَّةَ أَصْحَابِ بَدْرٍ عَلَى عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهَرَ، وَلَمْ يُجَاوِزْ مَعَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ بِضْعَةَ عَشَرَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ".

(٥) يَعْتَقِبُونَهَا: يتناوبونها في الرُّكوب؛ والعُقْبَةُ: فرسخان، والفرسخ: خمسة آلاف وخمسمائة وأَربعة وخمسون مترًا. ينظر: السِّير والْمَغَازِي، (ص:٣٠٧)، والعين، مادَّة: (عقب)، وتفسير القرآن العظيم، (١٤/٤-١٥)، والإِيضاحات العصريَّة للمقاييس والمكاييل والأَوزان والنُّقود الشَّرعيَّة، لمحمَّد حلَّاق، (ص:٦٤).

(٦) السَّرْوُ: سَخاء في مروءة، وسَرَوَاتُهم: أَشرافهم. ينظر: العين، ولسان العرب، مادَّة: (سرو).

(٧) الصِنْدِيدُ: "السَّيِّد الشَّرِيف، والجمع: صَنَادِيد". مقاييس اللُّغة، وينظر: تهذيب اللُّغة، مادَّة: (صند).

(٨) س: "ذلَّ من بقي ممَّن".

(٩) بعد معركة بدر كثر النِّفاق، وخرَسَت أَلسنة المنافقين، وبعد أُحد رفع الأَخباث رُؤوسهم، وأَثناء الشِّدة والضِّيقة يوم الأَحزاب ظنُّوا أَنَّ المسلِمين قد انتهوا، وأَنَّه لم يَبق إِلَّا أَيَّام وينتهي أَمر هذا الدِّين، وهكذا حالهم في كلِّ زمان، قال ابن القيِّم رحمه الله وهو يتحدَّث عن الحِكَم في وقعة أُحُد: "فإِنَّ المسلمين لَمَّا أَظهرهم الله على أَعدائهم يوم بدر، وطار لهم الصِّيت دخل معهم في الإِسلام ظاهرًا مَن ليس معهم فيه باطنًا، فاقتضت حِكمة الله عز وجل أَنَّ سبَّب لعباده مِحْنة ميَّزت بين المؤمن والمنافق، فأَطلع المنافقون رؤوسهم في هذه الغزوة، وتكلموا بما كانوا يكتمونه، وظهرت مُخبَّآتهم، وعاد تلويحهم تصريحًا، وانقسم النَّاس إلى كافر ومؤمن ومنافق، انقسامًا ظاهرًا، وعرف المؤمنون أَنَّ لهم عدوًا في نَفْس دورهم، وهم معهم لا يفارقونهم، فاستعدُّوا لهم، وتحرَّزوا منهم". زاد الْمَعَاد، (١٩٧/٣).

ثُمَّ فِي السَّنةِ الثَّالثةِ(١) **كانتْ غزْوَةُ أُحُدٍ**(٢): غزَا المشرِكونَ، وجَيَّشُوا الجُيوشَ على المسلِمِينَ، حتَّى وصَلوا إلى أَطْرافِ المدِينةِ، وخرجَ إليهم رسُولُ اللهِ ﷺ بأَصحابِهِ وهيَّأَهُم(٣)، ورتَّبَهُم(٤)، والتَقَوا في أُحُدٍ عندَ الجبلِ المعروفِ شَماليَّ المدينةِ.

وكانتِ الدَّائِرةُ في أَوَّلِ الأَمرِ على المشرِكِينَ، ثُمَّ لَمَّا تركَ الرُّماةُ(٥) مَراكِزَهُم التي(٦) رَتَّبهُم فيها(٧) رسولُ اللهِ ﷺ، وقالَ لَهم: ((لَا تَبْرَحُوا عَنْهُ، ظَهَرْنَا أَو غُلِبْنَا))(٨)، وجاءَتِ الخَيلُ معَ تلكَ الثَّغْرةِ، وكانَ ما كانَ، حصلَ على المسلمِينَ في أُحدٍ مَقْتَلَةٌ أَكرَمَهُم اللهُ بالشَّهادةِ في سَبيلِهِ.

وذكَرَ اللهُ تَفصِيلَ هذهِ الغَزوةِ في سورةِ آلِ عِمرانَ، وبَسطَ مُتَعَلَّقاتِها(٩)؛ فالوقوفُ على هذهِ الغزوةِ مِن كُتُبِ السِّيرِ يُعِينُ على فَهْمِ الآياتِ الكثيرةِ التي نَزلتْ فِيها كبقيَّةِ الغَزَواتِ(١٠).

ثُمَّ فِي السَّنةِ الرَّابعة: تواعدَ المسلِمونَ والمشرِكونَ فِيها -في بَدرٍ- فجاءَ المسلِمونَ لِذلكَ[١٣٩] الموعدِ، وتخلَّفَ المشرِكونَ؛ مُعتَذرِينَ أَنَّ السَّنةَ مُجْدِبةٌ، فكتَبَها اللهُ غَزوةً لِلمسلِمِينَ: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾(١١).

(١) في شهر شوال. ينظر: السِّير والْمَغَازِي، (ص:٣٢١)، والسِّيرة النَّبويَّة وأَخبار الخلفاء، لابن حبَّان، (١/٥٠).
(٢) سبق تعريفه: (ص:٦).
(٣) س: "عبَّأهم".
(٤) قال ابن إسحاق رحمه الله: "وتعبَّأ رسول الله ﷺ للقتال في سبع مائة رجل، وتعبَّأت قريش، وهم ثلاثة آلاف". السِّير والْمَغَازِي (ص:٣٢٦).
(٥) جعل رسول الله ﷺ على الرُّماة يوم أُحد عبدالله بن جُبَيْر رضي الله عنه، وكانوا خمسين رجلًا. ينظر: السِّير والْمَغَازِي، (ص:٣٢٧-٣٢٨)، وتفسير القرآن العظيم، (٢/١١٠).
(٦) س: "مركزهم الذي".
(٧) س: "فيه".
(٨) بمعناه أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب الْمَغَازِي، باب غزوة أُحد، (٥/٩٤) ح (٤٠٤٣)، عن البراء بن عَازِبٍ رضي الله عنه.
(٩) أَنزل الله عز وجل في يوم أُحد ستِّين آية مِن سورة آل عمران، فيها بيان أُمَّهات القِصَّة، وأُصولها، أَولها قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِ﴾، إلى قوله جل جلاله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [آل عمران:١٢١-١٨٠]. ينظر: تفسير ابن الْمُنْذِر، (١/٣٥٧)، والدُّر المنثور، (٢/٣٠٢)، وزاد الْمَعَاد، (٣/١٨٩، ١٩٦).
(١٠) تحدَّث ابن القَيِّم رحمه الله عن غزوة أُحد بتفصيل دقيق، واستنباط عجيب؛ مُبيِّنًا ما اشتملت عليه مِن الحوادث، والأَحكام، والحِكَم، والفوائد، في زاد الْمَعَاد، (٣/١٧٢-٢١٧).
(١١) آل عمران: ١٧٤

=

ثُمَّ فِي سَنَةِ خمسٍ(١) **كانتْ غزوَةُ الخَنْدَقِ**(٢): اتَّفقَ أَهلُ الحِجَازِ(٣)، وأَهلُ نَجْدٍ(٤)، وظَاهَرَهُمْ(٥) بنُو قُرَيْظَةَ(٦)؛ مِن اليهودِ، على غزوِ النَّبِيِّ ﷺ، وجمَعُوا ما يقدِرونَ عليهِ مِن الجُنودِ، فاجتَمعَ نحوُ عشَرةِ آلافِ مُقاتِلٍ، وقَصَدُوا المدِينةَ(٧).

ولَمَّا سَمِعَ بِهِم النَّبِيُّ ﷺ خَنْدَقَ على المدينةِ، وخرجَ المسلِمونَ نحوَ الخَنْدَقِ.

وجاءَ المشرِكونَ كمَا وصَفَهُم اللهُ بقولِهِ: ﴿**إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ**﴾(٨).

استدلال المؤلِّف ﷺ بهذه الآية مَبْنِيٌّ على رأْيِ مجاهد: أَنَّهَا في غزوة بدر الصُّغرى، -التي تواعد فيها المسلمون والمشركون في بدر-، وأما جمهور المفسِّرين فيرون أَنَّهَا في حمراء الأَسد بعد أُحد. ينظر: جامع البيان، (٤١٤/٧)، والمحرَّر الوجيز، (٥٤٣/١)، ومَعَالم التَّنزيل، (٥٤٠/١)، وتفسير القرآن العظيم، (١٦٩/٢-١٧١).

(١) هذا على الرَّاجح، وقيل: سنة أربع، قال الوَاقِدِيُّ ﷺ: "عسكر رسول الله ﷺ يوم الثُّلاثاء لثمان مضت مِن ذي القَعدة، فحاصروه خمس عشرة، وانصرف يوم الأَربعاء لسبع بقِين سنة خمس". مَغَازِي الوَاقِدِي، (٤٤٠/٢-٤٤١)، وينظر: تفسير القرآن العظيم، (٣٨٣/٦-٣٨٤).

(٢) الخَنْدَقُ: خطَّ رسول ﷺ الخَندق، وقسَّمه بين أَصحابه، فحفروا مِن الجهة الشَّماليَّة الغربيَّة إِلى الشَّمالية الشَّرقيَّة، خَلف جبل سَلْع، يربط بيْن الحرَّة الغربيَّة: "وَبْرَة"، والحرَّة الشَّرقيَّة: "واقِم"؛ وكان بعمقٍ يصعب على العَدوِّ الخروج منه لو هَبطه، واتِّساعٍ يصعب على الخَيل أَنْ تَقْفِزه، ومَن فرغ مِن حِصَّته مِن المسلمين ساعد غيره. وتُسمَّى هذه الغَزوة: "الأَحزاب"؛ فكفار قريش، والأَعراب، واليهود تحزَّبوا واتَّفقوا على غزو المدينة. ينظر: مَعَالم التَّنزيل، (٦١٢/٣)، والجامع لأَحكام القرآن، (١٢٩/١٤)، ومُعْجَم الْمَعَالم الجغرافيَّة في السِّيرة النَّبويَّة، (ص:١١٣-١١٤).

(٣) الْحِجَازُ: مِن الحَجْز وهو المنع؛ لأَنَّ جبل السَّرَاة حاجز بين نجد وتهامة، والمراد بأَهل الحِجاز هنا: قريش وأَحَابِيشُهم، ومَن تابعهم مِن كِنَانة، وأَهل تهامة. ينظر: تاريخ الرُّسل والملوك، (٥٧٠/٢)، ومقاييس اللُّغة، مادَّة: (حجز)، ومَعَالم التَّنزيل، (٦١٤/٣)، ومُعْجَم البُلدان، (٢١٩/٢)، وتفسير القرآن العظيم، (٣٨٤/٦).

(٤) نَجْدٌ: النَجْدُ لغة: ما ارتفع مِن الأَرض؛ فما ارتفع عن تهامة إِلى أَرض العراق هو أَرض نجد، والمراد بأَهل نجد هنا: غَطَفَان، ومَن تابعهم مِن أَهل نجد. ينظر: تاريخ الرُّسل والملوك، (٥٧٠/٢)، ومَعَالم التَّنزيل، (٦١٤/٣)، ومُختار الصِّحاح: مادة (نجد)، وتفسير القرآن العظيم، (٣٨٤/٦)، ومُعْجَم الْمَعَالم الجغرافيَّة، (ص:٣١٢).

(٥) الْمُظَاهَرَةُ: المؤازرة، والمعاونة. ينظر: معاني القرآن، للفرَّاء، (٣٤٠/٢)، والمفْردات، مادَّة: (ظهر).

(٦) قُرَيْظَةُ: اسم رجل نزل أَولاده المدينة، ويتَّصل نسبهم بهارون ﷺ، وقد أُبيد معظمهم؛ لنقضهم العهد يوم الأَحزاب. ينظر: مَعَالم التَّنزيل، (٦٣٢/٣)، والأَنساب، للسَّمعاني، (٣٧٩/١٠)، والتَّسهيل لعلوم التَّنزيل، (١٤٩/٢).

(٧) أَبرزهم قُريش وكِنَانة والأَحابِيش، بقيادة: أَبي سُفيان، وغَطَفَان وأَهل نجد عليهم: عُيَيْنَة بن حِصْن، وأَشْجَع عليهم: مسعود بن رُخَيْلَة، وغيرهم. ينظر: مَغَازِي الوَاقِدِي، (٤٤٣/٢)، وتفسير القرآن العظيم، (٣٨٤/٦).

(٨) الأَحزاب: ١٠

ومَكَثُوا مُحاصِرِينَ المدينةَ عِدَّةَ أيَّامٍ(١).

وحالَ الخَنْدقُ بينَهُم وبيْنَ اصطِدَامِ الجُيوشِ، وحصلَ مُناوَشَاتٌ(٢) يَسِيرَةٌ بيْنَ أَفرادٍ مِن الخَيلِ(٣)، وسَبَّبَ اللهُ عِدَّةَ أَسبابٍ لانْخِذَالِ المشرِكينَ(٤)، ثُمَّ انْشَمَرُوا(٥) إلى دِيارِهم.

فلمَّا رَجعُوا خائبِينَ -لم يَنالوا ما كانُوا جازِمِينَ على حُصولِهِ- تفرَّغَ النَّبيُّ ﷺ لبَنِي قُرِيظةَ؛ الذين ظاهَرُوا المشرِكِينَ بِقَولِهم، وتَشْجِيعِهِم على قَصدِ المدِينَةِ(٦)، ومُظاهرتِهم الفِعْلِيَّةِ، ونَقْضِهِم ما كان بينَهُم وبيْنَ النَّبِيِّ ﷺ(٧)، فحاصَرَهُم(٨)، فنزلوا على حُكمِ سعدِ بن معاذٍ، فَحَكَمَ أَنْ تُقْتَلَ مُقَاتِلَتُهُم، وتُسْبَى ذَرارِيهِم(٩).

---

(١) مكث الحصار بضعًا وعشرين ليلة، قريبًا مِن الشَّهر. ينظر: السِّيرة النَّبويَّة وأخبار الخُلفاء، (١/٢٥٧)، وتفسير القرآن العظيم، (٦/٣٨٤).

(٢) الْمُناوَشَةُ: التَّناول، وتناوش القوم: إذا تناول بعضهم بعضًا. ينظر: جَمْهَرة اللُّغة، وتهذيب اللُّغة، مادَّة: (نوش).

(٣) ذكر أهل السِّير أنَّه استشهد مِن المسلمين يوم الخندق ستَّة، وقتل مِن الكفار ثلاثة. ينظر: مَغَازِي الوَاقِدِي، (٢/٤٩٥-٤٩٦)، والسِّيرة النَّبويَّة، لابن هشام، (٢/٢٥٣)، ومَعَالم التَّنزيل، (٣/٦١٦).

(٤) ومِنها: تَثبيت الله ﷻ للمؤمنين، وإصرارهم على عدم التَّنازل مِن شيءٍ مِن ثمارهم، والخلاف بين قريش وبني قُريظة، وطول مدَّة الحصار، والخندق الذي لم يَعهدوه، والرِّيح التي أكفَأَت قدورهم، ونزعت خيامهم، والملائكة التي أَلقت الرُّعب في قلوبهم، قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب:٩]. ينظر: مَغَازِي الوَاقِدِي، (٢/٤٧٧-٤٨٠)، وتفسير القرآن العظيم، (٦/٣٨٥).

(٥) انْشَمَروا: تهيَّؤوا واستعدُّوا، وأَسرعوا بجِدٍّ. ينظر: جَمْهَرة اللُّغة، ومقاييس اللُّغة، مادَّة: (شمر).

(٦) المحرِّض لهذه الغزوة هم جماعة مِن اليهود، ومنهم بنو النَّضِير؛ لَمَّا أُجلُوا مِن المدينة؛ حيث خرجوا إلى مكَّة، مستنهضِين قريشًا، وغَطَفَان، وسُلَيمًا، وبني أَسَد، ومَن أَمكنهم مِن أَهل نجد وتهامة؛ لقتال رسول الله ﷺ، ومَن معه مِن المؤمنين، وواعدوهم النُّصرة والمعونة، فأَجابوهم لذلك، ونفرت هذه الأَحزاب إلى المدينة، واجتمعت في أُحد. ينظر: السِّيرة النَّبويَّة، لابن هشام، (٢/٢١٤-٢١٥)، وتفسير القرآن العظيم، (٦/٣٨٤).

(٧) نقضوا العهد، وغدَروا برسول الله ﷺ، وظاهروا الأَحزاب، فانتقم الله منهم، قال ابن عطيَّة ﷺ: "وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾ [الأحزاب:٢٦]؛ يريد بني قُرَيْظَة، بإجماع مِن المفسِّرين". المحرَّر الوجيز، (٤/٣٧٩)، وينظر: السِّيرة النَّبويَّة، لابن هشام، (٢/٢٢٠)، وجامع البيان، (٢٠/٢٤٣).

(٨) حاصرهم خمسًا وعشرين ليلة أَشدَّ الحِصار. ينظر: السِّيرة النَّبويَّة، لابن هشام، (٢/٢٣٥)، والسِّيرة النَّبويَّة وأَخبار الخلفاء، (١/٢٦٣)، وتفسير القرآن العظيم، (٦/٣٩٧).

(٩) قال ﷻ: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب:٢٦-٢٧].
ومَسِيرُ رسول الله ﷺ إلى بني قُرَيْظَة، وحُكْمُ سَعدٍ فيهم أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب الْمَغَازِي، باب مَرجع النَّبيِّ ﷺ مِن الأَحزاب، ومَخرجه إلى بني قُرَيْظَة، ومُحاصرته إياهم، (٥/١١٢) ح (٤١٢٢)، ومسلم في صحيحه، =

وفي هذهِ الغزوةِ أنزلَ اللهُ صَدْرَ سُورةِ الأحزابِ(١)؛ مِن قولِهِ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾(٢)، إلى قولِهِ: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾(٣).

ثُمَّ فِي سَنَةِ سِتٍّ مِن الهجرةِ(٤): اعتمرَ ﷺ وأصحابُهُ عُمْرَةَ الحُدَيْبِيَةِ(٥)، وكانِ البَيْتُ لا يُصَدُّ عنهُ أَحدٌ، فعزَمَ المشركونَ على صَدِّ النَّبِيِّ ﷺ عنهُ.

ولَمَّا بلَغَ الحُدَيْبِيَةَ ورأى المشرِكينَ قد أخذتْهُمُ الحَمِيَّةُ الجاهليَّةُ جازِمِينَ على القِتالِ دخلَ معهُم في صُلْحٍ؛ لِحَقْنِ الدِّماءِ في بيتِ اللهِ الحَرامِ؛ ولِمَا في ذلكَ مِن المصَالِحِ(٦).

وصارَ الصُّلحُ على أَنْ يَرْجِعَ النَّبِيُّ ﷺ عَامَهُ هذا، ولا يَدخلَ البَيْتَ، ويكونَ القَضاءُ مِن العامِ المُقبلِ(٧)، وتَضعَ الحربُ أوزارَها بينَهُم عشرَ سِنينَ(٨).

كتاب الجهاد والسِّيَر، باب جواز قتال مَن نقض العهد، وجواز إنزال أهل الحصن على حكم حاكم عَدْل أهل للحُكم، (١٣٨٩/٣) ح (١٧٦٩)، عن عائشة رضي الله عنها.

(١) قال مَكِّيُّ بن أَبي طالب رحمه الله: "وأَنزل الله في ذلك تسعًا وعشرين آية أَوَّلها: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [الأحزاب:٩]". الهداية إِلى بلوغ النِّهاية، (٥٨٠٤/٩).

(٢) الأحزاب: ٩

(٣) الأحزاب: ٢٧

(٤) في شهر ذي القَعدة. ينظر: مَغَازِي الوَاقِدِي، (٥/١)، وجوامع السِّيرة النَّبويَّة، (ص:١٦٤).

(٥) سبق تعريفها: (ص:٦٠).

(٦) أخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الشُّروط، باب الشُّروط في الجهاد والمصالحة مع أَهل الحرب وكتابة الشُّروط، (١٩٣/٣) ح (٢٧٣١)، عن الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، ومَروان بن الحَكَم -مُرسلًا- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا)).

(٧) أخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الصُلح، باب الصُّلح مع المشركين، (١٨٥/٣) ح (٢٧٠٠)، عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنهما، قَالَ: "صَالَحَ النَّبِيُّ ﷺ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: عَلَى أَنَّ مَنْ أَتَاهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ رَدَّهُ إِلَيْهِمْ، وَمَنْ أَتَاهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَرُدُّوهُ، وَعَلَى أَنْ يَدْخُلَهَا مِنْ قَابِلٍ، وَيُقِيمَ بِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَلَا يَدْخُلَهَا إِلَّا بِجُلُبَّانِ السِّلَاحِ؛ السَّيْفِ وَالقَوْسِ وَنَحْوِهِ".

(٨) خَبَرُ الحُدَيْبِيَة والصُّلح وما جرى فيها أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب الشُّروط، باب الشُّروط في الجهاد والمصالحة مع أَهل الحرب وكتابة الشُّروط، (١٩٣/٣-١٩٧) ح (٢٧٣١)، عن الْمِسْوَرِ بن مَخْرَمَة، ومروان بن الحَكَم، وروايتهما هنا مُرسلة؛ فالْمِسْوَر لم يحضر القِصَّة، ومَرْوَان لا صُحبة لَهُ، ولكنَّهما يُخبران عن أَصحاب رسول الله ﷺ، كما عند البخاريِّ، كتاب الشُّروط، باب ما يجوز مِن الشُّروط في الإِسلام والأَحكام والمبايعة، (١٨٨/٣) ح (٢٧١١)، قال ابن حَجَر رحمه الله: "وقد سمع الْمِسْوَر ومَرْوَان مِن جماعة مِن الصَّحابة شهدوا هذه
=

فَكَرِهَ جمهورُ المسلِمينَ هذا الصُّلحَ حِينَ توهَّمُوا أَنَّ فيهِ غَضَاضةً على المسلِمينَ[١]، ولم يَطَّلعُوا على ما فيهِ مِن المصالِحِ الكثيرةِ.

فرجعَ ﷺ عامَهُ ذلكَ، وقَضَى هذهِ العُمرَةَ في عامِ سَبعٍ مِن الهِجرَةِ[٢]، فأَنزلَ اللهُ في هذهِ القَضِيَّةِ سورةَ الفتحِ[٣] بأكملِها: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[٤].

فكانَ هذا الفتحُ؛ لِمَا فيهِ مِن الصُّلحِ الذي تَمكَّنَ فيهِ المسلمونَ مِن الدَّعوَةِ إِلى الإِسلامِ، ودُخولِ النَّاسِ في دِينِ اللهِ؛ حِينَ شاهدُوا ما فيهِ مِن الخَيرِ، والصَّلاحِ والنُّورِ[٥].

وقد تقدَّمَ أَنَّ قِصَّةَ بنِي قُرَيظَةَ دخلتْ في ضِمنَ قصَّةِ الخَندقِ[٦].

القِصَّة؛ كعمر وعثمان وعليٍّ، والْمُغِيرة وأُم سَلَمة، وسَهْل بن حُنَيف وغيرهم، ووقع في نفس هذا الحديث شيء يدلُّ على أنَّه عن عمر". فَتْح البَارِي، (٥/٣٣٣)، وينظر: تفسير القرآن العظيم، (٧/٣٥٤).

ونصُّ الاتِّفاق، وذِكْر المدَّة في مسند أحمد، (٣١/٢١٢) ح (١٨٩١٠)، قال الأَرْنَؤُوط، ومَن معه في تحقيق المسنَد: "إسناده حسن"، (٣١/٢٢٠).

(١) يدلُّ على ذلك موقف عمر رضي الله عنه في الحُدَيْبِيَة، فقد أخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨]، (٦/١٣٦) ح (٤٨٤٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسِّير، باب صلح الحُدَيْبِيَة في الحُدَيْبِيَة، (٣/١٤١١) ح (١٧٨٥)، واللَّفظ لَهُ، عن سَهْل بن حُنَيْفٍ رضي الله عنه، قال: "لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا، وَذَلِكَ فِي الصُّلْحِ الَّذِي كَانَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ، فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ؟ قَالَ: ((بَلَى))، قَالَ: أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: ((بَلَى))، قَالَ: فَفِيمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا، وَنَرْجِعُ، وَلَمَّا يَحْكُمِ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَقَالَ: ((يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنِّي رَسُولُ اللهِ وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللهُ أَبَدًا))، قَالَ: فَانْطَلَقَ عُمَرُ فَلَمْ يَصْبِرْ مُتَغَيِّظًا، فَأَتَى أَبَا بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَعَلَامَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا، وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنَّهُ رَسُولُ اللهِ وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللهُ أَبَدًا، قَالَ: فَنَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْفَتْحِ، فَأَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ، فَأَقْرَأَهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْ فَتْحٌ هُوَ؟ قَالَ: ((نَعَمْ))، فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَرَجَعَ".

(٢) أخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الحجِّ، باب كم اعتمر النَّبيُّ ﷺ؟ (٣/٣) ح (١٧٧٩)، عن أَنَس رضي الله عنه، قال: "اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ حَيْثُ رَدُّوهُ، وَمِنَ القَابِلِ عُمْرَةَ الحُدَيْبِيَةِ، وَعُمْرَةً فِي ذِي القَعْدَةِ، وَعُمْرَةً مَعَ حَجَّتِهِ".

(٣) كما في خبر سَهْل بن حُنَيْفٍ في المرجع قبل السَّابق.

(٤) الفتح: ١

(٥) ساق ابن القَيِّم رحمه الله قصَّة الحُدَيْبِيَة، واستنبط منها حِكَمًا، وفوائد عظيمة متنوِّعة، في زاد الْمَعَاد في هدي خير العباد، (٣/٢٥٥-٢٨١).

(٦) سبق ذلك: (ص:٦).

و[١] أَمَّا قَبِيلةُ بَنِي النَّضِيْرِ[٢] مِن اليهودِ فإِنَّها قَبْلَ ذلكَ[٣]؛ حينَ هَمُّوا بالفَتْكِ بالنَّبِيِّ ﷺ[٤] -وكانُوا على جانبِ المدينةِ[٥]- غَزاهُمْ ﷺ، واحتَمَوا بِحُصُونِهِم[٦]، ووَعَدَهُم المنافِقونَ -حُلفَاؤُهُم- بِنُصرَتِهِم[٧]، فأَلقَى اللهُ الرُّعبَ في قُلوبِهِم[٨]، وأَنْزَلَهم رسولُ اللهِ ﷺ على أَنْ يُجْلَوا عن دِيارِهِم، ولَهُم ما حَمَلتِ إِبِلُهُم، ويدَعُوا الأَرضَ والعَقارَ، وما لم تَحْمِلْهُ الإِبلُ لِلمسلِمِينَ؛ فأَنزلَ اللهُ في هذهِ القَضيَّةِ

---

(١) "و"، ليست في: (س).

(٢) النَّضِيْرُ: رهْط مِن اليهود، يتَّصل نسبهم بهارون ﷺ، نزلوا المدينة في فتنٍ بني إسرائيل، وقد خانوا ونقضوا العهد، وحاولوا قتل رسول الله ﷺ، فتمَّ إجلاؤهم منها، فتفرَّقوا في خيبر والشَّام وغيرهما. ينظر: الأَنساب، للسَّمعاني، (١٣/١٢٨)، وتفسير القرآن العظيم، (٨/٥٨).

(٣) كانت بعد أُحد، وقال عُرْوَة ﷺ: "كانت على رأْس ستَّة أَشهر مِن وقعة بدر". صحيح البخاري، (٥/٨٨). وردَّه ابن القيِّم ﷺ، فقال: "وهذا وهم منه أَو غلط عليه، بل الذي لا شكَّ فيه أَنَّها كانت بعد أُحد، والتي كانت بعد بدر بستة أَشهر هي غزوة بني قَيْنُقَاعٍ، وَقُرَيْظَةُ بعد الخندق، وخيبر بعد الحُدَيْبِيَة، وكان لَهُ مع اليهود أَربع غزوات، أَولها: غزوة بني قَيْنُقَاع بعد بدر، والثَّانية: بني النَّضِيرِ بعد أُحد، والثَّالثة: قُرَيْظَة بعد الخندق، والرَّابعة: خيبر بعد الحُدَيْبِيَة". زاد الْمَعَاد، (٣/٢٢٣)، وينظر: وتفسير القرآن العظيم، (٨/٦٠).

(٤) المشهور عند أَهل السِّير أَنَّهم حاولوا قتله بإلقاء صخرة عليه وهو جالس؛ لَمَّا ذهب إليهم ليعينوه على دية الرَّجلين الذين قتلهما عَمرو بن أُميَّة الضَّمريُّ، وهناك سبب أَقوى وأَصحُّ سندًا، -كما ذكر ابن حَجَر- وذلك أَنَّ كفار قريش كتبوا -بعد بدر- إلى اليهود يهدِّدونهم إنْ لم يقاتلوا رسول الله ﷺ، فأَجمع بنو النَّضير على الغدر، وأَرسلوا إلى رسول ﷺ اخرج إلينا في ثلاثة مِن أَصحابك، ويلقاك ثلاثة مِن علمائنا، فإِنْ آمنوا بك اتَّبعناك، ففعل، فاشتمل اليهود الثَّلاثة على الخناجر، فأَرسلت امرأَة مِن بني النَّضِير إلى أَخ لها مِن الأَنصار مسلم تخبره، فأَخبر النَّبيَّ ﷺ قبل أَنْ يصل إليهم، فرجع، ثُمَّ حاصرهم، حتَّى نزلوا على الجلاء، وأَنَّ لهم ما أَقلَّت الإِبل إلَّا السِّلاح، وعلى أَنْ يُخلوا ديارهم، وعقارهم، وأَموالهم. ينظر: مَغَازِي الوَاقِدِي، (١/٣٦٤)، وأَسباب النُّزول، للواحدي، (ص:٤١٧)، وفَتْح البَارِي، لابن حَجَر، (٧/٣٣١).

(٥) مساكنهم في العَوَالي؛ في الجنوب الشَّرقي للمدينة. ينظر: السِّيرة النَّبويَّة، للنَّدوي، (ص:٢٥١)، ومكَّة والمدينة في الجاهليَّة وعهد الرَّسول ﷺ، لأَحمد الشَّريف، (ص:٢٤٦)، والْمَعَالم الأَثيرة في السُّنَّة والسِّيرة، (ص:٢٨٨).

(٦) قال ﷻ: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الحشر:٢].

(٧) قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١١ لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [الحشر:١١-١٢].

(٨) قال ﷻ: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ﴾ [الحشر:٢].

أَوَّلَ سورةِ الحَشْرِ[١]: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾[٢]،[١٤٠] إلى آخرِ القِصَّةِ[٣].

وفِي سَنَةِ ثمانٍ مِن الهِجْرةِ[٤]: وقد نَقَضَتْ قُرَيْشٌ[٥] العَهدَ الذي بينَهُم وبيْنَ النَّبِيِّ ﷺ غزا مكَّةَ، في جُنْدٍ كثِيفٍ مِن المسلِمينَ، يُقاربُ عشرةَ آلافٍ، فدخلَها فاتِحًا لَها[٦]، ثُمَّ تمَّمَها بغزوِ حُنَيْنٍ[٧] على هَوَازِنَ[٨]، وثَقِيْفٍ[٩]، فتمَّ بذلكَ نَصْرُ اللهِ لرسولِهِ ولِلمسلِمينَ[١٠]، وأنزلَ اللهُ في ذلكَ أَوَّلَ سُورةِ التَّوبةِ[١١].

(١) أخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب التَّفسير، باب. . . ، (١٤٧/٦) ح (٤٨٨٢)، ومسلم في صحيحه، باب في سورة براءة والأنفال والحشر، (٢٣٢٢/٤) ح (٣٠٣١)، عن سَعِيد بن جُبَيرٍ ﷺ، "قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: سُورَةُ الحَشْرِ، قَالَ: نَزَلَتْ فِي بَنِي النَّضِيرِ".

(٢) الحشر: ٢

(٣) تنتهي قِصَّتهم، وحال أَهل النِّفاق معهم بنهاية الآية السَّابعة عشرة، مِن سورة الحشر.

(٤) لِعَشر بقِين مِن شهر رمضان. ينظر: السِّيرة النَّبويَّة، لابن هشام، (٤٣٧/٢)، وجوامع السِّيرة النَّبويَّة، (ص:١٨٧).

(٥) سبق تعريفهم، (ص:٦).

(٦) في صلح الحُدَيْبِيَة دخلت خُزَاعَة في عَقد رسول الله ﷺ، ودخلت بنو بَكْر في عَقد قريش، وفي أَثناء الْمُدَّة اعتَدَت بنو بَكْر على خُزَاعَة بمساعدة مِن قريش، وبذلك نقضوا العهد، فاستنجدت خُزَاعة برسول الله ﷺ فنصرهم. ينظر: مَغَازِي الوَاقِدِي، (٧٨٣/٢-٧٩١)، والسِّيرة النَّبويَّة، لابن هشام، (٣٩٤/٢)، ومَعَالم التَّنزيل، (٣١٨/٥-٣١٩).

(٧) سبق تعريفه: (ص:٦).

(٨) هَوازِنُ: قَبيلةٌ مُضَرِيَّة، وبطون كثيرة، وهم بنو هَوَازِن بن منصور بن عِكرِمَة بن خَصَفَة بن قَيس بن عَيْلان. ينظر: أَنساب الأَشراف، (٣٦٤/١)، وعُجَالَةُ المبتدي وفُضَالَةُ المنتهي في النَّسب، للحازمي، (ص:١٢٥)، وقلائد الجُمان في التَّعريف بقبائل عرب الزَّمان، للقَلْقَشَنْدِي، (ص:١١٥).

(٩) ثَقِيْفٌ: بطن مِن هَوَازِن، اشتهروا باسم أَبيهم: ثَقِيف بن مُنَبِّه بن بَكْر بن هَوَازِن بن منصور بن عِكْرِمَة بن خَصَفَة بن قَيس بن عَيْلان بن مُضَر، وقيل: ثَقِيف لقب، واسمه: قَسِيٌّ، وقِيل: عمرو، ونزلت أَكثر هذه القبيلة في الطَّائف، وانتشرت في البلاد. ينظر: جَمْهَرة أَنساب العرب، لابن حزم، (٤٦٨/١)، والأَنساب، للسَّمعاني، (١٣٩/٣)، ونِهاية الأَرَب في معرفة أَنساب العرب، (ص:١٩٨).

(١٠) قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۝٢٥ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة:٢٥-٢٦].

(١١) لعلَّها هي الآيات التي أَمر رسول الله ﷺ عليًّا رضي الله عنه أَنْ يقرأَها على النَّاس في الحجِّ، قِيل: أَربعون آية صدر سورة براءة، وقِيل: ثلاثون، وقِيل: ثمان وعشرون آية، وقيل عشر. ينظر: جامع البيان، (١١٢/١٤)، والمحرَّر الوجيز، (٦/٣).

وفِي سَنَةِ تسعٍ مِن الهِجْرَةِ: غزَا تبُوْكَ(١)، وأَوْعَبَ(٢) المسلِمُونَ معهُ(٣)، ولم يَتَخَلَّفْ إِلَّا أَهلُ الأَعذارِ(٤)، وأُناسٌ مِن المنافِقِينَ(٥)، وثلاثةٌ مِن صُلَحاءِ المؤمِنِينَ(٦): كَعْبُ بنُ مالكٍ، وصَاحِباهُ(٧).

كان الوقتُ شَديدًا، والحرُّ شَديدًا(٨)، والعدوُّ كَثيرًا(٩)، والعُسْرةُ مُشْتدَّةٌ(١٠)، فوصَلَ إلى تبُوكَ،

---

(١) تبُوْك: منطقة شمال غرب المملكة العربيَّة السُّعوديَّة، وتبعد عن "المدينة" ثمان وسبعون وسبعمائة كيلًا، وكانت ديارًا لقُضَاعة، تحت سلطة الرُّوم، والغزوة في: رجب سنة تسع مِن الهجرة. ينظر: السِّيرة النَّبويَّة، لابن هشام، (٢/٥١٥-٥١٦)، والكامل في التَّاريخ، (٢/١٤٥)، ومُعْجَم الْمَعَالم الجغرافيَّة، (ص:٥٩).

(٢) أَوْعَبَ: مِن "أَوْعَبَ القوم: إذا حَشَدوا، وجاءوا مُوعِبِينَ: إذا جمعوا ما استطاعوا مِن جمع". الصِّحاح، وينظر: لسان العرب، مادَّة: (وعب).

(٣) قُدِّر العدد بثلاثين أَلفًا. ينظر: مَغَازِي الوَاقِدِي، (٣/٩٩٦)، وتفسير القرآن العظيم، (٤/١٣٢).

(٤) قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة:٩١-٩٢].

(٥) أخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الْمَغَازِي، باب حديث كعب بن مالك، وقول اللهِ ﷻ: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ [التوبة:١١٨]، (٦/٤) ح (٤٤١٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، (٤/٢١٢٣) ح (٢٧٦٩)، عن كعب ﷺ، قال: "جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَانِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ".

(٦) قال تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة:١١٨].

(٧) هما: مُرارَة بن الرَّبيع العَمْري، وهِلَال بن أُمَيَّة الوَاقِفِي، رجلان صالحان، قد شهدا بدرًا، والثَّلاثة أبطأت بهم النِّية عن الخروج مع رسول الله ﷺ حتَّى تخلَّفوا عنه مِن غير شكٍّ، ولا نفاقٍ، وقِصَّتهم عند البخاريُّ في صحيحة، كتاب الْمَغَازِي، باب حديث كعب بن مالك، وقول اللهِ ﷻ: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾، (٦/٣) ح (٤٤١٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب التَّوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، (٤/٢١٢٠) ح (٢٧٦٩)، وينظر: مَغَازِي الوَاقِدِي، (٣/٩٩٦)، والتَّسهيل لعلوم التَّنزيل، (١/٣٤٩)، وسِيَر أعلام النُّبلاء، (٢/٥٢٣-٥٣٠)، وتفسير القرآن العظيم، (٤/٢٢٩-٢٣٠)، والإصابة، لابن حَجر، (٥/٤٥٦-٤٥٨).

(٨) قال ﷻ: ﴿وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة:٨١].

(٩) قال المؤرِّخون إنَّ هِرَقْل رَزَق أصحابه لِسَنَة، فتجمَّعت جموع كثيرة، وأَجْلَبَتْ معه لَخْمٌ، وجُذَامُ، وغَسَّانُ، وعَامِلَةُ. ينظر: مَغَازِي الوَاقِدِي، (٣/٩٩٠)، والمنتظم في تاريخ الملوك والأُمم، (٣/٣٦٢).

(١٠) قال البَغَوِيُّ ﷺ عند قوله تعالى: ﴿فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ [التوبة:١١٧]؛ "أَيْ: في وقت العُسْرة، ولم يُرِد ساعة بعَينها، وكانت غزوة تبوك تسمَّى: غزوة العُسْرة، والجيش يسمَّى: جيش العُسرة، والعُسرة: الشِّدة، وكانت عليهم =

ومَكثَ عِشرينَ يومًا[١]، ولم يَحصلْ قِتالٌ، فرجعَ إلى المدينةِ[٢].

فأَنزلَ اللهُ في هذهِ الغزوةِ آياتٍ كثيرةً مِن سُورةِ التَّوبةِ، يَذكُرُ -تعالى- تفاصِيلَها وشِدَّتَها، ويُثْني على المؤمِنينَ[٣]، ويَذُمُّ المنافِقينَ وتَخلُّفَهم[٤]، ويَذْكُرُ توبتَهُ: ﴿عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾[٥]، ويَدخلُ معَهُم الثَّلاثةُ الذين خُلِّفُوا[٦] بعد توبتِهم،

عُسْرة في الظَّهر والزَّاد والماء". مَعَالم التَّنزيل، (٢/٣٩٧).

(١) نصَّ عليه ابن كثيرﷺ. ينظر: تفسير القرآن العظيم، (٤/١٣٢).

(٢) أخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الجهاد والسِّير، باب استقبال الغزاة، (٤/٧٦) ح (٣٠٨٣) عن السَّائِب بن يزيدﷺ، قال: "ذَهَبْنَا نَتَلَقَّى رَسُولَ اللَّهِﷺ مَعَ الصِّبْيَانِ إِلَى ثَنِيَّةِ الوَدَاعِ".
ولعلَّهم يردِّدونَ -إنْ صحَّ-:

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا ... مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعْ
وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا ... مَا دَعَا لِلَّهِ دَاعْ

قال ابن القيِّمﷺ: "وبعض الرُّواة يَهِم في هذا، ويقول: إنَّما كان ذلك عند مَقدَمه إلى المدينة مِن مكَّة، وهو وهم ظاهر؛ لأنَّ ثَنِيَّات الوداع إنَّما هي مِن ناحية الشَّام، لا يراها القادم مِن مكَّة إلى المدينة، ولا يمر بها إلَّا إذا توجَّه إلى الشَّام". زاد الْمَعَاد، (٣/٤٨٢)، وينظر: فَتْح البَارِي، لابن حَجَر، (٧/٢٦٢).

(٣) قالﷻ: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التوبة:٨٨].

(٤) قالﷻ: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة:٤٢]، وقالﷻ: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّاۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓۖ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة:٨١-٨٧].

(٥) التوبة: ١١٧

(٦) سبق ذِكرهم: (ص:٦).

وإنابتِهم[١].

وفي مَطَاوِي[٢] هذهِ الغزواتِ يذكُرُ اللهُ آياتِ الجهادِ، وفرضَهُ، وفَضلَهُ، وثوابَ أَهلِهِ، وما للنَّاكِلِيْنَ عنهُ مِن الذُّلِّ العاجلِ، والعِقابِ الآجلِ، كما أَنَّهُ في أثناءِ هذهِ الْمُدَّةِ يُنزِّلُ اللهُ الأَحكامَ الشَّرعيَّةَ شيئًا فشيئًا؛ بحسَبِ ما تقتضيهِ حِكْمتُهُ[٣].

وفي سِنةِ تِسعٍ مِن الهِجْرةِ أَو سَنةِ عشرٍ: فرضَ اللهُ الحجَّ على المسلِمِينَ[٤]، وكان أَبو بكرٍ حَجَّ بالنَّاسِ سَنةَ تِسعٍ[٥]، ونبذَ إلى المشرِكينَ عُهودَهُم، وأَتمَّ عُهُودَ الذينَ لم يَنْقُضُوا[٦]، ثُمَّ حَجَّ

---

(١) وكلُّهم مِن الأَنصار، قال الرَّازيُّ رحمه الله -في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ [التوبة:١١٨]-: "هذا معطوف على الآية الأُولى، والتَّقدير: لقد تاب الله على النَّبيِّ والمهاجرين والأَنصار الذين اتَّبعوه في ساعة العسرة وعلى الثَّلاثة الذين خُلِّفوا، والفائدة في هذا العطف أَنَّا بيَّنا أَنَّ مَن ضُمَّ ذِكْر توبته إلى توبة النَّبيِّ ﷺ، كان ذلك دليلًا على تعظيمه وإجلاله، وهذا العطف يوجب أَنْ يكون قبول توبة النَّبيِّ ﷺ وتوبة المهاجرين والأَنصار في حكم واحد، وذلك يوجب إعلاء شأْنهم وكونهم مستحِّقين لذلك". تفسير الرَّازي، (١٦/١٦٤)، وينظر: جامع البيان، (١٤/٥٤٤).

(٢) مَطَاوِي: أَيْ: ضِمن وداخل، مِن طَوِيَ: وهو يدلُّ على الإخفاء والإضمار، و"على إدراج شيء حتَّى يُدْرَج بَعْضُه في بعض". مقاييس اللُّغة، وينظر: جَمْهرة اللُّغة، ومُعْجَم الصَّواب اللُّغوي، مادَّة: (طوي).

(٣) قال جل جلاله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٣٨ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة:٣٨-٣٩].

(٤) قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧].
قال ابن القيِّم: "نزلت عام الوُفود أَواخر سَنَة تسع". زاد الْمَعَاد، (٣/٥٢٠)، وأَحكام القرآن، للجصَّاص، (٥/٦٤).

(٥) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الْمَغَازِي، باب حجِّ أَبي بَكْر بالنَّاس في سنة تسع، (٥/١٦٧) ح (٤٣٦٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحجِّ، باب لا يحجُّ البيت مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، وبيان يوم الحجِّ الأَكبر، (٢/٩٨٢) ح (١٣٤٧)، "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه بَعَثَهُ، فِي الحَجَّةِ الَّتِي أَمَّرَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهَا قَبْلَ حَجَّةِ الوَدَاعِ، يَوْمَ النَّحْرِ فِي رَهْطٍ يُؤَذِّنُ فِي النَّاسِ: ((لَا يَحُجُّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ))".

(٦) قال عز وجل: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٤ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:٣-٥].

النَّبيُّ ﷺ بالمسلِمِينَ سنةَ عشْرٍ، واستوعَبَ المسلمِينَ معَهُ(١)، وأَعْلَمهُم بمناسكِ الحجِّ والعُمرةِ؛ بقولِهِ وفِعلِهِ(٢)، وأَنزلَ اللهُ الآياتِ التي في الحَجِّ وأَحكامِهِ(٣)، وأَنزلَ اللهُ يومَ عرَفَةَ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾(٤).

فلم يَبقَ مِن العُلومِ النَّافعةِ عِلمٌ إِلَّا بيَّنَهُ لهُم؛ فإِنَّ القرآنَ تبيانٌ لكلِّ شَيءٍ؛ فعُلومُ الأُصولِ وعُلومُ الفُروعِ والأَحكامِ، وعُلومُ الأَخلاقِ والآدابِ، وعُلومُ الكَونِ، وكلُّ ما(٥)[١٤١] يَحتاجهُ الخَلقُ مِن ذلكَ اليومِ إلى أَنْ تَقومَ السَّاعةُ، فَفِي القرآنِ بَيانُهُ(٦)، والإِرشادُ إِليهِ(٧)، وهو الذي إِليهِ المرجِعُ في جميعِ الحقائقِ الشَّرعِيَّةِ والعَقليَّةِ.

ومُحالٌ ومُمْتَنِعٌ أَنْ يأْتِيَ عِلمٌ صحيحٌ -لا مَحسُوسَ ولا مَعقُولَ- يَنْقُضُ شيئًا مِمَّا جاءَ بِهِ القُرآنُ؛

---

(١) أَخرج مسلم في صحيحه، كتاب الحجِّ، باب حجَّة النَّبيِّ ﷺ، (٢/٨٨٦) ح (١٢١٨)، أَنَّ جابرًا ؓ قال: "إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ، ثُمَّ أَذَّنَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَاجٌّ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشَرٌ كَثِيرٌ، كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِ".

(٢) أَخرج مسلم في صحيحه، كتاب الحجِّ، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النَّحر راكبًا، وبيان قوله ﷺ: (لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ)، (٢/٩٤٣) ح (١٢٩٧)، عن جابر ؓ قال: "رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَرْمِي عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ، وَيَقُولُ: (لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ)".

(٣) من قوله ﷻ: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ إلى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة:١٩٦-٢٠٣].

(٤) المائدة: ٣

أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الْمَغَازِي، باب حجَّة الوداع، (٥/١٧٧) ح (٤٤٠٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب التَّفسير، باب في تفسير آيات متفرِّقة، (٤/٢٣١٢) ح (٣٠١٧)، عن طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، "أَنَّ أُنَاسًا، مِنَ الْيَهُودِ قَالُوا: لَوْ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِينَا لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا، فَقَالَ عُمَرُ: أَيَّةُ آيَةٍ؟ فَقَالُوا: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، فَقَالَ عُمَرُ ؓ: إِنِّي لَأَعْلَمُ أَيَّ مَكَانٍ أُنْزِلَتْ أُنْزِلَتْ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاقِفٌ بِعَرَفَةَ".

(٥) خ: "كلَّما"، والصَّواب "كلّ ما"، لأَنَّ: "كلَّما" أَداة شرط تفيد التّكرار، وليس مرادًا هنا، وإِنَّما المراد: "كل" المفيدة للعموم، و: "ما" بمعنى: الذي. ينظر: الإملاء والتَّرقيم في الكتابة العربيَّة، (ص:٩٠).

(٦) قال ﷻ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩].

قال ابن كثير ؒ: "قال ابن مسعود: وقد بَيَّنَ لنا في هذا القرآن كلَّ عِلم، وكلَّ شيء، وقال مجاهد: كلَّ حلال وحرام، وقول ابن مسعود: أَعمُّ وأَشمل؛ فإِنَّ القرآن اشتمل على كلِّ علم نافع مِن خبرِ ما سبق، وعلمِ ما سيأْتي، وحُكم كلِّ حلال وحرام، وما النَّاس إِليه مُحتاجون في أَمر دُنياهم ودِينهم، ومَعاشهم، ومَعادهم". تفسير القرآن العظيم، (٤/٥٩٤).

(٧) ومِمَّا أَرشد إِليه القرآن اتِّباع الرَّسول ﷺ، قال ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧].

فإِنَّهُ: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(١)، ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾(٢)، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾(٣)، ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾(٤)، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾(٥)؛ فهذِهِ الآيةُ جمعتْ بينَ نوعَي العلومِ؛ فإِنَّ العُلومَ:

- مَسائلُ(٦)، ومَقاصدُ؛ وهو الحقُّ الذي يقولُهُ اللهُ في كتابِهِ، وعلى لسانِ رسولِهِ.
- ونوعٌ وَسائلُ؛ وهو الهدايةُ إِلى السَّبيلِ إِلى كلِّ عِلمٍ، وعَملٍ.

كمَا أَنَّ قولَهُ تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾(٧)، جَمعتِ الكَمالَ في أَلفاظِهِ ومَعانيهِ؛ فأَلفاظُهُ أَوضحُ الأَلفاظِ وأَبلغُها، وأَحسَنُهَا تفسِيرًا؛ لكلِّ ما تُفسِّرُهُ مِن الحقائقِ؛ بوضوحِها، وأَحكامِها، وقَوامِها، ومَعانِيهِ كلُّها حقٌّ، وذلكَ أَنَّهُ: ﴿تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾(٨)؛ ﴿صِدْقًا﴾: في أَخبارِها، ﴿وَعَدْلًا﴾: في أَحكامِها؛ أَوامِرِهَا ونَواهِيها: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(٩)؛ فأَحكامُهُ على الإِطلاقِ أَحسَنُ الأَحكامِ، وأَنفَعُها للعبادِ؛ فهذا في شَرعِهِ ودِينِهِ، ونَظِيرُهُ في خلقِهِ، ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾(١٠).

---

(١) فصلت: ٤٢

(٢) الآية السَّابقة.

(٣) النساء: ٨٢

(٤) الإسراء: ٩

(٥) الأحزاب: ٤

(٦) س: "وسائل"، والصَّواب ما تمَّ إِثباته؛ لأَنَّه الذي ينطبق عليه التعريف بعده؛ وقد جاء التصرَّح بالثَّاني بقوله: "ونوع وسائل".

(٧) الفرقان: ٣٣

(٨) الأنعام: ١١٥

(٩) المائدة: ٥٠

(١٠) السجدة: ٧

وقد جَمعَ اللهُ في كِتابهِ بيْنَ الْمُتَقابِلاتِ(١) **العامَّةِ**؛ وذلك لِكمالِ هذا الكِتابِ وإحكامِهِ؛ كالأَمثلةِ السَّابقةِ(٢)؛ وكمَّا في قولِهِ تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾(٣).

فإِنَّ البِرَّ: اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبُّهُ اللهُ ويرضاهُ؛ مِن العقائدِ، والأَخلاقِ، والأَعمالِ(٤).

والتَّقْوى: اسمٌ جامعٌ لِمَا يَجبُ اتِّقاؤُهُ؛ مِن جميعِ الْمَآثِمِ والْمَضارِّ(٥)؛ ولِهذا قال: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾(٦).

فالإِثمُ: المعاصِي المتعلِّقةُ بحُقوقِ اللهِ، ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾: البَغْيُ على الخَلقِ في الدِّماءِ، والأَموالِ، والأَعراضِ، والحُقوقِ(٧).

وكذلكَ قولُهُ تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾(٨)؛ فجَمعَ بيْنَ زادِ سفَرِ الدُّنيا، وزادِ سفَرِ الآخرةِ بالتَّقوى(٩).

وكذلكَ قولُهُ تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا﴾(١٠)؛ فهذا اللِّباسُ الحِسِّيُّ؛

(١) الْمُقَابَلَةُ: نوع مِن البيان، وصناعة البديع، وتزيين الكلام، وقد عرفها الزَّرْكَشِيُّ بأَنَّها: "ذكر الشَّيء مع ما يوازيه في بعض صفاته، ويخالفه في بعضها، وهي مِن باب المفاعَلة؛ كالمقابلة والمضاربة، وهي قريبة مِن الطِّباق". البُرهان في علوم القرآن، (٣/٤٥٨-٤٦٦)، وينظر: الإتقان في علوم القرآن، (٣/٣٢٥-٣٢٩).

(٢) كما في الآيات في الصَّفحة السَّابقة.

(٣) المائدة: ٢

(٤) للبِرِّ تعريفات عدَّة، تتَّفق جميعها على أَنَّه: اسم لوجوه الخير والطاعات. ينظر: الكشَّاف، (١/٢١٧)، والمحرَّر الوجيز، (١/١٣٦)، ولُباب التَّأْويل، (١/١٠٥).

(٥) قال ابن جُزَيٍّ ﵀: "البِرُّ عامٌّ في فعل الواجبات والمندوبات وترك المحرمات، وفي كلِّ ما يقرِّب إلى الله، والتَّقوى في الواجبات وترك المحرَّمات دون فعل المندوبات؛ فالبِرُّ أَعمُّ مِن التَّقوى". التَّسهيل لعلوم التَّنزيل، (١/٢٢٠)، وينظر: جامع البيان، (٩/٤٩٠)، وتفسير القرآن العظيم، (٢/١٢).

(٦) المائدة: ٢

(٧) قال ابن جُزَيٍّ ﵀: "الفرق بينهما أَنَّ الإِثم: كلُّ ذنب بين العبد وبين الله أَو بينه وبين النَّاس، والعُدوان: على النَّاس". التَّسهيل لعلوم التَّنزيل، (١/٢٢٠)، وينظر: فَتْح القَدير، (٢/٩).

(٨) البقرة: ١٩٧

(٩) نصَّ ابن القَيِّم، وابن كثير ﵏ على هذا التَّقابل. ينظر: التِّبيان في أَقسام القرآن، (ص:١٥٧)، وتفسير القرآن العظيم، (١/٥٤٨).

(١٠) الأعراف: ٢٦

الضَّروريُّ والكَمَاليُّ[(١)]، ثُمَّ قال: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[(٢)]؛ فهذا اللِّباسُ المَعنويُّ، وإنْ شِئتَ قلتَ عن الأَوَّلِ إنَّهُ لِباسُ البَدَنِ، وعن لِباسِ التَّقوى إنَّها لِباسُ القَلْبِ والرُّوحِ[(٣)].

وكذلكَ قولُهُ تعالى: ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾[(٤)]؛ جمعَ لَهم بيْنَ نَعيمِ الظَّاهرِ[١٤٢]؛ بالنَّضْرةِ والحُسنِ والبَهاءِ، ونَعيمِ الباطنِ بكمالِ الفرحِ والسُّرورِ[(٥)].

وكذلك قولُهُ في صِفةِ نِساءِ الجنَّةِ: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾[(٦)]؛ فوصَفَهُنَّ بجَمالِ الباطنِ؛ بحُسنِ الخُلُقِ الكاملِ، وجَمالِ الظَّاهرِ بأنَّهنَّ حِسَانُ الوجوهِ، وجَميعُ الظَّاهرِ[(٧)].

ولَمَّا ذكَرَ السَّيْرَ الحِسِّيَّ[(٨)] ذكَرَ السَّيْرَ المعنويَّ، فقالَ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾[(٩)].

وكذلِكَ قولُهُ: ﴿فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ﴾ أَيْ: فُرادًا[(١٠)] بدليلِ قَولِهِ: ﴿أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا﴾[(١١)].

وكذلَكَ قولُهُ: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾[(١٢)]؛ كذَّبِ الخبَرَ، وتولَّى عن الطَّاعةِ؛

---

(١) فقولهﷻ: ﴿لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ﴾: هذا اللِّباس؛ لسِتر العورات، وهو مِن الضَّروريَّات، وقوله: ﴿رِيشًا﴾: الرِّيشُ: ما يتجمَّل به ظاهرًا، وهو مِن التَّكمُّلات والزِّيادات. ينظر: تفسير القرآن العظيم، (٣/٣٩٩-٤٠٠).

(٢) الأعراف: ٢٦

(٣) نصَّ ابن القيِّمﷺ على كثير مِن هذه الآيات، وما فيها مِن المقابلات في عدد مِن مؤلَّفاته. ينظر: إعلام الموقِّعين، (١/١٧٣)، والتِّبيان في أقسام القرآن، (ص:١٥٧)، وإغاثة اللَّهفان، (١/٥٨)، وروضة المحبِّين، (ص:٢٣٥).

(٤) الإنسان: ١١

(٥) ومِن المعلوم أنَّ القلب إذا سُرَّ استنار الوجه، ثُمَّ إنَّ النَّضرة والسُّرور الحاصل للمؤمن في مقابلة العبوس الحاصل للكافر، المذكور في الآية قبلها في قوله تعالى ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان:١٠]. ينظر: التَّسهيل لعلوم التَّنزيل، (٢/٤٣٨)، وتفسير القرآن العظيم، (٨/٢٨٩).

(٦) الرحمن: ٧٠

(٧) جمع اللهﷻ بين الجمالَين جمال الظَّاهر وجمال الباطن في غير موضع مِن كتابه، وقد مثَّل ابن القيِّم لذلك بست آيات، ومنها هذه الآية. ينظر: مَدارج السَّالِكين، (٣/٢٨٠-٢٨١).

(٨) في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٨].

(٩) النحل: ٩

(١٠) س: "أَفرادًا".

(١١) النساء: ٧١

(١٢) الليل: ١٥-١٦

التَّكذيبُ: انحرافُ الباطنِ، والتَّولِّي: انحرافُ الظَّاهرِ(١).

ونظيرُهُ قولُهُ: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾(٢).

وضِدُّ ذلكَ ما رَتَّبَ اللهُ على الإيمانِ والعَملِ الصَّالحِ مِن خَيرِ الدُّنيا والآخرَةِ(٣)؛ فإنَّ الإيمانِ ضِدُّ التَّكذِيبِ، والتَّولي ضِدُّ الاستقامَةِ، والعَملِ الصَّالحِ(٤).

وكذلِكَ قولُهُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(٥)، ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾(٦)، تَجمعُ جميعَ ما يُرادُ مِن العَبدِ؛ فالعِبادَةُ حقُّ اللهِ على العَبدِ، والإعانةُ مِن ربِّهِ إسعافُهُ بما استعانَ عليهِ مِن عُبوديَّةِ ربِّهِ وغيرِها مِن منافِعِهِ، فالعبدُ في عبادَةٍ للهِ، واستعانةٍ بهِ(٧).

وكذلِكَ قولُهُ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(٨)؛ فَجمعَ لِلمؤْمنِ العاملِ لِلصَّالحاتِ بينَ طيِّبِ الحياةِ في الدُّنيا والآخرةِ(٩).

(١) قال ابن كثيرؒ: "هذا إخبار عن الكافر الذي كان في الدَّار الدُّنيا مكذِّبًا للحقِّ بقلبه، متوليًّا عن العمل بقالبه، فلا خير فيه باطنًا ولا ظاهرًا". تفسير القرآن العظيم، (٢٨٢/٨).

(٢) طه: ٤٨

(٣) قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٢٧٧].

(٤) قالﷻ: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [القيامة:٣١-٣٢]، قال الزَّركَشيُّؒ: "فقابل: ﴿صَدَّقَ﴾ بـ﴿كَذَّبَ﴾، و﴿صَلَّىٰ﴾ -الذي هو أَقْبَلَ- بـ﴿تَوَلَّىٰ﴾". البُرهان في علوم القرآن، (٤٥٩/٣).

(٥) الفاتحة: ٥

(٦) هود: ١٢٣

(٧) جمع اللهﷻ بين العبادة والتَّوكل في عدَّة مواضع مِن كتابه، قال ابن تَيميَّةؒ: "لأَنَّ هذين يجمعان الدِّين كلَّه؛ ولهذا قال مَن قال مِن السَّلف: إنَّ الله جمع الكُتب المنزَّلة في القرآن، وجمع علم القرآن في المفصَّل، وجمع علم المفصَّل في فاتحة الكتاب، وجمع علم فاتحة الكتاب في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، وهاتان الكلمتان الجامعتان اللَّتان للرَّب والعبد". التُّحفة العِراقيَّة، لابن تَيميَّة، (ص:٤٣)، ومَجْموع الفَتاوَى، (١٨/١٠).

(٨) النحل: ٩٧

(٩) قال ابن القَيِّمؒ: "فضمن لأهل الإيمان والعمل الصَّالح الجزاء في الدُّنيا بالحياة الطَّيِّبة، والحُسنى يوم القيامة، فلهم أَطيب الحياتين، فهم أَحياء في الدَّارين". الجواب الكافي، (ص:١٢٠).

ونظيرُهُ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾[١]، ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْأٓخِرَةِ أَكْبَرُ﴾[٢]، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ حَسَنَةً﴾[٣].

وكذلكَ قولُهُ: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٤]؛ في مواضعَ؛ نفَى جميعَ المكروهِ الماضِي بِنَفْيِ الحَزَنِ، والمستقبلَ بِنفيِ الخَوفِ[٥].

وكذلِكَ قولُهُ تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾[٦]؛ فالرَّوحُ: اسمٌ جامعٌ لِنَعيمِ القَلبِ[٧]، والرَّيحانُ: اسمٌ جامعٌ لِنَعيمِ الأَبدانِ[٨]، ﴿جَنَّتُ نَعِيمٍ﴾: تجمعُ الأَمرينِ.

وكذلِكَ قولُهُ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾[٩]؛ جمعَ لَهُ بيْنَ عذابِ الدُّنيا، وعذابِ البَرْزَخِ، وعذابِ دارِ القَرارِ[١٠].

---

(١) النحل: ٣٠

(٢) النحل: ٤١

(٣) البقرة: ٢٠١

(٤) البقرة: ٦٢، ١١٢، ٢٦٢، ٢٧٤، ٢٧٧

(٥) الحزن: متعلِّق بالماضي، أمَّا الخوف: فمتعلِّق بالمستقبل. ينظر: تفسير القرآن الكريم، (٣٨٥/١).

(٦) الواقعة: ٨٩

(٧) هذا التَّعريف شامل لكلِّ ما قِيل في معنى الرَّوح: مِن المغفرة، والفرح، والرَّاحة، والرَّحمة، والسَّعة، والجَنَّة، ورَوْح مِن الغَمِّ الذي كانوا فيه، وطِيب نسيم في القبر، قال المؤلِّف رحمه الله: "راحة وطمأْنينة، وسرور وبهجة، ونعيم القلب والرُّوح". تيسير الكريم الرَّحمن، (ص:٨٣٧)، وينظر: جامع البيان، (١٦١/٢٣)، والمحرَّر الوجيز، (٢٥٤/٥)، وزاد الْمَسِير، (٢٣٠/٤).

(٨) هذا التَّعريف شامل لكلِّ ما قِيل في معنى الرَّيحان: مِن الرِّزق، والمستراح، والجَنَّة، والرَّيحان المشموم، وكلِّ ما هو دليل النَّعيم، قال ابن عطيَّة رحمه الله: "الرَّيحان، ما تَنْبَسط إليه النُّفوس". المحرَّر الوجيز، (٢٥٤/٥).
وقال السّعديُّ رحمه الله: "اسم جامع لكلِّ لذَّة بدنيَّة، مِن أنواع المآكل والمشارب وغيرهما، وقِيل: الرَّيحان هو الطِّيب المعروف؛ فيكون تعبيرًا بنوع الشَّيء عن جنسه العامِّ". تيسير الكريم الرَّحمن، (ص:٨٣٧)، وينظر: زاد الْمَسِير، (٢٣٠/٤-٢٣١).

(٩) طه: ١٢٤

(١٠) قال الرَّازيُّ رحمه الله: "واعلم أَنَّ هذا الضِّيق المتوعَّد به إِمَّا أَنْ يكون في الدُّنيا أَو في القبر أَو في الآخرة أَو في الدِّين أَو في كلِّ ذلك أَو أَكثره". تفسير الرَّازي، (١١٠/٢٢-١١١).
وقال ابن القَيِّم رحمه الله: "فالمعيشة الضَّنك لازمة لمن أَعرض عن ذكر الله الذي أَنزله على رسوله ﷺ في دنياه، وفي البرزخ، ويوم معاده". الجواب الكافي، (ص:١٢٠)، وينظر: تيسير الكريم الرَّحمن، (ص:٥١٦).

وكذلِكَ قولُهُ: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾[١]؛ أَيْ: مُتَكَبِّرٍ على الحقِّ، جبَّارٍ على الخَلْقِ[٢].

ومثلُهُ: ﴿مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ﴾[٣]؛ أَيْ: مُعْتَدٍ في البَغْيِ على عِبادِ اللهِ، ﴿أَثِيمٍ﴾؛ أَيْ: مُتَجَرِئٍ على محارمِ اللهِ[٤].

وكذلكَ[١٤٣] قولُهُ في مواضعَ: ﴿مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾[٥]؛ فالوَلِيُّ: الذي يَجْلِبُ لِمَوليِّهِ المنافعَ، والنَّصِيْرُ: الذي يَدفعُ عنهُ المَضَارَّ[٦].

---

(١) غافر: ٣٥

خ، س: "إنَّ الله لا يهدي من هو متكبِّر جبَّار"، والصَّواب: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾.

(٢) قال ابن تَيميَّة رحمه الله: فذَكَر ضلال الأَوَّل، وذَكَر تجبُّر الثَّاني؛ وذلك لأَنَّ الأَوَّل: مُرتاب ففاته العِلم؛ حيث ابتغى الهدى في غيره، والثَّاني: جبَّار عمل بخلاف ما فيه فقصمه الله، وهذان الوصفان يجمعان العلم والعمل". الاستقامة، (٢١/١).

(٣) القلم: ١٢، والمطففين: ١٢

(٤) قال ابن جَرِيْر رحمه الله: "﴿مُعۡتَدٍ﴾: على النَّاس، ﴿أَثِيمٍ﴾: ذي إثم بربِّه". جامع البيان، (٥٣٥/٢٣).

(٥) البقرة: ١٠٧، ١٢٠، التوبة: ٧٤، ١١٦، العنكبوت: ٢٢، الشورى: ٨، ٣١.

(٦) قال ابن كثير رحمه الله: "وليس لهم أَحد يُسعدهم ولا يُنْجِدُهم، ولا يُحَصِّلُ لهم خيرًا، ولا يدفع عنهم شرًّا". تفسير القرآن العظيم، (١٨٣/٤).

فوائدُ مَنْثُورةٌ مُنوَّعَةٌ غيرُ مُرَتَّبةٍ(١).

الأُمَّةُ: جاءَ في القرآنِ لِعدَّةِ معانٍ(٢):

- جاءَ بِمعنَى: الإمامِ الجامعِ لِخِصَالِ الخَيْرِ(٣)، مثلُ قولِهِ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾(٤).

- وبِمعنَى: الطَّائفةِ: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾(٥)، وهذا المعنَى كثيرٌ(٦).

- وبِمعنَى: المِلَّةِ والدِّينِ: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾(٧).

- وبِمعنَى: المُدَّةِ الطَّويلَةِ: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾(٨).

---

(١) غالب هذه الفوائد هو من الوُجوه والنَّظائر، قال الزَّرْكَشِيُّ رحمه الله: "فالوُجُوه: اللَّفظ المشتَرك الذي يُستعمل في عدَّة مَعان كلفظ الأُمَّة، والنَّظائرُ كالألفاظ المتواطِئة، وقِيل: النَظائرُ في اللَّفظ، والوجُوهُ في المعاني. . . وقد جعل بعضهم ذلك مِن أَنواع مُعجزات القرآن حيث كانت الكلمة الواحدة تنصرف إلى عشرين وجْها أو أكثر أو أقل، ولا يوجد ذلك في كلام البَشَر". البُرهان في علوم القرآن، (١/١٠٢)، والإتقان في علوم القرآن، (٢/١٤٤).

(٢) أَوصلها الْعَسْكَرِي إلى عشرة، وذكر مُقاتِل والدَّامَغَانِي تِسعة أَوجه، أَمَّا هارون بن موسى فذكر ثمانية، وعدَّ الحكيم التِّرمذي ستة، والحِيرِي سبعة، ولم يذكر ابن الجَوْزِيِّ إِلَّا خمسة، واقتصر المؤلِّف على خلاصتها، وهي أَربعة. ينظر: الوُجوه والنَّظائر في القرآن العظيم، لمقاتل، (ص:٤٧-٤٩)، والوُجوه والنَّظائر في القرآن الكريم، لهارون بن موسى، (٦٤-٦٥)، وتحصيل نظائر القرآن، للحكيم التِّرمِذِي، (ص:٨٢-٨٧)، والوُجوه والنَّظائر، للْعَسْكَرِي، (ص:٣١-٣٧)، ووُجُوه القرآن، للْحِيرِي، (ص:٩٦)، والوُجوه والنَّظائر لأَلفاظ كتاب الله العزيز، للدَّامغاني، (ص:١٠٠)، ونُزْهة الأَعيُن النَّواظر، لابن الجَوْزِي، (ص:١٤٣-١٤٤).

(٣) سُمِّي بذلك؛ لأَنَّه يُؤَمُّ ويُقْصد في الحوائج التي يقدر عليها؛ ولأَنَّه سبب الاجتماع؛ وقال ابن قُتَيْبَة رحمه الله: "لأَنَّه اجتمع عنده مِن خلال الخير ما يكون مثله في أُمَّة". تأْويل مُشْكِل القرآن، (ص:٢٤٩)، وينظر: الوُجوه والنَّظائر، للْعَسْكَرِي، (ص:٣٤)، ونُزْهة الأَعيُن النَّواظر، (ص:١٤٤).

(٤) النحل: ١٢٠

قال ابن كثير رحمه الله: "فجعلها الله عليه بردًا وسلامًا، وخرج منها سالِمًا بعد ما مكث فيها أَيَّامًا؛ ولهذا وأَمثاله جعله الله للنَّاس إمامًا؛ فإِنَّه بذل نفسه للرَّحمن، وجسده للنِّيران، وسخا بولده للقُربان، وجعل ماله للضِّيفان؛ ولهذا اجتمع على محبَّته جميع أَهل الأَديان". تفسير القرآن العظيم، (٦/٢٧١).

(٥) فاطر: ٢٤

(٦) وهو الغالب في القرآن الكريم، ومِن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً﴾ [البقرة:١٢٨]، وقال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [البقرة:١٣٤، ١٤١]، وقال جل جلاله: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ [آل عمران:١١٣]، وقال عز وجل: ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ [المائدة:٦٦]. ينظر: نُزْهة الأَعيُن النَّواظر، (ص:١٤٣)، وتيسير الكريم الرَّحمن، (ص:٩٤٤).

(٧) المؤمنون: ٥٢

(٨) يوسف: ٤٥

السُّلْطَانُ: أَكثرُ استعمالِهِ في القرآنِ بِمعنَى:

- الحُجَّةِ(١)، مثلُ قولِهِ: ﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنِۭ بِهَٰذَآ﴾(٢)، ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾(٣).

- ويأْتِي بِمعنَى: الْمُلكِ، مثلُ قولِهِ: ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ﴾(٤).

- ويأتي بِمعنَى: التَّسلُّطِ، والسَّيطَرةِ(٥): مثلُ قولِهِ: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾(٦).

اللِّسانُ: ورَدَ في القُرآنِ لعدَّةِ مَعانٍ(٧):

- ورَدَ بِمعنَى: الجَارِحَةِ(٨): ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾(٩)، و﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم﴾(١٠)، وهو

---

(١) قال العَسْكَرِيُّ رحمه الله: "سُمِّيت الحُجَّة سُلطانًا؛ لأَنَّك تَقوى بها على خصمِك". الوُجوه والنَّظائر، (ص:٢٥٥).

(٢) يونس: ٦٨

(٣) إبراهيم: ١٠

(٤) الحاقة: ٢٩

(٥) اقتصر مُقاتِل، وهارون ابن موسى، والْعَسْكَرِي، والحِيرِي، والدَّامغَانِي، وابن الجَوْزِيِّ رحمهم الله، على المعنيين السَّابقين؛ أَمَّا المفسِّرون فاختلفوا في معنى: ﴿سُلْطَٰنٌ﴾ ﴿سُلْطَٰنُهُۥ﴾ -في الآية التي ذكرها المؤلِّف دليلًا للوجه الثَّالث- على قولين: أَحدهما: أَنَّه التَّسلُّط، والثَّاني: أَنَّه الحُجَّة. ينظر: الوُجوه والنَّظائر في القرآن العظيم، (ص:٨٢-٨٣)، والوُجوه والنَّظائر في القرآن الكريم، (ص:٢٦٧)، والوُجوه والنَّظائر، للْعَسْكَرِي، (ص:٢٥٥)، ووجوه القرآن، (ص:٢٩٣-٢٩٤)، والوُجوه والنَّظائر لأَلفاظ كتاب الله العزيز، (٢٥٨-٢٥٩)، ونُزْهة الأَعيُن النَّواظر، (ص:٣٤٤-٣٤٥)، وزَاد الْمَسِير، (٥٨٣/٢)، وتفسير القرآن العظيم، (٦٠٢/٤).

(٦) النحل: ٩٩-١٠٠

(٧) نصَّ ابن القَيِّم على هذه المعاني، وزاد الحِيرِي معنى: الكلام في قوله تعالى: ﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ [القصص:٣٤]، ومعنى: الدُّعاء، ووافقه الدَّامَغَانِيُّ، وابن الجَوْزِي فيه، قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:٧٨]، قال القاسميُّ رحمه الله: "أَيْ: لسانيهما، وأُفرد لعدم اللَّبس، إنْ أُريد باللِّسان الجارحة". محاسن التَّأْويل، (٢٢١/٤)، وينظر: وجوه القرآن، (ص:٤٨٢-٤٨٣)، والوُجوه والنَّظائر لأَلفاظ كتاب الله العزيز، ونُزْهة الأَعيُن النَّواظر، (ص:٥٣٤)، ومَدارِج السَّالِكِين، (٢٦٠/٢).

(٨) المراد: العضو المعروف في الفم.

(٩) القيامة: ١٦

(١٠) الفتح: ١١

كثيرٌ(١).

- وبِمعنَى: اللُّغةِ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾(٢)، ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾(٣).

- وبِمعنَى: الثَّناءِ الحَسَنِ(٤): ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾(٥).

استَوى: ورَدَتْ في القرآنِ على ثلاثةِ أَوجهٍ(٦):

- تارَةً تُعدَّى بعَلَى، فتدلُّ على: العُلوّ والارتفاعِ(٧): ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾(٨)، ﴿لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾(٩)، ونحوهِ(١٠).

- وتعدَّى بإلى، فَتدلُّ على: القَصْدِ(١١) مثلُ قولِهِ(١٢): ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ

---

(١) ومِن ذلك قوله تعالى: ﴿إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ﴾ [النور:١٥]، وقال ﷻ: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ﴾ [النور:٢٤]، وقال ﷻ: ﴿وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ﴾ [البلد:٩].

(٢) إبراهيم: ٤

(٣) الشعراء: ١٩٥

(٤) قال ابن القيّم رحمه الله: "فلمَّا كان الصِّدق باللِّسان، وهو محلُّه، أَطلق الله -سبحانه- أَلسِنة العباد بالثَّناء على الصَّادق، جزاءً وفاقًا، وعبَّر به عنه". مَدارِج السَّالِكِين، (٢/٢٦٠).

(٥) الشعراء: ٨٤

(٦) نصَّ ابن الْمَوْصِلي على هذه الأَوجه، مع خلاف في معنى الوجه الثَّاني. ينظر: مختصر الصَّواعق، (ص:٣٧٢).

(٧) "مثل"، زيادة في: (س).

(٨) الأعراف: ٥٤، يونس: ٣، الرعد: ٢، الفرقان: ٥٩، السجدة: ٤، الحديد: ٤

(٩) الزخرف: ١٣

(١٠) ومِن ذلك قوله ﷻ: ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾ [هود:٤٤]، وقال ﷻ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وقال ﷻ: ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ﴾ [المؤمنون:٢٨]، وقال ﷻ: ﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾[الفتح:٢٩].

(١١) ذكره الْعَسْكَرِي، والدَّامَغَانِي، وابن الجَوْزِيّ رحمه الله، وأنكره ابن تَيميَّة رحمه الله؛ لأنَّه لا يعرف في اللُّغة، ولا عن مفسِّري السَّلف، وإنَّما المعنى العُلو والارتفاع، وقال: "وإنَّما هذا القول وأَمثاله ابتُدع في الإِسلام؛ لَمَّا ظهر إنكار أَفعال الرَّب التي تَقوم به، ويفعلها بقدرته ومشيئته واختياره؛ فحينئذ صار يفسِّر القرآن مَن يفسِّره بما ينافي ذلك؛ كما يُفسِّر سائرُ أَهلِ البدع القرآنَ على ما يوافق أَقاويلهم، وأَمَّا أَنْ ينقل هذا التَّفسير عن أَحد مِن السَّلف فلا، بل أَقوال السَّلف الثَّابتة عنهم متَّفقة في هذا الباب؛ لا يعرف لهم فيه قولان". مَجْمُوع الفَتاوَى (٥/٥٢١)، وينظر: الوُجوه والنَّظائر، لأَبي للْعَسْكَرِي، (ص:١١٦)، والوُجوه والنَّظائر لأَلفاظ كتاب الله العزيز، (ص:١١٤)، ونُزْهة الأَعيُن النَّواظر، (ص:١٥٣)، وشرح حديث النُّزول، (ص:٥٧)، ومختصر الصَّواعق الْمُرْسَلة ، (ص:٣٧٢).

(١٢) "قوله"، ليست في: (س).

سَمَٰوَٰتٖ﴾[١].

- وتأْتِي بلا تَعْدِيةٍ بحرفٍ، فَتدلُّ على الكَمالِ، ومنهُ قولُهُ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾[٢]؛ أَيْ: كمُلَ في عَقلِهِ، وأَحوالِهِ كلِّها.

التَّأْويلُ[٣]: أَكثرُ وُرودِهِ فِي القرآنِ بِمعنَى:

- عاقبةِ الشَّيءِ، وما يَؤُولُ إِليهِ، ووقتَ وُقُوعِهِ؛ مثلُ قولِهِ: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ﴾[٤]؛ أَيْ: وقوعُ الْمُخْبَرِ بهِ مِن العذابِ.

﴿هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ﴾[٥]؛ أَيْ: هذا ما آلتْ إِليهِ، وهذا وُقُوعُها[٦].

- وقد يأْتِي بِمعنَى: التَّفسِيْرِ، وهو قَليلٌ[٧]، ومنهُ على أَحدُ التَّفسِيرَينِ: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[٨]؛ أَيْ: تفسيرَهُ.

وعلى القولِ الآخرِ: يكونُ مِن المعنى الأَوَّلُ؛ أَيْ: وما يَعلمُ حَقِيقةَ الْمُخْبَرِ عنهُ إِلَّا اللهُ وحدَهُ، فعلَى هذا المعنَى يَتعَيَّنُ الوقوفُ علَى: ﴿ٱللَّهُ﴾[٩].

---

(١) البقرة: ٢٩

(٢) القصص: ١٤

(٣) اقتصر المؤلِّفُ رحمه الله على أَشهر ما قِيل في معنى التَّأْويل في القرآن الكريم، واستطرد بعض العلماء في ذكر عدد مِن الأَوجه، وهي ترجع إلى ما ذكَره. ينظر: الوُجوه والنَّظائر في القرآن الكريم، (١١٧-١١٨)، والوُجوه والنَّظائر، لِلْعَسْكَرِي، (ص:١٤١-١٤٣)، ووُجوه القرآن، (ص:١٥٢-١٥٣)، والوُجوه والنَّظائر لأَلفاظ كتاب الله العزيز، (ص:١٤٣-١٤٤)، ونُزْهة الأَعيُن النَّواظر، (ص:٢١٨-٢١٩).

(٤) الأعراف: ٥٣

(٥) يوسف: ١٠٠

(٦) قال ابن كثير رحمه الله: "أَيْ: هذا ما آل إليه الأَمر؛ فإِنَّ التَّأْويل يطلق على ما يصير إليه الأَمر". تفسير القرآن العظيم، (٤/٤١٢).

(٧) قال ابن تَيميَّة رحمه الله: "ولفظ التَّأْويل يُراد به التَّفسير، كما يُوجد في كلام المفسِّرين: ابن جَرِيْر وغيره، ويُراد به حقيقة ما يؤول إليه الكلام، وهو المراد بلفظ التَّأْويل في القرآن". دَرْء تَعارض العقل والنَّقل، (٥/٢٣٤).

(٨) آل عمران: ٧

(٩) لأَنَّ حقائق الأُمور، وكيفيتها لا يعلمها على الحقيقة إِلَّا الله عز وجل، وهذا رَأْيُ: أُبي ابن كعب، وعائشة، وابن عبَّاس رضي الله عنهم في رواية، وهو رَأْي عُروَة بن الزُّبير، وعمر بن عبدالعزيز، ومالك، ورجَّحه ابن جَرِيْر رحمه الله. ينظر: جامع البيان، (٦/٢٠٢-٢٠٤)، ومَعَالم التَّنزيل، (١/٤١٢)، وتفسير القرآن العظيم، (٢/١٠-١٢).

وعلى المعنى الأَوَّلِ -الذي بِمعنَى التَّفسِيْرِ- يُعْطَفُ عليه: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾(١)؛ أَيْ: فما يَعْلَمُ تفسِيرَ المتَشابِهِ(٢) -الذي يَتَشابَهُ فَهْمُهُ على أذهانِ[١٤٤] أَكثرِ النَّاسِ- إِلَّا اللهُ، وإِلَّا أَهلُ العِلْمِ، فإِنَّهُم يَعلَمونَ تأْويلَهُ؛ بِهذا المعنَى(٣).

الغَافِلُ(٤): ورَدَ في القرآنِ:

- بمعنَى: الجاهِلِ(٥)؛ مثلِ قولِهِ: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾(٦).

- وبِمعنَى: النِّسْيانِ [لِذكرِ](٧) اللهِ، وذِكرِ طاعتهِ(٨)؛ كقولِهِ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا

---

(١) آل عمران: ٧
خ، س: "أُلوا العِلم"، والصَّواب: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران:٧].

(٢) سبق الكلام على مسألة: إِحْكام القرآن وتَشابهه، ومعنى ذلك: (ص:٦).

(٣) لأَنَّهم يَعلمون ما خُوطبوا به بهذا الاعتبار، وإِنْ لم يُحيطوا علمًا بحقائق الأَشياء على ما هي عليه، وهذا رأْي ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما في رواية، ومجاهد، والرَّبيع، وغيرهم رحمهم الله. ينظر: جامع البيان، (٦/٢٠٣)، ومَعَالم التَّنزيل، (١/٤١٢)، وتفسير القرآن العظيم، (٢/١٠-١٢).

(٤) الغَفْلَةُ: عدم التَّفطُّن للشَّيء، وعدم حضوره في البَال وعدم عقليَّته، سواء بقيت صورته أَو معناه في الخَيال، أَو الذِّكر، أَو انمَّحت عن أَحدهما، كما أَنَّ الغفلة: تَرْكٌ باختيار الغافل، وهي أَعمُّ مِن النِّسيان. ينظر: مُعْجَم الفُروق اللُّغويَّة، (ص:٣٨٩)، ومَدارج السَّالِكِين، (٢/٤٠٥-٤٠٦).

(٥) قال ابن عاشور رحمه الله: "فهم غافلون عمَّا تأْتي به الرُّسل والشَّرائع، فهم في جهالة وغِواية؛ إِذ تراكمت الضَّلالات فيهم عامًا فعامًا، وجيلًا فجيلًا". التَّحرير والتَّنوير، (٢٢/٣٤٨).

(٦) يس: ٦

(٧) خ: "كذكر"، وس: "لذكر"، وهي الموافقة للسِّياق.

(٨) النِّسْيَانُ: غفلة عن الشَّيء مع انمِّحاء صورته أَو معناه عن الخَيال، أَو الذِّكر بالكُلِّيَّة، كما أَنَّه: تَرْكٌ للشَّيء مِن غير اختيار، قال ابن القَيِّم رحمه الله: "ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:٢٠٥]، ولم يقل: ولا تكن مِن النَّاسين؛ فإِنَّ النِّسيان لا يدخل تحت التَّكليف فلا يُنهى عنه". مَدارج السَّالِكِين، (٢/٤٠٥-٤٠٦)، وينظر: مُعْجَم الفُروق اللُّغويَّة، (ص:٣٨٩).
ويرى الفيُّوميُّ رحمه الله أَنَّ النِّسيان: "مشترك بين معنيَين أَحدهما: ترك الشَّيء على ذُهول وغفلة، وذلك خلاف الذِّكر لَهُ، والثَّاني: التَّرك على تعمُّد، وعليه: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة:٢٣٧]؛ أَيْ: لا تقصِدوا التَّرك والإِهمال". الْمِصباح الْمُنِيْر، (٢/٦٠٤)، وينظر: تفسير الرَّازي، (٦/٤٨١).
ويظهر أَنَّ تعبير المؤلِّف بالنِّسيان مأْخوذ مِن المعنى الثَّاني، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر:١٩]، قال ابن عطيَّة رحمه الله: "وإِنَّما يُعبَّر بالنِّسيان عن التَّرك مبالغة، إِذا بلغ وجوه التَّرك الوجه الذي يقترن
=

وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾[١]، ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾[٢].

فَائِدَةٌ: إِخبارُ اللهِ أَنَّهُ معَ عِبادِهِ يَرِدُ في القُرآنِ على أَحدِ مَعنَيَيْنِ[٣]:

أَحدُهُما: المعِيَّةُ العامَّةُ، كقولِهِ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾[٤]؛ أَيْ: هو معَهُم بعِلمِهِ، وإِحاطَتِهِ[٥].

الثَّاني: المعِيَّةُ الخاصَّةُ، وهي أَكثرُ وُرُودًا في القُرآنِ، وعلامتُها أَنْ يَقرِنَها اللهُ بالاتِّصافِ بالأَوصافِ التي يُحبُّها، والأَعمالِ التي يرتضِيها، مثلُ قولِهِ: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٦]، معَ المحسِنِينَ[٧]، و﴿مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٨]، ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[٩]، ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[١٠].

به نسيان، وعلى هذا يجيء: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة:٢٣٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص:٧٧]". المحرَّر الوجيز، (٥٦/٣).

(١) الأعراف: ٢٠٥

(٢) الكهف: ٢٨

(٣) سِياق الآيات يبين أَحد المعنيين؛ فإِنْ كان للتَّخويف، والمحاسبة، والمراقبة فالمعيَّة عامَّة، وإِنْ كان لُطفًا وعِناية، وقد رُتِّبت المعيَّة على الاتِّصاف بالأَوصاف الحميدة فالمعيَّة خاصَّة. ينظر: الفُرقان بين أَولياء الرَّحمن وأَولياء الشَّيطان، لابن تَيميَّة، (ص:١٢٢)، وتفسير القرآن العظيم، (٦١٥/٤)، وشرح العقيدة الواسطيَّة، للهرَّاس، (ص:١٤٦-١٩٦)، والتَّنبيهات اللَّطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطيَّة من المباحث الْمُنيفة، (ص:٥٢).

(٤) المجادلة: ٧

س: لم تذكر الآية: ﴿أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾.

(٥) قال ابن كثيرﷺ: "حَكَى غير واحد الإِجماع على أَنَّ المراد بهذه الآية معيَّة علم الله -تعالى- ولا شكَّ في إِرادة ذلك ولكنَّ سمعه -أَيضًا- مع علمه محيط بهم، وبصره نافذ فيهم، فهو -سبحانه- مطَّلع على خلقه، لا يغيب عنه مِن أُمورهم شيء". تفسير القرآن العظيم، (٤٢/٨).

وقال ابن عُثَيْمِيْنﷺ: "تفسير السَّلف لمعيَّة الله -تعالى- لخلقه بأَنَّه معهم بعلمه لا يقتضي الاقتصار على العِلم، بل تقتضي -أَيضًا- إِحاطته بهم سمعًا وبصرًا، وقُدرةً وتدبيرًا، ونحو ذلك مِن معاني رُبوبيَّته". القواعد الْمُثْلى، (ص:٦١).

(٦) البقرة: ١٩٤

(٧) قالﷻ: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩].

(٨) البقرة: ١٥٣، ٢٤٩، الأنفال: ٤٧، ٦٦

(٩) التوبة: ٤٠

(١٠) طه: ٤٦

وهذهِ المعِيَّةُ تقْتَضِي العِناية مِن اللهِ، والنَّصرَ والتَّأْيِيدَ والتَّسديدَ؛ بِحَسَبِ قِيامِ العَبْدِ بذلِكَ الوصْفِ، الذي رُتِّبتْ عليهِ المعيَّةُ(١).

ونظِيرُ هذا التَّقسِيمِ: وصْفُ العِبادِ بأَنَّهم عبيدُ لِلهِ، يَرِدُ في القُرآنِ على نوعَينِ(٢):

نوعٌ عامٌّ: مثلُ قولِهِ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾(٣)؛ أَيْ: مُعبَّدًا مَمْلوكًا للهِ.

والنَّوعُ الثَّاني: العُبوديَّةُ الخاصَّةُ، وهي تَقْتَضِي أَنَّ العَبْدَ بِمعنَى: العابِدِ، الْمُتَعَبِّدِ لربِّهِ القائمِ بعبودِيَّتِهِ، وذلكَ مثلُ قولِهِ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾(٤)، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾(٥)، ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾(٦)؛ فبحَسَبِ قيامِ العبدِ بعبوديَّةِ ربِّهِ تَحصلُ لَهُ كِفايةُ اللهِ(٧).

ونَظِيرُ هذا: القُنُوتُ، يَرِدُ في القرآنِ على قِسمَينِ(٨):

قُنُوتٌ عامٌّ: مثلُ قولِهِ: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾(٩)؛ أَيْ: الكُلُّ عَبِيدٌ خاضِعونَ

---

(١) فهو مع المتَّقين الذين يراقبونه في أمره ونهيه، ومع المحسنين في العبادة ومع الخَلق، ومع الصَّابرين المتحمِّلين للمشاق في سبيله، وهو مع أوليائه يحبُّهم، ويوفِّقهم، ويقوِّيهم، وينصرهم، ويثبِّتهم، ويؤنسهم، ويدفع عنهم الشُّرور، "ولولا دفاعه عنهم تخطَّفهم عدوُّهم واجتاحهم، وهذه المدافعة عنهم بحسَب إيمانهم وصِدقهم معه ﷻ، فعلى قدر الإيمان تكون المدافعة، فإنْ قَوِي الإيمان قَوِيت المدافعة والعكس بالعكس". الأجوبة المفيدة لمهمَّات العقيدة، للدُّوسري، (ص:١٦٩)، وينظر: شرح العقيدة الواسطيَّة، للهرَّاس، (ص:١٤٧-١٤٨).

(٢) نصَّ ابن تيميَّة رحمه الله على أنَّ اسم العبد يتناول معنيين: العابد كَرهًا، والعابد طوعًا، وهو الذي يعبده ويستعينه قال ﷻ: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران:٨٣]. ينظر: مجموع الفتاوى، (١٤/٣٠).

(٣) مريم: ٩٣

(٤) الفرقان: ٦٣

(٥) الفرقان: ١

(٦) الزمر: ٣٦

(٧) قال ابن تيميَّة رحمه الله: "فإنَّ العبد تارة يُعنى به: المعبَّد فيعمُّ الخَلق؛ كما في قوله: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم:٩٣]، وتارة يُعنى به: العابد فيخص، ثمَّ يختلفون؛ فمَن كان أعبد عِلمًا وحالًا، كانت عبوديته أكمل، فكانت الإضافة في حقِّه أكمل، مع أنَّها حقيقة في جميع المواضع". ينظر: مجموع الفتاوى، (٥/١٠٥).

(٨) نصَّت على المعنيَين كثير مِن كتب الوُجوه والنَّظائر، والتَّفسير. ينظر: الوُجوه والنَّظائر في القرآن العظيم، (ص:٤٦)، والوُجوه والنَّظائر في القرآن الكريم، (ص:٦٢)، والوُجوه والنَّظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، (ص:٣٨٨)، وتفسير القرآن العظيم، (١/٣٩٧).

(٩) الروم: ٢٦

لربوبيَّتهِ، وتَدْبِيرِهِ(١).

النَّوعُ الثَّاني: -وهو الأَكثرُ في القرآنِ(٢)-: القُنوتُ الخاصُّ، وهو دَوام الطَّاعةِ للهِ، على وجْهِ الخُشوعِ، مثلُ قولِهِ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾(٣)، ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾(٤)، ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى﴾(٥)، ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾(٦)، ونحوها[١٤٥].

فائدةٌ: طُغْيانُ الرِّئاسَةِ وطُغيانُ المالِ يَحْمِلانِ صاحِبَهُما على الكِبْرِ والبَطَرِ، والبَغْيِ على الحَقِّ، وعلى الخَلْقِ، بُرْهانُ ذلِكَ قولُهُ تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾(٧)، وقولُهُ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾(٨)، فكلُّ هذا التَّجرِّي(٩) والطُّغيانِ بِحصولِ المُلْكِ، ورؤيتهِ لِنفسِهِ الاستغناءَ.

أَمَّا الموَفَّقُونَ الأَصْفياءُ فإِنَّهم في هذهِ(١٠)[١٤٤](١١) الأَحوالِ يَخْضَعونَ للهِ، ويَعْتَرِفونَ لَهُ بالنِّعمةِ، ويَزدادُ تواضُعُهُم(١٢)؛ ولهذا لَمَّا رَأَى سُليمانُ عليه السلام مِن مُلْكِهِ مُلْكًا كَبيرًا، ورأَى عَرشَ

---

(١) القُنُوْتُ هُنا: العُبوديَّة العامَّة لأَهل السَّموات والأَرض، لا يَختصُّ بأَحد، ولا بزمن؛ "قُنوت قَهر وذُلٍّ، لا قُنوت طاعة ومحبَّة". بدائع الفوائد، (١/٢١٥).

(٢) صرَّح به مُقاتِل، وهارون بن موسى، وابن القَيِّم رحمه الله. ينظر: الوُجوه والنَّظائر في القرآن العظيم، (ص:٤٦)، والوُجوه والنَّظائر في القرآن الكريم، (ص:٦٢)، ومَدارِج السَّالِكِين، (١/١٢٧).

(٣) الزمر: ٩

(٤) البقرة: ٢٣٨

(٥) آل عمران: ٤٣

(٦) الأحزاب: ٣٥

(٧) البقرة: ٢٥٨

(٨) العلق: ٦-٧

(٩) س: "فعَللَّ هذا التَّجرؤ".

(١٠) هنا انتهى خطُّ الشَّيخ: محمَّد البسَّام، وبدأَ خطُّ الشَّيخ: عبدالعزيز بن حَمَد المصيْريعي رحمه الله، كما أَخبرني بذلك الشَّيخ: محمَّد بن عثمان القاضي، لَمَّا عرضت عليه الخط، وينتهي بقوله: انظر إلى توحيد الله، (ص:٦).
وبنهاية خطِّ البسَّام رحمه الله بقي ثلاثة أَرباع الورقة خاليًا، وقد أَغلقها المؤلِّف رحمه الله بخطوط عرضيَّة، وبإِحاطة تامَّة عليها، ثُمَّ علَّق على جانبها بقوله: "هذا متَّصل بالصَّفحة التي بعده ليس بياضًا، فليعلم ذلك".

(١١) كُتب عند هذا الرَّقم كلمة: "مكرَّر".

(١٢) المقابَلة بين الشُّكر والكفر كثيرة في القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان:٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:٧].

مَلِكَةِ سَبإٍ[١] مُسْتَقِرًّا عندَهُ لم يَطغَ، ويَقُلْ: هذا مِن حَولِي وقُوَّتِي، ونحوِهِ، بلْ: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾[٢]، وقالَ قَبلَ ذلِكَ: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[٣].

فائدةٌ: مِن الحِكمَةِ[٤]: استعمالُ اللِّينِ في معاشَرَةِ المؤمنِينَ، وفي مَقامِ الدَّعوةِ لِلكافِرِينَ؛ كما قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٥]، وقالَ: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[٦]؛ فأَمَرَ باللِّينِ في هذهِ المواضِعِ، وذَكَرَ ما يَترَتَّبُ عليهِ مِن المصالِحِ[٧].

كمَا أَنَّ مِن الحِكْمةِ استعمالَ الغِلظةِ في موضِعِها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[٨]؛ لأَنَّ المقامَ هُنا مَقامٌ لا تُفيدُ فيهِ الدَّعوةُ، بل قد تَعَيَّنَ فيهِ القِتالُ، فالغِلْظَةُ فيهِ مِن تَمامِ القِتالِ[٩].

وقد جمعَ اللهُ بيْنَ الأَمرَينِ في قولِهِ في وَصْفِ خواصِّ الأُمَّةِ[١٠]: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[١١].

---

(١) سبق التَّعريف بها: (ص:٦).

(٢) النمل: ٤٠

(٣) النمل: ١٩

(٤) سبق تعريفها: (ص:٦).

(٥) آل عمران: ١٥٩

(٦) طه: ٤٤

(٧) فأمرهما بالرِّفق مع فرعون مع كونهما مرسلَين مِن القويِّ العزيز، العالم بكفر فرعون، وعتوِّه وطغيانه على ربِّه؛ لِما للرِّفق مِن أَثر عظيم على القلوب، وقبولها للحقِّ، وتقريبها إلى الله، وخشيتها لَهُ، وإحسان في التَّعامل مع الخَلق، وتمكُّنٍ مِن نشر الخير، ولأَنَّ في الغلظة التَّنفير، والبعد عن القبول، والتَّضييق على الحقِّ، والمعاندة، والأَذى.

(٨) التحريم: ٩

(٩) هذا هو المنهج القُرآنيُّ للدَّعوة إلى الله، والتَّعامل مع المخالف، وعليه سار أَنبياء الله ورسله، وبه يتحقَّق الإتِّباع، ويحصل التَّأْثير، والمعونة مِن الله ﷻ، ومَن رزقه الله حكمة وعلمًا فإنَّه ينطلق في دعوته مِن أُسس شرعيَّة، تراعي حالة المدعوِّين وزمانهم، وقوتهم وضعفهم، والمصالح والمفاسد، بعيدًا عن مؤثِّرات النَّفس وطِباعها وعاطفتها، ومتطلَّبات العوامِّ والجَهلة، الذين لا يدركون مآلات الأُمور، ولا يحسبون لها حسابها.

(١٠) هم المذكورون في قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الفتح:٢٩].

(١١) الفتح: ٢٩

والفَرْقُ(١) بيْنَ قولِهِ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾(٢)، وبيْنَ قولِهِ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٣): أَنَّ هِدايةَ الإرشادِ والتَّعليمِ والبَيَانِ هي التي أَثبتَها لِرسولِهِ، بلْ ولكلِّ مَن لَهُ تَعليمٌ وإرشادٌ للخَلقِ؛ كمَا قال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾(٤)، وقالَ: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾(٥).

وأَمَّا هِدايةُ التَّوفيقِ، ووضعِ الإيمانِ في القُلوبِ فإنَّها مُختَصَّةٌ باللهِ؛ فكمَا لا يَخْلُقُ ولا يَرزُقُ ولا يُحْيِي ويُميتُ إلَّا اللهُ، فلا يَهدي إلَّا اللهُ(٦).

والفَرْقُ بيْنَ التَّبْصِرَةِ والتَّذكِرَةِ في مثلِ: قولِهِ: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾(٧):

أَنَّ التَّبْصِرَةَ: هي العِلْمُ بالشَّيءِ والتَّبَصُّرُ فيه، والتَّذْكِرَةَ: هي العَمَلُ(٨) اعتقادًا وعَملًا(٩)، وتوضيحُ هذا أَنَّ العِلْمَ التَّامَّ النَّافعَ يفتقِرُ إلى ثلاثةِ أُمورٍ(١٠):

- التَّفَكُّرُ أَوَّلًا في آياتِ اللهِ المتلوَّةِ والمشهودةِ.

- فإذا تَفَكَّرَ أَدرَكَ ما تَفَكَّرَ فيهِ بحسَبِ فَهمِهِ وذكائِهِ، فعرفَ ما تَفَكَّرَ فيهِ وفَهِمَهُ، وهذا هو التَّبْصِرةُ.

- فإذا عَلِمَهُ عَمِلَ بهِ؛ فإنْ كانَ اعتقادًا وإيمانًا صَدَّقهُ بقلبِهِ وأَقرَّ بهِ واعترَفَ، وإنْ اقتضَى

---

(١) هذا أَحد الموضع التي سيذكرها المؤلِّف؛ ليدفع الإشكال، وما يوهم التَّعارض بين بعض الآيات عند بعض النَّاس، وهو مِن علوم القرآن، وسبق الكلام على شيءِ مِنه: (ص:٦). وينظر: القواعد الحِسان، (ص:٣٦-٤٠).

(٢) القصص: ٥٦

(٣) الشورى: ٥٢

(٤) الأنبياء: ٧٣

(٥) الرعد: ٧

(٦) ذكر هذا ابن تَيميَّة، وابن القَيِّم، وابن كثير. ينظر: مَجْمُوع الفَتاوَى، (٣٠٨/١، ١٧٢/١٨)، وبدائع الفوائد، (٣٧/٢)، وتفسير القرآن العظيم، (١٣٧/١).

(٧) ق: ٨

(٨) قال ابن تَيميَّة: "فالآيات المخلوقة والمتلوَّة فيها تبصرة، وفيها تذكرة: تبصرة مِن العمى، وتذكرة مِن الغفلة؛ فيبصر مَن لم يكن عَرف حتَّى يعرِف، ويذكر مَن عرف ونسي". مَجْمُوع الفَتاوَى، (٢٣٦/٧).
وقال ابن القَيِّم: "التَّبصِرة توجب العلم والمعرفة، والذِّكرى توجب الإنابة والانقياد، وبهما تتمُّ الهداية". شِفَاء العَلِيل، (ص:١٩٤)، وينظر: الرَّدُّ على المنطقيِّيْن، لابن تَيميَّة، (ص:٣٤١)، وبصائر ذوي التَّمييز، (٣٢٠/٢).

(٩) "بالعلم"، زيادة في: (س)، وهي أَكثر توضيحًا للمقصود.

(١٠) أَشار إليها ابن القَيِّم في منزلة التَّذَكُّر، في مَدارِج السَّالِكِين، (٤٣٩/١-٤٤٣)، وإعلام الموقِّعين، (١١٢/١).

عَمَلًا قَلْبِيًّا أَو قَوْلِيًا أَو بَدَنِيًا عَمِلَ بِهِ، وهذا هو التَّذَكُّرُ وهو التَّذْكِرةُ، وحاصلُ ذلكَ هو مَعرفةُ الحَقِّ واتِّباعُهُ، ومَعرِفةُ الباطِلِ واجتنابُهُ.

والفَرْقُ(١) بين المواضعِ التي وَرَدَ في القرآنِ أَنَّ النَّاسَ لا يَتساءَلونَ(٢)، ولا يَتكلَّمونَ(٣)، والمواضعِ التي ذُكِرَ فِيها احتجاجُهُم(٤)، وتَكلُّمُهُم(٥)، وخِطابُ بعضِهِم لبعضٍ(٦) مِن وَجهَينِ:

أَوْجَهُهُما: تَقْيِيدُ هذهِ المواضعِ بقولِهِ: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾(٧)؛ فإثباتُ الكَلامِ الْمُتَعَدِّدِ مِن الخَلقِ يومَ القيامةِ تَبَعٌ لإذنِ اللهِ لَهُم في ذلكَ، ونَفْيُ التَّساؤلِ والكلامِ في الحالةِ التي لم يُؤْذَنْ لَهُم(٨).

الوجْهُ الثَّاني: ما قالَهُ كثيرٌ مِن المفسِّرِينَ(٩): إنَّ القِيامةَ لها أَحوالٌ ومَقامَاتٌ، فَفِي بعضِ الأَحوالِ والمقَامَاتِ يَتكلَّمُونَ، وفِي بعضِها لا يَتكلَّمُونَ، وهذا الوجْهُ لا يُنافِي الأَوَّلَ، فيُقالُ: هذهِ

---

(١) هذا من مواضعِ دفع المشْكِل، ومُوهم التَّعارض بين الآيات، عند بعض النَّاس، ينظر: (ص:٦، ٦).

(٢) قال ﷻ: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [القصص:٦٦]، وقال ﷻ: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج:١٠].

(٣) قال تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ [المرسلات:٣٥].

(٤) قال ﷻ: ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [غافر:٤٧-٥٠].

(٥) قال ﷻ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه:١٠٨]، وأخبر ﷻ أنَّ أَهل النَّار: ﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ [المؤمنون:١١٣].

(٦) قال ﷻ: ﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء:٩٦-٩٧]، وقال ﷻ: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾ [الصافات:٢٧-٣٢].

(٧) النبأ: ٣٨

(٨) قال ابن تيميَّة بعد الآية التي ذكرها المؤلِّف ﷺ: "فإنَّ هذا مثل قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طه:١٠٩]؛ ففي الموضعين: اشترط إذنه؛ فهناك ذَكَر: القول الصَّواب، وهنا ذَكَر: أَنْ يرضى قولَه، ومَن قال الصَّواب رَضِيَ اللهُ قوله؛ فإنَّ الله إنَّما يرضى بالصَّواب، وقد ذكَرُوا في تلك الآية قولَين: أَحدهما: أَنَّه الشَّفاعة. . . والثَّاني: لا يقدر الخَلق على أَنْ يكلِّموا الرَّب إلَّا بإذنه". مَجْمُوع الفَتاوَى، (٣٩٦/١٤).

(٩) مِنهم ابن عبَّاس، وعِكْرِمة، وابن قُتَيْبَة، والبَغَوِيُّ، وابن عَطيَّة، والشَّوكانيُّ ﷺ. ينظر: تأْويل مُشْكِل القرآن، (ص:٤٧)، ومَعَالم التَّنزيل، (٣٧٤/٣)، والمحرَّر الوجيز، (١٥٦/٤)، وفَتْح القَدير، (٥٩٠/٣).

الأَحوالُ والمقَامَاتُ تَبعٌ لإِذْنِ اللهِ لَهُم، أَو عدمِهِ.

والفَرْقُ(١) بيْنَ إِثباتِ اللهِ في القُرآنِ الأَنساب بيْنَ النَّاسِ في مواضعَ كثيرةٍ(٢)، ونَفيِها في مواضِعَ(٣)[١٤٥](٤): أَنَّ المواضِعَ الْمَنْفِيَّةَ الْمُرادُ بِها: أَنَّ الأَنسابَ لا تَنْفعُ(٥)، كَمَا أَنَّ جميعَ الأَسبابِ لا تَنْفعُ يومَ القيامَةِ إِلَّا سببٌ واحدٌ، وهو الإِيمانُ والعَملُ الصَّالِحُ؛ كما ذكرَهُ في كتابِهِ في مواضِعَ(٦)، وأَمَّا المواضِعُ الْمُثْبَتَةُ فهو الْمُطَابِقُ لِلحَقِيقةِ(٧).

ويَذْكرُ في كلِّ مَقامٍ بحسَبِهِ؛ ففي مَقاماتِ الفَضلِ والثَّوابِ يَذْكرُ اللهُ فضلَهُ على الجميعِ؛ بِإلحاقِ النَّاقِصِ مِن المؤمِنينَ بالكامِلِ، مِن غيرِ نَقصٍ لِدرَجةِ الكامِلِ؛ مثلُ قولِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾(٨)؛ أَيْ: ما نَقَصْناهُم، ومثلُ: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾(٩)، ونحوُها(١٠).

وفي مَقامَاتِ العَدلِ والعُقوبةِ يَذْكرُ الأَنسابَ، وأَنَّها لا تَنْفعُ(١١)، وأَنَّ الأَمرَ أَعظمُ مِن أَنْ يَلتفِتَ الإِنسانُ إِلى أَقْرَبِ النَّاسِ إِليهِ(١٢)، مثلُ قولِهِ: ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾

---

(١) هذا من مواضعِ دفعِ المشْكِل، ومُوهم التَّعارض بين الآيات، عند بعض النَّاس، ينظر: (ص:٦، ٦).

(٢) قال ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس:٤٥].

(٣) قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون:١٠١].

(٤) الرَّقم مكرَّر.

(٥) قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [لقمان:٣٣]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الدخان:٤١].

(٦) قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ:٣٧].

(٧) أيْ: الأَنساب والقَرابات موجودة، والتَّعارف حاصل بينهم.

(٨) الطور: ٢١

(٩) الرعد: ٢٣

(١٠) أخبر ﷻ أَنَّ مِن دعاء الملائكة المقرَّبين: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [غافر:٨].

(١١) نَفَاها اللهُ ﷻ لعدم نفعها، فصارت كالمعدوم. ينظر: المحرَّر الوجيز، (١٥٦/٤)، وتفسير القرآن العظيم، (٤٩٥/٥).

(١٢) وقِيل: المنفيُّ هو التَّفاخر، كما كان في الدُّنيا، وقِيل: النَّفي والإثبات محمول على اختلاف المواقف. ينظر: مَعَالم التَّنزيل، (٣٧٤/٣)، والتَّسهيل لعلوم التَّنزيل، (٥٧/٢-٥٨)، وفتْح القَدير، (٥٩٠/٣).

وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـْٔوِيهِ﴾(١)، ومثلُ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾(٢).

ونَظِيرُ هذا: الإخبارُ عن الْمُجْرِمِينَ أَنَّهُم يُسأَلونَ عن أَعمالِهم؛ وذلكَ على وجهِ إظهارِ العَدلِ، والتَّوْبِيْخِ والتَّقْرِيْعِ لَهم، والفَضِيحةِ(٣).

و(٤)بعضُ المواضعِ ينفي السُّؤالَ(٥)، مثلُ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾(٦)؛ أَيْ: لا يُحتاجُ في عِلْمِ ذلكَ وجزائِهِ عليهِ إِلى سُؤالِهِ؛ سُؤالِ استِعلامٍ(٧)؛ لأَنَّها مُسَطَّرةٌ عليهِم، قد حُفِظَتْ بالشُّهودِ؛ مِن الملائكةِ(٨)، والجوارحِ(٩)، والأَرضِ(١٠)، وغيرِها(١١).

---

(١) المعارج: ١١-١٣

(٢) عبس: ٣٤-٣٧

(٣) قال ﷻ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣].

(٤) "في"، زيادة في: (س).

(٥) "ينفي السُّؤال"، ليست في: (س).

(٦) الرحمن: ٣٩

(٧) فالسُّؤال المثبت هو سؤال الحساب والتَّوبيخ، كما أخبر ﷻ أنَّه قائل لهم: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٠]، أَمَّا السُّؤال المنفي فهو سؤال الاستفهام المحض، الذي يُفيد الاسترشاد والتَّثبت؛ لأَنَّ الله يعلم كلَّ شيء، فلا يحتاج إلى سؤالهم، قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: "لا يسألهم: هل عملتم كذا؟ لأَنَّه أعلم بذلك مِنهم، ولكن يقول: لِمَ عملتم كذا وكذا؟". تفسير القرآن العظيم، (٤/٥٥١)، وينظر: جامع البيان، (١٢/٣٠٧-٣٠٨)، والتَّسهيل لعلوم التَّنزيل، (١/٤٢١).
وقِيل: إِنَّ النَّفي في حال، ثُمَّ في حال أُخرى يكون السُّؤال. ينظر: تفسير القرآن العظيم، (٧/٤٩٩).
ولا مُنافاة بين ما ذُكر؛ فالسُّؤال المنفي والمثبت في أَحوال مختلفة، وهو سُؤال توبيخ وتَقريع، ليس استثباتًا، واسترشادًا.

(٨) قال تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧-٧٨].

(٩) قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٠-٢٢].

(١٠) قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ١-٤].

(١١) ومِن ذلك ما أَخبر به الله ﷻ أَنَّ هذه الأُمَّة تَشهد على الأُمم السَّابقة، وأَنَّ نبيَّنا محمَّدًا ﷺ يَشد على أُمَّته، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

فائدةٌ(١): النَّفيُ الْمَحضُ لا يكونَ كَمالًا(٢)؛ ولِهذا في مَقامَاتِ المدْحِ: كلُّ نَفْيٍ في القرآنِ فإنَّهُ يُفيْدُ فائدتَينِ:

- نَفْيَ ذلكَ النَّقصِ المصرَّحِ بهِ.
- وإثباتَ ضدِّهِ ونقِيضهِ.

فيَدخلُ في هذا أَشياءُ كثيرةٌ أَعظمُها أَنَّهُ أَثْنَى على نفسِهِ بنَفْيِ أُمورٍ كثِيرةٍ تُنافي كَمالَهُ:

نَفَى الشَّرِيكَ في مواضِعَ مُتَعدِّدَةٍ(٣)، فيقتضِي توَحُّدَهُ بالكمالِ الْمُطلَقِ، وأَنَّهُ لا شَريكَ لَهُ في رُبوبيَّتهِ، وإلهيَّتهِ، وأَسمائِهِ وصِفاتِهِ.

وسبَّحَ نفسَهُ في مواضعَ(٤)، وأَخبرَ في مواضعَ عن تَسْبيحِ المخلوقاتِ(٥).

والتَّسْبيحُ تنزيهُ اللهِ عن كلِّ نَقصٍ، وعن أَنْ يُماثِلَهُ أَحدٌ، وذلكَ يَدلُّ على كَمالِهِ(٦).

---

(١) هذه الفائدة تتعلَّق في النَّفي في القرآن الكريم، وهو مِن مباحث علوم القرآن، وقد عرَّفه ابن فارس رحمه الله بأنَّه: "تَعْرِية شيءٍ مِن شيءٍ، وإبعاده منه". مقاييس اللُّغة، مادَّة: (نفي)، وينظر: البُرهان في علوم القرآن، (٣٧٥/٢).

(٢) هذا ما قرَّره ابن تَيميَّة رحمه الله بقوله: "وينبغي أَنْ يُعلم أَنَّ النَّفي ليس فيه مدح ولا كمال، إلَّا إذا تضمَّن إثباتًا، وإلَّا فمجرَّد النَّفي ليس فيه مدح ولا كمال؛ لأَنَّ النَّفي المحض عدمٌ محض، والعدمُ المحض ليس بشيء، وما ليس بشيءٍ هو كما قِيل: ليس بشيء، فضلًا عن أَنْ يكون مدحًا أَو كمالًا؛ ولأَنَّ النَّفي المحض يوصف به المعدوم والممتنع، والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال؛ فلهذا كان عامَّة ما وصف الله به نفسه مِن النَّفي مُتَضمِّنًا لإثبات مدح". التَّدمرية، (ص:٥٧-٥٨)، وينظر: بدائع الفوائد، (١٦١/١).

(٣) قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء:١١١]، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:١-٢].

(٤) قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص:٦٨]، وقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾ [يس:٣٦]، وقال جلَّ: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات:١٨٠].

(٥) قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء:٤٤].

(٦) التَّسبيح يتضمَّن التَّعظيم، قال السَّمعاني رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء:١]؛ سبحان: تنزيه الله مِن كلِّ سوء، وحقيقته تعظيم الله بوصف المبالغة، ووصفه بالبَراءة مِن كلِّ نقص". تفسير السَّمعاني، (٢١٢/٣). وينظر: مَجْمُوع الفَتاوَى، (٢٥٣/١٠).

ونَفَى عن نفسِهِ الصَّاحِبَةَ، والوَلَدَ(١)، ومُكافأَةَ أَحدٍ، ومُماثلَتَهُ(٢)؛ وذلكَ يَدلُّ على كمالِهِ المطلَقِ، وتفرُّدِهُ بالوحدانيَّةِ، والغِنَى المُطلَقِ، والْمُلْكِ الْمُطْلَقِ.

ونَفَى عن نفسِهِ السِّنَةَ(٣)، والنَّومَ(٤)، والْموتَ(٥)؛ لكمالِ حياتِهِ، وقَيُّومِيَّتِهِ.

ونَفَى كذلكَ الظُّلْمَ في مواضعَ كثيرةٍ(٦)؛ وذلكَ يدلُّ على كمالِ عَدلِهِ، وسَعةِ فضلِهِ.

ونَفَى أَنْ: ﴿يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾(٧) أَو يُعْجِزَهُ شَيءٌ(٨)؛ وذلكَ لإِحاطةِ عِلمِهِ، وكَمالِ قُدرتِهِ.

ونَفَى العَبَثَ في مَخلوقاتِه(٩)، وفي شَرعِهِ(١٠)؛ وذلِكَ لِكمالِ حِكْمَتِهِ، وهذهِ فائدةٌ عَظيمَةٌ فاحفَظْها في خِزانةِ قلبِكَ، فإنَّها خيرُ الكُنوزِ، وأَنفعُها.

وكذلِكَ نَفَى عن كتابهِ القرآنِ الرَّيبَ(١١) والعِوجَ(١٢) والشَّكَّ(١٣) ونحوَها(١٤)؛ وذلِكَ يَدلُّ على أَنَّهُ الحَقُ في أَخبارِهِ، وأَحكامِهِ؛ فأَخبارُهُ أَصْدقُ الأَخبارِ، وأَحْكَمُها، وأَنفعُها للعِبادِ.

---

(١) قال ﷻ: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا﴾ [الجن:٣].

(٢) قال تعالى: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ [الإخلاص:٤].

(٣) السِّنَةُ: النُّعاسُ. ينظر: غريب القرآن، لابن قُتَيْبَة، (ص:٩٣)، وجامع البيان، (٥/٣٨٩).

(٤) قال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ [البقرة:٢٥٥].

(٥) قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨].

(٦) قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ﴾ [النساء:٤٠]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا﴾ [يونس:٤٤].

(٧) آل عمران: ٥

(٨) قال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا﴾ [فاطر:٤٤].

(٩) قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗا﴾ [ص:٢٧].

(١٠) قال ﷻ: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ [الحجر:٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا﴾ [الفرقان:٣٣].

(١١) قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ [البقرة:٢]، وقال ﷻ: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾ [السجدة:٢].

(١٢) قال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾ [الكهف:١].

(١٣) قال ﷻ: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ [يونس:٩٤].

(١٤) كالباطل، والشِّعر، والكِهانة، قال ﷻ: ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾ [فصلت:٤٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة:٤١-٤٢].

وأَحْكَامُهُ كلُّها مُحْكَمَةٌ في كَمالِ العَدلِ والحُسْنِ، والاستقامةِ على الصِّراطِ المستقِيمِ(١).

وقال عن نبيِّهِ ﷺ: ﴿مَاضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَاغَوَىٰ﴾(٢)؛ فنَفَى عنهُ الضَّلالَ مِن جميعِ الوُجُوهِ، وهو عَدمُ العِلْمِ، أَو قِلَّتُهُ، أَو نَقصُهُ، أَو عَدمُ جودَتِهِ(٣)، والغَيَّ؛ وهو سُوءُ القَصْدِ، فيدلُّ ذلكَ أَنَّهُ أَعلمُ الخَلقِ على الإِطلاقِ، وأَهداهُم وأَعظَمُهُم عِلمًا ويَقِينًا وإِيمانًا، وأَنَّهُ أَنْصحُ الخَلقِ لِلخَلقِ، وأَعظَمُهُم إِخلاصًا للهِ وطَلَبًا لِمَا عندَهُ، وأَبعدُهُم عن الأَغراضِ الرَّدِيئةِ(٤).

وكذلِكَ نَفَى عنهُ كلَّ نَقصٍ قالَهُ أَعداؤُهُ فيهِ، وأَنَّهُ في الذِّروةِ العُليا مِن الكَمالِ المضادِ لِذلكَ النَّقصِ(٥).

وكذلِكَ نَفَى اللهُ مِن(٦) أَهلِ الجَنَّةِ الحَزَنَ والكَدَرَ(٧)، والنَّصَبَ(٨)، واللُّغُوبَ(٩)، والْمَوتَ(١٠)، وغيرَها مِن الآفاتِ(١١)؛ فيدُلُّ ذلكَ على كَمالِ سُرورِهِم وفرَحِهِم، واتِّصالِ نَعيمِهِم وكمالِهِ، وكمالِ حياتِهِم، وقُوَّةِ شَبابِهِم[١٤٦]، وكمالِ صِحَّتِهِم، وتَمامِ نَعيمِهِم الرُّوحِيِّ والقَلبِيِّ والبَدَنِيِّ مِن كلِّ وجْهٍ، وأَنَّهُ لا أَعلَى منهُ حتَّى يُطلَبَ عنهُ حِوَلًا(١٢).

---

(١) قال ﷻ: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود:١]، وقال تعالى: ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [يس:١-٢].

(٢) النجم: ٢

(٣) نفى ﷻ الجهل عن رسوله ﷺ مِمَّا يدلُّ على كمال عِلمه. ينظر: جامع المسائل، لابن تَيميَّة، (٣/٨٥)، ومِفتاح دار السَّعادة، (١/٤٠)، وتفسير القرآن العظيم، (٧/٤٤٢-٤٤٣).

(٤) نَفْيُ الغواية عنه ﷺ يدلُّ على كَمال رُشده وبرِّه، وعلمه وعمله، قال ابن كثير رحمه الله: "الغَاوي: هو العالم بالحقِّ العادل عنه قصدًا إلى غيره". تفسير القرآن العظيم، (٧/٤٤٣)، ومِفتاح دار السَّعادة، (١/٤٠).

(٥) سبقت أَدلَّة ذلك: (ص:٦-٦).

(٦) س: "عن"، وهي الأَولى؛ لأَنها تدلُّ على المجاوزة والبعد. ينظر: شرح المفصَّل، (٤/٤٩٩).

(٧) قال ﷻ مُخْبِرًا عن أَهل الجنَّة: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ﴾ [فاطر:٣٤].

(٨) قال ﷻ: ﴿لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٌ﴾ [الحجر:٤٨]؛ النَّصَبُ: التَّعب. ينظر: معاني القرآن، للزَّجَّاج، (٤/٢٧١)، والمفْردات، مادَّة: (نصب).

(٩) قال ﷻ مُخْبِرًا عن أَهل الجنَّة: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر:٣٥]. اللُّغُوبُ: "الإِعياء مِن التَّعَب". معاني القرآن، للزَّجَّاج، (٤/٢٧١)، وينظر: معاني القرآن، للفرَّاء، (٢/٣٧٠).

(١٠) قال تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ [الدخان:٥٦].

(١١) قال ﷻ: ﴿لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا وَلَا تَأۡثِيمًا﴾ [الواقعة:٢٥]، وقال ﷻ: ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا وَلَا كِذَّٰبًا﴾ [النبأ:٣٥].

(١٢) قال ﷻ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلًا﴾ [الكهف:١٠٨].

وعَكْسُ هذا ما نَفَى القرآنُ عنهُ صِفاتِ الكَمالِ، فإِنَّهُ يُثْبِتُ لَهُ ضِدَّ ذلكَ مِن النَّقصِ؛ كَمَا نَفَى عن آلهةِ المشرِكِينَ جَميعَ الكَمالاتِ القَوليَّةِ، والفِعليَّةِ، والذَّاتيَّةِ[(١)]، وذلكَ يدلُّ على نَقْصِها مِن كلِّ وجهٍ، وأَنَّها لا تَستحِقُّ مِن العبادةِ مِثقالَ ذَرَّةٍ[(٢)].

فائدةٌ: قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾[(٣)]؛ أَيْ: القُوَّةِ والشَّجاعةِ في هذهِ الآيةِ، على أَنَّ الْمَلِكَ إذا اجتمعتْ فيهِ هاتانِ الخَصلَتانِ:

- العِلْمُ بالوِلايةِ والسِّياسةِ، وحُسنُ التَّدبِيْرِ.

- والشَّجاعةُ، والقُوَّةُ.

فهو الذي يَصلُحُ لِلْوِلايةِ والْمُلكِ، وإنْ لم يكنْ مِن بيْتِ الْمُلكِ، ولا ذَا مالٍ، فإِنَّ العِبرَةَ بِجميعِ الوِلَايَاتِ إمكانُ إقامتِها، والنُّهوضِ بِها على أَكملِ الحالاتِ، ووِلايةُ الْمُلكِ لا تَتِمُّ إِلَّا بالعِلمِ، والشَّجاعَةِ القَلبيَّةِ، والبدنيَّةِ[(٤)].

فائدةٌ: قولُهُ تعالى: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾[(٥)]: يُؤخَذُ مِن عُمومِها اللَّفظِيِّ[(٦)]، والْمَعنوِيِّ[(٧)] أَنَّ كلَّ مَطلُوبٍ مِن المطالِبِ الْمُهمَّةِ يَنبغي أَنْ يُؤتَى مِن بابِهِ، وهو أَقربُ طريقٍ

(١) قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٣-١٤].

(٢) قال ﷻ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ:٢٢].

(٣) البقرة: ٢٤٧

(٤) قال ابن كثير رحمه الله: "ومِن هاهنا ينبغي أَنْ يكون الْمَلِك ذا علم، وشكل حسن، وقوّة شديدة في بدنه، ونفسه". تفسير القرآن العظيم، (٦٦٦/١).

(٥) البقرة: ١٨٩

(٦) لأَنَّ الأَلف واللَّام في: ﴿ٱلْبُيُوتَ﴾: تُفيد العموم. ينظر: الفقيه والمتفقِّه، للخطيب البَغْدَادي، (٢٢٤/١).

(٧) في عموم الآية خلاف بين العلماء: فمن لم ير العموم قال: المراد البيوت الحقيقية؛ وذلك بناء على سبب النُّزول، الذي أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب الحجِّ، باب قول اللَّه تعالى: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة:١٨٩]، (٨/٣) ح (١٨٠٣)، واللَّفظ لَهُ، ومسلم في صحيحه، كتاب التَّفسير، باب في تفسير آيات مُتفرِّقة، (٢٣١٩/٤) ح (٣٠٢٦)، عن البراء رضي الله عنه، يقول: "نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِينَا، كَانَتِ الأَنْصَارُ إِذَا حَجُّوا فَجَاءُوا، لَمْ يَدْخُلُوا مِنْ قِبَلِ أَبْوَابِ بُيُوتِهِمْ، وَلَكِنْ مِنْ ظُهُورِهَا، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَدَخَلَ مِنْ قِبَلِ بَابِهِ، =

ووسِيلةٍ يُتوصَّلُ بِها إليهِ، وذلكَ يَقتضِي مَعرفةَ الأَسبابِ والوسائلِ معرفةً تامَّةً؛ لِيُسْلَكَ الأَحسنُ مِنها، والأَقربُ والأَسهلُ، والأَقربُ نجاحًا، لا فرقَ بيْنَ الأُمورِ العِلميَّةِ[١] والعَمَليَّةِ[٢]، ولا بيْنَ الأُمورِ الدِّينيَّةِ[٣] والدُّنيويَّةِ[٤]، ولا بيْنَ الأُمورِ الْمُتَعدِّيَةِ[٥]، والقَاصِرةِ[٦]، وهذا مِن الحِكْمةِ[٧].

فائدةٌ[٨]: لَمَّا ذَكَرَ اللهُ الأَنبياءَ وأَثنَى عليهِم قالَ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[٩]: تدلُّ على اتِّباعِ جميعِ الأنبياءِ في جميعِ هُداهُم، واللهُ هَداهُم في عَقائِدهِم وأَخْلاقِهِم، وأَعمالِهِم وأَقوالِهِم وأَفعالِهِم؛ فكُلُّ أَمْرٍ أَثْنَى اللهُ فيهِ على أَحدٍ مِن أَنبيائِهِ مِن عَقْدٍ[١٠]، أَو خُلُقٍ[١١]،

فكَأَنَّهُ عُيِّرَ بِذَلِكَ، فنَزَلَتْ: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾". [البقرة: ١٨٩].

وأَمَّا مَن قال بالعموم فالآية عنده خرجت مَخرج التَّنبيه، وأَنَّها مِن باب التَّمثيل؛ لتأْتي الأُمور مِن مَأْتاها اللائق بها. ومِمَّا لا خلاف فيه أَنَّه ينبغي إتيان الأُمور مِن طُرقها السَّهلة القَريبة، وأَنَّ ذلك مِن الحِكمة، التي أَشار إليه المؤلِّف ﵀، ولكن الخلاف في كون هذا المعنى مأْخوذًا مِن الآية، أَو أَنَّها لا تدل عليه، وأَنَّه مستفاد مِن نصوص أُخرى. ينظر: المحرَّر الوجيز، (١/٢٦١)، والجامع لأَحكام القرآن، (٢/٣٤٦)، وتفسير القرآن الحكيم، (١/٩٧).

(١) كطلب العلم، والتَّدرج فيه، وأَخذه مِن أَهله، والبدء بالأُسس والأُصول، والمختصرات، ونحو ذلك.

(٢) كأَداء العبادات، والدُّخول للبيوت، ومزاولة الأَعمال؛ مِن زراعة، وتجارة، وصناعة، وغيرها.

(٣) كالنَّصيحة، والأَمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، ونحوها؛ بأَنْ يكون ذلك بعلم، ولين، ووقت مناسب، ودعوة إلى الله لا إلى حُظوظ النَّفس، أَو الانتصار لها.

(٤) كالزَّواج، وطلب الولد، وصلاحه، وأُمور البيع والشِّراء، وغير ذلك.

(٥) مِمَّا يتعلَّق بالآخرين، وماهم فيه شأْن، فالنَّاس يحتاجون إلى تعامل حكيم، تُراعى فيه المصالح والمفاسد، والطِّباع النَّفسيَّة، وحال القُوَّة والضَّعف، والفَرح والحُزن، والصِّحَّة والمرض، والغِنى والفَقر؛ فالعقول مُتباينة، والإِدراك مختلف، والأَحوال متغيِّرة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

(٦) مِمَّا يتعلَّق بالنَّفس وحالها، وفترة إقبالها وإدبارها، وأَحوالها المختلفة.

(٧) سبق تعريفها: (ص: ٦).

(٨) هذه الفائدة تتعلَّق بمسأَلة أُصوليَّة، وهي: هل شرع مَن قبلنا شرع لنا؟ وقد تقدَّم اختيار المؤلِّف فيها: (ص: ٦)، وينظر: القواعد الحسان لتفسير القرآن، (ص: ١٨).

(٩) الأنعام: ٩٠

(١٠) قال ﷻ: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: ٢٨].

(١١) قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤-٥٦]، وقال ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

أَو عَمَلٍ(١) فإِنَّنا مأْمورُونَ بالاقتداءِ بِهِم، وذلكَ مِن هُداهُم، وهو -أَيضًا- مِن شَرِيْعتِنا؛ فإِنَّ اللهَ أَمَرَنا بذلكَ، كما أَمَرَنا بالأَوصافِ العامَّةِ التي تَدخلُ فِيها مُفرداتٌ كثيرةٌ(٢).

فائدةٌ(٣): إذا أَمَرَنا اللهُ في كتابهِ بأَمرٍ كانَ آمرًا بذلكَ، وبِكُلِّ أَمْرٍ لا يَتِمُّ إِلَّا بهِ(٤)؛ فالأَمرُ مثلًا بالصَّلاةِ أَمْرٌ بالطَّهارةِ، وسِترِ العورةِ، واجتنابِ النَّجاسَةِ، واستقبالِ القِبلةِ، وبجميعِ شُروطِها وأَركانِها، وكذلِكَ هو أَمْرٌ بِمعرفتِها، ومَعرفةِ ما لا تَتِمُّ إِلَّا بهِ، وهذا مِن أَعظمِ الأَدلَّةِ على وجوبِ طلبِ العِلْمِ؛ فإِنَّ المأْموراتِ يَتوقَّفُ تكميلُها على مَعرفتِها.

وكذلكَ إذا نَهانا اللهُ عن شَيءٍ كان نَهيًا عن كلِّ وسِيلةٍ تُوصِلُ إليهِ(٥).

والأَمرُ بالجهادِ أَمرٌ بهِ، وبِكلِّ ما يَتوقَّفُ عليهِ في كلِّ زمانٍ، ومَكانٍ(٦).

والأَمرُ بتبليغِ الشَّريعةِ أَمرٌ بكلِّ ما يَحصلُ بهِ التَّبليغُ، ويَتِمُّ ويَكمُلُ، ويَشمَلُ ويَدخُلُ في هذا إِيصالُ الأَحكامِ الشَّرعيَّةِ، وتبليغُها للنَّاسِ بِجميعِ الْمُقَرِّباتِ الحادِثةِ(٧).

---

(١) قال ﷻ: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٨٩-٩٠].

(٢) كالصِّدق، ويشمل: الصِّدق في النِّيات والمقاصد، والأَقوال، والأَفعال، وكالعدل في كلِّ شيءٍ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام:١٥٢].

قال ابن عطيَّة ؒ: "يتضمَّن الشَّهادات، والأَحكام، والتَّوسُّط بين النَّاس، وغير ذلك؛ أَي: ولو كان ميل الحقِّ على قراباتكم". المحرَّر الوجيز، (٢/٣٦٣).

(٣) هذه الفائدة تتعلَّق بالأَوامر والنَّواهي في القرآن الكريم، وما يلزم منها. ينظر: القواعد الحسان، (ص:٣٢-٣٥).

(٤) هذه قاعدة أُصوليَّة سبق الكلام عليها: (ص:٦).

(٥) قال ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام:١٥١]، وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام:١٥٢]، وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الإسراء:٣٢].

(٦) قال ﷻ: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال:٦٠]، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التوبة:٧٣، التحريم:٩].

(٧) كطباعة الكتب، ومُكبِّرات الصَّوت، والإذاعات، والقنوات، والمواقع الإلكترونية، ووسائل الاتِّصال، والتَّواصل الاجتماعيِّ، وغيرها مِن الوسائل الحديثة المتجدِّدة.

فائدةٌ[١]: قدْ أَخبرَ اللهُ في عِدَّةِ آياتٍ بِهدايتِه الكفَّار[٢] على اختلافِ مِلَلِهم ونِحلِهم، وتَوْبتِه على كلِّ مُجْرِمٍ[٣]، وأَخبرَ في آياتٍ أُخرَ أنَّهُ: ﴿لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٤]، ﴿لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[٥]، فمَا الجَمْعُ بينَهُما؟.

فيُقالُ: قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾[٦]: هي الفاصِلةُ بيْنَ مَن هَداهُم اللهُ ومَن لم يهْدِهِم، فمَن حقَّتْ عليهِ كَلمةُ العذابِ -لِعنادِهم، ولِعلمِ اللهِ أَنَّهُم لا يَصلُحونَ للهِدايَةِ؛ بحيثُ صارَ الظُّلمُ والفِسقُ وصفًا لهُم، مُلازِمًا غيرَ قابلٍ للزَّوالِ، ويُعلَمُ ذلكَ بظاهرِ أَحوالِهم، وعِنادِهِم، ومُكابرَتِهم لِلحقائقِ- فهؤلاءِ يَطْبعُ اللهُ على قُلوبِهِم[٧]، فلا يدخلُها خيرٌ أَبدًا، والجُرمُ جُرمُهُم[٨]، فإنَّهم رأَوا سَبيلَ الرُّشدِ فزَهِدُوا فيهِ، ورأَوا سبيلَ الغَيِّ فرَغِبُوا فيهِ[٩]، و﴿ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[١٠][١٤٧].

---

(١) هذه فائدة تتعلَّق بدفع المشْكِل، وما يوهم التَّعارض بين الآيات، عند بعض النَّاس، وينظر: (ص:٦، ٦).

(٢) قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ [فصلت:١٧].

(٣) قال ﷻ: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال:٣٨]، وقال ﷻ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].

(٤) البقرة:٢٥٨، آل عمران:٨٦، المائدة:٥١، الأنعام:١٤٤، التوبة:١٩، ١٠٩، القصص:٥٠، الصف:٧، الجمعة:٥

(٥) المائدة: ١٠٨، التوبة: ٢٤، ٨٠، الصف: ٥، المنافقون: ٦

(٦) يونس: ٩٦-٩٧

(٧) قال ﷻ: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [النحل:١٠٦-١٠٨].

(٨) قال ﷻ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الصف:٥]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الزخرف:٧٤-٧٦].

(٩) قال ﷻ: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٤٦].

(١٠) الأعراف: ٣٠

فائدةٌ(١): ورَدَ في كثيرٍ مِن الآياتِ إضافةُ الأُمورِ إلى قُدْرةِ اللهِ(٢)، ومَشيئتِه(٣)، وعُمومِ خَلقِهِ(٤)، وفي آياتٍ(٥) إضَافتُها إلى عَامِلِيها، وفَاعلِيها(٦).

وهذهِ الآياتُ الْمُتنوِّعةُ تُنزَّلُ على الأَصلِ العَظِيمِ الْمُتَّفقِ عليهِ بينَ سَلفِ الأُمَّةِ(٧)، والذي دلَّ عليهِ العَقلُ والنَّقلُ، وهو أنَّ جميعَ الأُمورِ واقعةٌ بقضاءِ اللهِ وقدَرِهِ(٨) -أَعيانِها، وأَوصَافِها، وأَفعالِها(٩)- وجميعَ ما حَدَثَ ويَحدُثُ لا يَخرجُ شَيءٌ مِنهُ عن قضائِه، وقدَرِهِ(١٠)، ومعَ ذلكَ فقد جَعَلَ اللهُ الحوادثَ تَبَعًا لأَسبابِها(١١)، ولإِرَادةِ الفاعِلِينَ لَها(١٢)، وقُدْرتِهم عليْها(١٣).

---

(١) هذه الفائدة تتعلَّق بالمشْكِل، وما يوهم التَّعارض بين الآيات، في أَذهان بعض النَّاس، ينظر: (ص:٦، ٦).

(٢) قال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:١٨٩]، وقال ﷻ: ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [هود:٤].

(٣) قال ﷻ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [الأنعام:٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟﴾ [الأنعام:١٠٧]، وقال ﷻ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس:٩٩].

(٤) قال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر:٦٢]، وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢].

(٥) س: "كثيرة".

(٦) قال ﷻ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة:١٠٢]، وقال ﷻ: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ﴾ [هود:٣٨]، وقوله تعالى: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص:١٥]، وقال ﷻ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر:٣٧]؛ فأَضاف الأَفعال إِلى عامليها، ومشيئتهم.

(٧) كما في مجْموع الفَتاوى، (٨/١٧، ١٢١-١٢٢، ٢٦٧)، وشِفَاء العَلِيل، (ص:١٠٩-١٢٠، ١٨٨-١٩٠)، ورسالة في القضاء والقدر، للعُثَيْمِين، (ص:٢٤-٢٨)، وتقريب التَّدمريَّة، للعُثَيْمِين، (ص:٩٦-١٠٣).

(٨) قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩].

(٩) فَخَلْقه ﷻ يشمل أَعيان المخلوقات وصفاتها، وكلَّ ما يصدر عنها مِن أَقوال وأَفعال وآثار. ينظر: تقريب التَّدمريَّة، (ص:٩٦).

(١٠) قال ﷻ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان:٣٠]، وقال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٨-٢٩].

(١١) قال ﷻ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا﴾ [المائدة:٣٨]، وقال ﷻ: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة:٢٤].

قال ابن القَيِّم رحمه الله: "ولو تتبَّعنا ما يفيد إِثبات الأَسباب مِن القرآن والسُّنَّة لزاد على عشرة آلاف موضع، ولم نقل ذلك مبالغة بل حقيقة، ويكفي شهادة الحسِّ والعقل والفِطر". شِفَاء العَلِيل، (ص:١٨٩).

(١٢) قال ﷻ: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [آل عمران:١٥٢].

(١٣) قال ﷻ: ﴿وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ﴾ [القلم:٢٥].

فالآياتُ الْمُتعدِّدَةُ المضافةُ إلى عُمومِ قَدَرِه تدلُّ على الأَصلِ الأوَّلِ(١)، والآياتُ الْمُتعدِّدَةُ الْمُضافةُ إلى فاعِلِيها تَدلُّ على الأَصلِ الثَّانِي(٢)، ولا مُنافاةَ بينَهُما؛ فإنَّ أَعمالَ العِبادِ مَثلًا تَقعُ بِفِعلِهِم وإِرادتِهِم وقُدْرتِهِم، واللهُ خَالِقُهُم وخَالقُ قُدرتِهِم وإِرادتِهِم، وخالقُ السَّببِ التَّامِّ خَالقُ للمُسبَّبِ(٣)، ومعَ ذلكَ فقدْ جعلَهُم في أَفعالِهم، وتُروكِهم مُختَارِينَ غيرَ مَجْبُورِينَ(٤).

فائدةٌ: يَختِمُ اللهُ كثيرًا مِن الآياتِ عندما يُبيِّن للعِبادِ مِن(٥) الأُصولِ، والأَحكَامِ النَّافِعةِ بقولِهِ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٦)، وهذا يَدلُّ على أُمورٍ(٧):

مِنها: أَنَّ اللهِ يُحبُّ منَّا أَنَّ نَعقِلَ أَحكامَهُ، وإِرشاداتِهِ وتعليماتِهِ، فنحفَظُهُا، ونَفْهَمُها ونَعقِلُها بقُلوبِنا، ونُؤيِّدُ هذا العَقلَ، ونُثْبِتُهُ بالعَملِ بِها(٨).

ومِنها: أَنَّهُ كمَا يُحِبُّ منَّا أَنْ نَعْقِلَ هذا الحُكمَ الذي بَيَّنَهُ بيانًا خاصًّا، فإِنَّهُ يُحِبُّ أَنْ نَعْقِلَ بقيَّةَ ما أَنزلَ علينا مِن الكتابِ والحِكْمةِ، وأَنْ نعقِلَ آياتهِ الْمَسمُوعَةِ(٩)، وآياتهِ الْمَشهُودَةِ(١٠).

---

(١) وهو: أَنَّ جميع الأُمور واقعة بقضاء الله، وقدره.

(٢) وهو: أَنَّ الحوادث تَبع لأَسبابها، وإرادة الفاعلِين لها، وقُدرتهم عليها.

(٣) قال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦].

(٤) قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩]، وقال ﷻ: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر:٧].

(٥) "مِن"، ليست في: (س)، والسِّياق لا يحتاجها.

(٦) البقرة: ٧٣، ٢٤٢، الأنعام: ١٥١، النور: ٦١، الزخرف: ٣، الحديد: ١٧

(٧) أَشار ابن تَيميَّة، وابن القَيِّم ﷺ إلى شيء مِن هذه الأُمور: ينظر: مَجْمُوع الفَتاوَى، (١٥٨/٥)، ومَدارِج السَّالِكِين، (٢٥٤/١-٢٥٦، ٤٤٩-٤٥١).

(٨) قال ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٢٤٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام:١٥١].

(٩) قال ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف:٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف:٣].

(١٠) قال ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [المؤمنون:٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات:١٣٧-١٣٨].

ومِنها: أَنَّ في هذا أَكبرَ دليلٍ على أَنَّ مَعرِفةَ ما أَنزلَ اللهُ إِلينا مِن أَعظمِ ما يُرَبِّي عُقولَنا، ويجعلُها عُقولًا تَفهَمُ الحقائقَ النَّافعةَ والضَّارَّةَ، وتُرَجِّحُ هذهِ على هذهِ، ولا تَميلُ بِها الأَهواءُ والأَغراضُ، والخَيالاتُ والخُرَافاتُ الضَّارَّةُ الْمُفسِدةُ للعُقولِ(١).

وإِذا أَردتَ مَعرِفةَ مقاديرِ عُقولِ الخَلقِ على الحقيقةِ، فانظرْ إِلى عُقولِ المهتَدينَ بهدايةِ القرآنِ والسُّنَّةِ، وإِلى عُقولِ المنحرِفِينَ عن ذلكَ تَجِدِ الفَرقَ العظيمَ(٢).

ولا تَحسَبَنَّ العقلَ هو الذَّكاءُ وقوَّةُ الفِطْنَةِ، والفَصَاحةُ اللَّفظيَّةُ، وكثرَةُ القِيلِ والقَالِ، وإِنَّما العَقلُ الصَّحيحُ أَنْ يَعقِلَ العَبدُ في قلبِهِ الحَقائقَ النَّافعَةَ، عقلًا يُحيطُ بِمعرفتِها، ويُمَيِّزُ بينَها وبيْنَ ضِدِّها، ويَعرِفُ الرَّاجحَ مِن الأُمورِ فيُؤْثِرهُ، والمرجُوحَ أَو الضَّارَ فَيترُكُهُ(٣).

وبعبارةٍ أُخرى مختصرةٍ نقولُ: [العقلُ: هو الذي يُعقلُ بهِ](٤) العُلومُ النَّافعةُ، ويَعقِلُ صاحبَهُ، ويَمنَعهُ مِن الأَحوالِ الضَّارةِ(٥).

فائدةٌ(٦): وردَ في القرآنِ آياتٌ عامَّةٌ، عُطفَ عليهِ بعضُ أَفرادِها الدَّاخلةِ فِيها، وذلكَ يَدلُّ

---

(١) قال جلَّ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة:١٥-١٦].

(٢) قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت:٤٤].

(٣) قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك:١٠].
وقال الشَّافعيُّ رحمه الله: "لَيْسَ الْعَاقِلُ الَّذِي يُدْفَعُ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَيَخْتَارُ الْخَيْرَ، وَلَكِنَّ الْعَاقِلَ الَّذِي يُدْفَعُ بَيْنَ الشَّرَّيْنِ فَيَخْتَارُ أَيْسَرَهُمَا". حلية الأولياء، (١٣٩/٩)، وينظر: مجْمُوع الفَتاوَى، (٥٤/٢٠).

(٤) خ: "العاقلُ هو مَن يعقل"، وس: "العقل: هو الذي يعقل به"، وهذا هو الأَولى؛ لأَنَّ الكلام هنا عن العقل، وليس عن صاحبه، كما يدل على ذلك السِّياق.

(٥) س: "الأُمور الضَّارَّة".

(٦) هذه الفائدة من عطف الخاصِّ على العامِّ، وهو من علوم القرآن الكريم: والمقصود: ما كان فيه الأَوَّل شاملًا للثَّاني -لا ما هو المصطلح عليه في علم أصول الفقه- ويُسمَّى بالتَّجريد؛ كأنَّه جُرِّد مِن الجملة، وأَنَّه ليس مِن جنس العامِّ، ثُمَّ أُفرد بالذِّكر تفصيلًا، وإِشعارًا بفضله؛ وتنزيلًا للتَّغاير في الوصف منزلة التَّغاير في الذَّات، وشرطه كون العطف بالواو، وأَنْ يكون للمعطوف مَزيَّة. ينظر: البُرهان في علوم القرآن، (٤٦٥/٢)، والإتقان في علوم القرآن، (٢٤٠/٣-٢٤١).

على فَضيلةِ المخصوصِ وآكديَّتِهِ، وأَنَّ لَهُ مِن الْمَزَايا ما أَوجبَ النَّصَّ عليهِ، مثلُ قولِهِ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾(١)، ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾(٢)؛ وهو جبريلُ(٣)، ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾(٤)، ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ﴾(٥)، دخلَ فيهِ الدِّينُ كلُّهُ، ثُمَّ قالَ: ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾(٦).

ومثلُهُ: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾(٧)؛ أَيْ: اتَّبعْهُ، ويَدخلُ في ذلكَ جميعُ الشَّرائعِ، ثُمَّ قال: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾(٨)، وذَكَرَ السَّبَبَ في ذلكَ(٩)، إلى غيرِ ذلكَ مِن الآياتِ التي إذا تأَمَّلتَ المخصُوصَ مِن العامِّ؛ عَلِمتَ أَنَّ ذلكَ لِشَرَفِهِ وآكديَّتِهِ، وما يَترتَّبُ عليهِ مِن الثَّمراتِ الطَّيِّبةِ.

فائدةٌ لطيفةٌ(١٠): في عِدَّةِ آياتٍ مِن القرآنِ إذا ذَكرَ اللهُ الحُكمَ لم يَنصَّ على نَفسِ الحُكمِ عليهِ، بل يَذْكرُ مِن أَسمائِهِ الحُسْنَى ما إذا عُلِمَ ذلكَ الاسمُ وعُلِمتْ آثارُهُ، عُلِمَ أَنَّ ذلكَ الحُكْمَ مِن آثارِ ذلكَ الاسمِ(١١).

وهذا إِنْهَاضٌ(١٢) مِن اللهِ لِعبادِهِ أَنْ يعرِفُوا أَسماءَهُ حقَّ المعرفةِ(١٣)، وأَنْ يَعلَمُوا أَنَّها الأَصلُ في

---

(١) البقرة: ٩٨

(٢) القدر: ٤

(٣) جزم به ابن جرِيْر، والبَغَوِيُّ، وابن جُزَيٍّ، ومال إليه ابن كثيرﷺ، وقال: "وأَمَّا الرُّوح فقِيل: المراد به هاهنا جبريلﷺ، فيكون مِن باب عطف الخاصِّ على العامِّ، وقِيل: هم ضرب مِن الملائكة". تفسير القرآن العظيم، (٨/٤٤٤)، وينظر: جامع البيان، (٢٤/٥٣٤)، ومَعَالم التَّنزيل، (٥/٢٨٩)، والتَّسهيل لعلوم التَّنزيل، (٢/٥٠٠).

(٤) البقرة: ٢٣٨

(٥) الأعراف: ١٧٠

(٦) الأعراف: ١٧٠

(٧) العنكبوت: ٤٥

(٨) الآية السَّابقة.

(٩) السَّبب هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥].

(١٠) هذه الفائدة تتعلَّق بختم الآيات بالأَسماء الحُسنى، وهو نوع مِن مباحث المناسبات في علوم القرآن الكريم.

(١١) قالﷻ: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٠٩].

(١٢) الإِنْهَاضُ: مِن نهض؛ أَيْ: قام، وأَنْهَضْتُه: أَمرته بالنُّهوض. ينظر: الصِّحاح، والْمِصباح الْمُنِيْر، مادَّة: (نهض).

(١٣) فيستفاد مِن ذلك أَخذ الأَحكام الشَّرعيَّة مِمَّا تقتضيه تلك الأَسماء؛ لأَنَّ اللهﷻ يُعلِّل أَحكامه وأَفعاله بأَسمائه، قال ابن القيِّمﷺ: "وإذا تأَمَّلت ختم الآيات بالأَسماء والصِّفات وجدت كلامه مُختتمًا بذكر الصِّفة التي يقتضيها ذلك المقام حتَّى كأَنَّها ذُكرت دليلًا عليه وموجبة لَهُ، وهذا كقوله: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ
=

الخَلقِ والأَمْرِ[(١)]، وأَنَّ الخَلقَ والأَمْرَ مِن آثارِ أَسمائِهِ الحُسْنَى[(٢)]، وذلكَ مثلُ قولِهِ: ﴿فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢٢٦ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[(٣)]؛ فَيُستفادُ أَنَّ الفَيْئَةَ[(٤)] يُحِبُّها اللهُ، وأَنَّهُ يَغفِرُ لمن فاءَ ويَرحَمُهُ، وأَنَّ الطَّلاقَ كَرِيْهٌ إِلى اللهِ[(٥)].

وأَمَّا الْمُؤْلِي إذا طَلَّقَ فإِنَّ اللهَ -تعالى- سَيجازِيهِ على ما فَعلَ مِن السَّبَبِ[(٦)]؛ وهو الإِيلاءُ[(٧)]، والْمُسَبَّبِ؛ وهو [١٤٨] ما رَتَّبَ[(٨)] عليهِ[(٩)].

﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٨]؛ أَيْ: فإِنَّ مغفرتك لهم مصدر عن عزَّة هي كمال القُدرة، لا عن عجز وجهل". شِفَاء العَلِيل، (ص:٢٠٠)، وينظر: جلاء الأفهام، (ص:١٧٣)، وتفسير العُثَيْمِين: الفاتحة والبقرة، (٣٨٢/٢).

(١) قال ابن القَيِّم ﷺ: "ومصدر الخلق والأمر عن أَسمائه الحُسنى، وهما مرتبطان بها ارتباط المقتضى بمقتضيه؛ فالأَمر كلُّه مصدره عن أَسمائه الحُسنى، وهذا كلُّه حسن، لا يخرج عن مصالح العباد والرَّأفة والرَّحمة بهم والإِحسان إِليهم؛ بتكميلهم بما أَمرهم به ونهاهم عنه، فأَمْره كلُّه مصلحة وحكمة، ولطف وإِحسان؛ إِذ مصدره أَسماؤه الحسنى، وفعلُه كلُّه لا يخرج عن العدل والحكمة والمصلحة والرَّحمة؛ إِذ مصدره أَسماؤه الحسنى، فلا تفاوت في خَلقه ولا عَبث، ولم يخلق خلقه باطلًا ولا سُدىً ولا عبثًا". بدائع الفوائد، (١٦٣/١).

(٢) قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

قال ابن القَيِّم ﷺ: "الخلق قضاؤه وقدره وفعله، والأَمر شرعه ودينه". شِفَاء العَلِيل، (ص:٢٨٠).

وقال: "ولكلِّ اسم مِن أَسمائه أَثر مِن الآثار في الخَلق والأَمر، لا بدَّ مِن ترتُّبه عليه؛ كترتُّب المرزوق والرِّزق على الرَّازق، وترتُّب المرحوم وأَسباب الرَّحمة على الرَّاحم، وترتُّب المرئيات والمسموعات على السَّميع والبصير، ونظائر ذلك في جميع الأَسماء. . . الخالق يقتضي مخلوقًا، والبارئ يقتضي مَبْرُوًّا، والمصوِّر يقتضي مصوَّرًا". مِفتاح دار السَّعادة، (٢٨٧/١).

(٣) البقرة: ٢٢٦-٢٢٧

(٤) الفَيْئَةُ: مِن فاء يفيء فيئًا؛ أَيْ: رجع. ينظر: الصِّحاح، ولسان العرب، مادَّة: (فيأ).

(٥) ورَدَ في هذا المعنى حديث أَخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الطَّلاق، باب. . . ، (٦٥٠/١) ح (٢٠١٨)، وأَبو داود في سننه، كتاب الطَّلاق، باب في كراهية الطَّلاق، (٢٥٥/٢) ح (٢١٧٨)، عن عبداللَّه بن عمر ﷺ، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: ((أَبْغَضُ الحَلَالِ إِلَى اللَّهِ الطَّلَاقُ)).

قال الأَلبانيُّ ﷺ: "ضعيف". إرواء الغَلِيْل، (١٠٦/٧) ح (٢٠٤٠).

(٦) قال ابن عُثَيْمِين ﷺ: "وليس من العِشرة بالمعروف أَنْ يحلِف الإِنسان أَلَّا يطأَ زوجته مدَّة أَربعة أَشهر؛ فإِنْ فعل فقد عرَّض نفسه للعقوبة؛ لكنَّه إذا رجع غفر الله لَهُ". تفسير العُثَيْمِين: الفاتحة والبقرة، (٩٥/٣).

(٧) سبق تعريفه، (ص:٦).

(٨) س: "ترتب".

(٩) حدَّد اللهُ ﷻ للمُؤْلِي أَربعة أَشهر، وبعدها إِمَّا أَنْ يرجع ويكفِّر عن يمينه، وإِمَّا أَنْ يُطلِّق، "وإِذا لم يفعل أُلزِم أَو طَلَّق عليه الحاكم". الشَّرح المُمْتِع، (١٢/١٣).

ومثلُ هذا قولُهُ تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١)؛ أَيْ: فإِنَّكمْ إذا علِمتُم ذلكَ رفعتُم عنهُ العُقوبةَ المتعلِّقَةَ بِحَقِّ اللهِ، وهذا كثيرٌ(٢).

وقد يُصرِّحُ اللهُ بالحُكْمِ، ويُعَلِلُهُ بِذِكرِ الأسماءِ الحُسْنَى المناسِبةِ لَهُ(٣).

فائدةٌ(٤): قولُهُ تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾(٥): جمعَ اللهُ فِيها أُمُورًا كَثيرةً نافِعةً(٦)؛ في الدِّينِ والبَدنِ، والحَالِ والمآلِ:

- فالأَمرُ بالأَكلِ والشُّرْبِ يدلُّ على الوجوبِ، وأَن العبدَ لا يَحِلُّ لَهُ ترْكُ ذلكَ شَرْعًا(٧)، كما لا يَتمكَّنُ مِن ذلكَ قدَرًا ما دامَ عَقلُهُ معَهُ(٨).
- وأَنَّ الأَكلَ والشُّرْبِ معَ نيَّةِ امتثالِ أَمرِ اللهِ يكونُ عِبادَةً.
- وأَنَّ الأَصلَ في جميعِ الْمأْكولاتِ، والْمَشرُوباتِ الإِباحةُ، إِلَّا ما نَصَّ الشَّارِعُ على تحريمِهِ؛

---

(١) المائدة: ٣٤

(٢) ومِن ذلك قولهﷻ: ﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٣٣]، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النمل:١١]، وقولهﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المجادلة:١٢].

(٣) قالﷻ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة:٣٨]. وذكر ابن القَيِّم: أَنَّ بعض العرب سمع قارئًا يقرأُ هذه الآية، وختمها بقوله: والله غفور رحيم، "قال: ليس هذا كلامَ الله -تعالى- فقال القارئ أَتكذِّب بكلام الله -تعالى- فقال: لا، ولكن ليس هذا بكلام الله، فعاد إلى حفظه وقرأَ: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، فقال الأَعرابيُّ صدقت، عزَّ فحكَم فقطع، ولو غفر ورحم لَما قَطع؛ ولهذا إذا خُتمت آية الرَّحمة باسم عذاب أَو بالعكس ظهر تنافر الكلام وعدم انتظامه". جلاء الأَفهام، (ص:١٧٢-١٧٣).

(٤) هذه الفائدة من آية جامعة نصَّ عليها الزَّرْكَشِيُّ ؒ. ينظر: البُرهان، (١٣/٢).

(٥) الأعراف: ٣١

(٦) قال ابن القَيِّم: "جمعت أُصول أَحكام الشَّريعة كلِّها؛ فجمع الأَمر والنَّهي والإِباحة والخبر". بدائع الفوائد، (٧/٤).

(٧) قال القُرْطُبِيُّ ؒ: "فأَمَّا ما تدعو الحاجة إِليه، وهو ما سدَّ الجوعة وسكَّن الظَّمأَ، فمندوب إِليه عقلًا وشرعًا؛ لِما فيه مِن حِفظ النَّفس، وحِراسة الحواسِّ؛ ولذلك ورد الشَّرع بالنَّهي عن الوِصال؛ لأَنَّه يُضعف الجسد، ويُميت النَّفس، ويُضعف عن العِبادة، وذلك يمنع منه الشَّرع، وتدفعه العقل، وليس لمن منع نَفْسه قدْر الحاجة حظٌّ مِن برٍّ، ولا نَصيب مِن زهد؛ لأَنَّ ما حُرِمها مِن فعل الطَّاعة -بالعجز والضَّعف- أَكثر ثوابًا وأَعظم أَجرًا". الجامع لأَحكام القرآن، (١٩١/٧)، وينظر: أَحكام القرآن، للْكِيَا الْهرَّاسِيِّ، (١٣٨/٣).

(٨) فإذا كان عقله معه فإِنَّه لن يُفرِّط في نفسه، وهو قادر، ولن يقتلها مع وجود الأَطعمة.

لِضَرَرِهِ[(١)]؛ لإطلاقِ ذلكَ.

- وعلى أَنَّ كلَّ أَحدٍ يَأْكلُ ما ينفعُهُ، ويُناسبُهُ، ويَليقُ بهِ، ويُوافِقُ لِغِناهُ وفَقْرِهِ، ويُوافِقُ لِصحَّتِهِ ومرضِهِ، ولِعادتِهِ وعدمِها؛ لأَنَّهُ حذفَ المأْكُولَ[(٢)]؛ والآيةُ ساقَها اللهُ لإرشادِ العِبادِ إلى مَنافِعِهِم، وهي تَدلُّ على ذلكَ كلِّهِ.

- وعلى أَنَّ أَصلَ صِحَّةِ [البَدَنِ][(٣)] تدبيرُ الغِذاءِ؛ بأَنْ يَأْكلَ ويَشْرَبَ ما يَنفعُهُ، ويُقيمُ صِحَّتَهُ، وقُوَّتَهُ.

- وعلى الأَمرِ بالاقتِصادِ في الغِذاءِ، والتَّدبيرِ الحَسَنِ[(٤)]؛ لأَنَّهُ لَمَّا أَمَرَ بالأَكلِ والشُّرْبِ نَهَى عن السَّرَفِ.

- وعلى أَنَّ السَّرَفَ مَنْهِيٌّ عنهُ، وخُصوصًا في الأَطعمةِ والأَشربةِ؛ فإِنَّ السَّرَفَ يَضُرُّ الدِّينَ، والعَقلَ، والبدَنَ، والمالَ:

أَمَّا ضَرَرُهُ الدِّينيُّ؛ فكلُّ مَن ارتكبَ ما نَهَى اللهُ ورسُولُهُ عنهُ فقد انْجَرَحَ دِينُهُ، وعليهِ أَنْ يُدَاوِيَ هذا الجُرْحَ بالتَّوبةِ والرُّجوعِ.

وأَمَّا ضَرَرُهُ العَقليُّ؛ فإِنَّ العقْلَ يَحمِلُ صاحِبَهُ أَنْ يفعلَ ما يَنبَغِي، على الوجهِ الذي يَنْبَغِي، ويُوجبُ لَهُ أَنْ يُدبِّرَ حياتَهُ ومَعاشَهُ؛ ولهذا كانَ حُسْنُ التَّدبيرِ في الْمَعاشِ مِن أَبلغِ ما يَدُلُّ على عَقلِ صاحبِهِ؛ فمَن تَعدَّى الطَّورَ النَّافِعَ إلى طَوْرِ الإسرافِ الضَّارِ فلا رَيبَ أَنَّ ذلكَ لِنَقْصِ عَقلِهِ؛ فإِنَّهُ يُستَدَلُّ على نَقصِ العَقلِ [بسُوءِ التَّدْبيرِ][(٥)].

---

(١) قال ﷻ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة:٣].

(٢) فلم يخصِّصه بشيء معين، ومِن المتقرِّر أَنَّ ما أذن الله فيه مِن المأْكول والمشروب مِن الطَّيِّبات كثير، ومتنوِّع.

(٣) "البدن"، زيادة في: (س)، ولايستقيم السِّياق إلا بها.

(٤) قال الشَّوكانيُّ ﷺ: "ومِن الإسراف الأَكل لا لحاجة، وفي وقت شِبع". فَتْح القَدير، (٢/٢٢٨).

(٥) "بسوء التَّدبير"، زيادة في: (س)، ولا يتمّ المعنى إلا بها.

ورَدَ في هذا المعنى حديث أَخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الزُّهد، باب الورَع والتَّقوى، (٢/١٤١٠) ح (٤٢١٨)، عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: ((لَا عَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ)).

قال الأَلبانيُّ ﷺ: "ضعيف". ينظر: سلسلة الأَحاديث الضَّعيفة والموضوعة، (٤/٣٨٢)، ح (١٩١٠).

ومِمَّا لاشك فيه أَنَّ حسن التَّدبير مِن علامات العقل.

وأَمَّا ضررُهُ البَدَنِيُّ؛ فإنَّ مَن أَسرفَ بِكَثْرَةِ المأْكولاتِ والْمَشرُوباتِ انْضرَّ بدَنُهُ، واعتَراهُ أَمراضٌ خَطِرَةٌ؛ وكثيرٌ مِن الأَمراضِ إنَّما تَحدُثُ بسببِ الإسرافِ في الغِذاءِ، ثُمَّ إِنَّهُ ينْضَرُّ -أَيضًا- مِن وَجْهٍ آخرَ؛ فإنَّ مَن عوَّدَ بدَنَهُ شيئًا اعتادَهُ؛ فإذا عوَّدَهُ كثرَةَ الأَكلِ، أَو أَكلَ الأَطعِمَةِ الْمُتنوِّعةِ فرُبَّما تعذَّرتْ في بعضِ الأَحوالِ لِفقْرٍ أَو غيرِهِ، وحِينئذٍ يَفْقِدُ البَدَنُ ما كانَ مُعتَادًا لَهُ؛ فَتَنْحرِفُ صِحَّتُهُ[١].

وأَمَّا ضَررُهُ الماليُّ فظاهرٌ؛ فإنَّ الإسرافَ يَسْتَدعِي كَثْرَةَ النَّفقَاتِ؛ ولهذا قالَ تعالى: ﴿وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا﴾[٢]؛ أَيْ: تُلامُ على ما فعَلْتَ؛ لأَنَّهُ في غيرِ طريقِهِ.

﴿مَّحۡسُورًا﴾: فارِغَ اليَدِ.

وإخبارُهُ أَنَّهُ: ﴿لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾: دليلٌ على أَنَّهُ يُحِبُّ الْمُقْتَصِدِينَ؛ فَفِي هذهِ الآيَةِ إثباتُ صِفةِ المحبَّةِ للهِ، وأَنَّها تتعلَّقُ بما يُحبُّهُ اللهُ مِن الأَشخاصِ، والأَعمالِ، والأَحوالِ كلِّها[٣].

فسُبحانَ مَن جعلَ كتابَهُ كُنوزًا لِلعُلومِ النَّافعَةِ الْمُتنوِّعَةِ.

---

(١) قال عليُّ بن الحسين بن وَاقِدٍ ﷺ: "جمع الله الطِّب كلَّه في نصف آية، فقال: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾ [الأعراف:٣١]". مَعَالم التَّنزيل، (١٨٩/٢)، وينظر: تفسير القرآن العظيم، (٤٠٦/٣).

(٢) الإسراء: ٢٩

(٣) القرآن الكريم مليء بذكر مَن يحبُّهم اللهُ ﷻ مِن عباده المؤمنين، وما يحبُّه مِن أَعمالهم، وأَقوالهم، وأَخلاقهم: قال تعالى: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥]، وقال ﷻ: ﴿بَلَىٰ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:٧٦]، وقال ﷻ: ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩]، وقال ﷻ: ﴿وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [المائدة:٤٢]، وقال تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة:١٠٨]. ينظر: مَدارج السَّالِكِين، (٢٥/٣).

فائدةٌ(١): ذَكَرَ اللهُ في كتابِهِ عِدَّةَ آياتٍ فِيها وَصْفُ القُلوبِ بالمَرَضِ(٢)، وبالعَمَى(٣)، وبالقَسوَةِ(٤)، وبِجَعلِ الموانعِ عليها؛ مِن الرَّانِ(٥)، والأَكِنَّةِ(٦)، والحِجَابِ(٧)، وبِموتِها(٨) وبِحَيرَتِها(٩).

فاعلمْ أَنَّ القَلْبَ يكونُ صَحِيحًا، ويكونُ مَريضًا، ويَجْتَمِعُ فيهِ الْمَرَضُ، والْمَوانعُ مِن وُصُولِ الصِّحَّةِ(١٠)، وقد يكونُ لَيِّنًا، وقد يكونُ قَاسِيًا(١١).

فأَمَّا القَلْبُ الصَّحِيحُ؛ فهو السَّلِيمُ مِن جميعِ الآفاتِ، وهو القَلبُ الذي صَحَّتْ وقَوِيتْ قُوَّتُهُ العِلمِيَّةُ، وقوَّتُهُ العَمَلِيَّةُ الإرادِيَّةُ(١٢)، وهو الذي عَرَفَ الحقَّ فاتَّبَعَهُ بلا تَرَدُّدٍ، وعَرفَ الباطلَ فاجتنبَهُ

---

(١) هذه الفائدة عن القلوب وأنواعها وصفاتها في القرآن الكريم، وقد استوفى ابن القيِّم رحمه الله الحديث عنها بتفصيل عجيب في كتابه: إغاثة اللَّهفان مِن مَصايد الشَّيطان. ينظر: (١/٧-١٣).

قال القُرْطُبِيُّ رحمه الله: "وقال أَهل المعاني: وصَف الله -تعالى- قلوب الكفار بعشرة أَوصاف: بالخَتم، والطَّبع، والضِّيق، والمرض، والرَّين، والموت، والقَساوة، والانصراف، والحَميَّة، والإِنكار" الجامع لأَحكام القرآن، (١/١٨٦).

(٢) قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب:١٢].

(٣) قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦].

(٤) قال عز وجل: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنعام:٤٣].

(٥) الرَّانُ: مِن رانَ على قلبه ذَنْبُهُ يَرِينُ رَيْنًا، أَيْ: غَلَب، قال جل جلاله: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:١٤]، وينظر: غريب القرآن، لابن قُتَيْبَة، (ص:٥١٩)، والصِّحاح، مادَّة: (رين).

(٦) الْأَكِنَّةُ: الأَغطية، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾ [الأنعام:٢٥]، وينظر: مُختار الصِّحاح، مادَّة: (كنن)، وبصائر ذوي التَّمييز في لطائف الكتاب العزيز، (٢/١٦١).

(٧) قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت:٥].

(٨) قال عز وجل: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام:١٢٢]، قال ابن كثير رحمه الله: "هذا مثل ضربه الله -تعالى- للمؤمن الذي كان ميتًا، أَيْ: في الضَّلالة، هالكًا حائرًا، فأَحياه الله، أَيْ: أَحيا قلبه بالإِيمان، وهداه لَهُ، ووفَّقه لاتباع رسله". تفسير القرآن العظيم، (٣/٣٣٠).

(٩) قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة:٤٥].

(١٠) جُمِعت هذه القلوب الثَّلاثة في قوله جل جلاله: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج:٥٣-٥٤]. ينظر: إغاثة اللَّهفان مِن مَصايد الشَّيطان، (١/٩).

(١١) قال جل جلاله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٢٢-٢٣].

(١٢) القُوَّةُ العِلميَّةُ: تكون بالعلم النَّافع، ومعرفة الحقِّ وإِدراكه، والقوَّة الإِراديَّة العمليَّة: تكون بالعمل الصَّالح.

=

بلا تَوَقُّفٍ، فهذا هو القَلْبُ الصَّحيحُ الحَيُّ السَّلِيمُ(١)، وصاحبُهُ مِن أُولي النُّهَى(٢)، وأُولِي الحِجَا(٣)، وأُولِي الأَلبابِ(٤)، وأُولِي الأَبصارِ(٥)، والْمُخْبتِ للهِ(٦)، والْمُنِيْبِ إِليهِ(٧)[١٤٩].

وأَمَّا القَلْبُ المريضُ فهو الذي انحرفَتْ إِحدَى قُوَّتَيْهِ العِلْمِيَّةِ أَو العَمَلِيَّةِ أَو كِليهما؛ فمرضُ الشُّبُهاتِ والشُّكوكِ الذي هو مَرَضُ المنافِقِينَ؛ لَمَّا اختلَّ عِلمُهم، وبقِيتْ قُلوبُهم في شُكوكٍ واضطرابٍ، ولم تَتوجَّهْ إِلى الخَيرِ، كان مرضُها مُهلِكًا(٨).

ومرضُ الشَّهواتِ الذي هو مَيلُ القَلبِ إِلى المعاصِي، مُخِلٌّ بِقوَّةِ القَلبِ العَمَلِيَّةِ؛ فإِنَّ القَلبَ الصَّحيحَ لا يُرِيدُ ولا يَميلُ إِلَّا إِلى الخَيرِ، أَو إِلى ما أَباحَهُ اللهُ لَهُ، فمتى رأَيتَ القَلبَ ميَّالًا إِلى المعاصِي، سَرِيعَ الانقيادِ لَها فهُو مَرِيضٌ، هو سَرِيعُ الافتتانِ عندَ وجودِ أَسبابِ الفِتنَةِ؛ كما قال تعالى: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾(٩).

ينظر: إغاثة اللَّهفان مِن مصايد الشَّيطان، (١/٢٥).

(١) قال ﷻ: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات:٨٣-٨٤].
عرَّف ابن القيِّم رحمه الله هذا القلب بأَنَّه: "الذي قد سلِم مِن كلِّ شَهوة تخالف أَمر الله ونَهيه، ومِن كلِّ شُبهة تعارض خبره". إغاثة اللَّهفان مِن مَصايد الشَّيطان، (١/٧)، وينظر: تفسير القرآن العظيم، (٦/١٤٩).

(٢) النُّهَى: العُقول؛ يقال فلان ذو نُهْيةٍ، إذا كان لَهُ عَقْل ينهاه عن القبائح، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه:٥٤، ١٢٨]؛ أَي: لذوي العقول. ينظر: معاني القرآن، للزَّجَّاج، (٣/٣٨٠)، ولسان العرب، مادَّة: (نهى).

(٣) سبق تعريفه: (ص:٦).

(٤) اللُّبُّ: العقل الخالص مِن الشَّوائب، وجمعه: أَلباب؛ وسُمِّي بذلك لأَنَّه خالص ما في الإِنْسان مِن معانيه، كَاللُّبِّ مِن الشَّيء، قال ﷻ: ﴿وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة:١٩٧]، وينظر: غريب القرآن، لابن قُتَيْبَة، (ص:١٠١)، والمفْردات، مادَّة: (لب).

(٥) قال تعالى: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [النور:٤٤].

(٦) الْمُخْبِتُ: الخاضع المطمئنُّ، قال ﷻ: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج:٥٤]. ينظر: غريب القرآن، لابن قُتَيْبَة، (ص:٢٩٤)، والمفْردات، مادَّة: (خبت).

(٧) الْمُنِيْبُ: مِن أَناب إنابة، فهو مُنيب؛ إذا تاب إِلى الله، ورجع إِلى الطَّاعة، قال ﷻ: ﴿مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق:٣٣]. وينظر: العين، مادَّة: (ناب)، ومجاز القرآن، (١/٢٩٣).

(٨) قال ﷻ عن المنافقين: ﴿أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟﴾ [النور:٥٠].

(٩) الأحزاب: ٣٢

وأَمَّا القَلبُ القَاسِي فهُو الذي لا يَلِيْنُ لِمعرفةِ الحقِّ، وإنْ عَرفَهُ لا يَلِينُ للانقيادِ لَهُ، فتَأْتيهِ المواعِظُ التي تُلَيِّنُ الحديدَ، وقلبُهُ لا يتأَثَّرُ بذلكَ؛ إمَّا لِقسوَتهِ الأَصليَّةِ[١]، أَو لِعقائدَ مُنْحرِفةٍ اعتقَدَها ورَسَخَ قلبُهُ علَيها، وصَعُبَ عليهِ الانقيادُ لِلحقِّ إذا خالَفها، وقد يجتمعُ الأَمرانِ[٢].

وأَمَّا الرَّانُ، والأَكِنَّةُ، والأَغْطِيةُ التي تكونُ على القُلوبِ فإنَّها مِن آثارِ كَسْبِ العَبدِ وجَرائمِهِ[٣]؛ فإذا أَعرضَ عن الحقِّ، وعارضَ الحقَّ، وجاءَهُ الحقُّ فردَّهُ، وفَتحَ اللهُ لَهُ أَبوابَ الرُّشْدِ فأَغْلقَها عن نفسِهِ، عاقبَهُ اللهُ بِهذا العمَلِ؛ بأَنْ سَدَّ عنهُ طُرُقَ الهِدايةِ التي كانتْ مَفتوحةً لَهُ، ومُتيسِّرَةً[٤]، فتَكَبَّرَ عَنها، وردَّها، فَطُبِعَ على قَلبهِ[٥]، وخُتِمَ عليهِ[٦]، وأَحاطتْ بهِ الجرائمُ[٧]، ورانتْ عليهِ الذُّنوبُ، وغَطَّتْ قَلبَهُ[٨]، وجَعلتْ بَينَهُ وبَيْنَ الحقِّ حِجَابًا[٩]، وأَقْفَلَتِ القَلْبَ[١٠]، فهذهِ المعاني التي أَكثرَ اللهُ مِن ذِكرِها في كتابِهِ.

إذا عَرَفتَ هذهِ الضَّوابطَ المذكورةَ في هذهِ الفائدةِ اتَّضحَ[١١] لكَ معانِيْها، وعرَفتَ بذلكَ

---

(١) وصفها ابن القيِّم رحمه الله، بقوله: "يابسة جامدة، لا تلين للحقِّ اعترافًا وإذعانًا. . . الحَجريَّة التي لا تَقبل ما يُبثُّ فيها، ولا ينطبع فيها الحقُّ، ولا تَرتسم فيها العلوم النَّافعة، ولا تَلين لإعطاء الأَعمال الصَّالحة". ينظر: شِفاء العَليل، (ص:١٩٢).

(٢) قال جل جلاله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة:٧٤]، وقال عز وجل: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنعام:٤٣]، وقال جل جلاله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٢٢].

(٣) قال تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:١٤].

(٤) قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف:٥٧].

(٥) قال عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر:٣٥].

(٦) قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:٢٣].

(٧) قال تبارك وتعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٨١].

(٨) قال تبارك وتعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:١٤].

(٩) قال عز وجل: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت:٥].

(١٠) قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد:٢٤].

(١١) س: "اتَّضحت".

حِكْمَةَ اللهِ، وعَدلَهُ في عُقوبةِ هذهِ القُلوبِ، وأَنَّ اللهَ وَلَّاهُم ما تَولَّوهُ لأَنفسِهِم، ورَضوهُ لَها[١].

فائدةٌ: قولُهُ تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[٢]: جمعَ اللهُ فِيها الحُقوقَ الثَّلاثةَ[٣]:

- الحقَّ المختصَّ باللهِ الذي لا يَصلحُ لغيرِهِ، وهو العِبادةُ في قولِهِ: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.
- والحقَّ المختَصَّ بالرَّسولِ، وهو التَّوقِيرُ، والتَّعزِيرُ[٤].
- والحقَّ المشْترَكَ، وهو الإيمانُ باللهِ ورَسولِهِ.

فائدةٌ: ذَكَرَ اللهُ اليَقِينَ في مواضعَ كثيرةٍ مِن القرآنِ في الْمَحلِّ العَالِي مِن الثَّناءِ؛ أَخبرَ أَنَّ اليَقِينَ هو غايةُ الرُّسُلِ بقولِهِ: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾[٥]، وأَنَّهُ: "بالصَّبرِ واليَقِينِ تُنالُ الإمامةُ في الدِّينِ"[٦]، وأَنَّ الآياتِ إِنَّما يَنتفعُ بِها الانتفاعَ الكاملَ الموقِنونَ[٧].

---

(١) قالﷻ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٧٥ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ۝٧٦ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة:٧٥-٧٧].

(٢) الفتح: ٩

(٣) أَشار ابن تَيميَّة إلى هذه الحقوق، في مَجْمُوع الفَتاوى، (٣٠٧/١، ٢٧٢/٣)، ومِنْهَاج السُّنَّة، (٤٤٥/٢-٤٤٦٥).

(٤) العَزْرُ: مِن قَوْلهم: عَزَرْتُه أَعزره عَزْرًا، إذا منعته عَن الشَّيْء، وعزَّرتُ الرَّجل تعزيرًا، إذا فخَّمت أَمره وأَكرمته، ونصرته، قال ابن جَرِيْرﷺ: "ومعنى التَّعزير في هذا الموضع: التَّقوية بالنُّصرة والمعونة، ولا يكون ذلك إِلَّا بالطَّاعة والتَّعظيم والإجلال". جامع البيان، (٢٠٨/٢٢)، وينظر: جَمْهَرة اللُّغة، مادَّة: (عزر).

(٥) الأنعام: ٧٥

(٦) هذا الاستنباط بنصِّه يرد كثيرًا في كتب ابن تَيميَّة، ونقله عنه ابن القَيِّمﷺ، وهو مُستنبط مِن قولهﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤]. ينظر: مَجْمُوع الفَتاوى، (٣٥٨/٣)، ومَدارج السَّالِكِين، (١٥٣/٢)، وتفسير القرآن العظيم، (٣٧٢/٦).

(٧) قال تعالى: ﴿وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية:٤]، وقالﷻ: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية:٢٠].

فحقِيقةُ اليَقِينِ؛ هو العِلْمُ الثَّابتُ الرَّاسِخُ التَّامُّ الْمُثمِرُ للعَملِ القَلْبِيِّ(١)، والعَملِ البَدَنِيِّ(٢).

أَمَّا آثارُ اليَقينِ العِلْميَّةُ فثلاثُ مَراتبَ(٣):

- **عِلمُ اليَقِينِ**(٤): وهي العُلومُ النَّاتِجةُ عن الأَدلَّةِ والبَراهينِ الصَّادقةِ الخَبَرِيَّةِ؛ كجميعِ علومِ أَهلِ اليَقِينِ الحاصلةِ عن خبَرِ اللهِ، وخبرِ رَسولِهِ، وأَخبارِ الصَّادِقِينَ(٥).

- **وعَينُ اليَقينِ**(٦): وهي مُشاهدَةُ المعلوماتِ بالعَينِ حقيقةً؛ كما طَلَبَ الخَليلُ إبراهيمُ مِن ربِّهِ أَنَّ يُرِيَهُ كيفَ يُحيِي الموتَى، فأَرَاهُ اللهُ ذلكَ بِعَيْنِهِ؛ وغَرَضُهُ عليه السلام الانتقالُ مِن مَرتَبةِ عِلمِ اليَقِينِ إلى عَينِ اليَقِينِ(٧).

- **وحَقُّ اليَقِينِ**(٨): وهي المعلوماتُ التي تَحقَّقُ بالذَّوقِ؛ كذوقِ القَلْبِ لِطَعمِ الإيمانِ(٩)، والذَّوقِ باللِّسانِ للأَشياءِ الْمُحَسَّةِ(١٠).

وأَمَّا آثارُهُ القَلْبِيَّةُ فسُكُونُ القَلبِ وطُمأْنِينَتُهُ؛ كمَا قال إبراهيمُ: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي﴾(١١).

---

(١) كالإخلاص، والرَّغبة والرَّهبة، والخوف والرَّجاء.

(٢) كالصَّلاة والصِّيام والحجِّ، وقراءة القرآن، والصَّدقة.

(٣) نصَّ ابن تيميَّة، وابن القيِّم رحمهما الله على هذه المراتب، مع التَّمثيل، والشَّرح، والاستدلال، في: مَجْمُوع الفَتاوَى، (١٠/٦٤٥) والتِّبيان في أَقسام القرآن، (ص:١٩١-١٩٣)، ومَدارج السَّالِكِين، (٢/٣٧٨-٣٨١).

(٤) قال تعالى: ﴿كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ﴾ [التكاثر:٥-٦].

(٥) كعِلم اليَقين بتوحيد الله، وبالأمر والنَّهي، وعِلم اليَقين بالجنَّة، وأَنَّها دار المتَّقين. ينظر: التِّبيان في أَقسام القرآن، (ص:١٩١)، ومَدارِج السَّالِكِين، (٢/٣٧٨-٣٧٩).

(٦) قال جل جلاله: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ﴾ [التكاثر:٧].

(٧) قال عز وجل: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي﴾ [البقرة:٢٦٠].

(٨) قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾ [الواقعة:٩٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾ [الحاقة:٥١].

(٩) أخرج مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب ذاق طعم الإيمان مَن رضي بالله ربا، (١/٦٢) ح (٣٤)، عن العبَّاس رضي الله عنه، أنَّه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: ((ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا)).

(١٠) كذوق العَسَل، ومباشرة الشَّيء بالإحساس به، ودخول المؤمنين الجنَّة والتَّمتع بها. ينظر: التِّبيان في أَقسام القرآن، (ص:١٩٢).

(١١) البقرة: ٢٦٠

وقالَ ﷺ: ((الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ))(١)، وفي لَفظٍ: ((الصِّدقُ مَا اطْمَأَنَّ إِليهِ القَلبُ))(٢).

فإنَّ العبدَ إذا وَصَلَ إلى دَرجةِ اليَقِينِ في عُلومهِ اطمأَنَّ قَلْبُهُ لِعقائدِ الإيمانِ كُلِّها، واطْمأَنَّ قلبُهُ لِحقائقِ الإيمانِ وأحوالِهِ التي تَدُورُ على محبَّةِ اللهِ وذِكرِه، وهما مُتلازِمانِ، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾(٣)[١٥٠]؛ فتَسْكنُ القُلوبُ عندَ الأَخبارِ؛ فلا يَبقَى في القَلبِ شَكٌّ ولا رَيبٌ في كلِّ خَبرٍ أَخبرَ اللهُ بهِ في كتابهِ، وعلى لِسانِ رَسولِهِ، بل يَفرَحُ بذلكَ مُطمئِنًّا، عَالِمًا أَنَّ هذا أَعظمُ فائدةٍ حصَّلَتها القُلوبُ(٤)، ويَطمئِنُّ عند الأَوامرِ والنَّواهِي، مُكمِّلًا للمأْموراتِ، تَارِكًا للمَنْهياتِ، رَاجيًا لثَوابِ اللهِ، وَاثِقًا بوعدِهِ، ويَطمئنُّ -أَيضًا- عند المصائبِ والمكَارِهِ؛ فَيَتلَقَّاها بانشراحِ صدرٍ واحتِسابٍ، ويَعْلَمُ أَنَّها مِن عندِ اللهِ فَيَرضى ويُسَلِّمُ(٥)؛ فيَخِفُّ عليهِ حَمْلُها، ويَهُونُ عليهِ ثِقَلُها.

وقد عُلِمَ بذلكَ آثارُها البَدنيَّةُ؛ فالأَعمالُ(٦) البَدنيَّةُ مَبْنِيَّةٌ على أَعمالِ القُلوبِ، فأَهلُ اليَقِينِ همْ أَكملُ الخَلقِ في جميعِ صِفاتِ الكَمالِ، فإِنَّ اليَقِينَ رُوحُ الأَعمالِ والأَخلاقِ وحَامِلُها، واللهُ هو الموفِّقُ الواهبُ لَهُ، ولأَسبابِهِ.

---

(١) أخرجه أَحمد في مسنده، (٢٩/٥٢٧-٥٢٨) ح (١٨٠٠١)، والدَّارمي في سننه، (٣/١٦٤٩) ح (٢٥٧٥)، عن وَابِصَةَ بْنِ مَعْبَدٍ ﷺ، وقد حسَّنه النَّوَوِيُّ ﷺ في: "الأَربعون النَّوَوِيَّة"، (ص:٨٨)

قال محقِّقو المسند -الأَرْنَؤُوْط، وآخرون-: "إسناده ضعيف جدًّا"، وينظر: جامع العلوم والحكم، (٢/٩٤)، وتخريج أَحاديث إِحياء علوم الدِّين، للزَّبِيْدِي، (١/١٠١).

ووردت أَحاديث صحيحة في البرِّ منها: ما أَخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البرِّ والصِّلة والآداب، باب تفسير البرِّ والإثم، (٤/١٩٨٠) ح (٢٥٥٣)، عن النَّوَّاسِ بن سَمْعَانَ الأَنصاريِّ ﷺ، قال: سأَلت رسول الله ﷺ، عن البرِّ والإثم، فقال: ((الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ)).

(٢) لم أَجده بهذا اللَّفظ، ولعلَّ المؤلِّف ﷺ ذكره بالمعنى، أَو أَراد معنى ما أَخرجه أَحمد في مسنده، (٣/٢٤٩) ح (١٧٢٣)، والتِّرمذيُّ في سننه، باب حديث اعقلها وتوكَّل، (٤/٦٦٨) ح (٢٥١٨)، عن الحسن بن عليٍّ ﷺ، قال: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ((دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ)).

قال التِّرمذيُّ ﷺ: "هذا حديث صحيح"، وصحَّحه الأَلبانيُّ في إِرواء الغَلِيْل، (١/٤٤) ح (١٢).

(٣) الرعد: ٢٨

(٤) قال ﷻ في وصف المؤمنين، وثبات إيمانهم، وخلوِّ قلوبهم مِن الشَّك والرَّيب: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات:١٥].

(٥) سبق تفسير عَلقَمَة ﷺ لقوله ﷻ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ . . .﴾ [التغابن:١١]، (ص:٦٠).

(٦) س: "فإِنَّ الأَعمال".

فائدةٌ(١): الظَّنُّ(٢) وردَ في القُرآنِ على وَجْهَينِ(٣):

- وجهٍ مَحْمودٍ.

- ووجهٍ مَذمومٍ.

أَمَّا المحمُودُ: فَفِي كلِّ مَقَامِ مَدْحٍ، وجَزاءٍ بالخيرِ والثَّوابِ، فإنَّهُ بِمعنَى العِلْمِ واليَقِينِ، مِثْلُ قولِهِ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾(٤)؛ أَيْ: يَتيَقَّنُونَ لذلكَ، ومِثْلُ قولِهِ: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾(٥).

وأَمَّا الْمَذمُومُ: ففِي أَغْلَبِ الآياتِ الوَاردةِ في الظَّنِّ: مثلُ: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾(٦)، ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾(٧)، وهو كثيرٌ(٨)؛ فهذا ومَا أَشْبهَهُ فِيمَنْ قدَّمَ الظُّنونَ

---

(١) هذه فائدة في كلِّيات القرآن، وهي: ما يأْتي فيه على لفظ أَو أُسلوب مُطَّرِد، وهو باب معروف في علوم القرآن، ولِلمفسِّرينَ فيها طريقتان:

الأُولى: الإطلاق؛ مثل: كلُّ شيءٍ ذكره الله بقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ فسَّره، وكلُّ ما ذكره بقوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ تَرَكه.

الثَّانية: الإطلاق مع الاستثناء، ومِن المعلوم أَنَّ الاستثناء مِعيار العموم، وتُسمَّى: "الأَفْراد"؛ مثل: كلُّ ما في القرآن مِن "رِجْزٍ" فعذاب، إِلَّا: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر:٥]؛ فالمراد به الصَّنم. ينظر: المفْردات، مادَّة: (سحت)، والتَّحبِير شرح التَّحرير، (٢٣١٨/٥)، والإتقان في علوم القرآن، (١٥٧/٢)، وفُصول في أُصول التَّفسير، (ص:١٦١).

(٢) الظَّنُّ: "هو الاعتقاد الرَّاجح مع احتمال النَّقيض، ويُستعمل في اليقين والشَّك، وقِيل: الظَّن: أَحد طرفي الشَّك بصفة الرُّجحان". التَّعريفات، (ص:١٤٤)، وينظر: البُرهان في علوم القرآن، (١٥٦/٤).

(٣) للتَّفريق بين الظَّن الْمَحمود والْمَذموم في القرآن ضابطان:

أَحدهما: إذا جاء مُثابًا عليه فهو اليقين، وإذا جاء متوعَّدًا عليه فهو الشَّك.

الثَّاني: كلُّ ظنٍّ جاء بعده: "أَنْ" فهو شكٌّ؛ قال ﷻ: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ [الفتح:١٢]، وكلُّ ظنٍّ جاء بعده: "أَنَّ" فهو يقين؛ قال ﷻ: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة:٢٠].

فـ"أَنَّ" المشدَّدة للتَّأْكيد، فتدخل على اليقين، و"أَنْ" الخفيفة بخلافها، فتدخل على الشَّك.

والظَّنُّ أَعمُّ أَلفاظ الشَّكِّ واليقين، فمتى قَويت أَدَّت إلى العلم، ومتى ضعفت جدًّا لم تتجاوز حدَّ الوهم، ومتى قَوي استعمل فيه: "أَنَّ" المشدَّدة، ومتى ضَعف استعمل معه: "إِنْ" المختصَّة بالمعدومين مِن الفعل. ينظر: البُرهان في علوم القرآن، (١٥٦/٤-١٥٧)، والإتقان في علوم القرآن، (٢٣٦/٢-٢٣٧).

(٤) البقرة: ٤٦

(٥) الحاقة: ٢٠

(٦) النجم: ٢٨

(٧) البقرة: ٧٨

(٨) قال ﷻ: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران:١٥٤]، وقال ﷻ: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية:٢٤]، وقال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ

=

الكاذِبةَ على الأَخبارِ الصَّادقةِ؛ لأَنَّ الظَّنَّ في الأَصلِ يَحتمِلُ الصِّدقَ والكَذِبَ، ولكنَّهُ إِذا ناقضَ الصِّدقَ قطَعْنا بكذِبِهِ.

فائدةٌ: قولُهُ تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾(١)، وقولُهُ: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾(٢).

تَدُلُّ الآيتانِ(٣) على أَنَّ الزِّيادةَ مِن الْمُحرَّماتِ، وخُصوصًا المكاسِبَ المحرَّمةَ نقصٌ في البَركةِ، وقد يَنْسَحِتُ(٤) المالُ بذاتِهِ عاجِلًا أَو آجلًا.

وعلى أَنَّ مَن أَخرجَ شيئًا للهِ أَو فعلَ شيئًا لِلهِ فإِنَّ اللهَ يَزيدُهُ، ويُنزلُ لَهُ البركةَ؛ فإِنَّ المالَ وإِنْ نَقَصَ حِسًّا بِما يَخرجُ منهُ لِلهِ فإِنَّهُ يَزدادُ معنًى ووصْفًا.

وقد يُفْتحُ للعبدِ بسببِ ذلكَ أَبوابٌ مِن الرِّزقِ، أَو يُدفعُ عن العبدِ مِن أَسبابِ النَّقصِ ما كان بصَددِ أَنْ يُصِيبَهُ(٥).

فائدةٌ: الفَرحُ(٦) وَرَدَ في القُرآنِ مَحمُودًا مأْمُورًا بهِ(٧)؛ في مثلِ قولِهِ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾(٨)؛ فهذا فَرحٌ بالعِلْمِ، والعَملِ بالقرآنِ، والإِسلامِ(٩)، وكذلكَ قولُهُ: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ

ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [ص:٢٧] وقالﷻ: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾[الفتح:٦]، وقالﷻ: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ [ص:٢٧].

(١) البقرة: ٢٧٦

(٢) الروم: ٣٩

(٣) سبق الكلام على الآية الثَّانية: (ص:٦).

(٤) سبق بيانها: (ص:٦).

(٥) قالﷻ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ:٣٩].

(٦) الفَرَحُ: "لَذَّة في القلب عند حصول نفع أَو توقُّعه، أَو اندفاع ضرر". الكُلِّيَّات، (ص:٥٠٨)، وينظر: الجامع لأَحكام القرآن، (٣٥٤/٨).

(٧) وهو فرح مُقيَّد بخير، وفضل الله ورحمته، وهو نوعان: فرح بالسَّبب، وفرح بالمسبَّب، كما في الآيتين اللَّتين ذكرهما المؤلِّفﷺ. ينظر: المحرَّر الوجيز، (١٥٤/٣)، ومَدارِج السَّالِكِين، (١٤٩/٣).

(٨) يونس: ٥٨

خ: "وسعى لها سعيها فأُولئك"، والصَّواب: ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾.

(٩) هذا حاصل ما أُثر في معنى: فضل الله ورحمته. ينظر: جامع البيان، (١٠٥/١٥-١٠٨)، ومَعَالم التَّنزيل، (٤٢٣/٢).

ﱡءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦﱠ(١)؛ فهذا فَرحٌ بثوابِ اللهِ.

وورَدَ مَنْهِيًّا عنهُ مَذمُومًا؛ مثلُ: الفَرحِ بالبَاطلِ وبِالرِّياساتِ، والدُّنيا الْمُشغِلَةِ عن الدِّينِ(٢) في مثلِ قولِهِ تعالى: ﱡإِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌﱠ(٣)، وقولِهِ عن قارُوْنَ: ﱡقَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَﱠ(٤)، وما أَشبَهَ ذلكَ(٥)، فصَارَ الفرَحُ تبعًا لِمَا تعَلَّقَ بهِ؛ إِنْ تعَلَّقَ بالخيرِ وثَمراتِهِ فهو مَحْمُودٌ، وإِلَّا فهُو مَذْمومٌ(٦).

فائدةٌ(٧): وَردَ السَّعيُ في القُرآنِ في آياتٍ كثيرةٍ، والْمُرَادُ بهِ الاهتمامُ والجِدُّ في العَملِ(٨)؛ مثلُ قولِهِ: ﱡوَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًاﱠ(٩)[١٥١]، وقولِهِ: ﱡإِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِﱠ(١٠)، وقولِهِ: ﱡإِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰﱠ(١١)، وآياتٍ كثيرةٍ كلِّها بمعنَى الاهتمامِ لِلعملِ، إِلَّا في مثلِ قولِهِ تعالى: ﱡوَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰﱠ(١٢)، ﱡوَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰﱠ(١٣)؛ فالمرادُ بذلكَ العَدْوُ، وهو يتضمَّنُ الأَوَّلَ وزِيادةً(١٤).

---

(١) آل عمران: ١٧٠

(٢) أشار أَبو حيَّان، وابن القَيِّمﷺ إلى هذا. ينظر: البحر المحيط، (٧٦/٦)، ومَدارِج السَّالِكِين، (١٤٩/٣).

(٣) هود: ١٠

(٤) القصص: ٧٦

(٥) كقولهﻷ: ﱡحَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَﱠ [الأنعام:٤٤]، وقولهﻷ: ﱡوَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاﱠ [الرعد:٢٦]، وقوله تعالى: ﱡفَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِﱠ [غافر:٨٣].

(٦) إذا ورد الفرح مُقيَّدًا في خير فهو محمود، وإذا ورد مُقيَّدًا في شرٍّ أَو مطلقًا فهو مَذموم. ينظر: المحرَّر الوجيز، (١٢٦/٣-١٢٧)، والجامع لأَحكام القرآن، (٣٥٤/٨)، ومَدارِج السَّالِكِين، (١٤٩/٣-١٥٠).

(٧) هذه الفائدة مُتعلِّقة بكلِّيَّات القرآن، وهي من مباحث علوم القرآن الكريم، وسبق الحديث عنها: (ص:٦).

(٨) قال الرَّازيُّﷺ: "السَّعي في كتاب الله العمل". تفسير الرَّازي، (٥٤٢/٣٠).

(٩) الإسراء: ١٩

(١٠) الجمعة: ٩

(١١) الليل: ٤

(١٢) القصص: ٢٠

(١٣) يس: ٢٠

(١٤) نبَّه ابن القَيِّمﷺ على أَنَّ لفظ السَّعي في القرآن ليس مُرادفًا للعمل؛ وإِنَّما عمَل مخصوص، يَهتمُّ به صاحبه، ويَجْتهد فيه بحسب الإمكان؛ "فإِنْ كان يفتقِر إلى عَدْوٍ بدَنه عدَا، وإِنْ كان يَفتقِر إلى جمْع أَعوانه جمَع، وإِنْ كان يفتقِر إلى تفرُّغٍ لَهُ وتركِ غيرِه فعل ذلك". التِّبيان في أَقسام القرآن، (ص:٧).

فائدةٌ: أَمرَ اللهُ بالصِّدقِ(١)، وأَثنى على الصَّادقِينَ(٢)، وذَكرَ جزاءَ الصَّادقِينَ في آياتٍ كثيرةٍ(٣).

والمرادُ بالصِّدقِ: أَنَّ يكونَ العبدُ صادقًا في عقيدتِهِ، صَادِقًا في خُلُقِهِ، صَادِقًا في قولِهِ وعَمَلِهِ، فهُو الذي يَجيءُ بالصِّدقِ في ظَاهرِهِ وبَاطنِهِ، ويُصَدِّقُ بالصِّدقِ لِمَن جاءَ بِهِ(٤)؛ كمَا قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾(٥).

ولَمَّا كان مَن هذا وَصْفُهُ -هو أَعلى الخَلقِ في كلِّ حالةٍ- ذَكرَ جزاءَهُ أَعلَى الجزاءِ، وأَفضلَهُ فقالَ: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٤ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾(٦).

وخَواصُّ أَهلِ هذا الوَصْفِ هُمُ الصِّدِّيقُونَ؛ الذين ليسَ بَعْد دَرجَةِ النُّبُوَّةِ أَعلى مِنهُم(٧)، قال(٨): ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾(٩)؛ والمرادُ الإيمانُ الكامِلُ، كمَا قال النَّبيُّ ﷺ لَمَّا ذكرَ لأَصحابِهِ الغُرَفَ العاليَةَ التي يَتَراءاهَا(١٠) أَهلُ الجَنَّةِ؛ مِن عُلوِّها وارتِفاعِها، ونُورِها كالكَوكَبِ الدُّرِّيِّ في الأُفقِ الشَّرقيِّ أَو الغَربيِّ، فقالوا: "يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ،

---

(١) قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [التوبة:١١٩]، وقال ﷻ: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِى مُدۡخَلَ صِدۡقٍ وَأَخۡرِجۡنِى مُخۡرَجَ صِدۡقٍ ﴾ [الإسراء: ٨٠].

(٢) قال ﷻ: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ﴾ [الأحزاب:٢٣]، وأَثنى الله ﷻ على مريم عليها السلام بقوله: ﴿وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾ [التحريم:١٢].

(٣) قال تعالى: ﴿هَـٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡ﴾ [المائدة:١١٩].

(٤) قال ابن القَيِّم رحمه الله: "فالذي جاء بالصِّدق: هو من شأْنه الصِّدق في قوله وعمله وحاله؛ فالصِّدق في هذه الثَّلاثة". مَدارج السَّالِكِين، (٢/٢٥٨).

(٥) الزمر: ٣٣

(٦) الزمر: ٣٤-٣٥

خ: "ويجزيهم بأحسن"، والصَّواب: ﴿وَيَجۡزِيَهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ﴾.

(٧) صرَّح به ابن القَيِّم، وأَشار إليه ابن كثير رحمه الله. ينظر: طريق الهجرتين، (ص:٣٥١)، وتفسير القرآن العظيم، (٢/٣٥٣).

(٨) "تعالى"، زيادة حسنة في (س).

(٩) الحديد: ١٩

(١٠) خ: "يترآها"، وس: "يتراآها"، والصَّواب كتابتها: "يتراءاها"؛ فالهمزة متوسِّطة مفتوحة، وقبلها أَلف ساكنة. ينظر: الإملاء والتَّرقيم، (ص:٤٩).

فقال: ((بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ))"(١).

وهؤلاءِ همْ الهُدَاةُ الْمَهدِيُّونَ، كمَا قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾(٢).

فالصِّدِّيْقِيَّةُ شَجرةٌ أَصلُها العُلومُ الصَّحِيحةُ، والعقائدُ السَّلفيَّةُ المأخوذةُ مِن كِتابِ اللهِ، وسُنَّةِ رسولِهِ(٣)، وقِوامُها ورُوحُها الإِخلاصُ الكاملُ لِلهِ، والإِنابةُ إليهِ، والرُّجوعُ إليهِ في جميعِ الأَحوالِ؛ رَغبةً، ورَهبةً، ومَحبَّةً، وتَعظيمًا، وخُضُوعًا وذُلًّا للهِ، وثَمراتُها الأَخلاقُ الحَميدةُ، والأَقوالُ السَّديدَةُ، والأَعمالُ الصَّالحةُ، والإِحسانُ في عبادَةِ الخَالقِ، والإِحسانُ إلى المخلُوقِينَ بجميعِ وُجوهِ الإِحسانِ، وجِهادُ جميعِ أَصنافِ الْمُنْحَرِفِينَ، فهِي في الحقيقةِ القِيامُ بالدِّينِ ظاهرًا وباطنًا، وحالًا، ودَعوَةً إلى اللهِ، واللهُ هو الموفِّقُ، وهو الْمُعِينُ لكلِّ مَن استعانَ بهِ صِدقًا(٤).

فائدةٌ(٥): قولُهُ -تعالى- في الْمُصْطَفَيْنَ الذين أَورَثهمُ اللهُ الكِتابَ: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾(٦)، اشترَكَ هؤلاءِ الثَّلاثةُ: في(٧) الإيمانِ، وفي اختيارِ اللهِ لَهم مِن بَينِ الخَليقةِ، وفي أَنَّهُ مَنَّ علَيهِم بالكِتابِ، وفي دُخولِ الجَنَّةِ(٨)، وافْترَقُوا في تَكمِيلِ مَراتبِ الإيمانِ، وفي

---

(١) أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنَّة وأَنَّها مخلوقة، (٤/١١٩) ح (٣٢٥٦)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنَّة وصفة نعيمها وأهلها، باب ترائي أَهل الجنَّة أَهل الغرف، كما يُرى الكوكب في السَّماء، (٤/٢١٧٧) ح (٢٨٣١)، عن أَبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه.

(٢) السجدة: ٢٤

(٣) على طريقة الصَّحابة، والتَّابعين لهم بإحسان، وما فهموه مِن التَّنزيل، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. وينظر: مَعَالم التَّنزيل، (٢/٣٨٢)، ومَجْمُوع الفَتاوَى، (٥/١٥٦).

(٤) مثَّل ابن القَيِّم الصِّدِّيقيَّة بـ"شَجرَة أُصولها العلم، وفروعها التَّصديق، وثمرتها العمل". مِفتاح دار السَّعادة، (١/٨٠).

(٥) استفاد المؤلِّف هنا مِن ابن القَيِّم رحمه الله في حديثه عن طبقات النَّاس في الآخرة، كما في طريق الهجرتين، (ص:٣٧٩).

(٦) فاطر: ٣٢

(٧) "أَصل"، زيادة في: (س).

(٨) قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر: ٣٢-٣٣].

مِقدارِ الاصطفاءِ مِن اللهِ، ومِيراثِ الكتابِ، وفي مَنازِلِ الجَنَّةِ ودَرجاتِها؛ بحَسَبِ أَوصافِهِم(١).

أَمَّا الظَّالِمُ لنفسِهِ: فهو المؤمنُ الذي خلَط عَمَلًا صَالحًا وآخرَ سَيِّئًا، وتَركَ مِن واجباتِ الإِيمانِ ما لا يَزولُ معَهُ الإِيمانُ بالكُلِّيَّةِ، وهذا القِسْمُ يَنقسمُ إلى قِسمَينِ:

أَحدِهِما: مَن يَرِدُ القِيامةَ وقد كُفِّرَ عنهُ السَّيِّئاتُ كلُّها، إِمَّا بدعاءٍ، أَو شَفاعَةٍ(٢)، أَو آثارٍ خَيريَّةٍ يَنتفِعُ بِها في الدُّنيا(٣)، أَو عُذِّبٍ في البَرزَخِ بِقْدرِ ذُنوبهِ(٤)، ثُمَّ رُفِعَ عنهُ العِقابُ، وعمِلَ الثَّوابُ عَمَلَهُ، فهذا مِن أَعلَى هذا القِسْمِ، وهو الظَّالِمِ لنفسِهِ.

القِسْمِ الثَّاني: مَن وَرَدَ القيامَةَ وعليهِ[١٥٢] سيِّئاتٌ، فهذا تُوزَنُ حَسناتُهُ وسَيِّئاتُهُ، ثُمَّ هُم بعدَ هَذا ثلاثةُ أَنواعٍ(٥):

---

(١) الأَصناف الثَّلاثة مِن أُمَّة محمَّدٍﷺ، ويدخلون الجنَّة، وتنطبق عليهم الطَّبقات الثَّلاث: الإسلام، والإيمان، والإحسان. ينظر: جامع البيان، (٢٠/٤٦٥-٤٦٩)، ومجْمُوع الفَتاوَى، (٧/٤٨٥)، وتفسير القرآن العظيم، (٣/١٤٩).

(٢) أَخرج مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب مَن صلَّى عليه أَربعون شُفِّعوا فيه، (٢/٦٥٥) ح (٩٤٨)، عن ابن عبَّاسﷺ قال سمعت رسول اللهﷺ، يقول: ((مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا، لَا يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ)).

(٣) أَخرج مسلم في صحيحه، كتاب الوصيَّة، باب ما يلحق الإِنْسان مِن الثَّواب بعد وفاته، (٣/١٢٥٥) ح (١٦٣١)، عن أَبي هريرةﷺ، أَنَّ رسول اللهﷺ، قال: ((إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)).

(٤) يُستدلُّ لذلك بعموم ما أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفَّارة المرض، (٧/١١٤) ح (٥٦٤١)، ومسلم في صحيحه، كتاب البرِّ والصِّلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه مِن مرض، أَو حزن، أَو نحو ذلك حتَّى الشَّوكة يشاكها، (٤/١٩٩٢) ح (٢٥٧٣)، واللَّفظ له، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُمَا سَمِعَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: ((مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ، وَلَا نَصَبٍ، وَلَا سَقَمٍ، وَلَا حَزَنٍ حَتَّى الْهَمِّ يُهَمُّهُ، إِلَّا كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ)).

(٥) تحدَّث ابن القيِّمﷺ عن هذه الأَنواع في طريق الهجرتين، (ص:٣٨٠-٣٨١).

وهي مستفادة مِن أَثر رُوي مرفوعًا وموقوفًا، عن جابرﷺ، قال: قال رسول اللهﷺ ((تُوضَعُ الْمِيزَانُ يَوْم الْقِيَامَةِ، فتُوزَنُ الْحَسَنَاتُ والسَّيِّئاتُ، فَمَنْ رَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ على سيِّئاتِهِ مِثْقَالَ صُؤَابَةٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ، ومَن رَجَحَتْ سَيِّئاته على حَسَناتِهِ مِثْقَالَ صُؤَابَةٍ دَخَلَ النَّارَ، قِيل: يَا رَسُول الله فَمن اسْتَوَتْ حَسَنَاتُه وسيِّئاتُه؟ قَالَ: أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ: ﴿لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ﴾ [الأعراف:٤٦]))". الدُّر المنثور، (٣/٤٦٣).

قال ابن حَجَرﷺ: "أَخرجه خَيثمة في فوائده، وعند ابن المبارك في الزُّهد عن بن مسعود نحوه موقوفًا، وفي معناه أَثر ابن مسعود". فَتْح البَارِي، (١٣/٥٣٩)، وينظر: الزُّهد والرَّقائق، لابن المبارك، والزُّهد، لنُعَيم بن حمَّاد، (٢/١٢٣)، وتفسير القرآن العظيم، (٣/٤١٨-٤١٩).

=

أَحدُها: مَن تَرْجُحُ حسنُاتُهُ على سيئاتِهِ، فهذا لَا يَدخلُ النَّارَ، بل يَدخلُ الجَنَّةَ برحمةِ اللهِ وبحَسَناتِهِ، وهي مِن رحمةِ اللهِ(١).

ثانيها: مَن تَساوَتْ حَسَناتُهُم وسَيِّئاتُهم، فهؤلاءِ هم أَصحابُ الأَعْرَافِ(٢)، وهو(٣) موضعٌ مُرتَفِعٌ بينَ الجَنَّةِ والنَّارِ يَكونونَ عليهِ، وفيهِ ما شاءَ اللهُ(٤)، ثُمَّ بَعدَ ذلِكَ يَدخلونَ الجَنَّةَ، كَمَا وُصِفَ ذلِكَ فِي القُرآنِ(٥).

ثالثُها: مَن رَجَحَتْ سيِّئاتُهُ على حَسَناتِهِ؛ فهذا قد استحقَّ دخولَ النَّارِ، إِلَّا أَنْ يَمْنعَ مِن ذلِكَ مانِعٌ؛ مِن شَفاعةِ الرَّسولِ لَهُ، أَو شَفاعَةِ أَحدِ أَقاربِهِ، أَو مَعَارِفِهِ؛ مِمَّن يَجعلُ اللهُ لَهُم فِي القِيامةِ شَفاعةً؛ لِعُلوِّ مَقاماتِهِم على اللهِ، وكَرامَتِهِم عليهِ(٦)، وشفاعةِ أَفراطِهِ(٧)، أَو تُدْرِكُهُ رَحمةُ اللهِ الْمَحْضَةُ

قال الألبانيُّ رحمه الله: "منكر". سلسلة الأَحاديث الضَّعيفة والموضوعة، (١٣/٦٦).

(١) قال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:٨].

(٢) اختلفت عبارات المفسِّرين فِيهم على أَقوال كثيرة متقاربة، وما ذكره المؤلِّف هو قول ابن مسعود، وحُذيفة، وابن عبَّاس، والشَّعبيِّ، والضَّحَّاك، وابن جُبير، وغيرهم مِن السَّلف رحمهم الله. ينظر: المحرَّر الوجيز، (٢/٤٠٤)، والجامع لأَحكام القرآن، (٧/٢١١)، وتفسير القرآن العظيم، (٣/٤١٨).

(٣) س: "هي"، والأَنسب للسِّياق "هو"؛ فما قبله وما بعده مذكَّر.

(٤) الأَعْرَافُ: جمع عَرْف، وهو الشَّيء المرتفع، والمراد هنا: سُورٌ، أَو تَلٌّ بين الجنَّة والنَّار، وكلام المؤلِّف رحمه الله يشملهما. ينظر: جامع البيان، (١٢/٤٤٩)، ومعاني القرآن، للزَّجَّاج، (٢/٣٤٢)، وتفسير القرآن العظيم، (٣/٤١٨).

(٥) قال عز وجل: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف:٤٦-٤٧].

(٦) قال ابن القيِّم رحمه الله: "وأَكثر الأَحاديث صريحة في أَنَّ الشَّفاعة في أَهل التَّوحيد مِن أَرباب الكبائر إِنَّما تكون بعد دخولهم النَّار، وأَمَّا أَنْ يُشفع فيهم قبل الدُّخول فلا يدخلون، فلم أَظفر فيه بنصٍّ". عَون الْمَعبود وحاشية ابن القيِّم، للعَظِيم آبَادِي، (١٣/٥٦).

ولعلَّ هذا النَّوع من الشَّفاعة يدخل في عموم ما أَخرجه أَحمد في مسنده، (٢٠/٤٣٩) ح (١٣٢٢٢) وأَبو داود في سننه، كتاب السُّنَّة، باب في الشَّفاعة، (٤/٢٣٦) ح (٤٧٣٩)، عن أَنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي))، صحَّحه الأَلبانيُّ في صحيح الجامع الصَّغير، (١/٦٩١) ح (٣٧١٤).

فالحديث عامٌّ يشمل الشَّفاعة فيمن دخل النَّار، ومَن لم يدخلها. ينظر: اللآلئ البهيَّة في شرح العقيدة الواسطيَّة، لصالح آل الشَّيخ، (٢/٢٨٦).

(٧) "وشفاعة أَفراطه"، ليست في: (س).

"الفَرَطُ: ما تقدَّمك من أَجر وعمل، وكذا ما لم يُدْرِك من الوَلد، أَي: لم يَبلُغ الحُلُم، جمعه أَفْرَاط". تاج العروس، وينظر: الصِّحاح، مادة: (فرط).

=

بلا واسِطةٍ(١)، وإلَّا فلا بدَّ لَهُ مِن دُخولِ النَّارِ، يُعذَّبُ فيها بِقْدرِ ذُنوبِهِ، ثُمَّ مَآلُهُ إلى الجَنَّةِ(٢).

ولا يَبْقَى في النَّارِ أَحدٌ ((فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ))(٣)، كَما تواترتْ بذلِكَ الأَحاديثُ عن النَّبِيِّ ﷺ(٤)، وأَجمعَ عليهِ سَلفُ الأُمَّةِ، وأَئِمَّتُها(٥).

وأَمَّا الْمُقْتَصِدُ: فهُو الذي أَدَّى الواجباتِ وتَركَ المحرَّماتِ، ولم يُكثِرْ مِن نوافِلِ العِبادَاتِ، وإذا صدَرَ منهُ بعضُ الهفَواتِ بادرَ إلى التَّوبةِ، فعادَ إلى مَرتَبَتِهِ، فهؤلاءِ أَهلُ اليَمينِ، ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾(٦)، فهؤلاءِ سَلِموا مِن عذابِ البرزَخِ وعذابِ النَّارِ، وسَلَّمَ اللهُ لهم إيمانَهُم وأَعمالَهُم، فأَدخلَهُمُ بِها الجَنَّةَ، كلٌّ على حَسَبِ مَرتَبَتِهِ.

وأَمَّا السَّابقُ إلى الخَيراتِ: فهُو الذي كمَّلَ مَراتبِ الإسلامِ، وقامَ بِمرتَبةِ الإحسانِ، فَعَبَدَ اللهَ

وأخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسب، وقال اللهﷻ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٥]، (٧٣/٢) ح (١٢٤٩)، واللَّفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب البرِّ والصِّلة والآداب، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، (٢٠٢٨/٤) ح (٢٦٣٣)، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه: أَنَّ النِّسَاءَ قُلْنَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اجْعَلْ لَنَا يَوْمًا فَوَعَظَهُنَّ، وَقَالَ: (أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَ لَهَا ثَلَاثَةٌ مِنَ الوَلَدِ، كَانُوا حِجَابًا مِنَ النَّارِ)، قَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَانِ؟ قَالَ: (وَاثْنَانِ).

(١) لعموم قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨، ١١٦].

(٢) أخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب التَّوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، (١٢١/٩) ح (٧٤١٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنَّة منزلة فيها، (١٨٢/١) ح (١٩٣)، عن أنس رضي الله عنه قال النَّبِيُّ ﷺ: ((يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ مِنَ الخَيْرِ ذَرَّةً)).

قال ابن تَيميَّة رحمه الله: "بل السَّلف والأئمَّة متَّفقون على ما تواترت به النُّصوص مِن أنَّه لا بدَّ أَنْ يدخل النَّار قوم مِن أَهل القبلة ثُمَّ يخرجون منها". مَجْمُوع الفَتاوَى، (٥٠١/٧)، وينظر: طريق الهجرتين، (ص:٣٨٦).

(٣) أخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب التَّوحيد، باب كلام الرَّبﷻ يوم القيامة مع الأنبياء، وغيرهم، (١٤٦/٩) ح (٧٥١٠)، مِن حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) نصَّ على التَّواتر النَّوَوِيُّ وابن تَيميَّة رحمهما الله. ينظر: الْمِنْهَاج، (٥٨/٣-٥٩)، والاستقامة، لابن تَيميَّة، (١٦٦/١).

(٥) قال ابن تَيميَّة رحمه الله: "ونصوص الكتاب والسُّنَّة مع اتِّفاق سلف الأُمَّة وأئمتها متطابقة على أَنَّ مِن أَهل الكبائر مَن يُعذَّب، وأَنَّه لا يبقى في النَّار مَن في قلبه مثقال ذرَّة مِن إيمان". مَجْمُوع الفَتاوَى، (١٩١/١٨-١٩٢)، وينظر: شرح السُّنة، للبغوي، (١٠٣/١).

(٦) الواقعة: ٩٠-٩١

خ، س: "وأَمَّا مَن كَانَ"، والصَّواب: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ [الواقعة:٩٠].

كأَنَّهُ يَرَاهُ، فإنْ لمْ يَكُنْ يَراهُ فإِنَّهُ يَراهُ(١)، وبَذَلَ ما استطاعَ مِن النَّفعِ لِعبادِ اللهِ، فكانِ قلبُهُ ملآنَ(٢) مِن محبَّةِ اللهِ، والنُّصحِ لِعبادِ اللهِ، فأَدَّى الواجباتِ والْمُستَحبَّاتِ، وتركَ المحرَّماتِ والمكرُوهاتِ، وفُضولَ الْمُباحاتِ الْمُنَقِّصَةِ لدرجتِهِ، فهؤلاءِ هُم صَفوةُ الصَّفوةِ، وهُم المقرَّبونَ في جنَّاتِ النَّعيمِ إلى اللهِ، وهُم أَهلُ الفِردَوسِ الأَعلَى(٣)؛ فإِنَّ اللهَ كمَا أَنَّهُ رَحيمٌ واسعُ الرَّحمةِ فإِنَّهُ حَكيمٌ يُنَزِّلُ الأُمورَ مَنازِلَها، ويُعطِي كلَّ أَحدٍ بِحَسَبِ حالِهِ ومَقامِهِ؛ فكمَا كانوا همُ السَّابِقِينَ في الدُّنيا إلى كلِّ خيرٍ كانوا في الآخرةِ في أَعلَى المنازِلِ، وكمَا تَخَيَّروا مِن الأَعمالِ أَحسَنَهَا جعلَ اللهُ لهم مِن الثَّوابِ أَحسَنَهُ؛ ولهذا كانتْ عَيْنُ التَّسْنِيْمِ أَعلى أَشرِبَةِ أَهلِ الجَنَّةِ، يَشرَبُ مِنها هؤلاءِ المقرَّبونَ صِرْفًا، وتُمزجُ لأَصحابِ اليَمينِ مَزْجًا في بَقيَّةِ أَشرِبَةِ الجَنَّةِ(٤)، التي لا نَقصَ فِيها بوجْهٍ مِن الوُجُوهِ(٥)؛ كمَا قال تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ٢٧ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾(٦)، وهكذا بَقِيَّةُ أَلوانِ وأَصنافِ نَعِيمِ الجَنَّةِ لهؤلاءِ السَّابقِينَ منهُ أَعْلاهُ، وأَكمَلُهُ وأَنْفَسُهُ، وإِنْ كان ليسَ في نعيمِ الجَنَّةِ دَنِيٌّ، ولا نَقصٌ، ولا كَدَرٌ بوجهٍ مِن الوُجوهِ، بل كلُّ مَن تَنَعَّمَ بأَيِّ نعيمٍ مِن نَعيمِها لم يكنْ في قلبِهِ أَعلى منهُ؛ فإِنَّ اللهَ أَعطاهُم، وأَرضَاهُم(٧)، وخِيارُ هؤلاءِ الأَنبياءُ على مَراتِبِهِم، ثُمَّ الصِّدِّيقونَ على مراتِبِهِم،

---

(١) هذا معنى ما أَخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة الإِيمان، والإِسلام، والقدر وعلامة السَّاعة، (٣٦/١) ح (٨)، عن عمر رضي الله عنه.

(٢) س: "ملآنًا"، سبق قلم؛ فهي ممنوعة مِن الصَّرف، للصِّفة وزيادة الأَلف والنُّون. ينظر: شرح ابن عقيل، (٣٢٢/٣).

(٣) قال تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٨٨ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ﴾ [الواقعة:٨٨-٨٩].

(٤) بهذا قال ابن مسعود، وابن عبَّاس، ومَسْرُوق، وقَتادة، وغيرهم رحمهم الله. ينظر: مَجْمُوع الفَتاوَى، (١٧٨/١١)، وتفسير القرآن العظيم، (٣٥٣/٨).

(٥) قال ابن القَيِّم رحمه الله: "لأَنَّ الجزاءَ وِفَاق العمل؛ فكما خلصت أَعمال المقرَّبين كلُّها لله خلص شَرابهم؛ وكما مَزَج الأَبرار الطَّاعات بالمباحات مُزِج لهم شَرابهم، فمن أَخلَص أُخلِص شَرابه، ومَن مَزَج مُزِج شرابه". طريق الهجرتين، (ص:١٩٤).

(٦) المطففين: ٢٧-٢٨

(٧) أَخرج مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أَدنى أَهل الجنَّة منزلة فيها، (١٧٦/١) ح (١٨٩)، عن الْمُغِيرة بن شُعْبَة رضي الله عنه، يَرْفَعُه إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال: ((سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ، مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً، قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ، فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ. . .)).

﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾(١).

فسُبحانَ مَن فَاوتَ بيْنَ عِبادِهِ هذا التَّفاوُتَ العظِيمَ: ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾(٢).

فائدةٌ(٣): ورَدَ في القرآنِ الظُّلْمُ(٤)، بمعنَى:

- الكُفرِ والشِّركِ الأكبرِ، كمَا قالَ تعالَى: ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(٥)، وقالَ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾(٦)، ونحوُها(٧).

- ووَرَدَ كثيرًا بمعنَى: الجرائِمِ التي دُونَ الشِّركِ(٨)؛ كمَا سبقَ في الظَّالِمِ لنفسِهِ(٩)، ومثلُ: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾(١٠)[١٥٣].

- ووَردَ -أيضًا- عِدَّةُ آياتٍ يَدخُلُ فيها هَذَا وهَذَا(١١).

---

(١) الأنعام: ١٣٢، والأحقاف: ١٩

(٢) البقرة: ١٠٥

(٣) هذه فائدة في الأوجه والنَّظائر، وقد سبق الكلام عليها: (ص:٦).

(٤) الظُّلْمُ: "وضع الشَّيء في غير موضعه المختصّ به، إمَّا بنُقصان أو بزيادة، وإمَّا بعُدول عن وقته أو مكانه". المفْردات، مادَّة: (ظلم)، وينظر: مُعْجَم الفُروق اللُّغويَّة، (ص:١٧٢).

(٥) البقرة: ٢٥٤

(٦) لقمان: ١٣

(٧) قال ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ﴾ [الشورى:٤٥].

(٨) قال ﷻ: ﴿وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥ﴾ [البقرة:٢٣١]، وقوله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء:١٤٨].

(٩) في قوله تعالى: ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ...﴾ [فاطر:٣٢]، وينظر: (ص:٦).

(١٠) النساء: ١١٠

(١١) قال ﷻ: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا﴾ [الفرقان:٢٧].
قال القُرْطُبِيُّ رحمه الله: "قال مُجاهد وأبو رَجاء: الظَّالم عامٌّ في كلِّ ظالم". الجامع لأحكام القرآن، (٢٦/١٣).
وقال ابن كثير رحمه الله: "فكلُّ ظالم يندم يوم القيامة غاية النَّدم، ويَعَضُّ على يديه". تفسير القرآن العظيم، (١٠٨/٦).

ومثلُ هذا: الفِسْقُ(١)، والمعْصِيَةُ(٢)، والذَّنْبُ(٣)، والسَّيِّئَةُ(٤)، والجُرْمُ(٥)، والخَطِيئَةُ(٦)، ونحوُها، فإنَّها وردتْ في القُرآنِ لِكلِّ واحدٍ مِن هذهِ الثَّلاثةِ، فتُفسَّرُ في كُلِّ مَقامٍ بِما يُناسِبُ ذلِكَ الْمَقامَ(٧).

---

(١) قال ﷻ: ﴿وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة:١٩٧]؛ الفُسوق: المعاصي كلُّها، وقال ﷻ: ﴿وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾: إثم بِكُم ومعصيةٌ، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة:٦٧]؛ الخارجون عن الإيمان بالله وبرسوله. ينظر: جامع البيان، (١٣٥/٤، ٩١/٦، ٣٣٩/١٤)، وتفسير القرآن العظيم، (٥٤٤/١).

(٢) قال ﷻ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:١٥٢]؛ المعصية هنا: مخالفة أمر الرَّسول ﷺ في الثُّبوت على الجَبَل، وقال ﷻ: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء:١٤]؛ العِصيان: إنْ أُريد به الكفر فالخلود على بابه، وإنْ أُريد به الكبائر فالخلود إلى مدَّة، وقال ﷻ: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن:٢٣]؛ المعصية هنا: الشِّرك والكفر. ينظر: التَّسهيل، (٤٢٠/٢)، والجامع لأحكام القرآن، (٢٣٦/٤، ٨٢/٥).

(٣) أخبر ﷻ أنَّ المؤمنين يدعون ربَّهم بقولهم: ﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ [آل عمران:١٩٣]؛ الذُّنوب هنا: المعاصي. وقال ﷻ: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء:١٧]؛ الذُّنوب هنا عامَّة، فلا يخفى على الله شيء مِن ذنوب عبادة، وقال ﷻ: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ﴾ [العنكبوت:٤٠]؛ الذَّنب هنا: الكفر. ينظر: جامع البيان، (٢٧٢/٧، ٤٠٧/١٧)، وتفسير القرآن العظيم، (٦٢/٥)، وفتْح القَدير، (٢٣٤/٤).

(٤) أخبر ﷻ أنَّ المؤمنين يدعون ربَّهم بقولهم: ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ [آل عمران:١٩٣]؛ السَّيِّئات هنا: المعاصي، وقال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، [الأعراف:١٥٣]؛ السَّيِّئات هنا: الكفر والمعاصي، وقال ﷻ: ﴿وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ [النمل:٩٠]؛ السَّيِّئة: هنا الشِّرك. ينظر: جامع البيان، (٥٠٧/١٩)، والجامع لأَحكام القرآن، (٢٩٢/٧)، وفتْح القَدير، (٢٣٤/٤).

(٥) قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾ [هود:٣٥]؛ إجْرامِي: إثم ذلك عليَّ، وقال ﷻ: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة:٢٢]؛ عامَّة في المجرمين، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين:٢٩]؛ أَجرموا: أَشركوا. ينظر: جامع البيان، (١٩٣/٢٠)، ومَعالم التَّنزيل، (٢٢٧/٥)، وتفسير القرآن العظيم، (٣١٨/٤)، وفتْح القَدير، (٢٩٤/٤).

(٦) قال ﷻ: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٨١]، الخطيئة هنا: الشِّرك، وقال ﷻ: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء:١١٢]، الخَطيئة هنا: الذَّنب والمعصية، وقال ﷻ: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا﴾ [الشعراء:٥١]، الخطايا هنا: عامَّة في الكفر والسِّحر والذُّنوب. ينظر: جامع البيان، (٢٨٤/٢، ١٩٧/٩، ٣٤٩/١٩)، والمحرَّر الوجيز، (١١١/٢)، وتفسير القرآن العظيم، (١٤١/٦).

(٧) هذا إرشاد إلى مُراعاة السِّياق، وهو أمر ضروريٌّ في معرفة معنى الآيات، وقد عدَّد الزَّرْكَشِيُّ ﵀ بعض الأُمور التي تُعين على فهم المعنى فقال: "دلالة السِّياق؛ فإنَّها تُرشد إلى تَبيين المجمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، =

فائدةٌ[١]: قولُهُ تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾[٢]، جَمَعَتِ السَّعادَةَ، وجَمِيعَ الأَسبابِ التي تُنَالُ بِهَا السَّعادَةُ، وهي ثلاثةُ أَشياءٍ[٣]:

- فِعْلُ المأَمورِ.
- واجتِنابُ الْمَحظورِ.
- وتَصْديقُ خبرِ اللهِ ورسولِهِ.

فهذِهِ الثَّلاثةُ يَدخلُ فيها الدِّينُ كلُّهُ؛ وذلكَ أَنَّ قولَهُ: ﴿أَعْطَىٰ﴾؛ أَيْ: جَمِيعَ ما أُمِر بهِ مِن قولٍ، وعَملٍ، ونِيَّةٍ.

﴿وَاتَّقَىٰ﴾: جَميعَ ما نُهِي عنهُ؛ مِن كُفْرٍ وفُسُوقٍ وعِصيانٍ.

﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾: بِما أَخبرَ اللهُ بهِ ورَسولُهُ؛ مِن الجزاءِ، فَصَدَّقَ بالتَّوحيدِ، وحُقُوقِهِ، وجَزاءِ أَهلِهِ[٤].

فمَن جَمعَ ثلاثةَ الأُمورِ يَسَّرَهُ اللهُ لليُسْرَى؛ أَيْ: لِكلِّ حالةٍ فِيها تَيْسِيرُ أُمورِهِ، وأَحوالِهِ كلِّها.

وتخصيص العامِّ، وتقييد المطلق، وتنوع الدِّلالة، وهو مِن أَعظم القرائن الدَّالة على مُراد المتكلِّم، فمَن أَهمله غلط في نظيره، وغالط في مُناظراته". البُرهان في علوم القرآن، (٢/٢٠٠).

(١) لابن القَيِّم كلام نفيس حول آيات هذه الفائدة لخَّصه المؤلِّف رحمهما الله. ينظر: التِّبيان في أَقسام القرآن، (ص:٦٠-٦٨).

(٢) الليل: ٥-٧

(٣) نصَّ عليها ابن القَيِّم رحمه الله في التِّبيان في أَقسام القرآن، (ص:٦٠-٦١).

(٤) هذا أَبرز ما قاله السَّلف رحمهم الله في معنى الآية: مِن التَّصديق بالخَلف مِن الله على ما أَعطى، والتَّصديق بأَنَّ الله واحد لا شريك لَهُ، والتَّصديق بالجنَّة، والتَّصديق بموعود الله. ينظر: جامع البيان، (٢٤/٤٦٨-٤٧٠)، ومَعَالم التَّنزيل، (٥/٢٦٢)، والتِّبيان في أَقسام القرآن، (ص:٦٠)، وتفسير القرآن العظيم، (٨/٤١٧).

ومُقابِلُ(١) هذا قولُهُ: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾(٢)؛ أَيْ: تَرَكَ ما أُمِرَ بِهِ، ليسَ خاصًّا بالنَّفقةِ، بلْ معنَى البُخلِ: المنعُ، فإذا مَنعَ الوَاجباتِ الْمُتوَجِّهةَ إليهِ القَوليَّةَ، والفِعليَّةَ، والماليَّةَ(٣) فقد بَخِلَ(٤).

﴿وَٱسْتَغْنَىٰ﴾(٥)؛ أَيْ: رأَى نَفْسَهُ غيرَ مُفتقِرٍ إلى ربِّهِ، وذلِكَ عُنوانُ الكِبرِ، والتَّجرُؤِ على محارِمِ اللهِ(٦).

﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾(٧)؛ أَيْ: بلا إلهَ إلَّا اللهُ، وحُقوقِها، وجزاءِ الْمُقيمِينَ لها، والتَّارِكِينَ لها.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾(٨)؛ أَيْ: لِكلِّ حالةٍ عَسِرةٍ في معاشِهِ، ومَعادِهِ.

فائدةٌ(٩): خِطاباتُ القُرآنِ للنَّاسِ خبَرًا، وأَمرًا ونهيًا قِسمانِ:

أَحدُهُما: وهو الأكثرُ جِدًّا خِطابٌ عامٌّ يُخاطَبُ بهِ جميعُ النَّاسِ، ويَتعلَّقُ الخَبرُ و(١٠) الحُكمُ فيهِم في حالةٍ واحدةٍ مِثلُ: الخَبرِ عن اللهِ وملائكتِهِ، وكُتُبِهِ ورُسلِهِ واليومِ الآخِرِ(١١)، ومِثلُ: الأَمرِ

(١) سبق تعريف الْمُقابَلة: (ص:٦).
قال السُّيُوطِيُّ رحمه الله: "قابل بين الإعطاء والبُخل، والاتّقاء والاستغناء، والتَّصديق والتَّكذيب، واليُسرى والعُسرى؛ ولَمَّا جعل التَّيسير في الأَوَّل مُشتركًا بين الإعطاء والاتّقاء والتَّصديق جعل ضدَّه -وهو التَّعسير- مشتركًا بين أضدادها". الإتقان في علوم القرآن، (٣/٣٢٧).
(٢) الليل: ٨
(٣) س: "أَو الفعليَّة أَو الماليَّة"، وهذه أَولى؛ لأَنَّها تفيد حصول البخل بأَحدها، وليس بمجموعها كما تفيده عبارة: (خ).
(٤) مِن المفسِّرين مَن خصَّ المعنى بالبُخل بالمال، ومِنهم مَن حمل اللَّفظ على العُموم؛ ليشمل جميع ما ينبغي أَنْ يبذل مِن قول وفعل. ينظر: المحرَّر الوجيز، (٥/٤٩١)، والتَّسهيل لعلوم التَّنزيل، (٢/٤٨٨).
(٥) الليل: ٨
(٦) قال ابن القَيِّم رحمه الله: "فقابَل التَّقوى بالاستغناء؛ تَبشِيعًا لحال تارك التَّقوى، ومُبالغة في ذمِّه؛ بأَنْ فَعل فِعل المستغني عن ربِّه، لا فِعل الفقير المضطرِّ إليه، الذي لا ملجأَ لَهُ إِلَّا إليه، ولا غنى لَهُ عن فضله، وجوده وبرِّه طَرْفة عَين". التِّبيان في أَقسام القرآن، (ص:٦٣).
(٧) الليل: ٩
(٨) الليل: ١٠
(٩) هذه الفائدة تتعلَّق بالخطابات في القرآن، وقد عدَّ الزَّرْكَشِيُّ رحمه الله منها ثلاثة وثلاثين وجهًا، تحت عنوان: "النَّوع الثَّاني والأَربعون: في وجوه المخاطَبات والخِطَاب في القرآن". البُرهان في علوم القرآن، (٢/٢١٧-٢٥٣).
(١٠) س: "أَو".
(١١) قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥].

بالصَّلاةِ والزَّكاةِ(١)، والصَّومِ(٢)، والحجِّ(٣)، والجِهادِ(٤)، والبِرِّ(٥)، والصِّلةِ(٦)، والعَدْلِ(٧)، والنَّهيِ عن ضِدِ ذلِكَ(٨)؛ وهذا لأَنَّ القرآنَ هِدايةٌ، وبَيانٌ للنَّاسِ، وهُم مُسْتَوُونَ في تَعلُّقِ تِلكَ الأَحكامِ فِيهِم، ما لم يَمنعْ مانعُ عَجزٍ عن بَعضِ الواجباتِ فَيُرتَّبُ عليهِ حُكْمُهُ(٩).

القِسمُ الثَّاني: الخِطَابُ العامُّ مِن جِهةٍ، الخاصُّ مِن جِهةٍ أُخرَى؛ وذلِكَ كالخِطَابِ الْمُتعَلِّقِ بالعباداتِ الْمُعَلَّقةِ على أَوقاتِها؛ كالأَمرِ بالصَّلواتِ الخمسِ لأَوقاتِها؛ كقولِهِ: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ﴾(١٠)، وبالإمساكِ عن الْمُفطِّراتِ، مثلُ قولِهِ: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ﴾(١١).

فمِن جِهةِ أَنَّهُ مُوجَّهٌ إلى جميعِ الْمُكَلَّفِينَ فإنَّهُ خِطابٌ عامٌّ؛ جميعُ أَهلِ الْمَشارِقِ والْمَغارِبِ مُخاطَبونَ بذلِكَ، ومِن جِهةِ أَنَّ لِكلِّ موضعٍ حُكْمًا(١٢) بنَفْسِهِ -فإنَّهُ مَعلُومٌ أَنَّ الوَقْتَ الذي تَطْلُعُ فيهِ الشَّمسُ على هؤلاءِ أَو تَغربُ، أَو يَطلعُ الفَجرُ، وتَزولُ الشَّمسُ غيرُ الوَقْتِ الذي تُوجَدُ فيهِ هذهِ الأُمورُ عندَ الآخَرِينَ- فكلٌّ يُخاطَبُ بِحَسَبِ حالِهِ، وحَسَبِ الموضِعِ الذي فيهِ بلا رَيْبٍ(١٣).

---

(١) قال ﷻ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة:٤٣].

(٢) قال: ﷻ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٣].

(٣) قال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗا﴾ [آل عمران:٩٧].

(٤) قال تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة:٢٩].

(٥) قال ﷻ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة:٢].

(٦) قال ﷻ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

(٧) قال تعالى: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة:٨].

(٨) قال ﷻ: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [البقرة:١٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ [المائدة:٢]، وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [المائدة:٨٧].

(٩) قال ﷻ: ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗا﴾ [المجادلة:٤].

(١٠) الإسراء: ٧٨

(١١) البقرة: ١٨٧

(١٢) خ: "حكم"، وس: "حكمًا"، وهي الصَّواب؛ لأَنَّها اسم: "أَنَّ" المؤخَّر.

(١٣) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الصَّلاة، باب قبلة أَهل المدينة، وأَهل الشَّام والمشرق، (١/٨٨) ح (٣٦٤) واللَّفظ لَهُ، ومسلم في صحيحه، كتاب الطَّهارة، باب الاستطابة، (١/٢٢٤) ح (٢٦٤)، عن أَبِي أَيُّوب

=

ونظيرُ هذا: الأَمرُ باستقبالِ القِبلةِ للصَّلاةِ مُوجَّهٌ إلى جميعِ أَهلِ الأَرضِ، ومعَ ذلكَ فكلُّ قُطْرٍ ومَحَلٍّ فلهُم جِهةٌ يَتوصَّلونَ بِها إلى الكَعْبَةِ؛ ولهذا صرَّحَ اللهُ بِهذا المعنَى بقولِهِ: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾[1]؛ فالمقصودُ واحدٌ، والطُّرقُ والوسائلُ إلى هذا المقصُودِ مُتباينةٌ، وكلُّ أَحدٍ مأْمورٌ بطريقِهِ الخاصِّ.

ونظيرُ ذلِكَ: الإخباراتُ بطلوعِ الشَّمسِ والقَمرِ والكواكبِ، وغروبِها؛ لو تَحَذْلَقَ[2] جاهلٌ فقالَ: إنَّ مِثلَ قولِهِ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾[3]؛ أَيْ: في البحرِ برؤيةِ العَينِ، وقولِهِ: ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾[4]، ينافي الْمَعْلومَ أَنَّ الشَّمسَ والقَمرَ والكواكِبَ لا تَغْرُبُ عن الدُّنيا بالكُلِّيَّةِ.

فيُقالُ هذا مِن الجهلِ والعُجْمَةِ بِمكانٍ سَحِيقٍ[5]؛ وذلِكَ أَنَّ اللهَ لم يَقُلْ: وجدَها تغربُ عن جميعِ الأَرضِ حتَّى يكونَ لهذا الجاهلِ اعتراضٌ، بل أَخبرَ عن غُروبِها وطُلوعِها عن ذلكَ الموضعِ وذلكَ القُطْرِ، كمَا يَفهَمُ النَّاسُ كُلُّهُم سابقًا ولاحِقًا.

ولا فَرقَ بَينَ الإخباراتِ والأَحكامِ بوجْهٍ[١٥٤]؛ ومِن المعلومِ أَنَّ لكلِّ أَهلِ قُطْرٍ مَطْلِعًا ومَغْرِبًا؛ فهذِهِ الخِطاباتُ في الأَحكامِ والإخباراتِ في غايةِ الإحكامِ التي لا يَتطرَّقُ إليها اعتراضاتُ المعترِضِ، ومَن اعترضَ على شَيءٍ مِن ذلِكَ عَرفَ النَّاسُ أَنَّ ذلِكَ مِن آثارِ جَهلِهِ وحُمْقِهِ، وهَذا واضحٌ لا يَحتاجُ إلى كلِّ هذا، يَفْهمُهُ الذَّكِيُّ والبَليدُ، وهذا مقتضَى كونِ القرآنِ عَرَبِيًّا، أَنزلَهُ اللهُ بِما يعقِلُهُ العِبادُ[6].

الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: ((إِذَا أَتَيْتُمُ الغَائِطَ فَلَا تَسْتَقْبِلُوا القِبْلَةَ، وَلَا تَسْتَدْبِرُوهَا وَلَكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا)).
فهذا خِطاب لأَهل المدينة، ولمن كانت قبلته مثلهم، وأَمَّا مَن كانت قِبلته إلى جِهة المغرب أَو الْمَشرق فإنَّه لا يُشرِّق ولا يُغرِّب؛ حتَّى لا يقع في النَّهي. ينظر: شرح صحيح البخارى، لابن بطَّال، (٢/٥٤)، والْمُعْلِم بفوائد مُسْلِم، (١/٣٦١)، وكشْف الْمُشْكِل مِن حديث الصَّحيحين، (٢/٨٧).

(١) البقرة: ١٤٤

(٢) سبق بيان معناها: (ص:٦).

(٣) الكهف: ٨٦

(٤) الكهف: ٩٠

(٥) "عن الحقائق": زيادة توضيحيَّة في: (س).
السُّحْقُ: البُعد، ومكان سَحيقٌ: أَي: بعيد. ينظر: العين، مادَّة: (سحق)، ومجاز القرآن، (٢/٥٠).

(٦) قال ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف:٢].

=

فائدةٌ(١): ورَدَ في القرآنِ عدَّةُ آياتٍ فِيها ذِكرُ الخُلودِ في النَّارِ على ذنوبٍ وكبائرَ لَيستْ بكفرٍ، مثلُ قولِهِ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾(٢)، ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾(٣)، ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾(٤).

فمَا الجمعُ بينَها وبَيْنَ النُّصوصِ الْمُتواترةِ مِن الكتابِ والسُّنَّةِ أنَّهُ لا يُخلَّدُ في النَّارِ إلَّا الكُفَّارُ، وأنَّ جميعَ المؤمنِينَ مهْمَا عمِلوا مِن الْمَعاصِي التي دُونَ الكُفرِ فإِنَّهُم لا بدَّ أَنْ يَخرجُوا مِنها؟.

فهذِهِ الآياتُ قد اتَّفقَ السَّلفُ على تأْويلِها، وردِّها إلى هذا الأَصلِ الْمُجْمعِ عليهِ بيْنَ سَلفِ الأُمَّةِ(٥).

وأَحسَنُ ما يُقالُ فِيها: إنَّ ذِكرَ الخُلودِ على بعضِ الذُّنوبِ -التي دُونَ الشِّرْكِ والكُفرِ- أَنَّها مِن بابِ ذكرِ السَّبَبِ، وأَنَّها سَببٌ للخُلُودِ في النَّارِ لِشَنَاعَتِها، وأَنَّها بذاتِها تُوجِبُ الخُلودَ إذا لم يَمنعْ مِن الخُلودِ مانعٌ، ومَعلومٌ بالضَّرورةِ مِن دِينِ الإسلامِ أَنَّ الإيمانَ مانعٌ مِن الخُلودِ؛ فتُنزَّلُ هذهِ النُّصوصُ على الأَصلِ المشهورِ، وهو أَنَّهُ لا تَتِمُّ الأَحكامُ إلَّا بوجودِ شُروطِها وأَسبابِها، وانتفاءِ موانِعِها(٦).

قال ابن تَيميَّة رحمه الله: "والعقل يتضمَّن العلم والعمل؛ فمن عرف الخير والشَّرَّ فلم يتَّبع الخير ويحذر الشَّرَّ لم يكن عاقلًا؛ ولهذا لا يعدُّ عاقلًا إلَّا مَن فعل ما ينفعه واجتنب ما يضرُّه؛ فالمجنون الذي لا يفرِّق بين هذا وهذا قد يُلقي نفسه في المهالك، وقد يفرُّ ممَّا ينفعه". مَجْمُوع الفَتَاوَى، (١٥/١٠٨).

(١) هذه الفائدة تتعلَّق بالمشْكِل فهمُه في القرآن عند بعض النَّاس، وسبق ذلك: (ص:٦).

(٢) النساء: ٩٣

(٣) النساء: ١٤

خ: "ومَن يعص الله ورسوله يدخله نارًا خالدًا فيها وله عذاب عظيم"، والصَّواب: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

(٤) البقرة: ٨١

(٥) سبق بيان ذلك: (ص:٦).

(٦) قرَّر هذا ابن القيِّم رحمه الله في مَدارِج السَّالِكِين، (١/٤٠٠-٤٠١).

وهذا واضحٌ -وللهِ الحمدُ- مع أَنَّ بعضَ الآياتِ المذكورةِ فِيها ما يَدلُّ على أَنَّ الخَطِيئةَ المرادُ بِها الكُفرُ؛ لأَنَّ قولَهُ: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾، دليلٌ على ذلِكَ؛ لأَنَّ المعاصِيَ التي دُونَ الكُفرِ لا تُحِيطُ بصاحِبِها، بل لا بدَّ أَنْ يكونَ مَعهُ إِيمانٌ يَمنعُ مِن إِحاطَتِها[١].

وكذلِكَ قولُهُ: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا﴾[٢]؛ فالمعصِيةُ تُطلَقُ على الكُفرِ، وعلى الكبائرِ، وعلى الصَّغائرِ، ومِن المعلومِ أَنَّهُ إِذا دخَلَ فيها الكُفرُ زَالَ الإِشكالُ[٣].

فائدةٌ[٤]: ورَدَ في القُرآنِ آياتٌ كثيرةٌ فِيها مُضاعَفةُ الحَسَنةِ بعشْرِ أَمثالِها، وورَدَ -أَيضًا- آياتٌ أُخَرُ فِيها مُضاعفةٌ أَكثرُ مِن ذلِكَ، فما وجْهُ ذلِكَ؟.

فيُقالُ: أَمَّا مُضاعَفةُ الحَسَنةِ بعشْرِ أَمثالِها فلا بُدَّ مِنها في كلِّ عَملٍ صالحٍ؛ كمَا قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا﴾[٥].

وأَمَّا مُضاعَفةُ العَملِ أَكثرَ مِن ذلِكَ فَلهُ أَسبابٌ؛ إِمَّا مُتَعلِّقةٌ بنَفْسِ العامِلِ، أَو بالعَملِ ومَزِيَّتِه، أَو نَتائجِهِ وثَمراتِهِ، أَو بزمانِهِ، أَو مَكانِهِ[٦].

فمِن أَعظمِ أَسبابِ مُضاعَفةِ العَملِ إذا حَققَّ العَبْدُ في عملِهِ الإِخلاصَ للمَعْبُودِ، والْمُتَابعةَ للرَّسُولِ؛ فمُضاعَفةُ الأَعمالِ تَبعٌ لِمَا يَقومُ بقَلبِ العَامِلِ مِن قُوَّةِ الإِخلاصِ، وقُوَّةِ الإِيمانِ.

وكذلِكَ مِن الأَسْبابِ إِذا كان العَمَلُ ناشِئًا عن عَقِيدةٍ صَحِيحةٍ سَلفيَّةٍ خَالصَةٍ مُتلقَّاةٍ مِن

---

(١) سبق بيانه: (ص:٦).

(٢) النساء: ١٤

(٣) سبق بيانه: (ص:٦).

(٤) هذه الفائدة تتعلَّق بالمشْكِل فهمه في القرآن، وسبق ذلك: (ص:٦).

(٥) الأنعام: ١٦٠

(٦) لأَنَّ اللهﷻ يقول: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٦١]، فليست المضاعفة لكلِّ مُنفِق، قال ابن القَيِّم رحمه الله: "وذلك لتفاوت أَحوال الإِنْفاق في نفسه، وفي صفات المنفِق وأَحواله، وفي شِدَّة الحاجة، وعظيم النَّفع، وحُسن الموقع". طريق الهجرتين، (ص:٣٦٤).

وقد ذكر المؤلِّف رحمه الله هنا أَسباب المضاعفة إِجمالًا، ثُمَّ بدأَ يُفصِّل، ويَستدلُّ بعد ذلك.

الكتابِ والسُّنَّةِ، فهذا[١] العَبدُ اليَسيرُ مِن عملِهِ أَبرَكُ مِن الكَثيرِ مِن عَمَلِ مَن ليسَ كذلِكَ[٢].

ومِن ذلِكَ ترْكُ ما تهواهُ النُّفوسُ مِن الفَواحشِ، معَ قوَّةِ الدَّاعِي إليها؛ لبُرهانِ الإيمانِ والتَّوكُّلِ، والإخلاصِ[٣].

ومِن أَسبابِ المضاعفةِ أَنْ يكونَ العَملُ فيهِ نَفعٌ لِلمسلِمينَ وغِناءٌ؛ وذلِكَ كالجهادِ في سبيلِ اللهِ؛ الجهادِ بالحُجَّةِ والبُرهانِ، وبِالسَّيفِ والسِّنانِ[٤]؛ كما قال تعالى في نفقاتِ أَهلِ هذا الصِنْفِ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٥].

ويَدخلُ في هذا سُلوكُ طَريقِ التَّعليمِ والتَّعلُّمِ لِلعلومِ الشَّرعيَّةِ، وما يُعينُ علَيها، وفي الحديثِ: ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا[١٥٥] يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ))[٦].

ومِن ذلِكَ العَملُ والسَّعيُ في المشَاريعِ الخَيريَّةِ، التي يَنتفِعُ بِها المسلِمونَ في دِينِهِم ودُنياهُم، ويَتسلسَلُ نَفعُها.

ومِن ذلِكَ العَملُ الذي إذا عمِلَهُ العبدُ كَثُرَ مُشارِكوُهُ، والْمُقْتَدُونَ بِهِ فِيهِ[٧].

ومِن ذلِكَ إذا كانَ العملُ لَهُ وَقْعٌ عظيمٌ ونَفعٌ كَبيرٌ، كإِنجاءِ الْمُضْطرِّينَ، وكشْفِ كُرباتِ

---

(١) "يكون"، زيادة توضيحيَّة في: (س).

(٢) قال ﷻ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود:٧]، قال الفُضَيل رحمه الله: "أخلصه وأصوبه؛ فإنَّه إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يُقبل حتَّى يكون خالصًا، والخالِص: إذا كان لله، والصَّواب: إذا كان على السُّنَّة". حِلْية الأولياء، (٩٥/٨)، وينظر: مِفتاح دار السَّعادة، (٨٢/١).

(٣) كما كان مِن نبيِّ الله يوسف عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف:٢٤].

(٤) السِّنَانُ: الرُّمح، وجمعه: أَسِنَّة. ينظر: الصِّحاح، ومُختار الصِّحاح، مادَّة: (سنن).

(٥) البقرة: ٢٦١

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذِّكر والدُّعاء والتَّوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذِّكر، (٢٠٧٤/٤) ح (٢٦٩٩)، عن أَبي هريرة رضي الله عنه. إلَّا أنَّه قال: (لَهُ بِهِ).

(٧) أخرج مسلم في صحيحه، كتاب الزَّكاة، باب الحثِّ على الصَّدقة ولو بشقِّ تمرة، أَو كلمة طيِّبة وأَنَّها حِجاب مِن النَّار، (٧٠٤/٢-٧٠٥) ح (١٠١٧)، عن جَرِير بن عبدالله رضي الله عنه، أَنَّ رسول الله ﷺ قال: ((مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ. . .)).

المكرُوبينَ؛ فكمْ مِن عملٍ مِن هذا النَّوعِ هَدَمَ اللهُ بهِ ذُنوبَ العبدِ كلَّها، وأَوصلَهُ بهِ إلى رِضوانهِ، وقِصَّةُ البَغِيِّ التي سَقَتِ الكَلبَ الذي كادَ يَموتُ مِن العَطشِ شَاهدةٌ بذلِكَ(١).

ومِن ذلِكَ عُلوُّ مقامِ العامِلِ عندَ اللهِ، ورِفعةُ درجتهِ؛ كمَا قال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ﴾(٢)، وقولُهُ قبْلَها: ﴿وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ﴾(٣).

ومِن ذلِكَ الصَّدَقَةُ مِن كَسْبٍ طيِّبٍ(٤)، وقُوَّةِ إخلاصٍ(٥).

ومِن ذلِكَ العَملُ الواقعُ في زمانٍ فاضلٍ(٦)، أو مَكانٍ فاضلٍ(٧).

ومِن أَهمِّ وأَعظَمِ ما يُضاعَفُ بِهِ العَملُ تَحقيقُ مَقامِ الإِحسانِ في القِيامِ بعبوديَّةِ اللهِ، وفي الحديثِ: ((لَيْسَ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ إِلَّا مَا عَقَلْتَ مِنْهَا))(٨).

---

(١) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب أَحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، (١٧٣/٤) ح (٣٤٦٧)، واللَّفظ لَهُ، ومسلم في صحيحه، كتاب السَّلام، باب فضل ساقي البهائم المحترَمة وإطعامها، (١٧٦١/٤) ح (٢٢٤٥)، عن أَبي هريرةﷺ، قال: قال النَّبيُّﷺ: ((بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ، كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ)).

(٢) الأحزاب: ٣٢

(٣) الأحزاب: ٣١

(٤) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الزَّكاة، باب الصَّدقة مِن كسب طيِّب، (١٠٨/٢) ح (١٤١٠)، واللَّفظ لَهُ، ومسلم في صحيحه، كتاب الزَّكاة، باب قبول الصَّدقة مِن الكسب الطَّيِّب وتربيتها، (٧٠٢/٢) ح (١٠١٤)، عن أَبي هريرةﷺ، قال: قال رسول اللَّهِﷺ: ((مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ)).

(٥) قالﷻ: ﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ﴾ [البقرة: ٢٧١].

(٦) كالعَشر الأُوَل مِن شهر ذي الحِجَّة؛ لما أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب العيدين، باب فضل العَمل في أَيَّام التَّشريق، (٢٠/٢) ح (٩)، عن ابن عبَّاسﷺ، عن النَّبيِّﷺ أَنَّه قال: ((مَا العَمَلُ فِي أَيَّامٍ أَفْضَلَ مِنْهَا فِي هَذِهِ؟)) قَالُوا: وَلَا الجِهَادُ؟ قَالَ: ((وَلَا الجِهَادُ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ)).

(٧) كالصَّلاة في المساجد الثَّلاثة؛ لما أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب فضل الصَّلاة في مسجد مكَّة والمدينة، باب فضل الصَّلاة في مسجد مكَّة والمدينة، (٦٠/٢) ح (١١٩٠)، عن أَبي هريرةﷺ: أَنَّ النَّبِيَّﷺ قال: ((صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الحَرَامَ)).

(٨) أخرجه أَبو نُعَيمٍﷺ بلفظ: "يُكْتَبُ للرَّجُلِ مِنْ صَلَاتِهِ مَا عَقَلَ مِنْهَا"، مِن قول سفيان الثَّوريِّﷺ. ينظر: حلية الأَولياء، (٦١/٧).

ونسبه ابن تَيميَّة، وابن القَيِّمﷺ إلى ابن عبَّاسﷺ. ينظر: مِنهاج السُّنَّة، (١٩٥/٥)، ومَدارج السَّالِكِين، (١٣٢/١).
وقال العِراقيُّﷺ: "لَيْسَ لِلْعَبْدِ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا مَا عَقَلَ، لم أَجده مرفوعًا". الْمُغْني عن حَمل الأَسْفار، (ص:١٨٩).
=

فالصَّلاةُ والقِراءةُ والذِّكْرُ وغيرُها مِن العِباداتِ إذا كانتْ بِقُوَّةِ حُضورِ قَلْبٍ، وإيمانٍ كاملٍ فلا رَيْبَ أَنَّ بَيْنَها وبَيْنَ عِبادةِ الغافلِ درجاتٍ تَنْقَطعُ دُونَها أعْناقُ الْمَطِيِّ[1].

وأَسبابُ مضاعفةِ الثَّوابِ كثيرةٌ، ولكنْ نَبَّهْنا على أُصولِها.

ومِمَّا هو كالمتَّفَقِ عليهِ بين العلماءِ الرَّبَّانيِّيْنَ أَنَّ الاتصافَ في جميعِ الأَوقاتِ بِقُوَّةِ الإخلاصِ للهِ، والنُّصحِ لعبادِ اللهِ، ومَحبَّةِ الخيرِ لِلمسلمِينَ، معَ اللَّهَجِ بذِكْرِ اللهِ بقوَّةٍ لا يَلْحَقُها شَيءٌ مِن الأَعمالِ، وأَهلُها سابِقونَ لِكلِّ فضيلةٍ، وأَجرٍ وثوابٍ، وبقيَّةُ الأَعمالِ تبعٌ لَها؛ فأَهلُ الإخلاصِ والإحسانِ، والذِّكرِ هُمُ[2]: ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾[3].

فائدةٌ[4]: قد أَمرَ اللهُ في كتابهِ بالتَّفكُّرِ[5] والتَّدبُّرِ[6] والنَّظرِ[7] والتَّبصُّرِ[8]، وغيرِها مِن الطُّرقِ التي تُنالُ بِها العُلومُ، وأَثنَى على أَهلِها، وأَخبرَ أَنَّ كِتابَهُ أُنزِلَ لهذهِ الحِكَمِ، وأَثنَى على العِلْمِ

وقال الأَلبانيُّ رحمه الله: "لا أَصل له مرفوعاً، وإنَّما صحَّ موقوفاً عن بعض السَّلف". سلسلة الأَحاديث الضَّعيفة والموضوعة، (١٤/١٠٢٦) ح (٦٩٤١).

وفي معناه ما أَخرجه أَحمد في مسنده، (٣١/١٨٩) ح (١٨٨٩٤)، واللَّفظ لَهُ، وأَبو داود في سننه، كتاب الصَّلاة، باب ما جاء في نُقصَان الصَّلاة، (١/٢١١) ح (٧٩٦)، عن عمَّار بن ياسر رضي الله عنهما، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلاَةَ مَا يُكْتَبُ لَهُ مِنْهَا إِلَّا عُشْرُهَا، تُسْعُهَا، ثُمُنُهَا، سُبُعُهَا، سُدُسُهَا، خُمُسُهَا، رُبُعُهَا، ثُلُثُهَا نِصْفُهَا)). صحَّحه العِراقيُّ، وحسَّنه الأَلبانيُّ. ينظر: الْمُغْني عن حَمل الأَسْفار، (ص:٢٠٣)، وصحيح أَبي داود، (٣/٣٨٢) ح (٧٦١).

(١) الْمَطِيُّ: الرَّواحِلُ، والْمَطِيَّةُ: واحدةُ الْمَطِيِّ، التي تَمُطُّ في سيرها؛ مِن الْمَطا: وهو الظَّهْر، وامْتَطَيْتُها: اتَّخذتها مَطِيَّةً. ينظر: مُعْجَم ديوان الأَدب، والصِّحاح، ومُختار الصِّحاح، مادَّة: (مطا).

(٢) أَخرج مسلم في صحيحه، كتاب الذِّكر والدُّعاء والتَّوبة والاستغفار، باب الحثِّ على ذكر الله تعالى، (٤/٢٠٦٢) ح (٢٦٧٦)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ جُمْدَانُ، فَقَالَ: ((سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ))، قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: ((الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ)).

(٣) الواقعة: ١٠-١٢

(٤) استخلص المؤلِّف رحمه الله كثيرًا مِن معلومات هذه الفائدة مِن الصَّواعق الْمُرْسَلة، (٣/٨٧٠-٨٨٠).

(٥) قال تعالى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:١٧٦]، وقال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ:٤٦].

(٦) قال ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩].

(٧) قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي ٱلْأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:١٠١].

(٨) قال جلَّ جلاله: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق:٨].

واليَقِينِ، ومَدحَ أَهلَهُما، ونَهْجَ جميعَ طريقٍ يوصِلُ إِليها(١).

فاعلمْ أَنَّ الذي يَجمعُ أَشْتاتَ هذهِ الطُّرقِ، وأَنواعَها، وأَجناسَها ثلاثةُ طُرقٍ كُلِّيَّةٍ(٢):

أَحدُها: طَريقُ الإِخباراتِ الصَّادِقةِ.

والثَّاني: طَريقُ الحِسِّ.

والثَّالثُ: طَريقُ العَقلِ.

ووَجْهُ الحَصرِ أَنَّ المعلوماتِ إِمَّا أَنْ تُدرَكَ بِحاسَّةِ السَّمعِ أَو البَصَرِ، أَو اللَّمْسِ أَو الذَّوقِ، وإِمَّا أَنْ تُدرَكَ بالعَقلِ، وإِمَّا أَنْ تُنَالَ بالإِخبارِ، وكلُّ واحدٍ مِن هذهِ الثَّلاثةِ قد يُقارِنُ الآخرَ، وخُصوصًا العقلَ والأَخبارَ الصَّادقةَ، فإِنَّهما لا يَتَفارَقانِ، وقد يَكونُ العِلْمُ ضَروريًّا بَدِيْهِيًّا(٣) يَضطَرُّ الإِنسانَ إلى عِلمِهِ، والتَّصْدِيقِ بهِ مِن غيرِ حاجةٍ إلى زِيادةِ نَظَرٍ وتَفَكُّرٍ، وقد يكونُ نَظَرِيًّا يَحتاجُ إلى ذلِكَ.

ثُمَّ العِلْمُ بهذهِ الأُمورِ مَراتبُ مُتَفاوتةٌ؛ وأَعلى درجاتِ العِلْمِ واليَقينِ وأَوضحُها وأَنفعُها للعِبادِ خَبَرُ اللهِ وخَبَرُ رُسُلِهِ، فإِنَّهُ لا ﴿أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾(٤)، ولا أَصدقُ مِنهُ حَديثًا(٥)، ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾(٦)؛ فكلُّ ما قالَهُ اللهُ، وقالَهُ رَسولُهُ فهُو الحقُّ والصِّدقُ، وماذا بعدَ الحقِّ إِلَّا الضَّلالُ، وهو يَهْدِي إلى كلِّ دَليلٍ عَقْلِيٍّ ونَقْلِيٍّ(٧).

وفي خبَرِ اللهِ، وخبَرِ رُسُلِهِ مِن البَيانِ العَظيمِ، والتَّفصيلاتِ لجميعِ أَجناسِ العُلومِ النَّافعةِ ما لا تَصِلُ إِليهِ عُلومُ الخَلائقِ كلِّهِم، أَوَّلِهم وآخِرِهِم.

---

(١) قال تبارك وتعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء:١٠٦-١٠٩].

(٢) أَشار ابن القيِّم رحمه الله إلى هذه الطُّرق في الصَّواعق الْمُرْسَلة، (٣/٨٧٠).

(٣) سبق بيان معناها: (ص:٦).

(٤) النساء: ١٢٢

(٥) قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء:٨٧].

(٦) الأحزاب: ٤

(٧) أَطال ابن القيِّم رحمه الله في تفصيل ذلك، في الصَّواعق الْمُرْسَلة، (٣/٨٧٠-٨٧٥).

وإذا أَردتَ أَنْ تعرِفَ أَنَّ الحقَّ الصَّحيحَ هو ما قالَهُ اللهُ، وقالَهُ رَسولُهُ، وأَنَّ ما نَاقضَهُ ونَافاهُ فهو باطلٌ بلا رَيبٍ، مَبْنِيٌ على جَهَالاتٍ، وموادَّ فاسدةٍ، فانظرْ إلى أُصولِ الدِّينِ وقواعدِهِ وأُسُسِهِ كيفَ اتَّفقتْ عليهَا الأَدِلَّةُ النَّقلِيَّةُ، والعَقليَّةُ، والحِسِّيَّةُ؟!.

انظرْ إلى توحيدِ اللهِ(١)[١٥٦] ووجوبِ تَفرُّدِهِ وإفرادِهِ بالوحدَانيَّةِ، وتَوحُّدِهِ بصِفاتِ الكَمالِ، كيفَ كانتِ الكُتُبُ السَّماوِيَّةُ مَشحُونةً مِنها؟ بلْ هي المقصودُ الأَعظمُ مِنها، وخُصُوصًا القرآنَ الذي هو مِن أَوَّلِهِ إلى آخِرِهِ يُقرِّرُ هذا الأَصلَ، الذي هو أَكبرُ الأُصولِ وأَعظَمُها(٢).

وانظرْ كيفَ اتَّفقتْ جَميعُ الرُّسُلِ مِن أَوَّلِهِم إلى آخِرِهِم، وخُصُوصًا إمامَهُم وخَاتَمهم محمَّدٌ ﷺ(٣) على تَقريرِ توحيدِ اللهِ، وتَفرُّدِهِ بالوَحدانيَّةِ(٤)، وسَعةِ الصِّفاتِ وعَظَمتِها؛ مِن سِعةِ العِلْمِ والحِكْمةِ، وعُمومِ القُدرةِ والإرادةِ، وشُمولِ الحمدِ والْمُلكِ، والْمَجْدِ والجَلالِ، والجَمالِ والْحُسنِ، والإِحسانِ في أَسمائهِ وصفاتهِ وأَفعالِهِ.

ثُمَّ انظرْ إلى هذا الأَصلِ العَظِيمِ في قُلوبِ سَاداتِ الخَلقِ، أُولِي الأَلبابِ الكَامِلةِ، والعُقولِ التَّامَّةِ، كيفَ؟.

تَجِدُهُ أَعظمَ مِن كلِّ شَيءٍ، وأَقوى وأَكبَرَ مِن كلِّ شَيءٍ، وأَوضحَ مِن كلِّ شَيءٍ، وأَنَّهُ مُقدَّمٌ عندَهُم على الحَقائقِ كلِّها، وأَنَّهم يَعْلَمونهُ عِلمًا ضَرُورِيًا بَدِيْهِيًّا(٥) قَبْلَ الأَدِلَّةِ النَّظَرِيَّةِ، ويَعلَمُونَ أَنَّ كلَّ ما عارَضَهُ فهو أَبطلُ الباطلِ(٦).

ثُمَّ انظرْ إلى كَثْرةِ البَراهينِ الْمَنْقُولَةِ والْمَعْقولَةِ والْمَحْسوسَةِ الشَّاهدةِ للهِ بالوَحدانيَّةِ.

---

(١) هنا انتهى خطُّ الشَّيخ: عبدالعزيز بن حمد المصِيْرِيعي، وبدأَ خطُّ المؤلِّف رحمهما الله.

(٢) سبق ذلك: (ص:٦-٦).

(٣) خ ، وس: "محمَّدٌ"، وهذا سبق قلم، والصَّواب: "محمَّدًا"؛ لأَنَّها بدل من: "خاتمهم".

(٤) سبق كلام المؤلِّف رحمه الله على هذا الأَصل: (ص:٦-٦).

(٥) سبق بيان معناها: (ص:٦).

(٦) قال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢].

فَفِي كُلِّ شَيءٍ لَهُ آيَةٌ   تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ[١].

فَوُجُودُ جميعِ الأَشياءِ في العَالَمِ العُلويِّ والسُّفليِّ، وبقاؤُها، وما هِي عليهِ مِن الأَوصافِ الْمُتنوِّعةِ، كلُّ ذلكَ مِن الأَدِلَّةِ والبَراهينِ على وُجودِ مُبْدِعِها ومُعِدِّها ومُمِدِّها بكلِّ ما تَحتاجُ إِليهِ.

ومَن أَنكرَ هذا فقدْ بَاهَتَ[٢] وكَابَرَ، وأَنكرَ أَجْلَى الأُمُورِ، وأَعظمَ الحَقائقِ.

ومِن هاهنا تَعْلمُ أَنَّ المادِّيِّيْنَ الْمُلْحِدينَ أَضلُّ الخَلقِ، وأَجهلُهُم، وأَعظَمُهُم غُرُورًا واغْترارًا؛ حيثُ اغْتَرُّوا حِينَ وَقفوا على بعضِ عُلومِ الكَونِ الأَرضيِّ المادِّيِّ الطَّبِيْعِيِّ، وَقَفَتْ عُقولُهم القَاصِرةُ عندَها، واستولَتْ عليهِم الحَيْرَةُ، وتكبَّرُوا بمعارِفِهم الضَّئِيلةِ، وقالُوا: نُثْبِتُ ما وصَلَتْ إِليهِ مَعارِفُنا، ونَنْفِي ما سِواهُ، فتَعْرِفُ بِهذا أَنَّ نَفْيَهُم هذا جَهلٌ، وبَاطلٌ باتِّفاقِ العُقلاءِ، فإِنَّ مَن نَفَى ما لا يَعرِفُهُ فقد بَرْهَنَ على كَذِبهِ وافترائِهِ؛ فكَما أَنَّ مَنْ أَثْبَتَ شَيئًا بلا عِلمٍ فهُو ضالٌ غاوٍ، فكذلِكَ مَن نَفَى شَيئًا بلا عِلمٍ[٣].

وتَعرفُ -أَيضًا- أَنَّ إِثباتَهُم لِعلومِ الطَّبيعةِ التي عَرَفُوها، وانتهَتْ إِليها معارِفُهُم أَنَّ هذا الإِثباتَ مِنهُم قَاصرٌ لم يَصِلوا إِلى غَايتِهِ، وحقيقَتهِ، فلمْ يَصِلوا بذلِكَ إِلى خَالقِ الطَّبيعةِ ومُبدعِها، ولم يَعرِفوا المقصودَ مِن نِظامِها، وسَببيَّتِها؛ بلْ عَرَفوا ظَاهِرًا مِنها، وهُم عن النَّافعِ غافِلونَ، فأَثبَتوا بعضَ السَّببِ، وعَمُوا عن المقصودِ[٤].

---

(١) البيت مِن بحر: الْمُتَقَارب، للشَّاعر: أَبي إِسحاق؛ إِسماعيل بن قاسم بن سُويد بن كَيْسَان العَنَزي، مَوْلَاهم، المعروف بأَبي العتاهية، توفي سنة إِحدى عشرة ومائتين. ينظر: ديوان أَبي العَتاهِية، حرف الدَّال، (ص:١٢١)، والشِّعر والشُّعراء، لابن قُتَيْبَة، (٢/٧٧٩)، وسِيَر أَعلام النُّبلاء، (١٠/١٩٥-١٩٨).

(٢) سبق تعريفها: (ص:٦).

(٣) نصَّ ابن تَيميَّةﷺ على هذا فقال: "النَّافي عليه الدَّليل إذا لم يكن نفيه بديهيًا، كما أَنَّ على المثبت الدَّليل". الرَّدُّ على المنطقيِّيْن، (ص:٧)، وينظر: الجواب الصَّحيح، (٦/٤٥٨-٤٥٩).
وقال في موضع آخر: "وأَقوام يدَّعون أَنَّهم يعرفون العُلوم العقليَّة، وأَنَّها قد تخالف الشَّريعة، وهم مِن أَجهل النَّاس بالعقليَّات والشَّرعيات، وأَكثر ما عندهم مِن العقليَّات أُمور قلدوا مَن قالها، لو سئلوا عن دليل عقليٍّ يدلُّ عليها لعَجَزوا عن بيانه، والجواب عمَّا يعارضه، ثُمَّ مِن العجائب أَنَّهم يتركون اتِّباع الرُّسل المعصومين الذين لا يقولون إِلَّا الحقَّ، ويعرضون عن تقليدهم، ثُمَّ يقلِّدون في مخالفة ما جاؤوا به مَن يَعلمون هم أَنَّه ليس بمعصوم، وأَنَّه قد يخطىء، تارة ويصيب أُخرى". الرَّدُّ على المنطقيِّيْن، (ص:٢٧٣-٢٧٤).

(٤) قال تعالى: ﴿ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم:٧].

وهُم في عِلمِهِم هذا حائِرونَ، لا تَثبتُ لهُم قَدَمٌ على أَمْرٍ مِن الأُمورِ، ولا تَثْبتُ لهم نَظريَّةٌ(١) صَحِيحةٌ مُستقيمةٌ، فهُم دائِمًا في خَلْطٍ وخَبْطٍ، وتَناقضٍ، وكلَّما جاءَهُم مِن البَراهِينِ الحقِّ ما يُبطلُ قولَهم قالُوا: هذا مِن فَلَتاتِ(٢) الطَّبيعةِ، وكلَّما بَرزَ مُبَرِّزٌ(٣) مِن فُحُولِهم وأَذكيائِهم ابتَكرَ لَهُ طريقةً غيرَ طريقةِ إخوانِه؛ فصَدَقَ عليهِم قولُهُ تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾(٤)، وقولُهُ: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾(٥).

والمقصودُ أَنَّ هذا الأَصلَ العَظيمَ قد دَلَّتْ عليهِ جميعُ الأَدِلَّةِ(٦) بأَجْناسِها، وأَنواعِها، ودَلَّ عليهِ الشَّرعُ الْمُحكَمُ، والقَدرُ العامُّ الْمُنظَّمُ، ولم يَقْدَحْ فيهِ إِلَّا هؤلاءِ الضُّلَّالُ، الذينَ كانَ قَدْحُهُم فيهِ أَسْقَطَ اعتبارَهُم، وبَرْهَنَ على فَسادِ عُقولِهم.

وانظرْ إلى الأَصلِ الثَّاني: وهو إِثباتُ الرِّسالةِ(٧)، وأَنَّ اللهَ قد أَقامَ على[١٥٧] صِدقِ رُسُلِهِ مِن الآياتِ ما على مثلِهِ يُؤمِنُ البَشَرُ(٨)، وخُصوصًا محمَّدٌ(٩)ﷺ، فإِنَّ آياتِ نُبوَّتِهِ، وأَدِلَّةَ رِسالتِهِ وصِدقِهِ مُتنوِّعةٌ؛ سِيرَتُهُ وأَخلاقُهُ، وما جاءَ بِهِ مِن الدِّينِ القَويمِ، وحَثُّهُ على كلِّ خُلُقٍ كريمٍ، وعَملٍ صالحٍ، ونَفْعٍ وإِحسانٍ، وعدلٍ، ونَهيُهُ عن ضدِّ ذلِكَ، وما جاءَ بِهِ مِن الوَحْيِ -الكتابِ والسُّنَّةِ- كلُّهُ جملةً وتَفصيلًا بَراهِينُ على نُبوَّتِهِ وصِدْقِهِ، مع ما(١٠) أَكرَمَهُ اللهُ بِهِ مِن النَّصرِ العَظيمِ، وإِظهارِ

---

(١) النَّظَرِيَّةُ: قضيَّة تُثْبت صحَّتُها ببرهان، وآراء تُفسَّر بِهَا بعض الوقائع العلميَّة أَو الفنيَّة. ينظر: الْمُعْجَم الوسيط، مادَّة: (نظر).

(٢) الفَلْتَةُ: الفَجْأَةُ، و"الأَمر يقع مِن غير إِحكام". لسان العرب، وتاج العَرُوس، مادَّة: (فلت).

(٣) البُرُوزُ: ظُهور الشَّيء وبُدُوُّه، والْمُبَرِّز: الظَّاهر، المتفوِّق على أَصحابه. ينظر: مقاييس اللُّغة، ومُختار الصِّحاح، مادَّة: (برز).

(٤) ق: ٥

(٥) غافر: ٨٣

(٦) النَّقليَّة، والعَقليَّة، والحِسيَّة.

(٧) سبق كلام المؤلِّف رحمه الله على هذا الأَصل: (ص:٦-٦).

(٨) سبق الدَّليل على ذلك: (ص:٦).

(٩) خ، س: "محمَّدٌ"، هذا سبق قلم، والصَّواب: "محمَّدًا"؛ لأَنَّها مفعولٌ به للمصدر: (خصوصًا).

(١٠) خ: "معما"، وس: "مع ما"، وهذا هو الصَّواب؛ لأَنَّ "ما" اسميَّة موصولة، ووصلها له مواضع ليس هذا منها. ينظر: كتاب الإملاء، لحسين والي، (ص:١٤٥-١٤٦)، وقواعد الإملاء= المطالع النَّصْريَّة للمطابع المصريَّة في الأُصول الخطيَّة، للهويريني، (٦٤-٧٤).

دِينِهِ على الأَديانِ كلِّها، ومِن إجابةِ الدَّعواتِ، وحُلولِ أَنواعِ البَرَكاتِ التي لا تُعَدُّ أَنواعُها فضلًا عن أَفرادِها، وهذا بِقَطْعِ النَّظرِ عن شَهادةِ الكُتُبِ السَّابقةِ، وعن عَجْزِ الْمُعَارِضِينَ لَهُ في مَقاماتِ التَّحدِّي كلِّها، وعَجْزِهم عن نَصرِ باطِلِهم.

ولا يَزالُ الباطلُ بيْنَ يَدَي ما جاءَ بِهِ الرَّسولُ مَخْذُولًا زَاهِقًا(١)؛ بحيثُ إِنَّ القائِمِينَ بما جاءَ بِهِ الرَّسُولُ، القائِمِينَ بمعرفةِ دِينِه يَتَحدَّوْنَ جميعَ أَهلِ الأَرضِ أَنْ يَأْتُوا بصَلاحٍ، أَو فَلاحٍ، أَو رُقيٍ حَقِيقيٍ، أَو سعادةٍ حَقِيقيَّةٍ بِجميعِ وُجوهِهَا، وأَنَّهُ مُحالٌ أَنْ يُتَوصَّلَ إِلى شَيءٍ مِن ذلِكَ بغيرِ ما جاءَ بِهِ الرَّسولُ وأَرْشَدَ إِليهِ، ودَلَّ الخَلقَ عليهِ(٢).

ولولا الجَهلُ بما جاءَ بِهِ الرَّسولُ، والتَّعصُّباتُ الشَّديدةُ مِن الأَعداءِ والْمُقَاوَماتُ العَنِيفةِ، وإِقامةُ الحَواجزِ الْمُتعدِّدةِ العَنِيفةِ لِمنْعِ الجماهيرِ والدَّهماءِ مِن رؤيةِ الحقِّ الصَّريحِ، والدِّينِ الصَّحيحِ، لم يبقَ على وجهِ الأَرضِ دِينٌ سِوى دِينِ محمَّدٍﷺ؛ لدعوتهِ وإِرشادِهِ، وحَثِّهِ على كلِّ صلاحٍ وإِصلاحٍ، وخيرٍ ورُشْدٍ(٣).

ولكنَّ مُقاوماتِ الأَعداءِ، ونَصْرَ القُوَّةِ لِلباطلِ بالتَّمْويْهاتِ(٤) والتَّزويراتِ، وتَقاعدَ أَهلِ الدِّينِ عن القِيامِ بهِ ونُصْرتهِ، هي التي مَنَعتِ الخَلْقَ أَكثرَهُم(٥) مِن الوقوفِ على حَقيقتِهِ.

ثُمَّ انظرْ إِلى الأَصلِ الثَّالثِ: وهو إِثباتُ الْمَعادِ والجَزاءِ، كيفَ اتَّفقَتِ الكُتُبُ السَّماويَّةُ والرُّسُلُ العِظامُ، وأَتباعُهُم -على اختلافِ طَبقاتِهم، وتَبايُنِ أَقطارِهم، وأَزمانِهم، وأَحوالِهِم- على

---

(١) الزَّهَقُ: "كلُّ شيءٍ هلك وبَطَلَ فقد زَهَقَ". العين، وينظر: جَمْهَرة اللُّغة، مادَّة: (زهق).

قال الله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:١٨].

(٢) لأَنَّ المعلومات والأُمور الغائبة عن الحسِّ لا يُتوصَّل إِلى العلم بها إِلَّا بخبر الصَّادق، وقد اصطفى الله مِن خلقه رسله، ونبَّأهم مِن الغيب بما يشاء، وأَطلعهم منه على ما لم يُطلع عليه غيرهم، قالﷻ: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن:٢٦-٢٧]، وينظر: مَعالم التَّنزيل، (٥٤٥/١)، والصَّواعق الْمُرْسَلة، (٨٧٤/٣)، وتفسير القرآن العظيم، (٢٤٧/٨).

(٣) قالﷻ: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام:٢٦].

(٤) سبق بيان معناها: (ص:٦).

(٥) بدَل بعضٍ من كلٍّ.

س: "منعت أَكثر الخلْق".

الإيمانِ بهِ، والاعترافِ التَّامِّ بهِ[١]؟!.

وكَمْ أَقامَ اللهُ عليهِ مِن الأدلَّةِ النَّقليَّةِ[٢]، والعَقليَّةِ[٣]، وكذلِكَ الحِسِّيَّةِ المشاهدَةِ[٤] ما يَدلُّ أكبرَ دِلالةٍ عليهِ؟!.

وكَمْ أَشْهَدَ عِبادَهُ في هذهِ الدَّارِ أُنموذَجًا مِن الثَّوابِ والعِقابِ، وأَراهم حُلُولَ الْمَثُلاتِ[٥] بالْمُكذِّبينَ، وأَنواعَ العُقُوباتِ الدُّنْيويَّةِ بالمجرمِينَ؛ كما أَراهُم نجاةَ الرُّسُلِ، ومَن تَبِعَهُم مِن المؤمِنِينَ، وإِكرامَهُم في الدُّنيا قَبلَ الآخِرَةِ[٦]؟!.

وكَمْ أَبطلَ اللهُ كلَّ شُبْهةٍ يَقدحُ بِها المكذِّبونَ بالْمَعادِ؟! كما أَقامَ الأَدلَّةَ على إبطالِ الشُّبَهِ الْمُوجَّهةِ مِن المكذِّبينَ إلى توحيدِهِ وصِدقِ رُسلِهِ، وبَيَّنَ سَفَهَهُم وفسادَ عُقُولِهم، وأَنَّهُ ليس لهُم مِن المستنداتِ على إنكارِ ذلِكَ إلَّا استِبْعاداتٌ مُجَرَّدةٌ، وقِياسُ قُدْرَةِ ربِّ العالَمِينَ على قَدْرِ المخْلُوقِينَ[٧].

والمقصودُ أَنَّ هذهِ الأُصولَ العَظيمةَ قد قامتِ البَراهينُ القَواطعُ علَيها مِن كلِّ وجهٍ، وبكلِّ اعتبارٍ، وجميعُ الحقائقِ الصَّحيحةِ غيرُها لم يَقُمْ على ثُبوتِها وعِلمِها عُشْرُ مِعْشَارِ ما قامَ على هذهِ الأُصولِ مِن البَراهينِ الْمُتنوِّعةِ.

---

(١) سبق كلام المؤلِّف رحمه الله على هذا الأصل: (ص:٦-٦).

(٢) قال جلَّ جلاله: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [التغابن:٧].

(٣) قال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓ﴾ [فصلت:٣٩].

(٤) قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡ﴾ [البقرة:٢٤٣].

(٥) الْمَثُلَاتُ: "العقوبات التي تزجر عن مِثل ما وقعت لِأجْلِه". مقاييس اللُّغة، وينظر: معاني القرآن، للزَّجَّاج، مادَّة: (مثل).

(٦) قال عزَّ وجلَّ: ﴿فَهَلۡ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثۡلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ قُلۡ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ١٠٢ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس:١٠٢-١٠٣].

(٧) قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ٧٩ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ٨٠ أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [يس:٧٧-٨١].

فَفِي هذا دليلٌ على أَنَّ كلَّ مَن أَثْبتِ مَعلومًا أَو حَقيقةً مِن الحَقائقِ بطريقٍ عَقْليٍّ أَو خَبَريٍّ أَو حِسِّيٍّ، ثُمَّ نَفَى معَ ذلِكَ واحدًا مِن هذهِ الأُصُولِ الثَّلاثةِ التي هي أَساسُ الدِّينِ، فقد كابَرَ(١) عَقلَهُ وحِسَّهُ وعِلْمَهُ، ونَادَى على نَفْسِهِ بالتَّناقضِ العَظيمِ؛ لأَنَّ الطُّرقَ التي دلَّتهُ على إِثباتِ مَعلوماتِهِ هي -وأَضعافُهَا وأَضعافُ أَضعافِها، وما هو أَقوَى مِنها وأَوضحُ- قد دلَّتْ على التَّوحيدِ والرِسَالةِ، والْمَعادِ(٢).

واعْلمْ أَنَّ الْمَعلوماتِ بِخَبرِ اللهِ وخبَرِ رُسلهِ عامَّةٌ؛ يَدخلُ فيها الإِخبارُ عن اللهِ، وعن مَلائكتِهِ، وعن الغُيوبِ كلِّها، وأُمورِ الشَّرعِ والقَدَرِ، وهي الأَخبارُ الْمَعْصُومَةُ الصَّادقةُ التي يُعلَمُ كذِبُ ما خالَفهَا وبُطلانُهُ، ولْنَكْتفِ بِهذا الأُنموذجِ مِن الأَمثلةِ، واللهُ أَعلمُ.

وبعدَ هذا إِخبارُ الصَّادِقِينَ عن المواضعِ والحَوادثِ والوقائعِ التي شاهدُوها، وهذا النَّوعُ بِحَسَبِ صِدقِ الْمُخْبِرِينَ، وتَواتُرِ خَبَرِهم[١٥٨] يُفيدُ العِلْمَ القَطعِيَّ، وكذلِكَ إِخبارُ الصَّادِقِينَ عن العُلومِ التي سَمِعوها، والأَلفاظِ التي نَقلُوها، وأَصْدَقُ النَّاقِلينَ هُنا حَمَلةُ الشَّريعةِ المحمَّديَّةِ؛ لِشِدَّةِ عِنايتِهم، وكمالِ صِدقِهِم، وقُوَّةِ دِينِهم، وأَنَّهُم بالخُصوصِ حُفِظُوا عن الخطأِ العُموميِّ، والاتفاقِ على غيرِ الصَّوابِ(٣).

ومِن الأُمورِ التي تُعْلَمُ بالعَقلِ: أَنَّ العقولَ الصَّحيحةَ التي لم تُغَيِّرْ فِطرتُها، ولم تُفْسَدْ بالعقائدِ الفاسِدةِ، تَعْلَمُ عِلمًا يَقينًا حُسْنَ التَّوحيدِ والإِخلاصِ للهِ، كما تَعْلَمُ قُبْحَ الشِّرْكِ، وتَعْلَمُ حُسْنَ الصِّدقِ والعَدلِ، والإِحسانِ إِلى المخلُوقِينَ، كما تَعلَمُ قُبحَ ضِدِّهِ، وتَعْلَمُ وجوبَ شُكرِ الْمُنعِمِ، ووجوبَ بِرِّ الوالِدينِ، وصِلةِ الأَقاربِ، والقيامِ بِحقِّ مَن لَهُ حقٌّ عليكَ، وتَستحسِنُ كلَّ صلاحٍ

(١) الْمُكَابَرَةُ: المنازعة في المسألة العلميَّة، لا لإظهار الصَّواب، بل لإلزام الخصم، وقِيل: علم بفساد كلامه، وصحَّة كلام خصمه. ينظر: التَّعريفات، (ص:٢٢٧)، والتَّوقيف على مُهمَّات التَّعاريف، (ص:٣١٢)، والكُلِّيَّات، (ص:٨٤٩).

(٢) سبق كلام المؤلِّف رحمه الله عليها: (ص:٦-٦).

(٣) قال ابن الْمَوْصِليُّ رحمه الله: "وكلُّ واحد مِن الأخبار يفيد قدرًا مِن العلم، فإذا تعدَّدت الأَخبار، وقويت أَفادت العلم؛ إمَّا للكثرة، وإمَّا للقوَّة، وإمَّا لمجموعهما"، ثُمَّ وصف نَقَلة حديث رسول الله ﷺ فقال: "بأَنَّهم مِن أَعظم النَّاس صدقًا، وأَمانة وديانة، وأَوفرهم عقولًا، وأَشدهم تحفُّظًا، وتحرِّيًا للصِّدق، ومجانبة للكذب، وأَنَّ أَحدًا منهم لا يُحابي في ذلك أَباه، ولا ابنه، ولا شيخه، ولا صديقه، وأَنَّهم حرَّروا الرِّواية عن رسول الله ﷺ تحريرًا لم يبلغه أَحد سواهم، لا مِن النَّاقلين عن الأَنبياء، ولا مِن غير الأَنبياء، وهم شاهدوا شُيوخهم على هذه الحال وأَعظم، وأَولئك شاهدوا مَن فوقهم كذلك وأَبلغ، حتَّى انتهى الأَمر إِلى مَن أَثنى الله عليهم أَحسن الثَّناء، وأَخبر برضاه عنهم، واختياره لهم، واتِّخاذه إِيَّاهم شهداء على الأُمم يوم القيامة". مختصر الصَّواعق الْمُرْسَلة، (ص:٥٥٠).

وإِصلاحٍ، وتَسْتَقبحُ كلَّ فَسادٍ، وضَرَرٍ(١).

ومِن أَشرفِ ما يُعلَمُ بالعقلِ: أَنَّهُ مَرْكُوزٌ في العُقولِ أَنَّ الكمالَ المطلَقَ للهِ وحدَهُ، وأَنَّ لَهُ الحِكْمَةَ التَّامَّةَ في خَلقِهِ وشَرعِهِ، وأَنَّهُ لا يَليقُ بهِ أَنْ يَتْرُكَ خَلقهُ سُدىً؛ لا يُؤْمَرُونَ ولا يُنهَونَ، ولا يُثابُونَ، ولا يُعاقبُونَ(٢).

ومِن الْمَعلومِ بالحِسِّ: ما يُدرَكُ بالحَواسِّ؛ كسَمعِ الأَصواتِ، وإِبصارِ الأَعيانِ، وهو مِن أَتَمِّ المعارفِ؛ فإِنَّهُ: ((لَيْسَ الخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ))(٣).

ومِمَّا يُدرَكُ بالحِسِّ: ما يُدرِكُ بالشَّمِّ؛ كَشَمِّ الرَّوائحِ الطَّيِّبةِ والخَبيثةِ، وما يُدرَكُ باللَّمْسِ كالحرارةِ والبُرودَةِ، وما يُدرَكُ بتَحليلِ الأَشياءِ، والوُقوفِ على مَوادِّها وجَواهرِها وصِفاتِها، كلُّ هذا مِن مُدْرَكاتِ الحِسِّ.

وبالجُمْلةِ: فطُرُقُ العِلْمِ إِلى المعلوماتِ كثيرةٌ جدًّا(٤)، وكلَّما كانَ الشَّيءُ أَعظمَ، ومعرفتُهُ أَهمَّ كانتِ الطُّرُقُ الموصِلةُ إِليهِ أَكثرَ وأَوضحَ، وأَصحَّ وأَقوَى -كمَا تَقدَّمتِ الإِشارةُ إِلى التَّوحيدِ، والرِّسالةِ، والمعادِ(٥)- واللهُ أَعلمُ.

فائدةٌ: لَمَّا ذَكَرَ الباري نِعمتَهُ على العِبادِ بتَيْسِيرِ الرُّكوبِ لِلأَنعامِ والفُلْكِ قال: ﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا

---

(١) هذه أَشياء مشتركة بين العقلاء، كلُّهم يتَّفق على ما مَدحِها، قال ابن تَيميَّةﷺ: "وهذا القسم إِنَّما عبَّر أَهل العقل باعتقاد حسنه ووجوبه؛ لأَنَّ مصلحة دنياهم لا تتمُّ إِلَّا به، وكذلك مصلحة دينهم سواء كان دينًا صالحًا أَو فاسدًا". مَجْمُوع الفتاوى، (٢٠/٦٨).

(٢) قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون:١١٥-١١٦].

(٣) أَخرجه أَحمد في مسنده، (٣/٣٤١) ح (١٨٤٢)، وابن حبان في صحيحه، (١٤/٩٦) ح (٦٢١٣)، عن ابن عبَّاسﷺ. صحَّحه السَّخاويُّ، والأَلبانيُّ، والأَرْنَؤُوط ومَن معه، في تحقيق المسنَد. ينظر: المقاصِد الحَسَنة، للسَّخاوي، (ص:٥٥٨)، ومِشْكاة المصابيح، (٣/١٥٩٩) ح (٥٧٣٨).

(٤) تحدَّث ابن القيِّمﷺ عن درجات العلم وطرقه وكثرتها في مَدارِج السَّالِكِين، (٢/٤٤٢-٤٤٧).

(٥) تقدَّم ذلك: (ص:٦-٦، ٦-٦).

﴿إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾(١)؛ ذكرَ فيها أركانَ الشُّكرِ الثَّلاثةَ، وهِيَ(٢):

- الاعترافُ، والتَّذكُّرُ لنعمةِ اللهِ.

- والتَّحدُّثُ بِها، والثَّناءُ على اللهِ بِها.

- والخُضُوعُ للهِ، والاستعانةُ بِها على عبادَتِهِ؛ لأنَّ المقصودَ مِن قولِهِ: ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾: الاعترافُ بالجزاءِ والاستعدادُ لَهُ، وأنَّ المقصودَ مِن هذهِ النِّعمِ أنْ تكونَ عونًا للعبدِ على ما خُلِقَ لَهُ مِن طاعةِ اللهِ.

وفي قولِهِ: ﴿ثُمَّ تَذْكُرُواْ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾: تَقْيِيْدُها في هذهِ الحالةِ وقتَ تَبَوُّءِ النِّعمَةِ؛ لأنَّ كثيرًا مِن الخَلقِ تُسْكِرُهم النِّعمُ، وتُغْفِلُهُم عن اللهِ(٣)، وتُوجِبُ لهُم الأَشَرَ(٤)، والبَطَرَ(٥).

فهذهِ الحالةُ التي أَمرَ اللهُ بِها هِي دَواءُ هذا الدَّاءِ المُهلِكِ؛ فإنَّهُ متى ذَكرَ العَبدُ أنَّهُ مَغْمورٌ بِنعَمِ اللهِ، وأنَّ أُصولَها، وتَيْسِيرها، وتَيْسيرَ أَسبابِها، وبقاءَها، ودَفْعَ ما يُضادُّها أو يُنْقِصُها كلُّهُ مِن فضلِ اللهِ وإحسانِهِ -ليسَ مِن العبدِ شَيءٌ- خَضعَ لِلهِ وذَلَّ، وشَكَرَهُ وأَثنَى عليهِ، وبِهذا تَدومُ النِّعمَةُ، ويُبارِكُ اللهُ فِيها، وتكونُ نعمةً حَقيقِيَّةً.

فأمَّا إذا قابَلها بالأَشرِ والبَطرِ، ونَسِيَ المُنعِمَ، وربَّما تكبَّرَ بِها على عِبادِ اللهِ، فهذهِ نِقمَةٌ في صُورةِ نِعمةٍ، وهي استدراجٌ مِن اللهِ للعبدِ سَريعةُ الزَّوالِ، وشِيكةٌ بالعقابِ عَلَيها والنَّكالِ، نسأَلُ اللهَ أَنْ يُوزِعَنا(٦) شكرَ نِعَمِهِ[١٥٩].

---

(١) الزخرف: ١٣-١٤

(٢) نصَّ عليها ابن القَيِّم رحمه الله في مَدارج السَّالِكين، (٢/٢٣٧).

(٣) قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق:٦-٧].

(٤) الأَشَرُ: شدَّة المرح؛ "فالأَشر أبلغ مِن البَطَر، والبَطَر أبلغ مِن الفرح". ينظر: المفْردات، وتاج العَرُوس، مادَّة: (أشر).

(٥) سبق تعريفه: (ص:٦).

قال ابن القَيِّم رحمه الله: "حدوث النِّعم توجب فرح النَّفس وانبساطَها، وكثيرًا ما يجرُّ ذلك إلى الأَشر والبطر". عدة الصَّابرين، (ص:١٣٦).

(٦) الإِيزَاعُ: الإغراء بالشَّيء، وأُوْزِعَ بالشَّيء: إذا أُولِعَ به، وأَوْزِعْني: أَلهمني. ينظر: غريب القرآن، لابن قُتَيْبَة، (ص:٣٢٣)، والمفْردات، مادَّة: (وزع).

فائدةٌ[١]، بلْ فَوائدُ عَظِيمَةٌ في ذِكرِ شَيءٍ مِن الأَسْبابِ التي ذَكرَها اللهُ في كِتابِهِ مُوصِلَةٌ إلى الْمَطالِبِ العَالِيةِ:

لا رَيبَ أَنَّ مِن حِكْمَةِ اللهِ ورَحمتِهِ أَنَّهُ جَعَلَ العِبادَ مُفْتَقِرِينَ إلى جلبِ المنافعِ الدِّينيَّةِ والدُّنيَويَّةِ، وإلى دَفعِ المضارِ الدِّينيَّةِ والدُّنيَويَّةِ، فاقتضتْ حِكمتُهُ وسُنَّتُهُ التي لا تَتبدَّلُ أَنَّ هذهِ المنافعَ المتنوِّعَةَ -وخُصوصًا الأُمورَ العِظامَ- لا تحصلُ إِلَّا بالسَّعيِ بأَسبابِها الموصلةِ إليها، وكذلكَ المضارُّ لا تَنْدفعُ إِلَّا بالسَّعيِ بالأَسبابِ التي تَدفعُها.

وقد بَيَّنَ في كتابِهِ غايةَ التَّبْيِينِ هذهِ الأَسبابَ، وأَرشدَ العبادَ إليها، فمَن سلَكَها فازَ بالمطلوبِ، ونجا مِن كلِّ مَرهوبٍ.

فأَصلُ الأَسبابِ كلِّها: الإيمانُ، والعَملُ الصَّالحُ؛ جَعَلَ اللهُ خَيراتِ الدُّنيا والآخرةِ وحُصولَها بحسَبِ قيامِ العَبدِ بهذينِ الأَمرَينِ، وقد ذكرَ اللهُ في القُرآنِ مِن هذا شَيئًا كَثيرًا جِدًّا[٢].

وقد تقدَّمَ في هذا الكِتابِ شَيءٌ مِن ذلك؛ عند ذِكرِ فَوائدِ الإِيمانِ[٣].

---

(١) هذه الفائدة تتعلَّق بالأَسباب، والسَّبب لغة: كلُّ شيء يُتوصَّل به إلى غيره، واصطلاحًا: ما يلزم مِن وجوده الوجود، ومِن عدمه العدم لذاته. ينظر: مُختار الصِّحاح، مادَّة: (سبب)، وأَنوار البُروق في أَنْواء الفُروق، (١/٦١).
وقد ذكر ابن القيِّم رحمه الله جملة مِن القواعد، والضَّوابط المتعلِّقة بهذه الفائدة، فقال: "وكلُّ موضع رُتِّب فيه الحكم الشَّرعيُّ أَو الجزائيُّ على الوصف أَفاد كونه سببًا لَهُ؛ كقوله: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [المائدة:٣٨]، وقوله: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖ﴾ [النور:٢]، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ﴾ [الأعراف:١٧٠]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ﴾ [النحل:٨٨]، وهذا أَكثر مِن أَنْ يستوعب، وكلُّ موضع تضمَّن الشَّرط والجزاء أَفاد سببيَّة الشَّرط والجزاء، وهو أَكثر مِن أَنْ يُستوعب، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الأنفال:٢٩]، وقوله: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾ [إبراهيم:٧]، وكلُّ موضع رُتِّب فيه الحُكم على ما قبله بحرف أَفاد التَّسبُّب، وقد تقدَّم، وكلُّ موضع تقدَّم ذُكرت فيه الباء؛ تعليلًا لِما قبلها بما بعدها أَفاد التَّسبُّب، وكلُّ موضع صُرِّح فيه بأَنَّ كذا جزاء لكذا أَفاد التَّسبيب فإِنَّ العلة الغائيَّة علة للعلة الفاعليَّة". شِفَاء العَلِيل، (ص:١٨٨-١٨٩).

(٢) قال تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧].

(٣) سبق ذلك: (ص:٦-٦).

وجَعَلَ اللهُ القيامَ بالعُبودِيَّةِ، والتَّوكلَ سَبَبًا لِكفايةِ اللهِ للعبدِ جَميعَ مَطالبهِ، شَاهِدُهُ قولُهُ تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾(١)، ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾(٢)؛ أَيْ: بمَن يَقومُ بعبوديَّتِهِ ظَاهِرًا وباطِنًا(٣).

وجَعَلَ اللهُ التَّقوى والسَّعيَ والحركةَ سَبَبًا للرِّزقِ، شاهِدُهُ قولُهُ تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾(٤)، وقولُهُ: ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾(٥).

وجَعَلَ اللهُ التَّقوى والإيمانَ، وتَكرارَ دعوةِ ذِي النُّونِ سَبَبًا للخروجِ مِن كلِّ كَربٍ وضِيقٍ وشِدَّةٍ(٦)، شَاهِدُهُ الآيةُ السَّابقةُ، وكذلِكَ قولُهُ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٧).

وجَعَلَ اللهُ الدُّعاءَ والطَّمعَ في فضلهِ سَبَبًا لحصولِ جميعِ الْمَطالبِ، دَليلُهُ قولُهُ تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(٨)، وقولُهُ: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٩). وجَعَلَ اللهُ الإحسانَ في عِبادةِ الخَالقِ، والإحسانَ إلى الخَلقِ سَببًا يُدرَكُ بهِ فَضلُ اللهِ(١٠) وإحسانُهُ العاجلُ والآجلُ(١١)، شاهدُهُ الآيةُ السَّابقةُ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾،

---

(١) الطلاق: ٣

(٢) الزمر: ٣٦

(٣) نصَّ عليه ابن القَيِّم رحمه الله في طريق الهجرتين، (ص:٢٥٨).

(٤) الطلاق: ٢-٣

(٥) الملك: ١٥

(٦) قال ﷻ: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات:١٤٣-١٤٤].

(٧) الأنبياء: ٨٧-٨٨

(٨) غافر: ٦٠

(٩) الأعراف: ٥٦

(١٠) س: "فضله".

(١١) أَشار ابن القَيِّم رحمه الله إلى هذا في بدائع الفوائد، (٣/١٧-١٨).

وقولُهُ: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾(١)، ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾(٢)، ومَن أَحبَّهُ اللهُ نَالَ جميعَ ما يَطْلُبُ.

وجَعَلَ اللهُ التَّوبةَ، والاستغفارَ، والإيمانَ، والحسناتِ، والمصائبَ -معَ الصَّبرِ علَيها- أَسْبابًا لمحوِ الذُّنوبِ والخَطَايَا(٣)، شاهِدُهُ قولُهُ تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾(٤)، ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾(٥)، ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾(٦).

وجَعَلَ اللهُ الصَّبْرَ سَببًا وآلةً تُدْرَكُ بِها الخَيراتُ، ويُسْتَدْفَعُ بِها الكَرِيهاتُ(٧)، شاهِدُهُ الآيةُ السَّابقةُ، وقولُهُ: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾(٨)؛ أَيْ: على جميعِ أُمورِكُم، ولَمَّا ذكرَ اللهُ ما وَصَلَ إِليهِ أَهلُ الجنَّةِ مِن كَمالِ النَّعيمِ، وزوالِ كلِّ محذورٍ، ذكَرَ أَنَّ هذا أَثَرُ صَبْرِهِم، فقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡ﴾(٩)، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾(١٠).

ومِنهُ: أَنَّهُ جَعَلَ الصَّبْرَ واليَقِينَ تُنالُ بِهِما أَعلى المقامَاتِ؛ وهي الإمَامةُ في الدِّينِ(١١)، دلِيلُهُ قولُهُ تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾(١٢).

وجَعَلَ اللهُ مِفتاحَ العِلْمِ حُسْنَ السُّؤالِ(١٣)، وحُسْنَ الإنصاتِ، والتَّعلمَ، والتَّقوى، وحُسْنَ

---

(١) الرحمن: ٦٠
(٢) البقرة: ١٩٥
(٣) هذه مِن الأَسباب العَشرة التي بيَّنت نصوص القرآن والسُّنَّة أَنَّ عقوبة الذُّنوب تزول عن العبد بها. ينظر: مِنهاج السُّنَّة النَّبويَّة، (٦/٢٠٥-٢٣٨)، وشرح الطَّحاويَّة، لابن أَبي العزِّ، (ص:٣٠٨-٣١١).
(٤) طه: ٨٢
(٥) هود: ١١٤
(٦) يوسف: ٩٠
(٧) ذُكِر الصَّبر في القرآن كثيرًا، وعدَّ ابن القيِّم رحمه الله اثنين وعشرين نوعًا بأَدلَّتها. ينظر: عدة الصَّابرين، (ص:٧١-٧٦).
(٨) البقرة: ٤٥
(٩) الرعد: ٢٤
(١٠) الفرقان: ٧٥
(١١) سبق ذلك: (ص:٦).
(١٢) السجدة: ٢٤
(١٣) أَخبر تبارك وتعالى أَنَّ الخَضِر قال لموسى عليه السلام: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا﴾ [الكهف: ٧٠].
=

القَصدِ(١)، شاهِدُهُ قولُهُ تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(٢)، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ﴾(٣)، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾(٤)؛ أَيْ: نُوْرًا وعِلمًا؛ تُفرِّقونَ بهِ بيْنَ الحقائقِ كلِّها، وقولُهُ: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ﴾(٥)، وقولُهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾... الآية(٦)[١٦٠].

وجَعَلَ اللهُ الاستعدادَ للأعداءِ بكلِّ مُستطاعٍ مِن القُوَّةِ، وأَخْذَ الحَذَرِ مِنهُم سَبَبًا لحصولِ النَّصْرِ، والسَّلامَةِ مِن شُرورِهم، شاهِدُهُ قولُهُ تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾(٧)، وقولُهُ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾(٨).

وجَعَلَ اللهُ اليُسْرَ يَتبعُ العُسْرَ، والفَرَجَ عندَ اشتِدادِ الكَرْبِ(٩)، شاهِدُهُ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ

وأخرج الطَّبرانيُّ في مكارم الأخلاق، (ص:٣٦٤) ح (١٤٠)، عن ابن عمرﷺ، قال: قال رسول اللّهﷺ: ((وَحُسْنُ السُّؤَالِ نِصْفُ الْعِلْمِ)).

قال ابن أَبي حاتمﷺ: "قال أَبي: هذا حديث باطل". عِلَل الحديث، (٦/٩٩).

وضعَّفه ابن حَجَر، والأَلبانيُّﷺ. ينظر: فَتْح البَارِي، (١٢/١٣٨)، وسِلسلة الأَحاديث الضَّعيفة، (١/٢٩٠) ح (١٥٧).

(١) أَشار إِلى شيء مِن ذلك ابن القَيِّم، وابن حَجَرﷺ. ينظر: حَادِي الأَرْوَاح إِلى بلاد الأَفْرَاح، (ص:٦٨-٦٩)، ومِفتاح دار السَّعادة، (١/١٦٩)، وفَتْح البَارِي، لابن حَجَر، (١/١٢٥).

(٢) النحل: ٤٣

(٣) المائدة: ١٠١

(٤) الأنفال: ٢٩

(٥) المائدة: ١٦

(٦) العنكبوت: ٦٩

تكملة الآية، قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

(٧) النساء: ٧١

(٨) الأنفال: ٦٠

(٩) أَخرج أَحمد في مسنده، (٥/١٩-٢٠) ح (٢٨٠٣)، عن ابن عبَّاسﷺ أَنَّ النَّبِيَّﷺ قال: ((. . . وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)).

صححه الأَلبانيُّ، والأَرْنَؤُوطﷺ. ينظر: سِلسلة الأَحاديث الصَّحيحة، (٥/٤٩٦-٤٩٧) ح (٢٣٨٢)، ومسند أَحمد، تحقيق الأَرْنَؤُوط، وآخرين، (٥/١٩).

يُسۡرٗا﴾[١]، ﴿سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا﴾[٢]، ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾[٣].

وجَعَلَ اللهُ الشُّكرَ سَببًا للمَزيدِ مِنها ومِن غَيرِها، وكُفْرَانَ النِّعَمِ سَببًا لِزوالِها، شاهِدُهُ قولُهُ تعالى: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾[٤].

وجَعَلَ اللهُ الصَّبْرَ والتَّقوى سَببًا للعواقِبِ الحميدَةِ والمنازِلِ الرَّفيعةِ، شاهِدُهُ قولُهُ تعالى: ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[٥]، ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[٦].

وجَعَلَ اللهُ الجِهادَ سَببًا للنَّصرِ، وحُصُولِ الأَغراضِ المَطلُوبَةِ مِن الأَعداءِ، والوِقايةِ مِن شُرُورِهِم، شاهِدُهُ قولُهُ تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ﴾[٧]، ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[٨].

وجَعَلَ اللهُ لِمَحبَّتِهِ -التي هي أَعلَى ما نالَهُ العِبادُ- أَسبابًا أَهمُّها وأَعظَمُها: مُتابعةُ رسولِهِ محمَّدٍ ﷺ في الأَقوالِ والأَفعالِ، وسائرِ الأَحوالِ، قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾[٩].

---

(١) الشرح: ٦
(٢) الطلاق: ٧
(٣) النمل: ٦٢
(٤) إبراهيم: ٧
(٥) الأعراف: ١٢٨، القصص: ٨٣
(٦) يوسف: ٩٠
(٧) التوبة: ١٤
(٨) النساء: ٨٤
(٩) آل عمران: ٣١
قال ابن كثير رحمه الله: "هذه الآية الكريمة حاكمة على كلِّ مَن ادَّعى محبَّة الله، وليس هو على الطَّريقة المحمَّديَّة فإنَّه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتَّى يتَّبع الشَّرع المحمَّديَّ، والدِّين النَّبويَّ في جميع أقواله وأحواله". تفسير القرآن العظيم، (٢/٣٢).

ومِن أَسبابِها ما ذَكَرهُ بقولِهِ: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾(١)، ﴿يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٢)، ﴿يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(٣)، ﴿يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾(٤).

وجَعَلَ اللهُ النَّظَرَ إلى النِّعمِ، والفَضلِ الذي أُعطِيَهُ العَبْدُ، وغَضَّ النَّظَرِ مِمَّا لم يُعْطَهُ سَبَبًا لِلقَناعةِ(٥)، شاهِدُهُ قولُهُ تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾(٦).

وجَعَلَ اللهُ القِيامَ بالعدْلِ في الأُمورِ كلِّها سَبَبًا لِصلاحِ الأَحوالِ، وضِدَّهُ سَببًا لِفسادِها واختِلافِها، شاهِدُهُ قولُهُ تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾(٧).

وجَعَلَ اللهُ كَمالَ إخلاصِ العبدِ لربِّهِ سَبَبًا يَدفَعُ بِهِ عنهُ المعاصِيَ وأَسبابَها، وأَنواعَ الفِتَنِ(٨)، شاهِدُهُ قولُهُ تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾(٩).

وجَعَلَ اللهُ قُوَّةَ التَّوكُّلِ عليهِ معَ الإيمانِ حصْنًا حصِينًا يَمنَعُ العَبدَ مِن تَسلُّطِ الشَّيطانِ، خُصُوصًا إذا انضمَّ إلى ذلِكَ الإِكثارُ مِن ذِكرِ اللهِ(١٠)، والاستِعاذَةُ باللهِ مِن الشَّيطانِ، شاهِدُهُ قولُهُ

---

(١) آل عمران: ١٤٦

(٢) البقرة: ١٩٥، آل عمران: ١٣٤، ١٤٨، المائدة: ١٣، ٩٣

(٣) آل عمران: ٧٦

(٤) الصف: ٤

(٥) قال ابن عطيَّة رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٤٤]، "تأديب وتَقْنِيع، وحمل على جادَّة السَّلامة، ومِثال لكلِّ أحد في حاله، فإنَّ جميع النِّعم مِن عِنده بمقدار، وكلَّ الأُمور بمرأى مِن الله ومَسْمَع". المحرَّر الوجيز، (٢/٤٥٢).

(٦) الأعراف: ١٤٤

(٧) الرحمن: ٧-٩

(٨) سبق كلام نفيس للمؤلِّف رحمه الله حول أثر الإخلاص: (ص:٦٠).

(٩) يوسف: ٢٤

وهذا على قِراءة: ﴿الْمُخْلِصِيْنَ﴾، وسبق بيان ذلك: (ص:٦٠).

(١٠) أخرج مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب آداب الطَّعام والشَّراب وأحكامهما، (٣/١٥٩٨) ح (٢٠١٨)، عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: ((إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، =

تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(١)، وقال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾(٢)، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾(٣)، إلى آخرهما.

وجعَلَ اللهُ مِفتاحَ الإيمانِ واليَقينِ التَّفكُّرَ في آياتِ اللهِ الْمَتْلوَّةِ، وآياتِهِ المشهُودَةِ(٤)، والْمُقَابَلَةَ بَيْنَ الحقِّ والباطِلِ بِحسْنِ فَهْمٍ، وقُوَّةِ بَصيرَةٍ(٥)، شاهِدُهُ قولُهُ تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(٦).

والأَمْرُ بالتَّفكُّرِ بالمخلوقاتِ في عِدَّةِ آياتٍ(٧).

وقولُهُ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾(٨)؛ فَهي سَببٌ للإيمانِ، والإيمانُ مُوجِبٌ للانتفاعِ بِها.

قَالَ الشَّيطان: لَا مَبيتَ لَكُمْ، وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ، فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيطان: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ)).

(١) النحل: ٩٩

(٢) الفلق: ١

تكملة سورة الفلق: قال ﷻ: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق:٢-٥].

(٣) النَّاس: ١

تكملة سورة النَّاس، قال ﷻ: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس:٢-٦].

(٤) قال ﷻ: ﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية:٣-٥].

(٥) قال ﷻ: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [غافر:٥٨].

(٦) ص: ٢٩

(٧) قال ﷻ: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٦٤].

(٨) الحجر: ٧٧

وجَعَلَ اللهُ القِيامَ بأُمورِ الدِّينِ سَبَبًا لتيْسِيرِ الأُمُورِ، وعدمَ القِيامِ بِها سَببًا للتَّعْسِيرِ[١]، وشاهِدُهُ قولُهُ تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾[٢].

وجَعَلَ اللهُ العِلْمَ النَّافعَ سَببًا لِلرِّفعةِ في الدُّنيا والآخِرَةِ[٣]، شاهِدُهُ قولُهُ تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[٤].

وجَعَلَ اللهُ كَونَ العَبدِ طيِّبًا في عَقيدتِهِ وخُلُقِهِ وعَملِهِ سَبَبًا لدُخولِ الجَنَّةِ، وللبِشَارَةِ عند الموتِ[٥]، شَاهِدُهُ قولُهُ تعالى: ﴿طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[٦][١٦١]، وقولُهُ: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾[٧].

وجَعَلَ اللهُ مُقَابَلَةَ الْمُسيءِ بالإحسانِ، وحُسْنَ الخُلقِ سَبَبًا يكونُ بِهِ العَدوُّ صَدِيقًا، وتَتمكَّنُ فيهِ صَداقةُ الصَّديقِ[٨]، دليلُهُ قولُهُ تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[٩]، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[١٠]، وبذلِكَ تحْصُلُ الرَّاحةُ لِلعَبدِ، ويتيسَّرُ لَهُ كثيرٌ مِن أَحوالِهِ.

وجَعَلَ اللهُ الإِنفاقَ في محَلِّهِ سَبَبًا للخَلَفِ العاجلِ والثَّوابِ الآجِلِ، شاهِدُهُ قولُهُ تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[١١].

---

(١) ذكر هذا ابن القَيِّم رحمه الله مع تفصيل مُفيد في التِّبيان في أَقسام القرآن، (ص:٥٦-٦٢).

(٢) الليل: ٥-١٠

(٣) ذكر هذا ابن تَيميَّة رحمه الله مع تفصيل مُفيد في مَجْمُوع الفَتاوَى، (١٦/٤٨-٥٠).

(٤) المجادلة: ١١

(٥) نصَّ عليه ابن القَيِّم رحمه الله في زاد الْمَعَاد، (١/٦٦)، وينظر: إغاثة اللَّهفان، (١/٥٦)، والوابل الصَّيب، (ص:٢٠).

(٦) الزمر: ٧٣

(٧) النحل: ٣٢

(٨) نصَّ عليه ابن تَيميَّة، وابن القَيِّم، وابن كثير رحمهم الله. ينظر: قاعدة في الصَّبر، لابن تَيميَّة، (ص:١٠١)، وبدائع الفوائد، (٢/٢٤٣-٢٤٤)، وتفسير القرآن العظيم، (٥/٤٩٢).

(٩) فصلت: ٣٤

(١٠) آل عمران: ١٥٩

(١١) سبأ: ٣٩

وجَعَلَ اللهُ لرزقِهِ أَبوابًا وأَسْبَابًا مُتنوِّعَةً، فمتى انغَلَقَ عن العَبدِ بابٌ مِنها فلا يَحزَنْ؛ فإِنَّ اللهَ يَفتحُ لَهُ غَيرَهُ، وقد يكونُ أَقوى مِنهُ وأَحسَنُ، وقد يكونُ مِثلَهُ ودُونَهُ، شاهِدُهُ قولُهُ تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾[1]، وقولُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾[2].

وجَعَلَ اللهُ التَّحرُّزَ والبُعدَ عن الْمُوبِقاتِ المهلِكَةِ، والحَذرَ مِن وسائلِها طَرِيقًا سَهْلًا هَيِّنًا لتركِها، شاهِدُهُ قولُهُ تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾[3]؛ أَيْ: مَحارِمُهُ، ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾[4]؛ أَيْ: لا تَفعلُوها ولا تَحُومُوا حَولَها؛ فمَن رَعَى حوْلَ الحِمَى[5] يُوشِكُ أَنْ يَقعَ فِيهِ[6].

وإذا قِيل مثلُ هذهِ الآيةِ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾: كان الْمُرادُ بالحُدودِ الْمَحارِمَ.

وأَمَّا إذا قِيلَ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾[7]؛ فهذهِ الحُدودُ التي حدَّدَها اللهُ لِلمُباحاتِ، فعلى العَبدِ أَنْ لا يَتجاوزَها؛ لأَنَّهُ إذا تَجاوزَ المباحَ وقعَ في الْمُحرَّمِ، فافْهَم الفرْقَ بَينَ الأَمرَينِ[8].

وجَعَلَ اللهُ السَّببَ الوحيدَ القويَّ الْمُثمِرَ للثَّمراتِ الجَليلةِ للدَّعوةِ إلى سَبيلِهِ ما تضمَّنتهُ هذهِ الآيةُ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[9].

---

(١) النساء: ١٣٠

(٢) التوبة: ٢٨

(٣) البقرة: ١٨٧

(٤) الآية السَّابقة.

(٥) الحِمَى: هي الأَماكن المحميَّة مِن قِبَل الوُلاة، التي يُمنع دخولها، ويُتوعَّد بالعقوبة مَن يرعى فيها بغير إذنهم. ينظر: الْمِنْهاج شرح صحيح مسلم بن الحَجَّاج، (٢٨/١١)، وفَتْح البَارِي، لابن حَجَر، (١٢٨/١).

(٦) أَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الإيمان، باب فضل مَن استبرأَ لدينه، (٢٠/١) ح (٥٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب أَخذ الحلال وترك الشُّبهات، (١٢١٩/٣) ح (١٥٩٩)، واللَّفظ لَهُ، عن النُّعمان بن بشيرﷺ قال سمعت رسول اللهﷺ يقول: ((إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ. . .)).

(٧) البقرة: ٢٢٩

(٨) نصَّ ابن القَيِّمﷺ على هذا الفَرْق في إعلام الموقِّعين، (٢٣/٢).

(٩) النحل: ١٢٥

خ: "والمجادلة"، والصَّواب: ﴿وَجَٰدِلْهُم﴾.

فَالحِكْمَةُ[١]: وَضْعُ الدَّعوةِ في مَوضِعِها، ودِعايَةُ كلِّ أَحدٍ بِحَسَبِ ما يَليقُ بِحالهِ ويُناسِبهُ، ويكونُ أَقربَ لحُصولِ المقصُودِ مِنهُ[٢].

﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾: البالِغةُ في الحُسنِ مَبْلَغًا، يَصيرُ لها مِن التَّأْثيرِ، وسُرعةِ الانقيادِ ما يُناسِبُ مُقتضَى الحالِ.

فَالموعِظةُ: بيانُ الأَحكامِ معَ ذِكرِ ما يَقتَرِنُ بِها مِن التَّرغِيبِ في ذِكرِ مَصالحِها، ومنافِعِها وخَيْراتِها الحامِلةِ علَيها، وذِكرِ ما يَقتَرِنُ بِها مِن التَّرهيبِ على فاعلِ المحرَّماتِ، أَو تاركِ الواجِباتِ؛ مِن العُقوباتِ، والخُسْرانِ، والحَسَراتِ، وحِرمانِ الخيرِ العاجلِ والآجلِ[٣].

والْمُجَادَلةُ بالتي هي أَحْسَنُ: بالعِباراتِ الوَاضِحةِ، والبَراهينِ البَيِّنةِ التي تُحِقُّ الحقَّ، وتُبْطِلُ الباطلَ، مع الرِّفقِ واللِّينِ، وعَدَمِ الْمُغاضَبةِ، والْمُشاتَمةِ[٤].

وقد عَلِمَ اللهُ -مع ذلِكَ- أَنَّ النَّاسَ ثلاثةُ أَقسَامٍ، كلٌّ يُدْعَى بالطَّرِيقِ التي تُناسِبهُ[٥]:

القِسْمُ الأَوَّلُ: الْمُنْقَادُونَ الْمُلْتَزِمونَ الرَّاغبونَ في الخيرِ، الرَّاهِبونَ مِن الشَّرِ، فَهؤلاءِ لِما عِندَهُم مِن الاستعدادِ لِفعلِ الْمَأْموراتِ وتَرْكِ الْمَنهيَّاتِ، والاشتياقِ إلى الاعتقادِ الصَّحيحِ فَقَط، يُكْتَفَى بِبَيانِ الأُمورِ الدِّينيَّةِ لَهُم، والتَّعليمِ الْمَحضِ.

والقِسْمُ الثَّانِي: الذين عندَهُم غَفْلةٌ وإِعراضٌ، واشتغالٌ بأُمورٍ صادَّةٍ عن الحَقِّ، فهؤلاءِ معَ هذا التَّعليمِ يُدْعَونَ بالموعظةِ الحسَنةِ؛ بالتَّرغِيبِ والتَّرهِيبِ؛ لأَنَّ النُّفوسَ لا تَلْتفِتُ إلى مَنافِعِها، ولا تَتْرُكُ أَغراضَها الصَّادَّةَ لَها عن الحقِّ عِلمًا وعمَلًا إِلَّا معَ البَيَانِ لَها أَنْ تُرغَّبَ وتُرهَّبَ بذِكْرِ ما يَتَرَتَّبُ على الحقِّ مِن الْمَنافِعِ، وعلى الباطلِ مِن الْمَضارِّ، والْمُوازنَةِ بيْنَ الأُمورِ النَّافعةِ[١٦٢]، والضَّارَّةِ.

---

(١) سبق تعريفها: (ص:٦).

(٢) سيأْتي تفصيل ذلك في الأَسطر القريبة عند قول المؤلِّف رحمه الله: "أَنَّ النَّاس ثلاثة أَقسام...".

(٣) قال البَغَوِيُّ رحمه الله: "والموعظة الحسَنة، يعني مَواعظ القرآن، وقِيل: الموعظة الحسنة هي: الدُّعاء إلى الله بالتَّرغيب والتَّرهيب، وقِيل: هو قول اللِّين الرَّقيق مِن غير تغليظ، ولا تعنِيف". مَعَالم التَّنزيل، (١٠٣/٣).

(٤) الجِدال مِن باب دفع الصَّائل المعارِض للحقِّ؛ وحتى يصلح ما فيه مِن الممانعة والمدافعة فإنَّه يحتاج إلى المجادلة بالتي هي أَحسن. ينظر: الرَّدُّ على المنطقيِّيْن، (ص:٤٦٨)، وتفسير القرآن العظيم، (٦١٣/٤).

(٥) هذه الأَقسام الثَّلاثة مأْخوذة مِن الآية السَّابقة، وقد نصَّ ابن تَيميَّة، وابن القَيِّم عليهما رحمهما الله. ينظر: الرَّدُّ على المنطقيِّيْن، (ص:٤٦٨)، ومِفتاح دار السَّعادة، (١٥٣/١).

والقِسْمُ الثَّالثُ: الْمُعَارِضونَ أَو الْمُعَانِدونَ الْمُكَابِرونَ، الْمُتَصَدُّونَ لِمقاوَمةِ الحقِّ، ونُصْرةِ الباطلِ، فهؤلاءِ لا بُدَّ أَنْ يُسْلَكَ معَهُم طَرِيقُ المجادَلَةِ بالتي هي أَحسَنُ؛ بِحَسَبِ ما يَلِيقُ بالْمُجَادِلِ والْمُجادَلِ، وبِتِلكَ الْمَقَالَةِ، وما يَقْتَرِنُ بِها[١].

وإذا أَردتَ تَطْبِيقَ هذهِ الأُمورِ الثَّلاثةِ تَمامًا فانظرْ إلى دَعوةِ[٢] الرُّسلِ -صلواتُ اللهِ وسلامُهُ علَيهِم- التي حَكَاهَا[٣] في كِتابهِ مع أُممِهِم؛ الْمُستَجِيبينَ، والْمُعْرِضِينَ، والْمُعَارِضِين، تَجِدْها مُحْتَوِيةً على غايةِ الْحُسْنِ في كلِّ أَحوالِها[٤].

ثُمَّ انظرْ إلى دَعوَةِ سيِّدِهِم وإمامِهِم محمَّدٍﷺ، وما سَلكَ مِن الطُّرُقِ الْمُتَنوِّعةِ في دِعايةِ الخَلْقِ عُمُومًا وخُصوصًا، على اختلافِ طَبَقَاتِهِم ومَنازِلِهم، وبِحَسَبِ أَحوالِهِم، وبِحَسَبِ الأَقوالِ والأَحكامِ التي يَدعُو إليهَا، تجدْهُ قد فاقَ في ذلِكَ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ[٥].

---

(١) قالﷻ: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه:٤٣-٤٤].
قال ابن كثير رحمه الله: "هذه الآية فيها عبرة عظيمة، وهو أَنَّ فرعون في غاية العُتوِّ والاستكبار، وموسى صَفوة الله مِن خلقه إذ ذاك، ومع هذا أَمر أَلا يخاطِب فرعون إِلَّا بالملاطفة واللِّين". تفسير القرآن العظيم، (٥/٢٩٤).
وقالﷻ: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت:٤٦].
وقال ابن تَيميَّة رحمه الله: "فإِنَّ الظَّالم باغ مستحقٌّ للعقوبة، فيجوز أَنْ يُقابل بما يستحقُّه مِن العقوبة، لا يجب الاقتصار معه على التي هي أَحسن، بخلاف مَن لم يَظلِم، فإِنَّه لا يجادل إِلَّا بالتي هي أَحسن". الجواب الصَّحيح، (٣/٧٢).
وقال: "فمَن ظلم وظَهرَ عنادُه عُوقِبَ حينئذ عقوبة مثله، بالقتل المشروع إِنْ استحق ذلك، وإِلَّا فيما دونه على حسب الأَفعال والأَحوال، وما يتعلَّق بذلك". جامع المسائل، لابن تَيميَّة، (٤/٣٩١)، وينظر: تفسير القرآن الكريم، (٦/٢٨٣).
(٢) س: "دعوات".
(٣) الحِكَايةُ: "كَقَوْلِك حَكَيْتُ فلَانًا وحاكَيْتُه إذا فعلتَ مثلَ فعلِه سَوَاء، وَقلت مثلَ قولِه سَوَاء لَا تجاوزُه". تهذيب اللُّغة، ولسان العرب، مادَّة: (حكي).
والمراد هنا: الأَخبار والقصص التي ذكرها القرآن، واللَّفظ مستعمل عند السَّلف. ينظر: مَعَالم التَّنزيل، (٣/٤٧٧)، ودَرْء تَعارض العقل والنَّقل، (٧/٣٦٢)، ومَدارج السَّالِكين، (١/٤٠٧)، وتفسير القرآن العظيم، (٢/٤٧).
(٤) سبق أَنْ ذكرَ المؤلِّف رحمه الله شيئًا من طريقة الأَنبياء في الدَّعوة: (ص:٦٠).
(٥) دعاﷺ سِرًّا وجَهرًا، والأَقارب والأَباعد، والذُّكور والإِنْاث، والجماعات والفُرادى، والأَغنياء والفُقراء، والأَحرار والْمَماليك، والملوك والرُّؤساء والعامَّة، وفي اللَّيل والنَّهار، وفي المواسم والمناسبات، وبالتَّرغيب والتَّرهيب، وعلَّم، ووعظ وذكَّر، وجادل اليهود والمشركين، وغير ذلك، مُمتثِّلًا قول ربِّهﷻ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥].

والآثارُ أكبرُ دَليلٍ على قُوَّةِ المؤثِّرِ.

وجَعَلَ اللهُ السَّببَ لِفصلِ الخِصامِ الْمُرْضِيِّ للمُتَشاجِرِينَ الْمُنصِفِينَ في جميعِ المقَالاتِ -الذي هو خيرٌ في الحَالِ، وأَحسَنُ في المآلِ- ردَّها إلى كتابِ اللهِ وسُنَّةِ رَسولِهِ، شاهِدُهُ قولُهُ تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾(١).

وجَعَلَ اللهُ صِلَةَ ما أَمَرَ بهِ أَنْ يُوصَلَ مِن: البرِّ، وصِلةِ الأَرحامِ، والقِيامِ بحقِّ مَن لَهُ حقٌّ عليكَ سَبَبًا تُنالُ بهِ مَكارِمُ الأخلاقِ، ويُتَبَوَّأُ بهِ الْمَنازِلُ العَالِيةُ في جنَّاتِ النَّعيمِ، شاهِدُهُ قولُهُ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾(٢)، إلى أَنْ قال(٣): ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾(٤) ... الآيةَ(٥).

وجَعَلَ اللهُ السَّوابقَ الحَميدَةَ لِلعبدِ، وتَعرُّفَهُ لربِّهِ في حالِ الرَّخاءِ سَبَبًا للنَّجاةِ مِن الشَّدائدِ، وحُصولِ أَعظمِ الفوائدِ(٦)، شاهِدُهُ قولُهُ تعالى: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾(٧)، وقولُ أَهلِ الجنَّةِ فِيها: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ٢٧ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾(٨).

وجَعَلَ اللهُ لشرحِ الصَّدرِ، ونَعيمِهِ وطُمأْنينتِهِ أَسْبابًا مُتعدِّدَةً(٩): اليقِينَ، والإيمانَ، والإِكْثارَ مِن ذِكرِ اللهِ، وقوَّةَ الإنابةِ إِليهِ، والقَناعةَ بما أُعطيَ مِن الرِّزقِ، وحُصولَ العِلْمِ النَّافعِ(١٠)، وتركَ الذُّنوبِ،

---

(١) النساء: ٥٩

(٢) الرعد: ٢١

خ: سقط من الكتابة قولهﷻ: ﴿رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ﴾.

(٣) "أَنْ قال"، ليست في: (س).

(٤) الرعد: ٢٣

(٥) تكملة الآية: قوله تعالى: ﴿وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤]

(٦) نصَّ عليه ابن القيِّم رحمه الله في مَدارجِ السَّالِكِين، (١/٣٣٧-٣٣٨)، وينظر: الجامع لأحكام القرآن، (١١/٣٣٤).

(٧) الصافات: ١٤٣-١٤٤

(٨) الطور: ٢٦-٢٨

(٩) ذكر ابن القيِّم رحمه الله عددًا مِن هذه الأَسباب في زاد الْمَعَاد، (٢/٢٢).

(١٠) قال ابن القيِّم: "وليس هذا لكلِّ عِلْم، بل للعِلْم الموروث عن الرَّسولﷺ، وهو العِلْم النَّافع". زاد الْمَعَاد، (٢/٢٣).

والْمُبادَرَةَ بالتَّوبةِ مِمَّا وَقعَ مِنها، وشواهِدُ هذا كثيرةٌ؛ مِنها قولُهُ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾(١)، ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾(٢)، ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾(٣)، وشُمولُ هذا النَّعيمِ لِنعيمِ القُلُوبِ في الدُّنيا ظَاهِرٌ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةًۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾(٤)، ﴿كَلَّاۖ بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾(٥).

وجَعَلَ اللهُ ضَرْبَ الأَمثالِ(٦) في كِتابهِ طَرِيقًا عَظيمًا مِن طُرُقِ التَّعلِيمِ، الذي تَتبيَّنُ، وتَتوضَّحُ بهِ الْمَطالبُ العاليةُ، والعَقائدُ الصَّحيحةُ والفاسدةُ؛ كما مثَّلَ كَلِمةَ التَّوحيدِ والعَقيدةِ الحَقَّةِ الصَّحيحةِ: بِشَجَرَةٍ: ﴿طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾(٧).

ومَثَّلَ ضِدَّ ذلِكَ بالشَّجرةِ الخَبيثةِ التي لا لها أَصْلٌ ثابتٌ، ولا فَرعٌ نافعٌ(٨).

ومَثَّلَ المشْرِكَ بربِّهِ كالعَبدِ الذي يَتنازَعُهُ شُركاءُ متشَاكِسُونَ، والْمُوَحِّدَ الْمُخْلِصَ للهِ السَّالمَ مِن تعلُّقهِ بغيرِه(٩).

وكذلِكَ مَثَّلَ الشِّركَ والْمُشْرِكَ واتِّخاذَهُ وَليًّا مِن دونِ اللهِ يَتعزَّزُ بهِ، ويَنْتَصرُ: ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾(١٠).

ومَثَّلَ وَحْيَهُ بِمَنزلةِ الغَيثِ النَّافعِ، وقُلُوبَ الخَلقِ بِمَنزلةِ الأَراضِي الطَّيِّبةِ القَابِلةِ، والخَبيثةِ، وبيَّنَ

---

(١) الرعد: ٢٨
(٢) الرعد: ٢٨
(٣) الانفطار: ١٣
(٤) النحل: ٩٧
(٥) المطففين: ١٤-١٥
(٦) استفاد المؤلِّف مِن ابن القيِّم رحمهما الله في حديثه عن أَمثال القرآن. ينظر: إعلام الموقِّعين، (١/١٠١-١٤٦).
(٧) إبراهيم: ٢٤
(٨) قال عز وجل: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم:٢٦].
(٩) قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ [الزمر:٢٩].
(١٠) العنكبوت: ٤١

ذلِكَ(١).

وهِي أَمثلةٌ مَحْسُوسَةٌ يُوضِّحُ اللهُ بِها المطالِبَ النَّافعَةَ[١٦٣].

وهو يُقْسِمُ -تعالى- على أُصولِ الدِّينِ التي يَجِبُ على الخَلقِ الإيمانُ بِها؛ كالتَّوحيدِ(٢) والرِّسالةِ(٣) والْمَعادِ(٤)، وما يَتفرَّعُ عنها(٥).

وضَرْبُ الأَمْثَالِ مِن تَصْريفِ اللهِ الآياتِ لِعبادِهِ بأَعْلَى أَسَاليبِ الكَلامِ المؤَثِّرَةِ الموضِّحةِ لِلحقائقِ، فتأَمَّلْ إِقْسَامَاتِ(٦) القُرآنِ تَجِدْها كذلِكَ؛ ولِذلكَ حَثَّ اللهُ علَيها، ومَدَحَ مَن يَتفكَّرُ فِيها، ويَعْقِلُها، فقالَ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٧)، وفي الآيةِ الأُخرَى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾(٨).

---

(١) قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف:٥٨].

(٢) قال جل جلاله: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾ [الصافات:١-٤].

(٣) قال جل وعلا: ﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [يس:١-٣].

(٤) قال عز وجل: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ﴾ [الذاريات:١-٦].

(٥) قال ابن القيِّم رحمه الله: "ثُمَّ ذكر تفصيل الجزاء، وذكر الجنَّة والنَّار، وذكر أَنَّ في السَّماء رزقهم وما يوعدون، ثُمَّ قال: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات:٢٣]". التِّبيان في أَقسام القرآن، (ص:٥).

(٦) الاقْسَامَاتُ: جمع قَسَم، ويجمع على أَقسام؛ مِن أَقْسَمَ يُقْسِمُ إِقْسَامًا وقَسَامَةً: الْيَمين، والحَلِف. ينظر: العين، والْمِصباح الْمُنِيْر، مادَّة: (قسم).

قال ابن القيِّم رحمه الله: "والقَسَم لَمَّا كان يَكثر في الكلام اختُصر فصار فِعل القَسم يحذف، ويُكتفى بالباء، ثُمَّ عُوِّض مِن الباء الواو في الأَسماء الظَّاهرة، والتَّاء في أَسماء الله؛ كقوله: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ [الأنبياء:٥٧]. . . وأَمَّا الواو فكثيرة". ينظر: التِّبيان في أَقسام القرآن، (ص:٣).

(٧) الحشر: ٢١

(٨) العنكبوت: ٤٣

فَصْلٌ: فِي ذِكرِ حُدُودِ أَلفاظٍ كَثُرَ مُرُورُها فِي القُرْآنِ؛ أَمْرًا بِها، أَو نَهْيًا عَنْها، أَو مَدْحًا لَها، أَو ذَمًّا لَها(١).

فاللهُ -تعالى- أَثْنَى على مَن عَرَفَ حُدودَ ما أَنْزَلَ على رَسُولِهِ، وذَمَّ مَن جَهِلَهَا(٢).

وهذهِ أَلفاظٌ جَليلةٌ يَتَعَيَّنُ على طَالبِ العِلْمِ مَعْرفةُ حُدُودِهَا؛ لِيَعرِفَ ما يَدخلُ فِيها، وما يَخرجُ مِنها، وتَتَّفِقُ الأَلفاظُ المأْمورُ بِها في كثيرٍ مِن الأُمورِ، وقد يكونُ بينَها فُرُوقٌ، وكذلِكَ الْمَنْهِيَّاتُ، وهذا مِن إِحْكَامِ القُرْآنِ(٣)، وأَنَّهُ يُصَدِّقُ بعضُهُ بعضًا: ﴿وَلَوْكَانَ مِنْ عِندِغَيْرِاللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾(٤).

الإِسلامُ والإِيمانُ:

أَمَّا الإِسلامُ: فهو استِسلامُ القلبِ للهِ وإِنابَتُهُ، والقِيامُ بالشَّرائعِ الظَّاهرةِ، والباطِنةِ.

وأَمَّا الإِيمانُ فهو: التَّصديقُ التَّامُّ، والاعترافُ بأُصولِهِ التي أَمرَ اللهُ بالإِيمانِ بِها، ولا يَتِمُّ ذلِكَ إِلَّا بالقِيامِ بأَعمالِ القُلوبِ وأَعمالِ الجوارحِ؛ ولهذا سَمَّى اللهُ كثيرًا مِن الشَّرائعِ الظَّاهرةِ والباطِنةِ إِيمانًا(٥).

وبعضُ الآياتِ يَذْكُرُ أَنَّها مِن لَوازِمِ الإِيمانِ؛ فَعَلى هذا: الإِيمانُ عندَ الإِطلاقِ يَدخلُ فِيهِ الإِسلامُ، وكذلِكَ بالعَكْسِ، وإِذا جُمِعَ بيْنَ الإِيمانِ والإِسلامِ فُسِّرَ الإِيمانُ بِما في القَلبِ مِن التَّصدِيقِ

---

(١) بيَّن المؤلِّفُ رحمه الله في هذا الفَصل عددًا مِن المصطلحات في القرآن الكريم سَواء كانت الأَلفاظ مُتضادَّة أَو مُتقاربة.

(٢) قال جل جلاله: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد:١٩].

(٣) سبق بيان معنى إِحكام القرآن: (ص:٦).

(٤) النساء: ٨٢

(٥) قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٤٣]؛ أَي: صلاتكم إِلى بيت المقدس. ينظر: جامع البيان، (١٦٩/٣)، ومَعَالم التَّنزيل، (١٧٧/١)، وتفسير القرآن العظيم، (٤٥٨/١).
وأَخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب العلم، باب تحريض النَّبيِّ ﷺ، وَفْد عَبْدِ القَيْسِ على أَنْ يحفظوا الإِيمان والعلم، ويخبروا مَن وراءهم، (٢٩/١) ح (٨٧) واللَّفظ لَهُ، ومسلم في صحيحه، كتاب الإِيمان، باب الأَمر بالإِيمان بالله ورسوله، وشرائع الدِّين، والدُّعاء إِليه، (٤٧/١) ح (١٧)، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما -في خبر وَفْد عَبْدِ القَيْسِ- أَنَّ النَّبيَّ ﷺ أَمَرَهُمْ بِالإِيمَانِ بِاللَّهِ عز وجل وَحْدَهُ، قَالَ: ((هَلْ تَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ؟)) قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ((شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَتُعْطُوا الخُمُسَ مِنَ الْمَغْنَمِ. . .)).

والاعترَافِ، وما يَتْبعُ ذلِكَ، وفُسِّرَ الإسلامُ بالقِيامِ بعُبوديَّةِ اللهِ كلِّها، الظَّاهِرَةِ، والباطِنَةِ(١).

الإحسانُ قِسمانِ:

- إحْسَانٌ في عِبادَةِ الخَالقِ، وهو بَذلُ الجُهْدِ في إكمالِهَا وإتقانِها، والقِيامِ بحُقوقِها الظَّاهِرَةِ والباطِنَةِ(٢).
- وإحْسَانٌ إلى المخلوقِينَ بإيصالِ جَميعِ ما يَستَطِيعُهُ العَبدُ مِن نَفعٍ عِلْمِيٍّ وبَدَنِيٍّ ومَالِيٍّ لِلخَلقِ، ونَصيحةٍ دِيْنِيَّةٍ أَو دُنْيَوِيَّةٍ، ومُساعدةٍ وحَضٍّ على الخَيرِ؛ ولهذا كانَ الْمُحْسِنونَ يَتفاوَتُونَ تَفاوُتًا عَظيمًا بِحَسَبِ قِيامِهِم بالإحسَانِ الْمُتنَوِّعِ إلى الخَلْقِ، بَرِّهِم وفاجِرِهِم(٣)، حتَّى الحيوانِ البَهِيمِ(٤)، كما قالﷺ: ((إنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ))... الحديث(٥).

الْهُدَى والهِدايةُ نوعانِ(٦):

- هِدايةُ العِلْمِ والإرشادِ والتَّعليمِ.
- وهدايةُ التَّوفيقِ، وجَعْلِ الهُدَى في القَلبِ.

وهذانِ يُطْلَبانِ مِن اللهِ -تعالى- إمَّا على وَجْهِ الإطلاقِ؛ كقولِ العَبْدِ: اللَّهُمَّ اهدِنِي، أَو اللَّهُمَّ إنِّي أَسأَلُكَ الهُدى؛ وإمَّا على وجْهِ التَّقْيِيدِ بِطَرِيقِها النَّافِعِ(٧)؛ كقولِ الْمُصَلِّي: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ

---

(١) سبق معنى الإسلام والإيمان عند اجتماعهما، وتفرُّقهما: (ص:٦).

(٢) سبق ذكره، والدَّليل عليه: (ص:٦).

(٣) قال ﷻ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء:٣٦].

(٤) سبق الدَّليل على أنَّ الله غفر للبَغِيِّ؛ لَمَّا سقت الكلب: (ص:٦).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصَّيد والذَّبائح وما يؤكل مِن الحيوان، باب الأَمر بإحسان الذَّبح والقتل، وتحديد الشَّفْرة، (١٥٤٨/٣) ح (١٩٥٥)، عن شَدَّاد بن أَوْس رضي الله عنه.

(٦) سبق ذكرهما، والفَرْق بينهما: (ص:٦).

(٧) أخرج مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدُّعاء في صلاة اللَّيل وقيامه، (٥٣٤/١) ح (٧٧٠)، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدالرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: (اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ،
=

﴿ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[١].

ومَن حَصَلَتْ لَهُ الهِدايةُ سُمِّيَ مُهْتَدِيًا، وأَعظمُ ما تَحْصُلُ بِهِ الهِدايةُ القرآنُ، ولهذا سَمَّاهُ اللهُ هُدىً مُطْلَقًا[٢]، وقالَ: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[٣]، وقالَ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[٤]، ويَشمَلُ جميعَ الأُمُورِ الدِّينيَّةِ، والدُّنيويَّةِ النَّافعةِ.

العِلْمُ واليَقِينُ:

فالعِلْمُ: هو تَصَوُّرُ الْمَعْلومَاتِ على ما هي عليهِ؛ ولهذا يُقالُ: العِلْمُ ما قامَ عليهِ الدَّلِيلُ[٥].

والعِلْمُ النَّافعُ: ما كانَ مأْخوذًا عن الرَّسُولِ[٦].

واليَقِينُ أَخصُّ مِن العِلْمِ بأَمرَينِ:

أَحدُهما: أَنَّهُ العِلْمُ الرَّاسِخُ القَوِيُّ الذي ليسَ عُرْضَةً للرَّيبِ والشَّكِّ، والموانعِ، ويكونُ عِلْمَ يَقينٍ إذا ثَبتَ بالخَبرِ[١٦٤]، وعَيْنَ يَقيْنٍ إذا شاهدَتْهُ العَيْنُ والبَصرُ؛ ولهذا يقالُ: ((لَيْسَ الخَبرُ كالْمُعَايَنَةِ))[٧]،

وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ).

(١) الفاتحة: ٦

(٢) أخبر اللهﷻ أَنَّ القرآن الكريم هدى عامٌّ لجميع المكلَّفين، فقال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة:١٨٥]، وقالﷻ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم:٢٣]. كما أَخبرﷻ أَنَّ القرآن هدى بالخصوص للمتَّقين، والمتَّبعين لرضوان ربِّهم، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢]، وقالﷻ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة:١٥-١٦]. وينظر: إغاثة اللَّهفان مِن مصايد الشَّيطان، (٢/١٦٩).

(٣) البقرة: ٢

(٤) الإسراء: ٩

(٥) قال الجُرْجَانيُّ رحمه الله: "عِلمُ اليَقين: ما أَعطاه الدَّليل بتصوُّر الأُمور على ما هي عليه". التَّعريفات، (ص:١٥٦)، وينظر: درْء تَعارض العقل والنَّقل، (٧/٣٢٩)، ومَدارج السَّالِكِين، (٢/٤٣٩).

(٦) كذا قال ابن تيميَّة، وابن القيِّم رحمه الله في درْء تَعارض العقل والنَّقل، (٧/٣٢٩)، ومَدارج السَّالِكِين، (٢/٤٣٩).

(٧) سبق تخريجه: (ص:٦٠).

وحَقّ يَقِينٍ إذا ذَاقَهُ العَبْدُ، وتَحَقَّق بهِ[١].

الأَمرُ الثَّاني: أَنَّ اليَقينَ هو العِلمُ الذي يَحْمِلُ صاحِبَهُ على الطُّمأْنِينَةِ بِخَبَرِ اللهِ، والطُّمأْنِينَةِ بذِكرِ اللهِ، والصَّبْرِ على المكَارِهِ، والقُوَّةِ في أَمْرِ اللهِ، والشَّجاعَةِ القَوليَّةِ والفِعلِيَّةِ، والاستِحْلاءِ للطَّاعاتِ، وأَنْ يَهُونَ على العَبدِ في ذاتِ اللهِ الْمَشَقَّاتُ، وتَحَمُّلُ الكَريهَاتِ، فهذهِ الآثارُ الجَميلةُ التي هي أَعْلَى وأَحْلَى مِن كلِّ شَيءٍ مِن آثارِ اليَقينِ[٢].

الصَّبْرُ: حَبْسُ النَّفسِ على الْمَشقَّاتِ؛ طَلَبًا لرضا اللهِ[٣]، ويَنْقَسِمُ إلى ثلاثةِ أَقسامٍ[٤]:

- صبْرٍ على طاعةِ اللهِ، وخُصوصًا الطَّاعاتِ الشَّاقَّةِ حتَّى يؤدِّيَها على وجهِ الكَمالِ[٥].
- وصَبْرٍ عن معصيةِ اللهِ، خُصوصًا المعصِيةَ التي تَدعو النَّفسُ إليها دُعاءً قَويًّا، حتَّى يُجاهِدَ نفسَهُ فيترُكَها للهِ[٦].

---

(١) كذا قال ابن تَيميَّة، وابن القَيِّم رحمهما الله في الفَرْق بين: عِلم اليقين، وعَين اليقين، وحقِّ اليقين. ينظر: مَجْمُوع الفَتاوَى، (١٠/٦٤٥)، والتِّبيان في أَقسام القرآن، (ص:١٩١-١٩٢).

(٢) ذكر ابن القَيِّم رحمه الله مَزيدًا مِن آثار اليقين في مِفتاح دار السَّعادة، (١/١٥٤-١٥٥).

(٣) فيكون صبره بالله لا بنفسه مُستعينًا به، قال عز وجل: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل:١٢٧]؛ فإِنْ لم يُصبِّره لم يصبر، ويكون صبره لله محبَّة لَهُ، وإرادة لوجهه، وتقرُّبًا إليه، لا لغرض دُنيويٍّ؛ كإظهار قوَّة نفسه، وحمد الخلق لصبره، ويكون صابرًا مع الله، وما يريده ربُّه على كلِّ أحواله. ينظر: مَدارِج السَّالِكِين، (٢/١٥٦-١٥٧).

(٤) أَشار إليها عدد مِن العلماء، ونصَّ عليها ابن القَيِّم في عدد مِن مؤلَّفاته. ينظر: عدة الصَّابرين، (ص:٢٨)، ومَدارِج السَّالِكِين، (٢/١٥٥)، وتفسير القرآن العظيم، (١/٤٤٦).

(٥) أَخرج مسلم في صحيحه، كتاب الطَّهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على الْمَكاره، (١/٢١٩) ح (٢٥١)، عن أَبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟))، قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: ((إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ. . .)).

(٦) سبق الكلام على ذلك في قِصَّة يوسف: (ص:٦).

وأَخرج مسلم في صحيحه، كتاب الزَّكاة، باب فضل إخفاء الصَّدقة، (٢/٧١٥) ح (١٠٣١)، عن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، قال: ((سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ))، ومنهم: ((رَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ. . .)).

وأَخرج مسلم في صحيحه، كتاب الرِّقاق، باب قصَّة أَصحاب الغَارِ الثَّلاثة، والتَّوسُّل بصالح الأَعمال، (٤/٢٠٩٩) ح (٢٧٤٣)، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أَنَّه قال: -في خبر الثَّلاثة أَصحاب الغَار- ((وَقَالَ الْآخَرُ: اللهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِيَ ابْنَةُ عَمٍّ أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ، وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا، فَأَبَتْ حَتَّى آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَتَعِبْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ، فَجِئْتُهَا بِهَا، فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، قَالَتْ: يَا
=

- وصَبْرٍ على أَقدارِ اللهِ الْمُؤْلِمةِ، خُصُوصًا إذا عَظُمتِ الْمُصِيبةُ حتَّى لا يتَسخَّطَها(١)، وربَّما وصَلتْ بهِ الحَالُ إلى الرِّضا عن اللهِ(٢).

الشُّكْرُ للهِ: هو الاعترافُ بِنعَمِ اللهِ الظَّاهِرَةِ والبَّاطِنَةِ، العامَّةِ والخاصَّةِ، والتَّحدُّثُ بِها، والاستعانَةُ بِها على طاعةِ الْمُنعِمِ دُونَ مَعصِيتِهِ، ولا بدَّ أَنْ يقتَرِنَ هذا بالخُضوعِ للمُنعِمِ ومَحبَّتِهِ، فبهذِهِ الأَركانِ الخَمْسةِ يكونُ الشُّكرُ تامًّا(٣).

البِرُّ والتَّقوَى للهِ:

إذا أُطلِقَ أَحدُهُما دَخلَ فِيهِ الآخرُ(٤)؛ فإنَّهُ: اسمٌ جامعٌ لِلقِيامِ بكُلِّ ما يُحِبُّهُ اللهُ ورَسولُهُ ظَاهِرًا وباطِنًا، وتَرْكُ ما يَكرهُهُ اللهُ ورَسولُهُ ظَاهرًا وباطِنًا(٥).

وإذا جُمِعَ بينَهُما نحوُ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾(٦)؛ فُسِّرَ البِرُّ بالقِيَامِ بعقائدِ الإيمانِ وأَخلاقِهِ، وأَعمالِ البِرِّ كلِّها القَاصِرَةِ والْمُتعدِّيَةِ، وفُسِّرتِ التَّقوى باتِّقاءِ ما يُسخِطُ اللهَ؛ مِن الكُفْرِ والفُسُوقِ والعِصيانِ(٧).

الصِّدقُ(٨)، والكَذِبُ:

الصِّدْقُ: هو استواءُ الظَّاهرِ والباطنِ على الاستقامَةِ على الصِّراطِ الْمُستَقِيمِ(٩).

عَبْدَ اللهِ اتَّقِ اللهَ، وَلَا تَفْتَحِ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ عَنهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً، فَفَرَجَ لَهُمْ)).

(١) سبق الدَّليل على ذلك، وقول عَلْقَمة: (ص:٦).

(٢) وذلك بأَنْ تستوي عنده النِّعمة والبليَّة؛ حيث رضي بحسن اختيار الله لَهُ. ينظر: مَدارِج السَّالِكِين، (١٩٩/٢).

(٣) قال ابن القَيِّم رحمه الله: "والشُّكر مَبنيٌّ على خمس قواعد: خضوع الشَّاكر للمشكور، وحبُّه لَهُ، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه بها، وأَنْ لا يستعملها فيما يكره". مَدارِج السَّالِكِين، (٢٣٤/٢).

(٤) ذكر هذا ابن تَيميَّة، وابن القَيِّم رحمه الله في مَجْمُوع الفَتاوَى، (١٨٣/٧)، والرِّسالة التَّبوكيَّة، (ص:٦).

(٥) سبق تعريف البِرِّ: (ص:٦).

(٦) المائدة: ٢

(٧) سبق شيء مِن الفَرق بينهما: (ص:٦)، وينظر: الرِّسالة التَّبوكيَّة، (ص:٨).

(٨) تحدَّث ابن القَيِّم رحمه الله بالتَّفصيل عن: "منزلة الصِّدق"، وأَدلَّته، وكيف يكون الصِّدق في الأَقوال والأَفعال والأَحوال، وسيُشير المؤلِّف رحمه الله هنا إلى هذه الأَنواع. ينظر: مَدارِج السَّالِكِين، (٢٥٨/٢).

(٩) سبق تعريف المؤلِّف رحمه الله للصِّدق: (ص:٦).

فالصِّدقُ في العَقائدِ: أَنْ تَكونَ عَقيدةُ العَبدِ صادقةً سَلَفِيَّةً مُتَلَقَّاةً عن كِتابِ اللهِ، وسُنَّةِ رَسولِهِ، وما كانَ عليهِ الصَّحابَةُ(١).

والصِّدْقُ في الأَخلاقِ: أَنْ يكونَ القَلبُ مَلآنَ(٢) مِن الإيمانِ والإِخْلاصِ، والرَّغبَةِ، والنَّصيحةِ لعبادِ اللهِ، ومَحبَّةِ الخَيرِ لَهُم.

والصِّدقُ في الأَقوالِ: أَنْ يكونَ قائلًا لِلصِّدقِ مُصَدِّقًا بهِ.

والصِّدقُ في الأَعمالِ: الاجتهادُ في تَكْمِيلِها، وإِتْقانِها.

والكَذِبُ: ما ناقضَ ذلِكَ كُلَّهُ؛ ولِذلكَ كانَ الصِّدقُ والكَذِبُ مَراتبَ، ((ولا يَزَالُ العَبْدُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيْقًا، ولا يَزَالُ العَبْدُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا))(٣).

العَدْلُ والظُّلْمُ:

العَدْلُ: هو سُلوكُ الطَّرِيقِ الْمُستقِيمِ الْمُعتَدِلِ؛ في العَقائدِ، والأَخْلاقِ، والأَقوَالِ، والأَفعَالِ؛ كما يُقالُ في الصِّدقِ(٤).

والظُّلْمُ(٥): ما نَاقضَ ذلِكَ، ولهذا انقسَمَ الظُّلْمُ إلى ثَلاثةِ أَقسامٍ(٦) كلُّها مُنافيةٌ للعَدْلِ:

---

(١) سبق الدَّليل على هذا: (ص:٦).

(٢) س: "ملآنًا"، وهي سبق قلم، وقد مضى تعليل ذلك: (ص:٦).

(٣) بنحوه أَخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البرِّ والصِّلة والآداب، باب قُبح الكذب وحُسن الصِّدق وفضله، (٢٠١٣/٤) ح (٢٦٠٧)، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) قال ابن عطيَّة رحمه الله: "والعدل هو: فعل كلِّ مفروض مِن عقائد وشرائع، وسير مع النَّاس في أَداء الأَمانات، وترك الظُّلم، والإِنْصاف، وإِعطاء الحقِّ". المحرَّر الوجيز، (٤١٦/٣).

(٥) سبق بيان معناه: (ص:٦).

(٦) هذه الأَقسام مأْخوذة من الحديث الذي أَخرجه أَبو داود الطَّيَالِسِيّ، في مسنده، (٥٧٩/٣) ح (٢٢٢٣)، واللَّفظ لَهُ، وأَبو نُعَيْم في حِلْيَة الأَولياء، (٣٠٩/٦)، عن أَنس رضي الله عنه، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: ((الظُّلْمُ ثَلَاثَةٌ: فَظُلْمٌ لَا يَتْرُكُهُ اللَّهُ، وَظُلْمٌ يُغْفَرُ، وَظُلْمٌ لَا يُغْفَرُ، فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُغْفَرُ فَالشِّرْكُ لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفَرُ فَظُلْمُ الْعَبْدِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ، وَأَمَّا الَّذِي لَا يُتْرَكُ فَقَصُّ اللَّهِ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ)).
حسَّنه الأَلبانيُّ رحمه الله في سلسلة الأَحاديث الصَّحيحة، (٥٦٠/٤) ح (١٩٢٧).

- الظُّلمُ في التَّوحِيدِ؛ بالإشراكِ باللهِ، قال تعالى: [١٦٥] ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(١).

- وظُلمُ الخَلقِ في دِمائِهِم وأَموالِهِم، وأَعراضِهِم وحُقوقِهِم(٢).

- وظلمُ العَبدِ نفسَهُ فيما دونَ الشِّركِ.

ولا يَتِمُّ لِلعَبدِ العَدْلُ الكامِلُ حتَّى يَدَعَ جميعَ هذهِ الأَقسامِ، ويَتوبَ إلى ربِّهِ مِمَّا وقعَ معَهُ، ويَخْرجَ مِن حَقِّ العبادِ إليهِم؛ ولهذا كانَ القِيامُ بالدِّينِ كلِّهِ مِن العَدلِ والقِسطِ(٣).

العِبادَةُ والعُبُودِيَّةُ للهِ(٤): اسمٌ جامِعٌ لِكلِّ ما يُحِبُّهُ اللهُ ويَرضاهُ؛ مِن العقائدِ وأَعمالِ القُلوبِ، وأَعمالِ الجَوارحِ(٥).

فَكُلُّ ما يُقَرِّبُ إلى اللهِ مِن الأَفعالِ، والتُّرُوكِ فهو عِبادَةٌ؛ ولهذا كانَ تاركُ الْمَعصِيةِ للهِ مُتعبِّدًا، مُتَقرِّبًا إلى ربِّهِ بذلِكَ(٦).

---

(١) لقمان: ١٣

(٢) أخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان:٦٨]، (١١٠/٦) ح (٤٧٦١)، واللَّفظ لَهُ، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان باب كَون الشِّرك أقبح الذُّنوب، وبيان أعظمها بعده، (٩١/١) ح (١٤٢)، عن عبد اللَّه بن مسعودﷺ، "قال: سأَلت -أَوْ سُئل- رسول اللَّهِﷺ: أَيُّ الذَّنْبِ عِنْدَ اللَّهِ أَكْبَرُ، قَالَ: ((أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ))، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: ((ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ))، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: ((أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ))، قَالَ: وَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾".

(٣) قال ابن تيميَّةﷺ: "فإنَّ الدِّين كلَّه مَداره على العدل والقِسط، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد:٢٥]". بيان تلبيس الجهميَّة، (٤٠٣/٥).

(٤) العِبادَةُ: اسم للعمل الذي شرعه الله، أَمَّا العُبوديَّةُ: فعمل الإنْسان، وتعبده وقيامه بالعِبادة المشروعة.

(٥) هذا تعريف للعِبادة مِن حيث الأَنواع، وقد سبق: (ص:٦).

أَمَّا حقيقة العُبوديَّة فهي: "كمال الحُبِّ مع كمال الخُضوع والذُّلِّ". الجواب الكافي، (ص:٢٢٨).

(٦) أخرج مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إذا همَّ العبد بحسنة كُتبت، وإذا همَّ بسيِّئة لم تُكتب، (١١٧/١) ح (١٢٩)، عن أَبي هريرةﷺ، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِﷺ: ((قَالَ اللهُﷻ: إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً، فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْ، فَإِذَا عَمِلَهَا، فَأَنَا أَكْتُبُهَا بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَإِذَا تَحَدَّثَ بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا، فَإِذَا عَمِلَهَا، فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا))، وَقَالَ رَسُولُ اللهِﷺ: ((قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: رَبِّ، ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ، فَقَالَ: ارْقُبُوهُ فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ)).

ولا تتمُ العِبادَةُ إلَّا بالإخلاصِ؛ الإخلاصِ للهِ وحدَهُ: بأَنْ يَقْصِدَ العَبْدُ وَجْهَ اللهِ ورضاهُ وثَوابَهُ في أَعمالِهِ الظَّاهِرَةِ والباطِنةِ، وضِدُّهُ العَملُ لِلرِّياءِ[١]، والسُّمْعَةِ[٢]، ولأَجلِ عَرَضِ الدُّنيا، ومِيْزَانُ هذا قولُهُ -تعالى- عن خِيارِ الخَلقِ[٣]: ﴿يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ﴾[٤].

وقولُهُ ﷺ: ((إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ))[٥].

وجَميعُ الأَعمَالِ على هذا النَّمَطِ[٦].

وقد يُرَادُ بالهِجْرةِ هُنا: الهِجرَةُ العَامَّةُ[٧]، التي قال فِيها النَّبِيُّ ﷺ: ((وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ ورَسُوْلُهُ عَنْهُ))[٨].

---

(١) سبق تعريفه: (ص:٦).

(٢) سبق تعريفه: (ص:٦).

(٣) بعد الأنبياء والمرسلين. ينظر: كلام ابن تَيميَّة في حاشية هذا التَّحقيق: (ص:٦).

(٤) المائدة: ٢

الاستدلال بهذه الآية غير مناسب للسِّياق، وفيها نهي للمؤمنين عن تعرُّض قاصدي بيت الله الحرام من الكفار الرَّاغبين في التِّجارة ورحمة الله، قبل نزول قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ﴾[التوبة:٢٨]. ينظر: المحرَّر الوجيز، (٢/١٤٧-١٤٨)، وتفسير القرآن العظيم، (٢/١١).

ويَظهر مِن قول المؤلِّف رحمه الله: "عن خِيار الخَلْق" أنَّه أرد قوله ﷻ: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ﴾ [الفتح:٢٩]، أو قوله ﷻ: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر:٨].

(٥) بنحوه أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب الأيمان والنُّذور، باب النِّية في الأَيمان، (٨/١٤٠) ح (٦٦٨٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ)، وأَنَّه يدخل فيه الغزو وغيره مِن الأَعمال، (٣/١٥١٥) ح (١٩٠٧)، عن عمر رضي الله عنه.

(٦) النَّمَطُ: الطَّريقة. ينظر: تهذيب اللُّغة، ولسان العرب، مادَّة: (نمط).

(٧) قال ابن رَجَب رحمه الله: "فأَصل الهجرة: هُجران الشَّرِّ ومُباعدته؛ لطلب الخير، ومحبَّته، والرَّغبة فيه. . . بل الهجرة التَّامَّة الكاملة: هُجران ما نَهى الله عنه، ومِن جُملة ذلك: هُجران بلد الشِّرك، مع القُدرة عليه". فَتْح البَارِي، لابن رَجَب، (١/٣٩).

(٨) بنحوه أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب الرِّقاق، باب الانتهاء عن المعاصي، (٨/١٠٢) ح (٦٤٨٤)، عن عبدالله بن عَمرو رضي الله عنهما.

الخَوْفُ والخَشْيَةُ(١)، **والخُضُوعُ**(٢)، **والإِخْبَاتُ**(٣)، **والوَجَلُ**(٤): مَعانِيها مُتَقَارِبةٌ(٥).

فالخوفُ يَمنعُ العبدَ عن مَحَارِمِ اللهِ(٦)، وتُشارِكُهُ الخَشيَةُ في ذلِكَ، وتَزِيدُ أَنَّ خَوفَهُ مَقْرُونٌ بِمَعرفَةِ اللهِ(٧).

وأَمَّا الخُضوعُ والإِخْبَاتُ والوَجَلُ: فإِنَّها تَنْشَأُ عن الخَوفِ والخَشْيةِ لِلهِ، فَيخضَعُ العَبْدُ للهِ، ويُخْبِتُ إِلى ربِّهِ، مُنِيبًا إِليهِ بِقَلْبِهِ، ويَحْدُثُ لَهُ الوَجَلُ(٨).

وأَمَّا الخُشُوعُ: فهُو حُضُورُ القَلْبِ وقتَ تَلَبُّسِهِ بطاعةِ اللهِ(٩)، وسُكُونُ ظاهرِهِ وباطنِهِ، فهذا خُشُوعٌ خاصٌّ(١٠).

وأَمَّا الخُشُوعُ الدَّائمُ؛ الذي هو وَصْفُ خَواصِّ المؤمنِينَ؛ فَيَنْشأُ مِن كَمالِ مَعرِفَةِ العَبدِ بِربِّهِ

---

(١) قال العَسْكَرِيُّ رحمه الله: "الخوف والخشية وإنْ كانا في اللُّغة بمعنى واحد إِلَّا أَنْ بين خوف الله وخشيته وفي عرف أرباب القلوب فَرْقًا؛ وهو أَنَّ الخوف تأَلُّم النَّفس مِن العقاب المتوقَّع؛ بسبب ارتكاب المنهيَّات، والتَّقصير في الطَّاعات، وهو يحصل لأكثر الخَلق، وإنْ كانت مراتبه مُتفاوتة جدًّا، والمرتبة العليا منه لا تحصل إِلَّا للقليل.
والخَشية: حالة تحصل عند الشُّعور بعظمة الخالق وهيبته وخوف الحَجب عنه، وهذه حالة لا تحصل إِلَّا لمن. . . ذاق لذَّة القُرب؛ ولذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨]". مُعْجَم الفُروق اللُّغويَّة، (ص:٢١٨).

(٢) معنى الخُضوع والخُشوع متقاربان، وقِيل: "الخُشوع بالجوارح، والخُضوع بالقلب". مُعْجَم الفُروق اللُّغويَّة، (ص:٢١٦).

(٣) الإِخبَاتُ: سُكون الجوارح على وجه التَّواضع والخُضوع لله، وحُضور القَلب لَهُ، والمُخْبِتُ: المُطمئِنُّ بالإِيمان، والمجتهد بالعبادة، والملازم للطَّاعة. ينظر: مُعْجَم الفُروق اللُّغويَّة، (ص:٢٥)، وشِفاء العَلِيل، (ص:١٠٦)، والتَّوقيف على مُهمَّات التَّعاريف، (ص:٤١).

(٤) قال ابن القَيِّم رحمه الله: "وأَمَّا الوَجَل فرَجَفان القلب وانصداعه؛ لذكر مَن يخاف سلطانه وعقوبته، أَو لرؤيته". مَدارِج السَّالِكِين، (٥٠٨/١)، وبصائر ذوي التَّمييز، (٥٤٦/٢).

(٥) قال ابن القَيِّم رحمه الله: "والوجل، والخوف، والخشية، والرَّهبة أَلفاظ مُتقاربة غير مُترادفة". مَدارِج السَّالِكِين، (٥٠٧/١).

(٦) هذا هو الخوف المحمود، كما قاله ابن القَيِّم عن ابن تَيميَّة رحمه الله. ينظر: مَدارِج السَّالِكِين، (٥١١/١).

(٧) قال ابن القَيِّم رحمه الله: "والخشية أَخصُّ مِن الخوف، فإِنَّ الخشية للعلماء بالله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨]، فهي خوف مَقرون بمعرفة". مَدارِج السَّالِكِين، (٥٠٨/١).

(٨) قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال:٢].

(٩) قال جل جلاله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون:١-٢].

(١٠) هذا تعريف جامع، وذكر ابن القَيِّم تعريفات كثيرة في "منزلة الخُشوع". ينظر: مَدارِج السَّالِكِين، (٥١٦/١-٥١٨).

ومُراقَبتهِ، فَيستَولِي ذلِكَ على القَلبِ؛ كَمَا تَستولِي الْمَحبَّةُ(١).

القُنُوْتُ(٢): ورَدَ في القرآنِ على أَحدِ معنَيَيْنِ:

معنًى خاصٍّ، بمعنَى: الخُشوعِ.

ومعنًى عامٍّ: وهو قُنوتُ المخلوقاتِ كلِّها لخَلقِ اللهِ(٣)، وتدبيرِهِ، وتَصْرِيفِهِ(٤).

الذِّكْرُ للهِ: الذي وَرَدَ في القرآنِ الأَمْرُ بِهِ، والثَّناءُ على أَهلِهِ، وما رُتِّبَ عليهِ مِن الجزاءِ يُطْلَقُ على جميعِ الطَّاعاتِ الظَّاهِرَةِ والبَّاطنةِ، القَوليَّةِ والفِعليَّةِ(٥).

فكُلُّ ما تَصَوَّرَهُ القَلْبُ أَو أَرَادَهُ أَو فَعَلَهُ العَبدُ أَو تَكَلَّمَ بِهِ مِمَّا يُقَرِّبُ إِلى اللهِ فهُو ذِكْرُ اللهِ؛ واللهُ -تعالى- شَرَعَ العِباداتِ كلَها لإِقامةِ ذِكرِهِ، فهي ذِكرُ اللهِ(٦)، ويُطْلَقُ على ذِكرِ اللهِ باللِّسانِ؛ بِذِكْرِ أَوصافِهِ وأَفْعَالِهِ، والثَّناءِ عليهِ بِنعَمِهِ، وتَسْبِيحِهِ، وتَكبِيرِهِ، وتَحميدِهِ، والتَّهليلِ، والصَّلاةِ على النَّبِيِّ ﷺ.

ومِن ذِكْرِهِ ذِكْرُ أَحكامِهِ؛ تَعَلُّمُها وتَعْليمُها؛ ولهذا مَجالسُ التَّعلُّمِ والتَّعليمِ يُقَالُ لها: مَجالسُ الذِّكرِ(٧).

وأَفضلُ أَنواعِ الذِّكرِ ما تواطَأَ عليهِ القَلْبُ، واللِّسَانُ(٨).

---

(١) قال ﷻ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد:١٦].

(٢) سبق هذا التَّقسيم: (ص:٦).

(٣) المقصود صِفة الخَلق للرَّبِّ ﷻ؛ بدليل قوله: "وتَدبيره، وتَصْريفه".

(٤) سبق بيانه بدليله: (ص:٦).

(٥) قال تعالى: ﴿. . . وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢]، وقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ [الجمعة:٩].

(٦) قال ﷻ: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه:١٤].

(٧) أخرج مسلم في صحيحه، كتاب الذِّكر والدُّعاء، والتَّوبة والاستغفار، باب فضل مجالس الذِّكر، (٤/٢٠٦٩) ح (٢٦٨٩)، عن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: ((إِنَّ لِلَّهِ تعالى مَلائِكَةً سَيَّارَةً، فُضُلًا يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ...)).

(٨) ذكر ابن القَيِّم رحمه الله أَنَّ الذِّكر يكون على ثلاث درجات: أَعلاها: أَنْ يكون بالقلب واللِّسان، وثانيها: أَنْ يكون بالقلب وحده، وثالثها: أَنْ يكون باللِّسان. ينظر: الوابل الصَّيِّب مِن الكلم الطَّيِّب، (ص:٨٨).

حُدُودُ اللَّهِ: يرادُ بِها ما حَرَّمَهُ ومَنعهُ عِبادَهُ، فَيُقالُ فِيها: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾[١].

ويُرَادُ بِها كذلِكَ ما أَباحَهُ وأَحلَّهُ لِعبادِهِ، وقدَّرَهُ وفرَضَهُ، فيُقالُ فِيها: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾[٢]؛ أَيْ: لا تُجاوِزُوا ما أَحَلَّ اللهُ إِلى ما حَرَّمَ اللهُ، ولا تَتَجاوزُوا ما قدَّرَهُ اللهُ لِلعبادِ إِلى ما يُخالِفُ تَقْدِيرَهُ[٣][١٦٦].

الأَمَانَةُ: هي الأُمورُ التي يُؤتَمَنُ عليها العَبْدُ؛ فَيَشمَلُ الأَمانةَ التي بَيْنَهُ وبَيْنَ اللهِ، فإِنَّهُ ائتَمَنَ عَبْدَهُ على إِقامةِ الواجباتِ، وتَرْكِ المحَرَّماتِ؛ فالقِيامُ بذلِكَ أَداءٌ للأَمانةِ، ومُراعاةٌ لَها، وتَركُ بعضِ الواجِباتِ -وخُصُوصًا السِّرِّيَةَ[٤]؛ التي لا يَطَّلعُ عليها إِلَّا اللهُ، أَو التَّجَرُّؤ على بعضِ المحَرَّماتِ- تَرْكٌ للأَمانةِ، واتِّصافٌ بالخِيانةِ[٥].

ويَشْمَلُ -أَيضًا- الأَماناتِ التي بَيْنَكَ وبَيْنَ الخَلقِ؛ في الدِّماءِ والأَموالِ والحُقوقِ؛ فمَن قامَ بِها فقد أَدَّى الأَمانةَ وحَفِظَها، ومَن تَعدَّى فِيها أَو فَرَّطَ أَو خَانَ فقد تَجَرَّأَ على الخِيانَةِ[٦].

العَهْدُ، والعَقْدُ: يَشْمَلُ العُهودَ والعُقودَ التي بَينَ العَبدِ وبَيْنَ ربِّهِ؛ فإِنَّ اللهَ عَقَدَ بَينَهُ وبَيْنَ المكلَّفِينَ عَقْدًا، وعَاهدَهُم عَهدًا؛ بإِقامَةِ ما خُلِقوا لَهُ مِن عِبادتهِ، والقِيامِ بِحُقوقِهِ؛ فإِقامَةُ ذلِكَ وفاءٌ لهذا العَقْدِ والعَهْدِ، وإِهمَالُهُ نَقْضٌ للعَهْدِ والعَقْدِ[٧]، وكذلِكَ العُهُودُ والعُقُودُ التي بَيْنَهُ وبيْنَ الخَلقِ يَتَعيَّنُ الوَفاءُ بِها، ويَشْمَلُ ذلِكَ عُقُودَ المعاملاتِ كلَّها مِن دونِ استثناءٍ[٨].

---

(١) البقرة: ١٨٧

(٢) البقرة: ٢٢٩

(٣) سبق شيء مِن ذلك: (ص:٦).

(٤) كالأعمال القَلبيَّة، والتي في الخَلوات، والصِّيام، والطَّهارة.

(٥) قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال:٢٧]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب:٧٢].

(٦) قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء:٥٨].

(٧) "والثِّقة"، زيادة في: (س).

قال ﷻ: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل:٩١].

(٨) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة:١]، قال ابن زيد ﵀: "هي ستَّة: عَهْد الله، وعَقْد الحِلْف، وعَقْد الشَّرِكة، وعَقْد البيع، وعَقْد النِّكاح، وعَقْد اليمين". تفسير القرآن العظيم، (٨/٢).

الشَّجَاعةُ، والْجُبْنُ، والتَّهوُّرُ[١]:

أَثْنَى اللهُ في كتابهِ على الشَّجاعَةِ، ومَدحَ أَهلَها[٢]، وأَمَرَ بِها[٣]، وذَمَّ الجُبْنَ[٤]، والتَّهوُّرَ[٥]، فالشَّجَاعَةُ: قُوَّةُ القَلْبِ وثَباتُهُ[٦]، وإقدَامُهُ على الأَقوالِ والأَفعالِ في موضِعِ الإقدامِ بِحِكْمةٍ وحِنْكَةٍ[٧].

فإِنْ أَقْدَمَ علَيها في حَالٍ لا يَحِلُّ لَهُ الإِقْدامُ قِيلَ لِذلكَ: تَهوُّرٌ وجَرَاءَةٌ، وحُمْقٌ، وإِلقاءٌ بالنَّفسِ إلى التَّهلكَةِ.

وأَمَّا الجُبْنُ: فهُو ضِدُّ الشَّجاعةِ؛ ضَعْفُ القَلبِ وخَورُهُ، ويَتْبَعُ ذلِكَ خَورُ الأَعمالِ، والخَوفُ مِمَّا لا يُخَافُ، وهَيْبَةُ مَن لا يُهابُ[٨].

فالشَّجَاعةُ خُلُقٌ فاضلٌ جَلِيلٌ بَيْن خُلُقَيْنِ ذَمِيمَيْنِ رَذِيلَيْنِ؛ بينَ التَّهوُّرِ الذي هو غُلوٌّ وزِيادةٌ عن الحَدِّ، وبيْنَ الجُبْنِ الذي هو تَفْرِيطٌ وتَقْصيرٌ، وضَعفٌ وخَورٌ.

ونَظِيرُ ذلِكَ: القَوامُ[٩] والبُخلُ والتَّبْذِيرُ؛ في تصريفِ الأَموالِ؛ بَذْلُها فيما يَنْبَغِي؛ مِن واجبٍ

---

(١) التَّهوُّرُ: الوقوع في الشَّيْء مع قلَّة مُبالَاة، وقِيل: ثَبات مذموم في أُمور مُعْطِبة. ينظر: مُختار الصِّحاح، مادَّة: (هور)، ومُعْجَم مَقاليد العلوم، (ص:٢٠٣).

(٢) قال ﷻ: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧].

(٣) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال:٤٥].

(٤) قال ﷻ: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٨ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب:١٨-١٩]، وقال ﷻ: ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر:١٤].

(٥) قال ﷻ: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥].

(٦) الشَّجَاعَةُ: "شِدَّة القَلب عند البَأْس". العين، والصِّحاح، مادَّة: (شجع).

(٧) قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٥٤].

(٨) الجَبَانُ: ضعيف القَلب، يَهاب التَّقدُّم على كلِّ شيء، ليلًا أو نهارًا. ينظر: لسان العرب، والمِصباح المُنِيْر، مادَّة: (جبن).

(٩) الْقَوَامُ: العدل. ينظر: معاني القرآن، للنَّحَّاس، (٥/٤٩)، ومُختار الصِّحاح، مادَّة: (قوم).

ومُسْتحَبٍّ ونافعٍ على الوَجهِ الذي يَنْبغِي، يُقالُ لذلِكَ: قَوَامٌ واعتِدَالٌ، وتَوَسُّطٌ واقتِصَادٌ؛ فإنْ مَنَعَ الواجباتِ فهو البُخلُ، وصاحِبُهُ بَخِيلٌ، وإنْ أَسرَفَ وزادَ في النَّفقةِ عمَّا يَنْبغِي قِيلَ لذلِكَ: إسرافٌ وتبذيرٌ، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾(١).

الاستِقَامةُ: هي لُزومُ الصِّراطِ المستقيمِ؛ بأَنْ يَستَقِيمَ العَبدُ على الإِيمانِ باللهِ، وأَداءِ فَرائِضهِ، وتَركِ مَحارِمِهِ، مُداوِمًا لذلِكَ، تائبًا مِمَّا أَخلَّ بهِ مِن حُقوقِها، ولِهذا قال: ﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُ﴾(٢)؛ أَيْ: مِمَّا وَقَعَ مِنْكُم مِن الخَللِ في الاستقامةِ(٣).

التَّوبَةُ، والاستغْفَارُ:

أَمَّا التَّوبَةُ: فهِي الرُّجوعُ إلى اللهِ؛ مِمَّا يَكْرَهُهُ اللهُ ظاهرًا وباطنًا إلى ما يُحِبُّهُ اللهُ ظاهرًا وباطِنًا(٤)؛ ندَمًا على ما مَضَى، وتَرْكًا في الحالِ، وعَزْمًا على أَنْ لا يَعودَ(٥).

والاستغفارُ: طَلَبُ الْمَغْفِرَةِ مِنَ اللهِ؛ فإِنْ اقترَنَ بهِ تَوبةٌ فهُو الاستغفارُ الكاملُ الذي رُتِّبَتْ عليهِ الْمَغفِرَةُ، وإِنْ لم تَقْتَرِنْ بهِ التَّوبةُ فهو دُعاءٌ مِن العَبدِ لربِّهِ أَنْ يَغفِرَ لَهُ، فقد يُجَابُ دعاؤُهُ، وقد لا يُجابُ، وهو بنفسِهِ عِبادةٌ مِن العِباداتِ، فهو دُعاءُ عِبادَةٍ، ودُعاءُ مَسْأَلةٍ(٦)[١٦٧].

التَّوَكُّلُ على اللهِ، والاستِعَانةُ بهِ: بِمعنىً واحدٍ(٧): هو اعتِمادُ القَلبِ على اللهِ؛ في جَلْبِ المنافعِ

---

(١) الفرقان: ٦٧

(٢) فصلت: ٦

(٣) قال ابن القيِّم‬رحمه الله: "فأمر بالاستقامة، وهي السَّداد والإِصابة في النِّيات والأَقوال والأَعمال". مَدارِج السَّالِكِين، (١٠٥/٢).

(٤) نصَّ ابن القَيِّم‬رحمه الله على هذا التَّعريف بعد أَنْ بيَّن شروطها، ومعناها في القرآن الكريم، وأَنَّها شاملة لفعل المأْمور وترك المحظور. ينظر: مَدارِج السَّالِكِين، (٣١٢/١-٣١٣).

(٥) هذه الأُمور الثَّلاثة هي حقيقة التَّوبة. ينظر: مَدارِج السَّالِكِين، (١٩٩/١).

(٦) سبق الفرق بين دعاء العبادة والمسأَلة: (ص:٦).

ذكر ابن القَيِّم معنى الاستغفار مُفرَدًا، وعند اقترانه بالتَّوبة، وأَدلَّة ذلك. ينظر: مَدارِج السَّالِكِين، (٣١٤/١).

(٧) كثيرًا ما يَقرِن ابن تَيميَّة‬رحمه الله بينهما، وقال عند قوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾ [هود:١٢٣]: "فإِنَّ التَّوكل والاستعانة هي من عبادة الله؛ لكن خُصَّت بالذِّكر ليقصِدها المتعبِّد بخصوصها؛ فإِنَّها هي العَون على سائر أَنواع العبادة إذ هو -سبحانه- لا يُعبد إلا بمعونته". مَجْمُوع الفَتاوَى، (١٧٦/١٠)، وينظر: مَدارج السالكين، (١٠٣/١).

ودفعِ المضَارِّ الدِّينيَّةِ والدُّنْيويَّةِ، الخَاصَّةِ والعامَّةِ، معَ الثِّقةِ باللهِ في ذلِكَ الْمطْلُوبِ[(١)].

الْمَحبَّةُ للهِ، والإنابةُ إلى اللهِ[(٢)]: هي قُوَّةُ الوُدِّ لِلهِ؛ لكَمالِهِ ونِعَمِهِ الظَّاهِرَةِ والبَّاطِنَةِ، وانْجِذَابُ القَلْبِ إِلى اللهِ؛ تَأَلُّهًا ورَغْبةً ورَهْبةً في كلِّ الْمَطالبِ، وطُمأْنينةُ القَلبِ بِذِكْرِهِ، واللَّهَجُ بِدُعائهِ، والرُّجوعُ إِليهِ في الأُمورِ الدِّينيَّةِ والدُّنْيويَّةِ الجَلِيلةِ والحَقِيرةِ، فمَن كان قلبُهُ مُنِيبًا إلى اللهِ فهُو مُحِبٌّ للهِ[(٣)].

والْمُنِيبُ هو: الأَوَّاهُ[(٤)] الرَّجَّاعُ إِلى اللهِ، الأَوَّابُ إِليهِ[(٥)].

الْمَعْرُوفُ، والْمُنْكَرُ: مُتَقَابِلانِ، فالْمَعرُوفُ: اسمٌ جامعٌ لِكُلِّ ما عُرِفَ حُسْنُهُ شَرْعًا وعَقْلًا، والمنْكرُ ضِدُّهُ[(٦)].

الخَبِيْثُ، والطَّيِّبُ: مُتَقَابِلانِ، فالطَّيِّبُ: ما كان طَيِّبَ الصِّفاتِ كثيرَ الْمَنَافِعِ، والخَبِيثُ: بالعكْسِ[(٧)].

حُسْنُ الخُلُقِ، وسُوءُ الخُلُقِ[(٨)]: يكونُ معَ اللهِ ومعَ خَلْقهِ؛ فَحُسْنُ الخُلُقِ معَ اللهِ: القِيَامُ بِعُبُودِيَّتِهِ ظَاهِرًا وبَاطِنًا، معَ قوَّةِ محبَّتهِ والطُّمأْنِينةِ إِليهِ، واللَّهَجِ بِذِكْرِهِ، وَقُوَّةِ الثِّقَةِ بهِ، ومعَ الخَلْقِ:

---

(١) للتَّوكل عدَّة تعريفات، وقد ذكر ابن القَيِّم رحمه الله كثيرًا منها، مُنبِّهًا إلى أنَّه مُركَّب مِن مجموعة أُمور، وكلٌّ أَشار إلى جانب منها، وما ذكره المؤلِّف رحمه الله يُعدُّ مِن أَجمعها. ينظر: تفسير السَّمعاني، (٢/٣٩٩)، وتفسير ابن رَجَب الحنبلي، جمع: طارق بن عوض الله، (٢/٤٨٤)، ومَدارِج السَّالِكين، (٢/١١٤-١٣٧).

(٢) قال ابن القَيِّم: "وحقيقة الإنْابة عُكوف القلب على طاعة الله ومحبَّته والإِقبال عليه". الفوائد، لابن القَيِّم، (ص:١٣).

(٣) قال جل جلاله: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق:٣١-٣٣].

(٤) الأَوَّاهُ: "الذي يُكثر التأوُّه، وهو أَنْ يقول: أَوَّه أَوَّه، وكلُّ كلام يدل على حزن يقال لَهُ: التَّأَوُّه، ويُعبَّر بالأَوَّاه عمَّن يُظهر خشية الله تعالى". المفْردات، مادَّة: (أوَّه)، وينظر: غريب القرآن، لابن قُتَيْبَة، (ص:١٩٣).

(٥) قال تعالى مُثنيًا على خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود:٧٥].

(٦) بهذا عرَّفهما الرَّاغب، وقال ابن تَيميَّة رحمه الله: "والمعروف: اسم جامع لكلِّ ما يحبُّه الله مِن الإيمان والعمل الصَّالح، والمنكر: اسم جامع لكلِّ ما نَهى الله عنه". اقتضاء الصِّراط المستقيم لِمخالفة أَصْحاب الجحيم، (١/١٠٦)، وينظر: المفْردات، مادَّة: (عرف)، والمحرَّر الوجيز، (٢/٤٦٣).

(٧) سبقت الإشارة إلى شيء مِن هذا: (ص:٦).

(٨) تحدَّث ابن القَيِّم رحمه الله بالتَّفصيل عن: "مَنزِلة الخُلق"؛ مبيِّنًا معناه، وفضله، ومكانته مِن الدِّين، وغير ذلك. ينظر: مَدارِج السَّالِكِين، (٢/٢٨٩-٣١٠).

بَذْلُ الإحسَانِ لَهُم، ومَنْعُ الأَذَى لَهُم(١)، واحتِمَالُ الأَذى مِنهُم(٢)، وسُوءُ الخُلُقِ بِعَكْسِ ذلِكَ كلِّهِ.

الشِّرْكُ، والكُفْرُ:

الكُفْرُ أَعَمُّ مِن الشِّرِكِ، فمَن جَحَدَ ما جاءَ بهِ الرَّسُولُ ﷺ أَو جَحَدَ بعضَهُ بِلا تَأْوِيلٍ فهُو الكافِرُ، مِن أَيِّ دِينٍ يَكونُ، سَواءٌ كانَ صاحِبهُ مُعانِدًا، أَو جَاهلًا ضالًّا(٣).

والشِّرْكُ نَوْعَانِ(٤):

- شِرْكٌ فِي رُبُوبِيَّتِهِ؛ كشِرِكِ الثَّنَوِيَّةِ(٥): الذين يُثْبِتونَ خَالِقًا معَ اللهِ.

- وشِرْكٌ فِي أُلوهيَّتِهِ؛ كشِرْكِ سائِرِ الْمُشْرِكِيْنَ، الذين يَعْبُدونَ اللهَ، ويَعْبُدونَ غَيْرَهُ، ويُشَرِّكونَ بَيْنَهُ وبَيْنَ المخْلُوقِينَ، ويُسَوُّونَهم فِي اللهِ فِي شَيءٍ مِن خَصائِصِ إِلَهيَّتِهِ(٦).

وقد يكُونُ هذا الشِّرْكُ أَكبرَ جَلِيًّا؛ كأَنْ يَصْرِفَ العبدُ نوعًا مِن أَنواعِ العِبادةِ لِغَيْرِ اللهِ(٧)، وقد يَكونُ أَصغَرَ؛ كوسائِلِ الشِّرِكِ؛ مِن الرِّياءِ، والحَلِفِ بِغَيرِ اللهِ، ونحوِ ذلِكَ(٨).

---

(١) الأَولى أَنْ يُقال: عنهم؛ لأَنَّ: "اللَّام" تدلُّ على الملك والاستحقاق، والاختصاص، وأَمَّا: "عن": فتدلُّ على المجاوزة والبعد. ينظر: اللُّباب في عِلل البناء والإِعراب، (١/٣٥٧)، وشرح المفصَّل، (٤/٤٧٩).

(٢) قال ابن القَيِّم رحمه الله: "وقد قِيل: إِنَّ حُسن الخُلق بذل النَّدى، وكفُّ الأَذى، واحتمال الأَذى، وقِيل: حُسن الخُلق: بذل الجميل، وكفُّ القَبيح، وقِيل: التَّخلِّي مِن الرَّذائل، والتَّحلِّي بالفضائل". مَدارج السَّالِكِين، (٢/٢١٢).

(٣) قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف:١٠٣- ١٠٥].

قال ابن القَيِّم رحمه الله: "وأَمَّا جحْد ذلك جهلًا، أَو تأْويلًا يعذر فيه صاحبه فلا يكفر صاحبه به، كحديث الذي جحد قدرة الله عليه، وأَمَر أَهله أَنْ يُحرِّقوه ويَذْرُوه في الرِّيح، ومع هذا فقد غفر الله لَهُ، ورحمه لجهله، إِذ كان ذلك الذي فعله مبلغ علمه، ولم يجحد قدرة الله على إِعادته عنادًا أَو تكذيبًا". مَدارج السَّالِكِين، (١/٣٤٨).

(٤) ذكرهما ابن القَيِّم رحمه الله مع التَّفصيل بالأَدلَّة في مَدارج السَّالِكِين، (١/٣٤٨-٣٥٤).

(٥) الثَّنَوِيَّةُ: مجوس زعموا أَنَّ للكون خالقَين، هما: النُّور للخير، والظَّلام للشَّرِّ. ينظر: الفَرْق بين الفِرق، (ص:٢٦٩)، والملل والنِّحل، (٢/٤٩).

(٦) أَخبر تعالى عن المشركين أَنَّهم قالوا لآلهتهم في النَّار: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:٩٧-٩٨].

(٧) كالنَّذر لغير الله، وطلب الحوائج مِن الموتى، والاستغاثة بهم.

(٨) قال السّعديُّ رحمه الله: "فإِنَّ حَدَّ الشِّرك الأَكبر وتفسيره الذي يجمع أَنواعه وأَفراده: أَنْ يصرف العبد نوعًا مِن أَفراد العبادة لغير الله؛ فكلُّ اعتقاد أَو قول أَو عمل ثبت أَنَّه مأْمور به مِن الشَّارع فصَرْفُه لله وحده توحيد وإِيمان =

النِّفَاقُ: هو أَنْ يُظْهِرَ الخَيرَ، ويُبْطِنَ الشَّرَ، وهو نَوعانِ[(١)]:

- نِفَاقٌ أَكْبَرُ؛ كأَنْ يُظْهِرَ الإيمانَ باللهِ ورَسولِهِ، وقَلْبُهُ مُنْطَوٍ على الكُفْرِ[(٢)].

- ونِفَاقٌ أَصْغَرُ؛ كالكَذِبِ، وإِخْلافِ المَوَاعِيدِ، والفُجُوْرِ في الْخُصُوْمَةِ[(٣)].

الكِبْرُ، والتَّواضُعُ:

فَسَّرَ النَّبِيُّ ﷺ الكِبْرَ بأَنَّهُ: ((بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ))[(٤)]، يَعْنِي: وضِدُّهُ التَّواضُعُ لِلحقِّ؛ قَبُولُهُ حيثُ كانَ، ومعَ مَن كانَ، ولِيْنُ الجانِبِ، والتَّواضُعُ للخَلْقِ[(٥)].

فهذهِ الحُدُودُ يَنْبَغِي أَنْ تَعْتَبِرَها في كلِّ ما يَمُرُّ عليكَ مِن نُصوصِ الكتابِ والسُّنَّةِ؛ لِتَهْتَدِيَ إلى معرفةِ ما يَدخُلُ في الأُمورِ التي حَكَمَ اللهُ عليها بالأَحكامِ المتَنوِّعةِ، وما لا يَدخُلُ؛ فَيَحْصُلُ لَكَ الفُرْقانُ، والبَيَانُ والرَّشَادُ[(٦)].

فنَسأَلُ اللهَ أَنْ يهدِيَنا إلى الصِّراطِ المستقيمِ، وهو العِلمُ بالحقِّ والعمَلُ بهِ، ويُجَنِّبَنا الطُّرُقَ الْمُخَالفةَ لذلِكَ.

وقد يَسَّرَ اللهُ تَتْمِيمَ هذا التَّعليقَ المباركَ في: ٣ شوَّالٍ سَنةَ ١٣٦٨[(٧)].

وإخلاص، وصَرْفُه لغيره شرك وكفر. . . كما أَنَّ حدَّ الشِّرك الأَصغر هو: كلُّ وسيلة وذريعة يُتَطرَّق منها إلى الشِّرك الأكبر؛ مِن الإرادات والأَقوال والأفعال التي لم تبلغ رُتبة العِبادة". القول السَّديد، (ص:٥٨).

(١) نصَّ عليهما ابن تيميَّة، أَمَّا ابن القيِّم رحمه الله فقد بينهما مع استعراضٍ وافٍ للنُّصوص، وتفصيل دقيق لحال المنافقين، وبلائهم، وخطرهم في كلِّ زمان. ينظر: مَجْموع الفتاوى، (١١/١٤٣)، ومَدارج السَّالِكين، (١/٣٥٤-٣٦٧).

(٢) قال تعالى مُخْبِرًا عن المنافقين: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:٤٧].

(٣) أخرج البخاريُّ في صحيحه، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، (١/١٦) ح (٣٤)، واللَّفظ لَهُ، ومسلم في صحيحه، كتاب الأحكام، باب بيان خصال المنافق، (١/٧٨) ح (٥٨)، عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: ((أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ)).

(٤) سبق تخريجه: (ص:٦).

(٥) أَشار ابن القيِّم رحمه الله إلى هذا؛ مُبيِّنًا "منزلة التَّواضع"، ومعناه وفضله وأَدلَّته، في مَدارج السَّالِكين، (٢/٣١٨-٣١٠).

(٦) س: "والرَّشاد والبيان".

(٧) س: "ثالث شوَّال مِن شهور سنة ثمان وستِّين بعد الثَّلاثمائة والأَلف مِن الهجرة النَّبويَّة".

=

فكانَ على اختصارِهِ وإيجازِهِ ووضُوحِهِ فِيهِ مَعُونةٌ عَظيمةٌ على فَهْمِ كلامِ ربِّ العالَمِينَ[(١)]، وأَنَّ كلامَ اللهِ كَفِيلٌ بِبَيَانِ كلِّ شَيءٍ يَنْتَفعُ بهِ العِبادُ؛ في مَعَاشِهِم ومَعادِهِم، وإرشادِهِم إلى كلِّ ما فِيهِ مَصالِحُهُم الْمُتَنَوِّعَةُ، ومَنَافِعُهُم الْمُتَعَدِّدَةُ، وأَنَّهُ يَتَعذَّرُ الصَّلاحُ والإِصلاحُ لِلأَحوالِ كلِّها إلَّا بسُلوكِ الطُّرُقِ التي أَرْشَدَ إليها هذا القرآنُ؛ في أُصولِ الدِّينِ وفُروعِهِ، وفي الأَخلاقِ والآدابِ، وفي الأُمورِ الدَّاخليَّةِ والخَارجيَّةِ.

والحمدُ للهِ الذي جعَلَ كتَابَهُ هدىً وشِفَاءً، ورَحمةً ونُورًا.

و((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ))[(٢)].

وصلَّى اللهُ على مُحمَّدٍ وعلَى آلِهِ وصَحْبِهِ ومَن تَبِعَهُم بإِحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

بخطِّ الفَقِيرِ إلى اللهِ مِن كافَّةِ الوُجُوهِ: عبدُالرَّحمنِ بنُ ناصرِ بنِ عبدِاللهِ السّعديُّ، غفرَ اللهُ لَهُ ولوالدَيهِ ولجميعِ المسلِمِينَ. آمِينَ[١٦٨].

نَسَخه "البسَّام"، بعدما فراغ منه المؤلِّف بأربعة أيَّام، وقال: "ووقع الفراغ مِن نقله مِن خطِّ المؤلِّف في سابع مِن الشَّهر المذكور، والسَّنَة المذكورة، بقلم الفقير إلى ربِّه: محمَّد السُّليمان العبدالعزيز البسَّام". ينظر: (س)، (ص:٢٠٣).

(١) نصَّ ابن عُثَيْمِيْنَ رحمه الله على أَنَّ العالم قد يُثْني على كتاب لا فَخرًا، ولا ترفُّعًا على الخَلق، وإنَّما لشحذ الهِمم إلى قِراءَتها، والاستفادة منها، ومِن ذلك ما أَخرجه البخاريُّ في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب القُرَّاء من أَصحاب النَّبِيِّ ﷺ، (١٨٧/٦) ح (٥٠٠٢)، أَنَّ عبدَالله بنَ مسْعُود رضي الله عنه قَالَ: "وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَلَا أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ، تُبَلِّغُهُ الإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ". ينظر: شرح القواعد الحِسان لتفسير القرآن، (ص:٧-٨).

(٢) جرَت عادة العلماء رحمهم الله أَنْ يختِموا مؤلَّفاتهم بهذا الحَمْد، وقد أَخرج ابن ماجه في سننه، كتاب الأَدب، باب فضل الحامِدين، (١٢٥٠/٢) ح (٣٨٠٣)، واللَّفظ لَهُ، وابن السُّنيِّ في عمل اليوم واللَّيلة، (ص:٣٣٤) ح (٣٧٨)، والحاكم في المستدرَك، (٦٧٧/١) ح (١٨٤٠)، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَأَى مَا يُحِبُّ قَالَ: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ. . .))".
صحَّحه الحاكم، وسكت عنه الذَّهبيُّ، وحسَّنه الأَلبانيُّ، والأَرْنَؤُوط رحمهم الله. ينظر: تَخريج الكَلِم الطَّيِّب، للأَلباني، (ص:١٢٦) ح (١٤٠)، وسنن ابن ماجه، تحقيق الأَرْنَؤُوط، وآخرين، (٧١٣/٤) ح (٣٨٠٣).

الفهارسُ:

١- فهرسُ الآياتِ القُرآنيَّةِ.

٢- فهرسُ الأَحاديثِ النَّبويَّةِ.

٣- فهرسُ الآثارِ.

٤- فهرسُ الأَلفاظِ الغَرِيْبةِ.

٥- فهرسُ الْمُصْطَلَحَاتِ.

٦- فهرسُ الأَعلامِ.

٧- فهرسُ القبائلِ والفِرقِ.

٨- فهرسُ الأَماكنِ، والبُلدانِ.

٩- فهرسُ المصادرِ والمراجعِ.

١٠- فهرسُ الموضوعاتِ.

فهرسُ الآياتِ القرآنيَّة:

الآيات	الرقم	الصفحة
سورة: الفاتحة		
﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ﴾.	١–٧	١٠١، ٥٣١، ٦١٢
سورة: البقرة		
﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾.	١–٢	٩٦، ٥٤٨، ٦١٣
﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾.	٢٣	١٣٥
﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾.	٢٩	٣١٨
﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ﴾.		٥٣٦
﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾.	٣٠	٣٤١
﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾.		٣٤١
﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾.	٣١	٣٤٣
﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾.		٣٤٢
﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.	٣٢	١١٤، ٣٤٢، ٣٥٠
﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ﴾.	٣٤	٣٤٣
﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ﴾.	٣٦–٣٧	٣٤٨
﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾.	٣٨	٣٤٦
﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾.	٤٣	١٨٤، ١٩٣، ٥٨١
﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾.	٤٥	٥٩٩
﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾.	٤٦	٥٦٨
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾.	٦٢	٥٣٢
﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗ﴾.	٧٤	٥٦٤
﴿وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.	٧٨	٥٦٨
﴿بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾.	٨١	٥٦٤، ٥٧٨، ٥٨٣
﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾.	٨٧	٤٠٨

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾.	٨٩	٥١٣
﴿مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾.	٩٨	٥٥٧
﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾.	١٠٢	٤٣٩، ٥٥٤
﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.	١٠٥	٥٧٧
﴿مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾.	١٠٧	٥٣٣
﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾	١١٥	١٩١
﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗى﴾.	١٢٥	٣٩٢
﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ...﴾.	١٢٧-١٢٩	٣٨٥، ٥٣٤
﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥ...﴾.	١٣٠-١٣٢	٣٩٢
﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾.	١٣٦	١٠٧، ٤٨٢
﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡ﴾.	١٣٤، ١٤١	٥٣٤
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾.	١٤٣	٥٤٦
﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾.		٦١١
﴿وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ﴾.	١٤٤	٥٨٢
﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ ...﴾.	١٤٨	١٨٨
﴿مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.	١٥٣	٥٣٩
﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾.	١٦٣	١١٣، ١٢٧
﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ...﴾.	١٦٤	١٢٨، ٦٠٣
﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾.	١٧٣	٣٣٥
﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾.	١٧٧	١٨٨، ٦٢٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ﴾.	١٧٨-١٧٩	٣٠٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾.	١٨٣-١٨٥	٢١٨، ٥٨١، ٦١٣
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾.	١٨٦	٢٢٢
﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡ﴾.	١٨٧	٢٢٤، ٥٨١، ٦٠٥، ٦٢١

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾.	١٨٨	٣٢٦، ٥٨١
﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾.	١٨٩	٥٥٠
﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.	١٩٤	٥٣٩
﴿وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾.	١٩٥	٥٩٩،٦٠٢،٦٢٢
﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾.	١٩٦-٢٠٣	٢٢٧،٥٢٧،٥٢٩، ٥٣٢، ٥٦٣، ٥٧٨
﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.	٢٠٩	٥٥٧
﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.	٢١٦	٤١٢
﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾.	٢٢١	٢٧٤
﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾.	٢٢٢	٢٠٦
﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾.	٢٢٤	٣١٧
﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.	٢٢٥	٣١٥
﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾.	٢٢٦-٢٢٧	٣٠٣، ٥٥٨
﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾.	٢٢٨	٢٩٨، ٣٠٠
﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا﴾.		٢٩٥، ٢٩٩
﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾.	٢٢٩-٢٣١	٢٢٦،٢٩٤،٥٧٧، ٦٠٥، ٦٢١
﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ ...﴾.	٢٣٢	٢٧٥،٢٩٥
﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾	٢٣٤	٢٩٨، ٢٩٩
﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً ...﴾.	٢٣٦-٢٣٧	٢١٢، ٣٠٠
﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾.	٢٣٨-٢٣٩	١٩٠،١٩١،٢٣٦، ٥٤١، ٥٥٧
﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾.	٢٤١-٢٤٢	٣٠١، ٥٥٥
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾.	٢٤٣	٥٩٣
﴿إِذْ قَالُواْ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.	٢٤٦	٤٣١
﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾.	٢٤٧	٤٣١، ٥٥٠

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾.	٢٤٩	٢٤٦
﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾.	٢٥٠	٤٣١
﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾.	٢٥١	٤٣١
﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.	٢٥٤	٥٧٧
﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾.	٢٥٥	١١٢، ١١٥، ٥٤٨
﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ﴾.	٢٥٨	٣٨١، ٥٤١
﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾.		٣٨١
﴿قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ﴾.		٣٩١، ٥٥٣
﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾.	٢٦٠	٣٩٠، ٥٦٦
﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ﴾.	٢٦١	٥٨٥
﴿قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ﴾.	٢٦٣	١٦٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ﴾.	٢٦٧	١٩٣
﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾.	٢٦٨	١٩٨، ٣٤٥
﴿وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾.	٢٦٩	٥٥١
﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾.	٢٧١	٥٨٦
﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّ﴾.	٢٧٥	٢٥٥
﴿إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾.		٢٥٣، ٤٠٥
﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾	٢٧٦	٢٥٦، ٥٦٩
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾.	٢٧٧	٥٣١
﴿وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ﴾.	٢٧٩	٢٥٦
﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖ﴾.	٢٨٠	٢٥٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُ﴾.	٢٨٢	٢٥٣، ٢٥٩، ٢٦١، ٣٢٤، ٣٣٣، ٥٧٨
﴿وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞ﴾.	٢٨٣	٢٠٧، ٢٦٤
﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾.	٢٨٥	١٥١، ٥٨٠

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.	٢٨٦	٣٣٥
سورة: آل عمران		
﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾.	٢	١١٥
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾.	٥	١٢٢، ٥٤٨
﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾.	٧	٩٨، ٩٨
﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾.		٥٣٧
﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا﴾.	١٣	٨٠
﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾.	١٨	١١٦، ١١٩
﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾.	٣١	٦٠١
﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾.	٣٦-٣٧	٣٩٤،٤٦٦،٤٦٧، ٤٦٨،٤٧٤،٥٤١
﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾.	٤٩	٤٧١
﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.	٥٢	١٠٧
﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.	٥٩	٣٩٤
﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.	٦٧	٣٧٥
﴿يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.	٧٦	٦٠٢، ٥٦١
﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾.	٨١	٣٦٥
﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا﴾.	٨٣	٥٤٠
﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾.	٩٦-٩٧	٢٢٧، ٣٩٠،٥٢٦، ٥٨١
﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾.	١١٣	٥٣٤
﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.	١٢١	٢٤٩
﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾.	١٢٨	١١٠، ٥٠٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾.	١٣٠	٢٥٣
﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾.	١٤٠	٢٥٠
﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾.	١٤٤	٢٥٠

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾.	١٤٦-١٤٨	٢٤٦، ٦٠٢
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾.	١٥٢	٥٥٤، ٥٧٨
﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾.	١٥٤	٥٦٨
﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾.	١٥٩	١٤١، ٢٤٩، ٦٠٤، ٥١١، ٥٤٢، ٥٦١
﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾.	١٦٠	٢٤٧
﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾.	١٦٤	١٣٣، ٥١٠
﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾.	١٧٠	٥٦٩
﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾.	١٧٤	٥١٧
﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.	١٨٩	٥٥٤
﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾.	١٩٣	٥٧٨
سورة: النساء		
﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.	١	٣٤٨، ٥٨١
﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾.	٣-٤	٢٧٢، ٣٢٩
﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾.	٦	٢٦٣
﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾.	١١-١٣	٢٦٦
﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا﴾.	١٤	٥٧٨، ٥٨٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾.	١٩-٢١	٢٧٦
﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾.	٢٢	٢٧٩
﴿ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ﴾.	٢٣	٢٨٠
﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾.		٢٨١
﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾.	٢٤	٢٨١
﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾.		٢٨٠، ٢٨٢
﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾.	٢٥	٢٨٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾.	٢٩	٢٥٣، ٢٥٨، ٣٢٥

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾.	٣٤	١١٥، ٢٨٣
﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾.	٣٥	٢٨٦
﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾.	٣٦	١٦٣، ٦١٢
﴿وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.	٣٧	١٦٣
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾.	٤٠	٥٤٨
﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾.	٤٣	٣٣٥
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.	٤٨، ١١٦	٥٧٥
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾.	٥٨	٦٢١
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾.	٥٩	٢٥١،٣٢٣، ٦٠٨
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾.	٦٥	١٦١
﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾.	٦٩	١٠٥
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا﴾.	٧١	٢٤٩، ٥٣٠، ٦٠٠
﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾.	٧٧	٢٣٩
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.	٨٢	٥٢٨، ٦١١
﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾.	٨٤	٦٠١
﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾.	٨٧	٥٨٨
﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾.	٩٠	٢٥٢
﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾.	٩٣	٥٨٣
﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.	١٠٠	٣٩١
﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾.	١٠١	٢١٥
﴿وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾.	١٠٢	٢٥٠
﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾.		١٩٢
﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ﴾.		٢٥٠
﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾.	١٠٣	١٨٤، ١٨٦
﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾.	١٠٤	٢٤٥

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾.	١٠٥	٣٢٣
﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.	١١٠	٥٧٧
﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾.	١١٢	٥٧٨
﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾.	١١٣	١٠٩
﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾.	١١٥	٥٦٥
﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾.	١١٨-١٢٠	٣٥١
﴿أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾.	١٢٢	٥٨٨
﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾.	١٢٥	٣٨٩
﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾.	١٢٨	٢٨٨،٢٨٩، ٢٩١
﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾.	١٢٩	٢٩١
﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾.	١٣٠	٢٩١، ٦٠٥
﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾.	١٣١	٣٩٣
﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾.	١٤٠	١٧٧
﴿لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾.	١٤٨	٥٧٧
﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾.	١٥٦	٤٧١
﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾.	١٥٧	٤٧١
﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.	١٥٨	٤٧٣
﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾.	١٥٩	٤٧٣
﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾.	١٦٣	٥٠٣
﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾.	١٦٥	٣٤٦
﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾.	١٧١	٤٧١
﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾.	١٧٤	٩٧
﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾.	١٧٦	٢٦٦
سورة: المائدة		

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾.	١	٣٢٧، ٦٢١
﴿يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗا﴾ .	٢	٦١٨
﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾.		٤٨٨، ٥٢٩، ٥٨١، ٦١٥
﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ﴾.	٣	٣١٨، ٥٢٧، ٥٦٠
﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ﴾.	٥	٢٧٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾.	٦	٢٠٣
﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ﴾.	٨	٥٨١
﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ﴾.	١٥-١٦	٩٧، ١٥٦، ٥٠٦، ٥٥٦، ٦٠٠، ٦١٣
﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾.	١٧	٤٧١
﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.	٢٣	١٥٩
﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.	٣٤	٢٨٥، ٥٥٩
﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾.	٣٨	٢٠٨، ٣١١، ٥٥٤، ٥٥٩، ٥٩٧
﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِ﴾.	٣٩	٢٨٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾.	٤١	١٠٨
﴿وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾.	٤٢	٣٢٣، ٥٦١
﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ﴾.	٤٤	٤٠٨
﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾.	٤٩	٣٢٣
﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾.	٥٠	١٣٨، ٢٨٧، ٣٢٣، ٥٢٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ﴾.	٥٤	٦٢٢
﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾.	٥٥	١٩٣
﴿وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗا﴾.	٥٨	٢١٤
﴿مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞ﴾.	٦٦	٥٣٤

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ﴾.	٧٨	٥٣٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ﴾.	٨٧-٨٩	٣١٤، ٥٨١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ﴾.	٩٥	٢٣١، ٣٢٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾.	١٠١	٦٠٠
﴿لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾.	١٠٨	٥٥٣
﴿فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾.	١١٠	٤٧٢
﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.	١١٨	٥٥٧
﴿هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ﴾.	١١٩	٥٧١
سورة: الأنعام		
﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ﴾.	١٩	١١٧
﴿وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ﴾.	٢٥	٥٠٥، ٥٦٢
﴿وَهُمۡ يَنۡهَوۡنَ عَنۡهُ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُۖ وَإِن يُهۡلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾.	٢٦	٥٩٢
﴿فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾.	٣٣	٥٠٥
﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ﴾.	٣٥	٥٥٤
﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾.	٤٣	٥٦٢، ٥٦٤
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾.	٤٤	٥٧٠
﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾.	٥٠	١١٠
﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾.	٥٩	١١٤، ١٢٢
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾.	٦١	١٥٢
﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ﴾.	٦٨	١٧٧
﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾.	٧٥	٣٧٤، ٣٩٠، ٥٦٥
﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾.	٧٦	٣٧٥، ٣٧٦
﴿بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾.	٧٧	٣٧٦
﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ﴾.	٧٨-٧٩	٣٧٦
﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ﴾.	٨٠	٣٧٥

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾.	٨١	٣٧٧
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾.	٨٢	٣٧٧
﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾.	٨٣	٣٧٥، ٣٩٠
﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾.	٩٠	٣٣٩، ٣٦٢
﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾.		٣٤٠، ٥٥١
﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.	١٠٨	٥٠٩
﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾.	١٠٩	٥٠٩
﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.	١١٠	٥٠٦
﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾.	١١٥	٣٢٣، ٥٢٨
﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾.	١١٩	٣١٨، ٣٣٥
﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾.	١٢١	٣١٨
﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾.	١٢٢	٥٦٢
﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾.	١٢٤	٥١٠
﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾.	١٣٢	٥٧٧
﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾.	١٤١	١٩٣، ١٩٥
﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾.	١٤٥	٣١٨
﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾.	١٥١	١١٠،١٢٣،٥٥٥
﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.	١٥٢	٢٦٣، ٥٥٢
﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾.		٥٥٢
﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾.	١٦٠	٥٨٤
﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.	١٦٤	١١٦
﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾.	١٦٥	٣٤٨
سورة: الأعراف		
﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.	٨	٥٧٤
﴿ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾.	١١	٣٤٣

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾.	١٢	٣٤٤
﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾.	١٣	٣٤٤
﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.	١٦-١٧	٣٤٤
﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.	١٩	٣٤٧
﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾.	٢٠-٢٢	٣٤٧
﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾.	٢٢	٣٤٧
﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.	٢٣	٣٤٨، ٣٥١، ٤٤٣
﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾.	٢٦	٣٤٨، ٥٢٩
﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾.	٢٧	٣٤٨
﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾.	٣٠	٥٠٦، ٥٥٣
﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.	٣١	٥٥٩
﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ﴾.	٤٦-٤٧	٥٧٤
﴿أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾.	٥٠	١٤٩
﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.	٥٢	٩٧
﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾.	٥٣	٥٣٧
﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾.	٥٤	٥٣٦
﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.		٥٥٨
﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾.	٥٥-٥٦	١٧٤، ٥٩٨
﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾.	٥٨	٦١٠
﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾.	٥٩	٣٥٣، ٣٥٨
﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.	٦٦	٣٦٤
﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ﴾.	٧٤	٣٧٠
﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾.	٧٩	٣٧٢
﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.	١٢٨	٦٠١
﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾.	١٣٣	٤١٩

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾.	١٤٤	٦٠٢
﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾.	١٤٦	٥٥٣
﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ﴾.	١٥٣	٥٧٨
﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ﴾.	١٥٧	٣١٨
﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ﴾.	١٧٠	٥٥٧، ٥٩٧
﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾.	١٧٦	٥٨٧
﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾.	١٨٠	١٠٩، ١٠٢١
﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَا﴾.	١٨٩	٣٤٦
﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾.	١٩٩	١٤١، ١٨٢، ٤٠٧
﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.	٢٠٠	٣٥٢
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾.	٢٠١	١٥٦، ٣٥٢
﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾.	٢٠٥	٤٢٣، ٥٣٨
سورة: الأنفال		
﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ﴾.	١	١١٤
﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾.	٢-٤	١٥٦، ٥٠٦، ٦١٩
﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ﴾.	٢٥	٣٦٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾.	٢٧	٦٢١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾.	٢٩	٢٢٣، ٢٦٣، ٥٩٧، ٦٠٠
﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَ﴾.	٣٠	٤٠١، ٥١٣
﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾.	٣٨	٥٥٣
﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾.	٣٩	٢٤٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ﴾.	٤٥-٤٧	٢٤٨،٢٤٥،٦٢٢
﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾.	٦٠	١٥٨، ٢٤٨، ٥٥٢، ٦٠٠

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.	٦٢	٥٠٤
سورة: التوبة		
﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾.	٣-٥	١٠٨، ١٩٣، ٥٢٦
﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾.	١١	١٩٣
﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾.	١٤	٦٠١
﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾.	١٨	١٩٣
﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾.	٢٥-٢٦	٢٤٨، ٥٢٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾.	٢٨	٦٠٥، ٦١٨
﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾.	٢٩	٥٨١
﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.	٣٢-٣٣	١٣٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾.	٣٨-٣٩	٥٢٦
﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾.	٤٠	٤٢٥، ٥١٥، ٥٣٩
﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ﴾.	٤٢	٥٢٥
﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾.	٤٥	٥٦٢
﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾.	٦٠	١٩٦، ٢٠٠
﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.	٦٧	٥٧٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾.	٧٣	٥٥٢
﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾.	٧٥-٧٧	٥٦٥
﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾.	٨١-٨٧	٢١٧، ٢٤٦، ٥٢٤
﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾.	٨٨	٥٢٥
﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾.	٩١-٩٢	٥٢٤
﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾.	١٠٠	٥٧٢
﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾.	١٠٣	١٩٣
﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾.	١٠٨	٥٦١
﴿عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾.	١١٤	٣٨٩

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾.	١١٧	٥٢٥
﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾.	١١٨	٥٢٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.	١١٩	٥٧١
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ﴾.	١٢٠-١٢١	٢٤٦
﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾.	١٢٤-١٢٥	٩٧، ١٥٧
﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾.	١٢٨	٤٠٧،١٤١، ٥١٠
سورة: يونس		
﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾.	١٤	٣٤١
﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُواْ﴾.	١٩	٣٥٣
﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾.	٣٢	٣٧٣
﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾.	٣٨	١٣٥
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾.	٤٤	٥٤٨
﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾.	٤٥	٥٤٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ﴾.	٥٧	٩٧
﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾.	٥٨	٥٦٩
﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾.	٥٩	٣٣٢
﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾.	٦٥	١٢٣
﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنِۭ بِهَٰذَآ﴾.	٦٨	٥٣٥
﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.	٨٧	١٨٤
﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾.	٩٤	٥٤٨
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.	٩٦-٩٧	٣٧٨، ٥٥٣
﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾.	٩٨	٤٢٧
﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.	١٠١	٥٨٧
﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ﴾	١٠٢-١٠٣	٥٩٣
سورة: هود		

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾.	١	٩٨، ٥٤٩
﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.	٤	٥٥٤
﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾.	٦	١٣٠، ٢٩٢
﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.	٧	٥٨٥
﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾.	١٠	٥٧٠
﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾.	١٣	١٣٥
﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾.	٢٧	٣٥٤، ٣٥٩، ٣٦١
﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾.	٢٩	٣٦٢
﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.	٢٩-٣٠	٣٥٤
﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾.	٣١	٣٥٤، ٣٦٢
﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾.	٣٥	٥٧٨
﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾.	٣٧	٣٥٥
﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾.	٣٨	٣٥٥، ٥٥٤
﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾.	٤٠	٣٥٥
﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ﴾.	٤٠-٤١	٣٥٥، ٣٥٧، ٣٦٢
﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾.	٤٢	٣٥٥
﴿تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾.		٣٥٦
﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾.	٤٣	٣٥٦
﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ﴾.		٣٥٦
﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ﴾.	٤٤	٣٥٦
﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾.		٣٥٧، ٥٣٦
﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾.	٤٥	٣٥٧
﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾.	٤٦	٣٥٧
﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.		٣٥٧

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ﴾.	٤٧-٤٨	٣٥٧، ٤٤٣
﴿يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ﴾.	٥١	٣٦٢
﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾.	٥٢	٤٠٧
﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ﴾.	٥٣	٣٦٤
﴿إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾.	٥٤-٥٦	٣٦٥
﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآ﴾.	٦٢	٣٧٠
﴿أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾.		٣٧٣
﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِ﴾.	٦٤	٣٧٠
﴿تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ﴾.	٦٥	٣٧١
﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ﴾.	٦٩	٣٨٧
﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ﴾.	٦٩	٣٨٧
﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗ﴾.	٧٠	٣٨٧
﴿وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾.	٧١	٣٨٧
﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ﴾.	٧٢-٧٣	٣٨٨
﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ﴾.	٧٥	٦٢٤
﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ﴾.	٧٦	٣٩٦
﴿وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ﴾.	٧٧	٣٩٦
﴿قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ﴾.	٧٨	٣٩٧
﴿يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡ﴾.		٣٩٧، ٣٩٩
﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾.		٣٩٨
﴿أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾.		٤٠٠
﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ﴾.	٧٩	٣٩٧
﴿قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾.	٨٠	٣٩٨، ٤٠٠
﴿عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ﴾.	٨٢-٨٣	٣٩٨
﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا﴾.	٨٤-٨٥	٢٥٨، ٤٠٤

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.	٨٦	٤٠٤
﴿يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾.	٨٧	٤٠٢، ٤٠٤
﴿يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾.	٨٨	٤٠٢
﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾.		١٣، ٤٠٢، ٤٠٥
﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ﴾.	٨٩	٤٠٣، ٤٠٧
﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾.	٩٠	٤٠٣
﴿مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾.	٩١-٩٢	٤٠٠، ٤٠٣
﴿وَيَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾.	٩٣-٩٤	٤٠٣
﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾.	٩٤	٤٠٣
﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾.	١٠١	٣٦٨
﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾.	١١٤	٤٢٦، ٥٩٩
﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَـٰذِهِ ٱلْحَقُّ﴾.	١٢٠	٣٣٩، ٥٠٠
﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.	١٢٣	٥٣١،٦٢٣
سورة: يوسف		
﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.	٢	٩٦، ٥٥٥، ٥٨٢
﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾.	٥	٤٧٩
﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾.	٦	٤٧٩،٤٧٧،٤٨٠
﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَـٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾.	٧	٥٩، ٤٧٥
﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا﴾.	٨	٤٨٠
﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾.	٩	٤٨٢
﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ﴾.	١٠	٤٨٢
﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.	١٥	٤٩٤
﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ﴾.	١٦-١٨	٤٨٠
﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾.	٢٠-٢١	٤٨٣
﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾.	٢٣	٤٨٣

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ﴾.	٢٤	٤٨٤، ٥٨٥، ٦٠٢
﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ﴾.	٢٥	٤٨٣
﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ﴾.	٢٦	٤٨٥
﴿وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ﴾.	٣٠	٤٨٣
﴿وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا﴾.	٣١	٤٨٦
﴿قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ﴾.	٣٢-٣٤	٤٨٤،٤٨٦، ٤٨٦
﴿خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ﴾.	٣٦	٤٧٨
﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.		٤٨٢، ٤٨٧
﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ﴾.	٣٧	٤٨٩
﴿إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾.	٣٧-٣٨	٤٨٨
﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾.	٣٩-٤٠	٤٨٧
﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾.	٤١	٤٨٩
﴿لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾.	٤٢	٤٨٨
﴿وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ﴾.	٤٥-٤٦	٤٨٩، ٥٣٤
﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا﴾.	٤٧-٤٩	٤٨٩
﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾.	٤٩	٤٧٨
﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ﴾.	٥٠-٥١	٤٨٦،٤٨٩
﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾.	٥٥	٢٦٥، ٤٩٠، ٤٩١
﴿وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾.	٥٧	٤٩٠
﴿أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾.	٥٩	٤٩١
﴿هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُ﴾.	٦٤	٤٩١
﴿وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ﴾.	٦٥	٤٩١
﴿يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ﴾.	٦٧	٤٩٢
﴿كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ﴾.	٧٦	٤٩٢
﴿أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾.	٧٧	٤٨١

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾.	٧٩	٤٩٢
﴿وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا﴾.	٨١	٤٩٢
﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗا﴾.	٨٣	٤٩١
﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾.	٨٤-٨٦	٤٨١، ٤٩٣
﴿مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ﴾.	٨٨	٤٩٤
﴿قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ﴾.	٨٩	٤٨١
﴿قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.	٩٠	٤٩٤، ٥٩٩، ٦٠١
﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾.	٩١	٤٨١
﴿قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.	٩٢	٤٨١، ٤٨٢
﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾.	٩٧-٩٨	٤٨١
﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ﴾.	٩٩-١٠٠	٤٨٢
﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗا﴾.	١٠٠-١٠١	٤٧٦،٤٧٩،٤٩٤، ٥٣٧
﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ﴾.	١٠٢	٤٧٩
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓ﴾.	١٠٩	٢٨٣
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ﴾.	١١٠	٣٤٠، ٣٨٣، ٤٩٣
﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾.	١١١	٨٠، ٣٤٠
سورة: الرعد		
﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾.	٧	٥٤٣
﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾.	١١	١٥٢، ٣٤٦
﴿أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾.	١٩	٦١١
﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾.	٢١	٦٠٨
﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ﴾.	٢٣-٢٤	٥٤٥،٦٠٨، ٥٩٩
﴿وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾.	٢٦	٥٧٠
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾.	٢٨	٥٦٧، ٦٠٩

الآيات	الرقم	الصفحة
سورة: إبراهيم		
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾.	٤	٥٣٦
﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾.	٧	١٩١، ٥٤١،٥٩٧، ٦٠١
﴿فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾.	١٠	٥٣٥
﴿إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾.	١١	٣٦٠
﴿طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾.	٢٤	٦٠٩
﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ﴾.	٢٦	٦٠٩
﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.	٣١	١٨٤
﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾.	٣٧	٣٨٣،٣٩٣
﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُ﴾.	٣٨-٤١	٣٨٣، ٣٨٧،٣٩١
سورة: الحجر		
﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ﴾.	١	٩٦
﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾.	٨	٥٤٨
﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ﴾.	١٥	١٥٦،١٦٢، ٥٦٧
﴿وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾.	٢٧	٣٤١
﴿رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾.	٣٦	٣٤٤
﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٣٧ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ﴾.	٣٧-٣٨	٣٤٤
﴿لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ﴾.	٤٨	٥٤٩
﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.	٧٧	٦٠٣
﴿كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ٩٠ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ﴾.	٨٩-٩١	٥٠٧
﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.	٩٢-٩٣	٥٤٦
سورة: النحل		
﴿وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾.	٨	٥٣٠
﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞ﴾.	٩	٥٣٠

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿ فَادْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾.	٢٩	١٧٢
﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ﴾.	٣٠	٥٣٢
﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾.	٣٢	٦٠٤
﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا ﴾.	٣٦	٣٦٧
﴿وَلَأَجْرُ ٱلْأَخِرَةِ أَكْبَرُ﴾.	٤١	٥٣٢
﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾.	٤٣	١١٧، ٦٠٠
﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.	٤٤	٩٦، ١٠٩
﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾.	٦٨	٤٥٣
﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ ﴾.	٨٨	٥٩٧
﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾.	٨٩	٩٦، ٥٢٧
﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾.	٩١	٦٢١
﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾.	٩٧	٥٣١، ٥٩٧، ٦٠٩
﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾.	٩٩-١٠٠	١٥٥، ٣٤٥، ٥٣٥، ٦٠٣
﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾.	١٠٣	١٣٦
﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾.	١٠٦-١٠٨	٥٥٣
﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾.	١٢٠	٥٣٤
﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾.	١٢٣	٣٧٥، ٣٨٩
﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾.	١٢٥	٦٠٥، ٦٠٧، ٥٠٦
﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ﴾.	١٢٦	٣٠٦
﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾.	١٢٧	٦١٤
سورة: الإسراء		
﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾.	١	٥١١، ٥٤٧
﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾.	٩	٩٩، ٥٢٨، ٦١٣
﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾.	١٧	٥٧٨

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾.	١٩	٥٧٠
﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.	٢٣-٣٩	٩٦، ٥٥٢، ٥٦١
﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾.	٤٤	١٢٥، ٤٣٥، ٥٤٧
﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾.	٤٧	١٣٩
﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾.	٤٨	١٣٩
﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.	٥٣	٣٥١
﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾.	٥٩	٥٠٩
﴿اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا﴾.	٦٣-٦٤	٣٤٥
﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾.	٦٩	١٣٠
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾.	٧٠	٣٤١
﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾.	٧٤	٥٠٨
﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾.	٧٨-٧٩	١٨٤، ٥٨١
﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾.	٨٠	٥٧١
﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾.	٨١	١٣٦
﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾.	٨٨	١٣٥
﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا﴾.	٩٠-٩٣	٥٠٩
﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾.	١٠٦-١٠٩	٥٠٠، ٥٨٨
﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ﴾.	١١١	٥٤٧
سورة: الكهف		
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾.	١	٣، ٥٤٨
﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾.	٩	٤٩٧
﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾.	١٠	٤٩٦
﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾.	١٣	٤٩٦
﴿فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾.	١٤	٤٩٦
﴿هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً﴾.	١٥	٤٩٦

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾.	١٦	٤٩٧، ٤٩٨
﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾.	١٨	٤٩٧
﴿لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ﴾.	١٩	٤٩٧
﴿قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾.		٤٩٨
﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾.	٢٠	٤٩٨
﴿أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾.	٢١	٤٩٧
﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾.		٤٩٨
﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.	٢٢	٤٩٨، ٤٩٩
﴿ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾.	٢٥	٤٩٦
﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.	٢٦	٤٩٧
﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾.	٢٨	٥٣٩
﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾.	٢٩	٥٥٥
﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾.		١٤٩
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾.	٥٠	٣٤٣
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾.	٥٧	٥٦٤
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾.	٦٠	٤٥٠، ٤٥١
﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾.	٦٢	٤٥١، ٤٥٢
﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾.	٦٣	٤٥٢
﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾.	٦٥	٤٥٣
﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾.	٦٦	٤٥٤، ٤٥٤
﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾.	٦٧-٦٨	٤٥٥
﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾.	٦٩	٤٥٥
﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾.	٧٠	٤٥٥، ٥٩٩
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ﴾.	٧١	٤٥٥
﴿لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا﴾.	٧٣	٤٥٦

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾.	٧٤	٤٥٧
﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾.	٧٦	٤٥٨
﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾.	٧٨	٤٥٨
﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾.	٧٩	٤٥٥، ٤٥٧، ٤٥٧
﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾.	٨٢	٤٥٧
﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾.		٤٥٧
﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾.		٤٥٣
﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾.		٤٥١
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾.	٨٣	٤٥٩
﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾.	٨٤	٤٥٩
﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾.	٨٦	٤٥٩، ٥٨٢
﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾.	٨٦	٤٦٠
﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا﴾.	٨٧-٨٨	٤٦٠
﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾.	٨٩	٤٦٠
﴿مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾.	٩٠	٤٦٠، ٥٨٢
﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾.	٩٣	٤٦١
﴿قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾.		٤٦٢
﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾.	٩٤-٩٥	٤٦٣
﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا﴾.	٩٦	٤٦٣
﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾.	٩٧-٩٨	٤٦٢، ٤٦٤
﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾.	١٠٣-١٠٥	٦٢٥
﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾.	١٠٨	٥٤٩
سورة: مريم		
﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾.	١-٦	٤٦٧
﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾.	٨-٩	٤٦٨

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾.	١٠	٤٦٨
﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ⑫ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾.	١٢-١٥	٤٦٨
﴿ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾.	١٦	٤٦٩
﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾.	١٧	٤٦٩
﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾.	١٨	٤٦٩
﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾.	١٩-٢١	٤٦٩، ٤٧٣
﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾.	٢٢-٢٣	٤٦٩
﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾.	٢٤-٢٦	٤٦٩
﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾.	٢٧	٤٧٠
﴿يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾.	٢٧-٢٩	٤٧٠
﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾.	٢٩	٤٧٠
﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.	٣٠-٣٣	٤٧٠،٤٧٣
﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.	٣٧	٤٧١
﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا﴾.	٤٢-٤٣	٣٧٨،٤٠٧
﴿فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾.	٤٣-٤٥	٣٧٨
﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾.	٤٦	٣٧٨
﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾.	٤٧	٣٧٨
﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾.	٤٩	٣٨٧
﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾.	٥٤-٥٦	٥٥١
﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾.	٩٣	٥٤٠
سورة: طه		
﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾.	٥	٥٣٦
﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾.	١٤	٤٢٣، ٦٢٠
﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ⑰ قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾.	١٧-١٨	٤٢٢
﴿مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾.	١٨	٤٢٣

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾.	٢٠	٤١٨
﴿سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾.	٢١	٤١٨
﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي﴾	٢٩-٣٢	٤٢٣
﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾.	٣٣-٣٤	٤٢٣
﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾.	٣٩	٤١٠
﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾.	٤٢	٤٢٣
﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾.	٤٣-٤٤	٤٢٤، ٦٠٧، ٥٤٢
﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾.	٤٦	٤٢٥، ٥٣٩
﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾.	٤٨	٥٣١، ٤٢٥
﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾.	٥٤، ١٢٨	٥٦٣
﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾.	٥٩	٣٧٩
﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾.	٨٢	٤٢٥، ٥٩٩
﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾.	١٠٨	٥٤٤
﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾.	١٠٩	٥٤٤
﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾.	١١١	١١٥
﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾.	١١٨-١١٩	٣٤٧
﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾.	١٢٠	٣٤٧
﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾.	١٢٣-١٢٤	١٤٣، ٣٤٦، ٣٤٨، ٥٣٢
سورة: الأنبياء		
﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾.	١٨	٥٩٢
﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾.	١٩-٢٠	١٥١
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾.	٢٥	٣٤٠
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾.	٥١	٣٧٤
﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾.	٥٧	٦١٠

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾.	٦١	٣٧٩
﴿قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾.	٦٢-٦٣	٣٧٥، ٣٧٩
﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.	٦٥	٣٨٠
﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾.	٦٦-٦٧	٣٨٠
﴿حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾.	٦٨	٤٠٦، ٣٨٠
﴿يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا﴾.	٦٩-٧٠	٣٨١
﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾.	٧٣	٥٤٣
﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾.	٧٨	٤٤٠
﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾.	٧٩	٤٤٠
﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾.	٨٠	٤٣٢
﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.	٨٣	٤١٦، ٤٤٨
﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾.	٨٧-٨٨	١٥٥، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٣٠، ٥٩٨
﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾.	٨٩-٩٠	٥٥٢
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾.	٩٦	٤٦٤
﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾.	١٠٤	١٣٠
سورة: الحج		
﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾.	٢	١٤٥
﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾.	٧	٤٩٧
﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ﴾.	٢٦-٢٩	١٨٧، ٢٤٠، ٣٨٥، ٣٩٢
﴿وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾.	٣٦	٢٤٢
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾.	٣٨	١٥٥
﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.	٣٩	٥١٥
﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.	٤٠-٤١	٢٤٣، ٢٤٤
﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾.	٤٦	٥٥٦، ٥٦٢

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾.	٥٣-٥٤	٥٦٢
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾.	٦٢	٥٨٩
﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾.	٧٨	٢٢١
﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾.		٣٨٩
﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾.		١٨٤
سورة: المؤمنون		
﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾.	١-٢	٦١٩
﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.	٢٨	٣٦٢، ٥٣٦
﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾.	٢٩	٣٦٣
﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾.	٥٠	٤٦٩
﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾.	٥٢	٥٣٤
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.	٨٠	٥٥٥
﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾.	٩٧-٩٨	٣٥٢
﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾.	١٠١	٥٤٥
﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾.	١١٣	٥٤٤
﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾	١١٥-١١٦	٥٩٥
﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾.	١٠٦-١٠٨	١٥٠
سورة: النور		
﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾.	٢	٣١٠، ٥٩٧
﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾.	٣	٢٧٤
﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾.	٤-٥	٣٠٥، ٣٣٣
﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ﴾.	٦-٩	٣٠٣
﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾.	١٥	٥٣٦
﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾.	١٦	٣٥٠

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾.	٢١	٣٤٦، ٣٥١
﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ﴾.	٢٤	٥٣٦
﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ﴾.	٢٥	١١٩
﴿وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا﴾.	٣٣	٢٨٠
﴿وَمَن يُكۡرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.		٥٥٩
﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾.	٣٦	٣٩٢
﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾.	٤٤	٥٦٣
﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾.	٤٧	٦٢٦
﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ﴾.	٥٠	٥٦٣
﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾.	٥٥	٤٩٩
﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾.	٥٦	١٨٤
سورة: الفرقان		
﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾.	١-٢	٩٦، ٥٤٠ ٥٤٧، ٥٥٤
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَ﴾.	٤-٦	١٣٥،١٣٨
﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾.	٧-٨	١٣٩،٥٠٨
﴿يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾.	٢٥-٢٦	١٤٥
﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا﴾.	٢٧	٥٧٧
﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾.	٣٢-٣٣	٥٠٠، ٥٠٧،٥٢٨، ٥٤٨
﴿وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾.	٤١	٥٠٧
﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾.	٥٨	١١٥، ٥٤٨
﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾.	٦٣-٧٥	١٧٣،٥٤٠،٥٩٩، ٦١٧، ٦٢٣
سورة: الشعراء		

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.	٨-٩	١١٩
﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا﴾.	٥١	٥٧٨
﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾.	٦٠	٣٦٦
﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾.	٦٣-٦٦	٤١٩
﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾.	٧٨-٨٢	٤٠٧، ٤٥٧
﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾.	٨٤	٣٩٠، ٥٣٦
﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.	٨٨-٨٩	٣٩٥
﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.	٩٦-٩٧	٥٤٤
﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.	٩٧-٩٨	٦٢٥
﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾.	١٠٥	١١٠، ٣٧٢
﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.	١٠٩	٣٦٢، ٤٨٨
﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾.	١٢٣	٣٧٢
﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾.	١٢٨-١٢٩	٣٦٧
﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾.	١٣٢-١٣٤	٤٠٦
﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾.	١٣٩	٣٦٦
﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾.	١٤١	٣٧٢
﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾.	١٤٦-١٤٩	٣٦٩
﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ﴾.	١٥٤	٣٦٤
﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.	١٨٩	٤٠٣
﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾.	١٩٢-١٩٤	١٥١
﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾.	١٩٥	٥٣٦
سورة: النمل		
﴿طس ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.	١-٢	٩٦
﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.	١١	٥٥٩
﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ۖ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾.	١٦	٤٣٣، ٤٣٤

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾.	١٧	٤٣٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.	١٨	٤٣٤
﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾.	١٩	٥٤٢
﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾.	٢٠-٢٦	٤٣٤
﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.	٢٧-٣٣	٤٣٥
﴿فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾.	٣٥	٤٣٦
﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾.	٣٦-٣٧	٤٣٦
﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾.	٣٨-٣٩	٤٣٦
﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾.	٤٠	٤٣٧
﴿نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾.		٤٣٧
﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾.		٤٣٧ ٥٤٢
﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾.	٤٢	٤٣٧، ٤٤٧
﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾.	٤٣-٤٤	٤٣٨
﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾.	٤٨	٣٧٠
﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ﴾.	٤٩	٣٧١
﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾.		٣٧١
﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.	٥٠-٥٢	٣٧١
﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ﴾.	٥٢-٥٣	١١٩
﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾.	٦٢	٦٠١
﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾.	٨٣	٤٣٤
﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾.	٩٠	٥٧٨
سورة: القصص		
﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.	٣	٤١٢
﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾.	٤	٤٠٩
﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾.	٧	٤٠٩، ٤١٣، ٤٥٣

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا﴾.	٩	٤١٠
﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾.	١٠	٤١٠، ٤١٤
﴿وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾.	١١	٤١٠
﴿وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ﴾.	١٢	٤١٠
﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾.	١٢-١٣	٤١١
﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾.	١٤	٥٣٧
﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِ﴾.	١٥	٤٨٨، ٥٥٤
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.	١٦	٤٤٣، ٤١٥
﴿فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوّٞ لَّهُمَا﴾.	١٩	٤١٥
﴿وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ﴾.	٢٠	٤١٥، ٥٧٠
﴿فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.	٢١	٤١٥
﴿تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.	٢٢	٤١٦
﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾.	٢٤	٤١٦
﴿قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَا﴾.	٢٥	٤١٦
﴿إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾.	٢٦	٢٦٥، ٤١٧
﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ﴾.	٢٧	٤١٧، ٤١٨
﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ﴾.	٢٨	٤١٨، ٥٥١
﴿بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ﴾.	٣٢	٤١٨
﴿هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا﴾.	٣٤	٥٣٥
﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾.	٤١	٤٢٢
﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ﴾.	٤٣	٣٦٣
﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ﴾.	٤٤	٤٢٢
﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيٗا فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ﴾.	٤٥	٤٢٢
﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ﴾.	٤٦	٤٢٢
﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ﴾.	٤٨	٥١٠

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾.	٥٦	٥٤٣
﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾.	٦٦	٥٤٤
﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.	٦٨	٥٤٧
﴿قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾.	٧٦	٥٧٠
﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾.	٧٧	٥٣٩
سورة: العنكبوت		
﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾.	١٤	٣٥٨
﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾.	٢٧	٣٩٠
﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.	٢٧	٣٩١
﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾.	٢٨-٢٩	٣٩٦
﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ﴾.	٣٢	٣٩٦
﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾.	٤١	٦٠٩
﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾.	٤٣	٦١٠
﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.	٤٥	٤٠٤، ٤٢٥، ٥٥٧
﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾.	٤٦	٦٠٧
﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾.	٥٠	٥٠٩
﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾.	٦٥	٢٣٧
﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.	٦٩	٥٣٩، ٦٠٠
سورة: الروم		
﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾.	٧	٥٩٠
﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾.	١٧	٩٦
﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾.	٢٦	٥٤٠
﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.	٣١	١٨٤
﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾.	٣٨	٢٣٩
﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ﴾.	٣٩	٢٥٦، ٥٦٩

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٤٧	١٥٦، ٤٧٧
﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ﴾	٥٦	١١٧
سورة: لقمان		
﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾	١٣	٥٧٧، ٦١٧
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾	٣٣	٥٤٥
سورة: السجدة		
﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾	٢	٥٤٨
﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾	٧	٥٢٨
﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾	١١	١٥٢
﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا﴾	١٥	١٧٨
﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾	١٦	١٧٣
﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾	٢٢	٥٧٨
﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾	٢٤	٤٢٢، ٥٦٥، ٥٧٢، ٥٩٩
سورة: الأحزاب		
﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾	٤	٦٠، ٥٢٨، ٥٨٨
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾	٧	٣٥٨
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾	٩	٥١٩، ٥٢٠
﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾	١٠	٥١٨
﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾	١٢	٥٦٢
﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ﴾	١٨-١٩	٦٢٢
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾	٢١	٢١٥
﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾	٢٣	٥٧١
﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾	٢٥	١٩
﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾	٢٦-٢٧	٥١٩

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾.	٣١	٥٨٦
﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾.	٣٢	٥٦٣
﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾.	٣٢	٥٨٦
﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾.	٣٥	٥٤١
﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.	٣٥	٦٢٠
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا﴾.	٣٦	١٦٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.	٤١-٤٢	٦٢٠
﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾.	٤٣	١٠٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾.	٤٩	٢٩٨
﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ﴾.	٥٠	٢٧٤
﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾.		٢٨٠
﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾.	٥٨	٣٢٦
﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾.	٧٢	٦٢١
سورة: سبأ		
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾.	١٠	٤٣٢
﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾.	١٢	٤٣٣، ٤٣٧
﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾.	١٣	٤٣٤
﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.	٢٠	٣٤٤
﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾.	٢٢	٥٥٠
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾.	٣٤	٣٦١
﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾.	٣٧	٥٤٥
﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.	٣٩	١٩٨، ٥٦٩، ٦٠٤
﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ﴾.	٤٣	٥٠٨
﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟﴾.	٤٦	٥٨٧
سورة: فاطر		

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾.	٥-٦	١٩٨، ٣٤٦
﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾.	١٣-١٤	٥٥٠
﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾.	٢٤	٣٦٧، ٥٣٤
﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾.	٢٥-٢٦	٣٦٦
﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾.	٢٨	٦١٩
﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾.	٣٢-٣٣	٥٧٢
﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾.	٣٤	٥٤٩
﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾.	٣٥	٥٤٩
﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.	٤٣	٤١٩
﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.	٤٤	٥٤٨
سورة: يس		
﴿يسٓ ① وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ② إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.	١-٣	٥٤٩، ٦١٠
﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾.	٦	٥٣٨
﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾.	٢٠	٥٧٠
﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾.	٣٦	٥٤٧
﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾.	٥٢	١٤٥
﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾.	٦٠-٦٢	٣٤٦، ٣٥١، ٥٤٦
﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾.	٧٧-٨١	١٢٤، ١٣٠، ٥٩٣
سورة: الصافات		
﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ① فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ② فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ③ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾.	١-٤	٦١٠
﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ㉒ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾.	٢٢-٢٣	١٤٨
﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ㉗ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾.	٢٧-٣٢	٥٤٤
﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.	٣٧	٤٢٢
﴿تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾.	٦٤	١٤٩
﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾.	٧٧	٣٥٨، ٣٥٨

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.	٧٩	٣٩٥
﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ (٨٣) إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ﴾.	٨٣-٨٤	٥٦٣
﴿فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ﴾.	٨٨-٨٩	٣٧٩، ٣٩٩
﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰ﴾.	١٠٢-١١١	٣٨٦،٣٩١،٣٩٥
﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ (١١٤) وَنَجَّيۡنَٰهُمَا وَقَوۡمَهُمَا مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.	١١٤-١١٥	٤١٨
﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ (١٢٠) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.	١٢٠-١٢١	٣٩٥
﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ﴾.	١٣٠	٣٩٥
﴿وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ (١٣٧) وَبِٱلَّيۡلِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾.	١٣٧-١٣٨	٥٥٥
﴿أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ﴾.	١٤٠-١٤١	٤٢٧، ٤٢٩
﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾.	١٤٣-١٤٤	٤٣٠، ٥٩٨، ٦٠٨
﴿مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ (١٤٧) فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾.	١٤٧-١٤٨	٤٢٨
﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.	١٨٠	٥٤٧
سورة: ص		
﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ﴾.	٤-٨	١٣٩، ٤٤٢
﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾.	١٧-١٩	٣٨٩،٤٤٢
﴿وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾.	٢٠	٤٣١، ٤٤٢
﴿لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ﴾.	٢٢	٤٣٢،٤٤٤
﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ﴾.	٢٣	٤٣٣
﴿قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾.	٢٤	٣٢٦،٤٣٣، ٤٤٤
﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ﴾.	٢٤-٢٥	٤٣٣، ٤٤٣، ٤٥٤٤٥
﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ﴾.	٢٦	٣٢٣،٤٣٣، ٤٤٤
﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.	٢٧	٥٤٨، ٥٦٨
﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾.	٢٩	٥٨٧، ٦٠٣
﴿وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾.	٣٠	٤٤٥

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾.	٣٣	٤٤٥
﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾.	٣٤	٤٤٠
﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾.	٣٥	٤٣٣، ٤٤٠، ٤٤٣، ٤٤٦
﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾.	٤٢	٤٤٨
﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.	٤٣	٤٤٨
﴿خُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾.	٤٤	٤٤٩
﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾.	٧٥	٣٤٤
﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾.	٨٢-٨٣	٣٥١
سورة: الزمر		
﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾.	٦	١٢٤
﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾.	٧	٥٥٥
﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾.	٩	٥٤١
﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾.	٢٢	٦٠٩
﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.	٢٢-٢٣	٩٨، ٥٠٦، ٥٦٢
﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ﴾.	٢٩	٦٠٩
﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.	٣٣	٥٧١
﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾.	٣٤-٣٥	٥٧١
﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾.	٣٦	٢٤٧، ٥٤٠، ٥٩٨
﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾.	٤٤	١١٣
﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾.	٥٣	٥٥٣
﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾.	٦٢	٥٥٤
﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾.	٦٩-٧٥	١٥٢، ١٧٢، ٦٠٤
سورة: غافر		
﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾.	٧	١٥٢

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ﴾.	٨	٥٤٥
﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾.	١٢	١١٥
﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾.	١٩	١١٤
﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾.	٣٥	٥٣٣، ٥٦٤
﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ﴾.	٤٧-٥٠	٥٤٤
﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾.	٥٨	٦٠٣
﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.	٦٠	٥٩٨
﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾.	٨٣	٣٤٩،٥٧٠، ٥٩١
سورة: فصلت		
﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾.	٥	٥٦٢،٥٦٤
﴿فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾.	٦	٦٢٣
﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۞ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾.	٦-٧	٥١٥
﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾.	١٥	٣٦٤
﴿رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾.	١٦	٣٦٦
﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾.	١٧	٥٥٣
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.	٢٠-٢٢	٥٤٦
﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾.	٣٤-٣٥	١٦٠،١٨٣،٦٠٤
﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾.	٣٩	١٣٠، ٥٩٣
﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.	٤٢	٥٢٨، ٥٤٨
﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾.	٤٣	٣٦٦
﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾.	٤٤	٩٦،٥٥٦
﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾.	٥٣	١١٩، ١٣٩
سورة: الشورى		
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.	١١	١٠٢، ١٢٧
﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾.	١٣	٣٥٨

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾.	٢١	٣٣٢
﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾.	٢٨	٣٨٣
﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ﴾.	٤٥	٥٧٧
﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾.	٥٢	٥٠٢
﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾.		٥٤٣
سورة: الزخرف		
﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾	٣	٥٥٥
﴿لِتَسْتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُواْ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾.	١٣-١٤	٥٣٦، ٥٩٥
﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾.	٢٣	٣٧٣
﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾.	٣١	٥١٠
﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٞ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾.	٥٢	٤٢٤
﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾.	٧٤-٧٦	٥٥٣
﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾.	٧٧-٧٨	١٤٩، ٥٤٦
﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.	٨٦	٤٩٣
سورة: الدخان		
﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلٗى شَيْـٔٗا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.	٤١	٥٤٥
﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾.	٥٦	٥٤٩
سورة: الجاثية		
﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.	٣-٥	٦٠٣،٥٦٥
﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحْمَةٞ لِّقَوْمٖ يُوقِنُونَ﴾.	٢٠	٥٦٥
﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٖ﴾.	٢٣	٥٦٤
﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾.	٢٤	٥٦٨
سورة: الأحقاف		
﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٞ مُّبِينٌ﴾.	٧-١١	٥٠٨
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةٗ﴾.	١٥	٣٩١

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.	٢٢	٣٦٤، ٣٦٥
﴿هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾.	٢٤-٢٥	٣٦٥
﴿فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾.	٢٥	٣٦٥
﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ﴾.	٢٦	٣٦٨
﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ وَصَرَّفۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾.	٢٧	٣٦٧
سورة: محمَّد		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾.	٧	٢٤٧، ١٥٦
﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾.	١٩	١١٨
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾.	٢٤	٥٦٤
سورة: الفتح		
﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا﴾.	١	٥٢١
﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾.	٩	٥٦٥
﴿يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم﴾.	١١	٥٣٥
﴿بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدٗا﴾.	١٢	٥٦٨
﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾.	٢٩	٥٣٦
﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾.	٢٩	٥٤٢، ٦١٨
سورة: الحجرات		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾.	٦	٣٣٣
﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ﴾.	١٥	١٥٦، ١٦٢، ٥٦٧
سورة: ق		
﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ﴾.	٤	١٢٢
﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ﴾.	٥	٥٩١
﴿تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ﴾.	٨	٥٤٣، ٥٨٧
﴿إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ﴾.	١٧-١٨	١٥٢
﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٖ﴾.	٣١-٣٣	٥٦٣، ٦٢٤

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.	٣٧	٩٧
﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾.	٤٥	٥٠٦
سورة: الذاريات		
﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا﴾.	١-٦	٦١٠
﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾.	٢٣	٦١٠
﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾.	٢٤-٢٥	٣٩٣
﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾.	٢٦	٣٨٧
﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾.	٢٧	٣٨٧
﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾.	٢٨	٣٨٨
﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾.	٢٩	٣٨٧
﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾.	٤٢	٣٦٥
سورة: الطور		
﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾.	٢١	٥٤٥
﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾.	٢٦-٢٨	٦٠٨
﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾.	٢٩	١٣٩
﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾.	٤٧	١٤٣
سورة: النجم		
﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾.	٢	٥٤٩
﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾.	٦	٤٦٩
﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾.	٢٣	٦١٣
﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾.	٢٨	٥٦٨
﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾.	٥٠	٣٦٩
سورة: القمر		
﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾.	١١-١٢	٣٥٥

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾.	١٧، ٢٢ ٣٢، ٤٠	٩٥
﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾.	٣٧	٣٩٨
﴿أَخۡذَ عَزِيزٖ مُّقۡتَدِرٍ﴾.	٤٢	٣٧٢
﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾.	٤٩	٥٥٤
سورة: الرحمن		
﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ﴾.	٧-٩	٦٠٢
﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْ﴾.	٣٣	١٩
﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ﴾.	٣٩	٥٤٦
﴿جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾.	٦٠	٥٩٩
﴿فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ﴾.	٧٠	١٤٧، ٥٣٠
سورة: الواقعة		
﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾.	١٠-١٢	٥٨٧
﴿عَلَىٰ سُرُرٖ مَّوۡضُونَةٖ ١٥ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ﴾.	١٥-١٨	١٤٧
﴿وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ٢٠ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ﴾.	٢٠-٢٣	١٤٧
﴿لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا﴾.	٢٥	٥٤٩
﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾.	٧٤، ٩٦	١١٥
﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٨٨ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ﴾.	٨٨-٨٩	٥٣٢، ٥٧٦
﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩٠ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾.	٩٠-٩١	٥٧٥
﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ﴾.	٩٥	٥٦٦
سورة: الحديد		
﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾.	١٦	٦٢٠
﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾.	١٩	٥٧١
﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.	٢١	١٣٤
﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾.	٢٥	٣٣٠، ٦١٧،٣٤٦

الآيات	الرقم	الصفحة
سورة: المجادلة		
﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾.	١-٤	٥٨١،٣٠٣
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.	٧	٥٣٩،١٢٢
﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾.	١١	٦٠٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾.	١٢	٥٥٩
سورة: الحشر		
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾.	٢	٥٢٣
﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾.		٥٢٢
﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾.		٥٢٢
﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾.		٨٠
﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾.	٧	٥٢٧
﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾.	٨	٦١٨
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾.	١١-١٢	٥٢٢
﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ﴾.	١٤	٦٢٢
﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾.	١٩	٥٣٨
﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.	٢١	٦١٠
﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾.	٢٢-٢٤	١٢٢
سورة: الممتحنة		
﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾.	٤	٣٨٩
سورة: الصف		
﴿يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾.	٤	٦٠٢
﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.	٥	٥٥٣ ،٥٠٥
﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم﴾.	٦	٤٧٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾.	١٤	٤٧٠
سورة: الجمعة		

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾.	٩–١١	٦٢٠،٥٧٠،٢١١
سورة: التغابن		
﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا﴾.	٧	٥٩٣
﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.	١١	٥٦٧
﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾.		١٥٦
﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾.	١٦	٣٣٥
سورة: الطلاق		
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾.	١–٤	،٢٩٨،٢٩٤،٢٤٧ ٥٩٨
﴿وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾.	٦	٢٩٩
﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾.	٧	،٣٨٤،٢٧٦ ،٣٣٥ ٦٠١
سورة: التحريم		
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾.	١–٢	٣١٥
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾.	٦	٤٧٢ ،١٥١
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾.	٩	٥٤٢
﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾.	١١	٤١٠
﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾.	١٢	٥٧١ ،٤٧٤ ،٤١٠
سورة: الملك		
﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾	١٠	٥٥٦
﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾	١١	١٤٨
﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾	١٥	٥٩٨
سورة: القلم		
﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾.	١–٧	٥٥١ ،٥١٠،١٤١
﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾.	٩	٥٠٨
﴿مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾.	١٢	٥٣٣

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ﴾.	٢٥	٥٥٤
سورة: الحاقة		
﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾.	٧	٣٦٥
﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾.	١٧	١٥٢
﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾.	١٩-٢٤	١٤٥،٥٥٤، ٥٦٨
﴿هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ﴾.	٢٩	٥٣٥
﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ﴾.	٣٣	١١٥
﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.	٤١-٤٢	١٣٩، ٥٤٨
﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾.	٤٤-٤٦	١٣٩
﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾.	٥١	٥٦٦
سورة: المعارج		
﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾.	١٠	٥٤٤
﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ﴾.	١١-١٣	٥٤٥
سورة: نوح		
﴿يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.	٢-٤	٣٥٣
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا﴾.	٥-١٢	٣٥٩،٤٤٠
﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾.	١٣-٢١	٣٥٩
﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى﴾.	٢١-٢٣	٣٥٣، ٣٥٤
﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾.	٢٦-٢٧	٣٥٤
سورة: الجن		
﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾.	١-٢	٩٦
﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾.	٣	٥٤٨
﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾.	١٠	٤٥٧
﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾.	٢٦-٢٧	٥٩٢
سورة: المزمل		

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾.	١٢-١٣	١٤٩
سورة: المدثر		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾.	١-٥	٥٠٤
﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾.	٦	٢٥٦
﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾.	٢٤-٢٥	٥٠٧
﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾.	٣١	١٥٢
﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾.	٥٠-٥١	٥٠٧
سورة: القيامة		
﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾.	١٦	٥٣٥
﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾.	٣١-٣٢	٥٣١
سورة: الإنسان		
﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾.	٣	٥٤١
﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾.	١٠	٥٣٠
﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾.	١١	٥٣٠
﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾.	٨-٩	١٩٧
﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾.	٣٠	٥٥٤
سورة: المرسلات		
﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾.	٢٥-٢٦	٢١٧
﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾.	٣٥	٥٤٤
سورة: النبأ		
﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا﴾.	٣٥	٥٤٩
﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾.	٣٨	٥٤٤
سورة: النازعات		
﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾.	٥	١٥١
﴿خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾.	٤٠	٤٨٤

الآيات	الرقم	الصفحة
سورة: عبس		
﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾.	٣٤-٤٢	١٤٥
سورة: التكوير		
﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾.	٢٠-٢١	١٥١
﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾.	٢٤	١٥١
﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.	٢٨-٢٩	٥٥٤
سورة: الانفطار		
﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾.	١٠-١٢	١٥٢
﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾.	١٣	٦٠٩
سورة: المطففين		
﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾.	١-٣	٣٢٦
﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾.	١٤-١٥	٦٠٩، ٥٦٢، ٥٦٤
﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾.	٢٧-٢٨	٥٧٦
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ﴾.	٢٩	٥٧٨
سورة: البروج		
﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾.	٨	٢٤٣، ٣٦١
سورة: الأعلى		
﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾.	١	١١٥
سورة: الفجر		
﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾.	٩	٣٦٩
سورة: البلد		
﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾.	٩	٥٣٦
سورة: الشمس		
﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾.	١٢	٣٧١
سورة: الليل		
﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾.	٤-١٠	٥٧٠، ٥٨٠، ٦٠٤

الآيات	الرقم	الصفحة
﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ١٥ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾.	١٥-١٦	٤٢٥، ٥٣٠
سورة: الضحى		
﴿وَٱلضُّحَىٰ ١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾.	١-١١	٥٠٢،٥٠٤
سورة: الشرح		
﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾.	٥-٦	٣٨٤، ٦٠٠
سورة: العلق		
﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾.	١	٥٠٢
﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾.	٦-٧	٥٤١، ٥٩٦
سورة: القدر		
﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾.	٤	٥٥٧
سورة: البينة		
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾.	٧-٨	١٥٥
سورة: الزلزلة		
﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾.	٤	٥٤٦
سورة: التكاثر		
﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾.	٥-٧	٥٦٦
سورة: الإخلاص		
﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.	١-٤	١٢٦ ٢٠٩، ٥٤٨
سورة: الفلق		
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾.	١-٥	٦٠٣
سورة: الناس		
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾.	١-٦	٦٠٣

فهرسُ الأَحاديثِ النَّبويَّةِ:

م	الأَحاديث	الصَّفحة
١	أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ.	٢٠٤
٢	أَبْغَضُ الْحَلَالِ إِلَى اللَّهِ الطَّلَاقُ.	٥٥٨
٣	أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ.	١٩٧
٤	احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ.	٤٢٩
٥	أُحِلَّتْ لَنَا مَيْتَتَانِ، وَدَمَانِ.	٣١٩
٦	أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ.	١٦٠
٧	إِذَا أَتَيْتُمُ الغَائِطَ فَلَا تَسْتَقْبِلُوا القِبْلَةَ، وَلَا تَسْتَدْبِرُوهَا.	٥٨٢
٨	إِذَا أَصَبْتَ بِحَدِّهِ فَكُلْ.	٣٢٠
٩	إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً، فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً.	٦١٧
١٠	إِذَا ثُوِّبَ لِلصَّلَاةِ فَلَا تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ.	٢١١
١١	إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ...	٣٤٥، ٦٠٢
١٢	إِذَا زَنَتْ أَمَةُ أَحَدِكُمْ، فَتَبَيَّنَ زِنَاهَا.	٢٨٦
١٣	إِذَا صَنَعَ لِأَحَدِكُمْ خَادِمُهُ طَعَامَهُ.	٤٥٢
١٤	إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَوْمَ الجُمُعَةِ: أَنْصِتْ، وَالإِمَامُ يَخْطُبُ، فَقَدْ لَغَوْتَ.	٢١٤
١٥	إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ.	٥٧٣
١٦	إِذَا نُكِحَتِ الْمَرْأَةُ بِغَيْرِ أَمْرِ مَوْلَاهَا، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ.	٢٧٥
١٧	إِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ فِي بَطْنِهِ شَيْئًا...	٣٢٨
١٨	أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا.	٦٢٦
١٩	اسمُ اللَّهِ الأَعظمُ في هاتين الآيتين.	١١٣
٢٠	أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟.	٣٢٩
٢١	اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْنِ، وَلَا تُمِسُّوهُ طِيباً.	٢١٧
٢٢	أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ، فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا.	٢٠١

م	الأَحاديث	الصَّفحة
٢٣	أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَاناً، أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً.	١٦٠
٢٤	أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ.	٦١٤
٢٥	إِلَّا شَرطًا أَحَلَّ حَرامًا أَوْ حَرَّمَ حَلالًا.	٣٢٧
٢٦	إِلَّا صُلْحًا أَحَلَّ حَرَامًا، أَوْ حَرَّمَ حَلالًا.	٢٨٩
٢٧	أَلْحِقُوا الفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا.	٢٧١
٢٨	إِلى أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَاباً.	١٦٦
٢٩	أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ.	١٠٨
٣٠	إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ.	٣٥٢
٣١	إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ.	١٥٢
٣٢	إِنَّ إِخْوَانَكُمْ خَوَلُكُمْ.	١٦٧
٣٣	إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ.	٦٠٥
٣٤	إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ.	٢٢١
٣٥	إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ مَا يُكْتَبُ لَهُ مِنْهَا إِلَّا عُشْرُهَا.	٥٨٧
٣٦	إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ.	١٣٣
٣٧	إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.	٦١٢
٣٨	إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ.	١٦٩
٣٩	إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ.	٣٧٢
٤٠	إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ.	٢١٥
٤١	إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ.	٤٠٠
٤٢	إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ.	٣٤٢
٤٣	إِنَّ أُولَئِكَ، إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ.	٤٩٩
٤٤	أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ.	٦١٧
٤٥	أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ.	٢٩٠
٤٦	إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ.	٤٢٩
٤٧	إِنَّ لَكُم أَنْ تَشِبُّوا فلا تَهْرَمُوا أَبَدَاً.	١٤٧

م	الأَحاديث	الصَّفحة
٤٨	إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً.	١٢٥
٤٩	إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً.	٦٢٠
٥٠	أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي.	١٦٩
٥١	أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَإِنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ.	٢٩٣
٥٢	انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ.	٣٩٢
٥٣	إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ.	٢٩٣
٥٤	إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ.	٢٣٤، ٦١٨
٥٥	إِنَّمَا سُمِّيَ الخَضِرَ أَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوَةٍ بَيْضَاءَ.	٤٥٠
٥٦	إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ، ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ.	٥١٣
٥٧	إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولاً الجَنَّةَ.	١٧٦
٥٨	أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ، وَشُرْبٍ، وَذِكْرٍ لِلَّهِ.	٢٣٨
٥٩	ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَكُمَا.	٣٩٧
٦٠	أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَ لَهَا ثَلَاثَةٌ مِنَ الوَلَدِ، كَانُوا حِجَابًا مِنَ النَّارِ.	٥٧٥
٦١	أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الحَجَّ، فَحُجُّوا.	٢٤١
٦٢	أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّباً.	٢٢٣
٦٣	أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ العَافِيَةَ.	٢٧٣
٦٤	بِأَقْوَامٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ.	٤٠٠
٦٥	الْبِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ.	٥٦٧
٦٦	الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ.	٥٦٧
٦٧	بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ.	١٧٢، ٦٢٦
٦٨	بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ.	٥٧٢
٦٩	بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةٍ.	٢١٩
٧٠	بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ.	٥٨٦
٧١	تُقْطَعُ يَدُ السَّارِقِ فِي رُبُعِ دِينَارٍ.	٣١١
٧٢	تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ.	٢٧٢

م	الأَحاديث	الصَّفحة
٧٣	ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ.	٣١٧، ٤٠٤
٧٤	ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ.	٤٦٥
٧٥	الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ.	٦٢٧
٧٦	خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عَنِّي، قَدْ جَعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا.	٣١٠
٧٧	خُذِي أَنْتِ وَبَنُوكِ مَا يَكْفِيكِ بِالْمَعْرُوفِ.	٣٣١
٧٨	خَمْسٌ فَوَاسِقُ، يُقْتَلْنَ فِي الحَرَمِ.	٣٢١
٧٩	دَثِّرُونِي دَثِّرُونِي.	٥٠٤
٨٠	دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ.	٥٦٧
٨١	دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ.	٤٨٤
٨٢	دَعْهُمَا، فَإِنِّي أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ.	٢٠٧
٨٣	دَعْوَةُ أَخِيْ ذِيْ النُّونِ مَا دَعَا بِهَا مَكْرُوْبٌ إِلَّا فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ.	٤٣٠
٨٤	ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا.	٥٦٦
٨٥	ذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِي سُلَيْمَانَ فَتَرَكْتُهُ.	٤٤٦
٨٦	الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ رِباً إِلَّا هَاءَ وَهَاءَ.	٢٥٥
٨٧	الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ.	٢٥٤
٨٨	رَحِمَ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ.	٣٨٤
٨٩	رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمْحًا إِذَا قَضَى، سَمْحًا إِذَا اقْتَضَى.	٣٠٨
٩٠	سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ، مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً.	٥٧٦
٩١	سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ.	٦١٤
٩٢	سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ.	٥٨٧
٩٣	شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى، صَلَاةِ الْعَصْرِ.	١٩٠
٩٤	شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي.	٥٧٤
٩٥	الصِّدْقُ مَا اطْمَأَنَّ إِلَيهِ القَلْبُ.	٥٦٧
٩٦	صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللهُ عَلَيْكُمْ بِهَا، فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ.	٢١٦
٩٧	صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ ذَاكَ شَيْطَانٌ.	١١٢

م	الأَحاديث	الصَّفحة
٩٨	صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ.	٥٨٦
٩٩	الصَّلَاةُ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ.	٥١١
١٠٠	ضَحَّى النَّبِيُّ ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ.	٣٨٦
١٠١	عَجَباً لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ.	٢٥١
١٠٢	عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ.	٤٠٨
١٠٣	عَلَى الْيَدِ مَا أَخَذَتْ حَتَّى تُؤَدِّيَهُ.	٣٢٨
١٠٤	عَلَى كَمْ تَزَوَّجْتَهَا؟.	٢٧٧
١٠٥	فَاتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ.	٢٨٤
١٠٦	فَاذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا.	٢٧٣
١٠٧	فَإِنَّ اللهِ -تَعَالَى- قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا.	٣٨٩
١٠٨	فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ.	٥١٤
١٠٩	فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ.	١٩٥
١١٠	فُرِضَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ صَلَاةً.	٤٠٨
١١١	فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ.	٥٧٥
١١٢	فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ وَالعُيُونُ أَوْ كَانَ عَثَرِيّاً العُشْرُ.	١٩٤
١١٤	كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ.	٤١٠
١١٥	لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ.	٤٦٥
١١٦	لَا تَبْرَحُوا عَنْهُ، ظَهَرْنَا أَو غُلِبْنَا.	٥١٧
١١٧	لَا تُقْبَلُ صَلَاةُ مَنْ أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ.	٢٠٣
١١٨	لَا تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ.	٢٨٥
١١٩	لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ.	٣٢٦
١٢٠	لَا عَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ.	٥٦٠
١٢١	لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ.	١٤٧
١٢٢	لَا يُجْمَعُ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا، وَلَا بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَخَالَتِهَا.	٢٨٢
١٢٣	لَا يَحُجُّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ.	٥٢٦

م	الأَحاديث	الصَّفحة
١٢٤	لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، -أَو مُعاهِدٍ- إِلَّا بِطِيبِ نَفْسِهِ.	٣٢٥
١٢٥	لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ.	١٧٢
١٢٦	لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخرَ.	٢٧٧
١٢٧	لَا يُقَادُ لِوَلَدٍ مِنْ وَالِدِهِ.	٣٠٧
١٢٨	لَا يَمْنَعْ جَارٌ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَهُ فِي جِدَارِهِ.	١٦٦
١٢٩	لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لَمَّا جِئْتُ بِهِ.	١٦١
١٣٠	لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ.	١٩٤
١٣١	لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ.	٢٢٧، ٥٢٧
١٣٢	لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ ﷻ حَبْسَ يُونُسَ فِي بَطْنِ الحُوتِ.	٤٢٨
١٣٣	اللهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِيَ ابْنَةُ عَمٍّ.	٦١٤
١٣٤	اللهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ.	٦١٢
١٣٥	اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.	٢٣٧
١٣٦	لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ	٣٢٤
١٣٧	لَيْسَ الخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ.	٥٩٥
١٣٨	لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ.	٣٧٧
١٣٩	لَيْسَ لَهَا سُكْنَى، وَلَا نَفَقَةٌ.	٢٩٩
١٤٠	مَا العَمَلُ فِي أَيَّامٍ أَفْضَلَ مِنْهَا فِي هَذِهِ.	٥٨٦
١٤١	مَا أَنْهَرَ الدَّمَ وَذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَكُلْ.	٣٢١
١٤٢	مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟.	٣١٥
١٤٤	مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ.	٣٥١
١٤٥	مَا كُنْتُ أُرَى أَنَّ الجَهْدَ قَدْ بَلَغَ بِكَ هَذَا؟.	٢٣١
١٤٦	مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا.	٥٧٣
١٤٧	مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا وَالشَّيطان يَمَسُّهُ حِينَ يُولَدُ.	٤٦٦
١٤٨	مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ مِنَ الآيَاتِ مَا عَلَى مِثْلِهِ يُؤْمِنُ الْبَشَرُ.	٣٦٤
١٤٩	مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ.	١٩٦

م	الأَحاديث	الصَّفحة
١٥٠	مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ...	٤٨٧، ٥٧٣
١٥١	مُرْهُ فَلْيَتَكَلَّمْ وَلْيَسْتَظِلَّ وَلْيَقْعُدْ، وَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ.	٤٧٢
١٥٢	الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ.	٢٨٩
١٥٣	مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ.	٣٣٢
١٥٤	مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ.	٣٣٤
١٥٥	مَنْ أَدْرَكَ مَالَهُ بِعَيْنِهِ عِنْدَ رَجُلٍ -أَوْ إِنْسَانٍ- قَدْ أَفْلَسَ.	٣٣٠
١٥٦	مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ.	٥٨٦
١٥٧	مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ.	٢٣٩
١٥٨	مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا.	٣١٧
١٥٩	مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ.	٥٨٥
١٦٠	مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ.	٥٨٥
١٦١	مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ.	٣٢٧
١٦٢	مَنْ غَسَّلَ مَيِّتًا فَلْيَغْتَسِلْ.	٢٠٦
١٦٣	مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ...	١١٣
١٦٤	مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ.	٣٩٣
١٦٥	مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ.	٢٤٥
١٦٦	الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ.	١٦١
١٦٧	نَعَمْ خِصَالٌ أَرْبَعَةٌ: الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا.	١٦٤
١٦٨	هَلْ تَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ؟.	٦١١
١٦٩	هَلْ تَرَكَ لِدَيْنِهِ فَضْلاً؟.	٢١٧
١٧٠	هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ.	١٧٠
١٧١	وَالحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةُ.	٢٣٣
١٧٢	وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ.	١٣١
١٧٣	وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ.	١٩٣

م	الأَحاديث	الصَّفحة
١٧٤	وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ ورَسُوْلُهُ عَنْهُ.	٦١٨
١٧٥	وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا.	٦٠٠
١٧٦	وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ.	٢٤٦
١٧٧	وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ.	٣٥٣
١٧٨	وَتَجْتَمِعُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ.	١٨٥
١٧٩	وَحُسْنُ السُّؤَالِ نِصْفُ الْعِلْمِ.	٦٠٠
١٨٠	وَفِي الرِّقَةِ رُبْعُ العُشْرِ.	١٩٤
١٨١	وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ.	٤٣٢
١٨٢	وَلا أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللهِ.	١٢٣
١٨٣	ولا يَزَالُ العَبْدُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيْقًا.	٦١٦
١٨٤	وَلَكِنَّ الْبَيِّنَةَ عَلَى الْمُدَّعِي، وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ.	٣٢٤
١٨٥	ومَنْ تركَ شَيْئاً للهِ عَوَّضَهُ اللهُ خَيْراً مِّنْهُ.	٢١١
١٨٦	يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟.	١١٢
١٨٧	يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟.	٥١٤
١٨٨	يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ.	٤٩٠
١٨٩	يَا أَبَا مُوسَى لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ.	٤٣٢
١٩٠	يَا آدَمُ أَنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ.	١٥٤
١٩١	يَا عُقْبَةُ بْنَ عَامِرٍ، صِلْ مَنْ قَطَعَكَ.	١٨٣
١٩٢	يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ.	١٩٠
١٩٣	يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ.	٢١٩
١٩٤	يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.	٥٧٥
١٩٥	يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ.	٣٧٨

فهرسُ الآثارِ:

م	الآثار	الصفحة
١	أَبْشِرْ، فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا.	٥٠٢
٢	أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُرِيَنِي، كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ؟.	٢٠٥
٣	أَدَارَ الْمَاءَ عَلَىٰ مِرْفَقَيْهِ.	٢٠٤
٤	إِذَا أَرَادَ غَزْوَةً وَرَّى بِغَيْرِهَا.	٤٥٢
٥	إِذَا اغْتَسَلَ مِنَ الجَنَابَةِ، غَسَلَ يَدَيْهِ، وَتَوَضَّأَ وُضُوءَهُ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اغْتَسَلَ.	٢٠٦
٦	إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ.	١١٢
٧	إذا رجعتِ الخادم قالت: ما قالوا لكِ؟.	١٩٧
٨	اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ حَيْثُ رَدُّوهُ.	٥٢١
٩	أَفَاضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ آخِرِ يَوْمِهِ.	٢٣٨
١٠	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَجُلاً يُصَلِّي وَفِي ظَهْرِ قَدَمِهِ لُمْعَةٌ قَدْرُ الدِّرْهَمِ.	٢٠٥
١١	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ.	٣٢٩
١٢	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، كَانَ يَخْطُبُ قَائِماً يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَجَاءَتْ عِيرٌ مِنَ الشَّامِ.	٢١٣
١٣	إِنَّ أَهَمَّ أَمَرِكُمْ عِنْدِي الصَّلَاةُ.	١٩٣
١٤	إِنَّ ربَّ مُحَمَّدٍ قَلَاهُ.	٥٠٤
١٥	أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَضَى بِيَمِينٍ وَشَاهِدٍ.	٢٦٠
١٦	إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ.	٥٢٧
١٧	أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ بَعَثَ جَيْشًا إِلَى أَوْطَاسَ.	٢٨١
١٨	أَنَّ رسول الله ﷺ، أَتَاهُ جِبْرِيلُ ﷺ، وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ.	٥٠٠
١٩	أَنَّ يَهُودِيًّا رَضَّ رَأْسَ جَارِيَةٍ بَيْنَ حَجَرَيْنِ.	٣٠٧
٢٠	أُنْزِلَتْ فِي قَوْلِهِ: لَا وَاللَّهِ، بَلَى وَاللَّهِ.	٣١٥
٢١	أَنَّهُ أَسْلَمَ، فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَغْتَسِلَ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ.	٢٠٦
٢٢	أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ رَجُلٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً وَلَمْ يَفْرِضْ لَهَا صَدَاقًا.	٢٧٤

الصفحة	الآثار	م
٢٢٥	أَنَّهُمْ تَسَحَّرُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ.	٢٣
٥٢٧	إِنِّي لَأَعْلَمُ أَيَّ مَكَانٍ أُنْزِلَتْ.	٢٤
٥١٤	ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ.	٢٥
٥١٤	جَاءَنَا رُسُلُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ.	٢٦
٥٢٤	جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ.	٢٧
٣٦٧	حَدِّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ.	٢٨
٣٨١	حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ.	٢٩
٣٠٥	حَضَرْتُ هَذَا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.	٣٠
٢٩٦	زَوَّجْتُ أُخْتًا لِي مِنْ رَجُلٍ فَطَلَّقَهَا.	٣١
٣١٠	سَمِعتُ النَّبِيَّ ﷺ يَأْمُرُ فِيمَنْ زَنَى وَلَمْ يُحْصَنْ: جَلْدَ مِائَةٍ وَتَغْرِيبَ عَامٍ.	٣٢
٣٥٣	صَارَتِ الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي العَرَبِ بَعْدُ.	٣٣
٥٢٠	صَالَحَ النَّبِيُّ ﷺ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ.	٣٤
٢١٥	صَحِبْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي السَّفَرِ، فَلَمْ يَزِدْ عَلَى رَكْعَتَيْنِ.	٣٥
٢٩٥	طَلَّقَ امْرَأَةً لَهُ وَهِيَ حَائِضٌ تَطْلِيقَةً وَاحِدَةً.	٣٦
٣١٥	فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا -يُرِيدُ الحَرَّتَيْنِ- أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي.	٣٧
٢٢٥	قَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُدْرِكُهُ الْفَجْرُ فِي رَمَضَانَ وَهُوَ جُنُبٌ.	٣٨
٢٧٠	قَضَى مُحَمَّدٌ ﷺ: "أَنَّ الدَّيْنَ قَبْلَ الْوَصِيَّةِ.	٣٩
٣١٢	قَطَعَ النَّبِيُّ ﷺ فِي مِجَنٍّ ثَمَنُهُ ثَلَاثَةُ دَرَاهِمَ.	٤٠
٢٢٤	كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَائِماً، فَحَضَرَ الإِفْطَارُ.	٤١
١٨٦	كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي الظُّهْرَ بِالهَاجِرَةِ.	٤٢
١٨٥	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَحَضَتِ الشَّمْسُ صَلَّى الظُّهْرَ.	٤٣
١٩١	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي عَلَى رَاحِلَتِهِ، حَيْثُ تَوَجَّهَتْ.	٤٤
١٠٧	كَانَ يَقْرَأُ فِي رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ...	٤٥
٥١٦	كُنَّا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ، نَتَحَدَّثُ.	٤٦
١٤٢	كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَعَلَيْهِ رِدَاءٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ.	٤٧

م	الآثار	الصفحة
٤٨	كَيْفَ تَقْرَأُ القُرْآنَ؟.	١٥٩
٤٩	لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا.	٥٢١
٥٠	لَمَّا نَزَلَ صَوْمُ رَمَضَانَ كَانُوا لَا يَقْرَبُونَ النِّسَاءَ رَمَضَانَ كُلَّهُ.	٢٢٤
٥١	لَنْ نُغْلَبَ الْيَوْمَ عِنْ قِلَّةٍ.	٢٤٨
٥٢	مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ، إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً.	٣٦٧
٥٣	نَحَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ الْبَدَنَةَ عَنْ سَبْعَةٍ.	٢٢٩
٥٤	نَزَلَتْ فِي بَنِي النَّضِيرِ.	٥٢٣
٥٥	نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِينَا.	٥٥٠
٥٦	نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ قَتْلِ أَرْبَعٍ مِنَ الدَّوَابِّ.	٣٢١
٥٧	نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ.	٣٢٠
٥٨	نَهَى عَنْ بَيْعِ الْغَرَرِ.	٢٥٧
٥٩	هُوَ الرَّجُلُ يَرَى مِنَ امْرَأَتِهِ مَا لَا يُعْجِبُهُ.	٢٨٨
٦٠	وَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ.	٣٠٧
٦١	وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ.	٦٢٧
٦٢	وَصَلَّى الْفَجْرَ، حِينَ تَبَيَّنَ لَهُ الصُّبْحُ.	٢٣٥
٦٣	يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.	١٤١، ٥٠٠
٦٤	يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَوْمِي لِعَائِشَةَ.	٢٨٨

فهرسُ الأَلفاظِ الغَرِيْبَةِ:

م	الكلمة	الصفحة	م	الكلمة	الصفحة	م	الكلمة	الصفحة
١	الأَبْضَاع	٢٨١	٢٣	انْشَمَروا	٥١٩	٤٥	التَّرَفُّهُ	٢٢٩
٢	الأَبَق	٢٥٨	٢٤	الإِنْهَاض	٥٥٧	٤٦	التَّزْوِيق	٤٢٢
٣	الأَبْكَم	١٣٧	٢٥	أَوْعَب	٥٢٤	٤٧	التَّشَبُّث	١٣٦
٤	أَجَاوِيْد	١٤٦	٢٦	الإِيزَاع	٥٩٦	٤٨	التَّعَالِي	٤٧٠
٥	الاحتِرَاز	٢٣٨	٢٧	الْبَدِيهَة	٣٦٠	٤٩	التَّعَدِّي	٣٢٨
٦	اسْتَطَار	٢٨٦	٢٨	البُرُوز	٥٩١	٥٠	التَّفرِيْط	٣٢٨
٧	الاستِكَانَة	١٢٩	٢٩	الْبَرْي	٣٨٥	٥١	تَقْرِي الضَّيْف	٥٠٣
٨	الاسْتِنْكَاف	٣٥٤	٣٠	الْبِشَارَة	١٤٢	٥٢	تَكْسِبُ الْمَعْدُوم	٥٠٣
٩	الأَسْرَاب	٤٦١	٣١	البِضْع	٥١٦	٥٣	التُّلُوْل	١٣١
١٠	الأَشَرُ	٥٩٦	٣٢	البَطَر	١٦٩	٥٤	التَّلَوِّي	٣٨٣
١١	الأَشْعَث	٢٤٢	٣٣	البُلْغة	٢٣٤	٥٥	التَّمْوِيْه	١٣٧
١٢	الأَعْرَاف	٥٧٤	٣٤	البَوارُ	٢٥٦	٥٦	تَنْحَقِن	٣٠٩
١٣	الإِغْمَاض	١٩٥	٣٥	البَوْح	٣٤٤	٥٧	التَّهَوُّر	٦٢٢
١٤	الأُفقِيَّة	٢٣٢	٣٦	التَّابُوت	٤٠٩	٥٨	التِّيْهُ	٣٦٠
١٥	الأَفْن	٣٥٠	٣٧	تَارَة	١٣٠	٥٩	الثُّبُور	١٤٥
١٦	الأَفْنِيَة	٣٣٣	٣٨	التَّأَلِّي	٣٦٢	٦٠	الثَّنِيَّة	٣٨٣
١٧	الإِقْبَاض	٢٥٩	٣٩	التَّجَرِّي	٢٩٧	٦١	الجُبّ	٤٩٤
١٨	الاكتِرَاث	٤٦٤	٤٠	التَّجَلُّد	١٥٧	٦٢	الجَبَان	٦٢٢
١٩	الأَكْمَه	٤٧١	٤١	التَّحَذلُق	١٣٧	٦٣	الجَذَاذ	١٩٤
٢٠	الأَكِنَّة	٥٦٢	٤٢	تَخَايَلْنَا	٣٧٠	٦٤	الجِرَاب	٣٨٢
٢١	الإِلْصَاق	٢٠٤	٤٣	التَّخَلِّي	٢٠١	٦٥	الجُرَب	١٩٥
٢٢	انْجَابَتْ	١٣٤	٤٤	تُرْعَد	٥٠٢	٦٦	الجِزْيَة	٤٠٩

م	الكلمة	الصفحة
٦٧	الجَنْبَة	٢٤٩
٦٨	الجَنَف	٢٧٠
٦٩	الجِيَاد	٤٤٦
٧٠	الجَيْب	٤١٨
٧١	حَابَاه	٢١٢
٧٢	الحَافِر	٤٦٠
٧٣	الحِبَاء	٢٥٧
٧٤	الْحِجَا	٢٥١
٧٥	الحَجْر	٢٧٦
٧٦	الْحَدْو	١٣٠
٧٧	الحِرْز	٣١٢
٧٨	الحِسّ	٣٨٤
٧٩	الْحَسْم	٣١١
٨٠	الحِكَايَة	٦٠٧
٨١	الحَمَأُ	٤٥٩
٨٢	الحِمَى	٦٠٥
٨٣	الحِيَل	٤٩٢
٨٤	الْخَافِقَان	٣٩٠
٨٥	الْخِزْي	٥٠٢
٨٦	الخُفّ	٤٦٠
٨٧	الْخَلْب	٣١٩
٨٨	الْخُلْطَة	٣٢٦
٨٩	الدَّبُوْر	١٣٠
٩٠	الدِّثَار	٥٠٤
٩١	الدَّرْء	٣٠٥
٩٢	الدَّوْحَة	٣٨٢
٩٣	الذَّاتّ	١١٤
٩٤	الذَّقَن	٢٠٤
٩٥	الرَّان	٥٦٢
٩٦	الرَّحْل	٤٨٦
٩٧	الرَّدْم	٤٦٣
٩٨	الرَّضْف	٣٨٧
٩٩	الرَّكْض	٤٤٨
١٠٠	الرَّوْح	٤٩٤
١٠١	الرَّيْع	٤٦١
١٠٢	الزَّاد	٢٠١
١٠٣	الزُّمَر	١٤٦
١٠٤	الزَّهَق	٥٩٢
١٠٥	السَّبْع	٣١٩
١٠٦	السَّحْت	١٩٦
١٠٧	السُّحْق	٥٨٢
١٠٨	السَّرْد	٤٣٢
١٠٩	السَّرْو	٥١٦
١١٠	السُّرَى	٥١١
١١١	السُّرِّيَّة	٣١٤
١١٢	السَّرِيَّة	٥١٥
١١٣	السَّلْوَة	٤٤٨
١١٤	السَّمَاجَة	١٣٧
١١٥	السَّمَر	٣٤٠
١١٦	السُّمْعَة	٤٦
١١٧	السَّمِيّ	١٢٧
١١٨	السِّنَان	٥٨٥
١١٩	السِّنَة	٥٤٨
١٢٠	السَّوْرَة	٤٣٦
١٢١	السَّيَّارَة	٤٨٣
١٢٢	السَّيْح	٣٨٤
١٢٣	الشَرِيْد	٢٥٨
١٢٤	الشِّعْب	٤٠١
١٢٥	الشَّغْب	٢٥١
١٢٦	الشِّمْرَاخ	٤٤٩
١٢٧	الشُّنْعَة	١٥٣
١٢٨	الصَّبَابَة	٣٧٩
١٢٩	الصَّدَد	٤٤٠
١٣٠	صُدورُ الرُّعَاة	٤١٦
١٣١	الصِّدِّيقيَّة	١٨١
١٣٢	الصَّرْح	٤٣٨
١٣٣	الصَّلْصَلَة	٣٤٢
١٣٤	الصِنْدِيد	٥١٦
١٣٥	الضَّدِيد	١٢٤
١٣٦	الطَّوْر	٣٥٤
١٣٧	الطُّوفَان	٣٥٧
١٣٨	الطَّوْل	٢٨٢

م	الكلمة	الصفحة
١٣٩	الْعَرَاء	٤٢٨
١٤٠	العَرَصَات	١٤٦
١٤١	الْعُرُوْج	٥١١
١٤٢	العَزْر	٥٦٥
١٤٣	العُصْفُر	٥٧
١٤٤	العِفْرِيت	٤٣٤
١٤٥	الْعَقِيْم	٣٨٨
١٤٦	العَمَه	٥٠٥
١٤٧	العُنْصُر	٣٤٣
١٤٨	العِيْر	٥١٦
١٤٩	الْغَرَر	٢٥٤
١٥٠	الغَرْز	٢٦٥
١٥١	الغَطّ	٥٠٢
١٥٢	الغَفْلَة	٥٣٨
١٥٣	الغِلَال	٤٧٨
١٥٤	الْغَوَائِل	٥٠٥
١٥٥	الغِيَاض	٤٦١
١٥٦	الغِيْرَان	٤٦١
١٥٧	الغَيْهَب	٣٥٦
١٥٨	الفَارِط	١٧١
١٥٩	فَارِغًا	٤١٠
١٦٠	الفَتّ	٢٥٠
١٦١	الْفَخَّار	٣٤٢
١٦٢	الفَرَطُ	٥٧٤

م	الكلمة	الصفحة
١٦٣	الْفَرَق	٥٠٢
١٦٤	الفَلّ	٤٣٦
١٦٥	الفَلْتَة	٥٩١
١٦٦	الفِلَذُ	١٧٠
١٦٧	الفَيْئَة	٥٥٨
١٦٨	القَارُوْرَة	٤٣٨
١٦٩	القِدْح	٤٥
١٧٠	قَفَّى	٣٨٢
١٧١	القَمْع	٣٠٩
١٧٢	القَنْطَرَة	١٤٦
١٧٣	القَوَام	٦٢٢
١٧٤	الْكَرَامَة	٣٩٤
١٧٥	الكِفْل	٢٨٤
١٧٦	الكُفْؤ	١٢٧
١٧٧	الْكَلّ	٥٠٣
١٧٨	الكَنَف	٤٦٣
١٧٩	الكُنْه	١٢٨
١٨٠	الكَهْف	٤٩٦
١٨١	الْكُوع	٣١١
١٨٢	اللُّبّ	٥٦٣
١٨٣	اللُّثْغَة	٤٢٤
١٨٤	اللَّجَاج	٣٩٨
١٨٥	اللُّجَّة	٤٣٨
١٨٦	اللَّحْيَان	٢٠٤

م	الكلمة	الصفحة
١٨٧	لَوَطَ	٣٩٨
١٨٨	الْمُبَاهَاة	٤٦
١٨٩	الْمُبَاهَتَة	١٣٨
١٩٠	الْمُبَرِّح	٢٨٥
١٩١	الْمَتَاع	٢٣٤
١٩٢	الْمُتَمَوَّلَة	١٩٤
١٩٣	الْمَثُلَاْت	٥٩٣
١٩٤	الْمِحْنَة	٤٧٥
١٩٥	الْمُحَيَّا	٢٢
١٩٦	الْمُخْبِت	٥٦٣
١٩٧	الْمِرَاء	٤٦
١٩٨	الْمَرِيء	٣٢١
١٩٩	المزَاد	٢٠١
٢٠٠	الْمَسْفُوْح	٣١٩
٢٠١	مَطَاوِي	٥٢٦
٢٠٢	الْمَطْل	٢٧٦
٢٠٣	الْمَطِيّ	٥٨٧
٢٠٤	الْمُظَاهَرَة	٥١٨
٢٠٥	الْمَعْتَبَة	٢٨٦
٢٠٦	الْمَعَرَّة	٣٩٨
٢٠٧	الْمَعْط	٤٢٨
٢٠٨	الْمَفَاوِز	٢٤١
٢٠٩	الْمُفظِع	١٤٩
٢١٠	الْمَقْت	٢٣٦

م	الكلمة	الصفحة
٢١١	الْمَكْمَن	٢٤٩
٢١٢	الْمُلِمَّة	١٢٦
٢١٣	الْمُنَادَمَة	٢١
٢١٤	الْمُناوَشَة	٥١٩
٢١٥	الْمِنْحَة	٤٧٥
٢١٦	الْمُنِيْب	٥٦٣
٢١٧	الْمُنِيْفَة	٢٣٤
٢١٨	الْمُهِمّ	١٢٦
٢١٩	الْمَهْمَهَة	٢٤١
٢٢٠	الْمُواتَاة	٢٨٥
٢٢١	الْمُوَاجَهَة	٢٠٤
٢٢٢	الْمَؤُونَة	١٩٤
٢٢٣	الْمِيْرَة	٤٩١
٢٢٤	النَّاب	٣١٩
٢٢٥	النَّاكِل	٢٤٦
٢٢٦	النَّبْل	٣٨٥
٢٢٧	النَّدِيد	١٢٣
٢٢٨	النَّزَق	٢٧٧
٢٢٩	النِّسْيَان	٥٣٨
٢٣٠	النِّطَاق	٤٩٧
٢٣١	النَّظِير	١٨٢
٢٣٢	النَّفْش	٤٤٠
٢٣٣	النَّفِيْر	٥١٦
٢٣٤	النَّمَط	٦١٨
٢٣٥	النُّهَى	٥٦٣
٢٣٦	النَّوائِب	٣٣٩
٢٣٧	الْهُرَاء	١٣٥
٢٣٨	وِردًا	١٤٥
٢٣٩	الوَفْد	١٤٤
٢٤٠	الْوِقْر	٤٢٧
٢٤١	الوِهَاد	١٣١
٢٤٢	وَيْح	١٣٦
٢٤٣	يَبْشَر	١٩٨
٢٤٤	يتسَرَّرُها	٣٨٢
٢٤٥	يُحْفِظُهُ	٤٠٦
٢٤٦	يُزْرِي	١٦١
٢٤٧	يَسْتَحْيِي	٤٠٩
٢٤٨	يُعاجِلون	٣٩٨
٢٤٩	يَعْبِسُ	١٤٢
٢٥٠	يَعْتَقِبُونَها	٥١٦
٢٥١	اليَقْطِيْن	٤٢٨
٢٥٢	يَنْجَع	٢٨٥
٢٥٣	يُوزَعُون	٤٣٤

فهرسُ المُصْطَلَحاتِ:

م	المُصْطَلَحات	الصفحة	م	المُصْطَلَحات	الصفحة
١	الأَرْش	٣٣٠	٢٣	السَّرِقَة	٢٥٨
٢	الاسْتِبْراء	٢٨١	٢٤	السَّفَه	٢٥٤
٣	الاقْسَامَات	٦١٠	٢٥	السَّلَم	٢٥٣
٤	الأُنْمُوْذَج	١٣٢	٢٦	الشَّرْط	١٨٩
٥	أَيامُ التَّشريق	٢٣١	٢٧	الشِّرْكُ الأَصغر	١٦٣
٦	بيع الْمُلامَسَة	٢٥٨	٢٨	الصَّاع	٢٣١
٧	التَّبَنِّي	٢٨١	٢٩	ضَغْط الدَّم	٢٤
٨	التَدْلِيس	٢٥٨	٣٠	الضَّمَان	٢٦٢
٩	تَصَلُّب الشَّرَايِيْن	٢٤	٣١	الطَّرْد	٣٨١
١٠	الجِبَايَة	٤٩٠	٣٢	الظَّاهِر	٤١٢
١١	الجِعَالة	٢٦٥	٣٣	الظُّلْم	٥٧٧
١٢	الحَجْب	٢٦٧	٣٤	الظَّنّ	٥٦٨
١٣	الحُدُوْد	٣٠٦	٣٥	العَامّ	٤١٢
١٤	الحَوارِيُّون	٤٧١	٣٦	الْعَدَالَة	٣٣٣
١٦	الحُلْقُوم	٣٢١	٣٨	العِدَّة	٢٨١
١٥	الْخُلْع	٢٩٢	٣٧	الْعُرْف	٣٣١
١٧	الدَّلِيْل	٩٤	٣٩	عُقودُ التَّبرُّعَات	٣٢٥
١٨	الرَّبِيْبَة	٢٧٩	٤٠	العَوْل	٣٢٩
١٩	الرَّضَاع	٢٧٩	٤١	الغَصْب	٢٥٨
٢٠	الرُّكْن	١٨٩	٤٢	الفَرَائِض	٥٠٢
٢١	الرَّهْن	٢٦٠	٤٣	الفَرَح	٥٦٩
٢٢	الرِّياء	٤٦	٤٤	الْفَرْض	٢٦٧

م	المُصْطَلَحات	الصفحة
٤٥	الْفَسْخ	٢٩٢
٤٦	القُرْعَة	٣٢٥
٤٧	القَرِيْنَة	٣٢٥
٤٨	القِصَّة	٣٣٩
٤٩	القِمار	٢٥٧
٥٠	الْكَفَالَة	٢٦٢
٥١	الكَلالَة	٢٧٠
٥٢	اللُّقَطَة	٣٣١
٥٣	الْمُبَاشِر	٣٣٧
٥٤	الْمُتَسَبِّب	٣٣٧
٥٥	الْمَخِيْط	٢٣١
٥٦	الْمُدّ	٢٣١
٥٧	الْمَدْلُوْل	٩٥
٥٨	الْمُرَاهَنَة	٢٥٧
٥٩	الْمُسْتَحَبّ	١٨٩
٦٠	الْمُصاهَرَة	٢٧٩
٦١	الْمُعَاهَد	١٧٥
٦٢	الْمُعَاوَضَة	٢٥٧
٦٣	الْمُعْجِزَة	٣٩٤
٦٤	المعلومُ بالضَّرُورَة	١٥٤
٦٥	الْمُقَابَلَة	٥٢٩
٦٦	الْمَقَاصِد	٩٤
٦٧	الْمُكَابَرَة	١٣٧
٦٨	الْمُمَاثَلة	١٢٧
٦٩	الْمُنَابَذَة	٢٥٨
٧٠	الْمُنَاظَرَة	٣٧٥
٧١	الْمُوَالَاة	٢٠٥
٧٢	المولَّد	١٣٨
٧٣	الْمَيْسِر	٢٥٧
٧٤	النَّاظِر	٣٣٣
٧٥	النسَب	٢٧٩
٧٦	النَّصّ	٤١٢
٧٧	النُّصْب	١٩٤
٧٨	النَّظَرِيَّة	٥٩١
٧٩	النَّقِيضَان	١٣٧
٨٠	نكاحُ التَّحْلِيلِ	٢٩٥
٨١	نَوَائِبُ الحَقّ	٥٠٣
٨٢	الهِجْرَة	٥١٣
٨٣	هديُ الجُبْرَان	٢٣١
٨٤	الواجِب	١٨٩
٨٥	الوَسائل	٩٤

فهرسُ الأَعلامِ:

م	العَلَم	الصفحة
١	ابنُ بدرانَ؛ محمَّدُ بنُ عبدالقَويّ	٦٤
٢	ابنُ جاسر؛ إبراهيمُ بنُ حمَد	٢٧
٤	ابنُ سِلِيم؛ عليُّ بنُ محمَّد	٣٢
٥	ابنُ صالح؛ صالحُ بنُ ناصر	٧١
٦	ابنُ عِيسى؛ إبراهيمُ بنُ صالح	٢٧
٧	ابنُ مانعٍ؛ محمَّدُ بنُ عبدِالعزيز	٢٨
٨	ابنُ مَخْزُوم؛ الوليدُ بن الْمُغِيرة	٥٠٧
٩	ابنُ وَادِيّ؛ عليُ بنُ ناصر	٢٨
١٠	أَبو زيد؛ بكرُ بنُ عبدالله	٤٧
١١	آل سعديٍّ؛ حَمَد بن ناصر	١٥
١٢	آل سعديٍّ؛ ناصرُ بنُ عبدالله	١٥
١٣	آلُ عقيل؛ عبدُاللهِ بنُ عبدِالعزيز	٣١
١٤	آلُ قاضي؛ صالحُ بنُ عثمان	٢٧
١٥	البسَّامُ؛ سليمانُ بنُ إبراهيم	٣٠
١٦	البسَّامُ؛ سليمانُ بنُ صالح	٣٠
١٧	البسَّامُ؛ عبدُالعزيزِ بنُ محمَّد	٣١
١٨	البسَّامُ؛ عبدُاللهِ بنُ عبدالرَّحمن	١٤
١٩	البسَّامُ؛ محمَّدُ بنُ سليمان	١٠
٢٠	بِلْقِيسُ بِنْتُ شَرَاحِيل	٤٣٥
٢١	التُّويجِريُّ؛ صَعبُ بنُ عبدِالله	٢٧
٢٢	الحناكيُّ؛ محمَّدُ بنُ ناصر	٣٢
٢٣	الخُضَيريُّ؛ عبدُاللهِ بنُ عبدِالعزيز	٣١
٢٤	الزَّاملُ؛ محمَّدُ بنُ منصور	٣٢
٢٥	الزّغيبيُّ؛ صالحُ بنُ عبدِالله	٣٠
٢٦	سَبَأُ بنُ يَشْجُب بن يَعْرُب	٤٣٥
٢٧	سَعْدُ بنُ معاذ الأَنصاري	٥١٩
٢٨	السّعديُّ؛ عبدالله بنُ عبدالرَّحمن	١٤
٢٩	السَّلمانُ؛ عبدُالعزيزِ بنُ محمَّد	٣١
٣٠	السّنانِيُّ؛ علي بنُ محمَّد	٢٨
٣١	الشِّبلُ؛ محمَّدُ بنُ عبدِالكريم	٢٨
٣٢	الشّنْقيطِيُّ؛ محمَّدُ الأَمينُ بنُ محمود	٢٨
٣٣	الصَّالحيُّ؛ عليُّ بنُ حَمَد	٣٢
٣٤	الصّيخانُ؛ عبدُاللهِ بنُ محمَّد	٣١
٣٥	العَبْدَلِيُّ؛ محمَّدُ بنُ عبدِالرَّحمن	٣٢
٣٦	العُثَيْمِينُ؛ فاطمةُ بنتُ عبدالله	١٥
٣٧	العدويُّ؛ عبدُالرَّحمن	٤٨
٣٨	العُوهَليُّ؛ عبدُاللهِ بنُ محمَّد	٣١
٣٩	العُويضِيُّ؛ عبدُاللهِ بنُ عايض	٢٧
٤٠	غُوسْتاف لُوبون	١٣٨
٤١	الفَقِي؛ محمَّد حامد	٥٢
٤٢	القاضي؛ محمَّد بن عثمان	٢٢
٤٣	القَصِيميُّ؛ عبدالله بنُ عليّ	٤٠
٤٤	المطرودِيُّ؛ عبدُالله بنُ محمَّد	٣١
٤٥	المطوَّعُ؛ محمَّدُ بنُ عبدِالعزيز	٣٢
٤٦	المقوشِيُّ؛ عبدُالرَّحمنِ بنُ محمَّد	٣٠

فهرسُ القبائلِ، والفِرَقِ:

م	القَبَائل	الصفحة	م	الفِرَق	الصفحة
١	الأَوْسُ الخَزْرَج	٥١٢	١	الإِبَاحِيُّ	٤٠٥
٢	ثَقِيْف	٥٢٣	٢	البَاطِنِيَّةُ	٣٥٠
٣	جُرْهُمُ	٣٨٤	٣	البَلاشِفَةُ	١٩٧
٤	القِبْطُ	٤١٥	٤	الزِّندِيْقُ	١٥٣
٥	القَرَامِطَةُ	٣٥٠	٥	الصَّابِئَةُ	٣٧٤
٦	قُرَيْشٌ	٤٠١	٦	الفَلاسِفَةُ	١٥٣
٧	قُرَيْظَة	٥١٨			
٨	النَّضِيْر	٥٢٢			
٩	هَوازِن	٥٢٣			

فهرسُ الأَماكنِ، والبُلدانِ:

م	الأَماكِن	الصفحة	م	البُلْدان	الصفحة
١	أُحُد	٢٥٠	١	الأَحْقَاف	٣٦٤
٢	جبال أَلْتَاي	٤٦٢	٢	أَذْرِبِيْجَان	٤٦٢
٣	بَدْر	٥١٥	٣	بَيْرُوْت	٢٤
٤	الحِجْر	٣٦٤	٤	تَبُوْك	٥٢٤
٥	الحُدَيْبِيَة	٢٢٩	٥	الحَبَشَة	٥١٣
٦	حِرَاء	٥٠١	٦	الْحِجَاز	٥١٨
٧	حُنَيْن	٢٤٨	٧	حَضْرَمَوْت	٣٦٤
٨	الخَنْدَق	٥١٨	٨	سَدُوْم	٣٩٦
٩	السُّوْرُ الصِّيْنِيّ	٤٦٢	٩	الشَّام	٣٨٢
١٠	الشَّهْوَانِيَّة	٢٥	١٠	الصِّيْن	٤٦٠
١١	الصَّفَا	٣٨٣	١١	عُنَيْزَة	١٥
١٢	الغَوْر	٣٩٦	١٢	مَدْيَن	٤٠٢
١٣	مركزُ ابن صالح	٧١	١٣	مَنْغُوْليا	٤٦٢
١٤	القَفْقَاس	٤٦٢	١٤	الْمَوْصِل	٣٥٧
١٥	الْمُحِيْطُ الهادِئ	٤٦٠	١٥	نَجْدٌ	٥١٨
١٦	الْمِحْرَاب	٤٣٢	١٦	نِيْنَوَى	٤٢٧
١٧	مَركز الملكِ فَيصل	٩٠			
١٨	الْمَرْوَة	٣٨٣			
١٩	الْمُزدَلِفَة	٢٣٥			
٢٠	مؤسَّسةُ ابنِ عُثَيْمِين	٩٠			
٢١	النَّدْوَة	٥١٣			
٢٢	النِّيْل	٤٠٩			

فهرسُ المصادرِ والمراجعِ:

أَوَّلًا: المؤَلَّفاتُ:

١- الإبانة الكبرى: ابن بطَّة؛ عبيدالله بن محمَّد، تحقيق: رضا بن نعسان، دار الرَّاية- الرِّياض، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤١٥هـ.

٢- الإتقان في علوم القرآن: السُّيوطي؛ عبدالرَّحمن بن أَبي بكر، تحقيق: محمَّد أَبو الفضل، الهيئة المصريَّة العامة للكتاب- القاهرة، ١٣٩٤هـ.

٣- آثار البلاد وأَخبار العباد: القزويني؛ زكريا بن محمَّد، دار صادر.

٤- الأَجوبة السّعدية عن المسائل القَصِيميَّة: السّعدي؛ عبدالرَّحمن بن ناصر، تحقيق: هيثم الحداد، ووليد المنيس، دار البشائر الإِسلاميَّة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٦هـ.

٥- الأَجوبة السّعدية عن المسائل الكويتيَّة: السّعدي؛ عبدالرَّحمن بن ناصر، تحقيق: وليد المنيس، مركز البحوث والدِّراسات الكويتيَّة- الكويت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٣هـ.

٦- الأَجوبة النَّافعة عن المسائل الواقعة: السّعدي؛ عبدالرَّحمن بن ناصر، تحقيق: جواد الحداد، دار ابن الجوزي الدَّمام، الطَّبعة الثَّانية- ١٤٢٠هـ.

٧- أَحكام القرآن: ابن العربي؛ محمَّد بن عبدالله، دار الكتب العلميَّة- بيروت، الطَّبعة: الثَّالثة، ١٤٢٤هـ.

٨- أَحكام القرآن: البَيْهَقِي؛ أَحمد بن الحسين، مكتبة الخانجي- القاهرة، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤١٤هـ.

٩- أَحكام القرآن: الجصَّاص؛ أَحمد بن علي، تحقيق: محمَّد القمحاوي، دار إِحياء التُّراث العربي- بيروت، ١٤٠٥هـ.

١٠- أَحكام القرآن: الطَّحاوي؛ أَحمد بن محمَّد، تحقيق: سعد الدِّين أُونال، مركز البحوث- استانبول، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٦هـ.

١١- أَحكام القرآن: الهَرَّاسِيّ؛ علي بن محمَّد، دار الكتب العلميَّة- بيروت، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٠٥هـ.

١٢- الإِحكام في أُصول الأَحكام: الآمِدِي؛ علي بن أَبي علي بن محمَّد، تحقيق: عبدالرَّزاق عفيفي، المكتب الإِسلامي، بيروت- دمشق.

١٣- الأَخبار الطوال: للدِّيْنَوَرْي؛ أَحمد بن داود، دار إِحياء الكتب العربيَّة- القاهرة، الطَّبعة: الأُولى، ١٩٦٠م.

١٤- الأَدلَّةُ القواطعُ والبراهينُ في إِبطالِ أُصولِ الملحِدينَ: السّعدي؛ عبدالرَّحمن بن ناصر، مكتبة

المعارف- الرِّياض، ١٤٠٢هـ.

١٥- الأَربعون النَّوويَّة: النَّووي؛ يحيى بن شرف، تحقيق: قصي الحلَّاق، وأَنور الشّيخي، دار المنهاج- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٣٠هـ.

١٦- إرشاد السَّاري لشرح صحيح البخاري: القسطلَّاني؛ أَحمد بن محمَّد، المطبعة الكبرى الأَميريَّة- مصر، الطَّبعة: السَّابعة، ١٣٢٣هـ.

١٧- إرشاد العقل السَّليم إِلى مزايا الكتاب الكريم= تفسير أَبي السُّعود: العمادي؛ محمَّد بن محمَّد بن مصطفى، دار إِحياء التُّراث العربي- بيروت.

١٨- إرشاد الفُحول إِلي تحقيق الحقِّ من علم الأُصول: الشَّوكاني؛ محمَّد بن علي، تحقيق: أَحمد عزو، دار الكتاب العربي- القاهرة، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٩هـ.

١٩- إرشاد أُولي البصائر والأَلباب لنيل الفقه بأَقرب الطُّرق وأَيسر الأَسباب بطريق مرتَّب على السُّؤال والجواب: آل سعدي؛ عبدالرَّحمن بن ناصر، تحقيق: أَشرف بن عبدالمقصود، أَضواء السَّلف- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٠هـ.

٢٠- إرواء الغليل في تخريج أَحاديث منار السَّبيل: الأَلباني؛ محمَّد ناصر الدِّين، المكتب الإِسلامي- بيروت، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٠٥هـ.

٢١- الاستذكار: القُرطبي؛ يوسف بن عبدالله، تحقيق: سالم محمَّد، دار الكتب العلميَّة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢١هـ.

٢٢- الاستقامة: ابن تيميَّة؛ أَحمد بن عبدالحليم، تحقيق: محمَّد رشاد، جامعة الإِمام- المدينة المنوَّرة، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٠٣هـ.

٢٣- أُسد الغابة في معرفة الصَّحابة: ابن الأَثير؛ علي بن محمَّد، تحقيق: علي معوّض - عادل عبدالموجود، دار الكتب العلميَّة - بيروت الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٥هـ.

٢٤- الأَشباه والنَّظائر: ابن نُجيم؛ زين الدِّين بن إِبراهيم، تعليق: زكريا عميرات، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٩هـ.

٢٥- الأَشباه والنَّظائر: السُّبكي؛ عبدالوهاب بن تقي الدِّين، دار الكتب العلميَّة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١١هـ.

٢٦- الأَشباه والنَّظائر: السُّيوطي؛ عبدالرَّحمن بن أَبي بكر، دار الكتب العلميَّة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١١هـ.

٢٧- الإِصابة في تمييز الصَّحابة: ابن حَجَر؛ أَحمد بن علي، تحقيق: عادل عبدالموجود- على معوّض،

دار الكتب العلميَّة - بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٥هـ.
٢٨- أُصول السَّرْخَسي: السَّرْخَسي؛ محمَّد بن أَحمد، دار المعرفة- بيروت.
٢٩- أُصول العقائد الدِّينيَّة: السّعدي؛ عبدالرَّحمن بن ناصر، دار ابن الجوزي- الدَّمام، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٤هـ.
٣٠- أُصول الفقه: ابن مفلح؛ محمَّد بن مفلح، تحقيق: فهد السَّدحان، مكتبة العبيكان- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٠هـ.
٣١- أُصول عظيمة من قواعد الدِّين الإِسلاميِّ: السّعدي؛ عبدالرَّحمن بن ناصر، تحقيق: عبدالرَّزاق البدر، دار المنهاج- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٢هـ.
٣٢- أَضواء البيان في إِيضاح القرآن بالقرآن: الشنقيطي؛ محمَّد الأَمين، دار الفكر- بيروت، ١٤١٥هـ.
٣٣- أَضواء على الجمعيَّة الخيريَّة الصَّالحيَّة: الجمعية الخيرية الصَّالحيَّة- عنيزة، مركز بن صالح، ١٤٣٢هـ.
٣٤- أَطلس المعارف: لجنة من المختصِّين، دار المعارف- القاهرة، الطَّبعة: الرَّابعة، ١٩٧٧م.
٣٥- إِعانة الطَّالب في بداية علم الفرائض: الأَهدل؛ أَحمد بن يوسف، تحقيق: هاشم محمَّد، دار طوق النَّجاة- بيروت، الطَّبعة: الرَّابعة، ١٤٢٧هـ.
٣٦- الاعتقاد: ابن أَبي يعلى؛ محمَّد بن محمَّد، تحقق: محمَّد الخميس، دار أَطلس الخضراء- الرِّياض- الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٣هـ.
٣٧- إِعلام الموقِّعين عن ربِّ العالمين: ابن القيِّم؛ محمَّد بن أَبي بكر، دار الكتب العلميَّة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١١هـ.
٣٨- أَعلام وعلماء عايشتهم: آل عتيق؛ إِسماعيل بن سعد، دار أَطلس الخضراء- الرِّياض، ١٤٣٢هـ.
٣٩- الأَعلام: الزِّركلي؛ خير الدِّين بن محمود، دار العلم للملايين- بيروت- الطَّبعة: الخامسة عشر، ٢٠٠٢م.
٤٠- إِغاثة اللَّهفان في حكم طلاق الغضبان: ابن القيِّم؛ محمَّد بن أَبي بكر، تحقق: محمَّد عفيفي، المكتب الإِسلامي- بيروت، ومكتبة فرقد- الرِّياض، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٠٨هـ.
٤١- إِغاثة اللَّهفان من مصايد الشَّيطان: ابن القيِّم؛ محمَّد بن أَبي بكر، تحقيق: محمَّد الفقي، مكتبة المعارف- الرِّياض.
٤٢- الإِفادة من مال اليتيم في عقود المعاوضات والتَّبرعات: المشيقح؛ خالد بن علي، الجامعة الإِسلاميَّة- المدينة المنوَّرة، الطَّبعة: السَّنة السَّادسة والثَّلاثون، العدد: ١٢٥- ١٤٢٤هـ.
٤٣- أَفراد كلمات القرآن العزيز: ابن فارس؛ أَحمد بن فارس، تحقيق: حاتم الضَّامن، دار البشائر-

دمشق، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٣هـ.

٤٤- اقتضاء الصِّراط المستقيم لمخالفة أَصحاب الجحيم: ابن تيميَّة؛ أَحمد بن عبدالحليم، دار عالم الكتب- بيروت، الطَّبعة: السَّابعة، ١٤١٩هـ.

٤٥- الإقناع: ابن المنذر؛ محمَّد بن إِبراهيم، تحقيق: عبدالله الجبرين، مطابع الفرزدق- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٠٨هـ.

٤٦- الإِكليل في استنباط التَّنزيل: السُّيوطي؛ عبدالرَّحمن بن أَبي بكر، تحقيق: سيف الدِّين الكاتب، دار الكتب العلميَّة- بيروت، ١٤٠١هـ.

٤٧- إِكمال الْمُعْلِم بفَوائد مُسْلِم: السّبتي؛ عياض بن موسى، تحقق: يَحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء- مصر، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٩هـ.

٤٨- الأَلفاظ والمصطلحات المتعلِّقة بتوحيد الرُّبوبيَّة: العمرو؛ آمال بنت عبدالعزيز، رسالة دكتوراه، جامعة أُم القرى- قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، ١٤٢٦هـ.

٤٩- الأُم: الشَّافعي؛ محمَّد بن إِدريس، دار المعرفة- بيروت، ١٤١٠هـ.

٥٠- الأَماكن= ما اتَّفق لفظه وافترق مسمَّاه من الأَمكنة: الحازمي؛ محمَّد بن موسى، تحقيق: حمد الجاسر، دار اليمامة، ١٤١٥هـ.

٥١- الإِمام ابن باز: السَّدحان؛ عبدالعزيز بن محمَّد، دار الأَثير- جدة، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٢هـ.

٥٢- الأَمثال: ابن رفاعة؛ زيد بن عبدالله، دار سعد الدِّين- دمشق، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٣هـ.

٥٣- الأَمثال: ابن سلاَّم؛ أَبو عُبيد القاسم بن عبدالله، تحقق: عبدالمجيد قطامش، دار المأْمون للتُّراث- دمشق- الطَّبعة: الأُولى، ١٤٠٠هـ.

٥٤- إِنباء الغُمْر بأَبناء العُمْر: ابن حجر؛ أَحمد بن علي، تحقق: حسن حبشي، المجلس الأَعلى للشُّؤون الإِسلاميَّة، لجنة إِحياء التُّراث الإِسلامي- القاهرة، ١٤١٩هـ.

٥٥- إِنباهُ الرُّواة: القفطي؛ علي بن يوسف، المكتبة العصريَّة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٤هـ.

٥٦- الإِنباه على قبائل الرُّواة: ابن عبد البرِّ؛ يوسف بن عبدالله، تحقيق: إِبراهيم الأَبياري، دار الكتاب العربي -لبنان- الطَّبعة: الأُولى، ١٤٠٥هـ.

٥٧- انتصار الحقِّ: السّعدي؛ عبدالرَّحمن بن ناصر، أَضواء السَّلف- الرِّياض، أَشرف عبدالمقصود، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٩هـ.

٥٨- أَنساب الأَشراف: البَلَاذُري؛ أَحمد بن يحيى، تحقيق: سهيل زكار، ورياض الزّركلي، دار الفكر- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٧هـ.

٥٩- الأَنساب: السَّمعاني؛ عبدالكريم بن محمَّد، تحقق: عبدالرَّحمن المعلِّمي، مجلس دائرة المعارف العثمانيَّة- حيدر آباد، الطَّبعة: الأُولى، ١٣٨٢هـ.

٦٠- إنسان العيون في سيرة الأَمين المأْمون: الحلبي؛ علي بن إبراهيم، دار الكتب العلميَّة- بيروت، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٢٧هـ.

٦١- الإِنصاف في معرفة الرَّاجح من الخلاف: المرداوي؛ علي بن سليمان، دار إِحياء التُّراث العربي- بيروت، الطَّبعة: الثَّانية.

٦٢- أُنموذج جليل في أَسئلة وأَجوبة عن غرائب آي التَّنزيل: الرَّازي؛ محمَّد بن أَبي بكر، دار عالم الكتب- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٣هـ.

٦٣- أَنوار البروق في أَنواء الفُروق= الفُروق: القرافي؛ أَحمد بن إدريس: ومعه: تهذيب الفُروق: محمَّد بن حسين، عالم الكتب- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٨هـ.

٦٤- أَنوار التَّنزيل وأَسرار التَّأْويل= تفسير البيضاوي: البيضاوي؛ عبدالله بن عمر، دار إِحياء التُّراث العربي- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٨هـ.

٦٥- أَنيس الفقهاء في تعريفات الأَلفاظ المتداولة بين الفقهاء، الْقَوْنَوِيّ؛ قاسم بن عبدالله، تحقق: يحيى مراد، دار الكتب العلميَّة- بيروت، ١٤٢٤هـ.

٦٦- أَهوال القبور: ابن رجب؛ عبدالرَّحمن بن أَحمد، تحقق: عاطف شاهين، دار الغد الجديد- المنصورة، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٦هـ.

٦٧- أَوضح المسالك إلى أَلفيَّة ابن مالك: ابن هشام؛ عبدالله بن يوسف، تحقق: يوسف البِقاعي، دار الفِكر-بيروت.

٦٨- الإِيضاحات العصريَّة للمقاييس والمكاييل والأَوزان والنُّقود الشَّرعيَّة، حلَّاق؛ محمَّد صبحي، مكتبة الجيل الجديد- صنعاء، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٨هـ.

٦٩- الإيمان: ابن تيميَّة؛ أَحمد بن عبدالحليم، تحقق: محمَّد ناصر الدِّين الأَلباني، المكتب الإِسلامي- عمَّان، الطَّبعة: الخامسة، ١٤١٦هـ.

٧٠- الإيمان: ابن سلاَّم؛ أَبو عُبيد القاسم بن عبدالله، تحقق: محمَّد ناصر الدِّين الألباني، المكتب الإِسلامي، بيروت، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٠٣هـ.

٧١- أَئمَّة الحرمين: الغامدي؛ عبدالله بن أَحمد، دار الطَّرفين- الطَّائف، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٣٢هـ.

٧٢- البحر المحيط في التَّفسير: أَبو حيَّان؛ محمَّد الأَندلسي، دار الفكر- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٠هـ.

٧٣- البدء والتَّاريخ: المقدسي، المطهَّر بن طاهر، مكتبة الثَّقافة الدِّينيَّة- بور سعيد.
٧٤- بداية المجتهد: ابن رُشد؛ محمَّد بن أَحمد، دار الحديث- القاهرة، ١٤٢٥هـ.
٧٥- البداية والنِّهاية: ابن كثير؛ إِسماعيل بن عمر، دار إِحياء التُّراث العربي- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٠٨هـ.
٧٦- بدائع الصنائع في ترتيب الشَّرائع: الكاساني؛ أَبو بكر بن مسعود، دار الكتب العلميَّة- بيروت، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٠٦هـ.
٧٧- بدائع الفوائد: ابن القيِّم؛ محمَّد بن أَبي بكر، دار الكتاب العربي- بيروت، الطَّبعة: الثَّانية، ١٣٩٣هـ.
٧٨- البرهان في علوم القرآن: الزَّرْكَشِي؛ محمَّد بن عبدالله، دار إِحياء الكتب العربيَّة- القاهرة، الطَّبعة: الأُولى، ١٣٧٦هـ.
٧٩- بصائر ذوي التَّمييز في لطائف الكتاب العزيز: الفَيْرُوْزآبَادِي؛ محمَّد بن يعقوب، المجلس الأعلى للشُّؤون الإِسلاميَّة- القاهرة- ١٣٩٣-١٤١٢-١٤١٦هـ.
٨٠- البناية شرح الهداية: العَيني؛ محمود بن أَحمد، دار الكتب العلميَّة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٠هـ.
٨١- بهجة قلوب الأَبرار وقرَّة عيون الأَخيار: آل سعدي؛ عبدالرَّحمن بن ناصر، تحقق: عبدالكريم آل الدريني، مكتبة الرُّشد- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٢هـ.
٨٢- بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب: الأَصْبَهاني؛ محمود بن عبدالرَّحمن، تحقق: محمَّد مظهر، دار المدني- جدَّة، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٠٦هـ.
٨٣- بيان تلبيس الجهميَّة في تأْسيس بدعهم الكلاميَّة: ابن تيميَّة؛ أَحمد بن عبدالحليم، تحقق: مجموعة من المحقِّقين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشَّريف، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٦هـ.
٨٤- البيان والتَّحصيل: القرطبي؛ محمَّد بن أَحمد، تحقيق: محمَّد حجي، وغيره، دار الغرب الإِسلامي- بيروت، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٠٨ هـ.
٨٥- تاج العروس من جواهر القاموس: الزَّبيدي، محمَّد بن محمَّد بن محمَّد بن عبدالرَّزاق، دار الفكر- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٤هـ.
٨٦- تاريخ الإِسلام ووفيات المشاهير والأَعلام: الذَّهبي، محمَّد بن أَحمد، تحقيق: بشَّار عوّاد، دار الغرب الإِسلامي- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ٢٠٠٣م.
٨٧- تاريخ الرُّسل والملوك= تاريخ الطَّبري: الطَّبري؛ محمَّد بن جرير، دار التُّراث- بيروت، الطَّبعة:

الثَّانية، ١٣٨٧هـ.

٨٨- التَّاريخ الكبير: البخاري؛ محمَّد بن إسماعيل، دائرة مكتبة المعارف العثمانيَّة- حيدر آباد، الطَّبعة: الأُولى، ١٣٦٤هـ.

٨٩- تأْويل مشكل القرآن: ابن قتيبة؛ عبدالله بن مسلم، تحقيق: إبراهيم شمس الدِّين، دار الكتب العلميَّة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ٢٠٠٢م.

٩٠- التِّبيان في أَقسام القرآن: ابن القيِّم؛ محمَّد بن أَبي بكر، تحقيق: محمَّد الفقي، دار المعرفة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى.

٩١- التَّحبير شرح التَّحرير في أُصول الفقه، الْمِرْدَاوِي؛ علي بن سليمان، تحقيق: عبدالرَّحمن الجبرين، وعوض القرني، وأَحمد السَّراح، مكتبة الرُّشد- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢١هـ.

٩٢- التَّحرير والتَّنوير= تحرير المعنى السَّديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: ابن عاشور، محمَّد الطَّاهر، الدَّار التُّونسية- تونس، ١٩٨٤هـ.

٩٣- تحصيل نظائر القرآن: الحكيم التِّرمذي؛ محمَّد بن علي، تحقيق: حسني زيدان، مطبعة السَّعادة- مصر، الطَّبعة: الأُولى، ١٣٨٩هـ.

٩٤- تحفة الإِخوان بتراجم بعض الأَعيان: ابن باز؛ عبدالعزيز بن عبدالله، دار أَصالة الحاضر- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٣٠هـ.

٩٥- تحفة أَهل الطَّلب في تجريد أُصول قواعد ابن رجب: السّعدي؛ عبدالرَّحمن بن ناصر، تحقيق: خالد المشيقح، دار ابن الجوزي- الدَّمام، الطَّبعة الأُولى، ١٤٢١هـ.

٩٦- تحقيق النُّصوص ونشرها: هارون؛ عبدالسَّلام محمَّد، مكتبة الخانجي- القاهرة، الطَّبعة: السَّابعة، ١٤١٨هـ.

٩٧- تخريج أَحاديث إِحياء علوم الدِّين: الحَدّاد؛ عبداللّه مَحْمُود، دار العاصمة- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٠٨هـ.

٩٨- تخريج الكلم الطَّيِّب: ابن تيميَّة؛ أَحمد بن عبدالحليم، تحقيق: محمَّد ناصر الدِّين الأَلباني، المكتب الإِسلامي، بيروت- الطَّبعة: الثَّالثة، ١٩٧٧م.

٩٩- التَّدمريَّة= تحقيق الإِثبات للأَسماء والصِّفات، ابن تيميَّة؛ أَحمد بن عبدالحليم، مكتبة العبيكان، الرِّياض- الطَّبعة: السَّادسة، ١٤٢١هـ.

١٠٠- التَّذكرة بأَحوال الموتى وأُمور الآخرة: القرطبي؛ محمَّد بن أَحمد، تحقيق: الصَّادق بن محمَّد، دار المنهاج- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٥هـ.

١٠١- ترجمة موجزة لفضيلة المحدِّث الشَّيخ أَبي عبدالرَّحمن محمَّد ناصر الدِّين الأَلباني، وأَضواء على حياته العلميَّة: القريوتي؛ عاصم بن عبدالله، دار المدني.

١٠٢- تسهيل السَّابلة لمريد معرفة الحنابلة: للعُثَيْمِين؛ صالح بن عبدالعزيز، تحقيق: بكر أَبو زيد، مؤسَّسة الرِّسالة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢١هـ.

١٠٣- تسهيل الفرائض: العُثَيْمِين؛ محمَّد بن صالح، دار طيبة- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٠٤هـ.

١٠٤- التَّسهيل لعلوم التَّنزيل= تفسير بن جزي: ابن جزي، محمَّد بن أَحمد، دار الأَرقم- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٦هـ.

١٠٥- التَّعريفات: الجرجاني؛ علي بن محمَّد، دار الكتب العلميَّة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٠٣هـ.

١٠٦- التَّعليق وكشف النِّقاب: السّعدي؛ عبدالرَّحمن بن ناصر، تحقيق: محمَّد البسَّام، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٦هـ.

١٠٧- التَّعليقات الحسان على صحيح ابن حبَّان: الأَلباني؛ محمَّد ناصر الدِّين، دار باوزير- جدَّة، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٤هـ.

١٠٨- تفسير أَسماء الله الحسنى: السّعدي؛ عبدالرَّحمن بن ناصر، الجامعة الإِسلاميَّة- المدينة النَّبويَّة، عدد:١١٢، ١٤٢١هـ.

١٠٩- تفسير الجلالين: المحلِّي؛ محمَّد بن أَحمد، والسُّيوطي؛ عبدالرَّحمن بن أَبي بكر، دار الحديث- القاهرة، الطَّبعة: الأُولى.

١١٠- تفسير الرَّازي: الرَّازي؛ محمَّد بن عمر، دار إِحياء التُّراث العربي- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٠هـ.

١١١- تفسير العُثَيْمِين- جزء عم: العُثَيْمِين؛ محمَّد بن صالح، إِعداد وتخريج: فهد السُّليمان، دار الثُّريا- الرِّياض، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٢٣هـ.

١١٢- تفسير الفاتحة والبقرة والكهف: العُثَيْمِين؛ محمَّد بن صالح، دار ابن الجوزي- الدَّمام، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٣هـ.

١١٣- تفسير القرآن الحكيم= تفسير المنار: رضا؛ محمَّد رشيد، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب- القاهرة، ١٩٩٠م.

١١٤- تفسير القرآن العظيم= تفسير ابن أَبي حاتم: ابن أَبي حاتم؛ عبدالرَّحمن بن محمَّد، مكتبة نزار الباز- مكَّة، الطَّبعة: الثَّالثة، ١٤١٩هـ.

١١٥- تفسير القرآن العظيم= تفسير ابن كثير: ابن كثير؛ إِسماعيل بن عمر، تحقيق: سامي سلامة،

دار طيبة–الرِّياض، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٢٠هـ.

١١٦– تفسير القرآن= تفسير ابن المنذر: ابن المنذر؛ محمَّد بن إبراهيم، دار المآثر– المدينة النَّبويَّة، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٣هـ.

١١٧– تفسير القرآن= تفسير السَّمعاني: السَّمعاني؛ منصور بن محمَّد، دار الوطن– الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٨هـ.

١١٨– تفسير المَرَاغِي: المراغي؛ أَحمد بن مصطفى، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأَولاده– مصر، الطَّبعة: الأُولى، ١٣٦٥هـ.

١١٩– تفسير غريب ما في الصَّحيحين البخاري ومسلم: الحُمَيدي؛ محمَّد بن فتوح، تحقيق: زبيدة محمَّد، مكتبة السُّنة– القاهرة، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٥هـ.

١٢٠– تقريب التَّدمريَّة: العُثَيْمين؛ محمَّد بن صالح، دار ابن الجوزي– الدَّمام، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٩هـ.

١٢١– تكملة المعاجم العربيَّة: آن دُوزِي؛ رينهارت بيتر، تعليق: محمَّد سَليم النعَيمي، وجمال الخيَّاط، وزارة الثَّقافة والإِعلام، الجمهوريَّة العراقيَّة، الطَّبعة: الأُولى، ١٩٧٩م.

١٢٢– تكملة معجم المؤلِّفين: يوسف؛ محمَّد خير بن رمضان، دار ابن حزم– لبنان، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٨هـ.

١٢٣– التَّلخيص الحَبير في تخريج أَحاديث الرَّافعي الكبير: ابن حجر؛ أَحمد بن علي، دار الكتب العلميَّة– بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٩هـ.

١٢٤– تلخيص فقة الفرائض: العُثَيْمين؛ محمَّد بن صالح، مدار الوطن– الرِّياض، ١٤٢٣هـ.

١٢٥– التَّلخيص في معرفة أَسماء الأَشياء: العسكري؛ الحسن بن عبدالله، تحقيق: عزَّة حسن، دار طلاس للدِّراسات– دمشق، الطَّبعة: الثَّانية، ١٩٩٦م.

١٢٦– تمام المنَّة في التَّعليق على فقه السُّنَّة: الأَلباني؛ محمَّد ناصر الدِّين، دار الرَّاية– الرِّياض، الطَّبعة: الخامسة.

١٢٧– التَّمهيد لشرح كتاب التَّوحيد: آل الشيخ؛ صالح بن عبدالعزيز، دار التَّوحيد– الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٤هـ.

١٢٨– التَّمهيد لما في الموطإِ من المعاني والأَسانيد: ابن عبدالبر؛ يوسف بن عبدالله، تحقيق: مصطفى العلوي، ومحمد البكري، وزارة الأَوقاف– المغرب، ١٣٨٧هـ.

١٢٩– التَّنبيهات اللَّطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطيَّة من المباحث المنيفة: السّعدي؛ عبدالرَّحمن بن ناصر، دار طيبة– الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٤هـ.

١٣٠- تنقيح التَّحقيق: ابن عبدالهادي؛ محمَّد بن أَحمد، تحقيق: سامي بن جاد الله، وعبدالعزيز الخباني، أَضواء السَّلف- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٨هـ.

١٣١- تهذيب اللُّغة: الأَزهري؛ محمَّد بن أَحمد، دار إِحياء التُّراث العربي- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ٢٠٠١م.

١٣٢- توضيح الكافية الشَّافية: السّعدي؛ عبدالرَّحمن بن ناصر، تعليق: أَشرف عبدالمقصود، أَضواء السَّلف- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٠هـ.

١٣٣- التَّوضيح المبين لتوحيد الأَنبياء والمرسلين من الكافية الشَّافية: السّعدي؛ عبدالرَّحمن بن ناصر، دار عالم الفوائد- مكَّة، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٠هـ.

١٣٤- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإِمام ابن القيِّم: ابن عيسى؛ أَحمد بن إِبراهيم تحقيق: زهير الشَّاويش، المكتب الإِسلامي- بيروت، الطَّبعة: الثَّالثة، ١٤٠٦هـ.

١٣٥- التَّوضيح لشرح الجامع الصَّحيح: ابن الملقِّن؛ عمر بن علي، تحقيق: دار الفلاح، دار النَّوادر- دمشق، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٩هـ.

١٣٦- التَّوضيح والبيان لشجرة الإِيمان: آل سعدي؛ عبدالرَّحمن بن ناصر، تعليق: أَشرف عبدالمقصود، أَضواء السَّلف- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٩هـ.

١٣٧- التَّوقيف على مهمَّات التَّعاريف: المناوي؛ محمَّد بن عبدالرؤوف، دار عالم الكتب- القاهرة، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٠هـ.

١٣٨- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد= حق الله على العبيد: ابن عبدالوهاب؛ سليمان بن عبدالله، تحقيق: زهير الشَّاويش، المكتب الإِسلامي- بيروت، دمشق، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٣هـ.

١٣٩- تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان= تفسير السّعدي: آل سعدي؛ عبدالرَّحمن بن ناصر، مؤسسة الرِّسالة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٠هـ.

١٤٠- تيسير اللَّطيف المنَّان في خلاصة تفسير القرآن: آل سعدي؛ عبدالرَّحمن بن ناصر، وزارة الشُّؤون الإِسلاميَّة- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٢هـ.

١٤١- جامع البيان عن تأْويل آي القرآن= تفسير الطَّبري: الطَّبري؛ محمَّد بن جرير، مؤسَّسة الرِّسالة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٠هـ.

١٤٢- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم: ابن رجب؛ عبدالرَّحمن بن أَحمد، مؤسسة الرِّسالة- بيروت، الطَّبعة: السَّابعة، ١٤٢٢هـ.

١٤٣- جامع المسائل لابن تيميَّة: ابن تيميَّة؛ أَحمد بن عبدالحليم، تحقيق: محمَّد عزير شمس، دار عالم

الفوائد- مكَّة، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٢هـ.

١٤٤- الجامع لأَحكام القرآن= تفسير القرطبي: القرطبي؛ محمَّد بن أَحمد، دار الكتب المصريَّة- القاهرة، الطَّبعة: الثَّانية، ١٣٨٤هـ.

١٤٥- الجامع لحياة العلَّامة محمَّد بن صالح العُثَيْمِين: الحسين، وليد بن أَحمد، مجلَّة الحِكمة- بريطانيا، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٢هـ.

١٤٦- جغرافية المناخ والنبات: فايد؛ يوسف عبدالمجيد، دار النَّهضة العربيَّة-القاهرة.

١٤٧- جلاء الأَفهام في فضل الصَّلاة على محمَّد خير الأَنام: ابن القيِّم؛ محمَّد بن أَبي بكر، دار العروبة- الكويت، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٠٧هـ.

١٤٨- جمهرة الأَمثال: الْعَسْكَرِي، الحسن بن عبدالله، دار الفكر- بيروت.

١٤٩- جمهرة اللُّغة: ابن دريد؛ محمَّد بن الحسن، دار العلم- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٩٨٧م.

١٥٠- جمهرة أَنساب الأُسر المتحضِّرة في نجد: الجاسر؛ حمد بن محمَّد، دار اليمامة- الرِّياض، الطَّبعة: الثَّالثة، ١٤٢١هـ.

١٥١- الجواب الصَّحيح لمن بدَّل دين المسيح: ابن تيميَّة؛ أَحمد بن عبدالحليم، دار العاصمة- الرِّياض، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤١٩هـ.

١٥٢- الجواب الكافي لمن سأَل عن الدَّواء الشَّافي= الدَّاء والدَّواء: ابن القيِّم؛ محمَّد بن أَبي بكر، دار المعرفة- المغرب، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٨هـ.

١٥٣- جوامع السِّيرة النَّبويَّة: ابن حزم؛ علي بن أَحمد، دار الكتب العلميَّة- بيروت.

١٥٤- الجواهر في تفسير القرآن الكريم: جوهر؛ طنطاوي بن جوهري، مصطفى الحلبي- مصر، الطَّبعة: الثَّانية، ١٣٥٠هـ.

١٥٥- حادي الأَرواح إِلى بلاد الأَفراح: ابن القيِّم؛ محمَّد بن أَبي بكر، مطبعة المدني- القاهرة.

١٥٦- حاشية الرَّوض المربع: ابن قاسم؛ عبدالرَّحمن بن محمَّد، الطَّبعة: الأُولى، ١٣٩٧هـ.

١٥٧- حاشية السِّندي على سنن ابن ماجه: السِّندي؛ محمَّد بن عبدالهادي، دار الجيل- بيروت، الطَّبعة: الثَّانية.

١٥٨- الحاوي الكبير: الماوَردي؛ علي بن محمَّد، دار الكتب العلميَّة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٩هـ.

١٥٩- الحُجَّة على أَهل المدينة: الشَّيباني؛ محمَّد بن الحسن، تحقيق: مهدي القادري، عالم الكتب- بيروت، الطَّبعة: الثَّالثة، ١٤٠٣هـ.

١٦٠- الحُجة في القراءات السَّبع: ابن خالويه؛ حسين بن أَحمد، دار الشُّروق- بيروت، الطَّبعة:

الرَّابعة، ١٤٠١هـ.
١٦١- الحُجَّة للقرَّاء السَّبعة: الفارسي؛ الحسن بن أَحمد، تحقيق، بشير جويجابي، دار المأْمون للتُّراث- دمشق، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤١٣هـ.
١٦٢- الحدود الأَنيقة والتَّعريفات الدَّقيقة: الأَنصاري؛ زكريا بن محمَّد، تحقيق، مازن المبارك، دار الفكر المعاصر- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١١هـ.
١٦٣- الحدود والتَّعزيرات عند ابن القيِّم: أَبو زيد؛ بكر بن عبدالله، دار العاصمة- الرِّياض، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤١٥هـ.
١٦٤- الحسبة: ابن تيميَّة؛ أَحمد بن عبدالحليم، تحقيق، علي الشَّحود، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٢٥هـ.
١٦٥- الحقُّ المبين في معرفة الملائكة المقرَّبين: ابن إِمام؛ محمَّد علي، دار السَّلام- مصر، الطَّبعة: الأُولى، ٢٠٠٧م.
١٦٦- الحقُّ الواضح المبين: السّعدي؛ عبدالرَّحمن بن ناصر، دار ابن القيِّم- الدَّمام، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٠٧هـ.
١٦٧- حلية الأَولياء وطبقات الأَصفياء: أَبو نعيم؛ أَحمد بن عبدالله، مطبعة السَّعادة- مصر، الطَّبعة: الأُولى، ١٣٩٤هـ.
١٦٨- حياة الأَلباني، وآثاره، وثناء العلماء عليه: الشَّيباني؛ محمَّد بن إِبراهيم، مكتبة السدَّاوي، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٠٧هـ.
١٦٩- حياة الحيوان: الدَّمِيرِيّ؛ محمَّد بن موسى، دار الكتب العلميَّة- بيروت، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٢٤هـ.
١٧٠- الخبيث والطَّيب في ضوء القرآن الكريم- دراسة موضوعيَّة، عبدالعزيز الرُّبعي، رسالة ماجستير، جامعة القصيم- القرآن الكريم وعلومه، ١٤٣٣هـ.
١٧١- الدُّر الثَّمين في ترجمة فقيه الأُمَّة العلَّامة ابن عُثَيْمِين: المرّي. عصام عبدالمنعم، دار البصيرة- الإِسكندريَّة، ٢٠٠٣م.
١٧٢- الدُّر المنثور في التَّفسير بالمأْثور: السُّيوطي؛ عبدالرَّحمن بن أَبي بكر، دار الفكر- بيروت.
١٧٣- درء تعارض العقل والنَّقل: ابن تيميَّة؛ أَحمد بن عبدالحليم، تحقيق: محمَّد رشاد، جامعة الإِمام- الرِّياض، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤١١هـ.
١٧٤- الدُّرة البهيَّة شرح القصيدة التَّائيَّة في حلِّ المشكلة القدريَّة: آل سعدي؛ عبدالرَّحمن بن ناصر، أَشرف بن عبدالمقصود، أَضواء السَّلف- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٩هـ.
١٧٥- الدُّرة الفاخرة في التَّعليق على منظومة السَّير إِلى الله، والدَّار الآخرة: السّعدي؛ عبدالرَّحمن بن

ناصر، دار ابن القيِّم- الدَّمام، دار ابن عفَّان- القاهرة، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٤هـ.
١٧٦- الدُّرة المختصرة في محاسن الدِّين الإسلامي: السّعدي؛ عبدالرَّحمن بن ناصر، الرِّئاسة العامَّة للبحوث والافتاء- الرِّياض، الطَّبعة: الخامسة، ١٤٣٢هـ.
١٧٧- الدُّرَّة اليتيميَّة في السِّيرة التَّيميَّة: الذَّهبيِّ؛ محمَّد بن أَحمد، تحقيق: خالد الرُّبعي، الرِّسالة العالميِّة- دمشق، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٣٤هـ.
١٧٨- الدُّرر الكامنة في أَعيان المائة الثَّامنة: ابن حجر؛ أَحمد بن علي، دائرة مكتبة المعارف العثمانيَّة- حيدر أَباد، الطَّبعة: الثَّانية، ١٣٩٢هـ.
١٧٩- دفع إِيهام الاضطراب عن آيات الكتاب: الشّنقيطي؛ محمَّد الأَمين، مكتبة ابن تيميَّة- القاهرة، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٧هـ.
١٨٠- دقائق أُولي النُّهى لشرح المنتهى: البهوتي؛ منصور بن يونس، عالم الكتب- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٤هـ.
١٨١- الدِّين الصَّحيح يحلُّ جميع المشاكل: السّعدي؛ عبدالرَّحمن بن ناصر، دار الشَّريف- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٤هـ.
١٨٢- ديوان أَبي العتاهية: أبو العتاهية؛ إِسماعيل ابن القاسم، دار بيروت- بيروت، ١٤٠٦هـ.
١٨٣- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشَّأْن الأَكبر= تاريخ ابن خلدون: ابن خلدون؛ عبدالرَّحمن بن محمَّد، دار الفكر- بيروت، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٠٨هـ.
١٨٤- الذَّخيرة: القرافي؛ أَحمد بن إِدريس، تحقيق: محمَّد حجي، وسعيد أَعراب، ومحمَّد بو خبزة، دار الغرب الإِسلامي- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٩٩٤م.
١٨٥- ذيل تذكرة الحفَّاظ: الحسيني، محمَّد بن عليِّ بن الحسن، دار الكتب العلميَّة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٩هـ.
١٨٦- ذيل طبقات الحنابلة: ابن رجب؛ عبدالرَّحمن بن أَحمد، مكتبة العبيكان- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٥هـ.
١٨٧- رحلة ابن بطُّوطة: ابن بطُّوطة؛ محمَّد بن عبدالله، أَكاديميَّة المملكة المغربيَّة- الرِّباط، ١٤١٧هـ.
١٨٨- الرَّد على الأَخنائي: ابن تيميَّة؛ أَحمد بن عبدالحليم، المكتبة العصريَّة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٣هـ.
١٨٩- الرَّدُّ على المنطقيِّيْن: ابن تيميَّة؛ أَحمد بن عبدالحليم، دار المعرفة- بيروت.
١٩٠- الرِّسالة التَّبوكية= زاد المهاجر إِلى ربِّه: ابن القيِّم؛ محمَّد بن أَبي بكر، مطبعة المدني- جدة،

الطَّبعة: الأُولى.
١٩١- رسالة في الحثِّ على اجتماع كلمة المسلمين وذمِّ التَّفرُّق والاختلاف: السّعدي؛ عبدالرَّحمن بن ناصر، تحقيق: عبدالله آل مسلم، دار التَّوحيد- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٩هـ.
١٩٢- رسالة في القضاء والقدر: العُثَيْمِين؛ محمَّد بن صالح، دار الوطن- الرِّياض، ١٤٢٣هـ.
١٩٣- رسالة لطيفة جامعة في أُصول الفقه المهمَّة: آل سعدي؛ عبدالرَّحمن بن ناصر، تحقيق: نادر بن سعيد، دار ابن حزم- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٨هـ.
١٩٤- رسالتان في فتنة الدَّجال، ويَأْجُوْج ومَأْجُوْج: السّعدي؛ عبدالرَّحمن بن ناصر، تحقيق: أَحمد القاضي، دار ابن الجوزي- الدَّمام، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٢٧هـ.
١٩٥- الرُّسل والرِّسالات: الأَشقر؛ عمر بن سليمان، مكتبة الفلاح- الكويت، الطَّبعة: الرَّابعة، ١٤١٠هـ.
١٩٦- روائع التَّفسير= تفسير ابن رجب: ابن رجب؛ عبدالرَّحمن بن أَحمد، دار العاصمة- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٢هـ.
١٩٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني: الآلوسي؛ محمود بن عبدالله، دار الكتب العلميَّة، بيروت- الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٥هـ.
١٩٨- روضة المحبِّين ونزهة المشتاقين: ابن القيِّم؛ محمَّد بن أَبي بكر، دار الكتب العلميَّة- بيروت، ١٤٠٣هـ.
١٩٩- روضة النَّاظر وجُنَّة الْمُناظِر: ابن قدامة؛ عبدالله بن أَحمد، مؤسَّسة الرَّيَّان- بيروت، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٢٣هـ.
٢٠٠- روضة النَّاظرين عن مآثر نجد وحوادث السِّنين: القاضي؛ محمَّد بن عثمان، دار الثُّلوثيَّة- الرِّياض، الطَّبعة: الرَّابعة، ١٤٣٣هـ.
٢٠١- الرَّوضة النَّديَّة: القنُّوجي؛ محمَّد صديق خان، تحقيق، علي الأَثريّ، دَارُ ابن القيِّم، الرِّياض، دَار ابن عفَّان، القاهرة، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٣هـ.
٢٠٢- الرِّياض النَّاضرة، والحدائق النَّيرة الزَّاهرة في العقائد والفنون المتنوِّعة الفاخرة: السّعدي؛ عبدالرَّحمن بن ناصر، دار المنهاج- القاهرة، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٦هـ.
٢٠٣- زاد المسير في علم التَّفسير: الجوزي؛ عبدالرَّحمن بن علي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٢هـ.
٢٠٤- زاد المعاد في هدي خير العباد: ابن القيِّم؛ محمَّد بن أَبي بكر، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، الطَّبعة:

السَّابعة والعشرون، ١٤١٥هـ.

٢٠٥- زكاة بهيمة الأنعام السَّائمة: القحطاني؛ سعيد بن علي، مطبعة سفير، الرِّياض، مؤسَّسة الجريسي، الرِّياض.

٢٠٦- الزَّهر النَّضِر في حال الخَضِر: ابن حجر؛ أَحمد بن علي؛ مجمع البحوث، نيودلهي، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٠٨م.

٢٠٧- السَّبعة في القراءات: ابن مجاهد؛ أَحمد بن موسى، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف –مصر– الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٠٠هـ.

٢٠٨- سلسلة الأَحاديث الصَّحيحة: الأَلباني؛ محمَّد ناصر الدِّين، مكتبة المعارف، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٥هـ.

٢٠٩- سلسلة الأَحاديث الضَّعيفة والموضوعة: الأَلباني؛ محمَّد ناصر الدِّين، دار المعارف- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٢هـ.

٢١٠- سلك الدُّرر في أَعيان القرن الثَّاني عشر: المراديِّ؛ محمَّد خليل، دار البشائر الإِسلاميَّة، دار ابن حزم، الطَّبعة: الثَّالثة، ١٤٠٨هـ.

٢١١- السُّنَّة: ابن أَبي عاصم؛ أَحمد بن عمرو، تحقيق: محمَّد ناصر الدِّين الأَلباني، المكتب الإِسلامي، بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٠٠هـ.

٢١٢- سنن ابن ماجه: القزويني؛ محمَّد بن يزيد، دار إِحياء الكتب العربيَّة، الطَّبعة: الأُولى.

٢١٣- سنن أَبي داود: السِّجِسْتاني؛ سليمان بن الأَشعث، المكتبة العصريَّة، بيروت.

٢١٤- سنن التِّرمذي: التِّرمذي؛ محمَّد بن عيسى، الطَّبعة: الثَّانية، ١٣٩٥هـ.

٢١٥- سنن الدَّارقُطني: الدَّارقُطني؛ علي بن عمر، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٤هـ.

٢١٦- سنن الدَّارمي: الدَّارمي؛ عبدالله بن عبدالرَّحمن، دار المغني، الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٢هـ.

٢١٧- السُّنن الصَّغير: البَيْهَقِي؛ أَحمد بن الحسين، تحقيق: عبدالمعطي قلعجي، جامعة الدِّراسات الإِسلاميَّة، كراتشي، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٠هـ.

٢١٨- السُّنن الكبرى: البَيْهَقِي؛ أَحمد بن الحسين، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطَّبعة: الثَّالثة، ١٤٢٤هـ.

٢١٩- السُّنن الكبرى: النَّسائي؛ أَحمد بن شُعيب، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢١هـ.

٢٢٠- سنن النَّسائيُّ: المجتبى من السُّنن= السُّنن الصُّغرى: النَّسائيُّ؛ أَحمد بن شُعيب، تحقيق: عبدالفتَّاح أَبو غدَّة، مكتب المطبوعات الإِسلاميَّة، حلب، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٠٦هـ.

٢٢١- سؤال وجواب في أَهمِّ المهمَّات: السّعدي؛ عبدالرَّحمن بن ناصر، مطابع دار الطِّباعة والنَّشر الإسلاميَّة- القاهرة، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٠هـ.

٢٢٢- سير أَعلام النُّبلاء: الذَّهبي؛ محمَّد بن أَحمد، مؤسَّسة الرِّسالة- بيروت، الطَّبعة: الثَّالثة، ١٤٠٥هـ.

٢٢٣- السِّير والمغازي: ابن إسحاق؛ محمَّد بن إِسحاق، تحقيق، سهيل زكار، دار الفكر- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٣٩٨هـ.

٢٢٤- سيرة العلَّامة الشيَّخ عبدالرَّحمن النَّاصر السّعدي: الفقي؛ محمَّد حامد، السُّنة المحمَّديَّة- مصر، الطَّبعة: الأُولى.

٢٢٥- السِّيرة النَّبويَّة وأَخبار الخلفاء: ابن حبَّان؛ محمَّد بن حبَّان، الكتب الثَّقافيَّة- بيروت، الطَّبعة: الثَّالثة، ١٤١٧هـ.

٢٢٦- السِّيرة النَّبويَّة: ابن كثير؛ إِسماعيل بن عمر، تحقيق، مصطفى عبدالواحد، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ.

٢٢٧- السِّيرة النَّبويَّة: ابن هشام؛ عبدالملك بن هشام، تحقيق: مصطفى السَّقا، وإبراهيم الأَبياري، وعبدالحفيظ الشَّلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر، الطَّبعة: الثَّانية، ١٣٧٥هـ.

٢٢٨- السِّيرة النَّبويَّة: النَّدوي؛ علي أَبي الحسن، دار ابن‌كثير، دمشق، الطَّبعة: الثَّانية عشرة، ١٤٢٥هـ.

٢٢٩- سيرة وحياة الشَّيخ العلَّامة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز: الحازمي؛ إِبراهيم عبدالله، دار الشَّريف- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٢هـ.

٢٣٠- السَّيل الجرَّار المتدفِّق على حدائق الأَزهار: الشَّوكاني؛ محمَّد بن علي، دار ابن حزم، الطَّبعة: الأُولى.

٢٣١- شذرات الذَّهب في أَخبار من ذهب: ابن العِماد؛ عبدالحي بن أَحمد، دار ابن كثير- دمشق، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٠٦هـ.

٢٣٢- شرح ابن عقيل على أَلفيَّة ابن مالك: ابن عقيل؛ عبدالله بن عبدالرَّحمن، تحقيق: محمَّد محيي الدِّين، دار التُّراث- القاهرة، ودار مصر، وسعيد جودة السحار وشركاه، الطَّبعة: العشرون، ١٤٠٠هـ.

٢٣٣- شرح ابن ماجه: مغلطاي؛ مغلطاي بن قليج، مكتبة نزار الباز- مكة، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٩هـ.

٢٣٤- شرح الأَربعين النَّوويَّة: العُثَيْمِين، محمَّد بن صالح، دار الثُّريا- الرِّياض، الطَّبعة: الثَّالثة، ١٤٢٥هـ.

٢٣٥- شرح التَّبصرة والتَّذكرة أَلفيَّة العراقي: العراقي؛ عبدالرَّحيم بن الحسين، تحقيق، عبداللَّطيف الهميم، وماهر فحل، دار الكتب العلميَّة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٣هـ.

٢٣٦- شرح التَّلويح على التَّوضيح: التَّفتازاني؛ سعد الدِّين مسعود، مكتبة صبيح- مصر.

٢٣٧- شرح الحديث المقتفى في مبعث النَّبيِّ المصطفى: أبوشامة؛ عبدالرحمن بن إسماعيل، تحقيق: جمال عزون، مكتبة العمرين العلميَّة- الشَّارقة، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٠هـ.

٢٣٨- شرح الزّرقانيِّ على الموطَّإِ: الزُّرقاني؛ محمَّد بن عبدالباقي، تحقيق: طه عبدالرَّؤوف، مكتبة الثَّقافة الدِّينيَّة- القاهرة، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٤هـ.

٢٣٩- شرح الزَّركشي على مختصر الخِرَقي: الزَّركشي؛ محمَّد بن عبدالله، دار العبيكان- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٣هـ.

٢٤٠- شرح الزرّكشي: الزرّكشي؛ محمَّد بن عبدالله، دار العبيكان، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٣هـ.

٢٤١- شرح السُّنَّة: البغوي؛ الحسين بن مسعود، الطَّبعة: الثَّانية، المكتب الإسلامي- دمشق- ١٤٠٣هـ.

٢٤٢- شرح الطَّحاويَّة: ابن أَبي العزِّ؛ محمَّد بن علاء الدِّين، تحقيق: أَحمد شاكر، وزارة الشُّؤون الإِسلاميَّة- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٨هـ.

٢٤٣- شرح الطِّيبي على مشكاة المصابيح= الكاشف عن حقائق السُّنن: الطِّيبي؛ الحسين بن عبدالله، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز- مكَّة، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٧هـ.

٢٤٤- شرح العقيدة الأَصفهانيَّة: ابن تيميَّة؛ أَحمد بن عبدالحليم، تحقيق: محمَّد الأَحمد، المكتبة العصريَّة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٥هـ.

٢٤٥- شرح العقيدة السَّفارينيَّة= الدُّرة المضيَّة في عقد أَهل الفرقة المرضيَّة: العُثَيْمِين؛ محمَّد بن صالح، دار الوطن- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٦هـ.

٢٤٦- شرح العقيدة الطَّحاويَّة: ابن أَبي العز؛ محمَّد بن عليّ، وزارة الشُّؤون الإِسلاميَّة- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٨هـ.

٢٤٧- شرح العقيدة الواسطيَّة: العُثَيْمِين؛ محمَّد بن صالح، دار ابن الجوزي- الدَّمام، الطَّبعة: السَّادسة، ١٤٢١هـ.

٢٤٨- شرح العقيدة الواسطيَّة: هرّاس؛ محمَّد بن خليل، دار الهجرة- الخبر، الطَّبعة: الثَّالثة، ١٤١٥هـ.

٢٤٩- شرح العُمدة- كتاب الطَّهارة: ابن تيميَّة؛ أَحمد بن عبدالحليم، تحقيق: سعود العطيشان، مكتبة العبيكان- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٢هـ.

٢٥٠- شرح العُمدة: ابن تيميَّة؛ أَحمد بن عبدالحليم، تحقيق: صالح الحسن، مكتبة الحرمين- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٠٩هـ.

٢٥١- شرح أَلفيَّة العراقي في علوم الحديث: ابن العَيْني؛ عبدالرَّحمن بن أَبي بكر بن محمَّد، تحقيق:

شادي بن محمَّد، مركز النُّعمان- اليمن، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٣٢هـ.

٢٥٢- شرح القواعد الحسان لتفسير القرآن: العُثَيْمِين؛ محمَّد بن صالح، تحقيق: أيمن بن عارف، محمَّد الطالبي، صبحي رمضان، مكتبة السُّنة- القاهرة، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٣هـ.

٢٥٣- شرح القواعد الفقهيَّة، الزَّرقاء، أَحمد بن محمَّد، تعليق: مصطفى أَحمد الزَّرقا، دار القلم- دمشق، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٠٩هـ.

٢٥٤- شرح الكافية الشَّافية: ابن مالك؛ محمَّد بن عبدالله، تحقيق: عبدالمنعم هريدي، جامعة أُم القرى، الطَّبعة: الأُولى.

٢٥٥- الشَّرح الكبير على متن المقنع: ابن قدامة؛ عبدالرَّحمن بن محمَّد، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٥٦- شرح المفصَّل: ابن يعيش؛ يعيش بن علي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٢هـ.

٢٥٧- الشَّرح الممتع على زاد المستقنِع: العُثَيْمِين محمَّد بن صالح، دار ابن الجوزي- الدَّمام، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٢، ١٤٢٨هـ.

٢٥٨- شرح تنقيح الفصول: القرافي؛ أَحمد بن إدريس، تحقيق: طه عبد الرَّؤوف، شركة الطِّباعة الفنيَّة المتَّحدة، الطَّبعة: الأُولى، ١٣٩٣هـ.

٢٥٩- شرح ثلاثة الأُصول: العُثَيْمِين؛ محمَّد بن صالح، دار الثُّريا- الرِّياض، الطَّبعة: الرَّابعة، ١٤٢٤هـ.

٢٦٠- شرح حديث النُّزول: ابن تيميَّة؛ أَحمد بن عبدالحليم، المكتب الإِسلامي، بيروت، الطَّبعة: الخامسة، ١٣٩٧هـ.

٢٦١- شرح شذور الذَّهب في معرفة كلام العرب: ابن هشام؛ عبدالله بن يوسف، تحقيق: عبدالغني الدّقر، الشركة المتَّحدة للتَّوزيع- سوريا.

٢٦٢- شرح صحيح البخاري: ابن بطَّال؛ علي بن خلف، مكتبة الرُّشد، الرِّياض، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٢٣هـ.

٢٦٣- شرح مختصر الرَّوضة: الطُّوفي؛ سليمان بن عبدالقوي، تحقيق: عبدالله التركي، مؤسَّسة الرِّسالة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٠٧هـ.

٢٦٤- الشَّريعة: الآجُرِّيُّ؛ محمَّد بن الحسين، تحقيق: عبدالله الدّميجي، دار الوطن- الرِّياض، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٢٠هـ.

٢٦٥- الشِّعر والشُّعراء: بن قتيبة؛ عبدالله بن مسلم، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

٢٦٦- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتَّعليل: ابن القيِّم؛ محمَّد بن أَبي بكر، دار

المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ.
٢٦٧- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: الحميرى؛ نشوان بن سعيد، تحقيق: حسين العمري، ومطهر الإرياني، ويوسف محمَّد، دار الفكر المعاصر- بيروت- دار الفكر- دمشق، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٠هـ.
٢٦٨- الشَّيخ محمَّد بن عبدالوهاب في مرآة علماء الشَّرق والغرب: الإِستَانْبُولِيِّ، محمود مهدي، ١٤٠٠هـ.
٢٦٩- الشَّيخ: عبدالرَّحمن السّعدي كما عرفته: ابن عقيل؛ عبدالله بن عبدالعزيز، عناية: عبدالرَّحمن العسكر، مدار الوطن- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٧هـ.
٢٧٠- الصِّحاح: الجوهري؛ إسماعيل بن حمَّاد، دار العلم للملايين، بيروت، الطَّبعة: الرَّابعة، ١٤٠٧هـ.
٢٧١- صحيح ابن حبَّان- ترتيب ابن بلبان-: ابن حبَّان؛ محمَّد بن حبان، تحقيق: شُعيب الأَرنؤوط، مؤسَّسة الرِّسالة- بيروت، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤١٤هـ.
٢٧٢- صحيح ابن خزيمة: ابن خُزيمة؛ محمَّد بن إسحاق، تحقيق: محمَّد الأَعظمي، المكتب الإِسلامي، بيروت، الطَّبعة: الثَّالثة، ١٤٢٤هـ.
٢٧٣- صحيح أَبي داود: الأَلباني؛ محمَّد ناصر الدِّين، مؤسسة غراس- الكويت، الطَّبعة: الأُولى ١٤٢٣هـ.
٢٧٤- صحيح البخاري= الجامع المسند الصَّحيح المختصر من أُمور رسول اللهﷺ وسننه وأَيامه: البخاري؛ محمَّد بن إِسماعيل، دار طوق النَّجاة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٢هـ.
٢٧٥- صحيح الجامع الصَّغير وزياداته: الأَلباني؛ محمَّد ناصر الدِّين، المكتب الإِسلامي- بيروت.
٢٧٦- صحيح مسلم= المسند الصَّحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إِلى رسول اللهﷺ: مسلم بن الحجَّاج، تحقيق: محمَّد فؤاد عبدالباقي، دار إِحياء التُّراث العربي- بيروت.
٢٧٧- صفحات من حياة علَّامة القصيم؛ الشَّيخ عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي: للطَّيار، عبدالله بن محمَّد، دار ابن الجوزي- الدَّمام، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٣هـ.
٢٧٨- الصَّفدية: ابن تيميَّة؛ أَحمد بن عبدالحليم، تحقيق: محمَّد رشاد، مكتبة ابن تيميَّة- القاهرة، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٠٦هـ.
٢٧٩- الصَّواعق المرسلة في الرَّد على الجهميَّة والمعطِّلة: ابن القيِّم؛ محمَّد بن أَبي بكر، تحقيق: علي الدِّخيل الله، دار العاصمة- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٠٨هـ.
٢٨٠- ضعيف سنن التِّرمذي: الأَلباني؛ محمَّد ناصر الدِّين، تعليق: زهير الشَّاويش، الطَّبعة: الأُولى،

١٤١١هـ.

٢٨١- طبقات الحفَّاظ: السُّيوطي، عبدالرَّحمن بن أَبي بكر، دار الكتب العلميَّة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٠٣هـ.

٢٨٢- طبقات المفسِّرين: السُّيوطي، عبدالرَّحمن بن أَبي بكر، تحقيق: علي محمَّد عمر، مكتبة وهبة- القاهرة، الطَّبعة: الأُولى، ١٣٩٦هـ.

٢٨٣- طَرْح التَّثريب في شرح التَّقريب: العِراقي؛ عبدالرَّحيم بن الحسين، الطَّبعة المصريَّة القديمة.

٢٨٤- الطُّرق الحُكميَّة: ابن القيِّم؛ محمَّد بن أَبي بكر، مكتبة دار البيان.

٢٨٥- طريق الهجرتين وباب السَّعادتين: ابن القيِّم؛ محمَّد بن أَبي بكر، المطبعة السَّلفية- القاهرة، الطَّبعة: الثَّانية، ١٣٩٤هـ.

٢٨٦- طريق الهداية؛ مبادىء ومقدِّمات علم التَّوحيد عند أَهل السُّنة والجماعة: يسري؛ محمَّد، دار اليسر- القاهرة، الطَّبعة الثَّالثة، ١٤٢٨هـ.

٢٨٧- طريق الوصول إِلى العلم المأْمول: السّعدي؛ عبدالرَّحمن بن ناصر، دار البصيرة- الاسكندريَّة.

٢٨٨- عالم الملائكة الأَبرار: الأَشقر؛ عمر بن سليمان، مكتبة الفلاح- الكويت، الطَّبعة: الثَّالثة، ١٤٠٣هـ.

٢٨٩- العبوديَّة: ابن تيميَّة؛ أَحمد بن عبدالحليم، المكتب الإِسلامي، بيروت، الطَّبعة: السَّابعة، ١٤٢٦هـ.

٢٩٠- عُجَالَةُ المبتدي وفُضَالَةُ المنتهي في النَّسب: الحازمي؛ محمَّد بن موسى، تحقيق: عبدالله كنون، الهيئة العامَّة لشؤون المطابع الأَميريَّة- القاهرة، الطَّبعة: الثَّانية، ١٣٩٣هـ.

٢٩١- عدة الصَّابرين وذخيرة الشَّاكرين: ابن القيِّم؛ محمَّد بن أَبي بكر، دار ابن كثير، الطَّبعة: الثَّالثة، ١٤٠٩هـ.

٢٩٢- العُدَّة شرح العُمدة: المقدسي؛ عبدالرَّحمن بن إِبراهيم، دار الحديث- القاهرة، ١٤٢٤هـ.

٢٩٣- العُدَّة في أُصول الفقه: أَبو يعلى؛ محمَّد بن الحسين، تحقيق: أَحمد المباركي، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤١٠هـ.

٢٩٤- العرش: الذَّهبي؛ محمَّد بن أَحمد، تحقيق: محمَّد التَّميمي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإِسلاميَّة- المدينة المنوَّرة، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٢٤هـ.

٢٩٥- العِقد الفريد: ابن عبدربِّه؛ أَحمد بن محمَّد، دار الكتب العلميَّة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٠٤هـ.

٢٩٦- العقيدة في الله: الأَشقر؛ عمر بن سليمان، دار النَّفائس- الأَردن، الطَّبعة: الثَّانية عشر، ١٤١٩هـ.

٢٩٧- العِلل الواردة في الأحاديث النَّبويَّة= علل الدَّارقطني: علي بن عمر، تعليق: محمَّد الدّباسي، دار ابن الجوزي- الدَّمام، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٧هـ.

٢٩٨- علم اللُّغة العربيَّة: حجازى؛ د. محمود فهمى، دار غريب للطِّباعة- القاهرة.

٢٩٩- علماء نجد خلال ثمانية قرون: البسَّام؛ عبدالله بن عبدالرَّحمن، دار العاصمة- الرِّياض، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤١٩هـ.

٣٠٠- عمدة القاري شرح صحيح البخاري: العَيني؛ محمود بن أَحمد، دار إِحياء التُّراث- بيروت.

٣٠١- عِناية القاضي وكفاية الرَّاضي على تفسير البيضاوي= حاشية الشِّهاب على تفسير البيضاوي: الخفاجي؛ أَحمد بن محمَّد، دار صادر- بيروت.

٣٠٢- عنيزة الإِنسان: القبلان؛ خالد بن عبدالله، ويوسف بن محمَّد، وكالة دار الأَصدقاء، الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٣٠هـ.

٣٠٣- عون المعبود= حاشية ابن القيِّم: العَظِيْم آبَادِي؛ محمَّد أَشرف بن أَمير، دار الكتب العلميَّة- بيروت، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤١٥هـ.

٣٠٤- العين: الفراهيدي؛ الخليل بن أَحمد، دار ومكتبة الهلال، الطَّبعة: الأُولى.

٣٠٥- غاية الوصول في شرح لبِّ الأُصول: الأَنصاري؛ زكريا بن محمَّد، دار الكتب العربيَّة الكبرى- القاهرة.

٣٠٦- غريب الحديث: ابن سلام؛ أَبو عُبيد القاسم بن سلاَّم، مكتبة المعارف العثمانيَّة، حيدر آباد، الطَّبعة: الأُولى، ١٣٨٤هـ.

٣٠٧- غريب الحديث، ابن قتيبة؛ عبدالله بن مسلم، تحقيق: عبدالله الجبوري، مطبعة العاني- بغداد، الطَّبعة: الأُولى، ١٣٩٧هـ.

٣٠٨- غريب القرآن: ابن قتيبة؛ عبدالله بن مسلم، دار الكتب العلميَّة- بيروت، ١٣٩٨هـ.

٣٠٩- غريب القرآن= نزهة القلوب: السِّجِسْتَانِيّ؛ محمَّد بن عزير، دار قتيبة- سوريا، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٦هـ.

٣١٠- الفتاوى السّعدية: السّعدي؛ عبدالرَّحمن بن ناصر، مكتبة المعارف- الرِّياض، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٠٢هـ.

٣١١- الفتاوى الكبرى: ابن تيميَّة؛ أَحمد بن عبدالحليم، دار الكتب العلميَّة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٠٨هـ.

٣١٢- فتاوى اللَّجنة الدَّائمة: اللَّجنة الدَّائمة للبحوث العلميَّة والإِفتاء، جمع وترتيب: أَحمد الدويش،

رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء- الرِّياض.

٣١٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر؛ أَحمد بن علي، دار المعرفة- بيروت، ١٣٧٩هـ.

٣١٤- فتح الباري: ابن رجب؛ عبدالرَّحمن بن أَحمد، تحقيق: محمود بن شعبان، وغيره، مكتبة الغرباء الأَثريَّة- المدينة النَّبويَّة. الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٧هـ.

٣١٥- فتح الجليل في ترجمة وثَبْت شيخ الحنابلة عبدالله بن عبدالعزيز العقيل: التُّكْلَة؛ محمَّد بن زياد، دار البشائر الإِسلاميَّة- بيروت، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٢٩هـ.

٣١٦- فتح الرَّحمن بكشف ما يلتبس في القرآن: الأَنصاري؛ زكريا بن محمَّد، دار القرآن الكريم- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٠٣هـ.

٣١٧- فتح الرَّحيم الملك العلَّام في علم العقائد والتَّوحيد والأَخلاق والأَحكام المستنبطة من القرآن: السّعدي؛ عبدالرَّحمن بن ناصر، عناية: عبدالرَّزاق البدر، دار الفضيلة- الجزائر، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٤٣٠هـ.

٣١٨- فتح العزيز بشرح الوجيز= الشَّرح الكبير: الرَّافعي؛ عبدالكريم بن محمَّد، دار الفكر- بيروت.

٣١٩- فتح القدير الجامع بين فنَّي الرواية والدِّراية من علم التَّفسير: الشَّوكاني؛ محمَّد بن علي، دار الكلم الطَّيب- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٤هـ.

٣٢٠- فتح القدير: ابن الهُمَام؛ محمَّد بن عبدالواحد، دار الفكر- بيروت.

٣٢١- فتح المجيد شرح كتاب التَّوحيد: آل الشَّيخ؛ عبدالرَّحمن بن حسن، تحقيق: محمَّد الفقي، مطبعة السُّنَّة المحمديَّة- القاهرة، الطَّبعة: السَّابعة، ١٣٧٧هـ.

٣٢٢- فتح المنَّان ترجمة الشَّيخ: عبدالعزيز السَّلمانﷺ: السَّلمان؛ عبدالحميد بن عبدالعزيز، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٣هـ.

٣٢٣- فتح ربِّ البريَّة بتلخيص الحمويَّة: العُثَيْمِين؛ محمَّد بن صالح، دار الوطن- الرِّياض.

٣٢٤- الفَرْق بين الفِرق وبيان الفرقة النَّاجية: الأَسفراييني؛ عبدالقاهر بن طاهر، دار الآفاق الجديدة- بيروت، الطَّبعة: الثَّانية، ١٩٧٧م.

٣٢٥- الفرقان بين أَولياء الرَّحمن وأَولياء الشَّيطان: ابن تيميَّة؛ أَحمد بن عبدالحليم، مكتبة دار البيان- دمشق، ١٤٠٥هـ.

٣٢٦- الفروق اللُّغوية: الْعَسْكَرِي؛ الحسن بن عبدالله، تحقيق: محمَّد إبراهيم سليم، دار العلم والثَّقافة- القاهرة.

٣٢٧- فصول في أُصول التَّفسير: الطَّيار؛ مساعد بن سليمان، دار ابن الجوزي- الدَّمام، الطَّبعة:

الثَّانية، ١٤٢٣هـ.

٣٢٨- فضائح الباطنيَّة: الغزالي؛ محمَّد بن محمَّد، تحقيق: عبدالرَّحمن بدوي، دار الكتب الثَّقافية- الكويت.

٣٢٩- الفقيه والمتفقِّه: الخطيب؛ أَحمد بن علي، تحقيق: عادل الغرازي، ابن الجوزي- الدَّمام، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٢١هـ.

٣٣٠- الفكر الصُّوفيُّ في ضوء الكتاب والسُّنة: اليوسف؛ عبدالرَّحمن بن عبدالخالق، مكتبة ابن تيميَّة- الكويت، الطَّبعة: الثَّالثة، ١٤٠٦هـ.

٣٣١- الفواكه الشَّهيَّة في الخطب المنبريَّة والخطب المنبريَّة على المناسبات: آل سعدي؛ عبدالرَّحمن بن ناصر، الرِّئاسة العامَّة لإِدارات البحوث العلميَّة- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٢هـ.

٣٣٢- فوائد مستنبطة من قصَّة يوسف عليه السلام: السّعدي؛ عبدالرَّحمن بن ناصر، تعليق: أَشرف عبدالمقصود، أَضواء السَّلف- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٠هـ.

٣٣٣- الفوائد: ابن القيِّم؛ محمَّد بن أَبي بكر، دار الكتب العلميَّة- بيروت، الطَّبعة: الثَّانية، ١٣٩٣هـ.

٣٣٤- فيض القدير بشرح الجامع الصَّغير: المناوي؛ محمَّد عبدالرَّؤوف، المكتبة التِّجارية الكبرى- القاهرة، الطَّبعة: الأُولى، ١٣٥٦هـ.

٣٣٥- قاعدة جليلة في التَّوسل والوسيلة: ابن تيميَّة؛ أَحمد بن عبدالحليم، تحقيق: ربيع المدخلي، مكتبة الفرقان- عجمان، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٢هـ.

٣٣٦- قاعدة في الصَّبر: ابن تيميَّة؛ أَحمد بن عبدالحليم، تحقيق: محمَّد التَّميمي، الجامعة الإِسلاميَّة- المدينة المنوَّرة، العدد: ١١٦- السَّنة: ٣٤، ١٤٢٢هـ.

٣٣٧- القاموس الفقهيُّ: أَبو حبيب؛ سعد أَبو حبيب، دار الفكر- دمشق-، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٠٨هـ.

٣٣٨- القاموس المحيط: الفيروزآبادى؛ محمَّد بن يعقوب، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، الطَّبعة: الثَّامنة، ١٤٢٦هـ.

٣٣٩- القائد إلى تصحيح العقائد: المعلِّمي؛ عبدالرَّحمن بن يحيى، تحقيق: محمَّد ناصر الدِّين الأَلباني، المكتب الإِسلامي- بيروت، الطَّبعة: الثَّالثة، ١٤٠٤هـ.

٣٤٠- القَبس في شرح موطَّإِ مالك بن أَنس: ابن العربي؛ محمَّد بن عبدالله، تحقيق: محمَّد ولد كريم، دار الغرب الإِسلامي- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٩٩٢م.

٣٤١- قضاء الحوائج لابن أَبي الدُّنيا: البغدادي؛ عبدالله بن محمَّد، تحقيق: مجدي السَّيد إبراهيم،

مكتبة القرآن- القاهرة، ١٤٠٦هـ.

٣٤٢- قلائد الجُمان في التَّعريف بقبائل عرب الزَّمان: القَلْقَشَندِي؛ أحمد بن علي، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري- القاهرة، ودار الكتاب اللُّبناني- بيروت، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٠٢هـ.

٣٤٣- قواعد الأَحكام في مصالح الأَنام: ابن عبدالسَّلام؛ عبدالعزيز بن عبدالسَّلام، مكتبة الكلِّيَّات الأَزهريَّة- القاهرة، ١٤١٤هـ.

٣٤٤- قواعد الإملاء= المطالع النَّصْريَّة للمطابع المصريَّة في الأُصول الخطيَّة: الهويريني؛ مؤسَّسة الرِّسالة -بيروت الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٢هـ.

٣٤٥- القواعد الحسان لتفسير القرآن: السّعدي؛ عبدالرَّحمن بن ناصر، مكتبة الرُّشد- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٠هـ.

٣٤٦- القواعد الفقهيَّة وتطبيقاتها في المذاهب الأَربعة: الزُّحَيْلي؛ محمَّد مصطفى، دار الفكر- دمشق، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٧هـ.

٣٤٧- القواعد المثلى في صفات الله وأَسمائه الحسنى: العُثَيْمِين؛ محمَّد بن صالح، الجامعة الإِسلاميَّة- المدينة النَّبويَّة، الطَّبعة: الثَّالثة، ١٤٢١هـ.

٣٤٨- القواعد والأُصول الجامعة: السّعدي؛ عبدالرَّحمن بن ناصر، تحقيق: خالد المشيقح، دار ابن الجوزي- الدَّمام، الطَّبعة: الثَّالثة، ١٤٢٤هـ.

٣٤٩- القواعد: ابن رجب؛ عبدالرحمن بن أَحمد، دار الكتب العلميَّة.

٣٥٠- القول السَّديد شرح كتاب التَّوحيد= القول السَّديد في مقاصد التَّوحيد: آل سعدي؛ عبدالرَّحمن بن ناصر، وزارة الشُّؤون الإِسلاميَّة- الرِّياض، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٢١هـ.

٣٥١- القول المفيد على كتاب التَّوحيد: العُثَيْمِين؛ محمَّد بن صالح، دار ابن الجوزي- الدَّمام، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٢٤هـ.

٣٥٢- الكافي في فقه الإِمام أَحمد: ابن قدامة؛ عبدالله بن أَحمد، دار الكتب العلميَّة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٤هـ.

٣٥٣- الكافي في فقه أَهل المدينة: القرطبي؛ يوسف بن عبدالله، تحقيق: محمَّد محمَّد أَحيد، مكتبة الرِّياض الحديثة- الرِّياض، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٠٠هـ.

٣٥٤- الكامل في التَّاريخ: ابن الأَثير؛ علي بن أَبي الكرم، دار الكتاب العرب- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٧هـ.

٣٥٥- الكامل في القراءات والأربعين الزَّائدة عليها: الهُذَلي؛ يوسف بن علي، تحقيق: جمال بن السَّيد، مؤسَّسة سما- القاهرة، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٨هـ.

٣٥٦- كتاب التَّوحيد وإثبات صفات الربعَجَلَّ: ابن خزيمة؛ محمَّد بن إسحاق، تحقيق: عبدالعزيز الشَّهوان، مكتبة الرُّشد- الرِّياض، الطَّبعة: الخامسة، ١٤١٤هـ.

٣٥٧- الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل= تفسير الزَّمخشري: الزَّمخشري؛ محمود بن عمرو، دار الكتاب العربي- بيروت، الطَّبعة: الثَّالثة، ١٤٠٧هـ.

٣٥٨- كشف الأَستار عن زوائد البزَّار: الهيثمي؛ علي بن أَبي بكر، تحقيق: حبيب الرَّحمن الأَعظمي، مؤسَّسة الرِّسالة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٣٩٩هـ.

٣٥٩- كشف الأَسرار شرح أُصول الْبَزْدَوِي: البخاري؛ عبدالعزيز بن أَحمد، دار الكتب العلمية- بيروت.

٣٦٠- كشف المشكل من حديث الصَّحيحين: ابن الجوزي؛ عبدالرَّحمن بن علي، دار الوطن- الرِّياض.

٣٦١- كشف شبهات الصُّوفيَّة: صقر، شحاتة محمَّد؛ مكتبة دار العلوم- البحيرة.

٣٦٢- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: الثَّعلبي؛ أَحمد بن محمَّد، دار إِحياء التُّراث العربي- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٢هـ.

٣٦٣- الكليَّات: الكَفَوِي؛ أَيوب بن موسى، تحقيق: عدنان دروي، ومحمَّد المصري، مؤسسة الرِّسالة- بيروت.

٣٦٤- اللآلئ البهيَّة في شرح العقيد الواسطيَّة: آل الشَّيخ؛ صالح بن عبدالعزيز، دار العاصمة- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٣١هـ.

٣٦٥- لبُّ اللُّباب في تحرير الأَنساب: السُّيوطي؛ عبدالرحمن بن أَبي بكر، صادر- بيروت.

٣٦٦- لباب التَّأويل في معاني التَّنزيل= تفسير الخازن: الخازن؛ علي بن محمَّد، دار الكتب العلميَّة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى ١٤١٥هـ.

٣٦٧- اللُّباب في تهذيب الأَنساب: ابن الأَثير؛ علي بن أَبي الكرم، دار صادر- بيروت.

٣٦٨- اللُّباب في علل البناء والإِعراب: العكبري، عبدالله بن الحسين، تحقيق: عبدالإِله النَّبهان، دار الفكر-دمشق، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٦هـ.

٣٦٩- اللُّباب في علوم الكتاب: النُّعماني؛ عمر بن علي، دار الكتب العلميَّة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٩هـ.

٣٧٠- لسان العرب: ابن منظور؛ محمَّد بن مكرم، دار صادر- بيروت، الطَّبعة: الثَّالثة، ١٤١٤هـ.

٣٧١- لطائف المعارف: ابن رجب؛ عبدالرَّحمن بن أَحمد، دار ابن حزم- الدمام، الطَّبعة: الأُولى،

١٤٢٤هـ.

٣٧٢- لمعة الاعتقاد: ابن قدامة؛ عبدالله بن أحمد، وزارة الشؤون الإسلاميَّة- الرِّياض، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٢٠هـ.

٣٧٣- لوامع الأنوار البَهيَّة وسواطع الأسرار الأَثريَّة لشرح الدُّرة الْمُضِيَّة في عِقْدِ الفِرقة المرضيَّة: السَّفَّارِيني؛ محمَّد بن أَحمد، مؤسَّسة الخافقين- دمشق، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٠٢هـ.

٣٧٤- ما اتَّفق لفظه واختلف معناه مِن القرآن المجيد: المبرِّد، محمَّد بن يزيد، وزارة الأَوقاف والشُّؤون الاسلاميَّة- الكويت، الطَّبعة: الأُولى- ١٤٠٩هـ.

٣٧٥- مباحث في عقيدة أَهل السُّنة والجماعة: العقل؛ ناصر عبدالكريم، دار الوطن- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى- ١٤١٢هـ.

٣٧٦- المبدع في شرح المقنع: ابن مفلح؛ إبراهيم بن محمَّد، دار الكتب العلميَّة- بيروت، ١٤١٨هـ.

٣٧٧- المبسوط في القراءات العشر: النّيسابوريّ؛ أَحمد بن الحسين، تحقيق: سبيع حمزة، ١٩٨١م.

٣٧٨- المبسوط: السرخسي؛ محمَّد بن أَحمد، دار المعرفة- بيروت، ١٤١٤هـ.

٣٧٩- المبسوط: الشَّيباني؛ محمَّد بن الحسن، تحقيق: أَبو الوفا الأَفغاني، إِدارة القرآن والعلوم الإِسلاميَّة- كراتشي.

٣٨٠- متن الطَّحاويَّة: بتعليق الأَلبانيّ: الطَّحاوي؛ أَحمد بن محمَّد، تعليق: محمَّد ناصر الدِّين الأَلباني، المكتب الإِسلامي- بيروت، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤١٤هـ.

٣٨١- مجاز القرآن: أَبو عبيدة؛ معمر بن المثنى، مكتبة الخانجي- القاهرة، ١٣٨١هـ.

٣٨٢- مجمع الأَمثال: النّيسابوري؛ أَحمد بن محمَّد، تحقيق: محمَّد عبدالحميد، دار المعرفة- بيروت.

٣٨٣- مجمع الزَّوائد ومنبع الفوائد: الهيثمي؛ علي بن أَبي بكر، مكتبة القدسي- القاهرة، ١٤١٤هـ.

٣٨٤- مجموع الفتاوى: ابن تيميَّة؛ أَحمد بن عبدالحليم، مجمع الملك- المدينة النَّبويَّة، ١٤١٦هـ.

٣٨٥- المجموع شرح المهذَّب: النَّووي؛ يحي بن شرف، مع تكملة السُّبكي والمطيعي، دار الفكر- بيروت.

٣٨٦- مجموع فتاوى ورسائل العُثَيْمِين: العُثَيْمِين؛ محمَّد بن صالح، دار الوطن- الرِّياض، ١٤١٣هـ.

٣٨٧- مجموع مؤلَّفات الشَّيخ العلَّامة عبدالرَّحمن بن ناصر السّعدي: مؤسَّسة الأَميرة العنود بنت عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي، الميمان للنَّشر والتَّوزيع- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٣٢هـ.

٣٨٨- مجموعة الفوائد البهيَّة على منظومة القواعد الفقهيَّة، للقحطاني؛ صالح بن محمَّد، دار الصّميعي- الرِّياض الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٠هـ.

٣٨٩- المجموعة الكاملة: السّعدي؛ عبدالرَّحمن بن ناصر، مركز صالح بن صالح- عنيزة، ١٤٠٧،

١٤١١هـ.

٣٩٠- محاسن التَّأْويل: القاسمي؛ محمَّد جمال الدِّين، دار الكتب العلميَّة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٨هـ.

٣٩١- المحتسب في تبيين وجوه شواذِّ القراءات والإيضاح عنها: ابن جنِّي؛ عثمان بن جنِّي، وزارة الأَوقاف-المجلس الأَعلى للشُّؤون الإسلاميَّة، ١٤٢٠هـ.

٣٩٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز= تفسير ابن عطيَّة: ابن عطيَّة؛ عبدالحقِّ بن غالب، دار الكتب العلميَّة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٢هـ.

٣٩٣- المحصول: ابن العربي؛ محمَّد بن عبدالله، تحقيق: حسين اليدري، وسعيد فودة، دار البيارق- عمَّان، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٠هـ.

٣٩٤- المحصول: الرَّازي؛ محمَّد بن عمر، تحقيق: طه جابر، مؤسَّسة الرِّسالة- بيروت، الطَّبعة: الثَّالثة، ١٤١٨هـ.

٣٩٥- المحكم والمحيط الأَعظم: ابن سيده؛ علي بن إسماعيل، دار الكتب العلميَّة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢١هـ.

٣٩٦- المحلَّى بالآثار: ابن حزم؛ علي بن أَحمد، دار الفكر- بيروت.

٣٩٧- مختار الصِّحاح: الرَّازي؛ محمَّد بن أَبي بكر، المكتبة العصريَّة- بيروت، الطَّبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ.

٣٩٨- المختارات الجليَّة في المسائل الفقهيَّة: السّعدي؛ عبدالرَّحمن بن ناصر، دار الآثار- القاهرة، الطَّبعة: الأُولى.

٣٩٩- مختصر التَّحرير شرح الكوكب المنير: ابن النَّجار؛ محمَّد بن أَحمد، تحقيق: محمَّد الزُّحيلي، ونزيه حمَّاد، مكتبة العبيكان- الرِّياض، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤١٨هـ.

٤٠٠- مختصر الصَّواعق المرسلة على الجهميَّة والمعطِّلة: البَعلي؛ محمَّد بن محمَّد بن عبدالكريم، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث- القاهرة، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٢هـ.

٤٠١- المخصص: ابن سيده؛ علي بن إسماعيل، دار إحياء التُّراث العربي- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٧هـ.

٤٠٢- مدارج السَّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين: ابن القيِّم؛ محمَّد بن أَبي بكر، الطَّبعة: الثَّالثة، دار الكتاب العربي- بيروت، ١٤١٦هـ.

٤٠٣- المدخل لدراسة العقيدة: البريكان؛ إبراهيم بن محمَّد، دار ابن القيِّم- الرِّياض، ودار ابن عفَّان-

القاهرة، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٣هـ.

٤٠٤- المدوَّنة: الأَصبحي؛ مالك بن أَنس، دار الكتب العلميَّة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٥هـ.

٤٠٥- مذكرة على العقيدة الواسطيَّة: العُثَيْمِين؛ محمَّد بن صالح، مدار الوطن- الرِّياض، ١٤٢٦هـ.

٤٠٦- مذكِّرة في أُصول الفِقه: الشنقيطي؛ محمَّد الأَمين بن محمَّد، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنوَّرة، الطَّبعة: الخامسة، ٢٠٠١م.

٤٠٧- مراتب الإِجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات: ابن حزم؛ علي بن أَحمد، دار الكتب العلميَّة، بيروت.

٤٠٨- مراصد الاطلاع على أَسماء الأَمكنة والبقاع: ابن عبدالحق؛ عبدالمؤمن بن عبدالحق، دار الجيل- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٢هـ.

٤٠٩- مرويَّات غزوة حُنين وحصار الطَّائف: قريبي؛ إِبراهيم بن إِبراهيم، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإِسلاميَّة- المدينة النَّبويَّة، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٢هـ.

٤١٠- المسالك والممالك: الاصطخري؛ إِبراهيم بن محمَّد، دار صادر- بيروت، ٢٠٠٤م.

٤١١- مستخرج أَبي عوانه: النّيسابوري؛ يعقوب بن إِسحاق، تحقيق: أَيمن بن عارف، دار المعرفة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٩هـ.

٤١٢- المستدرك على الصَّحيحين: الحاكم؛ محمَّد بن عبدالله، دار الكتب العلميَّة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١١هـ.

٤١٣- المستصفى: الغزالي؛ محمَّد بن محمَّد، تحقيق: محمَّد عبدالسَّلام، دار الكتب العلميَّة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٣هـ.

٤١٤- مسند الإِمام أَحمد بن حنبل: ابن حنبل؛ أَحمد بن محمَّد، تحقيق: شعيب الأَرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرِّسالة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢١هـ.

٤١٥- مسند البزَّار= البحر الزَّخار: البزَّار؛ أَحمد بن عمرو، تحقيق: محفوظ الرَّحمن، وعادل بن سعد، وصبري عبدالخالق، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنوَّرة، الطَّبعة: الأُولى، ١٩٨٨- ٢٠٠٩م.

٤١٦- المسوَّدة في أُصول الفقه: آل تيميَّة؛ بدأَ بتصنيفها الجدّ: عبدالسَّلام، وأَضاف إِليها الأَب: عبدالحليم، ثم أَكملها الحفيد: أَحمد، تحقيق: محمَّد عبدالحميد، دار الكتاب العربي- بيروت.

٤١٧- مشاهير علماء نجد: آل الشَّيخ، عبدالرَّحمن بن عبداللَّطيف، دار الميمان- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٣٩٢هـ.

٤١٨- مشكاة المصابيح: التَّبريزي؛ محمَّد بن عبدالله، المكتب الإِسلامي- بيروت، الطَّبعة: الثَّالثة،

١٩٨٥م.

٤١٩- مُشْكل القرآن الكريم: المنصور؛ عبدالله بن حمد، دار ابن الجوزي- الدَّمام، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٣٣هـ.

٤٢٠- المصباح المنير في غريب الشَّرح الكبير: الفيُّومي؛ أحمد بن محمَّد، المكتبة العلميَّة- بيروت.

٤٢١- مطالع الأنوار على صحاح الآثار: ابن قرقول؛ إبراهيم بن يوسف، تحقيق: دار الفلاح، وزارة الأوقاف- قطر، الطَّبعة: الأولى، ١٤٣٣هـ.

٤٢٢- المطلب الحميد في بيان مقاصد التَّوحيد: آل الشَّيخ؛ عبدالرَّحمن بن حسن، دار الهداية للطِّباعة والنَّشر والتَّرجمة، الطَّبعه: الأولى، ١٤١١هـ.

٤٢٣- معارج القبول بشرح سلَّم الوصول إلى علم الأُصول: الحكمي؛ حافظ بن أَحمد، تحقيق: عمر بن محمود، دار ابن القيِّم- الدمام، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٠هـ.

٤٢٤- المعارف: ابن قتيبة؛ عبدالله بن مسلم، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب- القاهرة، الطَّبعة: الثَّانية، ١٩٩٢م.

٤٢٥- معالم التَّنزيل في تفسير القرآن= تفسير البغوي: البغوي؛ الحسين بن مسعود، تحقيق: عبدالرَّزاق المهدي، دار إحياء التُّراث العربي- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٠هـ.

٤٢٦- معالم مكة التَّأْريخيَّة والأَثريَّة: الحربي؛ عاتق بن غيث، دار مكَّة- مكَّة، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٠٠هـ.

٤٢٧- معاني القراءات: الأَزهري؛ محمَّد بن أَحمد، جامعة الملك سعود- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٢هـ.

٤٢٨- معاني القرآن وإعرابه: الزَّجاج؛ إبراهيم بن السَّري، دار عالم الكتب- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٠٨هـ.

٤٢٩- معاني القرآن: الفرَّاء؛ يحي بن زياد، تحقيق: أَحمد النَّجاتي، ومحمَّد النجار، وعبدالفتَّاح الشَّلبي، دار المصريَّة- مصر، الطَّبعة: الأُولى.

٤٣٠- معاني القرآن: النَّحاس؛ أَحمد بن محمَّد، جامعة أُم القرى- مكة، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٠٩هـ.

٤٣١- معترك الأَقران في إعجاز القرآن: السُّيوطي؛ عبدالرَّحمن بن أَبي بكر، دار الكتب العلميَّة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٠٨هـ.

٤٣٢- معجم ابن عساكر= معجم الشُّيوخ: ابن عساكر؛ علي بن الحسن، تحقيق: وفاء تقي الدِّين، دار البشائر- دمشق، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢١هـ.

٤٣٣- معجم أَبي يعلى= المعجم: الموصلي؛ أَحمد بن علي، تحقيق: إرشاد الحق، إدارة العلوم الأَثريَّة-

فيصل آباد، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٠٧هـ.

٤٣٤- المعجم الأَوسط: الطَّبرانيّ؛ سليمان بن أَحمد، تحقيق: طارق بن عوض الله، عبدالمحسن الحسيني، دار الحرمين- القاهرة.

٤٣٥- معجم البلدان: الحموي؛ ياقوت بن عبدالله، دار صادر- بيروت، الطَّبعة: الثَّانية، ١٩٩٥م.

٤٣٦- معجم الصَّحابة: البغوي؛ عبدالله بن محمَّد، دار البيان- الكويت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢١هـ.

٤٣٧- معجم الصَّواب اللُّغوي دليل المثقَّف العربي: عمر؛ أَحمد مختار، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب- القاهرة، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٩هـ.

٤٣٨- معجم الفروق اللُّغويَّة: العسكري؛ الحسن بن عبدالله، تحقيق: بيت الله بيات، ومؤسسة النَّشر الإِسلامي، مؤسسة النَّشر الإِسلامي- قم، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٢هـ.

٤٣٩- معجم اللُّغة العربيَّة المعاصرة: عمر؛ أَحمد مختار، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب- القاهرة، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٩هـ.

٤٤٠- معجم المعالم الجغرافيَّة في السِّيرة النَّبوية: الحربي؛ عاتق بن غيث، دار مكَّة- مكَّة، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٠٢هـ.

٤٤١- معجم المناهي اللَّفظية: أَبو زيد؛ بكر بن عبدالله، دار العاصمة، الرِّياض، الطَّبعة: الثَّالثة، ١٤١٧هـ.

٤٤٢- معجم المؤلِّفين: كحالة؛ عمر بن رضا، مكتبة المثنى- بيروت، الطَّبعة: الأُولى.

٤٤٣- المعجم الوسيط: مجمع اللُّغة العربيَّة بالقاهرة، المكتبة الإِسلاميَّة- تركيا، الطَّبعة الثَّانية.

٤٤٤- معجم ديوان الأَدب: الفارابي؛ إِسحاق بن إِبراهيم، تحقيق: أَحمد مختار، مؤسسة دار الشَّعب- القاهرة-١٤٢٤هـ.

٤٤٥- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة: كحالة؛ عمر بن رضا، مؤسَّسة الرِّسالة- بيروت، الطَّبعة: السَّابعة، ١٤١٤هـ.

٤٤٦- معجم لغة الفقهاء: قلعجي؛ محمَّد رواس، قنيبي؛ حامد صادق، معجم لغة الفقهاء، دار النَّفائس- الأُردن، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٠٨هـ.

٤٤٧- معجم ما استعجم: البكري؛ عبدالله بن عبدالعزيز، دار عالم الكتب- بيروت، الطَّبعة: الثَّالثة، ١٤٠٣هـ.

٤٤٨- معجم مقاليد العلوم في الحدود والرُّسوم: السُّيوطي؛ عبدالرَّحمن بن أَبي بكر، تحقيق: محمَّد إِبراهيم، الآداب- القاهرة، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٤هـ.

٤٤٩- معجم مقاييس اللُّغة: ابن فارس؛ أَحمد بن فارس، دار إِحياء التُّراث العربي- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٢هـ.

٤٥٠- المعلم بفوائد مسلم: المازري، محمَّد بن علي، تحقيق: محمَّد الشَّاذلي، الدَّار التُّونسيَّة، المؤسَّسة الوطنيَّة للكتاب- الجزائر، والمؤسّسة الوطنيَّة للتَّرجمة والتَّحقيق والدّراسات بيت الحكمة، الطَّبعة: الثَّانية، ١٩٨٨م.

٤٥١- مغازي الواقدي: الواقدي؛ محمَّد بن عمر، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأَعلمي- بيروت، الطَّبعة: الثَّالثة، ١٤٠٩هـ.

٤٥٢- المغني عن حمل الأَسفار في الأَسفار، في تخريج ما في الإِحياء من الأَخبار: العراقي؛ عبدالرَّحيم بن الحسين، دار ابن حزم- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٦هـ.

٤٥٣- المغني: ابن قدامة؛ عبدالله بن أَحمد، مكتبة- القاهرة، ١٣٨٨هـ.

٤٥٤- المغول "التَّتار" بين الانتشار والانكسار، الصَّلَّابي؛ علي محمَّد، الأَندلس الجديدة- القاهرة، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٣٠هـ.

٤٥٥- مفاتيح العلوم، للخوارزمي؛ محمَّد بن أَحمد، دار الكتاب العربي- بيروت، الطَّبعة: الثَّانية.

٤٥٦- مفتاح دار السَّعادة ومنشور ولاية العلم والإِرادة: ابن القيِّم؛ محمَّد بن أَبي بكر، دار الكتب العلميَّة- بيروت.

٤٥٧- المفردات في غريب القرآن: الرَّاغب؛ الحسين بن محمَّد، دار القلم- دمشق، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٢هـ.

٤٥٨- مقاصد الشَّريعة الإِسلاميَّة، ابن عاشور، محمَّد الطَّاهر، تحقيق: محمَّد الخوجة، وزارة الأَوقاف والشُّؤون الإِسلاميَّة في قطر، ١٤٢٥هـ.

٤٥٩- مقدِّمة أَبي زيد القيرواني لكتابه الرِّسالة= عقيدة السَّلف: ابن أَبي زيد؛ عبدالله بن عبدالرَّحمن، دار العاصمة- الرِّياض.

٤٦٠- مقدِّمة في أُصول البحث العلمي وتحقيق التُّراث: الطَّويل؛ السَّيد رزق، المكتبة الأَزهريَّة للتُّراث - القاهرة، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٢٤هـ.

٤٦١- المقصد الأَرشَد في ذكر أَصحاب الإِمام أَحمد، ابن مفلح؛ إِبراهيم بن محمَّد، عبدالرَّحمن العُثَيْمِين، مكتبة الرُّشد- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٠هـ.

٤٦٢- مكَّة والمدينة في الجاهليَّة وعهد الرَّسولﷺ، الشَّريف؛ أَحمد الشَّريف أَحمد، دار الفكر العربي.

٤٦٣- الملل والنِّحل: الشهرستاني؛ محمَّد بن عبدالكريم، مؤسَّسة الحلبي، القاهرة.

٤٦٤- منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري: قاسم؛ حمزة محمَّد، مكتبة دار البيان- دمشق، مكتبة المؤيَّد- الطَّائف، ١٤١٠ هـ.

٤٦٥- المناظرات الفقهيَّة: السّعدي؛ عبدالرَّحمن بن ناصر، أَضواء السَّلف- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٠هـ.

٤٦٦- المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك: ابن الجوزي؛ عبدالرَّحمن بن علي، دار الكتب العلميَّة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٢هـ.

٤٦٧- المنثور في القواعد الفقهيَّة، الزَّرْكَشِي؛ بدر الدِّين محمَّد بن عبدالله، وزارة الأَوقاف الكويتيَّة- الكويت، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٠٥هـ.

٤٦٨- منهاج السُّنَّة النَّبويَّة في نقض كلام الشِّيعة القدريَّة: ابن تيميَّة؛ أَحمد بن عبدالحليم، تحقيق: محمَّد رشاد، جامعة الإِمام- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٠٦هـ.

٤٦٩- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج= شرح النَّووي على مسلم: النَّووي؛ يحيى بن شرف، دار إِحياء التُّراث العربي- بيروت، الطَّبعة: الثَّانية، ١٣٩٢هـ.

٤٧٠- منهج السَّالكين وتوضيح الفقة في الدِّين: السّعدي؛ عبدالرَّحمن بن ناصر، مؤسسة الرِّسالة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٤هـ.

٤٧١- المهذب في علم أُصول الفقه المقارن، النَّملة؛ عبدالكريم بن علي، مكتبة الرُّشد- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٠هـ.

٤٧٢- الموافقات: الشَّاطبي؛ إِبراهيم بن موسى، دار ابن عفَّان- القاهرة، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٧هـ.

٤٧٣- مواقف اجتماعيَّة من حياة الشَّيخ العلَّامة: عبدالرَّحمن السّعدي، لمحمَّد ومساعد السّعدي، دار الميمان- الرِّياض، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٢٨هـ.

٤٧٤- المواهب الرَّبانيَّة من الآيات القرآنيَّة: السّعدي؛ عبدالرَّحمن بن ناصر، رمادي للنَّشر- الدَّمام، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤١٧هـ.

٤٧٥- موجز التَّاريخ الإِسلامي منذ عهد آدمعليه السلام (تاريخ ما قبل الإِسلام) إِلى عصرنا الحاضر ١٤١٧هـ: العسيري؛ أَحمد معمور، الطَّبعة: الأُولى، ١٤١٧هـ.

٤٧٦- موجز عن الفتوحات الإِسلاميَّة: أَبو عُبيَّة؛ طه عبدالمقصود، دار النَّشر للجامعات- القاهرة.

٤٧٧- الموسوعة العربيَّة العالميَّة، مجموعة مؤلِّفين، مؤسَّسة أَعمال الموسوعة للنَّشر والتَّوزيع، الرِّياض، الطَّبعة: الثَّانية، ١٣١٩هـ.

٤٧٨- الموسوعة الفقهيَّة الكويتيَّة: وزارة الأَوقاف والشؤون الإِسلاميَّة- الكويت، دار السَّلاسل-

الكويت، ومطابع دار الصَّفوة- مصر، والوزارة، الطَّبعة: ١٤٠٤-١٤٢٧هـ.

٤٧٩- الموسوعة الفقهيَّة الميسَّرة في فقه الكتاب والسُّنة المطهَّرة: العوايشة؛ حسين بن عودة، المكتبة الإسلاميَّة -عمَّان- دار ابن حزم -لبنان- الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٣-١٤٢٩هـ.

٤٨٠- موسوعة القواعد الفقهيَّة: آل بورنو؛ محمَّد صدقي بن أَحمد، مؤسَّسة الرِّسالة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٤هـ.

٤٨١- موطأُ الإمام مالك: الأَصبحي؛ مالك بن أَنس، تعليق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التُّراث العربي- بيروت، ١٤٠٦هـ.

٤٨٢- الموقظة في علم مصطلح الحديث، الذَّهبي؛ محمَّد بن أَحمد، عناية: عبدالفتاح أَبو غُدّة، مكتبة المطبوعات الإسلاميَّة- حلب، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤١٢هـ.

٤٨٣- ميزان الاعتدال: الذَّهبي؛ محمَّد بن أَحمد، دار المعرفة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٣٨٢هـ.

٤٨٤- النُّبوات، لابن تيميَّة؛ أَحمد بن عبدالحليم، تحقيق: عبدالعزيز الطّويان، أَضواء السَّلف- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٠هـ.

٤٨٥- النَّحو الوافي: عباس حسن، دار المعارف- القاهرة، الطَّبعة الخامسة عشرة.

٤٨٦- نزهة الأَعين النَّواظر في علم الوجوه والنَّظائر: ابن الجوزي؛ عبدالرَّحمن بن علي، مؤسَّسة الرِّسالة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٠٤هـ.

٤٨٧- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: الإِدْرِيْسِي؛ محمَّد محمَّد بن عبدالله، دار عالم الكتب- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٠٩هـ.

٤٨٨- النَّشر في القراءات العشر: ابن الجزري؛ محمَّد بن محمَّد بن يوسف، تحقيق: علي الضباع، المطبعة التِّجارية الكبرى، تصوير: دار الكتاب العلميَّة.

٤٨٩- النّكت الوفيَّة بما في شرح الأَلفيَّة، البِقاعي؛ إبراهيم بن عمر، تحقيق: ماهر الفحل، مكتبة الرُّشد- الرِّياض، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٨هـ.

٤٩٠- نهاية الأَرب في معرفة أَنساب العرب، القَلْقَشَنْدِي؛ أَحمد بن علي، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللُّبنانين- بيروت، الطَّبعة: الثَّانية، ١٤٠٠هـ.

٤٩١- نهاية المطلب في دراية المذهب، الجويني؛ عبدالملك بن عبدالله، تحقيق: عبدالعظيم الدّيب، دار المنهاج- بيروت، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٨هـ.

٤٩٢- النِّهاية في غريب الحديث والأَثر: ابن الأَثير؛ المبارك بن محمَّد، طبعة المكتبة العلميَّة- بيروت، ١٣٩٩هـ.

٤٩٣- نوادر الأُصول في أَحاديث الرَّسولﷺ: الحكيم التِّرمذي؛ محمَّد بن علي، تحقيق: عبدالرَّحمن عميرة، دار الجيل- بيروت.

٤٩٤- الهداية الكافية الشَّافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية= شرح حدود ابن عرفة: الرَّصَّاع؛ محمَّد بن قاسم، المكتبة العلميَّة، الطَّبعة: الأُولى، ١٣٥٠هـ.

٤٩٥- الهداية إلى بلوغ النِّهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأَحكامه، وجمل من فنون علومه: مكي بن أَبي طالب؛ حَمّوش بن محمَّد، تحقيق: مجموعة رسائل جامعيَّة- جامعة الشَّارقة، مجموعة بحوث الكتاب والسُّنَّة- جامعة الشَّارقة، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٩هـ.

٤٩٦- الوابل الصَّيِّب من الكلم الطَّيِّب: ابن القيِّم؛ محمَّد بن أَبي بكر، تحقيق: سيد إِبراهيم، دار الحديث- القاهرة، الطَّبعة: الثَّالثة، ١٩٩٩م.

٤٩٧- الوافي بالوفيات: الصفدي؛ صلاح الدين خليل، دار إِحياء التُّراث- بيروت، ١٤٢٠هـ.

٤٩٨- وجوه القرآن: الحِيرِي؛ إِسماعيل بن أَحمد الضَّرير، تحقيق: فضل الرَّحمن الأَفغاني، رسالة ماجستير، أُم القرى- قسم الكتاب والسُّنَّة، ١٤٠٤هـ.

٤٩٩- الوجوه والنَّظائر في القرآن العظيم: البلخي؛ مقاتل بن سليمان، تحقيق: حاتم الضَّامن، مركز جمعة الماجد- دبي، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٧هـ.

٥٠٠- الوجوه والنَّظائر في القرآن الكريم: العتكي؛ هارون بن موسى، تحقيق: حاتم الضَّامن، وزارة الثَّقافة- بغداد، ١٤٠٩هـ.

٥٠١- الوجوه والنَّظائر لأَلفاظ كتاب الله العزيز، للدَّامغاني: الدَّامغاني؛ الحسين بن محمَّد، دار الكتب العلميَّة- بيروت، الطَّبعة: الأُولى.

٥٠٢- الوجوه والنظائر: العسكري الحسن بن عبدالله، مكتبة الثَّقافة الدِّينيَّة- القاهرة، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٨هـ.

٥٠٣- الوجيز في إِيضاح قواعد الفقة الكُلِّيَّة: آل بورنو؛ محمَّد صدقي، مؤسَّسة الرِّسالة- بيروت- الطَّبعة: الرَّابعة، ١٤١٦هـ.

٥٠٤- وفيات الأَعيان: ابن خلكان؛ أَحمد بن محمَّد، دار صادر- بيروت.

٥٠٥- ياقوتة الصِّراط في تفسير غريب القرآن: غلام ثعلب؛ محمَّد بن عبدالواحد، مكتبة العلوم والحكم- المدينة النَّبويَّة، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٢٣هـ.

ثانياً: المجلَّات العِلميَّة:

١- مجلَّة الجامعة الإسلاميَّة- المدينة النَّبويَّة، عدد: ٤، ١١٢، ١٤٢١هـ، الطَّبعة: الأُولى، ١٤٠٩هـ.
٢- مجلة العرب: الجاسر، حمد بن محمَّد، دار اليمامة- الرِّياض، عدد: ١٣، ١٣٩٨هـ.
٣- مجلَّة المنار: رضا، محمَّد رشيد، وغيره، المكتبة الشَّاملة.

ثالثاً: المواقع الإلكترونيَّة:

١- مركز الملك فيصل للبحوث والدِّراسات الإسلاميَّة: (www. kff. com/ar).
٢- مؤسَّسة بن عثيمين الخيريَّة: (binothaimeen. net/foundothemen).
٣- ملتقى أَهل التَّفسير: (b. tafsir. net/tafsir).
٤- ويكيبيديا: الموسوعة الحرَّة: (ar. wikipedia. org).

فهرسُ المَوضُوعاتِ:

الصفحة	المَوضوع
٣	مقدِّمة.
٣	أَهمِّيَّةُ الموضوعِ.
٣	أَسبابُ اختيارِ الموضوعِ.
٤	الدِّراساتُ السَّابقةُ حولَ الكتابِ.
٧	خُطَّةُ الرِّسالةِ.
١٠	منهجُ الرِّسالةِ.
١٤	الفصلُ الأَوَّلُ: التَّعريفُ بالمؤلِّفِ.
١٤	المبحثُ الأَوَّلُ: اسمُهُ، ونَسبُهُ، وكُنيتُهُ.
١٥	المبحثُ الثَّاني: مولدُهُ، ونشأَتُهُ، وأَخلاقُهُ، ووفاتُهُ.
١٥	المطلبُ الأَوَّلُ: مولدُهُ.
١٥	المطلبُ الثَّاني: نشأَتُهُ.
٢١	المطلبُ الثَّالثُ: أَخلاقُهُ.
٢٤	المطلبُ الرَّابعُ: وفاتُهُ.
٢٧	المبحثُ الثَّالثُ: شُيوخُهُ، وتلاميذُهُ.
٢٧	المطلبُ الأَوَّلُ: شُيوخُهُ.
٣٠	المطلبُ الثَّاني: تلاميذُهُ.
٣٤	المبحثُ الرَّابعُ: عقيدتُهُ.
٤٣	المبحثُ الخامسُ: مذهبُهُ الفِقهيُّ.
٤٧	المبحثُ السَّادسُ: مَكانتُهُ العِلميَّةُ، وثَنَاءُ العُلماءِ عليهِ.
٤٧	المطْلبُ الأَوَّلُ: مَكانتُهُ العِلميَّةُ.
٥٢	المطلبُ الثَّاني: ثَناءُ العُلماءِ عليهِ.
٥٥	المبحثُ السَّابعُ: تَعلِيمُهُ، ومُؤلَّفاتُهُ.

المَوضوع	الصفحة
المطلبُ الأَوَّل: تَعلِيمُهُ.	٥٥
المطلبُ الثَّاني: مُؤَلَّفاتُهُ.	٥٧
أَوَّلًا: العَقِيدةُ.	٥٧
ثانيًا: التَّفسيرُ وعُلومُ القرآنِ الكريمِ.	٥٩
ثالثًا: الحَديثُ النَّبوي.	٦٠
رابعًا: أُصولُ الفِقهِ وقَواعدِهِ.	٦١
خامسًا: الفِقهُ.	٦٣
سادسًا: الخُطَبُ.	٦٦
سابعًا: مَوضُوعاتٌ عَامَّةٌ.	٦٧
ثامنًا: اللُّغةُ العَربيَّةُ.	٧٠
الفَصلُ الثَّاني: التَّعريفُ بالكتابِ.	٧٢
المبحثُ الأَوَّلُ: تَحقيقُ اسمِ الكتابِ، وإثباتُ نِسبَتِهِ للمُؤَلِّفِ.	٧٢
المطلبُ الأَوَّلُ: تَحقيقُ اسمِ الكتابِ.	٧٢
المطلبُ الثَّاني: إِثباتُ نِسبةِ الكتابِ للمؤلِّفِ رحمه الله.	٧٢
المبحثُ الثَّاني: مَنهجُ المؤلِّفِ في الكتابِ.	٧٥
المبحثُ الثَّالثُ: مَصادرُ الكتابِ.	٨١
المبحثُ الرَّابعُ: القِيمةُ العِلميَّةُ للكتابِ.	٨٤
المبحثُ الخامسُ: وصفُ النُّسخةِ الخطيَّةِ، ونماذجُ مِنها.	٨٧
المطلبُ الأَوَّلُ: وصفُ النُّسخةِ الخطيَّةِ.	٨٧
المطلبُ الثَّاني: نماذجُ من النُّسخةِ الخطيَّةِ.	٨٨
المطلبُ الثَّالثُ: نُسخةُ البسَّامِ رحمه الله.	٩٠
القِسْمُ الثَّاني: تَحقِيقُ نَصِّ المخطوطَةِ.	٩٢
مقدِّمة المؤلِّف.	٩٤
مقدِّمةٌ: في ذكرِ أَوصافِ القرآنِ العامَّةِ الجامعةِ.	٩٦
علومُ التَّوحيدِ والعقائدِ والأُصولِ.	١٠١

الموضوع	الصفحة
فَصْلٌ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا﴾.	١٣٣
فَصْلٌ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ﴾.	١٤٣
فَصْلٌ: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾.	١٥١
فَصْلٌ: في ذِكرِ الفوائدِ والثَّمراتِ الْمُترتِّبةِ على التَّحقُّقِ بهذهِ العَقائدِ الجَليَّلةِ.	١٥٥
فَصْلٌ: في ذِكرِ بعضِ الآياتِ الحَاثَّةِ على القِيامِ بحُقُوقِ اللهِ وحُقُوقِ الخَلقِ.	١٦٣
قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾.	١٨٢
فَصْلٌ: في أَحكامِ الشَّرعِ الفُروعيَّةِ الْمُتنوِّعةِ؛ في الصَّلاةِ والزَّكاةِ. . .	١٨٤
فَصْلٌ: قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾.	١٩٣
فَصْلٌ: في الطَّهارَةِ بالماءِ والتَّيمُّمِ.	٢٠٣
فَصْلٌ: في صَلاةِ الجُمُعَةِ والسَّفرِ والأَذانِ.	٢١١
فَصْلٌ: في الصِّيامِ وتَوابعِهِ.	٢١٨
فَصْلٌ: في آياتِ الحَجِّ وتَوابِعِهِ.	٢٢٧
فَصْلٌ: فِي آياتٍ تَتعلَّقُ بالجِهادِ وتوابِعِهِ.	٢٤٣
فَصْلٌ: فِي البُيُوعِ وأَنْواعِ المعَامَلاتِ.	٢٥٣
فَصْلٌ: قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾.	٢٦٥
فَصْلٌ: فِي آيَاتِ المواريْثِ.	٢٦٦
فُصُولٌ: تَتعلَّقُ بالنِّكاحِ وتَوابِعِهِ مِن الأَحكامِ.	٢٧٢
فَصْلٌ: قالَ اللهُ -تَعَالَى- فِي أَحْكَامِ الطَّلاقِ والعِدَدِ.	٢٩٤
فَصْلٌ: في آياتٍ فِي الإِيْلاءِ والظِّهارِ واللِّعَانِ.	٣٠٣
فَصْلٌ: في آياتِ الحُدُودِ.	٣٠٦
فَصْلٌ: في الأَيْمَانِ ونَحْوِها.	٣١٤
فَصْلٌ: في آياتٍ في الأَطعِمَةِ ونَحْوِها، والصُّيودِ وتَوابِعِها.	٣١٨
فَصْلٌ: فِي جَوامِعِ الحُكْمِ والقَضَايا فِي الأُصُولِ والفُرُوْعِ.	٣٢٣
فُصولٌ: في ذِكْرِ ما قَصَّ اللهُ علَينا في كِتَابهِ مِن أَخْبَارِ الأَنْبِيَاءِ مع أَقوامِهِم.	٣٣٩

المَوضوع	الصفحة
فَصْلٌ: في قِصَّةِ آدَمَ، أَبِي البَشَرِ عليه السلام.	٣٤١
فَوائِدُ مُسْتَنْبَطَةٌ مِن هذهِ القِصَّةِ؛ أُصُولِيَّةٌ وفُرُوْعِيَّةٌ، وأَخْلَاقٌ وآدابٌ.	٣٤٩
قِصَّةُ نُوحٍ صلى الله عليه وسلم.	٣٥٣
يُستفادُ مِن هذهِ القِصَّةِ أُمُورٌ.	٣٥٨
قِصَّةُ هُودٍ عليه السلام	٣٦٤
فوائدُ مِن هذهِ القِصَّةِ.	٣٦٦
قِصَّةُ صَالِحٍ عليه السلام.	٣٦٩
فَوائِدُ تَتَعَلَّقُ بِهذهِ القِصَّةِ.	٣٧٢
قِصَّةُ إبراهيمَ خَليلِ الرَّحمنِ صلى الله عليه وسلم.	٣٧٤
فَصْلٌ: ثُمَّ خرجَ مِن بيْنِ أَظهرِهِم مُهاجِرًا.	٣٨٢
فَصْلٌ: ثُمَّ إِنَّ اللهَ أَتمَّ النِّعمَةَ على إبراهيمَ.	٣٨٧
فَصْلٌ: فِيما فِي قِصَّةِ الخَلِيلِ مِن الفَوائِدِ.	٣٨٩
قِصَّةُ لُوْطٍ عليه السلام.	٣٩٦
قِصَّةُ شُعَيْبٍ عليه السلام.	٤٠٢
وفي قِصَّةِ شُعيبٍ فوائدُ مُتعدِّدَةٌ.	٤٠٤
قِصَّةُ مُوسَى وهَارُونَ عليهما السلام.	٤٠٨
ذِكْرُ الفَوائِدِ الْمُسْتَنْبَطةِ نَصًّا أَو ظَاهِرًا أَو تَعْمِيْمًا أَو تَعْلِيْلًا مِن قِصَّةِ مُوسَى صلى الله عليه وسلم	٤١٢
قِصَّةُ يُونُسَ صلى الله عليه وسلم.	٤٢٧
قِصَّةُ دَاودَ وسُلَيمانَ علَيهِمَا الصَّلاةُ والسَّلامُ.	٤٣١
فَصلٌ: في بعضِ الفَوائدِ الْمُسْتَنْبَطةِ مِن قِصَّةِ دَاوُدَ وسُلَيمانَ عليهما السلام.	٤٤٢
قِصَّةُ أَيُّوبَ عليه السلام.	٤٤٨
قِصَّةُ الخَضِرِ مَعَ مُوسَى.	٤٥٠
قِصَّةُ ذِي القَرْنَيْنِ.	٤٥٩
قِصَّةُ عِيسَى وأُمِّهِ، وزَكَرِيَّا، ويَحْيَى عليهما السلام.	٤٦٦
وفي هذهِ القِصَّةِ مِن الفوائدِ أُمورٌ.	٤٧٢

الموضوع	الصفحة
قِصَّةُ يُوسُفَ ويَعْقوبَ عليهِما الصَّلاةُ والسَّلامُ.	٤٧٥
ذِكرُ ما فِيها مِن الفَوائدِ.	٤٧٥
قِصَّةُ أَصْحابِ الكَهْفِ.	٤٩٦
فَوائدُ مُتعدِّدَةٌ.	٤٩٧
قِصَّةُ خاتَمِ النَّبِيِّيْنَ وإمامِ الْمُرْسَلِينَ.	٥٠٠
- أَوَّلُ مَقامَاتِهِ في إنزالِ القُرآنِ عليه.	٥٠٠
- أَعظمُ مَقَامَاتِ دَعْوَتِهِ.	٥٠٥
- مِن مَقاماتِ النَّبِيِّ ﷺ معَ الْمُكذِّبينَ لَهُ.	٥٠٦
- مِن مَقاماتِهِم معَ النَّبِيِّ ﷺ.	٥٠٨
- مِن مَقامَاتِهِمُ الْمُتنوِّعَةِ معَ النَّبِيِّ ﷺ.	٥٠٩
- أَحيانًا يَقْدَحونَ في الرَّسولِ.	٥١٠
- مِن مَقامَاتِهِ ﷺ معَ المؤْمِنِينَ.	٥١٠
- ثُمَّ أُسْرِيَ بِهِ مِن الْمَسجدِ الحَرامِ إلى الْمَسجدِ الأَقْصَى.	٥١١
- حِينَ خافَ أَهلُ مكَّةَ مَن هذهِ الحَالِ.	٥١٣
- لَمَّا كانتِ السَّنةُ الثَّانيةُ: فَرضَ اللهُ على العِبادِ الزَّكاةَ، والصِّيامَ.	٥١٥
- وَفِي السَّنةِ الثَّانيةِ -أَيضًا- كانتْ وَقْعَةُ بَدْرٍ.	٥١٥
- في السَّنةِ الثَّالثةِ كانتْ غَزْوَةُ أُحُدٍ.	٥١٧
- فِي السَّنةِ الرَّابعةِ: تواعدَ المسلِمونَ والمشرِكونَ في بَدرٍ.	٥١٧
- فِي سَنةِ خَمسٍ كانتْ غَزوَةُ الخَنْدَقِ.	٥١٨
- فِي سَنَةِ سِتٍّ مِن الهِجرةِ: اعتَمرَ ﷺ وأَصحابُهُ عُمْرةَ الحُدَيْبِيَةِ.	٥٢٠
- فِي سَنةِ ثمانٍ مِن الهِجْرةِ: وقد نَقَضَتْ قُرَيْشٌ العَهدَ. . .	٥٢٣
- فِي سَنَةِ تسعٍ مِن الهِجْرَةِ.	٥٢٤
- في سِنةِ تِسعٍ مِن الهِجْرةِ أَو سَنةِ عشرٍ.	٥٢٦
جَمعَ اللهُ في كِتابهِ بيْنَ الْمُتقابِلاتِ العامَّةِ.	٥٢٩
فوائدُ مَنْثُورَةٌ مُنوَّعَةٌ غيرُ مُرَتَّبةٍ.	٥٣٤

الموضوع	الصفحة
- الأُمَّةُ.	٥٣٤
- السُّلْطَانُ.	٥٣٥
- اللِّسانُ.	٥٣٥
- استَوَى.	٥٣٦
- التَّأْويلُ.	٥٣٧
- الغَافِلُ.	٥٣٨
فَائدَةٌ: إخبارُ اللهِ أَنَّهُ معَ عِبادِهِ يَرِدُ في القُرآنِ على أَحدِ مَعنَيَيْنِ.	٥٣٩
وصْفُ العِبادِ بأَنَّهم عبيدُ لِلهِ، يَرِدُ في القُرآنِ على نوعَينِ.	٥٤٠
القُنُوتُ، يَرِدُ في القرآنِ على قِسمَينِ.	٥٤٠
فائدةٌ: طُغْيانُ الرِّئاسَةِ وطُغيانُ المالِ.	٥٤١
فائدةٌ: مِن الحِكمَةِ: استعمالُ اللِّينِ في معاشَرَةِ المؤمنِينَ.	٥٤٢
الفَرْقُ بيْنَ قولِه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾، وبيْنَ قولِهِ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.	٥٤٣
الفَرْقُ بيْنَ التَّبْصِرَةِ والتَّذكِرَةِ.	٥٤٣
الفَرْقُ بين المواضعِ التي وَرَدَ في القرآنِ أَنَّ النَّاسَ لا يَتساءَلونَ، ولا يَتكلَّمونَ، والمواضعِ التي ذُكِرَ فِيها احتجاجُهُم، وتَكلُّمُهُم. . .	٥٤٤
الفَرْقُ بيْنَ إثباتِ اللهِ في القُرآنِ الأَنسابَ بيْنَ النَّاسِ في مواضعَ كثيرةٍ، ونَفيِها.	٥٤٥
الإِخبارُ عن الْمُجْرِمِينَ أَنَّهم يُسأَلونَ عن أَعمالِهم.	٥٤٦
فائدةٌ: النَّفيُ الْمَحضُ لا يكونُ كَمَالًا.	٥٤٧
فائدةٌ: قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾.	٥٥٠
فائدةٌ: قولُهُ تعالى: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾.	٥٥٠
فائدَةٌ: لَمَّا ذَكَرَ اللهُ الأَنبياءَ وأَثنَى عليهم قالَ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾.	٥٥١
فائدةٌ: إذا أَمَرَنا اللهُ في كتابهِ بأَمرٍ كانَ أَمرًا بذلكَ، وبِكُلِّ أَمْرٍ لا يَتِمُّ إِلَّا بهِ.	٥٥٢
فائدةٌ: قدْ أَخبرَ اللهُ في عِدَّةِ آياتٍ بِهدايتهِ الكفَّارَ. . .	٥٥٣
فائدةٌ: ورَدَ في كثيرٍ مِن الآياتِ إضافةُ الأُمورِ إلى قُدْرةِ اللهِ، ومَشيئته. . .	٥٥٤
فائدةٌ: يَختِمُ اللهُ كثيرًا مِن الآياتِ. . . بقولِهِ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.	٥٥٥

الموضوع	الصفحة
فائدةٌ: وردَ في القرآنِ آياتٌ عامَّةٌ، عُطفَ عليهِ بعضُ أَفرادِها الدَّاخلةِ فِيها.	٥٥٦
فائدةٌ لطيفةٌ: في عِدَّةِ آياتٍ. . . إذا ذَكرَ اللهُ الحُكمَ لم يَنصَّ على نَفسِ الحُكْمِ عليهِ.	٥٥٧
فائدةٌ: قولُهُ تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.	٥٥٩
فائدةٌ: ذَكَرَ اللهُ في كتابِهِ عِدَّةَ آياتٍ فِيها وَصْفُ القُلوبِ.	٥٦٢
فائدةٌ: قولُهُ تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ﴾.	٥٦٥
فائدةٌ: ذَكَرَ اللهُ اليَقِينَ في مواضعَ كثيرةٍ مِن القرآنِ في الْمَحلِّ العَالِي مِن الثَّناءِ.	٥٦٥
فائدةٌ: الظَّنُّ ورَدَ في القُرآنِ على وَجْهَينِ.	٥٦٨
فائدةٌ: قولُهُ تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾.	٥٦٩
فائدةٌ: الفَرَحُ وَرَدَ في القُرآنِ مَحمُودًا مأْمُورًا بهِ. . . وورَدَ مَنْهِيًّا عنهُ مَذمُومًا.	٥٦٩
فائدةٌ: وَردَ السَّعيُ في القُرآنِ في آياتٍ كثيرةٍ.	٥٧٠
فائدةٌ: أَمرَ اللهُ بالصِّدقِ، وأَثنى على الصَّادقِينَ، وذَكرَ جزاءَ الصَّادقِينَ.	٥٧١
فائدةٌ: . . . في الْمُصْطَفَيْنَ الذين أَورَثهمُ اللهُ الكِتابَ.	٥٧٢
فائدةٌ: وردَ في القرآنِ الظُّلمُ، بمعنَى: الكُفرِ والشِّركِ الأَكبرِ. . .	٥٧٧
فائدةٌ: قولُهُ تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾.	٥٧٩
فائدةٌ: خِطاباتُ القُرآنِ للنَّاسِ خبَرًا، وأَمرًا ونهيًا قِسمانِ.	٥٨٠
فائدةٌ: وردَ في القرآنِ عدَّةُ آياتٍ فِيها ذِكرُ الخُلودِ في النَّارِ. . .	٥٨٣
فائدةٌ: وردَ في القُرآنِ آياتٌ كثيرةٌ فِيها مُضاعَفةُ الحَسَنةِ بعشْرِ أَمثالِها. . .	٥٨٤
فائدةٌ: قد أَمرَ اللهُ في كتابِهِ بالتَّفكُّرِ والتَّدبُّرِ والنَّظَرِ والتَّبَصُّرِ.	٥٨٧
فائدةٌ: . . . قال تعالى: ﴿لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ...﴾، ذكرَ فيها أَركانَ الشُّكرِ.	٥٩٥
فائدةٌ، بلْ فَوائدُ عَظِيمَةٌ في ذِكرِ شَيءٍ مِن الأَسْبَابِ التي ذكرَها اللهُ في كِتَابهِ. . .	٥٩٧
ضرْبُ الأَمثالِ في القرآنِ.	٦٠٩
فَصْلٌ: في ذِكرِ حُدُودِ أَلفاظٍ كَثُرَ مُرُورُها في القُرآنِ.	٦١١
– الإِسلامُ والإِيمانُ.	٦١١
– الإِحسانُ قِسمانِ.	٦١٢
– الهُدَى والهِدايةُ نوعانِ.	٦١٢

المَوضوع	الصفحة
– العِلْمُ واليَقِينُ.	٦١٣
– الصَّبْرُ.	٦١٤
– الشُّكْرُ للهِ.	٦١٥
– البِرُّ والتَّقوَى للهِ.	٦١٥
– الصِّدقُ، والكَذِبُ.	٦١٥
– العَدْلُ والظُّلمُ.	٦١٦
– العِبَادَةُ والعُبُودِيَّةُ للهِ.	٦١٧
– الخَوْفُ والخَشْيَةُ، والخُضُوْعُ، والإِخْبَاتُ، والوَجَلُ.	٦١٩
– القُنُوْتُ: ورَدَ في القرآنِ على أَحدِ معنَيَيْنِ.	٦٢٠
– الذِّكْرُ للهِ.	٦٢٠
– حُدُودُ اللَّهِ.	٦٢١
– الأَمَانةُ.	٦٢١
– العَهْدُ، والعَقْدُ.	٦٢١
– الشَّجَاعةُ، والجُبْنُ، والتَّهوُّرُ.	٦٢٢
– الاستِقَامةُ.	٦٢٣
– التَّوبَةُ، والاستغْفَارُ.	٦٢٣
– التَّوَكُلُ على اللهِ، والاستِعَانةُ بهِ.	٦٢٣
– الْمَحَبَّةُ للهِ، والإِنابةُ إِلى اللهِ.	٦٢٤
– الْمَعْرُوفُ، والْمُنْكَرُ.	٦٢٤
– الخَبِيْثُ، والطَّيِّبُ.	٦٢٤
– حُسْنُ الخُلُقِ، وسُوءُ الخُلُقِ.	٦٢٤
– الشِّرْكُ، والكُفْرُ.	٦٢٥
– النِّفَاقُ.	٦٢٦
– الكِبْرُ، والتَّواضُعُ.	٦٢٦
الفهارسُ.	٦٢٨

المَوضوع	الصفحة
- فهرسُ الآياتِ القُرآنيَّةِ.	٦٢٩
- فهرسُ الأَحاديثِ النَّبويَّةِ.	٦٧٩
- فهرسُ الآثارِ.	٦٨٧
- فهرسُ الأَلفاظِ الغَرِيْبةِ.	٦٩٠
- فهرسُ الْمُصْطَلَحَاتِ.	٦٩٤
- فهرسُ الأَعلامِ.	٦٩٦
- فهرسُ القبائلِ والفِرقِ.	٦٩٧
- فهرسُ الأَماكنِ، والبُلدانِ.	٦٩٨
- فهرسُ المصادرِ والمراجعِ.	٦٩٩
- فهرسُ الموضوعاتِ.	٧٣٤

تم بحمد الله